ذكر أخبار العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل : إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والإكرام .

والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل ، ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وأُمَيْم وجُرْهم والعَماليق ، وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله ، كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفى زمانه أيضاً .

فأما العرب المُسْتعربة ، وهم عرب الحجاز ، فمن ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان ، واسمه مهزم . قاله ابن ماكولا . وذكروا أنهم كانوا أربعة إخوة : قحطان وقاحط ومقحط وفالغ .

وقحطان بنُ هود ، وقيل هو هود . وقيل هود أخوه . وقيل من ذريته . وقيل إن قحطان من سلالة إسماعيل ، حكاه ابن إسحاق وغيره . فقال بعضهم : هو قحطان [ابن الهَمَيْسَع[1]] بن تيمن بن قَيْذر [بن نبْت[1]] بن إسماعيل . وقيل غير ذلك فى نسبه إلى إسماعيل والله أعلم .

وقد ترجم البخارى فى صحيحه على ذلك فقال : (باب نِسْبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام) حدثنا مُسَدّد ، حدثنا يحيى ، عن يزيد بن أبى عُبَيد ، حدثنا سَلَمة رضى الله عنه

---

(١) من المخطوطة

قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم مِنْ أَسْلَمَ يتَنَاضلون بالسيوف فقال : « ارموا بنى إسماعيل وأنا مع بنى فلان » لأحد الفريقين ، فأمسكوا بأيديهم ، فقال : مالكم ؟ قالوا : وكيف نرمى وأنت مع بنى فلان ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم[1] » .

تفرّد به البخارى . وفى بعض ألفاظه : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع ابن الأَدْرَع » فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم .

قال البخارى : وأسْلم[2] بن أفْصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة . يعنى : وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سَيْل العرم . كما سيأتى بيانه . وكانت الأوس والخزرج منهم ، وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام : « ارموا بنى إسماعيل » فدل على أنهم من سلالته . وتأوّله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب ، لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل .

لكن الجمهور على أن العرب القحطانية مِنْ عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل .

وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين : قَحْطَانية وعَدْنانية . فالقحطانية شَعْبانِ : سَبَأ وحَضْرَموت . والعدنانية شعبانِ أيضا : ربيعة ومُضَر ، ابنا نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان ، والشَّعب الخامس وهم قُضَاعة مُخْتلف فيهم ، فقيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر : وعليه الأكثرون . ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجُبَيْر بن مُطْعِم ، وهو اختيار الزبير بن بَكّار وعمه مُصْعَب الزبيرى وابن هشام . وقد ورد فى حديثٍ : « قُضَاعَةُ بن مَعَدّ » ولكنه لا يصح . قاله ابن عبد البر وغيره .

---

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢) البخارى : ومنهم أسلم .

ويقال : إنهم لم (١) يزالوا فى جاهليتهم وصدرٍ من الإسلام ينتسبون إلى عدنان ، فلما كان فى زمن خالد بن يزيد بن معاوية ، وكانو أخواله ، انتسبوا إلى قحطان ، فقال فى ذلك أَعْشَى بن ثعلبة فى قصيدة له :

أَبْلِـغْ قُضَاعةَ فى القِرْطاس أنهمُ — لولا خلائفُ آلِ الله ماعُتِقوا
قالت قضاعة إنَّا من ذَوِى يَمَنٍ — واللهُ يعلم مابَرُّوا ولا (٢) صَدَقُوا
قـد ادَّعَوْا والداً مانال أُمَّهم — قد يعلمون ولـكن ذلك الفرَقُ

وقد ذكر أبو عمرو السهيلى أيضاً من شعر العرب مافيه إبداع فى تعيير (٣) قضاعة فى فى انتسابهم إلى اليمن . والله أعلم .

والقول الثانى أنهم مِنْ قحطان ، وهو قول ابن إسحاق والـكلبى وطائفة من أهل النَّسب .

قال ابن إسحاق : وهو قُضَاعة بن مالك بن حِمْير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مُرَّة ، صحابىٌّ له حديثان :

يا أيهـــا الداعى ادْعُنا وأَبْشِرِ — وكُنْ قُضَاعيـــاً ولا تُنَزِّرِ
نحنُ بنو الشيخ الهِجَان الأزهرِ (٤) — قضاعــةَ بنِ مالِك بنِ حِمْـــيَرِ
النسبُ المعروف غـيرُ المُنكَر — فى الحجَرِ المنقوش تحت المنـــبرِ

قال بعض أهل النسب : هو قُضَاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زيد بن حِمْير .
وقال ابن لهيعة : عن معروف بن سُوَيد ، عن أبى عشابة (٥) محمد بن موسى ، عن عُقْبة بن عامر ، قال : قلت يارسول الله أَمَا نحن من مَعَدّ ؟ قال لا . قلت : فمن نحن ؟ قال : أنتم من قُضَاعة بن مالك بن حمير .

---

(١) فى الأصل : لن ، وهو خطأ (٢) المطبوعة : وما (٣) المطبوعة : تفسير . وهو خطأ
(٤) الهجان : الرجل الحسيب . والأزهر : المشرق الوجه . (٥) كذا بالمطبوعة وفى المخطوطة: مشابة ولا وجود لها . ولعله أبو عشانة حى بن يؤمن .

قال أبو عمر بن عبد البر : ولا يختلفون أن جُهَيْنة بن زيد بن أسود بن أَسْلَم بن عمران بن الحاف بن قضاعة قبيلةُ عُقْبة بن عامر الُجَهَنى ، فعلى هـذا قضاعة فى اليمن فى حِمْيَر بن سبأ .

وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاعة امرأة من جُرْهم تزوجهـا مالك بن حِمير فولدت له قُضَاعَةَ ، ثم خَلَف عليهـا معدٌّ بن عدنان ، وابنُها صغير ، وزعم بعضهم أنه كان حَمْلا فنسب إلى زوج أمه ، كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه [1] والله أعلم .

وقال محمد بن سَلَّام البَصْرِى النَّسَّابة : العرب ثلاثة جراثيم : العدنانيةُ والقحطانية وقُضَاعة . قيل له: فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية ؟ فقال : ماشاءت قُضَاعة، إن تيَامَنَتْ فالقَحْطانية أكثر وإن تَعَدْنَنَتْ فالعدنانية أكثر .

وهذا يدل على أنهم يتلونون فى نسبهم ، فإن صح حديث ابن لهيعة المتقدم فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [2] .

قال علماء النسب : يقال شُعُوب ، ثم قبائل ، ثم عَمائر ، ثم بطون ، ثم أفخاذ ، ثم فَصَائل ، ثم عشائر ، والعشيرة أقرب الناس إلى الرَّجل وليس بعدها شىء .

ولنبدأ أولا بذكر القَحْطَانية ، ثم نذكر بعدهم عربَ الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ، ليكون ذلك متصلا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

---

(١) قال الجوانى فى كتابه أصول الأحساب : « فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة ، فنسبته العرب إلى زوج أمه مالك بن مرة ، وهى عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه . وقيل إن اسم الجرهمية قضاعة ، فلما جاءت بولدها سمته باسمها ، وقيل : بل كان اسمه عمراً ، فلما تقضع عن قومه أى بعد سمى قضاعة » (٢) سورة الحجرات ١٣ .

وقد قال البخارى ﴿ باب ذِكْر قحطان ﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان ابن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن أبى الغَيْث، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه »[١] وكذا رواه مسلم ، عن قتيبة عن الدَّرَاوَرْدِى ، عن ثور بن زيد به .

قال السهيلى : وقحطان أول من قيل له « أَبَيْتَ اللَّعْن » وأول من قيل له « أَنْعِمْ صباحاً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، عن جرير حدثنى راشد بن سعد المُقْرائِىّ عن أبى حى ، عن ذِى فَجَر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان هذا الأمر فى حِمْير فنزعه الله منهم فجعله فى قريش (و س ى ع و د إ ل ى ه م) قال عبد الله : كان هذا فى كتاب أبى وحيث حَدَّثَنَا به تكلَّم به على الاستواء ، يعنى : « وسَيَعُود إليهم » .

---

(١) صحيح البخارى ٢/١٣٥

قصـــة سبأ

قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١) .

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق : اسم سَبَأ عبدُ شمس بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قحطان . قالوا : وكان أولَ من سَبَى من العرب فسمِّى سَبَأً لذلك . وكان يقال له الرَّائش ، لأنه كان يعطى الناس الأموال من متاعه . قال السهيلى : ويقال إنه أول من تتوَّج . وذكر بعضهم أنه كان مُسْلما ، وكان له شعر بشَّرَ فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله :

سَيَمْلِك بَعْدَنَا مُلْكاً عظيماً ... نبيٌّ لا يُرَخِّصُ فى الحَرَامِ
ويَمْلِكُ بَعْدَه منهم ملوكٌ ... يَدِينون العبادَ بغير ذَامِ
ويَمْلك بَعْدَهم منا ملوكٌ ... يصير المُلْكُ فينا باقتسامِ
ويملك بعدَ قحطانٍ نبيٌّ ... تقيٌّ ، مُخْبِتٌ (٢) خيرُ الأنامِ
يُسَمَّى أحمداً ياليت أنى ... أُعَمَّرُ بَعْدَ مَبْعَثه بِعامِ

(١) سورة سبأ ١٥ ــ ١٩ (٢) الأصل : جبينه . وما أثبته من التفسير .

فأَعْضُدُه وأَحْبُوه بنَصْرِى   بكل مُدَجَّجٍ وبكل رامِى
متى يَظْهَرْ فكونوا ناصِرِيه   ومَنْ يلقاه يُبْلِغْهُ سَلَامِى

حكاه ابن دِحْية فى كتابه « التنوير فى مولد البشير النذير » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن لَهِيعة ، عن عبد الله [بن هُبَيرة السَّبائى عن عبد الرحمن بن وَعلة قال [1]] سمعت عبدَ الله بن عباس يقول : إن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن سَبَأ ماهو ؟ أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال : « بل هو رجل وَلَد عشرةً ، فسكن اليمن منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمَذْحِج وكِنْدة والأَزْد والأشعريون وأَنْمار وحِمْيَر [عرباً كلها [2]] وأما الشامية فلَخْم وجُذَام وعامِلة وغَسَّان [3] » .

وقد ذكرنا فى التفسير أن فروة بن مسيك الغطيفى هو السائل عن ذلك ، كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك ولله الحمد .

والمقصود أن سَبَأ يَجْمع هذه القبائل كلها ، وقد كان فيهم التَّبَابعة بأرض اليمن واحدهم تُبَّع ، وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحُكْم ، كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك ، وكانت العرب تسمى كلَّ من مَلَك اليمن مع الشِّحْر وحَضْرَموت تُبَّعاً ، كما يسمون من مَلَك الشام مع الجزيرة قَيْصَرَ ، ومن مَلَك الفُرْسَ كسرى ، ومن ملك مصر فرعون ، ومن ملك الحبشة النجاشى ، ومن ملك الهند بطليموس ، وقد كان من جملة ملوك حِمْيَر بأرض اليمن بلقيس . وقد كانوا فى غبطة عظيمة وأرزاق دارَّة وثمار وزروع كثيرة ، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد ، فلما بَدَّلوا نعمة الله كفراً أحلوا قومَهم دارَ البوار .

---

(١) سقط من المطبوعة ؛ وكان فيها : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعلة .
(٢) من المسند   (٣) المسند حديث رقم ٢٩٠٠

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه : أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً . وزعم السُّدِّى أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي ! فالله أعلم .

والمقصود أنهم عَدَلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك فى زمان بلقيس وقبلها أيضاً ، واستمرَّ ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سَيْلَ العَرِم كما قال تعالى ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سَدَّ مأرب كان صنعته أن المياه تجرى من بين جبلين ، فعمدوا فى قديم الزمان فسدُّوا ما بينهما ببناء مُحْكَم جداً ، حتى ارتفع الماء فحكم على أعالى الجبلين ، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة ، وزرعوا الزروع الكثيرة ، ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب وساط إليه سبعين واديا يَفدِ إليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ، ومات ولم يكمل بناؤه ، فكملته حِمْير بعده ، وكان اتساعه فرسخاً فى فرسخ ، وكانوا فى غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة ، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فيمتلىء من الثمار مما يتساقط فيه من نضجه وكثرته ، وذكروا أنه لم يكن فى بلادهم شىء من البراغيث ولا الدواب المؤذية ، لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ .

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته ، وسألوا بَعْدَ تقارُب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وأمن الطرقات، سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم فى مشاق

وتعب ، وطلبوا أن يبدَّلوا بالخير شراً ، كما سأل بنو إسرائيل بدل المَنِّ والسَّلوى البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل ، فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد ، كما قال تعالى (فأعْرَضوا فأرْسَلْنَا عليهم سَيْلَ العَرِم).

قال غير واحد : أرسل الله على أصل السد الفأر وهو الجُرَذ ويقال له الخلد ، فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير فلم تُغْنِ شيئاً ، إذ قد حُمَّ القَدَر ولم ينفع الحَذَر كلاَّ لا وَزَر ، فلما تحكم فى أصله الفساد سقط وانهار ، فسلك الماء القرار ، فقطِّعت تلك الجداول والأنهار وانقطعت تلك الثمار ، وبادت تلك الزروع والأشجار ، وتبدلوا بعدها بردىء الأشجار والأثمار ، كما قال العزيز الجبار « وبَدَّلناهم بجَنَّتَيْهم جنتين ذواتَىْ أُكل خَمْطٍ وأَثْلٍ » قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو الأراك وثمره البرير ، وأثل وهو الطرفاء . وقيل يشبهه ، وهو حطب لا ثمر له « وشىء من سِدْرٍ قليلٍ » وذلك لأنه لمَّا كان يثمر النَّبْق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه ، كما يقال فى المثل : لحمُ جَمَلٍ غَثٍّ على رأس جبل وَعْرٍ ، لا سهل فيُرْتقَى ولا سمين فينتقى . ولهذا قال تعالى « ذَلِكَ جَزَيْنَاهم بما كَفَرُوا وهل نُجَازِى إلَّا الْكَفُور » أى إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة مَنْ كفر بنا وكذب رُسَلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا .

وقال تعالى : « فَجَعَلْنَاهم أحاديث ومَزَّقْنَاهم كلَّ ممزَّق » وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها ، فتفرقوا فى غَوْر البلاد ونَجْدِها أيدى سَبَأ شَذَرَ مَذَر ، فنزلت طوائف منهم الحجاز ، ومنهم خُزَاعة ، نزلوا ظاهر مكة ، وكان من أمرهم ما سنذكره ، ومنهم المدينة المنورة اليوم ، فكانوا أول من سَكَنها ، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قَينُقاعُ وبنو قُرَيظة وبنو النَّضِير ، فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ، وكان من أمرهم ما سنذكره ، ونزلت طائفة

أخرى منهم الشام وهم الذين تنصَّروا فيما بعد ، وهم غَسَّان وعاملة وبهراء ولخمْ وجذام وتَنُوخ وتغلب وغيرهم .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى أبو عبيدة قال : قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة ، وهو ميمون بن قيس :

وفى ذاك للمؤتسى أسـوةٌ ومأرب[١] عفّى عليها العَرِمْ
رُخَامٌ بَنَتْه لهم حِمْـيرٌ إذا جاء مَوّارُه[٢] لم يَرِمْ
فأرْوَى الزروع[٣] وأعنابها على سَعَةٍ ماؤهم إذ قُسِمْ
فصاروا أيادى[٤] لا يقدرونْ على شِرْبِ طفل إذا ما فُطِم

وقد ذكر محمد بن إسحاق فى كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قَبْلَ سيل العَرِمِ عمرو بن عامر اللَّخْمى ، ولخم هو ابن عَدِىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد[٥] بن زيد بن هَمَيْسَع[٦] بن عمرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زيد بن كَهْلَان بن سبأ . ويقال لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ . قاله ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان سبب خروجه من اليمن ، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى ، أنه رأى جُرَذاً يحفر فى سَد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النُّقْلة عن اليمن فكادَ قومَه ، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلاطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطَمَ وجهى فيه أصغرُ ولدى . وعَرَض أمواله . فقال أشراف من

---

(١) المطبوعة : ومأرم . وهو خطأ
(٢) مواره : ماؤه الذى يضطرب ويتموج .
(٣) المطبوعة : الزرع ، وهو خطأ
(٤) ابن هشام : ما يقدرون
(٥) المطبوعة : أزد ، وهو تحريف
(٦) المطبوعة : مهع ، وهو تحريف .

أشراف اليمن : اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله . وانتقل فى ولده وولد ولده . وقالت الأزد لا نتخلف عن عمرو بن عامر . فباعوا أموالهم وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عَكّ مُجْتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سِجَالا ، ففى ذلك قال عباسُ بن مِرْدَاس :

وعكُّ بن عَدْنان الذين تَلَعَّبُوا[1] بِغَسَّان حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرَدِ

قال : فارتحلوا عنهم فتفرقوا فى البلاد ، فنزل آلُ جَفْنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزل الأوسُ والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعةُ مَرًّا[2] ، ونزلت أزدُ السَّرَاةِ السراة ، ونزلت أزدُ عُمَانِ عُمَانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيلَ فهدمه ، وفى ذلك أنزل الله هذه الآيات . وقد روى عن السدى قريب من هذا .

وعن محمد بن إسحاق فى روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا . وقال غيره : كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فأخبرت بقُرْب هلاك بلادهم ، وكأنهم رأوا شاهد ذلك فى الفأر الذى سلِّط على سدِّهم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم .

وقد ذكرتُ قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبى حاتم فى التفسير .

فصل :

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لمّا أصيبوا بسيل العَرِم ، بل أقام أكثرهم بها ، وذهب أهلُ مأرب الذين كان لهم السد فتفرقوا فى البلاد ، وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن ، بل إنما تَشَاءم منهم أربعة وبقى

---

(١) فى أصول الأحساب للجوانى ص ١١١ : تلقبوا

(٢) هو الذى يعرف بمر الظهران ، على مرحلة من مكة .

باليمن ستة ، وهم مَذْحِج وكِنْدة وأَنْمار والأشعريون . وأَنْمَار هو أبو خَثْعم وبَجِيلة وحمير ، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن ، واستمر فيهم الملك والتبابعة ، حتى سلبهم ذلك مَلك الحبشة بالجيش الذى بعثه صحبة أميرَيْه أبرهة وأرياط نحواً من سبعين سنة ، ثم استرجعه سيف بن ذى يزن الحميَرى ، وكان ذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل ، كما سنذكره مفصلا قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن عليًّا وخالد بن الوليد ، ثم أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل ، وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ، ثم تغلب على اليمن الأسود العَنْسى وأخرج نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، فلما قُتِل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

قصة ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر

المتقدم ذكره اللَّخْمى . كذا ذكره ابن اسحاق . وقال السهيلى : ونُسَّاب اليمن تقول : نصر بن ربيعة(١) . وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم . وقال الزبير ابن بكار : ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن ملك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم . ولخم أخو جذام ، وسمى لخما لأنه لخمَ أخاه على خده أى لطمه فعضه الآخر فى يده فجَذَمها ، فسمى جذاما .

وكان ربيعة أحد ملوك حِمْيَرَ التَّبَابِعة ، وخبره(٢) مع شِقٍّ وسطيح الكاهنين وإنذارهما بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما سَطيح فاسمه رَبِيع بن ربيعة بن مَسعود بن مَازِن بن ذئب بن عَدِيّ بن مازن

---

(١) الذى فى السهيلى : وبعضهم يقول فيه نصر بن ربيعة وهو فى قول نساب اليمن ربيعة بن نصر .
(١) عطفها على قوله : قصة ربيعة .

غسان . وأما شِقّ فهو ابن صَعْب بن يَشْكر بن رُهْم بن أفْرك بن قيس[١] بن عَبْقَر ابن أنمار بن نِزَار . ومنهم من يقول أنمار بن إرَاش بن لِحْيان بن عمرو بن الغوث بن نابت[٢] بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ . ويقال إن سَطيحا كان لا أعضاء له ، وإنما كان مثل السطيحة ، ووجهه فى صدره ، وكان إذا غضب انتفخ وجلس . وكان شِقّ نصفَ إنسان ، ويقال إن خالد بن عبد الله القَسرى كان من سلالته . وذكر السهيلى أنهما ولدا فى يوم واحد ، وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ، ويقال إنها تفلت فى فم كل منهما فورث الكهانة عنها ، وهى امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره . والله أعلم .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هَالتْه وفَظِع بها[٣] ، فلم يَدَعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجِّما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها . فقالوا : اقْصُصْها علينا نخبرْك بتأويلها . فقال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها ، لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شِقٍّ وسطيح ، فإنه ليس أحدٌ أعْلَمَ منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

فبعث إليهما ، فقدم إليه سطيح قبل شق ، فقال له : إنى قد رأيت رؤيا هالَتْنى وفظعت بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصَبْتها أصَبْتَ تأويلها . فقال أفعل . رأيتَ

---

(١) فى ا : قسر . (٢) وتروى : نبت ، كما فى الاشتقاق لابن دريد
(٣) فظع بها : اشتدت عليه .

حُمَمةً(١) خرجت من ظُلْمة ، فوقعت بأرضٍ تهِمة(٢) ، فأكلت منها كلَّ ذات جُمْجُمة .
فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ؛ فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرَّتين من حَنش، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جُرَش(٣) . فقال له الملك : يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده ؟ فقال : لا وأبيك بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال: أفيدوم ذلك من سلطانهم أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال يليه(٤) إرم ذى يزن(٥) ، يخرج عليهم من عدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه ؟ قال : نبى زَكىٌّ ، يأتيه الوحى من قِبَل العلى . قال وممن هذا النبى ؟ قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يومٌ يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحقٌّ ما تخبرنى ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إنَّ ما أنبأتك به لحق .

قال : ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . قال : نعم رأيت حُمَمَة خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلَّ ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد ، إلا أن سطيحاً قال « وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة » وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة » فقال له الملك ما أخطأت ياشق منها شيئاً ، فما عندك

---

(١) الحممة : قطعة النار .
(٢) تهمة : منخفضة ومنه سميت تهامة . (٣) أبين وجرش : مخلافان من مخاليف اليمن .
(٤) المطبوعة : يليهم وهو خطأ .
(٥) إنما قال : ارم ذى يزن ، واسمه سيف ، لأنه شبهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة .

فى تأويلها؟ فقال : أحلف بما بين الحرَّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفْلة البنان ، وليملكن ما بين أَبْيَن إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك ياشِقّ إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال غلام ليس بدنىٍّ ولا مُدَنٍّ [١] يخرج عليهم من بيت ذى يزن . قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال : بل ينقطع برسول مُرْسل ، يأتى بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجْزَى فيه الولاة ، يُدْعَى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع الناس فيه للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ماتقول ؟ قال إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما مِنْ رَفْعٍ وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أَمْض [٢] .

قال ابن اسحاق : فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة .

قال ابن إسحاق : فمن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمانُ بن المنذر ، بن النعمان بن المنذر ، بن عمرو بن عدىّ ، بن ربيعة بن نصر ، يعنى الذى كان نائبا على الحيرة لملوك الأكاسرة ، وكانت العرب تفد إليه وتمتدحه . وهذا الذى قاله محمد بن إسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس .

وقد روى ابن إسحاق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جىء بسيف النعمان بن المنذر سأل جُبَيْر بن مُطعم عنه ممن كان ؟ فقال من أَشْلاء [٣] قَنَص بن مَعَد بن عدنان . قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .

(١) المدن : المقصر فى الأمور (٢) الأمض : الشك ، بلسان حمير (٣) الأشلاء : البقايا

قصـــة تُبَّع أبى كَرِب تُبَّان أسعد ، ملك اليمن مع أهل المدينة وكيف أراد غزو البيت الحرام ، ثم شرَّفه وعظمه وكساه الحلل فكان أول من كساه

قال ابن إسحاق . فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تُبَّان أسعد أبى كرب . وتِبّان أسعد هو تبع الآخر ابن كُلْكى كَرِب [١] بن زيد ، وزيدٌ تُبَّع الأول بن عمرو ذى الأَذْعار ، بن أبرهة ذى المنار ، بن الرائش [٢] ، بن عَدِىّ ، بن صيفى ، بن سبأ الأصغر ، بن كعب كَهْف الظُّلم ، بن زيد ، بن سهل ، بن عمرو ، بن قيس [٣] ، بن معاوية ، بن جُشم ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن الغَوْث ، ابن قَطَن ، بن عريب ، بن زُهير بن أيمن [٤] بن الهَمَيْسَع بن العَرَنجَج [٥] . والعرنجج هو حمير بن سبأ الأكبر ، بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَحْطَان .

قال عبد الملك بن هشام : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان [٦] .

قال ابن إسحاق : وتِبّان أسعد أبو كَرِب هو الذى قدم المدينة وساق الحبرين من يهود إلى اليمن ، وعمرَّ البيت الحرام وكساه ، وكان مُلكه قبل مُلك ربيعة بن نصر ، وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق [٧] على المدينة ، وكان قد مر بها فى بَدْأته فلم يَهِجْ أهلها وخلَّف بين أظهرهم ابناً له فقتل غِيلةً ، فقدِمها وهو مُجْمع لإخرابها

---

(١) كذا فى الروض الأنف ، وفى ابن هشام : كلى كرب . (٢) ويقال الريش ، كما فى ابن هشام
(٣) الأصل : « قس » وهو خطأ . (٤) الأصل : أنس والتصويب من ابن هشام ١/ ٢٠
(٥) المطبوعة : العربجج وهو خطأ . وليست النون فى العرنجج زائدة ، وهو من قولهم اعرنجج الرجل فى أمره : إذا جد فيه ، كأنه افعنلل . الاشتقاق ٣٦٢ . (٦) الذى فى ابن هشام : يشجب بن يعرب . بدون ذكر سبأ . (٧) ابن هشام : حين أقبل من المشرق .

واستئصال اهلها وقَطْع نخلها ، فجمع له هـذا الحيُّ من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طَلّة[١] أخـو بنى النجار ثم أحـد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول عامر بن مالك ابن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وقال ابن هشام : عمرو بن طَلّة [١] هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وَطلَّة أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيق الخزرجية .

قال ابن اسحاق : وقد كان رجل من بنى عدىّ بن النجار ، يقال له أحمر ، عَدا على رجل من أصحاب تُبَّع وجده يجُدُّ عَذْقاً له فضربه بمنجله فقتله وقال : إنما التمر لمن أَبَّرَه . فزاد ذلك تبعاً حَنَقا عليهم فاقتتلوا .

فتَزْعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرونه بالليـل ، فيعجبه ذلك منهم ويقول : والله إن قومنا لـكرام !

وحكى ابن اسحاق عن الأنصار أن تُبَّعا إنما كان حنقه على اليهود وأنهم [٢] منعوهم منه .

قال السهيلى : ويقال إنه إنما جاء لنصرة الأنصار أبناء عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم فى المدينة على شروط فلم يفُوا بها واستطالوا عليهم . والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فبَيْنا تُبَّع على ذلك من قتالهم إذا جاءه حَبْران من أحبار اليهود من بنى قريظة عالمـان راسخان ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا [٣] له : أيها الملك لا تفعل فإنك إن أَبَيتَ إلا ما تريد حِيلَ بينك وبينها ولم نأمن عليك

---

(١) الأصل : طلحة وهو خطأ (٢) المطبوعة أنهم .

(٣) المطبوعة : فقالوا .

عاجل [١] العقوبة . فقال لهما ولم ذلك ؟ قالا هى مُهَاجَرُ نبى يخرج من هذا الحَرَم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره .

فتناهى [عن ذلك] ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما .

قال ابن اسحاق : وكان تُبَّعٌ وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفان وأَمَجَ [٢] أتاه نفر من هُذَيل بن مُدْركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيتِ مال داثرٍ أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده .

وإنما أراد الهُذليون هلاكه بذلك لما عرفوا مِنْ هلاك مَنْ أراده من الملوك وبغى عنده

فلما أَجْمع لما قالوا أرسل إلى الحبرَيْن فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله عز وجل اتخذه فى الأرض لنفسه غيرَه ، ولئن فعلت ما دعَوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً . قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدِمْت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتذَلَّل له حتى تخرج من عنده. قال فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم عليه السلام ، وإنه لَكما أخبرناك ، ولكن أهله حالُوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يهريقون عنده ، وهم نَجَسٌ أهل شرك . أو كما قالا له .

---

(١) المطبوعة : جل ، وهو تحريف .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وأمج : بلد من أعراض المدينة .

فعرف نُصْحها وصِدْق حديثهما ، وقرّب[1] النفر من هُذَيل فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ينحر عنده وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون يَنْحَر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل ، وأُرِى فى المنام أن يكسوَ البيت ، فكساه الخَصَف[2] ، ثم أُرِى فى المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المَعَافر[3] ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المُلاَء والوصائل[4] ، فكان تُبَّع فيما يزعمون أول من كسا البيت ، وأوصى به ولاته من جُرْهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يُقربوه دماً ولا ميتة ولا مِثْلاةً وهى المحايض ، وجعل له باباً ومفتاحاً .

ففى ذلك قالت سُبَيْعة بنت الأَحَبّ تذكّر ابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَى بن غالب وتنهاه عن البغى بمكة وتذكر له ما كان من أمر تُبَّع فيها :

أَبُنَىَّ لا تَظْلم بمكْ كة لا الصغير ولا الكبيرْ
واحفظ محارمها بُنَىَّ ولا يغرنْكَ الغَرُورْ
أَبُنَىَّ من يظلم بمكْ كة يَلْقَ أطراف الشرور
أبُنىَّ يُضْرَبُ وجهه ويَلُحْ بخدَّيْه السعيرْ
أَبُنَىَّ قد جَرَّبْتُها فوجدتُ ظالمها يَبُورْ
اللهُ آمَنَها وما بُنِيتْ بعَرْصتها قصورْ
واللهُ آمَنَ طَيْرَها والعُصْمُ تأمن فى ثَبِيرْ
ولقد غزاها تُبَّعٌ فكَسَا بَنِيَّتَها الحَبِيرْ

(١) ابن هشام : فقرب (٢) الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف .
(٣) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن .
(٤) الملاء : جمع ملاءة ، والوصائل : ثياب مخططة يمنية يوصل بعضها ببعض .

وأذلَّ ربى مُلْكه فيها فأَوْفى بالنـــذورْ
يمشى إليهــا حافياً بفنائها ألفا بعـــيرْ
ويظلُّ يُطْعم أهلهـا لحم المهَارَى والجَزُورْ
يسقيهم العســل المصفْ فَى والرحيضَ من الشعيرْ
والفيــلُ أهلك جيشَهُ يُرْمَوْن فيهـا بالصخور
والمُلْك فى أقصى البــلا د وفى الأعاجم والخَزِيرْ[1]
فاسمــع إذا حُدِّثت وافــهمْ كيف عاقبــة الأمورْ

قال ابن إسحاق : ثم خرج تُبَّع متوجها إلى اليمن بمن معه من الجنود وبالحَبْرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأَبَوْا عليه حتى يحا كموه إلى النار التى كانت باليمن .

قال ابن اسحاق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القُرَظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبَيد الله يحدِّث أن تُبَّعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا . فدعاهم إلى دينه وقال إنه خير من دينكم . قالوا : تحا كمنا[2] إلى النار ؟ قال : نعم .

قال : وكانت باليمن ، فيما يزعم أهل اليمن ، نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأخذ الظالم ولا تضرُّ المظلوم، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلدَيْها ، حتى قعدوا للنار عند مَخْرَجها الذى تخرج منه ؛ فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادُوا عنها وهابوها فذَمَرهم[3] من حضرهم من الناس

---

(١) الخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم الخزر أيضاً . وفى المطبوعة : الخزور وهو تحريف .
(٢) ابن هشام : فحا كمنا (٣) ذمرهم : حضهم . وفى المطبوعة : فزجرهم .

وأمروهم بالصبر لهـا ، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وماقربوا معها ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تَعْرق جباهُهما ولم تضرهما فأصفقت [1] عند ذلك حمير على دينهما ، فمِنْ هنالك كان أصلُ اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق : وقد حدثنى محدِّث أن الحبريْن ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليَرُدُّوها ، وقالوا : من رَدَّها فهو أولى بالحق . فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادُوا عنها ولم يستطيعوا ردَّها ، فدنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وهى تَنْـكُص [2] عنهما حتى ردَّاها إلى مَخْرجها الذى خرجت منه ، فأصفقت عند ذلك حِمْيَر على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق : وكان رِئام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويُـكَلَّمون منه إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتُبَّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخلِّ بيننا وبينه . قال . فشأنـكما به . فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم — كما ذكر لى — بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

وقد ذكرنا فى التفسير الحديثَ الذى ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا تَسُبُّوا تُبَّعاً فإنه قد كان أسلم » قال السهيلى : وروى معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليـه وسلّم قال : « لا تسبوا أسعد الحميرى فإنه أول من كسى الـكعبة » .

قال السهيلى : وقد قال تُبَّع حين أخبره الحبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراً :

شهدتُ على أحمـدٍ أنه ... رسولٌ من الله بارى النَّسَمْ

---

(١) أصفقت : اجتمعت . (٢) المطبوعة : تنقص ، وهو تحريف .

فلو مُدَّ عُمْرى إلى عمره لـكنت وزيراً له وابنَ عَمّْ
وجاهدتُ بالسيف أعداءه وفرّجْتُ عن صدره كلَّ هَمّْ

قال : ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم ، وكان عند أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه وأرضاه

قال السهيلى : وذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور أن قبراً حفر بصنعاء ، فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه : هـــذا قبر لَمِيس وحُبَّى ابنتَىْ تُبَّع ، ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

* * *

ثم صار المُلْك فيما بعد إلى حسان بن تبان أسعد ، وهو أخو اليمامة الزرقاء التى صلبت على باب مدينة « جو » فسميت من يومئذ اليمامة .

قال ابن إسحاق : فلما ملك ابنه حسان بن أبى كرب تبان أسعد ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرضَ العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حِمْير وقبائلُ اليمن السيرَ معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهليهم ، فـكلّموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ونملّـكك علينا وترجع بنـا إلى بلادنا . فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذارُعَيْن الحِمْيرى ، فإنه نهى عَمْراً عن ذلك فلم يقبل منه ، فـكتب ذو رُعَين رقعة فيها هذان البيتان :

أَلَا مَنْ يشـــترى سَهَراً بنومٍ سعيـــدٌ من يبيتُ قريرَ عَيْنِ
فإمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانت (١) فمعـــذرةُ الإلهِ لذِى رُعَيْنِ

(١) رواية البيت فى الاشتقاق ٢٢٥ : * فإن تك حمير غدرت وخانت *

ثم استودعها عَمْراً . فلما قتل عمرو أخاه حسانَ ورجع إلى اليمن مُنِـع منه النوم وسُلِّط عليه السهر ، فسأل الأطباء والحُزَاة[1] من الـكهان والعرافين عما به ، فقيل له : إنه والله ماقتل رجل أخاه قط أو ذا رَحِم بَغْياً إلا ذهب نومُه وسلط عليه السهر . فعند ذلك جعل يقتل كلَّ من أمره بقتل أخيه ، فلما خَلُص إلى ذى رُعَين قال له : إن لى عندك براءة . قال وما هى ؟ قال : الـكتاب الذى دفعته إليك . فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نَصَحه .

وهلك عمرو فمَرَج أمرُ حمير عند ذلك وتفرقوا .

وثوب لَخْنيعة ذى شناتر على مُلْك اليَمَن

وقد ملـكها سبعاً وعشرين سنة .

قال ابن إسحاق : فوثب عليهم رجل من حِمير لم يكن من بيوت الملك[2] يقال له لَخْنيعة[3] ينوف ذو شَنَاتر ، فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملـكة منهم ، وكان مع ذلك امرأً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط ، فـكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبة[4] له قد صنعها لذلك، لئلا يملك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومَنْ حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه، ليعلمهم أنه قد فرغ منه .

حتى بعث إلى زُرْعَة ذى نواس بن تِبّان أسعد أخى حسان ، وكان صبياً صغيراً حين قتل أخوه حسان ، ثم شب غلاماً جميلا وسيما ذاهيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله عرف مايريد منه ، فأخذ سكينا حديداً لطيفاً فخبأه بين قدميه ونعله ، ثم أتاه فلمـا خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ، ثم حز رأسه فوضعه فى الـكوة التى كان يُشْرِف منها،

(١) الحزاة : جمع حاز وهو الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها . وفى المطبوعة : الحذاق .
(٢) ابن هشام : المملـكة . (٣) قال ابن دريد : المعروف فيه لخيعة بغير نون ، وهو مشتق من اللخع وهو استرخاء اللحم ــ الاشتقاق (٤) المشربة : الغرفة المرتفعة .

ووضع مسواكه فى فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطْبٌ أم يباس ؟ فقال سَلْ نَخْماس استرطبان لا باس [1] فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا فى أثر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ماينبغى أن يَمْلكنا غيرُك إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

فملَّكوه عليهم ، واجتمعت عليه حِمْير وقبائل اليمن ، فكان آخرَ ملوك حمير ، وتَسمى يوسفَ، فأقام فى ملكه زمانا ، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل ، أهلُ فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبد الله ابن الثامر .

ثم ذكر ابن إسحاق سبب دخول أهل نجران فى دين النصارى ، وأن ذلك كان على يدَىْ رجل يقال له فَيْمِيُون ، كان من عُبَّاد النصارى بأطراف الشام ، وكان مُجاب الدعوة ، وصَحِبه رجل يقال له صالح ، فكانا يتعبدان يوم الأحد ويعمل فيميون بقية الجمعة فى البناء ، وكان يدعو للمرضى والزَّمْنَى وأهل العاهات فيُشْفَوْن ، ثم استأسره وصاحِبَه بعضُ الأعراب فباعوهما بنجران ، فكان الذى اشترى فَيْمِيُون يراه إذا قام فى مُصَلَّاه بالبيت الذى هو فيه فى الليل يمتلىء عليه البيتُ نوراً ، فأعجبه ذلك من أمره .

وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عليها حُلِيَّ نسائهم ويعكفون عندها ، فقال فَيْمِيُون لسيده: أرأيتَ إن دعوتُ الله على هذه الشجرة فهلكتْ أتعلمون أن الذى أنتم عليه باطل ؟ قال: نعم . فجمع له أهلَ نجران ، وقام فَيْمِيُون إلى مُصَلَّاه فدعا الله عليها ، فأرسل الله عليها قاصفاً فَجعفَها [2] من أصلها ورماها إلى الأرض ، فاتبعه أهل نجران على

---

(١) نخماس الرأس بلغة حمير . ومعنى استرطبان : أخذته النار ، وهى كلمة فارسية .
(٢) جعفها : اقتلعها .

دين النصرانية ، وحملهم على شريعة الإنجيل حتى حدثت فيهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض .

فمِنْ هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصَّر على يدى فيميون ، وكيف قتله وأصحابَه ذو نواس وخَدَّ لهم الأخدود . قال ابن هشام : وهو الحَفْر المستطيل فى الأرض مثل الخندق . وأجَّجَ فيه النار وحرقهم بها ، وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً . كما هو مستقصى فى تفسير سورة (والسماء ذات البروج) من كتابنا التفسير ولله الحمد .

ذكر خروج المُلْك باليمن من حِمْيـــر
وصيرورته إلى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان . وذلك أنه لم يَنْجُ من أهل نجران إلا رجل واحد يقال له دَوْسٌ ذو ثعلبان على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصرَ ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، وذلك لأنه نصرانى على دينهم . فقال له بَعُدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك . فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

فقدم دَوْسٌ على النجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمّر عليهم رجلا منهم يقال له أَرياط . ومعه فى جنده أبرهة الأشرم ، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ، وسار إليه ذو نواس فى حِمْير ومن أطاعه من قبائل اليمن .

فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس مانزل به وبقومه وجَّه فرسه فى البحر ثم ضر به فدخل فيه نخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به إلى غَمْره . فأدخله فيها ، فكان آخر العهد به ، ودخل أرياط اليمنَ ومَلَكها .

وقد ذكر ابن إسحاق هاهنا أشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة ، وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ، ولكن تركنا إيرادها خشية الإطالة وخوف الملالة . والله المستعان .

ذكر خروج ابرهة الأشرم على أرياط واختلافهما واقتتالهما وصيرورة مُلْك اليمن إلى أبرهة بعد قتله أرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه أبرهة حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل منهما طائفة ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشةَ بعضَها ببعض حتى تفنيها شيئا ، فابرُزْ لى وأبْرُز لك ، فأينا أصاب صاحبَه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفت .

نخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيراً لحيما ، وكان ذا دين فى النصرانية ، وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له ، وخَلْفَ أبرهة غلام يقال له عَتْوَدة يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فبذلك سمِّى أبرهةُ الأشرمَ ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وودَى أبرهةُ أرياط .

فلما بلغ ذلك النجاشي ملك الحبشة الذى بعثهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على أبرهة ، وقال : عَـدَا على أميرى فقتله بغير أمرى ! ثم حلف لا يَدَعُ أبرهة حتى يطأ بلادَه ويجُزَّ ناصيته .

فحلق أبرهة رأسه ، وملأ جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ثم كتب إليه : أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدَك ، وأنا عبدُك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعتُه لك ، إلا أنى كنت أَقْوَى على أمر الحبشة وأَضْبَط لها وأَسْوَس منه ، وقد حلقت رأسى كلَّه حين بلغنى قَسَمُ الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ليضعه تحت قدمه فيَبَرَّ قسَمه فىَّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه وكتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى . فأقام أبرهة باليمن .

ذكر سبب قَصْد أبرهة بالفيل مكةَ ليخرب الكعبة فأهلكه الله عاجلا غير آجل

كما قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيف فَعَلَ رَبُّك بأَصْحَابِ الفيل . أَلَمْ يَجْعَلْ كيدَهم فى تضليل . وَأَرْسَلَ عليهم طيراً أبابيل . تَرْميهم بحجارة من سِجِّيل ، فجعلهم كَعَصْفٍ مأْكُول ﴾ .

قيل : أول من ذَلَّل الفيلة إفريدون بن أثفيان الذى قتل الضحاك . قاله الطبرى . وهو أول من اتخذ للخيل السُّرُج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فطهمورث ، وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ، ويقال إن أول من ركبها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب . والله تعالى أعلم .

و يقال إن الفيل مع عظمة خلقه يَفْرَق من الهِرّ ، وقد احتال بعض أمراء الحروب فى قتال الهنود بإحضار سنانير إلى حومة الوغى فنفرت الفيلة .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء ، كنيسةً لم يُرَ مثلُها فى زمانها بشىء من الأرض ، وكتب إلى النجاشى : إنى قد بنيت لك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمُنْتَه حتى أصرف إليها حجَّ العرب .

فذكر السهيلى أن أبرهة استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الخسيسة ، وسخرهم فيها أنواعا من السخر ، وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة ، وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة ، وركَّب فيها صلباناً من ذهب وفضة ، وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس ، وجعل ارتفاعها عظيما جداً واتساعها باهراً ، فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لأخذ شىء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء ، وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين ، كعيب وامرأته ، وكان طول كل منهما ستون ذراعا ، فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس ، فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجراً حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا .

قال ابن إسحاق : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشى غضب رجل من النَّسأة من كنانة ، الذين ينسئون شهر الحرام إلى الحل بمكة أيام الموسم ، كما قررنا ذلك عند قوله : ﴿ إنما النسىءُ زيادةٌ فى الكُفْرْ ﴾.

قال ابن إسحاق : فخرج الكِنانى حتى أتى القُلَّيسَ فقعد فيها[1] ، أى أحدث حيث لا يراه أحد ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأُخبر أبرهة بذلك ، فقال من صنع هذا ؟ فقيل له : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجه العرب بمكة ، لمَّا سمع بقولك أنك

(١) المطبوعة : فيه .

تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك[1] هذا ، فغضب فجاء فقعد فيها ، أى أنه ليس لذلك بأهل .

فغضب أبرهة عند ذلك ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت . ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفَظِعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام .

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفْر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه و إخرابه ، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله . فهزم ذو نَفْر وأصحابه، وأُخذ له ذو نَفْر فأتِى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نَفْر : أيها الملك لا تقتلنى ، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض نُفَيْل بن حَبِيب الخثعمى فى قَبِيلَىْ[2] خثعم وهما شَهْران ونَاهِس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة وأُخِذ له نفيل أسيراً ، فأتى به فلما همَّ بقتله قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلنى ، فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قَبِيلَىْ خثعم ، شهران وناهس ، بالسمع والطاعة . فخلى سبيله وخرج به معه يدله .

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، فى رجال ثقيف ، فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذى تريد ،

---

(١) عبارة ابن اسحق مختلفة عما أورده المؤلف .

(٢) المطبوعة : قبيلى .

يعنون اللات ، إنمـا تريد البيت الذى بمـكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليـه . فتجاوَزَ عنهم .

قال ابن إسحاق : واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الـكعبـة . قال : فبعثوا معه أبارِغال يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى أنزله بالمغمِّس ، فلما أنزله به مات أبورغال هنالك ، فرجمت قبرَه العرب ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمِّس . وفى قصة ثمود أن أبارغال كان رجلا منهم وكان يمتنع بالحرم ، فلمـا خرج منه أصابه حجر فقتـله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « وآية ذلك أنه دفن معـه غصنـان من ذهب » فحفروا فوجـدوها . قال وهو أبو ثقيف .

قلت : والجمع بين هذا و بين ماذكر ابن إسحاق ، أن أبارغال هذا المتأخر وافق اسمُه اسم جده الأعلى ورجمه الناس كما رجموا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرَجْمِـكُم لقبر أبى رِغالِ

الظاهر أنه الثانى .

قال ابن إسحاق : فلما نزل أبرهة بالمغمِّس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود[1] على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فسـاق إليه أموال تِهـامة من قريش وغـيرهم ، وأصـاب فيهـا مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهَمَّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

و بعث أبرهة حُناطة الحِمْيرى إلى مكة وقال له : سَلْ عن سيـد أهل هـذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول إنى لم آت لحربكم ، إنمـا جئت لهدم هذا البيت ،

(١) الأصل :مفصود . والتصويب من ابن هشام

فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم . فإن هو لم يُرِد حربى فائتنى به .

فلما دخل حُناطة مكةَ سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة .

فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام . أو كما قال . فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ماعندنا دَفْعٌ عنه .

فقال له حناطة : فانطلق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك .

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غَنَاء فيما نزل بنا ؟

فقال له ذو نَفْر : وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيا ! ماعندى غناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنيسا سائس الفيل صديق لى ، فسأرسل إليه وأوصيه بك وأعظِّم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك .

فقال : حسبى .

فبعث ذو نَفْر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عَين[1] مكة ، يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل .

فكلَّم أنيسٌ أبرهةَ ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ،

---

(١) الطبرى : عير . والمقصود بعين مكة زمزم التى حفرها عبد المطلب .

وهو صاحب عَيْن مكة ، وهو الذى يطعم الناسَ بالسهل والوحوشَ فى رءوس الجبال ، فائذن له عليك فليكلمك فى حاجته ، فأذن له أبرهة .

قال : وكان عبد المطلب أوْسَم الناس وأعظمهم وأجملهم[١] ، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال حاجتى أن يردَّ علىَّ الملكُ مائتى بعير أصابها لى .

فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد كنتَ أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدتُ فيك حين كلَّمتنى ؛ أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتُها لك وتترك بيتاً هو دِينُك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمنى فيه ! ؟

فقال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه .

فقال : ما كان ليمتنع منى . قال : أنت وذاكَ . فردَّ على عبد المطلب إبلَه .

قال ابن إسحاق : ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يَعْمُر بن نفاثة ابن عدى بن الدِّيل[٢] بن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بنى بكر ، وخويلد بن واثلة سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك . فالله أعلم أكان ذلك أم لا .

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رءوس الجبال ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، وقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

---

(١) وتروى : أوسم الناس وأجمله وأعظمه .
(٢) الطبرى : الدئل ، بضم الدال وبكسر الهمزة .

لَا هُمَّ إن العبــد يَمْـ نع رَحْلَه فامنع رِحَالَكْ
لا يَغْلِـبَنَّ صليبُهم ومِحَالُهم[1] غَدْوًا مِحَالَكْ
إن كنتَ تاركهم وقِبْـ لَتَنَا فأمرٌ مَّا بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعَبَّى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ابرِكْ محمود وارجع راشداً من حيث أتيت ، فإنك فى بلد الله الحرام . وأرسل أذنه ، فبرك الفيل .

قال السهيلى : أى سقط إلى الأرض ، وليس من شأن الفيلة أن تبرك ، وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير . فالله أعلم .

وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ؛ وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطَّبْرزين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم فى مَرَاقِّه فبزَغوه[2] بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[3] مع كل طائر منها

---

(١) محالهم : قوتهم وبأسهم . وغدوا : غدا . استعملت تامة ولا تستعمل كذلك إلا فى الشعر .
(٢) الطبرزين : آلة معقفة من حديد . والمحاجن جمع محجن وهو عصا معوجة قد يجعل فيها حديدة ، وتبزغوه : ضربوه حتى أدموه ، ومراق البطن : مارق منه ولان ، جمع مرق ، أولا واحد لها .
(٣) قال ابن الأثير : قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير . النهاية ١/١١١

ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلّهم أصابت .

وخرجوا هار بين يبتدرون الطريق التى منها جاءوا ، و يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل فى ذلك :

ألا حُيِّيتِ عنا يارُدَيْنــــا　　نَعِمنا كم مع الإصباح عَيْنَا
رُدَينةُ لو رأيتِ فلا تَرَيْهِ　　لَدَى جَنْب المحصَّبِ مارأينا
إذا لعذرتنى وحمدت أمرى　　ولم تأسَىْ على مافات بَيْنَا[1]
حمدتُ الله إذ أبصرت طيراً　　وخفتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكلُّ القوم يسأل عن نُفَيْل　　كأن علىَّ للحُبْشَان دَيْنَا

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، و يهلكون بكل مَهْلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مِدَّة تمثُّ[2] قيحا ودما ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه . فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عُتْبة أنه حدِّث أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول مارؤى بها مرائر الشجر : الحرْمَل والحنْظَل والعُشَر ، ذلك العام .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان مما يعدِّد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ماردَّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى :

---

(١) بينا : نصب نصب المصدر المؤكد لما قبله إذ كان فى معناه ولم يكن على لفظه .
(٢) تمث ترشح .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحابِ الفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهم فى تضليل . وَأَرْسَلَ عليهم طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهم بِحِجَارةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعلهم كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتى بعدها . وقد بسطنا القول فى ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى ، وله الحمد والمنة .

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه .

قال : وأما السجِّيل فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصّلْب .

قال : وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وأنها سَنْج وجِلّ فالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذى لم يُقَصَّب .

وقال الكسائى(١) : سمعت بعض النحويين يقول واحد الأبابيل إبِّيل .

وقال كثيرون من السلف : الأبابيل : الفِرَق من الطير التى يتبع بعضها بعضا من ههنا وههنا .

وعن ابن عباس : كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكُفّ كأكف الكلاب .

وعن عكرمة كانت رءوسها كرءوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خُضْراً .

وقال عبيد بن عمير : كانت سوداً بحرية ، فى مناقيرها وأكفها الحجارة .

وعن ابن عباس : كانت أشكالها كعنقاء مغرب . وعن ابن عباس كان أصغر

---

(١) من هنا ليس عن ابن هشام .

حجر منها كرأس الإنسان . ومنها ماهو كالإبل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل : كانت صغاراً والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرْعة ، حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي شَيْبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عُبَيْد بن عُمَير ، قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين فى رجليه وحجراً فى منقاره ، قال فجاءت حتى صَفَّت على رءوسهم ، ثم صاحت وألقت مافى رجليها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دُبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارةَ فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً .

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال : وليس كلهم أصابته الحجارة . يعنى بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال . وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أنملة أنملة ، فلما وصل إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله .

وروى ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة[1] عن عائشة ، قالت : لقد رأيت قائدَ الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعدَين يستطعمان . وتقدم أن سائس الفيل كان اسمه أُنيسا ، فأما قائده فلم يُسَمَّ . والله أعلم .

وذكر النقاش فى تفسيره أن السيل احتمل جثهم فألقاها فى البحر .

قال السهيلى : وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة[2] من تاريخ ذى القرنين .

---

(١) المطبوعة : سمرة . وهوتحريف . وهى عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، كانت فى حجر عائشة رضى الله عنها فحفظت عنها ، توفيت سنة ٩٨ هـ وقيل سنة ١٠٦ .

(٢) والذى فى السهيلى : سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

قلت : وفى عامها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشهور ، وقيل كان قبل مولده بسنين ، كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

***

ثم ذكر ابن إسحاق ماقالته العرب من الأشعار فى هذه الكائنة العظيمة التى نصر الله فيها بيته الحرام ، الذى يريد أن يشرفه ويعظمه ، ويطهره ويوقره ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يشرع له من الدين القويم ، الذى أحدُ أركانه الصلاة بل عماد دينه ، وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ، ولم يكن مافعله بأصحاب الفيل نصرةً لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة ، فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركى قريش ، وإنما كان النصر للبيت الحرام ، وإرهاصا وتوطئة لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك ماقاله عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى :

تَنَكَّلوا (١) عن بَطْن مكة إنها   كانت قديماً لا يُرَام حَرِيمُها
لم تخلق الشِّعْرَى ليالىَ حُرِّمت   إذ لا عزيزَ من الأنام يَرُومها
سائِلْ أمير الُحبْش (٢) عنها مارأى   فلسوف يُنْبى الجاهلين عليمُها
سِتُّون ألفاً لم يئوبوا أرضَهم   بل لم يَعِشْ بَعْد الإياب سَقِيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهُمُ قَبْلَهم   واللهُ مِنْ فَوْقِ العِبَادِ يُقيمُها

ومن ذلك قول أبى قيس بن الأسلت الأنصارى المدنى :

ومِنْ صُنْعِه يوم فِيل الُحبُو   شِ إذ كلما بَعَثُوه رَزَمْ (٣)
مَحَاجِنُهم تحت أقرابه   وقد شَرَّموا أَنْفَه فانْخَرَمْ (٤)
وقد جعلوا سَوْطَه مِغْوَلًا   إذا يَمَّمُوه قَفَاه كُلِمْ (٥)
فولَّى وأَدْبَر أدراجَه   وقد باء بالظُّلْم مَنْ كان ثَمّْ

(١) رويت أيضا : تنكبوا بالباء . ومعناها على كلا الروايتين : انصرفوا وارجعوا خوفا وهيبة .
(٢) ابن هشام : أمير الجيش . (٣) رزم : أقام فى مكانه لم يتحرك . (٤) الأقراب جمع قرب بضمتين، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن . (٥) المغول : سكين كبيرة .

فأرسَلَ مِنْ فَوْقِهم حاصباً ... فلفَّهُمُ مثلَ لَفِّ القُزُمْ (١)
تحضُّ على الصبرِ أحبارُهم ... وقد ثأَجُوا كثُؤاجِ الغَنَمْ (٢)

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي ، قال ابن هشام : ويروى لأمية ابن أبي الصلت :

إن آياتِ رَبِّنا ثاقباتٌ ... ما يُمَارِى فيهن إلا الكَفُورُ
خَلَقَ الليلَ والنهارَ فكُلٌّ ... مُسْتَبِينٌ حِسَابُه مَقْدورُ
ثم يَجْلُو النهارَ رَبٌّ رَحِيمٌ ... بمَهَاةٍ شُعَاعُها مَنْشُورُ
حَبَس الفيلَ بالمغمس حتى ... صارَ يَحْبُو كأنه مَعْقُورُ
لازماً حَلْقَةَ الجِرَان كما قُدَّ ... مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ (٣)
حَوْلَه مِنْ مُلوكِ كِنْدَةَ أبطا ... لٌ مَلَاوِيث فى الحروبِ صُقُورُ (٤)
خَلَّفُوه ثم ابْذَعَرُّوا جميعاً ... كلهم عَظْمُ ساقه مكسورُ (٥)
كلُّ دِينٍ يومَ القيامة عند اللـ ... ـه إلا دينَ الحنيفَةِ (٦) بُورُ

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت أيضاً :

فقوموا فصَلُّوا رَبَّكم (٧) وتمسَّحُوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعِنْدَكم منه بلاءٌ مُصَدَّقٌ ... غداةَ أبي يَكْسُوم هادِي الكتائبِ (٨)
كتيبته بالسَّهْل تَمْشِي ورَجْلُه ... على القاذفاتِ فى رءوس المَنَاقِبِ (٩)
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش رَدَّهم ... جنودُ المليك بين سَافٍ وحاصبِ (١٠)

---

(١) القزم : جمع قزم ، وهو الضئيل الجسم . (٢) ثأجوا : صاحوا . (٣) ابن هشام : كما قطر . وكبكب : جبل (٤) الملاويث جمع ملاث ، وهو الشريف . (٥) ابذعروا : تفرقوا وفروا (٦) أى الأمة الحنيفة ، وهو دين التوحيد دين ابراهيم (٧) صلوا ربكم : ادعوا ربكم . (٨) أبو يكسوم : هو أبرهة . (٩) وتروى تمسى (١٠) الساف: الذى يرمى بالتراب والحاصب : الذى يرمى بالحصباء .

فولَّوْا سِرَاعاً هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهله مِلْحُبْشِ غيرُ عَصَائبِ (١)

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات فى عَظَمة البيت وحمايته بهلاك من أراده بسوء :

كاده الأشرم الذى جاء بالفيـ ـلِ فوَلَّى وجيشُـه مَهْزومُ
واستهَلَّت عليهمُ الطـيرُ بالجنْـ ـدل حتى كأنه مرجـومُ
ذاك من يَغْزُه مِن الناس يرجعْ وهو فَلٌّ من الجيوش ذَميمُ (٢)

قال ابن إسحاق وغيره : فلما هلك أبرهة مَلَك الحبشةَ بعده ابنُه يكسومُ ، ثم مِنْ بعده أخوه مسروق ابن أبرهة ، وهو آخر ملوكهم ، وهو الذى انتزع سيفُ بن ذى يَزَن الحِمْيَرى المُلْكَ مِنْ يده بالجيش الذين قَدِم بهم من عند كسرى أنوشروان . كما سيأتى بيانه .

وكانت قصة الفيل فى المحرَّم سنة ستٍّ وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين،وهو الثانى اسكندر ابن فلبس المقدونى الذى يؤرِّخ له الروم .

ولما هلك أبرهة وابناه ، وزال مُلْك الحبشة عن اليمن هُجِر القُلَّيْس الذى كان بناه أبرهة وأراد صَرْف حَجِّ العرب إليه ، لجهله وقلة عقله ، وأصبح يبَابا لا أنيس به . وكان قد بناه على صَنَمين ، وهما كعيب وامرأته ، وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا فى السماء ، وكانا مصحوبين من الجان ، ولهذا كان لا يتعرض أحد إلى أخذ شيء من بناء القليس وأمتعته إلا أصابوه بسوء ، فلم يزل كذلك إلى أيام السفاح أول خلفاء بنى العباس فذكر له أمره وما فيه من الأمتعة والرخام الذى كان أبرهة نقله إليه من صرح باقيس

(١) ملحبش : أصلها من الحبش . (٢) الفل : المهزوم

الذى كان باليمن ، فبعث إليه من خربه حجراً حجراً ، وأخذ جميع ما فيه من الأمتعة والحواصل (١) . هكذا ذكره السهيلى . والله أعلم .

ذكر خروج المُلْك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذى يَزَن الحِمْيَرى كما أخبر بذلك الكاهنان لربيعة بن نصر اللَّخْمى

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشَةَ ابنُه يكسومُ بن أبرهة، وبه كان يُكْنَى ، فلما هلك يكسوم مَلَكَ اليمنَ من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

قال : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيفُ بن ذى يَزَن الحِمْيَرى .

وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أَصْبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطُن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن ابن الهَمَيْسع بن العرَنْجَج ، وهو حِمْيَر بن سَبَأ (٢) وكان سيف يكنى أبا مُرّة .

حتى قَدِم على قيصر ملك الروم فشكا إليه ماهم (٣) فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ويَلِيهم هو ، ويُخْرِج إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه (٤) .

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحِيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمرَ الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفادة فى كل عام ، فأقم عندى حتى يكون ذلك . ففعل .

ثم خرج معه فأدخله على كسرى .

---

(١) سبق أن ذكر المؤلف هذا القول آنفا ص ٣٠ .
(٢) ليست فى ابن هشام
(٣) المطبوعة : هو .
(٤) أى لم يستجب لشكواه

وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القُنْقُل [1] العظيم ، فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يُدْخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا برَكَ هيبةً له .

فلما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا لَأَحمق يدخل علىَّ من هذا الباب الطويل ثم يطأطىء رأسه !

فقيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لِهَمِّى لأنه يضيق عنه كل شىء .

ثم قال له : أيها الملك غلبَتْنا على بلادنا الأغربةُ .

قال كسرى : أىُّ الأغربة ، الحبشة أم السِّنْد ؟

قال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى ويكون مُلْك بلادى لك .

فقال له كسرى : بَعُدَتْ بلادُك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورِّط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك . ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وَافٍ وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الوَرِق للناس ، فبلغ ذلك الملكَ فقال: إن لهذا لشأنا . ثم بعث إليه فقال : عمدْتَ إلى حِبَاء الملك تنثره للناس !

قال وما أصنع بحبائك [2] ماجبالُ أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة . يرغِّبه فيها .

فجمع كسرى مرازبته فقال لهم : ماترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له ؟

---

(١) القنقل : المكيال . (٢) ابن هشام : وما أصنع بهذا .

فقال قائل : أيها الملك إن فى سجونك رجالا قد حَبستَهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردتَ بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددتَه .

فبعث معه كسرى من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم [رجلا منهم يقال له] وَهْرِز ، وكان ذا سِن فيهم وأفضلَهم حسباً و بيتاً ، فخرجوا فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن .

فجمع سيفٌ إلى وَهْرز من استطاع من قومه وقال له : رِجْلى ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . فقال له وهرز : أنصفتَ .

وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقُتِل ابنُ وهرز فزاده ذلك حَنقاً عليهم .

فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم قال وهرز : أرونى ملكهم . فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء .

قال : نعم . قالوا: ذلك ملكهم . فقال اتركوه .

قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو ؟ قالوا قد تحوّل على الفرس . قال : اتركوه .

فتركوه طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا على البغلة . قال وَهْرِزُ : بنتُ الحمار ، ذَلَّ وذلَّ مُلْكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أُوذِنكم فإنى قد أخطأتُ الرَّجلَ ، وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولاثوا فقد أصبتُ الرجلَ فاحملوا عليهم .

ثم أَوْتَرَ قوسَه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوترها غيرُه مِن شِدَّتها ، وأمر بحاجبيه فعصِّبا له ، ثم رماه فصَكَّ الياقوتَة التى بين عينيه وتَغَلْغلت النُّشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس فانهزموا فقُتلوا وهربوا فى كل وجه .

وأقبل وَهْرِزُ ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايتى مُنَكَّسةً أبداً، اهدموا هذا الباب. فهدم، ثم دخلها ناصباً رايته.

فقال سيف بن ذى يَزَن الحِمْيرى:

يَظُنُّ الناسُ بالمَلْكَيْـ ... ـن أنهما قَدِ التأَمَا

ومَنْ يَسْمَعْ بِلأْمِهما ... فإنَّ الخطْبَ قد فَقُمَا[1]

قَتَلْنَا القَيْلَ مَسْرُوقاً ... وروَّيْنَا الكثيبَ دَمَا

وإنَّ القَيْلَ قَيْلُ النا ... س وَهْرِزُ مُقْسِمٌ قَسَماَ

يَذُوقُ مُشْعْشَعاً[2] حتى ... يُفِيءَ السَّبْيَ والنَّعَماَ

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود المُلْك إليه وامتدحوه، فكان من جملة مَنْ وَفِدَ قريشٌ وفيهم عبد المطلب بن هاشم[3]، فبشَّره سيفٌ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما يعلم من أمره، وسيأتى ذلك مفصلا فى باب البشارات به عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصَّلْت بن ربيعة الثَّقفى، قال ابن هشام: وتروى لأمية ابن أبى الصلت.

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أمثالُ ابن ذى يَزَنَ ... ريَّمَ فى البحر للأعداء أحوالا[4]

يَمَّمَ قَيْصَرَ لمَّا حَانَ رحلتُهُ ... فلم يجد عنده بعض الذى سالَا

ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرةٍ ... من السنين يُهِينُ النفسَ والمالَا

---

(١) فقم: اشتد وعظم. (٢) يذوق: يريد لا يذوق. والمشعشع: الشراب الممزوج بالماء.
(٣) المخطوطة ا: فكان من جملة وفد قريش عبد المطلب. (٤) كذا فى ابن هشام وفى نسخة من الاكتفاء للكلاعى: مذ أم. أى ابتدأ يطلب الوتر منذ غادر بلاده واتجه فى البحر يطلب العون من قيصر وكسرى. والمعنى على الرواية المثبتة: أنه أقام فى البحر، أو غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للأعداء.

حتى أتى بنى الأحرار يَحْملهم ... إنك عَمْرِى لقد أسرعْت قِلْقالاَ[١]

لله دَرُّهمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجوا ... ما إنْ أَرَى لهمُ فى الناسِ أمثالاَ

غُلْبًا مرازبةً بيضاً أَسَاوِرَةً ... أُسْداً تُرَبِّبُ فى الغَيْضَاتِ أَشْبَالاَ[٢]

يرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُطٌ ... بِزَمْخَرٍ يُعجِلُ المَرْمِىَّ إعْجَالاَ[٣]

أَرْسَلْتَ أُسْدًا على سُودِ الكلاب فقَدْ ... أَضْحَى شَرِيدُهمُ فى الأرض فُلاَّلاَ[٤]

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... فى رأس غُمْدَان داراً منك مِحْلاَلاَ[٥]

واشرب هنيئاً فقد شالَتْ نَعامتُهم ... وأَسْبِلِ اليومَ فى بُرْدَيْك إسْبَالاَ

تلك المكارمُ لا قَعْبَان مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادَا بَعْدُ أبوالاَ

يقال : إن غمدان قصر باليمن بناه يَعْرُبُ بن قحطان ، وملكه[٦] بعده واحتله وائلة ابن حِمْير بن سَبَأ ، ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عَدِىُّ بن زيد الحِيرى[٧] وكان أحد بنى تميم :

ما بَعْدَ صَنْعَاء كان يَعْمُرُها ... ولاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَوَاهِبُها

رَفَّعَها مَنْ بَنَى لَدَى قَزَعِ الـ ... ـمُزْنِ وتَنْدَى مِسْكاً مَحارِبُها[٨]

مَحْفُوفةً بالجبال دون عرى الـ ... ـكائد ما تُرْتَقى غَوَارِبُها[٩]

يَأْنَسُ فيها صوتُ النُّهام إذا ... جاوبها بالعَشِىِّ قاصبُها[١٠]

ساقت إليها الأسبابُ جندَ بنى الـ ... أحرار فرسانُها مَوَاكِبُها

---

(١) القلقال : شدة الحركة . (٢) ابن هشام : بيضا مرازبة غلبا أساورة . والغلب : الشجعان

(٣) الشدف : جمع شدفاء ، وهى القوس العوجاء الفارسية . كما فى القاموس ، وقد اضطرب السهيلى فى تفسيرها إذ فسرها بالشخص ثم تكلف تكلفا بعيدا . والغبط : الهوادج . والزمخر : النشاب .

(٤) الفلال : المنهزمون . (٥) غمدان : قصر كان باليمن بناه يشرح بن يحصب. (٦) المخطوطة ا : وأكله . (٧) المطبوعة والأصل : الحميرى وهو خطأ . (٨) قزع المزن : السحاب المتفرق .

(٩) عرى الكائد : يريد عرى السماء وأسبابها . (١٠) النهام : ذكر البوم . والقاصب : الذى يزمر فى القصب .

وفُوِّزَتْ بالبغال تُوسَقُ بالـ حَتْف وتسعى بها تَوَالبُها[1]
حتى رآها الأقوال من طرف الـ مَنْقَل مُخْضَرَّةً كتائبهـا[2]
يوم ينادون آل بَرْبَرَ والـ يَكْسوم لا يُفْلِحَنَّ هاربُها
فكان يوماً[3] باقي الحديث وزا لت إمَّة[4] ثابتٌ مراتبُهـا
وبُدِّل الفَيْجُ بالزرافة[5] والأيَّـام خُونٌ جَمٌّ عجائبهـا
بَعْدَ بَنِي تُبَّعٍ نَخَاوِرَةٌ[6] قد اطمأنت بهـا مَرَازِبُها

قال ابن هشام : وهذا الذى عَنَى سَطِيح بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم أحـداً باليمن » والذى عنى شق بقوله : « غلام ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ ، يَخْرُج من بيت ذى يَزَن » .

قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفُرْس باليمن ، فمِنْ بقيـة ذلك الجيش من الفرس الأبناء[7] الذين باليمن اليوم .

وكان مُلْك الحبشة باليَمَن فيما بين أن دخلها أرْياط إلى أن قَتَلت الفُرْسُ مسروقَ ابن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكْسُوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

---

(١) فوزت : ركبت المفاوز. وتوسق بالحتف : أى وسقها الحتوف . والتوالب : جمع تولب وهو ولد الحمار ، والتاء فيه بدل من واو . (٢) الأقوال : الملوك . والمنقل : الحصن . ومخضرة كتائبها : يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء . (٣) ابن هشام : وكان يوم . (٤) إمة : أى نعمة
(٥) الفيج : المنفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة . (٦) النخاورة : الكرام .
(٧) قال فى النهاية : ويقال لأولاد فارس الأبناء ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن .. فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم .

ذكر ما آل إليه أمر الفُرْس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرزُ فأمَّر كسرى ابنَه المَرْزُبان بنُ وَهْرِز على اليمن ، ثم مات المرْزُبان فأمَّر كسرى ابنَه التَّيْنُجَان ، ثم مات فأمَّر ابنَ التَّيْنُجان ، ثم عزله عن اليمن وأمَّر عليها باذان ، وفى زمنه بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزُّهْرى أنه قال : كَتَب كسرى إلى باذان : إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسِرْ إليه فاستَتِبْه ، فإن تاب وإلا فابعث إلىَّ برأسه .

فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد وعدنى أن يُقتَل كسرى فى يوم كذا وكذا من شهر كذا » فلما أتى باذانَ الكتابُ وقف لينتظر ، وقال : إن كان نبياً فسيكون ماقال . فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : على يدى ابنه شيرويه .

قلت . وقال بعضهم : بنوه تمالأوا على قتله .

وكسرى هذا هو أبرويز بن هُرْمز بن أنُوشروان بن قباذ ، وهو الذى غلب الرومَ فى قوله تعالى : « ألمٓ غلِبت الرومُ فى أدْنى الأرض » كما سيأتى بيانه .

قال السهيلى : وكان قتلُه ليلة الثلاثاء لعشر خَلْون من جمادى الأولى سنة تسع[1] من الهجرة . وكان ، والله أعلم ، لمَّا كتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام فغضب ومزَّق كتابه ، كتب إلى نائبه باليمن يقول له ما قال .

---

(١) الذى فى السهيلى : سنة سبع .

وفى بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان : «إن ربى قد قتل الليلة ربك» فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قُتِل تلك الليلة بعينها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله ، بعد ماخلعوه وولوا ابنه شِيرَويه فلم يعش بعد قتله اباه إلا ستة أشهر أو دونها .

وفى هذا يقول خالد بن حِقٍّ الشَّيْبانى :

وكِسْرَى إذ تَقَسَّمَه بَنُوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسِم اللِّحَامُ

تمخضت المنونُ له بيومٍ ... أَلَا ولِكُلِّ حامِلَةٍ تَمَامُ

قال الزُّهرى : فلما بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه و إسلامِ من معه من الفُرْس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الرسل [من الفرس][1] : إلى من نحن يارسول الله ؟ قال : «أنتم مِنَّا و إلينا أهلَ البيت» . قال الزهرى : ومن ثَمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سَلْمان مِنَّا أهلَ البيت» .

قلت : والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولهذا بعث الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الله عز وجل ، فبعث أولا خالدَ بن الوليد وعلىَّ بن أبى طالب ، ثم أتْبَعهما أبا موسى الأشعرى ومعاذَ بن جبل ؛ ودانت اليمنُ وأهلها للإسلام .

ومات باذان فقام بعده ولده شَهْر بنُ باذان ، وهو الذى قتله الأسودُ العَنْسى حين تنبَّأ وأخذ زوجته ، كما سيأتى بيانه ، وأَجْلَى عن اليمن نوابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قُتِل الأسود عادت اليدُ الإسلامية عليها .

قال ابن هشام : وهذا هو الذى[2] عَنَى به سَطِيح بقوله : « نبىٌّ زَكِىٌّ ، يأتيه

(١) من ابن هشام (٢) ابن هشام : فهو الذى

الوحىُ من قِبَل العَلِىِّ » والذى عَنَى شِقٌّ بقوله : « بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملكُ فى قومه إلى يوم الفَصْل » .

قال ابن إسحاق : وكان فى حَجَر باليمن ، فيما يزعمون ، كتابٌ بالزَّبُور كُتب فى الزمان الأول : لمن مُلْك ذَمَار ؟ لِحِمْيَرَ الأخيار ، لِمَنْ مُلك ذَمَار ؟ للحبشة الأشرار . لِمَنْ مُلْك ذَمَار ؟ لفارس الأحرار ، لمن مُلْك ذَمار ؟ لقريش التُّجَّار » .

وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودى :

حين شِيدَتْ[1] ذَمارُ قيل لمن أنـ ـتِ ؟ فقالت لِحِمْيَرَ الأخيـــارِ
ثم سِيلت مِنْ بَعْد ذاك فقالت أنا للحُبْش أخبثِ الأشرارِ
ثم قالوا مِنْ بعد ذاك لمن أنـ ـت فقالت لفـــارسَ الأحرارِ
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنـ ـت فقالت إلى قريشِ التُّجَّارِ

ويقال : إن هذا الكلام الذى ذكره محمد بن إسحاق ، وجِد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام ، حين كَشَفت الريح عن قبره بأرض اليمن ، وذلك قبل زمن بلْقيس بيسير فى أيام مالك بن ذى المنار ، أخى عمرو ذى الأذْعَار بن ذى المنار . ويقال كان مكتوبا على قبر هود أيضا وهو من كلامه عليه السلام .

حكاه السهيلى . والله أعلم .

قصة السَّاطِرُون صاحب الحَضْر

وقد ذكر قصته هاهنا عبدُ الملك بن هشام لأجل ماقاله بعض علمــاء النسب : أن النعمان بن المنــذر الذى تقدم ذكره فى ورود سيف بن ذى يزن عليه ، وسؤاله فى مساعدته فى رَدِّ مُلْك اليمن إليه ، أنه من سلالة السَّاطِرُون صاحب الحَضْر .

---

(١) المطبوعة شدت . وهو خطأ.

وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر ، وأنه روى عن جُبَير بن مُطْعِم أنه من أَشْلَاء قَنَص[(١)] بن مَعَد بن عدنان . فهذه ثلاثة أقوال فى نسبه فاستطرد ابن هشام فى ذكر صاحب الحضْر .

والحضْر حصن عظيم بناه هذا الملك ، وهو الساطرون ، على حافَّة الفرات ، وهو منيفٌ مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دُوره بقدر مدينة عظيمة . وهو فى غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء ، وإليه يُجْبَى ما حوله من الأقطار والأرجاء .

واسم الساطرون : الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أجرم من بنى سليح[(٢)] بن حلوان ابن الحاف بن قضاعة . كذا نسبه ابن الكلبى .

وقال غيره : كان من الجرامقة ، وكان أحد ملوك الطوائف ، وكان يقدُمهم إذا اجتمعوا لحرب عدوٍ من غيرهم ، وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون[(٣)] ملك الحضْر .

وقال غير ابن هشام : إنما الذى غزا صاحبَ الحضْر سابورُ بن أَرْدَشِير بن بابك أول ملوك بنى ساسان ، أذل ملوك الطوائف ورد المُلْك إلى الأكاسرة . وأما سابور ذو الأكتاف بن هُرْمز فبعد ذلك بدهر طويل . والله أعلم . ذكره السهيلى .

قال ابن هشام : فحصَره سنتين . وقال غيره : أربع سنين .

وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور فى غيبته بأرض العراق . فأشرفت بنتُ الساطرون وكان اسمها النَّضِيرة ، فنظرت إلى سابور وعليه ثيابُ دِيباَج وعلى رأسه تاج

---

(١) المطبوعة : قيصر . وهو خطأ .　　(٢) المخطوطة ا : بن عبيد بن سليح .

(٣) ابن هشام : ساطرون .

من ذهب مكلَّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، [وكان جميلا][1] ، فدسَّت إليه : أتتزوجنى إن فتحت لك باب الحضْر ؟ فقال : نعم .

فلما أَمْسَى ساطرون شرب حتى سَكِر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضْر من تحت رأسه و بعثت بها مع مولًى لها ففتح الباب . و يقال : بل دلّتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى الحضْر . و يقال : بل دلتهم على طِلَّسْم كان فى الحضْر ، وكان فى عِلمهم أنه لا يُفتح حتى تؤخذ حمامةٌ وَرْقَاء وتخضَّب رجلاها بحَيْض جارية بِكْر زرقاء ثم ترسل ، فإذا وقعت على سور الحضْر سقط ذلك الطِّلَّسْم فيفتح الباب . ففعل ذلك فانفتح الباب .

فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضْر وخرَّبه وسار بها معه فتزوَّجها .

فَبَيْنا هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تَمَلْمَل لا تنام ، فدعا لها بالشمع ففتَّش فراشها ، فوجد عليه ورقةَ آسٍ ، فقال لها سابورُ : أهذا الذى أَسْهرَكِ ؟ قالت : نعم .

قال : فما كان أبوك يصنع بك . قالت : كان يَفْرش لى الديباجَ ويُلْبسنى الحريرَ و يطعمنى المخَّ و يسقينى الخمر .

قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعتِ به ! أنت إلىَّ بذلك أسرع .

فربطت قرون رأسها بذنَب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها . ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

ألم تر للحَضْر إذ أهلُه ... بنُعْمَى وهل خالدٌ مِن نِعَمْ
أقام به شاهبورُ الجنو ... د حَوْلَين تَضْرِب فيه القُدُمْ

---

(١) ليست فى ا .

فلمـــا دعا ربَّه دعوةً أناب إليـــه فلم ينتقم [١]
فهـــل زاده ربُّه قوةً ومثـــلُ مُجَاوره لم يَقُمْ
وكان دعا قومـــه دعوةً هلُمُّوا إلى أمركم قـــد صُرِمْ
فمـــوتوا كراماً بأسيافكم أرى الموت يُجْشَمه مَنْ جُشِم

وقال عَدِىُّ بن زيد فى ذلك :

والحضْر صابتْ عليـــه داهيةٌ مِنْ فوقه ، أيِّدٌ مناكبُهـــا [٢]
رَبِيَّـــةٌ لم تُوَقِّ والدَها لحَيْنهـــا إذ أضاع رَاقِبُها [٣]
إذ غَبَقَتْـــه صهباءَ صافيةً والخمرُ وَهْـلٌ يَهِيمُ شاربها [٤]
فأسلَمَتْ أهلَهـــا بلَيْلتها تظنُّ أنَّ الرئيسَ خَاطِبُهـــا
فكان حَظُّ العَرُوس إذ جَشَر الصُّـــبحُ دماءً تَجْرى سبائبُهـــا [٥]
وخُرِّب الحضْر واستبيح وقـــد أحرِق فى خِدْرها مَشَاجِبُها [٦]

وقال عَدِىُّ بن زيد أيضا :

أيها الشامتُ المعـــيِّر بالدهـ ـرِ أأنْت المُـــبرَّءُ الموفورُ !
أم لديك العهـدُ الوثيق من الأيـــام بل أنت جاهـــلٌ مَغْرورُ
مَنْ رأيتَ المَنُونَ خلَّدْنَ أَمْ مَنْ ذا عليه مِنْ أن يُضَام خَفيرُ ؟ !
أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشَرْ وانُ أم أين قَبْـــلَه سابورُ !
وبنو الأصفر الكِرام ملوكُ الـــروم لم يَبْقَ منهمُ مَـــذْكورُ
وأخو الحضْر إذ بنـــاه وإذ دِجْ لةُ تُجْبَى إليـــه والخابورُ

(١) اقتصر ابن هشام على هذه الأبيات .
(٢) صاب السهم من باب باع ، لغة فى أصاب . والأيد : القوى . والمعنى أنها هائلة .
(٣) ربية : فعيل بمعنى مفعول ، أى مرباة . والحين : الهلاك . والراقب : المراقب .
(٤) غبقته : سقته الغبوق ، وهو ما يشرب بالعشى . والوهل : الوهم .
(٥) جشر الصبح : طلع. (٦) المشاجب : جمع مشجب . ما تعلق به الثياب .

شَادَه مَرْمَـــراً وجَلَّله كِلْ سَاً فَلِلطَّـــير فى ذُرَاه وُكورُ
لم يَهَبْه رَيْبُ المَنُون فبـان الـــمُلْك عنــــه فبَابُه مهجورُ
وتذكَّرْ رَبَّ الخوَرْنق إذ أشـــرف يوما وللهُدَى تفـكيرُ[1]
سَرَّه ماله وكـثرةُ ما يَمْـ لِكُ والبحرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ[2]
فارْعَوى قلبُـــه وقال : وما غِبْـ طَةُ حيٍّ إلى الممات يصـــيرُ
ثم أضْحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ فأَلْوَتْ به الصَّبَا والدَّبُورُ[3]

قلت : وربُّ الخوَرْنَق الذى ذكره فى شعره رجـل من الملوك المتقدمين ، وعظه بعضُ علماء زمانه فى أمره الذى كان قد أسرف فيه وعتا[4] وتمرد فيه وأتْبَع نفسَه هواها ولم يراقب فيها مولاها ، فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول ، وكيف بادوا ولم يَبْقَ منهم أحد ، وأنه ماصار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته وبلغت منه كل مَبْلَغ ، فارعوى لنفسه ، وفـكَّر فى يومه وأَمْسِه ، وخاف من ضيق رَمْسه ، فتاب وأناب ونزع عما كان فيه ، وترك المُلْك ولبس زىَّ الفقراء ، وساح فى الفَلَوات وحظى بالخلوات ، وخرج عما كان النـاس فيـــه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات .

وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الإمام مُوفَّق بن قُدَامة المَقْدِسى رحمه الله تعـالى فى كتاب « التوابين » وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم السُّهَيلى فى كتاب « الروض الأُنف » المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبيين .

---

(١) ا : تذكير . (٢) ا : معرض . (٣) ألوت به : ا : ذهبت به ، والصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش . والدبور ريح تقابل الصبا . (٤) ا : وعق.

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحبُ الحَضْر وهو ساطرون ، فقد تقدم أنه كان مقدَّما على سائر ملوك الطوائف، وكان من زمن اسكندر بن فلبيس المقدونى اليونانى ، وذلك لأنه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا ، وأذل مملكته وخرب بلاده واستباح بيضةَ قومه ونهب حواصله ، ومزَّق شمل الفرس شَذَر مَذَر ، عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر .

فجعل يُقِرُّ كلَّ مَلِك على طائفة من الناس فى إقليم من أقاليم الأرض مابين عرَبها وأعاجمها ، فاستمر كلُّ مَلِك منهم يحمى حَوْزَته ويحفظ حِصَّته ويستغل مَحِلَّته ، فإذا هلك قام ولدُه من بعده أو أحد قومه ، فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة .

حتى كان أرْدشير بن بابك من بنى ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن لهراسب ، فأعاد مُلْكهم إلى ما كان عليه ، ورجعت الممالك برمَّتها إليه، وأزال ممالك ملوك الطوائف ، ولم يَبْقَ منهم تالدٌ ولا طارف ، وكان تأخر عليه حصار صاحب الحَضْر الذى كان أكبرَهم وأشدَّهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومُقَدمهم ، فلما مات أرْدشير تصدَّى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه ، كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب ذكر بنى إسماعيل وهم عرَب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

ذكرنا إسماعيل نفسه عليه السلام مع الأنبياء[١]، وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاَجَر فأسكنها بوادى مكة بين جبال فاران ، حيث لا أنيس به ولا حسيس ، وكان إسماعيل رضيعا ، ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ، ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر وَوِكاء فيه ماء ، فلما نفد ذلك أنبع الله لهاجر زمزم التى هى طعام طعم وشفاء سُقم ، كما فى حديث ابن عباس الطويل الذى رواه البخارى رحمه الله .

ثم نزلت جُرْهم ، وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة ، على أنْ ليس لهم فى الماء شىء إلا مايشربون منه وينتفعون به ، فاستأنست هاجر بهم .

وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرَهم فى كل حين. يقال إنه كان يركب البُراق من بلاد بيت المقدس فى ذهابه وإيابه .

ثم لما ترعرع الغلامُ وشَبَّ وبلغ مع أبيه السعىَ كانت قصة الذبح ، والذبيح هو إسماعيل على الصحيح .

ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأةً ثم فارقها وتزوج غيرها ، وتزوج بالسيدة بنت مُضَاض بن عمرو الُجرْهمى وجاءته بالبنين الاثنى عشر كما تقدم ذكرهم وهم : نابت وقَيْذَر [وأَذْبُل[٢]] . ومِشا ، ومِسْمع ، وماشى ، ودِمّا ، وأذر ، ويطور ، ونبش ، وطيما ،

(١) وذلك فى الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف . (٢) من ابن هشام . .

وقَيْذُما . هكذا ذكره محمد بن إسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب ، وله ابنة واحدة اسمها نسمة ، وهى التى زوجها من ابن أخيه العيصو بن إسحاق بن إبراهيم ، فولد له منها الروم وفارس (١) والأشبان أيضا فى أحد القولين .

ثم جميعُ عربِ الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون فى انسابهم الى ولديه نابت وقَيْذر .

وكان الرئيس بعده والقائم بالأمور الحاكم فى مكة ، والناظر فى أمر البيت وزمزم ، نابت بن إسماعيل وهو ابن أخت الجُرْهميين .

ثم تغلبت جُرْهم على البيت طمعا فى بنى أختهم ، فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بنى إسماعيل مدة طويلة ، فكان أولَ من صار إليه أمر البيت بعد نابت مضاضُ بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر (٢) بن نَبْت بن جُرْهم .

وجرهم بن قحطان ، ويقال : جرهم بن يقطن بن عيبر (٢) بن شالخ بن أرنخشذ بن سا ابن نوح الجرهمى . وكان نازلا بأعلى مكة بقُعَيْقِعان .

وكان السَّمَيْدع سيدُ قَطُوراء نازلًا بقومه فى أسفل مكة ، وكلٌّ منهما يَعْشُر (٣) مَنْ مَرَّ به مجتازاً إلى مكة .

ثم وقع بين جُرْهم وقَطُوراء فاقتتلوا ، فقُتل السَّمَيْدع واستوثق الأمر لمُضَاض وهو الحاكم بمكة والبيت ، لا ينازعه فى ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم (٤) بمكة وبغيرها وذلك لخؤولتهم له ولعظمة البيت الحرام .

ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ، ثم إلى عمرو بن الحارث .

ثم بَغَتْ جُرْهم بمكة وأكثرت فيها الفساد ، وألحدوا بالمسجد الحرام ، حتى ذكر

---

(١) ا : واليونان . (٢) ا : هيبر (٣) يعشر : يأخذ عشر الأموال (٤) المطبوعة وانتثارهم . وهو خطأ .

أن رجلا منهم يقال له إساف بن بَغِيّ وامرأةً يقال لهـا نائلة بنت وائل اجتمعا فى الـكعبة فـكان منه إليها الفاحشة ، فمسخهما الله حَجَرين ، فنصبهما الناس قريباً من البيت ليعتبروا بهما ، فلمـــا طال المطال بعد ذلك بمُدَد عُبِدَا من دون الله فى زمن خزاعة . كما سيأتى بيانه فى موضعه . فـكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة .

فلما أكثرت جُرْهُم البَغْىَ بالبلد الحرام تمالأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرَم ، وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذى خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم . وقيل إن خزاعة من بنى إسماعيل . فالله أعلم .

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وآذَنوهم بالحرب واقتتلوا .

واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين .

فغَلبت خزاعة ، وهم بنو بكر بن عبد مناة وغُبْشان ، وأجْلَوْهم عن البيت .

فعمِد عمرو بن الحارث بن مُضَاض الجرهمى ، وهو سيدهم ، إلى غزالى الـكعبة ، وهما من ذهب ، وحَجَرِ الركن وهو الحجر الأسود ، وإلى سيوف مُحلاَّة وأشياء أخر ، فدفنها فى زمزم وطَمَّ زمزم ، وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن .

وفى ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وقائـــلةٍ والدمعُ سَـكْبٌ مُبَادِرٌ ... وقد شَرِقَتْ بالدَّمع منهـــا المحَاجِرُ
كأنْ لمْ يَـكُنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمـكة سامرُ
فقلتُ لهـا والقلبُ منِّى كأنمـــا ... يُلَجْلِجُه بين الجناحين طائرُ
بَلَى نحن كنَّا أهلَها فأزالنـــا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ
وكنا وُلاةَ البيت من بعد نابتٍ ... نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهرُ

ونحن وَلينا البيت مِنْ بَعدِ نابتٍ ... بعزٍّ فما يَحْظَى لدينا المكاثرُ
مَلَكْنَا فعزَّزْنا فأَعْظِمْ بمُلْكِنا ... فليس لحيٍّ غيرِنا ثَمَّ فَاخِرُ
ألم تُنْكِحوا من خير شخص علمتُه ... فأبناؤه منا ونحن الأصاهرُ
فإن تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها ... فإنَّ لها حالاً وفيها التشاجرُ
فأَخْرَجنا منها المليكُ بقدرة ... كذلك يا لَلناس تجرى المقادرُ
أقول إذا نام الخَلِيُّ ولم أَنَمْ ... أذَا العرش لا يَبْعُدْ سُهَيْلٌ وعامرُ
وبُدِّلتُ منها أوجهاً لا أحبها ... قبائلَ منها حِمْيَرٌ ويُحَابرُ
وصِرْنَا أحاديثاً وكنا بِغبْطَةٍ ... بذلك عَضَّتْنَا السنونُ الغَوَابرُ
فسَحَّتْ دموعُ العين تبكى لبلدة ... بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المَشَاعِرُ
وتبكى لبيت ليس يُؤْذَى حَمَامُه ... يَظَلُّ به أَمْنَا وفيه العَصَافِرُ
وفيه وحوشٌ لا تُرامُ أنيسةٌ ... إذا خَرَجَتْ منه فليست تُغَادَرُ

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث بن مُضاض أيضا يذكِّر بنى بكر وغُبْشان الذين خَلَفوا بعدهم بمكة :

يا أيها الناس سيروا إن قَصْرَكُمُ(١) ... أن تُصْبحوا ذاتَ يوم لا تَسِيرونا
حُثُّوا المَطِيَّ وأَرْخُوا مِنْ أزمَّتها ... قبل المات وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
كنا أناساً كما كنتم فغَيَّرنا ... دهرٌ فأنتم كما صِرْنا تَصِيرونا

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن ولم يُسَمَّ قائلها .

---

(١) المطبوعة : قصاركم . وهو خطأ . وقصركم : أى نهايتكم .

وذكر السهيلى لهـذه الأبيـات إخوة ، وحـكى عندها حـكاية معجبة وإنشادات مُغْرِبة .

قال : وزاد أبو الوليد الأزرقى فى كتابه « فضائل مكة » على هذه الأبيات المذكورة المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مُضاض :

قد مالَ دهرٌ علينا ثم أَهْلَكَنَا بالبَغْيِ فيه[1] وبَزَّ الناسَ ناسونا
واستَخْبِرُوا فى صنيع الناس قبلَكم كما استبان طريقٌ عنـده الهونَا
كنَّا زمانا ملوكَ الناس قَبْلَكم بمسكنٍ فى حَرَام الله مَسْكُونَا

قصة خُزَاعة ، وخبر عمرو بن لُحَىّ ، وعبادة الأصنام بأرض العرب

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مَنَاة وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى .

وقريش إذ ذاك حُلولٌ وصِرْمٌ[2] وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة .

قالوا : وإنما سميت خزاعةُ خزاعةَ لأنهم تخزَّعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمَرِّ الظَّهْرَان فأقاموا به .

قال عون بن أيوب الأنصارى ثم الخزرجى فى ذلك :

فلما هبطنا بطنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعةُ منا فى حُلُولٍ كَرَاكِرِ[3]

---

(١) المطبوعة : فينا .

(٢) الحلول : جمع حال بتشديد اللام . والصرم بكسر الصاد وسكون الراء : الطائفة من القوم ينزلون بإبلهم ناحية من الماء والجمع أصرام .

(٣) الكراكر : جمع كركرة بكسر الكاف وسكون الراء وهى الجماعة من الناس .

حَمَتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحْتَمتْ   بصُمِّ القَنَا والمُرْهَفات البواتِرِ

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصارى الأوسى :

فلما هَبَطْنَا بطن مكةَ أَحْمَدت   خُزَاعةُ دارَ الآكل المتحاملِ

فحلَّت أكاريساً شَتَّتْ قنابلاً   على كل حَىٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وساحلِ (١)

نَفَوْا جُرْهُماً عن بطن مكة واحْتَبوْا   بعزٍّ خُزَاعىٍّ شديدِ الكواهلِ

فوليت خزاعة البيتَ ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل ابن حُبْشِية بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعى ، الذى تزوج قصىٌّ بن كلاب ابنته حُبَّى ، فولدت له بَنِيه الأربعة : عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العُزَّى ، وعبدا ، ثم صار أمر البيت إليه . كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

واستمرت خُزَاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة والله أعلم . وكانوا مشئومين (٢) فى ولايتهم ، وذلك لأن فى زمانهم كان أولُ عبادة الأوثان بالحجاز .

وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لَحُىّ لعنه الله ، فإنه أول من دعاهم إلى ذلك .

وكان ذا مال جزيل جداً . يقال : إنه فقأ أعين عشرين بعيراً ، وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بعير .

وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير فقأ عين واحد منها ، لأنه يدفع بذلك العين عنها . وممن ذكر ذلك الأزرقى .

---

(١) الأكاريس : جمع الجمع للكرس وهو أبيات من الناس مجتمعة . والقنابل جمع قنبل ، وهو الطائفة من الناس والخيل . (٢) المطبوعة : سوس . وهى تحريف بالأصل عما أثبتناه .

وذكر السهيلى : أنه ربما ذبح أيامَ الحجيج عشرة آلاف بَدَنة وكسا عشرة آلاف حُلّة فى كل سنة ، يطعم العرب ويحيس لهم الَحيْسَ بالسمن والعسل ويلتُّ لهم السَّوِيق .

قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشَّرْع المتَّبع ، لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَىّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره فلما قَدِم مآبَ من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ، ويقال ولد عِمْليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنامٌ نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا .

فقال لهم : ألا تعطونى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه (١)

فأعطوه صنما يقال له هُبَل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل عليه السلام ، أنه كان لا يَظْعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفَسْح فى البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم .

فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة .

حتى سَلَخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خَلَفت الُخلُوف ونسوا ما كانوا عليه .

وفى الصحيح عن أبى رَجاء العُطَارِدى ، قال : كنا فى الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حَثْيةً من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طُفْنا بها .

---

(١) كذا بالأصول . والقياس : فيعبدوه

قال ابن إسحاق . واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غَيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات .

وفيهم على ذلك بقايا مِنْ عَهْد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها مِنْ تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفات والمزدلفة ، وهَدْى البُدْن والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه

فكانت كنانة وقريش إذا أهَلُّوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما مَلك . فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون مِلْكها بيده . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وما يُؤْمِن أكثرُهم بالله إلا وهُمْ مشركون [1] » أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا مِنْ خَلْقى .

وقد ذكر السهيلى وغيره : أن أول من لبَّى هذه التلبية عمرو بن لُحَىّ وأن إبليس تَبَدَّى له فى صورة شيخ ، فجعل يلقِّنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول ، واتبعه العرب فى ذلك .

وثبت فى الصحيح أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمعهم يقولون : لبيك لا شريك لك : يقول : « قَدِ قدِ » أى حَسْب حسب .

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى حفص عن أبى هريرة . عن النبى صلّى الله عليه وسلم . قال : « إن أول من سَيَّب السوائبَ وعَبَد الأصنامَ ، أبو خُزَاعة عمرو بن عامر ، وإنى رأيته يجرُّ أمعاءه فى النار » .

---

(١) سورة يوسف ١٠٦ .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وهذا يقتضى أن عمرو بن لُحَىّ هو أبو خزاعة الذى تُنْسَب إليه القبيلة بكمالها ، كما زعمه بعضهم من أهل النسب ، فيما حكاه ابن إسحاق وغيره .

ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهراً فى ذلك بل كالنص ، ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه .

فقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شُعَيب ، عن الزُّهْرى ، قال : سمعت سعيد ابن المسيب قال : البَحيرة : التى يُمْنح (١) دَرُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس . والسائبة : التى كانوا يسيِّبونها لآلهتهم لا يُحْمَل عليها شىء .

قال : وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن عامر الُخزَاعى يجر قُصْبَه فى النار ، كان أول من سَيَّب السوائب » .

وهكذا رواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كِيسان عن الزُّهْرى عن سعيد عن أبى هريرة به .

ثم قال البخارى : ورواه ابن الهادِّ عن الزهرى .

قال الحاكم : أراد البخارى : رواه ابن الهادِّ عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهرى . كذا قال .

وقد رواه أحمد عن عمرو بن سَلَمَة الخزاعى ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيت عمرو بن عامر يجرُّ قُصْبَه فى النار ، وكان أول من سَيَّب السوائب وبَحَر البَحِيرة » .

---

(٣) المطبوعة : يمنع . وهو خطأ

ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بُخْت كما قال الحاكم . فالله أعلم .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرازق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الْخزَاعى يجرُّ قُصْبه فى النار ، وهو أول من سَيَّبَ السوائب [(١)] » .

وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح : الزُّهْرى عن سعيد عنه كما تقدم .

وقوله فى هذا الحديث والذى قبله : « الْخزَاعى » يدل على أنه ليس والدَ القبيلة ، بل منتسب إليها ، مع ماوقع فى الرواية من قوله أبو خزاعة تصحيف من الراوى من : « أخو خزاعة » أو أنه كان يكنى بأبى خزاعة ، ولا يكون ذلك من باب الإخبار بأنه أبو خزاعة كلهم . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، أن أبا صالح السَّمان حدَّثه أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : لأكثم بن الجوْن الْخزَاعى : « ياأكثم ، رأيت عمرو بن لحى بن قَمْعة بن خِنْدف يجرُّ قُصْبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه » .

فقال أكثم : عسى أن يضرنى شَبَهُهُ يارسول الله .

قال : « لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غـيَّر دين إسماعيل ، فنصب الأوثان وبَحَر البحيرة وسَيَّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى» .

ليس فى الـكتب من هذا الوجه .

وقد رواه ابن جرير عن هَنّاد بن عبدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله ، وليس فى الـكتب أيضاً .

---

(١) المسند حديث رقم ٧٦٩٦

وقال البخارى : حدثنى محمد بن أبى يعقوب أبو عبد الله الكِرْمانى ، حدثنا حسان ابن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جهنم يَحْطِمُ بعضُها بعضاً ، ورأيت عَمْراً يجرُّ قُصْبه ، وهو أول من سَيَّب السوائب » .

تفرَّد به البخارى .

وروى الطبرانى من طريق صالح ، عن ابن عباس ، مرفوعا فى ذلك .

* * *

والمقصود أن عمرو بن لُحَىّ لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء فى الدين غَيَّر بها دينَ الخليل ، فاتبعه العرب فى ذلك ، فضلُّوا بذلك ضلالا بعيدا بَيِّناً فظيعاً شنيعاً .

وقد أنكر الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز فى غير ما آية منه . فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ (١) الآية . وقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطاً وبيَّنا اختلاف السلف فى تفسير ذلك ، فمن أراده فليأْخذه من ثَمَّ ، ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللهِ وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ

(١) سورة النحل (١١٦) (٢) سورة المائدة (١٠٣) (٣) سورة النحل ٥٦ .

إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

وقال البخارى فى صحيحه : ﴿ باب جهل العرب ﴾ (٢) :

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إذا سَرَّكَ أن تعلم جَهْلَ العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائةٍ فى سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

وقد ذكرنا تفسيرَ هذه الآية ، وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة ، التى ظنها كبيرهم عمرو بن لُحَيٍّ قبَّحه الله مصلحةً ورحمةً بالدواب والبهائم ، وهو كاذب مُفْتَرٍ فى ذلك .

ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطَّغَام فيه .

بل قد تابعوه فيما هو أَطَمُّ من ذلك وأعظم بكثير ، وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل .

---

(١) سورة الأنعام : ١٣٦ ـ ١٤٠ (٢) البخارى: باب قصة زمزم وجهل العرب .

وبدَّلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم ، من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشِّرْك .

وغيَّروا شعائرَ الحج وَمَعالِمَ الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف .

واتبعوا فى ذلك مَنْ كان قبلهم من الأمم المشركين .

وشابهوا قومَ نوح ، وكانوا أولَ من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله إليهم نوحا ، وكان أول رسول بُعِث ينهى عن عبادة الأصنام ، كما فى قصة نوح ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾[1] .

قال ابن عباس : كان هؤلاء قوماصالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم ، وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم فى عبادتهم بما أغنى عن إعادته ها هنا .

* * *

قال ابن إسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام فى العرب بعد تبديلهم دينَ إسماعيل ، فكان وَدٌّ لبنى كَلْب بن وَبْرَة[2] بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف ابن قُضَاعة . وكان منصوباً بِدُومَة الجَنْدَل .

وكان سُواعٌ لبنى هُذَيل بن الياس بن مُدْركة بن مضر . وكان منصوبا بمكان يقال له رُهَاط .

وكان يغوث لبنى أَنْعَم من طَيِّئ ولأهل جُرَش من مَذْحج . وكان منصوباً بجُرَش .

وكان يَعُوق منصوباً بأرض هَمْدان من اليمن لبنى خَيْوان بطن من هَمْدَان .

---

(١) سورة نوح : ٢٣ ، ٢٤

(٢) المطبوعة : مرة . وهو خطأ .

وكان نَسْر منصوباً بأرض حِمْير لقبيلة يقال لها ذو الكُلاَع .

قال ابن إسحاق : وكان لخولان بأرضهم صنم يقال له عم أنس [١] يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله ، فيما يزعمون [٢] ، فما دخل فى حق عم أنس من حق الله الذى قسموه [٣] له تركوه له ، وما دخل فى حق الله من حق عم أنس رَدُّوه عليه ، وفيهم أنزل الله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً ﴾ .

قال : وكان لبنى مِلْكان بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة صنم يقال له سعد ، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل منهم بإبل له مُؤبَّلة ليقِفَها عليه التماسَ بركته ، فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ، وكانت مَرْعِيَّة لا تُرْكب وكان الصنم يُهْراق عليه الدماء ، نفرت منه فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربها فأخذ حجراً فرماه به ثم قال : لا باركَ الله فيك نفَّرْت علىَّ إبلى . ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتَيْنَا إلى سعدٍ ليَجْمَع شَمْلَنا فَشَتَّتَنَا سعدٌ فلا نحنُ مِنْ سَعْدِ
وهل سَعْدُ إلا صخرةٌ بتَنُوفَةٍ من الأرضِ لا يدعو لغَيٍّ ولا رُشْدِ

قال ابن إسحاق : وكان فى دَوْسٍ صنم لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسى .

قال : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هُبَل .

وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحى لعنه الله .

قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافاً ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندها ، ثم ذكر أنهما كانا رجلا وامرأة فوقع عليها فى الكعبة فمسخهما الله حجرين .

ثم قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، عن عَمْرة أنها قالت : سمعت عائشة تقول : مازِلْنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم أَحْدَثا فى الكعبة فمسخهما الله عز وجل حَجَرين . والله أعلم .

(١) فى الأصنام لابن الكلبى : عميانس . (٢) ابن هشام : بزعمهم . (٣) ابن هشام : سموه

وقد قيل إن الله لم يُمهلهما حتى فجرا فيها ، بل مَسخهما قبل ذلك ، فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة .

فلما كان عمرو بن لُحَى نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما .

وفى ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يُنِيخُ الأشْعَرُون ركابهم بمَفْضَى السُّيول مِن إسافٍ ونائلِ

وقد ذكر الواقدى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور .

وقد ذكر السهيلى : أن أجَا وسُلْمى وهما جبلان بأرض الحجاز ، إنما سمِّيا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحى ، فجرَ بسُلْمى بنت حام ، فصلبا فى هذين الجبلين فعُرِفا بهما . قال : وكان بين أجا وسلمى صنمٌ لطيِّئ يقال له قاس .

* * *

قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كل دار فى دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سَفَراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخرَ مايصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سَفَره تمسَّح به ، فكان ذلك أول مايبدأ به قبل أن يدخل على أهله .

قال : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : أجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشىء عُجَابٌ .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طَوَاغيتَ ، وهى بيوت تعظِّمها كتعظيم الكعبة لها سَدَنة وحُجَّاب ، وتُهْدِى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها

بها وتنحر عندها . وهى [مع ذلك][1] تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجدُه .

وكانت لقريش و بنى كنانة العُزَّى بنخلة ، وكان سدنتها وحجابها بنى شَيْبان من سُلَيْم حلفاء بنى هاشم ، وقد خرَّبها خالد بن الوليد زمن الفتح . كما سيأتى .

قال : وكانت اللات لثِقَيف بالطائف ، وكان سَدَنتُها وحُجَّابها بنى مُعَتِّب من ثقيف ، وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجىء أهل الطائف . كما سيأتى .

قال : وكانت مَنَاةُ للأوس والخزرج ومَنْ دَانَ بدِينهم من أهل المدينة[2] على ساحل البحر من ناحية المُشَلّل بقُدَيد ، وقد خربها أبو سفيان أيضا ، وقيل على بن أبى طالب كما سيأتى .

قال : وكان ذو الخلصة لدَوْس وخَثْعم و بجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتَبالَة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ؛ ولبيت مكة الكعبة الشامية. وقد خربه جرير بن عبد الله البجلى كما سيأتى . قال :

وكان قَلس لطيّئ ومن يليها بجَبَلَىْ طيّئ ، يعنى[3] أجَأ وسَلْمى . وهما جبلان مشهوران كما تقدم .

قال : وكان رِئَامُ بيتا لِحمْيَر وأهل اليمن كما تقدم ذكره فى قصة تُبع أحد ملوك حِمْيْر وقصة الحَبْرين حين خربَّاه وقتلا منه كلباً أسود .

قال : وكانت رُضَاء بيتاً لبنى رَبيعة بن كَعْب بن سعد ابن زيدِ مَنَاة بن تميم ؛ ولها يقول المُسْتَوغر ، واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءِ شَدَّةً فتركتُها قَفْراً بِقَاعٍ أَسْحَمَا[4]

---

(١) ليست فى ابن هشام . (٢) ابن هشام يثرب . (٣) المطبوعة : بين . وهو خطأ .
(٤) الأسحم: الأسود

وأعان عبدُ الله فى مَكْروهها ... و بِمثْلِ عَبْد الله أَغْشَى المحْرَمَا[1]

و يقال إن المُستَوْغِر هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان أطول مُضَرٍ كلها عُمْراً ، وهو الذى يقول :

ولقد سَئِمْتُ مِن الحياة وطولِها ... وعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السنين مئينا

مائة حَدَتْها بَعْدَها مائتان لى ... وازددتُ من عَدَدالشهورِ سنينا

هل ما بَقِى إلا كما قد فاتنا ... يومٌ يمرُّ وليلةٌ تحْدُونا

قال ابن هشام : وتُروى هذه الأبيات لزُهَير بن جَناب بن هبل[2] .

قال السُّهَيلى : ومن المعمَّرين الذين جازوا المائتين والثلاثمائة : زهير هذا ، وعُبيد ابن شَرية ، ودَغْفَل بن حَنْظلة النسَّابة ، والربيع بن ضبع الفزارى ، وذو الإصبع العَدْوانى ، ونصر بن دهمان بن أشجع بن رَيْث بن غطفان ، وكان قد اسودَّ شَعَره بعد ابيضاضه وتقوَّم ظهرُه بعد اعوجاجه .

قال[3] : وكان ذو الكَعبات لبكر وتَغْلب ابنى[4] وائل وإياد بسَنْداد ، وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

بَيْنَ[5] الخورْنَق والسَّدِير وبارقٍ ... والبيتِ ذى الشُّرفاتِ مِنْ سَنْدادِ[6]

وأول هذه القصيدة :

ولقد علمتُ وإن تطاول بِى المَدَى ... أنَّ السبيل سبيلُ ذى الأعوادِ

ماذا أؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحرِّق ... تركوا منازَلهم ، وبَعْدَ إيادِ

نَزَلُوا بأَنْقرَةٍ يَسِيل عليهمُ ... ماء الفُرات يجىء من أَطْوادِ

أرض الخوَرنقِ والسَّديرِ وَبارقٍ ... والبيتِ ذى الكَعْبات من سِنْدادِ

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ابن هشام. (٢) ابن هشام: بن جناب الكلبى. (٣) أى ابن اسحق
(٤) المطبوعة : ابن . وهو خطأ . (٥) ابن هشام: أهل الخورنق .
(٦) السنداد : منازل لإياد أسفل سواد الكوفة ،وراء نجران الكوفة .

جرَتِ الرياحُ على مَحَلِّ ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعادِ
وَأرَى النعيمَ وكلَّ مَا يُلْهَى به ... يوماً يَصير إلى بِلًى ونفادِ

قال السهيلى : الخوَرْنق : قصرٌ بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، و بناه رجل يقال له سِنمَّار فى عشرين سنة ، ولم يُرَ بناءٌ أعجب منه ، فخشى أن يَبْنى لغيره مثلَه ، فألقاه من أعلاه فقتله ، ففى ذلك يقول الشاعر :

جزَانِى ، جزاه الله شرَّ جزائه ... جزاءَ سِنمَّارٍ وما كان ذَا ذَنْبِ
سِوَى رَضْفه البنيانَ عشرين حِجَّةً ... يعدُّ عليه بالقَرَامد والسَّكْبِ (١)
فلما انتهى البنيانُ يوما تمامَه ... وآض كمثل الطَّوْدِ والباذخ الصعب
رَمَى بِسنمَّارٍ على حُق رأسه ... وذاكَ لعَمْرُ اللهِ مِنْ أقْبَحِ الخطْبِ

قال السهيلى : أنشده الجاحظ فى كتاب الحيوان . والسِّنمَّار من أسماء القمر .

والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت لما جاء الإسلام ، جهز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه ، وإلى تلك الأصنام مَنْ كسرها ، حتى لم يبق للكعبة مايضاهيها ، وعُبِدَ الله وحدَه لا شريك له . كما سيأتى بيانه وتفصيله فى مواضعه إن شاء الله تعالى و به الثقة .

---

(١) القرامد : حجارة لها خروق تنضج ويبنى بها ، والآجر ، وما طلى به كالزعفران والجص . والسكب : النحاس أو الرصاص .

خبر عدنان جَدّ عرب الحجاز ، وهو الذى ينتهى إليه نسب النبى صلى الله عليه وسلم

لا خلاف أن عَدْنان من سُلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . واختلفوا فى عدة الآباء بينه و بين إسماعيل على أقوال كثيرة .

فأكثر ماقيل أربعون أبا ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب رخيا كاتب أَرْمِيا بن حَلْقِيا . على ماسنذكره .

وقيل بينهما ثلاثون . وقيل عشرون . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرة . وقيل تسعة . وقيل سبعة .

وقيل إن أقل ما قيل فى ذلك أربعة ، لما رواه موسى بن يعقوب ، عن عبد الله بن وهب بن زُمْعة الزَّمعى ، عن عمته ، عن أم سلمة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَعَدُّ بن عدنان ابن أدد بن زند بن اليَرى بن أعراق الثَّرى » .

قالت أم سلمة : فزند هو الهمَيْسع . واليرى هو نابت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل . لأنه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى .

قال الدارقطنى : لا نعرف زنداً إلا فى هذا الحديث ، وزند بن الجون ، وهو أبو دلامة الشاعر .

قال الحافظ أبو القاسم السُّهَيْلِىّ وغيرُه من الأئمة : مُدَّة ما بين عَدْنان إلى زمن إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون ، وذلك أن مَعَدَّ ابن عدنان كان عمرهُ زمنَ بُخْتُنَصَّر اثنتى عشرة سنة .

وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى أرمياء بن

حلقيا أن اذهب إلى بُخْتُنصَّر فأعْلِمْه أني قد سَلَّطْته على العرب . وأمر الله أَرْمياء أن يحمل معه مَعَدَّ بن عدنان على البُرَاق كي لا تصيبه النقمة فيهم ، فإني مُسْتَخْرِج من صُلبه نبيًّا كريمًا أختمُ به الرُّسل .

ففعل أَرْمِياء ذلك واحتَمل مَعَدًّا على البُرَاق إلى أرض الشام ، فنشأ مع بني إسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المَقْدِس ، وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بني دب بن جُرْهم ، قبل أن يرجع إلى بلاده ، ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحَّضت جزيرة العرب ، وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نَسَبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرمياء فيحفظ نسب مَعَد كذلك . والله أعلم .

ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهيلي : وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب مَن يَرَى ذلك ولم يكرهه ، كابن إسحاق والبخاري ، والزُّبير بنَ بكّار ، والطبري ، وغيرهم من العلماء .

وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نَسَبه إلى آدم فكره ذلك ، وقال له : من أين له عِلم ذلك ؟ !

فقيل له : فإلى إسماعيل ؟ فأنكر ذلك أيضاً ، وقال : ومن يخبره به !

وكره أيضاً أن يُرْفع في نسب الأنبياء ، مثل أن يقال : إبراهيم بن فلان بن فلان .

هكذا ذكره المعيطي في كتابه .

قال : وقولُ مالك هذا نحوُ ما رُوِي عن عُرْوة بن الزُّبَير أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل .

وعن ابن عباس أنه قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يُعْرَفون .

وروى عن ابن عباس أيضاً أنه كان إذا بلغ عدنان يقول : كَذَب النَّسَّابون . مرتين أو ثلاثاً . والأصح عن ابن مسعود مثله .

وقال عمر بن الخطاب : إنما ننسب إلى عدنان .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ في كتابه : « الأنباه في معرفة قبائل الرواة » : روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول : ماوجدنا أحدا يعرف ماوراء عدنان ولا ماوراء قحطان إلا تَخَرُّصاً .

وقال أبو الأسود : سمعت أبا بكر سليمان بن أبي خيثمة ، وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم ، يقول : ماوجدنا أحداً يعرف ماوراء مَعَدِّ بن عدنان في شِعْر شاعر ولا عِلْم عالم .

قال أبو عمر : وكان قومٌ من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأَزْدي ومحمد بن كعب القُرَظي إذا تَلَوْا ﴿ والذين مِنْ بَعْدِهِم لا يَعْلَمُهم إلا اللهُ ﴾[1] قالوا : كَذَب النسابون .

قال أبو عُمَر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غيرُ ما ذهبوا ، والمراد أن من ادَّعَى إحصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم ، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وَعَوْا وحَفِظوا جماهيرها وأمهاتِ قبائلها ، واختلفوا في بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أُدَد ، ابن مُقَوِّم ، بن ناحور بن تَيْرَح ، بن يَعْرُب ، بن يَشْجُب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يَسَار في السيرة .

قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أُدّ . يعني عدنان بن أُدّ ، بن أُدَد .

ثم ساق أبو عُمَر بقيةَ النسب إلى آدم .

---

(١) سورة إبراهيم ٩

وأما الأنساب إلى عَدْنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جداً ، لا يتمارى فيها اثنان .

والنسب النبوى إليه أظهر وأوضح من فَلَق الصبح ، وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه ، كما سنورده فى موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها فى سلك النسب الشريف والأصل المنيف . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

***

وما أحسن ما نَظَم النسبَ النبوى الإمامُ أبو العباس عبد الله بن محمد الناشِىء فى قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهى قوله :

مَدَحْتُ رسولَ الله أَبْغِى بمَدْحه ... وُفُورَ حُظُوظى مِنْ كريم المآربِ
مَدَحْتُ امرأً فاق المديحَ مُوَحَّدًا ... بأوصافه عَن مُبْعِدٍ ومُقاربِ
نبيًّا تَسَامَى فى المشارق نورُه ... فلاحَتْ هَوَادِيه لأهلِ المَغَاربِ
أتَتْنَا به الأنباءُ قَبْلَ مَجِيئه ... وشاعت به الأخبار فى كلِّ جانبِ
وأصبحت الكُهَّانُ تَهْتِفُ باسمه ... وتَنْفِى به رَجْمَ الظنونِ الكواذبِ
وأُنْطِقت الأصنامُ نُطْقًا تبرأَتْ ... إلى الله فيه من مَقَال الأكاذبِ
وقالت لأهل الكُفْر قولًا مبيَّنًا : ... أتاكم نبىٌّ مِنْ لُؤَىِّ بن غالبِ
ورَامَ اسْتَراقَ السَّمْعِ جِنٌّ فزَيَّلَتْ ... مقاعدَهم منها رُجومُ الكواكبِ
هَدَانا إلى ما لم نكن نَهْتَدِى له ... لطول العَمَى من واضحات المذاهبِ
وجاء بآياتٍ تبيِّن أنها ... دلائلُ جَبَّار مُثِيبٍ مُعاقبِ
فمنها انشقاقُ البدر حين تعمَّمَتْ ... شعوبُ الضِّيا منه رءوسَ الأخاشبِ
ومنها نبوعُ الماء بين بنَانِه ... وقد عَدِم الوُرَّادُ قُرْبَ المَشَاربِ

فروّى به جَمًّا غفيراً وأَسْهَلت ... بأعناقه طوعا أكفُّ المَذَانبِ
وبئرٌ طَغَتْ بالماء مِنْ مَسِّ سَهْمِه ... ومِنْ قَبْلُ لم تَسْمَح بمَذْقَة شاربِ
وضَرْعٍ مَرَاه فاستَدَرَّ ولم يَكُنْ ... به دَرَّةٌ تُصْغِى إلى كَفِّ حالبِ
ونُطْقٍ فصيحٍ مِنْ ذِراع مُبِينةٍ ... لِكَيْدِ عدوّ للعداوةِ ناصبِ
وإخباره بالأمر مِنْ قَبْلِ كَوْنه ... وعِنْدَ بَوَادِيه بما فى العواقبِ
ومن تلكمُ الآيات وحىٌ أَتَى به ... قريبُ المآتى مُسْتَجِمُّ العجائبِ
تَقَاصرت الأفكارُ عنه فلم يُطِعْ ... بليغاً ولم يَخْطُرْ على قلب خاطبِ
حَوَى كلَّ عِلْمٍ واحْتَوَى كلَّ حكمةٍ ... وفات مَرَامَ المستمِرِّ المواربِ
أتانا به لا عن رَوِيَّةِ مُرْتىءٍ ... ولا صُحْفِ مُسْتَمْلٍ ولا وصف كاتب
يواتيه طَوْرًا فى إجابةِ سائلٍ ... وإفتاءِ مُسْتَفْتٍ وَوَعْظِ مخاطِبِ
وإتيانِ برهانٍ وفَرْضِ شرائعٍ ... وقَصٍّ أحاديثٍ ونَصِّ مآربِ
وتصريفِ أمثالٍ وتثبيتِ حُجَّةٍ ... وتعريف ذى جَحْدٍ وتوقيفِ كاذبِ
وفى مَجْمَع النادِى وفى حَوْمةِ الوَغَى ... وعِنْدَ حدوثِ المُعْضِلَاتِ الغرائبِ
فيأتى على ما شئتَ من طرقاته ... قويمَ المعانى مستدرَّ الضرائبِ
يصدِّقُ منه البعضُ بعضاً كأنما ... يلاحظ مَعْناَه بِعَيْنِ المراقبِ
وعجزُ الوَرَى عن أن يجيئوا بمِثْلِ ما ... وَصَفْنَاهُ معلومٌ بطولِ التجاربِ
تَأَبَّى بعَبْدِ اللهِ أكرمِ والدٍ ... تَبَلَّجَ منه عن كريم المَنَاسِبِ
وشَيْبَةَ ذِى الحَمْد الذى فَخَرَتْ به ... قريشٌ على أهل العُلَا والمَنَاصِبِ
ومن كان يُسْتَسْقَى الغمامُ بوَجْهه ... ويُصْدَرُ عَنْ آرائه فى النوائبِ
وهاشمٍ البانِى مَشِيدِ افتخارِه ... بغُرِّ المَسَاعِى وامتنان المواهبِ
وعبدِ مناف وهو علَّم قومه اشـ ... تطاطَ الأمانى واحتكامَ الرغائبِ

وإن قُصَيًّا مِنْ كريمٍ غِراسِــــه ... لَفِي مَنْهَلٍ لم يَدْنُ مِنْ كَفِّ قاضب (١)
به جَمَّـــــع الله القبائل بَعْدَمَا ... تقسَّمهـا نهبُ الأكفِّ السوالبِ
وحَلَّ كِلَابٌ مِنْ ذُرَى المَجْدِ مَعْقِلاً ... تَقَاصَرَ عنـــــه كلُّ دَانٍ وغائبِ
ومُرَّةُ لم يَحْلُلْ مريرةَ عَـــزْمه ... سِفَاهُ سفيــهٍ أو مَحُوبة حائب (٢)
وكعبٌ عَلاَ عَنْ طالبِ المجـــد كعبُه ... فنال بأدنى السعى أعـــلا المراتبِ
وأَلْوَى لُؤَىٌّ بالعِـــدَاةِ فطُوِّعَتْ ... له هِمَمُ الشُّمِّ الأُنوفِ الأغَالبِ
وفى غالبٍ بأسٌ أَبَى البأسَ دونَهم ... يُدافِـع عنهم كلَّ قِرْنٍ مُغَالبِ
وكانت لِفِهْـــرٍ فى قريشٍ خَطَابة ... يَعُوذُ بها عنـــد اشْتِجار المَخَاطبِ
وما زال منهم مالكٌ خـــيرَ مالكٍ ... وأكرَم مصحوبٍ وأكرَم صاحبِ
وللنضْرِ طَوْلٌ يَقْصُر الطرفُ دُونَه ... بحيث الْتَقَى ضوءُ النجوم الثواقبِ
لعَمْرِى لقـــد أبْدَى كِنَانَةُ قَبْلَه ... محاسنَ تأْبَى أنْ تَطُوعَ لِغَالبِ
ومِنْ قَبْلِه أَبْقَى خُزَيمةُ حَمْـــدَه ... تليدَ تُرَاثٍ عَنْ حَمِيـــدِ الأقاربِ
ومُدْرِكَةٌ لم يُدْرِكِ الناسُ مثـــلَه ... أعفَّ وأَعْـــلَى عَنْ دَنِيِّ المَكاسبِ
وإلياسُ كان اليَأْسُ منـــه مُقَارنا ... لأعدائه قَبْلَ اعتـــدادِ الكتائبِ
وفى مُضَرٍ يَسْتَجْمِـعُ الفخرُ كلُّه ... إذا اعتركت يوماً زحوف المَقَانب (٣)
وحَـــــلَّ نِزَارٌ مِنْ رياسةِ أهلِه ... مَحَـــلاًّ تسَامَى عَنْ عيون الرواقبِ
وكان مَعَــدٌّ عُـــــدَّةً لِوَلِيِّه ... إذا خاف مِنْ كَيْدِ العـــدوِّ المُحَارِبِ
وما زال عَدْنَانٌ إذا عُـــدَّ فَضْلُه ... توحَّـــدَ فيه عَنْ قرينٍ وصاحبِ
وأُدٌّ تَأَدَّى الفضـــلُ منــه بغايةٍ ... وإرْثٍ حوَاه عن قرومٍ أشايبِ

---

(١) القاضب : الفارس . (٢) الحائب : الآثم . (٣) المقانب : جمع المقناب ، الطائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى أربعين .

وفى أُدَدٍ حِلْمٌ تزيَّن بالحِجَا ... إذا الحِلمُ أزهاه قُطوبُ الحواجبِ
وما زال يَسْتَعْلِي هَمَيْسَعُ بالعُلا ... ويَتْبَعُ آمالَ البعيدِ المُراغبِ
ونَبْتٌ بَنَتْه دوحةُ العِزِّ وابْتَنَى ... مَعاقِلَه فى مُشْمَخِرِّ الأَهاضبِ
وحِيزَتْ لقَيْذارٍ سَماحةُ حاتمٍ ... وحكمةُ لقمان وهِمَّةُ حاجبِ
همُ نَسْلُ إسماعيلَ صادقُ وَعْدِه ... فما بعدَه فى الفخرِ مَسْعًى لذاهبِ
وكان خليلُ اللهِ أكرَمَ مَنْ عَنَتْ ... له الأرضُ مِنْ ماشٍ عليها وراكبِ
وتارحُ مازالت له أَرْيَحِيَّةٌ ... تُبَيِّنُ منه عَنْ حميدِ المَضارِبِ
وناحورُ نَحَّارُ العِدَى حُفِظَتْ له ... مآثِرُ لَمَّا يُحْصِها عَدُّ حاسبِ
وأَشْرَعُ فى الهيجاءِ ضَيْغَمُ غابةٍ ... يَقُدُّ الطلا[1] بالمُرْهَفَاتِ القواضبِ
وأرغو نابٌ فى الحروب مُحَكَّمٌ ... ضَنِينٌ على نَفْسِ المُشِحِّ المُغالبِ
وما فالغٌ فى فَضْلِه تِلْوَ قومِه ... ولا عابرٌ من دونهم فى المراتبِ
وشالخُ وارْفَخْشِذُ وسامٍ سَمَتْ بهم ... سجايا حَمَتْهم كلَّ زارٍ وعائبِ
وما زال نوحٌ عِنْدَ ذى العرش فاضلا ... يُعَدِّده فى المُصْطَفِين الأطايبِ
ولَمْكٌ أَبُوه كان فى الرَّوْعِ رائعا ... جريئا على نفس الكَمِيِّ المُضارِبِ
ومن قبلِ لَمْكٍ لم يَزَلْ مَتُّوشَلِخْ ... يَذُودُ العِدَى بالذائداتِ الشَّوازِبِ[2]
وكانت لإدريسَ النبيِّ مَنازِلٌ ... مِنَ اللهِ لم تُقْرَنْ بهِمَّةِ راغبِ
ويارد بحرٌ عِنْدَ آلِ سَراتِه ... أَبِيُّ الخَزايا مُسْتَدِقُّ المآربِ
وكانت لمِهْلايِيلَ فَهْمٌ فَضائلٍ ... مهذبةٍ مِنْ فاحشاتِ المَثالبِ
وقينانُ من قبلِ اقتنى مجدَ قومِه ... وفاد بشأوِ الفَضْلِ وَخْدُ الركائبِ
وكان أنوشُ ناشَ للمجدِ نفسَه ... ونَزَّهها عن مُرْدِياتِ المَطالبِ

---

(١) الطلا : الشخص . (٢) الشوازب : الخشنة .

وما زال شيثٌ بالفضائلِ فاضِــلاً شريفاً بريئاً مِنْ ذميمِ المَعائبِ
وكلهمُ من نور آدم أقْبَسوا وعن عُوده أَجْنَوْا ثمارَ المَناقبِ
وكان رسولُ اللهِ أكرمَ مُنْجَبٍ جرَى فى ظهورِ الطّيِّبين المَناجبِ
مُقَابَلَةٌ آباؤُه أمهــــاتِه مبرأة من فاضحـــــات المَثالبِ
عليـــــــه سلام الله فى كل شارق ألاحَ لنــــا ضَوْءاً وفى كلِّ غَاربِ

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّى فى تهذيبه ، من شعر الأستاذ أبى العباس عبد الله بن محمد الناشئ المعروف بابن شرشير .

أصله من الأنبار وَرَدَ بغـداد ثم ارتحل إلى مصر ، فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان متكلما معتزلياً ، يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعرى فى كتابه « المقالات » فيما يحكى عن المعتزلة .

وكان شاعراً مُطْبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يعاكس الشعراء فى المعانى ، فينظم فى مخالفتهم ويبتـكر مالا يطيقونه من المعانى البديعة والألفاظ البايغة ، حتى نسبه بعضهم إلى التهوس والاختلاط .

وذكر الخطيب البغدادى أن له قصيدة على قافية واحدة قريبا من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم ، وأرخ وفاته كما ذكرنا .

قلت : وهـذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاعه، واقتداره على نظم هذا النسب الشريف فى سِلْك شعره وغوصه على هذه المعانى التى هى جواهر نفيسة من قاموس بحره . فرحمه الله وأثابه وأحسن مصيره وإيابه .

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان مَعَدٌّ وعَكٌّ .

قال السهيلى : ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث ، وآخر يقال له المذهب . قال : وقد ذكر أيضا فى بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمعدٍّ لا ابن عدنان . قال : وقيل إن عدن الذى تعرف به مدينة عدن ، وكذلك أَبْين ، كانا ابنين لعدنان . حكاه الطبرى .

فتزوج عَكٌّ فى الأشعريين وسكن فى بلادهم من اليمن ، فصارت لغتهم واحدة ، فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم ، فيقولون : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث . ويقال : عك بن عدنان بن الذيب بن عبد الله بن الأسد . ويقال : الريث بدل الذيب . والصحيح ماذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس :

وعَكٌّ بن عَدْنَان الذين تَلَعَّبوا بغَسَّان حتى طرِّدوا كُلَّ مَطْرَدِ

وأما مَعَدٌّ فولد له أربعة : نِزَارٌ وقضاعة وقَنَص وإياد . وكان قُضَاعة بِكْره وبه كان يُكْنى . وقد قدمنا الخلافَ فى قُضَاعة ، ولكن هذا هو الصحيح عند ابن إسحاق وغيره . والله أعلم .

وأما قَنَص : فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية ، إلا أن النعمان بن المنذر الذى كان نائبا لكسرى على الحِيرة كان من سلالته ، على قول طائفة من السلف . وقيل : بل كان من حِمْير ، كما تقدم . والله أعلم .

وأما نزار فولد له ربيعةُ ومُضَر وأنمار . قال ابن هشام : وإياد بن نزار ، كما قال الشاعر :

وفُتُوٌّ (١) حَسَنٌ أَوْجُهُم مِنْ إيادِ بن نِزَار بن مَعَدّ

قال : وإياد ومضر شقيقان، أمهما سَوْدَة بنت عَكّ بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار شُقَيقة بنت عَكّ بن عدنان . ويقال جُمْعَة بنت عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : فأما أنمار فهو والد خَثْعم وبَجِيلة (٢) ، قبيلة جرير ابن عبد الله البَجَلى . قال : وقد تيامنت فاحقت باليمن .

قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون أنمار بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ .

قلت : والحديث المتقدم فى ذكر سبأ يدل على هذا . والله أعلم .

قالوا : وكان مُضَر أولَ مَنْ حدَا ، وذلك لأنه كان حَسَن الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده ، فجعل يقول وايدَياه وايدياه فأعْنَقت الإبلُ لذلك .

قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رَجلين : ألياس (٣) وعَيْلان .

وولد لالياس مُدْرِكة وطابخة وقَمَعة ، وأمهم خِنْــدف بنت عمران بن الحاف ابن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عَمْراً ، ولـكن اصطادا صيداً ، فبينا هما يطبخانه إذ نفرت الإبل، فذهب عامر فى طلبها حتى أدركها ، وجلس الآخر يطبخ ، فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقــال لعامر : أنت مُدْركة . وقال لعمرو : أنت

---

(١) فتو : جمع فتى . (٢) لا يراعى ابن كثير الحرفية فى نقله عن ابن هشام فى مواضع كثيرة بل ينقل بالمعنى . فثلا نص كلام ابن إسحق هنا : فأنمار أبو خثعم وبجيلة. وغالب نقل ابن كثير عن ابن إسحق وابن هشام ليس بالنص .

(٣) قال ابن دريد : يمكن أن يكون اشتقاق إلياس من قولهم يئس ييئس يأسا ثم أدخلوا على اليأس الألف واللام. ويمكن أن يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس ، أى شجاع ، وهو غاية مايوصف به الشجاع؛ هذا لمن يهمز إلياس . والتفسير الأول أحب إلى . الاشتقاق ٣٠

طابخة . قال : وأما قَمَعَة فيزعم نُسَّاب مُضَر أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَىٍّ بن قَمَعَة بن الياس .

قلت : والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حِمْير كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فولَد مُدْركةُ خزيمةَ وهُذَيلاً وأمهما امرأة من قُضَاعة .

وولد خزيمة كنانةَ وأسَداً وأَسَدَة والهُونَ .

قال : وولد كنانة النَّضْرَ ومالكا وعبدَمناة ومِلْكان وزاد أبو جعفر الطبرى فى أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة : عامراً والحارث والنضير . وغنما وسعداً وعوفا وجرولا والجرال وغزوان .

الكلام على قريش نسبا واشتقاقا وفضلا ، وهم بنو النَّضْر بن كنانة

قال ابن إسحاق : وأمُّ النضر برَّة بنت مرّ بن أُدّ بن طابخة [بن الياس بن مضر](١) وسائر بنيه لامرأة أخرى . وخالفه ابن هشام فجعل بَرّة بنتَ مرّ أُمَّ النَّضْرِ ومالكٍ ومِلْكان . وأمُّ عبد مناة هَالَةُ بنت سُويد بن الغِطْريف من أَزْد شنوءة .

قال ابن هشام : النَّضْر هو قريش ، فمَنْ كان مِنْ وَلدِه فهو قُرَشِىٌّ ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال: و يقال فِهْر بن مالك هو قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي .

وهذان القولان قد حكاهما غيرُ واحد من أئمة النسب كالشيخ أبى عُمَر بن عبد البَرّ والزُّبَيْر بن بكَّار ومُصْعَب وغير واحد .

قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذى عليه الأكثرون أنه النَّضْر بن كِنانة ، لحديث

---

(١) عن ابن هشام.

الأشعث[1] بن قيس . قلت : وهو الذى نَصَّ عليه هشامُ بن محمد بن السائب الكَلْبى وأبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى ، وهو جادَّة مذهب الشافعى رضى الله عنه .

ثم اختار أبو عُمَر أنه فِهْر بن مالك ، واحتج بأنه ليس أحد اليومَ مِمن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع فى نسبه إلى فِهْر بن مالك . ثم حكى اختيارَ هذا القول عن الزُّبير ابن بكَّار ومُصْعَب الزُّبَيْرى وعلىٌّ بن كيسان . قال : وإليهم المرجع فى هذا الشأن ، وقد قال الزبير بن بكار : وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فِهْر بن مالك . والذى عليه من أدركتُ من نُسَّاب قريش أنَّ وَلَد فِهْر بن مالك قُرَشِىٌّ ، وأنَّ من جاوز فِهْر بن مالك بنسبه فليس من قريش . ثم نَصَر هذا القولَ نصراً عزيزاً وتحامى له بأنه ونحوه أَعْلَمُ بأنساب قومِهم وأحفظ لمآثرهم .

وقد روى البخارى من حديث كليب بن وائل قال : قلت لربيبة النبى صلى الله عليه وسلم ، يعنى زينب ، [بنت أبى سلمة][2] ، فى حديث ذكره : أخبرينى عن النبى صلى الله عليه وسلم أكان من مُضَر ؟ قالت : فمَّن كان إلا من مُضَر من بنى النَّضْر بن كنانة[3] .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهانى ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البَجَلى ، حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبيه ، عن الجشيش الكِنْدى قال : جاء قوم من كِنْدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أنت منا . وادَّعَوه ، فقال : « لا ، نحن بنو النَّضْر ابن كنانة لا نَقْفُوا[4] أُمَّنا ولا نَنْتفى مِنْ أبينا » .

وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد : حدثنا أبى ، حدثنا الكَلْبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال: جاء رجل من كِنْدة يقال له الجشيش إلى النبى صلى الله

(١) المطبوعة : الأسعد . وهو خطأ (٢) من البخارى . (٣) البخارى ٢/١٣٢ .

(٤) لانقفوا أمنا: لا نتهمها ولا نقذفها ، يقال قفا فلان فلانا إذا قذفه بما ليس فيه ، وقيل معناه لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات . النهاية ٢/٣٠٣ .

عليه وسلم فقال : يارسول الله إنا نزعم أن عبد مناف مِنّا . فأَعْرَض عنه . ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه . ثم عاد فقال مثل ذلك .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النَّضْر بن كِنانة لا نقفوا أمَّنَا ولا نَنْتَفِي من أبينا » .

فقال الأشعث : ألا كنتَ سكتَّ من المرة الأولى !

فأبطل ذلك قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذا غريب أيضا من هذا الوجه ، والكلبي ضعيف . والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز وعفان ، قالا حدثنا حماد بن سلمة ، قال حدثني عقيل بن أبي طلحة . وقال عفان : عقيل بن طلحة السلمى ، عن مسلم بن الهيصم ، عن الأشعث بن قيس أنه قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى وفد كندة ، قال عفان : لا يرونى أفضلَهم . قال فقلت : يارسول الله إنا نزعم أنكم منا . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النَّضْر بن كِنانة لا نَقْفوا أمَّنَا ولا ننتفى من أبينا » .

قال فقال الأشعث بن قيس : فوالله لا أسمع أحداً نَفَى قريشاً من النَّضْر بن كنانة إلا جلدتُه الحدَّ .

وهكذا رواه ابن ماجة من طرق عن حماد ابن سلمة به .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو فيصل فى هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه . والله أعلم . ولله الحمد والمنة .

وقد قال جرير بن عطية التميمى يمدح هشامَ بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التى وَلَدَتْ قريشاً ... بمُقْرِفَة النِّجَارِ[1] ولا عقيمِ

(١) المقرفة : التى تأتى بما يشين النسب .

وما قَوْمٌ بأَنْجَبَ من أبيكُمْ ولا خالٌ بأَكْرَم مِنْ تميمِ

قال ابن هشام: يعنى أمَّ النضر بن كنانة، وهى بَرَّة بنت مُرٍّ أخت تميم بن مر.

* * *

وأما اشتقاق قُرَيش فقيل من التَّقَرُّش وهو التجمع بعد التفرق، وذلك فى زمن قُصَى بن كلاب، فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحَرَم، كما سيأتى بيانه. وقد قال حذافة ابن غانم العدوى:

أبو كم قُصَىٌّ كان يدعى مُجَمِّعا به جَمَع الله القبائلَ مِنْ فِهْرِ

وقال بعضهم: كان قصى يقال له قريش. قيل: من التجمع، والتقرّش التجمّع كما قال أبو خلدة اليَشْكُرى:

إخوة قَرَّشوا الذنوب علينا فى حديثٍ من دهرنا[1] وقديم

وقيل: سميت قريش من التقرُّش، وهو التكسُّب والتجارة. حكاه ابن هشام رحمه الله.

وقال الجوهرى: القَرْشُ: الكسب والجمع، وقد قَرَش يَقرِش. قال الفراء: وبه سمِّيت قريش، وهى قبيلة وأبوهم النَّضْر بن كنانة، فكلُّ مَنْ كان من ولده فهو قُرَشى دون ولد كنانة فما فوقه.

وقيل: من التفتيش، قال هشام بن الكلبى: كان النضر بن كنانة يُسَمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خَلّة الناس وحاجتهم فيسدُّها بماله، والتقريش هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيَرْفدونهم بما يُبلغهم بلادَهم. فسموا بذلك مِنْ فعلهم وقَرْشهم قُرَيشاً.

(١) ابن هشام: من عمرنا.

وقد قال الحارث بن حِلِزة فى بيان أن التقرش التفتيش :

أيها الناطق المقرِّش عنا عِنْدَ عمروٍ فهل له إبقاء

حكى ذلك الزبير بن بكار .

وقيل : قُرَيش تصغير قرش وهو دابة فى البحر . قال بعض الشعراء :

وقريشٌ هى التى تسكن البَحْ رَ بها سُمِّيَتْ قريشٌ قُرَيْشَا

قال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو الحسن على بن عيسى الماليني ، حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوى ، أن أبا كريب حدثهم ، حدثنا وكيع ابن الجراح ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أبى ركانة العامرى ، أن معاوية قال لابن عباس : فلم سميت قريش قريشاً ؟ فقال : لدابة تكون فى البحر ، تكون أعظم دوابه يقال لها القرش ، لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته . قال : فأنشدنى فى ذلك شيئاً . فأنشده شعر الجمحى إذ يقول :

وقريشٌ هى التى تَسْكُن البَحْ رَ بها سُمِّيَتْ قريشٌ قُرَيْشَا

تأكل الغثَّ والسمينَ ولا تتركنّ لذى الجناحين رِيشَا

هكذا فى البــلاد حىُّ قريش يأكلون البلادَ أكلا كَميشا [1]

ولهم آخرَ الزمان نبىٌّ يُكْثِر القتلَ فيهمُ والخموشا [2]

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وكان دليل بنى النضر وصاحب ميرتهم ، فكانت العرب تقول : قد جاءت عيرُ قريش . قالوا : وابنه [3] بدر بن قريش هو الذى حفر البئر المنسوبة إليه التى كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله أعلم .

---

(١) الكميش : الشديد . (٢) هذا البيت غير صادق وعليه مسحة الوضع ، ومن الواضح أن قريشا لم تفقد فى قتالها للنبى إلا عددا قليلا ، فى بدر وأحد والخندق ، وفى فتح مكة . فالمظنون أن القافية هى التى حكمت على واضع هذا البيت بأن يهذى بهذا الكلام . (٣) المطبوعة : وابن

ويقال فى النسبة إلى قريش : قُرَشى وقُرَيْشى . قال الجوهرى : وهو القياسِ . قال الشاعر .

لِكُلِّ قُرَيْشِيٍّ عليه مهابةٌ   سريعٌ إلى داعى النَّدَى والتَّكَرُّمِ

قال : فإذا أردتَ بقريش الحىَّ صَرَفْتَه ، وإن أردت القبيلَة مَنَعْته . قال الشاعر فى ترك الصَّرْف :

* وكَفَى قُرَيشَ المُعْضِلاَتِ وسادَها *

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى عمر والأوزاعى قال : حدثنى شداد أبو عمار ، حدثنى واثلة بن الأسقع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » .

قال أبو عمر بن عبد البر : يقال : بنو عبد المطلب فصيلةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنو هاشم فَخِذه ، وبنو عبد مناف بَطْنُه ، وقريش عِمَارته ، وبنو كنانة قبيلتُه ، ومُضر شَعْبه ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

* * *

ثم قال ابن إسحاق : فولد النَّضْرُ بن كنانة مالكا ويَخْلُداً . قال ابن هشام : والصَّلْتَ . وأمُّهم جميعا بنتُ سعد بن الظَّرِب العَدْوانى .

قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ، وهو كُثير عزَّة أحد بنى مُلَيح بن عمرو من خزاعة :

أليس أَبِى بالصَّلْتِ أم ليس إخوتى   لكلِّ هِجَانٍ من بنى النَّضْرِ أَزْهَرَا
رأيت ثياب العَصْبِ مختلط السَّدَى   بنا وبهم والحَضْرَمىَّ المُخَصَّرَا

فإن لم تكونوا من بَنِي النَّضْرِ فاتركوا أَرَاكاً بأذناب الفوَائج[1] أَخْضَرا

قال ابن هشام : وبنو مايح بن عمرو يُعْزَوْن إلى الصَّلت بن النَّضْر .

قال ابن إسحاق : فولد مالكُ بنُ النضر فِهرَ بن مالك . وأمه جَنْدلة بنت الحارث ابن مُضَاض الأصغر . وولد فِهرٌ غالباً ومحارِباً والحارثَ وأَسَداً . وأمُّهم ليلى بنت سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنتِ فهر .

قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بن فهر لُؤَيَّ بن غالب ، وتَيْمَ بن غالب ، وهم الذين يقال لهم بنو الأَدْرَم . وأمهما سَلْمى بنت عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الُخزَاعى ، وهى أم لؤى [وتيم ابن غالب[2]]

قال ابن إسحاق : فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كَعْبَا وعامراً وسَامَة وعَوْفاً . قال ابن هشام : ويقال والحارث . وهم جشم بن الحارث فى هِزَّان من ربيعة . وسعدَ بن لؤى وهم بُنَانة فى شيبان بن ثعلبة . وبُنَانة حاضنة لهم . وخزيمةُ بن لؤى وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق خبر سَامةَ بن لُؤَىّ ، وأنه خرج إلى عُمان فكان بها ، وذلك لشنآن كان بينه وبين أخيه عامر ، فأخافه عامر ، فخرج عنه هاربا إلى عمان ، وأنه مات بها غريبا ، وذلك أنه كان يَرْعى ناقته فعلقت حية بمِشْفرها فوقعت لشِقِّها ،

(١) الفوائج : متسع ما بين كلا مرتفعين من غلظ أو رمل واحدتها فائجة .
(٢) عن ابن هشام .

ثم نهشت الحيةُ سامةَ حتى قتلته ، فيقال إنه كتب بإصبعه على الأرض :

عَيْنُ فابكى لسامة بن لُؤَيٍّ   عَلِقَتْ ما بسامةَ[1] العَلاَّقَهْ
لا أرى مِثْلَ سامةَ بن لُؤَيٍّ   يومَ حلُّوا به قتيلاً لناقهْ
بَلِّغا عامراً وكَعْبا رسولاً   أنَّ نفسى إليهما مُشْتَاقَهْ
إن تكن فى عُمَان دارى فإنى   غالبىٌّ خرجت من غير فاقه[2]
رُبَّ كأسٍ هرَقْتَ يا ابنَ لُؤَيٍّ   حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَهْ
رُمْتَ دَفْعَ الحُتُوف يابن لُؤَيٍّ   ما لِمَنْ رامَ ذاك بالحَتْفِ طاقَهْ
وخَرُوسِ السُّرَى[3] تركتَ رَزِيًّا   بَعْدَ جِدٍّ وحِدَّةٍ وَرَشَاقَهْ

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لُؤَىٍّ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألشاعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رُبَّ كأسٍ هرَقْتَ يابن لُؤَيٍّ   حَذَرَ الموت لم تكن مُهْرَاقَهْ

فقال أجل . وذكر السهيلى عن بعضهم أنه لم يُعْقِبْ . وقال الزبير : ولد سامةُ بن لُؤَىٍّ غالباً والنبيت والحارث . قالوا : وكانت له ذرية بالعراق يبغضون عليًّا ، ومنهم على بن الجعد ، كان يشتم أباه لكونه سماه عليا . ومن بنى سَامَة بن لؤى محمدُ بن عرعرة ابن اليزيد شيخ البخارى .

* * *

قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لُؤَى فإنه خرج ، فيما يزعمون ، فى رَكْبٍ من قريش ، حتى إذا كان بأرض غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان أُبْطِىء به فانطلق

---

(١) فى الأغانى : علقت ساق سامة العلاقة .

(٢) ابن هشام : من غير نلقة . وما هنا أوضح .

(٣) خروس السرى : صامتة صابرة .

من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه فى نسب بنى ذُبْيان فحبسه وزَوَّجه والتاطه[1] وآخاه ، فشاع نسبه فى ذُبْيان .

وثعلبةُ فيما يزعمون [الذى يقول لعوف حين أُبْطِئَ به فتركه قومه :

احبسْ علىَّ ابنَ لؤىٍّ جَمَلَكْ تركَكَ القومُ ولا مَتْرَكَ لَكْ] [2]

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَين ، أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مُدّعيا حَيًّا من العرب أو مُلْحِقهم بنا لا دعيت بنى مُرَّة بن عوف ، إنا لنعرف منهم [3] الأشباه مع ما نَعْرِف من مَوْقع ذلك الرجل حيث وَقَع . يعنى عوف بن لُؤَىّ .

قال ابن إسحاق : وحدَّثنى من لا أَتَّهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال [منهم [4]] من بنى مُرَّة : إن شئتم أن ترْجَعوا إلى نَسَبكم فارجعوا إليه .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافاً فى غَطفان ، هم سادتهم وقادتهم ، قومٌ لهم صيت فى غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نَسَبهم . قال وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نَسَبهم : ما نُنْكره وما نَجْحده ، وإنه لأحبُّ النَّسَب إلينا ، ثم ذكر أشعارهم فى انتمائهم إلى لُؤَى .

قال ابن إسحاق : وفيهم كان البَسْلُ ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك و يَأْمنونهم فيها ويُؤْمنونهم أيضا .

قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرِّمون أربعة أشهر من السَّنة ، وهى ذو القَعْدة وذو الحِجَّة، والمحرَّم ، واختلفت ربيعة ومُضَرُ فى الرابع وهو رجب ، فقالت : مُضَر : هو

---

(١) التاطه : ألصقه به . (٢) سقطت من المطبوعة . (٣) ابن هشام : فيهم .
(٤) ليست فى ابن هشام

الذى بين جُمَادى وشعبان . وقالت ربيعة : هو الذى بين شعبان وشوال .

وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى بَكْرة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنةُ اثنا عشرشهرا منها أربعة حُرُم ثلاث متواليات : ذو القَعْدة وذو الحِجة والمحرّم ، ورجبُ مُضر الذى بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لاربيعة .

وقد قال الله عز وجل « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ »[1] فهذا رَدٌّ على بنى عوف بن لؤى فى جَعْلهم الأشهرَ الحُرَمَ ثمانيةً ؛ فزادوا على حُكْم الله وأدخلوا فيه ماليس منه .

وقوله فى الحديث : « ثلاثٌ متواليات » رَدٌّ على أهل النَّسِيء الذين كانوا يؤخّرون تحريم المحرَّم إلى صَفَر . وقوله فيه : « ورجب مُضَر » ردٌّ على ربيعة .

***

قال ابن إسحاق : فولد كعبُ بن لُؤَىّ ثلاثةً ، مُرّةً ، وعَدِيًّا ، وهُصَيْصاً .

وولد مُرّةُ ، ثلاثةً أيضا : كلابَ بن مُرّة ، وتَيْمَ بن مرة ، ويَقَظَة بن مرة ، من أمهات ثلاث .

قال : وولد كلابٌ رجلين : قُصَيَّ بن كِلَاب وزُهْرة بن كلاب ، وأمهما فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد الجَدَرَة من جُعْثُمة الأَسْد من اليمن حلفاء بنى الدِّيل بن بَكْر بن عبد مناة بن كنانة ، وفى أبيها يقول الشاعر :

مانَرَى فى الناس شخصاً واحداً   مَنْ عَلِمْناه كسَعْدِ بن سَيَلْ

---

(١) سورة التوبة ٣٦

فارساً أَضْبَطَ فيــه عُسْرةٌ [1] وإذا ماواقف القِرْن نَزَلْ
فارساً يَسْتَدْرِج الخَيْــل كما اسـ تدرج الحرُّ القطامىُّ الحَجَلْ [2]

قال السهيلى : سَيَل اسمه خَيْرُ بن جمالة وهو أول من طليت له السيوف بالذهب والفضة .

قال ابن إسحاق : وإنما سُمُّوا الجَدَرة لأن عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مُضَاض الجُرْهمى ، وكانت جرهم إذ ذاك وُلاةَ البيت ، فبَنَى للكعبة جداراً ، فسمى عامرٌ بذلك الجادِرَ فقيل لولده الجَدَرَةَ لذلك .

خَبَر قُصَىٍّ بن كِلاب ، وما كان من أمره فى ارتجاعه ولاية البيت إلى قريش ، وانتزاعه ذلك من خزاعة ، واجتماع قريش إلى الحرم الذى جعله الله أمناً للعباد ، بعد تفرقها فى البلاد وتمزقها فى الجبال والمهاد

وذلك أنه لما مات أبوه كِلَاب تزوّج أمَّه ربيعةُ بن حَرَام من عُذْرَةَ ، وخرج بها وبه إلى بلاده ، ثم قَدِم قصىٌّ مكةَ وهو شاب ، فتزوج حُبَّى ابنــة رئيس خزاعة حُلَيل ابن حُبْشية .

فأما خزاعة فتزعم أن حُلَيْلا أَوْصَى إلى قُصَىّ بولاية البيت لِمَا رأى من كثرة نَسْله من ابنته ، وقال أنت أحق بذلك منى . قال ابن إسحاق : ولم نَسْمع ذلك إلا منهم ، وأما غيرهم فإنهم يزعمون أنه استغاث بإخوته من أمه وكان رئيسَهم رِزَاحُ بن ربيعة وإخوته ، وبنى كنانة وقُضَاعة ومَنْ حَوْل مكة من قريش وغيرهم ، فأجلاهم عن البيت واستقلّ هو بولاية البيت .

---

(١) الأضبط : الأعسر اليسر الذى يعمل بكلتا يديه .

(٢) الحر القطامى : الصقر . والحجل جمع حجلة وهى القبجة .

لأن إجازة الحجيج كانت إلى صُوفَة ، وهم بنو الغَوْث بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن أُلياس بن مُضَر ، فكان الناس لا يرمون الجمارَ حتى يرموا ، ولا يَنفِرون من مِنًى حتى يَنْفِروا ، فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا .

فَوَرِثَهم ذلك بالقُعْدُد[1] بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، فكان أولَهم صفوانُ بن الحارث بن شِجْنة بن عُطَارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان ذلك فى بيته حتى قام على آخرهم الإسلام ، وهو كَرِب بن صفوان .

وكانت الإجازة من المزدلفة فى عَدْوان ، حتى قام الإسلام على آخرهم وهو أبو سَيَّارة عميلة بن الأعزل ، وقيل اسمه العاص واسم الأعزل خالد ، وكان يجيز بالناس على أتان له عوراء ، مكث يدفع عليها فى الموقِف أربعين سنة ، وهو أول من جعل الدية مائة ، وأول من كان يقول : أشرق ثَبِير كَيْما نُغِير . حكاه السهيلى .

وكان عامر بن الظَّرِب العَدْوانى لا يكون بين العرب نائرةٌ إلا تحاكموا إليه فيرضون بما يَقْضى به . فتحاكموا إليه مرة فى ميراث خنثى ، فبات ليلته ساهراً يتروّى ماذا يحكم به ، فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سُخَيْلة ، فقالت له : مالك لا أبالك الليلةَ ساهراً ؟ فذكر لها ما هو مفكّر فيه ، وقال لعلها يكون عندها فى ذلك شىء فقالت : أَتبِع القضاءَ المَبَال . فقال : فَرَّجْتِها والله يا سُخَيلة . وحَكَم بذلك .

قال السهيلى : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل فى الشرع ، قال الله تعالى : ﴿ وجاءوا على قَميصه بِدَمٍ كَذِب[2] ﴾ حيث لا أثر لأنياب الذئب فيه ، وقال تعالى : ﴿ إن كان قَميصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبين ، وإن كان قميصُه قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ[3] ﴾ . وفى الحديث : « أَنظِروها ، فإن جاءت به أَوْرَق جَعْدا جماليا فهو للذى رُميت به » .

---

(١) القعدد : قرب النسب . (٢) سورة يوسف ١٨ (٣) سورة يوسف ٢٦ ، ٢٧

قال ابن إسحاق : وكان النَّسِيء فى بنى فُقَيم بن عَدِىّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

قال ابن إسحاق : وكان أول من نَسَــأ الشهور على العرب القَلمَّس ، وهو حُذَيفة ابن عَبْد بن فُقَيْم ابن عدى ، ثم قام بعده ابنه عَبَّاد ثم قَلَع بن عباد ، ثم أمية بن قالع ، ثم عوف بن أمية ، ثم كان آخرهم أبو ثمامة جُنَادة بن عوف بن قَلَع بن عباد بن حذيفة ، وهو القَلَمَّس ، فعلى أبى ثُمَامــة قام الإسلام .

وكانت العرب إذا فرغت من حَجِّها اجتمعت إليه فخطبهم فحرَّم الأشهرَ الحُرُمَ فإذا أراد أن يُحِلَّ منها شيئا أَحَلَّ المحرَّم وجَعَل مكانه صَفَرا ، ليواطئوا عِدَّة ماحَرَّم الله فيقول : اللهم إنى أحللت أحَدَ الصَّفَرين الصَّفَرَ الأول وأنسأت الآخر للعام المقبل . فتَتْبعه العرب فى ذلك ، ففى ذلك يقول عُمَير بن قيس أحد بنى فراس بن غَنْم بن مالك ابن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بجَذْلِ الطِّعَان :

لقد عَلِمَتْ مَعَدٌّ أنَّ قومى كرامُ الناس إنَّ لهم كِرَاماَ
فأىُّ الناسِ فَاتُونا بوِتْرٍ وأىُّ الناس لم نُعلِكْ لِجاماَ
ألَسْنَا النَّاسِئين على معَدٍّ شهورَ الحِلِّ نَجْعَلها حرَاماَ ؟

* * *

وكان قُصَىٌّ فى قومه سيدا رئيسا مطاعا معظَّما ، والمقصود أنه جَمَع قريشا من متفرِّقات مواضعهم من جزيرة العرب ، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خُزَاعة وإجلائهم عن البيت وتسليمه إلى قصى ، فكان بينهم قتال كثير ودماء غزيرة ، ثم تداعوا إلى التحكيم ، فتحاكموا إلى يَعْمُرَ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فحكم بأن قُصَيًّا أَوْلَى بالبيت من خُزَاعة ، وأن كلَّ دم أصابه قصىٌّ من خزاعة وبنى بكر موضوع يَشْدَخه تحت قدميه ، وأن ما أصابته خُزَاعــة

و بنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤدَّاة ، وأن يخلَّى بين قُصَىّ و بين مكةَ والكعبة . فسمِّى يَعمُرُ يومئذ الشَّدَّاخَ .

***

قال ابن إسحاق : فولى قصى البيتَ وأمرَ مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملَّك على قومه وأهلِ مكة فملَّكوه ، إلا أنه أقرَّ العربَ على ما كانوا عليه لأنه يرى ذلك دِيناً فى نفسه لا ينبغى تغييره ، فأقرَّ آلَ صفوان وعَدْوَان والنَّسَأة ومُرَّةَ بن عوْف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله .

قال : فكان قصىّ أولَ بنى كعب أصاب مُلْكاً أطاع له به قومه ، وكانت إليه الحجابةُ والسقاية والرِّفادةُ والندوة واللواء ، فحاز شَرَف مكة كله ، وقطع مكة رِبَاعا بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قريش منازلَهم من مكة .

قلت : فرجع الحق إلى نصابه ، ورُدَّ شاردُ العَدْل بعد إيابه ، واستقرّت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المرادَ والأوطار ، وتسلّمت بيتهم العتيق القديم ، لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الأوثان ونَصْبها إياها حول الكعبة ، ونَحْرهم لها وتضرعهم عندها ، واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها .

وأنزل قصىٌّ قبائلَ قريش أباطحَ مكة ، وأنزل طائفة منهم ظواهرها ، فكان يقال قريشُ البِطاح ، وقريش الظواهر .

فكانت لقصىّ بن كلاب جميع الرئاسة ، من حِجَابة البيت وسَدَانته واللواء ، وبنى داراً لإزاحة الظلمات وفَصْل الخصومات سمّاها دار النَّدْوة ، إذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشْتَوَرُوا فيها وفصلوها ، ولا يعقد عَقْدُ لواء ولا عقد نكاح إلا بها ، ولا تَبلُغ جاريةٌ أن تَدَرِع فتَدَّرِعَ إلا بها .

وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ، ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بَعْدَ بنى عبد الدار ، فباعها فى زمن معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه على بيعها معاوية وقال : بعت شَرَف قومك بمائة ألف .

فقال : إنما الشرفُ اليومَ بالتقوى ، والله لقد ابتعتها فى الجاهلية بزِقّ خمر ، وها أنا قد بعتها بمائة ألف ، وأشهدكم أن ثمنها صدقة فى سبيل الله ، فأينا المغبون ! .

ذكره الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ .

وكانت إليه سقايةُ الحجيج ، فلا يشربون إلا من ماء حياضه ، وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جُرْهم قد تناسوا أمرها مِنْ تَقَادُم عهدها ولا يهتدون إلى موضعها .

قال الواقدى : وكان قصى أول من أحدث وقيدَ النار بالمُزْدَلفة ليهتدى إليها من يأتى من عرفات .

والرفادةَ وهى إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم .

قال ابن إسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل مكة وأهل الحَرَم ، وإن الحُجَّاج ضيفُ الله وزُوَّار بيته ، وهم أحق بالضيافة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يَصْدُروا عنكم . ففعلوا ، فكانوا يُخْرجون لذلك فى كل عام من أموالهم خَرْجًا فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعامًا للناس أيامَ مِنًى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية حتى قام الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق . ثم أُمِر بإخراج طائفة من بيت المال فيُصْرف فى حَمْلِ زادٍ وماءٍ لأبناء السبيل القاصدين إلى الحج ، وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ، ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال مِنْ أَحَلِّ ما فيه ، والأولى أن يكون من جوالى الذمة لأنهم لا يحجون البيت العتيق ، وقد جاء فى الحديث :

« من استطاع الحجَّ فلم يحج فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيا » .

وقال قائلهم فى مدح قُصَىّ وشرفه فى قومه :

قُصَىٌّ لَعَمْرِى كان يُدْعَى مُجَمِّعا ... به جَمَع الله القبائلَ مِنْ فِهْرِ
هُمُ مَلَأُوا البطحاءَ مَجْدًا وسُؤْدَداً ... وهُمْ طَرَدوا عَنَّا غُوَاةَ بنى بَكْرِ

* * *

قال ابن إسحاق : ولما فرغ قصىّ من حربه انصرف أخوه رِزَاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه وإخوته من أبيه الثلاثة ، وهم حُنٌّ ومحمود وجُلْهُمَة . وقال رِزَاح فى إجابته قصيا :

ولما أتى مِنْ قُصَىٍّ رسولٌ ... فقال الرسولُ أجيبوا الخليلَا
نَهَضْنَا إليه نَقُودُ الجيادَ ... ونَطْرَح عنا المَلُولَ الثقيلَا
نَسِير بها الليلَ حتى الصباحِ ... ونَكْمِى[1] النهار لئلا نَزُولَا
فهُنَّ سِراعٌ كورْدِ القَطَا ... يُجِبْنَ بنا من قُصَىٍّ رسولَا
جمعنا من السِّرّ من أَشْمَذَيْن[2] ... ومن كل حىٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فيا لَكِ حَلْبَةُ ما ليلةٍ ... تزيد على الألف سَيْبًا رَسِيلا[3]
فلما مَرَرْن على عَسْجَرٍ ... وأَسْهَلْنَ مِنْ مُسْتَنَاخٍ سبيلَا
وجاوزن بالركن من وَرِقان ... وجاوزن بالعَرْج حيًّا حُلولا
مَرَرْنَ على الحِلِّ[4] ما ذُقْنَهُ ... وعالَجْنَ مِن مَرٍّ ليلًا طويلًا
نُدَنِّى من العُوذِ أفلاءها[5] ... إرادةَ أَنْ يَسْتَرِقْنَ الصَّهيلا
فلما انتهينا إلى مكةٍ ... أَبَحْنَا الرجالَ قبيلًا قبيلَا
نُعَاوِرهم ثَمَّ حَدَّ السيوف ... وفى كل أَوْبٍ خَلَسْنَا العقولا

(١) نكمى : نستتر ونختبىء (٢) الأشمذان : قبيلتان أو جبلان بين المدينة وخيبر
(٣) أى عدداً كثيراً . (٤) الحلى : مدينة باليمن على ساحل البحر ، وذكر السهيلى أن الحلى نبت وتروى : الحل وهى بقلة شاكة (٥) العوذ : الحديثات النتاج . والأفلاء : جمع فلو وهو المهر الفطيم .

نخبِّزهم بصـــــلاب النسو ... رِ خَبْزَ القوىِّ العزيزِ الذليلا [1]
قَتلنـــــا خُزَاعة فى دارها ... وبَكْراً قتلنـــا وجيلا فجيلا
نفينـــــاهمُ من بلاد المليك ... كما لا يَحُلُّون أرضاً سُهولَا
فأصبح سَبْيُهُم فى الحـــديد ... ومِنْ كل حَيٍّ شَفَيْنا الغَليلاَ

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح إلى بلاده نشره الله ونشر حُنّا ، فهما قَبيلا عُذْرة إلى اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال قصى بن كلاب فى ذلك [2] :

أنا ابن العاصِمين بنى لُؤَىٍّ ... بمكة مَنْزِلى وبهـــا رَبيتُ
إلى البطحاء قـــد عَلِمت مَعَدٌّ ... ومَرْوَتها رضيتُ بهـا رضيتُ
فلست لغالب إن لم تَأَثَّلْ ... بهـــا أولادُ قَيْذَر والنبيتُ
رِزَاحٌ ناصرى وبه أُسَامِى ... فلست أخاف ضَيْماً ماحييتُ

وقد ذكر الأموى عن الأشرم ، عن أبى عبيدة ، عن محمد بن حفص ، أن رِزَاحا إنما قدم بعدما نَفَى قصىٌّ خزاعةَ . والله أعلم .

فصل :

ثم لما كبر قصىٌّ فوّض أمرَ هذه الوظائف التى كانت إليه ، من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عَبْد الدار ، وكان أكبر ولده .

وإنما خصه بها كلها لأن بقية إخوته عبدِ مناف وعبد شمس وعبد كانوا قد شَرُفوا

---

(١) نخبزهم : نسوقهم سوقا شديدا . وصلاب النسور : الخيل (٢) هذا مما كان يصنع من الشعر ويدس فى السيرة ، وقصى ما كان يعلم نسبته السريانية ، وليت ابن اسحق عافانا من هذه الأشعار المهلهلة النسج التى يدرك الذوق أنها مختلقة مصنوعة .

فى زمن أبيهم وبلغوا فى قوتهم شرفاً كبيراً ، فأحبَّ قصى أن يُلْحق بهم عبدَ الدار فى السؤدد نخصه بذلك ، فكان إخوته لا ينازعونه فى ذلك .

فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم فى ذلك وقالوا إنما خص قصىٌّ عبدَ الدار بذلك ليلحقه بإخوته ، فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه .

وقال بنو عبد الدار : هذا أمر جعله لنا قصى ، فنحن أحق به .

واختلفوا اختلافا كثيراً ، وانقسمت بطون قريش فرقتين ، ففرقة بايعتْ عبدَ الدار وحالفتهم ، وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على ذلك ، ووضعوا أيديهم عند الحِلْف فى جَفْنة فيها طِيب ، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسُمُّوا حِلْف المُطَيَّبين .

وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العُزَّى بن قصى ، وبنو زُهْرة ، وبنو تَيْم ، وبنو الحارث بن فِهر ، وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم ، وبنو سَهْم ، وبنو جُمَح ، وبنو عَدِى . واعتزلت بنو عامر ابن لؤى ومحاربُ بن فِهر الجميعَ ، فلم يكونوا مع واحد منهما .

ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبنى عبد مناف ، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة فى بنى عبد الدار ؛ فانبرم الأمر على ذلك واستمر .

وحكى الأموى عن الأشرم ، عن أبى عبيدة قال : وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حُبَّى بنت حُلَيْل وثَقُل حليل عن ولاية البيت جعلها إلى ابنته حُبَّى واستناب عنها أبا غُبْشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، فاشترى قصى ولايةَ البيت منه بزق خمر وقَعُود ، فكان يقال : «أَخْسَر من صفقة أبى غبشان» . ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصى ، فاستنصر أخاه فقَدِم بمن معه ، وكان ما كان . ثم فوَّض قصى هذه الجهات التى كانت إليه من السدانة والحجابة واللواء

والندوة والرفادة والسقاية إلى ابنه عبد الدار كما سيأتى تفصيله وإيضاحه ، وأقر الإجازة من مزدلفة فى بنى عَدْوان ، وأقرَّ النسىء فى فُقَيْم ، وأقر الإجازة وهو النَّفْر فى صُوفَة ، كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك .

* * *

قال ابن إسحاق : فولد قصىٌّ أربعة نفر وامرأتين : عبدَ مناف ، وعبد الدار ، وعبد العُزَّى وعَبْدًا ، وتَخْمُرُ ، وبرَّة ، وأمهم كلهم حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشِية بن سَلُول ابن كعب بن عمرو الخُزَاعى ، وهو آخر من ولى البيت من خزاعة ، ومن يده أخذ البيتَ قصىُّ بن كلاب .

قال ابن هشام(١) : فولد عبدُ مناف بن قصى أربعة نفر : هاشماً وعبدَ شمس والمطلبَ ، وأمهم عاتكةُ بنت مُرّة بن هلال . ونوفلَ بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية .

قال ابن هشام : وولد لعبد مناف أيضا : أبو عمرو وتُمَاضر وقلابة وحَيَّة ورَيْطة وأم الأخثم وأم سفيان .

قال ابن هشام : وولد هاشمُ بن عبد مناف أربعةَ نفر وخمسَ نسوة : عبدَ المطلب ، وأسداً ، وأبا صَيْفى ونَضْلَة والشَّفَّاء ، وخالدة ، وضَعِيفة ، ورُقَيَّة ، وحَيَّة . فأم عبدالمطلب ورقية سَلْمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنْم بن عَدِى بن النجار من المدينة . وذَكَر أمهات الباقين .

قال : وولد عبدُ المطلب عشرةَ نَفَر وستَّ نسوة ، وهم : العباس ، وحمزة ، وعبدالله ، وأبو طالب ، واسمه عبد مناف ، لا عمران(٢) ، والزبير ، والحارث وكان بِكْر أبيه وبه كان يكنى ، وجحل ، ومنهم من يقول حَجْل(٢) ، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره(٢) ،

---

(١) فى ابن هشام: قال ابن إسحق. (٢) هذه الجمل تعليقات من ابن كثير أدخلها فى كلام ابن إسحق.

والمقوَّم ، وضرار ، وأبو لهب واسمه عبد العزى ، وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة وأَرْوَى ، وبَرَّة ، وذَكَر أمهاتهم . إلى أن قال : وأمُّ عبد الله وأبى طالب والزبير وجميع النساء إلا صفية ، فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن أَلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

***

قال : فولد عبدُ الله محمداً رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم . وأمه آمنة بنتُ وهب ، بن عبد مناف ، بن زُهرة ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى . ثم ذكر أمهاتها فأغْرَق .

إلى أن قال : فهو أشرفُ ولد آدم حَسَباً وأفضلهم نسباً ، مِنْ قِبَل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

وقد تقدم حديث الأوزاعى عن شداد أبى عمار ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » . رواه مسلم .

وسيأتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، وسنورد عند سرد النسب الشريف فوائد أخر ليست هاهنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر جُمَـــل من الأحداث الواقعة فى زمن الجاهلية

قد تقدم ما كان من أخذ جُرْهم ولايةَ البيت من بنى إسماعيل، طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم، وما كان من تَوَثُّب خُزَاعة على جُرْهم وانتزاعهم ولايةَ البيت منهم، ثم ما كان من رجوع ذلك إلى قُصَىّ وبنيه واستمرار ذلك فى أيديهم إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأقرَّ تلك الوظائف على ما كانت عليه.

باب ذكر جماعة مشهورين كانوا فى الجاهلية

خـــبر خالد بن سِنَان العَبْسى الذى كان فى زمن الفترة

وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً. والله أعلم

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا أحمد بنَ زهير التسترى، حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازى، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا قيس بن الربيع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ قال: جاءت بنتُ خالد بن سنان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال «بنت نبى ضَيَّعه قومه».

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور، عن محمد بن الصلت، عن قيس، عن سالم، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: ذُكِر خالد بن سِنَان عنـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ذاك نبىٌّ ضيعه قومه».

ثم قال. ولا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وكان قيس بن الربيع ثقة فى نفسه إلا أنه كان ردىء الحفظ، وكان له ابن يُدْخل فى أحاديثه ماليس منها. والله أعلم.

قال البزار : وقد رواه الثورى عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير مرسلا . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا المعلى بن مهدى الموصلى ، قال حدثنا أبو عوانة ، عن أبى يونس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : « إنى أطفىء عنكم نار الحرّتين » فقال له رجل من قومه : والله ياخالد ماقلت لنا قط إلا حقا ، فما شأنك وشأن نار الحرّتين تزعم أنك تطفئها !

فخرج خالد ومعه أناس من قومه ، فيهم عُمارة بن زياد ، فأتوها فإذا هى تَخْرج من شق جبل ، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال : إن أبطأت عليكم فلا تَدْعونى باسمى . فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا ، فاستقبلها خالد ، فجعل يضربها بعصاه وهو يقول : بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أنى لا أخرج منها وثيابى بيدى . حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم ، فقال لهم عمارة بن زياد : والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج إليكم بعدُ . قالوا فادعوه باسمه . قال : فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه . فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه ، فقال ألم أنهكم أن تدعونى باسمى ، فقد والله قتلتمونى فادفنونى فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشونى فإنكم تجدونى حياً . فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن نَنْبشه . فقال لهم عمارة : لا تنبشوه لا والله لا تحدِّث مضر أنا ننبش موتانا . وقد كان قال لهم خالد : إن فى عكن امرأته لوحين ، فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ماتسألون عنه . قال ولا يمسهما حائض . فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهى حائض فذهب ما كان فيهما من علم (١) .

قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبى أضاعه قومه . قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان أتى النبى

---

(١) هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل ..

صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بابن أخى . فهذا السياق موقوف على ابن عباس ، وليس فيه أنه كان نبيا ، والمُرْسَلات التى فيهـا أنه نبى لا يحتج بها هاهنا . والأشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات ، فإنه إن كان فى زمن الفترة فقـد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا ، لأنه ليس بينى و بينه نبى» . و إن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال : (لِتُنْذِر قوماً ما أتاهم مِنْ نذيرٍ من قَبْلك)[١] .

وقد قال غير واحد من العلماء : إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً فى العرب ، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذى دعا به إبراهيم الخليل ، بانى الـكعبة المـكرمة التى جعلها الله قبلة لأهل الأرض شَرْعاً ، و بَشَّرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بَشَّر به عيسى بن مريم عليه السلام .

و بهذا المسلك بعينه يُرَدُّ ماذكره السهيلى وغيره من إرسال نبى من العرب يقال له شعيب بن ذى مهذم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين ، و بعث إلى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فـكذبوهما فسلط الله على العرب بُخْتنَصَّر ، فنال منهم من القتل والسَّبْى نحو مانال من بنى إسرائيل ، وذلك فى زمن مَعدّ بن عدنان .

والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يَدْعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لُحى بن قَمعة بن خِنْدف فى أخبار خُزاعة بعد جرهم .

---

(١) سورة السجدة ٣ .

ذكر حاتم الطائى أحد أجْواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرج بن امرئ القيس بن عدىّ بن أحزم بن أبى أحزم ، واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث ، بن طئ أبو سفَّانة الطائى ، والدُ عَدِىٍّ ، بن حاتم الصحابى ، كان جواداً ممدَّحًا فى الجاهلية ، وكذلك كان ابنه فى الإسلام .

وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة فى كرمه يطول ذكرها ، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، وإنما كان قصده السمعة والذِّكْر .

قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا عبيد بن واقد القيسى ، حدثنا أبو نصر هو الناجى ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال: ذُكِر : حاتم عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ذاك أراد أمراً فأدركه » .

حديث غريب . قال الدار قطنى تفرَّد به عبيد بن واقد ، عن أبى نصر الناجى ، ويقال إن اسمه حماد .

قال ابن عساكر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبى نصر الناجى وبين أبى نصر حماد ولم يُسَمِّ الناجى ، ووقع فى بعض روايات الحافظ ابن عساكر : عن أبى نصر شيبة الناجى والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن إسماعيل ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن مرى بن قطرى ، عن عدى بن حاتم ، قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبى كان يَصِل الرَّحِمَ ويفعل ويفعل ، فهل له فى ذلك ؟ يعنى من أجر قال : « إن أباك طلب شيئاً فأصابه » وهكذا رواه أبو يَعْلَى ، عن القواريرى ، عن غندر ، عن شعبة ،

عن سماك به . وقال: « إن أباكَ أراد أمراً فأدْرَكَه» يعنى الذِّكْرَ . وهكذارواه أبوالقاسم البغوى ، عن على بن الجعد ، عن شعبة به سواء .

وقد ثبت فى الصحيح فى الثلاثة الذين تُسَعَّر بهم جهنم ،منهم الرجل الذى يُنْفِق ليقال إنه كريم ، فيكون جزاؤه أن يقال ذلك فى الدنيا ، وكذا فى العالم والمجاهد . وفى الحديث الآخر فى الصحيح أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جُدْعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة فقالوا له : كان يَقْرى الضيفَ ويَعْتِق ويتصدق ، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : « إنه لم يقل يوماً من الدهر رَبِّ اغفرلى خطيئتى يوم الدين » هــذا وقد كان من الأجواد المشهورين أيضاً المطعِمين فى السنين المُمْحِلة والأوقات المرملة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنى أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العُمانى ، حــدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفى ، حدثنا ضرار بن صُرد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى حمزة الثمالى ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كميل بن زياد النخعى ، قال قال على بن أبى طالبٍ :« ياسبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس فى خير ! عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجل وقال : فداك أبى وأمى يا أميرالمؤمنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ! وما هو خير منه ، لمَّا أتى بسبايا طيئ وقعت جارية حمراء لَعْسا زلفاء عيطاء [1] شَمّاء الأنف ، معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين خدلَّجة الساقين [2] ، لَفَّاء الفخذين ، خميصة الخصْرين ، ضامرة الكشْحين ، مصقولة المَتْنين .

---

(١) اللعساء : الجارية فى لونها أدنى سواد مشربة من الحمرة . والزلفاء : الملساء والعيطاء : طويلة العنق .
(٢) الدرماء : التى لاتستبين كعوبها . والخدلجة : الممتلئة

قال : فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطابن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعلها فى فَيْئِى ، فلما تكلمتْ أُنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها ، فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلِّىَ عنى ولا تُشْمِتَ بى أحياءَ العرب ، فإنى ابنة سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الذِّمار ، ويَفُكّ العانى ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويَقْرِى الضيف ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يردَّ طالبَ حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم طيئْ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه ، خلُّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق » .

فقام أبو بردة بن نيار[1] فقال يارسول الله : والله يحب مكارم الأخلاق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق » .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى عمر بن بكر ، عن أبى عبد الرحمن الطائى — هو القاسم بن عدى — عن عثمان ؛ عن عَرَكِىّ بن حُلَيس الطائى ، عن أبيه ، عن جده ، وكان أخا عدى بن حاتم لأمه قال : قيل للنوَّار امرأة حاتم : حدثينا عن حاتم . قالت : كلٌّ أمره كان عَجَباً !

أصابتنا سنة حصَّت[2] كلَّ شيء ، فاقشعرت لها الأرض واغبرت لها السماء ، وضنَّت المَرَاضع على أولادها ، وراحت الإبلُ حُدْباً حَدَابير ماتَبِضُّ بقطرة[3] ، وحَلَقت[4] المالَ .

وإنا لفى ليلة صِنَّبر[5] بعيدة مابين الطرفين ، إذ تضاغى الأصْبيةُ من الجوع ،

(١) واسمه هانى بن نيار . الكنى والأسماء للدولابى ١٧ . وفى المطبوعة ينار . وهو خطأ .
(٢) الحص : حلق الشعر — والمعنى : أهلكت كل شيء (٣) الحدب : التى بدت حراقيفها . والحدابير : النوق الضامرة . (٤) الشعر والشعراء : جافت . (٥) صنبر : باردة .

عبدُ الله وعَدِىّ، وسَفَّانة، فو الله إنْ وجدنا شيئاً نعلِّلهم به، فقام إلى أحـد الصبيان فحمله، وقمت إلى الصبيّة فعللتها، فوالله إنْ سَكَتا إلا بعد هَدْأة من الليل، ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعلّلْناه حتى سكت وما كاد.

ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فأضجعنا الصبيان عليها، ونمت أنا وهو فى حجرة والصبيان بيننا، ثم أقبل علىَّ يعللنى لأنام، وعرفت مايريد فتناومتُ، فقال مالك أنمت؟ فسكت فقال: ما أرها إلا قد نامت. وما بى نوم.

فلما ادلهمَّ الليلُ وتهوَّرت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرِّجْل، إذا جانب البيت قد رفِـع، فقال من هذا؟ فولّى. حتى قلت إذا قد أسحرنا أو كِدْنا عاد فقال من هذا؟ قالت: جارتك فلانة ياأبا عَدِىّ، ماوجدت على أحدٍ مُعوَّلا غيرك، أتيتك من عند أصبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع. قال أَعْجِليهم علىَّ.

قالت النوار: فوثبت فقلت ماذا صنعت؟ اضطجع والله لقـد تضاغى أصبيتك فما وجـدتَ ماتعللهم، فـكيف بهذه وبولدها؟ فقال: اسكتى، فو الله لأشبعنك إن شاء الله.

قالت: فأقبلت تحمل اثنين وتمشى جنبتيها أربعة كأنها نعامة حولها رِئالها[1]، فقام إلى فرسه فوجأ بحربته فى لبَّته، ثم قدح زنده وأورى ناره، ثم جاء بمُدْية فـكشط عن جلده، ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال دونك. ثم قال: ابعثى صبيانك. فبعثَتهم. ثم قال: سوءةً، أتأكلون شيئاً دون أهل الصِّرْم! فجعل يطوف فيهم حتى هبُّوا وأقبلوا عليه والتفع فى ثوبه، ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا، والله ماذاق مُزْعة، وإنه لأحوجهم إليه، فأصبحنا وما على الأرض منه إلا عَظْمٌ أو حافر!

وقال الدارقطنى: حدثنى القاضى أبو عبدالله المحاملى، حدثنا عبد الله بن أبى سعد،

---

(١) الرئال: جمع رأل، ولد الظبية.

وحدثنا عثيم بن ثوابة بن حاتم الطائى ، عن أبيه ، عن جده قال : قالت امرأة حاتم لحاتم : يا أبا سَفانة أشتهى أن آكل أنا وأنت طعاما وحدنا ليس عايه أحد . فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ ، وأمر بالطعام فهيئ وهى مرخاة ستورها عليه وعليها ، فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلا تَطْبُخى قِدْرِى وسِتْرُكِ دُونَهَا ... علىَّ إذن ما تطبخين حَرَامُ

ولـكن بهذاك اليَفَاع فأَوْقِدى ... بجَزْلٍ إذا أوقدتِ لا بِضِرَامُ

قال : ثم كشف الستور وقَدَّم الطعام ودعا الناس ، فأكل وأكلوا . فقالت : ما أتممت لى ما قلت . فأجابها : فإنى لا تطاوعنى نفسى ، ونفسى أكرمُ علىَّ من أن يثنى علىَّ هذا وقد سبق لى السخاء . ثم أنشأ يقول :

أُمارس(١) نفسَ البخل حتى أعُزَّها ... وأترك نفسَ الجود ما أستثيرُها

ولا تشتكينى جارتى غـــير أنها ... إذا غاب عنها بَعْلُها لا أزورُهـــا

سيَبْلُغُها خَــــيْرى ويَرْجع بَعْلُها ... إليها ولم تُقْصَر عليها ستُورُها

ومن شعر حاتم :

إذا ما بِتُّ أشرب فوق رِىٍّ ... لَسُكْرٍ فى الشراب فلا رَوِيتُ

إذا ما بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ جارِى ... لِيُخْفِينى الظلامُ فلا خَفِيتُ

أأَفْضَح جارتى وأَخون جارى؟! ... فلا والله أَفْعَـــلُ ما حَيِيتُ

ومن شعره أيضاً :

ما ضَرَّ جاراً لى أُجاوره ... أن لا يكون لبابه سِتْرُ

أُغْضِى إذا ما جارتى بَرَزَتْ ... حتى يُوَارِى جارتى الخِدْرُ(٢)

---

(١) أمارس : أعالج . وأعزها : أغلبها

(٢) ينسب هذان البيتان باختلاف لمسكين الدارمى فى أبيات أخرى وهو الصحيح انظر الشعر والشعراء ١ / ٥٣٠

ومن شعر حاتم أيضاً :

وما من شِيمتى شَتْم ابنِ عَمِّى ... وما أنا مُخْلِفٌ مَنْ يرتجينى
وكِلمة حاسدٍ مِنْ غـير جُرْمٍ ... سمعتُ وقلت مُرِّى فانقذينى
وعابوهـا علىَّ فلم تَعِبْنى ... ولم يَعْرَقْ لهـا يوما جَبينِى
وذِى وجهين يَلْقانى طَلِيقاً ... ولبس إذا تَغَيَّب يأتسينى
ظفرتُ بعَيْبِه فـكففتُ عنـه ... محـافظةً على حَسَبِى ودِينى

ومن شعره :

سَلِى البائسَ المقرور يا أمَّ مالكٍ ... إذا ما أتانى بين نارى ومَجْزَرِى
أأبسط وجهى إنه أول القِرَى ... وأَبْذُل معروفى له دون مُنْكَرِى

وقال أيضاً :

وإنك إن أعطيتَ بطنك سُؤْلَه ... وفَرْجَك نالا مُنْتَهى الذَّم أجمعَا

وقال القاضى أبو الفرج المعافَى بن زكرياء الجريرى : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبى ، حدثنا أبو العباس المبرِّد ، أخبرنى الثورى ، عن أبى عبيدة ، قال لما بلغ حاتم طيئ قولُ المتلمس :

قليلُ المـال تُصْلِحه فيَبْقَى ... ولا يَبْقَى الـكثيرُ على الفسادِ
وحِفْظُ المـالِ خـيرٌ مِنْ فَنَاه ... وعَسْفٍ فى البلادِ بغـير زادِ

قال : ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ؟ ! فهلا قال :

فلا الجودُ يُفنِى المـال قبل فَنَائه ... ولا البخلُ فى مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمسْ مالا بعيشٍ مقتَّرٍ ... لـكلِّ غدٍ رزقٌ يعود جديدُ

ألم ترَ أنَّ المـال غادٍ ورائحٌ وأن الذى يعطيك غيرُ بعيدِ[(١)]

قال القاضى أبو الفرج : وقد أحسن فى قوله : « وأن الذى يعطيك غيرُ بعيد » ولو كان مُسْلِما لرُجِيَ له الخير فى مَعاده ، وقد قال الله فى كتابه : (واسْألوا اللهَ مِنْ فَضْلِه[(٢)]) . وقال تعالى : (وإذا سَألك عِبادى عَنِّى فإنى قريبٌ أجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ)[(٣)] .

وعن الوَضَّاح بن مَعْبَد الطائى قال : وفد حاتم الطائى على النعمان بن المنذر ، فأكرمه وأدناه ، ثم زَوَّده عند انصرافه جملين ذهبا وورِقاً غيرَ ما أعطاه من طرائف بلده ، فرحل فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طيئ ، فقالت : يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينا من عند أهالينا بالفقر ! فقال حاتم : هلمَّ فخذوا ما بين يدَىّ فتوزَّعوه . فوثبوا إلى ما بين يديه من حِباء النعمان فاقتسموه ، فخرجت إلى حاتم طريفة جاريته ، فقالت له : اتقِ الله وأبقِ على نفسك ، فما يدَعُ هؤلاء ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً. فأنشأ يقول :

قالت طريفةُ : ما تُبْقِى دراهمَنا وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ
إن يَفْنَ ما عندنا فاللهُ يَرْزُقنا ممن سِوانا ولسنا نحن نَرْتَزِقُ
ما يَألَفُ الدِّرْهم الكَارِىُّ خِرْقتَنا إلا يمرُّ عليهـا ثم يَنْطلِقُ
إنا إذا اجتمعت يوما دراهمُنا ظلَّت إلى سُبُلِ المعروف تَسْتبِقُ

وقال أبو بكر بن عياش : قيل لحاتم : هل فى العرب أجود منك ؟ فقال : كل العرب أجود منى . ثم أنشأ يحدّث قال : نزلتُ على غلام من العرب يتيم ذات ليلة ، وكانت له مائة من الغنم ، فذبح لى شاة منها وأتانى بها ، فلما قرّب إلىَّ دماغَها قلت : ما أطيب هذا

(١) فى البيت إقواء (٢) سورة النساء ٣٢ (٣) سورة البقرة ١٨٦

الدماغ ! قال : فذهب فلم يزل يأتينى منه حتى قلت قد اكتفيت . فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقى لاشىء له !

فقيل : فما صنعت به ؟ فقال : ومتى أبلغ شُكْره ولو صنعت به كل شىء ! قال : على كل حال أعطيته مائَة ناقة من خيار إبلى .

وقال محمد بن جعفر الخرائطى فى كتاب «مكارم الأخلاق» : حدثنا العباس بن الفضل الرَّبْعى ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنى حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طيئ ، قالوا : كانت عنترة (١) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طيئ لا تمسك شيئا سخاء وجوداً ؛ وكان إخوتها يمنعونها فتأبى ، وكانت امرأة موسرة ، فحبسوها فى بيتٍ سَنَةً يطعمونها قُوتها لعلَّها تكفُّ عما تصنع ، ثم أخرجوها بعد سَنَة ، وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخُلقَ ، فدفعوا إليها صِرْمةً من مالها وقالوا استمتعى بها . فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها ، فقالت : دونكِ هذه الصِّرْمة ، فقد والله مَسَّنى من الجوع ما آليتُ أن لا أمنع سائلا ، ثم أنشأت تقول :

لعَمْرى لقِدْماً عضَّنِى الجوعُ عَضَّةً ... فآليتُ ألّا أَمْنَعَ الدهرَ جائعاَ
فقُولا لهذا اللائِمى اليومَ أَعْفِنِى ... وإنْ أنت لم تفعل فعُضَّ الأصابعاَ
فماذا عساكمْ أن تقولوا لأختكم ... سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعاَ
وماذا ترون اليوم إلا طبيعةً ... فكيف بترْكى يابن أمى الطبائعاَ

وقال الهيثم بن عَدِى : عن ملحان بن عركى بن عدى بن حاتم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت حاتما يَكيدُ بنفسه (٢) ، فقال لى : أَىْ بُنَىّ . إنى أَعْهَدَ من نفسى ثلاث خصال : والله ما خاتَلْتُ جارَةً لرِيبة قَطّ ، ولا اؤتمنت على أمانة إلا أدَّيْتُها ، ولا أُتِىَ أحدٌ من قِبَلى بسوء .

(١) مكارم الأخلاق : غنية

(٢) يكيد بنفسه : يجود

وقال أبو بكر الخرائطى : حدثنا على بن حرب ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوى ، حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى مسكين — يعنى جعفر بن المحرر بن الوليد — عن المحرر مولى أبى هريرة ، قال : مرَّ نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيئ ، فنزلوا قريبا منه ، فقام إليه بعضهم يقال له أبو الخيْبرى فجعل يركض قبره برجله ويقول : يا أبا جعد اقْرِنا . فقال له بعض أصحابه : ما تخاطِبُ مِنْ رِمَّةٍ وقد بَلِيَتْ ؟ ! وأجنَّهم الليل فناموا ، فقام صاحب القول فزعاً يقول : يا قوم عليكم بمَطِيّكم فإن حاتما أتانى فى النوم وأنشدنى شعراً وقد حفظته ، يقول :

أبا الخيْبَرِىّ وأنت امرؤٌ ظَلُومُ العشيرة شَتَّامُها
أتيتَ بصَحْبِك تبْغِى القِرَى لدى حُفْرة قد صَدَتْ هامُها
أتَبْغِى لى الذنبَ عند المبيتِ وحَوْلَكَ طَيِّئٌ وأنعامُها
وإنَّا لنُشْبِعُ أضيافَنَا وتأتى المطىُّ فنَعْتَامُها[1]

قال : وإذا ناقةُ صاحب القول تكوس[2] عَقِيراً ، فنحروها وقاموا يَشْتَوون ويأكلون . وقالوا : والله لقد أضافنا حاتم حيّا وميتا !

قال : وأصبح القوم وأَرْدَفوا صاحبهم وصاروا ، فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا ويقود آخر ، فقال : أيكم أبو الخيْبَرى ؟ قال : أنا . قال : إن حاتما أتانى فى النوم فأخبرنى أنه قَرَى أصحابك ناقتك وأمرنى أن أحملك ، وهذا بعير نخذه . ودفعه إليه .

---

(١) نعتامها : نأخذها (٢) كاس البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب ، كما فى القاموس . وقال الزمخشرى : كوسه الله فى النار : قلبه على رأسه . . وكاس العقير كوساً لأنه يسقط على رأسه . الأساس .

ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدْعان

هو عبد الله بن جُدْعان ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تَيمْ ، بن مُرّة ، سيد بنى تَيمْ ، وهو ابن عم والد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وكان من الكرماء الأجواد فى الجاهلية المطعِمين للمُسْنِتين .

وكان فى بدء أمره فقيراً مُمْلِقاً ، وكان شِرّيراً يكثر من الجنايات ، حتى أبغضه قومُه وعشيرته وأهله وقبيلته ، وأبغضَه حتى أبوه .

فخرج ذات يوم فى شعاب مكة حائرا بائرا فرأى شَقًّا فى جبل ، فظن أن يكون به شىء يؤذى ، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه .

فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويَثِب عليه ، فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغنى شيئاً ، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان ، فكسره وأخذه ودخل الغار فإذا فيه قُبور لرجال من ملوك جُرْهم ، ومنهم الحارث بن مُضَاض الذى طالت غيبته فلا يُدْرَى أين ذهب ، ووجد عند رءوسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومُدَدُ ولايتهم ، وإذا عندهم من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة شىء كثير ، فأخذ منه حاجته ، ثم خرج وعلَّم بابَ الغار ، ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أحبوه وسادَهم ، وجعل يطعم الناس ، وكلما قلَّ ما فى يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع . فمن ذكر هذا عبد الملك بن هشام فى كتاب « التِّيجان [1] » وذكره أحمد بن عمار فى كتاب « رى العاطش وأنس الواحش » وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ، ووقع فيها صغير فغرق .

(١) كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان . وهو يتضمن بعض قصص أهل الكتاب ، وأخبار اليمن .

وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كنت أستظل بظل جَفْنة عبد الله بن جدعان صَكَّةَ عُمَيٍّ(١) » أى وقت الظهيرة .

وفى حديث مَقْتل أبى جهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « تَطَلَّبوه بَيْنَ القَتْلى وتعرّفوه بشجّة فى رُكْبته ، فإنى تزاحمت أنا وهو على مَأْدُبة لا بن جُدْعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فأثرها باقٍ فى ركبته » فوجدوه كذلك .

وذكروا أنه كان يطعم التمرَ والسويق ويسقى اللبن ، حتى سمع قولَ أمية بن أبى الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفِعْلَهم فرأيت أكرمهم بنى الدَّيَّانِ
البُرُّ يُلْبَكُ بالشهادِ طعامُهم لا ما يعلّلنا بنــو جُدْعَانِ

فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفى بعير [جاءت] تحمل البُرَّ والشهد والسمن ، وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة : أن هلموا إلى جَفْنة ابن جدعان . فقال أمية فى ذلك :

له داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ(٢) وآخرُ فوق كَعْبتها ينادِى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزى مِلاَءٍ(٣) لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشهادِ

ومع هذا كله فقد ثبت فى الصحيح لمسلم أن عائشة قالت : يا رسول الله إن ابن جُدْعان كان يطعم الطعامَ ويَقْرِى الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا ، إنه لم يقُلْ يوما رَبِّ اغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

---

(١) الصكة : شدة الهاجرة ، وتضاف إلى عمى ، رجل من العمالقة أغار على قوم فى الظهيرة فاجتاحهم
(٢) مشمعل : مبادر مجتهد . (٣) الردح : جمع ردحة وهى الجفنة العظيمة . والشيزى خشب أسود للقصاع .

ذكر امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدى
صاحب إحدى المعلَّقات

وهى أفخرهن وأشهرهن التى أولها :

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ *

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم (١) ، حدثنا أبو الجهم الواسطى ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار (٢) » .

وقد روى هذا الحديث عن هشيم جماعة كثيرون ، منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة ، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الأمين ، ويحيى بن مَعين ، وأخرجه ابن عَدِىّ من طريق عبد الرزاق عن الزهرى به ، وهذا منقطع وردىء من وجه آخر عن أبى هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه .

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حُجْر ، بن الحارث ، بن عمرو ، بن حجر آكل المِرَار ، بن عمرو ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن يعرب ، بن ثور ، بن مرتع بن معاوية بن كِنْدَة . أبو يزيد ويقال أبو وهب . ويقال أبو الحارث الكندى . كان بأعمال دمشق ، وقد ذكر مواضع منها فى شعره فمن ذلك قوله :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومَنزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمقْراة لم يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجتْها من جَنُوبٍ وشَمْألِ

قال : وهذه مواضع معروفة بحُوران.

---

(١) المطبوعة : هشام، وما أثبته عن المسند (٢) المسند حديث رقم ٧١٢٧ وانظر فيه تخريج الحديث

ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب ، عن أبيه ، عن جده قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن ، فقالوا يارسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : أقبَلْنا نريدك ، حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء ، فتفرقنا إلى أصول طَلْح وسَمُر ليموت كل رجل منا فى ظل شجرة ، فبينا نحن بآخر رمق إذا راكب يُوضِع على بعير ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

ولما رأت أنَّ الشريعةَ همُّها ... وأن البَيَاضَ مِنْ فرائصها دَامِى[1]

تَيَمَّمَتِ العينَ التى عند ضارجٍ ... يُفىءُ عليها الظِّلَّ عَرْمَضُها طامِى[2]

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر ؟ وقد رأى مابنا من الجَهْد قال : قلنا : امرؤ القيس بن حُجْر . قال والله ما كَذَب ، هذا ضارجٌ عندكم . فنظَرْنا فإذا بيننا و بين الماء نحوٌ من خمسين ذراعا ، فحبَوْنا إليه على الرُّكَب ، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرْمَض يُفىءُ عليه الظِّلَّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجل مذكور فى الدنيا منسىٌّ فى الآخرة ، شريف فى الدنيا خامل فى الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار »[3] .

وذكر الكلبي : أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بنى أَسَد حين قتلوا أباه ، فمر بتبالة وبها ذو الخلَصة ، وهو صنم ، وكانت العرب تستقسم عنده ، فاستقسم

---

(١) الشريعة : مشرعة الماء . والفرائص : جمع فريصة . وهما فريصتان ترتعدان عند الخوف .

(٢) ضارج : موضع ببلاد عبس . والعرمض : الطحلب . يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التى فيه ، انظر اللسان ٣/١٣٩

(٣) وردت هذه القصة فى الشعر والشعراء ١/٥٨، ٥٩ ، ٧٤ ، ٧٥ . وهى كذلك فى اللسان وعيون الأخبار ١/١٤٣ ، ١٤٤ ، والأغانى ٧/١٢٣

فخرج القِدْح الناهى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة كذلك ، فكسر القِداح وضرب بها وجه ذى الخلصة وقال : عضضْتَ بأيرِ أبيك ، لو كان أبوك المقتول لماعوّقْتنى ! ثم أغار على بنى أسد فقتلهم قتلاً ذريعا .

قال ابن الكلبى : فلم يُسْتَقْسَم عند ذى الخلصة حتى جاء الإسلام .

وذكر بعضهم أنه امتدح قيصرَ ملك الروم يستنجده فى بعض الحروب و يسترفده ، فلم يجد مايؤمِّله عنـده فهجاه بعد ذلك ، فيقال إنه سقاه سمًا فقتله ، فألجأه الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك .

أجارتَنَا إن المَزَار قريبُ　　　وإنى مقيم ما أقام عَسِيبُ
أجارتنا إنا غريبان ههنا　　　وكلُّ غريبٍ للغريب نَسِيبُ

وذكروا أن المعلَّقات السبع كانت معلقة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش ، فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيما لشأنها ، فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع .

فالأولى لامرئ القيس بن حُجْر الكندى كما تقدم ، وأولها :

قِفا نبك مِن ذِكرى حبيبٍ ومَنزِل　　　بسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخول فحومِلِ

والثانية للنابغة الذبيانى ، واسمه زياد بن معاوية ، ويقال زياد بن عمرو بن معاوية ابن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها :

يادارَ مَيَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ　　　أَقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأمَدِ

والثالثة لزُهير بن أبى سُلمى ربيعة بن رياح المزنى وأولها :

أمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ　　　بحَوْمَانة الدرَّاج فالمُتَثَلَّم

والرابعة لطَرَفَةَ بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة ابن عُكابة بن صعب بن على بن بَكر بن وائل وأولها :

لَخولةَ أطلالٌ ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلوح كباقى الوَشْمِ فى ظاهر اليَدِ

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب ابن قُطَيعةُ ابن عَبْس العبسى وأولها :

هل غادر الشعراء من مُتردَّمِ أم هل عَرَفتَ الدار بعد توهُّمِ

والسادسة لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى تميم وأولها :

طَحاَ بك قلبٌ فى الحسان طروبُ بُعَيد الشباب عصرَ حان مشيبُ

والسابعة — ومنهم من لا يثبتها فى المعلقات ، وهو قول الأصمعى وغيره — وهى للبيد ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها :

عَفَتِ الديار مَحلُّها فَمُقَامُها بمنًى تأبَّد غُولُها فَرِجامُها

فأما القصيدة التى لا يُعْرف قائلها ، فيما ذكره أبو عبيدة والأصمعى والمبرد وغيرهم ، فهى قوله :

هل بالطُّلولِ لسائلٍ رَدُّ أم هل لها بتكلُّمٍ عَهْدُ

وهى مطولة ، وفيها معان حسنة كثيرة .

ذكر شيء من أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي ، كان من شعراء الجاهلية وقد أدرك زمن الإسلام

قال الحافظ ابن عساكر : هو أمية بن أبي الصلت ، عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف ابن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو عثمان ، ويقال أبو الحكم الثقفي .

شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام ، وقيل إنه كان مستقيما[1] ، وإنه كان في أول أمره على الإيمان ، ثم زاغ عنه ، وإنه هو الذي أراده الله تعالى بقوله « واتْلُ عليهم نَبَأَ الذي آتيناه آياتِنا فانسْلَخ منها فأَتْبَعه الشيطانُ فكان من الغاوين » .

قال الزُّبير بن بكَّار : فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أميةَ الشاعر ، ابن أبي الصلت،واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف .

وقال غيره : كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف ، وكان أمية أَشْعَرهم .

وقال عبد الرزاق : قال الثوري : أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى « وَاُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتيْنَاهُ آياتِنَا فانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين » هو أمية بن أبي الصلت .

وكذا رواه أبو بكر بن مردَوَيْه ، عن أبي بكر الشافعي ، عن معاذ بن المثنى ، عن مسدد ، عن أبي عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن نافع بن عاصم بن مسعود قال : إني لفي حَلْقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الأعراف « وَاُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتيْنَاهُ آياتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا » فقال: هل تدرون من هو ؟ فقال بعضهم:

---

(١) الذي في ابن عساكر ، وقيل إنه كان نبياً .

هو صيفي بن الراهب . وقال آخر : بل هو بلعم رجل من بنى إسرائيل . فقال : لا قال فمن ؟ قال هو أمية بن أبي الصلت .

وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم .

وقال الطبرانى : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن شبيب الربعى ، حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام المخزومى ، حدثنا إسماعيل ابن الطريح بن إسماعيل الثقفى ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن مروان بن الحكم ، عن معاوية بن أبى سفيان ، عن أبيه ، قال :

خرجت أنا وأمية بن أبى الصلت الثقفى تجاراً إلى الشام ، فكلما نزلنا منزلا أخذ أمية سِفْراً له يقرؤه علينا ، فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه وأكرموه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيوتهم .

ثم رجع فى وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما ، وقال لى : هل لك يا أبا سفيان فى عالِم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب تسأله ؟ قلت : لا إرْبَ لى فيه ، والله لئن حدثنى بما أحب لا أثق به ، ولئن حدثنى بما أكره لأُجِدَنَّ منه .

قال : فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل علىّ ، فقال: مايمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لستُ على دينه . قال : وإنْ ، فإنك تسمع منه عَجَباً وتراه . ثم قال لى : أثقَفِيّ أنت ؟ قلت : لا ولكن قرشي . قال : فما يمنعك من الشيخ ، فوالله إنه ليحبكم ويوصِى بكم .

قال فخرج من عندنا ، ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هَدْأة من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه ، فوالله مانام ولا قام .

حتى أصبح كئيباً حزيناً ساقطا غَبُوقه على صَبُوحه ، مايكلِّمنا ولا نكلمه .

ثم قال : ألا ترحَلُ ؟ قلت : وهل بك من رحيل ؟ قال نعم .

فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ، ثم قال فى الليلة الثالثة : ألا تحدث يا أبا سفيان ؟ قلت وهل بك من حديث ؟ والله مارأيت مثلَ الذى رجعتَ به من عند صاحبك .

قال : أمَا إنّ ذلك لشيء لست فيه ، إنما ذلك لشيء وَجِلْتُ منه مِنْ مُنْقَلَبي .

قلت : وهل لك من مُنْقَلَب ؟

قال : إى والله ، لأموتن ثم لأُحْيَيَنَّ .

قال : قلت : هل أنت قابلٌ أمَانِى (١) ؟

قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبْعَث ولا تحاسَب .

قال : فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان ، لَنُبْعَثن ثم لنُحاسَبَن وليدخلن فريقٌ الجنةَ وفريقٌ النارَ .

قلت : ففى أيهما أنت أَخْبَرَكَ صاحبك ؟

قال لا علم لصاحبى بذلك ، لا فىَّ ولا فى نفسه .

قال : فكنا فى ذلك ليلتين ، يَعْجَب منى وأضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين .

فارتحلنا حتى نزلنا قريةً من قُرَى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم ، فما جاء إلا بعد منتصف النهار ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم ، حتى جاء بعد هَدْأةِ من الليل ، فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ، فوالله مانام ولا قام .

وأصبح حزينا كئيبا لا يكلِّمنا ولا نكلِّمه ، ثم قال : ألا ترحل ؟ قلت : بلى إن شئت .

---

(١) المطبوعة : أمانى ، وهو خطأ .

فرحلنا كذلك مِنْ بَثِّه وحُزْنه ليالىَ ، ثم قال لى : يا أبا سفيان ، هل لك فى المسير لنتقدم أصحابنا ؟ قلت : هل لك فيه ؟ قال نعم .

فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ، ثم قال : هَيَّا صَخْرْ . فقلت . ماتشاء ؟

قال حَدِّثنى عن عُتْبة بن ربيعة ، أيجتنب المَظَالم والمَحَارم ؟

قلت : إى والله .

قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها ؟

قلت : إى والله .

قال : وكريم الطَّرَفين وسَطٌ فى العشيرة ؟

قلت : نعم .

قال : فهل تعلم قُرَشياً أشرف منه ؟

قلت : لا والله ، لا أعلم .

قال : أمُحْوِجٌ هو ؟

قلت : لا بل هو ذو مال كثير .

قال : وكم أتى عليه من السن ؟

فقلت : قد زاد على المائة .

قال : فالشرف والسن والمالَ أَزْرَيْنَ [1] به .

قلت : ولِمَ ذاك يُزْرى به، لا والله بل يزيده خيراً .

قال : هو ذاك ، هل لك فى المبيت ؟ قلت : لى فيه .

قال فاضطجعنا حتى مَرَّ الثقل . قال : فسرنا حتى نزلنا فى المنزل وبتنا به ، ثم ارتحلنا منه .

---

(١) فى الا كتفا للكلاعى ، والوفا لابن الجوزى ، ودلآئل النبوة : فالشرف والسن أزريا به .

فلما كان الليل قال لى : يا أبا سفيان . قلت : ماتشاء ؟ قال هل لك فى مثل البارحة . قلت : هل لك فيه ؟ قال : نعم .

فسِرْنا على ناقتين بخْتِيَّتَيْن ، حتى إذا برزنا قال : هَيًّا صخر ، هِيه عن عُتْبة بن ربيعة .

قال قلت : هِيهاً فيه .

قال : أيجتنب المحارمَ والمظالمَ ويَصِل الرحم ويأمر بصلتها ؟ قلت : إى والله إنه ليفعل .

قال وذو مال ؟ قلت : وذو مال .

قال : أتعلم قُرَشيًّا أَسْوَدَ منه ؟ قلت : لا والله ما أعلم .

قال : كم أتى له من السن ؟ قلت قد زاد على المائة .

قال : فإن السن والشرف والمال أَزْرَيْن به .

قلت : كلا والله ماأزرى به ذلك ، وأنت قائلٌ شيئاً فقُلْه . قال : لا ، تَذَكَّر حديثى يأتى منه ماهو آتٍ .

ثم قال : فإن الذى رأيتَ أصابنى أنى جئت هذا العالِمَ فسألته عن أشياء ، ثم قلت أخبرنى عن هذا النبى الذى يُنْتَظر .

قال : هو رجل من العرب .

قلت : قد علمتُ أنه من العرب ، فمن أىّ العرب هو ؟

قال : من أهل بيتٍ تحُجُّه العرب .

قلت وفينا بيتٌ تحجه العرب .

قال : هو من إخوانكم من قريش . فأصابنى والله شىء ما أصابنى

مثْله قط ، وخرج من يدى فوزُ الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون إياه .

قلت : فإذ كان ما كان فصِفْه لى .

قال : رجل شابٌّ حين دخل فى الكهولة ، بَدْءُ أمره [أنه] يجتنب المظالم والمَحارِم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو مُحْوِج كريمُ الطَّرَفين متوسطٌ فى العشيرة ، أكثرُ جنده من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟ قال : قد رجَفَتْ الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رَجْفة ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رَجْفة عامة فيها مصائب .

قال أبو سفيان : فقلت هذا والله الباطل ، لئن بَعَث الله رسولا لا يأخذه إلا مُسِنًّا شريفا .

قال أمية : والذى حلفتَ به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان ، يقول إن قول النصرانى حق . هل لك فى المبيت ؟ قلت : نعم لى فيه .

قال فبِتْنا حتى جاءنا الثقل ، ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان [أو] ليلتان أدرَكنا راكب مِنْ خَلْفنا ، فسألناه فإذا هو يقول أصابت أهلَ الشام بعدكم رجفةٌ دَمَّرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة .

قال أبو سفيان : فأقبل علىَّ أمية فقال : كيف ترى قول النصرانى ياأباسفيان ؟ قلت أرى وأظن والله أن ماحدثك به صاحبك حَق .

قال أبو سفيان : فقدمنا مكة ، فقضيت ما كان معى ، ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فكنت بها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فبينا أنا فى منزلى جاءنى الناس يسلِّمون علىَّ و يسألون عن بضائعهم ، حتى جاءنى محمد بن عبد الله وهندٌ عندى تلاعب صبيانها ، فسَلَّم علىَّ ورحَّب بى ، وسألنى عن سَفَرى ومُقامى ولم يسألنى عن بضاعته ، ثم قام . فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبنى ،

مامن من أحد من قريش له معى بضاعة إلا وقد سألنى عنها ، وما سألنى هـذا عن بضاعته .

فقالت لى هند : أوما علمتَ شأنه .

فقلت وأنا فزِع : ماشأنه ؟

قالت يَزْعم أنه رسول الله .

فوقذتْنى ، وتذكرتُ قولَ النصرانى ، فرجفت حتى قالت لى هند : مالك ؟ فانتبهت فقلت : إن هـذا لهو الباطل ، لهُو أَعْقَل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه ليقول ذلك ويدعو إليـه ، وإن له لصحابة على دِينه . قلت : هـذا هو الباطل .

قال : وخرجت ، فبَيْنَا أنا أطوف بالبيت إذ بى قد لقيته ، فقلت له : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير ، فأرسِل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومى . فأبى علىّ وقال : إذن لا آخذها . قلت : فأرسِلْ فخُذْها وأنا آخذ منك مثلَ ما آخذ من قومى . فأرسل إلى بضاعته فأخذَها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره .

قال أبو سفيان : فلم أَنْشب أن خرجتُ إلى اليمن . ثم قَدِمت الطائفَ فنزلت على أميةَ بن أبى الصَّلْت ، فقال لى : يا أبا سفيان. [قلت] : ما تشاء [قال] : هل تذكر قولَ النصرانى ؟ فقلت أذكره وقد كان . فقال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله . قال : ابنُ عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب . ثم قصصت عليه خبرَ هِنْد .

قال : فالله يعلم . وأخذ يتصبب عرَقاً .

ثم قال : والله ياأبا سفيان لعَلَّه ، إنَّ صفته لهى ، ولئن ظَهَر وأنا حىٌّ لأطابن من الله عز وجل فى نصره عُذْرا .

قال : ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءنى هنالك استهلاله ، وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبى الصلت بالطائف فقلت : يا أبا عثمان قد كان مِنْ أمر الرجل ماقد بَلَغك وسَمِعْتَه .

فقال : قد كان لعَمْرى .

قلت : فأين أنت منه يا أبا عثمان ؟

فقال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثَقِيف أبدا !

قال أَبو سفيان : وأقبلت إلى مكة ، فو الله ماأنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يُضْرَبون ويُحْقَرون .

قال أبو سفيان : فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟ فدخلنى ما يدخل الناس من النَّفَاسة .

وقد رواه الحافظ البيهقى فى كتاب « الدلائل » من حديث إسماعيل بن طريح به ، ولكن سياق الطبرانى الذى أوردناه أتم وأطول . والله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا بكر بن أحمد بن نُفيل ، حدثنا عبد الله بن شَبيب ، حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهرى ، حدثنا مُجاشع بن عمرو الأسدى ، حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزبير ، عن معاوية بن أبى سفيان ، عن أبى سفيان بن حرب ، أن أمية بن أبى الصلت كان بغَزّة أو بإيلياء ، فلما قفلنا قال لى أمية : يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرُّفْقة فنتحدث ؟ قلت : نعم . قال : ففعلنا .

فقال لى : ياأبا سفيان إيهٍ عن عُتْبة بن ربيعة ؟ قلت : كريم الطرفين . [قال] : ويجتنب المحارمَ والمَظالم ؟ قلت : نعم .

قال : وشريف مُسِن ؟ قلت : وشريف مسن .

قال : الشرف والسن أَزْرَيَا به .

فقلت له : كذبت ، ما ازداد سنًّا إلا ازداد شرفا .

قال : يا أبا سفيان إنها كلمة ما سمعت أحدًا يقولها لى منذ تبصَّرْت ، فلا تَعْجَل علىَّ حتى أخبرك . قال قلت : هات .

قال : إنى كنت أجد فى كتبى نبيًّا يُبْعَث من حَرَّتنا هذه ، فكنت أظن بل كنت لا أشك أنى أنا هو ، فلما دارستُ أهلَ العلم إذا هو من بنى عبد مناف ، فنظرت فى بنى عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عُتْبة بن ربيعة ، فلما أخبَرْتَنى بسنِّه عرفت أنه ليس به ، حين جاوز الأربعين ولم يُوحَ إليه .

قال أبو سفيان : فضرب الدهرُ ضَرْبَه ، فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجتُ فى ركبٍ من قريش أريد اليمن فى تجارة ، فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به : يا أمية قد خرج النبىُّ الذى كنت تَنْعَته .

قال : أما إنه حقٌّ فاتَّبِعْه .

قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟

قال : ما يمنعنى إلا الاستحياء من نساء ثَقيف ، إنى كنت أحدثهن أنى هو ، ثم يَرَيْنَنى تابعاً لغلام من بنى عبد مناف !!

ثم قال أمية : كأنى بك يا أبا سفيان قد خالَفْتَه ثم قد رُبِطْت كما يُرْبَط الجَدْىُ حتى يُؤْتَى بك إليه فيَحْكُم فِيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الكَلْبى ، قال : بينا أمية راقدٌ ومعه ابنتان له إذ فزعت إحداهما فصاحت عليه ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت رأيت نسرين كَشَطا سقفَ البيت فنزل أحدهما إليك فشَقَّ بطنك ، والآخر واقف على ظهر البيت ، فناداه فقال : أَوَعَى ؟ قال : نعم . قال : أَزَكا ؟ قال : لا .

فقال : ذاك خير أريد بأبيكما فلم يفعله .

وقد روى من وجه آخر بسياق آخر ، فقال إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق : عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيِّب ، وعثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهرى ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : قدمت الفارعةُ أختُ أمية بن أبى الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة[(١)] ، وكانت ذات لُبٍّ وعقل وجمال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها مُعْجَباً . فقال لها ذات يوم : يا فارعة ، هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فقالت : نعم ، وأَعْجَب من ذلك ما قد رأيت .

قالت : كان أخى فى سفر ، فلما انصرف بدأنى فدخل علىَّ فرقد على سريرى وأنا أَحْلق أديماً فى يدى ، إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين ، فوقع على الكُوّة أحدهما ودخل الآخر فوقع عليه ، فشق الواقعُ عليه ما بين قَصِّه[(٢)] إلى عانته ثم أدْخل يده فى جوفه فأخرج قلبه فوضعه فى كفه ثم شمه ، فقال له الطائر الآخر : أوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَزَكَا ؟ قال : أَبَى . ثم رَدَّ القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرعَ من طرفة عين . ثم ذهبا .

فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركته ، فقلت هل تجد شيئاً ؟ قال : لا إلا توهينا فى جسدى . وقد كنت ارتعبت مما رأيت ، فقال : مالى أراكِ مرتاعةً ؟ قالت : فأخبرته

(١) الأرجح أنه بعد فتح الطائف ، كما فى أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . لأن أمية كان يقيم بالطائف .
(٢) القص : الصدر

الخبر . فقال : خير أريد بى ثم صُرِف عنى . ثم أنشأ يقول :

باتت همومى تَسْرِى طوارقُها ... أَكُفُّ عينى والدمعُ سابقُها
ممـــا أتانى من اليقين ولم ... أُوتَ بَرَاة يَقُصُّ ناطِقُها
أَمِمَّنْ تَلَظَّى عليه واقدةُ النـ ... ـار محيـــطٌ بهم سُرَادقُها
أم أَسْكُن الجنةَ التى وعُدِ الـ ... أبرارُ مصفوفةً نَمَارِقُهـــا
لا يَسْتَوِى المَنْزِلان ثَمَّ ولا الـ ... أَعْمالُ لا تستوى طرائقها
هُمَا فريقان فرقةٌ تدخل الجنَّـــة حَفَّت بهم حدائقُهـــا
وفرقةٌ منهم قد أدخلت النـــارَ فساءتهمْ مرافقُهـــا
تعاهدت هـــذه القلوبُ إذا ... هَمَّت بخـــير عاقَتْ عوائقها
وصَدَّها للشقاء عن طلب الـ ... جَنَّة دُنْيا اللهُ مَاحِقُهـــا
عبدٌ دَعَا نفسَـــه فعاَتَبهَا ... يَعْـلَمُ أنَّ البصيرَ رَامِقُها
ما رغَّب النفس فى الحياة ؟ وإن ... تحيا قليلا فالموت لاحِقُها
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّته ... يوماً على غِرَّة يوافقهـــا
إن لم تَمُتْ غبطةً تمتْ هَرَماً ... للموتِ كأسٌ والمرء ذائقها

قال : ثم انصرف إلى رحله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى طُعِن فى جنازته[١] ، فأتانى الخبر فانصرفت إليه فوجدته منعوشا قد سُجِّى عليه ، فدنوت منه فشهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته وقال : لبَّيْكما لبيكما ، ها أنا ذا لَدَيْكما ، لا ذو مال فيفْدِينى ولا ذو أهل فتَحْمِينى .

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة ، فقلت قد هلك الرجل .

---

(١) كذا فى تاريخ ابن عساكر ١٢٥/٣ . وكان الأصل : طعن فى حيارته . وهو تحريف .

فشق بصرَه نحو السقف فرفع صوته . فقال : لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما ، لا ذو براءة فأعتذر ، ولا ذو عشيرة فأنتصر .

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف فقال : لبيكما لبيكما ، ها أنا ذا لديكما ، بالنِّعَم محفود وبالذنب محصود .

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة فقال : لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما .

إن تَغفِرِ اللهمَّ تَغفِرِ جَمّا   وأيُّ عبدٍ لك لا ألما

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة فقال :

كلُّ عيشٍ وإن تطاول دَهْراً   صائرٌ مَرَّةً إلى أن يزولاَ
ليتنى كنتُ قبل ما قَدْ بَدَا لى   فى قلالِ الجبال أرعَى الوُعولاَ

قالت : ثم مات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا فارعة إن مَثَل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها » الآية .

وقد تكلم الخطابى على غريب هذا الحديث .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الزُّهْرى أنه قال : قال أمية بن أبى الصلت :

ألا رسولٌ لنا مِنَّا يُخَبِّرنا   ما بُعْدُ غايتنا من رأس مَجْرَانا

قال : ثم خرج أمية بن أبى الصلت إلى البحرين ، وتنبَّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأقام أميةُ بالبحرين ثمانى سنين ، ثم قدم الطائفَ فقال لهم : مايقول محمد بن عبدالله ؟ قالوا : يزعم أنه نبى ، هو الذى كنت تتمنى .

قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقيه ، فقال : يا ابن عبد المطلب ماهذا الذى تقول ؟ قال : أقول إنى رسول الله وأنْ لا إله إلا هو . قال : إنى أريد أن أكلمك

فعِدْنى غداً . قال فموعدك غدا . قال فتحب أن آتيك وحدى أو فى جماعة من أصحابى ، وتأتينى وحدك أو فى جماعة من أصحابك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىُّ ذلك شئتَ . قال : فإنى آتيك فى جماعة ، فَأْت فى جماعة .

قال : فلما كان الغد غدَا أميةُ فى جماعة من قريش . قال : وغدَا رسول الله صلى الله عليه وسلم معه نفر من أصحابه ؛ حتى جلسوا فى ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر ، حتى إذا فرغ الشعر قال : أجِبْنى يا ابن عبدالمطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم . يٓس والقرآن الحكيم) حتى إذا فرغ منها وثَبَ أميةُ يجرُّ رجليه . قال : فتبعته قريش يقولون : ما تقول ياأمية ؟ قال : أشهد أنه على الحق . فقالوا : هل تتبعه ؟ قال : حتى أنظر فى أمره .

قال : ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما قُتِل أهلُ بدر قَدِم أمية من الشام حتى نزل بدراً ، ثم ترحَّل يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل : يا أبا الصَّلْت ماتريد ؟ قال : أريد محمدا . قال : وما تصنع ؟ قال : أومن به وألقى إليه مقاليدَ هذا الأمر . قال : أتدرى مَنْ فى القَليب؟ قال : لا . قال : فيه عُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك — وأمه ربيعة بنت عبد شمس — قال : فجدَع أُذنَىْ ناقته وقطع ذَنَبها ، ثم وقف على القليب يقول :

ما ذا بِبَــدْرٍ فالْعَقَنْ ... قَلِ مِنْ مَرَازبةٍ جَحَاجِحْ

القصيدة إلى آخرها ، كما سيأتى ذكرها بتمامها فى قصة بدر إن شاء الله .

ثم رجع إلى مكة والطائف وترك الإسلام .

ثم ذكر قصةَ الطيرين وقصةَ وفاته كما تقدم ، وأنشد شعره عند الوفاة :

كلُّ عيشٍ وإنْ تطَاولَ دَهْراً ... صــائرٌ مرَّةً إلى أن يَزُولَا
ليتنى كنتُ قبلَ ماقدْ بدَا لِى ... فى قِلالِ الجبال أرْعَى الوعولاَ

فاجعل الموتَ نصبَ عينيك واحذر ... غَوْلَةَ الدهر إن للدهر غُـــولاَ
نائلاً ظُفْرها القساورَ والصـد ... عان والطفلَ فى المنار الشَّكِيلا
و بغاثَ النياف واليَعْفر النـا ... فرَ والعوْهج البرام الضئيـلا

فقوله : القساور جمع قَسْوَرة وهو الأسد . والصدعان : ثيران الوحش واحدها صدع. والطفل الشَّكِيل : من الشكْلة وهى حمرة فى العين[١] ، والبغاث : الرَّخَم . والنياف : الجبال : واليَعفر : الظبى . والعوْهج : ولد النعامة .

يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش فى البرارى ولا الرَّخَم الساكنة فى رءوس الجبال ، ولا يترك صغيرا لصِغره ولا كبيرا لكبره . وقد تكلم الخطابى وغيره على غريب هذه الأحاديث .

وقد ذكر السهيلى فى كتابه « التعريف والإعلام » أن أمية بن أبى الصلت أول من قال « باسمك اللهم » وذكر عند ذلك قصة غريبة .

وهو أنهم خرجوا فى جماعة من قريش فى سفر ، فيهم حرب بن أمية والد أبى سفيان. قال : فمروا فى مسيرهم بحية فقتلوها ، فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم فى قتل تلك الحية ، ومعها قضيب فضربت به الأرض ضربة نفَّرت الإبلَ عن آخرها ، فذهبت وشردت كل مذهب ، وقاموا فلم يزالوا فى طلبها حتى ردوها ، فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل فذهبوا فى طلبها ، فلما أعياهم ذلك قالوا : والله هل عندك لما نحن فيه من مَخْرَج ؟ فقال : لا والله ، ولكن سأنظر فى ذلك . قال : فساروا فى تلك المحلة لعلهم يجدون أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء ، إذا نار تلوح على بُعْد ، فجاءوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا ، و إذا هو من الجان فى غاية الضآلة والدمامة ، فسلموا عليه فسألهم عمَّا هم فيه ، فقال : إذا جاءتكم فقل باسمك اللهم . فإنها تهرب ، فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال فى وجهها أمية : باسمك اللهم

---

(١) الأصل : والطفل الشكل من حمرة العين . وما أثبته من ابن عساكر .

فشردت ولم يَقَرَّ لها قرار ، لـكن عَدَتْ الجنُّ على حَرْب بن أمية فقتلوه بتلك الحية ، فقَبَره أصحابه هنالك حيث لا جار ولا دار ، ففى ذلك يقول الجان :

وقبرُ حَرْب بمـكانٍ قَفْرٍ وليس قُرْب قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وذكر بعضهم : أنه كان يتفرَّس فى بعض الأحيان فى لغات الحيوانات ، فـكان يمرُّ فى السفَر على الطير فيقول لأصحابه : إن هذا يقول كذا وكذا . فيقولون لا نعلم صدْقَ مايقول . حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعها ولدها ، فالتفتت إليه فثَغَتْ كأنها تستحثُّه . فقال : أتدرون ماتقول له ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول : أسْرِع بنا لا يجيء الذئب فيأكلك ، كما أكل الذئب أخاك عام أول . فأسرعوا حتى سألوا الراعى : هل أكل له الذئب عامَ أولَ حَمَلا بتلك البقعة ؟ فقال : نعم . قال : ومرَّ يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها و يرغو ، فقال : إنه يقول لها : إنك رَحَّلْتِينى وفى الحِدَاجة[1] مَخِيط . فأنزلوا تلك المرأة وحَلُّوا ذلك الرَّحْل فإذا فيه مخيط كما قال .

وذكر ابن السِّـكيت : أن أمية بن أبى الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نعبَ غراب، فقال : له بفيك التراب مرتين .

فقيل له : مايقول؟ فقال إنه يقول: إنك تشرب هذا الـكأس الذى فى يدك ثم تموت .

ثم نعب الغراب فقال : إنه يقول : وآية ذلك أنى أنزل على هـذه المزبلة فآكل منها فيعلق عظم فى حلقى فأموت . ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئاً فعلق فى حلقه عَظْم فمات .

فقال أمية : أمَّا هذا فقد صدق فى نفسه ، ولـكن سأنظر هل صدق فىَّ أم لا . ثم شرب ذلك الـكأس الذى فى يده ثم اتـكأ فمات .

---

(١) الحداجة : مركب للنساء كالمحفة .

وقد ثبت فى الصحيح من حديث ابن مهدى ، عن الثَّورى ، عن عبدالملك بن عُمير ، عن أبى سَلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أَصْدق كلمة قالها شاعر كلمة لَبيد :

* ألا كلُّ شيء ماخَلاَ اللهَ باطلُ *

وكاد أمية بن أبى الصلت أن يُسْلم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا زكرياء بن إسحاق ، حدثنا إبراهيم ابن مَيسرة ، أنه سمع عمرو بن الشَّرِيد يقول : قال الشريد : كنت رِدْفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : « أَمَعك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء »؟ قلت نعم قال : فأنْشِدنى . فأنشدته بيتاً ، فلم يزل يقول لى كلما أنشدته بيتاً : إيه . حتى أنشدته مائة بيت . قال : ثم سكت النبى صلى الله عليه وسلم وسكتُّ .

وهكذا رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن أبى تميم بن مَيْسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه الشريد بن سُويد الثقفى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وفى بعض الروايات فقال رسول الله : « إنْ كاد يُسْلم » .

وقال يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، حدثنا أبو أسامة، حدثنا حاتم بن أَبى صُفرة ، عن سِماك بن حرب ، عن عمرو بن نافع ، عن الشَّريد الهمْدَانى ، وأَخوالُه ثقيف ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، فبينا أنا أمشى ذات يوم إذا وَقْعُ ناقة خَلْفِى ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الشريد ؟ فقلت : نعم . قال : أَلا أحملك ؟ قلت : بلى . وما بى من إعياء ولكنى أردت البَرَكة فى ركوبى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأناخ فحَملنى فقال : أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت ؟ قلت : نعم . قال هات . فأنشدته . قال أظنه قال مائة بيت. فقال : « عندَ الله عِلْمُ أمية بن أبى الصلت » .

ثم قال ابن صاعد : هذا حديث غريب . فأما الذى يُرْوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى أمية : « آمَنَ شِعرُه وكَفَرَ قلبه » فلا أعرفه . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ـ هو أبو بكر بن أبى شَيبة ـ حدثنا عَبْدَة ابن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتبة ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَدَّق أمية فى شىء من شعره قال :

رَجُلٌ[1] وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه … والنَّسْر للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ
والشمسُ تبدو كلَّ آخِرِ ليلةٍ … حمراءَ يُصْبح لونُها يتوَرَّدُ
تَأْبَى فما تَطْلُعُ لنا فى رِسْلِها … إلا مُعَذَّبةً وإلا تُجْلَدُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صَدَق[2] .

وفى رواية أبى بكر الهُذَلى ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الشمس لا تَطْلُعُ حتى يَنْخسها سبعون ألف ملك يقولون[3] لها : اطلعى اطلعى . فتقول : لا أطلع على قوم يعبدوننى من دون الله . فإذا هَمَّت بالطلوع أتاها شيطان يريد أن يثبّطها فتطلع بين قرنيه وتحرقه ، فإذا تضيَّفت للغروب عزمت لله عز وجل ، فيأتيها شيطان يريد أن يثبّطها عن السجود فتغرب بين قرنيه وتحرقه . أورده ابن عساكر مطولا .

ومن شعره فى حَمَلة العرش :

فمِنْ حاملٍ إحدى قوائمِ عَرْشِه … ولولا إلهُ الخَلْق كَلُّوا وأَبْلَدُوا
قيامٌ على الأقدام عانُونَ تحتَه … فرائصُهم من شدة الخوف تَرْعَدُ

---

(١) فى المطبوعة : زحل وهو كذلك فى الإصابة ومجمع الزوائد وما أثبته عن نسخة ا ومسند أحمد . والمراد أن هناك ملائكة فى صورة الرجال وآخرين فى صورة الثيران كما ذكر الجاحظ فى الحيوان ٦ / ٢٢١ـ٢٢٢
(٢) المسند حديث رقم ٢٣١٤ (٣) الأصل والمطبوعة : يقول .

رواه ابن عساكر .

وروى عن الأصمعى أنه كان ينشد من شعر أمية :

مَجِّدوا اللهَ فهو للمجد أهلٌ ربُّنا فى السماء أَمْسَى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النـ ـاسَ وسوَّى فوق السماء سريرا
شَرْجعاً(١) [ما] يناله بَصَرُ العَيْـ ـن تَرَى دُونه الملائكَ صُورا

ثم يقول الأصمعى : الملائك جمع مَلَك ، والصُّور جمع أَصْوَر وهو المائل العنق ، وهؤلاء حَمَلة العرش .

ومن شعر أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جُدْعان التيمى :

أَأَذْكر حاجتى أَمْ قَدْ كفانى حياؤُك إنَّ شيمتَك الحياء
وعِلْمك بالحقوق وأنت فَرْعٌ لك الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّناء
كريمٌ لا يغيِّره صباح عن الخُلُق الجميل ولا مَسَاء
يُبَارِى الريحَ مَكْرُمةً وجُوداً إذا ما الكلبُ أَحْجَرَه الشتاء
وأرضُك أرضُ مَكْرُمَةٍ بَنَتْها بنو تَيْم وأنت لها سماء
إذا أَثْنَى عليك المرء يوماً كفاه من تَعَرُّضه الثناء

وله فيه مدائح أُخَر .

وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الأجواد المُمَدَّحين المشهورين ، وكان له جَفْنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عُرْض حافتها وكثرة طعامها ، وكان يملأها لبابَ البُر يُدْبَك بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوائب ، وقد سألت عائشة النبى صلى الله عليه وسلم أينفعه ذلك ؟ فقال : إنه لم يقل يوما من الدهر : (رَبِّ اغفر لى خطيئتى يوم الدين) .

(١) الشرجع : الطويل .

ومن شعر أمية البديع :

لا يَنْكُثون الأرضَ عِنْدَ سؤالهم ... كتَطَلُّبِ العِلاَّت بالعيدانِ
بل يُسْفِرون وجوهَهم فترَى لها ... عند السؤال كأحسن الألوانِ
وإذا المُقِلُّ أقام وَسْطَ رحالهم ... رَدُّوه رَبَّ صواهلٍ وقِيانِ
وإذا دعوتَهمُ لكل مُلِمَّةٍ ... سَدُّوا شعاعَ الشمس بالفُرْسانِ

آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت .

بَحِيرَا الراهب

الذى توسم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة وهو مع عمه أبى طالب ، حين قدم الشام فى تجار من أهل مكة ، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ، فرأى الغمامة تظله من بينهم ، فصنع لهم طعاما ضيافةً ، واستدعاهم . كما سيأتى بيان ذلك فى السيرة .

وقد روى التِّرمذى فى ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هنالك ، وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات فى ترجمة بَحِيرا ، ولم يورد مارواه الترمذى وهذا عَجَب .

وذكر ابن عساكر أن بَحِيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بُصْرى ستة أميال ، وهى التى يقال لها « دير بحيرا » قال ويقال : إنه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبلقاء وراء زيرا . والله أعلم .

ذِكْر قُسّ بن ساعدة الإيادِيّ

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتاب « هواتف الجان » : حدثنا داود القَنْطَرى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى أبو عبد الله المشْرقى ، عن أبي الحارث الوَرَّاق ، عن ثور بن يزيد ، عن مُورق العِجْلى ، عن عُبادة بن الصامت . قال : لما قدم وفد إياد على النبى صلى الله عليه وسلم قال : يامعشر وفد إياد، مافعل قس بن ساعدة الإيادى ؟ قالوا : هلك يارسول الله . قال : لقد شهدته يوماً بسوق عُكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام مُعْجِب مُونِق لا أجدنى أحفظه . فقام إليه أعرابى من أقاصى القوم فقال : أنا أحفظه يارسول الله . قال : فسُرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بذلك . قال : فكان بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : يامعشر الناس اجتمِعوا ، فكلُّ مَنْ فات فات ، وكل شيء آتٍ آت ، ليل دَاجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وبحر عَجَّاج ، نجوم تزهر ، وجبال مُرْساة (١) ؛ وأنهار مُجْراة (٢) ؛ إن فى السماء لَخبَرا ، وإن فى الأرض لعِبَرا ، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرَضُوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُركوا فناموا . أَقسم قسٌّ بالله قَسما لا ريب فيه ، إن لله دِيناً هو أرْضَى من دِينكم هذا . ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبين الأوَّلِيـ ... نَ من القرون لنا بصائرْ
لمَّا رأيتُ مَوارداً ... للموتِ ليس لها مَصَادِرْ
ورأيت قَوْمِي نَحْوَها ... يمضى الأصاغرُ والأكابرْ
لا مَنْ مَضَى يأتى إليـ ... ك ولا مِنَ الباقين غابرْ
أيقنتُ أنى لا مَحَا ... لة حيث صار القومُ صائرْ

---

(١) الأصل والمطبوعة : مرسية وهو خطأ (٢) الأصل والمطبوعة : مجرية وهو خطأ .

وهذا إسناد غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الطبرانى من وجه آخر فقال فى كتابه « المعجم الكبير » : حدثنا محمد بن السَّرى بن مهران بن الناقد البغدادى ، حدثنا محمد بن حسان السَّهْمى ، حدثنا محمد بن الحجاج ، عن مُجَالِد ، عن الشَّعبى ، عن ابن عباس . قال: قدم وفدُ عبد القيس على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف القُسَّ بن ساعدة الإيادى ؟ قالوا : كلنا يعرفه يارسول الله . قال : فما فعل ؟ قالوا هلك . قال : « فما أنساه بعكاظ فى الشهر الحرام وهو على جمل أحمر ، وهو يخطب الناس وهو يقول : يا أيها الناس اجتمِعوا واستمعوا وَعُوا ، مَنْ عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ماهو آت آت. إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، مِهَاد موضوع ، وسَقْف مرفوع ، ونجوم تَمُور ، وبحار لا تغور . وأقْسَم قُسٌّ قَسَما حقاً لئن كان فى الأمر رِضًى ليكون بعده سخط ، إن لله لَدِيناً هو أحبُّ إليه مِن دِينكم الذى أنتم عليه . مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ ! أرَضُوا بالمقام فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفيكم من يروى شعره ؟ فأنشده بعضهم :

فى الذاهبين الأوليـ ... ـن مِنَ القرون لنا بصائرْ
لمـا رأيت مَوارداً ... للموت ليس لها مَصَادِرْ
ورأيتُ قَوْمِى نحوَها ... يَسْعَى الأصاغرُ والأكابرْ
لا يَرْجِـعُ الماضى إلىّ ... ولا من الباقين غابرْ
أيقنتُ أنى لا مَحَا ... لة حيث صار القومُ صائرْ

وهكذا أورده الحافظ البيهقى فى كتابه « دلائل النبوة » من طريق محمد بن حَسَّان السَّهمى به . وهكذا رويناه فى الجزء الذى جمعه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه فى أخبار قس ، قال : حدثنا عبد الكريم بن الهيثم

الدَّيْرعاَ قُولى [١] ، عن سعيد بن شَبِيب ، عن محمد بن الحجاج أبو [٢] إبراهيم الواسِطى نزيل بغداد ، ويعرف بصاحب الهريسة ، وقد كذَّبه يحيى بن مَعِين وأبو حاتم الرازى والدارقطنى ، واتهمه غير واحد منهم ابن عَدِىّ بوضع الحديث .

وقد رواه البَزَّار وأبو نُعَيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ، ورواه ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق أمثل من التى قبلها . وفيه أن أبا بكر هو الذى أورد القصة بكمالها نَظْمَها وَنَثْرَها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق الخَطْمِىّ [٣] حدثنا على بن الحسين بن محمد المخزومى ، حدثنا أبو حاتم السِّجِسْتانى ، حدثنا وهب بن جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهْرى ، عن سعيد بن المسيَّب عن ابن عباس ، قال : قَدِم وفدُ بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : « مافعل حليفٌ لكم يقال له قُسّ بن ساعدة الإيادى » وذكر القصة مطولة .

وأخبرنا الشيخ المسنِد الرِّحلة أحمد بن أبى طالب الحجار ، إجازة إن لم يكن سماعا ، قال : أجاز لنا جعفر بن على الهمْدانى ، قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السِّلفى سماعا . وقرأت على شيخنا الحافظ أبى عبد الله الذهبى ، أخبرنا أبو على الحسن بن على بن أبى بكر الخلاَّل سماعا ، قال أنبأنا جعفر بن على سماعا ، قال أنبأنا السلفى سماعا ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازى ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن أحمد

(١) هو أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران القطان : نسب إلى دير العاقول وهو قرية من أعمال بغداد ، روى عنه البغوى والترمذى وغيرهما ، وكان ثقة ، توفى فى شعبان سنة ٢٧٨ .

(٢) خ ط : عن ابراهيم الواسطى وهو خطأ شنيع . وكان محمد بن الحجاج هذا يصنع الهريسة ، ووضع حديثاً فى شأنها . ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠ ، وفى خ ط : الفريسة وهو تحريف .

(٣) ينسب إلى بطن من الأنصار ، وهم بنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة . وفى الأصل والمطبوعة الحطمى وهو تحريف .

ابن عيسى السَّعدى ، أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن على المقرئ ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى ، قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدى قاضى فارس ، حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائى من أهل حَرَّان ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن يَرْبُع ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : كان الجارود بن المعلّى بن حنش بن معلى العبْدى نصرانياً حَسَن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها ، عالماً بسِيرِ الفُرْس وأقاويلها ، بصيراً بالفلسفة والطب ، ظاهر الدهاء والأدب ، كامل الجمال ذا ثروة ومال ، وإنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً فى رجال من عبد القيس ذوى آراء وأسنان وفصاحة وبيان وحجج و برهان ، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وقف بين يديه وأشار إليه وأنشأ يقول :

يانَبيَّ الهُدَى أتتك رجالٌ قَطَعَتْ فَدْفَداً وآلاً فآلاَ (١)
وطَوَتْ نَحْوَكَ الصَّحَاصِحَ تَهْوِى (٢) لا تَعُدُّ الكلاَلَ فيك كلاَلاَ
كلُّ بَهْمَاءَ قصَّرَ الطَّرْفُ عنها أَرْقَلَتْهَا قِلاصُنا إرقالاَ (٣)
وطَوَتْها العتاق يجمح فيها بكُماة كأنجمٍ تتَلالاَ
تبتغى دَفْعَ بأسِ يومٍ عظيمٍ هائلٍ أَوْجَع القلوب وهَالاَ
ومزاداً لمحشْر الخلْق طُرًّا وفراقاً لمن تمادَى ضَلاَلاَ
نحوَ نورٍ من الإله وبُرْهان وبرٍّ ونعمةٍ أن تُنَالاَ
خصَّكَ اللهُ يا ابن آمنةَ الخير بها إذ أتت سِجَالا سجالاَ
فاجعل الحظ منك ياحجة الله جزيلا لا حظ خُلْفٍ أحالا

(١) الفدفد : الفلاة . والآل : السراب . (٢) الصحاصح : جمع صحصح وهو ما استوى من الأرض
(٣) الإرقال : الإسراع .

قال : فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مجلسه وقال له : يا جارود لقد تأخر الموعِد(١) بك وبقومك .

فقال الجارود : فِدَاكَ أبي وأمي ، أمَّا مَنْ تأخَّر عنك فقد فاته حظُّه وتلك أعظم حُوبة وأغلظ عقوبة ، وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعَدَاكَ واتبع سواكَ وإني الآن على دين قد علمت به ، قد جئتك وها أنا تاركه لدِينك ، أفذلك مما يمحّص الذنوب والمآثم والحوب ، ويرضى الربَّ عن المربوب ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ضامن لك ذلك ، وأخْلص الآن لله بالوحدانية ودَعْ عنك دين النصرانية .

فقال الجارود : فداكَ أبي وأمي مُدَّ يدكَ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله .

قال : فأسْلَمَ وأسلم معه أناس من قومه .

فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، وأظهر من إكرامهم ماسُرُّوا به وابتهجوا به .

ثم أقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أفيكم من يعرف قُسَّ بن ساعدة الإيادى ؟

فقال الجارود : فِداكَ أبي وأمي كلنا نعرفه ، وإني من بينهم لعالِم بخبره واقف على أمره .

كان قُسٌّ يارسول الله سَبْطا من أسباط العرب ، عمَّر ستمائة سنة تقفَّر منها خمسة

(١) الأصل والمطبوعة : الموعود . وهو خطأ .

أعمار فى البرارى والقفار ، يضج بالتسبيح على مثال المسيح ، لا يقره قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار ، كان يلبس الأمساح و يفوق السُّياح، ولا يفتُر من رهبانيته ، يتحسى فى سياحته بَيْض النعام و يأنس بالهوام ، و يستمتع بالظلام ، يُبْصِر فيعتبر ، و يفكّر فيختبر .

فصار لذلك واحداً تضرب بحكمته الأمثال ، وتُكْشَف به الأهوال ، أدرك رأس الحواريين سمعان .

وهو أول رجل تألَّه من العرب ووحّد ، وأقرَّ وتعبَّد ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذَّر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ بالموت ، وسلَّم بالقضا ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب بالأشعار ، وفكر فى الأقدار ، وأنبأ عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ، وخطب راكباً ، ووعظ دائبا ، وحذَّر من الكرب ومن شدة الغضب ، ورسَّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم فى خُطَبه ، و بيّن فى كتبه ، وخوّف الدهر ، وحذَّر الأزر ، وعظَّم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق إلى الحنيفية ، ودعا إلى اللاهوتية .

وهو القائل فى يوم عكاظ : شرقٌ وغرب ، و يتم وحزب ، وسلم وحرب ، و يابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، و إناث وذكور ، و برار و بحور ، وحَب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجَمْع وأشتات ، وآيات فى إثرها آيات ، ونور وظلام ، و يسرٌ و إعدام ، وربٌّ وأصنام ، لقد ضل الأنام ، نشوٌ مولود ، ووأدُ مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغنى ، ومحسن ومسىء ، تبًّا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إله واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدَى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، ربُّ الآخرة والأولى .

أما بعد : فيامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل والعوّاد ؟ كلٌّ له مَعَاد ، يُقْسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، فى يوم التناد ، إذا نفخ فى الصور ، ونقر فى الناقور ، وأشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ ، فويلٌ لمن صدف عن الحق الأشهر ، والنور الأزهر ، والعرض الأكبر ، فى يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير . وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق فى الجنة وفريق فى السعير » .

وهو القائل :

ذَكَرَ القلبُ مِن جَوَاه ادّكارُ ... وليالٍ خلالهنّ نهارُ
وسجالٌ هواطلٌ من غمامٍ ... ثُرْنَ ماءً وفى جواهن نارُ
ضوءها يَطْمِس العيون وأرعا ... دٌ شِدادٌ فى الخافقَيْن تُطَارُ
وقصورٌ مَشِيدةٌ حوَت الخيْ ... رَ وأخرى خَلَتْ فهن قِفَارُ
وجبالٌ شوامخٌ راسياتٌ ... وبحار مياهن غِزارُ
ونجوم تَلُوح فى ظُلَمَ الليـ ... لِ نراها فى كل يوم تُدَارُ
ثم شمسٌ يحثُّها قمر الليـ ... ل وكلٌّ مُتَابِعٌ مَوّارُ
وصغيرٌ وأشمطٌ وكبير ... كلهم فى الصعيد يوما مَزَارُ
وكثيرٌ مما يقصِّر عنه ... حَدْسُه الخاطرُ[(١)] الذى لا يَحَارُ
فالذى قد ذكرتُ دل على الله ... نفوساً لها هُدًى واعتبارُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهما نسيت فاست أنساه بسوق عكاظ ، واقفاً على جمل أحمر يخطب الناس : اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آتٍ آتٍ ، مطر

(١) فى اللآلىء المصنوعة : الناظر .

ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تُزْهر ، و بحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، و بِرٌّ وآثام ، إن فى السماء خبرا ، و إن فى الأرض عبرًا ، يحار فيهن البُصَرا ، مِهَاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، و بحار لا تغور ، ومنايا دَوَانٍ ، ودهر خَوّان ، كحدّ النسطاس ، ووَزْن القسطاس ، أقسم قسٌّ قَسَما ، لا كاذبا فيه ولا آثما ، لئن كان فى هذا الأمر رضى ، ليكونن سخط . ثم قال : أيها الناس إن لله دِينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه . ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا .

والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى بعض أصحابه فقال : أيكم يروى شعره لنا ؟ فقال أبو بكر الصديق : فداك أبى وأمى أنا شاهد له فى ذلك اليوم حيث يقول :

فى الذاهبين الأولـين من القرون لنا بصائرْ
لَمَّا رأيت مَوَارداً للموتِ ليس لها مَصَادِرْ
ورأيت قومى نَحْوَهَا يمضى الأصاغرُ والأكابرْ
لا يرجع الماضى إلىّ ولا من الباقين غابرْ
أيقنتُ أنى لا محالة حيث صار القوم صائرْ

قال : فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ من عبد القيس عظيم الهامة ، طويل القامة ، بعيدُ ما بين المنكبين فقال : فِداك أبى وأمى ، وأنا رأيت من قس عَجَبا .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الذى رأيت يا أخا بنى عبد القيس ؟

فقال : خرجت فى شبيبتى أَرْبع بعيراً لى نَدَّ عنى أقفو أثره فى تنائف قفاف ، ذات ضغابيس ، وعَرَصات جَثْجاث بين صدور جُذْعان ، وغَمِير حَوْذَان ، ومَهْمه ظُلْمان ، ورصيع أَيْهُقان ، فبينا أنا فى تلك الفلوات أجول بسَبْسَبها ، وأرنق فَدْفَدها ، إذا أنا بهضبة

فى نشزاتها أراكٌ كَباثٌ مُخْضَوْضلة وأغصانها مُتَهدِّلة ، كأن بَرِيرها حَبُّ الفُلْفل وبَوَاسق أقحوان ، وإذا بعين خَرَّارة وروضة مُدْهَامَّة (١) ، وشجرة عارمة ، وإذا أنا بقُسّ بن ساعدة فى أصل تلك الشجرة وبيده قضيب ، فدنوت منه وقلت له : أنعم صباحا . فقال : وأنت فنَعِم صباحك . وقد وردت العينَ سباع كثيرة ، فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قُسٌّ بالقضيب الذى بيده . وقال : اصبر حتى يشرب الذى قَبْلك . فذُعِرتُ من ذلك ذعراً شديدا ، ونظر إلىّ فقال : لا تخف . وإذا بقبرين بينهما مسجد ، فقلت : ماهذان القبران ؟ قال : قبرا أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع . فأنا مقيم بين قبريهما أعبد الله بين قبريهما أعبد الله حتى ألحق بهما . فقلت له : أفلا تلحق بقومك فتكون معهم فى خيرهم وتُباينهم على شرهم ؟ فقال لى : ثكلتك أمك ! أو ما علمت أن ولد إسماعيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد وعظَّموا الأنداد ؟! ثم أقبل على القبرين وأنشأ يقول :

خليلىَّ هُبَّا طالما قد رقدتما ... أجَدَّكما لا تقضيان كَرَاكما
أرى النومَ بين الجلد والعظم منكما ... كأنّ الذى يَسْقى العقارَ سقاكما
أمِنْ طول نومٍ لا تجيبان داعياً ... كأنّ الذى يسقى العقارَ سقاكما
ألم تعلَمَا أنىِّ بنجران مُفْرداً ... ومالىَ فيه من حبيبٍ سواكما
مقيمٌ على قَبْريكما لستُ بارحاً ... إيابَ الليالى أو يجيبَ صَدَاكما
أبكِّيكما طولَ الحياة وما الذى ... يردُّ على ذى لوعة أَنْ بَكَاكما
فلو جُعِلَتْ نفسٌ لنفسِ امرئ فِدًى ... لَجُدْتُ بنفسى أَنْ تكونَ فِدَاكُما

(١) التنائف : جمع تنوفة وهى المفازة . والقفاف : جمع قف ، وهو حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . والضغابيس : أغصان الثام والشوك التى تؤكل . والجثجاث : نبت . والجذعان : صغار الجبال . والحوذان : نبت . والظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والأيهقان : عشب يطول وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل أو الجرجير البرى . والكباث : النضيج من ثمار الأراك . والمخضوضلة : المبتلة . والبرير : الأول من ثمر الأراك . والمدهامة : الخضراء تضرب إلى السواد نعمة وريا .

كأنكما والموتُ أقربُ غاية بروحىَ فى قبريْكما قد أتاكما

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قُسًّا ، أَمَا إنه سيبعث يوم القيامة أمةً وحده .

وهذ الحديث غريب جداً من هذا الوجه وهو مُرْسل ، إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود . والله أعلم .

وقد رواه البيهقى ، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد ابن عيسى بن محمد بن سعيد القرشى الأخبارى : حدثنا أبى ، حدثنا على بن سليمان بن على ، عن على بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله فذكر مِثْله أو نحوه مطولا بزيادات كثيرة فى نظمه ونثره ، وفيه ما ذكره عن الذى ضلَّ بعيره فذهب فى طلبه قال : فبتُّ فى وادٍ لا آمن فيه حَتْفى ، ولا أركن إلى غير سيفى ، أرقب الكوكب ، وأرمق الغَيْهَب ، حتى إذا الليل عَسْعَس ، وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقدُ فى الليـل الأجَمْ قد بَعَثَ اللهُ نبيًّا فى الحَرَمْ
مِنْ هاشمٍ أهلِ الوفاء والكَرمْ يَجْلو دُجَيَّاتِ الدَّيَاجى والبُهَمْ

قال : فأدرت طرفى فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له فحصاً ، قال فأنشأت أقول :

ياأيها الهاتف فى داجى الظُّلَمْ أهلاً وسهلا بك من طيفٍ أَلَمّْ
بيِّنْ هَدَاكَ اللهُ فى لَحْنِ الكَلِمْ ماذا الذى تدعو إليه يُغْتَنَمْ ؟

قال : فإذا أنا بنحنحة وقائلٍ يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً بالحُبُور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغْفَر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ،

والطرف الأحْورَ ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المَدَر والوَبَر . ثم أنشأ يقول :

الحمـــــد لله الذى لم يَخْلق الخلقَ عَبَثْ
لم يُخْلِنـــا يوماً سُدًى مِنْ بَعْدِ عيسى واكترثْ
أرسل فينا أحمـــداً خـــير نبىٍّ قد بُعِثْ
صلى عليـــه الله ما حَجَّ له ركب وحَثّْ

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

ياناَعِىَ الموتِ والملحودِ فى جَدَثٍ عليهمُ من بقايا ثوبهم[١] خِـــرقُ
دَعْهم فإنــ لهم يوما يُصَاح بهم فهمْ إذا انتبهوا من نومهم أَرِقُوا
حتى يعودوا بحالٍ غـــيرِ حالهمُ خَلْقاً جديداً كما من قبـــله خُلِقوا
منهم عـــــــراة ومنهم فى ثيابهمُ منها الجديد ومنها المُنْهَجُ[٢] الخَلَقُ

ثم رواه البيهقى عن أبى محمد[٣] بن عبد الله بن يوسف بن أحمد الأصبهانى حدثنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فَرْضخ الأخميمى بمكة[٤] ، حدثنا القاسم بن عبد الله بن مهدى ، حدثنا أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى ، حدثنا سفيان بن عُيَيْنة ، عن أبى حمزة الثمالى ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر الإنشاد قال فوجدوا عند رأسه صحيفة فيها :

ياناعِىَ الموتِ والأمواتِ فى جَدَثٍ عليهمُ من بقـايا ثوبهم[١] خِرَقُ
دَعْهم فإنــّ لهم يوما يُصَاح بهم كما يُنَبَّــــــــه من نوماته الصَّعِقُ

(١) المطبوعة : نومهم ، وهو خطأ . (٢) المنهج : الثوب الذى أسرع فيه البلى .
(٣) المطبوعة : محمد ، وهو خطأ . (٤) ذكر الدارقطنى أن أحمد بن سعيد بن فرضخ روى عن القاسم بن عبد الله بن مهدى أحاديث موضوعة كلها كذب لا تحل روايتها ، والحمل فيها على ابن فرضخ فإنه المتهم بها فإنه كان يركب الأسانيد ويضع عليها الأحاديث . انظر اللآلئ المصنوعة ١/١٨٦ .

منهم عـــــراةٌ ومَوْتَى فى ثيابهمُ　　منها الجـــديدُ ومنها الأزرقُ الخَلَقُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى بعثنى بالحق لقد آمن قُسٌّ بالبعث » .

وأصله مشهور ، وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة .

وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ماوقع فى هذا الحديث ، وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه فى الحواشى .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو سعد [١] سعيد بن محمد بن أحمد الشعيثى ، حدثنا أبو عمرو ابن أبى طاهر المحمد أباذى لفظاً ، حدثنا أبو لبابة محمد بن المهدى الأَبْيُوردى [٢] حدثنا أبى ، حدثنا سعيد بن هُبَيرة ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال : قدِم وفد إياد على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مافعل قُسُّ بن ساعدة ؟ قالوا هلك . قال : أما إنى سمعت منه كلاماً مَا أرى أنى أحفظه . فقال بعض القوم نحن نحفظه يارسول الله. قال : هاتوا . فقال قائلهم : إنه وقف [٣] بسوق عكاظ فقال : ياأيها الناس استمعوا ، واسمعوا وَعُوا ، كلُّ من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ماهو آت آت ، ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تُزْهر ، وبحار تزْخَر ، وجبال مُرْساة [٤] وأنهار مُجْراة [٤] إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ، أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرَضُوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُرِكو فناموا ؟ ! أقسم قُسٌّ قَسَما بالله لا آثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى مما أنتم عليه ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبيـن الأولـ　　ـين من القرون لنا بصائرْ

لمـــا رأيتُ مَصَارعاً　　للقوم ليس لهـا مَصَادِرْ

ورأيت قومى نَحْوهَـا　　يمضى الأكابر والأصاغرْ

---

(١) ط خ : أبو سمد بن محمد ، وهو خطأ والتصويب من اللآلئ ..
(٢) ط خ : الأموردى ، وهو خطأ .　　(٣) ط خ : إنى واقف ، وهو خطأ .
(٤) ط خ : مرسية . مجرية ، وهو خطأ .

أيقنت أني لا محـــــــــالة حيث صار القوم صائرْ

ثم ساقه البيهقي من طرق أُخَر قد نبهنا عليها فيما تقدم . ثم قال بعد ذلك كله : وقد رُوى هذا الحديثُ عن الكلْبي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة ونقصان . ورُوِى من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً . وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعبادة بن الصامت كما تقدم، وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نُعَيم في كتاب « الدلائل » عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي ، عن أبي الوليد طريف ابن عبيد الله مولى علي أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحمّاني ، عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود فذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص .

ثم قال البيهقي : وإذا روى الحديث من أوجه أُخر وإن كان بعضها ضعيفاً دَلَّ على أن للحديث أصلا[1] والله أعلم .

ذكر زيد بن عمرو بن نُفَيْل رضى الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤيٍّ القرشي العَدوى .

وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمَّه وأخاه لأمه ، وذلك لأن عمرو بن نُفَيْل كان قد خَلَف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب . قاله الزبير ابن بكار ومحمد بن إسحاق .

---

(١) حديث قس ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقه كلها ١/١٨٣ ــ ١٩٢ ، وذكر علل الطرق جميعاً ، ونقل عن ابن حجر قوله : « قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة وهو في الطوالات للطبراني وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة » .

وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم ، وكان لا يأكل إلا ماذبح على اسم الله وحده .

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أَصْبَح أحدٌ منكم على دِين إبراهيم غيرى . ثم يقول : اللهم إنى لو أعلم أحبَّ الوجوه إليك عَبَدْتك به ، ولكنى لاأعلم . ثم يسجد على راحلته . وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به . وزاد : وكان يصلِّى إلى الكعبة ويقول : إلهى إله إبراهيم ، ودِينى دينُ إبراهيم .

وكان يُحْيِي الموءودةَ ، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، ادفعها إلىَّ أكفلها ، فإذا ترعرعَتْ نُخذْها وإن شئت فادفعها .

أخرجه النسائى من طريق أبى أسامة ، وعلَّقه البخارى فقال :وقال الليث : كتب إلىَّ هشام بن عروة عن أبيه به .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان نَفَر من قريش : زيدُ بن عمرو ابن نفيل ، وورقة بن نَوْفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وعبد الله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مُرَّة [(١)] بن كبير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة . وأمه أميمة بنت عبد المطلب . وأخته زينب بنت جحش التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مولاه زيد بن حارثة . كما سيأتى بيانه . حضروا قريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا : تَصَادَقوا وليكتم بعضكم على بعض . فقال

---

(١) المطبوعة : برة ، وهو تحريف .

قائلهم : تعلمنَّ واللهِ ماقومُكم على شيء ، لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه ، ماوثنٌ يُعْبد لا يَضُر ولا ينفع ؟! فابتغوا لأنفسكم(١) .

فخرجوا يطلبون و يسيرون فى الأرض يلتمسون الحنيفيَّة دينَ إبراهيم .

فأما ورقة بن نوفل فتنصَّر واستحكم فى النصرانية وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب .

ولم يكن فيهم أَعْدَلَ أمراً وأعدل ثباتاً من زيد بن عمرو بن نُفَيل ،اعتزل الأوثانَ وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دينَ الحنيفية دين إبراهيم ، يوحِّدالله ويَخْلع مَنْ دونه ولا يأكل ذبائح قومه فآذاهم بالفراق لِمَا هُمْ فيه .

قال : وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ، ووكَّل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل [مكة] فكان لا يدخلها إلا سراً منهم فإذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ماهو عليه .

وقال موسى بن عُقْبة : سمعت مَنْ أَرْضَى يحدِّث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم و يقول : الشاةُ خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ، لِمَ تذبحوها على غير اسم الله ؟ ! إنكاراً لذلك و إعظاما له .

وقال يونس عن ابن إسحاق : وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة ليضرب(٢) فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، وكانت امرأته صفية بنت الحضْرمى كلما أبصرته قدنهض للخروج وأراده آذنت الخطابَ بن نُفَيْل .

فخرج زيد إلى الشام يلتمس و يطلب فى أهل الكتاب الأول دين إبراهيم

---

(١) ابن هشام : باقوم التمسوا لأنفسكم . (٢) خ ط : فضرب .

ويسأل عنه ، ولم يزل فى ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلهـا ، ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها ، حتى أتى راهباً ببيعة من أرض البَلْقاء كان ينتهى إليه عِلم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دينِ إبراهيم ، فقال له الراهب : إنك لتَسْأل عن دين ماأنت بواجدٍ مَنْ يحملك عليه اليومَ ، لقد دَرَس مَنْ عَلِمه وذهب من كان يعرفه ، ولـكنه قد أظَلَّ خروجُ نبى وهذا زمانه . وقد كان شامَّ اليهوديةَ والنصرانية فلم يرض شيئا منها ، فخرج سريعاً حين قال له الراهب ماقال يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لَخْم عَدوا عليه فقتلوه ، فقال وَرَقة يرثيه :

رَشَدْتَ وأَنْعَمْتَ ابنَ عمرو وإنما تجنبتَ تَنُّوراً من النـار حاميـاَ
بِدَينِك رَبًّا ليس ربٌّ كمثـله وترْكِك أوثانَ الطَّواغى كما هِيَا
وقد تُدْرِكُ الإنسان رحمـةُ ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبة : حدثنا أحمد بن طارق الوابشى ، حدثنا عمرو بن عطية ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتألَّه فى الجاهلية ، فانطلق حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب أن تُدْخلنى معك فى دينك . فقال له اليهودى : لا أدخلك فى دينى حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال : من غضب الله أَفِرُّ .

فانطلق حتى أتى نصرانياً ، فقال له : أحب أن تدخلنى معك فى دينك . فقال : لست أدخلك فى دينى حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال : من الضلالة أَفِرُّ .

قال له النصرانى : فإنى أدلك على دين إن تبعته اهتديتَ . قال : أى دين ؟ قال : دين إبراهيم . قال: فقال اللهم إنى أشهدك أنى على دين إبراهيم عليه أحيا وعليه أموت .

قال : فذُكِر شأنه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : هو أُمَّة وحدَه يومَ القيامة .

وقد روى موسى بن عُقْبة ، عن سالم ، عن ابن عمر نحو هذا .

وقال محمد بن سعد : حدثنا على بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشى ، عن إسماعيل ، عن مُجَالد عن الشَّعبي ، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : شامَمْتَ اليهوديةَ والنصرانية فكرهتهما ، فكنت بالشام وما والاها ، حتى أتيت راهبا فى صومعة فذكرت له اغترابى عن قومى وكراهتى عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية. فقال له : أراك تريد دينَ إبراهيم يا أخا أهل مكة ، إنك لتطلب ديناً مايوجد اليوم أحد يَدِين به ، وهو دين أبيك إبراهيم ، كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، كان يصلى ويسجد إلى هذا البيت الذى ببلادك ، فالحق ببلدك فإن الله يبعث مِن قومك فى بلدك من يأتى بدين إبراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله . وقال يونس عن ابن إسحاق حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل : أن زيداً كان إذا دخل الكعبة قال : لَبَّيْك حَقًّا حقا ، تعبداً ورِقًّا ، عُذْتُ بما عاذ به إبراهم [مستقبل القبلة][1] وهو قائم ، إذ قال إلٰهى أنفى لك عانٍ راغم ، مهما تُجَشِّمنى فإنى جاشم ، البرَّ أبغى لا الخالَ[2] ، ليس مُهجِّر كمن قال[3] .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعودى ، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفيل العَدَوى ، عن أبيه عن جده ، أن زيدَ بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت ياصاحب البعير ؟ فقال : مِنْ بَنِيَّة إبراهيم . فقال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدينَ . قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر فى أرضك .

---

(١) من ابن هشام (٢) الخال : الخيلاء والكبر . وفى المطبوعة : أتحال ، وهو تحريف .
(٣) المهجر : من يسير فى الهاجرة وهى شدة الحر . ومن قال : من نام فى القائلة . وفى ابن هشام : ليس مهجر .

قال : فأما ورقة فتَنَصَّر ، وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقنى فرجع وهو يقول :

لَبَّيْك حقًّا حقًّا ، تعبُّـــــداً ورِقًّا ، البرَّ أَبْغِى لا الخال ، فهل مُهجِّر كمَنْ قال؟!

آمنتُ بمـا آمن به إبراهم وهو يقول: أنفِي لك عانٍ راغم ، مهما تُجَشِّمنى فإنى جاشِم ، ثم يخر فيسجد .

قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يارسول الله إن أبى كما رأيت وكما بلغك ، فاستغفرْ له ، قال : «نعم فإنه يبعث يومَ القيامة أمةً وحده[(١)]» .

قال : وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله صلى الله عايه وسلم ومعه زيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سفرة لهما ، فدعواه لطعامهما فقال زيد بن عمرو : يا ابن أخى أنا لا آكل مما ذبح على النُّصُب[(٢)] .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمرو ، حدثنى أبو بكر بن أبى سبرة ، عن موسى ابن ميسرة ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن حجر بن أبى إهاب . قال : رأيت زيدَ بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد مارجع من الشام ، وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدتين ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل ، لا أعبد حَجَراً ولا أصلّى له ولا آكل ماذبح له ولا أستقسم الأزلام ، وإنما أصلّى لهذا البيت حتى أموت . وكان يحج

---

(١) خ ط : واحدة

(٢) هنا يأتى اعتراض : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية ؟

وقد أجاب السهيلى بوجهين : الأول أنه ليس فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

والثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة . انظر الروض الأنف ١/١٤٧

فيقف بعرفة ، وكان يلبّى فيقول : لبيك لا شريك لك ولا نِدَّ لك ثم يَدْفع من عرفة ماشيا وهو يقول : لبيك متعبِّداً مَرْقُوقا .

وقال الواقدى : حدثنى على بن عيسى الحكمى ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه ، وأنا أومن به وأصدِّقه وأشهد أنه نبى ، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يَخْفَى عليك . قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مَوْلده ومَبْعَثه ، ثم يُخْرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تُخْدَع عنه ، فإنى طفت البلاد كلها أطلب دينَ إبراهيم ، فكان مَنْ أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك . وينعتونه مثلَ ما نعتُّه لك ، ويقولون : لم يبق نبى غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قول زيد بن عمرو وإقرائه منه السلام ، فردَّ عليه السلام وترحَّم عليه وقال : قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا .

وقال البخارى فى صحيحه : ذكر زيد بن عمرو بن نفيل : حدثنى محمد بن أبى بكر ، حدثنا فُضَيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُقْبة ، حدثنى سالم ، عن عبد الله بن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيدَ بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح [١] قبل أن ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحى ، فقدِّمت إلى النبى صلى الله عليه وسلم سُفْرة فأبى أن يأكل منها . ثم قال زيد : إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب قال ابن قيس الرقيات :

فمنًى فالجمارُ من عبد شمس مُقْفِراتٌ فبلدحٌ فحراءُ

إلا ماذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ، ثم تَذْبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاما له .

قال موسى بن عُقْبة : وحدثنى سالم بن عبد الله ، ولا أعلمه إلا تحدَّث به عن ابن عمر ، أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتَّبعه ، فاقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم ، فقال : إنى لَعَلَى أن أَدِينَ دِينكم[1] فأخبرنى . فقال : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبَك من غضب الله : قال زيد : وما أَفِرُّ إلا من غضب الله تعالى ، ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا أستطيعه[2] ، فهل تدلنى على غيره ؟ قال : ما أعْلمه ، إلا أن تكون حنيفا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم عليه السلام ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد ، فلقى عالما من النصارى فذكر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك [من لعنة الله . قال : ما أَفِرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أَحْمِل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، ولا أستطيع ، فهل تدلنى][3] على غيره ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون حَنِيفا . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله .

فلما رأى زيد قولهم فى إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إنى أُشهدك أنى على دين إبراهيم .

قال : وقال الليث : كتب إلىَّ هشامُ بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة يقول :

(١) أى عازم عليه ومتهيء له .
(٢) الذى فى البخارى ٢/١٧٨ طبعة الأميرية : « وأنا أستطيعه » .
(٣) سقط من المطبوعة .

يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى . وكان يُحْيى الموءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها . فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئتَ دفعتُها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها . انتهى ما ذكره البخارى[1] .

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر ، من طريق أبى بكر بن أبى داود عن عيسى بن حماد ، عن الليث ، عن هشام ، عن أبيه عن أسماء فذكر نحوه .

وقال عبد الرحمن بن أبى الزِّناد : عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن أسماء قالت : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش إياكم والزنا فإنه يورث الفقر .

وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديثَ غريبة جدا ، وفى بعضها نكارة شديدة .

ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يُبْعث يوم القيامة أمةً وحدَه . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى ، عن مُجَالِد عن الشعبى ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة فى الجاهلية ويقول : إلهى إلهُ إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر ذاك أمةً وحده بينى وبين عيسى بن مريم » . إسناده جيد حسن .

وقال الواقدى : حدثنى موسى بن شَيْبة ، عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال سمعت سعيد بن المسيَّب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال : توفى وقريش

---

(١) صحيح البخارى ٢/١٧٨-١٧٩ .

تبنى الكعبة ، قبل أن ينزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، ولقد نَزَل به[(١)] وإنه ليقول أنا على دين إبراهيم . فأسلم ابنهُ سعيد بن زيد واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتى عمرُ بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه ، فإنه مات على دين إبراهيم . قال : فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحَّم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب : رحمه الله وغفر له .

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنى زكريا بن يحيى السَّعدى ، عن أبيه قال : مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حِرَاء .

وقد تقدم أنه مات بأرض البلقاء من الشام لمّا عدَا عليه قومٌ من بنى لَخْم فقتلوه بمكان يقال له مَيْفَعة . والله أعلم .

وقال الباغَنْدِىّ : عن أبى سعيد الأشجّ ، عن أبى معاوية ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلتُ الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دَوْحَتين » وهذا إسناد جيد ، وليس هو فى شىء من الكتب .

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله :

إلى الله أُهْدِى مِدْحتى وثَنَائيَا وقولاً رَضِيًّا لا يَنِى الدهرَ باقيَا
إلى المَلِكِ الأَعْلَى الذى ليس فَوْقَه إلهٌ ولا ربٌّ يكون مُدَانيَا

وقد قيل إنها لأمية بن أبى الصَّلْت . والله أعلم.

ومن شعره فى التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق والزُّبَيْر بن بَكَّار وغيرهما :

وأَسْلَمتُ وجهى لمن أَسْلَمَتْ له الأرضُ تَحْمِل صَخْراً ثِقَالاَ

---

(١) أى الموت .

دَحَاها فلمــا استوت شَدَّها   سواءً وأَرْسَى عليها الجبالاَ
وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ   له المُزْن تحمــل عَذْبا زَلالا
إذا هى سِيقت إلى بــلدة   أطاعت فصَبَّتْ عليها سِجَالاَ
وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ   له الريحُ تَصرِف حالاً فحالاَ

وقال محمد بن إسحاق : حـدثنى هشام بن عروة قال : روى أبى أن زيد بن عمرو قال :

أرَبًّا واحداً أَمْ ألفَ رَبٍّ   أَدِينُ إذا تقسَّمتِ الأمورُ
عزلتُ اللاتَ والعُزَّى جميعا   كذلك يَفْعل الجَلْدُ الصَّبُورُ
فلا العُزَّى أَدِينُ ولا ابنتيْها   ولا صنَمَىْ بنى عمرو أزورُ
ولا غَــنما أدين وكان ربًّا   لنا فى الدهر إذ حُلْمى يَسِيرُ
عجبتُ وفى الليــالى مُعْجِبات   وفى الأيام يعرفها البصــيرُ
بأنّ الله قد أفــنى رجالاً   كثيراً كان شأنهمُ الفجورُ
وأَبقَى آخرين ببِرِّ قــوم   فيَرْبُل منهم الطفلُ الصغيرُ
وَبيْنَا المرء يَعثُرُ ثابَ يوما   كما يتروَّحُ الغُصْن النضــيرُ
ولــكنْ أعبد الرحمنَ ربى   ليغفر ذنبىَ الربُّ الغفورُ
فتقوى اللهِ ربكمُ احفظوهـا   مَتَى ما تحفظوها لا تَبُورُوا
تَرَى الأبرارَ دارهمُ جِنانٌ   وللـكفار حامية سعــيرُ
وخزىٌ فى الحياة وإنْ يَمُوتوا   يلاَقوا ما تَضِيقُ به الصدورُ

هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة . وقد رواه أبو القاسم البغوى عن مُصْعب بن عبد الله ، عن الضحاك بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد

قال : قال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت : قال زيد بن عمرو بن نفيل :

عزلتُ الجنَّ والجنّان عنّى ... كذلك يَفْعل الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أَدِين ولا ابنتَيْها ... ولا صنمَىْ بنى طَسم أدير
ولا غَنْماً أَدِينُ وكان ربًّا ... لنا فى الدهر إذ حُلْمى صغيرُ
أربًّا واحداً أم ألفَ رب ... أَدِينُ إذا تقسَّمت الأمورُ
ألم تعلم بأن الله أفنى ... رجالاً كان شأنهمُ الفجورُ
وأبقى آخرين ببرِّ قومٍ ... فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
وَبيْنَا المرء يعثر ثاب يوما ... كما يتروَّح الغصن النضير

قالت : فقال ورقة بن نوفل :

رَشَدْتَ وأَنْعَمْتَ ابن عمرو وإنما ... تجنَّبْتَ تنُّوراً من النار حامياَ
لدَيْنِك ربًّا ليس ربٌّ كمثله ... وتَرْكِك جنّان الجبال كما هِيَا
أقول إذا أهبطتُ أرضاً مخُوفة ... حَنَانَيْك لا تُظْهِرْ علىَّ الأعاديا
حنانيك إن الجن أنت[1] رجاؤهم ... وأنت إلهى ربَّنا ورجائيا
لَتُدْرِكَنَّ المرءَ رحمةُ ربه ... وإن كان تحت الأرض سبعين واديا[2]
أَدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرَى ... أَدِينُ لمن لا يَسْمَع الدهر داعيا
أقول إذا صلَّيْتُ فى كل بَيْعةٍ ... تباركتَ قد أكثرتُ باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش ، فتنصَّروا إلا زيداً فإنه لم يدخل فى شىء من الأديان ،

---

(١) ط : كانت (٢) رواية ابن هشام :

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ... وإن كان تحت الأرض سبعين واديا

وهى أولى ، وقد ذكرها المؤلف قبل . ونصب سبعين على تقدير فعل مثل : بعد تحت الأرض سبعين واديا .

بل بقى على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له ، متَّبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم . على ما ذكرناه .

وأما ورقة بن نوفل فسيأتى خبره فى أول المبعث

وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأموى ، ومختصره : أنه لما قَدِم على قيصر فشكا إليه ما لقى من قومه ، كتب له إلى ابن جَفْنة ملِك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش ، فعزم على ذلك ، فكتبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لِماَ رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جَفْنة قميصاً مصبوغا مسموما فمات مِنْ سمه ، فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموى ، تركناه اختصاراً .

وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر شىء مما وقع من الحوادث فى زمن الفَتْرة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم . وجاء فى ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

وأقوى الأقوال أن أولَ مَنْ بناه الخليلُ عليه السلام . كما تقدم . وكذلك رواه سِماكُ بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن على بن أبى طالب . قال : ثم تهدَّم فَبَنَتْه العمالقة ، ثم تهدَّم فبنَتْه جُرْهم ، ثم تهدَّم فبنَتْه قريش .

قلت : سيأتى بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة . وقال الزهرى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الُحلُم . وسيأتى ذلك كله فى موضعه إن شاء الله وبه الثقة .

ذكر كعب بن لؤى

روى أبو نُعَيْم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التَّيْمى ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبى سَلَمة قال : كان كعب بن لُؤَىّ يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسميه العَرُوبة ، فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعوا وتعلَّموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساج ، ونهار ضَاحٍ والأرض مِهَاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأنثى والذكر ، والزوج[1] وما يهيج إلى بِلًى ، فصِلُوا أرحامَكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمِّروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رَجَع ؟

(٢) خ ط : والروح . وهو خطأ . والذى فى دلائل النبوة لأبى نعيم : والأنثى والذكر والزوج إلى بلى صائرون .

أو ميت نُشِر ؟ الدار أمامكم ، والظن غير ماتقولون ؛ حَرَمكم زَيِّنوه وعظِّموه وتمسكوا به ، فسيأتى له نبأ عظيم ؛ وسيخرج منه نبى كريم ثم يقول :

نهارٌ وليل كلَّ يوم بحادث　　سواء علينا ليلُها ونهارُها
يؤوبان بالأحداث حين تأوَّبا　　و بالنِّعَم الضافى علينا سُتورها
على غفلةٍ يأتى النبىُّ محمدٌ　　فيُخْبِرأخباراً صَدُوقٌ خبيرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع و بصر ، و يدٍ ورجل ، لتَنصَّبْتُ فيها تنصُّبَ الجمل ، ولأَرْقَلْتُ فيها إرقال الفَحْل(١) . ثم يقول :

ياليتنى شاهداً فَحْواءَ(٢) دعوته　　حين العشيرةُ تَبْغى الحقَّ خُذْلانا

قال : وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام وستون سنة .

ذكر تجديد حفر زمزم

على يدى عبد المطلب بن هاشم التى كان قد دَرَسَ رَسْمُها بعد طَمِّ جُرْهم لها إلى زمانه .

قال محمد بن إسحاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجْر [إذ أُتى فأُمِر بحفر زمزم](٣)

وكان أول ما ابتدى به عبد المطلب مِنْ حَفْرها ؛ كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مَرْثَدِ بن عبد الله اليَزَنى(٤) ، عن عبد الله بن زُرَير(٥) الغافِقىّ أنه سمع

---

(١) العجل . وهو خطأ .　　(٢) نجواء . وهو خطأ .
(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .　　(٤) المطبوعة : المزنى ، وهو تحريف :
(٥) المطبوعة : رزين ، وهو تحريف .

علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يحدّث حديثَ زمزم حين أُمِر عبدُ المطلب بحفرها قال : قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحِجْر إذ أتانى آتٍ فقال لى : احفر طِيبَة . قال : قلت وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال : احفر بَرَّة . قال : قلت وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المَضْنُونة . قال قلت : وما المَضْنونة ؟ قال ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال: احفر زَمْزَم . قال :قلت وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِف أبداً ولا تُذَمّ(١) ، تَسْقى الحجيجَ الأعظم ، وهى بين الفَرْث والدم ، عند نُقْرة الغراب الأعْصَم ، عند قرية النمل (٢) .

قال : فلما بُيِّن له(٣) شأنُها ودُلَّ على موضعها ، وعرف أنه قد صُدِق ، غَدَا بمِعْوَله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطَّلب ، وليس له يومئذ ولدٌ غيرُه ، فحفر فيها ، فلما بَدَا لعبد المطلب الطَّىُّ (٤) كَبَّر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : ياعبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل ، و إن لنا فيها حقاً فأَشْرِكنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْت به دُونكم وأُعطيته مِنْ بينكم . قالوا له : فأَنْصِفنا فإنا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بينى و بينكم من شئتم أحاكمكم إليه . قالوا: كاهنةُ بنى سعد بن هذيم(٥) قال : نعم . وكانت بأشراف الشام .

---

(١) بئر ذمة وذميم وذميمة : قليلة الماء . فهو من أذممت البئر ، أى وجدتها ذمة ، كما تقول : أجبنت الرجل إذا وجدته جباناً . وفى المطبوعة : تزم ، وهو تحريف .
(٢) ذكر السهيلى عللا لهذه العلامات من أحوال زمزم . (٣) المطبوعة : لى ، وهو خطأ .
(٤) الطى : ما طوى به البئر من الحجارة . وفى المطبوعة : الطمى وهو تحريف .
(٥) الطبرى : سعد هذيم . وهو الصواب .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر . فخرجوا والأرض إذ ذاك مَفَاوِزُ ، حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهَلَكة ، فاستَسْقوا مَنْ معهم فأَبَوْا عليهم وقالوا : إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم . فقال عبد المطلب : إنى أرى أن يحفر كلُّ رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلا واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة رَكْبٍ جميعِه . فقالوا: نِعْم ما أَمَرْت به .

فحفر كل رجل انفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا(١) بأيدينا هكذا للموت لا نضربُ فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لَعَجْزٌ ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحِلوا . فارتَحلوا، حتى إذا بَعَث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عينُ ماء عذب ، فكَبَّر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ثم دعا قبائلَ قريش وهم ينظرون إليهم فى جميع هذه الأحوال فقال : هلموا إلى الماء فقد سقانا الله . فجاءوا فشربوا واستَقَوْا كلُّهم ، ثم قالوا : قد والله قُضِى لك علينا ، والله ما نخاصمك فى زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً .

فرجع ورجعوا معه ، ولم يَصِلوا إلى الكاهنة ، وخَلَّوا بينه وبين زمزم .

قال ابن إسحاق : فهذا مابلغنى عن على بن أبى طالب فى زمزم .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت مَنْ يحدِّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِر بحفر زمزم :

(١) ط خ : قال لأصحابه : ألقينا بأيدينا الخ . وهو تحريف — وما أثبته عن ابن هشام .

ثم ادْعُ بالماء الرَّوِى غيرِ الـكَدِرْ   يسقى حجيجَ الله فى كل مَبَرّ [١]

ليس يُخَاف منه شىءٌ ما عمِرْ

قال : فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : تعلَّموا أنى قد أُمِرْت أن أحفر زمزم . قالوا : فهل بُيِّن لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضْجعك الذى رأيتَ فيه مارأيت ، فإن يَكُ حقا من الله يبيَّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع ونام فأتى فقيل له :

احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لن تندم ، وهى تراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تَنْزف أبداً ولا تُذَمّ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، مثل نعام جافل [٢] لم يُقْسم ، يَنْذر فيهـا ناذر لمُنْعِم [٣] . تـكون ميراثا وعَقْـداً مُحْـكَمْ . ليست كبعض [٤] ماقد تَعْلم ، وهى بين الفَرْث والدم .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال : وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل حيث يَنْقر الغراب غداً . فالله أعلم أى ذلك كان .

قال : فغدَا عبدُالمطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره . زاد الأموى : ومولاه أصرم . فوَجَد قرية النمل ، ووجد الغرابَ ينقر عندها بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تَنْحر عندهما ، فجاء بالمِعْوَل وقام ليحفر حيث أُمِر ، فقامت إليه قريش وقالت: والله لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنا اللذين ننحر عندهما . فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عنى حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خلَّوا بينه وبين الحَفْر وكَفُّوا عنـه ، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطَّىُّ فـكبَّر

(١) مبر : مفعل من البر ، أى مناسك الحج ومواضع الطاعة .

(٢) الجافل : من جفلت الغنم إذا انقلعت بجملتها . ولم يقسم : لم يتوزع ولم يتفرق .

(٣) المطبوعة : بمنعم . وهو خطأ .   (٤) المطبوعة : لبعض ، وهو خطأ .

وعرف أنه قد صُدِق ، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب اللذين كانت جرهم قد دفنتهما ، ووجد فيها أسيافا قَلْعية وأدراعا .

فقالت له قريش : ياعبد المطلب لنا معك فى هذا شِرْك وحق . قال : لا ، ولكن هلم إلى أمرٍ نَصَف بينى وبينكم،نضربُ عليها بالقِدَاح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ولى قِدْحين ولكم قِدْحين ، فمن خرج قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلّف قدحاه فلا شىء له . قالوا : أنصفت . فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ، ثم أعطوا القداح للذى يضرب عند هُبَل ـ وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : اعل هبل . يعنى هذا الصنم ـ وقام عبد المطلب يدعو الله .

وذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنت الملكُ المحمودْ ربى أنت المبدئ المعيدْ

وممسك الراسية الجلمود من عندك الطارفُ والتليدْ

إن شئت ألهمتَ كما تريد لموضع الحِلْية والحديدْ

فبيِّن اليوم لما تريد إنى نذرت العاهدَ المعهودْ

اجعله ربِّ لى فلا أعود

قال وضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلّف قِدْحا قريش . فضرب عبدُ المطلب الأسيافَ بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِّيَتْه الكعبةُ [1] فيما يزعمون .

ثم إن عبد المطلب أقام سِقَاية زمزم للحاج وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كان

---

(١) المطبوعة : حلية للكعبة ، وهو تحريف .

فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم فى زمن عبد المطلب ، ثم عددها ابن إسحاق وسماها وذكر أماكنها من مكة وحافريها ، إلى أن قال : فعَفَّت زمزمُ على البئار كلها وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ماسواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب .

وقد ثبت فى صحيح مسلم فى حديث إسلام أبى ذَرّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى زمزم : « إنها لَطَعام طُعْم . وشفاء سُقم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن عبد الله بن المؤمل ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لِماَ شُرِب منه » .

وقد رواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تكلموا فيه ولفظه : « ماء زمزم لِما شُرِب له » . ورواه سويد بن سعيد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن أبى الموالى ، عن محمد بن الْمُنْكَدر ، عن جابر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له » ولكن سُوَيد بن سعيد ضعيف . والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم . وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا « ماء زمزم لما شرب له » وفيه نظر . والله أعلم .

وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل : إذا شربتَ من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفَّسْ ثلاثا وتضَلَّع منها ، فإذا فرغت فاحمدالله، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن آيةَ ماييننا وبين المنافقين لا يتضلَّعون من ماء زمزم » .

وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال : اللهم إنى لا أحلها لمغتسِل ، وهى لشارب حِلٌّ وبَلٌّ .

وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه ، فإنه هو الذى جدَّد حَفْرَ زمزم كما قدمنا والله أعلم .

وقد قال الأموى فى مغازيه : حدثنا أبو عبيد ، أخبرنى يحيى بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، سمعت سعيدَ بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حِلٌّ وبَلٌّ . وذلك أنه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعندذلك قال : لا أحلها لمغتسل ، لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه.

قال أبو عُبَيد : قال الأصمعى : قوله « وبَلٌّ » إتباع . قال أبو عبيد : والإتباع لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال مُعْتمر بن سليمان أن « بل » بلغة حمير : مباح .

ثم قال أبو عبيد : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبى النجود ، أنه سمع زِرًّا أنه سمع العباس يقول : لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حل وبل . وحدثنا عبد الرحمن ابن مهدى ، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن علقمة ، أنه سمع ابن عباس يقول ذلك . وهذا صحيح إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك فى أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، فلا ينافى ما تقدم . والله أعلم .

* * *

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ، ثم صارت إلى ابنه أبى طالب مدَّة ، ثم اتفق أنه أَمْلَق فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر ، وصرفها أبو طالب فى الحجيج فى عامه فيما يتعلق بالسقاية ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبى طالب شىء ، فقال لأخيه العباس : أسلفنى أربعة عشر ألفا أيضا إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك ، فقال له العباس : بشرط إن لم تعطنى تترك السقاية لى أكفكها . فقال : نعم .

فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبى طالب ما يُعْطى العباسَ ، فترك له السقاية فصارت إليه ، ثم بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى على بن عبد الله بن عباس ، ثم إلى داود بن على ، ثم إلى سليمان بن على ، ثم إلى عيسى بن على ، ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين . ذكره الأموى .

ذِكْرُ نَذْر عبدِ المطلب ذَبْحَ أحدِ وَلَده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب ، فيما يزعمون ، نَذَر حين لَقِي من قريش مالقى عند حفر زمزم ، لئن وُلد له عشرةُ نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدَهم لله عند الكعبة .

فلما تكامل بنوه عشرةً . وعرف أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزبير ، وحَجل ، وضرار ، والمقوّم ، وأبو لهب ، والعباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك . فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : لِيأْخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى .

ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هبل قداح سبعة ، وهى الأزلام التى يتحا كمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عَقْل أو نسب أو أمر من الأمور ، جاءوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القِدْح على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبَّهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشَّفْرة ثم أقبل به إلى إسَاف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ما تريد

يا عبد المطلب ؟ قال أذبحه ، فقالت له : قريش وبنوه إخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبدا حتى تُعْذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجىء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ !

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن العباس هو الذى اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال إنه شج وجهه شجا لم يزل فى وجهه إلى أن مات .

ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عَرّافة لها تابعٌ ، فيسألها عن ذلك ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرَتْك بذبحه فاذبحه ، و إن أمرتك بأمر لك وله فيه مخْرج قبلْتَه .

فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهى سَجَاح ، فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقَصَّ عليها عبد المطلب خبرَه وخبر ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله .

فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر ، كم الدِّيَة فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قرِّبوا صاحبَكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ؛ فزادوا عشراً فلم يزالوا يزيدون عَشراً ويَخْرج القِدْح على عبد الله حتى بلغت الإبلُ مائةً ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ،

فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب، وهو قائم عند هبل يدعو الله : قد انتهى رَضى ربك ياعبد المطلب . فعندها زعموا أنه قال : لا حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات . فضربوا ثلاثا ويقع القدْح فيهـا على الإبل ، فنُحِرت ثم تركت لا يُصَدُّ عنهـا إنسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال : ولا سَبُع .

وقد روى أنه لمـا بلغت الإبل مائة خرج القدح على عبـد الله أيضا ، فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا مائة أخرى فصارت الإبل ثلاثمائة ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرها عند ذلك عبد المطلب . والصحيح الأول . والله أعلم .

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن قبيصة بن ذؤيب ، أن ابن عباس سألته امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عنـد الكعبة ، فأمرها بذبح مائة من الإبل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبدَ الله بن عمر فلم يفتها بشىء بل توقَّف . فبلغ ذلك مروانَ بن الحكم ، وهو أمير على المدينة ، فقال : إنهما لم يصيبا الفُتْيَا . ثم أمر المرأةَ أن تعمل ما استطاعت من خير ، ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل ، وأخذ الناس بقول مروان بذلك . والله أعلم .

ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله
من آمنة بنت وهب الزهرية

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمر به ، فيما يزعمون ، على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهى أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهى عند الكعبة ، فنظرت إلى وجهه فقالت : أين تذهب

ياعبد الله ؟ قال : معأبى . قالت : لك مثل الإبل التى نُحِرت عنك وقَعْ علىَّ الآن . قال : أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه .

فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر ، وهو يومئذ سيد بنى زُهْرة سنًّا وشرفًا ، فزوَّجه ابنته آمنةَ بنت وهب ، وهى يومئذ سيدة نساء قومها .

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانَه ، فوقع عليها ، فحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج مِن عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ماعرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىَّ اليوم ماكنت عرضت بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة [1] . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر واتبع الكتب ، أنه كائن فى هذه الأمة نبى ، فطمعت أن يكون منها ، فجعله الله تعالى فى أشرف عنصر وأكرم مَحْتِد وأطيبَ أصل ، كما قال تعالى « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » وسنذكر المولد مفصلا .

ومما قالت أم قتَّال بنت نوفل من الشعر، تتأسف على ما فاتها من الأمر الذى رامته ، وذلك فيما رواه البيهقى من طريق يونس بن بَكير عن محمد بن إسحاق رحمه الله :

عليك بآلِ زُهْرة حيث كانوا ... وآمنةَ التى حملتْ غلامَا
ترى المهدىَّ حين نزَا عليها ... ونوراً قد تقدَّمه أماما

---

(١) الواضح من الرواية أنها طلبت من عبد الله الفاحشة فأبى ، وفى اليوم التالى عرض هو عليها فأبت ، وعللت إباءها بأن النور الذى كان فى وجهه قد زال ، وفى هذا اتهام لعبد الله ، وفلسفة للفاحشة بأنها كانت رغبة فى النور . . ! وليس نور النبوة إفراز عضو ولا إشراقة وجه ، والرواية ظاهرة الاختلاق ، وهى ذم فى صورة مدح ! هذا وقد جاء بعد أنها طلبت منه الزواج .

[إلى أن قالت] :

فكلُّ الخلق يرجوه جميعاً يسود الناس مهتدياً إماما
براه الله من نورٍ صفاه فأذهب نورُه عنا الظلاما
وذلك صُنع ربك إذ حباه إذا ماسار يوماً أو أقاما
فيهدى أهلَ مكة بعد كفرٍ ويفرض بعد ذلكم الصياما (١)

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى : حدثنا على بن حَرب ، حدثنا محمد ابن عُمارة القرشى ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجى ، حدثنا ابن جُريج ، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مَرَّ به على كاهنة من أهل تبالة متهوِّدة قد قرأت الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية ، فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت يافتى هل لك أن تقع علىّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرامُ فالمَمَات دُونه والحِلّ لا حِلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تَبْغِينه

ثم مضى مع أبيه فزوَّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً. ثم إن نفسه دعته إلى مادعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت : ماصنعتَ بعدى ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة رِيبة ، ولكنى رأيت فى وجهك نوراً فأردت أن يكون فىّ ، وأَبَى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول :

إنى رأيت مَخِيلةً لَمعَتْ فتلألأت بحناتم (٢) القَطْرِ

---

(١) هذا أيضاً ظاهر الاختلاق ، وعليه ركاكة الصنع وتفاهة الوضع ، ولا أدرى لم خص الصيام من بين شعائر الإسلام !! .   (٢) الحناتم : السحائب السود .

فلمأتُها[1] نوراً يضىء له ... ما حَوْلَه كإضاءة البَدْرِ
ورجَوْتُها فخراً أبوءُ به ... ما كلُّ قادح زنده يُورِى
لله ما زُهْرِيّةٌ سَلَبَتْ ... ثَوْبيكَ ما استابت وما تَدْرِى

وقالت فاطمة أيضاً :

بَنى هاشمٍ قد غادرت من أخيكم ... أُمَيْنَة إذ للباه يعتركان
كما غادر المصباحُ عِنْدَ خُمُوده ... فتائل قد مِيثَتْ[2] له بدهانِ
وما كلُّ مايَحْوِى الفتى مِنْ تِلادِه ... بِحَزْم ولا مافاته لتوانى
فأجْمِل إذا طالبْتَ أمراً فإنه ... سيكفيكه جَدَّان يَعْتَلِجان
سيكفيكه إما يد مُقْفَعِلَّةٌ[3] ... وإما يَدٌ مبسوطة بِبَنَانِ
ولما حَوَتْ منه أُمَيْنَة ماحوت ... حَوَتْ منه فخراً ما لذلك ثانِ

وروى الإمام أبو نعيم الحافظ فى كتاب « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن محمد الزُّهْرى ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن عون ، عن المِسْور بن مَخْرمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد المطلب قَدِم اليمنَ فى رحلة الشتاء ، فنزل على حَبْر من اليهود . قال : فقال لى رجل من أهل الديور — يعنى أهل الكتاب — : ياعبد المطلب أتأذن لى أن أنظر إلى بعضك ؟ قال : نعم إذا لم يكن عورة . قال : ففتح إحدى منخرىّ فنظر فيه ثم نظر فى الآخر ، فقال : أشهد أن فى إحدى يديك مُلْكاً وفى الأخرى نُبُوّة ، وإنا نجد ذلك فى بنى زُهْرة فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدرى . قال :

---

(١) رواية أبى نعيم : فلما بها نور . وتروى : فلمأْها نور . ومعنى لمأتها : لحتها
(٢) ميثت : خلطت . ورواية أبى نعيم : مثنت بدهان .
(٣) مقفعلة : متشنجة متقبضة

هل لك من شاعة ؟ قلت وما الشاعة ؟ قال: زوجة . قلت: أما اليوم فلا . قال : فإذا رجعتَ فتزوج فيهم .

فرجع عبد المطلب فتزوج هالةَ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت حمزة وصفية ، ثم تزوج عبدُ الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش حين تزوج عبـد الله بآمنة : فَلَجَ ، أى فاز وغلب ، عبدُ الله على أبيه عبد المطلب .

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه

وشمائله وفضائله ودلائله الدالة عليه

باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

ولمّا سأل هِرَقْل ملكُ الروم لأبى سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام ، قال : كيف نَسَبُه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نَسَب . قال : كذلك الرسل تُبْعث فى أنساب قومها . يعنى فى أكرمها أحسابا وأكثرها قبيلة . صلوات الله عليهم أجمعين .

فهو سيد ولد آدم وفخرهم فى الدنيا والآخرة . أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والماحى الذى يُمْحَى به الكفر ، والعاقب الذى مابَعْدَه نبىٌّ ، والحاشر الذى يُحْشَر الناسُ على قدميه (١) ، والمقفِّى ، ونبى الرحمة ، ونبى التوبة ، ونبى المَلْحَمة ، وخاتم النبيين ، والفاتح ، وطه ، ويس ، وعبد الله .

قال البيهقى : وزاد بعض العلماء فقال : سَمَّاه الله فى القرآن رسولا ، نبيًّا ، أميًّا (٢) ، شاهداً ، مبشِّراً ، نذيراً ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً . ورءوفا رحيماً ، ومذكِّراً ، وجعله رحمة ونعمة وهاديا .

وسنورد الأحاديث المروية فى أسمائه عليه الصلاة والسلام فى باب نعقده بعد فراغ السيرة ، فإنه قد وردت أحاديث كثيرة فى ذلك ، اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البَيْهَقى ، وأبو القاسم بن عَسَاكر ، وأفرد الناسُ فى ذلك

---

(١) يحشر الناس على قدميه : على أثره . أو على عهده وزمانه . (٢) ط : أمينا وهو خطأ .

مؤلفات ، حتى رامَ بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألفَ اسم ، وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارح الترمذي بكتابه الذي سماه « عارضة الأَحْوَذي » فإنه ذكر من ذلك أربعةً وستين اسما والله أعلم .

* * *

وهو ابن عبد الله ، وكان أصغر ولدِ أبيه عبد المطلب ، وهو الذبيح الثاني المفدَّى بمائة من الإبل كما تقدم .

قال الزهري : وكان أجملَ رجال قريش ، وهو أخو الحارث ، والزبير ، وحمزة ، وضرار وأبي طالب ، واسمه عبد مناف ، وأبي لهب ، واسمه عبد العزى ، والمقوِّم ، واسمه عبد الكعبة ، وقيل هما اثنان ، وحَجْل واسمه المغيرة ، والغيداق وهو كثير الجود ، واسمه نوفل ، ويقال إنه حجل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام .

وعماته ستٌّ ، وهن : أَرْوَى ، وبرَّة ، وأُمَيْمة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم — وهي البيضاء — وسنتكلم على كل منهم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

كلهم أولاد عبد المطلب ، واسمه شيبة ، يقال : لشيبة كانت في رأسه ، ويقال له شيبة الحمدْ لجوده ؛ وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لَبِيد بن حرام بن خِدَاش بن خِنْدف بن عَدِي بن النجار الخزرجي النجَّاري ، وكان سيد قومه ، فأعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها ، فزوجها منه واشترط عليه مُقَامها عنده ، وقيل : بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة . فلما رجع من الشام بَنَى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى . فتركها بالمدينه ودخل الشام فمات بغزة ، ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبة ، فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين .

ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه خُفْية من أمه فذهب به إلى مكة ، فلما رآه

الناس ورأوه على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال: عَبْدى . ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك . فغلب عليه .

وسادَ فى قريش سيادةً عظيمة وذهب بشرفهم ورئاستهم ، فكان جِمَاعُ أمرهم عليه ، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب ، وهو الذى جدد حَفْر زمزم بعد ما كانت مَطْمومة من عهد جُرْهم ، وهو أول من طَلَى الكعبة بذهب فى أبوابها مِنْ تَيْنِك الغزالتين من ذهب اللتين وجدهما فى زمزم مع تلك الأسياف القَلْعية .

قال ابن هشام(١) : وعبد المطلب أخو أسد ونَضْلة(٢) وأبى صَيْفى وحَيّة وخالدة ورُقَيّة والشَّفَّاء وضَعِيفة . كلهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو ، وإنما سمى هاشماً لهشْمه الثريد مع اللحم لقومه فى سِنِي المَحْل ، كما قال مطرود بن كعب الخزاعى فى قصيدته ، وقيل للزِّبَعْرَى والد عبد الله :

عمرُو الذى(٣) هَشَم الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتون عجافُ
سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما سفَرُ الشتاء ورِحْلَةُ الأصيافِ

وذلك لأنه أول من سَنَّ رحلتى الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير أنه كان توأم أخيه عبد شمس ، وأن هاشما خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس ، فما تخلصت حتى سال بينهما دم ، فقال الناس : بذلك يكون بين أولادهما حروب ، فكانت وقعة بنى العباس مع بنى أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة .

---

(١) ابن هشام : « فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس نسوة ... » ثم ذكرهم . وهذه طريقة ابن كثير فى النقل بالمعنى . (٢) المطبوعة : وفضلة . وهو تحريف .
(٣) ويروى : عمرو العلى .

وشقيقهم الثالث المُطَّلب ، وكان المطاب أصغر ولد أبيه ، وأمهم عاتكة بنت مرّة ابن هلال .

ورابعهم نوفل من أم أخرى ، وهى واقدة بنت عمرو المازنية ، وكانوا قد سادوا قومَهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم المجيرون . وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريشٍ الأمانَ من ملوك الأقاليم ليدخلوا فى التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة ، وأخذ لهم المطاب أمانا من ملوك حِمير . ولهم يقول الشاعر :

يا أيها الرجـــلُ المحوِّل رَحْله   إلَّا نزلت بآلِ عبد منافِ

وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، وإليه وإلى أخيه المطاب نسبُ ذوى القُربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً فى حالتى الجاهلية والإســـلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم فى الشِّعْب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب فى قصيدته :

جزى الله عنا عَبْدَ شمسٍ ونَوْفَلاً   عقوبةَ شَرٍّ عاجلاً غير آجلِ

ولا يعرف بنو أب تبَاينوا فى الوفاة مثلَهم ، فإن هاشماً مات بغزة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلمان[1] من أرض العراق ، ومات المطلب، وكان يقال له القمر لحسنه ، برَدْمان[2] من طريق اليمن . فهؤلاء الإخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطاب .

ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصى . فقال الناس عبد بن قصى، درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره .

---

(٢) خ ط : بريمان . وهو خطأ . وما أثبته عن ابن هشام

(١) خ ط : بسلامان . وهو خطأ . وما أثبته عن ابن هشام

وأخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ، وأم الأخثم وأم سفيان .

كل هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف المغيرة . وكان قد رأس فى زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار الذى كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالمناصب كما تقدم . وعبد العزى وعبدٌ وبرَّة وتَخْمر ، وأمهم كلهم حُبَّى بنت حُلَيْل بن حُبْشية[1] بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخزاعى ، وأبوها آخر ملوك خزاعة وولاة البيت منهم .

وكلهم أولاد قُصَىّ واسمه زيد ، وإنما سمى بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعة بن حرام بن عُذْرة فسافر بها إلى بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد إلى مكة وهو كبير ولَمَّ شَعَثَ قريش وجَمَعها من متفرقات البلاد ، وأزاح يد خزاعة عن البيت ، وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيس قريش على الإطلاق ، وكانت إليه الرِّفادة[2] والسقاية ، وهو سَنَّها ، والسِّدَانة والحجابة واللواء ، وداره دار الندوة كما تقدم بَسْط ذلك كله . ولهذا قال الشاعر :

قُصَىٌّ لَعَمْرِى كان يُدْعَى مُجَمِّعاً   به جَمَع الله القبائلَ مِنْ فِهْرِ

وهو أخو زُهْرة ، كلاهما ابن كلاب أخى تَيْم ، ويقظة أبى مخزوم . ثلاثتهم أبناء مُرّة أخى عَدِى وهُصَيص .

وهم أبناء كعب ، وهو الذى كان يخطب قومَه كل جمعة ويبشرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد فى ذلك أشعاراً كما قدمنا . وهو أخو عامر وسَامَة وخزيمة وسعد والحارث وعوف ، سبعتهم أبناء لؤى أخى تيم الأَدْرَم . وهما أبناء غالب أخى الحارث

---

(١) المطبوعة : حبشى ، وهو خطأ .   (٢) ط : الوفادة . وهو خطأ .

ومحارب . ثلاثتهم أبناء فِهْر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصَّلْت ويَخْلد ، وهم بنو النَّضْر الذى إليه جِمَاعُ قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومَلْكان وعبد مناة وغيرهم ، كلهم أولاد كِنانة أخى أَسَد وأسدة والهون ، أولاد خُزيمة ، وهو أخو هذيل . وهما ابنا مُدْركة ، واسمه عمرو ، أخو طابخة واسمه عامر ، وقمعة ، ثلاثتهم أبناء الياس ، وأخو الياس هو عَيْلان والد قيس كلها ، وهما ولدا مضر أخى ربيعة . ويقال لهما الصريحان من ولد إسماعيل ، وأخواهما أنمار وإياد تيَامَنَا ، أربعتهم أبناء نزار أخى قضاعة ، فى قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاعة حجازية عدنانية ، وقد تقدم بيانه . كلاهما أبناء مَعَدّ بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره فى قوله تعالى : « قُلْ لا أَسْأَلكم عليه أَجْراً إلا المودةَ فى القُرْبَى » : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم .

وصدق ابن عباس رضى الله عنه فيما قال وأزيد مما قال . وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهى إليه بالآباء وكثير منهم بالأمهات أيضاً ، كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره فى أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم ما يطول ذكره .

وقد حرره ابن إسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر .

وقد ذكرنا فى ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ، وإن اختُلِف فى كم أبٍ بينهما ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم . والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبى العباس الناشىء المتضمنة ذلك ، كل ذلك فى أخبار عرب الحجاز ولله الحمد .

---

(١) خ ط : كم بينهما أبا . وهو لا يستقيم عربية .

وقد تكلم الإمام أبو جعفر بن جَرِير رحمه الله فى أول تاريخه على ذلك كلاما مبسوطا جيدا محرَّراً نافعاً[(١)] .

وقد ورد حديث فى انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر ، ولكن الله أعلم بصحته ، كما قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ ، ببغداد ، حدثنا أبو عيسى بَكّار بن أحمد بن بكار ، حدثنا أبو جعفر أحمد ابن موسى بن سعد ، إملاءً سنة ست وتسعين ومائتين ، حدثنا أبو جعفر محمد بن أَبَان القَلَانسى ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامىّ ، حدثنا مالك بن أنس ،عن الزهرى،عن أنس، وعن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال : بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن رجالا من كِنْدة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال « إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأْمَنَا بذلك ، وإنا لن ننتفى من آبائنا ، نحن بنو النَّضْر ابن كنانة » .

قال : وخطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر ابن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نِزَار ، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرها ، فأُخْرجت من بين أبوىَّ فلم يصبنى شىء من عُهْر الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى ، فأنا خيركم نفْسا ، وخيركم أبا » .

وهذا حديث غريب جدا من حديث مالك . تفرد به القدامىّ وهو ضعيف . ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أخر .

---

(١) وذلك فى الجزء الثانى .

فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لا من سفاح » قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عُيَيْنة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أبي جعفر الباقر فى قوله تعالى « لقد جاءكم رسولٌ مِنْ أَنْفُسكم » قال : لم يُصِبْه شىء من ولادة الجاهلية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

وهذا مرسل جيد .

وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الأَصمّ ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن يحيى بن أبى بَكير ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أخرجنى من النكاح ولم يخرجنى من السفاح » .

وقد رواه ابن عَدِيّ موصولا فقال : حدثنا أحمد بن حفص ، حدثنا محمد بن أبى عمرو العدَنى المكى ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، قال أشهد على أبى حدثنى عن أبيه ، عن جده ، عن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه سلم قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح .

وقال هُشيم : حدثنا المدِينى ، عن أبى الُحويرث ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماولدنى من نكاح أهل الجاهلية شىء ، ماولدنى إلا نكاحٌ كنكاح الإسلام » .

وهذا أيضاً غريب أورده الحافظ ابن عساكر ، ثم أسنده من حديث أبى هريرة ، وفى إسناده ضعف والله أعلم .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن عمه الزهرى ، عن عُروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولدت من نكاح غير سفاح » .

ثم أورد ابن عساكر من حديث أبى عاصم ، عن شَبيب ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : «وتَقَلُّبكَ فى الساجدين» قال : مِنْ نبىٍّ إلى نبى حتى أخرجت نبياً » . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا هشام بن محمد الكلبى ، عن أبيه ، قال : كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية .

وثبت فى صحيح البخارى من حديث عمرو بن أبى عمرو عن سعيد المقْبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » .

- وفى صحيح مسلم من حديث الأوزاعى عن شدَّاد أبى عمار ، عن واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نُعَيم ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبى وَدَاعة قال : قال العباس : بلغه صلى الله عليه وسلم بعضُ مايقول الناس قال : « فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا : أنتَ رسول الله قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير

خَلقه ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفسا »[١] صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا إلى يوم الدين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : قلت يارسول الله إن قريشا إذا التقوا لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضبا شديدا ثم قال : « والذي نفس محمد بيده لا يَدْخل قلبَ رجل الإيمانُ حتى يحبّكم لله ولرسوله » .

فقلت : يارسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم فجعلوا مَثَلك كمثل نخلة في كَبْوة[٢] من الأرض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يومَ خلق الخلق جعلني في خيرهم ، ثم لما فرّقهم [قبائل] جعلني في خيرهم قبيلة ، ثم حين جَعَل البيوت جعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » .

ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبة ، عن ابن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحو ماتقدم ولم يذكر العباس .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني يحيي بن عبد الحميد ، حدثني قيس بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن عليلة بن ربعى ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرها . قسماً ، فذلك قوله : « وأصحابُ

---

(١) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر حديث رقم ١٧٨٨

(٢) رواها ابن الجوزى . في كبا . وروى عن شمر أنه لم يسمع كبوة .

اليمين » « وأصحاب الشمال » ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني فى خيرها ثلثاً ، فذلك قوله « وأصحابُ المَيْمَنَةِ » « والسابقون السابقون » فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين .

ثم جعل الأثلاث قبائلَ فجعلني فى خيرها قبيلة ، فذلك قوله : « وجَعَلْناكم شُعُوباً وقبائلَ لتَعَارَفوا ، إنَّ أكْرَمَكم عِنْدَ الله أَتْقاكم إن الله عليمٌ خبير » وأنا أَتْقَى ولدِ آدم وأكرمُهم على الله ولا فَخْرَ .

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني فى خيرها بيتاً ، وذلك قوله : « إنَّمَا يُريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهّرَكم تطهيرا [1] » فأنا وأهل بيتى مطهرون من الذنوب » .

وهذا الحديث فيه غرابة ونَكَارة .

وروى الحاكم والبيهقى من حديث محمد بن ذَكْوان ، خال ولد حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لقعُود بفناء النبى صلى الله عليه وسلم إذ مَرَّت به امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو سفيان : مَثَل محمد فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبىَّ صلى الله عليه وسلم .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْرَف فى وجهه الغضب . فقال : « ما بالُ أقوالٍ تَبْلُغنى عن أقوام ؟ ! إن الله خلق السماوات سَبْعاً فاختار العَلْيَاء منها فأَسْكَنها مَنْ شاء مِن خلقه ، ثم خَلقَ الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ،

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

واختار من العرب مُضَرَ ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خِيَارٌ من خيار ، فمن أَحَبَّ العرب فبحُبِّى أَحبَّهم ، ومَنْ أَبْغَض العرب فببغضى أَبْغَضَهم » .

هذا أيضاً حديث غريب .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سيدُ وَلَد آدم يوم القيامة ولا فخر » .

وروى الحاكم والبيهقى أيضاً من حديث موسى بن عُبيدة ، حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ،عن الزُّهْرى ، عن أبى أسامة أو أبى سلمة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لى جبريل : قلبتُ الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضلَ من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أبٍ أفضلَ من بنى هاشم » .

قال الحافظ البيهقى : وهذه الأحاديث وإن كان فى رواتها من لا يُحتج به فبعضها يؤكد بعضاً ، ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الأسقع . والله أعلم

قلت : وفى هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبى صلى الله عليه وسلم :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمَفْخَرٍ ... فعبدُ مناف سِرُّها وصميمُها
فإن حُصِّلت أشرافُ عبدِ منافها ... ففى هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن فَخَرتْ يوماً فإنّ محمداً ... هو المصطفَى مِنْ سِرِّها وكريمُها
تداعت قريشٌ غثُّها وسمينُها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومُها
وكنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخدود نقيمُها
ونَحْمِى حِمَاها كلَّ يومِ كريهةٍ ... ونَضْرب عن أحجارها مَنْ يَرُومُها

بنا انْتَعَش العُود الذوَاء وإنمـــا ... بأ كنافنا تَنْدَى وتَنمِى أرُومُها

وقال أبو السَّكن زكريا بن يحيى الطائى فى الجزء المنسوب إليه المشهور : حدثنى عمر بن أبى زُحر بن حصين ، عن جده حميد بن مُنْهب ، قال : قال جدى خُريم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفَه من تبوك ، فأسلمت ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُلْ ، لا يَفْضُضِ الله فاكَ . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ فى الظِّلَالِ وفى ... مُسْتَودَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هَبَطْتَ البلاد لا بَشَرٌ أَنْـ ... ـتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطْفَةٌ تَرْكبُ السَّفِينَ وقد ... أَلْجَمَ نَسْراً وأهـــلَه الغرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ(١) إلى رَحِمٍ ... إذا مضـــى عالمٌ بَدَا طبَقُ
حتى احتوى بيتُك المهيمن من ... خِنْدفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ(٢)
وأنت لما وُلدتَ أشرقت الأر ... ضُ وضاءت بنورك الأفقُ
فنحنُ فى ذلك الضياءِ وفى الـ ... ـنور وسُبُـــلِ الرشادِ نخترقُ

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت .

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن بن أبى الحديد : أخبرنا محمد بن أبى نصر ، أنبأنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرَشى ، حدثنا أبو حصين محمد ابن إسماعيل بن محمد التميمى ، حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراسانى . حدثنى إسحاق ابن إبراهيم بن سنان ، حدثنا سَلَّام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائنى ، حدثنا ورقاء بن عمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ومجاهـد عن ابن عباس قال : سألت

---

(١) الشفا والبدء والتاريخ : من صالب . (٢) النطق : جمع ناطق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : فداك أبي وأمي ، أين كنتَ وآدمُ فى الجنة ؟ قال : فتبسَّم حتى بَدَتْ نواجذه ثم قال : « كنت فى صُلْبه ، وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذف بى فى صلب أبى إبراهيم ، لم يَلْتَقِ أبوايَ على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة صَفِيًّا مهذَّباً (١) لا تتشعَّبُ شُعْبتَان إلا كنت فى خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى ، ونشر فى التوراة والإنجيل ذِكْرى ، وبيَّن كلُّ نبى صِفَتى ، تُشْرق الأرض بنورى والغمام بوجهى ، وعلَّمنى كتابه وزادنى [شرفا] فى سمائه ، وشق لى اسماً من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ، ووعدنى أن يَحْبُوَنى بالحوض والكوثرَ ، وأن يجعلنى أولَ شافع وأول مشفع ، ثم أخرجنى من خير قَرْنٍ لأمتى ، وهم الحمَّادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت فى النبى صلى الله عليه وسلم :

مِنْ قَبْلها طِبْتَ فى الظِّلَالِ وفى　　مُسْتَوْدَعٍ يوم يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم سَكَنْتَ البلادَ لا بَشَرٌ أنـ　　ـت ولا نُطْفَةٌ ولا عَلَقُ
مُطَهَّرٌ تَرْكَب السَّفِينَ وقد　　أَلْجَمَ نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إلى رَحِمٍ　　إذا مَضَى طَبَقٌ بدا طَبَقُ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله حساناً » فقال على بن أبى طالب : وجبت الجنةُ لحسان ورب الكعبة .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جداً .

---

(١) المطبوعة : صفى مهدى ، وهو تحريف .

قلت : بل منكر جداً . والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضى الله عنه . ثم أوردها من حديث أبى السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم .

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمى . فالله أعلم .

* * *

تنبيه : قال القاضى عياض فى كتابه « الشِّفَاء » : «وأما أحمد الذى أتى فى الكتب و بشرت به الأنبياء فمنعَ الله بحكمته أن يسمَّى به أحد غيره ولا يُدْعَى به مَدْعوٌّ قبلَه ، حتى لا يدخل لَبْس على ضعيف القلب أو شَكٌّ .

وكذلك محمد [أيضا] لم يسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم ، إلى أن شاع قُبَيل وجوده وميلاده أن نبيًّا يُبعث اسمه محمد ، فسمَّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رَسالته .

وهم : محمد بن أحيْحَة بن الجُلاَح الأَوْسى ، ومحمد بن مَسْلَمَة[١] الأنصارى ، ومحمد بن برَّاء البَكْرى[٢] ، ومحمد بن سفيان بن مُجَاشع ، ومحمد بن حُمْران الجُعْفى ، ومحمد بن خُزَاعى السُّلمى لا سابع لهم .

و يقال إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان [بن مجاشع][٣] واليمن تقول : بل محمد بن اليُحْمِدُ من الأزد .

ثم إن الله حَمَى كلَّ من تسمى به أن يَدَّعى النبوة أو يَدَّعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكِّك[٤] أحداً فى أمره ، حتى تحققت السِّيمتان له صلى الله عليه وسلم لم ينازَع فيهما »[٥] هذا لفظه .

---

(١) المطبوعة : سلمة ، وهو خطأ . (٢) كذا فى الشفاء . وكان الأصل : ابن البراء الكندى .

(٣) ليست فى الشفاء . (٤) المطبوعة : يشكل وهو خطأ . (٥) الشفاء ١٩٠ الطبعة العثمانية .

باب مَوْلد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين .

لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث غَيْلان بن جرير عن[1] عبد الله بن مَعْبد الزِّمَّانى[2] ، عن أبى قتادة أن أعرابيا قال : يارسول الله ، ماتقول فى صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدتُ فيه وأنزِل علىَّ فيه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لَهِيعَة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصنعانى ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدِم المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، ورَفَع الحجرَ يوم الاثنين .

تفرد به أحمد ، ورواه عمرو بن بكير عن ابن لَهِيعَة ، وزاد : نزلت سورة المائدة يوم الاثنين « اليومَ أَكْمَلْتُ لكم دِينَكم » .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضا : وكانت وَقْعة بدر يوم الاثنين . وممن قال هذا يزيد بن حبيب . وهذا منكر جداً .

قال ابن عساكر : والمحفوظ أن بدراً ونزول « اليومَ أكملت لكم دِينَكم » يوم الجمعة وصدق ابن عساكر .

وروى عبد الله بن عمر ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين . وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين .

---

(١) ط : جرير بن عبد الله ، وهو خطأ فاحش .

(٢) نسبة إلى زمان بن مالك بطن من ربيعة .

وهذا مالا خلاف فيه أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

وأَبْعَد بل أخطأ من قال : ولد يومَ الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول . نقله الحافظ ابن دِحْيَة فيما قرأه فى كتاب « إعلام الروى بأعلام الهدى » لبعض الشيعة . ثم شرع ابن دحية فى تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص .

ثم الجمهور على أن ذلك كان فى شهر ربيع الأول ، فقيل : لليلتين خَلَتَا منه . قاله ابن عبد البر فى الاستيعاب ، ورواه الواقدى عن أبى مَعْشَر نجيح بن عبد الرحمن المدنى .

وقيل لثمان خلون منه . حكاه الحميدى عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس ابن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جُبير بن مُطعم .

ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد ابن موسى الخوارزمى . ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دِحية فى كتابه : « التنوير فى مولد البشر النذير » .

وقيل لعَشْر خلَوْن منه نقله ابن دحية فى كتابه . ورواه ابن عساكر عن أبى جعفر الباقر ورواه مُجَالِد عن الشَّعْبِى كما مر .

وقيل لثنتى عشرة خلَتْ منه . نَصَّ عليه ابن إسحاق . ورواه ابن أبى شَيْبة فى مصنَّفه عن عفان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول وفيه بُعِث وفيه عُرِج به إلى السماء ، وفيه هاجر وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم .

وقيل لسبعة عشر خلت منه : كما نقله ابن دِحية عن بعض الشيعة .

وقيل لثمان بقين منه : نقله ابن دحيـة من خط الوزير أبى رافع بن الحافظ أبى محمد

ابن حزم عن أبيـه . والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه ، كما نقله عنه الحميدى وهو أثبت .

والقول الثانى : أنه ولد فى رمضان . نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بـكّار ، وهو قول غريب جداً ، وكان مستنَده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه فى رمضان بلا خلاف ، وذلك على رأس أربعين سنة من عمره ، فيـكون مولده فى رمضان وهـذا فيه نظر والله أعلم .

وقد روى خَيْثَمة بن سليمان الحافظ ، عن خلف بن محمـد كِرْدوس الواسطى ، عن المعلّى بن عبد الرحمن ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسـلم يوم الاثنين فى ربيع الأول ، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين فى أول شهر ربيع الأول ، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الأول .

وهذا غريب جداً . رواه ابن عساكر .

* * *

قال الزبير بن بكار : حملت به أمه فى أيام التشريق فى شِعْب أبى طالب عند الجمرة الوسطى . وولد بمكة بالدار المعروفة بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم ، عن المسيَّب ابن شريك . عن شعيب بن شعيب ، عن أبيـه ، عن جده قال : حُمِل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عاشوراء فى المحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أن الخيزران ، وهى أم هارون الرشيد ، لما حَجَّت أمرت ببناء هـذه الدار مسجداً . فهو يعرف بها اليوم .

وذكر السهيلى أن مولده عليه الصلاة والسلام كان فى العشرين من نيسان . وهذا أَعْدَل الزمان والفصول ، وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذى القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج .

وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجَدْى ، وكان المُشْتَرى وزُحَل مقترنين فى ثلاث دَرَج من العقرب وهى درجة وسط السماء . وكان موافقا من البروج الحَمَل ، وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل . نقله كله ابن دحية والله أعلم .

***

قال ابن إسحاق : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيم بن المنذر الحِزامى[١] : وهو الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ؛ وبُعِث على رأس أربعين سنة من الفيل .

وقد رواه البيهقى من حديث أبى إسحاق السَّبِيعى عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى المطَّلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة ، عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة ، قال وُلِدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، كُنَّا لِدَيْن[٢] .

قال : وسأل عثمان رضى الله عنه قُبَاث بن أَشْيَم أخا بنى يَعْمر بن ليث : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبرُ منّى ، وأنا أقدم منه فى الميلاد . ورأيت خَزَق الفيل[٣] أخضرَ مُحيلا . ورواه الترمذى والحاكم من حديث محمد بن إسحاق به .

---

(١) نسبة إلى جده الأعلى خالد بن حزام . (٢) ابن هشام : فنحن لِدَان . (٣) خزق الفيل: روثه.

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عُكاظ ابن عشرين سنة .

وقال ابن إسحاق : كان الفِجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة ، والمَبْعَث بعد بنائها بخمس سنين .

وقال محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة .

وروى الحافظ البيهقى من حديث عبد العزيز بن أبى ثابت المدِينى : حدثنا الزبير ابن موسى ، عن أبى الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقُباث بن أَشْيَم الكِنَانى ثم اللَّيثى : يا قُبَاث أنت أكبرُ أَمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى ، وأنا أسَنُّ . ولِد رسول الله صلى الله عايه وسلم عامَ الفيل ، ووقفت بى أمى على رَوْث الفيل محيلًا أَعْقِلُه ، وتنبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا نعيم ، يعنى ابن ميسرة ، عن بعضهم ، عن سُوَيد بن غفلة أنه قال : أنا لِدَة رسول الله صلى الله عايه وسلم ولدت عامَ الفيل .

قال البيهقى : وقد روى عن سويد بن غفلة أنه قال : أنا أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين .

قال يعقوب : وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت ، حدثنى عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان النوفلى ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم . قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وكانت بعده عُكَاظ[1] بخمس عشرة سنة ،

---

(١) عكاظ : يوم من أيام العرب .

وبُنِي البيتُ على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل ، وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة من الفيل .

* * *

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عامَ الفيل على قول الجمهور .

فقيل بعده بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوما ، وهو أَشْهَر .

وعن أبى جعفر الباقر : كان قُدُوم الفيل للنصف من المحرم ، ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده بخمسٍ وخمسين ليلة .

وقال آخرون : بل كان عامُ الفيل قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين . قاله ابن أَبْزَى .

وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم .

وقيل : بَعْد الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عُقْبة عن الزُّهْرى رحمه الله . واختاره موسى بن عقبة أيضاً رحمه الله .

وقال أبو زكريا العجلانى : بعد الفيل بأربعين عاما ، رواه ابن عساكر وهذا غريب جداً .

وأغْربُ منه ما قاله خليفة بن خياط : حدثنى شعيب بن حِبَّان ، عن عبد الواحد ابن أبى عمرو عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفيل بخمس عشرة سنة . وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضاً .

قال خليفة بن خياط : والمجمع عليه أنه عليه السلام ولد عامَ الفيل .

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الإبل المائة عن ولده عبد الله ، حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى ، لِمَا كان قدَّر فى الأزل من ظهور النبى الأمى صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، ذهب كما تقدم فزوّجه أشرفَ عقيلة فى قريش ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزُّهْرية ، فحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت أم قتّال رقيقة بنت نوفل ، أخت ورقة بن نوفل، توسَّمت ما كان بين عَيْنى عبد الله قبل أن يجامِع آمنة من النور ، فودَّت أن يكون ذلك متصلا بها لِمَا كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد أزف زمانه فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها وهو أَظْهَر . والله أعلم ، فامتنع عليها ، فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعته إياها كأنه ندم على ما كانت عرضت عليه . فتعرض لها لتعاوده . فقالت : لا حاجة لى فيك . وتأسفت على مافاتها من ذلك وأنشدت فى ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كما قال تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالتَه» .

وقد تقدم الحديث المروى من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح » .

والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبد الله وهو حَمْل فى بطن أمه على المشهور .

قال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، هو الواقدى، حدثنا موسى بن عُبيدة اليزيدى ،

وحدثنا سعيد بن أبي زيد ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصعة ، قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عير من عِيران قريش يحمِّلونه تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبدُ الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال أتخلَّف عند أخوالى بنى عَدِىٍّ بن النجار .

فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقَدِموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض .

فبعث إليه عبد المطلب أكبرَ ولده الحارث ، فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره .

فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وَجْداً شديداً .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حَمْل ، ولعبد الله بن عبد المطلب يومَ توفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدى : هذا هو أَثْبتُ الأقاويل فى وفاة عبد الله وسنه عندنا .

قال الواقدى : وحدثنى مَعْمر عن الزهرى ، أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمْتار لهم تمراً فمات .

قال محمد بن سعد : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكَلْبي عن أبيه ، وعن عَوَانه بن الحكم . قالا : توفى عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانيةٌ وعشرون شهراً ، وقيل سبعة أشهر .

وقال محمد بن سعد : والأول أَثْبت ، أنه توفى ورسول الله صلى الله عليه وسلم حَمْل .

وقال الزُّبير بن بَكَّار : حدثنى محمد بن حسن ، عن عبد السلام ، عن ابن خربوذ ،

قال : توفى عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبى طالب .

والذى رجَّحه الواقدى وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفى أبوه وهو جنين فى بطن أمه .

وهذا أبْلغ اليتم وأعلى مراتبه .

* * *

وقد تقدم فى الحديث « ورؤيا أمى الذى رأت حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت آمنة بنت وَهْب أمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدِّث أنها أُتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : إنك قد حملْتِ بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى :

أعِيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل برٍّ عاهد (١) وكل عبد رائد ، يذود عنى ذائد ، فإنه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشَاهد .

وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بُصْرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسمِّيه محمداً ، فإن اسمه فى التوراة أحمد ، يَحمده أهلُ السماء وأهل الأرض ، واسمه فى الإنجيل أحمد ، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه فى القرآن محمد .

وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، ثم لما وضعته رأت عياناً تأويلَ ذلك كما رأته قبل ذلك هاهنا . والله أعلم .

---

(١) الذى فى ابن هشام إلى قوله : حاسد . وهذه الزيادة باختلاف فى الوفا والدلائل .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر ، هو الواقدى ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهرى . وقال الواقدى : حدثنا موسى بن عبدة ، عن أخيه ، ومحمد بن كعب القُرظى ، وحدثنى عبد الله بن جعفر الزُّهرى ، عن عمته أم بكر بنت المِسْور عن أبيها . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المزنى وزياد ابن حشرج ، عن أبى وَجْزة . وحدثنا معْمر ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس . دخل حديث بعضهم فى حديث بعض : أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقت به ـ تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فما وجدت له مشقَّة حتى وضعتُه ، فلما فُصِل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخـذ قبضةً من التراب فقبضها ورفع رأسَه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقُها ، حتى رؤيت أعناق الإبل ببُصْرى ، رافعا رأسه إلى السماء .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن إسماعيل أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبى سُويد الثقفى ، عن عثمان بن أبى العاص ، حدثتنى أمى : أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولدته ، قالت : فما شىء أنظره فى البيت إلا نور ، وإنى أنظر إلى النجوم تدنو حتى إنى لأقول لتقعنَّ علىَّ .

وذكر القاضى عياض عن الشَّفَّاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قَابِلتَه ، وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهلَّ سمعت قائلا يقول : يرحمك الله . وإنه سطع منه نور رئيت منه قصور الروم .

قال محمد بن إسحاق : فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها ، وقد هلك أبوه وهى حبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ابنُ ثمانية وعشرين شهراً ، فالله أعلم أى ذلك كان ــ فقالت : قد ولد لك غلام فانظر إليه .

فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسمِّيه .

فأخذه عبد المطلب فأدخله على هُبَل فى جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول :

الحمدُ لله الذى أعطانى ... هذا الغلامَ الطيِّبَ الأُرْدَانِ
قد سادَ فى المَهْدِ على الغِلْمان ... أُعِيذه بالبيت ذى الأركانِ
حتى يكون بُلغَةَ الفتيان ... حتى أراه بالغ البُنْيَانِ
أُعيذُه من كل ذى شنَآن ... من حاسدٍ مضطرب العنان
ذى هِمَّةٍ ليس له عينان ... حتى أراه رافع اللسان
أنت الذى سُمِّيت فى القرآن ... فى كُتُب ثابتة المثانى
* أحمد مكتوب على اللسان *

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبانا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدَّرَابَرْدى (١) ــ بمَرْو ــ حدثنا أبو عبد الله البُوشَنْجى ، حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائرى ، حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان ين ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائى بمصر ، حدثنا الحَكَم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا

(١) كذا ولعلها نسبة إلى دراورد .

مسرورا . قال : فأعجب جدَّه عبد المطلب وحَظِىَ عنده ، وقال : ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وهذا الحديث فى صحته نظر .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر ، من حديث سفيان بن محمد المَصِّيصى ، عن هُشيم ، عن يونس بن عُبيد ، عن الحسن عن أنس ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ولم يرَ سوأتى أحد » .

ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به .

ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو الباغَنْدِى - حدثنا عبد الرحمن ابن أيوب الحِمصى ، حدثنا موسى بن أبى موسى المقدسى ، حدثنى خالد بن سلَمة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً مختونا .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغِطْريفى ، حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكى ، حدثنا سليمان بن سلمة الخبائرى ، حدثنا يونس بن عطاء ، حدثنا الحكم ابن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا ، فأعجب ذلك جدَّه عبد المطلب وحظى عنده ، وقال ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر .

وفى هذا كله نظر .

ومعنى مَخْتونا : أى مقطوع الخِتان . ومسروراً : أى مقطوع السُّرَّة من بطن أمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عُيينة البصرى ، حدثنا على ابن محمد المدائنى السلمى ، حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد ، عن أبيه ، عن أبى بَكْرة ، أن جبريل ختن النبى صلى الله عليه وسلم حين طهَّر قلبه .

وهذا غريب جدا .

وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها . والله أعلم .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنى محمد بن كامل القاضى ـ شِفَاهاً ـ أن محمد بن إسماعيل حدثه ـ يعنى السلمى ـ حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن أبى الحكم التَّنُوخى . قال : كان المولود إذا ولد فى قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يَكْفَأْن عليه بُرْمةً ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأن عليه بُرْمةً ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ، ووجدْنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء . فأتاهن عبد المطلب فقلن له : ما رأينا مولودا مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البُرْمة ، ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا ببصره إلى السماء .

فقال : احفظنه فإنى أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيرا .

* * *

فلما كان اليوم السابع ذَبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : ياعبد المطلب ، أرأيتَ ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ، ما سَمَّيته ؟ قال : سميته محمدا . قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله فى السماء وخَلْقُه فى الأرض .

قال أهل اللغة : كلُّ جامع لصفات الخير يسمى محمدا ، كما قال بعضهم :

إليك ـ أبيتَ اللعن ـ أَعْمَلْتُ ناقتى إلى الماجدِ القِرْمِ الكريمِ المحَمَّدِ

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عز وجل أن سمَّوه محمداً لمـا فيه من الصفات الحميدة ، ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمَّى فى الصورة والمعنى ، كما قال عمه أبو طالب ، ويروى لحسان :

وشَقَّ له من إسمـه ليُجِلَّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

وسنذكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشمائله ، وهى صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته فى آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن شَيبان الرَّملى ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الُحبلى ، حدثنا الهيثم ابن جميل ، حدثنا زهير ، عن محارب بن دِثار ، عن عمرو بن يثربىّ ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال قلت : يا رسول الله ، دعانى إلى الدخول فى دينك أمارةٌ لنبوتك ، رأيتك فى المهد تناغى القمرَ وتشير إليه بإصبعك ، فحيث أشرت إليـه مال . قال : « إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البـكاء ، وأسمع وَجْبَته حين يسجد تحت العرش » .

ثم قال : تفرد به [أحمد بن إبراهيم الحبلى] وهو مجهول[1] .

فصـــل

فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليـــه الصلاة والسلام

قد ذكرنا فى باب هواتف الجان ما تقـدم من خرور كثير من الأصنام لوجوهها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشى ملك الحبشة ، وظهور النور معه

---

(١) الأصل : تفرد به الليثى . وما أثبته عن الخصائص . وليس فى السند الليثى . وهذا الخبر أخرجه أيضا الخطيب وابن عساكر فى تاريخهما . وهو غريب الإسناد والمتن .

حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جاثياً رافعاً رأسَه إلى السماء ، وانفلاق تلك البُرْمة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور فى المنزل الذى ولد فيه ودنوّ النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلى عن تفسير بَقِيّ بن مَخْلد الحافظ ، أن إبليس رَنَّ أربعَ رَنَّات : حين لُعِن ، وحين أُهْبط ، وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين أنزلت الفاتحة .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهودى قد سكن مكة يتَّجر بها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله مانعلمه . فقال الله أكبر ، أمَّا إذا أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبيٌّ هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذلك أن عفريتا من الجن أدخل أصبعه فى فمه فمنعه الرضاع .

فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهلَه فقالوا : قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا . فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديثَ اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر . قال فاذهبوا معى حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا : أخرجى إلينا ابنك . فأخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشيا عليه ، فلما أفاق قالوا له : مالك ويلك؟ قال : قد ذهبت والله

النبوة من بنى إسرائيل ، فَرِحتم بها يامعشر قريش ؟ والله ليَسْطوَن بكم سَطْوةً يخرج خبرها من المشرق والمغرب[١] .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى صالح بن إبراهيم [بن عبد الرحمن بن عوف][٢] عن يحيي [بن عبدالله][٢] بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة قال : حدثنى من شئت من رجال قومى [ممن لا أتهم][٣] عن حسان بن ثابت . قال : إنى لغلامٌ يَفَعة ابن سبع سنين ـ أو ثمان ، أَعْقل ما رأيت وسمعت[٤] إذا بيهودى فى يثرب يصرخ ذات غداة : يامعشر يهود . فاجتمعوا إليه ـ وأنا أسمع ـ فقالوا ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة .

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبى بكر بن عبد الله العامرى ، عن سليمان بن سحيم وذريح[٥] بن عبد الرحمن ، كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبى سعيد عن أبيه ، قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم ، ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظلَّ خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى ، كالمستهزئ به : ماصفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه وهذا البلد مُهَاجَره . قال : فرجعت إلى قومى

---

(١) كان الرسول نبى رحمة ولم يكن نبى عذاب ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » لذلك لا بد من الاحتراس فى فهم هذه النصوص التى تكررت مثل قوله فيما سبق :

ولهم آخرَ الزَّمانِ نبىٌّ ... يكثرُ القتلَ فيهم والخموشا

ولعلها من تزيد الرواة .

(٢) سقطت من المطبوعة . (٣) ليست فى ابن هشام . (٤) ابن هشام : « أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب : يامعشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه .. » وهذا مثل على عدم التزام المؤلف للنص فيما ينقل . (٥) دلائل النبوة : ورميح بن عبد الرحمن

بنى خُدْرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب يقولون هذا .

قال أبي مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قُرَيظة فأجد جَمْعاً ، فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبيأو ظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذا مهاجره . قال أبو سعيد : فلماقدم النبي صلى الله عليه وسلمأخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لوأسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع » .

وقالأبو نعيم: حدثناعمر بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن السندى ، حدثنا النَّضْر بنسلمة ، حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت ، عن إبراهيم بن يحيي بن ثابت ، سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده ، واسمه أحمد ومُهاَجَرُه إلى يثرب ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم فى كتابه من طرق أخرى ولله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيي بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد ، قال ،قال زيد بن عمرو بن نُفيل : قال لى حبرمن أحبار الشام : قد خرج فى بلدك نبي ، أوهو خارج ، قد خرج نجمه ، فارجع فصدِّقه واتبِعهْ .

ذكر ارتجاس الإيوان

وسقوط الشرفات، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، وغير ذلك من الدلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتاب هواتف الجان: حدثنا على بن حرب، حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران، من آل جرير بن عبد الله البَجَلى، حدثنى مخزوم بن هانئ المخزومى، عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومائة سنة - قال: لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة. ورأى الموبذان إبلاً صِعاباً تقود خيلا عِرَاباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبَّر عليه تشجعاً، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مَرَازبته، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره. ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده. قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك. فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فازداد غمًّا إلى غمه، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله.

فقال الموبذان: وأنا، أصلح الله الملك، قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا. ثم قص عليه رؤياه فى الإبل. فقال: أى شىء يكون هذا ياموبذان؟ قال: حَدَثٌ يكون فى ناحية العرب. وكان أَعْلَمهم من أنفسهم.

فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر؛ أما بعد فوجِّه إلىّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه. فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقَيلة[1] الغسَّانى، فلما ورد عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال: لتخبرنى أو ليسألنى الملك عما أحبَّ، فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم. فأخبره بالذى

(١) المطبوعة: نفيلة وهو خطأ.

وجه به إليه فيه . قال : علم ذلك عند خال لى يسكن مَشَارِف الشام يقال له سَطِيح . قال فائته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتنى بتفسيره .

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطِيح وقد أشفى على الضريح ، فسلم عليه وكلمه فلم يرد إليه سطيح جواباً فأنشأ يقول :

أَصَمّ أَمْ يَسْمَع غِطْرِيفُ اليَمَنْ ... أم فَادَ فَازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ (١)
يا فاصلَ الخُطَّة أَعْيَتْ مَنْ ومَنْ ... أتاك شيخُ الحيِّ من آل سَنَنْ
وأمُّه من آل ذِئب بن حَجَنْ ... أزرق نَهْم الناب صَرّار الأذن (٢)
أبيض فَضْفَاض الرداء والبَدَنْ ... رسول قَيْلِ العُجْم يَسْرِي للوَسَنْ (٣)
تجوب بى الأرض عَلَنْداة شَزَنْ ... لا يرهب الرعد ولا رَيْبَ الزمن (٤)
تَرْفعني وَجَناً وتهوى بى وَجَنْ ... حتى أتى عارى الجآجى والقَطَنْ (٥)

---

(١) فاد : مات . قال :

رعَى خَرَزَاتِ المُلْك عشرين حِجَّةً ... وعشرين حتى فادَ والشَّيْبُ شامِلُ

وازلم : ذهب مسرعاً . والأصل فيه ازلأم فحذفت الهمزة تخفيفاً . وقيل : أصلها ازلام ، كاشهاب فحذفت الألف تخفيفاً أيضاً . وشأو العنن : اعتراض الموت على الخلق . وقيل : ازلم : قبض . والعنن : الموت . أى عرض له الموت فقبضه . وقد تصحفت الرواية فى النهاية : أن فار . انظر النهاية ٢ / ١٣٩ .

(٢) صرار الأذن : ينصبها للاستماع .

(٣) وتروى : يمى للوسن . والوسن : أول النوم .

(٤) العلنداة : القوية من النوق . والشزن : التى تمشى من نشاطها على جانب . شزن فلان إذا نشط . وقيل : الشزن : المعي من الحفاء .

هذا والمشهور فى رواية البيت :

تَجوبُ بىَ الأرضُ عَلَنْدَاة شَزَن ... تَرْفعُنى وَجْناً وتَهْوى بى وَجَن

أما الشطر الثانى هنا فيروى :

رَسُولُ قَيل العجم يَمِى للوَسَن ... لا يَرْهَبُ الوَعْدَ ولا ريبَ الزَّمَن

(٥) الوجن بفتح فسكون وبفتحتين : الأرض الغليظة الصلبة . ويروى بالضم جمع وجين . والجآجى : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر . والقطن بفتح الطاء : أسفل الظهر . وقيل : الصواب القطن بكسر الطاء جمع قطنة وهى ما بين الفخذين .

تلفُّـــــه فى الريح بَوْغاء الدِّمن　　كأنما حُثحث من حِضْنَى ثَـكن (١)

قال : فلما سمع سَطِيح شعره رفع رأسه يقول : عبدُ المسيح ، على جمل مُشِيح ، أتى سطيح ، وقد أَوْفَى على الضريح ، بعثك مَلِك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المُوبِذَان ، رأى إبلاً صِعَاباً ، تقود خيلا عِرَاباً ، قد قطعت دِجْلة ، وانتشرت فى بلادها .

ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهِرَاوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بُحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشُّرُفات وكلما هو آتٍ آت .

ثم قضى سَطِيح مكانه .

فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمِّر فإنك ماضى العَزْم شِمِّيرُ　　لا يُفْزعنك تفريق وتغييـــرُ
إنْ يُمْسِ مُلْك بَنِى ساسان أَفرَطهم　　فإنَّ ذا الدهر أطوارٌ دهاريرُ
فربَّما ربمـــا أضْحَوْا بمنزلةٍ　　يخاف صولَهم الأُسْد المهاصيرُ
منهم أخو الصَّرْح بَهْرامٌ وإخوته　　والهُرْمزان وسابور وسابورُ
والناس أولاد عَلاَّتٍ فمن علموا　　أَنْ قد أقَلَّ فمحقورٌ ومهجورُ
وربَّ قوم لهم صحبان ذى أذن　　بَدَتْ تلهِّيهمُ فيـــه المزامير
وهم بنو الأمِّ إمَّا إنْ رأوا نَشَباً　　فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ

(١) البوغاء : التراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه ، أى تجمع وتلبد . وتشهد له الرواية الأخرى :
* تلفحه الريح ببوغاء الدمن *
وحثحث : حرك . والثكن : جبل .
وقد وردت هذه القصة فى لسان العرب ٣/٣١٢ ، وفى الاكتفا للكلاعى بتحقيق باختلاف وزيادة ونقص
قال الأزهرى وهو حديث حسن غريب .

والخير والشرُّ مقرونان فى قَرَنٍ فالخيرُ مُتَّبعٌ والشر محـــذورُ

قال : فلما قَدِم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح ، فقال كسرى : إلى أن يَمْلك منا أربعة عشر مَلِـكا كانت أمور وأمور !

فملك منهم عشرةٌ فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه .

ورواه البيهقى من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، عن على بن حرب الموصلى بنحوه .

قلت : كان آخر ملوكهم ــ الذى سلب منه الملك يَزْدَجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وهو الذى انشق الإيوان فى زمانه . وكان لأسلافه فى الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم جيومرت (١) بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح [وقد تقدم ترجمة شق وسطيح فى أخبار أهل اليمن](٢) .

أما سَطِيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه : هو الربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن الأزد . ويقال الربيع بن مسعود وأمه ردعا بنت سعد بن الحارث الحجورى . وذكر غير ذلك فى نسبه .

قال : وكان يسكن الجابية .

ثم روى عن أبى حاتم السجستانى قال : سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا : وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد فى زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذى نواس وذلك نحوٌ من ثلاثين قرناً ، وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الأزد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الأزد ولا ندرى ممن هو غـير أن ولده يقولون إنه من الأزد .

---

(١) ويقال له : كيومرث .رفى ط : خيومرث (٢) من المخطوطة ا .

(٣) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم مكتوب بحاشية الحلبية لم يرد فى النسخة ا واكتفى بقوله : وقد تقدم ..

وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيء من بنى آدم يشبه سطيحاً ، إنما كان لحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا فى رأسه وعينيه وكفَّيه ، وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه .

وقال غيره : إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس .

ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصى ، فامتحنوه فى أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون فى آخر الزمان ، فقال : خذوا منى ومن إلهام الله إياى : أنتم الآن يامعشر العرب فى زمان الهَرَم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشو من عَقِبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم . ثم قال : والباقى الأبدِ ، والبالغ الأَمَدِ ليخرجن من ذا البلد ، نبيٌّ مهتد ، يهدى إلى الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضد ، يعبد ربًّا انفرد ، ثم يتوفاه الله بخير دار محمودا ، من الأرض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً ، ثم يلى أمره الصدِّيق ، إذا قضى صَدَق ، وفى رد الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرِّب غِطْريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومَقْتله وما يكون بعد ذلك من أيام بنى أمية ثم بنى العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم . ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله .

وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ، ثم ما يكون فى بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول ، حتى يعود إلى سيف بن ذى يَزَن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال نبيٌّ زكى يأتيه الوحى من قِبَل العَلِيّ. قال : وممن هذا النبى ؟ قال : من ولد غالب بن فِهْر ، بن مالك

ابن النَّضْر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجْمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحقٌّ ماتخبرنى ؟ قال : نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنبأتك عليه لحق . ووافقه على ذلك شق سواء بسواء بعبارة أخرى كما تقدم .

ومن شعر سَطِيح قوله :

عليكم بتقوى الله فى السرِّ والجهر ولا تَلْبِسوا صِدْقَ الأمانة بالغَدْرِ
وكونوا لجار الجَنْبِ حِصْناً وجُنَّة إذا ماعَرَتْه النائباتُ من الدهرِ

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المُعَافَى بن زكريا الجريرى فقال : وأخبار سَطِيح كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً، وقد أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن نعته ومبعثه . وروى لنا بإسنادٍ اللهُ به أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سطيح فقال : « نبي ضَيَّعه قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له فى شيء من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أره بإسناد أصلا ، ويروى مثله فى خبر خالد بن سنان العبسى ولا يصح أيضا .

وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد لسطيح ، وفيها روائح التصديق ، لكنه لم يدرك الإسلام كما قال الجريرى . فإنه قد ذكرنا فى هذا الأثر أنه قال لابن أخته : ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فايس الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت . ثم قضى سطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ـ أو شَيْعه (١) ـ أى أقل منه .

---

(١) المطبوعة : أوشية . وهو تحريف .

وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلى أرض العراق . فالله أعلم بأمره وما صار إليه .

وذكر ابن طرار الجريرىّ [١] أنه عاش سبعمائة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن ملكا سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه ، فأخبره على الجليَّة فى كلام طويل مليح فصيح . فقال له الملك ياسطيح ألا تخبرنى عن علمك هذا ؟ فقال : إن علمى هذا ليس منى ولا بجَزْم ولا بظن ، ولكن أخذته عن أخ لى قد سمع الوحى بطور سيناء . فقال له أرأيت أخاك هذا الجنى أهو معك لا يفارقك ؟ فقال : إنه ليزول حيث أزول ، ولا أنطق إلا بما يقول .

وتقدم أنه ولد هو وشِقّ بن مُصْعَب بن يَشْكر بن رهم بن بسر بن عقبة الكاهن الآخر ، وُلِدَا فى يوم واحد ، فحملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميدية فتفلت فى أفواههما فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسْرى من سلالته ، وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيَّان بن بُقَيْلَة [٢] الغسانى النصرانى فكان من المعمَّرين .

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وقال هو الذى صالح خالد بن الوليد على [الحيرة [٣]] وذكر له معه قصة طويلة وأنه أكل من يده سُمّ ساعة فلم يصبه سوء ، لأنه لما أخذه قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذى لا يضر مع اسمه أذى . ثم أكله

---

(١) ابن طرار الجريرى : هو الإمام المشهور أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريرى النهروانى . وقد ذكره ابن كثير قريباً باسمه . اللباب ١/٢٢٤ .

(٢) المطبوعة : نفيلة . وهو خطأ . (٣) سقطت من الأصل وهى من الاشتقاق لابن دريد ٤٨٥ .

فعاتَه غشية فضرب بيديه على صدره ، ثم عرق وأفاق رضى الله عنه وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم(١) .

* * *

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا المسيب بن شريك ، حدثنا محمد بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : كان بمَرِّ الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام ، وكان متخفِّرا بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علما كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم .

وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فى كل سنة فيلقى الناس ويقول : إنه يوشك أن أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومَنْ أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه نخالفه أخطأ حاجته ، وبالله ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن ولا حللت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا فى طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه ، فيقول ما جاء بعد . فيقال له : فصِفْه . فيقول لا .

ويكتم ذلك للذى قد علم أنه لاقٍ مِنْ قومه ، مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعيةً إلى أدنى ما يكون إليه من الأذى يوماً .

ولما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله ابن عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فوقف فى أصل صومعته ثم نادى : ياعيصاه . فناداه من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله . فأشرف عليه فقال : كن أباه فقد ولد المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ، ويموت الاثنين .

---

(١) إلى هنا آخر الحاشية التى أثبتها المطبوعة عن النسخة الحلبية

قال : فإنه قد ولد لى مع انصبح مولود . قال فما سميته ؟ قال : محمداً قال : والله لقد كنت أشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال نعرفه بها ، منها أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد . انطلق إليه فإن الذى كنت أخبركم عنه ابنك . قال فما يدريك أنه ابنى ؟ ولعله أن يولد فى هذا اليوم مولود غيره ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله ليشبِّه عِلمه على العلماء فإنه حجة . وآية ذلك أنه الآن وَجِـعٌ فيشتكى أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يعافى . فاحفظ لسانك ، فإنه لم يُحْسَد أحد حَسَده قط ، ولم يُبْغَ على أحد كما يُبْغَى عليه ، إن تعِشْ حتى يبدو مقالُه ثم يدعو لَظَهر لك من قومك ما لا تحتمله إلا على صبرٍ وعلى ذل ، فاحفظ لسانك ودار عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عُمره وإن قَصُر لم يبلغ السبعين ، يموت فى وِتْرٍ دونها من الستين فى إحدى وستين أو ثلاث وستين فى أعمار جُلِّ أمته .

قال : وحُمِل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

هكذا رواه أبو نعيم [١] وفيه غرابة .

ذكر حواضنه ومَرَاضعه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بَرَكة تحضنه ، وكان قد ورثها عليـه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر أعتقها وزوّجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضى الله عنهم .

وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبى لَهَب ثُوَيْبة قبل حليمة السعدية .

(١) ورواه أيضا ابن عساكر

أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث الزُّهرى عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة بنت أبى سفيان ، قالت : يا رسول الله انكِحْ أختى بنت أبى سفيان ولمُسْلم : « عَزَّة بنت أبى سفيان » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت : نعم لستُ لك بمخلِّية وأحَبُّ مَنْ شاركنى فى خيرٍ أختى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فإن ذلك لا يَحِلُّ لى » .

قالت : فإنا نحدّث أنك تريد أن تنكح بنتَ أبى سَلمة ، وفى رواية : « درة بنت أبى سلمة » قال : « بنت أم سلمة ؟ » قلت : نعم . قال : « إنها لو لم تكن رَبيبتى فى حِجرى ما حَلَّت لى ، إنها لابنة أخى من الرضاعة ، أرضعتنى وأبا سلمة ثُوَيبةُ ، فلا تَعْرِضنَ علىَّ بناتكن ولا أخواتكن » .

زاد البخارى : قال عُروة : وثويبة مولاةٌ لأبى لهب أعتقها فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبولهب أُرِيه بعضُ أهله بشرِّ خَيْبة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ فقال أبو لهب : لم أَلْقَ بعدكم خيراً ، غير أنى سُقِيت فى هذه بعتاقتىْ ثويبة . وأشار إلى النقرة التى بين الإبهام والتى تليها من الأصابع .

وذكر السهيلى وغيره : أن الرائى له هو أخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر . وفيه إن أبا لهب قال للعباس : إنه ليخفَّف علىّ فى مثل يوم الاثنين .

قالوا : لأنه لما بشَّرته ثُوَيْبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزى بذلك لذلك .

ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليمة بنت أبى ذُؤَيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن إسحاق : فاسترضُع له عليه الصلاة والسلام من حليمة بنت أبى ذؤيب ، واسمه عبدالله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزَام بن ناصرة [بن فُصَيَّة بن نصر][1] ابن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة[2] بن قيس عَيْلان ابن مُضَر .

قال : واسم أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرضعه – يعنى زوج حليمة . الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن .

وإخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُنَيسة بنت الحارث ، وخِدَامة[3] بنت الحارث، وهى الشَّيْماء ، وذكروا أنها كانت تَحْضن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَهْم بن أبى جهم [مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب ، ويقال له][4] مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال : حدِّثت عن حليمة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة – وذكر الواقدى بإسناده أنهن كُنَّ عشرة نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمسن بها الرُّضعاَء – من بنى سعد نلتمس بها الرُّضعاء فى سنة شَهْبَاء[5] ، فقدمت

---

(١) من ابن هشام . (٢) المطبوعة : حفصة ، وهو خطأ .
(٣) قال السهيلى : وقال غيره حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم .
(٤) ليست فى ابن هشام . (٥) شهباء : مجدبة .

على أتان لى قَمْراء كانت أذمّت بالرَّكْب (١) ، ومعى صبى لنا ، وشارف لنا والله ماتَبِضُّ (٢) بقطرة ، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، مانجد (٣) فى ثديى مايُغْنيه ولا فى شارفنا مايغذّيه ، ولكنا كنا نرجو الغيثَ والفرج ، فخرجت على أتانى تلك فلقد أَذَمَّت بالرَّكب حتى شَقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً .

فقدِمْنا مكة ، فوالله ماعلمتُ منا امرأةً إلا وقد عُرِض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتَأْباه إذا قيل إنه يتيم ، تركناه قلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبى الولد،فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا ! فوالله مابقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضِيعاً غيرى .

فلما لم نجدْ غيرَه وأجمعنا الانطلاقَ قلت لزوجى الحارث بن عبد العُزَّى : والله إنى لأكره أن أرجع من بَيْن صواحبى ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه.

فقال : لا عليك أن تفعلى ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة .

فذهبت فأخذتُه ، فوالله ماأخذته إلا أنى لم أجد غيره .

فما هو إلا أن أخذته فجئت به رَحْلى فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لَحافلٌ ، فحلب ماشرب وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة .

---

(١) القمراء التى يميل لونها إلى الخضرة . وقد ذكرها السهيلى أولا : أذمت وقال : تريد أنها حبستهم وكأنه من الماء الدائم وهو الواقف . ويروى : « حتى أذمت » أى أذمت الأتان أى جاءت بما تذم عليه » والمعنى أنها أبطأت عليهم حتىحبستهم . (٢) ما تبض : ما ترشح .

(٣) العجيب أن ابن كثير رحمه الله يعدل عن لفظ ابن إسحاق ويخلطه بما يفسد المعنى ، ولو أنه أثبته بنصه لكفى وأغنى ، وإليك نص ابن إسحاق : « وما نتام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، ما فى ثديى ... الخ » ولو ذهبنا نتتبع مفارقات المؤلف فى نقله عن ابن إسحاق لطال بنا الأمر ، ويكفى أن نعلم أن ابن كثير يلخص المعنى بعبارته ويزيد ويحذف ولا يلتزم النص إلا قليلا .

فقال صاحبي حين أصبحنا : ياحليمة والله إني لأراك قد أخذت نَسَمة مباركة ، ألم تَرَىْ مابِتْنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ ! فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً .

ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعتْ أتاني بالرَّكب حتى مايتعلق بها حمار ، حتى أن صواحبي ليقلن : ويلك يابنت أبي ذؤيب ! هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول : نعم والله إنها لهي . فيقلن : والله إن لها لشأناً .

حتى قدمنا أرضَ بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجْدَبَ منها ، فإنْ كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فنحلب ماشئنا ، وما حوالينا أو حولنا أحدٌ تَبِضُّ له شاةٌ بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم أو لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيث تسرح ، فتروح أغنامهم جياعاً مافيها قطرة لبن ، وتروح أغنامي شباعاً لبناً نحلب ماشئنا .

فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها .

حتى بلغ سنتين فكان يَشِبُّ شباباً لا تشبُّه الغلمان ، فوالله مابلغ السنتين حتى كان غلاماً جَفْرا (١) فقدمنا به على أمه ونحن أضنُّ شيء به مما رأينا فيه من البركة ، فلما رأته أمه ، قلت لها : دَعِينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى ، فإنا نخشى عليه وباء مكة .

فوالله مازلنا بها حتى قالت : نعم . فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة .

فبينما هو خلفَ بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بَهْم لنا جاء أخوه ذلك يشتد ، فقال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه .

---

(١) الجفر : الغايظ .

فخرجت أنا وأبوه نشتدُّ نحوَه ، فنجده قائماً مُنْتقعا لونُه ، فاعتنقه أبوه وقال : يابنيّ ماشأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، أضجعانى وشقا بطنى ، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رَدَّاه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : ياحليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به مانتخوف . قالت حليمة: فاحتملناه فلم تُرَعْ أمه إلا به ، فقدمنا به عليها فقالت : مارَدَّكما به ياظِئْر ، فقد كنتما عليه حريصين ؟ فقالا : لا والله، إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذى علينا وقلنا نخشى الإتلاف والأحداث نرده إلى أهله.فقالت : ماذاك بكما، فاصدقانى شأنكما . فلم تدَعْنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟! كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله إنه لـكائن لابنى هذا شأن ، ألا أخبركما خبره ؟ قلنا : بلى . قالت : حملت به فما حملت حَمْلا قط أخف منه[1] ، فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعاً مايقعه المولود ، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، فدَعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روى من طرق أخر ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازى .

وقال الواقدى : حدثنى معاذ بن محمد ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : خرجت حليمة تطلب النبى صلى الله عليه وسلم وقد وجدت البَهْم تَقِيل ، فوجدته مع أخته فقالت : فى هـذا الحر ؟ فقالت أخته : ياأمه ماوجد أخى حراً ، رأيت غمامة تظلل عليه ، إذا وقف وقفَتْ ؛ وإذا سار سارت ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق : حدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك.قال : « نعم أنا دعوة أبى إبراهيم

(١) يوهم ذلك أنها حملت بغيره ، وهو غير ثابت .

وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا في بَهْم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طَسْت من ذهب مملوء ثلجا ، فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه عَلَقة سوداء فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا أنقياه رَدَّاه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه . زِنْه بعشرة من أمته . فوزنني بعشرة فوزَنْتُهم، ثم قال : زِنْه بمائة من أمته . فوزنني بمائة فوزنتهم . ثم قال زنه بألف من أمته . فوزنني بألف فوزنتهم ، فقال : دَعْه عنك ، فلو وزنته بأمته لوَزَنَهم » .

وهذا إسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبح ، وهو أبو نعيم ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شدَّاد بن أوس هذه القصة مطولة جداً ، ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع . فلهذا لم نذكر لفظ الحديث إذ لا يُفْرَح به .

ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن نفير ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمي ، عن عُتبة بن عبد الله ، أنه حدثه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يارسول الله ؟ قال : « كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابنٌ لها في بَهْم لنا ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخي ومكثت عند البَهْم ، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال نعم ! فأقبلا يبتدراني ، فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه :

ائتنى بماء ثلج . فغسلا به جوفى . ثم قال : ائتنى بماء بَرَد . فغسلا به قلبى . ثم قال: ائتنى بالسكينة فذَرَّها فى قلبى . ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْه . فخاطه وختم على قلبى بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفاً من أمته فى كفة . فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى أشفق أن يخر علىّ بعضُهم . فقال : لو أن أمته وُزِنت به لمال بهم . ثم انطلقا فتركانى وفَرِقْتُ فَرَقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمى فأخبرتها بالذى لقيت ، فأشفقت أن يكون قد لبس بى ، فقالت : أعيذك بالله . فرحَّلت بعيراً لها وحملتنى على الرحل . وركبت خلفى ، حتى بلغنا إلى أمى ، فقالت : أدَّيتُ أمانتى وذمتى . وحدَّثتُها بالذى لقيتُ ، فلم يَرُعْها ، وقالت : إنى رأيت خرج منى نور أضاءت منه قصور الشام » .

ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبى داود الطيالسى ، حدثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشى ، أخبرنى عمير بن عمر بن عروة بن الزبير ، قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبى ذر الغفارى قال : قلت يارسول الله كيف علمتَ أنك نبى حين علمت ذلك واستيقنتَ أنك نبى ؟ قال : « يا أبا ذر ، أتانى مَلَكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هوهو . قال زِنْه برجل . فوزننى برجل فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر شقَّ صدره وخياطته وجَعْل الخاتم بين كتفيه قال : « فما هو إلا أن وَلَّيا عنى فكأنما أعاين الأمرَ معاينة » .

ثم أورده ابن عساكر عن أبىٍّ بن كعب بنحو ذلك ، ومن حديث شداد بن أوس بأبسط من ذلك .

وثبت فى صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء ، فقال : هـذا حظ الشيطان ، ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمه ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه — يعنى ظِئْره — فقالوا : إن محمداً قد قُتِل . فاستقبلوه وهو مُنْتَقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره .

وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث عن عبد ربه ابن سعيد ، عن ثابت البَنَانى ، عن أنس ، أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملكين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به إلى زمزم فشقا بطنه فأخرجا حشوته فى طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لَبَّسا جوفَه حكمة وعلماً .

ومن طريق ابن وهب أيضا ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن أبيه عن عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبى وقاص ، عن أنس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال : قال خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعُمِد به إلى زمزم ، فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب فغسل جوفه ثم ملىء حكمة وإيماناً . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس .

وفى الصحيحين من طريق شريك بن أبى نمر ، عن أنس ، وعن الزهرى عن أنس ، عن أبى ذر وقتادة عن أنس ، وعن مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الإسراء كما سيأتى قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنه غسل بماء زمزم .

ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين ، مرة وهو صغير ، ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أنا أَعْرَبُكم ، أنا قرشي واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

وذكر ابن إسحاق : أن حليمة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه وقالوا إنا سنذهب بهذا الغلام إلى مَلِكنا فإنه كائن له شأن . فلم تكدْ تنفلت منهم إلا بعد جهد .

وذكر أنها لما ردته حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده ، فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة فى طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يعوذه ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة .

وذكر الأموى من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصى ، وهو ضعيف ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به فى أحياء العرب ليتخذ له مرضعة ، فطاف حتى استأجر حليمة على رضاعه ، وذكر أنه أقام عندها ستَّ سنين تُزيره جَدَّه فى كل عام ، فلما كان مِنْ شَقِّ صدره عندهم ما كان رَدَّته إليهم ، فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانى سنين ماتت ، فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيات فى تلك السَّفْرة ، منها أن فَحْلا من الإبل كان قد قطع بعضَ الطريق فى وادٍ مَمَرُّهم عليه ، فلما رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَرَكَ حتى حك بكَلْكَلِهِ الأرض ، فركبه عليه الصلاة والسلام ، ومنها أنه خاض بهم سيلا عَرِماً فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوه ، ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلّت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ، ثم عادت على هوازن بكمالهم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فمتوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنّن عليهم وأحسن إليهم ، كما سيأتى مفصلا فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق فى وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين ، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفدُ هَوَازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا يارسول الله إنا أهلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يَخْفَ عليك ، فامنن علينا مَنَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهيرُ بن صُرَد فقال : يارسول الله إن مافى الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، فلو أنا ماحنا(١) ابن أبى شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثلُ الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعَطْفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

امْنُنْ علينا رسولَ الله فى كرم فإنك المرء نرجوه ونَدَّخِرُ
امنن على بَيْضة قد عاقها قَدَرٌ مُمَزَّقٌ شَمْلُها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهرَ هُتَّافا على حَزَن على قلوبهمُ الغماء والغمرُ
إن لم تداركها نعماء تنشرها ياأرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها درر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ماتأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته واستبق منّا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبى الرملى ،

(١) يعنى أرضعنا . وابن أبى شمر هو الحارث الغسانى .

عن زياد بن طارق الجشمى ، عن أبى صرد زهير بن جَرْوَل ، وكان رئيس قومه ، قال لما أَسَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين فبينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبتُ حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعراً ، أذكِّره حين شبَّ ونشأ فى هوازن حيث أرضعوه :

امنن علينا رسول الله فى دَعَةٍ ... فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
امنن على بيضة قد عاقها قَدَرٌ ... ممزَّقٌ شملُها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الحربُ هُتَّافاً على حزن ... على قلوبهم الغمَّاء والغمرُ
إن لم تُداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين يُختبر
امنن على نسوة قد كنت تَرْضَعُها ... إذ فوك تملؤه من مَحْضِها الدُّرَرُ
إذ أنت طفلٌ صغيرٌ كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتى وما تَذَرُ
لا تجعلنَّا كمن شَالَتْ نَعَامته ... واستَبْق منَّا فإنا معشر زُهُرُ
إنا لنشكر للنُّعْمى وإن كُفِرتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
فألبس العفْوَ مَن قد كنت تَرْضَعه ... من أمهاتك إنَّ العفو مُشْتهرُ
إنا نؤمِّل عفواً منك تُلْبسه ... هذى البَرِيَّة إذ تعفو وتنتصرُ
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يُهْدَى لك الظَّفرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وسيأتى أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف مابين صبى وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسى كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم .

فهذا كله من بركته العاجلة فى الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه فى الدار الآخرة؟!

فصــــل

قال ابن إسحاق بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رضاعة حليمة له .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجدِّه عبد المطلب فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً ؛ لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلغ ستَّ سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تُزِيره إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة .

وذكر الواقدى بأسانيده أن النبى صلى الله عليه وسلم خرجت به أمه إلى المدينة ومعها أم أيمن وله ست سنين ، فزارت أخواله .

قالت أم أيمن : فجاءنى ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لى : أخرجى إلينا أحمد ننظر إليه فنظرا إليه وقلَّباه ، فقال أحدهما لصاحبه : هذا نبى هذه الأمة وهذه دار هجرته ، وسيكون بها من القتل والسَّبْى أمر عظيم .

فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالأبواء وهى راجعة .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أيوب بن جابر ، عن سِماك ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن بُريدة عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى إذا كنا بِوَدَّان قال « مكانَكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل ، فقال : « إنى أتيت قبر أم محمد فسألت ربى الشفاعة - يعنى لها - فمنعنيها ، وإنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاثة أيام فكلوا وأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن الأشربة فى هذه الأوعية فاشربوا ما بدا لكم » .

وقد رواه البيهقى من طريق سفيان الثورى ، عن علقمة بن يزيد ، عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : انتهى النبى صلى الله عليه وسلم إلى رَسْم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ، ثم بكى . فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى أن أزور قبرها فأذن لى ، واستأذنته فى الاستغفار لها فأبى علىَّ ، وأدركتنى رِقتها فبكيت » . قال : فما رؤيت ساعةٌ أكثرَ باكياً من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دِثار عن بُريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن بحر بن نصر ، عن عبد الله بن وهب ، حدثنا ابن جُريج ، عن أيوب بن هانئ ، عن مسروق بن الأجدع ، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فى المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها - فناجاه طويلا ثم ارتفعَ نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً ، فبكينا لبكاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل علينا فتلقَّاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ما الذى أبكاك ؟ لقد أبكانا وأفزعنا .

فجاء فجلس إلينا فقال : « أفزعكم بكائى » ؟ قلنا نعم ! قال : « إن القبر الذى رأيتمونى أناجى قبرُ آمنة بنت وهب ، وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، واستأذنت ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ، ونزل علىَّ (ما كان للنبىِّ والذين آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِروا للمُشْرِكين ولو كانوا أُولى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ ما تبيَّن لَهُمْ أنهم أصحابُ الجحيم ، وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وعدها إياه ، فلما تبيَّن له أنه عدُوٌّ لله تبرَّأَ منه إن إبراهيمَ لأَوَّاهٌ حليمٌ (١)) فأخذنى ما يأخذنى الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذى أبكانى » .

غريب ولم يخرجوه .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : زار النبى صلى الله عليه وسلم قبرَ أمه ، فبكى وأبكى مَن حوله ثم قال : « استأذنتُ ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى ، واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى ، فزوروا القبور تذكِّركم الموت » .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلا قال يا رسول الله أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » .

وقد روى البيهقى من حديث أبى نُعيم الفضل بن دُكَين ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبى كان يَصِل الرَّحم ، وكان وكان ، فأين هو ؟ قال : « فى النار » . قال : فكأن الأعرابى وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار » .

---

(١) سورة التوبة ١١٣، ١١٤ .

قال : فأسلم الأعرابى بعد ذلك . فقال : لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرتُه بالنار !

غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ـ هو ابن أبى أيوب ـ حدثنا ربيعة بن سيف المَعَافرى ، عن أبى عبد الرحمن الُحبُلى ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : بينما نحن نمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بَصرُ بإمرأة لا يظن أنه عرفها ، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما أخْرَجك من بيتك يافاطمة ؟ » فقالت : أتيت أهل هـذا البيت فترَّحمت إليهم ميتهم وعَزَّيتهم . قال : « لعلك بلغت معهم الـكُدَى » قالت : معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر فى ذلك ما تذكر .

قال : « لو بلَغْتِيها معهم ما رأيتِ الجنة حتى يراها جدُّ أبيك .

ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائى والبيهقى من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المَعافِرىّ الصنمى الإسكندرى ، وقد قال البخارى عنده مناكير . وقال النسائى : ليس به بأس . وقال مرةً : صدوق ، وفى نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : كان يخطىء كثيراً . وقال الدار قطنى : صالح . وقال ابن يونس فى تاريخ مصر : فى حديثه مناكير . توفى قريبا من سنة عشرين ومائة .

والمراد بالـكُدَى : القبور . وقيل : النَّوْح .

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافا لفُرْقة الشيعة فيه وفى ابنه أبى طالب . على ماسيأتى فى وفاة أبى طالب .

وقد قال البيهقى ـ بعد روايته هذه الأحاديث فى كتابه « دلائل النبوة » : وكيف

لا يكون أبواه وجدُّه عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة فى الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دينَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وكُفرهم لا يَقْدح فى نَسَبه عليه الصلاة والسلام ، لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يُسْلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن ، إذا كان مثله يجوز فى الإسلام . وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : وإخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافى الحديثَ الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصُمَّ يمتحنون فى العرصات يوم القيامة ، كما بسطناه سنداً ومتناً [فى تفسيرنا] عند قوله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا) فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة . ولله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذى ذكره السهيلى وذكر أن فى إسناده مجهولين إلى ابن أبى الزِّناد ، عن عُروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربَّه أن يُحْيِي أبويه ، فأحياهما وآمنا به ، فإنه حديث منكر جدًّا . وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله تعالى . لكن الذى ثبت فى الصحيح يعارضه . والله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم ـ يعنى بعد موت أمه آمنة بنت وهب ـ فكان يوضع لعبدالمطلب فراش فى ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جَفْر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب : إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابنى فوالله إن له لشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره مايراه يصنع .

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرى . وحدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الأسلمى ، عن المنذر بن جهم . وحدثنا مَعْمر عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبى الحويرث . وحدثنا ابن أبى سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن نافع ، عن ابن جبير ــ دخل حديث بعضهم فى بعض ــ قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمَّه ورقَّ عليه رقة لم يرِقَّها على ولده ، وكان يقرّبه منه ويُدْنيه ، ويَدْخل عليه إذا خلا وإذا نام . وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دَعُوا ابنى إنه يؤنّس ملكاً .

وقال قوم من بنى مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنا لم نرَ قدماً أشبه بالقدم الذى فى المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبى طالب : اسمع مايقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به .

وقال عبد المطلب لأم أيمن ــ وكانت تحضنه ــ : يابرَكة لا تغفلى عن ابنى ، فإنى وجدته مع غلمان قريب من السِّدرة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول : علىَّ بابنى . فيؤتى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ودفن بالحَجُون .

وقال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم .

ثم ذكر جَمْعه بناته وأَمْره إياهن أن يرثينه . وهن : أَرْوَى ، وأميمة ، وَبرَّة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء .

وذكر أشعارهن وما قلن فى رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته ، وهذا أبلغ النوح . و بسط القول فى ذلك .

وقد قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

***

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى السقاية وزمزم بعده ابنه العباس ، وهو مِنْ أَحْدَث إخوته سناً .

فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرها فى يده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده عبد المطلب مع عمه أبى طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال : فكان أبو طالب هو الذى يلى أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إليه ومعه .

وقال الواقدى : أخبرنا مَعْمر ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن محمد الأنصارى ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر

و إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة ـ دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ـ قالوا :

لما توفى عبد المطلب قبض أبو طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولدَه ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، و يخرج فيخرج معه .

وصَبَّ به أبو طالب صبابة لم يُصَبَّ مثلها بشىء قط .

وكان يخصه بالطعام ، وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، و إذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا . فكان إذا أراد أن يغديهم قال كما أنتم حتى يأتى ولدى . فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا يُفْضلون من طعامهم ، و إن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك لمُبَارك .

وكان الصبيان يصبحون رُمْصاً شُعْثاً و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا على بن ثابت ، عن طلحة بن عمرو ، سمعت عطاء ابن أبى رباح ، سمعت ابن عباس يقول : كان بنو أبى طالب يصبحون رُمْصا عمصاً و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلا دهيناً .

وكان أبو طالب يقرّب إلى الصبيان صفحتهم أول البُكْرة ، فيجلسون و يَنْتهبون ، و يكفُّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده فلا ينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمُّه عزل له طعامه على حِدَة .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه أن رجلا من لِهْب كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم و يعتاف لهم فيهم .

قال : فأتى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه . قال : فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شئ . فلما فرغ قال : الغلام علىَّ به . فلما رأى أبو طالب حِرصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : و يلكم ردُّوا علىَّ الغلام الذى رأيته آنفاً فو الله ليكونن له شأن .

قال : وانطلق به أبو طالب .

فصل

فى خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبى طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام .

فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يزعمون .

فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا أفارقه ولا يفارقنى أبداً . أو كما قال .

فخرج به . فلما نزل الركب بُصْرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بَحِيرى فى صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب فيها إليه يصير علمهم عن كتاب ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى — وكانوا كثيراً مايمرون به فلا يكلمهم ولا يَعْرِض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

فى الركب حتى أقبل وغمامة تظلله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إنى صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحركم .

فقال له رجل منهم : والله يابحيرى إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟

قال له بحيرى : صدقتَ قد كان ماتقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة

فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويجده عنده فقال : يامعشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .

قالوا : يابحيرى ماتخلَّف أحدٌ ينبغى له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدثنا سناً فتخلف فى رحالنا . قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى إن كان لَلؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا .

ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها

عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له : ياغلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .

وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بُغضهما . فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له: سلنى عما بدا لك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره . فوافق ذلك ماعند بحيرى من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده .

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال : ماهذا الغلام منك ؟ قال : ابنى .

قال بحيرى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به .

قال : صدقتَ ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليَبْغُنه شرًّا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده .

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زُرَيْراً ، وتَمَّاما ودَرِيساً[1] — وهم نفر من أهل الكتاب — قد كانوا رأوا [من[2]] رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى فى ذلك السَّفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه فردَّهم عنه بَحِيرى ، فذكَّرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذِكره وصفته ، وأنهم [إن[2]] أجمعوا لِمَا أرادوا به لم يخلُصوا

(١) محرفة بالأصل : تماما ودريسا . وما أثبته من ابن هشام . (٢) سقطت من الأصل .

إليه . حتى عرفوا ماقال لهم وصدَّقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه .

وقد ذكر يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال فى ذلك ثلاث قصائد .

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا قراد أبو نوح ، حدثنا يونس ، عن ابن[1] إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب ـ يعنى بَحِيرى ـ هبطوا فحلُّوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم .

قال : فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين .

وفى رواية البيهقى زيادة : هذا رسول رب العالمين ، بعثه الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : وماعِلْمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقَبَةِ لم يبْقَ شجر ولا حجر إلا خَرَّ ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه .

ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به ـ وكان هو فى رِعْيَة الإبل ـ فقال : أرسلوا إليه . فأقبل وغمامة تظلُّه . فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَىْء الشجرة فلما جلس مال فَىْءُ الشجرة عليه . قال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه .

---

(١) الأصل أبى وهو تحريف .

قال فبينما هو قائم عليهم وهو يَنْشُدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم فقال ماجاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس ، وإنا أُخْبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : فهل خَلْفَكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يَقْضيه هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه ؟ فقالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده .

قال : فقال الراهب : أنشدكم الله أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب .

فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذى عن أبى العباس الفضل بن سهل الأعرج عن قراد أبى نوح به. والحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق أبى العباس محمد بن يعقوب الأصمّ عن عباس بن محمد الدُّورى به .

وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبى نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعى مولاهم ،ويقال له الضبيّ ويعرف بقراد ، سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرَّحه . ومع هذا فى حديثه هذا غرابة .

قال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال عباس الدورى : ليس فى الدنيا أحد يحدِّث به غير قراد أبى نوح ، وقد سمعه منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحي بن معين لغرابته وانفراده . حكاه البيهقى وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مُرْسلات الصحابة ، فإن أبا موسى الأشعرى إنما قَدِم فى سنة خيبر سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق فى جعله له من المهاجِرة إلى أرض الحبشة من مكة .

وعلى كل تقدير فهو مرسل ، فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبى صلى الله عليه وسلم فيكون أبلَغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثانى : أن الغمامة لم تذكر فى حديث أصح من هذا .

الثالث : أن قوله : « وبعث معه أبو بكر بلالا » إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتى عشرة سنة فقد كان عُمْرُ أبى بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم كبيراً ، إما بأن يكون سفره بعد هذا ، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتى عشرة سنة غير محفوظ ، فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدى . وحكى السهيلى عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام فى العير التى خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى . فقال لأبى طالب بالسر ما قال . وأمره أن يحتفظ به فرده معه أبو طالب إلى مكة .

وشَبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها لما يريد من كرامته .

حتى بَلَغ أن كان رجلاً أفضلَ قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حِلما وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى .

ما رؤى مُلاَحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى سماه قومه الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن مَعْدان ، حدثنا مُعتمر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث عن أبي مِجْلز أن عبد المطلب أو أبا طالب ـ شك خالد ـ قال : لما مات عبد الله عطف على محمد ، فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه .

وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلا فأتاه فيه راهب ؛ فقال إن فيكم رجلا صالحًا . ثم قال : أين أبو هذا الغلام ؟ قال : فقال ها أنا ذا وليه ـ أو قيل هذا وليه ـ قال : احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام ، إن اليهود حُسَّد وإني أخشاهم عليه . قال : ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله يقوله .

فردَّه وقال : اللهم إني أستودعك محمداً . ثم إنه مات .

قصة بَحِيرى

حكى السُّهيلي عن سِير الزُّهْري أن بَحِيرى كان حَبراً من أحبار يهود .

قلت : والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم .

وعن المسعودى أنه كان من عبد القيس ، وكان اسمه جرجيس .

وفى كتاب « المعارف » لابن قتيبة : سُمع هاتف فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة ، بَحِيرى ، ورئاب بن البراء الشَّنى ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال ابن قتيبة: وكان قبر رئاب الشنى وقبر ولده مِن بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

فصـــل

فى مَنْشئه عليه الصلاة والسلام ومَرْباه وكفاية الله له ، وحياطته وكيف كان يتيماً فآواه وعائلاً فأغناه

قال محمد بن إسحاق : فشبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَكلؤه الله ويحفظه ، ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لِمَا يريد من كرامته ورسالته ، حتى بَلَغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خُلقاً وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، تنزُّها وتكرماً .

حتى ما اسمُه فى قومه إلا الأمينُ ، لِمَا جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذُكِر لى ، يحدِّث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتُنى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرَّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدْبر إذ لكمنى لاكم ما أراه لكمةً وجيعة ، ثم قال : شُدَّ عليك

إزارك . قال فأخذته فشَدَدْته علىَّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىَّ من بين أصحابى » .

وهذه القصة شبيهة بما فى الصحيح عند بناء الكعبة ، حين كان ينقل هو وعمه العباس فإن لم تَكُنْها فهى متقدمة عليها كالتوطئة لها . والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جُرَيج ، أخبرنى عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول : لمَّا بُنيت الكعبةُ ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة ، فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارَك على عاتقك من الحجارة . ففعل فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزارى » فشُدَّ عليه إزاره .

أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث رَوح ابن عُبادة ، عن زكرياء بن أبى إسحاق ، عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالا : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانىّ ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدَّشْتكى ، حدثنا عمرو بن أبى قيس ، عن سِماك ، عن عِكرمة ، حدثنى ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بَنَتْ قريشٌ البيتَ ، قال : وأفردت قريش رَجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشِّيد(١) .

قال : فكنت أنا وابن أخى ، وكنا نحمل على رقابنا وأُزُرنا تحتَ الحجارة ، فإذا غشينا الناس ائتزرنا . فبينما أنا أمشى ومحمد أمامى قال فخرَّ وانبطح على وجهه ، فجئت أسعى وألقيت حَجرى وهو ينظر إلى السماء ، فقلت : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال : « إنى نُهيت أن أمشى عرياناً » . قال : وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون .

وروى البيهقى من حديث يونس بن بَكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد

---

(١) الشيد : ما طلى به حائط من جص ونحوه .

ابن عبد الله بن قيس بن مَخْرمة ، عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، عن أبيه عن جده على بن أبى طالب . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما هَمَمْتُ بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمُّون به من النساء ، إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما .

قلت ليلةً لبعض فتيان مكة ـ ونحن فى رعاء غنم أهلها ـ فقلت لصاحبى : أبصر لى غَنمى حتى أدخل مكة أَسْمَر فيها كما يَسْمَر الفتيان . فقال بلى . قال : فدخلت حتى جئت أولَ دار من دور مكة سمعت عَزْفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى إلا مَسُّ الشمسِ ، فرجعتُ إلى صاحبى ، فقال : ما فعلتَ ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً . ثم أخبرته بالذى رأيت .

ثم قلت له ليلة أُخرى أبصرْ لى غنمى حتى أَسْمَر . ففعل ، فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثلَ الذى سمعتُ تلك الليلة ، فسألتُ فقيل نكَح فلان فلانة ، فجلست أنظرُ وضربَ الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلا مَسُّ الشمسِ .

فرجعتُ إلى صاحبى فقال : ما فعلتَ ؟ فقلتُ : لا شىءَ . ثم أخبرته الخبر .

فوالله ما هممتُ ولا عُدْتُ بعدَهما لشىءٍ من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجلَّ بنبوته » .

وهذا حديث غريب جداً ، وقد يكون عن علىٍّ نفسه ويكون قوله فى آخره : « حتى أكرمنى الله عز وجلَّ بنبوته » مُقْحَماً والله أعلم .

وشيخُ ابن إسحاقَ هذا ذكره ابن حِبَّان فى الثِّقاتِ . وزعم بعضهم أنه من رجالِ الصحيح . قال شيخُنا فى تهذيبه : ولم أقف على ذلك . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : حدثنى أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسنُ بن على بن عفان العامرى ، حدثنا أبو أسامةَ ، حدثنا محمّد بن عمرو ، عن

أبى سَلَمَةَ ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطِب ، عن أسامةَ بن زيد ، عن زيد بن حارثة ، قال : كان صنمٌ من نُحاسٍ يقال له إساف ونائلةُ يتمسحُ به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطُفْتُ معــه ، فلما مررْت مسحتُ به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَمَسَّهُ » . قال زيد : فطُفنا فقلت فى نفسى لأمسَّنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألم تُنْهَ » قال البيهقى : زاد غيرُه عن محمدٍ بن عمرو بإسناده قال زيد : فوالذى أكرمه وأنزل عليه الـكتاب ، ما استلم صنماً قط حتى أكرمه الله تعالى بالذى أكرمه وأنزل عليه .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبحِيرى حين سأله باللاتِ والعُزَّى «لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بُغْضَهُما » .

فأما الحديث الذى قاله الحافظ أبو بكر البيهقى ، أخبرنا أبو سعد المَالِينىُّ ، أنبأنا أبو أحمد ابن عدىّ الحافظ ، حدثنا إبراهيم بن أسباط ، حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جَرير ، عن سفيان الثورى ، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقَيل ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهِـدَهم قال : فسمع ملَـكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام ؟ ! .

قال : فلم يعدْ بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم .

فهو حديث أنـكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبى شيبة ، حتى قال الإمام أحمد فيه : لم يكن أخوه يتلفظ بشىء من هذا .

وقد حكى البيهقى عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام ، وذلك قبل قبل أن يوحى إليه والله أعلم .

وقد تقدم فى حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته .

وثبت فى الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان لا يقف مع الناس بعرفات . كما قال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عثمان ابن أبى سليمان ، عن نافع بن جُبَير بن مُطعم ، عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دِين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بَيْن قومه حتى يَدْفع معهم ، توفيقا من الله عز وجل له .

قال البيهقى : معنى قوله : « على دين قومه » ما كان بقى من إرث إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، ولم يُشْرِك بالله قَطّ صلوات الله وسلامه عليه دائما .

قلت : و يفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه . وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظه « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزَّل عليه و إنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يَدْفَع معهم توفيقاً من الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُفيان ، عن عمرو ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعم ، عن أبيه قال : أضللتُ بعيراً لى بعُرَنة[١] فذهبت أطلبه ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم واقف فقلت إن هذا من الُحمْس[٢] ماشأنه هاهنا ؟

وأخرجاه من حديث سفيان بن عُيينة به .

---

(١) عرنة : واد بحذاء عرفات .
(٢) الحمس : جمع أحمس . وكان يسمى به قريش ، لما ابتدعوا فى شعائر الحج

ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفِجَار

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفِجَار ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة .

وإنما سمِّى يومَ الفِجَار ، بما استَحَلَّ فيه هذان الحيَّان ـ كنانة وقيسُ عَيْلان ـ من المحارم بينهم .

وكان قائد قريش وكنانة حربُ بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفَر فى أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة ـ أو خمس عشرة سنة ـ فيما حدثنى به أبو عُبَيدة النحوى ، عن أبى عمرو بن العَلَاء ، هاجت حربُ الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عَيلان .

وكان الذى هاجها أن عُروة الرحَّال بن عُتبة بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر ابن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هوَازن أجاز لطيمة ـ أى تجارة ـ للنعمان بن المنذر . فقال البَرَّاض بن قيس ، أحد بنى ضُمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، : أتجيزها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخَلْق .

فخرج فيها عروة الرحَّال وخرج البرَّاض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بتَيْمَن ذى طِلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمِّى الفِجَار ، وقال البراض فى ذلك :

وداهيةٍ تهمُّ الناسَ قَبْلى ... شددتُ لها بنى بكرٍ ضلوعى
هدمتُ بها بيوتَ بنى كلابٍ ... وأرضعتُ الموالىَ بالضُّروعِ
رفعتُ له بذى طَلَّال كَفِّى ... فخرَّ يَمِيدُ كالجِذْع الصَّريعِ

وقال لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وأبلغْ ـ إن عرضتَ ـ بنى كلابٍ وعامرَ والخطوبُ لهـا موالِى

وأبلغ ـ إن عرضتَ ـ بنى نُميرٍ وأخوالِ القتيـل بنى هلالِ

بأنّ الوافـد الرَّحَّال أَمْسَى مقيماً عنـد تيْمَن ذى طِلالِ

قال ابن هشام : فأتى آت قريشاً فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهو فى الشهر الحرام بعكاظ . فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم . ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرَم . فاقتتلوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فأمسكت هوازن عنهم .

ثم التقوا بعد هـذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

قال : وشهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم . أخرجه أعمامه معهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت أنبِّل على أعمامى » أى أرد عليهم نَبْل عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه قَطْعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال السهيلى : والفِجار بكسر الفاء على وزن قِتَال . وكانت الفجارات فى العرب أربعة ذكرهن المسعودى .

وآخرهن ، فجار البراض هـذا . وكان القتال فيه فى أربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، وهما عنـد عكاظ ، ويوم الشرب ـ وهو أعظمها يوما ـ وهو الذى حضره رسول الله صلى الله عليـه وسلم وفيه قيَّد رئيس قريش وبنى كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهما لئلا يفروا . وانهزمت يومئذ قيس إلا بنى نضر فإنهم ثبتوا . ويوم

الحريرة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ . فلما توافوا الموعد ركب عتبة ابن ربيعة جمله ونادى : يامعشر مُضَر علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ماتدعو إليه ؟ قال : الصلح . قالوا وكيف ؟ قال نَدِى قتلاكم ونرهنكم رهائن عليها ، ونعفو عن دياتنا . قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة .

فوقع الصلح على ذلك وبعثوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفَوا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار .

وقد ذكر الأموى حروبَ الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الأثرم ، وهو المغيرة بن على ، عن أبى عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى فذكر ذلك .

فصل

﴿ فى شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول ﴾

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالِينى ، أنبأنا أبو أحمد بن عَدِى الحافظ ، حدثنا يحيى بن على بن هاشم الخفَّاف ، حدثنا اسماعيل بن علية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شهدتُ مع عمومتى حلف المطيَّبين فما أحب أن أنكثه ـ أو كلمة نحوها ـ وإن لى حمر النعم » .

قال : وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن .

قال : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو بن مطر ، حدثنا أبو بكر بن

أحمد بن داود السمنانى، حدثنا معلى بن مهدى ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « ماشهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين ، وما أحب أن لى حُمر النَّعَم وأنى كنت نقضته » .

قال : والمطيبون هاشم ، وأمية ، وزهرة ، ومخزوم .

قال البيهقى : كذا روى هذا التفسير مُدْرجاً فى الحديث ولا أدرى قائله .

وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصى وتنازعوا فى الذى كان جعله قصى لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ، واللواء ، والندوة ، والحجابة ، ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم .

فأحضر أصحابُ بنى عبد مناف جَفْنة فيها طِيب ، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا . فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت . فسموا المُطَيَّبين كما تقدم وكان هذا قديما .

ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان فى دار عبد الله بن جُدْعان كما رواه الُحميدى ، عن سُفيان بن عُيينة ، عن عبد الله ، عن محمد وعبدالرحمن ابنى أبى بكر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان حلفاً لو دعيت به فى الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يَعزَّ[1] ظالم مظلوماً » .

قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبْعث بعشرين سنة فى شهر ذى القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان فى شعبان من هذه السنة .

---

(١) الأصل : يعد وما أثبته من الروض الأنف . ومعنى يعز : يغلب .

وكان حلف الفُضُول أكرمَ حلف سُمِع به وأشرفَه فى العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب . وكان سببه أن رجلا من زَبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف عبد الدار ومخزوماً وجُمحا وسهماً وعدىَّ بن كعب ، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه — أى انتهروه — فلما رأى الزبيدى الشرَّ أوْفَى على أبى قُبَيس عند طلوع الشمس ، وقريشٌ فى أنديتهم حول الكعبة ، فنادى بأعلى صوته :

يا آل فِهْرٍ لمظلوم بضاعتَه ببطن مكة نائى الدار والنفرِ
ومُحْرِمٍ أشعثٍ لم يقْضِ عُمْرته يا للرجال وبين الحِجْر والحجرِ
إنّ الحرام لمنْ تمّتْ كرامتُه ولا حَرَام لثوب الفاجر الغَدِرِ

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مَتْرك .

فاجتمعت هاشم وزهرة وتَيْم بن مُرَّة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدَّى إليه حقه ما بَلَّ بحرٌ صوفةً ، وما رسى ثَبيرٌ وحِرَاء مكانهما ، وعلى التآسى فى المعاش .

فسمت قريش ذلك الحلفَ حلفَ الفضول ، وقالو : لقد دخل هؤلاء فى فَضْل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه .

وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذلك :

حلفتُ لنَعْقِدنْ حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهلَ دارِ
نسمِّيه الفضولَ إذا عقدنا يَعزُّ به الغريبُ لذى الجوارِ
ويَعْلم مَنْ حوالِى البيتِ أنا أباةُ الضيم نمنع كلَّ عارِ

وقال الزبير أيضاً :

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم ببطن مكة ظالمُ
أمرٌ عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار والمعترُّ فيهم سالمُ

وذكر قاسم بن ثابت ـ فى غريب الحديث ـ : أن رجلا من خَثْعم قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمى : من يُعْذِرنى على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك بحلف الفضول .

فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول . فإذا هم يَعْنِقون إليه من كل جانب ، وقد انتضوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث فما لك ؟ فقال: إن نبيهاً ظلمنى فى بنتى وانتزعها منى قسراً .

فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم فقالوا له : أخرج الجارية ، ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال : أفعل ، ولكن متعونى بها الليلة . فقالوا لا والله ولا شخب لقحة[1] ، فأخرجها إليهم وهو يقول :

راح صحبى ولم أحيِّ القَتُولا لم أودعهُم وداعاً جميلاً
إذ أجَدَّ الفُضُول أن يمنعوها قد أرانى ولا أخاف الفُضُولا
لا تَخَالى أنى عشيَة راح الركـ ـبُ هِنتم علىّ أن لا يزولا[2]

وذكراً أبياتاً أخر غير هذه .

وقد قيل إنما سمى هذا حلفَ الفضول لأنه أشبه حِلفاً تحالفته جُرهم على مثل هذا مِنْ نَصْر المظلوم على ظالمه . وكان الداعى إليه ثلاثةٌ من أشرافهم ، اسم كل واحد منهم :

---

(١) الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن ـ واللقحة الناقة الحلوب .
(٢) الروض لأنف : ألا آقولا .

فضل ، وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره : الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة. وقد أورد السهيلى هذا رحمه الله .

***

وقال محمد بن إسحاق بن يَسَار : وتداعت قبائلُ من قريش إلى حِلف فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدعان لشرفه وسنه .

وكان حلفُهم عنده بنو هاشم و بنو عبد المطلب و بنو أسد بن عبد العُزى وزُهرة بن كلاب وتَيْم بن مُرة .

فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على مَن ظلمه حتى يرد عليه مظلمته .

فسمَّت قريش ذلك الحلف حلفَ الفضول .

قال محمد بن إسحاق : فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر [بن] (١) قُنْفذ التَّيمى (٢) ، أنه سمع طَلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان حلفاً ما أحبُّ أن لى به حُمر النَّعَم ولو دُعِى به فى الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى (٣) الليثى (٤) ، أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى حدثه أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ــ والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمَّره عليها عمُّه معاوية بن أبى سفيان . ــ منازعةٌ فى مال كان بينهما بذى المَرْوة (٥) ، فكأن الوليد تحامل على

---

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمى الجدعانى المدنى .
(٣) ط : الهاد . (٤) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى المدنى أبو عبد الله ، توفى بالمدينة سنة ١٣٩ . وكان ثقة كثير الحديث . (٥) ذو المروة : قرية بوادى القرى .

الحسين فى حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنِّى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأدعون بحلف الفضول .

قال : فقال عبد الله بن الزبير — وهو عند الوليد حين قال له الحسين ماقال — وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً .

قال وبلغت المِسْور بن مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرى فقال مثل ذلك .

وبلغت عبدَ الرحمن بن عثمان بن عُبَيد الله التَّيْمى فقال مثل ذلك .

فلما بلغ ذلك الوليد بن عُتْبة أنصف الحسينَ من حقه حتى رضى .

فصل فى تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأةً تاجرة ذات شرَف ومال ، تستأجر الرجال على مالها مضارِبةً .

فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مابَلَغها مِن صِدْق حديثه وعِظَم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرَضت عليه أن يَخْرج لها فى مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ماتعطى غيرَه من التجار . مع غلام لها يقال له مَيْسرة .

فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج فى مالها ذاك ، وخرج معه غلامُها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبا من صَوْمعة راهب من الرهبان ، فاطَّلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرَم .

فقال له الراهب : مانزل تحت هذه الشجرة إلا نبى [1] .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته ـ يعنى تجارته ـ التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة .

فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملَكين يظلاّنه من الشمس وهو يسير على بعيره .

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ماجاء به فأَضْعَف أو قريباً ، وحدَّثها ميسرةُ عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبةً ، مع ما أراد الله بها من كرامتها .

فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون ، ياابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك ووُسْطتك [2] فى قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عرضت نفسَها عليه .

وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفا وأكثرِهن مالا ، كلٌّ قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خُوَيلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأَصْدَقَها عشرين بَكْرَة ، وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدَه كلهم إلا إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيِّب والطاهر ، وزينب ، ورُقَية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

---

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء .
(٢) وسطتك : توسطك فى قومك وكونك من أعرقهم . وتروى : وصيتك .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ؛ ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البَيْهقى عن الحاكم قرأت بخط أبى بكر بن أبى خَيْثَمة : حدثنا مُصعَب بن عبدالله الزُّبيرى ، قال : أكبرُ ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية .

وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله .

وبلغت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح .

وقال غيره : بلَغ القاسمُ أن يَرْكب الدابةَ والنَّجِيبة ثم مات بعد النبوة .

وقيل : مات وهو رضيع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له مرضعاً فى الجنة يستكمل رضاعه » .

والمعروف أن هذا فى حق إبراهيم .

وقال يونس بنُ بَكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان ، عن القاسم ، عن ابن عباس قال : ولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ورقية .

وقال الزبير بن بَكَّار : عبدُ الله هو الطيب وهو الطاهر ، سمِّى بذلك لأنه ولد بعد النبوة . [وأما الباقون] فماتوا قبل البعثة .

وأما بناته فأدركن البعثة ودخلن فى الإسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فمنْ مارية القبطية التى أهداها له المُقَوقس صاحب اسكندرية من كورة أنصاء[1] .

---

(١) مدينة بالصعيد شرق النيل .

وسنتكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام فى باب مفرد لذلك فى آخر السيرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

* * *

قال ابن هشام : وكان عُمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المَدَنى .

وقال يعقوب بن سفيان : كتبت عن إبراهيم بن المنذر : حدثنى عمر بن أبى بكر المؤمِّلى ، حدثنى غير واحد أن عمرو بن أسد زَوَّج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره خمسٌ وعشرون سنة وقريش تبنى الكعبة .

وهكذا نقل البيهقى عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين . وقيل خمساً وعشرين سنة .

وقال البيهقى : « باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوج خديجة » .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ، أخبرنا الحسن بن سُفيان ، حدثنا سُوَيد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن أبى يحيى بن سعيد القُرشى ، عن جده سعيد عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً إلا راعى غنم » فقال له أصحابه : وأنت يا رسولَ الله ؟ قال : « وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » .

رواه البخارى عن أحمد بن محمد المكى عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البهيقى من طريق الربيع بن بدر ، وهو ضعيف ، عن أبى الزبير عن

جابر ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « آجرت نفسى من خديجة سَفْرتين بقَلوص » .

وروى البيهقى من طريق حَمَّاد بن سَلمة ، عن على بن زيد ، عن عمار بن أبى عمار ، عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ـ أظنه قال ـ سكران .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القَطّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سُفيان ، قال حدثنى إبراهيم بن المنذر ، حدثنى عمر بن أبى بكر المؤمِّلى حدثنى عبد الله بن أبى عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه ، عن مقسم بن أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وما يكثرون فيه يقول :

أنا أعلمُ الناس بتزويجه إياها ، إنى كنت له تِرباً وكنت له إلفاً وخِدْناً ، وإنى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم حتى إذا كنا بالحزورة أجَزْنا على أخت خديجة وهى جالسة على أَدَم تبيعها ، فنادتنى فانصرفت إليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلّم . فقالت : أما بصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة ؟ .

قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته فقال : « بلى لعَمْرى » .

فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اغْدُوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حُلة ، وصفرت لحيته ، وكلمت أخاها فكلم أباه وقد سقى خمراً ، فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه ، وسأله أن يزوِّجه فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاما فأكلنا منه ونام أبوها ثم

استيقظ صاحيا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصُّفْرة وهـذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التى كانت قد كلمت عَمَّارا : هذه حُلة كساكها محمد بن عبد الله خَتَنك ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوَّجته خديجة .

فأنكر أن يكون زوَّجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجْر ، وخرج بنو هاشم برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوه فكلموه . فقال : أين صاحبكم الذى تزعمون أنى زوجته خديجة ؟ فبرز له رسول الله صلّى الله عليه وسلم فلما نظر إليه قال : إن كنتُ زوَّجته فسبيل ذاك ، وإن لم أكن فعلتُ فقد زوَّجته .

وقد ذكر الزُّهرى فى سِيره أن أباها زوجها منه وهو سكران . وذكر نحو ما تقدم . حكاه السُّهيلى .

قال المؤملى : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذى زوَّجها منه .

وهـذا هو الذى رجحه السهيلى . وحكاه عن ابن عباس وعائشة . قالت : وكان خويلد مات قبل الفِجَار ، وهو الذى نازع تُبَّعاً حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ، ثم رأى تبَّع فى منامه ما روعه ، فنزع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق فى آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم .

فصـــل

قال ابن إسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكان ابن عمها ـ وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم

الناس ، ما ذكر لها غلامُها مِن قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظِلانه .

فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر هذا زمانه . أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال فى ذلك :

لَججْتُ وكنتُ فى الذِّكرى لَجوجاَ لِهَمٍّ طالما بعَث النَّشِيجاَ
ووَصْفٍ مِنْ خديجةَ بَعْدَ وَصْفٍ فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكَّتين[١] على رجائى حديثك أن أرى منه خُروجا
بما خَبَّرْتِنا مِنْ قولِ قِسٍّ مِن الرُّهبانِ أكره أن يَعُوجا
بأنّ محمداً سيَسُودُ يوماً[٢] ويَخْصِمُ مَنْ يكون له حَجِيجاَ
ويُظْهِر فى البلاد ضياءَ نُورٍ يُقِيم[٣] به البرية أن تموجا
فيَلْقَى مَنْ يحاربه خَسَاراً ويَلْقَى مَنْ يُسالمه فُلوجا[٤]
فيالَيْتى إذا ما كان ذاكُمْ شهدتُ وكنت[٥] أوَّلَهم وُلوجا
وُلوجاً فى الذى كَرِهَتْ قُرَيشٌ ولو عَجَّتْ بمكَّتها عجيجاَ
أرجِّى بالذى كَرِهوا جميعاً إلى ذى العرش إن سَفَلوا عُروجا
وهل أمرُ السفالة غير كُفْرٍ بمن يَخْتار ، مَنْ سمك البروجا
فإن يَبْقَوا وأبْق تكن أمورٌ يضجُّ الكافرون لها ضجيجاَ
وإنْ أهْلَكْ فكل فتًى سيَلْقَى من الأقدار مَتْلَفَةً حَرُوجا[٦]

---

(١) المكتين : جانبا مكة ، أو بطاحها وظواهرها (٢) ط : قوماً وهو خطأ . وفى ابن هشام : سيسود فينا . (٣) خ ط : يقوم وهو خطأ ، وما أثبته عن ابن هشام .
(٤) الفلوج : النجاح والظفر . (٥) ابن هشام : فكنت .
(٦) ط : خروجاً . وهو خطأ .

وقال ورَقة أيضا فيما رواه يونس بن بَـكير[١] عن ابن إسحاق عنه .

أتَبْكر أمْ أنت العشيَّـةَ رائحُ ... وفى الصَّدْرِ مِنْ إضمارك الْحزْنَ قادحُ ؟
لفُرْقةِ قـوم لا أحبُّ فراقَهم ... كأنك عنهم بَعـد يومين نازحُ
وأخبارِ صِـدْقٍ خُبِّرت عن محمدٍ ... يخـبِّرها عنـه إذا غاب ناصحُ
أتاك[٢] الذى وجهت ياخير حـرة ... بغَوْرٍ وبالنَّجْدين حيث الصَّحاصحُ[٣]
إلى سُوق بُصْرى فى الرِّكاب التى غدتْ ... وهُنّ من الأحمـال قُعْصٌ بَوَالحُ[٤]
فيُخْبرنا عن كل خـيرٍ بعلْمِهِ ... وللحقِّ أبواب لهن مَفـاتحُ
بأن ابنَ عبد الله أحمـد مُرْسَلٌ ... إلى كلِّ مَنْ ضُمَّت عليه الأباطحُ
وظَنِّى به أنْ سوف يُبْعث صادقاً ... كما أُرسِـل العَبْدان هودٌ وصالحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرَى له ... بهـاءٌ ومنشورٌ من الذِّكر واضحُ
ويَتبَعـه حيًّا لؤىٍّ وغالبٍ ... شبابهمُ والأشيبون الجحـاجحُ
فإنْ أَبْق حتى يُدْركَ الناس دهرُه ... فإنى به مستبشر الود فارحُ
وإلا فإنى ياخديجـةُ فاعلمـى ... عن أرضك فى الأرض العريضة سائحُ

وزاد الأموى :

فمتَّبـعٌ دينَ الذى أسَّس البِنـاَ ... وكان له فضلٌ على النـاس راجحُ
وأسَّس بُنياناً بمـكة ثابتاً ... تَلألأُ فيه بالظلام المصـابحُ
مَثَاباً لأفنـاءِ القـبائل كلِّهـا ... تَخُبُّ إليـه اليَعْملاتُ الطَّلائحُ[٥]
حراجيجُ[٦] أمثالُ القِداحِ من السُّرَى ... يُعلَّق فى أرسـاغهن السرائحُ

---

(١) ليست فى ابن هشام ، لأن ابن هشام أثبت رواية زياد البكائى (٢) الاكتفا : فتاك .
(٣) الصحاصح : جمع صحصح وهى الأرض المستوية (٤) أى بطيئات مثقلات الخطو .
(٥) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبة . والطلائح : المتعبات . (٦) الحراجيج : الطوال

ومن شِعْره فيما أورده أبو القاسم السهيلي فى روضه :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم أنا النذيرُ فلا يَغْرركُمُ أحـدُ
لا تَعْبُدُنَّ إلهـاً غيرَ خالقِكم فإنْ دَعَوْكم فقولوا بَيْنَنا حَدَدُ(١)
سُبحان ذى العرش سبحاناً يدوم له وقبلنـا سبَّحَ الجودىُّ والجَمَدُ
مسخَّرٌ كلُّ ماتحتَ السماء له لا ينبغى أن يُنَاوِى مُلْكَه أحـدُ
لا شىء مما ترى تَبْقَى بَشَاشته يَبْقى الإله ويُودِى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمزٍ يومـاً خزائنـه والخُلْدَ قد حاولت عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمانُ إذ تَجْرى الرياحُ به والجن والإنس فيما بَيْنَها مَرَدُ
أين الملوك التى كانت لعزتها من كل أوبٍ إليها وافدٌ يفِـدُ
حوضٌ هُنالك موروُدٌ بلا كذبٍ لا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يوماً كما وَرَدُوا

ثم قال : هكذا نسبه أبو الفرج إلى ورقة . قال : وفيه أبيات تنسب إلى أمية ابن أبى الصلت .

قلت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد فى بعض الأحيان بشىء من هذه الأبيات . والله أعلم .

فصل

فى تجديد قريشٍ بناء الكعبة قَبْل المَبْعث بخمس سنين

ذكر البيهقى بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة .

والمشهور أن بناء قريشٍ الكعبةَ بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين .

(١) الحدد : الخصومة .

ثم شرع البيهقى فى ذكر بناء الكعبة فى زمن إبراهيم كما قدمناه فى قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم فى صحيح البخارى ، وذكر ماورد من الإسرائيليات فى بنائه فى زمن آدم .

ولا يصح ذلك ، فإن ظاهر القرآن يقتضى أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً ، وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنًى بها مشرَّفة فى سائر الأعصار والأوقات.

قال الله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »[١] .

وثبت فى الصحيحين عن أبى ذرٍّ قال : قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجدُ الحرام » قلت ثم أى ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة » وقد تكلمنا على هذا[٢] وأن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام .

وفى الصحيحين «إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ خَلق السماواتِ والأرض فهو حرامٌ بحُرْمة الله إلى يوم القيامة » .

وقال البيهقىّ : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله الصَّفَّار ، حدثنا أحمد ابن مَهْران ، حدثنا عُبَيد الله ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مُجَاهد ، عن عبد الله ابن عمرو . قال : كان البيت قبل الأرض بألفى سنة ، « وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ » . قال : مِنْ تحته مُدَّت .

قال : وقد تابعَه منصور عن مجاهد .

---

(١) سورة آل عمران . (٢) وذلك فى الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف .

قلت : وهـذا غريب جداً ، وكأنه من الزَّاملتَينْ اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليَرْموك ، وكان فيهما إسرائيليات يحدِّث منها ،وفيهما منكرات وغرائب

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جَعفر محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الله البغدادى ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبو صالح الُجهنى ، حدثنى ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابْنيَا لى بيتاً ، نخطَّ لهما جبريل ، فجعل آدم يَحْفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودى من تحته حسبك يا آدم . فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به ، وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه » .

قال البيهقى : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووَقْفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت . والله أعلم .

وقال الربيع : أنبأنا الشافعى ، أنبأنا سفيان ، عن ابن أبى لَبِيد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ــ أو غيره ــ قال : حجَّ آدم فلقيته الملائـكة فقالوا : بَرَّ نُسكك يا آدم ، لقد حجَجْنا قبلك بألفى عام .

وقال يونس بن بـكَير : عن ابن اسحاق حدثنى بقَيَّــة ــ أو قال ثقة من أهل المدينة ــ عن عُروة بن الزبير أنه قال : ما مِن نبى إلا وقد حَجَّ البيت ، إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد ذكرنا حجَّهما إليه[1] . والمقصود الحج إلى محله وبقُعْته، وإن لم يـكن ثمَّ بناء . والله أعلم .

(١) وذلك فى الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف .

ثم أورد البيهقى حديث ابن عباس المذكور فى قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه وهو فى صحيح البخارى .

ثم روى البيهقى من حديث سماك بن حرْب ، عن خالد بن عَرْعرة . قال : سأل رجلٌ عليًّا عن قوله تعالى (إنَّ أول بيتٍ وضِع للناس لَلَّذِى بِبَكَّة مُباركا وهُدًى للعالمين) أهو أول بيت بُنى فى الأرض ؟

قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ، ومقامُ إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت نبأتك كيف بناؤه !

إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتا فى الأرض . فضاق به ذرعا فأرسل إليه السكينة وهى ريح خجوج (١) لها رأس ، فاتَّبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت فى موضع البيت تطوُّق الحيَّة ، فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر ، قال لابنه : ابغنى حجرا . فالتمس حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد ركب . فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأتمه .

قال : فمرَّ عليه الدهر فانهدم ، فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته جرهم .

ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ رجل شاب .

فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا : نحكِّم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم ، فقضى بينهم أن يجعلوه فى مِرْطٍ (٢) ثم ترفعه جميع القبائل كلهم .

وقال أبو داود الطَّيَالسى : حدثنا حَمَّاد بن سَلَمة وقيس وسَلَّام كلهم عن سِمَاك ابن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن على بن أبى طالب قال : لما انهدم البيت بعد جُرْهم بنَتْه قريش ، فلما أرادوا وضعَ الحجر تشاجروا مَنْ يَضَعه .

---

(١) الخجوج : الريح الشديدة المر أو الملتوية فى هبوبها . (٢) المرط : كساء من صوف أو خز .

فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بنى شَيْبة فأمر بثوب فوضع الحجَر فى وسطه وأمر كلَّ فَخِذٍ أن يأخذوا بطائفة من الثوب . فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه .

قال يعقوب بن سفيان : أخبرنى أصْبغ بن فرج ، أخبرنى ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الْحُلُم جَمَّرت امرأةٌ الكعبة فطارت شرارة من مَجْمرها فى ثياب الكعبة فاحترقت ، فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش فى الركن : أىّ القبائل تَلِى رَفْعه .

فقالوا : تعالوا نحكِّم أولَ من يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نَمِرة ، فحكَّموه فأمر بالركن فوضع فى ثوب ، ثم أخرج سيدَ كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه .

فكان لا يزداد على السنِّ إلا رِضًى حتى دعَوْه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطفقوا لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها .

وهذا سياق حسن ، وهو من سِيَر الزهرى .

وفيه من الغرابة قوله : « فلما بلغ الحلم » والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذى نص عليه محمد بن إسحاق بن يَسَار رحمه الله .

وقال موسى بن عُقْبة : كان بناء الكعبة قبل الْمَبعث بخمس عشرة سنة .

وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . فالله أعلم .

***

وقال موسى بن عقبة : كان بين الفِجار و بين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفجار وحلف الفضول فى سنة واحدة، إذ كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون سنة وهذا يؤيد ماقال محمد بن إسحاق والله أعلم .

قال موسى بن عُقبة : وإنما حَمَل قريشاً على بنائها أن السيول كانت تأتى من فوقها ، من فوق الردم الذى صنعوه فخرَّبه ، فخافوا أن يدخلها الماء .

وكان رجل يقال له مُلَيح سرق طِيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا .

فأعدوا لذلك نفقةً وعُمَّالا ، ثم غَدَوْا إليها ليهدموها على شَفَق وحذر أن يمنعهم [الله][1] الذى أرادوا .

فكان أول رجل طاعها وهدم منها شيئاً الوليدُ بن المغيرة ، فلما رأوا الذى فعل الوليد تتابعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك .

فلما أرادوا أن يأخذوا فى بنيانها أحضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضى أمامه موضعَ قَدَم .

فزعموا أنهم رأوا حيَّة قد أحاطت بالبيت ، رأسُها عند ذَنَبها ، فأشفقوا منها شفقةً شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما عملوا فى هلكة .

وكانت الكعبة حِرْزهم ومَنَعتهم من الناس وشرفاً لهم ، فلما سُقِط فى أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فذكر ما كان من نُصْحه لهم وأمره إياهم أن لايتشاجروا ولا يتحاسدوا فى بنائها ، وأن يقتسموها أرباعا ، وأن لا يدخلوا فى بنائها مالاً حراما .

وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحية فى السماء وتغيَّبت عنهم ورأوا أن ذلك من الله عز وجل .

---

(١) من ابن هشام

قال : و يقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أَجْيَاد .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسَار : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة ، وكانوا يهمُّون بذلك ليسقفوها و يهابون هَدْمها ، و إنما كانت رضما[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسقيفها .

وذلك أن نفراً سرقوا كنز الكعبة ، و إنما كان [يكون][2] فى بئر فى جوف الكعبة .

وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيك مولىً لبنى مُلَيح بن عمرو بن[3] خزاعة . فقطعت قريش يده .

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت . فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها .

قال الأموى : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد ، سرَّحها قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التى احرقها الفرس للحبشة ، فلما بلغت مَرْساها من جُدَّة بعث الله عليها ريحا فحطمتها .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قِبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ مايصلحها .

وكانت حية تخرج من بئر الكعبه التى كانت تطرح فيها مايُهْدَى إليها كل يوم ، فتتشرَّق[4] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنو منها أحد

---

(١) أى حجارة نضد بعضها على بعض من غير ملاط . (٢) من ابن هشام .
(٣) ابن هشام : من خزاعة . (٤) تتشرق : تبرز للشمس . وفى ط : تتشرف ، وهو خطأ .

إلا احزأَلَّت وكَشَّت (١) وفتحت فاها ، فكانوا يهابونها ، فبينما هى يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاختطفها فذهب بها .

فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رَضى ما أردنا ، عندنا عامل رَفِيقٌ وعندنا خَشَب ، وقد كفانا الله الحيَّة .

وحكى السهيلى عن رزين ، أن سارقاً دخل الكعبة فى أيام جرهم ليسرق كنزها ، فانهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئرَ حيةٌ رأسها كرأس الجَدْى ، وبطنها أبيض وظهرها أسود ، فأقامت فيها خمسمائة عام . وهى التى ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرَهم لهدْمها (٢) وبنيانها قام أبو وهب [بن (٣)] عمرو بن عائذ (٤) بن عبد بن عِمْران بن مخزوم ـ وقال ابن هشام : عائذ (٤) بن عِمران بن مخزوم ـ فتناول من الكعبة حجَراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش لا تُدْخلوا فى بنيانها مِنْ كَسْبكم إلا طيِّباً ، لا يدخل (٥) فيها مهرُ بغىٍّ ولا بيع ربًا ، ولا مَظْلمة أحد من الناس . والناس يَنْحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر (٦) بن مخزوم . ثم رجح ابن اسحاق أن قائل ذلك أبو وهب ابن عمرو . قال : وكان خال أبى النبى صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً ممدَّحاً .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تجزَّأت الكعبة . فكان شِقُّ الباب لبنى عبد مناف وزُهْرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا

(١) احزألت : رفعت رأسها . وكشت : صوتت من جلدها لا من فيها .
(٢) ابن هشام : فى هدمها . (٣) سقطت من ط.
(٤) ط : عايد ، وهو خطأ . (٥) ابن هشام : لا تدخلوا . (٦) ط : عمرو ، وهو خطأ .

إليهم . وكان ظَهْر الكعبة لبنى جُمَح وسَهم . وكان شِقُّ الحِجر لبنى عبد الدار بن قصى ، ولبنى أسد بن عبد العزى ولبنى عدى بن كعب رَهْوُ[1] الحَطِيم .

ثم إن الناس هابوا هَدْمَها وفَرِقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هَدْمها . فأخذ المِعْول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ[2] ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير .

ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورَدَدْناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء فقد رضى الله ما صنعنا [من هدمها[3]] .

فأصبح الوليد غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفْضَوا إلى حجارة خُضْر كالأسنة آخذٍ بعضُها بعضاً .

ووقع فى صحيح البخارى عن يزيد بن رومان « كأسنمة الإبل » قال السهيلى : وأرى رواية السيرة « كالأسنة[4] » وهماً والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعضُ من يروى الحديث : أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجرُ انتفضت[5] مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عُقْبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أوَّلية قريش كانوا يحدِّثون أن رجلا من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، عَمِد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرفعه وهو لا يدرى أنه من

---

(١) الرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله . وفى المطبوعة : وهو ، وهذا تحريف .
(٢) أى لم نفزع الكعبة . ويروى : اللهم لم نزغ . (٣) ليست فى ابن هشام .
(٤) ط : كالألسنة وهو تحريف . (٥) ابن هشام : نقضت .

الأساس الأول ، فأبصر القوم بَرْقة تحت الحجَر كادت تلتمع بصرَ الرجل ونزا الحجر من يده فوقع فى موضعه ، وفزع الرجل والبُناَة . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم ، وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً بحذائه .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو أنا الله ذُو بكّة ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها ـ قال ابن هشام : يعنى جبلاها ـ مبارك لأهلها فى الماء واللبن .

* * *

قال ابن اسحاق : وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : مكة [بيت[1]] الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يُحلُّها أول مِن أهلها .

قال : وزعم ليثُ بن أبى سُليم أنهم وجدوا [حجَراً [2]] فى الكعبة قبل مَبْعث النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، إن كان ما ذكر حقاً ، مكتوباً فيه : مَنْ يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات وتُجْزون الحسنات ؟ ! أجل كما [لا [3]] يجتنى من الشوك العنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموى : حدثنا المعتمر بن سليمان الرقى ، عن عبد الله بن بشر الزهرى ـ يرفع الحديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال : « وجد فى المقام ثلاثة أصفح ، فى الصفح الأول : إنى أنا الله ذو بكة ، صنعتُها يوم صنعت الشمس والقمر ، وحفَفْتها بسبعة أملاك حُنَفاء ، وباركت لأهلها فى اللحم واللبن .

---

(١) سقطت من المطبوعة .
(٢) سقطت من المطبوعة .
(٣) من ابن هشام .

وفى الصفح الثانى : إنى أنا الله ذو بـكَّة ، خلقت الرحِم وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتَتُّه .

وفى الصفح الثالث : إنى أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر وقدَّرته ، فطوبى لمن أجريت الخير على يديه ، وويل لمن أجريت الشر على يديه .

***

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كلٌّ قبيلة تجمع على حِدَة .

ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحَاوروا [1] وتحالفوا ، وأعدُّوا للقتال فقرَّبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عَدِى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة . فسُمُّوا لَعَقَة الدم .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر [2] بن مخزوم — وكان عامئذ أسنَّ قريش كلها ، قال : يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ من يدخل مِن باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

فكان أول داخل دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هلموا إلىَّ ثوباً » . فأتى به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة

(١) وتروى : تحاوزوا بالزاى . أى انحازت كل قبيلة إلى جهة . وفى ط : تحاوروا أو تحالفوا وهو خطأ
(٢) ط : عمرو ، وهو خطأ .

بناحيــة من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ـ يعنى أبا يزيد ـ حدثنا هلال يعنى ابن حبان ، عن مجاهد عن مولاه ـ وهو السائب بن عبد الله ـ أنه حدّثه أنه كان فيمن بنى الـكعبة فى الجاهليـة قال : وكان لى حَجر أنا نحتُّه أعبده من دون الله ، قال : وكنت أجىء باللبن الخاثر الذى آنفه على نفسى فأصبه عليه فيجىء الـكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول عليه ؛ قال : فبنينا حتى بلغنا موضعَ الحجَر ولا يرى الحجر أحد . فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا: اجعلوا بينكم حكَماً . فقالوا : أول رجل يطلع من الفجّ . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له ، فوضعه فى ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو صلى الله عليه وسلم[1] .

قال ابن إسحاق : وكانت الـكعبة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعاً وكانت تُـكْسى القَبَاطىّ[2] . ثم كسيت بعد البرود[2] . وأول من كساها الديباجَ الحجاج بنُ يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الِحجر ـ وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام ـ قَصُرت بهم النفقة ، أى لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم . وجعلوا للـكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحـد فيدْخلوا مَن شاءوا ويمنعوا من شاءوا .

---

(١) القباطىّ : نوع من الثياب كان ينسج بمصر .

(٢) المطبوعة : البرور وهو خطأ .

وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « ألم ترَىْ أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حُدْثان قومك بكفرٍ لنقضتُ الكعبةَ وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربيا ، وأدخلت فيها الحِجْر » .

ولهذا لما تمكن ابنُ الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت فى غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملتصقان بالأرض شرقياً وغربيا ، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .

فلما قتل الحجاجُ ابنَ الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان ، وهو الخليفة يومئذ ، فيما صنعه ابن الزبير ، اعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه .

فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامى فحصّوه وأخرجوا منه الحجَر ورصّوا حجارته فى أرض الكعبة ، فارتفع باباها وسدُّوا الغربى ، واستمر الشرقى على ما كان عليه ، فلما كان فى زمن المهدى ـ أو ابنه المنصور ـ استشار مالكاً فى إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إنى أكره أن يتخذها الملوك مَلْعَبَةً

فتركها على ما هى عليه . فهى إلى الآن كذلك

وأما المسجد الحرام : فأول من أخَّر البيوتَ مِن حول الكعبة عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدَمها ، فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه ، فلما ولى ابن الزبير أَحْكم بنيانه ، وحسَّن جدرانه وأكثر أبوابه . ولم يوسّعه شيئا آخر .

فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع جدرانه ، وأمر بالكعبة فكُسيت الديباجَ . وكان الذى تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة فى ذلك فى تفسير سورة البقرة عند

قوله ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ وذكرنا ذلك مطولا مستقصًى ، فمن شاء كتبه هاهنا . ولله الحمد والمنة .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب (١) ، فيما كان من أمر الحيّة التى كانت قريش تهاب بنيانَ الكعبة لها :

عجبتُ لِما تصوَّبت العُقَابُ ... إلى الثعبان وهى لها اضطرابُ
وقد كانت تكون لها كَشِيشٌ ... وأحيانا يكون لها وثابُ
إذا قُمْنا إلى التأسيس شَدَّت ... تهيبنا البناءَ وقد نهابُ
فلما أنْ خَشِينا الزجرَ جاءت ... عُقَابٌ تتلئِبُّ (٢) لها انصباب
فضمَّتها إليها ثم خلَّت ... لنا البنيان ليس لها حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناءٍ ... لنا منه القواعد والترابُ
غداةً يُرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثيابُ
أعزَّ به المليكُ بنىَ لؤىٍّ ... فليس لأصله منهم ذهابُ
وقد حشدت هناك بنو عدىٍّ ... ومُرَّةُ قد تقدمها كلاب
فبوّأنا المليكُ بذاك عِزًّا ... وعندَ اللهِ يُلتمس الثوابُ

وقد قدَّمنا فى فصلٍ ما كان الله يحوط به رسوله صلى الله عليه وسلم من أقذار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمه ينقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نُهى عن خلع إزاره ، فأعاده إلى سيرته الأولى .

---

(١) يبدو على تلك الأبيات الصنعة والتكلف ، ولا تصح نسبتها إلى الزبير .
(٢) تتلئب : تقيم صدرها ورأسها . والفعل : اتلأب .

فصـــــل

وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه فى تسميتهم الْحُمْس ، وهو الشدة فى الدين والصلابة .

وذلك لأنهم عظّموا الحرم تعظيما زائدا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا يقولون : نحن أبناء الحرم وقُطَّان بيت الله .

فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها مَشَاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرَّروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدَّخِرون من اللبن أقطاً ولا سَمناً ولا يسلون شَحما وهم حُرُم . ولا يَدْخلون بيتاً من شعر ولا يستظلون إن استظلوا إلا ببيت من أدَم . وكانوا يمنعون الحجيج والعُمَّار – ماداموا مُحْرمين – أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا إلا فى ثياب قريش ، فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الْحُمْس ، وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة ، طاف عريانا ، ولو كانت امرأة ، ولهـــذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليومَ يَبْدو بعضُه أو كلُّه   وما بَدَا منه فلا أحـــله

فإن تكرَّم أحدٌ ممن يجد ثوبَ أَحْمسٍ فطاف فى ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يلقيها فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسَّها . وكانت العرب تسمى تلك الثياب : « اللُّقَى » قال بعض الشعراء .

كفَى حَزنًا كَرِّى عليه كأنه   لُقًى بين أيدى الطائفين حَرِيمُ

قال ابن إسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل

عليه القرآن ردًّا عليهم فيما ابتدعوه فقال « ثُم أَفيضُوا مِنْ حيثُ أفاضَ النَّاسُ » [١] أى جمهور العرب من عرفات « واستغفروا اللهَ إن غفور رحيم » [٢].

وقد قدَّمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقفُ بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقاً من الله له .

وأنزل الله عليه ردًّا عليهم فيما كانوا حرّموا من اللباس والطعام على الناس « يا بنى آدم خُذُوا زِينَتَكم عندَ كُلّ مَسْجِدٍ وكُلوا واشْرَبُوا ولا تُسْرفوا إنه لا يُحبُّ الْمُسْرفين : قُلْ مَنْ حَرَّم زينَة اللهِ التي أخرج لِعبادِه والطيبات مِنَ الرِّزْق » [٢] الآية .

وقال زياد البَكَّائى [٣] ، عن ابن إسحاق : ولا أدرى أكان ابتداعهم لذلك قبلَ الفيل أو بعده .

---

(١) سورة البقرة ١٩٩ . (٢) سورة الأعراف ٣١ ، ٣٢ (٣) هو : أبو محمد زياد . ابن عبد الله بن طفيل القيسى العامرى البكائى راوى السيرة عن ابن إسحاق . توفى سنة ١٨٣ هـ

كتاب مَبْعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً وذكر شيء من البِشَارات بذلك

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : وكانت الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارى ، والكُهَّان من العرب (١) قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعثه لمَّا تقارب زمانه .

أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمَّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢) ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (٣) . وقال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ، ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ

---

(١) العبارة محرفة فى المطبوعة والمخطوطة : « وكانت الأحبار من اليهود والكهان من النصارى ومن العرب » وماأثبته من ابن هشام. (٢) سورة الأعراف ١٥٧ . (٣) سورة الصف ٦ .

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(١) . وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٢) ﴾ .

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « مابَعَثَ الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بُعِث محمدٌ وهو حَىٌّ ليؤمنن به ولينصرنه . وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه » .

نُعْلِم من هذا أن جميع الأنبياء بَشَّروا وأمروا باتباعه .

وقدقال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ ربَّنا وابْعَثْ فيهمرسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيمُ ﴾(٣)

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النَّضْر، حدثنا الفرج بن فَضَالة ، حدثنا لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمامة قال : قلت : يارسول الله ، ما كان بدء أمرك .

قال : « دعوةُ أبى إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام » .

وقد روى محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أراد : بدء أمره بَيْن الناس واشتهار ذكره وانتشاره ، فذكر دعوة إبراهيم الذى تُنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا .

* * *

(١) سورة الفتح ٢٩ (٢) سورة آل عمران ٨١ (٣) سورة البقرة ١٢٩ .

أما فى الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام . كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدى ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُويد الكَلْبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمى ، عن العِرْباض بن سارية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى عند [1] الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدلٌ فى طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين » .

وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعد ، عن بديل بن مَيْسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفَجْر قال : قلت يارسول الله ، متى كنت نبيا ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

تفرد بهن أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين فى كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبى هريرة فقال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ــ يعنى أبا القاسم البَغَوى ــ حدثنا أبو هَمَّام الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، حدثنى يحيى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

ورواه من وجه آخر عن الأَوْزاعى به . وقال : « وآدمُ منجدلٌ فى طينته » .

وروى عن البَغَوى أيضاً عن أحمد بن المقدام ، عن بَقيَّة بن سعيد بن بَشير ، عن

---

(١) ط : عبد . وهو خطأ .

قتادة ، عن أبى هريرة ـ مرفوعاً ـ فى قول الله تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقَهم ومِنْك ومِنْ نوح[1] » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أولَ النبيين فى الخلْق وآخرهم فى البَعْث » .

ومن حديث أبى مُزَاحم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ، عن الشعبى ، عن ابن عباس قيل : يا رسول الله متى كنت نبيًّا ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

* * *

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن مما تَسْتَرِق من السمْع ، إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره[2] ، ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها .

فلما تقارَب أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر زمان مبعثه حُجبت الشياطين عن السمع ، وحِيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الشياطين أن ذلك لأمرٍ حدثَ من أمر الله عز وجل .

قال : وفى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم « قُلْ أُوحى إلىَّ أنه استمَع نفرٌ مِنَ الجنِّ فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عَجبًا يَهْدِى إلى الرُّشد فآمَنَّا به ولن نُشْرِكَ بربِّنا أحَدًا » إلى آخر السورة .

وقد ذكرنا تفسير ذلك كله فى كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى : « وإذ صرَفنا إليك نَفَرًا مِن الجنِّ يَسْتمعون القرآنَ ، فلمَّا حَضَروه قالوا : أَنْصِتُوا ، فلما قضِىَ ولوا

---

(١) سورة الأحزاب . (٢) الضمير يرجع إلى الرسول صلوات الله عليه .

إلى قومهم مُنْـذِرِين ، قالوا يا قَوْمَنا إنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ موسى مصدِّقًا لمـا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مُسْتَقِيمٍ » الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

***

قال محمد بن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدِّث أن أول العرب فَزِع لارمى بالنجوم حين رُمِى بها ـ هذا الحىُّ من ثَقِيف ـ وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى عِلَاج ، وكان أدْهَى العرب وأنْـكرَها[1] ، فقالوا له : يا عمرو ألم ترَ ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟

قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالمُ النجوم التى يُهْتَدَى بها فى البَرِّ والبحر ، ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لِمَا يصلح الناس فى معايشهم هى التى يرمى بها ، فهو والله طَىُّ الدنيا ، وهلاك هذا الخلْق ، وإن كانت نجومًا غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سَهْم ـ يقال لها الغَيْطلة ـ كانت كاهنة فى الجاهلية ، جاءها صاحبها ليـلة من الليالى فانقضَّ تحتها ، ثم قال : أَدْر ما أدر[2] ، يومُ عَقْر ونحر ؟ قالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟

ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال : شُعُوب[3] ما شعوب ؟ تصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب . فلما بلغ ذلك قريشا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو .

---

(١) أنـكرها : من النـكر بمعنى الدهاء . وفى ط خ : وأمـكرها وهو تحريف .

(٢) فى الاكتفاء للـكلاعى : بدر ما بدر . وهو أصح .

(٣) شعوب : جمع شعب . ويشير إلى ذلك قوله : فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب .

فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأُحُد بالشِّعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى على بن نافع الجرشى أن جَنْبا ـ بطنا من اليمن ـ كان لهم كاهن فى الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب ، قالت له جَنْب : انظر لنا فى أمر هذا الرجل . واجتمعوا له فى أسفل جبله .

فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائمًا متكئًا على قوس له فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحَشَاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد فى جبله راجعًا من حيث جاء .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة سوادِ بن قارب . وقد أخرناها إلى هواتف الجان .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة ، عن رجال من قومه ، قالوا إن مما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ـ أن كنا نسمع من رجل من يهود[(١)] ـ كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا و بينهم شرور ، فإذا نلْنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يبعُث الآن نقاتلكم معه قتَل عاد وإرَم .

فكنا كثيراً مانسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به .

ففينا وفيهم نزلت هذه الآية . « ولمَّا جاءَهم كتابٌ مِنْ عندِ اللهِ مُصدِّقٌ لِمَا

(١) ابن هشام : لما كنا نسمع من رجال من يهود .

معهم وكانوا مِنْ قَبْلُ يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعَرَفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين »[1] .

وقال ورقاء : عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا و بين الناس يستفتحون به — أي يستنصرون به .

رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود بخيبر تقاتل غَطفان ، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم .

قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به . فأنزل الله عز وجل « وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا » الآية .

وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لَبيد ، عن سَلَمة بن سلام[2] بن وَقش ، وكان من أهل بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل .

قال سَلَمة : وأنا يومئذ أحدَثُ مَن فيه سنًّا عليّ فروةٌ لي مضطجع فيها بفناء أهلي .

---

(١) سورة البقرة (٢) ابن هشام : بن سلامة .

فذكر القيامةَ والبعث والحساب والميزان والجنة والنار .

قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائنٌ بعدَ الموت .

فقالوا له : ويحك يافلان ! أو ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال : نعم ، والذى يحلف به ، ويود [1] أن له حظَّة من تلك النار أعظم تَنُّور فى الدار يَحْمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك يافلان فما آية ذلك ؟

قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن .

قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إلىّ وأنا مِن أحدَثهم سنا ـ فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ماذهب الليلُ والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حيٌّ بين أظهُرنا ، فآمنَّا به وكفر به بغياً وحسداً !

قال : فقلنا له ويحك يافلان ! ألست بالذى قلت لنا فيه ماقلتَ ؟

قال : بلى ؛ ولكن ليس به .

رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس . ورواه البيهقى عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم فى الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد

---

(١) ابن هشام : ولود .

ابن سلامة ، قال : لم يكن فى بنى عبد الأشهل إلا يهودىٌّ واحد يقال له يوشع ، فسمعته يقول ، وإنى لغلامٌ فى إزار : قد أظلَّكم خروجُ نبى يُبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدِّقه .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمْنا وهو بَيْن أظهرنا لم يسلم حسداً وبغيا .

وقد قدمنا حديثَ أبى سعيد عن أبيه فى إخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ، وإخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحاكم عن البيهقى بإسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى : هل تدرى عَمَّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْية وأسيد بن سعْية ، وأسد بن عبيد - نفر من بنى هدل ، إخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام ؟

قال : قلت لا .

قال : فإن رجلا من اليهود من أرض الشام يقال له ابن الهَيِّبان قدِم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله مارأينا رجلا قط لا يصلى الخَمْس أفضل منه .

فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهَيِّبان فاستَسْق لنا . فيقول : لا والله حتى تقدّموا بين يدى مَخْرجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمر ، أو مُدَّيْن من شعير .

قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا فيستسقى لنا ، فوالله مايبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى . قد فعل ذلك غيره مرة ولا مرتين ولا ثلاثا .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يامعشر يهود ، ماترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟

قال : قلنا أنت أعلم .

قال : فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكَّف خروجَ نبى قد أظلَّ زمانه ، هذه البلدة مُهَاجره فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه فلا تُسْبقن إليه يامعشر يهود ، فإنه يُبْعث بسفك الدماء وسَبْى الذرارى ممن خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا ، : يابنى قريظة والله إنه للنبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهَيِّبان . قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله ؛ إنه لهو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا مابلغنا عن أحبار يهود .

* * *

قلت : وقد قدمنا فى قدوم تُبّع اليمانى ، وهو أبو كَرِب تُبَّان أسعد ، إلى المدينة ومحاصرته إياها ، وأنه خرج إليه ذانك الحَبْران من اليهود فقالا له : إنه لا سبيل لك عليها ، إنها مُهَاجر نَبِيٍّ يكون فى آخر الزمان . فثَنَاه ذلك عنها .

وقد روى أبو نعيم فى الدلائل من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه عن جده . قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله لما أراد هُدَى زيد بن سَعْية قال زيد : لم يبْق شىء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها فى

وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يَسْبِق حلمُه جهلَه ، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلماً .

قال : فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حِلمه وجهله ، فذكر قصة إسلافه للنبى صلى الله عليه وسلم مالاً فى ثمرة . قال : فلما حلّ الأجل أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه — وهو فى جنازة مع أصحابه — ونظرت إليه بوجه غليظ ، وقلت : يامحمد ألا تقضينى حقى ؟ فوالله ماعلمتكم بنى عبد المطلب لَمُطْلٌ .

قال : فنظر إلىّ عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير . ثم قال : ياعدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ، وتفعل ما أرى ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومَه لضربت بسيفى رأسك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أحوجَ إلى غير هذا منك ياعمر ، أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التِّباعة ، اذهب به ياعمر فاقضِه حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر » .

فأسلم زيد بن سَعْية رضى الله عنه . وشهد بقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عام تبوك رحمه الله .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله : إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه ، فقال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى — من فيه — قال :

كنت رجلا فارسياً من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جَىْ ، وكان أبى دِهْقان قريته ، وكنت أحبَّ خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تُحبس الجارية .

واجتهدت فى المجوسية ، حتى كنت قَطِن النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة .

قال : وكانت لأبى ضَيْعة عظيمة ، قال : فشغل فى بنيان له يوماً فقال لى : يا بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطّلعها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد . ثم قال لى : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عنى كنت أهمَّ إلى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شيء من أمرى .

قال : فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلُّون . وكنت لا أدرى ما أمرُ الناس ، لحبْس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم . وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه .

فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها .

ثم قلت لهم : أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلتُه عن أمره كله . فلما جئت قال : أى بنىّ أين كنت ؟ ألم أكن أعهد إليك ما عهدته ؟ قال : قلت يا أبتِ مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس .

قال : أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه .

قال : قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا .

قال : فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى

بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام فجاءونى النصارى فأخبرونى بهم . فقلت : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذِنونى .

قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقفُ فى الكنيسة .

قال فجئته فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك فأصلى معك . قال : ادخل .

فدخلت معه ، فكان رجلَ سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزَه لنفسه ولم يُعْطه المساكين ، حتى جمع سَبْع قِلَالٍ من ذهب وورِق .

قال : وأبغضْتُه بغضاً شديداً لِما رأيته يصنع .

ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه . فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كَنَزَها لنفسه ولم يُعْط المساكين منها شيئاً .

قال : فقالوا لى : وما عِلمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم أنا أدلكم على كنزه . قالوا : فدُلَّنا . قال : فأريتُهم موضعَه ، فاستخرجوا سبع قِلَال مملوءة ذهباً وورِقا ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنه أبداً . قال : فصلبوه ورجموه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فوضعوه مكانه . قال سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخَمْس أرى أنه أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ولا أرغَبَ فى الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً .

قال : فأحببته حبا لم أحبَّ شيئاً قبلَه مثله .

قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إنى قد كنت معك ،

وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَن توصى بى ؟ وبم تأمرنى[1] ؟ قال : أى بنىّ والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، لقد هلَكَ الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالمَوْصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحقْ به .

قال : فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب الموصل . فقلت : يا فلان ، إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره . فقال لى : أقمْ عندى .

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بى إليك وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ، وبم تأمرنى ؟ قال : يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحقْ به .

فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب نَصِيبين ، فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى . فقال : أقم عندى . فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فو الله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى وبم تأمرنى ؟

قال : يا بنى والله ما أعلمه بقى أحدٌ على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلا رجل بعَمُورِيَّة من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه . فإن أحببت فائته ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب عَمُورِيَّة ، فأخبرته خبر ، فقال : أقم عندى . فأقمت عند خير رجل على هَدْى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغُنَيمة .

---

(١) الأصل : وبم تأمرنى به . وهو لايستقيم

قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان . ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى مَنْ توصى بى وبم تأمرنى ؟

قال : أى بنى ، والله ما أعلم أصبح أحدٌ على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن أن تأتيه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مُهَاجره إلى أرضٍ[1] بَيْن حَرَّتين بينهما نخل ، به علامات لا تَخْفَى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغيِّب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث .

ثم مر بى نفرٌ من كَلْب تجار ، فقلت لهم احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه . قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القُرَى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخلَ ، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، ولم يحقَّ فى نفسى .

فبينا أنا عنده إذ قدِم عليه ابن عم له من بنى قُرَيظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى لها ، فأقمت بها .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام ، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شُغْل الرِّق ؛ ثم هاجر إلى المدينة .

فو الله إنى لفى رأس عِذْق[2] لسيدى أعمل فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بنى قَيْلة[3] . والله إنهم لمجتمعون الآن بقِبَاء على رجل قدِم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى .

---

(١) ط ح : الأرض وهو تحريف (٢) العذق : النخلة . (٣) بنو قيلة : الأنصار .

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتنى الرعدةُ حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟

قال : فغضب سيدى فلكمنى لكمةً شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبلْ على عملك .

قال : فقلت لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندى شيء قد جمعتُهُ ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم .

قال : فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « كلوا » وأمسكَ يده فلم يأكل .

فقلت فى نفسى : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه .

قال : فقلت فى نفسى هاتان ثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببَقِيع الغَرْقد قد تبع جنازةَ رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ؟ فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرتُه عرف أنى أَسْتَثْبت فى شيء وُصِف لى ، فألقَى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببْت عليه أقبِّله وأبكى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحوَّل » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس .

فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذاك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرقُّ حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأُحد .

قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاتِبْ يا سلمان » فكاتَبْت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[1] وأربعين أوقيـة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه : « أعِينوا أخاكم » فأعانونى فى النخل : الرجل بثلاثين وَدِيّةً[2] ، والرجل بعشرين وَدِيَّة ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشرة ، يعـين الرجل بقَدْر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة وَدِيَّة . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب يا سلمان ففَقِّر لها ، فإذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدى » .

قال : ففَقَّرت ، وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسـلم معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودِىّ ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، حتى إذا فرغنا ، فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها وَدِيَّة واحدة .

فأَدَّيْتُ النخلَ وبقى علىَّ المال . فأُتِى رسول الله صلى الله عليه وسـلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعـادن . فقال : « ما فعل الفارسىُّ المكاتَب ؟ » قال : فدعيتُ له قال : « خذ هذه فأدِّها مما عليك يا سلمان » .

قال : قلت : وأين تقع هذه مما علىَّ يا رسول الله ؟ قال : « خذها فإن الله سيؤدِّى بها عنك » قال : فأخذتها فوزنتُ لهم منها ، والذى نفسُ سَلْمان بيده ، أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقَّهم .

وعَتَق سَلْمان ، فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حُرًّا ثم لم يَفُتْنى معه مَشْهَدٌ .

---

(١) الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة .　　(٢) الودية : كغنية : صغار الفسيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس ، عن سلمان أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىَّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ، ثم قال : « خذها فأَوْفِهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة ، حدثنى من لا أتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال : حُدِّثت عن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره أن صاحب عمورية قال له : إيت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلًا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغَيْضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفِى فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه .

قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصَف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه فلم أَخْلُص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل إلا مِنْكبه . قال : فتناولته فقال : من هذا ؟ والتفت إلىّ . قال : قلت يرحمك الله ! أخبِرْنى عن الحنيفية دين إبراهيم .

قال : إنك لتسأل عن شيء مايسأل عنه الناسُ اليومَ ، قد أظلَّك زمان نبيٍّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فَأْته فهو يحملك عليه . ثم دخل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : « لئن كنت صدَقْتَنى ياسَلْمان لقد لقيتَ عيسى بن مريم » .

هكذا وقع فى هذه الرواية ، وفيها رجل مُبْهَم ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة .

وقد قيل إنه الحسن بن عمارة ، ثم هو منقطع بل مُعْضَل بين عمر بن عبد العزيز وسَلْمان رضى الله عنه .

قوله : « لئن كنت صدقتنى ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » غريب جداً بل مُنْكر ، فإن الفَتْرة أقلُّ ماقيل فيها أنها أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة سنة بالشمسية ، وسَلْمان أكثر ماقيل أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . وحكى العباس بن يزيد البَحْرانى إجماعَ مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم . والظاهر أنه قال لقد لقيتُ وَصىَّ عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب .

وقال السهيلى : الرجل المُبْهَم هو الحسن بن عُمارة وهو ضعيف ، وإن صح لم يكن فيه نكارة . لأن ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد مارفع فوجد أمَّه وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب ، فأخبرهما أنه لم يُقْتل ، وبعث الحواريين بعد ذلك .

قال : وإذا جاز نزوله مرةً جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهرُ حين يَكْسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويتزوج حينئذ امرأة من بنى جذام ، وإذا مات دفن فى حجرة روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

***

وقد روى البيهقى فى كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس ابن بُكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الأصم بن يحيى ابن أبى طالب .

حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حاتم بن أبى صُفْرة ، عن سِمَاك بن حرب ، عن يزيد ابن صوحان ، أنه سمع سَلْمان يحدث كيف كان أول إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر أنه

كان من رامهُرْمز ، وكان له أخ أكبر منه غنى ، وكان سلمان فقيراً فى كنَف أخيه ، وأن ابن دِهْقانها[1] كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلم لهم ، وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عُبَّاد من النصارى فى كهف لهم ، فسأله سلمان أن يذهب به معه إليهم ، فقال له : إنك غلام وأخشى أن تنمَّ عليهم فيقتلهم أبى . فالتزم له أن لا يكون منه شىء يكرهه .

فذهب به معه فإذا هم ستة أو سبعة ، كأن الرُّوح قد خرجت منهم من العبادة ، يصومون النهار و يقومون الليل ، يأكلون الشجر وما وجدوا .

فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرُّسل المتقدمين ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أَمته ، أيَّده بالمعجزات .

وقالوا له : ياغلام إن لك ربًّا ، و إن لك مَعاداً ، و إن بين يديك جنة ونارا ، و إن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة ، لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه .

ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمان بالكلِّيَّة ، ثم أجلاهم ملِك تلك البلاد ، وهو أبو ذلك الغلام الذى صحبه سلمان إليهم عن أرضه ، واحتبس المَلِكُ ابنَه عنده، وعرض سلمان دِينهم على أخيه الذى هو أكبر منه فقال : إنى مشتغل بنفسى فى طلب المعيشة .

فارتحل معهم سَلْمان حتى دخلوا كنيسة المَوْصل ، فسلَّم عليهم أهلُها ثم أرادوا أن يتركونى عندهم ، فأبَيْت إلا صُحْبتهم . فخرجوا حتى أتوا واديًا بين جبال ، فتحدَّر إليهم رهبان تلك الناحية يسلِّمون عليهم واجتمعوا إليهم ، وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم و يسألونهم عنى فيثنون علىَّ خيراً .

(١) الدهقان : رئيس الإقليم أو زعيم فلاحى العجم . معرب .

وجاء رجل معظَّم فيهم فخطبهم فأثنى على الله بما هو أهلُه، وذَكَر الرسلَ وما أيِّدوا به، وذكر عيسى بن مريم، وأنه كان عبد الله ورسوله، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، ثم لمَّا أرادوا الانصراف تبعه سَلْمان ولزمه. قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد، فيخرج إليهم ويَعِظُهم ويأمرهم وينهاهم، فمكث على ذلك مدة طويلة، ثم أراد أن يزور بيت المَقْدس فصحبه سلمان إليه.

قال: فكان فيما يمشي يلتفت إليّ ويُقْبل عليّ فيعظني ويخبرني أن لي ربًّا، وأن بين يديّ جنةً وناراً وحساباً ويعلمني ويذكِّرني نحوَ ما كان يذكِّر القومَ يومَ الأحد. قال فيما يقول لي: ياسلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد، يخرج من تِهامة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم [النبوة] وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب، فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه، فإن أدركتَه أنت فصدِّقه واتَّبعه. قلت له: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال: وإن أمرك، فإن الحق فيما يجيء به ورضا الرحمن فيما قال.

ثم ذكر قدومهما إلى بيت المَقْدس، وأن صاحبه صلَّى فيه هاهنا وهاهنا، ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظلُّ مكان كذا أن يوقظه، فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح، فلما استيقظ ذَكَر الله ولام سَلْمَانَ على تركِ ما أمره من ذلك. ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مُقْعَد فقال: ياعبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطني شيئاً، وها أنا أسألك. فنظر فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال: قم بسم الله. فقام وليس به بأس ولا قَلَبة[1] كأنما نشط من عِقَال. فقال لي: ياعبد الله، احمل عليّ متاعي حتى أذهب إلى أهلي فأبشّرهم، فاشتغلت به، ثم أدركت الرجلَ فلم ألحقه ولم أدرِ أين ذهب، وكلما سألت عنه قوماً قالوا: أمامك.

---

(١) القلبة: محركة داء وألم من علة.

حتى لقينى ركب من العرب من بنى كلب فسألتهم ، فلما سمعوا لغتى أناخ رجل منهم بعيره فحملنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم .

فباعونى فاشترتنى امرأة من الأنصار فجعلتنى فى حائط لها .

وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ذهابَه إليه بالصدقة والهدية ليَسْتعلم ماقال صاحبُه ، ثم تطلَّب النظرَ إلى خاتم النبوة ، فلما رآه آمن من ساعته ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره الذى جرى له .

قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فاشتراه من سيدته فأعتقه .

قال : ثم سألته يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال : فوقع فى نفسى من أولئك الذين صحبتُهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذى كان معى ببيت المقدس ، فدخلنى من ذلك أمر عظيم ، حتى أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أَشْرَكُوا ، ولتجدنَّ أقربَهم مودَّةً للذين آمَنُوا الذين قالوا إنَّا نَصَارى ، ذلك بأن منهم قِسِّيسين ورُهْباناً وأنهم لايَسْتكبرون » فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت وأنا خائف ، فجلست بين يديه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم « ذلك بأن منهم قِسِّيسين ورُهْباناً وأنهم لا يستكبرون » الآيات . ثم قال : « ياسلمان أولئك الذين كنتَ معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » فقلت : يارسول الله والذى بعثك بالحق لَهُو أمرنى باتباعك ، فقلت له : فإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه؟ قال : نعم فاتركه ، فإن الحق وما يرضى الله فيما يأمرك .

وفى هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن إسحاق ، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى مارواه البخارى فى صحيحه من

حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى ، عن أبيه ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان الفارسى ، أنه تداوله بضعة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلِّم إلى معلم ومربٍّ إلى مثله . والله أعلم .

قال السهيلى : تداوله ثلاثون سيداً من سيد إلى سيد ، فالله أعلم .

وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم فى « الدلائل » وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة ، وفى بعضها أن اسم سيدته التى كاتبته حلبسة . فالله أعلم .

ذكر أخبار غريبة فى ذلك

قال أبو نعيم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغَلَابى[1] ، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى السَّوية المِنْقَرى ، حدثنا عَبَّاد بن كسيب ، عن أبيه ، عن أبى عتوارة الخزاعى ، عن سعير بن سوادة العامرى قال : كنت عشيقاً لعقيلة من عقائل الحى ، أركب لها الصعبَ والذَّلول لا أبقى من البلاد مَسْرحا أرجو ربحا فى متجر إلا أتيته ، فانصرفت من الشام بحرث وأثاث أريد به كَبة الموسم[2] ودهماء العرب ، فدخلت مكة بليل مُسْدِف ، فأقمت حتى تعرَّى عنى قميص الليل فرفعت رأسى فإذا قباب مُسَامتةٌ شَعَف الجبال ، مضروبة بأنطاع الطائف ، وإذا جزر تُنْحَر وأخرى تساق ، وإذا أكلة وحَثَثة على الطهاة يقولون ألا عَجِّلوا ألا عجلوا ، وإذا رجل يجهر على نَشز من الأرض ينادى : ياوفد الله ميلوا إلى الغداء . وأُنَيْسَان على مَدْرجة يقول : ياوفد الله مَنْ طَعِم فَلْيَرُح إلى العشاء . فجهرنى[3] ما رأيت فأقبلت أريد عميدَ القوم ، فعرف

---

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابى البصرى يعرف بزكرويه (٢) الكبة : الزحام.
(٣) جهرنى : راعنى

رجلٌ الذى بى ، فقال : أمامك . وإذا شيخ كأن فى خديه الأساريع [١] ، وكأن الشِّعْرى [٢] توقَدُ من جبينه ، قد لاث على رأسه عمامةً سوداء قد أبرز من ملائها جُمَّة [٣] فينانة كأنها سماسم [٤] . قال فى بعض الروايات : تحته كرسىٌّ سماسم [٤] ومن دونها نُمْرقَة ، بيده قضيب متخصِّر به ، حوله مشايخ جُلَّس نواكس الأذقان ، مامنهم أحد يفيض بكلمة . وقد كان نمى إلىَّ خبرٌ من أخبار الشام أن النبى الأمى هذا أوان نجومه ، فلما رأيته ظننته ذلك فقلت : السلام عليك يارسول الله . فقال : مه مه ، كلا وكأَنْ قَدِ ، وليتنى إياه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا هذا أبو نَضْلة ، هذا هاشم بن عبد مناف ، فولَّيت وأنا أقول : هـذا والله المجد لا مجد آل جفنة ـ يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة ـ . وهذه الوظيفة التى حكاها عن هاشم هى الرفادة يعنى إطعام الحجيج زمن الموسم .

* * *

وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبى يحيى ، حدثنا سعيد بن عثمان ، حدثنا على بن قُتَيبة الُخرَاسانى ، حدثنا خالد بن الياس ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم ، عن أبيه عن جده . قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبدالمطلب قال : بينا أنا نائم فى الِحجْر إذ رأيت رؤيا هالتنى ، ففزعت منها فزعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قريش وعلىَّ مِطْرف خز وجُمَّتى تضرب مِنْكبى ، فلما نظرت إلىَّ عرفت فى وجهى التغير ، وأنا يومئذ سيدُ قومى فقالت : مابالُ سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شىء ؟ فقلت لها : بلى !

---

(١) الأساريع لها معان كثيرة منها : دود بيض حمر الرءوس (٢) الشعرى : نجم عظيم .
(٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس . (٤) السماسم : الأولى عيدان السمسم ، والثانية خشب أسود .

وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبِّل يدها اليمنى ، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لأنى [كنت (١)] كبير قومى .

فجلست فقلت : إنى رأيت الليلة وأنا نائم فى الحجر كأن شجرة نَبَتت (٢) قد نال رأسُها السماء وضربت بأغصانها المشرقَ والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهَرَ منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهى تزداد كلَّ ساعة عِظَما ونوراً وارتفاعاً ، ساعةً تخفى وساعة تزْهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلّقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قَطْعها ، فإذا دنَوْا منها أخَّرهم شاب لم أرَ قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم (٣) ويقلع أعينهم . فرفعت يدى لأتناول منها نصيباً ، فمنعنى الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها . فانتبهت مذعوراً فزِعاً .

فرأيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صُلْبك رجلٌ يَمْلك المشرق والمغرب ويَدِين له الناس . ثم قال ـ يعنى عبد المطلب ـ لأبى طالب لعلك تكون هذا المولود (٤) .

قال : فكان أبو طالب يحدِّث بهذا الحديث بعد ماولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد مابعث . ثم قال (٥) كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبى طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السبة والعار !

***

(١) من الدلائل . (٢) الأصل : تنبت ، وهو تحريف . (٣) الدلائل : أضلعهم . وفى الخصائص : أظهرهم . وما أثبته من الدلائل .

(٤) كذا بالأصل ودلائل النبوة وهو تحريف ، وصوابه رواية ابن الجوزى فى الوفا حيث قال : « ثم قالت لأبى طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود » الوفا ٨٠ بتحقيق . (٥) الدلائل : « فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة .. الخ . .

وقال أبو نُعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغَلاَبى ، حدثنا العباس بن بَكّار الضَّبى ، حدثنا أبو بكر الهُذَلى ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : خرجت فى تجارة إلى اليمن فى ركب ـ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبى سفيان وبالنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لى فى يومى الذى كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتى وترسل إلىّ غداءك ؟ فقلت : نعم .

فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء ، فلما تغدى القوم قاموا واحتبسنى. فقال : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أىّ بنى أخى ؟ فقال أبو سفيان : إياى تكتم ؟ ! وأى بنى أخيك ينبغى أن يقول هذا إلا رجل واحد ! قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله . فقلت : قد فعل ؟ قال : بلى قد فعل .

وأخرج كتابا باسمه من ابنه حنظلة بن أبى سفيان فيه : أخبرك أن محمداً قام بالأبطح فقال : « أنا رسول أدعوكم إلى الله عز وجل » فقال العباس : قلت أجده يا أبا حنظلة صادقا .

فقال : مهلا ياأبا الفضل ، فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إنى لا أخشى أن يكون علىّ ضير من هذا الحديث يابنى عبد المطلب ، إنه والله مابرحت قريش تزعم أن لكم هِنَة وهِنَة ، كل واحدة منهما غاية ! لنَشَدْتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت: نعم قد سمعت . قال فهذه والله شُؤْمتكم . قلت : فلعلها يُمْنتُنا .

قال : فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدِم عبد الله بن حُذَافة بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك فى مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه حَبْرٌ من

أحبار اليهود ، فقال له اليهودى : ماهذا الخبر ؟ بلغنى أن فيكم عمَّ هـذا الرجل الذى قال ماقال ؟

قال أبو سفيان : صدَقوا ، وأنا عمه ، فقال اليهودى : أخو أبيه ؟ قال : نعم .

قال : لحدِّثنى عنه .

قال : لا تسألنى ! ما أحبُّ أن يدَّعى هـذا الأمرَ أبدا ، وما أحِبُّ أن أعيبه وغيرُه خير منه .

فرأى اليهودى أنه لا يغمس عليه ولا يحب أن يعيبه .

فقال اليهودى : ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى .

قال العباس : فنادانى الحَبْر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، فقلت للحبر : بلغنى أنك سألتَ ابنَ عمى عن رجل منا زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبَرك أنه عمه ، وليس بعمِّه ، ولـكن ابن عمه ، وأنا عمه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه .

فأقبل على أبى سفيان فقال : صدَق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سَلْنى فإن كذبتُ فليردَّ علىَّ .

فأقبل علىَّ فقال : نَشَدْتُك هل كان لابن أخيك صَبْوة أو سَفْهة .

قلت : لا وإله عبد المطلب ، ولا كَذَب ولا خان ، وإنه كان اسمه عند قريش الأمين .

قال : فهل كتب بيده ؟

قال العباس : فظننت أنه خيرٌ له أن يَكْتب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت مكانَ أبى سفيان يكذِّبنى ويردُّ علىّ فقلت : لا يكتب .

فوثب الحبر ونزل رداؤه وقال : ذُبحت يهود ، وقتلت يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا ، قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهود تفزع من ابن أخيك . قلت : قد رأيتَ مارأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقا كنت قد سبقت ، وإن كان باطلا فمعك غيرك من أَكْفَائك .

قال : لا أومن به حتى أرى الخيل فى كَدَاء [1] .

قلت : ماتقول ؟ قال : كلمة جاءت على فمى ، إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء .

قال العباس : فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟!

قال : إى والله إنى لَذَاكِرُها ! فالحمد لله الذى هدانى للإسلام .

وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان فى رجاله من هو متكلَّم فيه . والله أعلم .

* * *

وقد تقدم ماذكرناه فى قصة أبى سفيان مع أمية بن أبى الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب ، وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات وعليه النور .

وسيأتى أيضا قصة أبى سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله ، واستدلاله بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم ، ولو أعلم أنى أَخْلُص إليه لتجشَّمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ماتقول حقا ليملكن موضع قدمىَّ هاتين .

وكذلك وقع ولله الحمد والمنة .

---

(١) كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأحبار والعرب، فأكثر وأطنب وأحسن وأطيب . رحمه الله ورضى عنه .

قصة عمرو بن مُرَّة الجُهَنى (١)

قال الطبرانى : حدثنا على بن إبراهيم الخزاعى الأَهْوَازى ، حدثنا عبد الله ابن داود بن دلهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سُوَيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبى ، عن أبيه دلهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه ، أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهنى قال :

خرجت حاجًّا فى جماعة من قومى فى الجاهلية ، فرأيت فى نومى وأنا بمكة ، نورا ساطعاً [خرج (٢)] من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب وأَشْعَرِ جُهينة (٣) . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبُعث خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن (٤) ، وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسِرت الأصنام ، ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومى : والله ليحدثن لهذا الحى من قريش حدَثٌ . وأخبرتهم بما رأيت .

---

(١) هذه القصة ليست فى النسخة ا وهى مثبتة فى المطبوعة من النسخة الحلبية .

(٢) من الوفا . (٣) هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه . (٤) أبيض المدائن : قصر كسرى .

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنى [الخبر أن رجلا[1]] يقال له أحمد قد بُعِث .

فأتيته[2] فأخبرته بما رأيت . فقال [لى[1]] « يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحَقْن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان [شهر[1]] من اثنى عشر شهرا . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمنْ يا عمرو يُؤْمنك الله من هول جهنم » .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وإن أرْغَم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به . وكان لنا صنم ، وكان أبى سادنا له فقمت إليه فكسرته . ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدتُ بأن الله حَقٌّ وأننى ... لآلهــةِ الأحجارِ أولُ تاركِ
وشمَّرت عن ساقى الإزارَ مهاجراً ... إليك أجوب القَفْرَ بعد الدكادكِ[3]
لأَصْحَب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائكِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مرحبا بك يا عمرو بن مُرَّة » . فقلت : يا رسول الله ابعثنى إلى قومى ، لعل الله يمنُّ عليهم بى كما مَنَّ علىّ بك .

فبعثنى إليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فَظًّا . ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا

---

(١) من الوفا . (٢) الوفا : فخرجت حتى أتيته .
(٣) الدكادك : أرض فيها غلظ . وفى الوفا : أجوب إليك الدعث بعد الدكادك . والدعث : الأرض المستوية

كلهم ، إلا رجلا واحداً منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرحَّب بهم وحياهم . وكتب لهم كتابا هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب [أمان[١]] من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهنى لجهينة بن زيد : إن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها[٢] ، تزرعون[٣] نباته وتشربون صافيه ، على أن تقروا بالْخُمس ، وتصلوا صلاة الْخمْس ، وفى التبيعة والصريمة [شاتان[١]] إن اجتمعتا وإن تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة وشهد على نبينا صلى الله عليه وسلم من حضر من المسلمين[٤] بكتاب قيس ابن شماس » .

وذكر شعرا قاله عمرو بن مرة فى ذلك كما هو مبسوط من المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التكلان .

***

وقال الله تعالى : « وإذْ أَخَذْنا مِنَ النبيين ميثاقهم ومِنْك ومِنْ نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى بن مَرْيم وأخَذْنا منهم ميثاقا غليظاً[٥] » .

قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بنى آدم يوم (ألستُ بربِّكم ؟) أخذ من النبيين ميثاقا خاصاً ؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) من الوفا .

(٢) فى الوفا : إن لكم بطون الأرض وظهورها وتلاع الأودية وسهولها . وهو أصح وأولى والتلاع : جمع تلعة : ما ارتفع من الأرض .

(٣) الوفا : ترعون نباته ، وهو أصح .

(٤) الوفا : والله يشهد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين .

(٥) سورة الأحزاب آية ٧ .

وقد روى الحافظ أبو نعيم فى كتاب « دلائل النبوة » من طرق عن الوليد بن مسلم، حدثنا الأَوْزَاعى ، حدثنا يحيي بن أبى كثير عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : سئل النبى صلى الله عليه وسلم : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بَيْنَ خَلْقِ آدم ونفخ الروح فيه » .

وهكذا رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال : حسن غريب من حديث أبى هريرة ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبى حدثنا أبو جعفر النُّفَيلى ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عروة بن رويم ، عن الصُّنابِحى[1] . قال : قال عمر : يا رسول الله ، متى جُعلت نبياً ؟ قال : « وآدمُ مُنْجَدل فى الطين » .

ثم رواه من حديث نصر بن مُزَاحم ، عن قيس بن ربيع ، عن جابر الُجعْفى ، عن الشَّعبى ، عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وفى الحديث الذى أوردناه فى قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الأنبياء بنور بين أعينهم . والظاهر — والله أعلم — أنه كان على قَدْر منازلهم ورُتبَهم عند الله .

وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد صلى الله عليه وسلم كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم .

وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره .

وفى هـذا المعنى الحديث الذى قال الإمام أحمد ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُوَيد الـكَلْبى ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمى ،

---

(١) الصنابحى : بضم الصاد وفتح النون وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم حاء ، نسبة إلى صنابح بن زاهر بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن يحابر ، اللباب ٢ / ٦

عن العِرْباض بن سارِية . قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوةُ أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرَيْن » .

ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح وزاد « إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعيد ، عن بديل ، عن عبد الله بن شقيق ، عن مَيْسرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسد » .

إسناده جيد أيضا .

وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان ، وحماد بن زيد وخالد الحَذَّاء عن بديل بن ميسرة به .

ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أَسْلم ، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلى ، عن شيبان ، عن الحسن بن دينار ، عن عبد الله بن سفيان ، عن ميسرة الفَجْر قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم فى كتابه « دلائل النبوة »[1] : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن خليد بن دعلج ، وسعيد ، عن قتادة ، عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى قوله تعالى « وإذ أَخَذْنا من النبيين ميثاقهم » قال : « كنت أول النبيين فى الخَلْق وآخرَهم فى البَعْث » .

(١) ليس فى دلائل النبوة المطبوع .

ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بَقيّة ، عن سعيد بن نسير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعا مثله .

وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره فى الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن عِلم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هـذا الذى ذكرناه من الإعلام به فى الملأ الأعلى والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حـديث عبد الرازق عن مَعْمَر ، عن همَّام ، عن أبي هريرة الحديثَ المتفق عليه : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة[1] المقضىّ لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » .

وزاد أبو نعيم فى آخره : فـكان صلى الله عليه وسلم آخرهم فى البعث و به خُتمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة ، لأنه أول مكتوب فى النبوة والعهد .

ثم قال : ففى هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا أوجب الله له النبوةَ قَبْل تمام خلق آدم ، ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ماسبق فى علمه وقضائه مِنْ بعثته له فى آخر الزمان .

وهذ الكلام يوافق ماذكرناه ولله الحمد .

وروى الحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أَسْلَم — وفيه كلام —

(١) الذى فى دلائل النبوة المطبوع إلى هنا ولم يستكمل الحديث ولم يذكر التعليق المذكور هنا ، وهذا يؤكد أن النسخة المطبوعة إنما هى مختصر لكتاب دلائل النبوة وليست هى الكتاب نفسه . انظر دلائل النبوة ص ١٧

عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ فقال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىَّ من روحك رفعتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخلْق إليك فقال الله : صدقتَ يا آدم إنه لأحبُّ الخلق إلىّ ، وإذ قد سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ماخلقتك » .

قال البيهقى : تفرّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف والله أعلم .

* * *

وقد قال الله تعالى « وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ » (١) .

قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : مابعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (٢) .

وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته فى سائر الملل وعلى ألسنة الأنبياء ، وإعلام لهم ومنهم برسالته فى آخر الزمان . وأنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين .

وقد أوضح أمرَه وكشف خبرَه وبيَّن سره ، وجلَّى مجْدَه ومولدَه وبلده إبراهيمُ الخليل فى قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت « رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ ، ٨٢ (٢) سقطت من ا .

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١) .

فكان أولُ بيان أمرِه على الجليّة والوضوح بين أهل الأرض ، على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الأنبياء .

ولهذا قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النَّضر ، حدثنا الفرج ـ يعنى ابن فَضَالة ـ حدثنا لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمامة قال : قلت يانبى الله ما كان بَدْء أمرك ؟ قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » .

تفرد به الإمام أحمد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وروى الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم فى كتاب « المولد » من طريق بَقِيَّة ، عن صفوان بن عمرو ، عن حجر بن حجر ، عن أبى مريق ، أن أعرابياً قال : يارسول الله أى شىء كان أول أمر نبوتك ؟

فقال « أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم [ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام] (٢) .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار : حدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يارسول الله ، أخبرنا عن نفسك .

---

(١) سورة البقرة ١٢٩

(٢) ليست فى ا

قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرى عيسى ، ورأت أمي حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بُصرى من أرض الشام » .

إسناده جيد أيضاً .

وفيه بشارة لأهل مَحِلَّتنا أرض بُصْرى ، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، ولله الحمد والمنة . ولهذا كانت أولَ مدينة فتحت من أرض الشام ، وكان فتحها صُلْحاً فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . وقد قَدِمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرتين فى صحبة عمه أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وكانت عندها قصة بَحِيرى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه مَيْسرة مولَى خديجة فى تجارة لها . وبها مَبْرك الناقة التى يقال لها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بركت عليه فأَثرُ ذلك فيها فيما يذكر ، ثم نُقِل وبنى عليه مسجد مشهور اليوم . وهى المدينة التى أضاءت أعناقُ الإبل عندها من نور النار التى خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « تَخْرج نارٌ من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل بِبُصْرى » .

* * *

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن الُجريرى ، عن أبى صخر العُقيلى ، حدثنى رجل من الأعراب قال: جابتُ جلوبةً إلى المدينة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغتُ من بيعى قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعنّ منه .

قال : فتلقانى بَيْن أبى بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرٌ التوراةَ يقرؤها يعزِّى بها نفسَه عن ابن له فى الموت كأحسنِ الفتيان وأجملهم . فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « أَنْشُدك بالذى أَنْزَل التوراة ، هل تجدنى فى كتابك ذا صِفتى ومَخْرجى ؟ » فقال برأسه هكذا ـ أى لا ـ فقال ابنه : إى والذى أنزل التوراة ، إنا لنجد فى كتابنا صفتك ومَخْرجك وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال : « أقيموا اليهودىَّ عن أخيكم » ثم ولى كفنه والصلاة عليه .

هذا إسناد جيد وله شواهد فى الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

وقال أبو القاسم البَغوى : حدثنا عبد الواحد بن غِيَاث ـ أبو بحر ـ حدثنا عبدالعزيز ابن مسلم ، حدثنا عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه، عن الصَّلتان بن عاصم وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ شخص بصره إلى رجل ، فإذا يهودى عليه قميص وسراويل ونعلان . قال : فجعل النبى صلى الله عليــه وسلم يكلمه وهو يقول : يارسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه : « وسلم أتشهد أنى رسول الله ؟ » قال: لا . قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « أتقرأ التوراة ؟ » قال : نعم . قال : « أتقرأ الإنجيل ؟ » قال : نعم . قال : « والقرآن ؟ » قال : لا . ولو تشاء قرأته .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فبم تقرأ التوراة والإنجيل ، أتجدنى نبياً ؟ » قال : إنا نجد نَعْتك ومَخْرجك ، فلما خرجْتَ رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنك لستَ به .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولم يايهودى ؟ » قال : إنا نجده مكتوباً : يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتى لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .

وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يهود] فقال « أخرجوا أعلمكم » فقالوا : عبد الله بن صوريا . فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المنّ والسَّلْوى ، وظلَّلهم به من الغمام « أتَعْلَمنى رسولَ الله ؟ » قال : اللهم نعم . وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونَعْتك لمبيَّن فى التوراة ، ولكنهم حسدوك .

قال « فما يمنعك أنت ؟ » قال : أكره خلاف قومى . وعسى أن يتبعوك ويُسْلموا فأسلم .

وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : كتَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدِّق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قال لكم : يامعشر يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذلك فى كتابكم : إن محمداً ﴿ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ . ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ . وإنى أنشدكم بالله وبالذى أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أَطْعَم مَنْ كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المنَّ والسلوى ، وأنشدكم بالذى أَيْبَس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كُرْه عليكم قد تبيَّن الرشد من الغى . وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يَسَار فى كتاب « المبتدأ » عن سعيد بن بَشِير ، عن قتادة عن كعب الأحبار ، وروى غيره عن وهب بن منبِّه أن بُخْتَنَصَّر بعد أن خرَّب بيتَ المقدس ، واستذل بنى إسرائيل بسبع سنين ، رأى فى المنام رؤيا عظيمة هالته ، فجمع الكهنةَ والحزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا : ليقُصَّها الملك حتى نخبره بتأويلها . فقال : إنى نسيتها ، وإن لم تخبرونى بها إلى ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم .

فذهبوا خائفين وَجِلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو فى سجنه . فقال للسجَّان : اذهب إليه فقل له : إن هاهنا رجلا عنده علمُ رؤياك وتأويلها .

فذهب إليه فأعلَمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له . فقال له : مامنعك من السجود لى ؟ فقال : إن الله آتانى علماً وعلَّمنى وأمرنى أن لا أسجد لغيره . فقال له بختنصر : إنى أحب الذين يوفون لأربابهم بالعهود . فأخبرنى عن رؤياى .

قال له دانيال : رأيتَ صنماً عظيماً رِجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينا أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنُه و إحكامُ صنعتِه قذفه الله بحجرَ من السماء ، فوقع على قمة رأسه حتى طحنه

واختلاط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ، حتى تخيّل لك أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يَميزوا بعضه من بعض لم يَقْدروا على ذلك . ونظرتَ إلى الحجر الذى قُذِف به يَرْبو ويَعْظم وينتشر ، حتى ملأ الأرض كلَّها فصرتَ لا ترى إلا الحجر والسماء .

فقال له بختنصر : صدقتَ ، هذه الرؤيا التى رأيتُها ، فما تأويلها ؟

فقال دانيال : أما الصنم فأممٌ مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره ؛ وأما الحجر الذى قُذِف به الصنم فدينٌ يَقْذف الله به هذه الأمم فى آخر الزمان فيُظْهره عليها ، فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوّخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوّخ أصناف الصنم ، ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحّص الله به الحق ويُزْهق به الباطل ويَهْدِى به أهل الضلالة ، ويعلّم به الأميين ويقوى به الضَّعَفة ويعزُّ به الأذلة ، وينصر به المستضعفين .

وذكر تمام القصة فى إطلاق بختنصر بنى إسرائيل على يدى دانيال عليه السلام .

* * *

وذكر الواقدى بأسانيده عن المغيرة بن شعبة فى قصة وفوده على المقوقس ملك الإسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من سؤال هرقل لأبى سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى فى الكنائس عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه عن ذلك ، وهى قصة طويلةٌ ذكرها الحافظ أبو نعيم فى الدلائل(١) .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بِمِدْرَاس(٢) اليهود فقال

---

(١) دلائل النبوة .
(٢) المدراس : هو البيت الذى يقرأ فيه اليهود كتبهم . وفى ط : بمدارس ، وهو تحريف .

لهم : « يامعشر اليهود أسلموا ، فو الذى نفسى بيده إنكم لتجدون صفتى فى كتبكم » الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن ، ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً ، وحِرْزاً للأمِّيين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكِّل ، لَافظٌّ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتح به أعيناً عُمْياً وآذانا صُمّاً وقلوبا غُلفا .

ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح به .

ورواه أيضاً عن عبد الله — قيل بن رجاء ، وقيل ابن صالح — عن عبد العزيز بن أبى سلمة ، عن هلال بن عَلُّوية ، ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير من حديث فليح ، عن هلال عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فلقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا . وقال : « فى البُيوع » . وقال : سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام .

قال الحافظ أبو بكر البَيْهقى : أخبرناه أبو الحسين بن المفضَّل القَطَّان ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا اللَّيث ، حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن سَلَام أنه كان يقول : إنا لَنَجدُ صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق ، ولا يجزى السيئةَ بمثلها ولكن يعفو و يتجاوز ، ولن يقبضه

حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، يفتح به أعيناً عميًا وآذانا صمّا وقلوبا غلفاً .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثى أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ماقال ابن سَلَام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أَشْبَه ، ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتَيْن من كتب أهل الكتاب ، وكان يحدث عنهما كثيراً .

وليُعْلَم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون « التوراة » على كُتُب أهل الكتاب ، فهى عندهم أعمّ من التى أنزلها الله على موسى . وقد ثَبَتَ شاهدُ ذلك من الحديث .

وقال يونس : عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن ثابت بن شرحبيل ، عن ابن أبى أَوْفَى ، عن أم الدَّرْداء : قالت : : قلت لكعب الأحبار : كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟

قال : نجده : محمد رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، وأعطِى المفاتيح ، فيبصِّر الله به أعيناً عوراً ، ويُسْمع آذانا وُقْراً ، ويقيم به ألسنا معوجّة ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له ، يعين به المظلوم ويمنعه .

وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه .

وروى البيهقى ، عن الحاكم ، عن أبى الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حدثنا عُتْبَة بن مُكْرم ، حدثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم ، حدثنا حمزة بن الزيات ، عن سليمان الأعمش ، عن على بن مُدْرِك ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة (وما كنتَ بجانب الطُّور

إذ نادَيْنا) قال : نودوا : ياأمة محمد استجبتُ لكم قبل أن تدعونى ، وأَعْطيتكم قبل أن تسألونى .

وذكر وهب بن منبِّه أن الله تعالى أوحى إلى داود فى الزبور : ياداود إنه سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد ، صادقا سيداً لا أغضب عليه أبدا ، ولا يُغْضبنى أبداً ، وقد غفرتُ له قبل أن يعصينى ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وفرضت عليهم الفرائض التى افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء .

إلى أن قال : ياداود إنى فضَّلت محمداً وأمته على الأمم كلها .

***

والعلمُ بأنه موجود فى كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورةً ، وقد دل على ذلك آياتٌ كثيرة فى الكتاب العزيز تكلمنا عليها فى مواضعها ولله الحمد .

فمن ذلك قوله (الذين آتيناهم الكتاب مِنْ قَبْله هم به يؤمنون ، وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنَّا به إنه الحقُّ مِنْ ربنا إنا كنا من قبله مسلمين)(١) .

وقال تعالى : (الذين آتيناهم الكتابَ يَعْرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنَّ فريقاً منهم ليَكْتُمون الحقَّ وهم يَعْلَمُون)(٢) .

وقال تعالى (إنَّ الذين أُوتوا العلم مِنْ قَبْله إذا يُتْلى عليهم يَخِرُّون للأَذْقَانِ سُجَّداً ويقولون سُبْحان رَبِّنا إنْ كان وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً(٣)) أى إن كان وعدنا ربنا بوجود محمد وإرساله لكائن لا محالة . فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شىء .

وقال تعالى إخباراً عن القسيسين والرهبان : (وإذا سَمِعوا ما أُنزل إلى الرسول

---

(١) سورة القصص ٥٢، ٥٣ (٢) سورة البقرة ١٤٦ (٣) سورة الإسراء ١٠٧، ١٠٨

تَرَى أَعْيُنهم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْـعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يقولون رَبَّنا آمَنَّا فاكْتُبنا مَعَ الشاهدين[١]) .

وفى قصة النجاشى وسلمان وعبد الله بن سَلاَم وغيرهم . كما سيأتى شواهد كثيرة لهذا المعنى . ولله الحمد والمنة .

وذكرنا فى تضاعيف قصص الأنبياء[٢] وَصْفهم لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعتــه وبلد مولده ودار مُهَاجَره ونعت أمته ، فى قصة موسى وشَعْيا وأرميـاء ودانيال وغيرهم .

وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بنى إسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم أنه قام فى بنى إسرائيل خطيبا قائلا لهم : (إنى رسولُ الله إليكم مُصَدِّقاً لما بَيْن يَدَىَّ من التوراةِ ومُبَشِّراً برسولٍ يأتى مِنْ بَعْـدى اسمُهُ أحمد[٣]) .

وفى الإنجيل البشارة بالفارقليط ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصَمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بـكَير ، عن يونس بن عمرو ، عن العيزار بن حرب ، عن عائشة رضى الله عنها أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قال « مكتوبٌ فى الإنجيل لا فَظٌّ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولايجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح » .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا فيض البَجَلى ، حدثنا سلام بن مسكين ، عن مقاتل بن حيان قال : أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم : جِدَّ فى أمرى واسمع وأطِـعْ يا ابن الطاهرة البكر البتول ، أنا خلقتك من غير فَحْل فجعلتك آية للعالمين ، فإياى فاعبدْ . فبيِّن لأهل سوران بالسريانية ، بلِّغ مَنْ بين يديك أنى أنا الحق القائم

(١) سورة المائدة ٨٣ .
(٢) وذلك فى الجزء الأول من البداية والنهاية
(٣) سورة الصف ٦ .

الذى لا أزول ، صَدِّقوا بالنبى الأمى العربى صاحب الجَمَل والمِدْرعة والعمامة ، وهى التاج ، والنعلين ، والهراوة ،وهى القضيب ، الجَعْد الرأس، الصَّلت[(١)] الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأَنْجَل العينين ، الأَهْدب الأشفار ، الأدْعَج العينين ، الأَقْنَى الأنف ، الواضح الخدَّين ، الـكَثّ اللحية ، عَرَقه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريح المسك ينضح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجرى فى تراقيـه ، له شعرات من لبته إلى سُرّته تجرى كالقضيب ، ليس فى بطنه شعرٌ غيره ، شثن[(٢)] الـكفّ والقدم ، إذا جاء مع الناس غَمَرهم ، وإذا مشى كأنمـا يتقلّع من الصخر ويتحدَّر من صَبَب ، ذو النسل القليل ـ وكأنه أراد الذكور من صلبه .

هكذا رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان .

وروى البيهقى عن عثمان بن الحـكم بن رافع بن سنان[(٣)] حـدثنى بعض عمومتى وآبائى أنهم كانت عنـدهم ورقة يتوارثونها فى الجاهلية حتى جاء الله بالإسـلام وبقيتْ عندهم ، فلمـا قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسـلم المدينة ذكروها له وأتوه بها مكتوب فيها : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب . هذا الذِّكـر لأمة تأتى فى آخر الزمان ، يغسلون[(٤)] أطرافهم ويأتزرون[(٥)] على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أُهلـكوا بالطوفان ، وفى عاد ما أهلـكوا بالريح ، وفى ثمود ما أهلـكوا بالصيحة . بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب . ثم ذكر قصة أخرى . قال فعجب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لِمَا قرأت عليه فيها .

---

(١) الصلت : الواضح (٢) أى غليظ أصابعهما . وذلك جمال فى الرجال . (٣) رواه ابن الجوزى فى الوفا : عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس . قال : كان عند أبى أو عند جدى ورقة توارثونها قبل الإسلام بزمان . (٤) الأصل : ليبلون . وما أثبته عن الوفا لابن الجوزى .
(٥) المطبوعة : ويوترون ، وهو تحريف .

وذكرنا عند قوله تعالى فى سورة الأعراف (الذى يَجِدُونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل) قصة هشام بن العاص الأموى ، حين بعثه الصديق فى سرية إلى هرقل يدعوه إلى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الأنبياء فى رُقعة من آدم إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين ، على النعت والشكل الذى كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم قام قائما إكراما له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال : فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يريه جميع الأنبياء من ذريته[1] ، فأنزل عليه صورهم ، فكان فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسى قد طابت بالخروج من مُلْكى وأنى كنت عبداً لأشَرِّكم مِلْكة حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا .

فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال : فبكى وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نَعْتَ محمد عندهم .

رواه الحاكم بطوله . فليكتب هاهنا من التفسير . ورواه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن إسحاق قال : وحدثنى يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية قال : قدِمت برقيق من عند النجاشى أعطانيهم فقالوا لى : يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن تخبرنا ، فمرَّ أبو بكر فقلت أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمرَّ عمر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا :

(١) خ ط : من ذلك وهو تحريف .

لا . فدخلنا الدار فمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم فنادونى : يا عمرو هذا رسول الله صلى الله عليه وسـلم . فنظرت فإذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم .

وقد تقدم إنذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى شعر أسلفناه فى ترجمتـه . فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الحبرين من اليهود لتُبَّع اليمانى حين حاصر أهل المدينـة أنها مُهَاجر نبي يكون فى آخر الزمان . فرجـع عنها ونظم شعراً[1] يتضمن السلام على النّبيّ صلّى الله عليه وسلم .

(١) هذا الشعر المنسوب إلى تبع مختلق مصنوع كما حقق ذلك بعض الباحثين ، لأنه كان من حمير ولسانهم غير لسان عدنان .

قصة سيف بن ذى يزن الحميرى
وبشارته بالنبى الأمى

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه « هواتف الجان » حدَّثنا على بن حَرْب ، حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدثنا عمرو بن بكر – هو ابن بَكار القَعْنَبى – عن أحمد بن القاسم ، عن محمد بن السائب الكَلبى ، عن أبى صالح ، عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذى يزن – قال ابن المنذر : واسمه النعمان ابن قيس – على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسولِ اللهُ صلّى الله عليه وسلم بسنتين أتته وفود العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتَذْكر ما كان من حسن بلائه .

وأتاه فيمن أتاه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدْعان ، وخُويلد بن أسد، فى أناس من وجوه قريش . فقَدِموا عليه صنعاء ، فإذا هو فى رأس غُمْدان الذى ذكره أمية بن أبى الصلت :

واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً   فى رأسِ غُمْدان داراً منك مِحْلَالاً

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم فأذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذِنَّا لك . فقال له عبد المطلب : إن الله قد أحلَّك أيها الملك محلاً رفيعا صعباً مَنِيعا ، شامخا باذخا ، وأنْبَتَك مَنْبتاً طابت أرومته وعزَّت(١) جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم موطن وأطيب معدن ، فأنت – أبيت اللعن – ملك العرب، وربيعها الذى تُخصب به البلاد ، ورأس العرب الذى له تَنْقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومَعْقِلها الذى يلجأ إليه العباد . وسلفك خير سلف ،

(١) الأصل : وعذيت . وما أثبته عن الاكتفا للكلاعى ١/١٧٩ .

وأنت لنا منهم خير خلف . فلن يخمل[1] من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدَنة بيته ، أشْخصنا إليك الذى أبهجك[2] مِن كَشف الكرب الذى قد فَدَحنا [فنحن][3] ، وفد التهنئة لا وفد المَرْزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم .

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال ادن[4]. فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلا وناقة ورَحْلا ، ومُسْتَناخا سهلا ، ومِلكا ربَحْلاً[5] يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم .

ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يَصِلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطاب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال : ياعبد المطلب إنى مُفض[6] إليك من سرِّ عِلْمى ما لو يكون غيرُك لم أبُحْ به . ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطويًّا حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اختزَنَّاه[7] لأنفسنا واحتجَبْناه[8] دون غيرنا خبراً عظيما ، وخطراً جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك مِثْلُك سَرَّ وبَرَّ ، فما هو ، فداؤك أهل الوبر زمراً بعد زمر ؟

---

(١) الاكتفا : فلم يخمل من أنت سلفه . وفى دلائل النبوة : فلم يخمل ذكر من أنت سلفه .
(٢) الاكتفا : أبهجنا . (٣) سقطت من الأصل والمطبوعة . (٤) الاكتفا : ادنه .
(٥) ربحلا : كثير العطاء . (٦) الاكتفا والدلائل : إنى مفوض ، وهو الأصح . وفى الاكتفا : من سنى (٧) ط : اخترناه . (٨) ط : احتجناه ، وهو تحريف .

قال : إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامَة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبيتَ اللعن ، لقد أُبْتُ بخير ما آب به وافدٌ ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياى ماأزداد به سرورا .

قال ابن ذى يَزَن : هذا حينه الذى يولَد فيه أوقد ولد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، و يكفله جده وعمه ، ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعزُّبهم أولياءه و يذل بهم أعداءه ، و يضرب بهم الناس عن عَرْض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان و يُخْمد النيران ، يعبد الرحمن ويَدْحر الشيطان ، قوله فَصْل ، وحُكمه عَدْل ، يأمر بالمعروف و يفعله ، وينهى عن المنكر و يبطله .

فقال عبد المطلب : أيها الملك ـ عَزَّ جَدُّك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عمرك [فهذا نِجَارى](١) فهل الملك سار(٢) لى بإفصاح فقد أوضح لى بعض الإيضاح .
فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على النُّصُب(٣) إنك ياعبد المطلب لجدُّه غير كذب

فخرَّ عبدُ المطلب ساجدا فقال : ارفع رأسك ، ثَلُج صدرُك ، وعلا أمرك ، فهل أحسستَ شيئا مما ذكرت لك ؟

فقال : أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجَباً وعليه رفيقا ، فزوَّجته كريمةً من كرائم قومه آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، فمات أبوه وأمه وكفلتهُ أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلتُ لك كما قلتَ ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود،

---

(١) ليست فى الاكتفا ولا فى الدلائل ولا فى الوفا . والنجار : الأصل . (٢) المراجع : سارى .
(٣) ط خ : النقب وهو تحريف . وما أثبته عن المراجع السابقة .

فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، واطْوِ ماذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنى لست آمَنُ أن تدخل لهم[١] النفاسة من أن تكون لكم الرياسة ، فيطلبون له الغوائل ، و ينصبون له الحبائل ، فهم[٢] فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا أنى أعلم أن الموت مُجْتاحى قبلَ مَبْعثه لسِرْت بخيلى ورَجِلى حتى أصير بيثرب دار مملكته[٣] ، فإنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أقيه الآفات وأحْذر عليه العاهات لأعلنتُ على حداثة سنه أمرَه ولأوطأت أسنان العرب عَقِبَه ، ولكنى صارفٌ ذلك إليك عن[٤] غير تقصير بمن معك .

قال : ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أَعْبد وعشرة إماء و بمائة من الإبل وحُلَّتين من البرود و بخمسة أرطال من الذهب وعشرة أرطال فضة وكَرِش مملوء عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له : إذا حال الحول فائتنى ، فمات ابن ذى يزن قبل أن يَحُول الحول .

فكان عبدالمطلب كثيراً مايقول : [يامعشرقريش][٥] لا يَغْبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك [و إن كثر][٥] فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى من بعدى ذِكرُه وفَخْره وشرفه .

فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيُعلم ولو بعد حين .

قال : وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس[٦] :

---

(١) المراجع : أن تدخلهم . (٢) الاكتفا : وهم . (٣) الاكتفا : دار ملكه .
(٤) الاكتفا : عن . (٥) من الاكتفا . (٦) الأبيات فى الوفا لابن الجوزى باختلاف

جَلَبْنا النُّصحَ تَحقِبه(١) المطايا ... على أكْوَارِ أجمالٍ ونُوقِ
مُقَلَّفَةٌ مراتعهـا تعالَى ... إلى صنعاء من فَجٍّ عميق(٢)
تؤمُّ بنا ابنَ ذى يزن وتفرى ... بذات بطونها ذم(٣) الطريق
وتَرْعَى مِنْ مَخايله بُروقاً ... مُوَاصِلَةَ الوَميضِ إلى بُرُوقِ
فلمَّا واصلَتْ صنعاءَ حَلَّت ... بدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيقِ

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بَكَّار القَعْنَبى .

ثم قال أبو نعيم(٤) : أُخبرت عن أبى الحسن على بن إبراهيم بن عبد ربه بن محمد ابن عبد العزيز بن عفير بنِ عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زُرْعة بن سيف بن ذى يَزَن ، حدثنى أبى أبو يزن إبراهيم ، حدثنا عمى أحمد بن محمد أبو رجاء به ، حدثنا عمى محمد بن عبد العزيز ، حدثنى عبد العزيز بن عفير ، عن أبيه ، عن زُرْعة بن سيف بن ذى يزن الحِمْيرى قال : لما ظهر جدِّى سيفُ بن ذى يزن على الحبشة . وذكره بطوله .

وقال أبو بكر الخرائطى : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القلوسى ، حدثنا العلاء ابن الفضل بن أبى سَوِيَّة ، أخبرنى أبى عن أبيه عبد الملك بن أبى سَوِية ، عن جده أبى سوية ، عن أبيه خليفة قال : سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواءة بن خثعم بن سعد فقلت : كيف سماك أبوك محمداً ؟ فقال : سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال : خرجتُ رابعَ أربعة من بنى تميم أنا منهم ، وسفيان بن مُجَاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جُنْدب ابن العقيد ، ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، ونحن نريد ابن جَفْنة ملك غَسَّان ، فلما شارَفْنَا الشامَ نزلنا على غدير عليه شجرات فتحدَّثْنا ، فسمع كلامنا راهبٌ ، فأشرَفَ علينا فقال : إن هذه لغةٌ ماهى بلغة هذه البلاد . فقلنا : نعم نحن قومٌ من مُضَر ،

(١) الأصل : تحقبه . (٢) المراتع : جمع مرتع . ومقلفة : بها القلفة بالكسر وهو ضرب من النبات أخضر له ثمرة صغيرة تحرص عليها الإبل . (٣) الوفا : أم الطريق . (٤) ليس فى دلائل أبى نعيم المطبوعة .

قال : من أى المضرين ؟ قلنـــا : من خِنْدف . قال : أمَا إنه سيبعث وشيكا نبى خاتم النبيين ، فسارعوا إليه وخـذوا بحظـكم منـه ترشدُوا . فقلنـا له : ما اسمـه ؟ قال : اسمـه محمد .

قال : فرجعنا من عند ابن جفْنة فولِد لـكل واحد منا ابن فسماه محمداً .

يعنى أن كل واحد منهم طمع فى أن يكون هذا النبي المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، حدثنا حازم بن عقال ابن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبى الحصَين بن السَّمَوْأَل بن عاديا ، حدثنى جابر بن جدَّان ابن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين بن السموأل بن عاديا قال : لما حضرت الأوسَ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاةُ ، اجتمع إليه قومه من غَسَّان فقالوا : إنه قـد حضَرَك من أمر الله ماترى ، وكنا نأمرك بالتزوج فى شبابك فتأبى ، وهـذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك . فقال : لن يهْلك هالكٌ ترك مثلَ مالك ، إن الذى يُخْرِج النار من الوَثِيمَة[١] قادر أن يجعل لمالك نسلاً ورجالا بُسْلاً ، وكلٌّ إلى الموتِ .

ثم أقبل على مالك وقال : أىْ بنى : المنيةُ ولا الدنيَّةُ ، العِقاب ولا العِتاب ، التجلدُ ولا التلدُّد ، القبر خيرٌ من الفقر ، إنه من قَلَّ ذَلَّ ، ومن كَرَّ فَرَّ ، مِنْ كَرم الـكريم الدَّفْعُ عن الحريم . والدهرُ يومان : فيومٌ لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبْطَرْ ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينْحسر ، ليس يثبت منهما الملك المتوَّج ، ولا اللئيم المُعَلْهَج[٢] ، سلِّم ليومك حيَّاك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدتُ السَّبَــــايا يومَ آل محرِّق ... وأَدْرَكَ عُمرى[٣] صيحةَ الله فى الحِجْرِ

(١) الوثيمة : الحجارة . (٢) المعلهج : الرجل الأحمق الهذر اللئيم . اللسان ٣/١٥٢
(٣) كذا فى ا والخصائص . وفى المطبوعة : أمرى .

فلم أر ذا مُلك من الناس واحداً ... ولا سُوقةً إلا إلى الموتِ والقبرِ
فعَلَّ الذى أرْدَى ثموداً وجُرْهماً ... سيُعْقب لى نَسْلاً على آخر الدهر
تقَرُّ بهم من آلِ عمرو بن عامرٍ ... عيونٌ لَدَى الداعى إلى طَلَب الوِتْرِ
فإنْ لم تكُ الأيام أبْلَيْن جِدَّتى ... وشَيَّبْنَ رأسى والمشيبُ مع العُمْرِ
فإنَّ لنا رَبًّا عَلَا فوق عَرْشه ... عليماً بما يأتى من الخيرِ والشرِّ
ألم يأتِ قومى أنَّ لله دعوةً ... يفوزُ بها أهلُ السعادة والبرِّ
إذا بُعِث المبعوثُ من آل غالبٍ ... بمكة فيما بَيْن مكة والحِجْرِ
هنالك فابغُوا نَصْرَه ببلادكم ... بنى عامرٍ إنَّ السعادةَ فى النصرِ

قال : ثم قضى من ساعته .

باب فى هواتف الجان

وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان[1]

وقد تقدم كلام شِقٍّ وسَطِيح لربيعة بن نصر ملك اليمن فى البشارة بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رسولٌ زكىّ يأتى إليه الوحىُ من قِبَل العَلِىّ » .

وسيأتى فى المولد قول سَطِيح لعبد المسيح : « إذا كَثُرت التلاوة ، وغاضت بُحيرة ساوَة . وجاء صاحب الهِرَاوة » يعنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى بيانه مفصلا[2] .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان الجُعْفى ، حدثنى ابن وهب ، حدثنى عمرو – هو محمد بن زيد – أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال : ماسمعت عمر يقول لشىءٍ قط : « إنى لأظنه » إلا كان كما يَظُن .

بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه فى الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، علىَّ الرجلُ .

فدعِى به . فقال له ذلك فقال : مارأيتُ كاليوم أستقبل به رجلاً مسلماً .

---

(١) كان القدماء رحمهم الله يحتفلون بالغيبيات التى كانت تجد لدى العامة قبولا ورواجاً ، ولكنها لم تكن تستحق هذا الاحتفال ، وليس لها من الناحية العلمية وزن ، إذ أن فيها مجالا واسعاً للتخيل والاختلاق وأهم من ذلك أن الإسلام وهو دين يعتمد فى صحته على حقائق الحياة وشهادة التاريخ لا يحتاج فى إثباته وصدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان ، وخاصة أن الإسلام أبطل الكهانة وقضى عليها ، فكيف يستشهد بأقوال الكهان على صدقه أو تنطق الأوثان بصحته ؟ !

(٢) ليس فى ا .

قال : فإنى أَعْزم عليك إلا ماأخبرتنى . قال : كنتُ كاهنَهم فى الجاهلية ، قال : فما أعجبُ ماجاءتك به جنِّيتك ؟

قال : بينما أنا فى السوق يوماً جاءتنى أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم ترَ الجنَّ وإبْلاسها ، ويأسها من بعد أنكاسها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها ؟

قال عمر : صَدَق ، بَيْنا أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بِعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه ، يقول : ياجليح ، أمرٌ نجيح رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا . ثم نادى : ياجليح أمرٌ نجيح ، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله . فقمت فما نَشْبنا أن قيل هذا نبى .

تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سَوَاد بن قارِب الأَزْدى ، ويقال السَّدُوسى من أهل السَّراة من جبال البَلْقاء له صحبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن مَنْدَه : روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بنِ على ، وقال البخارى : له صحبة . وهكذا ذكره فى أسماء الصحابة أحمدُ ابن روح البَرْذعى الحافظ ، والدار قطنى ، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى : سوادُ بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصى : عن محمد بن كعب القرظى : كان من أشراف أهل اليمن .

ذكره أبو نعيم فى الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه أخر مطولة بالبسط من رواية البخارى .

***

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن

عفان أنه حدّث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال : إن الرجل لَعَلَى شِرْكه مافارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا فى الجاهلية .

فسلَّم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خِلْتَ فىَّ واستقبلتنى بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيّتك منذ وليتَ ماوليت .

فقال عمر : اللهم غَفْرا ، قد كنا فى الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام .

قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا فى الجاهلية .

قال : فأخبرنى ماجاء به صاحبك . قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه (١) فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن إسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر .

فقال عمر : عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعِنْد وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قَسْمه أن يقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ماسمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه يقول : ياذَرِيح ، أمر نجيح ، رجل يصيح يقول لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول لا إله إلا الله .

---

(١) أى دونه بقليل، وشيع كل شىء : ما هو له تبع .

قال : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

عجبتُ للجن وإبْلاَسهـــا وشَدِّهـــا العيسَ بأحلاسها

تَهْوى إلى مكة تبْغِي الهُدَى ما مُؤْمنو الجن كأنجاسهـــا

وقال الحافظ أبو يَعْلى المَوْصلى : حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامى ، حدثنا على ابن منصور الأنبارى ، عن محمد بن عبد الرحمن الوَقَّاصى ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجـل ، فقيـل : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المارَّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب ، الذى أتاه رِئِيُّه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فأرسل إليه عمر فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

قال : فغضب وقال : ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمتُ يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : ياسبحان الله ! ما كنا عليه من الشِّرْك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، فأخبرنى ما أنبأك رَئِيُّك (١) بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظـان إذ أتانى رَئِيِّ فضربنى برجله وقال : قُمْ ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنِّ وتِطْلابهـــــا وشَـــدِّها العِيسَ بأقتابها

تَهْوى إلى مكة تَبغِي الهُدَى ما صادقُ الجن ككَذَّابهـــا

فارحَـلْ إلى الصفوةِ مِنْ هاشم ليس قُدَاماها كأذنابهـــا

(١) فأخبرنى بإتيانك رئيك .

قال : قلت دعنى أنام فإنى أمسيت ناعساً .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال : قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل، إنه بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجن وتِخْبارها[1] وشَدِّها العيسَ بأكوارها
تَهْوِى إلى مكة تَبْغِى الهُدَى ما مؤمنو الجن كَكُفَّارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين رَوَابيها وأحجارِها

قال : قلت دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما كانت الليلة الثالثةأتانى فضربنى برجلهوقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتى، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتِحْساسها وشَدِّها العيسَ بأحلاسها
تَهْوِى إلى مكة تَبْغِى الهُدَى ما خَيِّرُ الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسْمُ بعينيك إلى راسها

قال : فقمت وقلت : قد امتحن الله قلبى ، فرحَّلْت ناقتى ، ثم أتيت المدينة – يعنى مكة – فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتى يارسول الله . قال : هات . فأنشأت أقول :

أتانى نَجِيٌّ بعد هَدْء ورَقْدَةٍ ولم يَكُ فيما قد بَلَوْتُ[2] بكاذبٍ
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاكَ رسول من لؤى بن غالبٍ

---

(١) المطبوعة : وتحيارها . وهو تحريف . وما أثبته من ا .
(٢) خ ط : قلوت . وهو تحريف ، وما أثبته من الاكتفا

فشمَّرت عن ذيلى الإزارَ ووسَّطت ‏ بى الذعلب الوجناء عَــبر السباسبِ
فأشهد أن الله لا شىء غــــيره ‏ وأنك مأمونٌ على كل غائب [1]
وأنك أدنى المرسلين وسيــــلة ‏ إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمُرْنا بما يأتيك ياخــيرَ مَنْ مَشَى ‏ وإنْ كان فيما جاء شَيْبُ الذوائبِ
وكُنْ لى شفيعاً يوم لاذو شفاعــة ‏ سِوَاك بمُغْنٍ عن سوادِ بن قاربِ

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتى فرحاً شديداً ، حتى رُئى الفرح فى وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنت أشتهى أن أسمع هـذا الحديث منك ، فهل يأتيك رَئِيُّك اليوم .

قال : أمَّا منذ قرأت القرآن فلا ، ونِعْمَ العِوَض كتابُ الله من الجن .

ثم قال عمر : كنا يوماً فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه ، إذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا ، قال : ياآل ذريح ، أمرٌ نجيح ، صائح يصيح ، بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله .

وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخارى . وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه الذى جمعه فى هواتف الجان : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدِّب ، حدثنا محمد بن عمران بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، حدثنا سعيد بن عبيد الله الوَصَّابى [2] ، عن أبيه ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : دخل سوادُ بن قارِب السَّدُوسى على عمر بن الخطاب رضى الله

---

(١) الأصل غالب . وما أثبته عن الدلائل والوفا .

(٢) نسبة إلى وصاب بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل .

عنه فقال : نشدتك بالله ياسواد بن قارب ، هل تحسن[1] اليوم من كهانتك شيئاً .

فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، ما استقبلتَ أحداً من جلسائك بمثل ما استقبلتنى به .

قال : سبحان الله ياسواد: ما كنا عليه من شِرْك كنا أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك، والله ياسواد لقد بلغنى عنك حديث إنه لعجب من العجب .

قال : إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب . قال: فحدِّثنيه .

قال : كنتُ كاهناً فى الجاهلية ، فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتانى نجِيٌّ فضربنى برجله ثم قال : يا سواد اسمع أقل لك ، قلت: هات . قال :

عجبت للجن وإيجاسها[2] ورَحْلِها العيسَ بأحلاسها
تَهْوِى إلى مكة تَبْغِى الهدَى ما مُؤْمنوها مثلُ أرجاسها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ واسْمُ بعينيك إلى رأسها

قال : فنمتُ ولم أَحْفل بقوله شيئاً . فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ثم قال لى : قم يا سواد بن قارب اسمع أقل لك . قلت : هات . قال :

عجبتُ للجنِّ وتِطْلابها وشَدِّها العيسَ بأَقْتَابها
تَهْوِى إلى مكة تَبغى الهُدَى ما صادقُ الجنِّ ككذابها
فارحل إلى الصفوةِ من هاشمٍ ليس المقاديم كأذنابها

قال : فحرَّك قوله منى شيئاً ، ونمتُ . فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله ثم قال : يا سواد بن قارب أتعقل أم لا تعقل ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبى يدعو إلى عبادة ربه فالحقْ به ، اسمع أقل لك . قلت : هات . قال :

---

(١) لعلها : هل تحس . بدليل قوله بعد : هل تحس اليوم منها بشىء .
(٢) ط : وأنجاسها .

عجبتُ للجن وتنفْارها ... ورَحْلها العيس بأكوارها
تَهْوِى إلى مكة تبْغى الهُدَى ... ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ... بين روابيها وأحجارها

قال : فعلمت أن الله قد أراد بى خيراً . فقمت إلى بردة لى ففتقتها ولبستها ووضعت رجلى فى غَرْز ركاب الناقة ، وأقبلت حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فعرض علىَّ الإسلام فأسلمت ، وأخبرته الخبر فقال : « إذا اجتمع المسلمون فأخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت :

أتانى نَجِيِّى بَعْدَ هَدْءٍ ورَقْدة ... ولم يَكُ فيما قد بلوتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاك رسولٌ مِنْ لُؤَىِّ بن غالبِ
فشمَّرْت عن ذَيْلِى الإزار ووسَّطت ... بى الذِّعلبُ الوَجْناء عَبْرَ السباسب (١)
وأعلمُ أنَّ الله لا ربَّ غيرُه ... وأنك مأمونٌ على كل غائبِ
وأنك أَدْنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله ياابن الأكرمين الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيك يا خيرَ مُرْسَلٍ ... وإن كان فيما جاء شيبُ الذوائبِ

قال : فسُرَّ المسلمون بذلك .

فقال عمر : هل تحس اليوم منها بشىء ؟ قال : أما إذ علمنى الله القرآن فلا .

وقد رواه محمد بن السائب الكلبى عن أبيه عن عمر بن حفص قال : لما ورد سواد بن قارب على عمر قال : يا سواد بن قارب ما بقى من كهانتك ؟

فغضب وقال : ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً من العرب بمثل هذا .

---

(١) الذعلب : الناقة السريعة ، والوجناء : الشابة . والسباسب : جمع سبسب وهى الفلاة . هذا ، وقد حرفت فى الأصل : غير السباسب .

فلما رأى ما فى وجهه من الغضب ، قال : أنظر سواد . لَلّذى كنا عليه قبلَ اليوم من الشرك أعظمُ . ثم قال : يا سواد حدِّثنى حديثاً كنت أشتهى أسمعه منك .

قال : نعم ، بينا أنا فى إبل لى بالسَّراة ليلاً وأنا نائم ، وكان لى نجىٌّ من الجن أتانى فضربنى برجله فقال لى : قم يا سواد بن قارب فقد ظهر بتهامة نبى يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم . فذكر القصة كما تقدم وزاد فى آخر الشعر :

وكُنْ لى شفيعاً يوم لا ذو قرابةٍ سواكَ بمغنٍ عن سوادِ بن قاربِ

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « سِرْ فى قومك وقُلْ هذا الشعر فيهم » .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن ، عن الحكم بن يَعْلى بن عطاء المحاربى ، عن عَبَّاد بن عبد الصمد ، عن سعيد بن جبير ، قال : أخبرنى سواد بن قارب الأزدى قال : كنت نائما على جبل من جبال السَّراة فأتانى آت فضربنى برجله . وذكر القصة أيضاً .

ورواه أيضاً من طريق محمد بن البَرَاء ، عن أبى بكر بن عياش ، عن أبى إسحاق ، عن البراء . قال : قال سواد بن قارب : كنت نازلا بالهند فجاءنى رِئِيٌّ ذات ليلة فذكر القصة . وقال بعد إنشاد الشعر الأخير : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : « أفلحت يا سواد » .

وقال أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن ، حدثنا على بن حرب ، حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العُمانى قال : كان منا رجل يقال له مازن بن العضوب [1] يَسْدِن صنما بقرية يقال لها سمايا ، من عُمَان ، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو حطامة

(١) الدلائل : العضوبة

ومُهرة وهم أخوال مازن ، أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص (١) أحد بنى نمران .

قال مازن : فعَتَرْنا يوما عند الصنم عتيرةً ، وهى الذبيحة ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : يا مازن اسمع تُسَرّ ، ظهر خير وبَطَن شر ، بُعث نبى من مُضَر ، بدين الله الأكبر ، فدَعْ نحيتا من حجر ، تسلم من حَرِّ سَقَر .

قال : ففزعت لذلك فزعاً شديداً .

ثم عتَرْنا بعد أيام عَتيرة أخرى ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : أقبل إلىَّ أقبل ، تَسْمع ما لا تجهل ، هذا نبى مرسل ، جاء بحق مُنْزل ، فآمِنْ به كى تَعْدِل ، عن حر نار تُشْعل ، وقودها الجندل .

قال مازن : فقلت إن هذا لعَجَب ، وإن هذا لخيرٌ يُراد بى ، وقدم علينا رجل من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت . فثُرْت إلى الصنم فكسرته جُذَاذا وركبت راحلتى حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدرى للإسلام ، فأسلمت ، وقلت :

كَسَّرتُ ياجُرَ أَجْذَاذاً (٢) وكان لنا ربًّا نُطِيف به ضَلاًّ بتضلالِ
بالهاشمىِّ هدانا من ضلالتنا ولم يكن دِينه منِّى على بالِ
يا راكباً بَلِّغن عَمْراً وإخوتها أنى لِمَنْ قال ربِّى ياجُرٌ قالِى

يعنى بعمرو : الصامت . وإخوتها : حطامة .

---

(١) دلائل النبوة : حويص بالحاء .

(٢) الأصل باجرا . وهو تحريف . وما أثبته عن الاكتفا للكلاعى . وفى الدلائل محرفة : باجرا . والأجذاذ : جمع الجذ بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع .

فقلت : يا رسول الله إنى امرؤ مولَع بالطرب وبالهلوك إلى النساء وشرب الخمر ، وألّحت علينا السِّنون فأذْهَبْن الأموال وأهزَلْن السرارى ، وليس لى ولد ، فادعُ الله أن يذهب عنى ما أجد ويأتينا بالحياء ، ويَهَب لى ولد .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم أَبْدِله بالطَّرَب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال وبالأثم وبالعُهْر عفةً ، وآته بالحياء، وهَبْ له ولدا » .

قال فأذهب الله عنى ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجتُ أربع حرائر ، وحفظت شَطْر القرآن ، ووهب لى حَيَّان بن مازن . وأنشأ يقول :

إليك رسول الله خَبَّتْ مَطِيَّتى ... تجوب الفيافى مِنْ عُمَان إلى العَرْج
لتَشْفَع لى ياخَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... فيَغْفِر لى ربى فأرجـع بالفَلْج (١)
إلى معشر خالفتُ فى الله دينهم ... فلا رأيهم رأيى ولا شَرْجُهم شَرْجى (٢)
وكنت امرءًا بالخمر والعُهْر مُولعاً ... شبابى حتى آذنَ الجسمُ بالنهج
فبدَّلنى بالخمـر خوفاً وخشيةً ... وبالعُهْر إحصانا فحصَّن لى فَرْجى
فأصبحتُ هَمِّى فى الجهاد ونيتى ... فلله ما صَوْمى ولله ما حَجِّى

قال : فلما أتيت قومى أنَّبونى وشتمونى ، وأمروا شاعرا لهم فهجانى ، فقلت إن رددت عليه فإنما أهجو نفسى .

فرحلت عنهم فأتتنى منهم زلفة عظيمة ، وكنت القيِّم بأمورهم ، فقالوا : يا ابن عم : عِبْنا عليك أمرا وكرهنا ذلك ، فإن أبيت ذلك فارجع وقُمْ بأمورنا ، وشأنك وما تدين به .

فرجعت معهم وقلت :

---

(١) الفلج : الفوز والظفر . (٢) الشرج : المثل .

لَبُغْضُكم عندنا مرٌّ مذاقته ... وبُغْضُنا عندكم يا قومَنا لَبَنَ
لا يَفطن الدهرُ إن بُثَّتْ معائبكم ... وكلكم حين يُثْنى عيبُنا فَطِنُ
شاعرنا مُفْحَم عنكم وشاعركم ... فى حَدْبنا مُبْلغ فى شَتْمنا لسنُ
مافى القلوب عليكم فاعلموا وَغرٌ ... وفى قلوبكمُ البغضاء والإحنُ

قال مازن : فهداهم الله بعدُ إلى الإسلام جميعا .

***

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبدالله ، قال : إن أول خبر كان بالمدينة بمَبْعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء فى صورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، فقالت له : لم لاتنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه قد بُعث نبى بمكة حَرَّم الزنا ومُنِع منا القَرار .

وقال الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن على بن الحسين ، قال : إن أول خبر قَدِم المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة تُدْعَى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت : ألا تنزل ؟ فقال : لا إنه قد بُعث الرسول الذى حرَّم الزنا .

وأرسله بعض التابعين أيضاً ، وسماه بابن لوذان ، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ، ثم لما قدم عاتبته فقال : إنى جئت الرسول فسمعته يحرِّم الزنا ، فعليك السلام .

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن عفان : خرجنا فى عير إلى الشام ، قبل أن يُبْعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كنا بأفواه الشام ، وبها كاهنة ، فتعرضتنا ، فقالت : أتانى صاحبى فوقف على بابى ، فقلت : ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق .

ثم انصرفتُ فرجعت إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل .

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن عبد الله الزُّهرى قال : كان الوحى يُسْمع ، فلما كان الإسلام مُنِعوا .

وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سعيرة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحى لا يستطاع أتاها فدخل فى صدرها فضج فى صدرها فذهب عقلها ، فجعل يقول من صدرها: وضِع العناق ، ومنع الرِّفاق ، وجاء أمر لا يطاق ، وأحمد حرَّم الزنا .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن محمد البَلَوى ـ بمصر ـ حدثنا عُمَارة بن زيد ، حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كِيسان ، عمن حدثه ، عن مِرْداس بن قيس السَّدُوسى قال : حضرت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكِرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه ، فقلت : يارسول الله قد كان عندنا فى ذلك شىء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها الخُلَصة لم يُعْلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت : يامعشر دوس ، العجبُ العجب لما أصابنى ، هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت . إنى لفى غنمى إذ غشيتنى ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة ، فقد خشيت أن أكون حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاما أغضف له أذنان كأذنى الكلب ، فمكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته ، وجعل يقول : ياويلة ياويلة ياعَوْلة ياعولة ، ياويل غنم ، ياويل فَهْم ، من قابس النار ، الخيلُ والله وراء العقبة ، فيهن فتيان حِسَان نُجَبة .

قال : فركبنا وأخذنا للأداة وقلنا : ياويلك ماترى ؟ فقال : [هل] من جارية

طامث ؟ فقلنـا: ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا : هى والله عندى عفيفة الأم فقانا فعجِّلها . فأتى بالجـارية وطلع الجبل وقال للجارية : اطرحى ثوبك واخرجى فى وجوههم ، وقال للقوم : اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له أحمد بن حابس : ياأحمد بن حابس ، عليك أول فارس . فحمل أحمد فطعن أول فارس فصرعه وانهزموا فغنمناهم . قال : فابتنينا عليهم بيتاً وسميناه ذا الُخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول .

حتى إذا كان مبعثك يارسول الله قال لنا يوماً : يامعشر دَوْس ، نزلت بنو الحارث ابن كعب . فركِبْنا فقال لنا : اكدسوا الخيل كدساً ، واحشُوا القوم رمساً ، انفوهم غدية ، واشربوا الخمر عشية .

قال : فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا إليه فقلنا : ماحالك وما الذى صنعت بنا ؟ فنظرنا إليه وقداحمرت عيناه ، وانتصبت أذناه وانبرم غضباناً حتى كاد أن ينفطر وقام .

فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حينا ، ثم دعانا فقال : هل لـكم فى غزوة تَهَبُ لـكم عِزّاً وتجعل لـكم حرزاً ويكون فى أيديـكم كنزاً ؟ فقلنا : ما أحوجنا إلى ذلك . فقال اركبوا . فركبنا فقلنا : ماتقول ؟ فقال : بنو الحارث بن مسلمة . ثم قال : قفُوا ، فوقفنا ثم قال : عليكم بفَهْم ، ثم قال ليس لـكم فيهم دم ، عليكم بمُضَر ، هم أرباب خيل ونَعَم . ثم قال : لا ، رهط دريد بن الصِّمة قليل العـدد وفى الذمـة . ثم قال لا ، ولـكن عليـكم بكعب بن ربيعـة وأسكنوهـا ضيعـة عامر بن صعصعـة ، فليـكن بهم الوقيعة .

قال : فلقيناهم فهزمونا وفضحونا ، فرجعنا وقلنا : ويلك ماذا تصنع بنا . قال : ماأدرى كَذَبنى الذى كان يَصْدُقنى . اسجنونى فى بيتى ثلاثا ثم ائتونى .

ففعلنا به ذلك ثم أتيناه بعد ثالثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه حجرة نار ، فقال : يامعشر

دوس ، حُرِست السماء وخرج خَـيْر الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمـكة ، وأنا ميت ، فادفنونى فى رأس جبل فإنى سوف أضطرم ناراً ، وإن تركتمونى كنت عليكم عاراً ، فإذا رأيتم اضطرامى وتلهبى فاقذفونى بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر : باسمك اللهم : فإنى أَهْدَا وأطفى .

قال : وإنه مات فاشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقد قذفناه بثلاثة أحجار نقول مع كل حجر : باسمك اللهم ، فخمد وطفى .

وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرونا بمبعثك يارسول الله .

غريب جداً .

وروى الواقدىُّ عن أبيه عن ابن أبى ذئب ، عن مسلم بن جندب ، عن النَّضْر بن سفيان الُهذَلى ، عن أبيه . قال : خرجنا فى عيرٍ لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومُعَان قد عرَّسنا(١) من الليل ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النُّيَّام هُبُّوا ، فليس هذا بحينِ رقاد ، قد خرج أحمد ، فطردت(٢) الجن كل مَطْرد .

ففزعنا ونحن رُفْقَةٌ حزاورة(٣) كلهم قد سمع بهذا .

فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمـكة بين قريش فى نبى قد خرج فيهم من بنى عبد المطلب اسمه أحمد .

ذكره أبو نعيم .

وقال الخرائطى : حـدثنا عبد الله بن محمد البَلَوى(٤) ـ بمصر حدثنا عُمَارة بن زيد ،

---

(١) الوفا : وقد عرسنا . (٢) الوفا : وطردت .

(٣) الأصل : حزورة ، وما أثبته من الدلائل لأبى نعيم . والحزاورة جمع حزور كجعفر وهو الرجل القوى .

(٤) بفتح الباء واللام نسبة إلى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، اللباب ١/١٤٤ .

حدثني عبد الله بن العلاء ، حدثني يحيى بن عُرْوة ، عن أبيه ، أن نفراً من قريش منهم ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَى ، وزيد بن عمرو بن نُفيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعثمان بن الحُوَيرث ، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً ، كانوا يعظمونه وينحرون له الجزُور ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ، فدخلوا عليه فى الليل فرأوه مكبوباً على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة .

فلما رأوا ذلك اغتمُّوا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث : ماله قد أكثرَ التَّنكُّس ؟! إن هذا لأمر قد حدَث . وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل عثمان يقول :

أيا صَنَم العيدِ الذى صُفَّ حولَه ... صَنَاديدُ وفدٍ من بعيدٍ ومن قُرْبِ
تنكَّسْتَ مغلوباً فما ذاك قُلْ لنا ... أذاك سفيهٌ أم تنكَّسْتَ للعتْبِ
فإن كان من ذنب أَتَيْنا فإننا ... نَبُوء بإقرارٍ ونَلْوِى عن الذنبِ
وإن كنتَ مغلوباً ونكَّسْتَ صاغراً ... فما أنت فى الأوثان بالسيدِ الربِّ

قال : فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله . فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول :

تردَّى لمولودٍ أنارت بنوره ... جميعُ فِجاج الأرض فى الشرق والغربِ
وخَرَّت له الأوثان طرّاً وأَرْعَدَتْ ... قلوبُ ملوك الأرض طرّاً من الرعبِ
ونارُ جميعِ الفرس باخَتْ وأظلمت ... وقد بات شاه الفُرْس فى أعظم الكَرْبِ
وصَدَّت عن الكُهَّان بالغَيب جِنُّها ... فلا مُخْبِرٌ عنهم بحقّ ولا كِذْبِ

فيا لقصيٍّ ارجعوا عن ضلالكم وهُبُّوا إلى الإسلام والمَنْزل الرَّحْبِ[1]

قال : فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيًّا ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض .

فقالوا : أجل !

فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومُكم على دينٍ ، ولقد أخطأوا الحجة وتركوا دين إبراهيم ، ما حجرٌ تَطِيفون به لا يَسْمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ؟ ! يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين .

قال : فخرجوا عند ذلك يضربون فى الأرض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى عَلِم علماً .

وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصَّر وحَسُنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نُفَيل فأراد الخروج فحُبس .

ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب فى الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقى بها راهباً عالماً فأخبره بالذى يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلب ديناً ما تجد من يَحْملك عليه ، ولكن قد أظلَّك زمان نبى يخرج من بلدك يُبْعث بدين الحنيفية .

فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فغارت[2] عليه لَخْم فقتلوه .

---

(١) لا يستطاع تقبل هذه الأشعار ولا الرضا بهذه الأخبار المتكلفة التى تغلب عليها النزعة الأسطورية ولقد كان الأقدمون لا يجدون غضاضة فى نقل هذه الأخبار وروايتها ، بل والسكوت عليها وكانت فى نظرهم تؤيد الدين وتخدمه ، أما فى عصرنا الذى لا يقبل الخبر إلا بعد التمحيص والنقد فلا تثبت أمثال هذه الروايات أمام النظر العلمى ؛ وكل ما نريده أن يفهم القارئ أنه فى حل من رفض هذه الروايات الأسطورية ، هذا والجانب الأخير من الرواية وهو مابعد هذا الشعر صحيح مقبول يثبته التاريخ وقد رواه عدة ، منهم الكلاعى فى الاكتفا .

(٢) كذا والقياس أغارت .

وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي صلّى الله عليه وسلم ، ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصَّر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .

تقدم فى ترجمة زيد بن عمر بن نُفَيل له شاهد .

وقد قال الخرائطى : حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوراق ، حدثنا عمرو ابن عثمان ، حدثنى أبى ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز ، حدثنى محمد بن عبد العزيز ، عن الزُّهرى ، عن عبد الرحمن بن أنس السُّلمى ، عن العباس بن مِرْداس أنه كان يعرُّ[1] فى لِقَاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض مثل اللبن فقال : يا عباس بن مرداس ، ألم تر أن السماء قد كَفَّت أحراسها ، وأن الحرب تجرعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذى نزل بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ، صاحب الناقة القصوى .

قال : فرجعت مرعوبا قد راعنى ما رأيت وسمعت ، حتى جئت وثناً لنا يدعى الضِّمار[2] وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فإذا صائح من جوفه يقول :

قُلْ للقبائل من سُليم كلِّها … هلك الضِّمار وفاز أهلُ المسجدِ
هلك الضِّمار وكان يُعْبَدُ مرّة … قبل الصلاة مع النبى محمدِ
إن الذى ورث النبوة والهدى … بَعْدَ ابن مريم من قريشٍ مُهتَدِى

قال : فخرجت مرعوبا حتى أتيت قومى فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر ،

(١) أى يعالجها . (٢) الأصل الضماد ، وما أثبته من الاكتفا وابن هشام ، وفى القاموس : والضمار ككتاب .. وصنم عبده العباس بن مرداس ورهطه .

وخرجت فى ثلاثمائة من قومى بنى حارثة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : « يا عباس كيف كان إسلامك » ؟ فقصصت عليه القصة . قال فسُرَّ بذلك وأسلمت أنا وقومى .

ورواه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل من حديث أبى بكر بن أبى عاصم عن عمرو ابن عثمان به .

ثم رواه أيضا من طريق الأصمعى ، حدثنى الوَصَّافى[1] ، عن منصور بن المُعْتَمر ، عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخُزَاعى ، عن العباس بن مِرْداس السُّلمى قال :

أول إسلامى أن مِرْداساً أبى ، لما حضرته الوفاة أوصانى بصنم له يقال [له] ضِمَار[2] فجعلته فى بيت وجعلت آتية كل يوم مرة ، فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعت صوتا مُرْسلا فى جوف الليل راعَنى ، فوثبت إلى ضمار[2] مستغيثا ، وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قُلْ للقبيلة مِنْ سُلَيْم كلِّها ... هَلَكَ الأنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ
أَوْدَى ضِمار وكان يُعْبَد مَرَّة ... قبل الكتاب إلى النبيِّ محمدِ
إن الذى وَرث النبوةَ والهُدَى ... بَعْدَ ابن مَرْيَم من قريشٍ مُهْتدِى

قال : فكتمته الناس ، فلما رجع الناس من الأحزاب بيْنا أنا فى إبلى بطرف العقيق من ذات عِرْق راقداً ، سمعت صوتا وإذا برجل على جناح نعامة وهو يقول : النور الذى

---

(١) نسبة إلى وصاف وهو اسم جماعة منهم وصاف بن عامر العجلى .. ينسب إليه عبيد الله بن الوليد ابن عبد الرحمن بن قيس الوصاف يروى عن عطية وعطاء ، سمع منه يعلى بن عبيد ووكيع وغيرهما ؛ وكان منكر الحديث اللباب ٣/٢٧٥ .

(٢) الأصل : ضماد وهو تحريف .

وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء فى ديار إخوان بنى العنقاء . فأجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بشِّر الجنَّ وإبلاسها ، أن وضعت المطىُّ أحلاسَها ، وكَلَأت السماءَ أحراسُها

قال : فوثبت مذعوراً وعلمت أن محمداً مرسل ، فركبت فرسى واحتثثت السير حتى انتهيت إليه فبايعته ، ثم انصرفت إلى ضِمار فأحرقته بالنار ، ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته شعراً أقول فيه :

لعَمْرك إنى يومَ أَجْعَل جاهلا ... ضِمَارا لربِّ العالمين مشارَكا
وتَرْكى رسولَ الله والأَوْسَ حوله ... أولئك أنصارٌ له ما أولئكا
كتاركِ سَهْلِ الأرض والحزْن يبْتغِى ... ليَسْلُك فى وَعْثِ الأمورِ المسالكا
فآمنتُ بالله الذى أنا عَبْــدُه ... وخالفتُ مَنْ أَمْسَى يريد المهالكا
ووجَّهْتُ وجهى نحو مكة قاصداً ... أبايعُ نبىَّ الأكرمين المبارَكا
نبىٌّ أتانا بَعْدَ عيسى بناطقٍ ... من الحق فيه الفَصْلُ فيه كذلكا
أمينٌ على القرآن أولُ شافعٍ ... وأولُ مبعوث يُجيب الملائكا
تلافَى عُرَى الإسلام بعد انتقاضها ... فأَحْكمها حتى أقام المناسكا
عَنَيْتُك ياخيرَ البريَّة كلِّها ... توسَّطْتَ فى الفَرْعين والمجدِ مالِكا
وأنت المصفَّى مِنْ قريشٍ إذا سَمَتْ ... على ضُمْرِها تبقى القرونَ المباركا
إذا انتسب الحيَّان كعبٌ ومالك ... وجَدْناك محضاً والنساء العواركا[1]

---

(١) على ذلك الشعر — مع مافيه من ركاكة — علامات الصنعة والافتراء منها :
١ — لم يخص الأوس بالذكر مع أنهم بعد الإسلام لم يعد لهم ذكر مستقل بل هم والخزرج أنصار .
٢ — وقوله : « ووجهت وجهى نحو مكة . . » مع أنه يذكر أنه يأبى ترك رسول الله والأوس حوله وذلك فى المدينة ، ومع أنه ذكر من قبل أن ذلك كان بعد رجوع الناس من الأحزاب . =

قال الخرائطى : وحدثنا عبد الله بن محمد البَلَوى بمصر ، حدثنا عمارة بن زيد ، حدثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضـل ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى شيخ من الأنصار يقال له عبـد الله بن محمود من آل محمد بن مَسْلمة ، قال : بلغنى أن رجالا من خَثْعم كانوا يقولون : إن مما دعانا إلى الإسـلام أنا كنا قوما نعبد الأوثان ، فبينا نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه يرجون الفَرَج من عنده لشىء شَجَر بينهم ، إذ هتف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام ... من بين أشياخ إلى غلام[(١)]
ما أنتمُ وطائشُ الأحـــلام ... ومُسْندُ الحكم إلى الأصنام
أكلُّكم فى حيرة نيام[(٢)] ... أم لا ترون ما الذى أمامى
مِن ساطعٍ يجلو دُجَى الظلامِ ... قد لاح للناظر من تِهامِ
ذاك نبىٌّ سيدُ الأنـــام ... قد جاء بعد الكفر بالإسلام
أَكْرَمه الرحمنُ من إمام ... ومن رسولٍ صادقِ الكلامِ
أَعْدَلُ ذى حكم من الأحكام[(٣)] ... يأمرُ بالصلاة والصيام
والبر والصِّلات للأرحام ... ويزجر الناس عن الآثام

= ٣ ـ وكيف علم العباس سريعا ـ مع أنه حديث الإسلام ـ أن رسول الله أول شافع وأول من تنشق عنه الأرض مع أن ذلك من التفاصيل الدقيقة التى لم تكن تقررت فى ذلك الوقت ، وعلى كل فلا يستطيع حديث عهد بالإسلام أن يحيط بها .

٤ ـ كذلك قوله : تلاف عرى الإسلام بعد انتقاضها .. إلا أن يفسر الإسلام بالدين عموما ، وهذا فهم خاص لايتمكن منه العباس فى ذلك الوقت . ومامعنى أقام المناسكا ..

إن هذا الشعر مثل واضح للصنعة والافتراء .

(١) الاكتفا : يا أيها الناس ذوو الأجسام . ومسند الحكم إلى الأصنام .

(٢) الاكتفا : أكلكم أوره كالكهام . والأوره : الأحمق .

(٣) الاكتفا : أعدل فى الحكم من الحكام .

والرجس والأوثان والحرام　　من هاشمٍ فى ذِرْوة السنامِ

* مستعلنا[1] فى البلد الحرام *

قال : فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمنا .

وقال الخرائطى : حدثنا عبد الله البَلَوى ، حدثنا عُمَارة ، حدثنى عبيد الله بن العلاء ، حدثنا محمد بن عكبر ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا من بنى تميم يقال له رافع بن عمير ، وكان أهدى الناس للطريق وأسْرَاهم بايل وأهجمهم على هَوْل ، وكانت العرب تسميه لذلك دعموص العرب ، لهدايته وجراءته على السير ، فذكر عن بدء إسلامه قال :

إنى لأسير برمل عالجٍ[2] ذات ليلة إذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى وأنختها وتوسدت ذراعها ونِمْت ، وقد تعوذت قبل نومى فقلت : أعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن من أن أُوذَى أو أُهَاج . فرأيت فى منامى رجلا شاباً يرصد ناقتى وبيده حربة يريد أن يضعها فى نحرها ، فانتبهت لذلك فزعاً فنظرت يميناً وشمالا فلم أر شيئاً ، فقلت : هذا حلم . ثم عُدْت فغفَوْت فرأيت فى منامى مثل رؤياى الأولى ، فانتبهت فدُرْت حول ناقتى فلم أر شيئاً وإذا ناقتى ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب ، والتفتُّ فإذا أنا برجل شاب كالذى رأيت فى المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو يقول :

يامالك بن مُهَلْهِل بن دِثَارِ　　مَهْلاً فِدًا لك مِئْزرى وإزارى

عن ناقة الإنسىِّ لا تَعرِض لها　　واخْتَرْ بها ما شئت من أثوارِى

ولقد بدا لِىَ منك ما لم أحتسب　　ألَّا رَعَيْتَ قرابتى وذِمارِى

---

(١) الاكتفا : مستعلن .

(٢) العالج : المرتفع .

تسمُو إليـــه بحربةٍ مسمومة تبًّا لفعلك يا أبا العَفَّـــارِ
لولا الحياء وأن أهلك جـيرةٌ لعلمت ما كشفت من أخبارى

قال فأجابه الشاب وهو يقول :

أأردتَ أن تعلو وتَخفْض ذكرنا فى غـير مُزْرِيةٍ أبا العيزارِ
ما كان فيهم سيـدٌ فيما مضى إن الخيـار همُ بنو الأخيار
فاقصد لقصـدك يامُعَكْبر إنما كان المجـير مهلهل بن دثارِ

قال : فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى : قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الإنسى . فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف . ثم التفت إلىّ الشيخ فقال : ياهذا إذا نزلت واديا من الأودية فخفت هَوْله فقل : أعوذ بالله ربِّ محمد من هولِ هـذا الوادى . ولا تَعُذْ بأحد من الجن فقد بطل أمرها . قال : فقلت له : ومن محمد هذا ؟ قال : نبى عربى ، لا شرقى ولا غربى ، بُعث يوم الاثنين . قلت : وأين مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل . قال : فركبت راحلتى حين برق لى الصبح وجدَدْتُ السيرَ حتى تقحمت المدينة ، فرآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنى بحديثى قبل أن أذكر له منه شيئاً ودعانى إلى الإسلام فأسلمت (١) .

قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذى أنزل الله فيه (وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ مِنَ الجنِّ فزادوهم رَهَقاً) .

وروى الخرائطى من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة ، عن داود ابن الحسين ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، عن على ، قال : إذا كنت بواد تخاف السبع فقل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد .

---

(١) وهذا أيضا مما لايترتب على ثبوته شىء ، وهو من أساطير العرب عن الجن وما أكثرها .

وروى البَلَوى عن عمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى يحيى بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قتال علىّ الجنَّ بالبئر ذات العَلَم التى بالُجحْفة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقى لهم الماء فأرادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل إليهم ، وهى قصة مطولة منكرة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطى : حدثنى أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقى وغيره ، حدثنا سليمان ابن بنت شرَحْبيل الدمشقى ، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج ، حدثنا خالد بن سعيد ، عن الشَّعبى ، عن رجل قال : كنت فى مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم : خواتيم سورة النحل . وقال بعضهم : سورة يس . وقال على : فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسى : أما إنها سبعون كلمة فى كل كلمة بركة .

قال : وفى القوم عمرو بن معدى كرب لا يحير جوابا ، فقال : أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدثنا يا أبا ثور .

قال : بينا أنا فى الجاهلية إذ جهدنى الجوع فأقحمت فرسى فى البرِّية فما أصبت إلا بيضَ النعام ، فبينا أنا أسير إذا أنا بشيخ عربى فى خيمة ، وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له ، فقلت له : استأسر ثكلتك أمك . فرفع رأسه إلى وقال : يافتى إن أردت قرًى فانزل وإن أردت معونة أعناك . فقلت له : استأسر . فقال :

عرضْنَا عليك النُّزْلَ منا تكرُّماً ... فلم تَرْعَوِى جهلاً كفعل الأشائمِ
وجئتَ ببهتانٍ وزور ودون ما ... تمنَّيته بالبَيْضِ (١) حَزُّ الغلاصمِ

قال : ووثب إلىّ وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنى مَثْلت تحته .

---

(١) يقصد بالبيض هنا : ابنته وحريمه .

ثم قال : أقتلك أم أخلِّى عنك ؟ قلت : بل خَلِّ عنى . قال : نخلى عنى . ثم إن نفسى جاذبتنى بالمعاودة . فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال :

ببسم الله والرحمن فُزْنا هنالك والرحيم به قَهَرْنا
وما تُغنى جَلَادة ذى حفاظٍ إذا يوماً [1] لمعركةٍ برزْنَا

ثم وثب لى وثبة كأنى مثلت تحته . فقال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قال : قلت بل خَلِّ عنى . نخلى عنى فانطلقت غير بعيد . ثم قلت فى نفسى : ياعمرو أيقهرك هذا الشيخ ! والله لَلْموت خير لك من الحياة ، فرجعت إليه فقلت : استأسر ثكلتك أمك . فوثب إلىّ وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم فكأنى مثلت تحته ، فقال : أقتلك أم أخلِّى عنك ؟ قلت : بل خَلِّ عنى . فقال : هيهات ، ياجارية ائتينى بالمُدْية . فأتته بالمدية فجزَّ ناصيتى ، وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزّت ناصيته استَعْبدته ، فكنت معه أخدمه مدة . ثم إنه قال : ياعمرو أريد أن تركب معى البَرِّية وليس بى منك وجل ، فإنى ببسم الله الرحمن الرحيم لواثق .

قال : فسرنا حتى أتينا واديا أشِباً مَهُولا مُغْولاً . فنادى بأعلى صوته ببسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير فى وكره إلا طار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع فى مَرْبضه إلا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحبشى قد خرج علينا من الوادى كالنخلة السحوق ، فقال لى : ياعمرو إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل : غلبه صاحبى ببسم الله الرحمن الرحيم . قال : فلما رأيتهما قد اتحدا قلت : غلبه صاحبى باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئاً . فرجع إلى وقال : قد علمتَ أنك قد خالفت قولى . قلت : أجل ولست بعائد . فقال : إذارأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبى ببسم الله الرحمن الرحيم . فقلت : أجل . فلما رأيتهما قد اتحدا

(١) الأصل : يوم :

قلت : غلبه صاحبى ببسم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه الشيخ فبَعَجه بسيفه فاشتق بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهيئة القنديل الأسود ثم قال : ياعمرو هذا غِشُّه وغله . ثم قال: أتدرى مَن تلك الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعة بنت السليل الجُرْهمى من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها يغزونى منهم كل عام رجل ينصرنى الله عليه ببسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيت ما كان منى إلى الحبشى . وقد غلب علىَّ الجوع فائتنى بشىء آكله ، فأقحمت بفرسى البرِّية فما أصبت إلا بيض النعام ، فأتيته به فوجدته نائما ، وإذا تحت رأسه شىء كهيئة الخشبة ، فاستللته فإذا هو سيف عرضه شِبْر فى سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربةً أَبَنْت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما أغدرك ياغدار . قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلت : فلم أزل أضربه بسيفى حتى قطعته إربا إربا . قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالغدر نِلْتَ أخا الإسلام عن كَثَبٍ ... ما إن سمعتُ كذا فى سالف العرَبِ
والعُجْم تأنف ممــا جئتَه كَرَماً ... تبًّا لمــا جئته فى السيد الأرِبِ
إنى لأعجب أنَّى نلت قِتْلَتــه ... أم كيف جازاك عند الذنب لم تنبِ ؟
قِرْمٌ عفا عنك مراتٍ وقــد علقت ... بالجسم منك يداه موضــع العطبِ
لو كنتُ آخــذُ فى الإسلام مافعلوا ... فى الجاهلية أهــلَ الشرك والصلب
إذاً لنالتك من عَــدْلى مُشَطّبةٌ (١) ... تدعو لذائقهــا بالويل والحَرَبِ

قال : ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت : ثم إنى أتيت الجارية . فلما رأتنى قالت : مافعل الشيخ ؟ قلت : قتله الحبشى ، فقالت : كذبت بل قتلته أنت بغدرك ثم أنشأت تقول :

---

(١) أى مهلكة .

ياعين جودى للفارس المغوارِ   ثم جودى بواكفاتٍ غِزارِ
لا تَمَلِّى البكاء إذ خانك الدهـ   ـرُ بوافٍ [ذى] حقيقةٍ صبارِ
وتُقًى وذى وقارٍ وحِلمٍ   وعديلِ الفخار يومَ الفخارِ
لَهْفَ نفسى على بقائك عمروٍ   أسلمتك الأعمارُ للأقدارِ
ولعمرى لو لم ترُمْه بغدر   رُمْتَ ليثاً كصارمٍ بتارِ

قال : فأحفظنى قولها فاستللت سيفى ودخلت الخيمة لأقتلها فلم أر فى الخيمة أحداً . فاستقت الماشية وجئت إلى أهلى .

وهذا أثر عجيب (١) .

والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن ، وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

* * *

وقال الخرائطى : حدثنا عبد الله بن محمد البَلَوى ، حدثنا عمارة بن زيد ، قال : حدثنى عبد الله بن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشى بعد رجوع أبرهة من مكة ، قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اصْدُقانى أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحَه فضرب عليه بالقداح فسَلِم ونُحِرت عنه إبل كثيرة ؟ قلنا : نعم .

قال : فهل لكما علمٌ به مافعل ؟

قلنا : تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج . قال : فهل تعلمان ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل : أخبرك أيها الملك ، إنى ليلةً قد بِتُّ عند وثن لنا كنا نطيف به ، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

(١) بل هو أسطورة لا سبيل إلى تصديقها .

وِلِدَ النبيُّ فَذلَّتْ الأملاكُ   ونَأَى الضلالُ وأَدْبَرَ الإشراكُ

ثم انتكس الصنم على وجهه فقال زيد بن عمرو بن نُفَيل: عندى كخبره أيها الملك. قال: هات قال: أنا فى مثل هذه الليلة التى ذكر فيها حديثه خرجتُ من عند أهلى وهم يذكرون حَمْلَ آمنة حتى أتيت جبل أبى قُبَيس أريد الخلوَّ فيه لأمر رابنى، إذ رأيت رجلا نزل من السماء له جناحان أخضران، فوقف على أبى قبيس ثم أشرف على مكة فقال: ذَلَّ الشيطان و بطلت الأوثان، وولِد الأمين. ثم نشر ثوباً معه وأَهْوَى به نحو المشرق والمغرب. فرأيته قد جَلَّل ماتحت السماء وسطع نور كاد أن يختطف بصرى وهالنى مارأيت. وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة، فسطع له نور أشرقت له تِهَامة. وقال: ذَكَت الأرضُ وأدَّت ربيعَها. وأومأ إلى الأصنام التى كانت على الكعبة فسقطت كلها.

قال النجاشى: ويحكما أخبركما عما أصابنى، إنى لنائم فى الليلة التى ذكرتما فى قبة وقت خلوتى، إذ خرج علىَّ من الأرض عنق ورأس، وهو يقول: حَلَّ الويلُ بأصحاب الفيل، رَمتهم طير أبابيل، بحجارة من سِجيل هلك الأشرم المعتدِى المجرم، وولد النبى الأمى، المكِّى الحرَمى، من أجابه سَعِد، ومن أباه عَتِد. ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام، ورمت القيام فلم أطق القيام، فصرَعْت القبة بيدى، فسمع بذلك أهلى فجاءونى فقلت: احجبوا عنى الحبشة، فحجبوهم عنى ثم أطلق عن لسانى ورجلى.

وسيأتى[1] إن شاء الله تعالى فى قصة المولد رؤيا كسرى فى سقوط أربع عشرة شرفة من إيوانه، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه، وتفسير سطيح لذلك على يدى عبد المسيح.

وروى الحافظ أبوالقاسم بن عساكر فى تاريخه فى ترجمة الحارث بن هانئ بن المُدْلج بن ابن المِقْداد بن زمل بن عمرو العُذْرى، عن أبيه عن جده، عن أبيه عن زمل بن عمرو العذرى،

(١) قد مرَّ ذلك.

قال : كان لبنى عُذْرة صنم يقال له حمام ، وكانوا يعظمونه ، وكان فى بنى هند بن حِرَام ابن ضبة بنعبد بن كبير[١] بنعُذْرة ، وكانسادنه رجلاً بقال له طارق ، وكانوا يَعْتِرون عنده . فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتاً يقول : يا بنى هند بن حرام ، ظهر الحق وأَوْدَى حمام ، ودفع الشركَ الإسلام . قال : ففزعنا لذلك وهالنا . فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق ياطارق ، بُعث النبى الصادق ، بوحى ناطق ، صَدَع صادع بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منِّى إلى يوم القيامة .

قال زمل : فوقع الصنم لوجهه . قال: فابتعت راحلة ورحلت حتىأتيت النبى صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وأنشدته شعراً قلته :

إليك رسول الله أَعْمَلْتُ نَصَّها وكَلَّفْتُهاحَزْناً وغَوْراً مِنَ الرملِ
لأنصر خيرَ الناس نصراً مؤزَّراً وأعقد حبلاً مِن حبالك فى حَبْلِى
وأشهد أن الله لا شىءَ غيرُه أدينُ به ما أَثْقَلَتْ قَدِمى نعلِى

قال : فأسلمت وبايعته ، وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » .

ثم قال : « يا معشر العرب ، إنى رسول الله إليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وأنى رسوله وعبده ، وأن تحجوا البيت وتصوموا شهراً من اثنى عشر شهراً وهو رمضان ، فمن أجابنى فله الجنة نُزُلاً ، ومن عصانى كانت النار له مُنْقَلبا » .
قال : فأسلمنا وعقد لنا لواءً . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله لزمل بن عمرو ومَن أسلم معه خاصة ، إنى بعثته إلى قومه عامداً ، فمن أسلم ففى حِزْب الله ورسوله . ومن أَبَى فله أمان شهرين . شهد على بن أبى طالب ومحمد بن مَسْلمة الأنصارى » .

(١) الأصل : كثير وهو تحريف .

ثم قال ابن عساكر : غريب جداً[1] .

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه : حدثنى محمد بن سعيد ـ يعنى عمه ـ قال : قال محمد بن المنكدر : إنه ذكر لى عن ابن عباس قال : هتف هاتف من من الجن على أبى قبيس فقال :

قَبَّح الله رأيكم آل فِهْرٍ ... ما أدقَّ العقول والأفهامْ
حين تُغْضِى لمن يعيبُ عليها ... دينَ آبائها الحماة الكرام
حالفَ الجِنَّ جنَّ بُصْرَى عليكم ... ورجالَ النخيل والآطام
يوشك الخيل أن تروها[2] تهادى ... تقتل القوم فى حرام بهام
هل كريمٌ منكمْ له نفسُ حُرٍّ ... ماجدُ الوالدين والأعمام
ضاربٌ ضربةً تكونُ نكالا ... ورواحاً من كُرْبة واغتمام

قال ابن عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا شيطان يكلِّم الناس فى الأوثان ، يقال له مسعر ، والله مُخْزيه » فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نحن قَتلْنا فى ثلاثٍ مِسْعَرا ... إذ سَفَّه الجنَّ وسَنَّ المُنْكَرا
قَنَّعْتُه سيفاً حُسَاماً مُشهَرا ... بشَتْمِه نبيَّنا المُطَهَّرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عفريت من الجن اسمه سمج آمن بى سميته عبد الله ، أخبرنى أنه فى طَلَبه ثلاثة أيام » فقال على : جزاه الله خيراً يا رسول الله .

---

(١) وما الذى يحمل على رواية الأخبار الواهية ثم التعليق عليها بأنها غريبة جداً ! لقد كان الأولى نبذها وفى الثابت الصحيح غنية عن الغرائب والعجائب .
(٢) ط : أن تردها . وهو تحريف .

وقد روى الحافظ أبو نعيم فى الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبى حرب الصَّفَّار ، حدثنا عباس بن الفرج الرِّياشى ، حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبى ثابت ، عن أبيه ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن ابن عباس ، عن سعد بن عبادة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرموت فى حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنت فى بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أبا عمرو تَنَاوَبنى(١) السُّهودُ وراح النومُ وامتنع الهُجُودُ
لذِكْرِ عصابةٍ سَلَفوا وبادُوا وكلُّ الخلْقِ قَصْرهمُ يَبيدُ
تولَّوْا واردين إلى المَنَايا حياضاً ليس مَنْهلَها الوَرُودُ
مَضَوْا لسبيلهم وبقيتُ خَلْفاً وحيداً ليس يُسْعفنى وحيدُ
سُدًى لا أستطيع علاجَ أمرٍ إذا ما عالج الطفلُ الوليدُ
فَلأْياً ما بقيتُ إلى أناسٍ وقد باتت بمَهْلَكِها ثَمُودُ
وعادٌ والقرونُ بذى شَعُوب سواء كلُّهم إرَمٌ حصيدُ

قال : ثم صاح به آخر : يا خرعب ، ذهب بك العجب ؟ إن العجب كل العجب بين زهرة ويثرب .

قال : وما ذاك يا شاحب ؟ قال : نبىٌّ السلام ، بُعث بخير الكلام إلى جميع الأنام ، فاخرج من البلد الحرام إلى نخيل وآطام .

قال : ما هذا النبى المرسل والكتاب المنزل ، والأمى المفضل ؟ قال رجل من ولد لُؤَىّ بن غالب ، بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة .

---

(١) خ ط : ناوبنى .

قال : هيهات فات عن هذا سِنّى ، وذهب عنه زَمَنى ، لقد رأيتنى والنضرَ بن كنانة نرمى غرضاً واحداً ، ونشرب حَلْبا بارداً ، ولقد خرجت به من دَوْحة فى غداةٍ شَبِمَة[1] وطلع مع الشمس وغرب معها ، ويروى ما يَسْمَع ويُثْبت ما يُبْصر ، ولئن كان هذا من ولده لقد سُلَّ السيف وذهب الخوف ، ودُحِض الزِ نا ، وهلك الربا .

قال : فأخبرنى ما يكون ؟ قال : ذهبت الضراء والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة إلا بقيةٌ فى خُزَاعة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس إلا بقية من الخزرج والأوس . وذهبت الُخيَلاء والفخر ، والنميمة والغدر ، إلا بقية فى بنى بكر . يعنى ابن هوازن . وذهب الفعل المندِّم والعمل المؤثِّم ، إلا بقية فى خَثْعم .

قال : أخبرنى ما يكون ؟ قال : إذا غُلبت البَرَّة ، وكُظِمت الُحرَّة ، فاخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كُفَّ السلام ، وقطعت الأرحام، فاخرج من البلد الحرام . قال : أخبرنى ما يكون ؟ قال : لولا أذن تسمع ، وعين تلمع، لأخبرتك بما تفزع . ثم قال :

لا منامٌ هـــــدأْتُهُ بنعيمٍ   ياابن غَوْطٍ ولا صباحٌ أتانا

قال : ثم صَرْصَرَ صرصرة كأنها صرصرة حبْلى ، فذهب الفجر ، فذهبت لأنظر فإذا عَظَايَة[2] وثعبان ميتان .

قال : فما علمت أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينـة إلا بهـذا الحديث .

ثم رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن على ، عن النضر بن سلمة ، عن حسان ابن عبادة بن موسى ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شَهْر ، عن ابن عباس عن سعد بن عبادة . قال : لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجِ ، قال : فقضيت حاجتى ثم أقبلت حتى إذا كنت ببعض الطريق نِمْت ، ففزعت من الليل بصائح يقول :

(١) شبمة : باردة .   (٢) العظاية : دويبة ملساء تمشى مشياً سريعاً ثم تقف .

أبا عمرو تَنَاوَبنى السهودُ ... وراح النوم وانقطع الهجودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن على ، حدثنا النضر بن سلمة حدثنا أبو غزية محمد بن موسى ، عن العطاف بن خالد الوَصَّابى ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : سمعت تميماً الدَّارِى يقول : كنت بالشام حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرجت لبعض حاجتى فأدركنى الليل . فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى الليلة . قال : فلما أخذت مضجعى إذا أنا بمنادى ينادى لا أراه : عُذْ بالله ، فإن الجن لا تجير أحداً على الله . فقلت أيم الله [ما] تقول ؟ فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله ، وصلينا خلفه بالحَجُون . فأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ورُمِيتْ بالشُّهب ، فانطلقْ إلى محمد رسول رب العالمين فأَسْلِم .

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهبا وأخبرته الخبر . فقال الراهب : قد صَدَقوك ، يَخْرج من الحرَم ، ومُهَاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبق إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخوصَ حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتُ .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن يزيد الهُذَلى ، عن عبد الله بن ساعدة الهذلى ، عن أبيه قال : كنا عند صنمنا سُوَاع ، وقد جلبنا إليه غنما لنا مائتى شاة قد أصابها جرَب ، فأدنيناها منه لنطلب بركته ، فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادى : قد ذهب كيدُ الجن ورُمِينا بالشُّهب، لنبيٍّ اسمه أحمد .

قال فقلت غويت والله . فصدَفْتُ وجهَ غَنَمى مُنْجداً إلى أهلى فرأيت رجلا ، فخبرنى بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

ذكره أبو نعيم هكذا معلقا .

ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن السندى ، حدثنا النضر ابن سلمة ، حدثنا محمد بن مسلمة المخزومى ، حدثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء الظفرى – من بنى سُلَيم من ولد راشد بن عبد ربه – عن أبيه ، عن جده ، عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذى يقال له سُوَاع بالمعلاة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر بن سليم ، فأرسلت بنو ظُفَر راشدَ بن عبد ربه بهدية من سُلَيم إلى سواع .

قال راشد : فألقيت مع الفجر إلى صنم قَبْل صنم سواع ، فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العجبُ كل العجب من خروج نبى من بنى عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا والذبح للأصنام ، وحُرِست السماء ورمينا بالشهب ، العجب كل العجب . ثم هتف صنم آخر من جوفه : ترك الضِّمَارُ وكان يُعْبَد ، خرج النبى أحمد ، يصلى الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلات للأرحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف يقول :

إن الذى ورث النبوة والهُدَى بَعْدَ ابن مريم من قريش مُهتدى
نبى أتى يخبر بما سبق ، وبما يكون اليوم حقا أو غد .

قال راشد : فألفيْتُ سُوَاعاً مع الفجر وثعلبان يَلْحسان ماحولَه ، ويأكلان مايُهْدَى له ، ثم يَعُوجان عليه ببولهما ، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربٌّ يبُول الثّعْلبان برأسه لقد ذَلَّ من بالَتْ عليه الثعالبُ

وذلك عند مَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم ومُهَاجَره إلى المدينة وتَسَامُع الناس به ،

فخرج راشد حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه كلب له ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد ، فقال النبي صلى الله عليــه وسلم « ما اسمك ؟ » قال : ظالم . قال : « فمااسم كلبك ؟ » قال : راشد ، قال «اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم ! » وضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

وبايع النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة معه ، ثم طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعةَ بوهاط — ووصفهــا له — فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلاة من وهاط شَأْوَ الفرس ، ورَمْيَتَه ثلاث مرات بحَجَر ، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتفل فيها وقال له « فرغها فى أعلا القطيعة ولا تمنع الناس فَضْلَها » ففعل . فجعل الماء مَعِيــناً يجرى إلى اليوم ، فغرس عليها النخل . و يقال إن وهاط كلها تشرب منه ، فسماها النــاس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم . وأهل وهاط يغتسلون بها . و بلغت رَمْيَةُ راشد الرَّكْب الذى يقال له ركب الحجَر ، وغدا راشد على سُوَاع فـكسره .

وقال أبو نُعَيم : حــدثنا سليمان بن أحمد ، حــدثنا على بن إبراهيم الخُزَاعى الأَهْوازى ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دلهاث بن إسماعيل بن مسرع بن ياسر ابن سُوَيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبى ، عن أبيه دلهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مُسْرع بن ياسر ، أن أباه ياسر حدثه عن عمرو ابن مُرَّة الجُهنى ، أنه كان يحدّث قال :

خرجت حاجًّا فى جماعة من قومى فى الجاهلية . فرأيت فى المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الـكعبة حتى أضاء فى جبل يثرب وأَشْعَر جُهَينة[1] . فسمعت صوتاً فى النور وهو يقول : انقشعت الظَّلْماء ، وسطع الضياء ، وبُعث خاتم الأنبياء .

---

(١) أشعر جهينة : جبل ينحدر على ينبع من أعلاه . معجم البلدان .

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن[1] . فسمعت صوتاً فى النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعاً ، فقلت لقومى : والله ليحدثن فى هذا الحى من قريش حدث ، وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلا يقال له أحمد قد بعث ، فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال : « ياعمرو بن مرة، إنى المُرْسَل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحقْن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر من اثنى عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، فآمِنْ ياعمرو بن مرة يؤْمنك الله من نار جهنم » .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، آمنت بكل ماجئتَ به من حلال وحرام ، وإن أرْغَم ذلك كثيراً من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به ، وكان لنا صنم وكان أبى سادنا له ، فقمت إليه فكسرته ثم لحقت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدتُ بأن الله حَقٌّ وأننى   لآلهة الأحجار أولُ تاركِ
فشمَّرتُ عن ساقى إزارَ مُهاجرٍ   إليك أدب الغَوْرْ بعدالدَّكادكِ[2]
لأصحب خيرَ الناس نفسًا ووالدا   رسول مليكِ الناس فوق الحَبائكِ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مرحباً بك ياعمرو بن مرة » . فقلت : يارسول بأبى أنت وأمى ، ابعث بى إلى قومى ، لعل الله أن يمنَّ بى عليهم كما مَنَّ بك علىَّ .

(١) أبيض المدائن : قصر كسرى .

(٢) الوفا والخصائص :

فشمّرْتُ عن ساقِ الإزارَ مهاجراً   إليكَ أجوبُ الدعث بعد الدكادكِ

والدكادك : الأرض المستوية

فبعثنى إليهم وقال : « عليك بالقول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فأتيت قومى فقلت لهم : يابنى رفاعة ثم يابنى جهينة ، إنى رسولٌ من رسول الله إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وآمركم بحَقْن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثنى عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، يامعشر جهينة: إن الله ، وله الحمد ، جعلكم خيارَ من أنتم منه ، وبَغَّض إليكم فى جاهليتكم ماحبب إلى غيركم من الرفث ، لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين ، ويَخْلُف الرجل على امرأة أبيه ، والتِّراتِ فى الشهر الحرام . فأجيبوا هذا النبى المرسل صلى الله عليه وسلم من بنى لؤى بن غالب ، تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، سارعوا سارعوا فى ذلك يكون لكم فضيلة عند الله .

فأجابوا إلا رجلا منهم قام فقال :ياعمرو بن مرة ، أمَرَّ الله عليك عيشك ! ، أتأمرنا أن أن نرفض آلهتنا ونفرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى مايدعو هذا القرشى من أهل تِهامة ؟ لا ولا مرحباً ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول :

إن ابن مُرَّة قد أتى بمقالةٍ ليست مقالة من يريد صَلَاحا

إنى لَأَحْسبُ قوله وفعاله يوماً وإن طال الزمان رِياحَا

أَنُسَفِّه الأشياخَ مِمَّن قد مَضَى مَنْ رامَ ذلك لا أصابَ فَلاَحا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب منى ومنك أمَّر الله عيشه وأبكَمَ لسانه ، وأكمه بصره .

قال عمرو بن مرة : والله مامات حتى سقط فوه ، وكان لا يجد طعم الطعام ، وعمى وخرس .

وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فرحَّب

بهم وحَبَاهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق ، وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهنى ، لجهينة بن زيد: إن لكم بطونَ الأرض وسهولها ، وتِلاعَ الأودية وظهورها ، ترعون نباته وتشربون صافيه . على أن تقرُّوا بالُخمْس ، وتصلُّوا الصلوات الخمس ، وفى التَّبِعة والصَّريمة شاتان إن اجتمَعتا ، وإن تفرقتا فشاة شاة . ليس على أهل المِيرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة » . وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضى الله عنهم .

وذلك حين يقول عمرو بن مرة :

ألم ترَ أن الله أظهرَ دِينــــه ... وبَيَّن برهـــانَ القُرآن لعامِر
كتابٌ من الرحمن نورٌ لجمْعنا ... وأخلافنا فى كل بادٍ وحـاضر
إلى خيرِ مَنْ يمْشِى على الأرض كلِّها ... وأفضلها عند اعتكارِ الضرائر(١)
أطعْنا رسولَ الله لما تقطَّعتْ ... بطونُ الأعادِى بالظُّبَى والخواطر
فنحن قبيلٌ قد بَنَى المجدُ حولَنا ... إذا اجتلبت فى الحرب هامُ الأكابرِ
بنو الحرب نَفْريها(٢) بأيدٍ طويلة ... وبيضٍ تَلَالا فى أكفِّ المَغاوِرِ
ترى حولَه الأنصار تحمى أميرهم(٣) ... بسُمْر العوالى والصفاحِ البواترِ
إذا الحربُ دارت عند كلِّ عظيمةٍ ... ودارت رَحاها باللّيوثِ الهواصرِ
تَبَلَّج منه اللونُ وازداد وجهه ... كمثلِ ضيـاء البدر بين الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : حدثنا عبد الله ، حدثنا أبو عبد الله ، حدثنا المُجَالِد بن سعيد ، والأَجْلَح ، عن الشِّعْبى ، حدثنى شيخ من جهينة

(١) ط خ: الصرائر ، وما أثبته عن الوفا (٢) ط خ : نفريها ، وما أثبته عن الوفا .
(٣) الوفا : يحمون سربه .

قال : مرض منا رجل مرضا شديداً فثقل حتى حفرنا له قبره وهيأنا أمره ، فأغمى عليه ثم فتح عينيه وأفاق فقال : أحفرتم لى ؟ قالوا : نعم ، قال : فما فعل الفُصَل ـ وهو ابن عم له ـ قلنا : صالح مَرَّ آنفا يسأل عنك . قال : أما إنه يوشك أن يُجْعَل فى حُفرتى ، إنه أتانى آت حين أغمى علىَّ فقال : ابْك هُبَل ، أما ترى حفرتك تُنْتَثل ، وأمك قد كادت تَثْكَل ؟ أرأيتك إن حولناها عنك بالمحول ، ثم ملأناها بالجَنْدل ، وقذفنا فيها الفُصَل ، الذى مَضَى فأجزأك ، وظن أن لن يفعل ، أتشكر لربك وتصلّ ، وتدَع دين من أشرك وضل ؟ قال : قلت نعم . قال : قم قد برئت .

قال : فبرئ الرجل . ومات الفصل فجعل فى حفرته .

قال الجهينى : فرأيت الجهينى بعد ذلك يصلى ويسب الأوثان ويقع فيها .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس يتحدثون عن الجن ، فقال خريم بن فاتك الأسدى : ألا أحدثك كيف كان إسلامى ؟ قال : بلى .

قال : إنى يوما فى طلب ذَوْد لى أنا منها على أثرٍ تنصب وتَصْعد ، حتى إذا كنت بأَبْرَق العَزَّاف (١) أنخت راحلتى وقلت : أعوذ بعظيم هذه البلدة ، أعوذ برئيس هذا الوادى ، فإذا بهاتف يهتف بى :

ويحك ، عُذْ بالله ذى الجلاَلِ والمجدِ والعلياءِ والإفضالِ
ثم اتلُ آياتٍ من الأنفالِ ووحِّد الله ولا تُبَالِى

قال : فذعرت ذعراً شديدا ثم رجعت إلى نفسى فقلت :

---

(١) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . وفى الأصل والمطبوعة : أبرق العراق وهو تحريف . وما أثبته عن الدلائل ومعجم البلدان ١ / ٨٤ أوربا .

يا أيهـــا الهاتفُ ماتقول　　أرشدٌ عنـدكَ أم تضليل ؟

* بيِّن هداكَ الله ما الحويل (١) *

قال : فقال :

هــذا رسولُ الله ذو الخيْرات　　بيثربٍ يدعو إلى النجـــاةِ

يأمر بالبرِّ وبالصـــــلاةِ　　وَيَزعُ النـــاس عن الهِنَاتِ

قال قلت له : والله لا أبرح حتى آتيه وأومن به . فنصبت رجلى فى غَرْز راحلتى وقلت :

أَرْشِدْنى أرشدنى هُـــدِيتا　　لا جُعْتَ ماعِشْتَ ولا عَرِيتَا

ولا بَرِحْت سيـــداً مُقِيتَا　　لا تُؤْثر الخـــير الذى أُتيتَا

* على جميعِ الجن ما بَقِيتاَ *

فقال :

صاحَبك الله وأدَّى رَحْلَـكا　　وعظَّم الأجـــر وعافَى نفسكاَ

آمِنْ به أَفلَج ربى حَقَّـكا　　وانصره نصراً عزيزاً نصركاَ

قال : قلت : من أنت عافاكَ الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن ملك ، وأنا نقيبه على جن نَصِيبين . وكُفِيتَ إبلك حتى أضُمَّها إلى أهلك إن شاء الله .

قال : فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس أرسال إلى المسجد ، والنبى صلى الله عليه وسلم على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، فقلت أنيخ على باب المسجد حتى يصلى وأدخل عليه فأسْلمُ وأخبره عن إسلامى ، فلما أنختُ خرج إلىَّ أبو ذر فقال : مرحبا وأهلا وسهلا قد بلغنا إسلامك ، فادخل فصَلِّ . ففعلت ، ثم جئت إلى رسول الله صلى

(١) الدلائل والوفا : بين هداك الله ما السبيل .

الله عليه وسلم فأخبرَني بإسلامى . فقلت : الحمد لله . قال : « أما إن صاحبك قد وفَى لك وهو أهل ذلك ، وأدَّى إبلك إلى أهلك » .

وقد رواه الطبرانى [1] فى ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسين بن إسحاق اليسيرى ، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامى ، حدثنا عبد الله بن موسى الإسكندرى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرى ، عن أبى هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بَدْء إسلامى ؟ قال : بلى .

فذكره ، غير أنه قال : فخرج إلىّ أبو بكر الصديق فقال : ادخل ، فقد بلغنا إسلامك ، فقلت : لا أحسن الطُّهور . فعلَّمنى ، فدخلت المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه البدر وهو يقول « مامن مسلم توضأ فأحسن الوضوء ثم صلَّى صلاة يحفظها ويَعْقلها إلا دخل الجنة » .

فقال لى عمر : لتأتين على هذا ببينة أو لأنكلن بك . فشهد لى شيخ قريش عثمان بن عفان فأجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، عن محمد بن تيم ، عن محمد ابن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك : حدثنى بحديث يعجبنى . فذكر مثل السياق الأول سواء .

* * *

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشى الدمشقى ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شَرَحْبيل ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى ، عن عبد الله بن الديلمى ، قال : أتى رجلٌ ابنَ عباس فقال : بلغنا أنك تذكر سَطِيحا ، تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بنى آدم شيئا

(١) هذه الرواية ليست فى ا .

يشبهه ؟ قال : قال : نعم إن الله خلق سطيحاً الغَسَّانى لحماً على وضم [١] ولم يكنَ فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة ، والكفان . وكان يُطْوَى من رجليه إلى ترقوته كما يُطْوَى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة حُمِل على وضمة فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش : عبد شمس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصى ، والأحوص بن فهر ، وعقيل بن أبى وقاص ، فانتموا إلى غير نسبهم وقالوا : نحن أناس من جُمَح أتيناك ، بَلَغنا قدومك فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا . وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة رُدَيْنية ، فوضعت على باب البيت الحرام ، لينظروا أهل يراها سطيح أم لا .

فقال : ياعقيل : ناولنى يدك . فناوله يده فقال : ياعقيل والعالِم الخَفِيَّة ، والغافِر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك لَلجائى بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية . قالوا : صدقت ياسطيح . فقال : والآتى بالفرح ، وقوس قُزَح ، وسائر الفرح ، واللَّطِيم المُنْبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرَّ سنح ، فأَخْبَر أن القوم ليسوا من جُمَح ، وأن نسبهم من قريش ذى البطح ، قالوا : صدقت ياسطيح نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لِما بلغنا من علمك ، فأخبِرْنا عما يكون فى زماننا هذا وما يكون بعده ، فلعل أن يكون عندك فى ذلك علم .

قال : الآن صدقتم ، خذوا منى ومن إلهام الله إياى ، أنتم يامعشر العرب فى زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشو مِنْ عَقِبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغُنم .

---

(١) الوضم : شرائح من جريد النخل .

قالوا : ياسطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والأمن والسكان ، لينشأن من عقبكم وِلْدان ، يكسرون الأوثان ، ويُنكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، وينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان .

قالوا : ياسطيح مِن نسل مَن يكون أولئك ؟

قال : وأشرف الأشراف ، والمفضى للأشراف ، والمُزَعْزِع الأحقاف ، والمُضْعف الأضعاف ، لينشؤن الألاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشوءا يكون فيه اختلاف .

قالوا : ياسوءتاه ياسطيح مما تخبرنا من العلم بأمرهم ، ومن أى بلد يخرج أولئك ؟

فقال : والباقى الأبد ، والبالغ الأمَد ، ليخرُجَنَّ من ذا البلد ، فتى يهدى إلى الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ من عبادة الضد ، يعبد رباً انفرد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً . ثم يلى أمره الصدّيق إذا قضى صدق ، فى رد الحقوق لا خَرِق ولا نَزِق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرِّب غطريف ، ويترك قول العنيف ، قد ضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم يلى أمره داعياً لأمره مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه نقمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح إربا ، فيقوم بهِ رجال خُطَبا . ثم يلى أمره الناصر ، يخلط الرأى برأى المناكر ، يظهر فى الأرض العساكر ، ثم يلى بعده ابنه يأخذ جَمْعه ويقل حمده ، ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بعقبه من بعده ، ثم يلى من بعده عدة ملوك، لا شك الدم فيهم مسفوك ، ثم بعدهم الصعلوك ، يطويهم كطى الدرنوك (١) . ثم يلى من بعده عظهور (٢) يقضى الحق ويدنى مصر ، يفتتح الأرض افتتاحاً منكراً ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة ، يموت موتا وسلامة . ثم يلى قليلا باكر ، يترك الملك بائر ، يلى أخوه بسنّته سائرِ ، يختص بالأموال والمنابر ثم يلى من بعده أهوج ،

---

(١) الدرنوك : نوع من البسط له خمل . (٢) الموجود فى المعاجم : عظير كإردب ، وهو القوى الغليظ

صاحب دنيا ونعيم مخلج ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون إليه يخلعونه يأخذ الملك ويقتلونه ، ثم يلى أمره من بعده السابع ، يترك الملك محلا ضائع ، بنوه فى ملكه كالمشوه جامع ، عنـد ذلك يطمع فى الملك كل عريان ، ويلى أمره اللهفان . يرضى نزاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان بين بنيان ولبنان ، يصنف اليمن يومئذ صنفان : صنف المشورة ، وصنف المخذول . لا ترى إلا حباء محلول . وأسيراً مغلول ، بين القِرَاب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل، وتظهر الزلازل ، وتطالب الخلافة وائل ، فتغضب نزار ،فتدنى العبيد والأشرار ، وتُقْصى الأمثال والأخيار. وتغلو الأسعار فى صفر الأصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسيرون إلى خنادق وإنهـا ذات أشعار وأشجار تصـد له الأنهار ويهزمهم أول النهار ، تظهر الأخيار فلا ينفعهم نوم ولا قرار . حتى يدخل مصراً من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجىء الرماة تلف مشاة ، لقتل الـكماة ، وأسر الحماة . وتهلك الغواة ، هنالك يدرك فى أعلى المياه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ، وتـكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر الأعاريب ، ليس فيهم معيب ، على أهل الفسوق والريب ، فى زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ، وما تغنى المنى .

قالوا : ثم ماذا ياسطيح ؟ قال : ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتن .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وما تضمن من الفتن والملاحم (١) .

وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن ، وكيف بشَّر بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته عبد المسيح ، حين أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان . وذلك ليلة مولد الذى نسخ بشريعته سائر الأديان .

(١) بل هو هذيان ما كان ينبغى أن يسطر فى الكتب . وما أشبهه بتنبؤات الفلكيين !

باب كيفية بدء الوحى

﴿ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شىء أنزل عليه من القرآن العظيم ﴾

كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة .

وحكى ابن جَرِير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثا وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

أول ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة[1] فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح .

ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان[2] يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذَوات العَدد قبل أن يَنْزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

حتى جاءه الحق وهو فى غار حِرَاء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغَطَّنى حتى بلغ منى الجَهْد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : « اقْرَأْ باسم ربِّك الذى خَلَق . خَلَق الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقرأ وربُّك الأكْرَمُ . الذى عَلَّم بالقَلَم . عَلَّم الإنسان ما لم يعلم » .

(١) البخارى : الصالحة . (٢) البخارى : وكان .

فرجع بهـا رسول الله صلّى الله عليـه وسلم يَرجُفُ فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زَمِّلونى زملونى . فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع .

فقال لخديجة ــ وأخبرها الخبر ــ : لقد خشيتُ على نفسى .

فقالت خديجة : كلا ؛ والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتَصِلُ الرَّحم وتَقْرى الضيف ، وتحمل الـكَلَّ ، وتَـكْسِب المعدومَ ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة . وكان امرءًا قد تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الـكتاب العبرانى ، فيـكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى .

فقالت له خديجة : يابن عم ! اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلّى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى ، يا ليتنى فيها جَذَعا ، ليتنى أكون حيًّا ، إذ يُخْرِجك قومُك . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « أوَ مُخْرِجِيّ هم ؟ ! » فقال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئتَ به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزَّراً .

ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفى وفَتَر الوحى(١) فترة . حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فيما بلغنا ــ حزناً غَدَا منه مراراً كى يتردَّى من رءوس شواهق الجبال . فكلما أَوْفَى بذِرْوة جبل لـكى يلقى نفسَه تبدَّى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقاً . فيسكن لذلك جأشه ، وتقرُّ نفسه ، فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحى غَدَا كمثل ذلك . قال : فإذا أوفى بذورة جبل تبدى له جبريل فقال له : مثل ذلك .

هكذا وقع مطولا فى باب التعبير من البخارى .

---

(١) إلى هنا رواية البخارى فى صحيحه فى باب بدء الوحى ١/٣

قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سَلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال ـ وهو يحدّث عن فترة الوحى ـ فقال فى حديثه : « بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بَصَرى فإذا الملك الذى جاءنى بحِرَاء جالسٌ على كرسى بين السماء والأرض : فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زمِّلونى ، زملونى . فأنزل الله « يا أيها المُدَّثِّر ، قُمْ فأنْذِر ، وربَّك فكَبِّر ، وثيابَكَ فطَهِّر ، والرُّجْزَ فاهجر » فحمى الوحى وتتابع .

ثم قال البخارى : تابَعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعنى عن الليث ، وتابعه هلال ابن رَدَّاد[١] عن الزهرى . وقال يونس ومَعْمَر : ـ بوادره[٢] .

وهذا الحديث قد رواه الإمام البخارى رحمه الله فى كتابه فى مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولا فى أول شرح البخارى فى كتاب بدء الوحى إسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومَعْمر عن الزهرى كما عاقَه البخارى عنهما ، وقد رمزنا فى الحواشى على زيادات مسلم ورواياته ، ولله الحمد ، وانتهى سياقه إلى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

فقول أم المؤمنين عائشة « أول ما بُدِئ به من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » يقوِّى ما ذكره محمد بن إسحاق بن يَسَار عن عُبيد بن عُمَير الليثى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فجاءنى جبريل وأنا نائم بنَمَط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتَّنى ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى » وذكر نحو حديث عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتى بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرَّحا بهذا فى مغازى موسى بن عُقْبة عن الزهرى ، أنه رأى ذلك فى المنام ، ثم جاءه الملك فى اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : فى كتابه « دلائل النبوة » : حدثنا محمد بن أحمد

---

(١) الأصل والمطبوعة : داود . وهو تحريف (٢) أى ترجف بوادره بدل رواية : يرجف فؤاده .

ابن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جناب بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس ، قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحى بعد[1] . وهذا من قِبَل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عُمْره عليه الصلاة والسلام

وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبى عَدى ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر الشّعْبى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقُرِن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشىء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبى ، وهو يقتضى أن إسرافيل قُرِن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافى هذا . فإنه يجوز أن يكون أولُ أمره الرؤيا ، ثم وكِّل به إسرافيل فى تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء ، فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطّه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع

---

(١) ليس فى دلائل النبوة المطبوع .

جبريل ولم نَحْكِ ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا روى يحيى بن سعيد ، وسعيد بن المسيب .

ثم روى أحمد عن غُنْدَر ، ويزيد بن هارون ، كلاهما عن هشام ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا عَمَّار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى الضَّوء ويسمع الصوت ، وثماني سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشر سنين .

* * *

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجائب قبل بعثته .

فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعرف حَجَراً بمكة كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبْعَث ، إني لأعرفه الآن » . انتهى كلامه .

وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين ، من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة ــ قال : وكان واعيــة ــ عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حِراء فى كل عام شهراً من السنة يتنسَّك فيه ، وكان مِن نُسُك قريش فى الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالـكعبة .

وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عُبَيد بن عُمَير يحدِّث عبدَ الله بن الزبير مثل ذلك .

وهذا يدل على أن هذا كان عادة المتعبِّدين فى قريش أنهم يجاورون فى حراء للعبادة. ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المشهورة :

وثَوْرٍ ومن أَرْسَى ثَبِيراً مكانه ... وراقٍ ليَرْقَى فى حِـــرَاءٍ ونازلِ

هكذا صوَّبه على رواية هـذا البيت كما ذكره السهيلى وأبو شامة وشيخنا الحـافظ أبو الحجاج المِزِّى رحمهم الله ، وقد تصحَّف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى فى حر ونازل ــ وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحراء يُقْصَر ويمدّ ، ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منهـا عن يسار المـارِّ إلى منًى ، له قُلَّة مشرفة على الـكعبة منحنية ، والغار فى تلك الحنْيــة . وما أحسن ماقال رُؤْبة بن العَجَّاج :

فلا وربِّ الآمناتِ القُطَّنِ ... وربِّ ركنٍ من حراءمُنْحنِى

وقوله فى الحديث : « والتحنث : التعبد » تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنُّثِ مِن حيث البِنْيَة[١] فِيما قاله السهيلى : الدخول فى الحِنْث. ولـكن سمعت ألفاظ قليلة فى

---

(١) الأصل والمطبوعة : من حنث البنية . وفى ا : من حنث الثنية وكله تحريف .

اللغة معنـاها الخروج من ذلك الشيء كتحنَّث أى خرج من الحنْث. وتحوَّب وتحرَّج وتأثَّم. وتهجد هو ترْكُ الهُجُود وهو النوم للصلاة. وتنجَّس وتقذَّر. أوردها أبو شامة.

وقد سئل ابن الأعرابى عن قوله « يتحنث أى يتعبد » . فقال: لا أعرف هذا، إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

قال ابن هشام: والعرب تقول: التحنث والتحنف. يبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا جَدَّف وجذف، كما قال رُؤْبة:

* لو كان أحجارى مع الأجـذاف *

يريد الأجداث.

قال: وحدثنى أبو عبيدة، أن العرب تقول فُمَّ فى موضع ثُمَّ.

قلت: ومن ذلك قول بعض المفسرين: « وفومها » أن المراد ثومها.

* * *

وقد اختلف العلمـاء فى تعبُّده عليه السلام قبل البعثـة هل كان على شرعٍ أم لا؟ وما ذلك الشرع؟

فقيل: شرع نوح.

وقيل: شرع إبراهيم. وهو الأَشْبَه الأقوى.

وقيل موسى. وقيل عيسى.

وقيل: كل ماثبت أنه شرعٌ عنده اتبعه وعمل به.

ولبَسْط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر فى أصول الفقه والله أعلم.

وقوله « حتى فجأه الحق وهو بغار حراء » أى جاء بغتة على غير موعد، كما قال تعالى: « ومَا كنتَ تَرْجُو أن يُلْقَى إليك الـكتاب إلا رحمةً من ربك[1] » الآية.

---

(١) سورة النمل ٨٦

وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى ﴿ اقرأ باسم ربِّك الذى خَلَق ، خَلَق الإنسان مِنْ عَلَق. اقرأ وربُّك الأكرمُ . الذى عَلَّم بالقلم . عَلم الإنسانَ مالم يَعْلَمْ ﴾ ، وهى أول مانزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضا ، فى يوم الاثنين .

كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاكَ يومٌ ولدتُ فيه ، ويومٌ أُنزلَ علىَّ فيه » .

وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونُبئَ يوم الاثنين .

وهكذا قال عُبيد بن عُمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين ، وفيه بعث ، وفيه عُرج به إلى السماء .

والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عُبيد ابن عُمير ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

وقال ابن إسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : « شهرُ رمضان الذى أُنْزِل فيه القرآن هدى للناس » فقيل : فى عَشْره .

وروى الواقدى بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وقيل فى الرابع والعشرين منه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عمران أبو العوام ، عن قتادة عن أبى المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُنزلت صُحُف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لستٍّ مضَيْن من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وروى ابن مَرْدَوَيْه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه .

ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

***

وأما قول جبريل «اقرأ» فقال : « ما أنا بقارئ » فالصحيح أن قوله «ما أنا بقارئ» نَفْيٌ ، أى لستُ ممن يُحْسن القراءة . وممن رجَّحه النووى وقَبْلَه الشيخ أبو شامة .

ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد ، لأن الباء لا تزاد فى الإثبات .

ويؤيد الأول رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو خائف يُرْعد : « ماقرأت كتابا قط ولا أُحْسنه ، وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فَغَتَّه غتاً شديداً . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد صلى الله عليه وسلم « ما أرى شيئاً أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب » .

يروى : « فغطنى » كما فى الصحيحين « وغتنى » ويروى «قد غتنى» أى : خنقنى « حتى بلغ منى الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفَعَلَ به ذلك ثلاثا .

قال أبو سليمان الخَطَّابى : وإنما فعل ذلك به ليبلوَ صبره ويُحْسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلَّفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم ، وتأخذه الرُّحَضاء أى : البَهَر والعَرق .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها أن يستيقظ لعظمة ما يُلْقَى إليه بعد هذا

الصنيع المُشِقِّ على النفوس . كما قال تعالى ﴿ إنا سَنُلْقِي عليك قولاً ثقيلا ﴾[1] ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحى يحمرُّ وجهه ، ويغطُّ كما يغط البَكْر من الإبل ، ويتفصَّد جبينه عرقا فى اليوم الشديد البرد .

وقوله : « فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يَرْجُف فؤاده » . وفى رواية : « بوادره » جمع بادرة . قال أبو عبيدة : وهى لحمة بين المَنْكِب والعنق . وقال غيره : هى عروق تضطرب عند الفزع .

وفى بعض الروايات ترجف بَآدله ، واحدتها بادلة . وقيل بادل ، وهو مابين العنق والترقوة . وقيل أصل الثدى . وقيل: لحم الثديين . وقيل غير ذلك .

فقال : « زَمِّلونى زمِّلونى » ، فلما ذهب عنه الرَّوْع قال لخديجة : « مالى ؟ أىُّ شىء عرَض لى ؟ ! » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خشيتُ على نفسى » وذلك لأنه شاهَدَ أمراً لم يَعْهده قبل ذلك ، ولا كان فى خلده .

ولهـذا قالت خديجة : أبشر ، كلاَّ والله لا يخزيك الله أبداً . قيل : من الخزى ، وقيل: من الحزن .

وهذا لعِلْمها بما أَجْرَى الله به جميلَ العوائد فى خلقه ، أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يُخْزَى فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : « إنك لتَصِل الرَّحم وتَصْدُق الحديث » وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عنـد الموافِق والمفارِق .

« وتحْمل الـكَلَّ » أى عن غـيرك ، تعطِى صاحب العَيْلة مايريحه من ثقـل مؤنة عياله .

---

(١) سورة المزمل ٥ .

« وتَكْسِب المعدوم » أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوما لأن حياته ناقصة ، فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ إنما الميْت ميِّتُ الأحياءِ

وقال أبو الحسن التهامى ، فيما نقله عنه القاضى عياض فى شرح مسلم :

عُدَّ ذا الفَقْر مَيِّتاً وكِساَه كَفَناً بالياً ومأواه قَبْرَا

وقال الخطابى : الصواب « وتُكْسِب المُعْدِم » أى تبذل إليه أو يكون تكسب المُعْدم بعطيته[1] مالا يعيش به .

واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّى أن المراد بالمعدوم ههنا المال المُعْطَى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه .

ومن قال إن المراد أنك تَكْسب باتجارك المالَ المعدوم ، أو النفيسَ القليل النظير ، فقد أَبْعَد النجعة ، وأَغْرَق فى النَّزْع ، وتكلَّف ماليس له علم ، فإن مثل هذا لا يُمْدَح به غالباً ، وقد ضعّف هذا القول عياض والنووى وغيرهما والله أعلم .

« وتَقْرِى الضيف » أى تكرمه فى تقديم قراه ، وإحسان مأواه .

« وتعين على نوائب الحق » ويروى « الخير » ، أى إذا وقعت نائبة لأحد فى خيرٍ أعَنْتَ فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش .

وقوله : « ثم أخذتْه فانطلقتْ به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى » .

وقد قدَّمنا طَرفا من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ، وأنه كان ممن تنصَّر فى الجاهلية ، ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحُوَيرث ،

(١) محرفة بالأصل : أو يكون تلبس العدم بعطية .

وعُبَيد الله بن جحش ، فتنصّروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق .

إلّا زيد بن عمرو بن نُفَيل فإنه رأى فيه دَخَلا وتخبيطا وتبديلا وتحريفاً وتأويلا ، فأبَتْ فطرته الدخولَ فيه أيضا ، وبشره الأحبار والرهبان بوجود نبي قد أَزِفَ زمانه واقترب أوانه .

فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخْتَرَمَتْه المنيةُ قبل البعثة المحمدية .

وأدركها ورقةُ بن نوفل وكان يتوسَّمها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قدمنا، بما كانت خديجة تَنْعته له وتصفه له ، وما هو مُنْطَوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وماظهر عليه من الدلائل والآيات .

ولهذا لما وقع ماوقع أخذت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به إليه ، فوقفت به عليه وقالت : ابنَ عم، اسمع من ابن أخيك.فلما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى ، قال ورقة : سُبُّوح سُبُّوح ، هذا الناموس الذى أنزل على موسى .

ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونَسَخت بعضَها على الصحيح من قول العلماء . كما قال ﴿ ولِأُحلَّ لكم بعضَ الذى حُرِّم عليكم ﴾ (١) .

وقولُ ورقة هذا كما قالت الجن : ﴿ ياقومَنا إنَّا سَمِعْنا كتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ موسى مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يدَيْه يَهْدِى إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم ﴾ (٢) .

ثم قال ورقة : « ياليتنى فيها جذَعا » أى ياليتنى أكون اليومَ شابًّا متمكنا من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح .

---

(١) سورة آل عمران ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٣٠

« ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك » يعنى حتى أخرج معك وأنصرك .

فعِنْدَها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوَ مُخْرجىَّ هم ؟ » قال السُّهَيلى : وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : « نعم ! إنه لم يأتِ أحدٌ بمثل ماجئت به إلا عُودِى ، وإن يُدْرِكْنى يومك أنصركَ نصراً مؤزراً » أى أنصرك نصراً عزيزاً أبداً .

وقوله « ثم لم يَنْشَب ورقةُ أن توفى » أى توفى بعد هذه القصة بقليل ، رحمه الله ورضى عنه ، فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديقٌ بما وجِد ، وإيمان بما حصل من الوحى ، ونية صالحة للمستقبل .

* * *

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، عن ابن لَهِيعة ، حدثنى أبو الأسود ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بَياضٍ ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض » .

وهذا إسناد حسن ، لكن رواه الزُّهْرى وهشام عن عروة مرسلا . فالله أعلم .

وروى الحافظ أبو يَعْلَى ، عن شُرَيح بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مُجَالِد ، عن الشعبى ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، أبصرته فى بُطْنان الجنة[1] وعليه السندس » .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال « يبعث يوم القيامة أمةً وحدَه » .

وسئل عن أبى طالب فقال : « أخرجتُه من غَمْرة من جهنم إلى ضَحْضَاح منها » .

وسئل عن خديجة ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ، فقال : « أبصرتُها

---

(١) بطنان : كل شىء وسطه .

على نهر فى الجنـة فى بيت من قَصَب لا صَخَب فيـه ولا نَصَب » .

إسنادٌ حسن ، ولبعضه شواهد فى الصحيح . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البَزَّار : حدثنا عُبَيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « لا تسبُّوا وَرَقَة ، فإنى رأيت له جنة أو جنتين » .

وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبى سعيد الأَشَجِّ ، عن أبى معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، وهذا إسناد جيد . وروى مُرْسَلا وهو أَشْبَه.

وروى الحافظان : البَيْهقى وأبو نعيم فى كتابيهما . « دلائل النبوة » من حـديث يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن عمرو بن شَرَحْبيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إنى إذا خَلَوْتُ وَحْدى سمعتُ نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكون لهذا أمر » .

قالت : معاذ الله ، ما كان ليَفْعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدِّى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتَصْدُق الحديث .

فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكرت له خديجة فقالت : ياعَتِيق اذهب مع محمد إلى ورقة .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى ورقة . قال : « ومن أخبرك ؟ » قال : خديجة . فانطلقا إليه فقصَّا عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خَلْفى : يامحمد يامحمد . فأنطلق هارباً فى الأرض » . فقال له : لا تفعل . إذا أتاك فاثبت حتى تسمع مايقول لك ، ثم ائتنى فأخبرْنى .

فلما خلا ناداه : يامحمد ، قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالّين) قل : لا إله إلا الله . هذا حديث مرسل فيه غرابة .

فأتى ورقةَ فذكر له ذلك ، فقال له ورقةُ : أبشر ثم أبشر . فأنا أشهد أنك الذى بشّر بكَ ابنُ مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبى مرسل ، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك .

فلما توفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القَسَّ فى الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصَدَّقنى » يعنى ورقة .

هذا لفظ البيهقى ، وهو مرسل ، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل .

وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعَقْده عليه وتأكُّده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغمامة تظلله فى هجير القَيْظ ، فقال ورقة فى ذلك أشعارا قدَّمناها قبل هذا ، منها قوله :

لَججْتُ وكنت فى الذكرى لَجُوجاَ ... لأمرٍ طالما بَعَث النَّشِيجاَ

ووصفٍ من خديجة بعدَ وَصْفٍ ... فقد طال انتظارى ياخديجا

ببطن المَكَّتين على رجائى ... حديثك أن أرى منه خُروجا

بما خَبَّرتنا من قول قَسٍّ ... من الرهبان أكره أن يعوجا

بأنّ محمداً سيسود قوماً ... ويَخْصِمُ من يكون له حجيجا

ويُظْهِر فى البلاد ضياءَ نور ... يُقيم به البريةَ أن تعوجا

فيَلْقَى من يحاربه خساراً ... ويَلْقَى من يسالمه فُلُوجا

فيالَيْتى إذا ما كان ذاكم ... شهدتُ وكنت أولهم ولوجا

ولوجاً فى الذى[1] كرهت قريش ولو عجَّت بمكتها عجيجا
أرَجِّى بالذى كرهوا جميعاً إلى ذى العرش إذ سفلوا عروجا
فإن يبقَوا وأبْقَ تكنْ[2] أمورٌ يضجُّ الكافرون لها ضجيجا

وقال أيضاً فى قصيدته الأخرى :

وأخبارِ صِدْقٍ خُبِّرت عن محمدٍ يُخَبِّرها عنه إذا غاب ناصحُ
بأن ابنَ عبد الله أحمد مرسل إلى كلِّ من ضُمَّت عليه الأباطحُ
وظنى به أن سوف يُبْعث صادقاً كما أُرْسِل العبدان : هودٌ وصالحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرَى له بهاء ومنشور من الحق واضح
ويَتْبعه حَيَّا لؤىِّ بن غالبٍ شبابهمُ والأَشْيَبون الجحاجحُ
فإنْ أبْقَ حتى يُدْرِك الناسَ دهرُه فإنى به مستبشر الود فارحُ
وإلا فإنى يا خديجة فاعلمى عن أرضك فى الأرض العريضة سائحُ

وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : قال ورقة :

فإن يَكُ حقًّا يا خديجةُ فاعلمى حديثك إيانا فأحمدُ مُرْسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكال مَعْهما من الله وحىٌ يَشْرح الصدرَ مُنْزَلُ
يفوز به من فاز فيها بتوبة ويَشْقَى به العانى الغَرير المُضَلَّلُ
فريقان منهم فرقة فى جنانه وأخرى بأحوازِ الجحيم تُعَلَّل
إذا ما دَعَوْا بالويل فيها تتابعتْ مقامعُ فى هاماتهم ثم تُشْعَلُ
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ومن هو فى الأيام ما شاء يَفْعلُ
ومَنْ عرشُه فوق السموات كلها وأقضاؤه فى خلقه لا تُبَدَّلُ

---

(١) خ ط : ولو كان الذى . وما أثبته هو الرواية المتقدمة لابن كثير ، وهى الموافقة لابن هشام والصحيحة أيضاً .

(٢) المطبوعة : يكن أموراً ، وهو تحريف .

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجالِ وصَرْفِ الدهـــر والقَدَرِ ... وما لشيء قضاه الله مِنْ غِـــيَرِ
حتى خـــديجةُ تدعونى لأخبرها ... أمراً أراه سيأتى الناسَ من أُخَرِ
وخـــبَّرتْنى بأمرٍ قد سمعتُ به ... فيما مضى من قديم الدهر والعصرِ
بأن أحمـــدَ يأتيـــه فيخبره ... جبريلُ أنك مبعوثٌ إلى البَشَرِ
فقلت عَـــلَّ الذى ترْجين يُنْجزه ... لك الإله فرَجِّى الخـــيرَ وانتظرى
وأرسليه إلينـــا كَىْ نُسَائله ... عن أمره ما يرى فى النوم والسهرِ
فقال حين أتانا مَنْطِقًا عَجَبًا ... يقفُّ منـــه أعالى الجلد والشَّعرِ
إنى رأيت أمينَ الله واجَهَنى ... فى صورةٍ أُكْملت من أعظمِ الصُّوَرِ
ثم استمرَّ فـكاد الخوفُ يُذْعِرنى ... مما يسلِّم مِنْ حَـــوْلى من الشجرِ
فقلت ظَنِّى وما أدرى أيَصْـــدُقنى ... أنْ سوف يُبْعث يتلو مُنْزَل السُّوَرِ
وسوف يُبْليك إن أعلنت دعوتهم ... من الجهـــاد بلا منٍّ ولا كَدَرِ

* * *

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقى فى الدلائل وعنـدى فى صحتها عن ورقة نظر والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ـ وكان واعية (١) ـ عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته (٢) أَبْعَد حتى يحسر البيوت (٣)

---

(١) المطبوعة داعية . وهو تحريف .

(٢) المطبوعة : لحاجة . وهو تحريف .

(٣) خ ط : الثوب . وهو تحريف شنيع .

عنه ويُفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله .

قال : فيلتفت حَوْله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجرَ والحجارة ، فمكث كذلك يرَى ويسمع ماشاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحِرَاء فى رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى وهبُ بن كَيْسان مولى آل الزبير ، قال سمعت عبدَ الله ابن الزبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قتادة الليثى : حَدِّثنا ياعُبَيد : كيف كان بَدْء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عُبَيد وأنا حاضر ، يحدِّث عبدَ الله ابن الزبير ومَنْ عنده من الناس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء فى كل سنة شهراً يتحنَّثُ . قال : وكان ذلك مما تحنَّثُ [1] به قريش فى الجاهلية ، والتحنُّثُ : التبرُّر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يُطْعِم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ماشاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السَّنة التى بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى .

---

(١) خ ط : يحبب . وهو تحريف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فجاءنى وأنا نائم بنَمَط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغَتَّنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغَتَّنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً [1] منه أن يعود لى بمثل ماصنع بى .

فقال : « اقْرَأْ باسمِ ربِّك الذى خَلَق . خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ . اقرأ وربُّك الأَكْرَمُ . الذى عَلَّمَ بالقلم . عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَمْ » .

قال : فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى ، وهَبَبْتُ من نومى فكأنما كُتب فى قلبى كتابا .

قال : فخرجت حتى إذا كنت فى وسطٍ من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

قال : فرفعت رأسى إلى السماء ، فأنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صافٍّ قدميه فى أفق السماء يقول : يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

فوقفت أنظر إليه فما أتقدَّم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فما أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك .

فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعَثت خديجةُ رُسلَها فى طَلَبى ، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيتُ خديجةَ فجلستُ إلى فخذها مُضيفاً إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ .

---

(١) ط : اقتدا وهو تحريف .

ثم حدَّثتها بالذى رأيت فقالت : أبشر يا ابن العم واثبُتْ ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة : قُدُّوس قدوس ، والذى نفسُ ورقة بيده لئن كنتِ صدَقْتنى ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، وقولى له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى بما رأيتَ وسمعت .

فأخبره ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتُكَذَّبَنَّه ولتُؤْذَينه ولتُخْرجنه ولتقاتلنه (١) ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرا يَعْلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

وهذا الذى ذكره عُبَيد بن عُمَير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة ، كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح .

ويحتمل أن هذا المنام كان بعدَ ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلتئذ . ويحتمل أنه كان بعده بمدة . والله أعلم .

---

(١) الهاء هنا للسكت .

وقال موسى بن عُقْبة : عن الزُّهْرى عن سعيد بن المسيَّب ، قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام ، فشقَّ ذلك عليه ، فذكرها لامرأته خديجة ، فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت : أَبْشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً .

ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنه شُقَّ ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان . قالت : هذا والله خير فأبشر .

ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجاسه على مجلس كريم مُعْجب ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أجلسنى على بساط كهيئة الدُّرْنُوك(٢) ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشَّره برسالة الله عز وجل ، حتى اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جبريل اقرأ . فقال : كيف أقرأ ؟ فقال : « اقرأ باسم ربِّك الذى خَلَقَ ، خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَق اقرأ وربُّك الأكرمُ ، الذى عَلَّم بالقَلَم ، علَّم الإنسان ما لم يَعْلَم » .

قال : ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم .

قال : فقَبِل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم رسالة ربه واتَّبع ما جاءه به جبريل من عند الله .

فلما انصرف مُنْقلبا إلى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلا سَلَّم عليه ، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيما ، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتكِ التى كنتُ حدَّثْتُكِ أنى رأيته فى المنام ؟ فإنه جبريل استعلن إلىَّ ، أرسله إلىّ ربى عز وجل . وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشر فوالله لا يفعل

---

(١) الدرنوك : نوع من البسط له خمل .

الله بك إلا خيراً ، واقبَل الذى جاءك من أمر الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقاً .

ثم انطلقت من مكانها ، فأتت غلاماً لعُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ،نصرانياً من أهل نِينوَى يقال له عدَّاس فقالت له : ياعداس أذكِّرك بالله إلا ما أخبرتنى : هل عندك علم من جبريل ؟ فقال : قدوس قدوس ، ما شأنُ جبريل يُذْكر بهذه الأرض التى أهلُها أهل الأوثان . فقالت : أخبرنى بِعِلْمك فيه . قال: فإنه أمين الله بَيْنه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل ، فذكرت له ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما ألقاه إليه جبريل ، فقال لها ورقة : يا بُنَية أخى ، ما أدرى لعل صاحبك النبىُّ الذى يَنْتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حىٌّ لأُبْلينَّ الله فى طاعة رسوله وحُسْن مؤازرته للصبر والنصر .

فمات ورقة رحمه الله .

قال الزهرى : فكانت خديجة أولَ من آمن بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ البيهقى بعد إيراده ما ذكرناه : والذى ذُكِر فيه من شَقِّ بطنه يُحْتمل أن يكون حكاية منه لما صُنِع به فى صباه ، يعنى شَقَّ بطنه عنه حليمة ، ويحتمل أن يكون شُقَّ مرة أخرى ، ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء . والله أعلم .

وقد[1] ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة وَرَقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التَّيْمى قال :

---

(١) من هنا إلى وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة ا .

بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة .

وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً .

فبينما هو ذات يوم فى حراء ، وكان يفرُّ إليه من قومه ، إذ نزل عليه جبريلُ ، فدنا منه ، فخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة شديدة ، فوضع جبريلُ يده على صدره ومِن خلفه بين كتفيه ، فقال : اللهم احطُطْ وِزْرَه ، واشرح صدره ، وطهِّر قلبه ، يامحمد أبشر ! فإنك نبى هذه الأمة ، اقرأ . فقال له نبى الله : وهو خائف يُرْعد : ما قرأتُ كتابا قط ولا أُحْسنه ، وما أكتب وما أقرأ .

فأخذه جبريل فغَتَّه غتًّا شديداً ثم تركه ، ثم قال له : اقرأ . فأعاد عليه مثله . فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » الآيات ، ثم قال له : لا تخَفْ يا محمد ، إنك رسول الله .

ثم انصرف ، وأقبل على رسول الله صلّى الله عليه وسلم همُّه ، فقال : كيف أصنع وكيف أقول لقومى ؟ !

ثم قام رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامه وهو فى صعرته[1] ، فرأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أمراً عظيما ملأ صدرَه ، فقال له جبريل : لا تخف يا محمد ، جبريل رسول الله ، جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله ، فأيقنْ بكرامة الله فإنك رسول الله .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد

(١) أى عظمته .

يقول : السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه . فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغيُّر لونه ، فأفزعها ذلك ، فقامت إليه ، فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول : لعلَّك لِبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم .

فقال : يا خديجة أرأيت الذى كنت أَرى فى المنام والصوت الذى كنت أسمع فى اليقظة وأهالُ منه ؟ فإنه جبريل قد استعلن لى وكلمنى وأقرأنى كلاماً فزعت منه ، ثم عاد إلى فأخبرنى أنى نبى هذه الأمة ، فأقبلتُ راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن : السلام عليك يا رسول الله .

فقالت خديجة : أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً ، وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود ، قد أخبرنى به ناصح غلامى وبحيرى الراهب ، وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طعم وشرب وضحك .

ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها ، قال : مالك ياسيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلتُ إليك لتخبرنى عن جبريل .

فقال : سبحان الله ربنا القدوس ! ما بالُ جبريل يُذْكر فى هذه البلاد التى يَعْبد أهلُها الأوثان ؟ ! جبريلٍ أمين الله ورسولُه إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى .

فعرفَت كرامة الله لمحمد .

ثم أتت عَبْدا لعتبة بن ربيعة يقال له عداس ، فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأَزْيد ، قال : جبريلُ كان مع موسى حين أغرق الله فرعون

وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطُّور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أيَّده الله به .

ثم قامت من عنده فأتت ورقةَ بن نَوْفل فسألته عن جبريل ، فقال لها مثل ذلك . ثم سألها : ما الخبر ؟ فأحلفته أن يكتم ماتقول له ، لحلف لها فقالت له : إن ابن عبدِ الله ذَ كَر لى ، وهو صادقٌ أحلفُ بالله ما كَذَب ولا كُذِّب ، أنه نزل عليه جبريل بحِرَاء ، وأنه أخبره أنه نبيُّ هذه الأمة وأَقْرَأه آيات أُرسل بها .

قال : فذُعر ورقة لذلك وقال : لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزَل إلا على نبى ، وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم ، وقد صدَّقْتُك عنه ، فأرسلى إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدِّثه ، فإنى أخاف أن يكون غيرَ جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضىِّ مُدَلَّها مجنونا .

فقامت من عنـــده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليــه وسلم فأخبرته بما قال ورقة ، فأنزل الله تعـالى : « ن . والقلم وما يَسْطُرون . ما أنت بنعمةِ ربِّك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل . فقالت له : أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه .

فجاءه رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، فقال له ورقة : هــذا الذى جاءك فى نور أو ظلمة ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه .

فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل ، وأن هــذا كلام الله ، فقد أمرك بشىء تبلِّغه قومَك ، وإنه لأمرُ نُبوة ، فإن أُدْرِك زمانَك أتَّبعك . ثم قال : أَبْشِر ابنَ عبد المطلب بما بَشَّرك الله به .

قال : وذاع قولُ ورقة وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشقَّ ذلك على الملأ من قومه .

قال : وفَتَر الوحى ، فقالوا : لو كان من عند الله لتتَابع ولـكن الله قَلَاه . فأنزل الله «والضحى» و «ألم نشرح» بكمالها .

* * *

وقال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بَيَّنه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : نعم . فقالت : إذا جاءك فأخبرنى .

فَبَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياخديجة ، هذا جبريل. فقالت : أتراه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فاجلس إلى شقى الأيمن . فتحوّل فجلس . فقالت : أتراه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس فى حجرى . فتحوّل فجلس فى حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم . فتحسَّرت رأسها فشالت خمارَها ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها فقالت: هل تراه الآن ؟ قال : لا . قالت : ماهذا بشيطان إنّ هذا لملَك يا ابن عم ، فاثْبُت وأبشر. ثم آمنت به وشهدت أن ماجاء به هو الحق .

قال ابن إسحاق : فحدَّثت عبدَ الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدْخَلَت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

قال : البيهقى وهــذا شىء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطا لدينها وتصديقا .

فأما النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان وَثِق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التى ذكرناها مرة بعــد أخرى ، وما كان مِن تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم تسليما .

وقد قال مسلم فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شَيْبَة ، حدثنا يحيى بن بُـكَير ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثنى سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سَمُرة ، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنى لَأَعرف حجراً بمكة كان يسلِّم على قبل أن أُبعث إنى لأعرفه الآن » .

وقال أبو داود الطيالسى: حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سِمَاك بن حرب ، عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم علىَّ ليالى بُعثت إنى لأعرفه إذا مررت عليه » .

وروى البيهقى من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّى الـكبير ، عن عَبَّاد بن عبد الله ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة نخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يارسول الله .

وفى رواية : لقد رأيتنى أدخل معه الوادى فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .

فصـــل

قال البخارى فى روايته المتقدمة : ثم فَتَر الوحى حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غَدَا منه مراراً كى يتردَّى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أَوْفَى بذِرْوة جبل لكى يُلْقِى نفسه تبدَّى له جبريل فقال : يامحمد إنك رسول الله حقا .

فيَسْكن لذلك جَأْشه وتَقَرُّ نفسه فيرجع .

فإذا طالت عليه فترة الوحى غَدَا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن الزُّهرى ، قال : سمعت أبا سَلَمة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدِّث عن فترة الوحى قال : فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى قِبَل السماء فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء ، فجَئِثْت منه فرَقا حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلى فقلت زَمِّلونى زملونى . فأنزل الله : « يا أيها المُدَّثر قُمْ فأَنْذِرْ . ورَبَّك فكَبِّر . وثيابَك فطَهِّر . والرُّجْزَ فاهجر » .

قال : ثم حمى الوحى وتتابع .

فهذا كان أول مانزل من القرآن بعد فترة الوحى لا مطلقا ، ذاك قوله[1] « اقرأ باسم ربك الذى خَلَق » .

وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل « يا أيها المُدَّثر » واللائق حَمْلُ كلامه ما أمكن على ماقلناه ، فإن فى سياق كلامه مايدل على تقدم مجىء الملَك الذى عرفه ثانياً بما عرفه

(١) أى أن أول ما نزل مطلقاً هو « اقرأ » .

به أولا إليه . ثم قوله : « يحدِّث عن فترة الوحى » دليلٌ على تقدُّم الوحى على هذا الإيحاء . والله أعلم .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث على بن المبارك وعند مسلم والأوزاعى كلاهما عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سَلَمة بن عبد الرحمن : أىُّ القرآن أنزل قبلُ ؟ فقال : « يا أيها المدثر » .

فقلت : و« اقرأ باسم ربك » ؟

فقال : سألتُ جابر بن عبد الله : أى القرآن أنزل قبلُ ؟ فقال : « يا أيها المدثر » فقلت : « واقرأ باسم ربك »؟فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت بين يدىّ وخَلْفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أَرَ شيئا ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش فى الهواء ، فأخذتنى رعدة ـ أو قال وَحْشة ـ فأتيتُ خديجةَ فأمرتهم فدَثَّرونى ، فأنزل الله : « يا أيها المدثر » حتى بلغ « وثيابَك فطَهِّر » .

وقال فى رواية : « فإذا الملَكُ الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجَثَيْت منه » .

وهـذا صريح فى تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحىَ من الله عليـه كما ذكرناه . والله أعلم .

ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحى سورة « والضحى والليل إذا سجى ما وَدّعك ربُّك وما قَلَى » إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق .

وقال بعض القراء : ولهذا كَبَّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أولها فَرَحا .

وهو قول بعيد يردُّه ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح ، من أن أول القرآن نزولا

بعد فترة الوحى : « يا أيها المُدَّثر قم فأنذر » ولكن نزلت سورة « والضحى » بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة .

كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث الأسود بن قيس ، عن جندب بن عبد الله البَجَلى . قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا ، فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا تركك . فأنزل الله « والضُّحَى والليل إذا سَجَى ما وَدَّعك ربُّك وما قَلَى » .

وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة .

وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريبا من سنتين ، أو سنتين ونصفا .

والظاهر ، والله أعلم ، أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل . كما قال الشَّعبى وغيره .

ولا ينفى هذا تقدُّم إيحاء جبريل إليه أولا « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

ثم اقترن به جبريل بعد نزول « يا أيها المُدَّثر قُمْ فأنذر وربَّك فكَبِّر وثيابك فطَهِّر والرُّجْزَ فاهجر » .

* * *

ثم حَمِى الوحىُ بعد هذا وتَتَابع ، أى تدارك شيئاً بعد شىء .

وقام حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرسالة أتمَّ القيام ، وشمَّر عن ساق العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فآمن به حينئذ كلُّ لبيبٍ نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد .

فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق .

ومن الغلمان على بن أبى طالب .

ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام .

ومن الموالى مولاه زيد بن حارثة الكَلْبِى رضى الله عنهم وأرضاهم .

وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وَجَد من الوحى ومات فى الفترة رضى الله عنه .

فصل

فى مَنْع الجان ومَرَدة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفا واحداً فيلقيه على لسان وليِّه فيلتبس الأمر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أَنْ حَجَبهم عن السماء ، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم فى قوله : « وأَنَّا لَمَسْنا السماء فوجَدْناها مُلِئت حَرَساً شَدِيداً وشُهُباً . وأَنَّا كُنَّا نَقْعُد منها مقاعدَ للسمع فمَنْ يَسْتَمِع الآنَ يَجِدْ له شهاباً رَصَداً ، وأَنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُريد بمَنْ فى الأرضِ أَمْ أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً »(١) .

وقال تعالى : « وما تَنَزَّلَتْ به الشياطينُ وما يَنْبَغِى لهم وما يستطيعون . إنهم عنِ السَّمْعِ لمعْزولون »(٢) .

قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، وهو الطَّبَرانى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن يوسف الفِرْيَابى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى ، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقًّا ، وأما ما زادوا فتكون باطلا .

---

(١) سورة الجن .　(٢) سورة مريم .

فلما بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم مُنِعوا مقاعدَهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث فى الأرض .

فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلِّى بين جبلين ، فأتوه فأخبروه فقال : هذا الأمر الذى حدث فى الأرض .

وقال أبو عوانة : عن أبى بِشْر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشُّهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشهب . فقالو : ما ذاك إلا من شىء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها .

فمرَّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة ، وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء .

فرجعوا إلى قومهم فقالوا : « يا قومَنا إنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عجباً ، يَهْدِى إلى الرُّشد فآمَنَّا به ، ولن نُشْرِكَ بربنا أحَداً » فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم : « قُلْ أوحى إلىَّ أنه استمع نفرٌ من الجن فقالو إنا سَمِعْنا قرآناً عَجَباً »

أخرجاه فى الصحيحين .

وقال أبو بكر بن أبى شَيْبة : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع ، فإذا نزل الوحى سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديدة ألقيتَها على الصَّفَا .

قال : فإذا سمعت الملائكة خرُّوا سجَّداً فلم يرفعوا رءوسهم حتى ينزل ، فإذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون فى السماء قالوا : الحقَّ وهو العليُّ الكبير . وإن كان مما يكون فى الأرض من أمر الغيب أو موتٍ أو شيء مما يكون فى الأرض تكلموا به فقالوا : يكون كذا وكذا . فتسمعه الشياطين فينزِّلونه على أوليائهم .

فلما بُعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم دُحِروا بالنجوم ، فكان أولَ من علم بها ثَقِيفٌ . فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة ، وذو الإبل فينحر كل يوم بعيراً ، فأسرع الناس فى أموالهم . فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا ، فإن كانت النجوم التى يهتدون بها ، وإلا فإنه لأمرٍ حَـدَث . فنظروا فإذا النجوم التى يُهْتَدى بها كما هى لم يَزُلْ منها شىء ، فكَفُّوا .

وصرف الله الجنَّ فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا .

وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبَروه . فقال : هذا حَدَثٌ حَدَثَ فى الأرض ، فَأْتونى من كل أرض بتربة فأتوه بتربة . تِهامة فقال : هاهنا الحدث .

ورواه البيهقى والحاكم من طريق حَمَّاد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب .

وقال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد بن أَسْلَمَ ، عن عمر بن عبدان العَبْسى ، عن كعب قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها، فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يُسَيِّبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك مِنْ فعلهم أهلَ الطائف ، ففعلت ثقيفٌ مثلَ ذلك .

فبلغ عبدَ ياليل بن عمرو ماصنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رُمِى بالنجوم فرأيناها تهافَتُ من السماء . فقال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجَلوا

وانظروا ، فإن تـكن نجوما تُعْرَف فهو عندنا من فناء الناس [١] ، وإن كانت نجوما لا تُعْرف فهو لأمرٍ قد حدث .

فنظروا فإذا هي لا تُعْرف ، فأخبروه ، فقال : الأمرُ فيه مُهلة بعـدُ ، هـذا عندَ ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيراً حتى قَدِم عليهم أبو سفيان بن حَرْب إلى أمواله ، فجاء عبدُ ياليل فذا كَرَه أمرَ النجومِ ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبدالله يَدَّعى أنه نبيٌّ مُرْسل . فقال عبدُ ياليل : فعند ذلك رُمِي بها .

وقال سعيد بن منصور ، عن خالد بن حُصَين ، عن عامر الشَّعبي قال : كانت النجوم لا يُرْمَى بها حتى بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسَيَّبوا أنعامَهم وأعتقوا رقيقَهم. فقال عبدُ ياليل : انظروا ، فإن كانت النجوم التي تعرف فهو عنـد فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث ، فنظروا فإذا هي لا تُعرف .

قال : فأمسكوا ، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي والحاكم من طريق العَوْفي عن ابن عباس قال : لم تـكن سماء الدنيا تُحْرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .

فلعل مرادَ من نَفَى ذلك أنها لم تـكن تحرس حراسة شديدة ، ويجب حَمْل ذلك على هذا ، لِمَا ثبت في الحديث من طريق عبدالرزاق، عن مَعْمر ، عن الزُّهْري ، عن على ابن الحسين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهـذا ؟ » قالوا : كنا نقول مات

---

(١) الوفا : فهو عند فناء الناس .

عظيمٌ ، ولد عظيم . فقال : « لا ولكن . . » . فذكر الحديث كما ذكرنا عند خلق السماء وما فيها من الكواكب فى أول بدء الخلق (١) ولله الحمد .

* * *

وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة قصة رَمْى النجوم ، وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم فى النظر فى النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها . ولكن سَمَّاه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السُّدِّى : لم تكن السماء تُحرس إلا أن يكون فى الأرض نبىٌّ أو دينٌ لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد فى سماء الدنيا يستمعون مايَحْدث فى السماء من أمر .

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبيا رُجموا ليلةً من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهلُ السماء ! لِمَا رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشُّهب ، فجعلوا يعتقون أَرِقَّاءهم ، ويُسَيِّبون مواشيهم . فقال لهم عبدُ ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف ! أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرةً فى أمكنتها فلم يَهْلك أهلُ السماء ، وإنما هو من ابن أبى كَبْشة ، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء .

فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم .

وفزعت الشياطين فى تلك الليلة فأتوا إبليس فقال : ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب . فأتوه فشمَّ ، فقال : صاحبُكم بمكة .

فبعث سبعةَ نفر من جنِّ نَصِيبين فقدموا مكة فوجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى الجزء الأول من البداية والنهاية .

فى المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلُهم تصيبه ثم أسلَموا ، فأنزل الله أمرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم .

***

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح عن ابن أبى حكيم ـ يعنى إسحاق ـ عن عطاء ابن يَسار ، عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكَّساً ، فأتت الشياطين فقالوا له : ماعلى الأرض من صنم إلا وقد أصبح مُنَكَّسا . قال : هذا نبى قد بعث فالتمِسوه فى قرى الأرياف . فالتَمَسُوه فقالوا : لم نجده . فقال : أنا صاحبُه . فخرج يلتمسه فنودى: عليك بجنبة الباب[1] ـ يعنى مكة ـ فالتمسه بها فوجد بها عند قرن الثعالب ، فخرج إلى الشياطين فقال : إنى قد وجدته معه جبريل ، فما عندكم. قالوا : نُزَيِّن الشهوات فى عين أصحابه ونحبِّبها إليهم . قال : فلا آسَى إذاً .

وقال الواقدى : حدثنى طلحة بن عمرو ، عن ابن أبى مُلَيكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما كان اليوم الذى تنبَّأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب ، فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال : أمرٌ قد حدَث ، هذا نبى قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مَخْرَج بنى إسرائيل .

قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبه .

فخرج فى طَلَبه بمكة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدراً معه جبريل ، فرجع إلى أصحابه فقال : قد بعث أحمد ومعه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحبِّبها إلى الناس . قال : فذاك إذا .

قال الواقدى : وحدثنى طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كانت

---

(١) دلائل النبوة والوفا : عليك بحبة القلب مكة .

الشياطين يستمعون الوحى ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مُنعوا ، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر . فرقى فوقَ أبى قبيس ، وهو أول جبل وضع على وجه الأرض ، فرأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصلى خلفَ المقام . فقال : أذهب فأكسر عنقه . فجاء يخطر وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا ، فولّى الشيطان هاربا .

ثم رواه الواقدى وأبو أحمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبى معروف ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد . فذكر مثل هذا ، وقال : فركضه برجله فرماه بعدَن .

فصل

فى كيفية إتيان الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم كيفية ماجاءه جبريل فى أول مرة ، وثانى مرة أيضا .

وقال مالك : عن هشام بن عُرْوة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟

فقال : « أحيانا يأتينى مثل صَلْصة الجرس ، وهو أشدُّه علىّ ، فيَفْصم عنّى وقد وعيت ماقال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا يكلّمنى فأعى ما يقول » .

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيَفْصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرَقا .

أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك به .

ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة .

وقد رواه أيوب السِّخْتيانى عن هشام عن أبيه ، عن الحارث بن هشام أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كيف يأتيك الوحى ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفى حديث الإفك قالت عائشة : فوالله مارامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنْزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء حتى إنه كان يتحدَّر منه مثل الجُمَانِ من العرَق ، وهو فى يوم شاتٍ ، من ثِقَل الوحى الذى نزل عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنى يونس بن سليم ، قال أملَى علىَّ يونسُ بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القارى ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى يسمع عند وجهه كدوىِّ النحل ، وذكر تمام الحديث فى نزول (قد أفلح المؤمنون) .

وكذا روَاه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق .

ثم قال النسائى : مُنْكَر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفى صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن ، عن حِطَّان بن عبد الله الرَّقَاشى ، عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى كربه ذلك وتربَّدَ وجهه . وفى رواية وغمض عينيه . وكنا نعرف ذلك منه .

وفى الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت « لا يَسْتَوِى القاعدون من المؤمنين » فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت « غيرُ أولى الضَّرَر » .

قال : وكانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وأنا أكتب ، فلما نزل الوحى كادت فخذه ترضُّ فخذى .

وفى صحيح مسلم من حديث هَمَّام بن يحيى ، عن عطاء ، عن يَعْلى بن أمية . قال قال لى عمر : أيسرُّك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحَى إليه ؟ فرفع طرفَ الثوب عن وجهه وهو يوحَى إليه بالجِعْرَانة ، فإذا هو محمرُّ الوجه . وهو يغطُّ كما يغط البَكْرُ(١) .

وثبت فى الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سَوْدة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناكِ ياسودة . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعِرْق فى يده ، فأوحى الله إليه والعرق فى يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنه قد أُذِن لكنّ أن تخرجْنَ لحاجتكن » .

فدلَّ هذا على أنه لم يكن الوحى يُغَيِّب عنه إحساسَه بالكلِّية ، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عباد بن منصور ، حدثنا عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحى تربَّد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم .

وفى مسند أحمد وغيره من حديث ابن لَهِيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قلت : يارسول الله هل تحسُّ بالوحى ؟ قال : « نعم أسمع صلاصلَ ثم أَثْبت عند ذلك ، وما من مرة يوحَى إلىّ إلا ظننت أن نفسى تَفيظ(٢) منه » .

وقال أبو يَعْلى الموصلى : حدثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا

(١) البكر : ولد الناقة ، أو الفتى منها . (٢) تفيظ : تقبض .

عاصم بن كُلَيب ، حدثنا أبى ، عن خاله العِلْبَان بن عاصم قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحةً وفُرِّغ سَمْعُه وقَلْبه لما يأتيه من الله عز وجل .

وروى أبو نعيم من حديث قتيبة ، حدثنا على بن غراب ، عن الأَحْوَص بن حكيم ، عن أبى عوانة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى صُدِع وغَلَّف رأسَه بالحناء .

هذا حديث غريب جدا

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية سنان ، عن ليث ، عن عن شَهر بن حَوْشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إنى لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عَضُد الناقة .

وقد رواه أبو نعيم من حديث الثورى عن ليث بن أبى سليم به .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لِهَيعة ، حدثنى جبر بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الُحبُلى ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها .

وروى ابن مَرْدَوَيْه من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول ، حدثتنى أم عمرو ، عن عمها أنه كان فى مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها .

وهذا غريب من هذا الوجه .

ثم قد ثبت فى الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَرْجِعَه من الحديبية ، وهو على راحلته . فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم .

وقد ذكرنا أنواع الوحى إليه صلى الله عليه وسلم فى أول شرح البخارى وما ذكره الحليمى وغيره من الأئمة رضى الله عنهم .

فصـــل

قال الله تعالى : « لا تُحَرِّكْ به لسانَك لتعْجَلَ به ، إنَّ علينا جَمْعَه وقرآنه ، فإذا قرَأْناه فاتَّبِـعْ قرآنه ، ثم إنّ عَلَيْنَا بيَانَه(١) » .

وقال تعالى : « ولا تَعْجَلْ بالقرآن مِنْ قَبْلِ أن يُقْضَى إليك وحيُه ، وقل ربِّ زِدْنِى علما(٢) » .

وكان هذا فى الابتداء ، كان عليه السلام من شدة حرصه على أخذه من المَلَك مايوحى إليه عن الله عز وجل ليساوقه فى التلاوة ، فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحى ، وتكفَّل له أن يجمعه فى صدره ، وأن ييسر عليه تلاوته وتبليغه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه ، ويوقفه على المراد منه .

ولهذا قال « ولا تَعْجَل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما » .

وقال : « لا تحرِّك بهِ لسانَك لتَعْجَل به إنَّ علينا جَمْعه » أى فى صدرك « وقرآنَه » أى وأن تقرأه « فإذا قرأناه » أى تلاه عليك المَلَك « فاتَّبِـعْ قرآنَه » أى فاستمع له وتدَّبره « ثم إن علينا بيانَه » وهو نظير قوله : « وقل رب زدنى علما » .

وفى الصحيحين من حديث موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدةً ؛ فكان يحرك

(١) سورة القيامة ١٦ ـ ١٩ (٢) سورة طه ١١٤

شفتيه ، فأنزل الله « لا تحرِّكْ به لسانَكَ لِتعْجَل بِهِ إنَّ علينا جَمْعه وقرآنه » قال : جَمْعه في صدرك ثم تقرأه « فإذا قرَأْناه فاتَّبِع قُرْآنه » فاستمع له وأنصت « ثم إنَّ علينا بيانَه » قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده اللهُ عز وجل .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم تتابع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصدِّق بما جاءه منه ، وقد قَبِله بقبوله وتحمَّل منه ما حمله ، على رضا العباد وسخطهم .

وللنبوة أثقال ومُؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهلُ القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يَلْقون من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل .

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أَمر الله ، على مايلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصَدَّقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره .

وكانت أولَ من آمن بالله ورسوله ، وصدقت بما جاء منه .

فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه مِنْ رَدٍّ عليه ، ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرَّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تُثَبِّته وتخفف عنه ، وتصدِّقه وتهوِّن عليه أمرَ الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عُرْوة عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أبشِّر خديجة ببيت من قَصَب ، لاصخَبَ فيه ولا نصب » .

وهذا الحديث مخرَّج فى الصحيحين من حديث هشام .

قال ابن هشام : القَصَب هاهنا اللؤلؤ المجوَّف .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَذْكر جميعَ ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرًّا إلى من يطمئن إليه من أهله .

وقال موسى بن عقبة عن الزُّهرى : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تُفرض الصلاة .

قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، فأما أصل الصلاة فقد وجب فى حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن إسحاق : وكانت خديجة أولَ من آمن بالله ورسوله ، وصدَّق بما جاء به .

ثم إن جبريل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين افتُرِضت عليه الصلاة فهَمَز له بعَقِبه فى ناحية الوادى فانفجرت له عينٌ من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربعَ سجدات ، ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم وقد أقرَّ الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه مايحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصلِّيان سراً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلاها به عند البيت مرتين فبيَّن له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإنَّ ذلك كان بعد فَرْضيتها ليلةَ الإسراء .

وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

فصـــل

فى ذكر أول من أسلم ، ثم ذِكر متقدِّمى الإسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق : ثم إن على بن أبى طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان ، فقال على : يامحمد ماهذا ؟ قال : دينُ الله الذى اصطفَى لنفسه ، وبعث به رسلَه فأدعوك إلى الله وحدَه لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تَكْفر باللات والعُزَّى .

فقال على : هذا أمرٌ لم أسمع به قبلَ اليوم ، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب .

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشى عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره . فقال له : ياعلى إذ لم تسلم[١] فاكتم . فمكث علىٌّ تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب علىّ الإسلامَ ، فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا عرضت علىَّ يامحمد ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الأنداد » ففعل علىٌّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوفٍ من أبى طالب ، وكتم علىٌّ إسلامه ولم يظهره . وأسلم ابن حارثة ، يعنى زيداً ، فمكثا قريباً من شهر ، يختلف علىٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما أنعم الله به على علىٍّ أنه كان فى حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) ف ا : إذ لم تسمع فاكتم .

قال ابن اسحاق : حدثنى ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : وكان مما أنعم الله به على علىٍّ أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عيه وسلم لعمه العباس ، وكان من أيسر بنى هاشم : « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق حتى نخفِّف عنه من عياله » فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علىٌّ وآمَن به وصدَّقه .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكندى من أهل الكوفة ، حدثنى إسماعيل بن أبى إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده عفيف ، وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه ، أنه قال : كنت امرءاً تاجراً فقدِمْت منًى أيامَ الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه .

قال : فبينا نحن إذ خرج رجل من خِباء فقام يصلى تِجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلى ، وخرج غلام فقام يصلى معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو !

فقال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستُفْتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به .

قال عَفيف : فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانياً !

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وقال فى الحديث : إذ خرج رجل

من خِباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلى . ثم ذَكَر قيامَ خديجة وراءه .

وقال ابن جَرير : حدثنى محمد بن عُبيد المُحَارِبى ، حدثنا سعيد بن خُثيم ، عن أسد ابن عَبْدة البَجَلى ، عن يحيى بن عفيف قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلَّقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مُسْتقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ؛ فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجدا معه .

فقلت : يا عباس أمر عظيم !

فقال : أمر عظيم . فقال : أتدرى من هذا ؟ فقلت : لا . فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى . أتدرى من الغلام ؟ قلت : لا . قال : هذا على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما ؟ قلت : لا . قال : هذه خديجة بنت خُوَيلد زوجة ابن أخى .

وهذا حَدَّثنى أن ربَّك ربَّ السماء والأرض أمره بهذا الذى تراهم عليه ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير : حدثنى ابن حُمَيد ، حدثنا عيسى بن سوادة بن أبى الجعْد ، حدثنا محمد بن المُنْكَدر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأبو حازم والكلبى . قالوا : علىٌّ أول من أسلم .

قال الكلبى : أسلم وهو ابن تسع سنين .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا سَلمة عن ابن اسحاق . قال : أولُ ذَكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدقه على بن أبى طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال الواقدى : أخبرنا إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد قال : أسلم علىّ وهو ابن عشر سنين .

قال الواقدى : وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبَّأ رسول الله بسنَة .

وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجة ، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلى ، وأسلم علىٌّ قبل أبى بكر ، وكان على يكتم إيمانه خوفا من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم . قال : وازِرْ ابن عمك وانصره .

قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام .

وروى ابن جرير فى تاريخه من حديث شُعْبة عن أبى بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس . قال : أول من صلى علىّ .

وحدثنا عبد الحميد بن يحيى ، حدثنا شُرَيك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر . قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علىّ يوم الثلاثاء . وروى من حديث شُعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبى حمزة ـ رجل من الأنصار ـ سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب .

قال : فذكرته للنَّخْعى فأنكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم .

ثم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا العلاء ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عَبَّاد ابن عبد الله ، سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّديق الأكبر ،

لا يقولها بعدى إلا كاذب مُفْترٍ ، صليت قبل الناس بسبع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجة عن محمد بن إسماعيل الرازى ، عن عبيد الله بن موسى الفَهمى - وهو شيعى من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأزدى الكوفى - وثَّقوه - ولكن قال أبو حاتم : كان من عُتُق الشيعة - وقال على بن المَدِينى : روى أحاديث مناكير ، والمنهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخه عَبَاد بن عبد الله - وهو الأسدى الكوفى - فقد قال فيه على بن المدينى : هو ضعيف الحديث ، وقال البخارى : فيه نظر . وذكره ابن حبان فى الثقات .

وهذا الحديث مُنْكَر بكل حال ، ولا يقوله علىّ رضى الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين ؟ ! هذا لا يتصور أصلا . والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق .

والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات - وقَبْل الرجال أيضا -

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة .

وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب ، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صَدْراً معظما ، ورئيسا فى قريش مكرَّما ، وصاحب مال ، وداعيةً إلى الاسلام ، وكان محبَّباً متألفا يبذل المال فى طاعة الله ورسوله . كما سيأتى تفصيله .

قال يونس عن ابن اسحاق : ثم إن أبا بكر الصديق لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد ؟ مِن تَرْكك آلهتنا ، وتَسْفيهك عقولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلى، إنى رسول الله ونبيُّه ،بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فو الله إنه لَلْحَق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » .

وقرأ عليه القرآن ، فلم يقرّ ولم ينكر .

فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الُحصَين التميمى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كَبْوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ، ما عَكم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » .

عكم : أى تلبَّث .

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق فى قوله : « فلم يقر ولم ينكر » مُنكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلْق فكيف يكذب على الله ؟

ولهذا بمجرد ما ذَكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عَكَم .

وقد ذكرنا كيفية إسلامه فى كتابنا الذى أفردناه فى سيرته ، وأوردنا فضائله وشمائله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضا ، وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

من الأحاديث ، وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد والمنة .

وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبتَ ، وقال أبو بكر : صدَق . وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى » مرتين . فما أوذى بعدها .

وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه .

وقد روى الترمذى وابن حِبَّان من حديث شُعبة عن سعيد الجريرى ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال : قال أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه : ألستُ أحق الناس بها ، ألست أول من أسلم ، ألست صاحب كذا ؟

وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد ، حدثنا أبو إسحاق السَّبيعى عن الحارث ، سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم من الرجال على بن أبى طالب .

وقال شعبة : عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق .

رواه أحمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى: حسن صحيح .

وقد تقدم رواية ابن جَرير لهذا الحديث من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب .

قال عمرو بن مرة : فذكرته لإبراهيم النخعى فأنكره، وقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وروى الواقدى بأسانيده عن أبى أَرْوَى الدَّوْسى وأبى مسلم بن عبد الرحمن فى جماعة من السلف : أول من أسلم أبو بكر الصديق .

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الُحميدى ، حدثنا سفيان بن عُيينة ،عن مالك ابن مِغْوَل عن رجل قال : سئل ابن عباس : من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ؛ أما سمعت قول حسان :

إذا تذكرتَ شَجْواً من أخِى ثقةٍ   فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خيرَ البرية أوفاها وأَعْدلها   بعدَ النبى وأولاها بما حَملا
والتالىَ الثانىَ المحمود مَشْهدهُ   وأول الناس منهم صَدَّق الرُّسلا
عاش حَمِيداً لأمر الله مُتَّبعاً   بأمرِ صاحبه الماضى وما انتقلا

وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا شيخ لنا عن مُجَالد ، عن عامر قال : سألت ابن عباس ــ أو سئل ابن عباس ــ أى الناس أول إسلاماً ؟ قال : أما سمعت قول حسان ابن ثابت فذكره .

وهكذا رواه الهيثم بن عدى ، عن مجالد عن عامر الشَّعْبى ، سألت ابن عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنى سُرَيج بن يونس ، حدثنا يوسف بن الماجشون قال : أدركت مشيختنا منهم محمد بن الُمنْكَدر ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وصالح بن كَيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكُّون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النَّخعى ، ومحمد بن كعب ، ومحمد بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وروى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ومحمد بن الحَنَفية أنهما قالا : لم يكن أولهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلهم إسلاماً .

قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت فى صحيح البخارى من حديث همام بن الحارث، عن عمار بن ياسر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبى النُّجُود ، عن زِرٍّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعَمَّار ، وأمه سُمية ، وصهَيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعَمِّه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أَدْرع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أَحَدٌ أحد .

وهكذا رواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا .

فأما ما رواه ابن جَرير قائلا : أخبرنا ابن حُميد ، حدثنا كنانة بن جَبلة عن إبراهيم بن طهمان ، عن حجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعْد ، عن محمد بن سعد بن أبى وقاص قال : قلت لأبى : أكان أبو بكر أولكم إسلاما ؟ قال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلاما .

فإنه حديث منكر إسناداً ومتنا .

قال ابن جرير : وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد بن حارثة ، ثم روى من

طريق الواقدى عن ابن أبى ذئب ، سألت الزُّهْرى : من أول من أسلم من النساء ؟ قال : خديجة . قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .

وكذا قال عروة وسليمان بن يَسَار وغير واحد : أول من أسلم من الرجال زيد ابن حارثة .

وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هـذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن المَوَالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبى طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

* * *

قال محمد بن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل .

وكان أبو بكر رجلا مأْلَفاً لقومه محبا سهلا ، وكان أنسبَ قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف .

وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغـير واحد من الأمر ، لعلمـه وتجارته وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الإسلام من وَثِق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه .

فأسلم على يديه فيما بلغنى: الزبيرُ بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عُبَيد الله ، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم .

فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا .

وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا فى الإسلام ، [فصلُّوا و[1]]صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله .

(١) من ابن هشام . ويلاحظ أن لفظ ابن هشام مختلف عما هنا كثيراً .

وقال محمد بن عمر الواقدى : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن مَخْرمة بن سليمان الوالِبىّ عن إبراهيم بن محمد بن أبى طلحة قال : قال طلحة بن عُبيد الله : حضرت سوق بُصْرى ، فإذا راهب فى صومعته يقول : سَلُوا أهل الموسم : أفيهم رجل من أهل الحرَم ؟

قال طلحة : قلت : نعم أنا . فقال : هل ظهر أحمد بعدُ ؟ قات : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يَخْرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مَخْرجه من الحَرَم ، ومُهاجَره إلى نخل وحرَّة وسباخ ، فإياك أن تُسْبق إليه .

قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين قد تنبَّأ ، وقد اتبعه أبو بكر ابن أبى قُحَافة .

قال : فخرجت حتى قَدِمت على أبى بكر ، فقلت : اتبعتَ هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلقْ إليه فادخل عليه فاتبعْه ، فإنه يدعو إلى الحق . فأخبره طلحة بما قال الراهب .

فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب ، فسُرَّ بذلك .

فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدَوية ، وكان يدعى أسدَ قريش ، فشدَّهما فى حبل واحد ، ولم يمنعهما بنو تَيْم ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «اللهم اكفنا شرَّ ابن العَدَوية» . رواه البيهقى .

***

وقال الحافظ أبو الحسن خَيْثمة بن سليمان الأَطْرابُلُسىّ : حدثنا عبيد الله بن محمد ابن عبد العزيز العُمَرى قاضى المِصِّيصَة ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثنى أبى عبيد الله ، حدثنى عبد الله

[بن محمد] بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال حدثنى أبى محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقا فى الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم فُقِدت من مجالس قومك ، واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأخشبيْن أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبى بكر .

ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد ابن أبى وقاص فأسلموا .

ثم جاء الغد بعثمان بن مَظْعون ، وأبى عبيدة بن الجْراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى سلَمة بن عبد الأسد ، والأَرْقَم بن أبى الأرقم ، فأسلموا رضى الله عنهم .

***

قال عبد الله بن محمد: فحدثنى أبى محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألحّ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور ، فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » .

فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كلُّ رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فكان أولَ خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديداً ، ووطِئ أبو بكر وضُرب ضربا شديدا ، ودنا منه الفاسق عُتْبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبى بكر حتى مايُعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تَيْم يتعادَوْن فأجْلَت المشركين عن أبى بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكّون فى موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبى بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : مافعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعَذَلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انْظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه . فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالى علمٌ بصاحبك . فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

فخرجت حتى جاءت أمَّ جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دَنِفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر،وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمُّك تسمع . قال : فلا شىء عليكِ منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : اين هو ؟ قالت : فى دار ابن الأرقم .

قال : فإن لله علىَّ أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمْهَلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس،خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فأكبَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبّله

وأكب عليه المسلمون ، ورقَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة .

فقال أبو بكر : بأبى وأمى يارسول الله، ليس بى بأس إلا مانال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى برَّة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار .

قال : فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت .

***

وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا .

وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب أبو بكر .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ـ أو لأبى جهل بن هشام ـ فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة .

وخرج أبو الأرقم ، وهو أعمى كافر ، وهو يقول : اللهم اغفر لبُنىَّ عُبيد الأرقم فإنه كفر .

فقام عمر فقال : يارسول الله علامَ نُخْفى ديننا ونحن على الحق ، ويَظْهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « ياعمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » .

فقال عمر : فوالذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان .

ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهى تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبأْت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل إصبعه في عينه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحى الناس ، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان .

ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر عليهم ، قال : ماعليك ، بأبي وأمي . والله مابقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان غيرَ هائب ولا خائف .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب ، حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك في السنة السادسة من البعثة . كما سيأتي في موضعه إن شاء الله .

وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم(١) من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عَبَسة السُّلَمي رضي الله عنه قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في أول مابعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مُسْتخفٍ فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبي . فقلت : وما النبي ؟ قال : رسول الله . قلت : الله أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن تعبد الله وحده لاشريك له وتَكْسر الأصنام ، وتوصل الأرحام . قال : قلت: نِعْم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حر وعبد . يعني أبا بكر وبلالا .

(١) إسلام عمرو بن عبسة في صحيح مسلم ١/٥٦٩ حديث رقم ٨٣٢ ولفظه مطول مختلف .

قال فـكان عمرو يقول : لقد رأيتُنى وأنا رُبْع الإسلام .

قال : فأسلمت . قلت : فأتبعك يارسول الله ؟ قال : لا ولـكن الحق بقومك ، فإذا أُخبرتَ أنى قد خرجت فاتبعنى .

ويقال إن معنى قوله عليه السلام « حر وعبد » اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبى بكر وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة ، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا ، فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه ، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرُّون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثيرُ أحد من قراباتهم ، دَعِ الأجانب، دع أهل البادية من الأعراب . والله أعلم .

وفى صحيح البخارى من طريق أبى أسامة عن هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المسيَّب قال : سمعت [أبا إسحاق[1]] سعدَ بن أبى وقاص يقول : ما أسلم أحدٌ فى اليوم الذى أسلمتُ فيه ، ولقد مكثت سبعةَ أيام وإنى لثُلْث الإسلام .

أما قوله : « ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه » فسهل ، ويروى : « إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه » وهو مُشْكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد بالإسلام .

وقد عُلم أن الصِّديق وعليًّا وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حَـكى الإجماعَ على تقدُّم إسلام هؤلاء غيرُ واحد ، منهم ابن الأثير .

ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلاًّ من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه . والله أعلم .

وأما قوله : « ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام » فمُشْكل وما أدرى على ماذا يوضع عليه ، إلا أن يكون أخبَر بحسب ماعَلِمه . والله أعلم .

***

(١) من صحيح البخارى ٢/١٨٣ . والرواية فيه : « إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه » .

وقال أبو داود الطَّيالسى : حدثنا حماد بن سَلَمة ، عن عاصم ، عن زرٍّ ، عن عبد الله، وهو ابن مسعود ، قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعُقْبة بن أبى معيط بمكة . فأَتى علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرَّا من المشركين ، فقال ـ أو فقالا ـ : عندك ياغلام لبن تسقينا ؟ قلت : إنى مؤتَمَن ، ولست بساقيكما . فقال : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل بعدُ ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع ودعا ، فَحفَل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقيانى ثم قال للضرع : اقلص . فقلص .

فلما كان بعدُ أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علِّمنى من هذا القول الطيب ، يعنى القرآن ، فقال : « إنك غلام مُعَلَّم » فأخذت من فيه سبعين سورة ماينازعنى فيها أحد .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عَفَّان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عرفة ، عن أبى بكر بن عَيَّاش ، عن عاصم بن أبى النُّجُود به .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله بن بَطَّة الأصبهانى ، حدثنا الحسن بن الجهْم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا محمد بن عمر ، حدثنى جعفر ابن محمد بن خالد بن الزبير ، عن أبيه ـ أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أولَ إخوته أسلم .

وكان بَدْء إسلامه أنه رأى فى المنام أنه وقِف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به . ويرى فى النوم كأن آتٍ أتاه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحَقْوَيْه [1] لا يقع ، ففزع من نومه فقال : أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق.

(١) الحقو : الكشح ، وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

فلقى أبا بكر بن أبى قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير ، هـذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فإنك ستتبعه وتدخل معه فى الإسلام ، والإسلام يَحْجزك أن تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها .

فلقى رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم وهو بأَجْيَاد ، فقال : يارسول الله يامحمد إلام تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا يَدْرى من عبده ممن لا يعبده » .

قال خالد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

وتغيَّب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل فى طلبه فأتى به ، فأنَّبه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت . فقال خالد : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به .

وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه ويكون معه .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق : حدثنى رجل مِن أَسْلَمَ (1) ـ وكان واعية ـ أن أبا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه مايكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجة منكرة .

(1) المطبوعة : ممن أسلم . وهو تحريف . وأسلم : قبيلة .

وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه . وقالوا ما نراك ياحمزة إلا قد صبَأْت

قال حمزة : ومن يمنعنى وقد استبان لى منه ما أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنّ الذى يقول حق ، فوالله لا أنزع ، فامنعونى إن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمَارة فإنى والله لقد سبَبْت ابنَ اَخيه سباً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، فـكفُّوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة فى ذلك شعراً .

قال ابن إسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك لَلْموت خير لك مما صنعت .

فأقبل حمزة على نفسه وقال : ماصنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقَه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مَخْرجا .

فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان .

حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ياابن أخى إنى قد وقعت فى أمر ولا أعرف المَخْرج منه ، وإقامة مثلى على مالا أدرى ماهو أرشد أم هو غى شـديدٌ فحدِّثنى حديثا، فقد اشتهيت ياابن أخى أن تحدثنى .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره . فألقى الله فى قلبه الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر ياابن أخى دينك ، فوالله ما أحب أن لى ما أظلّته السماء وأنى على دينى الأول .

فـكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصمّ عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بكير به .

ذكر إسلام أبى ذرٍّ رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدثنا عبد الله بن الرُّومى ، حدثنا النَّضْر بن محمد ، حدثنا عِكْرمة بن عمَّار ، عن أبى زُميل سماك بن الوليد ، عن مالك بن مَرْثد ، عن أبيه ، عن أبى ذر ، قال : كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يارسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا سياق مختصر .

وقال البخارى : إسلام أبى ذر : حدثنا[1] عمرو بن عباس ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن المثنى عن أبى جَمْرة[2] ، عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذَرٍّ مبعثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى عِلمَ هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتنى .

فانطلق الآخر[3] حتى قَدِمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاماً ماهو بالشعر .

فقال : ماشفَيْتنى مما أردتُ .

فتزوَّد وحمل شَنَّة [له] فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجدَ فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعضُ الليل [اضطجع][4] فرآه علىّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبَه عن شىء حتى

---

(٢) البخارى : حدثنى . (٢) خ ط : حمزة . وهو تحريف وما أثبته من صحيح البخارى ٢/١٨٣

(٣) البخارى : الأخ . (٤) ليست فى البخارى .

أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظَلَّ ذلك اليومَ ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسَى ، فعاد إلى مضجعه . فمر به عليّ فقال : أما آن[1] للرجل [أن[2]] يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء .

حتى إذا كان يوم الثالث فعاد[عليّ[2]] على مثل ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدثني بالذى أَقْدَمك ؟ قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقا لَتُرْشدنَّني فعلتُ . ففعل فأخبره . قال : فإنه حق ، وإنه[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أصبحتَ فاتبعنى ، فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى .

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » .

فقال : والذى بعثك بالحق[4] لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام [القوم[2]] فضربوه حتى أضجعوه .

فأتى العباسُ فأكبَّ عليه فقال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غِفَار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام ؟ ! فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها[5] فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه .

هذا لفظ البخارى .

وقد جاء إسلامه مبسوطا فى صحيح مسلم وغيره .

فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حُميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غِفار ، وكانوا يُحلون الشهر الحرام ، أنا وأخى أنيس وأمُّنا .

---

(١) البخارى : أما نال . (٢) من البخارى . (٣) البخارى : وهو رسول الله .
(٤) البخارى : والذى نفسى بيده . (٥) البخارى : لمثلها .

فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذى مال وذى هيئة ، فأكرمَنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسَدَنا قومُه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس .

فجاء خالنا فنَثَى ماقيل له[١] فقلت له : أمّا ما مضَى من معروفك فقد كدَّرْته ، ولاجماع لنا فيما بعد .

قال : فقرَّبْنا صِرْمَتَنا[٢] فاحتملْنا عليها ، وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكى .

قال : فانطلقنا حتى نزلنا حضرةَ مكة ، قال فنافَر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها ، فأتيَا الكاهن فخيَّر أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلِها .

وقد صلّيتُ يابن أخى ، قبل أن ألقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين .

قال : قلت لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجَّه ؟ قال : حيث وجَّهنى الله . قال : وأصلِّى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفيتُ كأنى خِفَاء[٣] حتى تعلونى الشمس .

قال : فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألْقِنِي حتى آتيك . قال : فانطلق فراث[٤] علىَّ ، ثم أتانى فقلت : ما حبسك قال : لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال : فقلت : مايقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعر وساحر . وكان أنيس شاعراً .

قال : فقال: لقد سمعتُ الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فو الله مايَلْتَئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون .

قال : فقلت له : هل أنت كافىَّ حتى أنطلق ؟ قال : نعم ! وكُنْ من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شنَّعوا له وتجهموا له .

---

(١) نثى ما قيل له : أظهره وحدث به . (٢) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين
(٣) الخفاء : الكساء . (٤) راث : أبطأ .

قال : فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفَّت رجلا منهم فقلت : أين هذا الرجل الذى يدعونه الصابئ ؟ قال : فأشار إلىّ . فمال أهلُ الوادى علىّ بكل مَدَرة وعظم حتى خررت مغشيًّا على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نَصَب أحمر ، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عُكَن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع .

قال فبينا أهل مكة فى ليلة قمراء إضْحِيَان[1] وضرب الله على أشحمة[2] أهل مكة ، فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتتا علىّ وهما يدعوان إسافَ ونائلة . فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر . فما ثناهما ذلك . فقلت : وهنَّ مثلُ الخشبة غير أنى لم أركن .

قال : فانطلقتا يُوَلْولان ويقولان : لو كان ههنا أحد من أنفارنا .

قال : فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا : مالكما ؟ فقالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قالا : ماقال لكما ؟ قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم .

قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى .

قال : فأتيته فكنت أولَ من حياه بتحية أهل الإسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله . من أنت ؟ » قال : قلت : من غِفَار ، قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته ، قال : فقلت فى نفسى : كَره أن انتميْتُ إلى غِفار .

قال : فأردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه ، وكان أعلم به منى . قال : متى كنت ههنا؟

قال : قلت : كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم .

---

(١) إضحيان : مضيئة . (٢) الأشحمة : الآذان .

قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عُكن بطنى ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعْم » .

قال : فقال أبو بكر : ائذن لى يارسول الله فى طعامه الليلة . قال : ففعل .

قال: فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما، حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أولَ طعام أكلتُه بها . فلبثت مالبثت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى قد وجِّهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مُبلغ عنى قومَك ، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم » ؟

قال : فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا ، قال : فقال لى : ماصنعت ؟ قال : قلت صنعت أنى أسلمت وصدّقت .

قال : فما بى رَغْبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت .

ثم أتينا أمَّنا فقالت : ما بى رغبة عن دينكما ، فإنى قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غِفار ، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان يؤمُّهم خُفَاف بن أَيْمَاء بن رحضة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . قال: فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم بقيتهم . قال : وجاءت أَسْلَمَ فقالوا : يارسول الله إخواننا نسلم على الذى أسلموا عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالَمها الله » . ورواه مسلم عن هُدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسى فى كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر إسلام ضِماد

روى مسلم والبيهقى من حديث داود بن أبى هند ، عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضِمَاد مكة ، وهو رجل من أَزْد شنوءة ، وكان يَرْقِى من هـذه الرياح ، فسمع سفهاء من سُفَّه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال : أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى ؟

فاقيت محمـداً فقات : إنى أرقِى من هـذه الرياح ، وإن الله يشفى على يدى من شاء ، فهلمَّ .

فقال محمـد : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثلاث مرات » .

فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام .

فبـايعه رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فقال له : وعلى قومك ؟ فقـال : وعلى قومى .

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مُطْهرةً[1] . فقال رُدَّها عليهم فإنهم قوم ضماد .

وفى رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس[2] البحر .

---

(١) المطهر : البعير التى أتت عليه الظهيرة وهو يرعى .

(٢) قاموس البحر : أبعد موضع فيه غوراً . هذا والرواية فى الوفا : أعد على كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ثلاث مرات . فقال : لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغت قاموس البحر .

وقد ذكر أبو نعيم فى دلائل النبوة إسلام من أسلم من الأعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه .

***

وقد سَرَد ابنُ اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم .

قال : ثم أسلم أبو عُبيدة ، وأبو سَلمة ، والأرقم بن أبى الأرقم ، وعثمان بن مَظْعون ، وعُبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب .

وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر ، وهى صغيرة .

وقُدَامَة بن مَظعون ، وعبد الله بن مظعون .

وخَبَّاب بن الأرتّ ، وعُمير بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارِى[١] ، وسَليط بن عمرو وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلمة[٢] بن مُخَرِّبة[٣] التميمية ، وخُنيس بن حُذَاقة ، وعامر بن ربيعة .

وعبد الله بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس .

وحاطب بن الحارث [وامرأته فاطمة بنت المجلل . وحطَّاب بن الحارث[٤]] وامرأته فُكَيهة ابنة يَسَار .

ومَعْمَر بن الحارث بن معمر الُجمَحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون .

والمطَّلب بن أزهر بن عبد مناف[٥] ، وامرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن صُبَيرة بن سعيد بن سَهْم . والنَّحَّام، واسمه نُعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر،

---

(١) هو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع ابن الهون بن خزيمة من القارة . والقارة لقب لهم . وهى قبيلة . ولهم يقال : قد أنصف القارة من راماها
(٢) ابن هشام : سلامة . (٣) الأصل والمطبوعة : مخرمة التيمى ، وهو تحريف وما أثبته عن ابن هشام . (٤) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام. (٥) ابن هشام : عبد عوف .

وخالد بن سعيد ، وأُمَيْنة ابنة خَلف بن أسعد[1] بن عامر بن بَيَاضة من[2] خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عَرِين بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى .

وخالد بن البُكَير ، وعامر بن البُكَير ، وعاقل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث . وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا ، وهم حلفاء بنى عدى بن كعب .

وعمار بن ياسر ، وصُهيب بن سنان .

ثم دخل الناس [فى الإسلام[3]] أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتُحدث به .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يَصْدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .

قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ذهبوا فى الشعاب واستخْفوا بصلاتهم من قومهم .

فبَيْنا سعد بن أبى وقاص فى نفر يصلّون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم .

فضرب سعد رجلاً من المشركين بلَحْى جمل فشجَّه ، فكان أول دم هُريق فى الإسلام وروى الأموى فى مغازيه من طريق الوقاصى عن الزُّهرى عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها ، وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

---

(١) ط ، خ : سعد وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام . (٢) الأصل : ابن ، وهو تحريف
(٣) من ابن هشام .

باب

أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال ، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم ، وذكر ما لقى من الأذية منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم .

قال الله تعالى : « وأنْذِرْ عشيرتَكَ الأقربين ، واخفِضْ جناحَكَ لمن اتَّبعكَ من المؤمنين ، فإن عصَوْكَ فقل إنى برىءٌ مما تعملون ، وتوكَّل على العزيز الرحيم ، الذى يراكَ حين تقوم ، وتقلُّبَكَ فى الساجدين ، إنه هو السميع العليم[1] » .

وقال تعالى : « وإنه لذكْرٌ لك ولقومِك وسوف تُسْأَلون[2] » .

وقال تعالى : « إنَّ الذى فَرَضَ عليك القرآن لرَادُّكَ إلى مَعاد[3] » أى إن الذى فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهى المعاد ، فيسألك عن ذلك . كما قال تعالى : « فوربِّكَ لنَسْألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » .

والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة جداً ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء « وأنذر عشيرتك الأقربين » . وأوردنا أحاديث جمة فى ذلك .

فمن ذلك : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نُمَير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن

---

(١) الشعراء : ٢١٤ ـ ٢٢٠

(٢) الزخرف : ٤٤

(٣) القصص : ٨٥ .

مُرة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله « وأنذرْ عشيرتك الأقربين » أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصَّفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » .

فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد المطلب ، يابنى فِهْر ، يابنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » .

فقال أبو لهب ، لعنه الله : تبًّالك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا .

وأنزل الله عز وجل « تَبَّتْ يَدَا أبى لهب وتَبَّ » .

وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عُمَير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبى هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية « وأنذرْ عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فعمَّ وخصَّ . فقال : « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحما سأبُلُّها ببَلالها[1] » .

ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عُمير ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن سعيد بن المسيِّب ، وأبى سلمة عن أبى هريرة ، وله طرق أخر عن أبى هريرة فى مسند أحمد وغيره .

وقال أحمد أيضا: حدثنا وَكِيع بن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها . قالت :..

---

(١) البلال : جمع بلل ، وفى الأصل : ببلائها . وفى البخارى ٣/١٢٧ : قال أبو عبد الله : ببلاها كذا وقع وببلالها أجود وأصح ، وببلاها لا أعرف له وجهاً .

لما نزل « وأنذر عشيرتك الأقربين » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يافاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلونى من مالى ما شئتم » . ورواه مسلم أيضا .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثنى من سمع عبدَالله بن الحارث بن نوفل ، واستكتمنى اسمه ، عن ابن عباس ، عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأَنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جَنَاحك لمن اتبعك من المؤمنين » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرفتُ أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمتُّ . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يامحمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » .

قال : فدعانى فقال « ياعلىّ إن الله قد أمرنى أن أُنذر عشيرتى الأقربين ، فاصنع لنا ياعلىّ شاةً على صاع من طعام ، وأعِدَّ لنا عُسَّ[1] لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » .

ففعلت ، فاجتمعوا له يومئذ ، وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون ، فيهم أَعمامه: أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث .

فقدَّمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية[2] فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، مانرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله

---

(١) العس : القدح الضخم .　　(٢) الحذية : القطعة .

عليه وسلم : « اسقهم ياعليّ » فجئت بذلك القَعْب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدَره أبو لهب لعنه الله فقال : لَهَدَّ ماسحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُدْ لنا مثلَ الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَر إلى ماسمعت قبل أن أكلِّم القوم » .

ففعلت ، ثم جمعتهم له وصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقهم ياعلى ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهدَّ ماسحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعلى عُدْ لنا بمثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » .

ففعلت ، ثم جمعتهم له . فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابا من

العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

هكذا رواه البيهقى من طريق يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جَرِير ، عن محمد بن حُمَيد الرازى ، عن سلمة بن الفضل الأبرش ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس عن على فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا .

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولَإِنى لأَحْدَثهم سنا وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأحمشهم ساقا : أنا يانبى الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتى فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » .

قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع !

تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المَدِينى وغيره بوضع الحديث ، وضعَّفه الباقون .

ولكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه : عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثى عن عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المُنْهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث . قال : قال على : لما نزلت هذه الآية « وأنذر عشيرتك الأقربين » . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع لى رِجْل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبنا ، وادع لى بنى هاشم . فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل .

فذكر القصة نحو ماتقدم إلى أن قال : وبدَرَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام . فقال : « أيكم يقضى عنى دَينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » .

قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكتُّ أنا لسنّ العباس .

ثم قالها مرة أخرى ، فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يارسول الله . قال : أنت ؟ ! قال : وإنى يومئذ لأسوأهم هيئة ، وإنى لأعمش العينين ، ضخم البطن ؛ حمش الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدى وربيعة بن ناجذ عن على نحو ماتقدم ــ أو كالشاهد له ــ والله أعلم .

ومعنى قوله فى هذا الحديث : «من يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى» ، يعنى إذا مت ، وكأنه صلى الله عليه وسلم خشى إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركى العرب [1] أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يُصْلح أهلَه ، ويقضى عنه ؛ وقد أمّنه الله من ذلك فى قوله تعالى « يا أيها الرسولُ بَلِّغ ما أُنْزِلَ إليك مِن رَّبِّكَ ، وإن لم تَفْعَل فما بَلَّغْتَ رسالتَه والله يَعْصِمك من الناس » [2] الآية .

* * *

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يَصْرفه عن ذلك صارف ولا يردُّه عن ذلك رادٌّ ، ولا يصدُّه عن ذلك صاد ، يَتْبع الناس فى أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ، وفى المواسم ، ومواقف الحج .

---

(١) ا : بإبلاغ مشركى العرب رسالة الله . (٢) سورة المائدة .

يدعو من لقيه من حرٍّ وعبد ، وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ، جميع الخلق فى ذلك عنده شرع سواء .

وتسلَّط عليــه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركى قريش بالأذية القولية والفعلية .

وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب ، واسمه عبدالعُزَّى بن عبد المطلب ، وامرأته أم جميل أَرْوَى بنت حَرْب بن أمية ، أختْ أبى سفيان .

وخالَفه فى ذلك عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبَّ خلق الله إليه طَبْعا ، وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامى ، ويخالف قومَه فى ذلك مع أنه على دينهم وعلى خُلَّتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا طَبَعيا لا شرعياً .

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لَمَا كان له عنــد مشركى قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولاجترءوا عليه ، ولمدُّوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق مايشاء ويختار (١) . وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا .

فهذان العَمَّان كافران أبو طالب وأبو لهب ، ولـكن هذا يـكون فى القيامة فى ضَحْضاح من نار ، وذلك فى الدَّرْك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة فى كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ فى المواعظ والخطب ، تتضمن أنه سيَصْلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حَمَّالة الحطب .

---

(١) بل لو كان أبو طالب أسلم لـكان ذلك داعياً إلى إسلام غيره من مشيخة قريش ، ويفهم من كلام المؤلف أن الله سبحانه قضى على أبى طالب بالـكفر حماية لرسوله !! وهو تعليل غير سائغ .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن أبيه ، قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدِّيل ، وكان جاهليا فأسلم ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غَدِيرتين يقول : إنه صابئ كاذب. يَتْبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ثم رواه هو والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد بنحوه .

وقال البيهقى أيضاً : حدثنا أبو طاهر الفقيه ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القَطَّان، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا محمد بن عمر ، عن محمد بن المُنْكَدر عن ربيعة الدِّيلى . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المَجَاز يَتْبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقدُ وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرَّنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم .

قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

ثم رواه من طريق شُعْبة عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يَسْفِى عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال : « أبو جهل » ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر ، إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان فى غاية الشفقة والحنوّ الطبيعى كما سيظهر من صنائعه

وسجاياه ، واعتماده فيما يحامى به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم .

قال يونس بن بُكَير : عن طلحة بن يحيي ، عن عبد الله بن موسى بن طلحة ، أخبرنى عُقَيل بن أبى طالب قال : جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا فانْهَه عنا . فقال : ياعقيل انطلق فأتنى بمحمد . فانطلقتُ فاستخرجته من كنس ، أو قال خنس ، يقول : بيت صغير ، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر .

فلما أتاهم قال : إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم .

فحَلَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدَعَ ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » .

فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا .

رواه البخارى فى التاريخ ، عن محمد بن العلاء ، عن يونس بن بُكَير . ورواه البَيْهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عنه به ــ وهذا لفظه ــ

ثم روى البيهقى من طريق يونس ، عن ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأَخْنَس ، أنه حدّث أن قريشاً حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : ياابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فأبقِ علىَّ وعلى نفسك ولا تحمِّلنى من الأمر مالا أُطيق أنا ولا أنت ، فاكفُفْ عن قومك مايكرهون من قولك .

فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بَدَا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسْلمه ، وضعفُ عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعم لو وضعت الشمس

فى يمينى والقمر فى يسارى ماتركت هـذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى .

فلما ولّى قال له حين رأى مابلغ الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم : ياابن أخى . فأقبلَ عليه ، فقال امضِ على أمركَ وافعل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلمك لشىء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم قال أبو طالب فى ذلك :

والله لن يَصِلُوا إليك بجَمْعهم ... حتى أُوَسَّـدَ فى التراب دفينـاَ
فامضى لأمرك ما عليك غَضَاضةٌ ... أَبْشِرْ وقَرَّ بذاكَ منك عيونَا
ودعوتَنى وعلمتُ أنك ناصحى ... فلقد صدقتَ وكنت قِدْماً أمينَا
وعرضتَ دِيناً قد عرفتُ بأنه ... من خير أديان البَرِيَّة دِينـــاَ
لولا الملامةُ أو حَذَارِى سُبَّـةً ... لوجدْتَنِى سَمْحاً بذاكَ مُبينـــاَ

ثم قال البيهقى : وذكر ابن إسحاق لأبى طالب فى ذلك أشعارا .

وفى ذلك دلالة على أنّ الله تعالى عصمَه بعمِّه مع خلافه إياه فى دينه ، وقد كان يَعْصمه حيث لا يكون عمه بما شاء ، لا معقِّب لحكمه . .

وقال يونس بن بُكير : حـدثنى محمد بن إسحاق ، حدثنى رجل من أهل مصر قديماً منذ بضع(١) وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قصة طويلة جرَتْ بين مُشْركى مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام رسول الله قال أبو جهـل ابن هشام : يامعشر قريش إن محمداً قد أبَى إلا ماترون مِن عَيْب ديننا ، وشَتْم آبائنـا وتسفيه أحلامنا وسَبِّ آلهتنـا ، وإنى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر ، فإذا سجد فى صلاته فضَخْت به رأسَه ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدَا لهم .

---

(١) الأصل : بضعاً .

فلما أصبح أبو جهل ، لعنه الله ، أخـذ حَجراً ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره .

وغدَا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يَغْدو ، وكان قِبْلتُه الشام . فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليمانى ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلِّى ، وقد غدَتْ قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع مُنْبهِتا ممْتقِعاً لونه مرعوباً ، قد يَبِست يداه على حَجَره ، حتى قذف الحجر من يده .

وقامت إليه رجال من قريش . فقالوا له : مابك يا أبا الحكم ؟ ! فقال : قمت إليه لأفعل ماقلت لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عرَض لى دونه فحلٌ من الإبل ؛ والله مارأيت مثل هامَته ، ولا قَصَرته [1] ولا أنيابه لفحل قط ، فهمَّ أن يأكلنى .

قال ابن إسحاق : فذُكِر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو النَّضر الفقيه ، حدثنا عثمان الدارمىُّ ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن أبان بن صالح ، عن على بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنت يوماً فى المسجد فأقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال : إن لله علىّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته .

---

(١) القصرة : أصل العنق .

فخرجتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضبان حتى جاء المسجد، فعَجِل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط . فقلت هذا يوم شر، فاتزرتُ ثم اتبعته، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ « اقرأ باسمِ ربِّك الذى خلَق، خلَق الإنسانَ من علَق » فلما بلغ شأن أبي جهل « كلاَّ إنَّ الإنسان ليَطْغَى أنْ رآه استغنَى » فقال إنسان لأبي جهل : ياأبا الحكم هذا محمد . فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ! والله لقد سُدَّ أفق السماء علىَّ . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة سجد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمر، عن عبدالكريم، عن عكْرمة، قال : قال ابن عباس : قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلِّي عند الكعبة لأطأنَّ على عُنقه .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عِيانا » .

ورواه البخارى عن يحيى عن عبد الرزاق به .

قال داود بن أبي هند : عن عكرمة، عن ابن عباس قال مرَّ أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى، فقال : ألم أنهك أن تصلى يامحمد ؟ لقد علمتَ مابها أحدٌ أكثر نادياً مني .

فانتهره النبي صلى الله عليه وسلم . فقال جبريل : « فليَدْعُ نادِيه، سنَدْعُ الزبانيةَ » والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب .

رواه أحمد والترمذى، وصححه النسائى من طريق داود به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد، حدثنا فُرات، عن عبدالكريم عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً عند الكعبة يصلى لآتينَّه حتى أطأ عنقه .

قال : فقال : « لو فعل لأخذته الزبانية عيانا » .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حُميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس ابن أبى إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس قال : قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه .

فأنزل الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خَلَق » حتى بلغ من الآية « لنَسْفَعاً بالناصية . ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة فليَدْعُ ناديه سندع الزبَانية » .

فجاء النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فقيل مايمنعك ؟ قال : قد اسودَّ مابينى وبينه من الـكتائب .

قال ابن عباس : والله لو تحرَّك لأخذته الملائـكة والناس ينظرون إليه .

وقال ابن جَرِير حدثنا ابن عبد الأَعْلَى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن نُعَيم بن أبى هند ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة . قال : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم .

قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأنَّ على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى لِيَطَأَ على رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو يَنْـكُص على عقبيه ، ويتَّقى بيديه .

قال : فقيل له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه خندقا من نار وَهَوْلًا وأجنحة .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دَنَا منى لاختطفتـه الملائـكة عضواً عضواً » .

قال : وأنزل الله تعالى — لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا — « كلاَّ إنَّ الإنسان ليَطْغَى أن رآه استغنى » إلى آخر السورة .

وقد رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن أبى حاتم والبيهقى من حديث معتمر بن سليمان ابن طرخان التيمى ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله قال : مارأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورهطٌ من قريش جلوس ، وسَلا جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذا هذا السَّلَا فيلقْيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبى معيط : أنا . فأخذه فألقاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك بهذا الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، اللهم عليك بعُقْبة ابن أبى معيط ، اللهم عليك بأبىٍّ بن خلف ـ أو أمية بن خلف ـ » شُعْبة الشاكُّ .

قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القَلِيب غير أبىّ ، أو أمية بن خلف ، فإنه كان رجلا ضخما فتقطَّع .

وقد رواه البخارى فى مواضع متعددة من صحيحه ، ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به .

والصواب : أميـة بن خَلَف ، فإنه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبىٌّ إنما قتل يوم أحد كما سيأتى بيانه . والسَّلا : هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة .

وفى بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لعنهم الله .

وفيه : أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبَّتهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكَن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الملأ منهم جملةً ، وعيَّن فى دعائه سبعة ، وقع فى أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عُتْبة ، وأخوه شَيْبة ، ابنا ربيعة

والوليد بن عُتبـة ، وأبو جهل بن هشام ، وعُقْبة بن أبى مُعَيط ، وأُميَّةُ بن خَلَف .
قال ابن إسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عُمارة بن الوليد ، وقع تسميته فى صحيح البخارى .

قصة الإراشى

قال يونس بن بُكَير : عن محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الملك بن أبى سُفيان الثَّقفى قال : قَدِم رجل من إراش بإبل له إلى مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الإراشى حتى وقف على نادى قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية المسجد ، فقال : يامعشر قريش مَنْ رجل يُعْدِينى على أبى الحكم بن هشام ، فإنى غريب وابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى .

فقال أهل المجلس : ترى ذلك — إلى رسول الله — يهزأون به[1] صلى الله عليه وسلم ، لما يعلمون مابينه وبين أبى جهل من العداوة — اذهب إليه فهو يؤدِّيك[2] عليه .

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر مايصنع .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال : محمد فاخرج ، فخرج إليه وما فى وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعطِ هذا الرجل حقه . قال : لا تبرح حتى أعطيه الذى له . قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشى : الحق لشأنك . فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد أخذتُ الذى لى .

(١) الأصل : يهزون . ولا معنى لها . (٢) كذا ، ولعلها يعديك .

وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ! والله ماهو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه رُوحه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم لا تبرح حتى أُخرج إليه حقه . فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه .

ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك ! فو الله مارأينا مثل ماصنعت .

فقال : ويحكم : والله ماهو إلا أن ضرب علىَّ بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ، ثم خرجت إليه وإنَّ فوق رأسه لفحلا من الإبل مارأيت مثل هامته ، ولا قَصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فو الله لو أبيتُ لأكلنى .

فصـــل

وقال البخارى : حدثنا عَيَّاش بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى الأَوْزَاعىّ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم التَّيمى ، حدثنى عروة بن الزبير ، سألت ابن [عمرو بن][1] العاص فقلت : أخبرنى بأشدِّ شىء صنعه المشركون برسول الله .

قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حِجْر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه[2] فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « أتقتلون رجلاً أن يقول ربِّى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الآية .

تابَعه ابن إسحاق قال : أخبرنى يحيى بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو .

وقال عبدة : عن هشام ، عن أبيه قال : قيل لعمرو بن العاص . وقال محمد بن عمرو : عن أبى سلمة ، حدثنى عمرو بن العاص .

---

(١) من البخارى ٢/١٨٢ (٢) البخارى : فى عنقه .

قال البيهقى وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عُرْوة كما رواه عَبْدة .

انفرد به البخارى . وقد رواه فى أماكن من صحيحه ، وصرح فى بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة .

وقد روى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحِجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثلَ ماصَبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعاتنا ، وسبَّ آلهتنا ، وصِرْنا منه على أمر عظيم . أو كما قالوا .

قال : فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها فى وجهه . فمضى، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها .

فقال : « أتسمعون يامعشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذَّبح » .

فأخذت القومَ كلمتُه ، حتى مامنهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم فيه وَصاةً قبل ذلك ليَرْفَأه [1] حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) يرفأه : يترضاه .

حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بَلَغ منكم وما بلغكم عنه . حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه !

فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ ! لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم أنا الذى أقول ذلك » .

ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر يبكى دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأكبر مارأيت قريشا بلغت منه قط .

فصــــل

فى تَأْليب الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

واجتماعهم بعمه أبى طالب القائم فى منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يُسْلمه إليهم فأَبَى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أوذيتُ فى الله وما يؤذَى أحد ، وأُخِفْت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علىّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلالٍ ما يأكله ذو كبد إلا مايوارى إبطُ بلال ! » .

وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث حمّاد بن سَلَمة به ، وقال الترّمذى : حسن صحيح .

وقال محمد بن إسحاق : وحَدِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومَنَعه وقام دونه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهراً لدينه لا يردُّه عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتِبهم من شيء أنكروه عليه مِن فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حَدِب عليه وقام دونه فلم يُسْلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب : عُتْبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قُصى ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البَخْترى ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قُصَى ، والأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّى ، وأبو جهل ، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لؤى ، ونبيه ومُنبّه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَىّ ، والعاص بن وائل بن سعيد بن سَهْم . قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم .

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا ، وضَلَّل آباءنا ، فإما أن تَكُفَّه عنا ، وإما أن تُخَلِّي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردَّهم رداً جميلا ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه ، يُظْهر دينَ الله ويدعو إليه .

ثم شَرِى (١) الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتَضَاغنوا .

وأكثرت قريش ذِكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذامَرُوا فيه وحَضّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب إن لك سنًّا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهَيْناكَ من ابن أخيك فلم تَنْهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا مِنْ شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا حتى تكفَّه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه .

فعظُم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خُذلانه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حُدِّث أن قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، الذى قالوا له ، فأبق علىَّ وعلى نفسك ولا تحمِّلنى من الأمر مالا أطيق .

قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بَدَا لعمه فيه بدوٌ (٢) وأنه خاذله ومُسْلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » .

قال : ثم استعْبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام !

---

(١) شرى : اشتد .

(٢) ابن هشام والمراجع : بداء .

فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال : أقبلْ يابن أخى . فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يابن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمتك لشىء أبداً .

***

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خُذْلانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه ، و إجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم[(١)] ، مشوا إليه بعُمارة ابن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له ، فيما بلغنى : يا أبا طالب هـذا عُمَارة بن الوليد أَنْهَدُ فتى فى قريش وأجْمَله ، فخذه فلك عقله و نصْره ، واتخذه ولداً فهو لك ، وأسْلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرّق جماعة قومك ، وسفّه أحلامنا فنقتله ، فإنما هو رجل برجل !

قال : والله لبئس ما تسوموننى ! أتعطوننى ابنكم أغْذُوه لكم ، وأعطيكم ابنى فتقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً .

قال : فقال المُطْعِم بن عدىٍّ بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجَهِدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خُذْلانى ومظاهرةَ القوم علىّ ، فاصنع ما بَدَا لك . أو كما قال .

فحقِبَ الأمر ، وحميت الحربُ ، وتنابذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا .

فقال أبو طالب عند ذلك يعرِّض بالمطعم بن عدى ويعمُّ من خَذَله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

---

(١) الأصل : وعداوته . وهو تحريف وما أثبته عن ابن هشام .

ألا قُلْ لعمرٍو والوليــــد ومُطْعِمٍ ألا ليت حَظّى من حياطتكم بَكْرُ[(١)]
من الخورِ حَبْحَابٌ[(٢)] كثيرٌ رُغاؤه يُرشُّ على الساقين من بوله قَطْرُ
تخلَّف خَلْفَ الوِرْدِ ليس بلاحق إذ ما عَــلا الفيفاءَ[(٣)] قيل له وَبْرُ
أرى أخوَيْنا من أبينــــا وأمِّنا إذا سُئلا قالا إلى غــيرنا الأمرُ
بلى لهــما أمرٌ ولـكن تجَرْجَما كما جُرجمت من رأس ذى عَلق الصخرُ[(٤)]
أخصُّ خصوصاً عبدَ شمس ونَوْفلاً هما نَبَذَانا مثــــلَ ما نُبذِ الجمْرُ
هما أغمزَا للقـــوم فى أخويْهما فقد أصبحا منهم أكفُّهما صُفْرُ
هما أشركَا فى المجـدِ مَنْ لا أبا له مِن الناس إلا أن يُرسَّ[(٥)] له ذِكْرُ
وتَيْمٌ ومَخْزوم وزُهْــرة منهمُ وكانوا لنا مولًى إذا بُغى النصرُ
فو الله لا تنفكُّ منا عــــداوةٌ ولا منكمُ ما دام مِنْ نَسْلنا شَفْرُ[(٦)]

فصــل

فى مبالغتهم فى الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تذَامروا بينهم على مَن فى القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .

ومَنَع الله منهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب .

---

(١) أى أن بكراً من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم . (٢) الخور : الضعاف ، والحبحاب : الصغير . (٣) الفيفاء : الصحراء . والوبر : دويبة كالسنور .

(٤) الأصل : تحرجما : محرفة ، وما أثبته من ابن‌هشام . وتجرجم : سقط وانحدر . وذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . (٥) يرس : يعرف . (٦) شفر بفتح الشين وضمها : أحد .

وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه مِن مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدو الله .

فقال فى ذلك يمدحهم ويحرِّضهم على ما وافقوه عليه من الحدْب والنُّصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمَفْخَرٍ ... فعبدُ مناف سِرُّها وصميمُها
وإنْ حُصِّلت أشراف عبدِ منافها ... ففى هاشمٍ أشرافها وقديمُها
وإن فخرَتْ يوماً فإن محمداً ... هو المصطفى مِن سِرِّها وكريمها
تداعَتْ قريشٌ غَثُّها وسمينها ... علينا فلم تَظْفر وطاشت حُلومها
وكنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الرقابِ نُقيمها
ونَحْمى حماها كل يومِ كريهةٍ ... ونَضْرب عن أحجارها مَن يرومها
بنا انتعش العُود الذواء وإنما ... بأكنافنا تَنْدَى وتَنْمى أُرومها

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما تعنَّتوا له فى أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات
على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد

فلهذا لم يُجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغِبوا ، لعلْم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يَعْمهون ، ولظلُّوا فى غيهم وضلالهم يتردَّون .

قال الله تعالى « وأقْسَموا بالله جَهْدَ أَيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليُؤمنن بها ، قلْ إنما الآياتُ عندَ الله ، وما يُشْعِرُكم أنها إذا جاءت لا يُؤمنون ، ونُقَلِّبُ أفئدتَهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أولَ مرّةٍ ونَذَرهم فى طُغْيانهم يَعْمهون ، ولو أننا نزّلْنا إليهم الملائكةَ وكلَّمهُ الموتى وحَشَرْنا عليهم كلَّ شىءٍ قُبُلاً ما كانوا ليؤمِنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يَجْهلون[١] » .

وقال تعالى : « إنَّ الذين حقَّتْ عليهم كلمةُ ربِّك لا يُؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آيةٍ حتى يرَوا العَذابَ الأليمَ[٢] » .

وقال تعالى : « وما مَنَعنا أن نُرسِل بالآيات إلا أنْ كَذَّبَ بها الأوَّلون ، وآتينا ثمُودَ الناقةَ مُبْصِرَةً فظلمُوا بها وما نُرْسِل بالآيات إلا تخْويفاً[٣] » .

وقال تعالى « وقالوا لَنْ نُؤْمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرضِ يَنْبُوعاً ، أو تكون لك جَنَّةٌ من نخيلٍ وعِنبٍ فتفجِّر الأنهار خِلالها تفجيراً ، أو تُسْقِط السماء كما زَعمْتَ علينا كِسَفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيتٌ مِنْ زُخْرفٍ أو ترْقى فى السماء ، ولن نُؤمن لرُقِيِّك حتى تنزِّل علينا كتاباً نَقرؤه . قُلْ : سبحان ربِّى هل كنْتُ إلا بَشَراً رسولاً[٤] » .

وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها فى أماكنها فى التفسير ولله الحمد .

وقد روى يونس وزِياد[٥] عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جُبير وعِكرمة ، عن ابن عباس قال : اجتمع عِلْية من أشراف قريش ، وعدَّد أسماءهم ، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه ، وخاصموه حتى تُعذروا فيه .

---

(١) سورة الأنعام ١٠٩–١١١ . (٢) سورة يونس ٩٦–٩٧ . (٣) سورة الإسراء ٥٩ .
(٤) سورة الإسراء ٩٠–٩٣ . (٥) يونس بن بكير ، وزياد البكائى ، وهما راويا السيرة عن ابن إسحاق

فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك .

فجاءهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنه قد بَدَالهم فى أمره بُدو، وكان حريصا يحب رُشْدهم ويعزُّ عليه عَنَتُهُم ، حتى جاس إليهم .

فقالوا : يامحمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمت الآباءَ ، وعِبْت الدين ، وسَفَّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقى مِن قبيح إلا وقد جئتَه فيما بيننا وبينك .

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوَّدناك علينا ، وإن كنت تريد مُلْكا مَلَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيكَ رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ، وكانوا يسمون التابع من الجن الرَّئِيَّ — فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نُبْرِئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مابى ماتقولون ، ماجئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلْك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزَل علىَّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالةَ ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظُّكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا : يامحمد فإن كنت غير قابلٍ منا ماعرضْنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أقلَّ مالا ، ولا أشدَّ عيشا منا ، فسَلْ لنا ربَّك الذى بعثك

بما بعثك به فليسيِّر عنا هذه الجبالَ التى قد ضيَّقتْ علينا ، وليَبْسط لنا بلادَنا ، وليُجْرِ فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضَى من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم قُصَىُّ بن كلاَب ، فإنه كان شيخا صَدُوقا فنسألهم عما تقول : أحقٌّ هو أم باطل ؟

فإن فعلت ماسألناك وصدَّقوك ، صَدَّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مابهذا بُعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بَعثنى به ، فقد بلَّغتكم ماأُرسلت به إليكم ، فإن تَقْبلوه فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسَلْ ربك أن يبعث لنا ملَكا يصدِّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا جِنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم فى الأسواق وتلتمس المعاش(١) كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

قالوا : فأسْقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فَعل ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » .

فقالوا : يامحمد ماعَلِم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب

---

(١) الأصل : المعايش محرفة . وما أثبته عن ابن هشام .

منك ماانطلب ، فيتقدم إليك ويعلِّمك ماتراجعنا به ويخبرك ماهو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به .

فقد بلغنا أنه إنما يعلِّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أَعْذَرنا إليك يامحمد ،أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نُهلكك أو تهلكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قَبِيلا .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يامحمد عَرض عليك قومُك ماعرضوا فلم تقبله ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجِّل ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أُومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ، ثم تَرْقَى منه وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتى معك بنسخة منشورة ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وأيم الله لو فعلت ذلك لظننتُ أنى لا أصدِّقك .

ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أَسِفا لما فاته مما[1] طمع فيه من قومه حين دعَوْه ، ولِمَا رأى من مُباعدتهم إياه .

وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلسُ ظلم وعدوان وعناد ، ولهذا

---

(١) الأصل : بما . محرفة ، والعبارة فى ابن هشام : مما كان يطمع به من قومه .

اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا إلى ماسألوا ، لأن الله علم أنهم لايؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جَرِير ، عن الأَعْمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهلُ مكة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصَّفا ذهبا ، وأن ينحِّي عنهم الجبال فيَزْدرعوا ، فقيل له : إن شئتَ أن تَسْتَأْنِي بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم .

قال : « لا بل أَسْتَأْنِي بهم » .

فأنزل الله تعالى : « وما مَنَعنا أن نُرْسل بالآياتِ إلا أن كَذَّبَ بها الأوَّلون، وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصرة فظلموا بها وما نُرْسلُ بالآياتِ إلا تخويفا[١] » .

وهكذا رواه النسائى من حديث جرير .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سُفيان ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن عمران ابن حَكيم ، عن ابن عباس ، قال : قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم : ادعُ لنا ربَّك يجعل لنا الصَّفا ذهباً ونؤمن بك . قال : وتفعلوا ؟ قالوا : نعم .

قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أَصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة .

قال : « بل التوبة والرحمة » .

---

(١) سورة الإسراء ٥٩ .

وهذان إسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جُبَير و قَتَادة و ابن جُرَيج ، وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذى من حديث عبدالله بن المبارَك ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن عُبيد الله بن زَحْر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم ، عن[1] أبى أمامة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عَرض علىَّ ربى عز وجل أن يجعل لى بطحاءَ مكة ذهباً ، فقلت : لا يارب ، أَشبع يوماً وأجوع يوما ، أو نحو ذلك ، فإذا جُعْتُ تضرَّعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » .

لفظ أحمد . وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وعلى بن يزيد يضعف فى الحديث .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى شيخ من أهل مصر ، قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريشٌ النَّضر بن الحارث ، وعُقْبة ابن أبى مُعيط ، إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصِفاَ لهم صفته ، وأَخْبِرَاهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علمٌ ماليس عندنا من عِلم الأنبياء .

فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وبعضَ قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

---

(١) الأصل بن أبى أمامة . وهو تحريف . وهو القاسم بن عبد الرحمن ، لم يرو إلا عن أبى أمامة من الصحابة .

قال : فقالت لهم أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو نبيٌّ مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوِّل فرَوا فيه رأيكم .

سَلُوه عن فِتْية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان [نبؤه][1] ؟

وسلوه عن الروح ماهى ؟

فإن أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل مُتقول ، فاصنعوا فى أمره مابَدَا لكم .

فأقبل النَّضر وعُقبة حتى قدِما على قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئنا كم بفَصْل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور . فأخبراهم بها .

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يامحمد أخبرنا . فسألوه عما أمروهم به .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُخبركم غداً بما سألتم عنه » . ولم يَسْتَثْن .

فانصرفوا عنه ، ومكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرة ليلة لا يُحْدث له فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أَرْجَف أهلُ مكة وقالوا : وعدَنا محمد غداً ، واليومَ خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه . وحتى أحزن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه ، وشَقَّ عليه مايتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف ، فيها معاتبته إياه على

(١) من ابن هشام .

حزنه عليهم [وخبر][1] ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطَّواف ، وقال الله تعالى : « ويَسْألونك عن الرُّوح ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ربِّى ، وما أُوتيتم من العلم إلا قَليلاً » .

وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير مطولا ، فمن أراده فعليه بكشفه من هناك .

ونزل قوله : « أَمْ حَسِبْتَ أنَّ أصحابَ الكهف والرَّقيم كانوا من آياتنا عجباً » .

ثم شرع فى تفصيل أمرهم ، واعترض فى الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا فى قوله « ولا تقولَنَّ لشىءٍ إنى فاعلٌ ذلكَ غداً إلا أن يشاءَ اللهُ ، واذكر ربك إذا نَسِيتَ » .

ثم ذكر قصة موسى لتعلُّقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ، ثم قال : « ويَسْأَلُونك عَنْ ذِى القَرْنَيْنِ ، قُلْ سأتلو عليكم منه ذِكْراً » ثم شرح أمره وحكى خبره .

وقال فى سورة سبحان : « ويَسْألونك عن الرُّوح ، قُلِ الروحُ مِنْ أمرِ ربِّى » . أى خَلْقٌ عجيبٌ مِن خلقه ، وأمرٌ من أمره ، قال لها كونى فكانت ، وليس لكم الاطلاعُ على كل ماخلقَه ، وتصويرُ حقيقته فى نفس الأمر يَصْعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال : « وما أُوتيتم من العِلْمِ إلا قَليلاً » .

وقد ثبت فى الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية .

---

(١) من ابن هشام .

فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا ، وإن كان نزولُها متقدما . ومَن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففى قوله نظر . والله أعلم .

***

قال ابن إسحاق : ولما خشى أبو طالب دهم[1] العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها أشرافَ قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرَهم فى شعره أنه غيرُ مُسْلِمٍ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهْلِك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهمُ ... وقد قَطَعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعَدَاوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدوِّ المُزَايلِ
وقد حالفُوا قوماً علينا أظِنّةً ... يَعَضّون غيظاً خَلْفَنَا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسى بسمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاولِ[2]
وأَحْضرتُ عند البيت رَهْطِى وإخوتى ... وأَمْسكتُ مِن أثوابه بالوصائلِ
قياماً معاً مُسْتقبلين رِتَاجَه ... لَدَى حيثُ يَقْضِى حِلْفَه كلُّ نافلِ[3]
وحيثُ يُنيخ الأَشْعَرُون ركابَهم ... بمُفْضَى السيول من إسافٍ ونائلِ
موسَّمةَ الأعضادِ أَو قَصَراتِها ... مُخَيَّسةً بَيْنَ السَّديسِ وبازلِ[4]
ترى الوَدْعَ فيها والرخامَ وزينةً ... بأعناقِها معقودةً كالعَثَاكلِ[5]

---

(١) ابن هشام : دهماء .

(٢) العضب : القاطع . والمقاول : الملوك .

(٣) النافل : المتبرئ .

(٤) الموسمة : المعلمة . والقصرات : جمع قصرة ، وهى أصل العنق . والمخيسة : المذللة . والسديس من الإبل : الذى دخل فى السنة الثامنة . والبازل : الذى خرج نابه ، وذلك فى السنة التاسعة .

(٥) العثاكل : الأغصان التى ينبت عليها التمر . واحدها عثكول ، وجمعها عثاكيل ، وحذفت الياء للضرورة .

أعوذ بربِّ النـاس من كل طاعنٍ ... علينـــــا بسوءٍ أو مُلِحٍّ بباطلِ
ومِنْ كاشحٍ يَسْعَى لنــا بمَعيبةٍ ... ومِنْ مُلْحقٍ فى الدِّين مالم نُحَاولِ
وثَوْرٍ ومَنْ أرسَى ثَبِـــيراً مكانه ... وراقٍ ليَرْقى فى حــراءَ ونازلِ
وبالبيت حقِّ البيتِ من بطنِ مكةٍ ... وبالله، إنَّ الله ليس بغـــافلِ
وبالحجـــر المُسْوَدِّ إذ يَمْسحونه ... إذا اكتنفوه بالضُّحَى والأصائلِ
ومَوْطِئ إبراهيم فى الصخر رطبةً ... على قدميه حافياً غـــيرَ ناعلِ
وأشواطِ بين المَرْوتين إلى الصَّفَا ... وما فيهمـــا من صُورة وتَماثُلِ
ومَنْ حَجَّ بيتَ الله من كلِّ راكبٍ ... ومن كل ذى نَذْر ومن كل راجلِ
وبالمشْعَر الأقصى إذا عَمـــدوا له ... إلال إلى مُفْضَى الشِّراج القوابلِ (١)
وتَوْقَافهم فوقَ الجبـــال عشيةً ... يقيمون بالأيدى صدورَ الرواحلِ
وليـــلةِ جَمْعٍ والمنازل من مِنًى ... وهـــل فوقها من حُرْمة ومنازلِ
وجَمْـــع إذا ما المُقْرَبات أجزْنَه ... سِراعا كما يَخْرجن مِنْ وَقْع وابلِ
وبالجمرة الـكبرى إذا صَمَدُوا لهـــا ... يَؤُمُّون قَذْفاً رأسهـــا بالجنادل
وكِنْدَة إذ هُمْ بالحصابِ عشيـــةً ... تُجيزُ بهم حُجَّاجُ بَــكْرِ بن وائلِ
حليفان شَدَّا عَقْـــدَ ما احتلفا له ... ورَدَّا عليـــه عاطفاتِ الوسائلِ
وحَطْمهمُ سُمْرَ الرماح وسَرْحَـــه ... وشِبْرَقه وَخْدَ النَّعام الجوافلِ (٢)

---

(١) إلال : جبل عرفة . قال النابغة :

* يزُرْنَ إلالًا مَسيرُهُنّ التدافعُ *

وسمى إلالا لأن الحجيج إذا رأوه ألوا فى السير، أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء . والقوابل : المتقابلة .

(٢) الشبرق : نبات يقال ليابسه الحلى والرطبة الشبرق . والوخد : السير السريع . والجوافل . المسرعة والرواية فى الروض : سمر الصفاح ، وعليها يكون هناك معنىلعطف « وسرحه » على سمر . والسمر : من شجر الطلم . والصفاح : جمع صفح وهو عرض الجبل . والسرح : شجر عظام .

فهل بعدَ هـذا مِنْ مَعَاذٍ لعائذٍ   وهـل من معيذٍ يتّقى الله عادلِ
يطاع بنـا أمرُ العِدَا ودأننا   يُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُلِ (١)
كَذَبْتم وبيتِ الله نَترك مكةً   ونَظْعن إلا أمرُكم فى بَلَابلِ
كَذبتم وبيت الله نُبْزَى محمـداً   ولمَّا نُطَاعِنْ دونَه ونُنَاضِـلِ (٢)
ونُسْلمه حتى نُصَرَّعَ حَـوله   ونَذْهلَ عن أبنائنا والحـلائلِ
ويَنْهض قومٌ بالحـديد إليكمُ   نُهوضَ الرَّوايا تحت ذاتِ الصَّلاصلِ (٣)
وحتى نرى ذا الضِّغْن يرْكب رَدْعَه   من الطَّعنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ المُتَحاملِ (٤)
وإنا لعمرُ الله إن جَـدَّ ما أرى   لتلتَبِسَنْ أسيافُنـا بالأماثلِ
بكفَّىْ فتًى مثـلِ الشِّهابِ سَمَيْدَعٍ   أخى ثقةٍ حامى الحقيقةِ باسلِ (٥)
شهـوراً وأياما وحوْلًا مُحرَّماً   علينا وتأتى حِجَّةٌ بعـدَ قابلِ
وما تَرْكُ قوم ، لا أبالك ، سيـداً   يحوط الذِّمار غير ذَرْبٍ مواكلِ (٦)
وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمام بوجهـه   ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ (٧)
يلوذ به الهُـلَّاكُ من آل هاشمٍ   فهمْ عنـدَه فى رحمةٍ وفواضلِ
لَعَمْرى لقد أجرَى أَسيدٌ وبِكْرُه   إلى بُغضنـا وجزَّآنا لِآكلِ (٨)

---

(١) الاكتفا :   * يطاعُ بنا العُدَّى وودوا لَوَ انّنَا *

وهى رواية بعض نسخ ابن هشام .

(٢) نبزى : نسلب . وفى الروض نبذى . محرفة .

(٣) الروايا : الإبل تحمل الماء ، واحدتها روايا . والصلاصل : المزادات لها صلصلة بالماء .

(٤) الضغن : العداوة . ويركب درعه : يخر صريعا لوجهه . والأنكب : المائل إلى جهة .

(٥) السميدع : السيد .   (٦) الذرب بالتسكين مخففة من الذرب بكسر الراء ، وهو : اللسان الفاحش النطق ، والمواكل : العاجز الذى يعتمد على غيره .   (٧) ثمال اليتامى : الذى يثملهم ويقوم بهم

(٨) أسيد وبكره : عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وعثمان لم يَرْبَع علينـــــا وقنفذٌ ولـكن أطاعا أمرَ تلك القبائلِ (١)
أطاعا أُبيًّا وابنَ عَبْـــد يغوثهم ولم يرْقُبا فينـــا مقالةَ قائلِ (٢)
كما قد لقينـــا من سُبَيْعٍ ونَوْفل وكلٌّ تولَّى مُعْرِضا لم يُجَامِلِ (٣)
فإن يُلْفَيـــا أو يُمْـكن الله منهما نَـكِلْ لهما صاعاً بصاعِ الْمـكايلِ
وذاك أبو عمرو أَبَى غـــيرَ بُغْضِنَا لِيُظْعِنَنَا فى أهل شاء وجاملِ (٤)
يناجِى بنا فى كل مَمْسًى ومَصْبَحٍ فناجِ أبا عمروٍ بنا ثم خاتِلِ (٥)
ويُؤْلى لنـــا بالله ما إن يَغُشُّنا بلى قد نراه جهرةً غيرَ حائلِ (٦)
أضاق عليـــه بُغْضُنا كلَّ تَلْعةٍ من الأرض بين أَخْشَبٍ فَمَجادلِ (٧)
وسائلْ أبا الوليـــد ماذا حَبَوْتَنا بسَعْيك فينـــا مُعْرِضا كالمخاتلِ
وكنتَ امرءاً ممن يُعـاش برأيه ورحمته فينـــا ولست بجاهلِ
فعُتْبة لا تسمع بنـــا قولَ كاشحٍ حسودٍ كذوب مُبْغضٍ ذى دَغاول (٨)
ومرَّ أبو سفيان عـــنِّىَ مُعْرِضاً كما مرّ قَيْـــلٌ من عظام المَقَاولِ
يفرُّ إلى نَجْد وبَرْدِ مياهـــــه ويزعم أنى لست عنـكمْ بغافلِ
ويخبرنا فعـــلَ الْمُناصح أنه شفيق ويُخْـفِى عارماتِ الدواخلِ
أمُطْعِمُ لم أَخْـــذلك فى يوم نَجدةٍ ولا مُعْظِمٍ عنـــد الأمور الجلائلِ
ولا يومَ خَصْمٍ إذ أتوْك ألدّةً أولى جَدَلٍ من الخصوم المَسَاجلِ (٩)

(١) عثمان بن عبيد الله أخو طلحة ، وقنفذ : ابن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة . (٢) أبى : الأخنس بن شريق . (٣) سبيع : ابن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل : ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى . (٤) أبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . ويظعننا : يخرجنا . والشاء : اسم جمع ، وكذلك الجامل . (٥) خاتل : خادع . (٦) يؤلى : يقسم . وفى ابن هشام : غير حائل . (٧) التلعة : المشرف من الأرض .
(٨) الدغاول : الغوائل . (٩) المساجل : جمع مسجل بكسر الميم ؛ وهو الخصم المـدافع . أو جمع مساجل بضم الميم ، على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، وتروى بالحاء جمع مسحل وهو اللسان .

أمُطْعِم إن القومَ ساموكَ خُطَّةً ... وإنى متى أُوكَلْ فلستُ بوائلِ

جزى اللهُ عنا عبدَ شمس ونوفلاً ... عقوبةَ شَرٍّ عاجلاً غير آجلِ

بميزان قِسْطٍ لا يَخِيسُ شَعِيرةً ... له شاهدٌ من نفسه غير عائلِ (١)

لقد سَفِهَتْ أحلامُ قومٍ تبدَّلوا ... بنى خلفٍ قَيْضاً بنا والغياطلِ (٢)

ونحن الصميمُ مِنْ ذؤابةِ هاشمٍ ... وآلِ قصىٍّ فى الخطوب الأوائلِ

وسهمٌ ومخزومٌ تمالَوا وألَّبُوا ... علينا العِدَا من كل طِمْلٍ وخاملِ (٣)

فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قومكم ... فلا تُشْرِكوا فى أمركم كلَّ واغلِ (٤)

لَعَمْرى لقد وَهَنْتُم وعجزتمُ ... وجئتم بأمرٍ مُخْطىء للمفاصلِ

وكنتم حديثاً حَطْب قِدْرٍ وأنتم ... ألانَ حِطَابُ أَقْدُرٍ ومَرَاجلِ (٥)

لِيَهنِ بنى عبدِ مناف عُقوقنا ... وخُذْلاننا وتَرْكنا فى المعاقلِ

فإن نَكُ قوماً نَتَّئِرْ ما صنعتمُ ... وتحتلبوها لِقْحةً غيرَ باهلِ (٦)

فأبلغْ قُصَيًّا أنْ سيُنْشَرُ آمرنا ... وبَشِّرْ قُصَيًّا بعدَنا بالتخاذلِ

ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمةٌ ... إذا ما لجأنا دونهم فى المَدَاخلِ

ولو صدَقُوا ضرباً خلالَ بيوتهم ... لكنا أسىً عند النساء المَطَافلِ

فكلٌّ صديق وابنُ أخت نعدُّه ... لعَمْرى وجَدْنا غِبَّه غير طائلِ (٧)

سوى أن رهطاً من كلابِ بن مُرَّة ... براءٌ إلينا مِن مَعَقَّةِ خاذلِ

---

(١) يخيس . من خاس بالعهد إذا نقضه . وتروى لا يخس ، أى لا ينقص . والعائل : الظالم

(٢) الغياطل : بنو سهم لأن أمهم الغيطلة . (٣) الطمل : اللص وهو الفاحش أيضاً .

(٤) الواغل : المتطفل . (٥) الحطب : اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع . وقوله : حطاب أقدر هو جمع حاطب . والمعنى : كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدر واحدة فأنتم الآن بخلاف ذلك .

(٦) نتئر : نثأر . واللقحة : الناقة ذات اللبن . والباهل : الناقة التى لا صرار على أخلافها فهى مباحة الحلب ، يقال : ناقة مصرورة إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع .

(٧) غبه : عاقبته .

ونعم ابنُ أختِ القوم غيرُ مكذَّبٍ … زُهيرٌ حُسَاما مُفْرداً من حمائلِ
أشمُّ من الشمِّ البَهَاليل يَنْتمى … إلى حسبٍ فى حَوْمة المجد فاضل
لعَمْرى لقد كُلِّفْتُ وَجْداً بأحمدٍ … وإخوته دَأْب المحبِّ المُوَاصل
فمَنْ مثلهُ فى الناس أىّ مُؤَمَّل … إذا قاسه الحكامُ عند التفاضل
حليمٌ رشيد عادلٌ غير طائش … يوالى إلاهاً ليس عنه بغافل
كريمُ المساعى ماجدٌ وابن ماجدٍ … له إرثُ مجدٍ ثابتٍ غير ناصل[1]
وأيده ربُّ العبادِ بنَصْره … وأظهر دِينا حقُّه غيرُ زائل
فوالله لولا أن أجىء بسُبَّة … تُجَرُّ على أشياخنا فى المحافل
لكنا تبعْناه على كل حالةٍ … من الدهر جِدًّا غير قول التهازل
لقد علموا أنّ ابننا لا مُكذَّبٌ … لدينا ولا يُعْنَى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ فى أُرومة … تقصِّر عنها[2] سَوْرة المتطاول
حَدِبْتُ بنفسى دونه وحميْتُه … ودافعت عنه بالذُّرَى والكلاكل

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهى أفحلُ من المعلقات السبع ! وأبلغ فى تأدية المعنى منها جميعها[3] .

وقد أوردها الأموى فى مغازيه مطولة بزيادات أخر والله أعلم .

---

(١) هذا البيت وما بعده ليسا فى ابن هشام . وناصل : زائل . (٢) ابن هشام : تقصر عنه .
(٣) أصدر ابن كثير رحمه الله هذا الحكم ، وفضل هذه القصيدة المفككة الأوصال على المعلقات السبع رغم ما فيها من ألفاظ متكلفة ومعانى ركيكة ، وعذره أنه لم يكن ناقداً أو خبيراً فى الشعر . والقصيدة تخلو من طابع ذلك العصر فى الألفاظ والمعانى والأساليب .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدَوْا على مَن أَسْلم واتَّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من أصحـابه .

فوثبت كل قبيـــلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوه منهم، يفتنونهم عن دينهم .

فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ، ومنهم من يَصْلُب لهم ويعصمه الله منهم .

فـكان بلال مولى أبى بكر ، لبعض بنى جُمَح مولَّداً من مولَّديهم ، وهو بلال بن رَباح واسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أميةُ بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هـكذا حتى تموت أو تـكفر بمحمد وتعبد اللات والعُزَّى .

فيقول ، وهو فى ذلك : أَحَدٌ أحد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرُّ به وهو يعذَّب لذلك وهو يقول : أحدٌ أحد . فيقول : أحد أحد والله يا بلال !

ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جُمَح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنَانا[١] .

قلت : قد استشكل بعضهم هـذا من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحى ،

---

(١) أى لأتخذن قبره منسكا ومسترحماً .

وإسلامُ من أسلم إنما كان بعد نزول « يا أيها المدثر » فكيف يمرُّ ورقة ببلال ، وهو يعذَّب ؟ وفيه نظر .

ثم ذكر ابن إسحاق مرورَ أبي بكر ببلال وهو يعذَّب ، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب .

وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فُهَيرة ، وأم عُمَيس[1] [وزِنِّيرة[2]] التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها .

والنَّهدية وابنتها ، اشتراهما من بني عبد الدار ، بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً . فقال أبو بكر : حِلٌّ[3] يا أم فلان . فقالت : حِلّ ، أنت أفسدتهما فأعتقهما . قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتُهما وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها . قال : [أو] ذلك إن شئتما .

واشترى جارية بني مؤمِّل ، حيّ من بني عَدِي ، كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض أهله . قال : قال أبو قُحَافة لابنه أبي بكر : يا بني إني أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعْتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك .

قال : فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد .

---

(١) كذا بالأصل وابن هشام والروض الأنف . ولكن الزرقاني ضبطها بعين مهملة مضمومة فنون . وقيل بموحدة فتحتية . شرح المواهب ١/٢٦٩ .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام والمراجع .

(٣) حل : تحللي من يمينك ، وفي الاكتفاء : حل . بالنصب وهو أفصح .

قال : فيُحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه : « فأما من أعطى واتَّقى وصَدَّق بالحسْنى فسنيسِّره لليسرى » إلى آخر السورة .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجة من حديث عاصم بن بهدلة عن زرّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمّار ، وأمه سُمَيَة ، وصُهيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْرُعَ الحديد وصَهروهم فى الشمس ، فما مِنهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه فى الله تعالى ، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شِعاب مكة وهو يقول : أحَدٌ أحد .

ورواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا .

* * *

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمَّار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهلَ بيت إسلام ، إذا حَمِيت الظَّهيرة يعذبونهم برمْضاء مكة .

فيمرُّ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول ـ فيما بلغنى ـ : « صبراً آلَ ياسر موعدُكم الجنة » .

وقد روى البيهقى عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عِصْمة العدل ، حدثنا السَّرىّ بن خُزيمة ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام بن أبى عبيد الله ، عن أبى الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبْشروا آل عمار وآل ياسر ، فإن موعدكم الجنة » فأما أمه فيقتلوها فتأبى إلا الإسلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال . أول شهيد كان فى أول الإسلام استشهد : أم عمار سُمَية ، طعنها أبو جهل بحربة فى قلبها . وهذا مرسل .

***

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغْرى بهم فى رجال من قريش ، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبه وخَزَّاه وقال : تركتَ دين أبيك وهو خير منك ، لنسفِّهن حُلْمك ، ولنفيِّلنَّ (١) رأيك ، ولنضعنَّ شَرفك . وإن كان تاجراً قال : والله لنُكْسِدنَّ تجارتك ، ولنُهلكن مالَك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغرَى به . لعنه الله وقبحه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حَكيم بن جُبَير ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبدالله ابن عباس : أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعْذَرون به فى ترك دينهم ؟

قال : نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويعطشونه حتى ما يقْدر أن يستوى جالساً من شدة الضُّر الذى به ، حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ! افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفى مثل هذا أنزل الله تعالى « مَنْ كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكْرِه وقلبُه مُطْمئنٌّ بالإيمان ، ولكن مَنْ شَرَح بالكُفْر صَدْراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عَظِيم » (٢) .

فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته .

(١) لنفيلن : نخطئن ، وفى ط : لنقيلن وهو تحريف .

(٢) سورة النحل ١٠٦ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خَبَّاب بن الأرتّ . قال : كنت رجلا قَيْنا ، وكان لى عَلَى العاص بن وائل دَين ، فأتيته أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فإنى إذا متُّ ثم بعثت جئتنى ولى ثَمَّ مال وولد فأعطيك ! فأنزل الله تعالى « أفرأيتَ الذى كَفَر بآياتنا وقال لأُوتَيَنَّ مالًا وولداً » إلى قوله « ويأتينا فرداً » (١) . أخرجاه فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الأعمش به .

وفى لفظ البخارى : « كنت قينا بمكة،فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه» فذكر الحديث .

وقال البخارى حدثنا الُحَميدى ، حدثنا سُفيان ، حدثنا بَيَان (٢) وإسماعيل ، قالا : سمعنا قيسا يقول : سمعت خَبَّابا يقول: أتيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو متوسِّد ببردة (٣) وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدةً ، فقلت : ألا تدعو الله ؟

فقعد وهو محمرٌّ وجهه فقال : « قد (٤) كان من كان قبلكم لَيُمْشط بأمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصَب ، مايَصْرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مَفْرق رأسه فيشق باثنين (٥) ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولَيُتِمنَّ الله هذا الأمرَ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرَموت ما يخاف إلا الله عز وجل » زاد بَيَان (٦) « والذئبَ على غنمه » .

وفى رواية « ولكنكم تستعجلون » .

انفرد به البخارى دون مسلم .

---

(١) سورة مريم ٧٧ـ٨٠ (٢) فى ط، خ : بنان وهو تحريف ، وما أثبته من البخارى ٢/١٨٢
(٣) البخارى : بردة . (٤) البخارى : لقد . (٥) البخارى : باثنتين .
(٦) خ ، ط : بنان وهو تحريف .

وقد روى من وجه آخر عن خبّاب وهو مختصر من هذا والله أعلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان وابن جعفر ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن وهب، عن خبّاب ، قال : شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم شدة الرَّمْضاء فما أَشْكَانا . يعنى فى الصلاة . وقال ابن جعفر : فلم يُشْكنا .

وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحاق قال : سمعت سعيدَ بن وهب يقول : سمعت خبّابا يقول : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّمْضاء فلم يُشْكِنا .

قال شُعْبة : يعنى فى الظهيرة .

ورواه مسلم والنسائى والبيهقى من حديث أبى إسحاق السَّبِيعى ، عن سعيد بن وهب ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرمضاء . - زاد البيهقى : فى وجوهنا وأكفِّنا - فلم يُشْكنا .

وفى رواية شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاةَ فى الرمضاء فلم يُشْكنا .

ورواه ابن ماجه ، عن على بن محمد الطَّنافسيِّ ، عن وَكِيع ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب العَبدى ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرمضاء فلم يُشْكنا .

والذى يقع لى ، والله أعلم ، أن هذا الحديث مختصر من الأول ، وهو أنهم شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم على المشركين ، أو

يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ولم يُنجزه لهم فى الحالة الراهنة ، وأخبرهم عمنْ كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يَصْرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتمُّ هذا الأمر ويظهره ويعلنه ،وينشره وينصره فى الأقاليم والآفاق ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون .

ولهذا قال : « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمْضاء فى وجوهنا وأكفنا فلم يُشكِنا » أى لم يَدْعُ لنا فى الساعة الراهنة .

فمن استدلَّ بهذا الحديث على عدم الإبْرَادِ ، أو على وجوب مباشرة المصلَّى بالكفِّ ، كما هو أحد قولى الشافعى ، ففيه نظر . والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقامة الحجة الدامغة عليهم

واعترافهم فى أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويْه : حدثنا عبد الرزَّاق ، عن مَعْمَر ، عن أيوب السَّخْتِيانى ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قِبَله !

قال : قد علمت قريشٌ أنى مِنْ أكثرها مالا .

قال : فقل فيه قولا يَبْلغ قومَك أنك مُنْكر له .

قال : وماذا أقول ؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منى ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشْبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقوله حلاوة ، وإن عليه لطَلاوة ، وإنه لمُثْمر أعلاه ، مُغْدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى ، وإنه ليَحْطِم ما تحته .

قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

قال : قف عنى حتى أفكِّر فيه .

فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يُؤْثَر يَأْثره عن غيره . فنزلت « ذَرْنِي وَمَنْ خلقتُ وحيداً وجعلتُ له مالا ممدوداً وبنين شهوداً[1] » الآيات .

هكذا رواه البَيْهقى عن الحاكم ، عن عبد الله بن محمد الصَّنْعانى بمكة ، عن إسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عِكرمة مرسلا . فيه أنه قرأ عليه « إن الله يَأْمرُ بالعَدْل والإحسان وإيتاء ذِى القربى ويَنهى عن الفحشاء والمُنْكَر والبَغى يَعِظُكم لعلكم تذكَّرون[2] » .

وقال البيهقى : عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جُبَير ، أو عكرمة عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسم[3] فقال : إن وفود العرب ستَقْدُم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُكم بعضا ، ويردَّ قولُ بعضكم بعضا[4] .

فقيل : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به[5] .

---

(١) سورة المدثر ١١–١٣ . (٢) سورة النحل ٩٠ . (٣) ط : المواسم . محرفة .
(٤) ابن هشام : ويرد قولكم بعضه بعضاً . (٥) ابن هشام والمراجع : نقول .

فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع . فقالوا : نقول كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة الكهان . فقالوا : نقول مجنون . فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنْقه ولا تخالجُه ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر . فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر . قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنَفْثه ولا بعقده .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعَذْق[١] ، وإن فرعه لجنًى[٢] ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا : هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرِّق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين[٣] قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذَّروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

وأنزل الله فى الوليد « ذَرْنِى وَمَنْ خلقتُ وَحِيداً وجعلتُ له مالاً ممْدوداً وبنين شُهوداً[٤] » الآيات ، وفى أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عِضِين : « فوربّك لنَسْألنهم أجمعين عما كانوا يعملون[٥] » .

قلت : وفى ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم : « بل قالوا أضغاثُ أحلامٍ بل افتراه ، بل هو شاعرٌ، فليأتنا بآيةٍ كما أُرسِلَ الأوّلُون[٦] » فحاروا ماذا يقولون

---

(١) خ ط : لمغدق، وما أثبته عن ابن هشام والعذق : النخلة (٢) ابن هشام : لجناة وهو ما يجنى من الثمر (٣) الأصل : حتى ، وما أثبته عن ابن هشام . (٤) سورة المدثر ١١ — ١٣
(٥) سورة الحجر ٩٢، ٩٣ (٦) سورة الأنبياء ٥

فيه ، فكل شيء يقولونه باطل . لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : « انْظُر كيف ضَرَبوا لك الأمثال فضَلُّوا فلا يستطيعون سبيلا[١] » .

وقال الإمام عبدُ بن حُميد فى مسنده : حدثنى أبو بكر بن أبى شَيْبة ، حدثنا على ابن مِسْهر ، عن الأَجْلح ، هو ابن عبد الله الكِنْدى ، عن الذَّيَّال بن حَرْملة الأسدى ، عن جابر بن عبد الله ، قال : اجتمع قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمَكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلِّمه ولينظر ماذا يرد عليه .

فقالوا : ما نعلم أحدا غير عُتْبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد .

فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فإنْ كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة التى عِبْتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلَّمْ حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلةً[٢] قط أشأم على قومه منك ، فرّقت جماعتنا ، وشتّتَّ أمرنا ، وعِبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب ، حتى لقد طار فيهمَ أن فى قريش ساحراً ، وأن فى قريش كاهنا ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلى أن يقوم بعضُنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ! إن كان إنما بك الحاجةُ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أىَّ نساء قريش شئت فلنزوِّجك عشراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فرغت ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله

(١) سورة الإسراء ٤٨ (٢) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن .

صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتاب فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيا لقومٍ يعلمون » إلى أن بلغ « فإن أَعْرَضوا فقلْ أَنْذَرْتُكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود » .

فقال عتبة : حَسْبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ماتركتُ شيئا أرى أنكم تكلِّمونه إلا كلَّمته .

قالوا : فهل أجابك ؟ فقال : نعم . ثم قال : لا والذى نَصَبها بَنِيَّة ما فهمتُ شيئا مما قال ، غير أنه أَنْذَركم صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود .

قالوا : ويلك ! يكلمك الرجلُ بالعربية لا تدرى ماقال ؟

قال : لا والله مافهمت شيئا مما قال غير ذِكْر الصاعقة .

وقد رواه البيهقى وغيره عن الحاكم ، عن الأصمّ عن عباس الدُّورى ، عن يحيى بن مَعِين ، عن محمد بن فُضَيل ، عن الأجْلَح به . وفيه كلام .

وزاد : وإن كنت إنما بك الرياسة عقدْنا ألويتنا لك فكنت رأساً مابقيتَ .

وعنده أنه لما قال : « فإن أعرَضوا فقلْ أنذرتكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ » أمسك عُتْبة [1] على فيه وناشده الرَّحمَ أن يكفَّ عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم .

فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش مانرى عُتْبة إلا صَبَا إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابته ، انطلقوا بنا إليه فأتوه .

فقال أبو جهل : والله ياعتبة ماجئنا إلا أنك صبوتَ إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد .

---

(١) ط : عقبة . وهو تحريف .

فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبداً . وقال : لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ، ولكنى أتيته ، وقصَّ عليهم القصةَ ،فأجابنى بشىء والله ماهو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيلٌ مِنَ الرحمنِ الرحيم » حتى بلغ « فإن أعْرَضُوا فقلْ أنذَرْتـكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ » فأمسكتُ بفيه وناشدته الرَّحم أن يكفَّ ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يَكْذب ، فخفت أن يَنزل عليكم العذابُ .

ثم قال البيهقى : عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى يزيد بن أبى زِياد مولَى بنى هاشم ، عن محمد بن كعب قال : حدثت أن عُتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليما ، قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد : يامعشر قريش ألَا أقوم إلى هذا فأَعْرضَ عليه أموراً لعلَّه يقبلُ بعضَها ويكفّ عنا .

قالوا : بلى يا أبا الوليد !

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرَض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال والمُلْك وغير ذلك .

وقال زياد بن إسحاق : فقال عُتْبة : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكفّ عنا . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويَكْثرون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلِّمه .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى إنك منا حيثُ قد علمتَ من السِّطَة [1] فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك

---

(١) الأصل الشطر . وهو تحريف وما أثبته من الاكتفا للكلاعى . والسطة : الشرف .

بأمرٍ عظيم فرّقت جماعتهم ، وسفّهت به أحلامَهم ، وعبتَ به آلهتهم ودينهم وكفّرت به مَن مضى من آبائهم ، فاسمع منى حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها .

قال :فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا بن أخى إنْ كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالَنا حتى نُبْرِئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أفرغتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : اسمع منى . قال : أفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حم تَنْزِيلٌ من الرحمنِ الرحيم كتابٌ فُصِّلت آياتُه قرآنًا عربيًّا لقومٍ يَعْلمون » فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، فلما سمع بها عتبة أنصت لها ، وألقى بيديه خلفَه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه .

حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : سمعتُ . قال : « فأنت وذاك » .

ثم قام عُتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .

فلما جلسوا إليه قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى والله قد سمعت قولا

ماسمعتُ مثلَه قط ، والله ماهو بالشِّعر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعونى واجعلوها بى، خلُّوا بينَ هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزِلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فإن تصِبْه العربُ فقد كُفِيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلْكه مُلْككم ، وعزُّه عزكم ، وكنتم أسعدَ الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيى لكم ، فاصنعوا مابدا لكم .

ثم ذكر يونس، عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عُتبة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى ، أخبرنا أبو قُتَيبة سَلَمة ابن الفضل الأدمىُّ بمكة ، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطَّيالسى ، حدثنا داود بن عمرو الضبِّى، حدثنا المثنَّى بن زُرعة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » أتى أصحابَه فقال لهم : ياقوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، واعصونى فيما بعده ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلاما ما سمعت أذناى كلاماً مثله ، وما دريت ما أردُّ عليه .

وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه .

ثم روى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثنى الزُّهرى قال : حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شَرِيق خرجوا ليلةً ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالليل فى بيته ، فأخذ كلٌّ رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مرة ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسَه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد ألاَّ نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شَرِيق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى يا أبا حَنْظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها [وأشياء لا أعرفها ولا أعرف مايراد بها (١)] فقال الأخنس : وأنا والذى حلفتَ به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكَم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعتُ ؟ ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشَّرفَ ، أطعموا فأَطْعَمْنا ، وحَملوا فحمْلنا ، وأعطَوا فأعطَيْنا ، حتى إذا تجاثينا (٢) على الرُّكب وكنا كفرسَىْ رهان قالوا : منا نبىٌّ يأتيه الوحى من السماء ! فمتى ندرك هذه ! والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الأَخْنس بن شَرِيق .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس ، حدثنا أحمد ، حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أَسْلم ، عن المغيرة بن شُعْبة . قال : إن أولَ يوم عرفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

---

(١) من الاكتفا .   (٢) الاكتفا : تحاذينا .

صلى الله عليه وسلم لأبى جهل : « يا أبا الحكم ، هلمَّ إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » .

فقال أبو جهل : يامحمد ، هل أنت مُنْتهٍ عن سبِّ آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلَّغتَ ؟ فنحن نشهد أن قد بلَّغت ، فوالله لو أنى أعلم أن ماتقول حق لاتبعتك .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علىَّ فقال : والله إنى لأعلم أن مايقول حق ، ولكن [يمنعنى] شيء ، إن بنى قُصى قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم . ثم قالوا فينا السقاية فقلنا : نعم. ثم قالوا فينا النَّدْوة. فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللِّواء. فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكّت الرُّكب قالوا : منا نبيٌّ ! والله لا أفعل .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ ، حدثنا محمد بن خالد ، حدثنا أحمد بن خلَف ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق . قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يابنى عبد شمس . قال أبو سفيان : وتَعْجب أن يكون منا نبى ! فالنبيُّ يكون فيمن أقلُّ منا وأذل .

فقال أبو جهل : أعجبُ أن يخرج غلامٌ من بين شيوخ نبيًّا !

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ، فأتاهما فقال : « أمَّا أنت ياأبا سفيان ، فما لله ورسوله غضبتَ ولكنك حَمِيتَ للأصل . وأما أنت ياأبا الحكم ، فوالله لتضحكنَّ قليلا ولتبكين كثيراً » فقال : بئسما تَعِدنى يابن أخى من نبوّتك .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وقول أبى جهل ، لعنه الله ، كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه « وإذا رَأَوْكَ إنْ يتَّخِذُونك إلا هزواً ، أهذا الذى بَعَث الله رسولاً ؟ إن كاد ليُضِلُّنا عن آلهتنا لولا أن صَبَرْنا عليها ، وسوف يَعْلَمُون حين يَرَوْنَ العذابَ من أضلُّ سَبيلاً »(١) .

---

(١) سورة الفرقان ٤١ ، ٤٢ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشيم ، حدثنا أبو بِشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هــذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوارٍ بمكة « ولا تَجْهَرْ بِصَلاَتِك ولا تُخَافِتْ بها »(١).

قال : كان إذا صلى بأصحــابه رفع صوته بالقرآن ، فلمــا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ، وسبُّوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « ولا تجهر بصلاتك » أى بقراءتك فيسمعَ المشركون فيسبوا القرآن « ولا تخافِتْ بها » عن أصحابك ، فلا تُسمِعهم القرآن حتى يأخذوه عنك « وابْتَغِ بَيْنَ ذلك سبيلاً » .

وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبى بشر جعفر بن أبى حَية به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى داود بن الُحصين ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعضَ مايتلو وهو يصلى ، استرقَ السمع دونهم فرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأنزل الله تعالى « ولا تَجْهَرَ بصلاتك » فيتفرقوا عنك « ولا تُخَافِتْ بها » فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض مايسمع ، فينتفع به « وابتغ بين ذلك سبيلا » .

إلى هنــا ينتهى الجزء الأول من السيرة النبوية لابن كثير

ويليه الجزء الثانى وأوله باب الهجرة إلى الحبشة

---

(١) سورة الإسراء ١١٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ذكر جُمَل من الأحداث الواقعة فى زمن الجاهلية

ذكر جماعة مشهورين كانوا فى الجاهلية

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر شيء من البشارات بذلك

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

فهرس القوافى

(أ)

(ب)

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٧	٧	حَرِيز
٧	٨	أبى حُيَىّ
٧	٨	عن ذى مِخْمَر

خلافا لما فى الأصل من تحريف . وما أثبته عن ترتيب مسند أحمد ٢٠/١٥٧

الصفحة	السطر	الصواب
٦٤	٧	يُمْنع . ويحذف الهامش
١٠٧	٣	الطائى
١٢١	٣	ببُرْقة
١٢١	٥	ابن قطيعةَ
١٤٩	١٢	أجدَّ كما
١٧٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٣٠		يونس بن بُكَيْر
٢٤١	١٧	مَعْمَر
٢٦٠	١٤	ولم أحىِّ
٢٦٠	١٦	عشيَّةَ
٢٦٤	١٩	أَنْصِناء
٣٠٤	٧	لقيتَ
٣٢٥	٨	بُخْتُنَصَّر
٣٣٦	١٤	ثَلَجَ
٣٨١ ، ٣٩٨		شُرَحْبِيل
٤٢٢	٣	السَّخْتيانى

تعليقات

١ — فى صفحة ١٤٢ سطر ٣ : « محمد بن حسان السهمى » وهو تحريف والصواب السَّمْتى كما فى ميزان الاعتدال .

٢ — ص ٢٨٨ س ٦ : « وسأنبئكم بأول ذلك » كذا بالأصل وفى ترتيب مسند أحمد : « بتأويل ذلك » وهو أصوب .

٣ — ص ٢٨٨ س ٧ : « وكذلك أمهات المؤمنين » كذا وفى ترتيب المسند ٢٠/١٨١ « وكذلك ترى أمهات النبيين » .

٤ — ص ٢٩٥ س ١٩ ، ص ٢٩٦ س ١٣ : « زيد بن سَعْية » كذا بالأصل والدلائل ولكن الذهبى فى المشتبه ٢/٣٩٦ قال : « وبمهملتين ونون زيد بن سَعْنة الحَبْر »

٥ — ص ٣١٦ س ٧ : « ليس الوردة اللبقة » كذا ولا يتضح معناها .

٦ — ص ٢١١ س ١٤ « أحمد بن إبراهيم الليثى » كذا بالأصل والصواب كما فى شرح المواهب : « أحمد بن إبراهيم الحلبى » قال عنه أبو حاتم : أحاديثه باطلة تدل على كذبه . وفى الخصائص « الحبلى » وهو تحريف .

٧ — ص ٢٤٠ س ١٧ « قريب » كذا والصواب « قريبا » .

٨ — ص ٣٥٢ س ١٠ : « ومنع منا القرار » كذا بالأصل ، ولكن الرواية فى ترتيب مسند أحمد ٢٠ / ٢٠٤ : « ومنع من الفرار » والمعنى : منع من الفرار يوم الزحف فى الجهاد .

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الثاني

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١
ص.ب ٥٧٦٩
بيروت — لبنان

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

باب هجرة مَن هاجر مِن أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدَّم ذكرُ أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد والإهانة البالغة .

وكان الله عز وجل قد حَجَرهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ومَنَعه بعمه أبى طالب . كما تقدم تفصيله . ولله الحمد والمنة .

وروى الواقدىُّ أن خروجهم إليها فى رجب سنة خمسٍ من البعثة ، وأن أولَ من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماشٍ وراكب ، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة .

وهم : عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حُذَيفة بن عُتْبة وامرأته سَهْلة بنت سُهَيل ، والزبير بن العوَّام ، ومُصْعَب بن عُمَير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العَنْزِىُّ ، وامرأته ليلى بنت أبى حَثْمة ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم ، وحاطب[1] بن عمرو ، وسُهَيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود . رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل كانوا اثنين وثمانين رجلا ، سوى نسائهم

(١) فى ابن هشام : ويقال بل أبو حطب .

وأبنائهم ، وعمَّار بن ياسر ، نشكُّ ، فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابَه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ومن عمِّه أبى طالب ، وأنه لا يَقْدِر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملِكا لا يُظْلم عنده أحد ، وهى أرضُ صِدْق ، حتى يجعل الله لكم فَرَجاً مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم.

فكانت أولَ هجرة كانت فى الإسلام .

فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى البيهقى من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العَنْبرى ، عن بِشْر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البُرْجُمِىِّ[1] ، حدثنا قَتادة ، قال : أولُ مَن هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمانُ بن عفان رضى الله عنه .

سمعت النَّضْر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ، يعنى أنس بن مالك ، يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرُهما ، فقَدِمت امرأة من قريش فقالت :

---

(١) نسبة إلى البراجم ، قبيلة من تميم ، وهو لقب لخمس بطون . اللباب ١ـ١٠٧

يا محمد ، قد رأيتُ خَتَنك(١) ومعه امرأته . قال : على أى حال رأيتِهما ؟

قالت : رأيتُه قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبَّابة(٢) وهو يسوقها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ! إن عثمان أولُ من هاجَر بأهله بعد لوط عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وأبو حذيفة بن عُتْبة ، وزوجته سهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وولدت له بالحبشة محمدَ بن أبي حذيفة .

والزبيرُ بن العوام ، ومُصْعَب بن عُمَير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلَمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وولدت له بها زينبَ .

وعثمانُ بن مَظْعون ، وعامر بن ربيعة حليفُ آل الخطاب ، وهو من بنى عَنْز بن وائل ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم العامرى . وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو أولُ من قدِمها فيما قيل . وسُهيلُ بن بيضاء .

فهؤلاء العَشَرة أولُ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلَغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس . وولدت له بها عبدَ الله بن جعفر .

وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

* * *

وقد زعم موسى بن عُقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل

---

(١) الختن : الصهر . (٢) الدبابة : الضعيفة التى تدب فى المشى .

أبو طالب ومَن حالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشِّعب .

وفى هذا نظر . والله أعلم .

وزعمَ أن خروج جعفر بن أبى طالب إنما كان فى الهجرة الثانية إليها ، وذلك بعد عَوْد بعض من كان خرج أولا ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلَّوا ، فلما قدموا مكة ، وكان فيمن قدِم عثمان بن مظعون ، فلم يجدوا ما أُخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة ، وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة وهى الهجرة الثانية . كما سيأتى بيانه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبى طالب فيمن خرج ثانيا .

وما ذكره ابن إسحاق مِن خروجه فى الرَّعيل الأول أظهرُ كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

لكنه كان فى زُمْرةٍ ثانية من المهاجرين أولا ، وهو المقدَّم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشى وغيره . كما سنورده مبسوطاً .

* * *

ثم إن ابن إسحاق سردَ الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم .

وهم : عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث ابن شِقّ الكنانى .

وأخوه خالد ، وامرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد الخزاعى ، وولدت له بها سعيدا وأَمَةً التى تزوجها بعد ذلك الزبير فولدت له عمراً وخالداً .

قال : وعبدُ الله بن جحش بن رِئاب ، وأخوه عُبَيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان .

وقيسُ بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة وامرأته بركة بنت يَسَار مولاة أبى سفيان .

ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص . قال ابن هشام : وهو من دَوْس .

قال : وأبو موسى [الأشعرى] عبد الله بن قيس حليفُ آل عُتْبة بن ربيعة . وسنتكلم معه فى هذا .

وعُتْبة بن غَزْوان ، ويزيد بن زَمْعة بن الأَسْود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطُلَيب بن عُمير بن وهب بن أبى كثير (١) بن عبد ، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة (٢) ، وجَهْم بن قيس العَبْدوى ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جَهْم وخزيمة بن جَهْم ، وأبو الرُّوم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِراس بن النضر بن الحارث بن كَلْدة ، وعامر بن أبى وقاص أخو سعد ، والمطَّلب بن أَزْهر بن عبد عوف الزُّهرى . وامرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة ، وولدت بها عبد الله .

وعبدُ الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمِقْداد بن الأسود ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيْمى ، وامرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة (٣) ، وولدت له بها موسى وعائشةَ وزينب وفاطمة .

وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة ، وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد المخزومى . قال : وإنما سمى شَمَّاساً لحسنه ، وأصلُ اسمه عثمان بن عثمان .

وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومى ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبى حُذيفة

---

(١) وتروى : كبير . (٢) وتروى : حرملة .

(٣) فى الاستيعاب : ابن جبالة .

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، ومُعَتِّب بن عوف بن عامر ، ويقال له عَيْهامة ، وهو من حلفاء بنى مخزوم .

قال : وقُدَامة وعبد الله أخوا عثمان بن مَظْعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت الْمُجَلِّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فُكَيْهة بنت يَسَار ، وسفيان بن مَعْمر بن حبيب ، وامرأته حَسَنة وابناه منها جابر وجُنَادة ، وابنها من غيره ، وهو شُرَحْبيل بن عبد الله ، أحد الغَوْث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذى يقال له شُرَحْبيل بن حَسَنة .

وعثمان بن ربيعة بن أُهْبَان بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وخُنَيس بن حُذَافة بن قيس بن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد ، وقيس بن حُذَافة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله .

وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى ، وإخوته : الحارث ومَعْمر والسائب وبِشْر وسعيد ، أبناء الحارث ، و [أخو] سعيد بن قيس بن عدى لأمِّه ، وهو سعيد بن عمرو التميمى .

وعُمير بن رِئاب بن حذيفة بن مُهَشِّم بن سعيد بن سَهْم ، وحليفٌ لبنى سهم وهو مَحْمية بن جزْء (١) الزُّبيدى ومَعْمر بن عبد الله العدَوى ، وعروة بن عبد العزى ، وعدىُّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مَخْرمة العامرى ، وعبد الله بن سهيل ابن عمرو ، وسَلِيط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدة بنت زَمْعة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عَمْرة بنت السَّعدى ، وأبو حاطب (٢) بن عمرو العامرى وحليفهم سعد بن خَولة ، وهو من اليمن .

(١) ويروى كما فى ابن هشام والاستيعاب : ابن جزاء .
(٢) ويروى كما فى الاستيعاب : حاطب بن عمرو .

وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجَرّاح الفِهْرى ، وسُهَيل بن بيضاء ، وهى أمه ، واسمها دَعْد بنت جَحْدم بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وهو سهيل بن وهب ابن ربيعة بن هلال [بن أُهَيب] (١) بن ضَبَّة ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال [بن أهيب] (١) بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث ، وعِيَاض بن زُهَير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير أخوان ، وسعيد بن عبد قيس بن لَقيط ، وأخوه الحارث ، الفِهْريون .

* * *

قال ابن إسحق : فكان جميع من لَحِق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ، : ثلاثةً وثمانين رجلا إن كان عمار ابن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

* * *

قلت : وذِكْرُ ابن إسحق أبا موسى الأشعرى فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جدا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت حُدَيْجا (٢) أخا زُهَير بن معاوية ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن مسعود قال : بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ونحن نحوٌ (٣) من ثمانين رجلا ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عَرْفطة ، وعثمان بن مظعون وأبو موسى . فأتَوْا النجاشىَّ .

---

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) الأصل خديج بالخاء . وهو تحريف وما أثبته عن المسند .

(٣) ط : نحوا . وما أثبته عن المسند.

وبعثَتْ قريشٌ عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إنّ نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا .

قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك فابعث إليهم .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليومَ . فاتّبعوه .

فسلّم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولا ، ثم أمرنا ألّا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

قال : فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه .

قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول التى لم يمسّها بشر ولم يَفْرضها ولد (١) .

قال : فرفع عودا من الأرض ثم قال : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله مايزيدون على الذى نقول (٢) فيه ماسوى (٣) هذا ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشّر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ماأنا فيه من الملك لأتيْته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه (٤) !

(١) رواية النهاية لابن الأثير : ولم يفترضها ولد . قال : أى لم يؤثر فيها ولم يحزها ، يعنى قبل المسيح . ورواية ابن الجوزى فى الوفا : ولم يقرعها ذكر .

(٢) مسند أحمد : يقول . (٣) المسند : ما يسوى . (٤) زاد فى المسند : وأوضئه .

وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما .

ثم تعجّل عبدُ الله بن مسعود حتى أدركـ بدراً .

وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته .

وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن ، وفيه مايقتضى أن أبا موسى كان فيمن هاجَر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن مُدْرجا من بعض الرواة . والله أعلم .

***

وقد رُوِى عن أبى إسحق السَّبِيعىّ من وجه آخر .

فقال الحافظ أبو نُعَيْم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا الغُلاَبىّ ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا الحسن بن عَلُّوية القَطَّان ، حدثنا عباد بن موسى الُختُلىّ ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حدثنا إسحق بن إبراهيم ، هو ابن راهَوَيْه ، حدثنا عبيد الله [1] بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى ، قال :

أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى [2] .

فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعُمَارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشى هدية .

وقدِما على النجاشى فأتياه بالهدية ، فقَبِلها ، وسجدا له .

(١) دلائل النبوة ٢٠٥ : عبد الله . (٢) الدلائل أرض الحبشة .

ثم قال عمرو بن العاص : إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا ، وهم فى أرضك .

قال لهم النجاشى : فى أرضى ؟ !

قالا : نعم .

فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم .

فانتهينا (١) إلى النجاشى وهو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعُمارة عن يساره ، والقسيسون جلوسٌ سِماطين ، وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بَدَرَنا مَن عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك .

فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل .

فلما انتهينا إلى النجاشى قال : ما منعك أن تسجد ؟

قال : لا نسجد إلا لله .

فقال له النجاشى : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث فينا رسولا ، وهو الرسول الذى بشَّر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده ، اسمه أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر .

فأعجبَ النجاشىَّ قولُه .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملِك ، إنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

فقال النجاشى لجعفر : مايقول صاحبكم فى ابن مريم .

---

(٣) الدلائل : فانتهيت .

قال : يقول فيه قولَ الله : هو روحُ الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البتول التى لم يَقْرَبْها بشرٌ ولم يَفرِضها ولد .

فتناول النجاشيُّ عوداً من الأرض فرفعه فقال : يامعشر القسيسين والرهبان : مايزيدون هؤلاء على مانقول فى ابن مريم ولا وزنَ هذه .

مرحباً بكم وبمن جئتم مِن عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى بشَّر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من المُلْك لأتيته حتى أقبِّل نعليه ، امكثوا فى أرضى ماشئتم .

وأمر لنا بطعام وكسوة ، وقال : ردُّوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا ، وكان عمارة رجلا جميلا ، وكانا أقبلا فى البحر فشربا ، ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو : مُرْ امرأتك فلتقبِّلنى . فقال له عمرو : ألا تستحى ! فأخذ عمارة عمراً فرمى به فى البحر ، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة .

فحقد عليه عمرو فى ذلك ، فقال عمرو للنجاشى : إنك إذا خرجت خَلَفك عُمَارة فى أهلك . فدعا النجاشيُّ بعمارة فنفخ فى إحليله ، فطار مع الوحش(١) .

وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى الدلائل عن طريق أبى على الحسن بن سَلَّام السوّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثله ، إلى قوله : « فأمر لنا بطعام وكسوة » .

قال : وهذا إسناد صحيح ، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيحُ عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة ، عن جده أبى بردة ، عن أبى موسى : أنهم بلغهم مَخْرجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن ، فخرجوا مهاجرين فى بضع وخمسين

---

(١) الذى فى دلائل النبوة لأبى نعيم ١٩٦ – ٢٠٧ عدة روايات عن الهجرة إلى الحبشة وليس فيه رواية واحدة كاملة بهذا السياق الذى ذكره ابن كثير ، ولعله أدمج بعضها فى بعض .

رجلا فى سفينة ، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشى بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفرَ بن أبى طالب وأصحابه عندهم ، فأمره جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر .

قال : وأبو موسى شهد ماجرى بين جعفر وبين النجاشى فأخبر عنه .

قال : ولعل الراوى وَهِمَ فى قوله : « أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق » . والله أعلم .

* * *

وهكذا راوه البخارى فى باب هجرة الحبشة : حدثنا محمد بن العَلَاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْد[1] بن عبد الله ، عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى ، قال : بَلَغنا مَخْرجُ النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فركبنا سفينة ، فألقتنا سفننا إلى النجاشى بالحبشة فوافَقْنا جعفرَ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأقمنا معه حتى قدِمْنا ، فوافينا[2] النبىَّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان » .

وهكذا رواه مسلم عن أبى كُرَيب وأبى عامر عبد الله بن بَرَّاد[3] ، كلاهما عن أبى أسامة به . ورويناه فى مواضع أخر مطولا . والله أعلم .

* * *

وأما قصة جعفر مع النجاشى فإن الحافظ ابن عساكر رواها فى ترجمة جعفر بن أبى طالب من تاريخه ، من رواية نفسه ومن رواية عمرو بن العاص ، وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود ، كما تقدم ، وأمِّ سَلَمة كما سيأتى .

---

(١) خ ط : يزيد . وهو تحريف وما أثبته من البخارى ٢ / ١٨٦ .

(٢) ابن يوسف بن أبى بردة بن أبى موسى .

(٣) البخارى : فوافقنا .

فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جدا ،رواها ابن عساكر ، عن أبي القاسم السمرقندى، عن أبي الحسين بن النَّقُور ، عن أبي طاهر المخلِّص ، عن أبي القاسم بن البَغَوى ، قال: حدثنا أبو عبدالرحمن الجعفى ، عن عبدالله بن عمر بن أبان ، حدثنا أسد بن عمرو البَجَلى، عن مُجَالِد بنِ سعيد ، عن الشّعبيّ عن عبدالله بن جعفر ، عن أبيه قال :

بعثت قريشٌ عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشى ، فقالوا له ، ونحن عنده : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم إلينا .

قال : لا حتى أسمع كلامهم .

قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟

قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا فآمنَّا به وصدَّقناه .

فقال لهم النجاشى : أعبيدٌ هم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دَيْن ؟ . قالوا : لا .

قال : فخلُّوا سبيلهم .

قال : فخرجنا مِن عنده ، فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون فى عيسى غيرَ ما تقول .

قال : إن لم يقولوا فى عيسى مثلَ قولى لم أدَعْهم فى أرضى ساعةً من نهار .

فأرسل إلينا ، فكانت الدعوة الثانية أشدَّ علينا من الأولى .

قال : ما يقول صاحبكم فى عيسى بن مريم ؟

قلنا : يقول : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بَتُول .

قال : فأرسل فقال : ادعوا لى فلانَ القِسَّ وفلان الراهب ، فأتاه ناس منهم ، فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقالوا : أنت أعلمُنا ، فما تقول ؟

قال النجاشي ، وأخذ شيئاً من الأرض ، قال : ما عَدَا عيسى ماقال هؤلاء مثلَ هذا .

ثم قال : أيؤذيكم أحدٌ ؟ قالوا : نعم .

فنادى منادٍ : من آذى أحداً منهم فأغْرِموه أربعةَ دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا . فأضْعَفَها .

قال : فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة وقتل الذين كنا حدّثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيلَ إليه ، فرُدَّنا .

قال : نعم . فحملَنا وزوّدنا ، ثم قال : أَخْبِر صاحبَك بما صنعتُ إليكم ، وهذا صاحبي معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لى .

قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة ، فتلقّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقنى ، ثم قال : ما أدرى أنا بفتح خيبر أَفْرح أم بقدوم جعفر !

ووافق ذلك فتحَ خيبر . ثم جلس .

فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسَلْه ماصنع به صاحبنا .

فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا ، وحملنا وزوّدنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وقال لى : قل له يستغفر لى .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشى فقال المسلمون : آمين .

ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ابنْ عساكر : حسن غريب .

* * *

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحق ، حدثني الزُّهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أم سلمة رضى الله عنها ، أنها قالت :

لما ضاقت مكة وأوذى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفعَ ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعَةٍ من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابَه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن بأرض الحبشة ملِكا لا يُظلْم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرَجاً ومَخْرجاً مما أنتم فيه» .

فخرجنا إليها أَرْسالاً ، حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخشَ فيها ظلما .

فلما رأت قريش أنا قد أَصَبنا داراً وأمْناً غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجنا من بلاده وليردَّنا عليهم .

فبعثوا عمرو بن العاص وعبدَ الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يَدَعوا منهم رجلا إلا هَيَّأوا له هدية على حِدَة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردَّهم عليكم قبل أن يكلّمهم فافعلوا .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدِمْنا على هذا الملك في سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم .

فبعثنا قومُهم ليردَّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل .
فقالوا : نفعل .

ثم قدَّموا إلى النجاشى هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأَدَم[١] ، وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج .

فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إن فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين مبتدَع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم وقومُهم لتردَّهم عليهم ، فإنهم أعلى بهم عينا ، فإنهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك .

فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردُّهم عليهم حتى أدعوهم فأ كلِّمهم وأنظر ما أمرُهم ، قومٌ لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنْعَم عينا .

وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردَّهم إليهم ، فقال : لا والله حتى أسمع كلامهم وأعلم على أى شىء هم عليه .

فلما دخلوا عليه سلَّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرهط ألا تحدّثونى مالكم لا تحيُّونى كما يحيِّينى من أتانا مِن قومكم ؟ !

فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى ، وما دينكم ؟

أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : أفيهودٌ أنتم ؟

---

(١) الأدم : الجلد ، أو المصبوغ منه .

قالوا : لا .

قال : فعلَى دِين قومكم ؟

قالوا : لا .

قال : فما دينكم ؟

قالوا : الإسلام .

قال : وما الإسلام ؟

قالوا : نَعْبد الله ، لا نُشْرك به شيئاً .

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونَسَبه ، بعثه الله إلينا كما بَعث الرسلَ إلى مَن قبلنا ، فأمرنا بالبرِّ والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدَّقناه وعرَفْنا كلامَ الله ، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا وعادَوا النبيَّ الصادق ، وكذّبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففرَرْنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

قال : والله إن هذا لمن المِشْكاة التى خرج منها أمرُ موسى .

قال جعفر : وأما التحيةُ : فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرَنا بذلك فحيَّيْناك بالذى يحيِّي بعضنا بعضا .

وأما عيسى بن مريم ، فعبدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، وابن العذراء البَتُول .

فأخذ عُودا وقال : والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود .

فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشةُ لتخلعنَّك .

فقال : والله لا أقول فى عيسى غيرَ هذا أبدا ، وما أطاع اللهُ الناسَ فىَّ حين ردَّ علىَّ مُلْكى فأطيعَ[1] الناس فى دين الله ، معاذَ الله من ذلك .

وقال يونس عن ابن إسحاق : فأرسل إليهم النجاشىُّ فجمعَهم ، ولم يكن شىء أبغض لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم .

فلما جاءهم رسولُ النجاشى اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟

فقالوا : وماذا نقول ! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنٌ من ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه .

فقال له النجاشى : ما هذا الدِّين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دينَ قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ولا نصرانية .

فقال له جعفر : أيها الملك ، كنا قوماً على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسىء الجوار ، يستحل المحارمَ بعضُنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحلُّ شيئا ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نَعْبد الله وحده لا شريك له ، ونَصِلَ الأرحام ونَحْمى الجوارَ ، ونصلى لله عز وجل ونَصوم له ولا نعبد غيره .

وقال زياد[2] عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام وحُسْن الجِوار والكَفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور

(١) المطبوعة : فاطع . وهو تحريف .
(٢) هو زياد البكائى راوى السيرة عن إبن اسحق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

وأ كل مال اليتيم وقَذْف المُحْصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قال : فعدَّد[1] عليه أمورَ الإسلام .

فصدَّقناه وآمنَّا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبَدْنا الله وحده لا شريك له ، ولم نشرك به شيئا ، وحرَّمنا ما حرم علينا وأحلَلْنا ما أحل لنا .

فعَدَا علينا قومنا فعذَّبونا ليفتْنونا عن ديننا ويردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحلَّ ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَن سِواك ، ورغِبْنا في جوارك ورجونا ألا نُظْلم عندك أيها الملِك .

قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟

فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى أخْضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخْضلوا مصاحفهم .

ثم قال : إن هذا الكلام لَيخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلِقوا راشدين ، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أُنْعِمُـكم عَيْناً .

فخرجنا مِن عنده ، وكان أَبْقَى الرجلين فينا عبدُ الله بن ربيعة ، فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أستأصلُ به خَضَراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلٰهه الذي يَعْبد ، عيسى بن مريم ، عَبْدٌ !

فقال له عبد الله بن ربيعة : لا تفعـل ، فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحما ولهم حقًّا .

---

(١) الأصل : فعدوا . محرفة ، وما أثبته عن ابن هشام .

(٢) هو زياد البكائي راوي السيرة عن ابن إسحاق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

فقال : والله لأفعلن .

فلما كان الغدُ دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسَلْهم عنه .

فبعث والله إليهم ، ولم ينزل بنا مثلُها .

فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له فى عيسى إن هو يسألكم عنه ؟

فقالوا : نقولِ والله الذى قاله الله فيه ، والذى أمرَنا نبينا أن نقوله فيه .

فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فدلَّى النجاشى يده إلى الأرض فأخذ عودا بين إصبعيه فقال : ما عدَا عيسى بن مريم مما قلت هذا العُوَيد .

فتناخَرَتْ بطارقته(١) ، فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم شيوم فى الأرض . الشيوم : الآمنون فى الأرض . من سبَّكم غرِم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثا . ما أحب أن لى دَبْرا وأنى آذيت رجلا منكم ، والدَّبْر بلسانهم : الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أحب أن لى دبْراً من ذهب . قال ابن هشام : ويقال : زَبراً . وهو الجبل بلغتهم .

ثم قال النجاشى : فوالله ما أخذ الله منى الرِّشوةَ حين ردَّ علىَّ مُلْكى ، ولا أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه ، ردُّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لى بها ، واخرجا من بلادى .

---

(١) ط : بطراقته وهو تحريف .

فخرجا مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به .

* * *

قالت : فأقمنا مع خير جار فى خير دار .

فلم ينشب[1] أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه .

فوالله ما علمتنا حزنّا حزنًا قط هو أشد منه ، فرَقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يَعْرف من حقّنا ما كان يعرفه .

فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشى ، فخرج إليه سائرا .

فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض : من يخرج فيحضُر الوقيعة حتى ينظر على من تكون .

فقال الزبير ، وكان من أحْدَثهم سنًّا : أنا .

فنفخوا له قِربةً فجعلها فى صدره ، فجعل يَسْبَح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة .

فهزم الله ذلك المِلكَ وقتله وظهر النجاشى عليه .

فجاءنا الزبير ، فجعل يُلِيح لنا بردائه ويقول : ألا فأبشروا ، فقد أظهر الله النجاشىَّ .

قالت[2] : فوالله ماعلمتُنا فرحنا بشىء قط فَرَحنا بظهور النجاشى. ثم أقمنا عنده حتى خرج مَن خرج منا إلى مكة وأقام من أقام .

* * *

(١) ط : نشب . محرفة .

(٢) ط . قلت : محرفة .

قال الزهرى : فحدَّثتُ هـذا الحديث عُرْوة بن الزبير عن أم سَلَمة ، فقال عروة : أتدرى ماقوله : ما أخذ الله منى الرشوة حين ردَّ علىَّ مُلْكى فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناسَ فىَّ فأطيع الناس فيه ؟

فقلت : لا ، ماحدَّثنى ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة .

فقال عروة : فإنّ عائشة حدَّثتنى أن أباه كان ملِكَ قومه ، وكان له أخ له من صُلْبه اثنا عشر رجلا ، ولم يكن لأبى النجاشى ولدٌ غير النجاشى ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملَّكنا أخاه ، فإن له اثنى عشر رجلا من صُلْبه فتوارثوا المُلْك ، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف .

فعدَوْا عليه فقتلوه وملَّكوا أخاه .

فدخل النجاشىُّ بعمه حتى غَلَب عليه ، فلا يُدير أمرَه غيرُه ، وكان لبيبا حازماً من الرجال .

فلما رأت الحبشة مكانَه من عمه ، قالوا : قد غَلَب هذا الغلامُ على أمر عمه ، فما نَأْمن أن يملكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدَعْ منا شريفا إلا قتله ، فكلِّموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا .

فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفتَ أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم ! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم ! بل أُخرجه من بلادكم .

فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه فى سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به .

فلما كان العشيّ هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمه يتمطَّر تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلته .

ففَزِعوا إلى ولده، فإذاهم مُحْمِقُون ليس في أحد منهم خير . فمَرَج(١) على الحبشة أمرهم .

فقال بعضهم لبعض : تعْلمون والله إن مَلِككم الذى لا يُصْلح أمركم غيرُه ٱلذى بِعْتم الغَداةَ ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأَدرِكوه قبل أن يذهب .

فخرجوا فى طلبه ، فأدركوه فردُّوه ، فعقدوا عليه تاجَه وأجلسوه على سريره وملَّكوه .

فقال التاجر : ردوا علىَّ مالى كما أخذتم منى غلامى . فقالوا : لا نعطيك . فقال : إذاً والله لأكلمنَّه .

فمشى إليه فكلَّمه فقال : أيها الملك ، إنى ابتعتُ غلاما فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدَوْا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردُّوا علىَّ مالى .

فكان أولَ ماخُبِر من صلابة حُكْمه وعَدْله أن قال : لتَرُدُّن عليه ماله أو لتَجْعلن يدَ غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء .

فقالوا : بل نعطيه مالَه . فأعطوه إياه .

فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرِّشوة فآخذ الرشوة حين ردَّ علىَّ ملكى ، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيع الناس فيه .

* * *

وقال موسى بن عُقْبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير، فأوصى إلى أخيه أنَّ إليك مُلْكَ قومك حتى يَبْلغَ ابنى ، فإذا بلغ فله الملْك .

---

(١) مرج : اضطرب واختلط .

فرَغِب أخوه في الملك ، فباع النجاشيّ من بعض التجار .

فمات عمُّه من ليلته وقَضى ، فردَّت الحبشة النجاشيّ حتى وضعوا التاج على رأسه .

هكذا ذكره مختصرا ، وسياق ابن إسحق أحسن وأبسط فالله أعلم .

* * *

والذى وقع فى سياق ابن إسحاق إنما هو ذِكْرُ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة .

والذى ذكره موسى بن عُقْبة والأموى وغيرُ واحد أنهما عمرو بن العاص وعُمارة ابن الوليد بن المغيرة .

وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجَزُور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة .

وهكذا[1] تقدم فى حديث ابن مسعود وأبى موسى الأشْعرى .

والمقصود أنهما حين خرجا من مكة ، كانت زوجة عمرو معه ، وعُمارة كان شابا حسنا ، فاصطحبا فى السفينة ، وكأن عمارة طمع فى امرأة عمرو بن العاص ، فألقى عمراً فى البحر ليهلكه ، فسبح حتى رجع إليها ، فقال له عمارة : لو أعلم أنك تُحْسن السباحة لمَاَ ألقيتك . فحقد عمرو عليه .

فلمَّا لم يُقْضَ لهما حاجةٌ فى المهاجرين من النجاشى ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشى ، فوشى به عمرو ، فأمر به النجاشى فسُحر حتى ذهب عقله وساح فى البَرِّية مع الوحوش .

وقد ذكر الأموى قصته مطولة جداً ، وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسِلْنى أرسلنى وإلا متُّ . فلما لم يرسله مات من ساعته فالله أعلم .

(١) أى كونهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد .

وقد قيل : إن قريشا بعثت إلى النجاشي فى أمر المهاجرين مرتين : الأولى مع عمرو ابن العاص وعُمارة ، والثانية مع عمرو وعبد الله بن أبى ربيعة .

نص عليه أبو نُعَيم فى الدلائل . والله أعلم .

وقد قيل إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر . قاله الزُّهرى . لينالوا ممن هناك ثأرا ، فلم يجبهم النجاشيُّ رضى الله عنه وأرضاه إلى شيء ، مما سألوا . فالله أعلم .

* * *

وقد ذكر زياد عن ابن إسحق أن أبا طالب لمَّا رأى ذلك من صنيع قريش ، كتب إلى النجاشي أبياتا يحضُّه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألَا ليت شِعْرى كيفَ فى النَّأْىِ جعفرٌ ... وعمرٌو وأعـــداء العدو الأقاربُ

وما نالت[١] أفعالُ النجاشىِّ جعفراً ... وأصحابَه ، أو عاقَ ذلك شاغِبُ

تعلَّمْ أبيتَ اللَّعنَ أنك ماجــــدٌ ... كريمٌ فلا يشقَى إليك[٢] المجانبُ

ونعلَمُ أن الله زادكَ بَسْطـــــةً ... وأسبابَ خير كلُّها بك لازِبُ[٣]

* * *

وقال يونس عن ابن إسحق : حدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : إنما كان يكلم النجاشيَّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمشهور أن جعفرا هو المترجم رضى الله عنه .

وقال زياد البكَّائى عن ابن إسحق : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما مات النجاشي كان يُتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

---

(١) وتروى : وهل نالت .
(٢) وتروى : لديك .
(٣) لازب : لاصق ملازم .

ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازى ، عن سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق به : لما مات النجاشي رضى الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

* * *

وقال زياد عن محمد بن إسحق : حدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك فارقت ديننا . وخرجوا عليه .

فأرسَل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا .

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم . ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن .

وخرج إلى الحبشة وصُفُّوا له ، فقال : يامَعْشرَ الحبشة ، ألستُ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فكيف أنتم بسيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة .

قال : فما بكم ؟ قالوا : فارقتَ دينَنا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله .

قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟

قالوا : نقول هو ابن الله .

فقال النجاشى ، ووضَع يدَه على صدره على قبائه : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزدْ على هذا . وإنما يعنى ما كتب .

فرضُوا وانصرفوا .

فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشى صلَّى عليه واستغفر له .

* * *

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَعَى النجاشىَّ فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلَّى فصفَّ بهم وكبَّر أربع تكبيرات .

وقال البخارى : « موت النجاشى » حدثنا أبو الرَّبيع ، حدثنا ابن عُيَيْنة ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشى: مات اليومَ رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمة » .

وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد .

وفى بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفى رواية مصحمة ، وهو أصحمة بن بحر [1] . وكان عبدا صالحا لبيبا ذكيا ، وكان عادلا عالما رضى الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن ابن إسحق : اسم النجاشى مَصْحمة . وفى نسخة صححها البيهقى : أصحم . وهو بالعربية عطية .

قال : وإنما النجاشى اسم المِلِك ، كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ، ولعله يريد به قيصر ، فإنه علَمَ لكل من ملَك الشامَ مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علَم على من ملَك الفُرْس ، وفرعون علَم لمن ملَك مصرَ كافة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وتُبَّع لمن ملك اليمن والشَّحْر ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، وبطليموس لمن ملك اليونان ، وقيل الهند ، وخاقان لمن ملك الترك .

---

(١) الأصل : أصحمة بن أبجر . وما أثبته من القاموس .

وقال بعض العلماء : إنما صلَّى عليه لأنه كان يكتم إيمانَه من قومه ، فلم يكن عنده يومَ مات مَن يصلِّى عليه ، فلهذا صلى عليه .

قالوا : فالغائب إن كان قد صلِّى عليه ببلده لا تُشْرع الصلاة عليه ببلد أخرى ، ولهذا لم يصلَّ [على] النبى صلى الله عليه وسلم فى غير المدينة ، لا أهلُ مكةَ ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ، لم يُنْقل أنه صلِّى على أحد منهم فى غير البلدة التى صلِّى عليه فيها . فالله أعلم .

* * *

قلت : وشهودُ أبى هريرة رضى اللهعنه الصلاة على النجاشى دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر [فى السنة] التى قدم [فيها] بقيةُ المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يوم فتح خيبر .

ولهذا روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والله ما أدرى بأيهما أنا أَسرُّ ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبى طالب !

وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشى رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عايه وسلم ، وصحبتُهم أهلُ السفينة اليمنية أصحاب أبى موسى الأشعرى،وقومه من الأشعريين رضى الله عنهم .

ومع جعفر وهدايا النجاشى : ابن أخى النجاشى ذو نختر أو ذو مِخْمر ، أرسله ليخدم النبى صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه ، رضى الله عنهما وأرضاهما .

وقال السُّهيلى : توفى النجاشى فى رجب سنة تسع من الهجرة ، وفى هـذا نظر والله أعلم .

* * *

وقال البيهقى : أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطُّوسى ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرَّقى ، حدثنا أبى العلاء بن مُدْرِك ، حدثنا أبو هلال بن العلاء ، عن أبيه ، عن غالب ، عن أبى أمامة قال :

قدِم وفدُ النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابى مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم » .

ثم قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا أبى ، حدثنا طلحة بن يزيد ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة ، عن أبى قتادة ، قال : قدم وفدُ النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال أصحابُه: نحن نكفيك يارسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمين ، وإنى أحب أن أكافئهم » .

تفرَّد به طلحةُ بن زيد ، عن الأوزاعى .

وقال البيهقى : حدثنا أبو الحسين بن بِشْران ، حدثنا أبو عمرو بن السمَّاك ، حدثنا حنبل بن إسحق ، حدثنا الُحمَيدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، قال : لمَّا قدِم عمرو ابن العاص من أرض الحبشة جلس فى بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ماشأنه ماله لا يخرج ؟

فقال عمرو : إن أَصْحَمة يَزْعم أن صاحِبكم نبى .

[إسلام عمر بن الخطاب]

قال ابن إسحق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ماطَلبوا من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردَّهم النجاشى بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شَـكيمة لا يُرَامُ ماوراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة ، حتى غاظوا [١] قريشا .

فـكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الـكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمرُ قاتل قريشا حتى صلى عند الـكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : « مازلنا أعزةً منذ أسلمَ عمر بن الخطاب » .

وقال زياد البَـكَّائى : حدثنى مِسْعر بن كِدَام ، عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلى عند الـكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الـكعبة وصلينا معه .

***

قال ابن إسحق : وكان إسلام عمر بعد خروج مَن خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة قالت : والله إنا

---

(١) ابن هشام : حتى عازوا قريشا . أى غلبوهم .

لنترحَّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذًى لنا وشدة علينا .

قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله ؟ !

قلت : نعم ، والله لنَخْرجن فى أرضٍ من أرض الله، إذ آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مَخْرجا .

قالت : فقال : صحبكم الله !

ورأيتُ له رقةً لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزَنه فيما أرى خروجُنا .

قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ؛ فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقَّتَه وحزنه علينا !

قال : أطمعتِ فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم .

قال : لا يُسْلم الذى رأيت حتى يُسْلم حمارُ الخطاب !

قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

* * *

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمامَ الأربعين من المسلمين . فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين .

اللهم إلا أن يقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

ويؤيد هـذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا فى قصة إسلام عمر وحده رضى الله عنـه ، وسياقُها ، فإنه قال :

وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفَيل ، كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجُها سعيد بن زيد ، وهم مُستَخْفون بإسلامهم من عمر .

وكان نُعَيم بن عبد الله النحَّام ، رجل من بنى عَدِى ، قد أسلم أيضاً مستخفيا بإسلامه من قومه .

وكان خَبَّاب بن الأَرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشِّحا سيفَه ، يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذُكروا [١] له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصَّفا ، وهم قريب من أربعين ، مِن بَيْن رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّه حمزة وأبو بكر بن أبى قُحافة الصدِّيق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نُعيم بن عبد الله فقال : أين تريد ياعمر ؟

قال : أريد محمدا ، هذا الصابئ الذى فرَّق أمر قريش ، وسفَّه أحلامها وعابَ دينَها وسبَّ آلهتها ، فأقتله .

فقال له نُعيم : والله لقد غرَّتك نفسُك ياعمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : وأىُّ أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابَعا محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائدا إلى أخته فاطمة ، وعندها خباب بن الأَرَتّ معه صحيفة فيها « طه » يُقْرِئها إياها .

فلما سمعوا حسَّ عمر تغيَّب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة

---

(١) الأصل : فذكروا . والتصويب من ابن هشام .

بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البـاب قراءة خبَّاب عليها .

فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمة التى سمعت ؟ قالا له : ماسمعت شيئاً .

قال : بلى والله لقد أُخبرتُ أنـكما تابعتما محمدا على دينه . وبطش بخَتَنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتـكفَّه عن زوجها فضربها فشجَّها .

فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتَنُه : نعم قد أسلمنا وآمنَّا بالله ورسوله ، فاصنع مابدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع وارعوَى ، وقال لأخته : أعطينى هـذه الصحيفة التى كنتم تقرأون آنفا ، أنظر ماهذا الذى جاء به محمـد . وكان عمر كاتباً .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها . قال: لا تخافى . وحلف بآلهته ليردَّنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه ، فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسُّه إلا المطهَّرون .

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها «طه» . فلما قرأ منها صدرا قال : ماأحسنَ هذا الكلامَ وأكرَمه ! .

فلما سمع ذلك خبَّاب بن الأرَتّ خرج إليه فقال له : والله ياعمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيِّد الإسلام بأبى الحـكَم بن هشام أو بعمر بن الخطاب . فالله الله ياعمر .

فقال عند ذلك : فدُلَّنى ياخباب على محمد حتى آتيه فأُسْلمَ . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفَه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلَل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال : يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف .

فقال حمزة فَأْذَنْ له : فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيذن له .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ بحُجْزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة ، فقال : ماجاء بك يابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة .

فقال عمر : يارسول الله ، جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة ، فعرَف أهلُ البيت أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وينتصفون بهما من عدوِّهم .

قال ابن إسحق : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح المكى ، عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك ، أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول :

كنت للإسلام مُبَاعداً ، وكنت صاحبَ خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحَزْوَرة [١]

فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك ، فلم أجد فيه منهم أحدا ، فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمَّار لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها .

فخرجت فجئته فلم أجده . قال : فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطُفْت سبعا أو سبعين .

قال : فجئت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبلَ الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليَمَانى .

قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعتُ لمحمد الليلة حتى أسمع مايقول .

فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروِّعنه ، فجئت مِن قِبَل الحِجْر ، فدخلتُ تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قِبلته مُسْتَقْبلَه مابينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآنَ رقَّ له قلبى وبكيتُ ودخلنى الإسلامُ .

فلم أزَلْ فى مكانى قائما حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ، وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعتهُ ، حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركتُه ، فلما سمع

---

(١) الحزورة : كانت سوق مكة ، ثم دخلت المسجد لما زيد فيه .

حتى عرفنى ، فظن أنى إنما اتبعته لأوذيه ، فنَهَمنى [1] ثم قال : ماجاء بك يابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت : جئتُ لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فحمد الله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « قد هداك الله ياعمر » ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات .

ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحق : فالله أعلم أى ذلك كان .

قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضى الله عنه وماورد فى ذلك من الأحاديث والآثار مطولا فى أول سيرته التى أفردتُها على حِدَة . ولله الحمد والمنة .

* * *

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أىُّ قريش أَنْقَلُ للحديث ؟

فقيل له : جميل بن معمر الجمحىّ .

فغدَا عليه . قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر مايفعل وأنا غلام أعقل كلَّ مارأيت .

حتى جاءه فقال له : أعلمت ياجميل أنى أسلمتُ ودخلتُ فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فوالله ماراجعه حتى قام يجرُّ رداءه ، واتبعه عمر واتبعتُه أنا ، حتى [إذا] قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش . وهم فى أنديتهم حول الكعبة . ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

---

(١) نهمنى : زجرنى .

قال : يقول عمر من خَلْفه : كذب ولـكنى قد أسلمتُ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم .

قال : وطَلِح (١) فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا مابدا لـكم ، فأحلفُ بالله أنْ لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لـكم أو تركتموها لنا .

قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حَبَرة وقميص موشّى ، حتى وقف عليهم .

فقال : ماشأنـكم ؟

فقالوا : صبأ عمر .

قال : فمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بنى عَدِى يُسْلِمون لـكم صاحبكم هكذا ؟ ! خلُّوا عن الرجل .

قال : فوالله لـكأنما كانوا ثوباً كُشط عنه .

قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك بمكةَ يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك .

قال : ذاكِ أى بُنَىَّ العاصُ بن وائل السَّهمى .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر إسلام عمر ، لأن ابن عمر عُرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكانت أُحد فى سنة ثلاث من الهجرة ، وقد كان مميِّزاً يوم أسلمَ أبوه ، فيـكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين . وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين . والله أعلم .

* * *

---

(١) طلح : تعب وأعيى .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحق قال :

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة ، أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ، ورجالُ قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خَيَّبكم الله من ركب ! بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال لكم ، ما نَعْلم ركباً أحمقَ منكم ! أو كما قال .

قالوا لهم : لا نُجاهلكم ، سلامٌ عليكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نَأْلُوَنّ أنفسنا خيرا .

فيقال : إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان .

ويقال ، والله أعلم ، أن فيهم نزلت هذه الآيات : « الذين آتيناهم الكتابَ مِنْ قَبْله هم به يؤمنون ، وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنَّا به ، إنه الحقُّ من ربِّنا ، إنا كنا مِنْ قَبْله مُسْلمين ، أولئك يُؤْتَوْن أجرَهم مرَّتَيْن بما صَبَروا ويَدْرَأون بالحسنةِ السيئةَ ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سَمِعوا اللَّغْوَ أعرَضوا عنه، وقالوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم ، سلامٌ عليكم لا نبتغِى الجاهلين [1] » .

(١) سورة القصص ٥٢ ــ ٥٥

فصـــــل

قال البيهقى فى الدلائل : باب ماجاء فى كتاب النبى صـلى الله عليـه وسلم إلى النجاشى :

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحق ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتابٌ من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى الأصْحَم عظيم الحبشة ، سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولَدا ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسوله ، فأسْلِمْ تَسْلم : « يا أهل الـكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواء بَيْنَنا وبَيْنكم ألّا نَعْبُدَ إلا اللّهَ ولا نُشْرِكَ به شيئاً ، ولا تتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [١] » .

فإن أبَيْتَ فعليك إثمُ النَّصارَى مِنْ قومك » .

هكذا ذكره البيهقى بعد قصة هجرة الحبشة ، وفى ذكره هاهنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الـكتاب إنما هو إلى النجاشى الذى كان بعدَ المسْلِم صاحب جعفر وأصحابه .

وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح ، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشى .

قال الزهرى : كانت كتب النبى صلى الله عليه وسلم إليهم واحدة ، يعنى نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية ، وهى من سورة آل عمران ، وهى مدنية بلا خلاف ، فإنها من صدر السورة .

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها فى وفد نجران ، كما قررنا ذلك فى التفسير ، ولله الحمد والمنة .

فهذا الكتاب إلى الثانى لا إلى الأول .

وقوله فيه : « إلى النجاشى الأصحم » لعل « الأصحم » مقحم من الراوى بحسب ما فهم . والله أعلم .

* * *

وأنسَبُ من هذا هاهنا ماذكره البيهقى أيضا ، عن الحاكم ، عن أبى الحسن محمد بن عبد الله الفقيه ، بمَرْو ، حدثنا حمَّاد بن أحمد ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، قال :

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمْرىّ إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، وكتب معه كتابا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة ، سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونَفْخَته ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى ، فإنى رسول الله ، وقد بعثتُ إليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فاقْرِهم ، ودَعِ التجبر فإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلَّغتُ ونصحتُ ، فاقبلوا نصيحتى ، والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى

محمد رسول الله من النجاشى الأصحم بن أبجر[1] ، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقرَيْنا ابنَ عمك وأصحابه ، فأشهدُ أنك رسول الله صادقا ومصدَّقا ، وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبى الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنى لا أملك إلا نفسى ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقول حق .

فصـــل

فى ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب فى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحَصْرهم إياهم فى شِعب أبى طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر فى ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عُقْبة عن الزهرى : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا ، حتى بلغ المسلمون[2] الجَهْدَ واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية .

فلما رأى أبو طالب عملَ القوم جمع بنى عبد المطلب ، وأمرَهم أن يُدْخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعْبَهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله .

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعلَه حَمِيَّة ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا .

---

(١) الذى فى القاموس : ابن بحر .　　(٢) ط : المسلمين .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألاّ يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يَدْخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يَقْبَلوا من بنى هاشم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجَهْدُ ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاما يَقْدُم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه .

يريدون بذلك أن يُدْركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعهم أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه ، حتى يرى ذلك من أراد به مكرا أو اغتيالا له ، فإذا نام الناسُ أمرَ أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بعض فرشهم فينام عليه .

* * *

فلما كان رأسُ ثلاث سنين تلاوَمَ رجال من بنى عبد مناف ومن قصيّ ، ورجال مِن سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحم واستخفّوا بالحق .

واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه .

وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلّ ما كان فيها من عهد وميثاق .

ويقال : كانت معلقةً فى سقف البيت ، فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسَتْه ، وبقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم .

وأطلع الله عز وجل رسولَه على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذَبنى .

فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب ، حتى أتى المسجد وهو حافلٌ من قريش ، فلما رأوهم عامدِين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتكلم أبو طالب فقال : قد حدَثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فَأْتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها ، فعلَّه أن يكون بيننا وبينكم صلح .

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكُّون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوع إليهم ، فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومَكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد ، جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم .

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نَصَف ، إن ابن أخى أخبرنى ولم يَكْذِبنى ، أن الله برِئ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ، ومحا كلَّ اسم هو له فيها ، وترك فيها غَدْركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم .

فإن كان الحديث الذى قال ابنُ أخى كما قال فأفيقوا ، فو الله لا نُسْلمه أبدا حتى يموت مِنْ عندنا آخرُنا .

وإن كان الذى قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم .

قالوا : قد رضينا بالذى تقول .

ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أُخْبر خبرَها .

فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا : والله إنْ كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم .

فارتكسوا وعادوا بشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أَوْلَى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترون ، فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتَنا أَقْرَبُ إلى الجِبْت والسِّحر مِن أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسُد صحيفتكم وهى فى أيديكم ، طَمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغيٍ تركه ، أفنحن السَّحرة أم أنتم .

* * *

فقال عند ذلك النفرُ من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجالٌ من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم ، منهم أبو البَخْتَرى ، والمُطْعِم بن عَدِى ، وزُهير بن أبى أمية بن المغيرة ، وزَمْعة ابن الأسود ، وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى ، فى رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن برَاء مما فى هذه الصحيفة .

فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمرٌ قُضِى بليل .

وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرأوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشى .

* * *

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، يعنى من طريق ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، يعنى كسياق موسى بن عُقبة رحمه الله .

وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشِّعْب ، عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى ذلك . فالله أعلم .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشِّعب أيضا ، فذكْرها ههنا أنسبُ . والله أعلم .

ثم روى البيهقى من طريق يونس ، عن محمد بن إسحق قال :

لما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذى بُعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطَّلب دونه ، وأبوا أن يُسْلموه ، وهم من خلافِه على مثالِ ماقومُهم عليه . إلا أنهم اتقوا أن يَسْتذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفَه من قومه .

فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب ، وعرفت قريش ألاّ سبيل إلى محمد ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب : ألاَّ يُنا كحوهم ولا يَنْكحوا إليهم وألا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة .

ثم عدَوْا على من أسْلَم فأوثقوهم وآذوهم ، واشتدَّ عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا .

ثم ذكر القصة بطولها فى دخولهم شِعْبَ أبى طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد ، حتى كان يُسمع أصواتُ صبيانهم يتضاغَوْن من وراء الشِّعب من الجوع .

حتى كره عامةُ قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة .

وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة ، فلم تدَعْ فيها اسما هو لله إلا أكلَتْه ، وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك عمَّه أبا طالب .

ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عُقْبة وأتمَّ .

***

وقال ابن هشام عن زِيَاد عن محمد بن إسحق :

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا منه[1]

(١) ابن هشام : أصابوا به .

أمناً وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل ، فاجتمعوا[(١)] وائتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب، على ألاَّ ينْكحوا إليهم ولا يُنْكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرِمَة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى .

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فشُلَّ بعض أصابعه .

وقال الواقدى : كان الذى يكتب الصحيفة طلحةُ بن أبى طَلْحة العبدرى .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة ، كما ذكره ابن إسحق ، وهو الذى شُلَّت يده فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة .

قال الواقدى : وكانت الصحيفة معلقةً فى جوف الكعبة .

* * *

قال ابن إسحق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شِعْبه واجتمعوا إليه .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب بن عبد العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم .

وحدثنى حسين بن عبد الله أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق

---

(١) ابن هشام : اجتمعوا . وهو الصواب .

قومه وظاهر عليهم قريشا فقال : يابنة عُتْبة ، هل نصرتُ اللاتَ والعُزَّى وفارقتُ من فارقَها[1] وظاهر عليها .

قالت : نعم ، فجزاكَ الله خيرا يا أبا عُتْبة .

قال ابن إسحق : وحُـدثت أنه كان يقول فى بعض مايقول : يَعِدُنى محمدٌ أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعدَ الموت ، فماذا وضع فى يدىَّ بعد ذلك ؟ !

ثم ينفخ فى يديه فيقول : تبًّا لـكما ، لا أرى فيـكما شيئا مما يقول محمد .

فأنزل الله تعالى : « تبَّتْ يدَا أبى لَهَبٍ وتبَّ » .

قال ابن اسحق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيـه الذى صنعوا قال أبو طالب :

ألاَ أَبلغـا عنَّا على ذاتِ بيْننـا ... لُوَيًّا وخُصًّا من لـؤىٍّ بنى كعبِ
ألم تَعْلموا أنَّا وجَـدْنا محمـداً ... نبيًّا كموسى خُطَّ فى أول الـكُتْبِ
وأنَّ عليـه فى العِبادِ محبـةً ... ولا خـيرَ ممَّن خصَّه الله بالحبِّ
وأنَّ الذى أَلْصَقْتمُ مِنْ كتابـكم ... لكم كائنٌ نحساً كراغِيَـة السَّقْبِ[2]
أفيقوا أفيقوا قَبْلَ أنْ يُحْفَر الثَّرَى ... ويُصْبِح مَنْ لم يَجْنِ ذَنْباً كذى الذَّنْبِ
ولا تَتْبعوا أمرَ الوشـاةِ وتَقْطعوا ... أواصِرَنا بعـدَ المودَّةِ والقُرْبِ
وتَسْتجلبوا حرباً عَوَاناً[3] وربَّمـا ... أمَرَّ على مَنْ ذاقـه حَلَبُ الحَرْبِ
فلسنا وربِّ البيتِ نُسْلِم أحمـداً ... لعَزَّاء مِنْ عَضِّ الزمانِ ولا كَرْبِ

---

(١) ابن هشام : فارقهما.

(٢) راغية السقب : أراد ناقة صالح . والسقب : ولد الناقة : والراغية من الرغاء ، وهو صوت الإبل .

(٣) عوانا : مستمرة .

ولمّا تَبِنْ منّا ومنكم سوالفٌ ... وأَيْدٍ أُتِرّتْ بالقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ (١)

بمُعْتَرَكٍ ضَيْقٍ ترى كِسَرَ القنا ... بهِ والنسورَ الطُّخْمَ يَعْكِفْنَ كالشَّرْبِ (٢)

كأن مَجَالَ (٣) الخيل فى حَجَراته ... ومَعْمَعَةَ الأبطال مَعْرَكةَ الحربِ (٣)

أليس أبونا هاشمٌ شَدَّ أَزْرَه ... وأوصى بنيه بالطِّعان وبالضَّربِ

ولَسْنا نَمَلُّ الحربَ حتى تَملَّنا ... ولا نشتكى ماقد ينوبُ من النكبِ

ولكننا أهلُ الحفائظ والنُّهَى ... إذا طار أرواحُ الكُماةِ من الرُّعبِ

* * *

قال ابن إسحق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جَهِدوا ولم يصل إليهم شىء إلا سِرًّا مُسْتخفياً به مَن أراد صلتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل بن هشام ، فيما يذكرون ، لقى حكيمَ بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب ، فتعلَّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة .

فجاءه أبو البَخْتَرِىّ بن هشام بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ؟ .

فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم .

فقال له أبو البَخْترى : طعامٌ كان لعمته عنده بعثت به إليه، أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل .

قال : فأَبَى أبو جهل لعنه الله ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لَحْىَ بعيرٍ فضربه به فشجَّه ووطئه وطئا شديداً .

(١) تبن : تفصل، والسوالف : صفحات الأعناق . وأترت : قطعت . والقساسية : نوع من السيوف .
(٢) النسور الطخم : السود الرءوس . والشرب : الجماعة من القوم يشربون .
(٣) الأصل : صحال . ولا معنى لها . وما أثبته عن نسخة من ابن هشام .

وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يَبْلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتون بهم .

[المستهزئون]

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومَه ليلا ونهارا وسرًّا وجهارا ، مناديا بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحدا من الناس .

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمُّه وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يَهْمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه .

وجعَل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم ، وفيمن نَصَب لعداوته .

منهم مَنْ سمِّى لنا ، ومنهم من نزل القرآن فى عامة مَنْ ذكر الله من الكفار .

فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزولَ السورة فيه ، وأمية بن خَلَف ونزول قوله تعالى: « ويلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ » السورة بكمالها فيه .

والعاصَ بن وائل ونزول قوله « أفرأيتَ الذى كَفَر بآياتنا وقال : لأوتيَنَّ مالاً وولَدا »[١] فيه . وقد تقدم شيء من ذلك .

وأبا جهل بن هشام ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لتتركَنَّ سبَّ آلهتنا أو لنسبَّن إلهك[٢] [الذى تعبد][٣] ، ونزولَ قول الله فيه : « ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعون من دون الله فَيسبُّوا الله عَدْواً بغير علم »[٤] الآية .

والنضرَ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ، ومنهم من يقول علقمة بن كلدَة ، قاله السهيلى ، وجلوسَه بعدَ النبي صلى الله عليه وسلم فى مجالسه ، حيث يتلو القرآن ويدعوا إلى

---

(١) سورة مريم ٧٧ . (٢) الأصل : آلهتك . وهو تحريف وما أثبته عن ابن هشام .
(٣) من ابن هشام . (٤) سورة الأنعام ١٠٨ .

الله ، فيتلو عليهم النضرُ شيئا من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب فى زمن الفُرْس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثا منِّى ، وما حديثه إلا أساطيرُ الأولين اكتَتَبْتُها كما اكتتبها .

فأنزل الله تعالى : « وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهى تُمْلَى عليه بُكْرَةً وأصيلا[١] » وقوله : « ويلٌ لكل أفَّاكٍ أثيم »[٢] .

* * *

قال ابن اسحق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ، يوماً مع الوليد بن المغيرة فى المسجد .

فجاء النضرُ بن الحارث حتى جلس معهم ، وفى المجلس غيرُ واحد من رجال قريش .

فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعرضَ له النضرُ ، فكلَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمَه ، ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم وما تعبدونَ مِنْ دونِ الله حَصَبُ جهنم أنتم لها وَارِدون ، لو كان هؤلاءِ آلهةً ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون ، لهم فيها زَفِيرٌ وهم فيها لا يَسْمعون »[٣] .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى حتى جلس .

فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النَّضْرُ بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم .

فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أمَا والله لو وجدتُه لخصَمْتُه ، فسَلُوا محمدا : أكلُّ

(١) سورة الفرقان ٥ . (٢) سورة الجاثية ٧ . (٣) سورة الأنبياء ٩٨ ـ ١٠٠

من يعبد من دون الله حَصَبُ جهنم مع من عبَدَه ؟ فنحن نعبد الملائـكة ، واليهود تعبد عُزَيْراً ، والنصارى تعبد عيسى .

فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول ابن الزِّبَعْرَى ، ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصم .

فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كلُّ من أحبَّ أن يُعْبَد من دون الله فهو مع مَنْ عَبَدَه فى النار ، إنهم إنمـا يعبدون الشياطين ومَن أمرَتْهم بعبادته » .

فأنزل الله تعالى : « إنَّ الذين سبقَتْ لهم منَّا الْحسْنَى أولئك عنها مُبْعَدُون . لا يَسْمعون حسِيسَها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون »(١) .

أى عيسى وعُزَير ومن عُبِدَ من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى .

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائـكة وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عِبَادٌ مُـكْرَمون »(٢) . والآيات بعدها .

ونزل فى إعجاب المشركين بقول ابن الزِّبعْرَى : « ولمَّا ضُرِبَ ابنُ مريم مَثَلاً إذَا قومُك منه يَصِدُّون . وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو ؟ ما ضربوه لك إلاَّ جَدَلاً بل هم قومٌ خَصِمُون »(٣) .

وهذا الجدل الذى سلـكوه باطل .

وهم يعلمون ذلك ، لأنهم قوم عرب ، ومِن لغتهم أن « ما » لمـا لا يعقل ، فقوله « إنـكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم أنتم لها واردون » إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التى كانت صُوَرَ أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائـكةَ الذين

---

(١) سورة الأنبياء ١٠١، ١٠٢ (٢) سورة الأنبياء ٢٦ــ٢٩ (٣) سورة الزخرف ٥٧، ٥٨

زعموا أنهم يعبدونهم فى هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عُزَيراً ، ولا أحدا من الصالحين ، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى .

فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى بن مريم من المثل جدلٌ باطل ، كما قال الله تعالى : « ما ضربوه لك إلاَّ جَدَلاً بل هم قَوْمٌ خَصِمون » .

ثم قال : « إنْ هو » أى عيسى « إلا عبدٌ أنعمْنَا عليه » أى بنبوتنا « وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل » أى دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء ، حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلَقْنا سائرَ بنى آدم من ذكر وأنثى .

كما قال فى الآية الأخرى : « ولنَجْعلَه آيةً للناس » أى أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة « ورحمة منا » نرحم بها من نشاء .

* * *

وذكر ابنُ إسحق الأخنس بن شَرِيق ونزول قوله تعالى فيه : « ولا تُطِـعْ كلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ »(١) الآيات .

وذكَر الوليدَ بن المغيرة حيث قال : أيُنْزَل على محمد وأُتْرَك وأنا كبير قريش وسيدُها ، ويُتْرك أبو مسعود عمرو بن عمرو(٢) الثقفى سيد ثقيف ، فنحن عظيما القريتين ، ونزولَ قوله فيه : « وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رَجُلٍ من القريتين عظيم »(٣) والتى بعدها .

وذكر أُبيَّ بن خلف حين قال لعُقْبة بن أبى مُعَيط : ألم يَبْلُغنى أنك جالَسْت محمدا وسمعت منه ؟ وجهى مِن وجهك حرامٌ إلا أن تتْفُل فى وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عُقْبة لعنه الله . فأنزل الله : « ويومَ يعَضُّ الظالم على يديه يقول : ياليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلا ، يا ويْلَتَا ليتنى لم أتَّخِذْ فلاناً خليلا(٤) » والتى بعدها .

(١) سورة نون ١٠ (٢) ابن هشام : عمرو بن عمير . (٣) سورة الزخرف ٣١ .
(٤) سورة الفرقان ٢٧ ، ٢٨

قال : ومشى أبيٌّ بن خَلَف بعظْم بالٍ قد أرَمَّ فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمَّ ؟ ! ثم فتَّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار .

وأنزل الله تعالى : « وضرَب لنا مثَلاً ونَسى خَلْقه ، قال : من يُحْيي العظامَ وهى رميم . قل : يُحْييها الذى أنشأها أولَ مَرَّةٍ وهو بكلِّ خَلْقٍ عليم (١) » إلى آخر السورة .

قال : واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة ، الأسودُ بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد ، هلمَّ فلنَعْبُد ما تَعبد وتعْبُد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر .

فأنزل الله فيهم : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبدُ ما تعبدون » إلى آخرها .

ولما سَمع أبو جهل بشجرة الزَّقُّوم قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يُضْرب بالزُّبد ! ثم قال : هلم فلنتزقَّم .

فأنزل الله تعالى : « إنَّ شجرةَ الزقُّوم طعامُ الأثيم (٢) » .

قال : ووقف الوليدُ بن المغيرة فكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلِّمه وقد طمع فى إسلامه .

فمرَّ به ابنُ أم مكتوم ، عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة ، الأعمى ، فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن . فشق ذلك عليه حتى أضجَره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه .

فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى : « عبَس وتولَّى ، أنْ جاءه الأعمى » إلى قوله : « مرفوعةٍ مطهَّرة » .

---

(١) سورة يس ٧٨، ٧٩ (٢) سورة الدخان ٤٣، ٤٤

وقد قيل : إن الذى كان يحدِّث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابنُ أم مكتوم : أميةُ بن خلف . فالله أعلم .

* * *

ثم ذكر ابن اسحق مَن عاد مِن مُهاجِرة الحبشة إلى مكة .

وذلك حين بلغهم إسلامُ أهل مكة ، وكان النَّقْل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب .

وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما مع المشركين ، وأنزل الله عليه : « والنَّجْمِ إذا هوَى، ما ضَلَّ صاحبُكم » يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجَد ، فسجَد مَنْ هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس .

وكان لذلك سببٌ ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : « وما أَرسَلْنا مِنْ قَبْلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنَّى ألقَى الشيطانُ فى أُمْنيته ، فيَنْسخُ اللهُ ما يُلقِى الشيطان ثم يُحْكِم الله آياته والله عليمٌ حكيمٌ[(١)] » .

وذكروا قصة الغَرانيق ، وقد أحبَبْنا الإضراب عن ذِكْرها صَفْحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة فى الصحيح .

قال البخارى : حدثنا أبو مَعْمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » .

انفرد به البخارى دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحق ،

---

(١) سورة الحج ٥٢ .

سمعت الأسودَ ، عن عبد الله قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم « والنجم » بمكة ، فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخٍ أخذ كفًّا من حصاً أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا ، فرأيتُه بعدُ قُتل كافراً » .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث شُعْبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا رباح ، عن مَعمر ، عن ابن طاووس ، عن عِكْرمة بن خالد ، عن جعفر بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة ، عن أبيه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم ، فسجَد وسجد مَن عنده ، فرفعتُ رأسى وأبيتُ أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطَّلب ، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها إلا سجد معه .

وقد رواه النسائى ، عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به .

وقد يُجْمع بين هذا والذى قَبْله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكبارا ، وذلك الشيخ الذى استثناه ابنُ مسعود لم يسجد بالكلِّية . والله أعلم .

* * *

والمقصود أن الناقل لمَّا رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يَبْقَ نزاع بينهم .

فطار الخبرُ بذلك وانتشر حتى بلغ مُهاجِرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك .

فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة ، وكلاهما مُحْسن مصيب فيما فعل .

فذكر ابن إسحق أسماءَ من رجع منهم :

عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة ابن عُتبة بن ربيعة ، وامرأته سَهْلة بنت سُهيل ، وعبد الله بن جحش بن رِئَاب ، وعُتبة

ابن غَزْوان ، والزبير بن العوام ، ومُصْعَب بن عُمير ، وسُوَيْبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمِقْداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سَلَمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشمَّاس بن عثمان .

وسلمة بن هشام ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وقد حُبسا بمكة حتى مضت بدرٌ وأحدٌ والخندق .

وعمَّار بن ياسر ، وهو ممن شكَّ فيه : أخرَج إلى الحبشة أم لا .

ومعتب بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنيس بن حُذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقد حُبس بمكة إلى بعد الخندق ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وعبد الله بن مَخْرمة .

وعبدُ الله بن سهيل بن عمرو ، وقد حُبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا .

وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، وامرأته أم كلثوم بنت سُهيل .

والسَّكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامرأته سَوْدة بنت زَمْعَة ، وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلَف على امرأته رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وسعد بن خَوْلة ، وأبو عبيدة بن الجرَّاح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهيل ابن بيضاء ، وعمرو بن أبي سرْح .

فجميعهم : ثلاثةٌ وثلاثون رجلا ، رضى الله عنهم .

* * *

وقال البخارى : وقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريتُ دارَ هجرتكم ذات نخل بين لابتَيْن » .

فهاجرَ من هاجر قِبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة .

وفيه عن أبى موسى وأسماء رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم حديث أبى موسى ، وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث أسماء بنت عُمَيس ، بعد فتح خَيْبر حين قدم من كان تأخر من مُهَاجرة الحبشة ، إن شاء الله ، وبه الثقــة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن حمَّاد ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن سليمان بن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا نسلِّم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فيردُّ علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى سلَّمنا عليه فـلم يردَّ علينا ، فقلنا : يارسول الله ، إنا كنا نسلِّم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا .

قال : « إنَّ فى الصلاة شُغْلا » .

وقد روى البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق أخر ، عن سليمان بن مهران ، عن الأعمش به .

وهو يقوى تأويلَ من تأوَّل حديث زيد بن أرقم الثابت فى الصحيحين : كنا نتكلم فى الصلاة ، حتى نزل قوله : « وقوموا لله قانتين »(١) فأُمرنا بالسكوت ونُهيناعن الكلام » . على أن المراد جنس الصحابة ، فإن زيدا أنصارى مدنىّ ، وتحريمُ الكلام فى الصلاة ثبت بمكة ، فتعيَّن الحَمْلُ على ماتقدم .

وأما ذِكْره الآية وهى مدنية فمُشْكل ، ولعله اعتقد أنها المحرِّمة لذلك ، وإنما كان المحرِّم له غيرها معها . والله أعلم

* * *

قال ابن إسحق : وكان ممن دخل منهم بجوار(٢) [فيما سمّى لنا(٣)] عثمان بن

(١) سورة البقرة ٢٣٨ (١) الأصل : وكان ممن دخل معهم بجوار . وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام

(٣) من ابن هشام

مَظْعون فى جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد فى جوار خاله أبى طالب ، فإن أمّه برّة بنت عبد المطلب[1] .

فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان قال : لمّا رأى عثمان بن مظعون مافيه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يروح ويَغْدو فى أمان من الوليد بن المغيرة قال : والله إنّ غُدوِّى ورَواحى فى جوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهلُ دينى يَلْقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى لَنقصٌ كثير[2] فى نفسى !

فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : ياأبا عبد شمس ، وَفَتْ ذمتُك ، وقد رددْتُ إليك جوارَك .

قال : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى ؟

قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلقْ إلى المسجد فارْدُدْ علىّ جوارى علانيةً كما أجرْتُك علانية .

قال : فانطلقا ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يردُّ علىّ جوارى .

قال : صدَق ، قد وجدتُه وفيًّا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألاّ أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جوارَه .

ثم انصرف عثمان رضى الله عنه ، ولَبيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر فى مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* ألَا كلُّ شىء ماخلا اللهَ باطلُ *

---

(١) ابن هشام : وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب (٢) ابن هشام : كبير .

فقال عثمان : صدقتَ .

فقال لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لا يزول .

فقال لبيد : يامعشر قريش ، واللهِ ما كان يُؤذَى جليسُكم ، فمتى حدَث هذا فيكم ؟ !

فقال رجل من القوم : إن هذا سفيهٌ فى سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجِدَنّ فى نفسك من قوله .

فردَّ عليه عثمان حتى شَرِى أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضَّرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى مابلغ [من] (١) عثمان ، فقال : أمَا والله يابن أخى إنْ كانت عينُك عمَّا أصابها لَغنيَّة ، ولقد كنتَ فى ذمة مَنيعة .

قال : يقول عثمان : بل والله إنَّ عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها فى الله ! وإنّى لفى جوارِ مَن هو أعزُّ منك وأقدَرُ يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد : هلم يابن أخى إلى جوارك فعُدْ . قال : لا .

* * *

قال ابن إسحق : وأما أبو سلَمة بن عبد الأسد ؛ فحدثنى أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن سلمة بن عبد الله بن أبى سلمة ، أنه حدَّثه أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب مشى إليه رجال من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا منعتَ منا ابنَ أخيك محمدا ، فمالك ولِصاحبنا تمنعه منا ؟

---

(١) من ابن هشام .

قال : إنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابنَ أخى .

فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تتواثبون عليه فى جواره مِن بين قومه ، والله لتنتهُنَّ أو لنقومن معه فى كل ماقام فيه حتى يبلغ ما أراد .

قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة . وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقَوا على ذلك .

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنَّ امرءًا أبو عُتيبة عمُّه ... لفى روضةٍ ما إنْ يُسامُ المَظالمَا
أقول له وأين منه نصيحتى ... أبا مُعْتبٍ ثَبِّتْ سَوادَك قائما
ولا تَقْبلنَّ الدهرَ ماعشتَ خطةً ... تُسبُّ بها إمَّا هبطتَ المواسِمَا
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهمُ ... فإنّك لم تُخلق على العجزِ لازمَا
وحاربْ فإن الحربَ نَصْفٌ ولن ترَى ... أخا الحربِ يعطِى الخَسْفَ حتى يُسالمَا
وكيف ولم يَجْنُوا عليك عظيمةً ... ولم يخذلوك غانمًا أو مُغارمَا
جزى الله عنّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... وتَيمًا ومخزومًا عقوقًا ومَأْثَما
بتفريقهم مِن بعدِ ودٍّ وألفةٍ ... جماعتَنا كيْما ينالوا المحارمَا
كَذبتم وبيتِ الله نُبْزَى[1] محمدًا ... ولمَّا تروا يومًا لدَى الشِّعب قائمَا

قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

---

(١) نبزى : نسلب

ذكر عَزْمِ الصدِّيق على الهجرة
إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرى ، عن عروة ، عن عائشة، حين ضاقت عليه مكةَ وأصابه فيها الأذى ، ورأى مِن تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مارأى ، استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فأذن له .

فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجِرا ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابنُ الدَّغِنَة (١) ، أخو بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش .

قال الواقدى : اسمه الحارث بن يزيد ، أحد بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة . وقال السُّهيلى : اسمه مالك .

فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا علىّ .

قال : ولمَ ؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسِب المعدومَ ، ارجع فإنك فى جوارى .

فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدَّغِنة فقال : يامعشر قريش ، إنى قد أجَرْتُ ابنَ أبى قحافة ، فلا يَعْرِض له أحد إلا بخير .

قال : فكفُّوا عنه .

---

(١) ابن الدغنة ، بفتح الدال المشددة وكسر الغين المعجمة والنون مخففة مفتوحة ، كذا ضبطه الزرقانى، وهو ضبط الرواة ، وأهل اللغة يضبطونه بالدال مشددة مضمومة والغين مضمومة والنون مشددة مضمومة ومعنى الدغنة : المسترخية .

قالت : وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جُمَح ، فكان يصلِّى فيه ، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى .

قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ، يعجبون لما يرون من هيئته .

قال : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدَّغِنة فقالوا : يا ابن الدغنة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يرقّ وكانت له هيئة ، ونحن نتخوَّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فأته فمُرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء .

قالت : فمشى ابن الدَّغنة إليه فقال : يا أبا بكر ، إنى لم أُجِرْك لتؤذى قومَك ، وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذَّوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

قال : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قال : فاردُدْ علىّ جوارى . قال : قد رددته عليك .

قال : فقام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبى قحافة قد ردَّ علىَّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

* * *

وقد روى الإمام البخارى هذا الحديثَ (١) متفرداً به ، وفيه زيادة حسنة .

فقال : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، قال ابن شهاب (٢) فأخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت :

لم أَعْقل أبوىَّ (٣) قط إلّا وهما يَدِينان الدِّينَ ، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه

---

(١) صحيح البخارى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٢ / ١٩٠

(٢) الأصل : قال ابن هشام : وهو تحريف وما أثبته من صحيح البخارى ٢ / ١٩٠

(٣) الأصل: أبواى . وهو خطأ . وما أثبته عن البخارى .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية .

فلما ابتُلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد [1] لقيه ابنُ الدَّغِنة وهو سيد القارَة [2] ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟

فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبدَ ربى .

فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرج ولا يُخْرج مثله ، إنك تكسب المعدومَ ، وتصِل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتَقْرى الضيفَ ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جارٌ ، فارجع فاعبد ربَّك ببلدك .

فرجع ، وارتحل معه ابنُ الدغنة ، وطاف ابن الدَّغنة عشيةً فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرج مثله ولا يُخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويحمل الكلَّ ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ !

فلم يكذّب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ويصلِّ فيها ، وليقرأ ماشاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يَسْتعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ابنُ الدغنة ذلك لأبى بكر .

فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره .

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن .

فيتقذَّف [1] نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكّاء لا يملك عينه إذا قرأ القرآن .

---

(١) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر . وقد حكى فى الباء الضم والكسر

(٢) قبيلة تشتهر بالرمى ولهم مايقال : قد أنصف القارة من راماها .

(٣) أى يتدافعون فيقذف بعضهم بعضا فيتساقطون عليه . ورواية المواهب : « فيتقصف » أى يزدحم ورواية المروزى والمستملى : فينقذف بالنون . شرح المواهب ١/٢٨٩

فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدِم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجَرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقدجاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن الصلاةَ والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه ، فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبَى إلا أن يعلن ذلك فَسَلْه أن يردَّ عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نَخْفِرك ، ولسنا مقرّين لأبى بكر الاستعلانَ .

قالت عائشة : فأتى ابنُ الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمتَ الذى قد عاقدتُك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن تردَّ إلىّ ذمتى ، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخفرتُ فى رجل عقدتُ له .

فقال أبو بكر : فإنى أردُّ عليك جوارَكَ وأرضى بجوار الله عز وجل .

ثم ذكر تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتى مبسوطا.

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، قال : لقيه ، يعنى أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدَّغِنة ، سفيه من سفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه ترابا ، فمرَّ بأبى بكر الوليدُ ابن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى مايصنع هذا السفيه ؟ ! فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول : أىْ ربِّ ماأَحْلَمك ، أى رب ماأحلمك ، أى رب ماأحلمك !

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحق معترضاً بها بَيْن تعاقُد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحَصْرهم إياهم فى الشِّعْب ، وبَيْن نَقْض

الصحيفة وما كان من أمرها ، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن إسحق .

قال ابن إسحق : هذا وبنو هاشم وبنو المطّلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها .

ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفرٌ من قريش .

ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابنَ أخى نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه . وكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه .

فكان ، فيما بلغنى ، يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوْقَره طعاما ، حتى إذا بلغ به فمَ الشِّعْب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشِّعْب عليهم ، ثم يأتى به قد أَوْقَره بُرًّا فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالُك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا يُنكَح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوالَ أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا .

قال : ويحك ياهشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نقضها .

قال : قد وجدتَ رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغنا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عَدِىّ فقال له : يامطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من

بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعا .

قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : وجدت لك ثانيا . قال : من ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلت قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أميـة . قال ابغنا رابعا . فذهب إلى أبى البَخْترى بن هشام فقال نحوَ ماقال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل تجد أحدا يعين على هذا ؟ قال : نعم . قال: من هو ؟قال : زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك .قال: ابغنا خامسا .

فذهب إلى زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فـكلَّمه وذ كر له قرابتهم وحقَّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟

قال : نعم . ثم سمَّى القومَ .

فاتَّعدوا خَطمَ الحَجُون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرَهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير :أنا أبدؤكم فأ كون أولَ من يتكلم .

فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حُلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل الناس فقال : يا أهل مكة أنأ كل الطعـام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هَلْـكى لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعـد حتى تشقَّ هـذه الصحيفـة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد : والله لا تُشقُّ .

قال زَمعة بن الأسود : أنت والله أ كذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت .

قال أبو البَخْترى : صدق زَمْعَة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرُّ به .

قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان.

وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد .

وقام المُطْعم بن عَدِىّ إلى الصحفة ليشقها فوجد الأرَضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة فشُلَّت يده ، فيما يزعمون.

قال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب : ياعم إن الله قد سلَّط الأرضةَ على صحيفة قريش ، فلم تدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفَتْ منها الظُّلم والقطيعة والبهتان .

فقال : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : فوالله مايَدْخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتَكم ، فإن كانت كما قال فانتهُوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذبا دفعتُ إليكم ابنَ أخى .

فقال القوم : قد رضينا . فتعاقدوا على ذلك .

ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شرًّا .

فعند ذلك صَنع الرهط من قريش فى نَقْض الصحيفة ماصنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مُزِّقت وبَطَل مافيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

ألا هل أتى بحريّنا صُنْعُ ربِّنا ... على نأيِهِمْ واللهُ بالناس أَرْوَدُ (١)
فيُخبرهم أنّ الصحيفةَ مُزِّقت ... وأنْ كلُّ مالم يَرْضَه اللهُ مُفْسَدُ
تَرَاوحَها إفكٌ وسِحْرٌ مُجَمَّع ... ولم يُلْفَ سحرٌ آخرَ الدهر يَصْعَدُ
تداعَى لها مَنْ ليس فيها بقَرْقَرٍ (٢) ... فطائرُها فى رأسِها يتردَّدُ
وكانت كِفاءً وقعةٌ بأثيمةٍ ... ليُقطَع منها ساعدٌ ومُقلَّدُ (٣)
ويَظْعنَ أهلُ المكّتَيْن فيَهرُبوا ... فرائصُهم مِن خشيةِ الشرِّ تُرْعَدُ
ويُترَكَ حَرَّاثٌ يقلِّب أمرَه ... أيُتهِمِ فيها عند ذاك ويُنْجِدُ
فمَنْ ينشَ من حُضّار مكة عِزّهُ ... فعزتُنا فى بطنِ مكة أَتْلَدُ
نشأنا بها والناسُ فيها قلائلٌ ... فلم نَنْفكِكْ نزدادُ خيراً ونُحْمَدُ
ونُطْعمُ حتى يَترُكَ الناس فضلَهم ... إذا جَعلت أيدى المُفيضين تُرْعَدُ
جزى اللهُ رهطا بالحَجُون تجمّعوا ... على مَلإٍ يَهْدى لحزمٍ ويُرشِدُ
قعوداً لدَى حَطْم الحَجُون كأنهم ... مَقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ
أعان عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا مامشَى فى رَفْرفِ الدِّرعِ أَحْرَدُ (٤)
جرىءٍ على جُلٍّ (٥) الخطوب كأنه ... شهابٌ بكَفَّىْ قابسٍ يتوقَّدُ
مِن الأكرمين مِنْ لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ... إذا سِيمَ خَسْفاً وجهُه يتربَّدُ
طويلُ النجاد خارجٌ نصفُ ساقِه ... على وجهه يُسْقَى الغمامُ ويُسْعَدُ

---

(١) بحرينا : أراد بهم الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . كما قال عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : « البحرية الحبشية » وأرود : أرفق .

(٢) القرقر : أراد الذليل ، والقرقر : الأرض الموطوءة التى لاتمنع سالكها . ويجوز أن يريد به : ليس بذى هزل . الروض .

(٣) المقلد : العنق .

(٤) رفرف الدرع : فضولها . والأحرد : الذى فى مشيه تثاقل ، وهو من الحرد ، وهو عيب فى الرجل .

(٥) وتروى : جلى ..

عظيمُ الرَّمادِ سيدٌ وابنُ سيدٍ ... يحضُّ على مَقْرَى الضيوف ويَحْشِدُ
ويَبْنِى لأبناء العشيرة صالحاً ... إذا نحن طُفْنا فى البلاد ويَمْهَدُ
ألظَّ [1] بهذا الصُّلح كلُّ مُبَرَّإٍ ... عظيمُ اللواء أمرُه ثمَّ يُحْمَدُ
قضَوْا ما قضوا فى ليلهمْ ثم أصبحوا ... على مَهَلٍ وسائر الناس رُقَّدُ
همُ رَجَعُوا سَهْلَ بن بيضاءَ راضياً ... وسُرَّ أبو بكر بها ومحمدُ
متى شُرِّكَ الأقوامُ فى جُلِّ أمرنا ... وكنَّا قديماً قبلها نُتَوَدَّدُ
وكنَّا قديما لا نقرُّ ظُلاَمَةً ... وندرك ماشئنا ولا نتشدَّدُ
فيالَ قُصيٍّ هل لكمْ فى نفوسكم ... وهل لكمُ فيما يجىء به غَدُ
فإنى وإياكم كما قال قائلٌ ... لديك البيانُ لو تكلمتَ أسودُ

قال السهيلى : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول : لديك البيانُ لو تكلمتَ أسودُ . أى يا أسود لو تكلمت لأَبَنْتَ لنا عمَّن قتَله [2] .

ثم ذكر ابن إسحاق شعرَ حسان يَمْدح الُمطْعم بن عدى وهشامَ بن عمرو لقيامهما فى نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموى هاهنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن إسحاق .

وقال الواقدى : سألت محمدَ بن صالح ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشِّعْب ؟ قالا : فى السنة العاشرة ، يعنى من البعثة ، قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفى هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها . كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

(١) ألظ : ألح وطالب . (٢) السهيلى : فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا .

فصــــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نَصْبَ عداوة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنفيرَ أحياءَ العرب والقادمين إلى مكةَ لحجٍّ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهارَ الله المعجزات على يديه ، دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقوّل ، والله غالب على أمره .

* * *

فذكر قصة الطُّفيْل بن عمرو الدَّوْسىّ مرسلةً .

وكان سيداً مطاعا شريفا فى دوس ، وكان قد قَدِم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذَّروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه .

قال : فوالله مازالوا بى حتى أَجْمَعْت ألّا أسمع منه شيئا ولا أكلِّمه ، حتى حشَوْت أذنىّ حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفا [1] فَرَقًا مِن أنْ يبلغنى شىءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة .

قال : فقمت منه قريبا ، فأبَى الله إلا أن يُسْمعنى بعضَ قوله .

قال : فسمعت كلاما حَسَنا ، قال : فقلت فى نفسى : واثُكْل أمى ! والله إنى لرجل لبيبٌ شاعر ما يَخْفَى علىَّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول، فإن كان الذى يأتى به حسناً قَبلتُه ، وإن كان قبيحا تركته .

---

(١) الكرسف : القطن

قال : فمكثت حتى انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته [فاتبعته حتى إذا دخل بيتــه (١)] دخلت عليــه فقلت : يامحمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا . للذى قالوا .

قال : فوالله مابرحوا بى يخوفوننى أمركَ حتى سدَدْت أذنىّ بكُرْسُف لئلا أسمعَ قولك ، ثم أبَى الله إلا أن يُسْمعنى قولَك ، فسمعت قولا حسنــا ، فاعرِضْ علىّ أمرك .

قال: فعرض علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلامَ وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدَلَ منه .

قال : فأسلمتُ وشهدت شهادةَ الحق ، وقلت : يانبى الله إنى امرؤ مُطَاعٌ فى قومى ، وإنى راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يَجْعل لى آيةً تــكون لى عَوْنا عليهم فيما أدعوهم إليه .

قال فقال : اللهم اجعل له آيةً .

قال فخرجت إلى قومى، حتى إذا كنت بثَنِيَّةٍ تُطلعنى على الحاضر ، وقع بين عينىّ نورٌ مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم فى غَيْرِ وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها (٢) مُثْلَةٌ وقعت فى وجهى لفراقى دِينَهم .

قال : فتحوّل فوقع فى رأس سَوْطى . قال : فجعل الحاضرون (٣) يتراءون ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل المعلّق وأنا أهبط (٤) عليهم من الثَّنِيَّة ، حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

---

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : يظنوا بها وما أثبته من ابن هشام .
(٣) ابن هشام : الحاضر (٤) ابن هشام : أهبط

فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيراً ، فقلت : إليك عنى ياأبتِ ، فلستَ منك ولستَ منّى .

قال : ولم يابنى ؟

قال : قلت أسلمتُ وتابعت دِينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : أى بنىَّ فدِينُك دينى . فقلت : فاذهب فاغتسل وطهِّر ثيابَك ، ثم ائتنى حتى أعلِّمك مما علِّمت .

قال : فذهب فاغتسل وطهَّر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتَتْنى صاحبتى ، فقلت : إليكِ عنى ، فلستُ منك ولستِ منّى .

قالت : ولم ؟ بأبى أنت وأمى .

قال : قلت : فرّق بينى وبينك الإسلامُ ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قالت : فدِينى دينُك .

قال : فقلت فاذهبى إلى حِمَى (١) ذى الشَّرَى فتطهَّرى منه . وكان ذو الشرى صنماً لدَوْس ، وكان الحِمَى حمًى حَمَوْه حوله ، به وَشَلٌ (٢) من ماء يهبط من جبل .

قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصِّبْية من ذى الشرى شيئا ؟

قلت : لا ، أنا ضامن لذلك .

قال : فذهبَتْ فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام فأسلَمَتْ .

ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام فأبْطأوا علىَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عايه وسلم بمكة . فقلت : يارسول الله ، إنه قد غَلَبنى على دوسٍ الزنا ، فادع الله عليهم .

قال : « اللهم اهْدِ دَوْساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُقْ بهم » .

---

(١) ويقال له أيضا : حنى

(٢) الوشل : الماء القليل .

قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق ، ثم قدِمْت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلَم معى من قومى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزَلْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت : يارسول الله ابعثنى إلى ذى الكَفَّين صنم عمرو بن حُمَمَة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل الطُّفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

ياذَا الكَفَيْن (١) لستُ مِنْ عُبَّادكَا ميلادُنا أَقْدَمُ مِنْ مِيلادِكَا

إنى حشَوْتُ النارَ فى فؤادكا

قال : ثم رجع [إلى (٢)] رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ارتدَّت العربُ خرج الطُّفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل .

فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا فاعْبُروها لى ، رأيت أن رأسى حُلق ، وأنه خرج من فمى طائر ، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حُبس عنى .

قالوا : خيراً . قال : أمَّا أنا والله فقد أوَّلتُها .

---

(١) الكفين : أراد الكفين بالتشديد فخفف للضرورة . وذكر السهيلى أنه قد يخفف فى غيرالشعر ، فإن صح هذا فهو تثنية كفء من كفأت الإناء ثم سهلت الهمزة ونقلت حركتها إلىالفاء كالخبء والخب . الروض ١ /٢٣٥ (٢) من ابن هشام .

قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حَلْق رأسى فوَضْعه ، وأما الطائر الذى خرج منه فروحى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تُحفر لى فأغيَّب فيها . وأما طلبُ ابنى إياى ثم حَبْسه عنى فإنى أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابنى .

فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلَّ منها ، ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً . رحمه الله .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطُّفَيل بن عمرو مُرْسلةً بلا إسناد . ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح .

* * *

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن أبى الزِّنَاد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ؛ قال : لما قدم الطُّفيل وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن دَوْساً قد استعصت ، قال : « اللهم اهد دَوْساً وائتِ بهم » .

رواه البخارى ، عن أبى نُعيم ، عن سفيان الثورى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قَدِم الطفيل بن عمرو الدَّوسى وأصحابه ، فقالوا : يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبَتْ فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقلت : هلكت دوس ! فقال : « اللهم اهدِ دوسا ، وائت بهم » .

إسناده جيد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حَرْب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن حجاج الصوَّاف ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن الطفيل بن عمرو الدَّوْسى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك فى حِصْنٍ حصين ومَنَعة ؟ قال : حصنٌ كان لدَوْس فى الجاهلية .

فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، للذى ذَخَر الله للأنصار .

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينةهاجر إليه الطُّفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتَوَوْا[1] المدينة ، فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه[2] ، فشخبت يداه فما رقأ الدم حتى مات .

فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فى هيئة حسنة ، ورآه مغطِّيا يديه ، فقال له : ما صنع ربك ؟ فقال : غفر لى بهِجْرتى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم . قال : فما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال : قيل لى لن يَصْلح منك ما أفسدت !

قال : فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم وليديه فاغفر » .

رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شَيْبة وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان ابن حَرْب به .

فإن قيل : فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت فى الصحيحين من طريق الحسن ، عن جُنْدب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحزَّ بها يده فما رقأ الدمُ حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدى بادَرَنى بنفسه فحرَّمت عليه الجنة » .

فالجواب من وجوه :

أحدها : أنه قد يكون ذاك مُشْركا وهذا مؤمن .

ويكون قد جعل هذا الصَّنيع سبباً مستقلا فى دخوله النار ،وإن كان شِرْكه مستقلاً إلا أنه نبَّه على هذا لتعتبر أمته .

---

(١) اجتووا المدينة : كرهوا المقام بها لضجر وسقم .

(٢) المشاقص : جمع مشقص وهو سهم فيه نصل عريض : والبراجم : مفاصل الأصابع

الثانى : قد يكون هذاك عالما بالتحريم ، وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام .

الثالث : قد يكون ذاك فعلَه مستحلاً له ، وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا .

الرابع : قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه ، بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك .

الخامس : قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كِبَر ذنبه المذكور ، فدخل النار وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يَلج النارَ ، بل غُفر له بالهجرة إلى نبيه صلى الله عليه وسلم .

ولكن بقى الشَّيْنُ فى يده فقط وحَسُنت هيئة سائره فغطىّ الشَّين منه ، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له : مالك ؟ قال : قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت. فلما قصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أى فأصلح منها ما كان فاسداً .

والمحقق أن الله استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحب الطُّفيل ابن عمرو .

قصة أَعْشَى بن قيس

قال ابن هشام : حدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسىّ وغيره من مشايخ بَكْر ابن وائل ، عن[1] أهل العلم ، أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن على ابن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، فقال يمدح النبىّ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) ابن هشام : من أهل العلم .

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناك ليــلةَ أَرْمَدا ... وبِتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّدَا
وما ذاك مِنْ عِشْقِ النساء وإنمــا ... تناسَيْتَ قبل اليوم خُلَّةَ(١) مَهْدَدا
ولـكنْ أرى الدهرَ الذى هو خائنٌ ... إذا أصلحَتْ كَفَّاىَ عاد فأفْسدَا
كهولاً وشُبَّاناً فقــدتُ وثروةً ... فلله هــذا الدهرُ كيف ترَدَّدَا
وما زلت أبغى المال مُذْ أَنا يافعٌ ... وليداً وكهلا حين شِبْتُ وأمردَا
وأَبْتَذِلُ العيسَ المَرَاقيــلَ تعتلى ... مسافةَ ما بَيْنَ النُّجَيْر فصَرْخَدا(٢)
ألا أيُّهــذا السائلى أين يَمَّمَتْ ... فإنَّ لهــا فى أهلِ يَثْرب مَوْعدَا
فإنْ تسألِى عــنى فيارُبَّ سائلٍ ... حَفِىٍّ عن الأعشى به حيث أَصْعدَا
أجَدَّتْ برجليها النَّجَاءَ(٣) وراجعَتْ ... يداها خِنَافاً لَيِّناً غيرَ أَحْرَدَا(٤)
وفيهــا إذا ما هَجَّرت عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتَ حِرْباءَ الظهيرة أَصْيدَا(٥)
وآليتُ لا آوى لهــا مِنْ كلالةٍ ... ولا من حَفًى حتى تلاقى محمدَا
متى ما تُنَاخِى عند باب ابن هاشم ... تُرَاحى وتَلْقَىْ مِنْ فواضله ندَى
نبىٌّ يرى مالا تَرَوْنَ وذِكْرُه ... أغارَ لعَمْرى فى البلاد وأَنْجَدَا(٦)
له صدقات ما تَغِبُّ ونائــلٌ ... فليس عطاءُ اليومِ مانِعَه غَــدَا
أجِدَّكَ لم تَسْمع وَصــاةَ محمدٍ ... نبىِّ الإله حيث أَوْصَى وأَشْهَدَا

---

(١) وتروى : صحبة . (٢) العيس المراقيل : الإبل المسرعة . والنجير وصرخد : بلدان .
(٣) ط : النجاء . وهو تحريف .
(٤) خنفت الناقة بيديها فى السير إذا مالت بهما نشاطا .
(٥) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها ، والأصيد : المائل العنق ، والمقصود حين تكون الشمس فى وسط السماء وذلك أحر ماتكون الرمضاء ، يصف ناقته بالنشاط وقوة المشى فى ذلك الوقت .
(٦) رواية ابن دريد فى الاشتقاق ١٨/١ :

نبىٌّ يرى مالا ترَوْن وذكره ... لعمرىَ غارَ فى البلاد وأَنْجَدَا

قال : « ومن روى : « أغار لعمرى » فقد لحن وأخطأ » .

إذا أنت لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقَى ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوَّدَا
نَدِمْتَ على أن لا تكون كمثله فتُرْصِد للأمر الذى كان أرْصَدَا
فإياك والميتات لا تقرَبَنَّهـا ولا تَأْخُذَنْ سهماً حديدا لتُقصدا
وذا النُّصُبِ المنصوب لا تَنْسُكَنَّه ولا تعبد الأوثان والله فاعبُدَا
ولا تقربنَّ حُرَّةً (١) كان سرُّها عليك حراماً فانكحَنْ أو تأبَّدا (٢)
وذا الرَّحِمِ القُرْبى فلا تَقْطَعنَّه لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيَّدَا
وسبِّحْ على حين العشيَّةِ (٣) والضُّحَى ولا تَحْمد الشيطانَ والله فاحمدا
ولا تَسْخَرَنْ من بائس ذى ضرارةٍ ولا تحسبَنَّ المال للمرء مُخْلدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة أو قريب منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلِم .

فقال له : يا أبا بَصِير : إنه يحرِّم الزنا . فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أَرَب .

فقال : يا أبا بصير : إنه يحرم الخمر . فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ، ولكنى منصرف فأتروّى منها عامِى هذا ، ثم آتيه فأسلم .

فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعُدْ إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله !

فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النَّضير كما سيأتى بيانه .

---

(١) وتروى : جارة .
(٢) تأبد : ترهب ، لأن الراهب أبدا أعزب ، فقيل له متأبد ، اشتق من لفظ الأبد .
(٣) ابن هشام : العشيات .

فالظاهر أن عَزْم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفى شعره مايدل على ذلك ، وهو قوله :

ألا أيُّهذا السائلى أين يَمَّمَتْ   فإن لها فى أهلِ يَثْرب مَوْعِدَا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخّر ذكرَ هذه القصة إلى مابعد الهجرة ولا يوردها هاهنا . والله أعلم .

قال السُّهيلى : وهذه غفلة من ابن هشام ومَن تابَعه ، فإن الناس مُجْمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا فى المدينة بعد أحد .

وقد قال : وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام فى دار عتبة ابن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطُّفَيل فى بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقوله : ثم آته فأسلم لا يُخْرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الإراشى وكيف استعدَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى جهل فى ثمن الجمل الذى ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنة فى الساعة الراهنة .

وقد قدمنا ذلك فى ابتداء الوحى ، وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة رُكَانة

وكيف أراه الشجرة التى دعاها فأقبلت صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسَار قال : كان رُكَانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش .

فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شِعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكانة ألا تتقى الله وتَقْبل ما أدعوك إليه .

قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك .

فقال له رسول الله : « أفرأيتَ إنْ صَرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ » .قال: نعم . قال: « فقم حتى أصارعك » .

قال : فقام ركانة إليه فصارعه ، فلما بطَش به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَضْجعه لا يملك من نفسه شيئاً .

ثم قال: عُدْ يامحمد . فعاد فصرعه . فقال : يامحمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعُنى ؟!

قال: « وأعجب من ذلك إن شئت أُريكه ، إن اتقيت الله واتبعتَ أمرى » .

قال : وما هو ؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى » . قال: فادْعُها .

فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها : ارجعى إلى مكانك ! فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب رُكَانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله مارأيت أسحرَ منه قط ! ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان .

وقد روى أبو داود والتِّرمذى من حـديث أبى الحسن العَسْقلانى ، عن أبى جعفر بن محمـد بن ركانة ، عن أبيه ، أن ركانة صارع النبى صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبى صلى الله عليه وسـلم . ثم قال الترمـذى : غريب . ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعى بإسناد جيد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبى صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، كلُّ مرة على مائة من الغنم ، فلما كان فى الثالثة قال : يا محمد ما وضع ظهرى إلى الأرض أحدٌ قبلك ، وما كان أحدٌ أبغضَ إلىّ منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وردَّ عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت ، فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة . إن شاء الله وبه الثقة .

وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبى صلى الله عليه وسلم فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى . ولله الحمد والمنة .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد فجلس[1] إليه المستضعفون من أصحابه ، خَبّاب ، وعمار ، وأبو فُـكيهة يسار[2] مولى صفوان بن أمية ، وصُهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض :

---

(١) الأصل : يجلس وهو تحريف لايستقيم به المعنى ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) الاصل : وأبو فـكيهة ويسار . وهو خطأ . وما أثبته من ابن هشام .

هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ، لو كان ماجاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصَّهم الله به دوننا .

فأنزل الله عز وجل فيهم : « ولا تَطْرُدِ الذين يَدْعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجْهه ، ما عليك مِنْ حسابهم مِنْ شيء ، وما من حِسابك عليهم من شيء ، فتطْرُدَهم فتكونَ من الظالمين ، وكذلك فتنَّا بعضَهم ببعضٍ ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم مِن بَيْننا . أليس الله بأعلَمَ بالشاكرين . وإذا جاءكَ الذين يُؤمنون بآياتنا فقُلْ سلامٌ عليكم كتَبَ ربُّكم على نفسه الرحمة أنه مَنْ عَمِلُ منكم سُوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصْلح فأنه غفورٌ رحيمٌ[١] » .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يجلس عند المَرْوة إلى مَبْيَعَة[٢] غلام نصرانى يقال له جبر ، عبد لبنى الحضرمى ، وكانوا يقولون : والله ما يعلِّم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جَبْر .

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم « إنما يعلِّمه بَشَرٌ . لسانُ الذى يُلْحِدون إليه أعجمىٌّ وهذا لسان عربى مبين[٣] » .

ثم ذكر نزول سورة الكوثر فى العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه أبتر . أى لا عقب له . فإذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : « إنَّ شانِئك هو الأبْتَرُ » أى المقطوع الذكر بعده ، ولو خلَّف ألوفا من النسل والذرية ، وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب . وقد تكلمنا على هذه السورة فى التفسير . ولله الحمد .

---

(١) سورة الأنعام ٥٢ ـ ٥٤ . (٢) الأصل بيعة وما أثبته عن ابن هشام . والمبيعة : مفعلة مثل المعيشة .
(٣) سورة النحل ١٠٣ .

وقد روى عن أبى جعفر الباقر : أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النَّجِيبة .

ثم ذكر نزول قوله : « وقالوا لولا أُنزِل عليه مَلَكٌ ، ولو أَنْزلنا مَلَكاً لقُضِى الأمرُ [١] » وذلك بسبب قول أُبىّ بن خَلَف وزَمْعَة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث : لولا أنزل عليك ملَك يكلم الناس عنك .

قال ابن إسحاق : ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خَلَف وأبى جهل ابن هشام ، فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من أمرهم « ولقد استُهْزِئَ برُسُلٍ مِنْ قَبلك فحاق بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يَسْتهزءون »[١] .

قلت : وقال الله تعالى « ولقد كُذِّبت رُسُلٌ مِنْ قَبْلك فصَبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نَصْرُنا ولا مبدِّل لكلماتِ الله ولقد جاءك مِنْ نَبأ المُرْسَلين[١] »وقال تعالى « إنَّا كفَيْناك المستهزئين[٢] » .

قال سفيان : عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : المستهزءون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يَغُوث الزُّهرى ، والأسود بن المطَّلب أبو زَمَعة ، والحارث بن عيطل [٣] ، والعاص بن وائل السَّهمى .

فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراه الوليدَ فأشار جبريل إلى أنمله وقال : كُفِيته .

ثم أراه الأسودَ بن المطلب ، فأومأ إلى عنقه وقال : كُفيته .

ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال : كُفِيته .

---

(١) سورة الأنعام (٢) سورة الحجر ٩٥ . (٣) سيأتى أنه ابن الطلاطلة . كما فى ابن هشام والروض .

ثم أراه الحارث بن عَيْطل فأومأ إلى بِطنه وقال : كُفيته .

ومرَّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أَخمصه وقال : كفيته .

فأما الوليد فمرَّ برجل من خزاعة وهو يَرِيش نَبْلاً له فأصاب أنمله فقطعها .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها .

وأما الأسود بن المطلب فعمِىَ . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سَمُرة فجعل يقول : يابنىّ ألا تدفعون عنى ! قد قُتلت . فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً . وجعل يقول : يا بنى ألا تمنعون عنى قد هلكت ، ها هو ذا الطعن بالشوك فى عينى . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها .

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل فى رأسه شِبْرقة حتى امتلأت منها فمات منها .

وقال غيره فى هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ، يعنى شوكة ، فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته .

رواه البيهقى بنحو من هذا السياق .

* * *

وقال ابن إسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رَوْمان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم أعم بصرَه وأثكله ولدَه » .

والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث ابن الطلاطلة .

وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم « فاصْدَعْ بما تُؤْمر وأعرِضْ عن المشركين ، إنا كَفَيْناك المستهزئين الذين يَجْعلون مع الله إلهاً آخرَ فسوف يعلمون » .

وذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى .

ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حَبَناً .

ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، من مروره برجل يَرِيش نَبْلا له من خزاعة ، فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات .

ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربَض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته .

ومر به الحارث بن الطلاطل فأشار إلى رأسه فامتحض قيحا فقتله .

***

ثم ذكر ابن إسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أى بَنِىَّ ، أوصيكم بثلاث : دَمِى فى خُزاعة فلا تَطُلُّوه [1] ، والله إنى لأعلم أنهم منه بُراء ولكنى أخشى أن تُسبُّوا به بعدَ اليوم ، ورِبَاى فى ثَقِيف فلا تدَعُوه حتى تأخذوه ، وعُقْرى [2] عند أبى أُزَيْهر الدَّوسى فلا يفوتَنَّكم به . وكان

(١) لاتطلوه : لاتهدروه . وفى ابن هشام : فلا تطلنه .

(٢) العقر بالضم فى الأصل : دية فرج المرأة إذا غصبت على نفسها ، ثم كثر ذلك حتى استعمل فى المهر .

أبو أُزيهر قد زوّج الوليد بنتا له ثم أمسكها عنه فلم يُدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عُقْرَها منه ، وهو صداقها .

فلما مات الوليد وثبَتْ بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عَقْلَ الوليد ، وقالوا إنما قتله سهمُ صاحبكم ، فأبَتْ عليهم خزاعةُ ذلك ، حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعضَ العَقْل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق : ثم عدَا هشامُ بن الوليد على أبي أُزَيهر وهو بسوق ذى المَجاز فقتله ، وكان شريفا فى قومه ، وكانت ابنته تحت أبى سفيان ، وذلك بعد بدر ، فعمد يزيد بن أبى سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائبا ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ماصنع ابنه يزيد ، فلامه على ذلك وضربه وودَى أبا أُزيهر وقال لابنه : أعمدتَ إلى أن تَقْتل قريشٌ بعضُها بعضا فى رجل من دَوس ؟ !

وكتب حسانُ بن ثابت قصيدة له يحضُّ أبا سفيانَ فى دم أبى أُزيهر ، فقال : بئس ماظنَّ حسانُ أن يَقْتل بعضنا بعضا وقد ذهب أشرافنا يوم بدر .

ولما أسلم خالدُ بن الوليد وشهد الطائفَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله فى رِبَا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلن فى ذلك « يا أيُّها الذين آمَنُوا اتقوا الله وذَرُوا ما بَقِىَ مِن الرِّبا إنْ كنتم مؤمنين (١) » وما بعدها .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى أزيهر ثأر نَعْلمه حتى حجز الإسلامُ بين الناس ، إلا أن ضِرَار بن الخطَّاب بن مِرْداس الأَسْلَمى (٢) خرج فى نفر من قريش إلى أرض

---

(١) سورة البقرة ٢٧٨ . (٢) فى ابن هشام : الدوسى . وهو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب ، كان فارس قريش فى الجاهلية وأدرك الإسلام ، وكان شاعرا فارسا ، وهو من رجال بنى فهر أخذ مرباعهم فى الجاهلية . الاشتقاق ١/١٠٣

دَوْس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غَيْلان مولاةٌ لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فأرادت دوسٌ قتْلهم بأبى أُزَيهر ، فقامت دونه أم غَيْلان ونسوة كُنَّ معها حتى منعتهم .

قال السُّهيلى : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب ، أتته أم غيلان وهى ترى أن ضِرَاراً أخوه ، فقال لها عمر : لستُ بأخيه إلا فى الإسلام ، وقد عرفتُ مِنَّتَك عليه . فأعطاها على أنها بنتُ سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لَحِقَ عمرَ بن الخطاب يوم أُحد ، فجعل يضربه بعَرْض الرمح ويقول : انْجُ يا بن الخطاب لا أقتلْك . فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام . رضى الله عنهما .

فصـــل

وذكر البيهقى هاهنا دعاء النبى صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصَتْ عليه بسَبْعٍ مثل سَبْع يوسف .

وأورد ما أخرجاه فى الصحيحين (١) من طريق الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمسٌ مضَيْنَ ؛ اللِّزامُ ، والروم ، والدُّخَان ، والبَطْشة ، والقمر .

وفى رواية عن ابن مسعود قال : إن قريشا ، لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأوا عن الإسلام ، قال : « اللهم أعنِّى عليهم بسبعٍ كسبع يوسف » .

---

(١) أورد البخارى هذه الروايات فى تفسير سورة الفرقان والدخان فى صحيحه ٢/٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ . وهى مختلفة عما هنا

قال : فأصابتهم سَنَة حتى حَصَّتْ (١) كلَّ شيء ، حتى أكلوا الجيف والميتة ، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية « إنا كاشِفُو العذابِ قليلاً إنكم عائدون » قال فعادوا فكفروا فأخِّروا إلى يوم القيامة ، أو قال فأخروا إلى يوم بدر ، قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم « يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إنا مُنْتقمون » قال : يوم بدر .

وفى رواية عنه : قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إدباراً قال : « اللهم سَبْع كسبع يوسف » فأخذتهم سَنَة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يامحمد إنك تزعم أنك بُعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سَبْعاً فشكا الناس كثرَة المطر ، فقال : « اللهم حوالَيْنا ولا علينا » فانجذب السحاب عن رأسه فسُقى الناس حولهم .

قال : لقد مضت آية الدخان ، وهو الجوع الذى أصابهم ، وذلك قوله « إنا كاشفوا العذابِ قليلاً إنكم عائدون » وآية الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر .

قال البيهقى : يريد ، والله أعلم ، البطشة الكبرى والدخان وآية اللِّزَام كلُّها حصلت ببدر .

---

(١) الأصل : فحصت . وهو تحريف والتصويب من البخارى ٢/٢٦٢ ولفظ البخارى : فأصابتهم سنة حصت كل شىء . وحصت : أهلكت . والحص : حلق الشعر .

قال : وقد أشار البخارى إلى هـذه الرواية ، ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئا حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى : « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرَّعون » قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقى : وقد روى فى قصة أبى سفيان مادل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين . والله أعلم .

فصـــل

ثم أورد البيهقى قصة فارس والروم ونزولَ قوله تعالى « الٓم. غُلبتِ الرومُ فى أدنى الأرض، وهم من بعد غَلبهم سيَغلبون. فى بِضع سنين، لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد، ويومئذ يَفرح المؤمنونَ بنصرِ الله ينصرُ مَن يشاء وهوَ العزيزُ الرحيمُ » . ثم روى من طريق سفيان الثورى ، عن حبيب بن أبى عمرو، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر ، فذكره أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أمَا أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ، إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليـه وسلم فقال : « ألا جعلتهُ أداة » . قال : دون العشر . فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هـذا الحديث فى التفسير وذكرنا أن المباحث ـ أى المراهن ـ لأبى بكر أمية بن خلف ، وأن الرهن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد

فيها الصديق عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ، أو كان يوم الحديبية ، فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا أُسيد الـكلابى ،أنه سمع العلاء بن الزبير الـكلابى يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبةَ فارسٍ الرومَ ، ثم رأيت غلبة الروم فارسَ ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارسَ والروم، وظهورهم على الشام والعراق .

كلُّ ذلك فى خمس عشرة سنة !

فصـــــل

فى الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عروجه من هناك إلى السموات ، وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء فى أوائل البعثة ، وأما ابن إسحاق فذكرها فى هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين .

وروى البيهقى من طريق موسى بن عُقْبة ، عن الزهرى أنه قال : أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة بسنة .

قال : وكذلك ذكره ابن لِهَيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُرْوة .

ثم روى الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَيْر ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السُّدىِّ . أنه قال : فُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمسُ ببيت المقدس ليلة أُسْرى به ، قبل مُهاجَره بستة عشر شهراً .

فعلى قول السدى يكون الإسراء فى شهر ذى القعدة ، وعلى قول الزُّهرى وعروة يكون فى ربيع الأول .

وقال أبو بكر بن أبى شَيْبة : حدثنا عثمان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس ، قالا : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المَقْدسى فى سيرته ، وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ، ذكرناه فى فضائل شهر رجب ، أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم .

ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهى ليلة الرغائب التى أُحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك . والله أعلم . وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلة الجمعة عرج بالنبى ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركاكة ، وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى ذلك مستقصاةً عند قوله تعالى : « سبحان الذى أَسْرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارَكْنا حولَه لنُرِيه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

فلتُكتب من هناك على ماهى عليه من الأسانيد والعَزْو ، والكلام عليها ومعها . ففيها مَقْنع وكفاية . ولله الحمد والمنة .

* * *

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله : فإنه قال بعد ذِكر ماتقدم من الفصول .

« ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلامُ بمكةَ فى قريش وفى القبائل كلها » .

قال : وكان من الحديث فيما بلغنى عن مَسْراه صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود ، وأبى سعيد ، وعائشة ، ومعاوية ، وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم ، والحسن بن أبى الحسن ، وابن شهاب الزُّهرى ، وقتَادة وغيرهم من أهل العلم ، مااجتمع فى هذا الحديث ، كلٌّ يُحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره .

« وكان فى مَسْراه صلى الله عليه وسلم وماذكر لى منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله

وقدرته[1] وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدًى ورحمة وثبات لمن آمن وصدَّق وكان من أمر الله على يقين .

فأسْرَى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ماعاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالبُراق ، وهى الدابة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها فى موضع منتهى طرفها ، فحمل عليها .

ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض .

حتى انتهى إلى بيت المقدس،فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، فى نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم .

ثم أُتى بثلاثة آنية من لبن وخمر وماء . فذكر أنه شرب إناء اللبن ، فقال لى جبريل : هُديت وهديت أمتك .

* * *

وذكر ابن إسحاق فى سياق الحسن البصرى مُرْسلاً أن جبريل أيقظه ، ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام ، فأركبه ، البُرَاق ، وهو دابة أبيض بين البغل والحمار ، وفى فخذيه جناحان يَحْفز بهما رجليه ، يضع حافره فى منتهى طرفه ، ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث ، وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوب البراق شَمَس به ، فوضع جبريل يده على مَعْرَفته ثم قال

(١) ابن هشام : فى قدرته

ألا تستحي يابراق مما تصنع ! فوالله ما ركبك عبدٌ لله قبل محمد أكرمَ عليه منه . قال : فاستحى حتى ارفضَّ عرقا ، ثم قرَّ حتى ركبتُه .

قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبريل ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمَّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم .

ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر ، وقولَ جبريل له : هدُيت وهديت أمتك ، وحرِّمت عليكم الخمر .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فأصبح يخبر قريشاً بذلك .

فذكر أنه كذَّب به أكثرُ الناس ، وارتدَّت طائفة بعد إسلامها .

وبادر الصدِّيقُ إلى التصديق وقال : إنى لأصدِّقه فى خبر السماء بُكْرة وعيشة ، أفلا أصدقه فى بيت المقدس !

وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس ، فذكرها له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فيومئذ سمِّيَ أبو بكر الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله فى ذلك « وما جعَلْنا الرؤيَا التى أريناك إلا فتنةً للناس » الآية .

***

وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانئ ، أنها قالت : ما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من بيتى ، نام عندى تلك الليلة بعد ماصلى العشاء الآخرة ، فلما

كان قُبيل الفجر أهبَّنا (١) فلما كان الصبح وصلينا معه ، قال : « ياأم هانئ لقد صليت معكم العشاءَ الآخرة فى هذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » .

ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف ردائه فقلت : يانبىَّ اللهلا تحدِّث بهذا الحديث الناسَ فيكذبونك ويؤذونك .

قال : « والله لأحدِّثنَّهموه » . فأخبرهم فكذبوه .

فقال : وآية ذلك أنى مررتُ بِعِير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفَرَهم حسُّ الدابة ، فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضَجَنان (٢) مررت بعير بنى فلان ، فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشىء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تُصوِّب الآن من ثَنِيَّة التَّنْعيم البيضاء ، يقدُمها جمل أَوْرَقُ عليه غِرارتان إحداهما سوداء والأخرى بَرْقاء . قال : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أولَ من الجمل الذى وَصف لهم وسألوهم عن الإناء وعن البعير ، فاخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بُكَير ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدِّى ، أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يَقْدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قَدِموا كما وصف لهم .

قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحد إلا عليه ذلك اليومَ وعلى يوشع بن نون .

رواه البيهيقى .

* * *

(١) أهبنا : أيقظنا . (٢) ضجنان : جبل بناحية تهامة . وفى الأصل : صحنان محرفة .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى من لا أتهم عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لمَّا فرغتُ مما كان فى بيت المقدس أُتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسنَ منه ، وهو الذى يَمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حُضر .

فأصعدنى فيه صاحبى حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه بريد(١) من الملائكة يقال له إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك .

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا حدّث بهذا الحديث : « وما يَعْلَم جنودَ ربِّك إلا هو » .

ثم ذكر بقيةَ الحديث وهو مطوّل جداً ، وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله فى التفسير وتكلمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفى إسناده ضعف .

وكذا فى سياق حديث أم هانئ ، فإن الثابت فى الصحيحين من رواية شُريك بن أبى نمر ، عن أنس ، أن الإسراء كان من المسجد من عند الحِجر .

وفى سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك . ومنها قوله : «وذلك قبل أن يوحى إليه » والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه ، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شىء ، ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل فى ذلك: «وذلك قبل أن يوحى إليه » بل جاءه بعد ما أوحى إليه .

فكان الإسراء قطعا بعد الإيحاء ، إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر .

وغسْل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلا ثانيا ، أو ثالثا على قول ، أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلهية .

---

(١) ابن هشام : ملك من الملائكة .

ثم ركب البراقَ رفعة له وتعظيما وتكريما ، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التى كانت تَربط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس فصلى فى قبلته تحية المسجد .

وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخولَه إلى بيت المقدس ورَبْطه الدابة وصلاته فيه .

وهذا غريب ، والنص المُثْبِت مقدَّم على النافى .

ثم اختلفوا فى اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم : أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم ، أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسَبُ . كما سنذكره على قولين . فالله أعلم .

وقيل : إن صلاته بالأنبياء كانت فى السماء .

وهكذا تخيرُّه من الآنية اللبن والخمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم ؟ أو فى السماء كما ثبت فى الحديث الصحيح .

والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة .

فصعد من سماء إلى سماء فى المعراج ، حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماءً تلقَّته منها مقرَّبوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .

وذكَر أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية وإدريس فى الرابعة ، وموسى فى السادسة[1] على الصحيح ، وإبراهيم فى السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، الذى يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبَّدون فيه صلاةً وطوافا ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة .

---

(١) لم يذكر المؤلف من رأى فى الثالثة والخامسة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم ، حتى ظهر لمستوًى يُسْمع فيه صريفُ الأقلام ، ورُفعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرةُ المنتهَى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونَبْقها كقِلال هجر ، وغَشِيها عند ذلك أمور عظيمة وألوان متعددة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرةً ، وفَراشٌ من ذهب ، وغَشِيها من نور الرب جل جلاله .

* **

ورأى هناك جبريلَ عليه السلام ، له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين السماء والأرض ، وهو الذى يقول الله تعالى : « ولقد رآه نَزْلةً أُخرى . عندَ سِدْرة المُنْتهى عندها جنةُ المأْوى . إذ يَغْشَى السِّدْرةَ ما يَغْشَى . مازاغ البَصَرُ وما طَغَى » أى مازاغ يمينا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حُدَّ له النظر إليه .

وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم .

وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها ، كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين .

والأُولى هى قوله تعالى : « علَّمه شديدُ القُوَى ذو مِرَّةٍ فاستوَى . وهو بالأُفُق الأعلَى . ثم دنا فتدلَّى . فكان قابَ قَوْسين أو أدْنَى . فأوحَى إلى عبده ماأوحى » وكان ذلك بالأبطح ، تدلَّى جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سادًّا عِظَمُ خَلْقه مابين السماء والأرض ، حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى .

هـذا هو الصحيح فى التفسير ، كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فأما قول شريك عن أنس فى حديث الإسراء : « ثم دنا الجبَّارُ ربُّ العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » فقد يكون مِنْ فَهْم الراوى فأقحمه فى الحديث[1] والله أعلم .

---

(١) قال السهيلى : « وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره ، لاستحالة ظاهره أو للغفلة عن موضعه . ولا استحالة فيه » انظر رأيه فى الروض ١ / ٢٤٩

وإن كان محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة ، بل هو شيء آخر غير مادلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته الصلوات ليلتئذ، خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب، جل جلاله وله الحمد والمنة، إلى خمس، وقال : « هى خمسٌ وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها » .

فحصَل له التكليمُ من الرب عز وجل ليلتئذ . وأئمةُ السنة كالمُطْبقين على هذا .

واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم : رآه بفؤاده مرتين . قاله ابن عباس وطائفة .

وأطلق ابنُ عباس وغيره الرؤيةَ ، وهو محمول على التقييد .

وممن أَطْلَق الرؤيةَ أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما .

وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين .

واختاره ابن جَرير ، وبالغَ فيه ، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين .

وممن نص على الرؤية بعينَيْ رأسه الشيخُ أبو الحسن الأشعرى فيما نقله السُّهيلى عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك ، لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم : قلت : يارسول الله هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « نورٌ أنَّى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » .

قالوا : ولم يكن رؤية الباقى بالعين الفانية .

ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الإلٰهية : ياموسى إنه لا يرانى حىٌّ إلا مات ، ولا يابس إلا تَدَهْدَه .

والخلاف فى هذه المسئلة مشهور بين السَّلَف والخلَف . والله أعلم .

ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس . والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة ، كما هى عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذى طُلبوا إليه .

ولهذا كان كلما مرّ على واحد منهم يقول له جبريل عندما يتقدم ذاك للسلام عليه : هذا فلان فسلِّم عليه .

فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرُّفٍ بهم مرة ثانية .

ومما يدل على ذلك أنه قال : « فلما حانت الصلاة : أمَمْتُهم » ولم يحِنْ وقتٌ إذ ذاك إلا صلاةُ الفجر ، فتقدَّمهم إماماً بهم عن أمر جبريل ، فيما يرويه عن ربه عز وجل .

فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدَّم فى الإمامة على ربِّ المنزل ، حيث كان بيت المقدس مَحلَّتهم ودارَ إقامتهم .

ثم خرج منه فركب البُراق وعاد إلى مكةَ ، فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار .

* * *

وقد عايَن فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها أو بعضَها غيرُه لأصبح مندهشا أو طائش العقل .

ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجما ، أى ساكنا ، يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطَّف بإخبارهم أولا بأنه جاء بيتَ المقدس فى تلك الليلة .

وذلك أن أبا جهل لعنه الله ، رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام وهو جالس واجمٌ . فقال له : هل من خبَر ؟ فقال : نعم . فقال : وما هو ؟

فقال : إنى أُسْرِى بى الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ قومَك لك لتخبرهم ، أتخبرهم بما أخبرتنى به ؟ قال : نعم .

فأراد أبو جهل جَمْعَ قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلِّغهم .

فقال أبو جهل : هيًّا معشرَ قريش ، وقد اجتمعوا من أنديتهم . فقال : أخبرْ قومَك بما أخبرتنى به .

فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلَّى فيه .

فمِنْ بَيْن مصفِّق وبين مصفِّر تكذيبا له واستبعاداً لخبره ، وطار الخبر بمكة .

وجاء الناس إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فأخبروه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا .

فقال : إنكم تكذبون عليه . فقالوا : والله إنه ليقوله .

فقال : إن كان قاله فلقد صدَق .

ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله مشركو قريش ، فسأله عن ذلك ، فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ، ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفى الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

قال : فجعلت أُخبرهم عن آياته ، فالتبس علىَّ بعضَ الشىء ، فجلَّى الله لى بيت المقدس ، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأَنْعَته لهم . فقال : أمَّا الصفةَ فقد أصاب .

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه ماءهم .

فأقام الله عليهم الحجّة واستنارت لهم المحجّة ، فآمن مَن آمن على يقين من ربّه ، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

كما قال الله تعالى « وما جعَلنا الرُّؤيا التى أَرَيْناك إلا فتنةً للناس » أى اختباراً لهم وامتحانا .

قال ابن عباس : هى رؤيا عينٍ أُريها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مذهبُ جمهور السلف والخلف ، من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه ، كما دل على ذلك ظاهرُ السياقات من ركوبه وصعوده فى المعراج وغير ذلك . ولهذا قال : « سُبْحان الذى أَسْرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجدِ الأقصَى الذى بارَكْنا حولَه لنُريَه » والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة ، فدلَّ على أنه بالروح والجسد ، والعبدُ عبارةٌ عنهما .

وأيضا فلو كان مناما لما بادر كفارُ قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له ، إذ ليس فى ذلك كبيرُ أمر ، فدلَّ على أنه أخبرهم بأنه أُسرى به يقظةً لا مناما .

وقوله فى حديث شريك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا فى الحِجْر » معدود فى غلطات شُريك ، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقَظة .

كما سيأتى فى حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فكذبوه ، قال : « فرجعت مهموما فلم أستفقْ إلا بقَرن الثعالب » .

وفى حديث أبى أُسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنِّكه فوضعه على فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحديث مع الناس ، فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد الصبي ، فسأل عنه فقالوا رُفع فسماه المُنْذرَ .

وهذا الحَمْلُ أحسنُ من التغليط . والله أعلم .

* * *

وقد حكى ابن إسحاق فقال : حدثني بعض آل أبي بكر ، عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فُقد جسدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه .

قال : وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن إسحاق : فلم يُنْكَر ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك « وما جَعلنا الرُّؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس » وكما قال إبراهيم عليه السلام « يابني إني أَرَى في المنام أنِّي أذبحك » وفي الحديث : « تنام عيناي (١) وقلبي يقظان » .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى ، على أي حالة كان نائما أو يقظانَ (٢) ، كل ذلك حقٌّ وصدق .

* * *

قلت : وقد توقف ابنُ إسحاق في ذلك وجوّز كلاًّ من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يُشك فيه ولا يُتمارى أنه كان يقظان لا محالة ، لما تقدم .

وليس مقتضَى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده صلى الله عليه وسلم ما فُقد وإنما كان الإسراء بروحه ، أن يكون مناما كما فهمه ابن إسحاق ، بل قد يكون وقع

(١) الأصل : عيني : وما أثبته من ابن هشام . (٢) ط : يقظانا . وهو خطأ

الإسراءَ بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم ، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ماعاين حقيقة ويقظة لا مناما .

لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك ، لاما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم.

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوعَ منام قبل الإسراء طبقَ ماوقع بعد ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلقَ الصبح ، وقد تقدم مثلُ ذلك فى حديث بدء الوحى ، أنه رأى مثلَ ماوقع له يقظةً مناما قبله ، ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبت والإيناس . والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء فى أن الإسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أو كل فى ليلة على حِدة ؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء فى اليقظة ، والمعراج فى المنام .

وقد حكى المهلَّب بن أبى صُفرة(١) فى شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء [وقع] مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظةً .

وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه .

قال السهيلى : وهذا القول يجمع الأحاديث ، فإن فى حديث شريك عن أنس : وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال فى آخره : « ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر » وهذا منام . ودل غيره على اليقظة .

ومنهم من يدعى تعدد الإسراء فى اليقظة أيضاً ، حتى قال بعضهم : إنها أربع إسراءات . وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة .

وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع

---

(١) الذى فى السهيلى : « ورأيت المهلب فى شرح البخارى » وليس هو المهلب بن أبى صفرة الأزدى أمير خراسان

فى روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد، فجعل ثلاث إسراءات ، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلافُ الروايات ، فقد اختلف لفظ الحديث فى ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات .

ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصًى فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى « سُبْحان الذى أسرَى بعبده ليلا » .

وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر فى ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات ، فلا يَلْزم مِن الحصْر العقلىّ الوقوعُ كذلك فى الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

* * *

والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبى طالب ، فوافق ابن إسحاق فى ذكره المعراج فى أواخر الأمر ، وخالفه فى ذكره بعد موت أبى طالب .

وابنُ إسحاق أخَّر ذكرَ موت أبى طالب على الإسراء . فالله أعلم أى ذلك كان .

والمقصود أن البخارى فرّق بين الإسراء وبين المعراج ، فبوّب لكل واحد منهما بابا على حدة .

فقال : « باب حديث الإسراء » وقول الله سبحانه وتعالى « سُبحان الذى أَسْرى بعبده ليلاً » حدثنا يحيى بنُ بُكير ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، حدثنى

أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سمعت جابرَ بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لمـا كذَّبتنى قريش كنت[1] فى الحجر ، فجلَّى الله لى بيتَ المَقْدس ، فطفقت أحدثهم[2] عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى، عن أبى سلمة، عن جابر به .

ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن الفضل ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .

* * *

ثم قال البخارى : باب حديث المعراج : حدثنا هُدْبة بن خالد ، حدثنا همَّام ، حدثنا قَتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صَعْصَعة أن النبى صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسرى به قال : « بينما أنا فى الحَطِيم ، وربما قال فى الحِجْر ، مُضْطَجعا[3] إذ أتانى آت ، فقدَّ ، قال[4] : وسمعته يقول : فشقَّ ، ما بين هذه إلى هذه ، فقلت للجارود وهو إلى جنبى ، ما يعنى به ؟ قال : من نُقْرة[5] نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته .

« فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ثم حُشى ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » .

فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم .

« يضع خَطْوه عند أقصى طرفه . فَحُملت عليه، فانطلق بى جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل. قيل : ومن معك ؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

---

(١) البخارى : قمت. (٢) البخارى : أخبرهم . (٣) الأصل: مضجعا . وما أثبته من البخارى .
(٤) الأصل : فقال وسمعته . وما أثبته من صحيح البخارى ٢/١٨٧
(٥) البخارى : ثغرة . وهى بمعنى نقرة .

ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلِّم عليه . فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثانية ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال: جبرائيل. قيل : من ومعك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ [قال : نعم .] قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما فسلمت عليهما فردَّا ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به . فنعم المجىء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلِّم عليه . فسلَّمت عليه فردَّ ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلِّم عليه . فسلمت عليه فردَّ ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه فردَّ ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلِّم عليه ، فسلَّمت عليه فردَّ ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

فلما تجاوزتُ بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثرُ ممَّن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم رُفعت إلى سِدْرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من ابن وإناء من عسل ، فأَخذت اللَّبن . قال : هى الفِطْرة التى أنت عليها وأمَّتك .

ثم فرض علىَّ الصلوات ، خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال : بمَ أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمسين

صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جرّبت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فسَله التخفيف لأمتك .

فرجعت فوضع عنى عَشْرا . .

فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عَشْرا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله .

فرجعت فأُمرت بخمس صلوات كل يوم .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت: بخمس صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، و إنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلِّم .

قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيتُ فريضتى ، وخففَّتُ عن عبادى » .

* * *

هكذا روى البخارى هذا الحديث ههنا . وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة .

ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب . ومن حديث أنس عن أبىٰ ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير .

ولم يقع فى هذا السياق ذِكْرُ بيت المقدس ، وكأن بعض الرواة يحذف بعضَ الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفعُ عندَه .

ومَنْ جَعل كلَّ رواية إسراءً على حِدَة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعدَ جدا .

وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفى كلٍّ منها يعرِّفه بهم ، وفى كلها يُفْرض عليه الصلوات ، فكيف يمكن أن يُدَّعى تعدُّدُ ذلك ؟ !

هذا فى غاية البعد والاستحالة ..والله أعلم .

ثم قال البخارى : حدثنا الُحميدىّ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وما جَعلنا الرُّؤيا التى أَرَيْناكَ إلا فتنةً للناس» . قال : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . « والشجرة الملعونة فى القرآن » قال : هى شجرة الزّقّوم .

فصـــل

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبيَّن له كيفية الصلاة وأوقاتها .

وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاجتمعوا ، وصلى به جبرائيل فى ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمُّون بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقتدى بجبرائيل ، كما جاء فى الحديث عن ابن عباس وجابر : « أمَّنى جبرائيل عند البيت مرتين » .

فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهُما وما بَيْنهما الوقت الموسَّع ، ولم يذكر توسعة فى وقت المغرب .

وقد ثبت ذلك فى حديث أبى موسى وبُرَيدة وعبد الله بن عمرو ، وكلها فى صحيح مسلم . وموضع بسط ذلك فى كتابنا « الأحكام » ولله الحمد .

فأما ماثبت فى صحيح البخارى عن مَعْمر ، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : « فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرَّت صلاة السفر وزيدَ فى صلاة الحضر » .

وكذا رواه الأوزاعى ، عن الزُّهرى ، ورواه الشَّعبى عن مسروق عنها .

وهذا مُشْكل من جهة أن عائشة كانت تُتِم الصلاةَ فى السَّفر ، وكذا عثمان بن عفان ، وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : « وإذا ضَرَبْتُم فى الأرض فليس عليكم جُنَاحٌ أنْ تَقْصُروا من الصلاة إنْ خِفْتم أنْ يَفْتنكم الذين كفروا » (١) .

قال البيهقى : وقد ذهب الحسنُ البصرى إلى أن صلاة الحضر أولَ مافُرضت أربعا ، كما ذكره مُرْسلا من صلاته عليه السلام صبيحةَ الإسراء : الظهرَ أربعاً ، والعصر أربعا ، والمغرب ثلاثا يَجْهر فى الأوليين ، والعشاء أربعا يَجْهر فى الأوليين ، والصبح ركعتين يجهر فيهما .

قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين، ثم لما فرضت الخمس فرضت حضَرا على ماهى عليه ، ورخِّص فى السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديما، وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية . والله أعلم .

فصـــل

[فى] انشقاق القمر فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم

وجعل الله له آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين الحق ، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة .

قال الله تعالى فى مُحْكم كتابه العزيز : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ ، وإنْ يرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِر ، وكذَّبوا واتبعوا أهواءَهم وكلُّ أمرٍ مُسْتقر » (٢) .

---

(١) سورة النساء ١٠١ (٢) سورة القمر ١ ــ ٣

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك فى زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحاديثُ المتواترة من طرق متعددة تفيد القطعَ عند من أحاط بها ونظر فيها .

ونحن نذكر من ذلك ماتيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد تقصَّينا ذلك فى كتابنا التفسير ، فذكرنا الطرقَ والألفاظ محرَّرة ، ونحن نشير هاهنا إلى أطراف مِن طُرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته .

وذلك مرويٌّ عن أنس بن مالك ، وجُبير بن مُطْعِم ، وحُذيفة ، وعبدالله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزَّاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قَتَادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهلُ مكة النبىَّ صلى الله عليه وسلم آيةً ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » .

ورواه مُسْلم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به .

وهذا من مرسلاَت الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجمِّ الغفير من الصحابة ، أو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن الجميع .

وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخارى : وسعيد ابن أبى عروبة ، وزاد مسلم : وشُعبة ، ثلاثتهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آيةً فأراهم القمرَ شقتين حتى رأوا حراءَ بينهما . لفظ البخارى .

وأما جُبَير بن مطعم فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كَثِير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، [عن أبيه] . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فرقةً على هذا الجبل ،

وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحَرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرَنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

تفرد به أحمد .

وهكذا رواه ابن جَرير من حديث محمد بن فضيل وغيره، عن حصين به .

وقد رواه البيهقى من طريق إبراهيم بن طَهْمَان وهُشَيم كلاهما عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا فى الإسناد .

* * *

وأما حُذيفة بن اليَمَان فروى أبو نُعيم فى « الدلائل » (١) من طريق عن عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السُّلمى . قال : خطبنا حُذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفِراق ، ألا وإن اليوم المِضْمار وغدا السِّباق .

فلما كانت الجمعة الثانية انطلقتُ مع أبى إلى الجمعة ، فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سَبق إلى الجمعة .

فلما كنا فى الطريق قلت لأبى : مايعنى بقوله ـ « غداً السِّباق » قال : من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَيْر (٢) ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : إن القمر انشقَّ فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ليس فى دلائل النبوة المطبوع . وفيها روايات أخرى عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ٢٣٣ ـ ٢٣٦ .   (٢) الأصل : ابن كثير . وهو تحريف وما أثبته عن صحيح البخارى ٢/٢٦٩ باب التفسير .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر ، وهو ابن نصر ، عن جعفر قوله : « اقتربت الساعة وانشقَّ القمرُ ، وإن يَروا آيةً يُعْرِضوا ويقولوا سحرٌ مُستمر » . قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمرُ حتى رأوا شِقَّيه .

وهكذا رواه العَوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مرسلاته .

وقال الحافظ أبو نُعَيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا بكر بن سُهيل ، حدثنا عبد الغنى بن سعيد ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس فى قوله : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود ابن عبد يَغُوث ، والأسود بن المطلب [بن أسد بن عبد العُزَّى] [1] ، وزَمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم [كثير] [1] .

فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إن كنتَ صادقا فشُقَّ لنا القمرَ فرقتين نصفاً على أبى قُبَيس ونصفاً على قُعَيْقعان . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتُ تؤمنوا ؟ » قالوا : نعم . وكانت ليلة بدر ، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ماسألوا ، فأمسى القمرُ قد سلب [2] نصفا على أبى قُبيس ونصفاً على قُعيقعان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا .

ثم قال أبو نُعيم : وحدثنا [3] سليمان بن أحمد ، حدثنا الحسن بن العباس الرازى ، عن الهيثم بن النُعمان ، حدثنا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : انتهى أهلُ مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آيةٍ نعرف بها أنك رسول الله .

---

(١) من دلائل النبوة ٢٣٤ . (٢) دلائل النبوة : قد مثـل نصفا (٣) ليس فى دلائل النبوة المطبوع .

فهبط جبرائيل فقال : يامحمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هـذه الليلة فسيروا آيةً إن انتفعوا بها .

فأخبرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبرائيل ، فخرجوا ليلة الشّق ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين،نصفاً على الصفا و نصفا على المروة فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ، ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا ، فقالوا : يامحمد ماهذا إلا سحرُ راهب .

فأنزل الله : « اقتربت الساعةُ وانشقّ القمرُ » .

ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها .

فسأل ربَّه ، فأراهم القمرَ قد انشق بجزئين ؛ أحدها على الصفا والآخر على المروة ، قدر مابين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الرزّاز ، حدثنا محمد بن يحيى القِطَعى ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : كُسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سُحر القمر فنزلت : « اقتربت الساعـةُ وانشق القمـر ، وإن يروا آيةً يُعْرِضوا ويقـولوا سحر مستمر » .

وهذا إسناد جيد،وفيه أنه كسف تلك الليلة ، فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه، ولهذا خفى أمره على كثير من أهل الأرض ، ومع هذا قد شوهد ذلك فى كثير من بقاع الأرض، ويقال : إنه أرِّخ ذلك فى بعض بلاد الهند ، وبُنى بناء تلك الليلة وأرِّخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر ، فقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد ابن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا العباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا وهب بن جرير ، عن شُعبة ، عن الأعمش، عن مجاهد به .

قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبى مَعْمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبى مَعمر ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ، وهو ابن عُيَينة ، به . ومن حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بن سَمرة ، عن ابن مسعود قال : انشق القمرُ ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «اشهدوا» وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخارى[1] .

ثم قال البخارى : وقال أبو الضحَّاك ، عن مسروق ، عن عبد الله بمكة ، وتابعَه محمد بن مسلم ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله رضى الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطَّيالسىّ حديث أبى الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : انشقّ القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحرُ ابن أبى كَبْشة .

فقالوا : انظروا مايأتيكم به السُّفّار ، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

---

(١) ليس بلفظ البخارى .

قال : فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا العباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشيم ، حدثنا مغيرة ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكةَ حتى صار فرقتين .

فقال كفارُ قريش لأهل مكة : هذا سحرٌ سحرَكم به ابنُ أبى كبشة ، انظروا السُّفّار . فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدَق ، وإن كانوا لم يروا مثلَ ما رأيتم فهو سحرٌ سحرَكم به .

قال : فسئل السُّمار قال ، وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا .

وهكذا رواه أبو نُعيم من حديث جابر ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق عن عبد الله به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمّل ، حدثنا إسرائيل ، عن سِماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، وهو ابن مسعود ، قال : انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت الجبلَ بين فُرْجتى القمر .

وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سِماك به .

وقال الحافظ أبو نُعيم : حدثنا أبو بكر الطَّلْحى ، حدثنا أبو حُصين محمد بن الحسين الوادِعىّ ، حدثنا يحي الِحمَّانى ، حدثنا يزيد ، عن عطاء ، عن سِماك ، عن إبراهيم ، عن عَلقمة ، عن عبد الله . قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بمِنًى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا ، اشهدوا » .

وقال أبو نُعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا جعفر بن محمد القَلاَنِسىّ ، حدثنا

آدم بن أبى إياس ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عُتبة ، عن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد رأيت أحدَ شِقَّيه على الجبل الذى بمنى ونحن بمكة .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم ، حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن عبدالله ، قال : انشقّ القمر بمكة فرأيته فرقتين .

ثم روى من حديث على بن سعيد بن مسروق ، حدثنا موسى بن عُمير ، عن منصور ابن المعتمِر ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيت القمرَ والله منشقًّا باثنتين بينهما حراء .

وروى أبو نُعيم من طريق السُّدِّى الصغير ، عن الكَلْبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : انشق القمر فلقتين ، فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت .

قال ابن مسعود : لقد رأيت جبلَ حِراء بين فَلْقتى القمر ، فذهب فلقة ، فتعجب أهل مكة من ذلك ، وقالوا : هذا سحر مصنوع سيذهب .

وقال ليث بن أبى سُلَيم ، عن مجاهد قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « فاشهد يا أبا بكر » .

وقال المشركون : سَحر القمر حتى انشق .

* * *

فهذه طُرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأمَّلها وعرف عدالةَ رجالها .

وما يذكره بعضُ القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل فى كُم النبى

صلى الله عليه وسلم وخرج من الكم الآخر ، فلا أصل له ، وهو كذب مفترًى ليس بصحيح .

والقمر حين انشق لم يُزايل السماء ، غير أنه حين أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم انشق عن إشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه . كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك .

وما وقع فى رواية أنس فى مسند أحمد : « فانشق القمر بمكة مرتين » فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين . والله أعلم .

فصــــل

فى وفاة أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم مِن بعــده خــديجة بنت خُويلد زوجة رسول الله صــلى الله عليــه وسلم ورضى الله عنها .

وقيل : بل هى توفيت قبلَه . والمشهور الأول .

وهذان المُشْفِقان ؛ هذا فى الظاهر ، وهذه فى الباطن ، هذاك كافر ، وهــذه مؤمنة صدِّيقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلَــكا فى عام واحد .

فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهُلْك خديجة ، وكانت له وزيرَ صِدْق على الابتلاء يَسْــكُن إليها(1) ، وبهُلْك عمه أبى طالب ، وكان له عَضُداً وحِرْزاً فى أمره ، ومنَعة وناصرا على قومه .

وذلك قبل مُهَاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تــكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا .

فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) ابن هشام : وكانت له وزير صدق على الإسلام يسكن إليها .

يقول : « لا تبكى يا بنية ، فإن الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « مانالت منّى (١) قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الأذى فى بُرْمته صلى الله عليه وسلم إذا نُصبت له .

قال : فكان إذا فعلوا ذلك ، كما حدثنى عمر بن عبد الله عن عروة ، يَخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : «يابنى عبد مناف أىُّ جِوارٍ هذا ؟! » ثم يلقيه فى الطريق .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشا ثِقَلُه ، قالت قريش بعضُها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منَّا ، فإنا والله ما نأمن أن يَبْتزونا أمرَنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبى طالب وكلموه ، وهم أشراف قومه عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أشرافهم ، . فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرَك ما ترى ، وتخوَّفنا عليك ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعُه فخُذْ لنا منه وخُذْ له منَّا ليَكُفَّ عنا ولنكف عنه ، وليدَعنا ودِيننا ولندَعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يابن أخى ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك .

(١) الأصلى : ما نالتنى . وما أثبته عن ابن هشام .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعم ، كلة واحدة تعطونها تَمْلكون بها العربَ وتدينُ لكم بها العجمُ » .

فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات .

قال : « تقولون لا إله إلا الله . وتخلعون ماتعبدون من دونه » .

فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب .

قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ماهذا الرجلُ بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يابن أخى مارأيتك سألتهم شَططا .

قال : فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فجعل يقول له : « أى عم فأنت فقُلها أستحلُّ لك بها الشفاعة يومَ القيامة » .

فلما رأى حرصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابن أخى والله لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزَعا من الموت لقلتُها ، لا أقولها إلا لأسرَّك بها .

قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، فأصغى إليه بأذنه .

قال : فقال : يابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرَته أن يقولها .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أسمع » .

قال : وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط « ص والقرآن ذى الذِّكْر بل الذين كفروا فى عِزَّة وشقاق » الآيات .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

* * *

وقد استدل بعض مَن ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس [فى] هذا الحديث : يابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرتَه أن يقولها . يعنى لا إله إلا الله .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أن فى السند مُبْهَمًا لا يُعرف حاله وهو قوله : « عن بعض أهله » وهذا إبهام فى الاسم والحال ، ومثله يُتَوقف فيه لو انفرد .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبى أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبَير . فذكره ولم يذكر قول العباس .

ورواه الثورى أيضا ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة الكوفى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فذكره بغير زيادة قول العباس .

ورواه الترمذى وحسَّنه ، والنسائى وابن جرير أيضا .

ولفظ الحديث من سياق البيهقى ، فيما رواه من طريق الثَّورى ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، فجاءت قريش وجاء النبى صلى الله عليه وسلم [و] عند رأس أبى طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كى يمنعه ذاك ، وشكَوْه إلى أبى طالب ، فقال : يابن أخى ماتريد من قومك ؟

فقال : « ياعم إنما أريد منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بها العربُ ، وتؤدِّى إليهم بها الجزيةَ العجمُ ، كلمةً واحدة » .

قال : : ماهى ؟

قال : « لا إله إلا الله » .

قال : فقالوا : أجعل الآلهةَ إلها واحداً ؟ إن هذا لشئ عُجَاب .

قال : ونزل فيهم: « ص والقرآن ذى الذِّكر » الآيات إلى قوله : « إلاّ اختلاق » .

* * *

ثم قد عارَضه ، أعنى سياقَ ابن إسحاق ، ماهو أصحُّ منه ، وهو ما رواه البخارى قائلا :

حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن ابن المسيَّب ، عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله » .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : ياأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرنَّ(١) لك مالم أُنه عنك » .

فنزلت : « ما كان للنبىّ والذين آمنُوا أن يَسْتغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ ماتبيّن لهم أنهم أصحابُ الجحيم(٢) » ونزلت : « إنكَ لا تَهْدِى مَنْ أحببت »(٣)

ورواه مسلم، عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله ، عن عبد الرزاق .

وأخرجاه أيضاً من حديث الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه بنحوه . وقال فيه : فلم يزَلْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعْرضها عليه ، ويَعُودان له بتلك المقالة ، حتى قال آخر ماقال : على ملة عبد المطلب . وأبىَ أن يقول : لا إله إلا الله .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أمَا لأستغفرن لك مالم أُنهَ عنك » فأنزل الله

(١) الأصل: لأستغفر . وهو تحريف . (٢) سورة التوبة ١١٣ (٣) سورة القصص ٥٦ .

يعني بعد ذلك : « ما كان للنبيِّ والذين آمَنوا أَنْ يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى » .

ونزل في أبي طالب : « إنك لا تَهْدي من أحببتَ ولكن الله يَهْدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي ، من حديث يزيد بن كَيْسان عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : لما حضرت وفاةُ أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا عمّاه ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » .

فقال : لولا أن تعيِّرني قريش، يقولون ما حَمله عليه إلا فزعُ الموت ، لأقررت بها عينَك ولا أقولها إلا لأُقرَّ بها عينَك .

فأنزل الله عز وجل : « إنك لا تَهْدِي مَنْ أحببتَ ، ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلمُ بالمهتدين » .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشَّعْبي وقتادة : أنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : لا إله إلا الله. فأبى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

ويؤكد هذا كله ما قال البخاري : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيي ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمير ، حدثني عبد الله بن الحارث ، قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أغنيتَ عن عمِّك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟

قال : « [هو] في ضَحْضَاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدَّرك الأسفل[1] » .

---

(١) زاد في البخاري : من النار .

ورواه مسلم فى صحيحه من طرق ، عن عبد الملك بن عمير به .

[و] أخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث ، حدثنى ابن الهادِّ ، عن عبد الله بن خبَّاب ، عن أبى سعيد ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وذُكر عنده عمُّه فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيُجعلَ فى ضَحْضَاح من النار يبلغ كعبيه يَغْلى منه دماغه » .

لفظ البخارى . وفى رواية « تغلى منه أمُّ دماغه » .

وروى مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شَيبة ، عن عفَّان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى عثمان ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَهون أهل النار عذابا أبو طالب ، مُنْتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه » .

وفى مغازى يونس بن بُكَير « يغلى منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلى .

وقال الحافظ أبو بكر البَزَّار فى مسنده : حدثنا عمرو ، هو ابن اسماعيل بن مُجَالِد ، حدثنا أبى، عن مجالد ،عن الشَّعبى ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قيل له : هل نفعتَ أبا طالب ؟

قال : « أخرجتهُ من النار إلى ضَحْضَاح منها » .

تفرد به البَزَّار .

قال السُّهيلى : وإنما لم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم شهادةَ العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان إذ ذاك كافرا غيرَ مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صحَّ لضعف سَنده . كما تقدم .

ومما يدل على ذلك أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن أبى طالب فذكر له ما تقدم .

وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغَرْغَرة ، حين لا يَنفع نفساً إيمانُها . والله أعلم .

* * *

وقال أبو داود الطَّيالسيّ : حدثنا شُعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت ناجيةَ بن كعب يقول : سمعت عليا يقول : لمـا توفى أبي أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن عمك قد توفى . فقال : « اذهب فوارِه » فقلت : إنه مات مشركا ، فقال : « اذهب فوارِه ولا تُحْدِثنّ شيئا حتى تأتى » .

ففعلت فأتيته ، فأمرنى أن أغتسل .

ورواه النسائى عن محمد بن المثنى ، عن غُنْدَر ، عن شُعبة .

ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية ، عن على : لمـا مات أبو طالب قلت : يا رسول الله إن عمك الشيخ الضالّ قد مات ، فمن يواريه ؟

قال : « اذهب فوارِ أباك ولا تُحْدِثن شيئا حتى تأتينى » .

فأتيته فأمرنى فاغتسلت ، ثم دعا لى بدعوات ما يسرُّنى أن لى بهن ما على الأرض من شىء .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالِينىّ ، حدثنا أبو أحمد بن عدى ، حدثنا محمد بن هارون بن حُميد ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، حدثنا الفضل ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد من[1] جنازة أبي طالب فقال : وصَلَتْك رَحِم ، وجُزيت خيراً ياعم » .

---

(١) فى الوفا لابن الجوزى : عارض جنازة . وهذا ما يتفق مع قوله بعد : « ولم يقم على قبره » .

قال : وروى عن أبى اليمان الهَوْزَنىّ ،عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا وزاد : ولم يقم على قبره .

قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمى تكلموا فيه .

قلت : قد روَى عنه غيرُ واحد منهم الفضل بن موسى السِّينَانى[1] ، ومحمد بن سَلَّام البِيكَنْدى[2] . ومع هذا قال ابن عَدِى : ليس بمعروف ، وأحاديثُه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة .

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من المدائح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة فى أشعاره التى أسلفناها ، وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه ، بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التى لا تدانَى ولا تسامى ، ولا يمكن عربيا مقارنتها ولا معارضتها .

وهوفى ذلك كله يَعْلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صادقٌ بارٌّ راشد ، ولكن مع هذا لم يُؤْمن قلبُه .

وفرقٌ بَيْن عِلم القلب وتصديقه . كما قررنا ذلك فى شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى .

وشاهدُ ذلك قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتابَ يَعْرفونه كما يَعْرفون أبناءَهم ، وإنَّ فريقاً منهم لَيكتمون الحقَّ وهم يَعْلمون » .

وقال تعالى فى قوم فرعون : « وجَحدوا بها واستَيْقَنَتها أنفسُهم » وقال موسى

---

(١) كان من أقران ابن المبارك فى السن والعلم ، ولد سنة ١١٥ ومات سنة ١٩١ . ونسب إلى سينان إحدى قرى مرو . (٢) نسبة إلى بيكند ، بلدة بين بخارى وجيحون .

لفرعون : « لقد علمتَ ماأنزلَ هؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصائرَ وإنى لأظنك يافرعون مثبوراً » .

وقول بعض السلف فى قوله تعالى : « وهم يَنْهَوْن عنه ويَنْأون عنه » أنها نزلت فى أبى طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مُخَيمرة ، وحبيب بن أبى ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .

والأظهرُ والله أعلم ، الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير .

وتوجيهه : أن هذا الكلام سِيق لتمام ذمِّ المشركين ، حيث كانوا يصدُّون الناسَ عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضا به .

ولهذا قال : « ومِنهم مَن يَستمع إليك وجَعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً أن يَفقَهوه وفى آذانهم وَقراً ، وإن يرَوا كلَّ آيةٍ لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلا أساطيرُ الأولين ، وهم يَنْهون عنه ويَنْأون عنه وإن يُهلكون إلا أنفسَهم وما يشعرون » .

وهذا اللفظ وهو قوله « وهُمْ » يدلُّ على أن المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورون فى سياق الكلام وقوله : « وإنْ يُهلكون إلا أنفسهم وما يَشْعرون » يدل على تمام الذم .

وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة ، بل كان يصدُّ الناس عن أذية رسول الله صلى الله وسلم وأصحابه بكل ما يَقْدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال .

ولكن مع هذا لم يقدِّر الله له الإيمانَ ، لماله تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسليم لها .

ولولا مانهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين ، لاستغفرنا لأبى طالب وترحَّمنا عليه !

فصل

فى موت خديجة بنت خويلد

وذِكْر شىء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها . وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق ، حيث بشَّرها ببيت فى الجنة من قصَب لا صخب فيه ولا نصَب .

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثنى عُقَيل ، عن ابن شهاب قال : قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة .

ثم روى من وجه آخر عن الزهرى أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد .

وقال البيهقى : بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام . ذكره عبدالله بن منْده فى كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقى : وزعم الواقدى أن خديجة وأباطالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشِّعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تُفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء .

وكان الأنسبُ بنا أن نذكر وفاة أبى طالب وخديجة قبل الإسراء ، كما ذكره البيهقى وغير واحد ، ولكن أخَّرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطَّلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب. كما تقف على ذلك إن شاء الله .

وقال البخارى : حدثنا قُتَيبة ، حدثنا محمد بن فُضَيل بن غزْوان ، عن عُمَارة ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنِّى ، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قَصب لا صخَب فيه ولا نصَب .

وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به .

وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن إسماعيل ، قال : قلت لعبد الله بن أبى أَوْفَى: بشَّر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة ؟ قال : نعم ، ببيت من قصَب لا صخَب فيه ولا نَصَب .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به .

قال السهيلى : وإنما بشَّرها « ببيت فى الجنة من قَصَب » ، يعنى قصب اللؤلؤ ، لأنها حازت قصب السَّبْق إلى الإيمان « لا صخَب فيه ولا نصَب » لأنها لم ترفع صوتها على النبى صلى الله عليه وسلم ولم تتعبه يوماً من الدهر ، فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا .

وأخرجاه فى الصحيحين ، من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غِرْتُ على امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم ماغرتُ على خديجة ـ وهلكَتْ قبل أن يتزوجنى ـ لما كنت أسمعه يذكرها .

وأمره الله أن يبشِّرها ببيت في الجنة من قصب ، وإنْ كان ليَذبح الشاةَ فيُهْدى في خَلاَئلها منها ما يَسعُهن .

لفظ البخارى .

وفى لفظ عن عائشة : ما غِرْت على امرأةٍ ما غرتُ على خديجة ، مِن كثرة ذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، وتزوجنى بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ، أو جبرائيل ، أن يبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب .

وفى لفظ له قالت : ما غِرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، وما رأيتُها ، ولكن كان يُكْثِر ذِكْرها ، وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد » .

ثم قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا على بن مُسْهِر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : استأذنت هالَةُ بنت خويلد أختُ خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف استئذان خديجةَ ، فارتاع فقال : اللهم هالة ! .

[قالت(١)] فغِرْتُ فقلت : ما تَذْكر مِنْ عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدْقين هَلِكت فى الدهر [قد(١)] أبدلك الله خيراً منها .

وهكذا رواه مسلم ، عن سُوَيد بن سعيد ، عن على بن مُسْهر به .

وهذا ظاهر فى التقرير على أن عائشة خير من خديجة ، إما فضلاً وإما عِشْرةً ، إذ لم يُنْكِر عليها ولا ردَّ عليها ذلك ، كما هو ظاهر سياق البخارى رحمه الله .

(١) من البخارى .

ولـكن قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمّل أبو عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك ـ هو ابن عُمير ـ عن موسى بن طلحة ، عن عائشة قالت : ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوما خديجة فأطنبَ فى الثناء عليها ، فأدركنى ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت : لقد أعقَبك الله يا رسول الله من عجوزٍ من عجائز قريش حمراء الشدقين .

قال : فتغيَّر وجـه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيُّرا لم أره تغيَّر عنـد شىء قط إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى يَعْلَم رحمةً أو عذابا .

وكذا رواه عن بهْز بن أسد ، وعثمان بن مسلم ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير به .

وزاد بعد قوله : « حمراء الشدقين » : « هلـكت فى الدهر الأول » . قال : قالت : فتمعَّر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد أيضاً : عن ابن إسحاق ، أخبرنا مُجَالد ، عن الشَّعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا ذَكَر خديجةَ أثْنى عليها بأحسن الثناء .

قالت : فغِرْت يوما فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشِّدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها .

قال : « ما أبدَلنى الله خيراً منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدَّقتنى إذ كذبنى [الناس] ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولادَ النساء » .

تفرد به أحمد أيضا . وإسناده لا بأس به . ومُجَالِد روَى له مسلم مُتابعةً ، وفيه كلام مشهور . والله أعلم .

ولعل هذا، أعنى قوله : « ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم من مارية ، وقبل مَقْدمها بالكلِّية وهذا مُتعين فإن جميع أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم وكما سيأتى ، من خديجة إلا إبراهيم ، فمن مارية القبطية المصرية رضى الله عنها .

وقد استدل بهذا الحديث جماعةٌ من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها .

وتكلم آخرون فى إسناده .

وتأوَّله آخرون على أنها كانت خيراً عِشرةً ، وهو محتمل أو ظاهر ، وسببه أن عائشة تمتُ بشبابها وحُسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها : « قد أبدَلك الله خيراً منها » أنها تزكّى نفسها وتُفَضِّلها على خديجة ، فإن هذا أمرٌ مَرْجعه إلى الله عز وجل ، كما قال : « فلا تُزَكُّوا أنفسكم هو أَعْلَمَ بمن اتقى[1] » وقال تعالى : « ألم تَرَ إلى الذين يُزَكُّون أنفسهم ، بل الله يُزَكِّى من يشاء[2] » الآية .

* * *

وهذه مسألة وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديما وحديثا ، وبجانبها طرقٌ يقتصر عليها أهل التَّشَيُّع وغيرُهم ، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء : لسلام الربِّ عليها ، وكون ولدِ النبى صلى الله عليه وسلم جميعهم، إلا إبراهيم ، منها ، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها وتقدير إسلامها ، وكونها من الصِّديقات ، ولها مقامُ صِدْق فى أول البعثة ، وبذلت نفسها ومالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة النجم ٣٢ . (٢) سورة النساء ٤٩ .

وأما أهل السُّنة فمنهم من يغلو أيضا ويُثْبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحمُلهم قوة التَّسنُّن على تفضيل عائشة لكونها ابنةَ الصِّديق ، ولكونها أعلم من خديجة ، فإنه لم يكن فى الأمم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ، ونزلت براءتُها مِن فَوق سبع سموات ، ورَوَتْ بَعده عنه عليه السلام علما جَمًّا كثيراً طيباً مبارَكا فيه ، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطرَ دينكم عن الحميراء » .

* * *

والحقُّ أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبَهره وحيَّره .

والأحسنُ التوقُّف فى ذلك إلى الله عز وجل .

ومَن ظهر له دليلٌ يقْطع به ، أو يَغْلب على ظنه فى هذا الباب ، فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم .

ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها ، فالطريق الأقومُ والمسلكُ الأَسْلم أن يقول : الله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، من طريق هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خُوَيلد » أى خير زمانهما .

وروى شُعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أبيه قرة بن إياس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

رواه ابن مردويه فى تفسيره ، وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده .

قالوا : والقَدْر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أن كلاً منهن كَفَلَتْ نبيًّا مرسلا ، وأحسنت الصُّحبة فى كفالتها وصدّقته حين بُعث .

ومريم كفلت ولدها أتمّ كفالة وأعظَمها وصدّقته حين أرسل .

وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبذلت فى ذلك أموالها ، كما تقدم ، وصدّقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل .

وقوله : « وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت فى الصحيحين من طريق شعبة أيضا ، عن عمرو بن مُرّة ، عن مرة الطيب الهمدانى ، عن أبى موسى الأشعرى ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإنّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعاً ، وهو أفخر طعام العرب ، كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الُخبز تَأْدِمه بلحمٍ فذاك أمانةَ الله الثريدُ

ويحمل قوله : « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظاً فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عامًّا فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوفاً يحتمل التسوية بينهن ، فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج . والله أعلم .

فصل

فى تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضى الله عنها بعائشة بنت الصديق ، وسَوْدة بنت زَمْعة رضى الله عنهما

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتى .

قال البخارى فى باب تزويج عائشة ، حدثنا مُعلَّى بن أسد ، حدثنا وُهَيْب ، عن هشام ابن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : « أُريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سَرَقة[١] من حرير ، ويقول[٢] : هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هى أنت ، فأقول إن كان هذا[٣] من عند الله يُمضِه » .

قال البخارى : باب نكاح الأبكار . وقال ابن أبى مُلَيْكة : قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى صلى الله عليه وسلم بكراً غيرك .

حدثنا إسماعيل بن عبدالله ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله ، أرأيت لو نزلتَ وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، فى أيها كنت تُرْتع بعيرَك ؟ قال : « فى التى لم يُرْتع منها » تعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها .
انفرد به البخارى .

ثم قال : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريتك فى المنام فيجىء

---

(١) السرقة : القطعة . (٢) أى جبريل . وفى رواية : ويقال .
(٣) البخارى : إن يك هذا .

بك الملَكَ فى سَرَقة من حرير فقال لى هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوبَ فإذا أنت هى ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه » .

وفى رواية : « أُرِيتُك فى المنام ثلاثَ ليال » .

وعندَ الترمذى أن جبريل جاءه بصورتها فى خرقة من حرير خضراء فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة .

وقال البخارى : [باب] تزويج الصغار من الكبار ؛ حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث عن يزيد ، عن عِراك ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخى فى دين الله وكتابه ، وهى لى حلال » .

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مُرْسل ، وهو عند البخارى والمحققين مُتَّصِل ، لأنه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها ، وهذا من أفراد البخارى رحمه الله .

وقال يونس بن بُكَير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشةَ بعد خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبَنَى بها وهى ابنة تسع ، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة .

وهذا غريب .

وقد روى البخارى عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : توفيت خديجة قبل مَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين ، ثم بَنَى بها وهى بنت تسع سنين .

وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ، ولـكنه فى حكم المتصل فى نفس الأمر .

وقوله : « تزوَّجها وهى ابنة ست سنين ، وبنى بها وهى ابنة تسع » مالا خلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت فى الصحاح وغيرها .

وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة .

وأما كَوْن تزويجها كان بعد موت خديجة بنحوٍ من ثلاث سنين ففيه نظر .

فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال : حدثنا الحجَّاج ، حدثنا حمَّاد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفَّى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع أو ست سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألعب فى أرجوحة وأنا مُجَمَّمة ، فهيأننى وصنَعْنَنى ثم أتين بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبنَى بى] . وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله فى هذا الحديث : « متوفَّى خديجة » . يقتضى أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفَّى خديجة ، فلا ينفى ماذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . والله أعلم .

وقال البخارى : حـدثنا فروة بن أبى المغراء ، حدثنا على بن مُسْهِر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعرى وقد وفَتْ لى جُمَيْمَة ، فأتتنى أمى أم رومان وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحِب لى ، فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ماتريد منى ، فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار ، وإنى لأُنْهج حتى سكن بعضُ نفَسى ، ثم أخذت شيئا من ماء فمسَّت به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى

الدار . قال: فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقلْن: على الخير والبركة وعلى خير طائر. فأسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرُعْنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحىً ، فأسْلَمَتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

وقال الإمام أحمد فى مسند عائشة أم المؤمنين : حدثنا محمد بن بِشر ، حدثنا بشر ، حدثنا محمد بن عمرو [حدثنا] أبو سلمة ويحيى ، قالا : لما هلكت خديجة جاءت خَوْلة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يارسول الله ألا تزوَّج ؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بِكراً ، وإن شئت ثيِّبا .

قال : فمَن البِكْر ؟ قالت أحبُّ خَلْق الله إليك عائشة ابنة أبى بكر .

قال : ومن الثيب ؟ قالت سَوْدة بنت زَمْعة ، قد آمنَتْ بك واتبعتك . قال : فاذهبى فاذكريهما علىَّ .

فدخلَتْ بيتَ أبى بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت :وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، قالت : انظرى أبا بكر حتى يأتى .

فجاء أبو بكر فقلت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ؟ إنما هى ابنة أخيه .

فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال : « ارجعى إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام وابنتك تصلح لى » .

فرجعتُ فذكرت ذلك له قال: انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، ووالله ماوعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبى . فقالت : يا ابن أبى قحافة لعلك مُصْبِىء صاحبنا تُدْخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوَّج إليك ؟ ! فقال أبو بكر للمطعم بن عدى أقَوْلَ هذه تقول؟ [قال:](١) إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عِدَته التى وعده .

فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

ثم خرجت فدخلت على سَوْدة بنت زَمْعة فقالت: ماأدخل الله عليك من الخير والبركة؟! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه . قالت : وددتُ ، ادخلى إلى أبى بكر فاذكرى ذلك له ، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج ، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قالت : خَوْلة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سَوْدَة . فقال : كفء كريم ، ما تقول صاحبتُكِ ؟ قالت : تحب ذلك . قال : ادعيها إلىّ . فدعتها قال : أَىْ بُنَية ، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك ، وهو كفء كريم ، أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت : نعم . قال : ادعيه لى .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوَّجها إياه .

فجاء أخوها عبد بن زَمْعة من الحج ، فجاء يَحْثى على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعَمْرُكَ إنى لسفيه يوم أحْثى فى رأسى التراب أنْ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة !

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السُّنْح .

قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار

(١) من المسند ٦/٢١١ .

ونساء ، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عَذْقين يرجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُمَيْمة ففرّقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستني في حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا مانحرت عليَّ جزور ، ولا ذبحت علي شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه . وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مُرْسل ، وهو متصل .

لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا عبد الله بن إدريس الأَزْدي ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ألا تزوَّج ؟ قال : ومن ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال : من البِكْرُ ومن الثيب ؟ قالت : أما البكر فابنة أحب خَلْق الله إليك ، وأما الثيب فسَوْدَة بنت زَمْعة ، قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذكريهما علي .

وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم .

وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة .

ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة

قالت : لما كبرت سَودة وهبت يومَها لى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لى بيومها مع نسائه . قالت : وكانت أول امرأة تزوجها بعدى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنى شَهْر ، حدثنى عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مُصْبِية ، كان لها خمس صبية أو ست من بعلها مات : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مايمنعك منى ؟ » قالت : والله يانبى الله مايمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية إلى ، ولكنى أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال : فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت : لا والله. قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ! إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل ؛ صالح ؟ نساء قريش ، أَحْنَاه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده .

قلت : وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه .

هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهرى .

واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة ، وحكاه عن قتادة وأبى عبيد . قال : ورواه عقيل عن الزهرى .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان ناصراً له وقائما فى صفه ومدافعاً عنه بكل مايقدر عليه من نفس ومال ومَقال وفِعال .

فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه مالم يكونوا يَصِلون إليه ولا يقدرون عليه .

كما قد رواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعانى ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عمن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه الترابَ وتبكى ، فجعل يقول : « أىْ بنية لا تبكى ، فإن الله مانع أباكِ » .

ويقول مابين ذلك : « مانالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » .

وقد رواه زياد البَكَّائى ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلا . والله أعلم .

وروى البيهقى أيضا عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعّين [1] حتى مات أبو طالب » .

---

(١) كاعين : جبناء

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن عباس الدُّورى ، عن يحيى بن مَعِين ، حدثنا عقبة المجدر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعَّة حتى توفى أبو طالب .

وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صُعَير (١) وحكيم بن حزام ، أنهما قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما خمسة أيام ، اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، ولزم بيته وأقلَّ الخروجَ ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه .

فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يامحمد امضِ لما أردتَ ، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه ، لا واللات لا يُوصَل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطَلة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولَّى يصيح : يامعشر قريش صبأ أبو عتبة . فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال : مافارقتُ دينَ عبد المطلب . ولكنى أمنع ابنَ أخى أن يُضَامَ حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : لقد أحسنتَ وأجملْت ووصلت الرحم .

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يأتى ويذهب لايعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ، إذ جاء عقبةُ بن أبى مُعَيط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَل أبيك ؟

فقال له أبو لهب : يامحمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال : مع قومه. فخرج إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم أنه فى النار !

---

(١) الأصل : صعير . وهو تحريف . وما أثبته من الوفا لابن الجوزى ٢١٠ .

فقال : يامحمد أيدخل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن مات على مامات عليه عبد المطلب دخل النار .

فقال أبو لهب – لعنه الله – : والله لابرحت لك إلا عدوا (١) أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

واشتد عند ذلك أبو لهب وسائرُ قريش عليه .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته : أبولهب ، والحكَم بن أبى العاص بن أمية ، وعُقبة بن أبى معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الُهذلى .

وكانوا جيرانه ، لم يُسْلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص .

وكان أحدهم ، فيما ذكر لى ، يَطْرح عليه رحمَ الشاة وهو يصلِّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئا من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول : يابنى عبد مناف أىُّ جوار هذا ؟ ! ثم يلقيه فى الطريق .

قلت : وعندى أن غالب ماروى مما تقدم – مِنْ طَرْحهم سلا الجَزُور بين كتفيه وهو يصلى ، كما رواه ابن مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ماأخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص مِنْ خَنْقهم له عليه السلام خنقا شديداً ،

(١) ابن الجوزى : لا برحت لك عدوا ، وهى كذلك فى طبقات ابن سعد .

حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلا : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ! وكذلك عزمُ أبى جهل ، لعنه الله ، على أن يطأ على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك ـ كان بعد وفاة أبى طالب والله أعلم . فذِكْرها ههنا أنْسَبُ وأَشْبَه .

فصلٌ

فى ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى نصرة دينه ، فردُّوا عليه ذلك ولم يقبلوا ، فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن نالته منه فى حياة عمه أبى طالب .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثَقِيف النُّصرةَ والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله تعالى .

فخرج إليهم وحده .

فحدثنى يزيد بن أبى زياد ، عن محمد بن كعب القُرظى ، قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف وهم سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة :عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب، بنوعمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جُمَح .

فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لمَا جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يَمْرُط ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرَك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ، فيما ذكر لى ، إذ فعلتم مافعلتم فاكتموا علىّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه فيُذْئرهم ذلك عليه .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه .

فعمد إلى ظل حُبْلة [(١)] من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويَريان مايلقى من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أَحْمائك !

فلما اطمأن قال فيما ذكر : « اللهم إليك أشكو ضَعْف قوّتى وهوانى على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيدٍ يتجهَّمنى ، أم إلى عدو ملَّكته أمرى ؟! إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أُبَالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى .

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بى غضبك أو تُحلَّ على سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، لاحول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة عُتْبة وشَيْبة وما لقى تحركت له رَحِمُهما، فدعَوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عَدَّاس [وقالا له] خذ قطفاً من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

---

(١) الحبلة : الكرمة .

ففعل عَدَّاس،ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم قال له كل .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيــه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هــذا الـكلام مايقوله أهل هذه البــلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى بــلاد أنت ياعداس وما دينك ؟ قال : نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

فقال له عداس : ومايدريك مايونس بن متىَّ ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى .

فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمَّا غلامك فقد أفسده عليك .

فلما جاء عــداس قالا له : ويلك ياعداس ! مالك تقبِّل رأسَ هــذا الرجل ويديه وقدميه ؟

قال : ياسيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبىّ .

قالا له : ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

* * *

وقد ذكر موسى بن عُقْبه نحواً من هــذا السياق ، إلا أنه لم يذكر الدعاء وزاد : وقعد له أهلُ الطائف صَفَّين على طريقه ، فلما مرَّ جعلوا لا يرفع رجليــه ولا يضعهما إلا رَضَخوهما بالحجارة حتى أَدْمَوه ، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء ، فعمد إلى ظل نخــلة

وهو مكروب ، وفى ذلك الحائط عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله .

ثم ذكر قصة عَدَّاس النصرانى ، كنحو ماتقدم .

وقد روى الإمام أحمد ، عن أبى بكر ابن أبى شَيْبة ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العَدْوانى ، عن أبيه ، أنه أبصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مَشْرق ثَقِيف وهو قائم على قوس أو عصى ، حين أتاهم يبتغى عندهم النصرَ ، فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها .

قال : فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها فى الإسلام . قال : فدعَتْنى ثقيف فقالوا : ماذا سمعتَ من هذا الرجل ؟ فقرأتُها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه .

وثبت فى الصحيحين ، من طريق عبد الله بن وهب ، أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشدَّ عليك من يوم أُحد ؟

قال : « مالقيتُ من قومك كان أشدَّ منه يومُ العقبة ، إذ عَرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفقْ إلا وأنا بقرَن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظَلَّتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث لك ملكَ الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم .

ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد قد بعثنى الله ، إن الله قد سمع قولَ

قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى ماشئت ، إن شئتَ تُطْبق عليهم الأخشبين ، فقال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « أرجو أن يُخْرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله لايشرك به شيئا » .

فصلٌ

وقد ذكر محمـد بن اسحاق سماعَ الجن لقراءة رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وذلك مَرْجَعه من الطائف حين بات بنخلَة وصلّى بأصحابه الصبحَ ، فاستمع الجن الذين صُرفوا اليه قراءته هنالك .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : « وإذْ صرَفْنا إليك نَفراً من الجن » .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصىً فى التفسير ، وتقـدم قطعة من ذلك ، والله أعلم .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مَرْجعه من الطائف فى جوار المطعم بن عدى ، وازداد قومُه عليـه حَنَقاً وغيظا وجرأة وتـكذيبا وعناداً . والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الأموى فى مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أُرَيقط إلى الأخنس بن شَرِيق ، فطلب منه أن يجيره بمكة ، فقال : إن حليف قريش لايجـير على صميمها .

ثم بعثه إلى سُهَيل بن عمرو ليجيره فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى .

فبعثه إلى المطعم بن عَدِىّ ليجيره فقال : نعم ، قل له فليأت .

فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة ، متقلدِّى السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُفْ . واحتَبَوا بحمائل سيوفهم فى المطاف .

فأقبل أبو سفيان إلى مُطعم فقال : أمجيرٌ أو تابع ؟ قال : لا بل مجير .

قال : إذاً لا تُخْفَر .

فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه .

قال : فمكث أياما ثم أُذن له فى الهجرة .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفى مطعم بن عدى بعده بيسير ، فقال حسان بن ثابت : والله لأرثينه . فقال فيما قال :

فلو كان مجدٌ مخلدَ اليوم واحداً ... من الناس نجَّى مجدُه اليوم مُطْعِمَا
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبادك مالبَّى مُحِلٌّ وأحرمَا
فلو سُئلت عنه معَدٌّ بأسْرِها ... وقحطانُ أو باقى بقية جُرْهما
لقالوا : هو المُوفِى بخفْرة جاره ... وذمتِ يوماً إذا ما تجشما
وما تَطْلُع الشمسُ المنيرة فوقَهم ... على مثله فيهم أعزَّ وأكرمَا
إباء إذاً يأبىٰ وألين شيمةً ... وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلَما

قلت : ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيًّا ثم سألنى فى هؤلاء النَّتْنَى (١) لوهبتهم له » .

---

(١) المطبوعة : النقباء . وهو تحريف شنيع أعان عليه كتابتها فى الأصل بالألف بلا نقط والرواية كما فى الوفا والمواهب : ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لأطلقتهم له . وسماهم نتنى لكفرهم . كما فى النهاية .

فصلٌ

فى عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسَه الكريمة على أحياء العرب

فى مواسم الحج أنْ يُؤووه وينصروه ويمنعوه ممن كذبه وخالفه ، فلم يجبْه أحد منهم لما ذخَره الله تعالى للأنصار من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض نفسَه فى المواسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبيٌّ مرسَل ، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبيِّن عن الله مابعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم ، عن زيد بن أَسْلَم ، عن ربيعة بن عِبَاد الدُّؤَلى(١) ، ومن حدثه أبو الزِّناد عنه ، وحدثنى حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عِبَاد يحدثه أبى ، قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنًى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يابنى فلان إنى رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ماتعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدِّقوا بى ، وتمنعونى حتى أبيِّن عن الله مابعثنى به » .

---

(١) ويقال فيه الديلى .

قال : وخَلفه رجــل أَحْول وضيء له غَدِيرتان ، عليه حُلة عَدَنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليــه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يابنى فلان إنّ هــذا إنما يدعوكم إلى أن تَسْلخُوا اللات والعزى من أعناقــكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أُقَيْش ، إلى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبى : ياأبت من هذا الرجل الذى يَتْبعه ويردُّ عليه مايقول ؟

قال : هذا عمه عبد العُزّى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمــد هذا الحديث ، عن إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا عبــد الرحمن بن أبى الزِّناد ، عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عِبَاد من بنى الدِّيل ، وكان جاهليا فأسلم ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى المَجَاز وهو يقول : « ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفْلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ورواه البيهقى ، من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد ابن المُنْــكَدر ، عن ربيعة الدِّيلى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المَجَاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تَقِد وَجْنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرّنــكم هذا عن دينــكم ودين آبائــكم . قلت : من هــذا ؟ قالوا هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نُعَيم فى الدلائل من طريق ابن أبى ذئب وسعيد بن سَلَمة بن أبى الُحسام ، كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

ثم رواه البيهقى من طريق شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة

قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خَلفه يَسْفِى عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل وهو يقول : يأيها الناس لايغرَّنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال فى هذا السياق : « أبو جهل » وقد يكون وَهْماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا ، وأنهما كانا يتناوبان على إيذائه صلى الله عليه وسلم

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه عليه السلام أتى كِنْدة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأَبَوْا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن] [١] حصين أنه أتى كَلْبا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول : « يابنى عبد الله إن الله قد أحسن اسمَ أبيكم » فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكُ أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم .

وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صَعْصَعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بَيْحرة [٢] بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل بحيرة . وما أثبته من ابن هشام والروض الأنف .

من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » .

قال : فقال له : أفنُهْدف نحورَنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لاحاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لايقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلكَ الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحدُ بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبىٌّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونَخْرج به إلى بلادنا .

قال : فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يابنى عامر هل لها من تَلافٍ ؟ هل لذُنَاباها من مَطْلب ؟ والذى نفس فلان بيده ماتقوَّلها إسماعيلىٌّ قط ، وإنها لحقٌّ ، فأين رأيكم كان عنكم !

***

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كلَّ شريفِ قومٍ ، لايسألهم مع ذلك إلا أن يُؤووه ويمنعوه ، ويقول : « لا أُكْره أحداً منكم على شىء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكرهه ، إنما أريد أن تُحْرزونى فيما يراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء .

فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتى أحداً من تلك القبائل إلا قال : قومُ الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يُصْلحنا وقد أفسد قومَه ولفظوه !

وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيي بن سعيد الأموى ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن العباس . قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاأرى لى عندك ولا عند أخيك مَنعة ، فهل أنت مُخْرجى إلى السوق غداً حتى نقرّ فى منازل قبائل الناس » وكانت مَجْمع العرب .

قال : فقلت : هذه كِنْدَة ولفُّها ، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن ، وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك .

قال : فبدأ بكندة فأتاهم فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من أهل اليمن . قال: من أى اليمن ؟ قالوا: من كندة . قال : من أى كندة ؟ قالوا : من بنى عمرو بن معاوية .

قال : فهل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو ؟

قال : « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه ، أن كندة قالت له : إن ظفرتَ تجعل لنا المُلْك من بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به .

وقال الكلبي : فقالوا : أجئتنا لتصدّنا عن آلهتنا وننابذ العرب ؛ الحقْ بقومك فلا حاجة لنا بك .

فانصرف من عنــدهم فأتى بكرَ بن وائل فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من بـكر بن وائل . فقال : من أى بكر بن وائل ؟ قالوا : من بنى قيس بن ثعلبة .

قال : كيف العَدد ؟ قالوا : كثير مثل الثَّرَى .

قال : فـكيف المنَعَة ؟ قالوا : لامنعــة ، جاوَرْنا فارسَ ، فنحن لانمتنع منهم ولا نجــير عليهم .

قال : « فتجعلون لله عليـكم إن هو أبقاكم حتى تَنزْلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبِّحوا الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين ، وتـكبروه أربعاً وثلاثين ؟ » .

قالوا : ومن أنت ؟

قال : أنا رسول الله . ثم انطلق .

فلما ولَّى عنهم ، قال الـكلبى : وكان عمه أبو لهب يتبعه ، فيقول للناس لا تَقْبلوا قوله . ثم مر أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، هذا فى الذِّروة منا ، فعن أى شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليـه وقالوا : زعم أنه رسول الله .

قال : ألا لاترفعوا برأسه قولاً ، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه .

قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكَر من أمرِ فارس ماذكَر !

* * *

قال الـكلبى : فأخبرنى عبد الرحمن العامرى [1] ، عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رســول الله صلى الله عليــه وسلم ونحن بسوق عكاظ ، فقال : ممن القوم ؟ قلنـا :

---

(١) الأصل : المعايرى . وما أثبته من دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٤٣ .

من بنى عامر بن صعصعة . قال : من أى بنى عامر بن صعصعة ؟ قالوا [١] : بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنَعة [فيكم] [٢] ؟ قلنا : لا يرام ما قِبَلنا ، ولا يُصطلى بنارنا .

قال : فقال لهم : إنى رسول الله ، وآتيكم لتمنعونى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى ، ولا أُكْرِه أحداً منكم على شىء .

قالوا : ومن أى قريش أنت ؟ قال : من بنى عبد المطلب . قالوا : فأين أنت من عبد مناف ؟ قال : هم أولُ مَن كذَّبنى وطردنى .

قالوا : ولكنا لا نَطْردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلِّغ رسالةَ ربك .

قال : فنزل إليهم والقوم يتسوَّقون ، إذ أتاهم بَيْحرة [٣] بن فِراس القُشيرى ، فقال : من هذا الرجل أراه عندكم أُنكره ؟

قالوا : محمد بن عبد الله القرشى . قال : فما لكم وله ؟

قالوا : زعم لنا أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالةَ ربه .

قال : ماذا رددتم عليه ؟

قالوا : بالترحيب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا .

قال بيحرة [٣] : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشدَّ من شىء ترجعون به ، بدأتم [٤] لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومُه أعلم به ، لو آنسُوا منه خيراً لكانوا أسعدَ الناس به ، أتعمدون إلى زَهيق قد طرده قومه وكذَّبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأى رأيتم .

---

(١) الدلائل : قلنا (٢) من الدلائل . (٣) الأصل : بحيرة . وما أثبته عن ابن هشام والسهيلى والطبرى . (٤) المطبوعة : بدءا ثم . وهو تحريف وما أثبته من الدلائل .

ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :قم فالحقْ بقومك، فوالله لولا أنك عنـد قومى لضربت عنقك .

قال : فقام رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى ناقته فركبها ، فغمز الخبيثُ بيحرة شاكلتَها فقمصت برسول الله صلى الله عليه وسلم فألقته .

وعند بنى عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله بمكة ، جاءت زائرة إلى بنى عمها ، فقالت : ياآل عامر ، ولا عامر لى ! أيُصنع هذا برسول الله بين أظهرُكم لا يمنعه أحد منـكم !

فقام ثلاثة من بنى عمها إلى بيحرة واثنين أعاناه ، فأخذ كلٌ رجل منهم رجلًا فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ، ثم علَوا وجوههم لطماً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » .

قال : فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقُتلوا شهداء ، وهم : غطيف [1] وغطفان ابنا سهل، وعروة ، أو عذرة بن عبد الله بن سلمة . رضى الله عنهم .

وقد روى هـذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه ، عن أبيه به .

وهلك الآخرون وهم : بيحرة بن فراس ، وحَزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بنى عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته . والله أعلم .

***

(١) الدلائل : غطريف

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ، فى قصة عامر ابن صعصعة وقبيح رَدِّهم عليه .

وأغربُ من ذلك وأطول مارواه أبو نُعَيم والحاكم والبيهقى ، والسياق لأبى نعيم رحمهم الله ، من حديث أَبَان بن عبد الله البَجَلى ، عن أبان بن تَغْلِب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدثنى على بن أبى طالب ؛ قال :

لما أمر الله رسولَه أن يَعْرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منًى ، حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب .

فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلَّم ، وكان أبو بكر مقدَّما فى كل خير ، وكان رجلا نَسَّابة ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة .

قال : وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم لَهَازِمها ؟ قالوا : بل من هامِها العظمى .

قال أبو بكر : فمن أى هامتها العظمى ؟ فقال : ذُهْل الأكبر .

قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال : لا حُرَّ بوادى عَوف ؟ قالوا : لا .

قال : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء[1] ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال: فمنكم الحَوْفَزَانُ بن شَرِيك قاتل الملوك وسالبها أنفسَها ؟ قالوا : لا .

قال: فمنكم جَسَّاس بن مُرَّة بن ذُهل ، حامى الذِّمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا .

قال : فمنكم المُزْدَلِف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أخوال الملوك من كِنْدة ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أصهار الملوك من لَخْم ؟ قالوا : لا .

قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلستم بذُهْل الأكبر ، بل أنتم ذهل الأصغر .

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم : أبو الملوك .

قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دَغْفَل بن حنظلة الذهلى ، حينَ بقَل وجهُه ، فأخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول :

إن علىَ سائلنا أَنْ نَسْأله   والعبء لا نَعْرفه أو نحملَه

ياهذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، ونحن نريد أن نسألك ، فمن أنت ؟

قال : رجل من قريش .

فقال الغلام : بخ بخ : أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها (١) فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجل من بنى تَيمْ بن مُرَّة . فقال له الغلام : أمْكَنتَ والله الرامىَ من سَواء الثَّغرة ! أفمنكم قصىٌّ بن كلاب الذى قَتل بمكة المتغلبين عليها ، وأجْلَى بقيتَهم وجمع قومه من كل أَوْب حتى أوطنَهم مكة ، ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها ، فسمته العرب بذلك مُجَمِّعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبوكم كان يُدْعَى مُجَمِّعاً   به جَمع الله القبائلَ مِنْ فِهْرِ

فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر: لا .

قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم ، الذى هشَم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عمرو العُلا هشَم الثريدَ لقومه   ورجالُ مكة مُسْنتون عجافُ
سَنُّوا إليه الرحلتين كليْهما   عند الشتاء ورحلة الأصيافِ
كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقت   فالمحُّ خالصهُ لعبدِ مناف

---

(١) الدلائل : أزمة العرب وهداتها .

الرائشين وليس يُعْرَف رائشٌ والقائلين هلمَّ للأضياف
والضاربين الكبشَ يَبْرُق بيضُه والمانعين البَيْضَ بالأسياف
لله دَرُّك لو نزلتَ بدارهم منعوكَ من أَزْلٍ ومن إقرافِ[1]

فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عبد المطلب شَيْبة الحمد ، وصاحب عِير مكة ، ومُطعم طَير السماء والوحوش والسباع فى الفلا ، الذى كأنَّ وجهه قمر يتلألأ فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا .

قال : أفمن أهل الإفاضة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال: لا .
قال : أفمن أهل أهل النَّدوة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل السِّقاية أنت؟ قال : لا .

قال : أفمن أهل الرِّفادة أنت ؟ قال : لا .

قال : فمن المُفيضين أنت ؟ قال : لا .

ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف دَرَّ السيل دَرٌّ يَدْفعهْ يَهيضُه حِيناً وحيناً يرفعه[2]

ثم قال : أما والله ياأخا قريش لو ثبتَّ لخبرتك أنك من زَمعات قريش ولستَ من الذَّوائب .

قال : فأقبل إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتبسم، قال على : فقلت له : ياأبا بكر لقد وقعتَ من الأعرابى على باقِعة[3] : فقال : أجل ياأبا الحسن ، إنه ليس من طامَّةٍ إلا وفوقها طامَّةٌ ، والبلاء مُوكَّل بالقول .

(١) الأزل : الضيق والشدة . والإقراف : التهمة .
(٢) الدلائل : صادف درء السيل سيلا يدفعه يهضبه حينا وحينا يصدعه
(٣) الباقعة : الرجل الداهية .

قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلَّم . قال على : وكان أبو بكر مقدَّما فى كل خير .

فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء مِن عزٍّ فى قومهم . وفى رواية : ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غُرَر فى قومهم ، وهؤلاء غرر الناس .

وكان فى القوم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قَبِيصة ، والمثنىَّ بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

وكان أقربَ القوم إلى أبى بكر مفروقُ بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ، فكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر .

فقال له أبو بكر : كيف العَدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على ألف ، ولن تُغلب ألف مِن قِلَّة .

فقال له : فكيف المنعَة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جَدّ .

فقال أبو بكر : فكيف الحربُ بينكم وبين عدوّكم ؟

فقال مفروق : إنا أشدُّ مانكون لقاءً حين نغضب ، وإنا لنُؤْثر الجيادَ على الأولاد ، والسلاحَ على اللقاح ، والنصرُ من عند الله ، يُدِيلنا مرةً ويُدِيل علينا [مرة] (١) ، لعلك أخو قريش ؟

فقال أبو بكر : إنْ كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا .

فقال مفروق : قد بلغنا أنه يَذْكر ذلك .

---

(١) من الدلائل .

ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال : إلام تدعو يا أخا قريش ؟ (١)
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم] فجلس وقام أبو بكر يُظله بثوبه فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنى رسول الله ، وأن تُؤوونى وتنصرونى حتى أؤدِّى عن الله الذى أمَرنى به ، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله ، وكذَّبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .

قال له : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « قُلْ تعالَوْا أتلُ ماحَرَّم ربُّكم عليكم : ألا تُشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » إلى قوله « ذٰلِكُمْ وَصَّاكم به لعلكم تتَّقون » .

فقال له مفروق : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يأمُر بالعَدْل والإحسان وإيتاء ذى القُرْبى ويَنْهَى عن الفحشاء والمُنْكَر والبَغْى ، يَعِظُكم لعلكم تذكَّرون » .

فقال له مَفْروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفِكَ قومٌ كذَّبوك وظاهروا عليك .

وكأنه أحبَّ أن يَشْركه فى الكلام هانئ بن قَبِيصة فقال : وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا .

فقال له هانىء : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش وصدَّقت قولك ، وإنى أرى أنَّ تَرْكنا دينَنا واتباعنا إياك على دينك لِمَجْلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم نتفكر فى أمرك وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه ، زَلَّةٌ فى الرأى ، وطيشة فى العقل ،

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة .

وقلةُ نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإنَّ من ورائنا قوماً نكْره أن نعقد عليهم عَقْدا . ولكن ترجعُ ونَرجع وتنظر وننظر .

وكأنه أحب أن يَشْركه فى الكلام المثنَّى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حَرْبنا .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتك واستحسنت قولك ياأخا قريش ، وأعجبنى ماتكلمت به ، والجواب هو جوابُ هانئ بن قبيصة ، وتَرْكنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْنِ أحدهما اليمامة ، والآخر السَّماوة[(١)] .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟

فقال له : أما أحدهما فطفوف البَر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نُحْدث حدثا ، ولا نؤوى مُحْدثا . ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك ، فأما ما كان مما يلى بلادَ العرب فذنبُ صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان [مما] يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعَلْنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم الردَّ إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لايقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادَهم وأموالهم ويُفرشكم بناتهم ، أتسبِّحون الله وتقدسونه ؟

فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك ياأخا قريش !

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً » .

(١) اللسان ١٩/١٩٢ : « وإنما نزلنا الصريين اليمامة والسمامة هما تثنية صرى .. وهو كل ماء مجتمع »

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يدى أبى بكر .

قال على : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعلى أيةُ أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ، ماأشرفها ! بها يتحاجَزُون فى الحياة الدنيا .

قال : ثم دفَعْنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم .

قال على : وكانوا صُدَقاء صُبَراء ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة أبى بكر رضى الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً ، فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبى نُصروا » . قال: وكانت الوقعة بقُراقر إلى جنب ذى قار ، وفيها يقول الأعشى :

فدًى لبنى ذُهْل بن شيبانَ ناقتى ... وراكبُها عند اللقاء وقَلَّتِ
همُ ضربوا بالحِنْو حِنْو قُراقر (١) ... مقدمةَ الهامُرْزِ حتى تولَّتِ
فلله عيناً مَن رأى من فوارسٍ ... كذُهل بن شيبانٍ بها حينَ وَلتِ
فثاروا وثُرْنا والمودةُ بيننا ... وكانت علينا غمرةٌ فتجلَّتِ

هذا حديث غريب جداً ، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشِّيم وفصاحة العرب .

وقد ورد هذا من طريق أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر ، مكان قريب من الفرات ، جعلوا شعارهم اسمَ محمد صلى الله عليه وسلم فنُصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك فى الإسلام .

---

(١) الحنو : كل منعرج وكل شىء فيه اعوجاج . ويوم الحنو من أيام العرب .

وقال الواقدى : أخبرنا عبد الله بن وابصة العَبْسى ، عن أبيه ، عن جده قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منازلنا بمِنًى ، ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التى تلى مسجد الخِيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيدَ بن حارثة ، فدعانا فوالله ما أستجبنا له ولا خيرٌ لنا .

قال : وقد كنا سمعنا به وبدعائه فى المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى ، فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدَّقنا هذا الرجل وحملناه حتى نَحُلَّ به وسط بلادنا لكان الرأى ، فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يَبْلغ كلَّ مَبْلَغ .

فقال القوم : دَعْنا منك لاتعرِّضنا لما لا قِبَل لنا به .

وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ميسرة ، فكلَّمه ، فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوَره ، ولكن قومى يخالفوننى ، وإنما الرجلُ بقومه ، فاذا لم يعضدوه فالعِدَى أبعدُ .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج القوم صادرين إلى أهليهم . فقال لهم ميسرة : مِيلوا نأتى فَدَك فإن بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود فأخرجوا سِفْرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى الأمى العربى يركب الحمار ويجتزئ بالكِسْرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجَعْد ولا بالسبط ، فى عينيه حمرة ، مشرق اللون . فإن كان هو الذى دعاكم فأجيبوه وادخلوا فى دينه ، فإنا نحسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه .

فقال ميسرة : ياقوم ألا [إن] هذا الأمر بيِّن .

فقال القوم : نرجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم ، فلم يتبعه أحد منهم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وحجَّ حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يارسول الله والله مازلتُ حريصا على اتباعك من يوم أنخْتَ بنا حتى كان ما كان ، وأبَى الله إلا ماترى مِن تأخُّر إسلامى ، وقد مات عامةُ النفر الذين كانوا معى ، فأين مُدْخَلَهم يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من مات على غير دين الإسلام فهو فى النار .

فقال : الحمد لله الذى أنقذنى . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبى بكر مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدى فقصَّ [خبر] القبائل واحدةً واحدة فذكر عَرْضه عليه السلام نفسَه على بنى عامر وغَسَّان وبنى فَزارة وبنى مُرَّة وبنى حنيفة وبنى سُليم وبنى عبس وبنى نَضْر بن هوازن ، وبنى ثعلبة بن عُكابة ، وكندة وكلب وبنى الحارث بن كعب وبنى عُذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم .

وسياق أخبارها مطولة ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا ولله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسودُ بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن عثمان ، يعنى ابن المغيرة ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف (١) ، فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحملنى إلى قومه فإن قريشا قد منعونى أن أبلِّغ كلامَ ربى عز وجل ؟ » .

---

(١) أى موقف الناس بعرفة .

فأتاه رجل من هَمْدان فقال : ممن أنت ؟ قال الرجل : من همدان . قال : فهـل عنـدَ قومك مِن مَنَعة ؟ قال : نعم !

ثم إن الرجل خشى أن يَخْفِره قومُه ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم فقال : آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عامٍ قابل . قال نعم .

فانطلق ، وجاء وفد الأنصار فى رجب .

وقـد رواه أهل السنن الأربعـة من طرق ، عن إسرائيل به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

فصلٌ

[فى] قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة بعد بيعة ، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتى بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة .

حديث سُوَيد بن صامت الأنصارى

وهو سُوَيد بن الصامت بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسُوَيد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويَعْرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادم يَقْدَم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدَّى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سُوَيد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمراً ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكاملَ لجَلَده وشِعره وشرفه ونَسَبه ، وهو الذى يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالتَه بالغيب ساءك ما يَفْرِى
مقالتُه كالشهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيب مأثورٌ على ثُغْرة النَّحرِ
يسرُّك باديه وتحت أديمه ... تميمةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقِبَ الظهرِ

تُبين لك العينان ماهو كاتمٌ من الغِلِّ والبغضاء بالنظر الشَّزْرِ
فرِشْني بخيرٍ طالمَا قَدْ برَيْتَني وخيرُ الموالى مَنْ يريشُ ولا يَبْرِى

قال : فتصدَّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مجلّة لقمان . يعنى حكمة لقمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىَّ . فعرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام حسَن ، والذى معى أفضلُ من هذا ؛ قرآنٌ أنزله الله علىَّ هو هدًى ونور » .

فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يَبْعُد منه وقال : إن هذا القول حسن .

ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإنْ كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنا لنراه قُتل وهو مسلم . وكان قَتْله قبل بُعاث .

وقد رواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن لَبيد قال : لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج ،

سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم فى خير مما جئتم له » ؟ قال قالوا : وما ذاك ؟

قال : أنا رسول الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأُنزل علىَّ الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدَثا : ياقوم هذا والله خيرٌ مما جئتم له .

فأخذ أبو الحَيْسر أنس بن رافع حفنةً من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا .

قال : فصمت إياس ، وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج .

قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك .

قال محمود بن لبيد : فأخبرنى مَن حضرنى من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكّون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمع .

قات : كان يوم بعاث ، وبُعاث موضع بالمدينة ، كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخارى فى صحيحه ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبى أمامة ، عن هشام ، عن أبيه عن عائشة قالت : كان يوم بعاث يوماً قدَّمه الله لرسوله ، قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد افترق مَلَؤهم وقُتل سَراتهم .

باب

بدء إسلام الأنصار رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهارَ دينه وإعزاز نبيه ، وإنجازَ موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم .

فبَيْنا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : لمّا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « من أنتم ؟ . قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم .

قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ . قالوا : بلى .

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا : إن نبيا مبعوثٌ الآن قد أظلَّ زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم .

فلما كلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض ياقوم تَعْلمون والله إنه النبى الذى توعَّدكم به يهود ، فلا يسبقُنّكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام وقلوا

إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنَقْدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هـذا الدين ، فإنْ يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذُكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار .

قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج .

ومن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ، ومعاذ ابن عَفراء والله أعـلم .

وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عَفْراء ، النَّجَّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن زُرَيق الزُّرْقى . وقُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد بن غنم بن كعب بن سَلمَة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يَزيد[(١)] بن جُشَم بن الخزرج السلمى ، ثم من بنى سواد، وعُقْبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمى أيضاً ، ثم من بنى حَرام . وجابر بن عبد الله بن رِئاب بن النعمان بن سِنان بن عُبيد بن عدى ابن غَنْم بن كعب بن سلَمة السلمى أيضا ، ثم من بنى عُبيد رضى الله عنهم .

وهكذا روى عن الشَّعبي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم : مُعَاذ بن عَفْراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ،

---

(١) ابن هشام : تزيد بالتاء .

وذَكْوان ، وهو ابن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعُوَيم بن ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل .

فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذَ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلا يفقّهنا .

فبعث إليهم مُصْعَب بن عمُير فنزل على أسعد بن زُرارة .

وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما قدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان العام المقبل وافَى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً . وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخْلد بن عامر ابن زُرَيق الزُّرْقى . قال ابن هشام : وهو أنصارى مهاجرى . وعبادة بن الصامت بن قيس ابن أَصْرم بن فِهرْ بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرم البَلَوى ، والعباس بن عبادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلانى ، وعقبة بن عامر بن نابى المتقدم ، وقُطْبة بن عامر بن حديدة المتقدم .

فهؤلاء عشرة من الخزرج .

ومن الأوس اثنان وهما : عُوَيم بن ساعدة ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان .

قال ابن هشام التَّيِّهان يخفف ويثقل كَمَيِّت ومَيْت .

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال : وقيل إنه إراشي وقيل بَلَوى . وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام . قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضربٌ من النبات .

والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهى العقبة الأولى .

وروى أبو نُعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم من قوله فى سورة إبراهيم « وإذ قال إبراهيمُ رَبِّ اجعل هذا البلد آمِناً » إلى آخرها .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَنى ، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحى ، عن عبادة ، وهو ابن الصامت ، قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض الحربُ ، على ألّا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر .

وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب به نحوه .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله أبى إدريس الخَوْلانى ، أن عبادة بن الصامت حدَّثه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى ألاَّ نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وَفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأُخذتم بحَدِّه فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سُترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرُكم إلى الله إن شاء عذَّب وإن شاء غَفر .

وهذا الحديث مخرَّج فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزُّهرى به نحوه .

وقوله : « على بيعة النساء » يعنى على وفق مانزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عامَ الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق مابايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيباً ، فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى غيرما موطن ، كما بيناه فى سيرته وفى التفسير . وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير مَتْلو فهو أظهر . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآنَ ، ويعلمهم الإسلامَ ويفقههم فى الدين .

وقد روى البيهقى عن ابن إسحاق قال : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم ، وهو الذى ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هى الأولى .

قال البيهقى : وسياق ابن إسحاق أتم .

وقال ابن إسحاق : فكان عبد الله بن أبى بكر يقول : لاأدرى ما العقبة الأولى .

ثم يقول ابن إسحاق : بلى لعمرى قد كانت عَقَبةٌ وعقبة .

قالوا كلهم : فنزل مُصعبُ على أسعد بن زُرَارة ، فكان يسمى بالمدينة المُقْرِئ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبى حين ذهب بصرُه ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذانَ بها صلَّى على أبى أمامة . أسعدِ بن زرارة .

قال : فمكث حيناً على ذلك ، لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلَّى عليه واستغفر له .

قال : فقلت فى نفسى والله إن هذا بى لَعَجْز ، ألا أسأله ؟ فقلت : ياأبت مالك إذا سمعت الأذانَ للجمعة صليت على أبى أمامة ؟ فقال : أى بنى كان أولَ من جمع بنا بالمدينة فى هَزم النبيت[١] من حَرَّة بنى بَياضة فى بقيع يقال له : بقيع[٢] الخضمات . قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة ، وفى إسناده غرابة والله أعلم .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيقْيب ، وعبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن أسعد بن زُرَارة خرج بمصعب بن عُمير يريد به دارَ بَنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة ، فدخل

(١) ا : هزم الحرة . وهزم النبيت : جبل على بريد من المدينة . (٢) ابن هشام : نقيع وهى رواية أصوب .

به حائطا من حوائط بنى ظفر على بئر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا فى الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم .

وسعد بن معاذ وأسيد بن الحُضَير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه .

فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبالك ! انْطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة منِّى حيث قد علمت كفيتُك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مَقْدَما .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، وقد جاءك ، فاصدُقِ الله فيه .

قال مصعب : إن يجلس أكلمه .

قال فوقف عليهما متشتما فقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتنا فى دارنا بهذا الرَّعيد(١) الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره .

قال : أنصفت . قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن .

فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعرفنا فى وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهُّله .

ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين .

قالا له : تغتسل فتَطهَّر وتطهِّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلِّى .

---

(١) الأصل : الوعيد .

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت . وقد حُدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليَحْقروك .

قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة ، وأخذ الحربة فى يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا .

ثم خرج إليهما سعد، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟

قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه [من](١) قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان .

قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً رغبتَ فيه قبلتَه ، وإن كرهتَه عزلنا عنك ماتكره .

قال سعد : أنصفتَ ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن .

---

(١) سقطت من المطبوعة . وأثبتها من ا .

وذكر موسى بن عُقْبة أنه قرأ عليه أولَ الزخرف .

قال : فعرَفْنا والله فى وجهه الإسلامَ قبلَ أن يتكلم ، فى إشراقه وتسهُّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين .

قالا : تغتسل فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك ثم تشهد شهادةَ الحق ، ثم نصلى ركعتين .

قال : فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين .

ثم أخذ حربته ، فأقبل عائداً إلى نادِى قومه ومعه أُسيد بن الحُضَير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به مِن عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأَشْهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدُنا وأفضلُنا رأياً وأيمُننا نقيبةً .

قال : فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسَى فى دارِ بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع سعدٌ ومُصْعَب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقاما عنده يدعوان الناسَ إلى الإسلام ، حتى لم تَبْق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمونَ .

إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخَطمة ، ووائل ، وواقِف ، وتلك أوس ، وهم من الأوس بن حارثة .

وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأَسْلَت واسمه صَيْفى . وقال الزبير بن بَكَّار : اسمه الحارث . وقيل عبيد الله . واسم أبيه الأَسْلَت عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مُرَّة بن مالك بن الأوس . وكذا نسبه الكلبى أيضاً

وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعدَ الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرُب من أشعار أمية بن [أبى] الصَّلت الثَّقفى .

* * *

قال ابن إسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب وبلغ البلدانَ ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حىٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين ذُكر وقبل أن يذكر ، من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود .

فلما وقع أمرُه بالمدينة وتحدّثوا بما بَيْنَ قريش فيه من الاختلاف ، قال أبو قيس بن الأَسْلَت أخو بنى واقف .

قال السهيلى : هو أبو قيس صِرمة بن أبى أنس ، واسم أبى أنس قيس بن صِرْمة بن مالك بن عَدى بن عمرو بن غَنْم بن عدى بن النجار ، قال : وهو الذى أنزل فيه وفى عمر « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم(١) » الآية .

قال ابن إسحاق : وكان يحبُّ قريشاً ، وكان لهم صِهراً ، كانت تحته أرنبُ بنت أسد ابن عبد العزّى بن قُصَى ، وكان يقيم عندهم السنينَ بامرأته .

قال قصيدةً يعظِّم فيها الحُرْمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب ، ويَذْكر فضلَهم وأحلامهم ويذكِّرهم بلاء الله عندهم ودَفْعه عنهم الفيلَ وكَيده ، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ مُغَلْغَلةً(٢) عنّى لؤىَّ بن غالب
رسولُ امرئٍ قد راعه ذاتُ بينكم على النَّأْيِ محزونٍ بذلك ناصبِ

(١) سورة البقرة ١٨٧ .
(٢) المغلغلة : الرسالة .

وقد كانَ عندى للهموم مُعَرَّسٌ ولم أَقضِ منها حاجتى ومآربى
نُبيتُكم شَرْجَيْنِ كلُّ قبيلة لها أَرْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطبِ (١)
أُعيذُكمُ باللهِ من شرِّ صُنْعكم وشَرِّ تباغيكم ودَسِّ العقاربِ
وإظهارِ أخلاقٍ ونَجْوى سقيمةٍ كوَخْزِ الأَشافى (٢) وقعُها حقٌّ صائبِ
فذكِّرْهمُ باللهِ أولَ وَهْلة وإحلالِ أحرامِ الظِّباءِ الشوازبِ (٣)
وقُلْ لهمُ واللهُ يحكم حكمَه ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكم فى المَراحبِ
متى تَبْعثُوها تبعثُوها ذَميمةً هى الغُولُ للأَقْصَيْنَ أو للأقاربِ
تقطِّع أرحاماً وتُهلك أمةً وتَبْرِى السَّديفَ من سَنامٍ وغاربِ
وتستبدلوا بالأَتْحَمية بعدَها شليلاً وأصداءً ثيابَ المحاربِ (٤)
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سوابغاً كأنَّ قتيرَيْها عيونُ الجنادبِ (٥)
فإياكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم وحَوضاً وخيمَ الماءِ مُرَّ المشاربِ
تزَيَّنُ للأقوامِ ثم يَرَوْنها بعاقبةٍ إذْ بَيَّنَتْ أمَّ صاحبِ (٦)
تحرِّق لا تَشْوِى ضعيفاً وتَنْتَحى ذَوى العزِّ منكم بالحُتوفِ الصوائبِ
ألم تَعلمُوا ما كان فى حربِ داحِسٍ فتعتبروا، أو كان فى حَربِ حاطبِ
وكم ذا أصابَتْ مِنْ شريفٍ مُسوَّدٍ طويلِ العمادِ ضيفُه غيرُ خائبِ
عظيمِ رمادِ النارِ يُحمد أمرُه وذى شيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المَضاربِ
وماءٍ هُريقَ فى الضلال كأنما أذاعت به ريحُ الصَّبا والجنائب
يخبِّركم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ بأيامها والعِلمُ علمُ التجاربِ

---

(١) شرجين : فريقين مختلفين . والأرمل : الصوت المختلط والمذكى : موقد النار . (٢) الأشافى : جمع إشفى وهى المخرز (٣) الشوازب : الضامرة البطون . (٤) الأتحمية : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة والأصداء : جمع صداء الحديد . (٥) القتير : حلق الدرع . والجنادب : الجراد .
(٦) أم صاحب : أى عجوزا، كأم صاحب لك .

فبيعوا الحرابَ مِلْمُحارب واذكروا حسابكمُ ، واللهُ خيرُ محاسب
ولىٌّ امرئٍ فاختار دِيناً فلا يكنْ عليكم رقيباً غيرُ ربِّ الثواقبِ
أقيموا لنا دِيناً حنيفاً فأنتمُ لنا غايةٌ ، قد يُهتدى بالذوائبِ
وأنتم لهذا الناس نورٌ وعِصْمةٌ تُؤَمُّون والأحلامُ غيرُ عوازبِ
وأنتم إذا ماحُصِّل الناسُ جوهرٌ لكم سُرَّة البطحاء شُمُّ الأرانب
تصونون أنساباً [١] كراماً عتيقةً مهذَّبةَ الأنسابِ غيرَ أشائبِ
يرى طالبُ الحاجات نحوَ بيوتكم عَصائبَ هَلْكَى تهتدى بعَصائبِ
لقد علِمَ الأقوامُ أن سَراتكم على كل حالٍ خيرُ أهل الجَباجبِ [٢]
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنَّةً وأقْولُه للحقِّ وَسْط المواكبِ
فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتمسَّحوا بأركانِ هذا البيتِ بَيْنَ الأخاشبِ
فعندكُمُ منه بَلاءٌ ومَصْدَقٌ غداةَ أبى يَكْسُوم هادِى الكتائبِ
كتيبتُه بالسَّهْل تَمْشِى ورَجْلُه على القاذفاتِ فى رءوس المَناقبِ
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش رَدَّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصبِ
فولَّوا سراعاً هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهله مِلْحُبْش غيرُ عصائبِ
فإن تَهْلِكوا نَهْلِك وتَهْلكْ مواسمٌ يُعاش بها ، قولُ امرئٍ غيرِ كاذبِ

* * *

وحرب داحس التى [٣] ذكرها أبو قيس فى شعره كانت فى زمن الجاهلية مشهورة وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد مَعْمَر بن المثنّى وغيره : أن فرساً يقال لها داحس كانت لقيس بن زُهير بن جُذيمة بن رَواحة الغَطَفانى ، أجراها [٤] مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو

---

(١) ابن هشام : أجسادا . (٢) الجباجب : المنازل . (٣) الأصل : الذى .
(٤) الأصل : أجراه . وفى ابن هشام بالتذكير فى كل المواضع .

ابن جُؤَيَّـة الغطفانى أيضاً ، يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقا فأمر حذيفة من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَل بن بَدْر فلطم مالـكا .

ثم إن أبا جنيدب العبْسى لقى عوفَ بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فَزارة مالـكاً فقتله ، فشبَّت الحربُ بين بنى عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفة الخَطَّار والحنفاء ، والأول أصح .

قال : وأما حرب حاطب [فيعنى حاطب][1] بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج إليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبـة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وهو الذى يقال له ابن فُسحُم[2] فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج ، فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود[3] بن الصامت الأوسى قتله المجذَّر بن ذياد حليف بنى عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً .

* * *

والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشَرٌ كثير .

ولم يَبْقَ دار ، أى محلة ، من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات ، غير دار بنى واقف قبيلة أبى قيس ، ثبطهم عن الإسلام .

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : قسحم بالقاف . وما أثبته عن شرح القاموس .
(٣) ابن هشام : سويد بن صامت .

وهو القائل أيضا :

أربَّ الناس أشياءٌ ألمّت ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذلولِ
أربَّ الناس إمَّا إنْ ضَلَلْنا ... فيَسِّرْنا لمعروفِ السَّبيلِ
فلولا ربُّنا كنَّا يهوداً ... وما دينُ اليهود بذى شُكولِ
ولولا ربنا كنَّا نصارَى ... مع الرهبان فى جَبَلِ الجَليلِ
ولكنا خُلِقْنا إذْ خُلقنا ... حَنيفاً دينُنا عَنْ كلِّ جيلِ
نَسُوق الهَدْىَ تَرْسُف مُذْعناتٍ ... مكشَّفَةَ المناكبِ فى الُجلولِ

وحاصل مايقول : أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فتوقَّفَ الواقِفِيُّ فى ذلك مع علمه ومعرفته .

وكان الذى ثبَّطه عن الإسلام أولًا عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلُول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذى بشَّر[به] يهود فمنعه عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : ولم يُسْلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج .

وأنكر الزبير بن بَكَّار أن يكون أبو قيس أسلَم . وكذا الواقدى . قال : كان عزَم على الإسلام أولَ ما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلامَه عبدُ الله بن أُبىّ فحلفَ لا يُسْلم إلى حَوْلٍ ، فمات فى ذى القعدة .

وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه [أسد] الغابة ؛ أنه لما حضره الموتُ دعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فسُمع يقول : لا إله إلا الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من الأنصار ، فقال: « ياخال قُلْ لا إله إلا الله » فقال: أخالٌ أم عم ؟ قال : بل خالٌ . قال : نخيرٌ لى أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

تفرد به أحمد رحمه الله .

وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفى أراد ابنُه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأنزل الله « ولا تَنْكِحوا ما نَكَح آباؤكم من النساء [1] » الآية .

***

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيي الأموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا ترهَّب فى الجاهلية ولَبِس المسُوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهَّر من الحائض من النساء ، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب ، وقال : أعبد إله إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها .

حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن إسلامه .

وكان شيخا كبيراً ، وكان قوَّالا بالحق معظما لله فى جاهليته ، يقول فى ذلك أشعاراً حسانًا ، وهو الذى يقول :

يقول أبو قيسٍ وأصبحَ غادياً ... ألا ما استطعتم مِنْ وَصَاتِى فافعلُوا
فأوصيكُمُ بالله والبِرِّ والتُّقى ... وأعراضَكم ، والبرُّ بالله أولُ
وإنْ قومُكم سادُوا فلا تَحْسُدُنَّهم ... وإنْ كنتمُ أهلَ الرياسة فاعدِلوا
وإن نزلَتْ إحدى الدَّواهى بقومكمْ ... فأنفسَكم دونَ العشيرة فاجعلوا
وإن نابَ غرمٌ فادحٌ فارفقوهمُ ... وما حَمَّلوكم فى المُلِمَّات فاحملوا
وإنْ أنتم أَمْعَزْتمُ [2] فتعفَّفوا ... وإنْ كان فضلُ الخير فيكم فأَفْضِلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سَبِّحوا الله شَرْقَ كلِّ صباحٍ ... طلعَتْ شمسُه وكلِّ هلالِ

(١) سورة النساء ٢٢ . (٢) أمعزتم : أصابتكم شدة .

عالم السرِّ والبيانِ جميعاً ليس ماقال ربنا بضَلالِ (١)
وله الطيرُ تستزيدُ وتأوِى فى وكورٍ مِنْ آمناتِ الجبالِ
وله الوحشُ بالفَلاَةِ تراها فى حِقَافٍ (٢) وفى ظلالِ الرمالِ
وله هوَّدت يهودُ ودانتْ كلَّ دينٍ مخافةً من عُضالِ (٣)
وله شمَّس النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالِ
وله الراهبُ الحبيسُ تراه رَهْنَ بُؤْسٍ وكان أنعمَ (٤) بالِ
يابَنِيَّ الأرحامَ لا تقطعوها وصِلُوها قصيرةً مِنْ طِوَالِ
واتقوا الله فى ضعافِ اليتامىَ ربما يُستَحلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أنَّ لليتيم ولياً عالماً يهتدى بغيرِ سؤالِ
ثم مالَ اليتيم لا تأكلوه إنّ مالَ اليتيم يرعاه والى
يابنىّ التُّخومَ لا تخزلوها إنّ خزلَ التُّخوم ذو عُقَّالِ (٥)
يابنىّ الأيامَ لا تأمَنوها واحذروا مكرَها ومرَّ الليالى
واعلموا أن مرَّها (٦) لنفاد الخلق ما كان مِنْ جديدٍ وبالِ
واجمعوا أمرَكم على البِرِّ والتقوى وترْكِ الخَنا وأخذِ الحلالِ

قال ابن إسحاق : وقال أبو القيس صِرْمة أيضا يذكُر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم :

ثوَى فى قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يذكِّر لو يَلْقَى صَدِيقاً مواتيا

وسيأتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

---

(١) ابن هشام : لدينا . (٢) الحقاف : جمع حقف : وهو المعوج من الرمل أو المستدير منه .
(٣) ابن هشام : إذا ذكرت عضال . (٤) ابن هشام . ناعم بال . (٥) التخوم : الحدود . وتخزلوها : تقطعوها والعقال مايمنع الرجل من المشى . (٦) الأصل : أمرها . وما أثبته عن ابن هشام .

قصة بيعة العقَبة الثانية

قال ابن إسحاق : إنّ مُصْعَب بن عُمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قَدِموا مكة فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقَبةَ من أواسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيِّه وإعزازِ الإسلام وأهلِه [وإذلال الشرك وأهله] (١) .

فحدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك ، أن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعْلَم الأنصار ، حدثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان ممن شهد العقبةَ وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال :

خرجنا فى حُجَّاج قومِنا من المشركين ، وقد صلَّينا وفقِهنْا ومعنا البَرَاء بن مَعْرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجَّهنا لسَفَرنا وخرجنا من المدينة قال البرَاء : ياهؤلاء إنى قد رأيتُ رأيا ، والله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدَع هذه البَنِيَّة منى بظهر ، يعنى الكعبة ، وأن أصلِّى إليها .

قال : فقلنا والله ما بلَغنا أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم يصلِّى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه .

فقال : إنّى لَمصلٍّ إليها . قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل .

قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلَّينا إلى الشام وصلَّى هو إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة [قال : وقد كنا عِبْنا عليه ما صنع وأبَى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا

---

(١) من ابن هشام .

مكة][1] قال لى : يا بن أخى انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعتُ فى سفَرى هذا ، فإنه قد وقع فى نفسى منه شىء ، لِمـا رأيت من خلافكم إياىَ فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفان العباسَ بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يَقْدَم علينا تاجراً ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد ، وإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلَّمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضـل ؟ قال : نعم ، هـذا البراء بن معرور سيـد قومـه ، وهـذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ماأنسى قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ؟

فقال له البراء بن معرور : يانبىَّ الله ، إنى خرجت فى سَفَرى هذا قد هدانى الله تعالى للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البَنِيَّة منى بظَهر ، فصلَّيتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى ؟

قال : « قد كنتَ على قِبْلةٍ لو صبرتَ عليهـا » .

قال : فرجع البراء إلى قبلةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى معنا إلى الشام .

---

(١) من ابن هشام .

قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

* * *

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيدٌ من سادتنا أخذناه ، وكنا نَكْتم مَن معنا مِن قومنا من المشركين أمْرَنا ، فكلمناه وقلنا له : ياأبا جابر إنك سيدٌ من سادتنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً . ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقَبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نَقِيبا .

وقد روى البخارى ، حدثنى إبراهيم ، حدثنا هشام ، أن ابن جُرَيج أخبرهم ، قال عطاء ، قال جابر : أنا وأبى وخالاى[٢] من أصحاب العقَبة . قال عبد الله بن محمد : قال ابن عُيينة : أحدهما[٢] البراء بن معرور . حدثنا على بن المدِينى ، حدثنا سفيان ، قال كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بى خالاى العقبةَ .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن أبى الزبير عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، عُكاظ[١] ومَجِنَّة ، فى المواسم ، يقول : «من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلِّغ رسالة ربى وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إنّ الرجل ليخرج من اليمن

---

(١) المسند : بعكاظ . (٢) الأصل : « خالى » و « أحدهم » وما أثبته من صحيح البخارى .

أو من مضر ، كذا قال فيه ، فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلامَ قريش لا يَفْتِنْك. ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع .

حتى بعثَنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويُقْرِئه القرآن فينقلب إلى أهله فيُسْلمون بإسلامه ، حتى لم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام .

ثم ائتمروا جميعا فقلنا : حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف[1] ويُطرد فى جبال مكة ويَخاف ؟

فرحَل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شِعْبَ العقَبة ، فاجتمعنا عندها من رجلٍ ورجلين حتى توافَيْنا فقلنا : يا رسول الله علامَ نبايعك ؟

قال : « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العُسْر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومةَ لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدِمْتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة ، فقمنا إليه [فبايعناه[2]] وأخذ بيده أسعد بن زُرارة وهو من أصغرهم . وفى رواية البيهقى : وهو أصغر السبعين إلا أنا ، فقال : رويداً يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكبادَ الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإنّ إخراجه اليوم مُناوأةٌ للعرب كافةً وقتلُ خياركم و [أن[2]] تعضَّكم السيوف ، فإما أنتم قومٌ تَصْبرون على ذلك ، نخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خِيفةً[3] فذَرُوه ، فبيِّنوا ذلك فهو أعذَرُ لكم عند الله .

---

(١) ليست فى المسند . (٢) من المسند . (٣) المسند : جبنة . أى جبنا .

قالو أمِطْ (١) عنا ياأسعد ، فوالله لا ندع هذه البَيْعَة ولا نَسْلبها أبداً .

قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرَط ويعطينا على ذلك الجنة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقى من طريق داود بن عبد الرحمن العطار .

زاد البيهقى عن الحاكم ، بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى إدريس به نحوه .

وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وقال البزَّار : وروى غير واحد عن ابن خُثَيم ، ولا نعلمه يُروى عن جابر إلا من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزِّناد ، عن موسى بن عبد الله ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخَذْتُ وأعطيتُ .

وقال البزَّار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا قُبَيصة ، حدثنا سفيان ، هو الثَّورى ، عن جابر ، يعنى الجُعْفِى ، عن داود ، وهو ابن أبى هند ، عن الشَّعبى ، عن جابر ، يعنى ابن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء من الأنصار : « تؤوونى وتمنعونى ؟ » قال : نعم . قالوا : فما لنا ؟ قال : « الجنة » .

ثم قال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

***

ثم قال ابن إسحاق عن مَعْبَد ، عن عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فنِمْنا تلك الليلةَ مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول

---

(١) الأصل : أبط . وهو تحريف . وما أثبته من المسند .

الله صلى الله عليه وسلم نتسلَّل تسلُّلَ القَطَا مُسْتَخْفِين ، حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا نَسِيبَةُ بنت كعب أم عُمَارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى إحدى نساء بنى سلَمة ، وهى أم مَنِيع .

وقد صرح ابن إسحاق فى رواية يونس بن بُكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد فى بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ماتحذف الكسْر .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عُقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرُهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله .

قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا فى الشِّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمرَ ابن أخيه ويتوثَّق له .

فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج — قال : وكانت العرب إنما يُسمون هذا الحىَّ من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها — إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثلِ رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبَى إلا الانحيازَ إليكم واللحوقَ بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ، وإنْ كنتم ترون أنكم مُسْلِموه وخاذلوه بعدَ الخروج إليكم فمن الآن فدَعُوه ، فإنه فى عزة ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ماقلت ، فتكلَّمْ يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال : فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب فى الإسلام ، قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال : نعم، فوالذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا (١) ، فبايِعْنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر .

قال : فاعترض القولَ ، والبراء يكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إنّ بَيْنَنا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها ، يعنى اليهود ، فهل عَسَيْت إن فعلنا ذلك ثم أظهرَك الله أن ترجع إلى قومك وتدَعنا ؟

قال : فتبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:« بل الدَّمَ الدم ، والهَدْمَ الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيباً ، يكونون على قومهم بما فيهم » .

فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعةً من الخزرج وثلاثةً من الأوس .

قال ابن إسحاق : وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرَارة المتقدم ، وسعد بن الرَّبيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة [بن ثعلبة] (٢) بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العَجْلان المتقدم ، والبَرَاء بن معرُور بن صخر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبيد بن عَدى ابن غَنْم بن كعب بن سلَمة بن سعد بن على بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن

(١) أزرنا : نساءنا . والعرب تكنى بالإزار عن المرأة وتكنى به عن النفس أيضا .
(٢) من ابن هشام .

الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقـدم ، وسعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن [أبي] خُزَيمة (١) بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعة من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة وهم : أُسَيد بن حُضَير بن سِماك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة ابن غَنْم بن السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُنير (٢) بن زيد بن أميـة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس .

* * *

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التيِّهان بدلَ رفاعة هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق ، واختاره السُّهيلي وابن الأثير في الغابة .

* * *

ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذَكره من شِعر كعب بن مالك في ذِكْر النُّقباء الاثني عشر هذه الليلة ، ليلة العقَبة الثانية ، حين قال :

أبلغْ أُبيًّا أنه فالَ (٣) رأيُه ... وحانَ غَـداة الشِّعْبِ والحَيْنُ واقعُ

أَبَى الله مامَنَّتْك نفسُك إنه ... بمِرْصادِ أمرِ النـاسِ راءٍ وسامعُ

---

(١) في غريب السيرة لأبي ذر : ابن أبي حزيمة .　　(٢) الاستيعاب : ابن زبير .

(٣) فال : بطل .

وأبلغْ أبا سُفْيان أَنْ قد بَدَا لنـا ... بأحمدَ نورٌ مِنْ هُـدَى الله ساطعُ
فلا تَرْغَبَنْ فى حَشْدِ أمرٍ تُريده ... وألِّبْ وَجمِّع كلَّ ما أنت جامعُ
ودونَك فاعلمْ أنَّ نَقْضَ عهودِنا ... أباه عليك الرهطُ حين تبايعوا
أباه البَراء وابنُ عمرو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ
وسعدٌ أباه الساعدىُّ ومُنْذرٌ ... لأَنْفك إنْ حاولتَ ذلك جادِعُ
وما ابنُ رَبيع إن تناولتَ عهده ... بمُسْلمه لا يَطْمَعَنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضاً فلا يعطيكه ابنُ رَوَاحةٍ ... وإخْفارُه من دونه السمُّ ناقعُ
وفاءٌ به والقَوْقَلى ابنُ صامتٍ ... بمَنْدوحةٍ عما تحاولُ يافعُ
أبو هَيْثمٍ أيضاً وفىٌّ بمثلها ... وفاءً بما أعطى من العهد خانع(١)
وما ابن حُضَيْر إن أردتَ بمُطْمِعٍ ... فهل أنت عن أُحْموقة الغَىِّ نازعُ
وسعْدٌ أخو عمرو بن عوفٍ فإنه ... ضَرُوحٌ(٢) لما حاولت مِلْأمرِ مانعُ
أولاكَ نجومٌ لا يُغِبُّك منهمُ ... عليك بنَحْسٍ فى دجى الليل طالعُ

قال ابن هشام : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولم يذكر رفاعة .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلّية فى هذه الليلة .

* * *

وروى يعقوب بن سفيان ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن مالك قال : كان الأنصار ليلة العقبة سبعين رجلا ، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وحدثنى شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أُسيَد بن حُضَير أحد النقباء تلك الليلة .

(١) خانع : خاضع مقر .   (٢) ضروح : مانع .

رواه البيهقى .

وقال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء كَكفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى . قالوا : نعم .

وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارى أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم .

قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنْهِكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قَتْلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إنْ فعلتم خِزْىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقَتْلِ الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فمالنا بذلك يارسول الله إن نحن وَفينا ؟

قال : « الجنة » .

قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عُبادة ذلك ليشدَّ العَقْد فى أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبى بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخِّر البيعةَ تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول سيد الخزرج ، ليكون أقوَى لأمر القوم . فالله أَعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فبنوا النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أولَ من ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق : وحدثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن مَعْرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابن الأثير في الغابة : وبنو سلِمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك .

وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب ، عن أبيه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحبُّ أن لى بها مَشْهَد بدر ، وإن كانت بدرٌ أكْثَرَ(١) فى الناس منها .

***

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا عمرو بن السَّماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا زكريا بن أبى زائدة ، عن عامر الشَّعْبى قال : انطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : ليتكلَّم متكلمكم ولا يُطل الخطْبة فإنّ عليكم من المشركين عيناً ، وإنْ يعلموا بكم يفضحوكم .

فقال قائلهم ، وهو أبو أمامة : سلْ يا محمد لربك ما شئت ، ثم سَلْ لنفسك بعد ذلك ماشئت ، ثم أخبرْنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك .

(١) البخارى : بدر أذكر . وفى المطبوعة : بدرا كثير . تحريف .

قال : أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك .

قال : لكم الجنة .

قالوا : فلك ذلك ؟

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مُجَالِد ، عن الشَّعبى ، عن أبى مسعود الأنصارى ، فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم .

وقال أحمد عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبى ، قال : فما سمع الشِّيبُ والشبان خطبةً مثلها .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن مُحمش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذُّهْلى ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرَّقى ، حدثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة ، عن أبيه ، قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن نقول فى الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة .

فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى بايعناه عليها .

وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد روى يونس عن ابن إسحاق ، حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ،

عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بايعنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومَنْشَطنا ومَكْرَهنا وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم .

* * *

قال ابن إسحاق فى حديثه عن معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأَنْفَذ صوتٍ سمعته قط : يا أهل الجَبَاجب — والجباجب المنازل — هل لكم فى مُذَمَّم والصُبَّاء معه قد اجتمعوا على حربكم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هــذا أَزَبُّ العقبة ، هذا ابن أَزْيب[1] » .

قال ابن هشام : ويقال ابن أُزَيب .

« أتسمع أىْ عدوَّ الله ، أما والله لأتفرغن[2] لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضُّوا إلى رحالكم .

قال : فقال العباس بن عبادة بن نَضْلة : يا رسول الله والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلَنَّ على أهل منًى غداً بأسيافنا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

قال : فرجعنا إلى مضاجعنا فنِمنا فيها حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَتْ علينا جِلَّةُ قريش حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج

---

(١) الأصل : أزبب ، وما أثبته من ابن هشام.

(٢) ابن هشام : لأفرغن .

إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه مِن بين أظهُرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هناك مِن مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه .

قال : وصدقوا ، لم يعلموا ، قال وبعضُنا ينظر إلى بعض .

قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان .

قال : فقلت له كلمة ، كأنى أريد أن أُشْرِكَ القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر أمَا تستطيع أن تتخذ وأنت سيدٌ من سادتنا مثل نعلَىْ هذا الفتى من قريش ؟

قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىّ . قال والله لتنتعلنهما .

قال يقول أبو جابر : مه أحْفَظْتَ والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال قلت : والله لا أردُّهما ، فألٌ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لأسْلُبنَّه !

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبىّ بن سَلُول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ما كان قومى ليتفرقوا[1] على مثل هذا ، وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه .

قال : ونفَر الناسُ من منًى ، فتنطَّس القومُ الخبَر فوجدوه قد كان ، فخرجوا فى طلب القوم .

---

(١) ابن هشام : ليتفوتوا على بمثل هذا .

فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً .

فأما المنذر فأعجزَ القوم ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْع[1] رَحْله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمَّته ، وكان ذا شَعر كثير .

قال سعد : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفرٌ من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلوٌ من الرجال ، فقلت فى نفسى : إن يَكُ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا .

فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة ، فقلت فى نفسى : لا والله ماعندهم بعدَ هذا من خير ! .

فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوَى لى رجل ممن معهم ، قال : ويحك ! أمَا بَيْنك وبين أحد من قريش جوارٌ ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجيرُ لجُبَير بن مُطْعِم تُجَّاره وأمنعهم ممن أراد ظُلْمهم ببلادى ، وللحارثِ بن حرب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بَيْنك وبينهما .

قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن لَيُضرب بالأبطح لَيهتِف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عُبادة . قالا : صدَق والله ، إنْ كان لَيُجير لنا تُجَّارنا ويمنعهم أن يُظْلَمُوا ببلده .

قال : فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكَم سعداً سهيلُ ابن عمرو .

(١) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .

قال ابن هشام : وكان الذى أَوَى له أبو البَخْتَرِى بن هشام .

وروى البيهقى بسنده عن عيسى بن أبى عيسى بن جبير قال : سمعتْ قريشٌ قائلا يقول فى الليل على أبى قُبيَس :

فإنْ يَسلم السَّعْدان يُصْبِحْ محمدٌ بمكة لا يَخْشَى خلافَ المخالفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : مَن السَّعدان ؟ أسعدُ بن بكر أم سعد بن هُذَيم ؟ .

فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلا يقول :

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُنْ أنت ناصراً ويا سعدُ سعدَ الخَزْرَجين الغَطَارفِ
أجيبا إلى داعى الهُدَى وتمنَّيَا على الله فى الفردوس مُنْيَة عارفِ
فإنَّ ثوابَ الله للطالب الهُدَى جِنَانٌ من الفردوس ذاتُ رَفَارِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

﴿ فصل ﴾

قال ابن إسحاق : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها .

وفى قومهم بقايا من شيوخٍ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمَة .

وكان ابنه مُعاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجَمُوح من سادات بنى سلَمة وأشرافهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب فى داره يقال له مَناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذه إلها يعظِّمه ويظهره ، فلما أسلم فتيانُ بنى سلَمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يُدْلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض

حُفر بنى سلَمة وفيها عَذِرُ الناسِ منكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم مَن عدَا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيَّبه وطهره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأُخزينه . فإذا أمسى ونام عمرو عدَوا عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه. ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنعْ ، هذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عَذر من عذر الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده فى تلك البئر منكَّسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلَّمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسُن إسلامه، فقال حين أسلم ، وعرف من الله ماعرف ، وهو يذكر صنمَه ذلك وما أبصرَ من أمره، ويشكر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لو كنتَ إلٰهاً لم تكن ... أنت وكلبٌ وَسْط بئر فى قَرَنْ
أُفٍّ لِملقاك إلٰهاً مُستَدنْ ... الآن فَتّشناك عن سوء الغَبَنْ
الحمد لله العلىِّ ذى المِنَنْ ... الواهب الرزّاق ديّان الدِّيَنْ
هو الذى أنقذنى من قبل أنْ ... أكون فى ظُلْمةِ قبرٍ مُرْتَهَنْ

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

وجملتهم على ماذكره ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلا :

أُسيد بن حُضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان بَدْرى أيضاً ، وسَلَمة بن سلامة ابن وَقَش بَدْرى ، وظُهير بن رافع ، وأبو بُرْدة بن نِيار(١) ، ونُهَير بن الهيثم بن نابى بن مَجْدعة بن حارثة ، وسعد بن خَيْثمة أحد النقباء ، بدرى وقتل بها شهيدا ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُنير نقيب بَدْرى ، وعبد الله بن جُبَير بن النعمان بن أمية بن البُرَك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجدّ بن عَجْلان بن الحارث ابن ضُبَيعة البَلَوِى حليف للأوس شهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعُوَيم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها .

ومن الخزرج اثنان وستون رجلا :

أبو أيوب خالد بن زيد ، وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث ، وأخواه عوف ومُعوّذوهم بنو عَفْراء بَدْريون ، وعُمَارة بن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ، وأسعد بن زُرَارة أبو أمامة أحد النقباء ، مات قبل بدر ، وسَهل بن عَتيك ، بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل ، بدرى ، وقيس بن أبى صَعْصَعة عمرو بن زيد بن عوف

---

(١) الأصل : دينار وهو خطأ . والتصويب من الكنى والأسماء للدولابى . واسمه هانئ بن نيار ابن عمرو بن عبيد بن كلاب .

ابن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيّة ، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدراً وقتـل يوم أحد .

وعبـد الله بن روَاحة أحد النقباء ، شهد بدرا وأُحداً والخندق . وقتل يوم مُؤتة أمـيرا ، وبَشِير بن سعد ، بدرى ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أُرِىَ النداء ، وهو بدرى .

وخَلاَّد بن سُوَيد بدرى أُحُـدى خَنْدَقى ، وقتل يوم بنى قُرَيظة شهيـداً ، طُرحت عليه رحًى فشدَخَتْه ، فيقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

وأبو مسعود عُقبة بن عمرو البدرى . قال ابن إسحاق : وهو أحْدَثُ من شهد العقَبة سنًّا ولم يشهد بدراً .

وزياد بن لَبيد ، بدرى ، وفَرْوة بن عمرو بن وذَفة[1] وخالد بن قيس بن مالك بدرى ، ورافع بن مالك أحد النقباء ، وذَكْوَان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زُرَيق ، وهو الذى يقال له مهاجرىّ أنصارى ، لأنه أقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر منهـا ، وهو بدرى قتل يوم أحد ، وعبّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدرى ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضاً .

والبَرَاء بن مَعْرور أحد النقباء وأولُ من بايع فيما تزعم بنو سلمة ، وقد مات قبـل مَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم على ورثته .

---

(١) الأصل : ودفة . وهى رواية . وما أثبته من الاشتقاق لابن دريد ٤٦١ قال : والوذفة زعموا الروضة . قال ابن هشام ويقال : ودفة .

وابنه بِشْر بن البَرَاء ، وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيدا مِن أكله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة المسمومة ، رضى الله عنه ، وسِنَان بن صَيْفِىّ ابن صَخْر بدرى ، والطُّفَيل بن النُّعمان بن خَنساء بدرى ، قتل يوم الخندق ، ومَعْقِل بن المُنْذر بن سَرْح بدرى، وأخوه يزيد بن سنان المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سُبَيع ، والضَّحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى ، ويزيد بن خذام[(١)] بن سُبيع ، وجَبَّار بن صخر [بن أمية][(٢)] بن خنساء بن سنان بن عُبيد بدرى ، والطُّفيل بن مالك بن خنساء بدرى .

وكعب بن مالك ، وسُلَيم بن عامر بن حديدة بدرى ، وقُطْبة بن عامر بن حديدة بدرى ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى ، وصَيْفِىّ ابن سَواد بن عبَّاد .

وثعلبة بن غَنَمة بن عدى بن نابى ، بدرى واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى ، وعَبْس بن عامر بن عدى ، بَدْرى ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى، وعبد الله بن أُنيس حليف لهم من قضاعة .

وعبد الله بن عمرو ين حَرام أحد النقباء ، بدرى واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر ابن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح بدرى ، وثابت بن الجِذْع ، بدرى وقتل شهيداً بالطائف ، وعُمير بن الحارث بن ثعلبة بدرى ، وخَديج بن سلَامة حليفٌ لهم[(٣)] من بَلِىّ ، ومعاذ بن جبل شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عِمْواس فى خلافة عمر بن الخطاب .

وعُبَادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة ، وقد أقام بمكة حتى هاجر منها ، فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وقُتل يوم أحد

(١) الاستيعاب : ابن حرام . (٢) من ابن هشام .
(٣) أى لبنى حرام بن كعب .

شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرَم حليف لهم [من بنى غُصينة][1] من بَلِىّ وعمرو بن الحارث بن لبْدَة[2] ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدرى ، وعقبة ابن وهب بن كَلْدة حليفٌ لهم[3] بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها ، فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عُبَادة بن دُلَيم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيبٌ بدرى أُحُدى وقتل يوم بئر مَعُونة أميراً وهو الذى يقال له: أُعْتق ليموت .

وأما المرأتان فأم عُمارة نَسِيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو ابن غَنْم بن مازن بن النجار ، المازنية النجّارية .

قال ابن إسحاق : وقد كانت شهدت الحربَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها حَبيب[4] وعبد الله .

وابنها حَبيب[5] هذا هو الذى قتله مُسَيْلمة الكذّاب حين جعل يقول له : أتشهد أنّ محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه ، لا يزيده على ذلك ، فكانت أم عُمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتل مسيلمة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة . رضى الله عنها .

والأخرى أم مَنِيع أسماء ابنة عمرو بن عَدِى بن نابِى بن عمرو بن سَواد بن غَنم بن كعب بن سلمة . رضى الله عنها .

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : كندة والتصويب من ابن هشام . (٣) أى لبنى سالم بن غنم
(٤) كذا ضبطه الزرقانى بفتح النون . (٥) الأصل خبيب وما أثبته عن ابن هشام .

باب

بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو يومئذ بمكة ـ للمسلمين : « قد أُريتُ دارَ هجرتكم ، أريت سَبِخةً ذات نخْل بَيْن لابتَيْن » .

فهاجر من هاجر قِبلَ المدينة حين ذَكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجَع إلى المدينة مَن كان هاجَر إلى أرض الحبشة من المسلمين .

رواه البخارى .

وقال أبو موسى : عن النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام أنّى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهبَ وَهلِي إلى أنها اليمامة أو هَجَر ، فإذا هى المدينة يثرب » .

وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله .

ورواه مسلم كلاهما عن أبى كُرَيب . زاد مسلم وعبد الله بن مراد ، كلاهما عن أبى أسامة ، عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة ، عن جده أبى بردة، عن أبى موسى عبد الله ابن قيس الأشعرى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو ، حدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامرى ، عن على بن الحسن بن شقيق، حدثنا عيسى بن عبيد الكِنْدى، عن غَيْلان بن عبدالله العامرى

عن أبى زُرْعة بن عمرو بن جَرِير ، عن جرير ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله أوحى إلىَّ أى هؤلاء البلاد الثلاثة نزلتَ فهى دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قِنَّسرِين » .

قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة ، فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب(١) جداً ، وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حُرَيث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عبيد ، عن غَيْلان بن عبد الله العامرى ، عن أبى زُرْعة بن عمر بن جَرير ، عن جرير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أوحى إلى أىّ هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات ، إلا أنه قال : روى عن أبى زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة. والله أعلم .

* * *

قال ابن اسحاق : لمّا أذن الله تعالى فى الحرب بقوله « أُذِن للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلموا ، وإن الله على نصرهم لقَدير ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حَق إلا أن يقولوا ربُّنا الله(٢) » الآية .

فلما أذن الله فى الحرب وتابَعَه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصرة له ، ولمن

---

(١) قال الزرقانى : صححه الحاكم وأقره الذهبى فى تلخيصه ، لكنه قال فى الميزان : حديث منكر ، ما أقدم الترمذى على تحسينه بل قال غريب . وقال الحافظ : فى ثبوته نظر ، لمخالفته ما فى الصحيح . شرح المواهب ١/٣١٨ . (٢) سورة الحج ٣٩، ٤٠ .

اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جَعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » .

فخرجوا إليها أرسالا .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يَأْذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقَبة بسنَة ، حين آذته قريش مَرْجِعه من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى ، عن سلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة ، عن جدته أم سلمة قالت : لما أجْمَع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لى بعيره ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره .

فلما رأته رجالُ بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسُك غلَبْتَنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علامَ نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خِطَامَ البعير من يده وأخذونى منه .

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رَهْط أبى سلَمة ، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ،

وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغـيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة .

قالت : ففرِّق بينى وبين ابنى وبين زوجى .

قالت : فـكنت أخرج كلَّ غداة فأجلس فى الأبطَح ، فما أزال أبـكى حتى أمْسِى، سنةً أو قريبا منها .

حتى مرَّ بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرَحِمَنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تُحرِّجون من هذه المسكينة ؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ !

قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت .

قالت : فردَّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى ، قالت : فارتحلتُ بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة .

قالت : وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار ، فقال : إلى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وبنىّ هذا . فقال : والله ما لكِ مِنْ مَتْرَكٍ .

فأخذ بخِطَام البعير فانطلق معى يَهْوِى بى ، فو الله ما صحبتُ رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيَّده فى الشجر ، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرَّواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحَّله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى . فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى .

فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدَمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف

بقُبَاء قال : زوجُك فى هذه القرية ، وكان أبو سلمة بها نازلا ، فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

فكانت تقول : ما أعلمُ أهلَ بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان بن طلحة .

أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبْدَرى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقُتل يوم أحد أبوه وإخوته ؛ الحارث وكلاب ومُسَافِع ، وعمه عثمان بن أبى طلحة . ودفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيحَ الكعبة ، أقرَّها عليهم فى الإسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى : « إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها[1] » .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدِمها من المهاجرين بعد أبى سلمة ، عامرُ بن ربيعة حليف بنى عَدِى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة العدوية . ثم عبد الله بن جحش ابن رِئَاب بن يَعْمُر بن صَبِرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد بن خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ، أبى أحمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلى : والأول أصح .

وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعةُ بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

فغُلقت دار بنى جحش هِجْرةً ، فمرَّ بها عتبةُ بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب

---

(١) سورة النساء ٥٨ .

وأبو جهل بن هشام وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تَخْفُق أبوابُها يبَاباً ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَداء وقال :

وكلُّ دارٍ وإن طالَتْ سلامتُها … يوماً ستُدْرِكها النَّكْباء والحُوبُ

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبى دُؤاد الإيادى فى قصيدة له . قال السهيلى : واسم أبى دؤاد حنظلة بن شرقى وقيل حارثة .

ثم قال عُتْبة : أصبحت دار بنى جحش خَلاءً من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكى عليه من قُلِّ بن قل[1] ثم قال ، يعنى للعباس : هذا مِن عَمل ابن أخيك ، هذا فرَّق جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وقطَع بيننا .

* * *

قال ابن إسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقُباَء على مبشّر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا .

قال : وكان بنو غَنْم بن دُودَان أهلَ إسلام قد أَوْعَبوا إلى المدينة هجرةً رجالُهم ونساؤهم وهم : عبد الله بن جحش ، وأَخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأَرْبَد بن حُمَيرة[2] ومنقذ بن نُبَاتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نَضْلة ، وزيد بن رُقَيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسَخْبَرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رُقَيْش ، وسَخْبرة بنت تميم .

---

(١) القل : الواحد .

(٢) ويقال فيه : ابن حميرة . وابن حمير .

قال أبو أحمد بن جحش فى هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأَتْنى أمُّ أحمــــد غادِياً ... بذِمَّـــةِ مَنْ أخشَى بغَيْبٍ وأَرهبُ

تقول فأمَّا كنتَ لابُدَّ فاعــــلا ... فيَمِّم بنـــا البلدانَ ولْتَنأْ يثربُ

فقلت لهـــا : مايثربٌ بمَظِنَّةٍ [1] ... وما يَشأ الرحمن فالعبـــدُ يَركبُ

إلى الله وجهى والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلى الله يوماً وجهَـــه لا يخيَّبُ

فكَمْ قد تركْنَا من حَميمٍ مُناصحٍ ... وناصحـــةٍ تبكى بدَمْع وتَنْدُبُ

تَرى أن وَتْراً نَأْيُنـــا [2] عن بلادنا ... ونحن نرى أنَّ الرغائبَ نَطْلبُ

دعـــوتُ بنى غَنْم لحقْنِ دمائهم ... وللحقِّ لمّا لاح للنـــاس مَلْحَبُ

أجابوا بحمدِ الله لمــــا دعاهمُ ... إلى الحق داعٍ والنجـاحِ فأوعبُوا

وكنا وأصحاباً لنــــا فارقوا الهُدَى ... أعانوا علينـــا بالسلاحِ وأجلبُوا

كفَوْجَيْن أما منهمـــا فموفَّقٌ ... على الحق مهدىٌّ وفوجٌ معـــذَّبُ

طَغـــوْا وتمنَّوا كِذْبةً وأزلَّهم ... عن الحق إبليسٌ فخابوا وخَيَّبـــوا

ورُعْنـــا إلى قولِ النبىِّ محمدٍ ... فطابَ ولاةُ الحق منَّا وطُيِّبـــوا

نَمُتُّ بأرحامٍ إليهم قريبـــةٍ ... ولا قُرْبَ بالأرحامِ إذ لا تُقرَّبُ

فأىُّ ابنُ أختٍ بعـــدَنا يأمنَنَّكمْ ... وأيةُ صِهرٍ بعـــد صهرىَ يُرْقَبُ

ستَعْلم يوماً أيُّنـــا إذْ تزَايلوا ... وزُيِّلَ أمـــرُ الناس للحقِّ أَصْوَبُ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعَيَّاش بن أبى ربيعـةَ ، حتى قدما المدينة .

---

(١) ابن هشام : فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا . (٢) الأصل : نائيا . وهو تحريف وما أثبته عن ابن هشام .

فحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : اتَّعدنا لمّا أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعَيَّاش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص التناضُبَ من إضاة بنى غِفَار فوق سَرِف ، وقلنا : أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس ، فليَمْض صاحباه .

قال : فأصبحتُ أنا وعياش عند التناضب ، وحُبس هشام وفتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمِّهما ، حتى قدِما المدينةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلماه وقالا له : إن أمك قد نذرت أن لا يمسَّ رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك . فرقَّ لها ، فقلت له : إنه والله إنْ يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت !

قال : فقال : أبرُّ قسمَ أمى ، ولى هنالك مال فآخذه . قال : قلت : والله إنك لتعلم أنى لَمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما .

قال : فأبَى علىَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أمَّا إذ فعلتَ مافعلت فخذ ناقتى هذه ، فإنها ناقة نَجيبة ذَلول فالزم ظهرها ، فإن رابَك من أمر القوم ريبٌ فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعقبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدَوْا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن .

قال عمر : فكنا نقول : لا يقبلُ الله ممن افتتن توبةً . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم .

حتى قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنزل الله : « قُلْ يَٰعِبادِىَ الذينَ أَسْرَفواْ على أنفسهم لا تَقْنَطواْ من رحمةِ الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفورُ الرحيم . وأَنِيبُوٓاْ إِلىٰ ربِّكم وأَسْلِمواْ له مِنْ قبلِ أنْ يأتيَكم العذابُ ثم لا تُنْصَرون . واتَّبِعوٓاْ أحسنَ مآ أُنزل إليكم من رَّبِّكم مِن قَبْلِ أن يأتيكم العذابُ بَغْتةً وأنتم لا تشعرون »(١) .

قال عمر : وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص .

قال هشام : فلما أتتنى جعلت أقرأها بذى طُوًى أصعِّد بها وأُصوِّب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم فهِّمْنيها ، فألقَى الله فى قلبى أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا .

قال : فرجعتُ إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وذكر ابن هشام أن الذى قدم بهشام بن العاص، وعَيَّاش ابن أبى ربيعة إلى المدينة الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر فدميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبَعٌ دَمِيتِ وفى سبيل الله ما لقيتِ

* * *

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شُعْبة ، أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء قال : أولُ من قدِم علينا مُصْعبُ بن عُمير وابن أم مَكْتوم ، ثم قدِم علينا عَمَّار وبلال .

وحدثنى محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ، سمعت البرَاء

---

(١) سورة الزمر ٥٣ـ٥٥.

ابن عازِب قال : أولُ من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يُقْرِئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهلَ المدينة فرحوا بشيء فرَحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جعل الإماء يقلن : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما قدِم حتى قرأتُ « سبِّح اسمَ ربك الأعلى » فى سور من المفصل .

ورواه مسلم فى صحيحه من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب بنحوه .

وفيه التصريح بأن سعد بن أبى وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهرى أنه إنما هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب ماتقدم .

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سُراقة بن المعتمر ، وخُنَيس بن حُذافة السَّهمى زوج ابنته حفصة ، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وواقد بن عبد الله التميمى حليفٌ لهم، وخَوْلى بن أبى خولى ، ومالك بن أبى خولى حليفان لهم من بنى عِجل ، وبنو البُكَير إياس وخالد وعاقل وعامر ، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة عبد المنذر بن زُنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء .

***

قال ابن إسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم . فنزل طلحة بن عبيد الله وصُهيب بن سِنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقال : بل نزل طلحة على أسعد بن زُرَارة .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النَّهْدى أنه قال : بلغنى أن صُهَيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيراً فكَثُر مالك عندنا وبلغتَ الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ ! والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلُّون سبيلى ؟ قالوا : نعم .

قال : فإنى قد جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « رَبِح صهيب ، ربح صهيب » .

وقد قال البيهقى : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ، إملاء ، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن مِيكال ، أخبرنا عبدان الأهوازى ، حدثنا زيد بن الجريش ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا حصين بن حذيفة بن صَيْفى بن صهيب ، حدثنى أبى وعمومتى ، عن سعيد بن المسيَّب، عن صُهيب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريت دارَ هجرتكم سَبِخةَ بين ظَهْرانى حَرَّتين ، فإما أن تكون هَجَر أو تكون يثرب » .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدَّنى فتيانٌ من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه . ولم أكن شاكيا ، فناموا . فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ماسرتُ يريدون ليردُّونى ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقىَ من ذهب وتخلون سبيلى وتوفون لى ؟ ففعلوا فتبعتهم إلى مكة . فقلت : احفروا تحت أسكُفَّة الباب فإنّ بها أواقى ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتين .

وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُبَاء قبل أن يتحوَّل منها،

فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت : يارسول الله ماسبقنى إليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

* * *

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مَرْثِد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغَنَويَّان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مَوْلَيا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهَدْم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيثمة وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . والله أعلم .

قال : ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ، ومِسْطَح بن أثاثة وسُوَيبط ابن سعد بن حُريملة أخو بنى عبد الدار ، وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصى ، وخَبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقباء[1] ، ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رُهْم على منذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاَح بالعصبة دار بنى جحجبى ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة .

قال ابن إسحاق . وقال الأموى : على خبيب بن إساف أخى بنى حارثة . ونزل عتبة بن غَزْوان على عَبَّاد بن بِشر بن وقَش فى بنى عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس ابن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار .

---

(١) ابن هشام : أخى بلحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَبا . والله أعلم أى ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى أحمد بن أبى بكر بن الحارث بن زُرارة ابن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : قدمنا [من] مكة فنزلنا العُصْبة[1] ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة ، فكان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

(١) العصبة : موضع بقباء .

فصـــــل

فى سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة

قال الله تعالى « وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا » .

أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء ، أنْ يَجْعل له مما هو فيه فَرَجا قريبا ومَخْرجا عاجلا ، فأذِن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة النبوية ، حيثُ الأنصارُ والأحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلُها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شَيْبة، عن جَرِير ، عن قابوس بن أبى ظبيان[1] ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأُمر بالهجرة وأُنزل عليه : « وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا » .

وقال قَتَادة : « أدخلنى مُدْخَل صدق » المدينة « وأخرجنى مُخْرَج صدق » الهجرة من مكة « واجعل لى مِنْ لدنك سلطانا نصيراً » كتابُ الله وفرائضه وحدوده .

* * *

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعدَ أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَن له فى الهجرة .

---

(١) ح : قابوس بن أبى طهمان .

ولم يتخلف معه بمكة إلا من حُبس أو فتن ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة رضى الله عنهما .

وكان أبو بكر كثيراً مايستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له « لا تَعْجَل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يَـكُونه .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قد صار له شِيعةٌ وأصحابٌ مِن غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منَعة .

فحَــذِروا خروجَ رسول الله صـلى الله عليـه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمعَ لحربهم .

فاجتمعوا له فى دار النَّدوة ، وهى دار قُصَى بن كِلَاب التى كانت قريش لا تَقْضى أمراً إلا فيهـا ، يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صـلى الله عليـه وسلم حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدَّثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر ، عن عبد الله بن عباس ، وغيرُه ممن لا أتهم ، عن عبد الله عباس ، قال : لمـا اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدَوْا فى اليوم الذى اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزَّحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله فى صورة شيخ جليل عليـه بَتٌّ له (١) فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابهـا قالوا : مَن الشيخ ؟ قال : شيخٌ من أهـل نجد ، سمع بالذى اتَّعدتم له فحضر معكم ليسمع ماتقولون ، وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأيا ونصحا . قالوا : أجل فادخل .

(١) البت : الـكساء الغليظ . وفى المطبوعة : بتلة ، وهو خطأ .

فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش : عُتبة وشيبة ، وأبو سفيان ، وطعيمة ابن عـدى ، وجبير بن مطعم بن عـدى ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وأبو البَخْترى بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل ابن هشام ونَبِيه ومُنبه ابنا الحجاج ، وأمية بن خلَف ، ومن كان منهم ، وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان مِن أَمْره ما قد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا .

قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم ، قيل إنه أبو البَخْترى بن هشام : احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهَيرا والنابغة ومَنْ مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لـكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليَخرجنَّ أمرُه من وراء الباب هـذا الذى أغلقتُم دونَه إلى أصحابه ، فلأَوْشَـكوا أن يَثِبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يُـكَاثروكم به حتى يَغْلبوكم على أمركم ، ما هـذا لـكم برأى .

فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهُرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نُبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرَغْنا منه فأصلحنا أمرَنا وأُلْفَتنا كما كانت .

قال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لـكم برأى ، ألم ترَوْا حُسْنَ حديثه وحلاوةَ منطقه وغلبَته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ ! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يَحلَّ على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم

إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمرَكم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أَدِيروا فيه رأياً غيرَ هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمُه فى القبائل جميعها ، فلم يَقْدر بنو عبد مناف على حرب قومِهم جميعا ، فرضُوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : يقول الشيخ النجدى : القولُ ماقال الرجل ، هذا الرأىُ ولا رأىَ غيره .

فتفرق القوم على ذلك وهم مُجْمعون له .

فأتى جبرائيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لاتبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

قال : فلما كانت عَتَمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدونه حتى ينام فيَثِبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانَهم قال لعلى بن أبى طالب : نَمْ على فراشى وتسجَّ ببردى هذا الحضْرمى الأخضر ، فنم فيه فإنه لن يَخْلصُ إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التى ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدى بأسانيده ، عن عائشة وابن عباس وعلى وسُراقة بن مالك بن جُعْشُم وغيرهم ، دخل حديثُ بعضهم فى بعض ، فذكر نحو ماتقدم .

* * *

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيدُ بن أبى زِيَاد، عن محمد بن كَعْب القُرَظى ، قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل قال وهُم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجَم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جِنَانٌ كجنان الأردُنّ ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذَبْحٌ ، ثم بُعثتم بعدَ موتكم ، ثم جُعلت لكم نارٌ تُحْرقون فيها .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم » .

وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل يَنْثر ذلك الترابَ على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات : « يٰس . والقرآنِ الحكيمِ . إنَّك لَمِن الْمُرْسَلين على صِراطٍ مُسْتَقيم » إلى قوله : « وجعلنا مِنْ بَيْن أيديهم سَدًّا ومِنْ خَلْفهم سَدًّا فأغشيناهم فهم لايُبْصرون » ولم يَبْقَ منهم رجلٌ إلا وقد وضَع على رأسه ترابا .

ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ماتنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا . فقال: خيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون مابكم ؟ !

قال : فوضع كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرون عليًّا على الفراش متسجِّيا ببُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه بردُه ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علىٌّ عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدَقنا الذى كان حدَّثنا .

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قولُه تعالى : « وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا ليُثْبِتوك أو يقتلوك أو يُخْرِجوك ، ويَمْكُرون ويمكُرُ الله ، والله خيرُ الماكرين »[1] وقوله « أَمْ يقولون شاعرٌ نتربَّص به ريبَ المَنُون قل تربَّصوا فإنِّى معكم مِن المُتَربِّصين »[2] .

قال ابن إسحاق : فأذِن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة .

(١) سورة الأنفال ٣٠ .　　(٢) سورة الطور ٣١ .

باب

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة

ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أولُ التاريخ الإسلامى ، كما اتفق عليه الصحابة فى الدولة العُمَرية . كما بينَّاه فى سيرة عمر ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

قال البخارى : حدثنا مَطر بن الفضل ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، حدثنا عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : بُعث النبى صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث فيها ثلاث عشرة يوحَى إليه ، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة .

وقد كانت هجرته عليه السلام فى شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام ، وذلك فى يوم الإثنين .

كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس ، أنه قال : ولد نبيكم يوم الإثنين ، وخرج من مكةَ يومَ الإثنين ، ونبِّئَ يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين ، وتوفى يوم الاثنين .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فقال له : لا تَعْجَل لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسَه .

فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما إعداداً لذلك . قال الواقدى : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فحدَّثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت : كان لا يُخْطىء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيتَ أبى بكر أحدَ طرفى النهار إمّا بُكرة ، وإما عشيَّة .

حتى إذا كان اليومُ الذى أَذِن الله فيه رسولَه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظَهْرَى قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها .

قالت : فلما رآه أبو بكر قال :ماجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الساعة إلا لأمر حدث .

قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله(١) صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجْ عنِّى مَن عندك » قال : يارسول الله إنما هما ابنتاى ، ، وما ذاك فداك أبى وأمى ؟

قال : إن الله قد أَذِنَ لى فى الخروج والهجرة .

قالت : فقال أبو بكر : الصحبةَ يارسول الله ؟ قال : الصحبة .

قالت : فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى !

ثم قال : يانبى الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا .

---

(١) ابن هشام : وليس عند أبى بكر .

فاستأجرا عبدَ الله بن أَرْقَط[1] قال ابن هشام: ويقال عبد الله بن أُرَيْقط. رجلاً من بني الدِّيل بن بكر، وكانت أمه من بني سَهم بن عمرو، وكان مشركاً، يدلُّهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم، فيما بلغنى، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ حين خرج إلا علىّ بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر.

أما علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَرَه أن يتخلَّف حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائعَ التى كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لمَا يعلم من صدقه وأمانته.

قال ابن إسحاق: فلما أجْمَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [الخروجَ][2] أتى أبا بكر ابن أبى قحافة، فخرجا من خَوخة لأبى بكر فى ظهر بيته.

وقد روى أبو نُعيم من طريق إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، قال: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال.

« الحمد الله الذى خلَقنى ولم أَكُ شيئا، اللهم أعنّى على هَوْل الدنيا، وبوائقِ الدهر، ومصائِب الليالى والأيام.

اللهم اصحَبْنى فى سفَرى، واخلُفْنِى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذَلِّلنى، وعلى صالح خُلقى فقَوِّمنى، وإليك رَبِّ فحَبِّبْنى، وإلى الناس فلا تكِلْنى.

ربَّ المستضعفين وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات

---

(١) الأصل: أرقد: وما أثبته عن ابن هشام.
(٢) من ابن هشام.

والأرض ، وكُشفت به الظلمات ، وصَلُح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تُحِلَّ علىّ غضبَك ، أو تنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفَجْأةِ نقمتك ، وتحوُّل عافيتك وجميع سخطك . لك العُتْبى[1] عندى خير ما استطعتُ ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم عَمَدا إلى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخلاه .

وأمر أبو بكر الصديق ابنَه عبد الله أن يتسمَّع لهما مايقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسَى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبَر .

وأمر عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار .

فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبَر .

وكان عامر بن فُهيرة يرعى فى رُعْيَان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنمَ أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدَا عبدُ الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامرُ ابن فهيرة أثره بالغنم يعفِّى عليه .

وسيأتى فى سياق البخارى مايشهد لهذا .

وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَق الصدِّيقَ فى الذهاب إلى غارِ ثور ، وأمر عليًّا أن يدلَّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه فى أثناء الطريق .

---

(١) الأصل : العقبى

وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

* * *

قال ابن إسحاق : وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمسَتْ بما يُصْلحهما .

قالت أسماء : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطَم خدّى لطمة طرَح منها قُرْطى ، ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه ، عن جدته أسماء قالت: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر مالَه كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، فانطلق بها معه .

قالت : فدخل علينا جدى أبو قُحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنِّى لأراه قد فجعَكم بماله مع نفسه .

قالت : قلت : كلاَّ يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذتُ أحجاراً فوضعتها فى كوَّةٍ فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغٌ لكم .

ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك !

* * *

وقال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر قَبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

وهذا فيه انقطاع من طرفيه ..

وقد قال أبو القاسم البَغوى : حدثنا داود بن عمرو الضبِّى ، حدثنا نافع بن عمر الُجمَحى ، عن ابن أبى مُلَيكة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأبو بكر إلى ثَور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى صلى الله عليه وسلم مرةً ، وخلْفه مرة . فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفَك خشيتُ أن تؤتَى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى مِن خلفك .

حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور ، قال أبو بكر : كما أنت حتى أُدْخل يدى فأحسَّه وأقصَّه ، فإن كانت فيه دابةٌ أصابتنى قبلَك .

قال نافع : فبلغنى أنه كان فى الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شىء يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مرسَل . وقد ذكرنا له شواهد أخر فى سيرة الصديق رضى الله عنه .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنبأنا موسى بن الحسن ، حدثنا عبَّاد ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا السَّرِىّ بن يحيى . حدثنا محمد بن سيرين ، قال : ذَكر رجالٌ على عهد عمر ، فكأنهم فضَّلوا عمرَ على أبى بكر ، فبلغ ذلك عمرَ فقال : والله لَلَيْـلَةٌ من أبى بكر خيرٌ من آل عمر ، ولَيومٌ من أبى بكر خير من آل عمر !

لقد خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل

يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطَّلَب فأمشى خلفْك ، ثم أذكر الرَّصَد فأمشى بين يديك . فقال : يا أبا بكر لو كان شىء لأحببتَ أن يكون بك دونى ؟ قال : نعم والذى بعثك بالحق .

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسولَ الله حتى أَسْتبرئَ لك الغارَ ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل .

ثم قال عمر : والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر .

وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رِجْلاَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغارَ سدد تلك الأَجْحرة كلَّها وبقى منها جحر واحد ، فألقمه كعبَه ، فجعلت الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن إن الله معنا » .

وفى هذا السياق غرابة ونكارة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو . قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا عباس الدُّورى ، حدثنا أسود بن عامر شاذان ، حدثنا إسرائيل ، عن الأسود ، عن جُنْدب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ، فأصاب يدَه حجر فقال :

إنْ أنت إلا إصبعٌ دَمِيتِ وفى سبيل الله ما لَقِيتِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، أخبرنى عثمان الجَزَرى ، أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله تعالى « وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا ليُثْبِتُوك » قال : تشاورت قريش ليلةً بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأَثْبِتوه بالوثاق ، يريدون النبى صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم: بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات علىٌّ على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا عليًّا رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدرى .

فاقتفوا أَثرَه ، فلما بلغوا الجبلَ اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أَحد لم يكن نسجُ العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال .

وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

[وقال الحافظ(١) أبو بكر أحمد بن على بن سعيد القاضى فى مسند أبى بكر ، حدثنا بَشَّار الخَفَّاف، حدثنا جعفر وسليمان(٢)، حدثنا أبو عمران الجَوْنى ، حدثنا المعلَّى بن زياد ، عن الحسن البصرى ، قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسجَ العنكبوت قالوا : لم يدخل أحدٌ .

---

(١) سقط هذا الخبر من (ا) (٢) كذا ولعله جعفر بن سليمان الضبعى .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائماً يصلِّي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم : هؤلاء قومُك يطلبونك ، أمَا والله ما على نفسى أَئِلُ[1] ولكنْ مخافةَ أن أرى فيك ما أكره .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تَخَفْ إنّ الله معنا » .

وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسنٌ بحاله من الشاهد .

وفيه زيادةُ صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزَنه أمرٌ صلَّى .

وروى هذا الرجل ، أعنى أبا بكر أحمد بن على القاضى ، [عن] عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مُطير ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن أبا بكر قال لابنه : يابنى إذا حدَث فى الناس حدَثٌ فَأْت الغارَ الذى اختبأتُ فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه ، فإنه سيأتيك رزقُك فيه بكرةً وعشيا][2] .

وقد نظم بعضهم هذا فى شعره حيث يقول :

نَسْجُ داودَ ما حَمى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفَخَارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أن حمامتين عشَّشتا على بابه أيضا ، وقد نظم ذلك الصَّرْصرى فى شعره حيث يقول :

فغمَّى عليه العنكبوتُ بنَسْجه ... وظلَّ على الباب الحمامُ يبيضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر ، من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا عمرو بن على ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القَيْسى ، ويلقَّب بعُوَين[3] ، حدثنى أبو مُصْعَب المكِّى ، قال : أدركت زيدَ بن أرقم والمغيرة بن شُعْبة وأنس بن مالك ،

---

(١) أئل : أحزن . (٢) إلى هنا من (ا) . (٣) الأصل : عوين .

يذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلةَ الغار أمر الله شجرةً فخرجت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجَتْ ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وَحْشيتين فأقبلتا تَدِفَّان[1] حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجلٌ ، معهم عِصيّهم وقِسيُّهم وهِرَاواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر مائتى ذراع قال الدليل ، وهو سراقة بن مالك بن جُعْشم المُدْلجى : هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضَع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة . حتى إذا أصبحوا[2] قال : انظروا فى الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم قدرَ خمسين ذراعا ، فإذا الحمامتان ، فرجع[3] فقالوا : ما ردَّك أن تنظر فى الغار؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين بفَم الغار ، فعرفت أنْ ليس فيه أحد .

فسمعها النبى صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما ، أى برّك عليهما ، وأَحْدَرهما الله إلى الحرَم فأفرَخا كما ترى .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ، قد رواه الحافظ أبو نُعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عَون بن عمرو ، وهو الملقب بعُوَين ، بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين .

وفى هذا الحديث أن القائف الذى اقتفى لهم الأثرَ سُراقة بن مالك المُدْلجى .

وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه أن الذى اقتفى لهم الأثر كُرْز بن علقمة .

---

(١) الدفيف من الطائر : مره فوق الأرض أو أن يحرك جناحاه ورجلاه فريق الأرض .
(٢) الأصل : أصبحن . وهو تحريف . (٣) الأصل : ترجع . وهو تحريف .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر . والله أعلم .

* * *

وقد قال الله تعالى : « إلاَّ تَنْصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانىَ اثنين إذ هُما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تَحْزَن إنَّ الله معنا . فأنزل الله سَكِينَتَه عليه وأيَّده بجنودٍ لم ترَوْها ، وجعَل كلمة الذين كفروا السُّفْلَى وكلمة الله هى العُلْيا ، والله عزيزٌ حكيم[1] » .

يقول تعالى مؤنِّباً لمن تخلَّف عن الجهاد مع الرسول : « إلّا تَنْصروه » أنتم فإنّ الله ناصِره ومؤيده ومُظْفِره ، كما نصره « إذْ أخرَجه الذين كفروا » من أهل مكة هارباً ليس معه غيرُ صاحبه وصَديقه أبى بكر ليس غيره .

ولهذا قال « ثانىَ اثنين إذ هما فى الغار » أى وقد لجآ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليَسْكُن الطَّلبُ عنهما .

وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا فى طلبهما كلَّ مَذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردَّهما ، أو أحدَهما مائةً من الإبل ، واقتصُّوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الأثر لقريش سُراقةُ بن مالك بن جُعْشُم كما تقدم ، فصعدوا الجبلَ الذى هما فيه ، وجعلوا يمرّون على باب الغار ، فتُحَاذِى أرجلُهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظا من الله لهما .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همَّام ، أنبأَنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن أبا بكر حدثه ، قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار : لو أنّ أحدَهم نَظَر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه .

---

(١) سورة التوبة : ٤٠ .

فقال : « يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما » .

وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث همام به .

وقد ذكر بعضُ أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : لو جاءونا من هاهنا لذهبنا من هنا .

فنظر الصِّديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمُنْكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يَرِدْ ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حَسُن سنده قلنا به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البَزَّار : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا خلَف بن تميم ، حدثنا موسى بن مُطَير القُرشى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بنى إنْ حدَث فى الناس حدثُ فأتِ الغار الذى رأيتنى اختبأتُ فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكُنْ فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غُدْوةً وعَشِية .

ثم قال البزار : لا نَعْلم يرويه غيرُ خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هـذا ضعيف متروك ، وكذَّبه يحيى بن مَعِين فلا يُقْبل حديثه .

* * *

وقد ذكر يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، أن الصِّديق قال فى دخولهما الغارَ ، وسَيْرهما بعد ذلك ، وما كان من قصة سُرَاقة كما سيأتى ، شعراً فمنه قوله :

قال النبىُّ ، ولم أَجْزَع يُوقِّرنى   ونحن فى سُدْفٍ[1] من ظُلْمة الغارِ
لا تَخْشَ شيئاً فإن الله ثالثُنا   وقد توكَّل لى منه بإظْهارِ

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد ، عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم .

وقد روى ابن لِهَيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، قال : فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد الحج ، يعنى الذى بايع فيه الأنصار ، بقيةَ ذى الحجة والمحرم وصفر .

ثم إن مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يحبسوه ، أو يخرجوه ، فأَطْلَعَه الله على ذلك فأنزل عليه : « وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا[2] » الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا فى طلبهما فى كل وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلا .

وقد تقدم عن الحسن البصرى فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضا .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث عن عُقَيل قال ابن شِهاب : فأخبرنى عُروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل أبوىَّ قَط إلا وهما يَدِينان الدِّين ، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بُكَرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغِنة وهو سيد القارَة .

---

(١) ابن هشام : سدفة .   (٢) سورة الأنفال ٣٠ .

فذكرت ما كان من ردِّه لأبى بكر إلى مكة وجواره له . كما قدمناه عند هجرة الحبشة إلى قوله : فقال أبو بكر : فإنى أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قالت : والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إنى أُريت دارَ هجرتكم ذاتَ نخل بين لابتَيْن » وهما الحرّتان .

فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ، ورجع بعضُ من كان هاجر قِبَل الحبشة إلى المدينة .

وتجهز أبو بكر مهاجراً قِبَل المدينة . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلك فإنى أرجو أن يُؤذَن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم .

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورقَ السَّمُر ، وهو الخَبَط ، أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر .

قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى حَرِّ الظهيرة ، فقال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنِّعاً فى ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر !

قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأَذن له ، فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أخرجْ من عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك بأبى أنت يا رسولَ الله .

قال : فإنه قد أُذن لى فى الخروج . فقال أبو بكر : الصحبةَ بأبى أنت وأمى ! قال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحثَّ [١] الجِهَاز ، فصنعنا لهما سُفْرةً [٢] فى جِراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سُميت ذاتَ النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثَور ، فمكثا فيه ثلاثَ ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام شابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ [٣] ، فيُدْلج مِن عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش بمكةَ كبائتٍ ، لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلامُ ، ويرعَى عليهما عامرُ بن فُهَيرة مولى أبى بكر منحةً من غنم فيُريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رِسْل ، وهو لبن منحتِهما ورضيفهما [٤] ، حتى يَنْعق بها عامر بن فهيرة بغَلَس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الدِّيل ، وهو من بنى عبد بن عدى ، هاديا خِرِّيتاً . والخريت : الماهر بالهداية . قد غَمَس [٥] حِلفاً فى آل العاص بن وائل السَّهمى، وهو على دين كفار قريش ، فأَمِنَاه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليلُ ، فأخذ بهم طريق السواحل .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المُدْلجى وهو ابن أخى سُرَاقة ، أن أباه أخبره أنه سمع سراقةَ بن مالك بن جُعشم يقول : جاءنا رُسُل كفار قريش

---

(١) أحث الجهاز : أسرعه . وتروى : أحب الجهاز . (٢) سفرة : زادا .

(٣) ثقف : حاذق . ولقن : سريع الفهم . (٤) الأصل : ورضيعهما . وما أثبته من البخارى . والرضيف : اللبن يغلى بالرضفة (٥) غمس حلفا : عقده . وكانوا يغمسون أيديهم فى جفنة توكيدا للحلف .

يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ديةَ كل واحد منهما لمن قتله أو أسَره .

فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلج ، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : ياسراقة إنى رأيت آنفا أَسْوِدةً[1] بالساحل أراها محمداً وأصحابه .

قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيتَ فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت فى المجلس ساعةً ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تَخْرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ ، وأخذت رمحى فخرجت من ظهر البيت فخططت بزُجِّه[2] الأرضَ وخفضتُ عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها فدفعتها تقرّبُ[3] بى حتى دنوتُ منهم ، فعثرت بى فرسى فخرَرْت عنها ، فقمت فأَهْوَيْت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلامَ ، فاستقسمت بها أضرّهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره . فركبت فرسى وعصيت الأزلامَ .

فجعل فرسى يقرّب بى ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكْثر الالتفات ، ساخَتْ يدَا فرَسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتُها فنهضَتْ ، فلم تكد تُخْرج يديها ، فلما استوت قائمة إذَا لأَثرِ يديها غبارٌ ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ الأزلامَ فخرج الذى أكره .

---

(١) الأسودة : يكنى بها عن الشخص .
(٢) الزج : حديدة تجعل فى طرف الرمح .
(٣) الأصل : ففرت . وما أثبته من البخارى .

فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحَبْس عنهم أنْ سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : إنّ قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبارَ مايريد الناسُ بهم ، وعرضت عليهم الزادَ والمتاع ، فلم يَرْزَآنى(١) ولم يسألانى إلا أن قالا : أَخْفِ عنا . فسألته أن يكتب لى كتابَ أَمْن ، فأمر عامر بن فُهَيرة فكتب لى رقعة من أَدَم . ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد روى محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم ، عن أبيه ، عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ ماخرج من منزله فخرج السهم الذى يكره : لا يضرُّه ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكلُّ ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذى يكره : لايضره . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارةً مابينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: فكتب لى كتابا فى عَظْم ، أو رقعة أو خرقة ، وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرَانة مَرْجِعَه من الطائف ، فقال له « يومُ وفاء وبرٍّ ، ادنه » فدنوت منه وأسلمت .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم .
وهذا الذى قاله جيّد .

ولما رجع سُرَاقة جعل لا يلقَى أحدا من الطَّلب إلا ردَّه وقال : كُفيتم هذا الوجه .

---

(١) الأصل : فلم يردانى وهو تصحيف وما أثبته من صحيح البخارى .

فلما ظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى المدينة ، جَعل سراقة يقصُّ على الناس مارأى وماشاهد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قصة جواده ، واشتهر هذا عنه ، فخاف رؤساء قريش معرَّته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا لإسلام كثير منهم ، وكان سراقة أميرَ بنى مُدْلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ، لعنه الله ، إليهم :

بنى مُدْلجٍ إنى أخاف سفيهكم ... سراقةَ مُسْتَغْوٍ لنصْر محمدِ
عليكم به ألاَّ يفرِّق جَمْعَكم ... فيصبح شتَّى بعد عزٍّ وسؤددِ

قال : فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فى قوله هذا :

أبا حكَمٍ والله لو كنتَ شاهداً ... لأمرِ جوادى إذ تَسُوخ قوائمُهْ
عجبْتَ ولم تَشْكُكْ بأنّ محمداً ... رسولٌ وبرهان فمن ذا يقاومه [1]
عليك فكُفَّ القومَ عنه فإننى ... أخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمرٍ تودُّ النصرَ فيه فإنهم ... وإنَّ جميعَ الناس طُرًّا مُسَالمُهْ

وذكر هذا الشعرَ الأموى فى مغازيه بسنده عن أبى إسحاق ، وقد رواه أبو نُعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد فى شعر أبى جهل أبياتا تتضمن كفراً بليغا .

***

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرنى عُروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى رَكْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض .

---

(١) ا : نبى وبرهان فمن ذا يكلمه .

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يغدون كلَّ غداة إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة .

فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفَى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ[1] من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبَصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين[2] يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهوديُّ أنْ قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جَدُّكم الذى تنتظرون .

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْر الحرَّة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول .

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق مَن جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيِّى أبا بكر ، حتى أصابت الشمسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك .

فلبث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أُسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مِرْبَداً للتمر

---

(١) الأطم : الحصن .　　(٢) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساها إياهم الزبير وطلحة . وقال ابن التين : يحتمل أن معناها مستعجلين ، قال ابن فارس : يقال : بائض أى مستعجل شرح المواهب ١ / ٣٥٠ .

لسُهَيل وسَهْل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمِرْبَد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نَهَبُه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً .

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللَّبِن فى بنيانه ، وهو يقول حين ينقُل اللبن :

هذا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرْ   هــذا أبرُّ رَبَّنا وأَطْهَرْ

ويقول :

لاهُمَّ إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصــار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسمَّ لى . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات .

هذا لفظ البخارى ، وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أخر ، وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية .

ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتبا أولا فأولا .

***

قال الإمام أحمـد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العَنْقَزِىّ (١) ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : اشترى أبو بـكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بـكر لعازب : مُر البراء فليحمله إلى

---

(١) نسب إلى العنقز وهو الريحان ، كان يبيعه أو يزرعه ، مات سنة ١٩٩ يروى عن إسرائيل والثورى . اللباب ٢ / ١٥٦ .

منزلى . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صَنعتَ حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

فقال أبو بكر : خرجنا فأَدْلجنا فأحثَثْنا يومَنا وليلتنـا حتى أَظْهَرْنا وقام قائمُ الظهيرة ، فضربتُ بصرى هل أرى ظِلاً نأوِى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها فإذا بقية ظِلها فسوّيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروةً وقلت : اضطجع يارسول الله . فاضطجع .

ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلَب ، فإذا أنا براعى غنم ، فقلت : لمن أنت ياغلام ؟ فقال : لرجل من قريش . فسماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ! قلت : هل أنت حالبٌ لى ؟ قال نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها ثم أمرته فنفَض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفَّيه من الغبار ، ومعى إدَاوة على فمها خرقة فحلب لى كُثبة[1] من اللبن ، فصبَبْت على القدَح حتى برَد أسفله ، ثم أتيت رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم فوافَيْته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يارسول الله . فشرب حتى رضيت، ثم قلت : هل آن الرحيلُ ؟ فارْتحَلْنا والقوم يطلبوننا .

فلم يدركنا أحدٌ منهم إلا سُرَاقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لا تحزن إنّ الله معنا » .

حتى إذا دنا فـكان بيننا وبينه قدرُ رُمْح ، أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة ، قلت: يارسول الله هذا الطلبُ قد لحقنا ! وبكيت ، قال : لم تبكى ؟ قلت : أما والله ماعلَى نفسى أبكى ، ولـكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكْفِناه بما شئت » فساختْ قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صَلْدٍ ، ووثب عنها وقال : يامحمد قد علمت أن هذا عملُك

---

(١) الـكثبة : القليل من اللبن .

فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمِّين على مَن ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمرُّ بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لى فيها » ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُطلق ورجع إلى أصحابه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس ، فخرجوا فى الطرق [و] على الأناجير(١) ، واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء محمد .

قال : وتنازع القومُ أيهم ينزل عليه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلُ الليلةَ على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أُمر .

قال البراء : أولُ من قَدِم علينا من المهاجرين مُصْعَب بن عُمير أخو بنى عبدالدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنى فِهْر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا ، فقلنا : مافعل رسول الله ؟ قال : هو على أثَرى . ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه .

قال البراء : ولم يَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأت سوراً من المفصّل .

أخرجاه فى الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء : أول من قدم علينا . إلخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به .

* * *

(١) الأناجير : السطوح .

وقال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقَدوه مائةَ ناقةٍ لمن ردَّه عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكَن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسُفْرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصَاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به . فكان يقال لها : ذات النِّطاقين لذلك .

قال ابن إسحاق : فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم له أفضلهما ثم قال : اركب فداكَ أبى وأمى ، فقال رسول صلى الله عليه وسلم : « إنى لا أركب بعيراً ليس لى » قال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى . قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتَها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها بذلك . قال : هى لك يارسول الله .

وروى الواقدى بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القَصْواء ، قال : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم .

وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهى الجَدْعاء . وهكذا حكى السهيلى عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر عامرَ بن فهيرة مولاه خَلْفه ليخدمهما فى الطريق .

فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل ، فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قُرْطها من أذنها كما تقدم .

قالت : فمكثنا ثلاثَ ليال ماندرى أين وجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شِعر غناء العرب ، وإن الناس ليَتْبعونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه رفيقيْنَ حَلَّا خيمتَىْ أمِّ مَعْبَدِ

هما نَزَلَا بالــبرِّ ثُم تروَّحا فأفلَح من أمسَى رفيقَ محمــدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتِهم ومَقْعَدُها للمؤمنين بمَرْصَــدِ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر ابن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط[١] كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أُرَيْقط الدّيلى . وكان إذ ذاك مشركا .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط[١] سلك بهما أسفَل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدًا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الَخرّار[٢] ثم أجاز بهما ثَنِيَّة المرّة ، ثم سلك بهما لِقفاً ، ثم أجاز بهما مَدْلجة لِقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلجة مِجَاج ثم سلك بهما مَرْجَح مجاج ، ثم تبطَّن بهما مَرْجِحَ من ذى العضوين ؛ ثم بطن ذى كَشْر[٣] ، ثم أخذ بهما على الَجداجد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعداء مَدْلجة

(١) الأصل : أرقد . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الخرار : واد أو ماء بالمدينة . (٣) الأصل : كشد ، وما أثبته من معجم البلدان .

تِعْهِنَ[1] ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما القاحةَ ثم هبط بهما العَرْج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم ، فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ مِن أسْلَمَ يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هُنَيدة ، ثم خرج بهما [دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنيَّة العائر عن يمين ركُوبة ، ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام ، حتى هبط بهما بطن رئم ، ثم قدم بهما[2]] قُباء على بنى عمرو بن عوف، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضَّحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نُعيم من طريق الواقدى نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه فى بعضها والله أعلم .

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جَبَلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن السرَّاج ، حدثنا محمد بن عبادة بن موسى العِجْلى ، حدثنى أخى موسى بن عبادة ، حدثنى عبد الله بن سَيَّار ، حدثنى إياس بن مالك بن الأوس الأسَامى ، عن أبيه ، قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مرُّوا بإبل لنا بالجحْفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن هذه الإبل ؟ فقالوا : لرجل من أَسلم . فالتفت إلى أبى بكر فقال : سلمتَ إن شاء الله . فقال : ما اسمك ؟ قال : مسعود . فالتفت إلى أبى بكر فقال : سعـدتَ إن شاء الله .

قال : فأتاه أبى فحمله على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

---

(١) تعهن : عين على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة .

(٢) سقطت من ا

والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما ، لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهى أبعد من الطريق الجادّة .

واجتاز فى مروره على أم مَعْبَد بنت كعب من بنى كعب بن خُزاعة .

قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلَف بن مَعْبَد ابن ربيعة بن أَصْرَم .

وقال الأموى : هى عاتكة بنت تَبيع حليف بنى مُنقذ بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس[(1)] بن حرام بن خَيسة بن كعب بن عمرو .

ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبى معبد ، واسمه أكثم بن عبد العزى ابن معبد بن ربيعه بن أصرم بن صنبيس .

وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

***

وهذه قصة أم معبد الخزاعية :

قال يونس عن ابن إسحاق : فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أمِّ معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، فأرادوا القِرَى فقالت : والله ماعندنا طعام ولا لنا منْحة ولا لنا شاة إلا حائل .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنَمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العُسِّ حتى أرغَى وقال : اشربى ياأم معبد . فقالت : اشرب فأنت أحقُّ به . فردَّه عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل

---

(١) فى الإصابة : خبيس .

أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليلَه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروَّح .

وطلبت قريشٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أمَّ مَعْبَد فسألوا عنه ، فقالوا : أرأيتِ محمداً منْ حِلْيته كذا وكذا ؟ فوصفوه لها .

فقالت : ما أدرى ماتقولون ، قدِمَنا فتًى حالبُ الحائلِ .

قالت قريش : فذاك الذى نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار ، إذا فى الغار جُحْر فألقمه أبو بكر عَقِبَه حتى أصبح ، مخافةَ أن يخرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء .

فأقاما فى الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزل بخيمات أم معبد ، فأرسلت إليه أم معبد: إنى أرى وجوها حساناً ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى .

فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اردد الشَّفْرَة وهات لنا فَرقًا » يعنى القَدَح . فأرسلت إليه أنْ لا لبن فيها ولا ولد . قال : هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترَّت ودرَّت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد .

ثم قال البزَّار : لا نعلمه يُرْوَى إلا بهذا الإسناد ، وعبدالرحمن بن عُقْبة لا نعلم أحداً حدَّث عنه إلا يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفا فى النسب .

وروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنا محمد بن

عبد الرحمن بن أبى ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهانى ، سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أبى بكر الصديق قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : ياعبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد ، فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القِرَى . قال : فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابنٌ لها بأعنز يسوقها ، فقالت : يابنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمى اذبحا هذه وكُلاَ وأطعمانا .

فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم : انطلق بالشفرة وجئنى بالقَدَح . قال : إنها قد عزبت وليس بها ابن ، قال : انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك . فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال : انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم .

فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنَها فعرفه ، فقال : يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت : ياعبدالله من الرجل الذى كان معك؟ قال: أو ماتدرين من هو؟ قالت : لا . قال : هو نبى الله . قالت فأدخلنى عليه .

قال : فأدخلها فأطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاها .

زاد ابن عبدان فى روايته : ـ قالت : فدلَّنى عليه ، فانطلقت معى ، وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من أَقِط ومتاع الأعراب . قال : فكساها وأعطاها .

قال : ولا أعلمه إلا قال : وأسلَمَتْ .

إسناد حسن .

وقال البيهقى : هذه القصة شبيهة بقصة أم مَعْبَد ، والظاهر أنها هى . والله أعلم .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا الحسن بن مُكرم ، حدثنى أبو أحمد بشر بن محمد السُّكَّرى ، حدثنا عبد الملك بن وهب المذْحِجى ، حدثنا أَبْجَر بن الصباح ، عن أبى معبد الخزاعى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلةَ هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقط اللَّيثى ، فمرُّوا بخيمتى أم معبد الخزاعية .

وكانت أم معبد امرأة بَرْزةً جَلْدة تَحْتَبِى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزَكم القِرَى ، وإذا القوم مُرْملون مسنتون .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاةٌ فى كِسْر[(١)] خيمتها فقال : ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : شاةٌ خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم . قال : فهل بها من لبن ؟ قالت : هى أَجْهدُ من ذلك . قال : تأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حَلب فاحلبها .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ، ودعا بإناء لها يُرْبض الرهط[(٢)] فتفاجَّت[(٣)] واجترَّت فحلب فيه ثجًّا

---

(١) كسر الخيمة : جانبها .

(٢) يربض الرهط : يشبعهم حتى يربضوا .

(٣) تفاجت : فرجت مابين رجليها .

حتى ملأه ، فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عَلَلا بعد نَهل ، حتى إذا رووا شرب آخرَهم وقال : ساقى القوم آخرُهم . ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بَدْء ، فغادره عندها . ثم ارتحلوا .

قال : فقلَّ مالبث أن جاء زوجُها أبو مَعْبد يسوق أعنزاً عِجَافاً يتساوَكْن هَزَلاً لا نَقى بهن (١) مُخُّهن قليل ، فلما رأى اللبنَ عَجِب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ، ولا حَلُوبة فى البيت والشاء عازب ؟ !

فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صِفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب.

فقالت : رأيت رجلا ظاهرَ الوضاءة حسن الخَلْق مليح الوجه لم تعبْه ثُجْلَةَ (٢) ولم تُزْرِ به صُعْلة (٢) ، قَسِيمٌ وسيم ، فى عينيه دَعَجٌ ، وفى أشفاره وَطَفٌ (٣) ، وفى صوته صَحَل ، أحولُ أكحلُ أزجُّ أَقْرَنُ فى عنقه سَطَع (٤) وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فَصْلٌ لا نَزْر ولا هذر ، كأن مَنْطقه خرزاتُ نَظْم يَنْحدرن ، أَبْهَى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، رَبعةٌ لا تَشْنَأُه (٥) عينٌ من طول ، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر ، غُصْن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدًّا ، له رفقاء يحُفُّون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، مَحْفُود مَحْشُود ، لا عابس ولا مُفْنِد .

فقال — يعنى بعلها — : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجهدنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

---

(١) يتساوكن : يتمايلن . والنقى : المخ . (٢) الثجلة : عظم البطن . والصعلة : صغر الرأس .
(٣) وطف : طول . (٤) سطع : طول . (٥) الأصل : تنساه . وهو تحريف .
وما أثبته عن الوفا لابن الجوزى والمواهب والدلائل لأبى نعيم . ومعنى تشنأه : تبغضه .

قال : وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خـيرَ جزائه ... رفيقَيْن حَــلاَّ خيمتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلاَ بالبِرِّ وارتحــلاَ به ... فأفلحَ مَنْ أمسَى رفيقَ محمــدِ
فيــالَقُصَىٍّ مازوَى الله عنكمُ ... به من فِعَالٍ لا تجــازَى وسُؤْدَدِ
سَلُوا أختَكم عَنْ شاتِها وإنائهــا ... فإنكمُ إنْ تسألوا الشــاةَ تَشْهَدِ
دعاهـــا بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ ... له بصريحٍ ، ضَرَّةُ الشاةِ(١) مُزْبدِ
فغادره رَهناً لديْهــا لحالبٍ ... يَدُرُّ لها فى مَصْــدَرٍ ثم مَوْرِدِ

قال : وأصبح الناس ، يعنى بمكة ، وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقــد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهم ... وقد سُرَّ(٢) من يَسْرِى إليهم ويَغْتَدِى
ترحَّــل عن قومٍ فزالت عقولُهم ... وحَــلَّ على قومٍ بنورٍ مُجدَّدِ
وهــل يستوى ضُلاَّل قومٍ تسفَّهوا ... عمًى وهــداةٌ يهتـدون بمهتدِ
نبىٌّ يرَى مالا يرى النــاسُ حولَه ... ويتــلو كتابَ الله فى كل مَشْهَدِ
وإنْ قال فى يومٍ مقــالةَ غائبٍ ... فتصديقُها فى اليوم أو فى ضُحَى الغدِ
ليَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَــدِّه ... بصحبته مَنْ يُسْعِــد الله يَسْعَدِ
ويَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتــاتهم ... ومقعــدُها للمسلمين بمَرْصَــدِ

قال — يعنى عبد الملك بن وهب — : فبلغنى أن أبا مَعْبَد أسلمَ وهاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الضرة : أصل الضرع .

(٢) الوفا ودلائل أبى نعيم : وقدس .

وهكذا روى الحافظ أبو نُعَيم من طريق عبد الملك بن وهب المَذْحِجى ، فذكر مثلَه سواءً . وزاد فى آخره : قال عبد الملك : بلغنى أن أم مَعْبَد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه أبو نعيم من طرق ، عن بكر بن مُحْرِز الـكَلْبى الخزاعى ، عن أبيه مُحْرز ابن مهدى ، عن حرام بن هشام بن حُبيش بن خالد ، عن أبيه ، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فُهَيرة ودليلهما عبد الله بن أُرَيْقط الليثى ، فمروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة بَرْزَة جلدة تحتبى بفناء القبة ، وذكر مثل ماتقدم سواء .

قال . وحدثناه ، فيما أظن ، محمد بن أحمد بن على بن مَخْلَد ، حدثنا محمد بن يونس ابن موسى ، يعنى الـكُديمى ، حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصارى ، حدثنى أبى ، عن أبيه سليط البَدْرى ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ومعه أبو بكر وعامر ابن فُهَيرة وابن أُرَيقط يدلهم على الطريق ، مرَّ بأم معبد الخزاعية وهى لاتعرفه فقال لها : يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله إن الغنم لعازِبة . قال : فما هذه الشاة ؟ قالت : خَلَّفها الجَهْدُ عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ماتقدم .

***

ثم قال البيهقى : يُحتمل أن هذه القصص كلها واحدة .

ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، إملاءً ، حدثنا أبو بـكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثنا

أبو الوليد ، حدثنا عبد الله بن إياد بن لَقِيط ، حدثنا إياد بن لقيط ، عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَخْفِين ، مرُّوا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال : ما عندى شاة تحلب ، غير أن هاهنا عَنَاقا[1] حملت أول الشتاء ، وقد أخدجت[2] وما بقى لها من لبن . فقال : ادع بها . فدعا بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب .

فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم علىَّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم .

قال : فإنى محمد رسول الله .

فقال : أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك .

قال : فإنى أشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى ، وأنا مُتَّبعك .

قال : إنك لا تستطيع ذلك يومَك هذا ، فإذا بلغك أنِّى قد ظهرتُ فَأْتنا .

ورواه أبو يعلى الموصلى ، عن جعفر بن حُميد الكوفى ، عن عبد الله بن إياد ابن لَقِيط به .

* * *

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زرٍّ ، عن عبد الله بن مسعود . قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعُقْبة بن أبى مُعَيط بمكة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرَّا من المشركين ، فقالا : يا غلام

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز . (٢) أخدجت : جاءت بولدها ناقص الخلق .

عندك ابن تسقينا ؟ . فقلت : إنى مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعة لم يَنزُ عليها الفحلُ بعدُ ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فدعا ، فحَفَل الضرعُ وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر وسقيانى ، ثم قال للضرع : اقلِصْ فقلَص .

فلما كان بعدُ أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علِّمنى من هذا القول الطيب ، يعنى القرآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك غلام معلَّم » فأخذت مِن فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد .

فقوله فى هذا السياق : « وقد فرَّا من المشركين » ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة .

فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة فى الصحاح وغيرها . والله أعلم .

* * *

وقال الإمام أحمد[١] : حدثنا عبد الله بن مُصعَب بن عبد الله ، هو الزبير ، حدثني أبى ، عن فائد مولى عبَادل ، قال : خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد ، حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ، وسعد وهو الذى دل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على طريق رَكُوبة[٢] فقال إبراهيم : ما حدَّثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثنى أبى أن رسول الله صل الله عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر ، وكانت لأبى بكر عندنا بنت

---

(١) سقط هذا الخبر من (ا) . (٢) الأصل ركونة . وهو تحريف . وهى ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

مسترضعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار فى الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة ، وبه لصان من أسْلَمَ يقال لهما المهَانان . فإن شئت أخذنا عليهما . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « خذ بنا عليهما » .

قال سعد : فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليمانى . فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المُكْرَمان » وأمرهما أن يَقْدَما عليه المدينة ، فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قُباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين أبو أمامة أسعد بن زرَارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلى يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا طلع على النخل فإذا الشِّرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبى بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتنى أنزل إلى حياض كحياض بنى مُدْلج .

انفرد به أحمد .

فصـــل

فى دخوله عليه السلام المدينة، وأين استقر منزله بها

وما يتعلق به

قد تقدم فيما رواه البخارى، عن الزهرى، عن عروة، أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة عند الظَّهيرة .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال، لما ثبت فى الصحيحين من حديث إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن البَراء بن عازِب، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال : فقدِمْنا ليلاً فتنازعه القوم أيُّهم ينزل عليه، فقال رسول الله صلى عليه وسلم : « أنزلُ على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » .

وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قِباء، فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حَرِّ الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة، ثم سار بالمسلمين فنزل قُباء وذلك ليلا، وأنه أطْلق على ما بعد الزوال ليلاً، فإنّ العَشِيَّ من الزوال .

وإما أن يكون المراد بذلك لمَّا رحل من قباء، كما سيأتى، فسار فما انتهى إلى بنى النجار إلا عشاءً . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزُّهرى، عن عروة، أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء، وأقام فيهم بضعَ عشرة ليلة، وأسَّس مسجدَ قباء فى تلك الأيام .

ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده، وكان مِرْبَداً

لغلامين يتيمين وهما سَهْل وسُهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً . وذلك فى دار بنى النجار رضى الله عنهم .

* * *

وقال محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُوَيم بن ساعدة، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : لما بَلَغْنا مَخْرجُ النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكَّفْنا قدومَه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر النبى صلى الله عليه وسلم فو الله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلا دخَلْنا ، وذلك فى أيام حارة .

حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة هذا جَدُّكم قد جاء .

فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر فى مثل سِنِّه ، وأكثرُنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وركِبه الناسُ ، وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظلَّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

وقد تقدم مثل ذلك فى سياق البخارى ، وكذ ذكر موسى بن عُقبة فى مغازيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إنى لأسعى فى الغلمان يقولون : جاء محمد . فأسعى ولا أرى شيئا ، ثم يقولون : جاء محمد . فأسعى ولا أرى شيئاً .

قال : حتى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصاحبُه أبو بكر ، فكَمَنا فى بعض خرَاب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يُؤذن بهما الأنصارَ فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار : انطلقا آمنَيْن مطاعين .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفَوْقَ البيوت يتراءَيْنَه يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به .

قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبِضَ فلم أر يومين شبيهاً بهما .

ورواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بنحوه ، أو مثله .

وفى الصحيحين من طريق إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت ، والغلمانُ والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلى ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البَدْرُ علينا   من ثَنِيَّات الوَداع

وجبَ الشكرُ علينا   مادعـــا لله داعِ

***

قال محمد بن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يذكرون يعنى حين نزل ، بقباء على كُلْثوم بن الَهدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثمة .

ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمه ، وذلك أنه كان عزَبا لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب . والله أعلم .

ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خُبَيب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنح ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وأقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائعَ التى كانت عنده .

ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن الهدْم ، فكأنّ علىَّ بن أبى طالب إنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين .

يقول : كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه ، فيعطيها شيئا معه فتأخذه ، فاسترَبْتُ بشأنه فقلت لها : ياأمَــة الله ، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدرى ماهو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ .

قالت : هــذا سهل بن حنيف ، وقد عرف أنى امرأة لا أحدَ لى ، فإذا أمسى عدا على أوثانِ قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال : احتطبى بهذا .

فكان على رضى الله عنه يأثُر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء فى بنى عمرو بن عوف يومَ الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدَه .

ثم أخرجه الله مِن بَيْنِ أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشرة ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة ، أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة .

وحكى موسى بن عقبة عن مُجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، اثنتين وعشرين ليلة .

وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

* * *

قال ابن إسحاق : فأدركتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجمعةُ فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاَّها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نَضْلة فى رجال من بنى سالم ، فقالوا : يارسول الله أقم عندنا فى العَدَد والعُدَّة والمنعة قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . لناقته فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وازَتْ دار بنى بَياضة تلقاه زياد بن لَبيد وفَرْوة بن عمرو، رجال من بنى بَياضة ، فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العَدد والعُدَّة والمنعة .

قال : « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة، فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا فى العدد والمَنعة . قال : «خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلها .

فانطلقتْ حتى إذا وازت(١) دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمَنعة .

قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار ، وهم أخواله ، دُنْيا ، أمُّ عبدالمطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن [أبى](٢) خارجة فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا : يارسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة .

قال : « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلها .

فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذ مِربَداً لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا فى حجر مُعاذ بن عَفْراء .

قلت : وقد تقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة أنهما كانا فى حجر أسعد بن زُرَارة . والله أعلم .

* * *

وذكر موسى بن عُقْبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ فى طريقه بعبد الله

---

(١) ا : دارت وفى ابن هشام وازنت (٢) من ابن هشام .

ابن أُبيّ بن سَلُول وهو فى بيت ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ، وهو يومئذ سيد الخزرج فى أنفسهم ، فقال عبد الله : انظر الذين دَعوك فانزل عليهم .

فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عُبادة يعتذر عنه : لقد مَنَّ الله علينا بك يارسول الله وإنا نريد أن نَعْقد على رأسه التاجَ ونملِّكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يرْكب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف ، فمشوا حولَ ناقته ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامَ الناقة شُحًّا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له .

وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم : دَعُوها فإنها مأمورة ، فإنما أنزل حيث أنزلنى الله .

فلما انتهت إلى دار أبى أيوب بركت به على الباب ، فنزل فدخل بيتَ أبى أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن إسحاق : لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها ، حتى وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يَثْنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحَلْحَلت ورزَمت ووضعت جِرَانها . فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد ، رحلَه فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأل عن المِرْبَد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عَفراء : هو يارسول الله لسهل وسُهيل

ابنى عمرو وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب حتى بَنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والأنصار .

وستأتى قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله .

* * *

وقال البيهقى فى الدلائل : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن على بن عمرو الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلد الدُّورى ، حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبى الورد ، حدثنا إبراهيم بن صِرمة ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يارسول الله . فقال « دعوا الناقة فإنها مأمورة » .

فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن .

نحن جوَارٍ من بنى النجار ياحبَّذا محمدٌ من جارِ

فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتحبوننى ؟ » فقالوا : إى والله يارسول الله . فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاكم فى مستدركه كما يروى .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبى ، حدثنا أبو خيثمة المصِّيصى ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابى ، عن ثُمَامة ، عن أنس .

قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بحى من بنى النجار ، وإذا جَوار يضربن بالدفوف يقلن .

نحن جَوارٍ من بنى النجار يا حبذا محمدٌ مِنْ جارِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعلم الله أن قلبى يحبكم » .

ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به .

وفى صحيح البخارى عن مَعْمَر ، عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مُقْبلين ، حسبت أنه قال من عرس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها ثلاث مرات .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبدالصمد بن عبدالوارث ، حدثنى أبى، حدثنى عبد العزيز ابن صُهيب ، حدثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مُرْدفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف .

قال : فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل .

فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريقَ ، وإنما يعنى سبيلَ الخير .

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يانبى الله هذا فارسٌ قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت تُحَمْحِم ، ثم قال : مُرْنى يانبى الله بما شئت . فقال: « قِفْ مكانَك ولا تتركن أحداً يَلْحق بنا » .

قال : فكان أولَ النهار جاهداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر النهار مَسْلَحة[1] له .

قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرَّة ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا فسلَّموا عليهما وقالوا : اركبا آمنَيْن مطاعين .

فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحَفُّوا حولهما بالسلاح .

وقيل فى المدينة : جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم . فاستَشْرَفوا نبيَّ الله ينظرون إليه ويقولون : جاء نبيُّ الله .

قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب .

قال : فإنه ليحدِّث أهلَه إذ سمع به عبدُ الله بن سَلَام ، وهو فى نخل لأهله يخترف لهم ، فعَجِل أن يضع الذى يخترف فيها ، فجاء وهى معه ، وسمع من نبى الله صلى الله لميه وسلم ورجع إلى أهله .

وقال نبى الله : أىُّ بيوت أهلِنا أقربُ ؟ فقال أبو أيوب : أنا يانبى الله ، هذه دارى وهذا بابى . قال : فانطلق فهيِّئ لنا مَقِيلا . فذهب فهيَّأ ثم جاء . فقال : يارسول الله قد هيأتُ مَقِيلا ، قُوماً على بركة الله فقِيلا .

فلما جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبى الله حقا ، وأنك جئت بحق ولقد علمتْ يهودُ أنِّى سيدُهم وابنُ سيدهم ، وأعْلمهم وابن أعلمهم ، فادعُهم فسَلْهم .

فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعْلمون أنى رسولُ الله حقًّا ، وأنى جئت بحقٍّ أسْلموا » .

---

(١) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، وتطلق أيضا على الثغر والمرقب . والمراد أنه كان مدافعا عن الرسول.

فقالوا : مانعْلمه ، ثلاثا .

وكذا رواه البخارى منفرداً به ، عن محمد غير منسوب ، عن عبد الصمد به .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليزَنى ، عن أبى رُهْم السماعى ، حدثنى أبو أيوب ، قال لما نزل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السُّفْل ، وأنا وأم أيوب فى العُلْو ، فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنى أكره وأعظِّم أن أكون فوقَك وتكون تحتى ، فاظهَرْ أنت فكُنْ فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل .

فقال : « ياأبا أيوب إنَّ أرْفَق بنا وبمَنْ يغشانا أن أكون فى سفل البيت » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن . فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحافٌ غيرها ، ننشِّف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه ، فإذا ردَّ علينا فَضْلة تيمَّمتُ أنا وأمُّ أيوب موضعَ يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصَلًا أو ثوماً ، فردَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أرَ ليده فيه أثراً ، قال : فجئته فزعاً فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى رددْتَ عشاءك ولم أر فيه موضعَ يدك ؟ فقال « إنى وجدت فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجل أُنَاجِى ، فأما أنتم فكلُوه » قال : فأكلناه ولم نَصْنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواه البيهقى ، من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ،

عن أبي الحسن ، أو أبي الخير ، مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنى ، عن أبي رُهْم ، عن أبي أيوب فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا عبد الله ابن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارَمى ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد ، حدثنا عاصم الأَحْول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أَفْلَح مولَى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل فى السفل وأبو أيوب فى العُلْو ، فانتبه أبو أيوب فقال : نمشى فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فتنحَّوا فباتوا فى جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، يعنى فى ذلك ، فقال : « السُّفْلُ أرفقُ بنا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها ، فتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العلو ، وأبو أيوب فى السفل .

فكان يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ، فإذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : لم يأكل . ففزع وصعد إليه فقال: أحرامٌ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ولكنى أكرهه » قال فإنى أكره ما تكره ، أو ما كرهت . قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه الملَك .

رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به .

وثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال : جيء رسول الله صلى الله وسلم ببَدْر [١] ، وفى رواية بقِدْر ، فيه خضروات مِنْ بُقول ، قال : فسأل فأُخبر بما فيها ، فلما رآها كره أكلها ، قال : « كُلْ فإنى أناجِى من لا تناجى » .

---

(١) ببدر : بطبق مستدير يشبه البدر .

وقد روى الواقدى أن أسعد بن زُرَارة لمـا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب أخذ بخِطَام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فـكانت عنده .

وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أولُ هدية أُهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل دارَ أبى أيوب ، أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز مَثْرود بلبن وسمن ، فقلت : أرسلتْ بهذه القصعة أمى . فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعِراق لحم .

وما كانت من ليلةٍ إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثةُ والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه فى دار أبى أيوب سبعة أشهر .

قال : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل فى دار أبى أيوب مولاه زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ، ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَوْدَة بنت زَمْعَة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقيّة قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمـكة أبى العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا خلَف بن عمرو العـكْبَرى ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عطاف بن خالد ، حدثنا صديق بن موسى ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينـة ، فاستناخت به راحلتُه بين دار جعفر بن محمد بن على وبين دار الحسن ابن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يارسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دَعوها فإنها مأمورة » .

ثم خرجت به حتى جاءت موضعَ المنبر ، فاستناخت ثم تحللت ، وثمَّ عريشٌ كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبرَّدون فيه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فيه فآوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يارسول الله إن منزلى أقربُ المنازل إليك فأنقل رحلك إلىّ ؟ قال : نعم . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يارسول الله أين تحلّ ؟ قال : « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد .

وهذه مَنْقَبة عظيمة لأبى أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه ، حيث نزل فى داره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روينا من طريق يزيد بن أبى حبيب عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ، وكان ابنُ عباس نائباً عليها من جهة على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى داره ، وملَّكه كلَّ ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصرافَ أعطاه ابنُ عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً .

وقد صارت دارُ أبى أيوب بعده إلى مولاه أَفْلَح ، فاشتراها منه المغيرةُ بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وَهَى من بنيانها ، ووهَبها لأهل بيتٍ فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزوله عليه السلام فى دار بنى النجار واختيارُ الله له ذلك مَنْقَبةٌ عظيمة ، وقد كان فى المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً ، كلٌّ دار مَحِلَّة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كلٌّ قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دارَ بنى مالك بن النجار .

***

وقد ثبَت فى الصحيحين من حديث شُعْبة ؛ سمعت قَتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير دُور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأَشْهَل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفى كلٍّ دور الأنصار خير » .

فقال سعد بن عبادة : ماأرى النبى صلى الله عليه وسلم إلا قد فَضَّل علينا . فقيل : قد فَضَّلكم على كثير .

هذا لفظ البخارى .

وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة، عن أبى أُسَيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادة بن سهل عن أَبى حُميد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله سواء . زاد فى حديث أبى حميد : فقال أبو أُسيد لسعد بن عبادة : ألم ترَ أن النبى صلى الله عليه وسلم خيرّ الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعدٌ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله خَيَّرت دُورَ الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحَسْبكم أن تكونوا من الأخيار » .

[و] قد ثبت لجميع مَنْ أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعة فى الدنيا والآخرة. قال الله تعالى : « والسابقون الأوَّلون مِنَ المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ رضى الله عنهم ورَضُوا عنه وأعدَّ لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ [1] » وقال تعالى : «والذين تبوَّأوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبْلهم يحبُّون مَنْ هاجرَ إليهم ولا يَجدون فى صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون [2] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا من الأنصار ، ولو

(١) سورة التوبة ١٠٠ . (٢) سورة الحشر ٩ .

سلكَ الناسُ وادياً وشِعْباً لسلكت وادىَ الأنصار وشِعبهما، لأنصار شِعَار والناسُ دِثَار ».

وقال : « الأنصار كَرِشى وعَيْبتى ».

وقال : « أنا سِلْم لمن سالمهم وحَرْب لمن حاربهم ».

وقال البخارى : حدثنا حَجَّاج بن مِنْهال ، حدثنا شُعْبة ، حدثنى عَدِىّ بن ثابت ، قال: سمعت البرَاء بن عازِب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أو قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأنصارُ لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يَبْغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به .

وقال البخارى أيضا: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شُعْبة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير ، عن أنس بن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار ».

ورواه البخارى أيضا عن أبى الوليد [و] الطيالسى ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدى ، أربعتهم عن شعبة به .

والآيات والأحاديث فى فضائل الأنصار كثيرة جداً .

وما أحسن ماقال أبو قيس صِرمة بن أبى أنس المتقدم ذِكْره ، أحد شعراء الأنصار ، فى قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم و نَصْرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه ، رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صِرْمة بن أبى أنس أيضا يَذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خَصَّهم به من رسوله عليه السلام :

ثوَى فى قريشٍ بضعَ عَشْرةَ حِجَّةً ... يُذَكِّر لو يَلْقَى صديقاً مواتيا

وَيَعْرِض فى أهــلِ المواسمِ نفسَه ... فلم يَرَ مَنْ يُؤْوِى ولم يَرَ داعيــاً

فلما أتانا واطمأنّتْ به النّوَى [١] ... وأصبَح مسروراً بطيبةَ راضيــاً

وألفِىَ صَدِيقــاً واطمأنت به النَّـوَى ... وكان له عَوْنَاً من الله بادِياَ

يقصُّ لنــا ما قال نوحٌ لقومه ... وما قال موسى إذْ أجاب المناديا

فأصبحَ لا يخشى من النــاس واحــداً ... قريبا ولا يخشى من الناس نائياً [٢]

بذَلْنا له الأموالَ مِنْ جُلِّ [٣] مالِنــا ... وأنفسَنا عنـدَ الوغَى والتآسيــاَ

نعادِى الذى عادىَ مِنَ الناس كلِّهم ... جميعــاً ولو كان الحبيبَ المواسيــا

ونَعْلم أنَّ الله لاشىء غـيره ... وأنّ كتابَ الله أصبحَ هادياً [٤]

أقول إذا صلّيتُ فى كل بَيْعةٍ ... حنَانَيْك لا تُظْهِر علينـا الأعاديا

أقــول اذا جاوزتُ أرضــاً مخيفةً ... تباركتَ اسمَ الله أنت المواليــاَ

فطَــأْ مُعْرِضاً إنّ الحتوفَ كثيرةٌ ... وإنَّك لا تُبقِى لنفسك باقيــاَ

فوالله مايدرى الفتى كيف سَعْيُه ... إذا هو لم يجعل له اللهَ واقيــاَ

ولا تَخْفِلُ النخلُ المعِيمةُ [٥] ربَّها ... إذا أصبحت رَيَّا وأصبح ثاوياَ

ذكرها ابن إسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الُحمَيدى وغيره ، عن سفيان ابن عُيَيْنة ، عن يحي بن سعيد الأنصارى ، عن عجوز من الأنصار قالت : رأيتُ عبدَ الله بن عباس يختلف إلى صِرْمة بن قيس يروى هذه الأبيات .

رواه البيهقى .

---

(١) ابن هشام : فلما أتانا أظهر الله دينه . (٢) ح : باغيا .

(٣) ابن هشام : حل . (٤) ابن هشام : ونعلم أن الله أفضل هاديا .

(٥) المعيمة : العطشى . والأصل : المقيمة ، وما أثبته عن ابن هشام .

فصـــــل

وقد شَرُفَت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ومَعْقلا وحِصْنا مَنيعا للمسلمين ، ودارَ هُدًى للعالمين .

والأحاديثُ فى فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه . إن شاء الله .

وقد ثبت فى الصحيحين من طريق حبيب بن يَساف ، عن جعفر بن عاصم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الإيمان لَيأْرِزُ إلى المدينة كما تَأْرِز الحيةُ إلى جُحرها » .

ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع ، عن شبابة ، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الُحبَاب سعيد بن يَسَار ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمرت بقرية تأكل القُرَى ، يقولون يثرب وهى المدينة ، تنفى الناسَ كما ينفى الكيرُ خبثَ الحديد[1] » .

وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله ، قالا حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصارى ، حدثنا سعيد بن سعيد ، حدثنى أخى ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إنك أخرجتنى من أحبِّ البلاد إلىَّ فأسكنِّى أحبَّ البلاد إليك » فأسكنَه الله المدينة .

وهذا حديث غريب جداً .

والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذى ضَمَّ جسدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذِكرها هاهنا ، ومحلُّها ذكرناها فى كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهرُ دليلٍ لهم فى ذلك ماقال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليَمَان ، حدثنا شُعَيب ، عن الزُّهرى ، أخبرنا أبو سلَمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عَدِى بن الحمراء أخبره ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحَزْوَرة فى سوق مكة يقول : « والله إنك لخيرُ أرض الله وأحب أرض الله إلىّ ، ولولا أنى أُخرجت منك ماخرجتُ » .

وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كَيْسَان عن الزُّهرى به .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، من حديث الليث ، عن عُقيل عن الزهرى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد رواه يونس عن الزهرى به. ورواه محمد بن عمرو عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة . وحديث الزُّهرى عندى أصح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحَزْوَرة فقال : « علمتُ أنكِ خيرُ أرض الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجتُ » وكذا رواه النسائى من حديث مَعْمَر به .

قال الحافظ البيهقى : وهذا وهمٌ مِنْ مَعْمَر .

وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، وهو أيضاً وَهْمٌ ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا رَبَاح ، عن مَعْمَر ، عن محمد بن مسْلم بن شهاب الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن بعضهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى سوق الحَزْوَرة : « والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أنى أُخْرِجت منكِ ماخرجت » .

ورواه الطبرانى ، عن أحمد بن خُليد الحلبى ، عن الحميدى ، عن ابن أخى الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مُطْعم ، عن عبد الله بن عَدِى بن الحمراء به .

فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحُّها ماتقدم . والله أعلم .

وقائع السَّنَة الأولى من الهجرة

ذِكْرُ ماوقع فى السنة الأولى من الهجرة النبوية
من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ، فى الدولة العُمَرية على جَعْل ابتداء التاريخ الإسلامى من سنَة الهجرة .

وذلك أنّ أميرَ المؤمنين عمر رضى الله عنه رُفع إليه صَكٌّ ، أى حُجَّة ، لرجلٍ على آخر ، وفيه أنه يَحلّ عليه فى شعبان ، فقالَ عمر : أىُّ شعبان ؟ أشعبانُ هذه السنة التى نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟

ثم جمع الصحابةَ فاستشارهم فى وضع تاريخٍ يتعرّفون به حُلولَ الديون وغير ذلك .

فقال قائل : أرِّخوا كتأريخ الفرس . فكَره ذلك .

وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد .

وقال قائل : أرخوا بتأريخ الروم . وكانوا يؤرخون بمُلْك اسكندر بن فلبس المَقْدونى . فكَره ذلك .

وقال آخرون : أرِّخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل بمبعثه .

وقال آخرون : بل بهِجْرته .

وقال آخرون : بل بوفاته عليه السلام .

فمال عمر رضى الله عنه إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره ، واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه : التاريخ ومتى أرَّخوا التاريخ : حدثنا عبد الله بن مُسْلم ، حدثنا عبد العزيز ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، قال : ماعَدُّوا مِنْ مَبْعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ، ماعَدُّوا إلا من مَقْدَمه المدينةَ .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى الزِّناد عن أبيه . قال : استشار عمر فى التاريخ فأجْمَعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسى عن قُرَّة(١) بن خالد السَّدُوسِىّ ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر فقال أرِّخوا . فقال : ما أَرِّخُوا ؟ فقال: شىء تفعله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا .

فقال عمر : حسنٌ فأرِّخوا .

فقالوا : من أىِّ السنين نبدأ ؟ فقالوا : مِنْ مَبْعثه ، وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، فهو مَصْرَف الناس مِنْ حَجِّهم ، وهو شهرٌ حرام فاجتمعوا على المحرَّم .

وقال ابن جَرير : حدثنا قتيبة ، حدثنا نوح بن قيس الطائى ، عن عثمان بن محصن ، أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى : « والفَجْر وليالٍ عَشْر » . هو المحرَّم فجرُ السَّنة .

وروى عن عُبيد بن عُمير قال : إن المحرم شهر الله ، وهو رأس السنة يُكْسَى [فيه] البيتُ ، ويؤرِّخ به الناس ، ويُضْرَب فيه الوَرِق .

قال أحمد : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، قال : إن أول من ورَّخ الكتبَ يَعْلى بن أمية باليمن ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِم المدينة فى ربيع الأول ، وإن الناس أرخوا لأول السنة .

(١) الأصل : فروة . وهو تحريف .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهرى وعن محمد بن صالح، عن الشَّعبى أنهما قالا : أرَّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم ، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم واسماعيل البيتَ ، ثم أرخوا من موت كعب بن لُوَىّ ، ثم أرخوا من الفِيل ، ثم أرخ عمرُ بن الخطاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة .

وقد ذكرنا هذا الفصل محرَّراً بأسانيده وطرقه فى السيرة العُمَرية ولله الحمد .

والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم . وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السُّهيلى وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أولُ السنة الإسلامية ربيع الأول ، لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى : « لَمسجدٌ أُسِّس على التَّقْوَى مِنْ أولِ يومٍ » أى من أول يومِ حلول النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة](١) .

ولا شك أن هذا الذى قاله الإمام مالك رحمه الله مناسِب ، ولكن العملَ على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم ، فجعلوا السنة الأولى سَنَة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف ، لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

***

فنقول وبالله المستعان : استهلَّت سنةُ الهجرة المباركة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيمٌ بمكة ، وقد بايع الأنصارَ بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التَّشريق ، وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة .

ثم رجع الأنصارُ وأَذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة

(١) سقطت من ح .

فهاجر مَن هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لمْ يَبْقَ بمكة من يُمْكنه الخروج إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَبس أبو بكر نفسَه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَصْحبه فى الطريق كما قدمنا ، ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بَسْطه ، وتأخَّر علىٌّ بن أبى طالب بعد النبى صلى الله عليه وسلم بأمره ليؤدِّى ما كان عنده عليه السلام من الودائع ، ثم لحقهم بقباء ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتد الضَّحاء .

قال الواقدى وغيره : وذلك لليلتين خَلَتا من شهر ربيع الأول . وحكاه ابن إسحاق ، إلا أنه لم يعرِّج عليه ، ورجَّح أنه لِثْنتى عشرة ليلة خلَتْ منه .

وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور . وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى أصح الأقوال .

وهو رواية حماد بن سلَمة ، عن أبى حمزة الضَّبى عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وهكذا روى ابنُ جرير عن محمد بن معمر ، عن رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة .

وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صِرْمة بن أبى أنس بن قيس :

ثوَى فى قريش بِضْعَ عشرةَ حِجَّةً يذكِّر لو يَلْقَى صَديقاً مُوَاتيا

وقال الواقدى : عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الُحصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه استشهد بقول صِرْمة :

ثوَى فى قريش بضعَ عَشْرة حِجَّةً يذكِّر لو يَلْقَى صديقاً مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير ، عن الحــارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدىّ ، خمس عشرة حِجة ، وهو قولٌ غريب جداً .

وأغربُ منه ما قال ابن جرير : حُدِّثت عن رَوْح بن عُبَادة ، حدثنا سعيد ، عن قتــادة قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليــه وسلم ثمــانى سنين بمــكة ، وعشراً بالمدينة .

وكان الحسن يقول : عشراً بمــكة ، وعشراً بالمدينة .

وهذا القول الآخر الذى ذهب إليه الحسن البصرى من أنه أقام بمكةَ عشرَ سنين ذهب إليه أنسُ بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المسيَّب وعمرو بن دينــار ، فيما رواه ابن جرير عنهم .

وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد ، عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثلاث وأربعين ، فمــكث بمكة عشراً .

وقد قدمنا عن الشَّعْبِى أنه قال : قُرِن إسرافيلُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ سنين يُلْقِى إليه الــكلمة والشىء . وفى رواية يَسمع حسَّه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعدَ ذلك جبريلُ .

وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه أنه أنــكر قول الشَّعبى هذا .

وحاول ابنُ جرير أن يجمع بَيْن قول مَن قال : إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال : ثلاث عشرة . بهذا الذى ذكره الشَّعبى . والله أعلم .

فصـــل

ولمـا حلّ الرَّكابُ النبوى بالمدينـة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف ، وهى قُباء كما تقدم ، فأقام بها أكثر ماقيل، ثنتين وعشرين ليلة .وقيل ثمانى عشرة ليلة. وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهرُ ماذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة .

وقد أسَّس فى هذه المدة المختلَف فى مقدارها ، على ماذكرناه ، مسجدَ قباء .

وقد ادَّعى السهيلى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أسسه فى أَول يومٍ قدم إلى قباء ، وحمل على ذلك قولَه تعالى « لَمسجدٌ أُسِّس على التقوى مِنْ أول يوم » وردَّ قول مَنْ أَعربَها : مِنْ تأسيس أول يوم .

وهو مسجدٌ شريف فاضل ، نزل فيه قوله تعالى : « لَمَسْجدٌ أُسِّس عَلَى التقوى مِنْ أولِ يومٍ أحقُّ أنْ تقومَ فيه ، فيه رجالٌ يحبُّون أنْ يتطَّهروا والله يحبُّ المطَّهرين»(١) كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير . وذكرنا الحديثَ الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجوابَ عنه .

وذكرنا الحديثَ الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو إدريس، حدثنا شُرَحبيل ، عن عُوَيم بن ساعدة ، أنه حدَّثه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إنَّ الله قد أحسنَ عليكم الثناءَ فى الطَّهور فى قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يارسول الله مانَعْلم شيئاً ، إلا أنه كان

---

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

لنا جيران من اليهود ، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .

وأخرجه ابن خُزَيمة فى صحيحه ، وله شواهد أخر .

وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سَلاَم وابن عباس .

وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجة من حديث يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبى ميمونة ، عن أبى هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : نزلت هذه الآية فى أهل قُبَاء « فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطَهَّروا والله يحب المطَّهرين » . قال : كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية .

ثم قال الترمذى : غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف . والله أعلم .

وممن قال بأنه المسجد الذى أسس على التقوى مارواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، ورواه على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وحُكى عن الشَّعبى والحسن البصرى وقَتادة وسعيد بن جُبير وعطية العَوْفى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتى قُباءَ كلَّ سبت تارة راكبا وتارة ماشيا . وفى الحديث : « صلاةٌ فى مسجد قباء كعُمْرة » .

وقد ورد فى حديثٍ أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبي صلى الله عليه وسلم إلى موضع قبْلة مسجد قباء .

فكان هذا المسجد أولَ مسجدٌ بنى فى الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جُعل لعموم الناس فى هذه المَّلة .

واحترَزنا بهذا عن المسجد الذى بناه الصِّديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلِّى ، لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة ، والله أعلم .

وقد تقدم إسلام سَلْمان فى البشارات ، [و]أن سلمان الفارسى لما سمع بقدوم رسول اللهصلى اللهعليهوسلم [إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئا فوضعه بين يديه وهو بقباء [و] قال : هذا صدقة . فكفَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يأكله ، وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله][1] .

فصل

فى إسلام عبد الله بن سَلَام رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زُرَارة ، عن عبد الله ابن سَلَام ، قال : لما قَدِم رُسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفلَ[2] الناس ، فكنت فيمن انجفلَ ، فلما تبينتُ وجهه عرفت أنه ليس بوجهِ كذابٍ ؛ فكان أولَ شيءٍ سمعته يقول : « أَفْشُوا السَّلَامَ ، وأَطْعموا الطعامَ ، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيامٌ ، تدخلوا الجنة بسلام » .

ورواه الترمذى وابن ماجه من طرق ، عن عوف الأعرابى ، عن زرارة بن أبى أَوْفَى به عنه . وقال الترمذى : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ورآه أولَ قدومه حين أناخ بقُبَاء فى بنى عمرو بن عوف .

وتقدم فى رواية عبد العزيز بن صُهيب عن أنس ، أنه اجتمع به حين أناخ عند دار

---

(١) سقط من ح . (٢) انجفل الناس : انقلعوا فمضوا .

أبى أيوب عند ارتحاله من قُباء إلى دار بنى النجار كما تقدم؛ فلعله رآه أول مارآه بقباء، واجتمع به بعد ماصار إلى دار بنى النجار . والله أعلم .

وفى سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس قال : فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سَلاَم فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق، وقد علمت يهودُ أنى سيدهم وابن سيدهم وأعْلَمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسَلْهم عنىّ قبل أن يَعلموا أنى قد أسلمتُ، فإنهم إنْ يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ ما ليس فىَّ .

فأرسل نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه، فقال لهم: « يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فأسْلِموا » قالوا : ما نعلمه . قالوا : [ذلك] للنبى صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار . قال : « فأىُّ رجل فيكم عبد الله [1] بن سَلاَم ؟

قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعْلَمُنا وابن أَعْلمنا . قال : أفرأيتم إن أَسْلَمَ ؟ قالوا : حاش لله، ما كان ليُسْلِم .

قال : « يابن سَلاَم اخرجْ عليهم » .

فخرج فقال : يامعشر يهود اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعلَمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كَذَبْتَ . فأخرجهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

هذا لفظه .

وفى رواية : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا شرُّنا وابن شرنا، وتنقَّصوه فقال : يارسول الله هذا الذى كنت أخاف .

---

(١) ابن هشام : الحصين بن سلام .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصَمُّ ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّنعانى ، حدثنا عبد الله بن أبى بكر ، حدثنا حُمَيد عن أنس ، قال : سمع عبدُ الله بن سَلاَم بقدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أرض له ، فأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنى سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبى ؛ ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بالُ الولد [يَنْزِعُ] إلى أبيه أو إلى أمه .

قال : أخبرنى بهن جبريلُ آنفا . قال : جبريل ! قال : نعم . قال : عدوُّ اليهود من الملائكة . ثم قرأ [1] : « مَنْ كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله » .

قال : « أمّا أولُ أشراط الساعة فنارٌ تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المَغرب ، وأما أولُ طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت [2] ، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَع الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد » .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ ، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بَهَتونى .

فجاءت اليهود . فقال : أىُّ رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرُنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : أرأيتم إن أسلمَ ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك .

فخرج عبدُ الله فقال : أَشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرُّنا وابن شرنا وانتقصوه .

قال : هذا الذى كنت أخاف يارسول الله .

---

(١) أى الرسول صلوات الله عليه .

(٢) قال القسطلانى : هى القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ؛ وهى أهنأ طعام وأمرؤه .

ورواه البخارى عن عبد بن حُمَيْد[1] عن عبد الله بن أبى بكر به . ورواه عن حامد بن عمر عن بِشْر بن المُفضل عن حُميَد به .

* * *

قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله بن سَلاَم ، قال : كان مِنْ حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حَبْراً عالما ، قال : لما سمعتُ برسول الله وعرفتُ صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذى كنا نتوكَّف[2] له ، فكنت بقُباء مسراً بذلك[3] صامتاً عليه ، حتى قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة .

فلما قدم نزل بقُباء فى بنى عمرو بن عوف ، فأقبل[4] رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة .

فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبَّرْتُ ، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنتَ سمعت بموسى بن عمران ما زِدْتَ .

قال : قلت لها : أى عمة ، والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعث بما بعث به .

قال : فقالت له : يا ابن أخى أهو الذى كنا نُخْبَر أنه يُبْعث مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم . قالت : فذاك إذاً .

قال : فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، وكتمتُ إسلامى من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ[5] وإنى أُحبُّ أن تُدخلنى فى بعض بيوتك فتغيّبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك

(١) الأصل : عبد بن منير وهو خطأ . (٢) نتوكف : نترقب وننتظر . وفى الأصل : نتوقف مصحفة . وهو تحريف : وما أثبته عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : فكنت مسرا لذلك صامتا عليه .
(٤) ابن هشام : فلما نزل بقباء على بنى عمرو بن عوف أقبل . (٥) البهت : جمع بهيت ، كقضب وقضيب . والبهيت هو الذى يبهت القول ويختلقه .

كيف أنا فيهم ، قبلَ أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إنْ يعلموا بذلك بَهَتونى وعابونى . وذكر نحو ما تقدم .

قال : فأظهرت إسلامى وإسلامَ أهل بيتى ، وأسلمَتْ عمتى خالدة بنت الحارث .

وقال يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى محدِّث عن صفية بنت حُيَى قالت : لم يكن أحدٌ من ولد أبى وعمى أحبَّ إليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط أهشّ إليهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبَاء ، قرية بنى عمرو بن عوف ، غَدَا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مُغْلسين ، فو الله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءانا فاترَيْن كسلانَيْن ساقطين يَمشيان الهُوَينى ، فهشَشْت إليهما كما كنت أصنع ، فو الله ما نظر إلىّ واحدٌ منهما ، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال : تعرفه بنَعْته وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا فى نفسك منه ؟ قال : عداوتُه والله مابقيتُ !

وذكر موسى بن عُقْبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أَخْطَب حين قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعونِ ، فإنّ الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

فانطلق أخوه حُيَىّ بن أخطب ، وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير ، فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ، وكان فيهم مطاعا ، فقال : أتيتُ من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أمّ أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك .

قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومُه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب فلا أدرى ما آل إليه أمره ، وأما حُيَي ابن أخطب والد صفية بنت حيي فشربَ عداوةَ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قَتل مُقاتلة بنى قريظة . كما سيأتى إن شاء الله .

فصـــــل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة ، أدركه وقتُ الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، فى واد يقال له وادى رانوناء .

فكانت أولَ جُمعة صلاَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقا ، لأنه ، والله أعلم ، لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خُطْبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابنُ وهب ، عن سعيد بن عبد الرحمن الْجُمحى ، أنه بلغه عن خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة صلاَّها بالمدينة فى بنى سالم بن عمرو بن عوف رضى الله عنهم : « الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأَسْتهديه ، وأُومن به ولا أَكْفُره ، وأعادِى مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسلَه بالهدى ودِين الحق والنور والموعظة على

فترة من الرسل ، وقلةٍ من العلم ، وضلالةٍ من الناس ، وانقطاعٍ من الزمان : ودنوٍّ من الساعة ، وقُرْب من الأجل .

من يطع الله ورسوله فقد رَشَد ، ومن يَعْصِهما فقد غَوى وفرّط وضلّ ضلالاً بعيداً .

وأُوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أنْ يحضَّه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذَّرَكم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحةً ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن عمل به على وجَلٍ ومخافة ، وعَوْنُ صِدْقٍ على ما تبتغون من أمرِ الآخرة .

ومن يُصْلح الذى بَيْنه وبين الله مِن أمرِ السر والعلانية لا يَنْوى بذلك إلا وجهَ الله يكنْ له ذكراً فى عاجلِ أمره وذُخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ماقدَّم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أنَّ بينه وبينه أمَداً بعيداً ، ويحذِّركم الله نفسه والله رءوف بالعباد .

والذى صدَق قولَ ، وأنجز وعده ، لا خُلْف لذلك فإنه يقول تعالى : « مايبدَّل القولُ لدَىَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعبيد » .

واتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فإنه « مَنْ يَتَّقِ الله يُكفِّر عنه سَيِّئاته ويُعْظِم له أجراً » « ومَنْ يَتَّقِ الله فقد فازَ فوزاً عظيما » وإن تقوى الله تُوقى مَقْتَه ، وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه ، وإنّ تقوى الله تبيِّض الوجه ، وتُرضى الرب ، وترفع الدرجة .

خذوا بحظكم ولا تفرِّطوا فى جَنْب الله ، قد علَّمكم الله كتابه ، ونهَج لكم سبيلَه ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه

وجاهدوا فى الله حق جهاده ؛ هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، لِيَهْلِكَ مَنْ هلك عن بينة ويحيا من حَىَّ عن بينة ، ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكرَ الله ، واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يَكْفِهِ ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يَقْضون عليه ، ويملكُ من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هكذا أوردها ابن جرير وفى السند إرسال .

وقال البيهقى : باب أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شَرِيق ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنْ قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدِّموا لأنفسكم ، تعلمُنَّ والله ليُصْعقن أحدكم ثم ليدعَنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلَّغك ، وآتيتك مالا وأفضَلْتُ عليك ، فما قدَّمتَ لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله (١) ورحمة الله وبركاته » .

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال : « إن الحمد لله أحمده

---

(١) ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله .

وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] (١) ، إن أحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفلح من زيَّنه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلَغه ، أحبُّوا مَنْ أحبَّ الله ، أحبوا الله مِنْ كُلِّ قلوبكم [ولا تملُّوا كلام الله وذكرَه ولا تقسى عنه قلوبكم (١)] فإنه من [كلِّ مايخلق الله] (١) يختار الله ويصطفى ، فقد سمَّاه خيرتَه من الأعمال وخيرته من العبَاد ، والصالحَ من الحديث ، ومن كل ما أوتى النـاس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حقَّ تقاته ، واصـدُقوا الله صالحَ ماتقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم ، إنَّ الله يغضب أن يُنْكَث عهده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

وهذه الطريق أيضا مرسلة ، إلا أنها مقوية لما قبلها ، وإن اختلفت الألفاظ .

فصـــل

فى بناء مسجده الشريف فى مدة مقامه عليه السلام بدار أبى أيوب رضى الله عنه

وقد اختلف فى مدة مقامه بها ، فقال الواقدى : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر . والله أعلم .

قال البخارى : حـدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد ، قال سمعت أبى يحدّث فقال حدثنا أبو التَّيَّاح يزيد بن حُمَيد الضَّبى ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن

(١) من ابن هشام .

عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا متقلدى سيوفهم قال : وكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رِدْفه ، وملأُ بنى النجار حولَه ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب .

قال : فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مَرابض الغنم .

قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا فقال : يابنى النجار ثامِنُونى بحائطكم هذا . فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل . قال: فكان فيه ما أقول لكم : كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خَرِبٌ[1] ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنُبشت ، وبالخَرِب فسوِّيت ، وبالنخل فقُطع .

قال : فصَفُّوا النخلَ قبلةَ المسجد ، وجعلوا عُضَادتيه حجارة ، قال : فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول : اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فانصر الأنصارَ والمهاجرة .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث ابن سعيد .

وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزّهرى، عن عروة ، أن المسجد الذى كان مِربداً — وهو بَيْدر التمر — ليتيمين كانا فى حِجْر أسعد بن زُرارة وهما سهل وسهيل ، فساومهما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : بل نَهبُه لك يارسول الله. فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجدا .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو ينقل معهم التراب :

---

(١) الخرب : جمع خربة ككلمة وكلم .

هذا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرْ ... هـــذا أبرُّ ربَّنا وأطْهَرْ

ويقول :

لاهُمَّ إنّ الأجرَ أجرُ الآخره ... فارحم الأنصـارَ والمُهَاجره

وذكر موسى بن عُقْبة أن أسـعد بن زُرَارة عوَّضهما منه نخلا له فى بياضة قال : وقيل ابتاعه منهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وذكر محمد بن إسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين فى حجر معاذ بن عَفْراء ، وهما سهل وسُهيل ابنا عمرو . فالله أعلم .

***

وروى البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا ، حدثنا الحسن بن حماد الضَّبى ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ؛ قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجدَ أعانه عليه أصحابُه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبرَّ صدره ، فقال : ابنوه عريشا كعريش موسى . فقلت للحسن : ماعريش موسى ؟ قال : إذا رفع يديه بلغ العريش ، يعنى السقف .

وهذا مرسل وروى من حديث حَمَّاد بن سَلَمة ، عن أبى سنان ، عن يَعْلَى بن شدَّاد بن أوس ، عن عبادة ، أن الأنصار جمعوا مالاً فأتوا به النبيَّ صلى الله عليـه وسلم فقالوا : يارسول الله ابنِ هذا المسجد وزيِّنه ، إلى متى نصلِّى تحت هذا الجريد ؟ فقال : مابى رغبةٌ عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن سنان ، عن فِرَاس ، عن عطية العَوْفى ، عن ابن عمر ، أن مسجد النبى صلى الله عليـه وسلم كانت

سواريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم إنها تخرَّبت فى خلافة أبى بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تخربت فى خلافة عثمان فبناها بالآجُرّ ، فما زالت ثابتة حتى الآن .

وهذا غريب .

وقد قال أبو داود أيضا : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، حدثنى أبى ، عن أبى صالح ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر ، أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعادَ عمدَه خشبا ، وغيَّره عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة (١) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (٢) .

وهكذا رواه البخارى عن على بن المَدِينى ، عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً ولو كمَفْحص قَطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » .

ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد، فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرِّحال إليه .

وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك بانى جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن

(١) القصة : الجص . (٢) فى ا : بالسلاح وهو تصحيف . والساج : اسم لنوع من الشجر .

عبد العزيز حين كان نائبَه على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه . ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

* * *

قال ابن إسحاق : ونزل رسولُ الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغِّب المسلمين فى العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدْنا والنبيُّ يعملْ   لذاكَ منَّا العملُ المضلَّل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيشَ إلا عيشُ الآخره   اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أثقلوه باللبِن فقال : يارسول الله قتلونى يَحْملون علىَّ مالا يحملون .

قالت : أم سلمة فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ينفض وَفْرَته بيده ، وكان رجلا جَعْداً ، وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية » .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، بل هو مُعْضَل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة ، وقد وصلَه مسلمٌ فى صحيحه من حديث شُعبة ، عن خالد الحَذَّاء ، عن سعيد والحسن ، يعنى ابنى أبى الحسن البصرى ، عن أمهما خَيْرة مولاة أم سلمة ، عن أم سلمة قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقتل عماراً الفئةُ الباغيةُ » ورواه من حديث ابن عليّة ، عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار ، وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية ».

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الحسن يحدث عن أمه ، عن أم سلمة ، قالت : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يَبْنون المسجدَ ، جعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لَبِنةً لبنةً ، وعمار يحمل لبنتين ، لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال : « ابنَ سُمَيَّة ، للناس أجرٌ ولك أجران ، وآخرُ زادك شَرْبة من لبَن وتقتلك الفئة الباغية » .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين .

وقد أورد البيهقى وغيره من طريق جماعة ، عن خالد الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة ، وعَمَّار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار ! تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

لكن روى هذا الحديث الإمام البخارى عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن خالد الحذَّاء ، وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب الثَّقفى ، عن خالد الحذَّاء به ، إلا أنه لم يذكر قوله : « تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقى : وكأنه إنما تركها لمَا رواه مسلم من طريق ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد [قال : أخبرنى مَن هو خيرٌ منّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤسَ ابنِ سُمَيَّة ! تقتله فئةٌ باغية » .

وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة ، عن أبي مسلم ، عن أبي نَضرة ، عن أبي سعيد [1]] قال : حدثني من هو خير مني ، أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر « بؤساً لك يا بن سُمَيَّة تقتلك الفئة الباغية » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وُهَيب ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حَفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار ناقهٌ مِنْ وجعٍ كان به ، فجعل يحمل لبنتين لبنتين . قال أبو سعيد : فحدثني بعضُ أصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقي : فقد فرَّق بين ماسمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه .

قال : ويُشْبه أن يكون قوله : « الخندق » وهماً ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفى حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حَمْلُ اللبن فى حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل . والله أعلم .

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية .

وقد قتله أهل الشام فى وقعة صِفِّين ، وعَمَّار مع علىٍّ وأهلِ العراق .

وقد كان علىٌّ أحقَّ بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاةً تكفيرُهم ، كما يحاوله جهلةَ الفرقة الضالة من الشِّيعة وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بغاةً فى نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كل مجتهد مصيباً ، بل المصيبُ له أجران والمخطئ له أجر .

---

(١) سقط من ا .

ومن زاد فى هذا الحديث بعد : « تقتلك الفئة الباغية » : « لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة » فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تُقبل والله أعلم .

وأما قوله : « يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهلُ الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمامٌ برأسه ، وهذا يؤدى إلى افتراق الكلمة واختلافِ الأمة ، فهو لازمُ مذهبهم وناشئٌ عن مسلكهم ، وإن كانوا لايقصدونه والله أعلم .

والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوى ، على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

***

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عُبيد بن شريك ، حدثنا نُعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حَشْرَج بن نُباتة ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء ولاة الأمر بعدى » .

ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحِمَّانىّ ، عن حَشرج عن سعيد ، عن سفينة . قال : لما بَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجدوضع حجراً . ثم قال « لِيَضَعْ أبو بكر حَجراً إلى جَنب حَجرى ، ثم ليضع عمر حَجره إلى جنب حجر أبى بكر ، ثم ليضع عثمان حَجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء الخلفاء من بعدى » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً .

والمعروف ما رواه الإمام أحمد، عن أبي النَّضْر ، عن حشرج بن نباتة العَبْسى ، وعن بَهْز وزيد بن الحُبَاب وعبد الصمد وحماد بن سلمة ، كلاهما عن سعيد بن جمهان ، عن سَفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما ، ثم يكون من بعد ذلك المُلْك » ثم قال سفينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين ، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة ، وخلافة علىّ ست سنين .

هذا لفظ أحمد .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق، عن سعيد بن جمهان ، وقال الترمذى حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون مُلْكاً عَضُوضاً » وذكر بقيته .

* * *

قلت : ولم يكن فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أول مابنى منبرٌ يخطب الناس عليه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وهو مستندٌ إلى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى ، فلما اتخذ له عليه السلام المنبر، كما سيأتى بيانه فى موضعه ،وعدَل إليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذعَ خار ذلك الجذعُ وحَنَّ حنينَ النُّوق العِشَار ، لمَا كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبى صلى الله عليه وسلم فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذى يسكت ، كما سيأتى تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدى وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضى الله عنهم .

وما أحسن ماقال الحسن البصرى بعد ماروى هذا الحديث ، عن أنس بن مالك : يامعشر المسلمين الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ !

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبى يحيى ، حدثنى أبى ، قال : سمعت أبا سعيد الخدرى قال : اختلف رجلان ، رجل من بنى خُدْرة ورجل من بنى عمرو بن عوف، فى المسجد الذى أُسس على التقوى، فقال الخدرى : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العَمْرى : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد» لِمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : « فى ذلك خير كثير » يعنى مسجد قُباء .

ورواه الترمذى عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبى يحيى الأسلمى به وقال : حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد ، عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد والترمذى والنسائى جميعاً ، عن قُتيبة ، عن الليث ، عن عِمْران بن أبى أنس ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارَى رجلان فى المسجد الذى أسِّس على التقوى ، وذكر نحو ماتقدم .

وفى صحيح مسلم من حديث حُميد الخرَّاط ، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل عبدالرحمن ابن أبى سعيد ، كيف سمعتَ أباك فى المسجد الذى أسِّس على التقوى ؟ قال أبى : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ كفًّا مِن حَصْباء فضرب به الأرضَ ثم قال : « هو مسجدكم هذا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمى ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : هو مسجد قُباء . فأتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : « هو مسجدى هذا » .

وقال الإمام أحمدُ حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبىّ بن كعب ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المسجدُ الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » .

فهذه طرق متعددة لعلها تَقْرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإلى هذا ذهب عمر ، وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيَّب ، واختاره ابن جرير .

وقال آخرون : لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصِّفة من ذلك ، لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التى تُشَدُّ الرِّحال إليها ، كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدى هذا والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس » .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

وثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله وسلم قال : « صلاةٌ فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وفى مسند أحمد بإسناد حسن زياد حسنة وهى قوله « فإنّ ذلك أفضل » .

وفى الصحيحين من حديث يحيى القَطَّان ، عن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين بيتى ومنبرى روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » .

والأحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام ، لأن ذاك بناه إبراهيم ، وهذا بناه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم عليه السلام .

وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك ، وقرروا أن المسجد الحرام أفضل ، لأنه فى بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين ، فاجتمع فيه من الصفات ماليس فى غيره ، وبَسْط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصـــــل

وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حُجَراً لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكنَ قصيرة البناء قريبة الفناء .

قال الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وكان غلاما مع أمه خَـيْرة مولاة أم سلمة ، لقد كنت أنال أطْوَلَ سقف فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم بيدى .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصرى شَـكلًا ضَخْماً طِوالا . رحمه الله .

وقال السُّهيلى فى الرَّوض : كانت مساكنه عليه السلام مبنيةً من جريد عليه طين ، بعضها من حجارة مرضومة ، وسقوفها كلها من جريد .

وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم .

وكانت حُجَره من شَعر مربوطة بخشب من عَرْعر .

قال : وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يُقْرع بالأظافير ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلَق .

قال : وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد .

* * *

قال الواقدى وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أُريقط الدِّيلى إلى مكة بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر زيدَ بن حارثة وأبا رافع مَوْلَيَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعثا معهم بجَمَلين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاءوا ببنتى النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سَوْدَة وعائشة ، وأمها أم رُومان ، وأهل النبى صلى الله عليه وسلم وآل أبى بكر صحبةَ عبد الله بن أبى بكر ، وقد شرد بعائشة وأمها أم رُومان الجملُ فى أثناء الطريق ، فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه . قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول : أرسلى خِطَامه ، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل .

فتقدموا فنزلوا بالسُّنْح ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى .

وقَدِمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متمٌّ بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

فيما أصاب المهاجرين من حُمَّى المدينة رضى الله عنهم أجمعين وقد سَلِم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا ربه فأزاحها الله عن مدينته

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ، حدثنا مالك بن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وَعِكَ أبو بكر وبلال ، قالت فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبتِ كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ والموتُ أدْنَى مِنْ شِرَاكِ نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

أَلا ليت شِعْرى هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحَوْلِى إذْخَرُ وجَلِيلُ[1]

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ وهل يبدُوَنْ لى شامةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشة : فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حَبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصَحِّحها وبارك لنا فى صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحْفَة[2] » .

ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن هشام مختصراً .

وفى رواية البخارى له عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، فذكره وزاد بعد شعر بلال . ثم يقول : اللهم العن عتبةَ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء .

---

(١) الإذخر : الحشيش الأخضر ، أو حشيش طيب الرائحة . والجليل : نبت ضعيف .

(٢) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة . وكان بها حينئذ يهود .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وصَحِّحها لنا وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفة » .

قالت : وقدمْنا المدينةَ وهى أَوْبَأُ أرضِ الله ، وكان بُطْحان يجرى نَجْلًا ، يعنى ماء آجنا .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبدالله بن عروة ابن الزبير ، عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسُقْم وصرف الله ذلك عن نبيه ، قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحجابُ ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من أبى بكر فقلت : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كلُّ امرئٍ مُصَبّح فى أهله ... والموتُ أدنى مِنْ شِرَاكِ نعلِه

قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فُهَيْرة فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقه ... إنَّ الجبانَ حَتْفُه مِنْ فوقهِ

كلُّ امرئٍ مجاهدٌ بطوقه ... كالثورِ يَحْمى جلده بِرَوْقه

قال : فقلت : والله ما يدرى ما يقول ، قالت : وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتَنَّ ليلةً ... بفَخٍّ وحولى إذخر وجَليلُ

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجِنَّة ... وهل يبدوَنْ لى شامةٌ وطَفيلُ

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم وقلت : إنهم ليَهْذُون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبِّب إلينا المدينة ، كما حبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدَّ ، وبارك لنا فى مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مَهْيَعة » ومَهْيَعة هى الجحفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى بكر بن إسحاق بن يَسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فُهَيْرة مولى أبى بكر وبلال ، فاستأذنت عائشةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبى بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كلُّ امرئٍ مصبَّحٌ فى أهله ... والموتُ أدْنَى مِنْ شِراكِ نَعْلِه

وسألت عامراً فقال :

إنى وجدت الموتَ قَبْلَ ذَوْقه ... إنّ الجبانَ حَتْفُهُ مِنْ فوقه

وسألت بلالا فقال :

ياليت شِعْرى هل أبيتنَّ ليلةً ... بفَخٍ وحولى إذْخَرٌ وجَليلُ

فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبَّبْت إلينا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وانقل وباءها إلى مَهْيعة » وهى الجحْفة فيما زعموا .

وكذا رواه النسائى عن قتيبة ،عن الليث به. ورواه الإمام أحمد ،من طريق عبد الرحمن ابن الحارث عنها ، مثلَه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالا : حدثنا

أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أوبأ أرض الله ، ووداديها بُطْحان نَجْلٌ .

قال هشام : وكان وباؤها معروفا فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وبيئا فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق نهيقَ الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضرّه وباء ذلك الوادى . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لَعَمْرى لئن عبرّتُ مِن خيفةِ الرّدى نهيقَ الحمارِ إننى لجزُوعُ

وروى البخارى من حديث موسى بن عُقْبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت كأن امرأةً سوداء ثائرةَ الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمَهيعة ، وهى الجحْفة . فأوّلتُها أن وباء المدينة نُقل إلى مَهيعة ، وهى الجحفة » .

هذا لفظ البخارى ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة .

وقد روى حمّاد بن زيد ، عن هشام بن عُروة ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى وبيئة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُمّاها إلى الجحفة » .

قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلمُ حتى تَصْرعه الحمَّى .

ورواه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى وبيئة ، فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه صبيحة رابعة ، يعنى مكة ، عام عُمرة القضاء ، فقال المشركون : إنه يَقْدم عليكم وفدٌ قد وهنهم حُمَّى يثرب ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُرْمِلوا وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة ، فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رُفع وبقى آثار منه قليل ، أو أنهم بقوا فى خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة . والله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدو مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا وما يُصلُّون إلا وهم قُعود .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشَّم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم ، التماس الفضل !

فصـــــل

فى عَقْده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذى أَمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التى أمرهم بها وقررهم عليها ، ومُوَادعته اليهودَ الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قَينقاع وبنو النضير وبنو قُريظة .

وكان نزولهم بالحجاز قَبْل الأنصار أيام بُختنصَّر حين دوَّخ بلاد المقدس . فيما ذكره الطبرى .

ثم لمـا كان سيلُ العَرِم وتفرقت شذَر مذَر ، نزل الأوسُ والخزرج المدينـة عند اليهود ، فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لِمَا يرون لهم عليهم من الفضل فى العلم المأثور عن الأنبياء .

لـكنْ مَنَّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهُدَى والإسلام ، وخذل أولئك لحسَدهم وبغْيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك .

وقد رواه الإمام أحمد أيضا والبخارى ومسلم وأبو داود من طرق متعددة ، عن عاصم بن سليمان الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار فى دارى . وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، عن حجاج ، هو ابن أرطاة ، قال : وحدثنا سُرَيج ، حدثنا عبَّاد ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جـده : أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقلوا معاقلهم ، وأن يَفْدُوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين .

قال أحمد : وحدثنا سُرَيج ، حدثنا عباد ، عن حجاج ، عن الحـكَم ، عن قاسم ، عن ابن عباس مثله .

تفرد به الإمام أحمد .

وفى صحيح مسـلم عن جابر : كتب رسول الله صلى الله عليـه وسلم على كل بطن عقولة .

وقال محمد بن إسحاق : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بَين المهـاجرين والأنصار وادَع فيه اليهودَ وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرَط

لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتابٌ من محمد النبى الأمى ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومَنْ تَبِعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أمّةٌ واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعتهم[١] يتعاقلون بينهم ، وهم يَفدُون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط ، وبنو عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين .

ثم ذكر كلَّ بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بنى ساعِدَة ، وبنى جُشَم ، وبنى النجار ، وبنى عمرو بن عوف ، وبنى النَّبيت .

إلى أن قال : وإنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[٢] بيْنهم أن يُعطوه بالمعروف فى فداء [أ] وعقل ، ولا يُحالِفُ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسيعة[٣] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعهم ، ولو كان ولدَ أحدهم ، ولا يَقْتل مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضُهم موالى بعض دون الناس .

وإنه مَنْ تبِعنا مِنْ يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصَرٍ عليهم ، وإن سِلْم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كلَّ غازية غزت معنا يُعقب بعضُها بعضا .

وإن المؤمنين يُبىء[٤] بعضُهم بعضاً بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين

---

(١) ربعتهم : حالهم التى أتى الإسلام وهم عليها .

(٢) قال ابن هشام : المفرح المثقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة … وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

(٣) الدسيعة : العظيمة . وفى الأصل . دسيسة . وهو تحريف .

(٤) يبىء : يمنع .

المتقين على أحسن هَـدْىٍ وأقومه ، وإنه لا يجير مشركٌ مالًا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعْتَبط مؤمناً قتلًا عن بيّنة فإنه قَوَدٌ به إلى أنْ يرضَى ولىُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه .

وإنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما فى هذه الصحيفة وآمنَ بالله واليوم الآخر أن ينصر محْدِثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وإن اليهود يُنْفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمَّةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغ[1] إلا نفسه وأهلَ بيته .

وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جُشَم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشُّطَيْبة[2] مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن بِطَانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحـد إلا بإذن محمد ، ولا يَنْحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه [فتَك وأهل بيته][3] إلا من ظلم ، وإن الله على أبرّ[4] هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤٌ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرامٌ جوفها[5] لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمةٌ إلا بإذن أهلها .

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فساده فإنّ مردَّه إلى

---

(١) يوتغ : يهلك (٢) الأصل : الشطنة وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام .
(٣) من ابن هشام (٤) الأصل : أثر . وهو تحريف . (٥) الأصل : حرفها . وماأثبته عن ابن هشام

الله وإلى محمد رسول الله ، وإن الله على أتْقَى ما فى هذه الصحيفة وأبَرِّه ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نَصَرها ، وإن بينهم النصر على مَنْ دَهِمَ يثربَ ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدِّين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قِبَلهم .

وإنه لا يَحُول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه مَن خرج آمِنٌ ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أَثِم ، وإنّ الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى » .

كذا أورده ابن إسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَّام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصــــل

فى مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

ليرتفق المهاجرى بالأنصارى

كما قال تعالى : « والذين تبوَّأُوا الدار والإيمان مِن قبلهم يحبُّون مَنْ هاجرَ إليهم ولا يَجِدون فى صدورهم حاجةً ممـا أُوتوا ويُؤْثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولـئك هم المفلحون »[1] وقال تعالى : « والذين عَقَدَتْ أيمانُـكم فآتوهم نَصيبهم إنّ الله كان على كلِّ شيءٍ شهيداً »[2] .

قال البخارى : حدثنا الصَّلْت بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس « ولـكلٍّ جعلنا مَوالى » قال: ورثة « والذين عاقَدَتْ أيمانـكم» كان المهـاجرون لمـا قدموا المدينـة يرث المهـاجرىُّ الأنصارىَّ دون ذوى رحِمه للأخوّة التى آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلمـا نزلت « ولـكلٍّ جعلنا موالى » نُسخت ثم قال : « والذين عاقَدتْ أيمانُـكم فآتوهم نصيبهم » من[3] النصر والرِّفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له .

وقال الإمام أحمد : قرىء على سفيان : سمعت عاصما عن أنس قال : حالفَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا . قال سفيان : كأنه يقول آخَى .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ « تآخَوا فى الله أخوَيْن أخوين » .

---

(١) سورة الحشر ٩ . (٢) سورة النساء ٣٣ والقراء . (٣) البخارى : إلا النصر . .

ثم أخذ بيد علىّ بن أبى طالب فقال : « هذا أخى » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدُ المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الذى ليس له خَطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب أخوَيْن .

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين .

قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وَقش أخوين ، ويقال: بل كان الزبير وعبدالله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجارى أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبىّ بن كعب أخوين ، ومصعب بن عُمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة ابن عُتْبة وعباد بن بشْر أخوين ، وعَمار وحذيفة بن اليمان العَبْسى حليف عبد الأَشْهل أخوين . ويقال : بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند من وجهين .

قال : وأبو ذَرّ بَرِير بن جنادة ، والمنذر بن عمرو الْمُعنِقُ ليموت (١) أخوين ، وحاطب بن أبى بَلْتَعة وعُوَيم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين ، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد الفَزَع (٢) أخوين .

---

(١) هو المنذر بن عمرو بن خنيس ، قتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقال له : أعنق ليموت ، أى سار مسرعا . (٢) ويروى القزع بالقاف .

قال : فهؤلاء مَنْ سُمِّى لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بينهم من أصحابه . رضى الله عنهم .

***

قلت : وفى بعض ماذكره نظر .

أما مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم وعلىّ ، فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ، ومُسْتَنده فى ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألَّف قلوبَ بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لأحد منهم، ولا مهاجرىّ لمُهَاجرى آخر ، كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة .

اللهم إلاَّ أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل مصلحة علىٍّ إلى غيره ، فإنه كان ممن ينفق عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من صِغره فى حياة أبيه أبى طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره .

وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مَوْلاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذِكْره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جَبل فيه نظر ، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبى طالب إنما قَدِم فى فتح خيبر فى أول سنة سَبْع كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أولَ مَقْدمه عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أن يقال إنه أَرْصَد لأخوّته إذا قَدِم حين يَقْدَم .

وقوله : « وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين » يخالف ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بين أبى عبيدة بن الجرَّاح وبين أبى طَلحة .

وكذا رواه مسلم منفرداً به ، عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به .

وهـذا أصح ممـا ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ . والله أعلم .

* * *

وقال البخاري : باب كيف آخَى النبيُّ صلى الله عليـه وسلم بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الرَّبيع لما قدمنا المدينة .

وقال أبو جُحَيفة : آخَى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما .

حـدثنا محمد بن يوسف ، حـدثنا سفيان ، عن حُميد ، عن أنس ، قال : قَدِم عبدُ الرحمن بن عوف فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأنصاري ، فعرض عليه أن يُناصفه أهلَه ومالَه ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دُلَّني على السوق . فربح شيئا من أَقط وسمن ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم بعـد أيام وعليه وَضَرٌ من صُفْرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَهْيَم ياعبد الرحمن ؟ قال : يارسول الله تزوجتُ امرأةً من الأنصار . قال : « فما سُقْتَ فيها ؟ » قال : وَزْنَ نَواةٍ من ذَهبٍ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَوْلِم ولو بشاة » .

تفرد به من هـذا الوجه . وقد رواه أيضا في مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حُميد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت وحميد ، عن أنس ، أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد : أَيْ أخي ، أنا أكثرُ أهل المدينة مالاً ، فانظر شَطْرَ مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجبُ إليك حتى أطلقها .

فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق . فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشىء من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهيم ؟ » فقال : يارسول الله تزوجتُ امرأة ، قال : « ما أَصْدَقتها ؟ » قال : وزن نواة من ذهب ، قال « أَوْلم ولو بشاة » .

قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيب ذهباً وفضة .

وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب ، فإنه لا يعرف مسنداً إلا عن أنس ، اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس ، قال : قال المهاجرون : يارسول الله مارأينا مثلَ قومٍ قدِمْنا عليهم أحسنَ مواساةً فى قليل ، ولا أحْسَنَ بَذْلا من كثير ، لقد كفَوْنا المؤونة وأَشْركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

هذا حديث ثلاثى الإسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت فى الصحيح من [غيره] .

وقال البخارى : أخبرنا الحكَم بن نافع ، أخبرنا شُعيب ، حدثنا أبو الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قالت الأنصار : اقسم بَيْننا وبين إخواننا النخيلَ . قال : لا . قالوا : أفتكفوننا المؤونة ونَشْركَكم فى الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا . تفرَّد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أَسْلَمَ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار « إنّ إخوانكم قد تركوا الأموالَ والأولادَ وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالُنا بيننا

قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك ؟ » قالوا وما ذاك يارسول الله ؟ قال : « هم قومٌ لا يعرفون العملَ ، فتَكْفونهم وتقاسمونهم الثمر » . قالوا نعم .

وقد ذكرنا ماورد من الأحاديث والآثار فى فضائل الأنصار وحُسْن سجاياهم عند قوله تعالى : « والذين تبوَّأُوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قبلهم » الآية .

فصـــل

فى موت أبى أمامة أسعد بن زُرَارة

ابن عدس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، أحد النقباء الاثنى عشر ليلةَ العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث ، وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية فى قولٍ ، وكان شابًّا ، وهو أول من جمع بالمدينة فى نقيع الخَضِمات فى هَزْم النَّبيت . كما تقدم .

قال محمد بن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يُبْنى ، أخذته الذبحة أو الشهقة .

وقال ابن جرير فى التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كوَى أسعد بن زرارة فى الشوكة .

رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « بئس الميتُ أبو أمامة لِيَهودٍ ومنافِقي العرب ، يقولون : لو كان نبيًّا لم يمتْ صاحبُه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا » ،

وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في الغابة أنه مات في شوال بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر . فالله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني النجار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم لهم نقيباً بعدَ أبي أمامة أسعد بن زُرارة فقال : « أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخصَّ بها بعضَهم دونَ بعض ، فكان من فَضْل بني النجار الذي يعتدُّون به على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

قال ابن الأثير : وهذا يردُّ قولَ أبي نُعيم وابن منده في قولهما : إن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار .

وصدَق ابنُ الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفي بعد مقدمه عليه الصلاة السلام المدينة من المسلمين ، فيما ذكر ، صاحبُ منزله كلثوم بن الهَدْم ، لم يلبث بعد مَقْدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفي بعده أسعدُ بن زُرَارة وكانت وفاته في سنة مَقْدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد ، بالذبحة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهَدْم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف ، بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلَم قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل ،

وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه فى منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم .

قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أولُ من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبرى .

فصـــل

فى ميلاد عبد الله بن الزبير فى شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد فى الإسلام من المهاجرين ، كما أن النعمان بن بَشِير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضى الله عنهما .

وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً . قاله أبو الأسود . ورواه الواقدى عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة عن أبيه ، عن جده .

وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة .

والصحيح ما قدمنا . فقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء ، أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت : فخرجت وأنا مُتِمٌّ فأتيت المدينة فنزلت بقُبَاء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ، فكان أول شىء دخل جوفه ريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنَّكه بتمرة ، ثم دعا له وبرّك عليه . فكان أولَ مولود ولدَ فى الإسلام . تابعه خالد بن مَخْلَد ، عن على ابن مُسْهِر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها هاجرت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهى حُبلى .

حدثنا قُتَيبة ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أولُ مولود ولد فى الإسلام عبدُ الله بن الزبير ، أتوا به النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم تمرةً فلاكها ثم أدخلها فى فيه ، فأول ما دخل بطنه ريقُ النبى صلى الله عليه وسلم .

فهذا حجةٌ على الواقدىّ وغيره ، لأنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بَعَث مع عبد الله بن أُريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبى بكر ، فقدِموا بهم إثر هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأسماء حاملٌ مُتِمٌّ ، أى مُقْرِب قد دَنَا وضعُها لولدها ، فلما ولدته كبَّر المسلمون تكبيرةً عظيمة فرَحاً بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سَحروهم حتى لا يولَد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذَبَ الله اليهود فيما زعموا .

فصـــل

وبَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فى شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أُمية ، عن عبد الله بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوَّجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبَنَى بى فى شوال ، فأىُّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحظَى عنده منى ؟

وكانت عائشة تستحب أن تُدْخل نساءها فى شوال .

ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان الثورى به . وقال الترمذى : حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثَّورى .

فعلى هذا يكون دخولُه بها عليه السلام بعدَ الهجرة بسبعة أشهر ، أو ثمانية أشهر .

وقد حكى القولين ابنُ جرير ، وقد تقدم فى تزويجه عليه السلام بسَوْدَة كيفيةُ تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدِموا المدينة ، وأن دخوله بها كان بالسُّنْح نهاراً . وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفى دخوله عليه السلام بها فى شوال ردٌّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهيةِ الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشىء لما قالته عائشة رادَّة على مَن توهَّمه من الناس فى ذلك الوقت : تزوجنى فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، أى دخل بى فى شوال ، فأىُّ نسائه كان أحظى عنده منى ؟

فدلَّ هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحبُّ نسائه إليه ، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص : قلت يا رسول الله أى الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

فصل

قال ابن جَرير : وفى هذه السنة ، يعنى السنة الأولى من الهجرة ، زِيد فى صلاة الحضَر ، فيما قيل ، ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر من ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت .

وقال : وزعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق مَعْمَر عن الزُّهرى عن عُرْوة ، عن عائشة قالت : فُرضت الصلاة أولَ ما فرضت ركعتين ، فأُقِرَّت صلاةُ السَّفر وزِيد فى صلاة الحضر .

وروى من طريق الشَّعبى عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقى عن الحسن البَصرى ، أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك فى تفسير سورة النساء عند قوله تعالى « وإذا ضَرَبْتم فى الأرضِ فليس عليكم جُناح أن تَقْصُروا من الصلاة[1] » الآية .

فصـــل

فى الأذان ومشروعيته عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار ، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوّأ الإسلام بين أَظْهُرهم .

وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوأوا الدارَ والإيمانَ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهمَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذى يَدْعون به لصلاتهم . ثم كرهه ، ثم أَمر بالناقوس فنُحت ليُضْرب به للمسلمين للصلاة .

فبيناهم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداءَ ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مرَّ بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت :

(١) سورة النساء ١٠١ .

يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : ألا أدلُّك على خيرٍ من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ،أشهدأن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حَيٍّ على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذِّن بها فإنه أنْدَى صوتاً منك » .

فلما أذَّن بها بلالٌ سمعه عمرُ بن الخطاب وهو فى بيته فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبي الله والذى بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذى رأى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به ، وصححه الترمذى وابن خزيمة وغيرهما .

وعند أبى داود أنه علَّمه الإقامة ؛ قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبى عُبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمدبن سلمة الحرّانى عن ابن إسحاق كما تقدم .

ثم قال : قال أبو عبيد : وأخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد الأنصارى قال فى ذلك :

الحمدُ لله ذى الجلال وذى الإكـــرام حمـــداً على الأذان كبيرَا
إذ أتانى به البشـــيرُ من اللـــه فأكرمْ به لَدَىَّ بَشِـــيرَا
فى ليـــالٍ والَى بهنّ ثلاثٍ كلمـــــا جاء زادنى توقيرَا

قلت : وهـذا الشعر غريب ، وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم.

ورواه الإمام أحمد ، من حديث محمد بن إسحاق قال : وذكر الزُّهرى عن سعيد ابن المسيَّب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق . عن محمد بن إبراهيم التيمى ولم يذكر الشعر .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطى ، حدثنا أبى عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهرى ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناسَ لِماَ يهمُّهم من الصلاة ، فذكروا البُوق فكرهه من أجْل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجْل النصارى . فأُرى النداء تلك الليـلة رجلٌ من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصاريُّ رسول ا لى الله عليه وسلم ليلاً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذَّن به .

قال الزُّهرى : وزاد بلالٌ فى نداء صلاة الغداة : « الصلاةُ خـيرٌ من النوم » مرتين ، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا رسول الله رأيتُ مثلَ الذى رأى ولـكنه سبقنى .

وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الأحكام الـكبير . إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذى أورده السُّهيلى بسنده من طريق البزَّار ، حدثنا محمد بن عثمان بن مَخْلد ، حدثنا أبى ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن على بن أبى طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذَّن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمة صدَّقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه ، فأمَّ بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلى : وأَخْلِقْ بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضّده ويشاكله من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلى أنه صحيح ، بل هو مُنْكر ، تفرَّد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب إليه الفرقة الجارودية ، وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة . والله أعلم .

***

قال ابن هشام : وذكر ابنُ جُرَيج قال : قال لى عطاء : سمعت عُبيد بن عُمَير يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر ابن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام : لا تجعلوا الناقوسَ بل أذِّنوا للصلاة .

فذهب عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بما رأى ، وقد جاء النبيَّ صلى الله عليه وسلم الوحىُ بذلك ، فما راع عمر إلا بلالٌ يؤذّن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : « قد سبقك بذلك الوحى » .

وهذا يدل على أنه قد جاء الوحى بتقرير مارآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، كما صرح به بعضهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كلَّ غَدَاة ، فيأتى بسَحَر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطَّى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك . قالت: ثم يؤذّن قالت : والله ماعلمتُه كان تركها ليلة واحدة . يعنى هذه الكلمات .

ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فصـــل

فى سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن جَرِير : وزعم الواقدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقد فى هذه السنة فى شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مُهاَجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، ليعترض لِعيرات قريش ، وأن حمزة لقى أبا جهل فى ثلاثمائة رجل من قريش ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال .

قال : وكان الذى يحمل لواءَ حمزة أبو مَرْثَد الغَنوى .

فصـــل

فى سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير : وزعم الواقدى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم عَقد فى هذه السنة على رأس ثمانية أشهر فى شوال لعُبيدة بن الحارث لواءً أبيض ، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ .

وكان لواؤه مع مِسْطَح بن أُثَاثة ، فبلغ ثَنِيَّة المُرّة وهى بناحية الجحْفة ، فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ، وكان بينهم الرمى دون المسايفة(١) . قال الواقدى : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت وعندنا ، وقيل كان عليهم مِكْرز بن حفص .

فصل

قال الواقدى : وفيها ، يعنى فى السنة الأولى فى ذى القعدة ، عَقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواءً أبيض يحمله المِقْداد ابن الأسود .

فحدثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، [عن أبيه] قال: خرجت فى عشرين رجلا على أقدامنا ، أو قال: أحد وعشرين رجلا ، فكنا نَكْمن النهار ونسير الليل ، حتى صبَّحنا الخرار صبحَ خامسة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلىَّ ألا أجاوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم .

قال الواقدى : كانت العير ستين ، وكان مَن مع سعد كلهم مِن المهاجرين .

قال أبو جعفر بن جرير : وعند ابن إسحاق أن هذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله ، كما سنورده فى أول كتاب المغازى فى أول السنة الثانية من الهجرة ، وذلك تِلْو ما نحن فيه إن شاء الله .

---

(١) المطبوعة : المسابقة . وهو تحريف .

ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا فى السنة الأولى ، وسنزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

والواقدى عنده زيادات حسنة ، وتاريخ مُحرَّر غالبا ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صَدُوق فى نفسه مِكثار ، كما بسطنا القولَ فى عدالته وجَرْحه فى كتابنا الموسوم « بالتكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » ولله الحمد والمنة .

فَصْلٌ

وممن ولد فى هذه السنة المباركة ، وهى الأولى من الهجرة ، عبدُ الله بن الزبير ، فكان أولَ مولود ولد فى الإسلام بعدَ الهجرة ، كما رواه البخارى عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتى الصديق رضى الله عنهما .

ومن الناس من يقول : وِلد النعمانُ بن بَشير قبلَه بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابنُ الزبير أولَ مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين .

ومن الناس من يقول إنهما ولدا فى السنة الثانية من الهجرة .

والظاهر الأول ، كما قدمنا بيانه ، ولله الحمد والمنة ، وسنشير فى آخر السنة الثانية إلى القول الثانى إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبى عُبَيد وزِيَاد بن سُمَيَّة ولدا فى هذه السنة الأولى[1] . فالله أعلم .

وممن توفى فى هذه السنة الأولى من الصحابة : كُلْثوم بن الهَدْم الأوسى ، الذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسكنه بقُباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بنى

(١) الأصل : فى هذه السنة الثانية . والتصويب من تاريخ الطبرى .

النَّجار كما تقـدم ، وبعدَه ، فيها ، أبو أمامة أسعد بن زُرَارة نقيب بنى النجـار ، توفى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى المسجد . كما تقدم رضى الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير : وفى هـذه السنة ، يعني الأولى من الهجرة ، مات أبو أُحيَحْة بمالِه بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السَّهمى فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يُسْلموا لله عز وجل .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع فى السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازى والسرايا ، ومن أعظمها وأجلِّها بدرٌ الكُبرى التى كانت فى رمضان منها ، وقد فرَق الله بها بَينْ الحق والباطل ، والهدى والغَىِّ .

وهذا أوان ذكر المغازى والبعوث فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازى

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار فى كتاب السيرة ، بعد ذِكْر أحبار اليهود ونَصْبهم العداوةَ للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم حُيَى بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجُدَىّ ، وسلاَّم بن مِشْكم ، وكِنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وسلَاَّم بن أبى الحُقَيق وهو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذى قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتى ، والربيع بن الربيع أبى الحقيق ، وعمرو بن جَحَّاش ، وكعب بن الأشرف وهو من طىء ثم أحد بنى نَبْهان وأمه من بنى النضير ، وقد قتله الصحابة قبلَ أبى رافع كما سيأتى ، وحليفاه الحجاج بن عمر وكردَم بن قيس لعنهم الله .

فهؤلاء من بني النضير .

ومن بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن [1] عبدُ الله بن صُوريا ، ولم يكن بالحجاز بعدُ أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم .

---

(١) الفطيون : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملكهم .

وابن صَلُوبا ، ومُخَيريق ، وقد أسلم يوم أُحد كما سيأتى ، وكان حبر قومه .

ومن بنى قينقاع زيد بن اللَّصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سَيْحَان [1] وعُزَيز بن أبى عزيز وعبد الله بن ضيف ، وسُوَيد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنحاص ، وأَشْيَع ، ونعمان بن أضَا ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشَأْس بن عدى ، وشأس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو [2] وسُكَين بن أبى سكين ، وعَدِى بن زيد ، ونُعمان بن أبى أوْفَى ، أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية ، ومالك بن صيف . وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبى آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرَيملة ، ورافع بن خارجة ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلاَم .

قلت : وقد تقدم إسلامه رضى الله عنه . قال ابن إسحاق : وكان حَبْرَهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصَين ، فلما أسلم سماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

قال ابن إسحاق : ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل [3] وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقْدهم الذى نقضوه عام الأحزاب ، وشَمْويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّحام بن زيد ، وكردَم [4] بن كعب ، ووهب بن زيد ونافع بن أبى نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيلة ، وجبل بن أبى قُشَير ، ووهب بن يهوذا :

قال : ومن بنى زريق ، لَبِيد بن أَعْصم ، وهو الذى سحَر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن صُوريا ، ومن يهود بنى عمرو بن عوف قَرْدَم ابن عمرو ، ومن يهود بنى النجار ، سلسلة بن بَرْهام .

---

(١) الأصل : شيخان . وما أثبته عن ابن هشام . (٢) الأصل : عمير . وما أثبته من ابن هشام .
(٣) ا . شموال . (٤) ابن هشام : قردم .

قال ابن إسحاق : فهؤلاء أحبارُ يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحابُ المسألة الذين يُكْثِرون الأسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعنت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سَلام ومُخَيْريق .

* * *

ثم ذكر إسلامَ عبد الله بن سَلام ، وإسلام عمته خالدة ، كما قدمناه .

وذكر إسلام مخيريق يوم أُحد كما سيأتى ، وأنه قال لقومه ، وكان يوم السبت ، يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقٌّ . قالوا : إن اليومَ يومُ السبت ، قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعَهد إلى مَن وراءه من قومه : إن قُتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله . وكان كثيرَ الأموال .

ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : « مخيريق خيرُ يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ مالَ إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج .

فمن الأوس : زُوَىّ بن الحارث ، وجُلاَس بن سُويد بن الصامت الأنصارى، وفيه نزل : « يَحْلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمةَ الكُفر وكَفروا بعدَ إسلامهم[1] » وذلك أنه قال حين تخلَّف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شَرٌّ من الحمر .

---

(١) سورة التوبة .

فنماها ابنُ امرأته عُمير بن سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر الجلاسُ ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك .

قال : وقد زعموا أنه تاب وحَسُنت توبته حتى عُرف منه الإسلامُ والخير .

قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى وقيسَ بن زيد أحد بنى ضُبَيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدَا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المُجذَّر قد قتل أباه سُوَيَدبن الصامت فى بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد .

كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن إسحاق أن الذى قتل سويدَ بن الصامت إنما هو معاذُ بن عَفراء قتله فى غير حربٍ قبلَ يوم بُعاث ، رماه بسهم فقتله .

وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيسَ بن زيد ، قال : لأن ابن اسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الُجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغنى عن ابن عباس : « كيف يَهْدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنَّ الرسول حَقٌّ وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين[1] » إلى آخر القصة .

قال : وبِجَاد بن عثمان بن عامر ، ونَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحبَّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيماً أَدْلَمَ[2] ثائرَ شعر الرأس أحمر العينين أسفعَ[3] الخدين ، وكان يسمع الكلامَ من

(١) سورة آل عمران ٨٦ . (٢) الأدلم : المسترخى الشفتين أو الشديد السواد .
(٣) السفعة : حمرة تضرب إلى السواد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمدٌ أُذُنٌ ، من حدَّثه بشىء صدَّقه . فأنزل الله فيه : « ومنهم الذين يُؤْذون النبىَّ ويقولون هو أُذن[1] » الآية .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنَى مسجدَ الضِّرار ، وثعلبة بن حاطب ومُعَتِّب بن قُشَير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصَّدقن ، ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتِّب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا . فنزلت فيه الآية . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يَعِدنا أنا نأكل كنوزَ كسرى وقيصر . وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فنزل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسولُه إلا غرورا[2] » .

قال ابن إسحاق : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام . ومُعتب بن قُشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم[3] من بنى أمية بن زيد ، من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبةَ والحارث فى بنى أمية بن زيد ، فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعبَّاد بن حُنيف أخو سهل بن حنيف ، وبَحْزج ، وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن خِذَام[4] وعبد الله بن نَبْتَل ، وجارية بن عامر بن العطَّاف ، وابناه يزيد[5] ومُجمع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاماً حدَثاً قد جمَع أكثرَ القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضِّرار كما سيأتى بيانه بعد غزوة تبوك ، وكان فى أيام عمر سأل أهلُ قُباء عمرَ أن يصلى بهم مجمعٌ فقال : لا والله ، أو ليس إمامَ المنافقين فى مسجد الضرار ؟ !

---

(١) سورة التوبة ٦١ . (٢) سورة الأحزاب (٣) الأصل : وهما . وما أثبته عن ابن هشام .
(٤) الأصل : حزام . وما أثبته عن ابن هشام . (٥) ابن هشام : زيد

فحلف بالله ما علمتُ بشيء من أمرهم . فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم .

قال : ووديعة بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجدَ الضرار، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فنزل فيه ذلك .

قال : وخِذام بن خالد ، وهو الذى أَخرج مسجد الضرار من داره .

قال ابن هشام، مستدركا على ابن إسحاق فى منافقى بنى النَّبيت من الأوس : وبشْر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق : ومِرْبع بن قَيْظى ، وكان أعمى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أُحد : لا أحلّ لك إن كنت نبيًّا أن تمرَّ فى حائطى . وأخذ فى يده حفنةً من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر[١] » وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلى بالقوس فشجَّه .

قال : وأخوه أَوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة . قال الله : «وما هى بعورةٍ إنْ يريدون إلا فِراراً[٢] » قال : وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا َ[٣] فى جاهليته ، وكان له ابنٌ من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أُصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أنه اجتمع إليه مَنْ بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا بن حاطب . قال : فنجم نفاقُ أبيه فجعل يقول : أجلْ ! جنةٌ مِن حَرْمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه !

---

(١) ابن هشام: أعمى البصيرة . (٢) سورة الأحزاب ١٣. (٣) عسا : أسن وكبر .

قال وبشير بن أُبيرق أبو طعمة سارق الدرعين ، الذى أنزل الله فيه : « ولا تُجَادِلْ عن الذين يَخْتَانون أنفسهم [1] » الآيات .

قال : وقُزمان حليفٌ لبنى ظُفر ، الذى قَتَل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلتُ إلا حَمِيةً على قومى . ثم مات لعنه الله .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يُعْلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحُبٍّ يهود .

فهؤلاء كلهم من الأوس .

* * *

قال ابن إسحاق : ومن الخزرج : رافع بن وَدِيعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجدُّ بن قيس ، وهو الذى قال : ائذن لى ولا تَفْتِنِّى . وعبد الله بن أُبَىٍّ بن سَلُول ، وكان رأسَ المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم فى الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام قبلَ ذلك ، شَرِق اللعينُ بريقه وغاظه ذلك جداً ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجن الأعزُّ منها الأذلَّ .

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفى وديعة ، رجل من بنى عوف ، ومالك ابن أبى قَوْقَل وسُويد وداعس ، وهم مِن رهطه نزل قوله تعالى : « لئن أُخرجوا لا يَخْرُجون معهم [2] » الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النَّضير .

---

(١) سورة النساء ١٠٧ . (٢) سورة الحشر ١٢ .

فصـــــــل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ أسلَم من أحبار اليهود على سبيل التَّقِيَّة ، فكانوا كفارا فى الباطن ، فأَتْبعهم بصنف المنافقين ، وهم مِن شَرّهم :

سعدُ بن حُنيف ، وزيد بن اللُّصَيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا أعلم إلا ماعلّمنى الله ، وقد دلّنى الله عليها ، فهى فى هذا الشِّعب قد حبستْها شجرةٌ بزمامها » فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك .

قال : ونعمان بن أَوْفَى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حُرَيملة ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : « قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين » .

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك فقال: «إنها هَبّت لموت عظيم من عظماء الكفار» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم .

وسِلْسلة بن بُرْهام ، وكنانة بن صوريا .

فهؤلاء من أسلم من منافقى اليهود .

***

قال : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، ويسمعون أحاديثَ المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم .

فاجتمع فى المسجد يوماً منهم أناس ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لَصق بعضُهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا .

فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى النجار ، وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية ، فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ، لعنه الله : أتُخْرِجنى يا أبا أيوب من مِرْبَد بنى ثعلبة .

ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلبَّبَه بردائه ، ثم نتره نتراً شديداً ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدَمه بهما لَدْمةً (١) فى صدره خرَّ منها ، قال يقول : خدشتنى ياعمارة . فقال عمارة . أبْعَدك الله يامنافق ، فما أعدَّ الله لك من العذاب أشدُّ من ذلك ، فلا تقْرَبنّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أَصْرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك ابن النجار ، وكان بَدْريا ، إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان شابا وليس فى المنافقين شاب سواه ، فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه .

وقام رجل من بنى خُدْرة (٢) إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمَّة ، فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول

---

(١) اللدم : الضرب ببطن الكف . (٢) ابن هشام : من بلخدرة .

المنافق : قد أغلظتَ يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهلٌ لذلك أَىْ عدوّ الله لمَا أنزل فيك ، فلا تَقْربَنَّ مسجدَ رسول الله صلى الله وسلم فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيـه زُوَى بن الحارث فأخرجه إخراجا عنيفا وأَفَّف منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمرُه .

ثم ذكر ابن إسحاق مانزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتـكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد . رحمه الله .

ذكر أول المغازى وهى غزوة الأبواء
ويقال لها غزوة ودَّان وأول البعوث

وهو بَعْثُ حمزةَ بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتى فى المغازى .

قال البخارى : كتاب المغازى . قال ابن إسحاق : أول ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأَبْوَاء ، ثم بُوَاط ، ثم العُشَيْرة .

ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سُئل : كم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة ، شهد منها سبع عشرة أولهن العُسَيْرة ، أو العشيرة .

وسيأتى الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العُشَيرة إن شاء الله وبه الثقة .

وفى صحيح البخارى عن بُرَيدة قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ستَّ عشرة غزوة .

ولمسلم عنه : أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة . وفى رواية له عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة . وقاتل فى ثمان منهن .

وقال الحسين بن واقد ، عن ابن بريدة، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا سبع عشرة غزوة وقاتل فى ثمان ، يوم بدر ، وأُحد ، والأحزاب ، والمُرَيسيع ، وقُدَيد وخيبر ، ومكة ، وحُنين . وبَعث أربعاً وعشرين سَرِيَّة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى التَّنُّوخى ، حدثنا الهيثم ابن حُميد ، أخبرنى النعمان، عن مَكْحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثمانى

عشرة غزوة ، قاتل فى ثمانى غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قرَيظة ، ثم بئر معونة[١] ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف .

قوله : « بئر معونة » بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتى .

قال يعقوب : حدثنا سلمة بن شَبِيب ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، سمعت سعيد بن المسيَّب يقول : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة . وسمعته مرة أخرى يقول : أربعا وعشرين . فلا أدرى أكان ذلك وَهْماً أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطبرانى عن الدَّبَرى[٢] ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن الزهرى . قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين غزوة .

وقال عبد الرحمن بن حُميد فى مسنده : حدثنا سعيد بن سلاَّم ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم من طريق هشام ، عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت ثلاثا وأربعين . ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذُكرت فى « الإكليل » على الترتيب بعوثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه زيادة على المائة .

قال : وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين .

---

(١) بئر معونة لم تكن غزوة ولم يشهدها الرسول صلوات الله عليه ، بل وقع فيها العدوان على البعث الذى أرسله إلى نجد فى حماية أبى البراء ملاعب الأسنة ، ثم غدر بهم عامر بن الطفيل ولعلها أقحمت على الثمانية.

(٢) هو أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن عباد الدبرى، راوى كتب عبد الرزاق عنه ، روى عنه الطبرنى وغيره . وفى الأصل : الدرى . محرفة .

وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وحَمْله كلامَ قتادة على ماقال فيه نظر .

***

وقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبىّ ، عن هشام الدَّسْتُوائىّ[1] عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون . أربع وعشرون بَعْثا ، وتسع عشرة غزوة ، خرج فى ثمان منها بنفسه : بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمرَيْسِيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، [والطائف] .

وقال موسى بن عقبة ، عن الزهرى : هذه مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى قاتل فيها : يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ، وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة ، فى شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بنى المُصْطلق وبنى لحيَان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الأَبْواء .

وقال حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفر الرقّى ، عن مطرف بن مازن اليمانى ، عن مَعْمر ، عن الزهرى قال : أولُ آية نزلت فى القتال : « أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا » الآية بعْد مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فكان أولَ مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يومُ بدر ، يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان .

---

(١) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله الدستوائى البصرى البكرى ، كان يبيع الثياب الدستوائية فنسب إليها . روى عن قتادة وأبى الزبير المكى . مات سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة . اللباب ١/٤١٩

إلى أن قال : ثم غزا بنى النَّضير ، ثم غزا أُحداً فى شوال ، يعنى من سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم الفتح فى شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين فى رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء ، ثم العُشَيرة ، ثم غزوة غَطَفان ، ثم غزوة بنى سُلَيم ، ثم غزوة الأبواء ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث .

هكذا كتبتهُ من تاريخ الحافظ ابن عساكر ، وهو غريب جداً ، والصواب ماسنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتَّبا .

وهذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقدى ، عن عبد الله بن عمر بن على ، عن أبيه ، سمعت على بن الحسين يقول : كنا نعلّم مغازى النبى صلى الله عليه وسلم كما نعلّم السورة من القرآن .

قال الواقدى : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمى الزُّهرى يقول : فى عِلْم المغازى علم الآخرة والدنيا .

* * *

وقال محمد بن إسحاق فى المغازى ، بعد ذكره ماتقدم مما سقناه عنه ، من تعيين رءوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين وجمعهم فى أسفل سافلين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال مَنْ أمره به ممن يليه من المشركين .

قال : وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضَّحاء وكادت الشمس تعتدل ، لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة .

فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادَيْن ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة ، ووَلِيَ تلك الحجة المشركون ، والمحرم .

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غازياً فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعدَ بن عبادة .

قال ابن إسحاق : حتى بلغَ وَدَّان وهى غزوة الأبواء . قال ابن جَرير : ويقال لها غزوة ودَّان أيضا . يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعَتْه فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذى وادعه منهم مَخْشِيُّ بن عمرو الضمرى ، وكان سيدَهم فى زمانه ذلك .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يَلْقَ كيدا ، فأقام بها بقية صفر وصَدْرا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أولُ غزوة غزاها عليه السلام .

قال الواقدى : وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدةَ بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين ، أو ثمانين ، راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثَنِيَّة المُرَّة فلقى بها جمعاً عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعدَ بن أبى وقاص قد رَمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمى به فى سبيل الله فى الإسلام .

ثم انصرف القومُ عن القوم ، وللمسلمين حامية ، وفرَّ من المشركين إلى المسلمين

المقدادُ بن عمرو البَهْرانى حليف بنى زُهرة ، وعُتبة بن غَزْوان بن جابر المازنى حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمَيْن ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عِكْرمة بن أبى جهل .

وروى ابن هشام عن [ابن(١)] أبى عمرو بن العلاء ، عن أبى عمرو المدنى أنه قال : كان عليهم مِكْرَز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدى قولان : أحدهما أنه مِكْرز ، والثانى أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجح أنه أبو سفيان . فالله أعلم .

***

ثم ذكر ابن إسحاق القصيدةَ المنسوبة إلى أبى [بكر] الصديق فى هذه السَّرية التى أولها :

أَمِنْ طيفِ سَلمى بالبِطَاحِ الدَّمائثِ(٢) أرِقْتَ وأمرٍ فى العشيرة حادثِ
ترى من لُؤيٍّ فرقةً لا يصدُّها عن الكفر تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادق فتكذَّبوا عليه وقالوا لست فينا بماكثِ
إذا مادعوناهم إلى الحق أَدْبروا وَهرُّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهثِ(٣)

القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى مناقضتها التى أولها :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ أقفرت بالعَثاعثِ(٤) بكَيْتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ
ومِنْ عَجب الأيام ، والدهر كلُّه له عجبٌ من سابقاتٍ وحادثِ

---

(١) من ابن هشام . (٢) الدمائث : اللينة .
(٣) هروا . وثبوا . والمجحرات : الكلاب التى ألجئت إلى أجحارها .
(٤) العثاعث : أكداس الرمل ، جمع عثعث .

لِجيشٍ أتانا ذى عرَام يقـــوده   عُبيدة يدعى فى الهيـــاج ابنَ حارثِ
لِنترك أصنـــاما بمـكة عـــكّفاً   مواريث موروثٍ كريم لوارثِ

وذكر تمامَ القصيدة، وما مَنعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الإمام عبد الملك بن هشام رحمه الله وكان إماما فى اللغة، ذكر أن كثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين.

قال ابن إسحاق: وقال سعد بن أبى وقاص فى رَمْيَته تلك فيما يذكرون:

ألا هل أتى رسولَ الله أنّى   حَمَيْتُ صحابتى بصدور نَبْـــلِى
أذودُ بهـــا أوائلَهم ذياداً   بكل حُزونةٍ وبـــكل سَهْلِ
فما يعتـــدُّ رامٍ فى عـــدوّ   بسهمٍ يارسولَ الله قَبْـــلى
وذلك أن دِينك دينُ صِـدْقٍ   وذو حق أتيت به وفضـــل(١)
ينجّى المؤمنون به ويَخْزى   به الـكفار عند مقام مَهْل(٢)
فمهلاً قد غويتَ فلا تَعِبْنى   غوىّ الحى ويحك يابن جهـــل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد.

قال ابن إسحاق: فـكانت رايةُ عبيدة، فيما بلغنا أولَ راية عقَدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام لأحد من المسلمين.

وقد خالفه الزُّهرى وموسى بن عُقبة والواقدى، فذهبوا إلى أن بعثَ حمزة قبلَ بعث عبيدة بن الحارث. والله أعلم.

وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص أن أولَ أمراء السَّرايا عبدُ الله بن جحش الأسدى.

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة. وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى.

---

(١) ابن هشام: وعدل. (٢) وتروى: سهل.

فصـــل

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقامه ذلك حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم إلى سِيف البحر من ناحية العِيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو الجهنى ، وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق : وبعض النـاس يقول : كانت راية حمزة أولَ راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحـد من المسلمين ، وذلك أنّ بَعْثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشُبِّه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبـة عن الزُّهرى ، أن بعثَ حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين من المهاجرين . وذكر نحو ماتقدم .

وقد تقدم عن الواقدى أنه قال : كانت سَرية حمزة فى رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبيدة فى شوال منها . والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت فى الإسلام ، لـكن قال ابن إسحاق : فإنْ كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أى ذلك كان . فأما ماسمعنا من أهل العلم عندنا : فعُبيدة أول ، والقصيدة هى قوله :

ألا ياَلقومى للتحلُّم والجهـــلِ ... وللنقْص من رأى الرجال وللعقـــل
وللراكبينـــا بالمظـــالم لم نطَـأْ ... لهم حرماتٍ من سَوامٍ ولا أهـــلِ

كأنا تبَلْناهم ولا تبل[1] عنـدنا ... لهم غير أمرٍ بالعفاف وبالعـدلِ
وأمرٍ بإسلامٍ فـلا يقبـلونه ... ويَنْزل منهم مثلَ منزلة الهزلِ
فما برحوا حتى انتدبتُ لغارةٍ ... لهم حيث حلُّوا أبتغى راحةَ الفضلِ
بأمر رسـول الله أول خافقٍ ... عليـه لواء لم يكن لاح من قبـلى
لواء لديه النصر من ذى كرامة ... إلهٌ عزيز فعـلُه أفضل الفعـلِ
عشيةَ ساروا حاشدين وكلُّنـا ... مراجـله من غيظ أصحـابه تَغْـلِي
فلمـا تراءيْنـا أناخـوا فعقّـلوا ... مطايا وعقّلنـا مدى غَرضِ النَّبْلِ
وقلنـا لهم حبـل الإله نصيرُنا ... ومالـكمُ إلا الضـلالة مِنْ حبـلِ
فثـار أبو جهـل هنالك باغيـا ... فخـاب وردَّ الله كيـدَ أبى جهـلِ
وما نحن إلا فى ثلاثين راكبـا ... وهمْ مائتـان بعـدَ واحـدةٍ فضلِ
فيـال لـؤى لا تطيعوا غواتـكم ... وفيئوا إلى الإسـلام والمنهج السَّهلِ
فإنى أخاف أن يُصبَّ عليـكمُ ... عـذابٌ فتَدْعوا بالندامةِ والثُّـكْلِ

قال : فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عجبتُ لأسبابِ الحفيظة والجهـل ... وللشاغبين بالخـلاف وبالبُطْـلِ
وللتاركينَ ماوجـدنا جـدودَنا ... عليه ذوى الاحساب والسؤددِ الجَزْلِ

ثم ذكر تمامها .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله عنه ولأبى جهل لعنه الله .

(١) تبلناهم : عاديناهم . وفى الأصل : بتلناهم محرفة .

غزوة بُواط من ناحية رَضْوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول ، يعنى من السنة الثانية ، يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان بن مَظْعون .

وقال الواقدى : استخلف عليها سعدَ بن معاذ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مائتى راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُواط من ناحية رَضْوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى] .

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشا . يعنى[1] بذلك الغزوة التى يقال لها غزوة العُشَيرة وبالمُهْملة ، والعُشير وبالمهملة ، والعشيراء وبالمهملة[2] .

قال ابن هشام : واستعمَل على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد .

قال الواقدى : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج عليه السلام يتعرّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نَقْب بنى دينار ، ثم على فَيْفَاء الخَبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها فثَمّ مسجده ، فصنعله عندها

---

(١) أى ابن إسحق .

(٢) يريد حكاية الأقوال التى وردت فى اسم تلك الغزوة ، فهى : العشيرة مصغرة وتروى بالسين . والعشير مصغرة بدون هاء فى آخره وتروى كذلك بالسين . والعشيراء مصغرة ممدودة وتروى بالسين .

طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فرُسوم (١) أثافِيّ البُرْمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المُشَيْرب .

ثم ارتحل فترك الخلائق (٢) بيسار وسلك شعبةَ عبد الله ، ثم صَبَّ لِلْيَسار (٣) حتى هبطَ يَلْيَل (٤) ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة ، ثم سلك فَرْشَ مَلَل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشَيرة من بطن يَنْبع .

فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، ووادَع فيها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيداً .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله ، حدثنا وهب ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحاق ، قال : كنت إلى جنب زيد بن أَرْقَم فقيل له : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ غزوةٍ ؟ قال : تسع عشرة . قلت (٥) : كم غزوتَ أنت معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأيهن كان أول ؟ قال العُشَير ، أو العُسَير . فذكرت لقتادة فقال : العُشَير .

وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين ، وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع المد . اللهم إلا أن يكون المراد [أول] غزاة شهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم زيدُ بن أرقم العشيرة ، وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرُها لم يشهدها زيد بن أرقم ، وبهذا يحصل الجمع بين ماذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : ويومئذ (٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ ماقال .

---

(١) ابن هشام : فوضع . (٢) الخلائق جمع خلية وهى البئر التى لاماء فيها ، وهى آبار معلومة . الروض
(٣) صوبها الخشنى بأنها : صب لليسار .
(٤) الأصل : ملل وهو تحريف . وما أثبته عن ابن هشام . ويليل : قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة
(٥) البخارى : قيل . والقائل هو أبو إسحق السبيعى . (٦) ابن هشام : وفى تلك الغزوة قال .

فحدثنى يزيد بن محمد بن خَيْثَم [1]، عن محمد بن كعب القرظى، حدثنى أبو يزيد محمد ابن خَيْثم [1]، عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العُشَيرة [من بطن يَنْبع [2]] فلما نزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أقام بها شهراً، فصالح بها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة فوادَعهم، فقال لى على بن أبى طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى هؤلاء النفر من بنى مدلج يعملون فى عين لهم، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعةً فغَشِيَنا النومُ، فعمدنا إلى صور [3] من النخل فى دَقْعاء [4] من الأرض فنِمْنا فيه، فوالله ما أهبَّنا إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحركنا بقدمه، فجلسنا وقد تترَّبنا من تلك الدَّقعاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: [مالك [5]] يا أبا تراب؟ لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألا أخبركم بأشقَى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يارسول الله. فقال «أُحَيْمر ثمود الذى عقَر الناقةَ، والذى يضربك ياعلىّ على هذه، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه [6]، حتى تُبلَّ منها هذه، ووضع يده على لحيته».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر فى تسمية علىّ أبا تراب، كما فى صحيح البخارى، أن علياً خرج مغاضبا فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فقالت خرج مغاضبا فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قُمْ أبا تراب قم أبا تراب».

---

(١) الأصل: خثيم. وما أثبته عن ابن هشام. (٢) ليست فى ابن هشام. وبعدها اختلاف كثير عن نص ابن هشام. (٣) الصور: صغار النحل. (٤) الدقعاء: التراب. (٥) من ابن هشام. (٦) هامش ابن هشام: على قرنه.

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ثم لم يُقم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرْز بن جابر الفهرى على سَرْح[1] المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سَفْوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الأولى ، وفاته كرزٌ فلم يدركه .

وقال الواقدى : وكان لواؤه مع على بن أبى طالب .

قال ابن هشام والواقدى : وكان قد استخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

قال ابن إسحاق : فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام جمادى ورجبا وشعبان، وقد كان بعَث بين يدَىْ ذلك سعداً فى ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخَرَّار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة . ثم رجع ولم يلق كيداً .

هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدى لهذه البعوث الثلاثة ، أعنى بعثَ حمزة فى رمضان ، وبعث عُبيدة فى شوال ، وبعث سعد فى ذى القعدة كلها فى السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنى عبد المتعال بن عبد الوهاب ، حدثنى يحيى بن سعيد ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثنا أبى ، حدثنا المجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثقْ حتى

---

(١) السَّرح : مايرعى من النعم .

نأتيك وقومنا ، فأوثق لهم ، فأسلَموا . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب ولا نكون مائة ، وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا : لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض : ماترون ؟ فقال بعضنا : نأتى نبيَّ الله فنخبره . وقال قوم : لا بل نقيم هاهنا . وقلت أنا فى أناس معى : لا بل نأتى عيرَ قريش فنقتطعها . وكان الفيء إذ ذاك مَنْ أخذ شيئا فهو له .

فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه ، فقال : « أذهَبْتم من عندى جميعاً ورجعتم متفرقين ! إنما أهلَكَ من كان قبلكم الفرقةُ ، لأبعثنَّ عليكم رجلاً ليس بخيركم أَصْبَرَكم على الجوع والعطش ».

فبعث علينا عبدَ الله بن جحش الأسَدى ، فكان أولَ أمير فى الإسلام .

وقد رواه البيهقى فى الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة ، عن مُجَالد به نحوه . وزاد بعد قولهم لأصحابه : لِمَ تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقالوا : نقاتل فى الشهر الحرام مَنْ أخرَجنا من البلد الحرام .

ثم رواه من حديث أبى أسامة ، عن مُجَالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قُطْبة بن مالك ، عن سعد بن أبى وقاص ، فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنْسَبُ . والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضى أن أولَ السرايا عبدُ الله بن جحش الأسدى ، وهو خلاف ماذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عُقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدى حيث زعم أن أول الرايات عُقدت لحمزة بن عبد المطلب . والله أعلم .

باب سَرِية عبد الله بن جحش

التى كان سببها (١) لغزوة بدر العظمى، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

والله على كل شيء قدير

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جحش بن رِئاب الأسدى فى رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانيةَ رَهْط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم : أبو حديفة بن عتبة ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان حليف بنى أسد بن خزيمة ، وعُتبة بن غَزْوان حليف بنى نوفل ، وسعد بن أبى وقاص الزهرى ، وعامر بن ربيعة الوائلى حليف بنى عَدى ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يربوع التميمى حليف بنى عدى أيضا ، وخالد بن البُكَيْر أحد بنى سعد بن ليث حليف بنى عدى أيضاً ، وسهل بن بيضاء الفِهْرى ، فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش رضى الله عنه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكتب له كتابا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يَسْتكره من أصحابه أحداً .

فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه : «إذا نظرتَ فى كتابى فامْض حتى تنزل نَخْلة بين مكة والطائف فتَرَصُد بها قريشاً وتَعْلم لنا من أخبارهم » . فلما نظر فى الكتاب قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما فى الكتاب . وقال : قد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرْغَب فيها فلينطلق ، ومَن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كذا ، ولعلها : التى كانت سببا .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع يقال له بحران ، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتبة بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة .

فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله ابن عباد [أحد(1)] الصَّدِف(2) . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، وأخوه نوفل والحكم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم، فأشْرَف لهم عُكاشة بن مِحْصَن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم .

وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخُلُنَّ الحرم فليمتنعُنَّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم .

ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل مَن قدروا عليه منهم وأَخْذ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمانُ بن عبد الله والحكم بن كَيْسان ، وأفلت القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم .

وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن يَنْزل الخمس .

قال : ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله ابن إسحاق .

---

(١) من ابن هشام (٢) قال ابن هشام : واسم الصدف : عمرو بن مالك .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتالٍ فى الشهر الحرام » فوقف العيرَ والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْقِطَ (١) فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسَروا فيه الرجال .

فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود : تُفائل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله . عمرو : عمرت الحربُ ، والحضرمى : حَضرت الحرب . وواقد ابن عبد الله : وُقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناسُ فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يسألونكَ عنِ الشهرِ الحرامِ قِتالٍ فيهِ ، قُلْ : قِتالٌ فيه كبيرٌ ، وصَدٌّ عن سبيلِ الله وكُفرٌ به ، والمسجِدِ الحرامِ وإخراجُ أهلِهِ منهُ أكبرُ عند اللهِ ، والفِتْنَةُ أكْبَرُ منَ القتلِ ، ولا يزالونَ يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دِينِكم إنِ استطاعوا (٢) » .

أى إن كنتم قَتلتم فى الشهر الحرام ، فقد صدُّوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجُكم منه وأنتم أهله أكبرُ عند الله مِن قَتْل من قتلتم منهم ، والفتنة أكبر من القتل . أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردُّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا » الآية .

* * *

(١) ابن هشام : سقط . (٢) سورة البقرة ٢١٧ .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآنُ بهذا الأمر وفرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق ، قَبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرين ، وبعثت قريش فى فداء عثمان والحكم بن كَيْسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نَفْديكموها حتى يَقْدَم صاحبانا » ، يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان « فإنا نخشاكم عليهما . فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم » .

فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأما الحكم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

قال ابن إسحاق : فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله أنطمع أن تكون لنا غَزاةٌ نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : « إنّ الذين آمنوا والذين هاجَروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يَرْجون رحمةَ الله والله غفور رحيم » (١) فوضعهم (٢) الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق : والحديثُ فى ذلك عن الزهرى ويزيد بن رُومان ، عن عروة ابن الزبير .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، عن الزهرى ، وكذا روى شعيب عن الزهرى ، عن عروة ، نحواً من هذا وفيه : وكان ابن الحَضْرمى أول قتيل قُتل بين المسلمين والمشركين .

وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها

(١) سورة البقرة ٢١٨ .　　(٢) الأصل : فوصفهم . وما أثبته عن ابن هشام .

المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

* * *

قلت : وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أولَ أمير فى الإسلام .

وقد ذكرنا فى التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مُسْنَدة .

فمن ذلك مارواه الحافظ أبو محمد بن أبى حاتم ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن أبى بكر المُقَدِّمى ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، حدثنى الحَضْرمى ، عن أبى السِّوار ، عن جُندب بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة ابن الجراح ، أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صبابةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبدَ الله بن جحش وكتب له كتابا ، وأمره ألَّا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال : « لا تُكْرِهن أحداً على المسير معك من أصحابك » .

فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخبَّرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع منهم رجلان وبقى بقيتهم ، فلقوا ابنَ الحضرمى فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام ! فأنزل الله : « يسألونك عن الشَّهر الحرام قتالٍ فيه قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ » الآية .

وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدى الكبير فى تفسيره ، عن أبى مالك ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرة ، عن ابن مسعود ، عن جماعة من الصحابة « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير » وذلك أن رسول الله صلى عليه وسلم بعث سَرِية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش ، وفيهم : عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غَزْوان ، وسهل بن بيضاء

وعامر بن فُهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعى حليف لعمر بن الخطاب .

وكتب لابن جحش كتابا وأمره ألاَّ يقرأه حتى ينزل بطن مَلَلٍ ، فلما نزل بطنَ مَلَلٍ فتح الكتاب ، فإذا فيه : أنْ سِرْ حتى تنزل بطنَ نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموتَ فليَمْضِ وليوصِ ، فإننى موصٍ وماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسار ، وتخلف عنه سعد وعتبة أضلاَّ راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كَيْسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله ابن المغيرة .

فذكر قتلَ واقد لعمرو بن الحضرمى ، ورجعو بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله ، وهو أول من استحلَّ الشهر الحرام وقَتل صاحبنا فى رجب . وقال المسلمون : إنما قتلناه فى جمادى .

قال السُّدى : وكان قَتْلهم له فى أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

***

قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤِى تلك الليلة . فالله أعلم .

وهكذا روى العَوْفى ،عن ابن عباس ، أن ذلك كان فى آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا .

وكذا تقدم فى حديث جندب الذى رواه ابن أبى حاتم .

وقد تقدم فى سياق ابن إسحاق أن ذلك كان آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك فى الحرَم فيتعذر عليهم ذلك ، فأقْدموا عليهم عالمين بذلك .

وكذا قال الزهرى عن عروة . رواه البيهقى. فالله أعلم أى ذلك كان .

قال الزهرى عن عروة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقَل ابن الحَضْرمى وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرمه ، حتى أنزل الله براءة . رواه البيهقى .

* * *

قال ابن إسحـاق : فقال أبو بكر الصديق فى غزوة عبـد الله بن جحش ، جوابا للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

تعدُّون قتلًا فى الحرام عظيمـةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرُّشدَ راشدُ
صُـدودكُمُ عمّا يقولُ محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشـاهــدُ
وإخراجكم مِنْ مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرَى لله فى البيت ساجـدُ
فإنّا وإنْ عـيَّرْتمونا بقتـله ... وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سقَيْنا من ابن الحضرمى رماحَنا ... بنَخْلة لمّا أوقـد الحربَ واقدُ
دماً وابنُ عبـد الله عثمان بيننـا ... ينـازعه غلٌّ من القيـد عاندُ

فَصْـــلٌ

فى تحويل القبلة فى سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم : كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن إسحاق .

وقد روى أحمد عن ابن عباس مايدل على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتى . والله أعلم . وقيل فى شعبان منها .

قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القِبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى، فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

قال الجمهور الأعظم : إنما صرفت فى النصف من شعبان، على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة .

ثم حكى عن محمد بن سعد ، عن الواقدى ، أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفى هذا التحديد نظر . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصًى فى التفسير عند قوله تعالى : « قد نرَى تقلُّبَ وجهك فى السماء فلنولِّينك قِبْلةً ترضاها ، فولِّ وجهك شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيثُ ما كنتم فولُّوا وجوهكم شَطره وإن الذين أُوتوا الكتابَ ليعلمون أنه الحقُّ من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون » . وما قبلها وما بعدها، من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك ، لأنه أولُ نَسْخٍ وقع فى الإسلام .

هذا وقد أحال الله قبل ذلك فى سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله « ما ننسخْ من آية أو نُنسِها ، نأتِ بخيرٍ منها أو مِثْلِها ألم تَعلم أنّ الله على كل شىء قدير » .

وقد قال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، سمع زهيراً ، عن أبى إسحاق ، عن البرَاء ، أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قِبْلته إلى البيت ، وأنه صلَّى أولَ صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان معه فمرَّ على أهل مسجدٍ وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صلَّيتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم قِبَل مكة . فداروا كما هم قِبَل البيت . وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحوَّل رجالٌ قُتلوا ، لم نَدْرِ ما نقول فيهم ، فأنزل الله « وما كان الله ليُضيع إيمانَكم إنّ الله بالناس لرءوفٌ رحيمٌ »

رواه مسلم من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرْعة ، حدثنا الحسن بن عطية ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يوجَّه نحو الكعبة ، فأنزل الله : « قد نرى تقلُّبَ وجهك في السماء فلَنوليِنك قِبْلةً ترضاها ، فولِّ وجهك شَطْرَ المسجد الحرام » . قال : فوجه نحو الكعبة .

قال السفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولاَّهم عن قِبْلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله : « قُلْ لله المَشْرقُ والمَغْربُ يَهْدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم »

* * *

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبةُ بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يُمْكنه أن يجمع بينهما ، فصلَّى إلى بيت المقدس أولَ مَقْدمه المدينةَ واستدبرَ الكعبةَ ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام يحب أن يصْرف قبلته نحو الكعبة ، قِبْلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل ، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك فأنزل الله عز وجل : « قد نرى تقلُّب وجهك في السماء ، فلَنولِّينك قبلةً ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » الآية .

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وأعْلَمهم بذلك ، كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلّى ، وأن ذلك كان وقت الظهر .

وقال بعض الناس : نزل تحويلُها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيد ذلك ماثبت فى الصحيحين عن البراء ، أن أولَ صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر .

والعجبُ أن أهلَ قُبَاء لم يَبْلغهم خبرُ ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثانى ، كما ثبت فى الصحيحين ، عن ابن عمر ، قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستَقْبِلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .

وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك .

* * *

والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ، ونَسخ به الله تعالى حُكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء ، قالوا : ماولاَّهم عن قِبْلتهم التى كانوا عليها ؟

هذا والكَفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله ، لما يجدونه من صِفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ، من أن المدينة مُهاجَره ، وأنه سيُؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال: «وإنَّ الذين أوتوا الكتابَ ليَعْلمون أنه الحقُّ مِنْ رَبِّهم » الآية .

وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعَتهم فقال : « سيقولُ السُّفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قِبْلتهم التى كانوا عليها . قل : لله المشرقُ والمغرب يَهْدى مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم » أى هو المالك المتصرف، الحاكم الذى لامعقِّب لحكمه ، الذى يفعل مايشاء فى خَلْقه ، ويحكم مايريد فى شرعه ، وهو الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضل من يشاء عن الطريق القويم ، وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم .

ثم قال تعالى : « وكذلك جَعلنا كم أمةً وسَطا » أى خياراً « لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » أى وكما اخترنا لكم أفضلَ الجهات فى صلاتكم وهدينا كم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء، بعدَ التى كان يصلى بها موسى فَمنْ قبله من المرسلين ، كذلك جعلنا كم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرفَ الطوائف وأكرم التالد والطارف ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم .

كما ثبت فى صحيح البخارى ، عن أبى سعيد مرفوعاً ،من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة ، وإذا استشهد بهم نوح مع تقدُّم زمانه فمَن بعده بطريق الأَولى والأَحْرَى .

ثم قال تعالى مبينا حكمته فى حلول نقمته بمن شكَّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على مَن صَدَّق وتابع هذه الكائنة ، فقال : « وما جَعلنا القبلةَ التى كنت عليها إلا لنعلم من يَتَّبع الرسول » . قال ابن عباس : إلا لنرَى من يَتَّبع الرسولَ ممن ينقلب على عقبيه .

« وإن كانت لكبيرة » أى وإن كانت هذه الكائنة لَعظيمة المَوْقع كبيرةَ المحل شديدة الأمر ، إلا على الذى هدَى الله ، أى فهم مؤمنون بها مصدِّقون لها ، لا يشكُّون ولا يرتابون ، بل يَرْضون ويؤمنون ويعملون ، لأنهم عبيد للحاكم العظيم ، القادر المقتدر الحليم الخبير ، اللطيف العليم

وقوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى بِشرعته استقبالَ بيت المقدس والصلاة إليه : « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط فى التفسير ، وسنزيد ذلك بياناً فى كتابنا « الأحكام الكبير » .

وقد روى الإمام أحمد ، حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله وسلم ، يعنى فى أهل الكتاب : « إنهم لم يحسدونا على شىء كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلفَ الإمام آمين » .

فصل

فى فريضة شهر رمضان سنة ثنتين ، قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان . وقد قيل : إنه فرض فى شعبان منها ، ثم حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يومَ عاشوراء ، فسألهم عنه فقالوا : هذا يومٌ نجَّى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحقُّ بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس .

وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيامُ كما كُتب على الذين مِنْ قَبْلكم لعلكم تتَّقون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ مِنْ أيام أُخَر ، وعلى الذين يُطيقونه فِدْيةٌ طعامُ مسكين ، فمن تطوَّع خيراً فهو خيرٌ له وأنْ تصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون ، شهرُ رمضان الذى أُنْزل فيه القرآنُ هدًى للناسِ وبينات من الهدى والفُرْقان ، فمن شهد منكم الشهرَ فليَصُمْه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخَر(١) » الآية .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية ، من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك

(١) سورة البقرة ١٨٣ ـ ١٨٥ .

والآثار المروية فى ذلك والأحكام المستفادة منه . ولله الحمد .

***

وقد قال الإمام أحمد . حدثنا أبو النَّضْر ، حدثنا المسعودى ، حدثنا عمرو بن مُرَّة ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جبل ، قال : أُحيلت الصلاةُ ثلاثةَ أحوال ، وأُحيلَ الصيامُ ثلاثةَ أحوال . فذكر أحوال الصلاة . قال : وأما أحوال الصيام : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء .

ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل : « يَـٰأَيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيامُ كما كُتب على الذين مِنْ قبلكم » إلى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فِدْيةٌ طعامُ مِسْكين » فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأَجْزَأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى : « شهرُ رمضان الذى أُنزل فيه القرآن » إلى قوله : « فمَنْ شهد منكم الشهرَ فليَصُمْه » فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخَّص فيه للمريض والمسافر ، وأثْبَتَ الإطعامَ للكبير الذى لا يستطيع الصيام . فهذان حولان .

قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صِرْمة كان يعمل صائما حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائما ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهد جهداً شديداً فقال : « ما لى أراك قد جَهِدْت جَهْداً شديداً ؟ » فأخبره قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله: « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم ، هن لباس لكم» إلى قوله « ثم أتموا الصيامَ إلى الليل[1] »

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

ورواه أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه ، من حديث المسعودى نحوه .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يُصَام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخارى عن ابن عمر وابن مسعود مثله .

ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكَام الكبير . وبالله المستعان .

***

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أُمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

قال : وفيها صلَّى النبى صلى الله عليه وسلم صلاةَ العيد وخرج بالناس إلى المصلى ، فكان أول صلاة عيد صلاَّها ، وخرجوا بين يديه بالحرْبة ، وكانت للزبير وهبها له النجاشى ، فكَانت تُحْمَل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأعياد .

قلت : وفى هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فُرِضت الزكاة ذات النُّصب[1] : كما سيأتى تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) أى زكاة المال .

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بدر العظمى ، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلَّةٌ فاتقوا الله لعلكم تشكرون[1] » .

وقال الله تعالى « كما أخرجَك ربُّك مِنْ بيتك بالحقِّ ، وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعد ما تبيَّن، كأنما يُساقون إلى الموتِ وهم ينْظرون . وإذ يَعِدُكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودُّون أنّ غيرَ ذاتِ الشّوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يُحقّ الحقّ بكلماته ويَقْطع دابرَ الكافرين . ليُحقَّ الحقَّ ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون » وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال .

وقد تكلمنا عليها هنالك . وسنورد هاهنا فى كل موضع ما يناسبه .

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سَرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة ، وفيها ثلاثون رجلا ، أو أربعون ، منهم مَخْرمَة بن نوفل وعمرو بن العاص .

قال موسى بن عقبة : عن الزهرى ، كان ذلك بعد مقتل ابن الحضْرمى بشهرين . قال : وكان فى العِير ألفُ بعير تحمل أموال قريش بأسْرها إلا حُويطب بن عبد العزَّى ، فلهذا تخلَّف عن بدر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب ، وعاصم بن عمر بن قتادة

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقتُ من حديث بَدْر قالوا : لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه عيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله يُنفِلُكموها » .

فانتدب الناسُ نخفَّ بعضهم وثَقُل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقى حربا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس[1] من لَقِي من الركبان تخوُّفاً على أمرِ[2] الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفرَ أصحابه لك ولعيرك. فحذر عندذلك ، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفَاري ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم، عن عكرمة، عن ابن عباس ويزيد بن رُومان عن عروة بن الزبير . قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضَمْضَم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أَفْظَعتْني وتخوَّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتم عليّ ما أحدِّثك . قال لها : وما رأيتِ ؟

قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأَبْطَح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث . ثم مَثَل به بعيره على رأس أبي قُبَيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تَهْوِى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة .

---

(١) ابن هشام : يتحسس . (٢) ح : على أموال الناس .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ، وكان له صَديقا ، فذكرها له واستكْتَمه إياها ، فذكرها الوليد لابنه عتبة ، ففشا الحديثُ حتى تحدّثت به قريش .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : ياأبا الفضل إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهل : يا بَنى عبد المطلب ، متى حدَثت فيكم هذه النَّبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يابنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبَّأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثَلاث . فسنتربَّص بكم هذه الثلاث ، فإن يكُ حقا ماتقول فسيكون ، وإن تَمْض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نَكْتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت فى العرب .

قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبيرُ شىء ، إلا أنى جَحدْتُ ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً .

قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبقَ امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت : أقرَرْتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساءَ وأنت تَسمع ، ثم لم يكن عندك غيرةٌ لشىء مما سمعتَ ؟ قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منِّى إليه منْ كَبيرٍ ، وأيم الله لأتعرضنَّ له ، فإذا عاد لأَكْفيكنّه .

قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغْضَب ، أرى أنى قد فاتنى منه أمرٌ أحبُّ أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجدَ فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرَّضُه ليعود لبعض ماقال فأقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه ، حديد اللسان حديد النظر ، قال :

إذ خرج نحوَ باب المسجد يشتد ، قال : قلت فى نفسى: ماله لعنه الله ؟ أ كلُّ هـذا فَرَقٌ منى أن أُشاتمه ؟ ! وإذا هو قد سمع مالم أسمع ؛ صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحوَّل رَحْلَه وشقَّ قميصـــه وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمةَ اللطيمة ، أموالُـكم مع أبى سفيان قد عَرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوثَ الغوث .

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر .

فتجهز الناسُ سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تـكون كعير ابن الحضرمى ؟! [كلاّ](1) والله ليعلمُنّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عُقبة رؤيا عاتـكة كنحو من سياق ابن إسحاق .

قال : فلما جاء ضَمْضمُ بن عمرو على تلك الصفة ، خافوا من رؤيا عاتـكة فخرجوا على الصَّعب والذلول .

قال ابن إسحاق : فـكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانَه رَجلا ، وأوعَبَتْ قريشٌ فلم يتخلف من أشرافها أحـد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب بَعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن أبى نَجِيح أن أمية بن خَلَف كان قد أجْمَع القعودَ ، وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة بن أبى مُعيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه ، بمِجْمَرة يحملها فيها نار ومَجْمر ، حتى وضعها بين يديه ثم قال: ياأباعلى استجْمِرْ فإنما أنت من النساء !

(١) من ابن هشام .

قال : قبحك الله ، وقبّح ماجئتَ به . قال : ثم تجهز وخرج مع الناس .

هكذا قال ابن إسحاق فى هذه القصة .

وقد رواها البخارى[(١)] على نحوٍ آخر فقال : حدثنى أحمد بن عثمان ، حدثنا شُريح ابن مَسْلَمَة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، حدثنى عمرو بن ميمون ، أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ ، أنه كان صَدِيقا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية .

فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية : انظر لى ساعة خَلْوَة لعلّى أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل ، فقال : ياصفوان من هذا معك ؟ قال : هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبى صفوان مارجعتَ إلى أهلك سالما .

فقال له سعد ، ورفع صوته عليه : أمَا والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ماهو أشدُّ عليك منه : طريقَك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك ياسعد على أبى الحكم ، فإنه سيدُ أهل الوادى . قال سعد : دَعْنا عنك ياأمية ، فوالله لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنهم قاتلوك» قال : بمكة ؟ قال : لا أدرى .

ففزع لذلك أمية فزعا شديداً

فلما رجع إلى أهله قال : ياأم صفوان ألم تَرَىْ ماقال لى سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ .

---

(١) فى أول كتاب المغازى ، باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر .

قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلىّ ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدرى .

فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بَدْر ، استنفر أبو جهل الناسَ ، فقال : أدركوا عِيرَكم . فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : ياأبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تخلَّفت ، وأنت سيدُ أهل الوادى ، تخلَّفوا معك .

فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلَبْتنى(١) فوالله لأشترينَّ أجودَ بعير بمكة .

ثم قال أمية : ياأم صفوان جَهِّزينى . فقالت له : ياأبا صفوان ، وقد نسيتَ ما قال لك أخوك اليَثْربىُّ ؟ قال : لا ، وما أريد أن أَجُوزَ معهم إلا قريبا .

فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عَقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر(٢) ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيدالله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق به نحوه .

تفرد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن خلف بن الوليد ، وعن أبى سعيد ، كلاهما عن إسرائيل وفى رواية إسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يَكْذب .

***

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسيرَ ذكروا ما كان(٣) بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا

---

(١) الأصل : عبتنى . وهو تحريف ، وما أثبته من صحيح البخارى .

(٢) فى باب علامات النبوة . (٣) الأصل : ما كانوا . وما أثبته عن ابن هشام

مِنْ خَلْفنا . وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر فى ابنٍ لِحَفْص بن الأَخْيَف من بنى عامر بن لُؤى ، قتله رجل من بنى بكر ، بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن المُلَوَّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مِكْرَز بن حَفْص ، فقتل عامراً وخاض بسيفه فى بطنه ، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك أن يَثْنيهم ، فتبدَّى لهم إبليس فى صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌ منْ أن تأتيكم كنانة من خَلْفكم بشئ تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خَرجوا من ديارهم بَطَراً ورِئَاء الناس ويَصُدُّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زيَّن لهم الشيطانُ أعمالهم وقال : لا غالبَ لكم اليومَ من الناس وإنى جارٌ لكم . فلما تراءت الفِئتان نَكَص على عَقِبيه وقال : إنى برئ منكم إنِّى أرَى مالا تَرَوْن إنى أخاف الله والله شديدُ العقاب[1] » .

غرَّهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحد منهم ، فأسْلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجدَّ والملائكة تنْزل للنصر وعاين جبريلَ نكص على عقبيه وقال : إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله .

وهذا كقوله تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر . فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين »[2] :

وقد قال الله تعالى : « وقُلْ جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زَهُوقا[3] .

(١) سورة الأنفال ٤٧ ، ٤٨ (٢) سورة الحشر ١٦ . (٣) سورة الإسراء ٨١ .

فإبليس لعنه الله لمّا عايَن الملائـكة يومئذ تنزل للنصر فرَّ ذاهباً ، فـكان أولَ مَن هرب يومئذ ، بعد أن كان هو المشجِّع لهم المجير لهم ، كما غرَّهم ووعدهم ومنَّاهم ، وما يَعِدهم الشيطانُ إلا غرورا .

وقال يونس عن ابن إسحاق : خرجت قريش على الصَّعب والذَّلول فى تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ، ومعهم القِيَان يضربْنَ بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين .

وذكر المطعمين لقريش يوماً يوما .

وذكَر الأموى : أن أولَ من نحَر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل ، نحـر لهم عَشْراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسْفان تسعاً، ونحر لهم سهيلُ بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى ميـاه نحو البحر فظلوا (١) فيها وأقاموا بها يوماً . فنحر لهم شيبةُ بن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحرلهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً، ثم أصبحوا بالأَبْواء فنحر لهم نُبيه ومُنبه ابنا الحجاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البَخْترى عشرا ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأموى : حدثنا أبى ، حدثنا أبو بكر الهُذَلى ، قال : كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسان وستون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء فى نَفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر .

* * *

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ليالٍ مضَتْ من شهر رمضان فى أصحابه ، واستعمل ابنَ أم مكتوم على الصلاة بالناس ، وردَّ أبا لُبَابة من الرَّوحاء واستعمله على المدينة .

---

(١) فى شرح المواهب : فضلوا فأقاموا يوما .

ودَفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمير وكان أبيض ، وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبى طالب يقال لها : العُقَاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

قال ابن هشام : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .

وقال الأموى : كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقَة قيسَ بن أبى صَعْصَعة أخا بنى مازن بن النجار . وقال الأموى : وكان معهم فرَسان ، على إحداهما مُصعب ابن عمير ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام ، ومن [الميمنة] سعد بن خيثمة ومن [الميسرة] المِقْداد ابن الأسود .

وقد روى الإمام أحمد من حديث أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن على ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المِقْداد .

وروى البيهقى من طريق ابن وهب ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البَلْخى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير وفرس للمِقْداد بن الأسود ، يعنى يوم بدر .

وقال الأموى : حدثنا أبى ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن التيمى قال : كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد ابن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يَعتقبونها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ ومَرْثَد بن أبى مَرْثَد يَعْتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كَبْشة وأنسة [مَوْلَيا رسول الله صلى الله عليه وسلم] (١) يعتقبون بعيراً .

---

(١) من ابن هشام .

كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، عن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زِرّ بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا يومَ بدر كلٌّ ثلاثة على بعير ، كان أبو لُبَابة وعليّ زميلَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فكانت عُقْبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النسائى ، عن الفَلاّس ، عن ابن مهدى ، عن حماد بن سلمة به .

قلت : ولعل هذا كان قبل أن يَرُدَّ أبا لبابة من الرَّوحاء، ثم كان زميلاه عليّ ومَرْثَد بدل أبى لبابة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أبى أَوْفَى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأجراس أن تُقْطَع من أعناق الإبل يوم بدر .

وهذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائى ، عن أبى الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المِزِّى فى الأطراف : وتابعه سعيدُ بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة، عن زُرَارة ، عن أبى هريرة . فالله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعبَ ابن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوةٍ غزاها إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى تخلفت عن غزوة بدر ، ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عيرَ قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

تفرَّد به

* * *

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقَه من المدينة إلى مكة على نَقْب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الُحلَيفة ، ثم على أولات الجَيْش ، ثم مرَّ على تُرْبان ، ثم على مَلَل ، ثم على غَميس الحمام ، ثم على صُخَيرات اليمامة ، ثم على السيَّالة ، ثم على فَجِّ الرَّوحاء ، ثم على شُنوكة ، وهى الطريق المعتدلة .

حتى إذا كان بعرق الظَّبية لقى رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن النـاس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أوفيكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم . فسلَّم عليه ، ثم قال : لئن كنتَ رسولَ الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هـذه . قال له سلَمة بن سلامة بن وَقْش : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلْ علىَّ فأنا أخبرك عن ذلك ، نزَوْتَ عليها ففى بطنها منكَ سَخْلة (١) .

فقـال رسولُ الله صـلى الله عليـه وسلم : مَهْ أفحشتَ على الرجـل . ثم أعرَض عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سَجْسَج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان منهـا بالمنصرَف ترك طريقَ مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها حتى إذا جَزع واديا (٢) يقال له رُحْقان (٣) بين النازية وبين مَضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبَّ منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث

---

(١) السخلة : ولد الضأن أو الماعز ، واستعارها هنا لولد الناقة

(٢) جزع واديا : قطعه عرضا . (٣) الأصل : وحقان . وما أثبته عن ابن هشام .

بَسْبَسَ [1] بن عمرو الُجهَنى حليف بنى ساعدة وعدىَّ بن أبى الزَّغْباء حليف بنى النجار إلى بدر ، يتجسسان الأخبار عن أبى سفيان صخر بن حرب وعِيره .

وقال موسى بن عُقْبة : بعثهما قبل أن يخرج من المدينة ، فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناسَ إليها .

فإن كان ماذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين . والله أعلم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمها ، فلما استقبل الصفراء ، وهى قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبليها ما اسماها [2] ؟ فقالوا : يقال لأحدهما مُسْلح وللآخر مُخْرِئ ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار ، وبنو حُراق، بطنان من غِفَار . فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرورَ بينهما وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فتركهما والصفراءَ بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ، فجزع فيه ثم نزل .

* * *

وأتاه الخبر عن قريش ومَسِيرهم ليمنعوا عيرهم .

فاستشار الناسَ وأخبرهم عن قريش .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسَن .

ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .

---

(١) قال الزرقانى : ويقال له بسبسة ، كما وقع لجميع رواة مسلم وبعض رواة أبى داود . والأصح ماذكره ابن إسحق . قال ابن الكلبى : إنه الذى أراده الشاعر بقوله :

أقِمْ لها صدورها يا بَسْبَسُ إنّ مطايا القوم لا تُحبَّسُ

(٢) الأصل : ما أسماؤهما وما أثبته عن ابن هشام .

ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال : يارسول الله امضِ لما أراكَ الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذى بعثَك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغِماد (١) لجالَدْنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا علىَّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصارَ ، وذلك أنهم كانوا عددَ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يارسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوَّف ألّا تكون الأنصار ترى عليها نَصْرَه إلا ممن دَهمه بالمدينة من عدوِّه ، وأنْ ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍ من بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : «أجل» قال : فقد آمنَّا بك وصدَّقناك وشهدنا أنّ ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومَواثيقنا على السَّمْع والطاعة لك ، فامضِ يارسول الله لِماَ أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحرفخَضْته لخضناه معك ماتخلَّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر فى الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك ، فسِرْ على بركة الله .

قال : فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشَّطه ، ثم قال : « سِيروا

---

(١) برك الغماد : قال الحازمى : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكرى : هى أقاصى هجر . وقال الهمدانى : هو فى أقصى اليمن من شرح المواهب ١/٤١٢ .

وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » .

هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة .

فمن ذلك مارواه البخارى فى صحيحه : حدثنا أبو نعيم ،حدثنا إسرائيل ، عن مُخَارِق ، عن طارق بن شهاب ، قال سمعت ابنَ مسعود يقول : شهدتُ من المقْداد بن الأسود مشهداً لأنْ أكون صاحبَه أحبُّ إلى مما عُدِل به ، أتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قومُ موسى لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك .

فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أشرَق وجهه وسرَّه .

انفرد به البخارى دون مسلم ، فرواه فى مواضع من صحيحه من حديث مُخَارِق به ، ورواه النسائى من حديثه ، وعنده : وجاء المقدادُ بن الأسود يومَ بدر على فرسٍ . فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبيدة ، هو ابن حُميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، قال : استشار النبى صلى الله عليه وسلم مَخْرَجه إلى بدر ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعضُ الأنصار : إياكم يريد رسولُ الله يامعشر الأنصار .

فقال بعض الأنصار : يارسول الله ، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذى بعثك بالحق لو ضربْتَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغِمَاد لاتبعناك .

وهذا إسناد ثلاثى صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : شاور حين بلغه إقبالُ أبى سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة : إيانا يريد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نُخيضها البحارَ لأخضْناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغِماد لفعلنا .

فندب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ .

قال : فانطلَقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج فأخذوه ، وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه فيقول : مالى عِلمٌ بأبى سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة و مية بن خاف . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه . قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان . فإذا تركوه فسألوه قال : مالى بأبى سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعُتبة وشَيبة وأُمية . فإذا قال هذا أيضاً ضربوه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال : والذى نفسى بيده إنكم لتضربونه إذا صدَق وتتركونه إذا كذَبكم .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مَصْرع فلان، يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا ، فما أماط أحدُهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه مسلم عن أبى بكر ، عن عَفَّان به نحوه .

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره وابن مَرْدَويه ، واللفظ له ، من طريق عبد الله ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسْلم ، عن أبى عمران ، أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « إنى أُخبرت عن عِير أبى سفيان أنها مُقْبلة ، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير لعل الله يُغْنِمناها؟» فقلنا: نعم.

نخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : « ماترون فى القوم ، فإنهم قد أُخبروا بمَخْرجكم ؟ » فقلنا : لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ، ولـكنا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون فى قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك .

فقام المقـداد بن عمرو [فقال] : إذاً لا نقول لك يارسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .

قال : فتمنَّينا معشرَ الأنصار لو أنا قلنا مثـلَ ماقال المقـداد ، أَحبُّ إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، فأنزل الله عز وجل على رسوله : « كما أخرجك ربُّك مِنْ بَيْتك بالحقِّ وإنّ فريقاً من المؤمنين لـكارهون » وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضا ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى ، عن أبيه عن جده ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، حتى إذا كان بالرَّوحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبى بـكر . ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذى أكرمَك وأنزل عليك الـكتابَ ما سلـكتُها قط ولا لى بها علم ، ولئن سرتَ حتى تأتى بَرْكَ الغماد من ذى يَمنٍ لنَسيرنَّ معك ، ولا نـكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولـكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مُتَّبِعون ، ولعل أن تكون خرجتَ لأمرٍ وأحدَث الله إليك غيرَه ، فانظر الذى أحدثَ الله إليك فامضِ ، فصِلْ حبالَ مَن شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعادِ من شئت ، وسالمْ من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت .

فنزل القرآن على قول سعد : « كما أخرجك ربُّك مِنْ بيتك بالحقِّ ، وإنّ فريقاً من المؤمنين لـكارهون » الآيات .

وذكره الأموى فى مغازيه ، وزاد بعد قوله : « وخذ من أموالنا ماشئت » : « وأعطنا ما شئت ؛ وما أخذتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تركت ؛ وما أمرت به من أمر فأمْرُنا تَبَعٌ لأمرك ، فو الله لئن سرت حتى تبلغ البَرْك من غمدان لنسيرنّ معك » .

***

قال ابن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافِر ، ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبّة ، وترك الحنّان بيمين ، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .

قال ابن هشام : هو أبو بكر .

قال ابن إسحاق ، كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبّان ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . فقال : أوَ ذاك بذاك ؟ قال : نعم .

قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمـكان الذى به قريش .

فلما فرغ مِن خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما مِنْ ماء ؟ أمِنْ ماءِ العراق ؟

قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سُفيان الضَّمْرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمْسَى بعث علىَّ بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له ، كما حدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير .

فأصابوا راويةً لقريش فيها أسْلم غلام بنى الحجاج ، وعَرِيض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من المـاء .

فـكره القوم خبرهما ، ورجَوْا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما[1] قالا : نحن لأبى سفيان . فتركوهما .

وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه وسلم . وقال : « إذا صَدَقاكم ضربتموهما ، وإذا كذَبا كم تركتموهما ! صدَقا والله إنهما لقريش ، أخبِرانى عن قريش ؟ قالا : هم [والله[2]] وراء هـذا الـكَثِيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ، والـكثيب العَقَنْقَل .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليـه وسلم : كم القومُ قالا : كثير ، قال : ماعِدَّتهم ؟ قالا : لاندرى . قال : كم يَنْحرون كلَّ يوم؟ قالا: يوماً تِسعْاً ويوما عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف » .

ثم قال لهما : فمَنْ فيهم مِن أشراف قريش ؟

قالا : عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِى بن هشام ، وحَـكيم بن حِزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عدى بن نوفل ، والنَّضر

---

(١) أذلقوهما : آذوهما . (٢) عن ابن هشام .

ابن الحارث ، وزَمْعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وسُهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ .

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقتْ إليكم أفلاذَ كبدها » .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبس بن عمرو وعَدى بن أبي الزّغْباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شَنًّا لهما يستقيان فيه ، ومَجْدى بن عمرو الُجهنى على المــاء ، فسمع عدىٌّ وبَسْبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان[1] على الماء والملزومةُ تقول لصاحبتها : إنما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهم ثم أقْضيك الذى لك . قال مَجْدى : صدقتِ . ثم خلَّص بينهما .

وسمع ذلك عدىٌّ وبَسْبس فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العيرَ حذِرا حتى ورد الماء ، فقال لمجْدى بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيتُ أحداً أنـكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هــذا التل ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخَهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتَّه فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب .

فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجهَ عيره عن الطريق فساحَلَ بها ، وترك بدراً بيَسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الُجحْفة رأى جُهيم بن الصَّلْت بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبَيْن النائم واليقظان ، إذ

---

(١) يتلازمان : يتقاضيان .

نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف وفلان وفلان ؛ فعدَّ رجالا ممن قُتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لَبَّة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أباجهل لعنه الله فقال : هذا أيضا نبىٌّ آخر من بنى المطَّلب ! سيعلم غداً مَن المقتولُ إن نحن التقينا .

***

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجَّاها الله فارجعوا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نَرِدَ بدراً ، وكان بدرُ موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كلَّ عام ، فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجَزُور [1] ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتَعزف علينا القِيَان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

وقال الأَخْنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقفى ، وكان حليفا لبنى زُهرة ، وهم بالجحفة : يابنى زهرة قد نجَّى الله لكم أموالكم ، وخلَّص لكم صاحبَكم مَخْرَمة بن نوفل ، وإنما نَفَرتم لتمنعوه ومالَه ، فاجعلوا [2] بى جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لاحاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضَيْعة ، لا مايقول هذا .

قال : فرجعوا فلم يشهدها زُهْرىٌّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعا .

ولم يكن بَقى بطنٌ من قريش إلا وقد نفَر منهم ناس إلا بنى عَدى ، لم يخرج منهم

---

(١) ابن هشام : الجزر . (٢) ابن هشام : فاجعلوا لى .

رجل واحد ، فرجعت بنو زُهـرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد .

قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالب ، وكان فى القوم ، وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أنّ هوا كم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال فى ذلك :

لا هُمَّ إمّا يَغْزوَنّ طالبْ فى عُصبةٍ محالفٌ مُحـارِبْ
فى مِقْنَبٍ مِنْ هذه المَقانب (١) فليكن المسلوبُ غيرَ السالبْ
وليكن المغلوبُ غيرَ الغالبْ

* * *

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من الوادى خلف العَقَنْقَل وبطن الوادى وهو يَلْيَل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيبُ الذى خَلْفَه قريش ، والقليب ببدر فى العدوة الدُّنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة .

قلت : وفى هـذا قال تعالى « إذ أنتم بالعُدْوة الدُّنيا وهم بالعدوة القصوى والركبُ أسفلَ منكم » أى من ناحية الساحل « ولو تواعَدْتم لاختلفتم فى الميعاد ، ولكنْ لِيَقْضى الله أمراً كان مَفْعولا » (٢) الآيات .

وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسا (٣) فأصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل مقدارها ثلاثمائة أو نحوها .
(٢) سورة الأنفال ٤٢ (٣) دهسا : لينا .

قلت : وفى هذا قوله تعالى « وَيُنَزِّل عليكم من السماء ماءً ليطهِّركم به ويُذْهب عنكم رجزَ الشيطان وليَرْبط على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام »(١) .

فذكر أنه طهرَّهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبَّت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيلَ الشيطان وتخويفَه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيتُ الباطن والظاهر ، وأنزل النصرَ عليهم من فوقهم فى قوله : « إذ يُوحى ربُّك إلى الملائكة أنى معكم ، فثَبِّتوا الذين آمنوا ، سأُلْقِى فى قلوبِ الذين كفروا الرُّعْبَ ، فاضربوا فوقَ الأعناق » أى على الرءوس « واضربوا منهم كلَّ بَنَان » أى لئلا يَسْتمسك منهم السلاحُ « ذلك بأنَّهم شاقُّوا الله ورسولَه ومَنْ يُشَاقِقِ الله ورسوله فإنَّ الله شديدُ العقاب ، ذلكم فذُوقوه وأنَّ للكافرين عذابَ النار »(٢) .

قال ابن جرير : حدثنى هارون بن إسحاق ، حدثنا مُصْعَب بن المقْدام ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن على بن أبى طالب ، قال : أصابنا من الليل طَشٌّ(٣) من المطر ، يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعةُ بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحُجُف(٤) نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قائما يصلى ، وحرَّض على القتال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن شُعْبة عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن على ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر إلا المقداد ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح .

وسيأتى هذا الحديث مطولا .

---

(١) سورة الأنفال ١٢ . (٢) سورة الأنفال ١٣، ١٤ . (٣) الطش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ . (٤) الحجف : جمع حجفة وهى الترس الصغير يطارق بين جلدين .

ورواه النسائى عن بُنْدار ، عن غُنْدَر ، عن شُعبة به . وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبَّدت به الأرضُ وطابت به أنفسهم وتبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان ، سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى إلى جِذْم شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول : « ياحىّ ياقيوم » يكرر ذلك ويُلظُّ به عليه السلام .

* * *

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنَى ماء من بدر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحدُثت عن رجال من بنى سلَمة ، أنهم ذكروا أن الحباَب ابن منذر بن الجُمُوح قال : يارسول الله أرأيتَ هذا المَنْزل ، أمنْزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نَتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأىُ والحرب والمكيدة ؟

قال : بل هو الرأى والحرب والمَكيدة .

قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنْزل ، فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فَننْزله ، ثم نغوّر ماوراءه من القُلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرتَ بالرأى » .

قال الأموى : حدثنا أبى ، قال : وزعم الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : بينْا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الأقباص(١) وجبريل عن يمينه إذا أتاه ملَك من الملائكة فقال : يامحمد إن الله يقرأ عليك السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) بالأصل غير منقوطة . ولم أجد هذ النص ، والقبص : الجماعة من الناس .

« هو السلام ومنه السلام وإليه السلام » فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمرَ الذى أمرك به الحبابُ بن المنذر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجبريل هل تعرف هذا ؟ فقال : ما كلَّ أهل السماء أَعْرف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان .

فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أَمر بالقُلُب فَغُوِّرَت ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وذكر بعضُهم أن الُحبَاب بن المنذر لمّا أشار بما أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملَك من السماء وجبريلُ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الملك : يامحمد ، ربُّك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن الرأى ما أشار به الُحبَاب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال : ليس كل الملائكة أعرفهم ، وإنه ملك وليس بشيطان .

وذكر الأموى أنهم نزلوا على القليب الذى يلى المشركين نصفَ الليل ، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملأوا الحياضَ حتى أصبحت مِلاءً وليس للمشركين ماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدِّث أن سعد بن معاذ قال يانبى الله ألا نبنى لك عَريشا تكون فيه ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلْقَى عدوَّنا ، فإنْ أعزَّنا الله وأظْهرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا مِن قومنا ، فقد تخلَّف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ حبًّا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنعك الله بهم يُنَاصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير ، ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش كان فيه .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت .

فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تُصوِّب من العَقَنْقَل ، وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى ، قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفَخْرها تُحَادُّك وتكذِّب رسولَك ، اللهم فنَصْرَكَ الذى وعدتنى ، اللهم أَحِنْهم[1] الغداةَ » .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل له أحمر : إن يكنْ فى أحدٍ من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يَرْشُدوا .

قال : وقد كان خُفَاف بن أيماء بن رَحَضة ، أو أبوه أيماء بن رَحَضة الغِفَارى ، بعث إلى قريش ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال : إن أحببتم أن نُمدكم بسلاح ورجال فعلْنا قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلَتْكَ رَحِم ، وقد قضيتَ الذى عليك ، فلعَمْرى إنْ كنّا إنما نقاتل الناسَ مابنا ضَعْفٌ عنهم ، وإنْ كنّا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحدٍ بالله من طاقة !

قال : فلما نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم . فما شرب منه رجل يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجَّانى يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر

---

(١) أحنهم : أهلكهم .

رجلا كما سيأتى بيان ذلك فى فصل نعقده بعد الوقعة ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

***

ففى صحيح البخارى عن البراء ، قال : كنا نتحدث[1] أن أصحابَ بدر ثلثمائة وبضعة عشر ، على عِـدَّة أصحاب طالوت الذين جاوزا معـه النهرَ ، وما جاوزه معه إلا مؤمن .

وللبخارى أيضا عنه قال : استُصْغِرت أنا وابنُ عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يومَ بدر نَيِّفًا على ستين ، والأنصار نيفٌ وأربعون ومائتان .

وروى الإمام أحمد عن نصر بن رِئاب ، عن حجاج ، عن الحـكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكانت هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة .

وقال الله تعـالى : « إذ يُريكهم الله فى مَنامك قليلاً ولو أراكَهم كثيراً لفَشِلْتم ولَتنازعتم فى الأمر ، ولـكنّ الله سَلَّمَ »[2] الآية .

وكان ذلك فى منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام فى العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذَن لهم ، فدنا القومُ منهم فجعل الصِّديق يوقظـه ويقول : يارسول الله دنَوا منّا فاستيقظْ . وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلا .

ذكره الأموى وهو غريب جداً .

وقال تعالى : « وإذ يُريكموهم إذ التقيتم فى أعينـكم قليلاً ويُقَلِّلـكم فى أعينهم ، لِيَقْضى الله أمراً كان مفعولا »[3] .

---

(١) البخارى . سمعت البراء رضى الله عنه يقول : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت .

(٢) سورة الأنفال ٤٣ .

(٣) سورة الأنفال ٤٤ .

فعند ماتقابل الفريقان قلَّل الله كلاًّ منهما فى أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ، لما له فى ذلك من الحكمة البالغة .

وليس هذا معارضاً لقوله تعالى فى سورة آل عمران : « قد كان لكم آيةٌ فى فئتين التقتا ، فئةٌ تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأىَ العين ، والله يؤيد بنَصْره مَن يشاء » .

فإن المعنى فى ذلك على أصح القولين : أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلَىْ عدد الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة(١) أوقع الله الوهن والرعب فى قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً ، بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره ، فجعلهم فى أعين الكافرين على الضِّعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغُلبوا . ولهذا قال : « والله يؤيدُ بنصره مَن يشاء ، إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار » .

قال إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عُبيد وعبد الله ، لقد قُلّلوا فى أعيننا يومَ بدر ، حتى أنى لأقول لرجل إلى جنبى : أتراهم سبعين ؟ فقال : أَراهم مائة !

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عُمير بن وَهْب الجُمحِى فقالوا احْزِر لنا القومَ أصحاب محمد .

قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر : ألِلقوم كَمينٌ أو مَدَد .

قال : فضرب فى الوادى حتى أبْعدَ فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : مارأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نَواضحُ يَثْرب تحمل الموت الناقع ،

(١) الأصل : والمسابقة وهو تحريف .

قومٌ ليس لهم منَعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقْتل رجلٌ منهم حتى يَقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! ؟ فرَوا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حِزام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عتبةَ بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟

قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمرَ حليفك عمرو ابن الحَضْرمى . قال : قد فعلتُ ، أنت علىَّ بذلك ، إنما هو حليفى فعلىَّ عَقْله وما أصيب من ماله . فَأْت ابن الحَنْظلية ، يعنى أبا جهل ، فإنى لا أخشى أن يَشْجر(١) أمرَ الناس غيره .

ثم قام عتبة خطيباً فقال : يامعشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يَكْره النظرَ إليه ، قَتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نَثل درعًا فهو يَهْنئها(٢) فقلت له : يا أبا الحكم إنّ عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا. فقال : انتفخ والله سَحْره(٣) حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنُه ، فقد تخوّفكم عليه .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ؛ فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد

---

(١) يشجر : يخالف ويفسد . وفى الأصل : يسجر . وما أثبته عن ابن هشام (٢) نثل : أخرج . ويهنئها : يهيئها ويصلحها (٣) انتفخ سحره : جبن والسحر : الرئة .

رأيتَ ثأركَ بعينك فقم فانشد خُفْرَتك ومقتلَ أخيك.

فقام عامرُ بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ : واعمْراه واعمراه . قال : فحميت الحرب وحَقِب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأىَ الذى دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبى جهل : انتفخ والله سَحْره ، قال : سيعلم مُصَفِّر استه(١) مَن انتفخ سَحْره أنا أم هو !

ثم التمس عُتبة بَيْضَةً ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضةً تَسَعه مِنْ عِظَم رأسه ، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببُرْد له .

***

وقد روى ابنُ جرير من طريق مُسَوَّر بن عبد الملك اليَرْبوعى ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيَّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن . قال : ائذن له . فلما دخل قال : مرحبا يا أبا خالد ادْنُ ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدِّثنا حديث بدر .

فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالُجْحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوة التى قال الله تعالى ، فجئت عتبةَ بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ ابن الحضرمى وهو حليفُك ، فتحمَّل بدِيته ويرجع الناس .

فقال : أنت علىَّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظلية ، يعنى أبا جهل ، فقل له :

---

(١) مصفر استه : أراد مصفر بدنه بالصفرة وهى الطيب . ولكنه قصد المبالغة بالذم فذكر ما يسوؤه أن يذكر.

هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟

فجئته فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابنُ الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول : فسَخْتُ عقدى من عبد شمس ، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم . فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولا لغيره .

قال حكيم : نخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شىء ، وعتبة متكىء على أَيْماء بن رَحَضة الغفارى ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر .

فطلع أبو جهل الشرُّ فى وجهه فقال لعتبة : انتفخ سَحْرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال أيماء بن رَحَضة : بئس الفَأْل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبَّاهم أحسَن تَعْبية .

فروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلاً .

وروى الإمام أحمد من حديث ابن لَهيعَة ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، أنّ أسْلم أبا عمران حدّثه ، أنه سمع أبا أيوب يقول : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر ، فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فنظر إليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « معى معى » .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد حسن .

* * *

وقال ابن إسحاق : وحدثنى حَبَّان بن واسع بن حبّان ، عن أشياخ من قومه ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْح (١) يعدّل به القوم ، فمر بسواد بن غَزِيّة حليف بنى عدى بن النجار وهو مُسْتَنْتل (٢) من الصف . فطعن فى بطنه بالقِدْح وقال : « استوِ ياسواد » .

فقال : يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقِدْنى . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : استقِدْ . قال : فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يارسول الله حضر ما ترى ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدى جلدك .

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ما يُضحك (٣) الربَّ مِن عَبْده ؟ قال: « غَمْسُه يدَه فى العدو حاسراً » .

فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره : وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفاً على باب العريش متقلّداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار ، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من أن يَدْهمه العدو من المشركين ، والجنائبُ النجائب مهيَّأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذ .

وقد روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل ، عن علىّ أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجعُ الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين .

---

(١) القدح السهم . (٢) مستنتل : متقدم . (٣) يضحك : يرضى .

فقال : أمَا إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفتُ منه ، ولـكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يَهْوِى إليه أحدٌ من المشركين ؟ فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بـكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَهوى إليه أحد إلا أهوى إليه . فهذا أشجع الناس .

قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يحادُّه ، وهـذا يُتَلْتِله ، ويقولون : أنت جعلتَ الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بـكر يضرب ويجاهد هذا ويُتَلْتِل هذا ، وهو يقول : ويلـكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .

ثم رفع علىٌّ بردةً كانت عليـه فبكى حتى اخضلَّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله : أمؤمنُ آلِ فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعةٌ من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجلٌ يَـكْتم إيمانَه ، وهـذا رجل أعلنَ إيمانه .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

فهذه خصوصية للصِّديق ، حيث هو مع الرسول فى العريش ، كما كان معه فى الغار رضى الله عنه وأرضاه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الابتهالَ والتضرعَ والدعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهم إنك إنْ تَهلك هـذه العصابة لا تُعبد بعـدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجزْ لى ما وعدتنى ، اللهم نصرَكَ » .

ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن مِنْـكبيه ، وجعل أبو بكر رضى الله عنه

يلتزمه من ورائه ويسوِّى عليه رداءه ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يارسول الله بعضَ مناشدتك ربك ، فإنه سيُنْجز لك ماوعدك .

هكذا حكى السهيلى عن قاسم بن ثابت ، أن الصـديق إنما قال : بعضَ مناشدتك ربك ، من باب الإشفاق لمَا رأى مِنْ نَصَبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منـكبيه فقال : بعضَ هذا يارسول الله . أى : لمَ تُتعب نفسَك هـذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر . وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى السُّهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى بأنه قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى مقام الخوف ، والصِّديق فى مقام الرجاء ، وكان مقامُ الخوف فى هـذا الوقت ، يعنى أكمل . قال : لأن لله أن يفعل مايشاء ، نخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها، فخَوْفُه ذلك عبادة .

قلت : وأما قول بعض الصوفية : إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قولٌ مردود على قائله ، إذ لم يتذكر هـذا القائل عوَرَ ماقال ولا لازِمَه ولا مايترتب عليـه . والله أعلم .

* * *

هـذا وقد تواجه الفئتـان وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان بين يدى الرحمن ، واستغاث بربه سيدُ الأنبياء ، وضجَّ الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء .

فـكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا شرساً سيئ الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأَهْدمنّه أو لأموتن دونه . فلمـا خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما

التقيا ضربه حمزة فأطنَّ[1] قدمَه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رجله دماً نحوَ أصحابه ، ثم حَبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ، زعَم ، أن تبرَّ يمينُه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

قال الأموى : فحَمِى عند ذلك عتبةُ بن ربيعة ، وأراد أن يظهرشجاعته ، فبرز بين أخيه شَيْبة وابنه الوليد ، فلما توسَّطوا بين الصفين دعَوا إلى البِرَاز ، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عَفْراء ، والثالث عبد الله بن رَوَاحة فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : مالنا بكم من حاجة . وفى رواية فقالوا : أَكْفاء كِرام ، ولكن أَخرجوا إلينا من بنى عمنا ، ونادى مناديهم : يامحمد أخرج إلينا أكفاءنا مِن قومنا .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « قُم ياعبيدةَ بن الحارث ، وقم ياحمزة ، وقم ياعلى » .

وعند الأموى أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أولُ مَوقف واجه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه ، فأحبَّ أن يكون أولئك من عشيرته ، فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق : فلما دنَوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفى هذا دليل أنهم كانوا مُلْبسين لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدةُ : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال على : على . قالوا : نعم ، أَكْفَاء كرام . فبارَز عبيدةُ ، وكان أسنَّ القوم ، عتبةَ ، وبارز حمزةُ شيبةَ ، وبارز علىٌّ الوليدَ بن عتبة .

فأما حمزة فلم يُمْهل شيبةَ أنْ قتَله ، وأما علىّ فلم يُمهل الوليدَ أنْ قتَله ، واختلف

---

(١) أطن : أطار .

عبيدةُ وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أَثْبَت صاحبَه، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فذَفَّفا [1] عليه ، واحتملا صاحبَهما فحازاه إلى أصحابهما [2] . رضى الله عنه .

* * *

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى مِجْلَز ، عن قيس بن عُبَاد ، عن أبى ذَر : أنه كان يُقْسم قسماً أن هذه الآية « هذان خَصْمان اختَصَموا فى ربهم » [3] نزلت فى حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه ،يوم برزوا فى بدر .

هذا لفظ البخارى فى تفسيرها .

وقال البخارى : حدثنا حجَّاج بن مِنْهال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبى ، حدثنا أبو مِجْلَز ، عن قيس بن عُبَاد ، عن على بن أبى طالب ، أنه قال : أنا أولُ من يَجْثو بين يدَى الرحمن عز وجل فى الخصومة يوم القيامة .

قال قيس : وفيهم نزلت : « هذان خَصْمان اختَصموا فى ربهم » قال : هم الذين بارزوا يومَ بدر : علىّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .

تفرّد به البخارى .

وقد أوسعنا الكلامَ عليها فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله البهىّ ، قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلى ، فقالوا : تكلَّموا نَعْرِفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال : كُفءٌ كريم . وقال على : أنا عبد الله وأخو رسول الله . وقال عبيدة : أنا الذى فى الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوم فقتلهم الله .

---

(١) ذففا عليه : أجهزا .

(٢) ابن هشام : إلى أصحابه .

(٣) سورة الحج ١٩ .

فقالت هند فى ذلك :

أعينىّ جُودِى بدمعٍ سَرِبْ على خيرِ خِنْدِفَ لم يَنْقلبْ
تداعَى له رَهْطه غُدْوةً بنو هاشمٍ وبنو المطَّلبْ
يذيقونه حَدَّ أسيافهم يعلّونه بعد ماقد عَطبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، ولما جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشْرَفه (١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قدمَه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يارسول الله لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله :

ونُسْلمه حتى نُصَرَّع دونَه ونَذْهل عن أبنائنا والحلائِلِ

ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أنك شهيد » .
رواه الشافعى رحمه الله .

وكان أول قتيل من المسلمين فى المعركة مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رُمى بسهم فقتله .

قال ابن إسحاق : فكان أولَ من قُتل ، ثم رُمى بعده حارثة بن سُرَاقة أحد بنى عدىّ بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فمات .

وثبت فى الصحيحين ، عن أنس ، أن حارثة بن سُرَاقة قُتل يوم بدر وكان فى النَّظارة، أصابه سَهمٌ غَرْبٌ فقتَله ، فجاءت أمه فقالت : يارسول الله أخبرنى عن حارثة ، فإن كان فى الجنة صبرتُ وإلا فليرينَّ الله ما أصنع ، يعنى من النِّيَاح ، وكانت لم تُحرَّم

---

(١) كذا وفى إنسان العيون : فأفرشه .

بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك أَهَبِلْتِ ، إنها جِنانٌ ثمان ، وإن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى ! » .

***

قال ابن إسحاق : ثم تزاحف النـاسُ ودنا بعضهم من بعض . وقد[1] أمر رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكْتَنَفَـكم القومُ فانْضَحوهم عنكم بالنبل .

وفى صحيح البخارى عن أبى أُسَيد ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : إذا أَكْثَبوكم ، يعنى المشركين ، فارموهم واسْتَبْقوا نَبْلَـكم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حـدثنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن أبى إسحاق ، حدثنى عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارَ المهاجرين يوم بدر : يابنى عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يابنى عبد الله . وشعار الأوس : يابنى عبيد الله ، وسمى خيلَه خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر : أَحَدٌ أحد .

قال ابن إسحاق : ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر رضى الله عنه ، يعنى وهو يستغيث الله عز وجل ، كما قال تعالى : « إذ تَسْتغيثون ربَّـكم فاستجاب لـكم أنّى مُمدُّكم بألفٍ من الملائـكة مُرْدِفين . وما جعـله الله إلا بُشْرَى ولتطمئنَّ به قلوبكم وما النصرُ إلا مِنْ عندِ الله ، إن الله عزيز حكيم »[2] .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نوح قُراد ، حـدثنا عكرمة بن عمار ، حـدثنا سِماك الحنفى أبو زُميل ، حدثنى ابن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب ، قال : لمـا كان يوم بدر

---

(١) الأصل : وقال . وهو تحريف . وما أثبته عن ابن هشام .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، ١٠ .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلةَ وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللهم أنجزْ لى ماوعدتنى ، اللهم إن تَهْلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد بعدُ فى الأرض أبداً » .

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردَّه ثم التزمه مِن ورائه ثم قال : يارسول الله كفاك [1] مناشدتَك ربَّك ، فإنه سيُنْجز لك ماوعدك . فأنزل الله : « إذ تَسْتغيثون ربَّكم فاستجاب لكم أنِّى مُمدكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين » .

وذكر تمام الحديث كما سيأتى .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليمانى ، وصححه على ابن المَدِينى والترمذى .

وهكذا قال غير واحد ، عن ابن عباس والسُّدى وابن جَرير وغيرهم ، أن هذه الآية نزلت فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

وقد ذكر الأموى وغيره أن المسلمين عجُّوا إلى الله عز وجل فى الاستغاثة بجنابه والاستعانة به .

وقوله تعالى : « بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين » أى رِدْفاً لكم ومدداً لفئتكم .

رواه العوفى عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم .

وقال أبو كُدينة ، عن قابوس ، عن ابن عباس « مُرْدِفين » وراء كلِّ مَلَكٍ ملكٌ

---

(١) الأصل : كذاك . وهو تحريف .

وفى رواية عنه بهـذا الإسناد « مُرْدفين » بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظَبْيان والضحاك وقتادة .

وقد روى على بن أَبى طلحة الوالِبىّ عن ابن عباس قال : وأمدَّ الله نبيَّه والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل فى خمسمائة مُجنَّبة ومیكائيل فى خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جرير : حدثنى المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنى عبد العزيز بن عمران ؛ عن الرَّبَعى ، عن أبى الُحويرث عن محمد بن جبير ، عن على ، قال : نزل جبريل فى ألفٍ من الملائكة على ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل فى ألف من الملائكة على ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى الميسرة .

ورواه البيهقى فى الدلائل ، من حديث محمد بن جبير ، عن على ، فزاد: ونزل إسرافيل فى ألف من الملائكة .

وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة .

وهذا غريب وفى إسناده ضعف ، ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال . ويؤيدها قراءة من قرأ : « بألفٍ من الملائكة مُرْدَفين » بفتح الدال . والله أعلم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أَخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن سنان القزاز ، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى ، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن مَوهب ، أخبرنى إسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبى رافع ، عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن على بن أبى طالب ، عن أبيه عن جده ، قال : لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال ، ثم جئت مسرعا لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعل ، قال : فجئت فإذا هو

ساجد يقول « ياحى ياقيوم ياحى ياقيوم » لا يزيد عليها . فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة ، عن بُنْدار ، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبى على الحنفى .

وقال الأعمش : عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : ماسمعت مُناشداً يَنْشد أشدّ من مناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل يقول : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد » ثم التفت وكأن شقّ وجهه القمرُ وقال : كأنى أنظر إلى مصارع القوم عشيةً .

رواه النسائى من حديث الأعمش به .

وقال : لما التقينا يوم بدر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت مناشداً ينشد حقًّا له أشدّ مناشدةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره .

وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رءوس المشركين يوم بدر فى صحيح مسلم ، عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتى فى صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة . وهو مناسب ، وفى الحديثين الآخرين عن أنس وعمر مايدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم .

ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبلُ بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يومَ الوقعة . والله أعلم .

وقد روى البخارى من طرق ، عن خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ،

اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبُك يارسول الله أَلححْتَ على ربك. فخرج وهو يَثِب فى الدِّرع وهو يقول : « سيُهْزَم الجمع ويُوَلُّون الدُّبر . بل الساعةُ مَوْعدُهم والساعة أَدْهَى وأمرُّ » .

وهذه الآية مكية . وقد جاء تصديقها يوم بدر ، كما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو الربيع الزَّهرانى ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لما نزلت : « سيُهْزَم الجمع ويولُّون الدُّبر » قال عمر : أىُّ جمع يهزم وأى جمع يَغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثب فى الدرع وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدُّبر . بل الساعة مَوْعِدهم والساعةُ أدهى وأمرّ » فعرفت تأويلها يومئذ .

وروى البخارى من طريق ابن جُرَيج ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزل على محمد بمكة - وإنى لجارية ألعب - « بل الساعة مَوْعدهم والساعةُ أَدْهَى وأمرُّ » .

* * *

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربَّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : « اللهم إن تَهلك هذه العصابة اليومَ لاتعبد » وأبو بكر يقول : يا نبىّ الله بعضَ مناشدتك ربك ، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك .

وقد خفق النبى صلى الله عليه وسلم [خفقةً] وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريلُ آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَّقْعُ » يعنى الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرَّضهم وقال : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدْبر إلا أدخله الله الجنة » .

قال عُمَير بن الُحمام ، أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ !أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ قال : ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم بَسْبساَ عَيْناً ينظر ما صنعت عِيرُ أبى سفيان ، فجاء وما فى البيت أحدٌ غيرى وغير النبى صلى الله عليه وسلم . قال : لا أدرى ما استثنى مِن بعض نسائه ، قال : فحدثه الحديث . قال : فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طِلْبةً ، فمن كان ظهرُه حاضراً فليركب معنا » فجعل رجالٌ يستأذنونه فى ظهورهم فى عُلْو المدينة قال : « لا إلا من كان ظهرُه حاضراً » .

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبَقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه » .

فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى جنة عرضُها السموات والأرض » .

قال يقول عُمَير بن الحمام الأنصارى : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! قال : نعم . قال : بخ بخ ؟ فقال رسول الله : « ما يَحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءَ أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها .

قال : فأخرج تمرات من قرَنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة ! قال : فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله .

ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وجماعة ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جَرير أن عُميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

رَكْضاً إلى الله بغـير زادِ إلا التُّقَى وعمـل المَعَادِ
والصَّبرِ فى الله على الجهاد وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النفادِ
غـير التُّقَى والبرِّ والرشادِ

***

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن على ، قال : لما قدمنا المدينة أصبْنَا من ثمارها فاجتوَيْناها وأصابنا بها وَعكٌ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحيز عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وبدر بئر ، فسبقْنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط ، فأما القُرشى فانفلت ، وأما المَوْلى فوجدناه ، فجعلنا نقول له : كم القومُ ؟ فيقول : هم والله كثير عددُهم شديدٌ بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه .

حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ قال : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . فجهد النبى صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم فأبى . ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الُجزر ؟ فقال : عَشراً كل يوم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « القوم ألفٌ ، كلُّ جزور لمائة وتبعها » .

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ من مطر ، فانطلقنا تحت الشجر والُحجُف نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » .

فلما طلع الفجر نادى : الصلاة عبادَ الله . فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحرّض على القتال ثم قال : « إنّ جمع قريش تحت هذه الضِّلَع الحمراء من الجبل » .

فلما دنا القومُ منا وصافَفْناهم إذا رجلٌ منهم على جمل له أحمر يسير فى القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا على ناد حمزة » ، وكان أقربهم من المشركين ، منْ صاحب الجمل الأحمر ؟ فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة . وهو ينهى عن القتال ويقول لهم : يا قوم اعصبوها برأسى وقولوا : جَبُن عتبة بن ربيعة . وقد علمتم أنى لست بأجْبنكم .

فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك ، والله لو غيرُك يقوله لأعضَضْتُه ، قد ملأتْ رئتُك جوفَك رعباً . فقال : إياى تعيِّر يامُصَفّر استه ؟ ستعلم اليوم أيُّنا الجبان .

فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حَمِيةً فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار مشبّبة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز مِن بنى عمنا من بنى عبد المطلب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » .

فقتل الله عتبةَ وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة ، وجُرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسَرْنا سبعين .

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس : يا رسول الله إن هذا ما أسَرنى ، لقد أسرنى رجلٌ أجْلَح مِن أحسن الناس وجهاً على فرس أبْلَق ما أراه فى القوم . فقال الأنصارى : أنا أسَرْته يا رسول الله .

فقال : « اسكت ، فقد أيدَّك الله بملك كريم » .

قال : فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعَقيلا و نوفل بن الحارث .

هذا سياق حسن ، وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى ، وقد تفرد بطوله الإمام أحمد ، وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به .

* * *

ولما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من العريش وحرَّض الناسَ على القتال ، والناسُ على مصافّهم صابرين ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتُوا واذكروا الله كثيراً[1] » الآية .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق ، قال : قال الأوزاعى : كان يقال : قلَّما ثبت قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغضَّ طَرفه ويذكر الله رجوتُ أن يَسْلم من الرياء .

وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم ، يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، جِثيًّا على الرُّكب كأنهم حَرس ، يتلمَّظون كما تتلمظ الحياتُ ، أو قال الأفاعى .

قال الأموى فى مغازيه : وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حين حرض المسلمين على القتال قد نَفَّل كلَّ امرئ ما أصاب ، وقال : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليومَ رجل [فيقْتَل] صابراً محتسبا مقبلاً غير مُدْبر إلا أدخله الله الجنة » . وذكر قصة عمير ابن الحمام كما تقدم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق ، كما كانا

---

(١) سورة الأنفال ٤٥ .

فى العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرّضا وحثّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان جَمْعاً بين المقامين الشريفين .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة ابن مضرب ، عن على ، قال : لقد رأيتنا يومَ بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً .

ورواه النسائى من حديث أبى إسحاق عن حارثة ، عن على قال : كنا إذا حَمِى البأس ولقى القوم اتّقينا برسول صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا مِسْعر ، عن أبى عَون ، عن أبى صالح الحنفى ، عن على ، قال : قيل لعلى ولأبى بكر رضى الله عنهما يوم بدر : مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل . أو قال : يشهد الصفّ .

وهذا يشبه ماتقدم من الحديث : أن أبا بكر كان فى المَيْمنة ، ولمّا تنزّل الملائكةُ يوم بدر تنزيلا ، كان جبريل على أَحد المَجْنبتين فى خمسمائة من الملائكة ، فكان فى الميمنة من ناحية أبى بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى فى خمسمائة من من الملائكة فوقفوا فى الميَسْرة ، وكان على بن أبى طالب فيها .

[وفى حديث رواه أبو يعلى ، من طريق محمد بن جبير بن مطعم ، عن على ، قال كنت أَسْبح على القليب يوم بدر ، فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى ، فنزل ميكائل فى ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك أبو بكر ، وإسرافيل فى أَلف فى الميسرة وأنا فيها ، وجبريل فى ألف قال : ولقد طفَتْ يومئذ حتى بلغ إبطى][1] .

---

(١) سقط من ا

وقد ذكر صاحب العِقْد وغيره أن أفخرَ بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

وببئر بدرٍ إذ يكُفُّ مَطيَّهم جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

* * *

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جَرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقى ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال: من أفضل المسلمين ، أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة .

انفرد به البخارى .

وقد قال الله تعالى : « إذ يوحِى ربك إلى الملائكة أنِّى معكم فَثبِّتوا الذين آمنوا ، سأُلقى فى قلوب الذين كفروا الرُّعب ، فاضربوا فوقَ الأعناق – يعنى الرؤوس – واضربوا منهم كلَّ بنَان » .

وفى صحيح مسلم مِن طريق عكرمة بن عمار ، عن أبى زُمَيْل ، حدثنى ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أَثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقَه وصوتَ الفارس [يقول:][1] أَقْدِم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرَّ مُسْتلقيا ، فنظر إليه فإذا هو [قد][1] خُطِم [أنفه][1] وشُقَّ وجهه بضربة[2] السوط فاخضَرَّ[3] ذلك أجمع، فجاء الأنصارى فحدَّث ذاك[4] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقتَ ذلك مِنْ مدد السماء الثالثة . » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأَسَرُوا سبعين .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عمن حدثه ، عن ابن عباس، عن رجل من بنى غِفَار ، قال : حضرت أنا وابنُ عم لى بَدْراً ونحن على شِرْكٍ كنا،

---

(١) من صحيح مسلم . (٢) صحيح مسلم : كضربة السوط .

(٣) الأصل : وحضر . بالحاء والضاد . وما أثبته عن صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٨٦

(٤) مسلم : بذلك .

وإنا لفى جبل ننتظر الوقعة على مَن تكون الدائرة [١] ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حَمْحمة الخيل ، وسمعنا قائلا يقول : أقْدِمْ حَيزومُ : فأما صاحبي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدْتُ [٢] أن أهلك ثم انتعشت [٣] بعد ذلك .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعِدة ، عن أبى أُسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ ببدر ومعى بصرى لأَريتكم الشِّعْب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أَتمارى .

فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم : « أنى معكم فثَبِّتوا الذى آمنوا » . وتثبيتهم : أن الملائكة كانت تأتى الرجلَ فى صورة الرجل يعرفه فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشىء والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

وقال الواقدى : حدثنى ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملَك يتصوَّر فى صورة مَن يعرفون فيقول : إنى قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ماثبتْنا. ليسوا بشىء . إلى غير ذلك من القول .

فذلك قوله : « إذ يوحِى ربُّك إلى الملائكة أنِّى معكم فثبتوا الذين آمنوا » الآية .

ولما رأى إبليسُ الملائكة نكص على عقبيه وقال : «إنى برىء منكم ، إنى أرى مالا ترَوْن » وهو فى صورة سُراقة .

وأقبل أبو جهل يحرِّض أصحابه ويقول : لا يَهُولنكم خذلانُ سُرَاقة إياكم ، فإنه كان على مَوعد من محمد وأصحابه. ثم قال : واللات والعزى لا نرجع حتى نفرّق محمداً وأصحابه فى الجبال ، فلا تقتلوهم وخُذوهم أخذاً .

(١) ابن هشام وأبو نعيم : الدبرة . (٢) ابن هشام وأبو نعيم : فكدت .
(٣) ابن هشام وأبو نعيم : ثم تماسكت .

وروى البيهقى من طريق سلامة ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال أبو أُسيد ، بعد ماذهب بصره : يا ابن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ، ثم أطلق الله بصرى ، لأريتك الشِّعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شكٍّ ولا تمارٍ .

وروى البخارى ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وأخبرنى موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمى ، عن أبيه ، وحدثنى عابد بن يحيى ، عن أبى الحُوَيرث ، عن عُمارة بن أُكَيمة اللَّيثى ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزام ، قالوا : لما حضر القتال ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إنْ ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دِين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضَنَّ وجهَك . فأنزل الله ألفا من الملائكة مُرْدِفين عند اكتناف العدو .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعتَجِرٌ بعمامة صفراء آخذ بعِنَان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيَّب عنى ساعةً ثم طلع وعلى ثناياه النَّقْع يقول : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقى عن أبى أمامة بن سهل ، عن أبيه ، قال : يا بنى لقد رأيتنا يومَ بدر وإن أحَدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبْلَ أن يَصل إليه السيفُ .

وقال ابن إسحاق : حدثنى والدى ، حدثنى رجال من بنى مازن ، عن أبى واقد اللَّيثى ، قال : إنى لأَتْبع رجلًا من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنّ غيرى قد قتله .

وقال يونس بن بُكَير ، عن عيسى بن عبد الله التيمى ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان الناس يعرفون قتلَى الملائكة ممَّن قتلوهم بضربٍ فوقَ الأعناق وعلى البَنان مثل سِمَة النار وقد أحرق به .

وقال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن مقْسم ، عن ابن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرْخوها على ظهورهم إلا جبريل ، فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وقد قال ابن عباس : لم تقاتِل الملائكةُ فى يومٍ سوى يوم بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدداً ومدداً لا يَضْربون .

وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن موسى بن أبى أمية ، عن مصعب بن عبد الله ، عن مولىً لسهيل بن عمرو ، سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يومَ بدر رجالا بِيضًا على خيلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض مُعلَّمين يَقْتلون ويَأْسرون .

وكان أبو أُسيد يحدِّث بعد أن ذهب بصره ، قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعى بصرى ، لأريتكم الشِّعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أَمْتَرى .

قال : وحدثنى خارجة بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « من القائل يومَ بدر من الملائكة أَقْدِم حَيْزومُ ؟ » فقال جبريل : يا محمد ما كلّ أهل السماء أعْرِف .

قلت : وهذا الأثر مرسل ، وهو يردّ قولَ من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل ، كما قاله السهيلى وغيره . والله أعلم .

وقال الواقدى : حدثنى إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صُهيب ، عن أبيه قال : فما أدرى كم يدٍ مقطوعة وضَرْبة جائفةٍ لم يَدْمِ كَلْمُها قد رأيتُها يوم بدر !

وحدثنى محمد بن يحيى ، عن أبى عقيل ، عن أبى بُرْدة بن نِيار ، قال : جئت يومَ

بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أمّا رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإنى رأيت رجلا طويلا [قتله] فأخذت رأسه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك فلان من الملائكة » .

وحدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبى حُبيش يحدث فى زمن عمر يقول : والله ماأسَرنى أحدٌ من الناس . فيقال : فمن ؟ يقول : لما انهزمت قريش انهزمتُ معها ، فأدركنى رجل أشعر طويل على فرس أبيض فأوثقنى رِباطا ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطا فنادى فى العسكر : من أسرَ هذا ؟ حتى انتهى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أسَرك ؟ قلت : لا أعرفه . وكرهت أن أخبره بالذى رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسَرك ملَك من الملائكة اذهب يابنَ عوف بأسيرك » .

وقال الواقدى : حدثنى عابد بن يحيى ، حدثنا أبو الحوَيرث ، عن عمارة بن أُكيمة ، عن حكيم بن حزام ، قال : لقد رأيتنا يومَ بدر وقد وقع بِجادٌ (١) من السماء قد سدّ الأفق ، فإذا الوادى يسيل نَهْلاً ، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أُيِّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمةُ ولقىّ الملائكة .

[وقال إسحاق بن راهَوْيه ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنى أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى أبى ، عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت قبلَ هزيمة القوم ، والناس يقتتلون ، مثل البِجَاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشكّ أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] (٢) .

* * *

ولما تنزَّلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أغفىَ إغفاءةً

---

(١) البجاد : كساء مخطط . (٢) سقط من ا

ثم استيقظ ، وبشَّر بذلك أبا بكر وقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرَسه على ثَناياه النَّقْع » يعنى من المعركة .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش فى الدِّرع فجعل يحرض على القتال ، ويبشّر الناسَ بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة ، والناسُ بعدُ على مصافِّهم لم يحملوا على عدوهم ، حصل لهم السكينة والطمأنينة .

وقد حصل النعاسُ الذى هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال : « إذ يُغشِّيكم النعاسَ أَمَنةً منه » وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحد بنص القرآن .

ولهذا قال ابن مسعود : النعاسُ فى المَصافِّ من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق .

وقال الله تعالى : « إن تَستفتحوا فقد جاءكم الفتحُ ، وإن تَنْتهوا فهو خيرٌ لكم ،وإن تَعُودوا نَعُدْ ولن تُغْنىَ عنكم فئتكم شيئاً ولو كثُرتْ وإنّ الله مع المؤمنين (١) » .

قال الإمام أحمد . حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى الزُّهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال ، حين التقى القوم : اللهم أَقْطَعنا للرَّحم وآتانا بما لا نَعْرف فأحِنْه الغَداة : فكان هو المستفتح .

وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة ، ورواه النسائى من طريق صالح بن كَيْسان عن الزهرى ، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضاً . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الأموى : حدثنا أسباط بن محمد القرشى ، عن عطية ، عن مطرف ، فى قوله :

---

(١) سورة الأنفال ١٩ .

« إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » قال : قال أبو جهل : اللهم [أعن] أعزَّ الفئتين ، وأكرمَ القبيلتين ، وأكثرَ الفريقين . فنزلت : « إن تَستفتحوا فقد جاءكم الفتحُ » .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : «وإذ يَعِدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » قال : أقبلت عيرُ أهل مكة تريد الشام ، فبلغ ذلك أهلَ المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير .

فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يَغْلب عليها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يَلقوا العير .

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشَوْكة القوم ؛ فنزل النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملةٌ دِعْصَة ، (١) فأصاب المسلمون ضعف شديد ، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا (٢) .

فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب .

فساروا إلى القوم وأيَّد الله نبيَّه والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة .

وجاء إبليس فى جند من الشياطين ومعه ذريته وهم فى صورة رجال من بنى مُدْلج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : « لاغالبَ لكم اليومَ من الناس ، وإنى جارٌ لكم » .

---

(١) الدعصة : المستدير من الرمل . (٢) فى الروايات أن بعضهم كانوا محدثين من الاحتلام .

فلما اصطف الناسُ قال أبو جهل : اللهم أَوْلاَنا بالحق فانصره .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : « يارب إنْ تَهْلِك هذه العصابة فلن تُعبد فى الأرض أبداً » .

فقال له جبريل : خذ قبضةً من التراب . فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولَّوا مدبرين .

وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ، وكانت يده فى يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم ولَّى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقة أمَا زعمت أنك لنا جارٌ ؟ قال : إنى أرى مالا ترون ، إنى أخاف الله والله شديد العقاب . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقى فى الدلائل .

* * *

[وقال الطبرانى : حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصارى ، عن رفاعة بن رافع ، قال : لمّا رأى إبليس مافعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يُخْلص إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز فى صدر الحارث ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال : اللهم إنى أسألك نظرتك إياى ، وخاف أن يخلص القتل إليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يَهُولنكم خذلانُ سُراقة بن مالك ، فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعُتبة والوليد فإنهم قد عَجِلوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفينَّ رجلاً منكم قَتَل رجلا ، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرّفوهم سوء صنيعهم ، من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى .

ثم قال أبو جهلا متمثلا :

ما تَنْقِم الحربُ الشَّمُوس منّى بازل عامين حديثٌ سنّى
لمثل هذا ولدتنى أمى](١)

وروى الواقدى ، عن موسى بن يعقوب الزمعى ، عن أبى بكر بن أبى سليمان ، عن أبى حتمة ، سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألحّ عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة فى الطست ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقدى : وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُقَيْر(٢) ، سمعت نوفل بن معاوية الدِّيلى يقول : انهزمْنا يوم بدر ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى فى الطاس فى أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدِّ الرعب علينا .

وقال الأموى : حدثنا أبى ، حدثنا ابن أبى إسحاق ، حدثنى الزهرى ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُقَيْر ، أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أقْطَعُنا للرحم وآتانا بما لا نَعْرِف فأحِنْه الغداةَ . فكان هو المستفتح .

فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلَّلهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً فى العريش ثم انتبه فقال : « أَبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعمامته آخذ بعِنَان فرسه يقوده ، على ثَنَاياه النَّقْع ، أتاك نصر الله وعِدَتُه » .

---

(١) سقط من ا (٢) المطبوعة : صعير . وهو خطأ .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفاً من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القومَ فقال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها ، ثم قال لأصحابه : احملوا .

فلم تكن إلا الهزيمة ، فقتل الله مَن قُتِل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنةً من الحصْباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : « شُدُّوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السُّدِّى الكبير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ يومَ بدر : « أعطنى حَصْباء من الأرض » فناوله حصباء عليها تراب ، فرمى به فى وجوه القوم فلم يَبْقَ مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شىء ، ثم رَدِفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله فى ذلك : « فَلَمْ تَقْتُلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رَمَيْتَ إذ رميتَ ولكن الله رَمى » .

وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم : إن هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر .

وقد فعل عليه السلام مثلَ ذلك فى غزوة حنين . كما سيأتى فى موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرّض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى ، صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرّ راجعةٌ من المشركين إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما وضع القومُ أيديهم يأسرون ، رأى رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له : « كأنى بك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ » قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان فى القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ « إنى قد عرفتُ أنّ رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أُخْرجوا كُرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لَقِى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى أبا البَخْتَرِى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مُسْتكرَها » .

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألحمّنه بالسيف .

فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنّانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص ، « أيُضْرب وجه عم رسول الله بالسيف ! » .

فقال عمر : يا رسول الله دَعْنى فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق .

فقال أبو حذيفة : ما أنا بآمِنٍ من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرّها عنى الشهادة . فقُتل يوم اليمامة شهيداً . رضى الله عنه .

مَقْتل أبى البَخْتَرى بن هشام

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَخْترى

لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة ، فلقيه المجذّر بن ذِياد البَلَوى حليف الأنصار فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك . ومع أبى البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مليحة وهو من بنى ليث . قال : وزميلى ؟ فقال له المجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا ، لا يتحدث عنى نساء قريش بمكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة !

وقال أبو البخترى وهو ينازل المجذر :

لن يَتْرك[1] ابن حرة زميلَه ... حتى يموت أو يَرى سبيلَه

قال : فاقتتلا فقتله المجذَّر بن ذِيَاد . وقال فى ذلك :

إمـا جهلتَ أو نسيت نسبى ... فأثبت النسبةَ إنى من بَـلِى
الطـاعنين برماح اليَزَنى ... والطاعنين[2] الكبشَ حتى ينْحنى
بشِّر بُيتْمٍ مَنْ أبوه البَخْتَرِى ... أو بَشِّرنْ بمثلهـا منِّى بَنِى
أنا الذى يقال أصْلى مِنْ بَلِى ... أطْعَنُ بالصَّعْدَة[3] حتى تَنْثنى
وأَعْبِطُ القِرْن بعَضْبٍ مَشْرَفى ... أُرْزِم للموت كإرزام المَرِى[4]
فلا ترى مجذَّراً يفرْى فَرِى[5]

ثم أتى المجذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبَى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

---

(١) ابن هشام : لن يسلم (٢) ابن هشام : الضاربين (٣) الصعدة : الرمح .
(٤) أعبط : أقتل . والقرن : النظير فى الحرب . والعضب : السيف القاطع . وأرزم : أحن . والمرى : الناقة التى يستنزل لبنها على عسر . (٥) يفرى فرى : يصنع صنعى

فصــــل

فى مقتل أميـــة بن خلف

قال ابن إسحاق ، وحـدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيـه وحدَّثنيه أيضا عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لى صَدِيقا بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن، فـكان يلقانى ونحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو أرغِبْتَ عن اسم سمَّاكه أبوك ؟ قال : فأقول : نعم . قال (١) : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به ، أما أَنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : وكان إذ دعانى ياعبد عمرو لم أجبه . قال : فقلت له : ياأبا على اجعل ماشئتَ . قال : فأنت عبدُ الإله . قال : قلت : نعم .

قال : فـكنت إذا مررت به قال : ياعبد الإله . فأجيبه فأتحدث معه .

حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على وهو آخذ بيده ، قال : ومعى أدْراع لى قد استلبتُها فأنا أحملها ، فلما رآنى قال : ياعبد عمرو فلم أجبه ، فقال : ياعبد الإله . فقلت : نعم. قال : هل لك فىّ فأنا خيرٌ لك من هـذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ها الله (٢) .

قال : فطرحتُ الأدراع من يدى وأخذت بيده وبيد ابنه ، وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ، أمالـكم حاجة فى اللبن (٣) ؟ ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الواحد بن أبى عَون ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

---

(١) ابن هشام : فيقول . (٢) ابن هشام : ها الله ذا . وها : حرف تنبيه ولفظ الجـلالة مجرور بحرف قسم مضمر قام التنبيه مقامه . (٣) قال ابن هشام : يريد باللبن أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما : ياعبد الإله من الرجلُ منكم المُعْــلَم بريشه نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : حمزة قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ، وكان هو الذى يعذِّب بلالاً بمــكة على الإسلام ، فلما رآه قال : رأسُ الـكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال قلت : أى بلال ، أسيرىّ ، قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : ياأنصار الله ، رأسُ الـكفر أمية بن خلَف ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْــكة[1] فأنا أذُبُّ عنه ، قال : فأخْلَفَ رَجلٌ السيفَ فضرب رِجْلَ ابنه فوقع ، وصاح أميــة صيحــةً ما سمعت بمثلها قط . قال : قلت : انجُ بنفسك ولا نجــاء [بك][2] ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فــكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، فجعنى بأدراعى وبأسيرَىّ !

وهكذا رواه البخارى فى صحيحه قريبا من هذا السياق ، فقال فى الوكالة : حدثنا عبد العزيز ، هو ابن عبدالله ، حدثنا يوسف ، هو ابن الماجشون ، عن صالح بن ابراهيم ابن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن بن عوف ، قال : كاتبتُ أميةَ ابن خلف كتابا بأن يحفظنى فى صاغِيتى[3] بمكة وأحفظه فى صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرف الرحمن ، كاتِبْنى باسمك الذى كان فى الجاهلية . فــكاتبتــه عبدَ عمرو ، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الأنصار فقال : أمية بن خلف ؟ ! لا نجوتُ إن نجا أمية بن خلف .

فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلَّفت لهم ابنَه

(١) المسكة : السوار ، أى أحدقوا بهم . (٢) من ابن هشام . (٣) صاغيتى : خاصتى .

لأشغلهم فقتلوه ، ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له : ابركْ . فبَرَكَ فألقيت عليه نفسى لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه ، فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك فى ظهر قدمه .

سمع يوسفُ صالحًا وإبراهيمُ أباه .

تفرد به البخارى من بينهم كلهم . وفى مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف .

مقتل أبى جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز [وهو يقاتل][1] ويقول :

ما تَنْقِمِ الحربُ العَوانُ منّى بازِلُ عامَين حديثٌ سنّى

لمثل هذا ولدتنى أمى

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبى جهل أن يُلْتَمس فى القتلى .

وكان أول من لقى أبا جهل كما حدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر أيضاً ، قد حدثنى ذلك ، قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلَمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرَجَة[2] وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَص إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأنى فصَمَدْت نحوه ، فلما أمكنَنى حملت عليه فضربته ضربةً أطنَّت[3] قدَمه بنصف ساقه ، فوالله ماشبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مِرْضَخة النَّوَى حين يُضرب بها . قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى

(١) من ابن هشام . (٢) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . (٣) أطنت : أطارت .

فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني[1] القتالُ عنه، فلقد قاتلتُ عامةَ يومى وإنى لأسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان .

ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عَقِير ، مُعَوّذ بن عَفراء فضربه حتى أثبتَه ، وتركه وبه رَمق ، وقاتل معوذ حتى قُتل .

فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل،حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : انظروا إنْ خَفِي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ونحن غلامان وكنت أشفَّ منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجُحش[2] في أحدهما جَحْشاً لم يزل أثره به .

قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَث بي[3] مرةً بمكة فآذاني ولكزني ، ثم قلت له : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني [قال[4]] أعْمَدُ من رجل قتلتموه[5] . أخبرْني لمن الدائرةُ اليومَ ؟ قال : قلت لله ولرسوله .

قال ابن إسحاق : وزعم رجالٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيتَ مُرْتقىً صَعبا يارُوَيْعي الغنم . ثم احتززتُ رأسَه ، ثم جئت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله هذا رأس عدو الله . فقال : « آلله الذى لا إله غيره ؟ » . وكانت يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : نعم والله الذى لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

---

(١) أجهضني : غلبني . (٢) جحش : انخدش . (٣) ضبث : قبض عليه ولزمه .
(٤) ليست في ابن هشام . (٥) ابن هشام : أعمد من رجل قتله قومه .

هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله .

وقد ثبت فى الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون ، عن صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : إنى لواقفٌ يومَ بدر فى الصف ، فنظرت عن يمينى وشمالى ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٌ أسنانهما ، فتمنيت أن أكون بيْن أظْلَع[1] منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : ياعم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أُخْبرت أنه يسبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سوادَه حتى يموت الأعْجَلُ منّا . فتعجبت لذلك ، فغمزنى الآخر فقال لى أيضاً مثلَها . فلم أنْشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذى تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال : « أيّكما قتلَه ؟ » . قال كلٌّ منهما : أنا قتلته . قال : « هل مسَحْتما سيفيكما ؟ » قالا : لا . قال : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عَفْراء .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن أبيه عن جده ، قال : قال عبد الرحمن : إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمَنْ بمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عم أرنى أبا جهل . فقلت : يا بن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدتُ الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه . وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثلَه . قال : فما سرَّنى أنى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشَدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه هما ابنا عفراء .

---

(١) أظلع : أضعف .

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى سليمان التيمى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى عليه الله وسلم « من ينظر ماذا صنع أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله . فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عَفراء حتى بَرد . قال : فأخذ بلحيته قال فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوقَ رجل قتلتموه . أو قال : قتله قومه !

وعند البخارى ، عن أبى أسامة ، عن إسماعيل بن قيس ، عن ابن مسعود ، أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزاك الله ؟ فقال : هل اعْمَدَ من رجل قتلتموه !

وقال الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيّد ، ومعى سيف ردىء ، فجعلت أَنْقف رأسه بسيفى وأذْكُر نَقْفاً كان ينقف رأسى بمكة حتى ضعفت[1] يده ، فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على مَن كانت الدائرةُ ، لنا أو علينا ؟ ألست رُوَيْعينا بمكة ؟

قال : فقتلته ، ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قتلتُ أباجهل . فقال : آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفنى ثلاث مرات . ثم قام معى إليهم فدعا عليهم.

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، قال : قال عبد الله : انتهيت إلى أبى جهل يومَ بدر وقد ضُربت رجله وهو يذُبُّ الناس عنه بسيف له ، فقلت : الحمد لله الذى أخزاك الله يا عدو الله . قال : هل هو إلا رجلٌ قتله قومُه !

فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل ، فأصبت يده ، فندر[2] سيفُه ، فأخذته فضربته حتى قتلته .

قال : ثم خرجت حتى أتيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم كأنما أُقَلُّ[3] من الأرض فأخبرته فقال : « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا . قال : قلت : آلله الذى لا إله إلاّ هو .

---

(١) ا : صفقت . (٢) ندر : سقط . (٣) أقل : أحمل .

قال : فخرج يمشى معى حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذى قد أخزاك الله يا عدوَّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأمة ».

وفى رواية أخرى قال ابن مسعود : فنَفَّلنى سيفَه .

وقال أبو إسحاق الفزارىّ ، عن الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن ابن مسعود قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقلت : قد قتلت أبا جهل فقال : « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فقلت : آلله الذى لا إله إلا هو مرتين ، أو ثلاثا .

قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، الحمد لله الذى صدَق وعدَه ، ونَصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال : « انطلق فأَرِنيه ، فانطلقت فأريته ، فقال : « هذا فرعونُ هذه الأمة » .

ورواه أبو داود والنسائى من حديث أبى إسحاق السَّبِيعىّ به .

وقال الواقدى : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَصْرع ابنى عَفْراء فقال : « رحم الله ابنَىْ عفراء ، فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » فقيل : يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكةُ ، وابن مسعود قد شَرك فى قتله » .

رواه البيهقى .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصَمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن عَنْبسَة بن الأزهر ، عن أبى إسحاق ، قال : لما جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم البشيرُ يوم بدر بقتل أبى جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيتَه قتيلا ؟ فحلف له ، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً .

ثم روى البيهقى من طريق أبى نُعيم ، عن سلمة بن رجاء ، عن الشَّعْثاء ، امرأة من بنى أسد ، عن عبد الله بن أبى أَوْفَى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين حين بُشِّر بالفتح وحين جىء برأس أبى جهل .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بِشر بكر بن خلف ، حدثنا سلَمة بن رجاء ، قال حدثتنى شَعْثاء ، عن عبد الله بن أبى أوفى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بُشِّر برأس أبى جهل ركعتين .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا أبى ، حدثنا هشام ، أخبرنا مُجَالِد ، عن الشَّعبى ، أن رجلا قال لرسول الله صلى الله وسلم : إنى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمَقْمَعة معه حتى يغيب فى الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أبو جهل بن هشام ، يعذَّب إلى يوم القيامة » .

وقال الأموى فى مغازيه : سمعت أبى ، حدثنا المجالِد بن سعيد ، عن عامر ، قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال إنى رأيت رجلا جالساً فى بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب فى الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أبو جهل وكِّل به ملَكٌ يفعل به كلما خرج ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : قال الزبير : لقيت يومَ بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجَّج لا يُرى منه إلا عيناه ، وهو يُكنى أبا ذاتِ الكَرش ، فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعنزة فطعنته فى عينه فمات . قال هشام : فأُخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطيت ، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علىّ فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل .

وقال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى ، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرَّ به ؛ إنى أراك كأن فى نفسك شيئا ، أراك تظن أنى قتلت أباك ؟ إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنى قتلتُ خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحثَ الثَّور بروْقه ، فحُدْتُ عنه وقصد له ابنُ عمه علىّ فقتله .

***

قال ابن إسحاق: وقاتل عُكَّاشة بن مِحْصَن بن حرْثان الأسدى حليف بنى عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جَذْلا من حطب فقال : « قاتل بهذا ياعكاشة » .

فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزّه فعاد سيفا فى يده طويلَ القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمّى العوْن ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهدَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الأسدى أيام الردة ، وأنشد طليحة فى ذلك قصيدة منها قوله :

عشية غادرتُ ابن أقْرَم ثاوياً   وعُكَّاشة الغَنْمى عند مجالِ

وقد أسلم بعد ذلك طليحة ، كما سيأتى بيانه .

قال ابن إسحاق : وعُكاشة هو الذى قال حين بَشَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بسبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : ادع الله أن يجعلنى منهم قال : « اللهم اجعله منهم » .

وهذا الحديث مخرّج فى الصحاح والحِسَان وغيرهما .

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ « منا خيرُ فارسٍ فى العرب » قالوا : ومن هو يارسول الله ؟ قال « عُكاشة بن مِحْصن » فقال ضِرار

ابن الأزور : ذاك رجل منا يارسول الله . قال : ليس منكم ، ولكنه منا للحِلْف .

وقد روى البيهقى ، عن الحاكم ، من طريق محمد بن عمر الواقدى ، حدثنى عمر بن عثمان الخشنى ، عن أبيه ، عن عمته ، قالت : قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفى يومَ بدر فأعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

وقال الواقدى : وحدثنى أسامة بن زيد ، عن داود بن الحُصَين ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، عِدَّة ، قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريش يوم بدر ، فبقى أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده مِن عَراجين ابنِ طاب (1) فقال : اضرب به . فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جِسْر أبى عبيدة .

ردُّه عليه السلام عينَ قتادة

قال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو سعد المالينىّ ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدى ، حدثنا أبو يَعْلى ، حدثنا يحيى الحِمّانى ، حدثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغَسِيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا » فدعاه فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدرى أىّ عينيه أصيب !

وفى رواية : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم ابن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

(1) ابن طاب : ضرب من الرطب .

أنا ابنُ الذى سالَتْ على الخدِّ عينُه فرُدَّت بـكفِّ المصطفى أيمَّا رَدِّ

فقال عمر بن عبد عبد العزيز رحمه الله عند ذلك ، منشدا قولَ أمية بن أبي الصلت فى سيف بن ذى يزن ، فأنشده عمر فى موضعه حقا :

تلك المـكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ شِيبا بماء فعادا بعـدُ أبوالا

فصل فى قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن صالح ، أخبرنا الفضل بن محمد الشَّعرانى ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، أخبرنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنى رفاعة بن يحيى ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه رافع بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبىّ بن خلف ، فأقبلتُ إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه ، قال : فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورُميت بسهم يوم بدر ، ففُقئت عينى ، فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى ، فما آذانى منها شىء .

وهذا غريب من هـذا الوجـه ، وإسناده جيـد ولم يخرجوه . ورواه الطبرانى من حديث إبراهيم بن المنذر .

***

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر ابنه عبدَ الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين لم يُسْلم بعد ، فقال : أين مالى ياخبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يَبْقَ إلا شكَّةٌ ويَعْبوبْ وصارمٌ يَقْتل ضُلال الشِّيبْ

يعنى لم يبق إلا عدة الحرب وحصان وهو اليَعْبوب ، يقاتل عليه شيوخ الضـلالة . هذا يقوله فى حال كفره .

وقد روينا فى مغازى الأموى ، أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم جعل يمشى هو

وأبو بكر الصديق بين القتلى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نُفَلِّق هاماً » : فيقول الصِّديق :

مِنْ رجالٍ أعِزَّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظْلَما !

ذكر طرح رءوس الكفر فى بئرٍ يوم بدر

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القَليب ، طُرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزايل [لحمُه] فأقرّوه وألقوا عليه ماغيَّبه من التراب والحجارة .

فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال : « ياأهل القليب، هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقًّا ، فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا ؟ » .

قالت فقال له أصحابه : يارسول الله أتكلم قوماً موتى ؟ !

فقال : « لقد علموا أنّ ماوعدهم ربُّهم حق » .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ماقلتُ لهم . وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ النبى صلى الله عليه وسلم رسولَ الله من جوف الليل وهو يقول « ياأهل القَليب ، ياعتبة ابن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم فى القَليب ، هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا .

فقال المسلمون : يارسول الله أتنادى قوما قد جَيَّفوا ؟ .

فقال : « ماأنتم بأسمعَ لما أقول منهم ، ولـكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » .

وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبى عَدى،عن حميد ، عن أنس . فذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياأهل القليب بئس عشيرةُ النبي كنتم لنبيكم ، كذَّبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ؛ هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا » .

قلت : وهذا ممـا كانت عائشة رضى الله عنهـا تتأوله من الأحاديث ، كما قد جُمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء ، وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات .

وهذا المقام مما كانت تعارِض فيه قولَه : « وما أنت بِمُسْمِـعٍ مَنْ فى القبور » وليس هو بمعارض له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومَن بعدهم ، للأحاديث الدالة نصًّا على خلاف ماذهبت إليه رضى الله عنها وأرضاها .

وقال البخارى : حدثنا عُبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : ذُكر عند عائشة أن ابن عمر رفَع إلى النبى صلى الله عليـه وسلم أن الميت يعذَّب فى قبره ببكاء أهله . فقالت: رحمه الله ! إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليبكون عليه الآن » .

قالت : وذاك مثل قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القَليب وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ماقال ، قال : إنهم ليسمعون ما أقول . وإنمـا قال : « إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » ثم قرأت : « إنك لا تُسْمع الموتى » و « ما أنت بمُسْمعٍ مَنْ فى القبور » تقول : حين تبوأوا مقاعدهم من النار .

وقد رواه مسلم عن أبى كُرَيب عن أبى أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه فى غير ماحديث ، كما سنقرر ذلك فى كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله .

ثم قال البخارى : حدثنى عثمان ، حدثنا عَبْدَة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ماوعدَ ربكم حقا » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » .

وذُكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق . ثم قرأت : « إنك لا تُسْمع الموتى » حتى قرأت الآية .

وقد رواه مسلم عن أبى كُرَيب ، عن أبي أسامة ، وعن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن وكيع ، كلاهما عن هشام بن عروة .

* * *

وقال البخارى : حدثنا (١) عبد الله بن محمد ، سمع رَوْحَ بن عُبادة ، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة قال : ذَكر لنا أنس بن مالك ، عن أبى طلحة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صَناديد قريش فقُذفوا فى طَوِيٍّ (٢) من أَطْواء بَدْر خبيثٍ مُخْبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصة (٣) ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدَّ عليها رحلُها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا مانرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرَّكِيّ ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان بن فلان ، ويافلان بن فلان ، يسرُّكم (٤) أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وَعد ربكم حقا ! » .

فقال عمر : يارسول الله ماتكلِّم من أجساد لا أرواح فيها ؟

(١) البخارى: حدثنى . (٢) الطوى :البئر المبنية بالحجارة (٣) العرصة :الموضع الواسع لابناء فيه .
(٤) البخارى : أيسركم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمعَ لمَا أقول منهم » .

قال قَتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قولَه توبيخا وتصغيراً ونِقْمةً وحسرةً وندما .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن سعيد بن أبى عروبة .

ورواه الإمام أحمد ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، قال : حدَّث أنس بن مالك. فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة . وهذا إسناد صحيح ، ولكن الأول أصح وأظهر . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيّفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية ابن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : « إنك لا تُسمع الموتى » فقال : « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » .

ورواه مسلم ، عن هُدْبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

* * *

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينب بالكَثيبِ ... كخطِّ الوَحْى فى الورق القَشِيبِ[1]

تداولَهـا الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ ... من الوَسْمىِّ[2] مُنْهمرٍ سَكُوبِ

فأمْسَى رَسْمُهـا خَلقاً وأمسَتْ ... يَبَاباً بعـدَ ساكنها الحبيبِ

فدَعْ عنك التذكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارةَ القلب الكئيبِ[3]

---

(١) الوحى : الكتابة . (٢) الوسمى : مطر الخريف . (٣) ابن هشام : الصدر الكئيب .

وخبِّرْ بالذى لا عَيْب فيه | بصِدْقٍ غير إخبار الكذوبِ
بما صَنع المليكُ غداةَ بدرٍ | لنا فى المشركين من النَّصيبِ
غداةَ كأنّ جَمْعَهم حِراءٌ | بدَتْ أركانُه جُنْحَ الغروبِ
فلاقيناهمُ منّا بجمعٍ | كأُسْدِ الغاب مِردانٍ وشِيبِ
أمامَ محمدٍ قد وازروه | على الأعداء فى لَفْح الحروبِ
بأيديهمْ صوارمُ مُرْهَفاتٌ | وكلٌّ مُجَرَّب خاطى الكُعوبِ
بنو الأَوْس الغطارف وازرَتْها | بنو النَّجار فى الدين الصَّليبِ
فغادرنا أبا جهل صريعا | وعُتْبة قد تركْنا بالجبوبِ (١)
وشيبةَ قد تركنا فى رجال | ذوى حسب إذا نُسبوا حسيبِ
يناديهم رسولُ الله لمّا | قذفناهم كباكبَ فى القَليبِ
ألم تجدوا كلامى كان حقًّا | وأمرُ الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا | صدقتَ وكنت ذا رأيٍ مصيبِ

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْقوا فى القَليب أُخذ عتبة بن ربيعة فسُحب فى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغيَّر لونه فقال: «ياحذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء؟» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: لا والله يارسول الله، ما شككْتُ فى أبى ولا فى مَصْرعه، ولكنى كنت أعرف مِن أبى رأياً وحلماً وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أَصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعدَ الذى كنت أرجو له، أحزننى ذلك.

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً.

---

(١) الجبوب: وجه الأرض.

وقال البخاري : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « الذين بَدَّلوا نعمة الله كُفراً » قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش،ومحمد نعمة الله : « وأحَلُّوا قومَهم دارَ البوار » قال : النار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قومى الذين همُ آوَوْا نبيَّهم ... وصدَّقوه وأهلُ الأرضِ كفارُ
إلا خصائصَ أقوامٍ همُ سَلَفٌ ... للصالحين من الأنصار أنصارُ
مستبشرين بقَسْمِ الله قولَهم ... لمّا أتاهم كريمُ الأصل مختارُ
أهلاً وسهلا ففى أَمْنٍ وفى سعةٍ ... نعم النبىُّ ونعم القَسْم والجارُ
[فأنزلوه بدار لا يُخاف بها ... من كان جارهمُ داراً هى الدار(١)]
وقاسَموهم بها الأموالَ إذ قَدِموا ... مهاجرين وقَسْمُ الجاحد(٢) النارُ
سِرْنا وساروا إلى بدر لَحيْنهم ... لو يعلمون يقينَ العلم ماساروا
والاهمُ(٣) بغرورٍ ثم أسْلَمهم ... إن الخبيث لمن والاه غَرَّارُ
وقال إنى لكم جارٌ فأوْرَدهم ... شرَّ الموارد فيه الخزىُ والعارُ
ثم التقينا فولَّوا عن سَراتهم ... مِنْ مُنْجدين ومنهم فرقةٌ غارُوا

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بكر وعبد الرزاق ، قالا : حدثناإسرائيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له : عليك العير ليس دونها شىء . فناداه العباس وهو فى الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال : لم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ماوعدك .

***

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : الجاهل . وما أثبته عن ابن هشام
(٣) ابن هشام : دلاهم

وقد كانت جملة مَن قُتل من سَراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألف من الملائكة .

وكان قَدَرُ الله السابق فيمن بَقى منهم أنْ سيُسْلم منهم بشر كثير ، ولو شاء الله لسلط عليهم ملَكا واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلّية .

وقد كان فى الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقتلع مدائنَ قوم لوط ، وكنَّ سَبْعا فيهن من الأمم والدواب والأراضى والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنانَ السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التى سوِّمت لهم . كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط .

وقد شرع الله جهادَ المؤمنين للكافرين ، وبيّن تعالى حكمه فى ذلك فقال : « فإذا لقيتم الذين كَفروا فضَرْبَ الرِّقاب ، حتى أَثْخَنْتموهم فشُدُّوا الوَثاق فإمّا منًّا بعدُ وإما فداءً ، حتى تَضع الحربُ أَوْزارَها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصرَ منهم ولكن لِيَبْلو بعضَكم ببعض » (١) الآية . وقال تعالى : « قاتِلوهم يُعذِّبهم الله بأيديكم ويُخزِهم وينصركم عليهم ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنين . ويُذْهب غيظَ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء » (٢) الآية .

فكان قتلُ أبى جهل على يدى شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقَف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له : لقد رقيتَ مرتقًى صعبا يارُوَيْعى الغنم . ثم بعد هذا حَزَّ رأسَه واحتمله حتى وضعه بين يدى رسول الله .

---

(١) سورة محمد ٤ .
(٢) سورة التوبة ١٤، ١٥ .

فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغَ من أن تأتيه صاعقة أو أن يَسْقط عليه سقفُ منزله أو يموت حتف أنفه ! والله أعلم .

* * *

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قُتل يوم بدر مع المشركين ، ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية منهم ، لأنه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن إسلامه ، جماعة منهم : الحارث بن زَمْعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة] (1) وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن مُنَبه بن الحجاج .

قال : وفيهم نزل قوله تعالى : « إن الذين توَفاهم الملائكةُ ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم . قالوا : كنا مُسْتَضْعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » (2) .

وكان جملة الأسارَى يومئذ سبعين أسيراً ، كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عَقِيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كلُّ مَنْ مَلَكَ ذا رحم مَحْرم يَعْتق عليه ، وعارضوا به حديثَ الحسن ، عن ابن سمرة فى ذلك . فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(1) من ابن هشام .

(2) سورة النساء ٩٧ .

فصـــــل

وقد اختلف الصحابة فى الأسارى : أَيُقتلون أو يُفادون على قولين .

كما قال الإمام أحمـد : حدثنا على بن عاصم ، عن حُميد، عن أنس ، وذُكر رجل ، عن الحسن ، قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فى الأسارى يوم بدر فقال: « إن الله قد أمْكَنكم منهم » .

قال : فقام عمر فقال: يارسول الله اضرب أعناقَهم ، قال : فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم عاد النبى فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال : يارسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء .

قال : فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم وقَبل منهم الفداء .

قال وأنزل الله تعالى : « لولا كتابٌ من الله سبَق لمسَّكم » الآية .

انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه وكذا علىّ ابن المَدِيْنى وصحَّحه، من حديث عِكْرمة بن عمار ، حدثنا سِماكٌ الحنفى أبو زُمَيل ، حدثنى ابن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمئة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة .

فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله : فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا .

واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليّا وعمر ، فقال أبو بكر : يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفديةَ ،

فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماترى يا بن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليًّا من عَقيل فيضرب عنقه ، وتمكّن حمزةَ من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هَوداة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

فهَوِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال أبو بكر ولم يَهْوَ ماقلت وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما يبكيان فقلت : يارسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيتُ ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للذى عَرض علىّ أصحابُك مِنْ أَخْذهم الفداء ، قد عُرض علىّ عذابُكم أدنَى من هذه الشجرة » . لشجرة قريبة .

وأنزل الله تعالى : « ما كان لنبىٍّ أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِن فى الأرض ، تريدن عرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتابٌ مِن الله سبَق لمسكم فيما أخذتم » من الفداء ، ثم أحلّ لهم الغنائم. وذكر تمام الحديث .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ قال : فقال أبو بكر : يارسول الله قومُك وأهلك استَبْقهم واسْتَأْنِ بهم لعل الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يارسول الله أخرجوك وكذبوك ، قرِّبهم فاضرب أعناقهم .

قال : وقال عبد الله بن رَواحة : يارسول الله انظر وادياً كثيرَ الحطب فأدْخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يردّ عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس: يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال : « إن الله ليلين قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألْيَن من اللّين وإن الله ليشد قلوبَ رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : «فمن تَبِعنى فإنه منّى ومَن عَصانى فإنك غفور رحيم » ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : « إنْ تعذّبهم فإنهم عبادُك ، وإنْ تَغفر لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيم » وإن مثلك ياعمر كمثل نوح قال : « ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ من الكافرين دَيَّارا » وإن مثلك ياعمر كمثل موسى قال : « ربَّنا اطمسْ على أموالهم واشدُدْ على قلوبهم فلا يُؤمنوا حتى يروا العذابَ الأليم » أنتم عالة فلا يبقينَّ أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله : فقلت : يارسول إلا سُهيل بن بيضاء فإنى قد سمعته يذكر الإسلامَ . قال : فسكت .

قال : فما رأيتنى فى يومٍ أخوفَ أنْ تقع علىّ حجارة من السماء من ذلك اليوم . حتى قال : « إلا سهيلَ بن بيضاء » .

قال : فأنزل الله : « ما كان لنبى أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِنَ فى الأرض ، تريدون عرضَ الدنيا والله يريد الآخرةَ والله عزيز حكيم ، لولا كتابٌ من الله سبَق لمسَّكم» إلى آخر الآيتين .

وهكذا رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى معاوية ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبى هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى بنحوه .

وقد روى ابن مردويه والحاكم فى المستدرك ، من حديث عبيد الله بن موسى ،

حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر ، أسَره رجل من الأنصار . قال : وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنى لم أَنم الليلة من أجل عمى العباس ، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » قال عمر : أفآتيهم؟ قال : نعم .

فأتى عمر الأنصارَ فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإنْ كان لرسول الله رضاً ؟ قالوا فإن كان له رضا فخُذْه . فأخذه عمر ، فلما صار فى يده قال له عمر : ياعباس أسْلِم ، فوالله لئن تُسْلِم أحبّ إلى من أن يسلم الخطَّاب . وماذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

قال : واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقال أبو بكر : عشيرتُك فأرسلْهم. واستشار عمر فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ما كان لنبيٍّ أَنْ يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِن فى الأرض » الآية .

ثم قال الحاكم فى صحيحه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث سفيان الثورى ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن على ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : خيِّر أصحابك فى الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلا منهم مثلهم . قالوا : الفداء أو يقتل منا .

وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلا عن عبيدة . والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، فى قوله : « لولا كتابٌ من الله سبَق لمسَّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم » يقول : لولا أنى لا أعذِّب من عصانى حتى أتقدم إليه لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وهكذا روى عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أيضا . واختاره ابن إسحاق وغيره .

وقال الأعمش : سبَق منـه ألا يعذِّب أحداً شهد بدراً . وهكذا روى عن سعد بن أبى وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح .

وقال مجاهد والثورى : « لولا كتابٌ من الله سبَق » أى لهم بالمغفرة .

وقال الوالبىّ : عن ابن عباس ، سبق فى أُمّ الـكتاب الأول أن المغانم وفداء الأسارى حلال لـكم ، ولهذا قال بعده : « فـكُلوا مما غَنمتم حلالاً طيِّبا » .

وهـكذا روى عن أبى هريرة وابن مسعود وسعيد بن جُبير وعطاء والحسن وقَتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير .

وقد ترجَّح هذا القول بما ثبت فى الصحيحين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلى ؛ نُصرت بالرعب مَسيرة شهر ، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وحَلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قَبْـلى ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » .

وروى الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « لم تحل الغنائم لسُود الرءوس غيرنا » .

ولهذا قال تعالى : « فـكُلوا مما غَنِمتم حلالاً طيِّبا » فأذِن الله تعالى فى أكل الغنائم وفداء الأسارى .

وقد قال أبو داود : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العَيْشى ، حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة ، عن أبى العَنْبس ، عن أبى الشّعْثاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وهذا كان أقلَّ ما فودى به أحدٌ منهم من المـال ، وأكثر ما فُودِى به الرجلُ منهم أربعة آلاف درهم .

***

وقد وعد الله من آمَن منهم بالخلَف عما أُخذ منه فى الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : « يا أيها النبيُّ قل لِمن فى أيديكم من الأَسْرى إنْ يَعْلمِ الله فى قلوبكم خيراً يُؤْتكم خيراً مما أُخذ منكم ويغفر لكم » الآية .

وقال الوالبيّ ، عن ابن عباس ، نزلت فى العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب . قال العباس : فآتانى الله أربعين عبداً . يعنى كلهم يتجر له . قال : وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه .

وقال ابن إسحاق : حدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد[1] ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : لما أمسَى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبى صلى الله عليه وسلم ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : سمعت أنينَ عمى العباس فى وثاقه » فأطلَقوه ، فسكت ، فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب .

قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابنى أخويه عَقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بنى الحارث بن فِهْر ، كما أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادعى أنه كان قد أسلم،فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادَّعى أنه لا مال عنده .

قال : « فأين المال الذى دفنته أنت وأمّ الفضل وقلت لها : إنْ أُصبت فى سفرى فهذا لبنىّ الفضل وعبد الله وقثم ؟ » .

فقال : والله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إنّ هذا شىء ما عَلمه إلا أنا وأم الفضل .

رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وثبت فى صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة ، قال الزهرى : حدثنى أنس

---

(١) الأصل : معقل . وهو تحريف . وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى المدنى .

ابن مالك ، قال : إن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا إيذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تَذَرُون منه درهما » .

قال البخارى : وقال ابراهيم بن طَهْمان ، عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُوتى بمال من البحرين فقال : « انثروه فى المسجد » فكان أكثَرَ مالٍ أُتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه العباس فقال : يارسول الله أعطنى ، إنى فاديت نفسى وفاديتُ عقيلاً . فقال : خذ. فحثا فى ثوبه ، ثم ذهب يقلّه فلم يستطع ، فقال مُرْ بعضَهم يرفعه إلىّ . قال : لا . قال : فارفعه أنت علىّ . قال : لا . فنثر منه ثم ذهب يقلّه فلم يستطع ،فقال: مُرْ بعضَهم يرفعه إلىّ .قال : لا.قال: فارفعه أنت علىّ . قال : لا.فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يُتْبعه بصرَه حتى خَفِى علينا عجباً من حرصه !

فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثَمَّ منها درهم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدى ، قال : كان فداء العباس وابنى أخويه عَقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، كلُّ رجل أربعمائة دينار ، ثم توعَّد تعالى الآخرين فقال : « وإنْ يريدوا خيانَتك فقَدْ خانوا الله مِنْ قَبْلُ فأمْكَن منهم والله عليمٌ حكيم » .

فصـــل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد فى غير ما حديث مما تقدم وسيأتى إن شاء الله ، وكما فى حديث البراء بن عازب فى صحيح البخارى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قُتل يومَ بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار

ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعون ، وأسر منهم تسعة وثلاثون .

هكذا رواه البيهقى عنه .

قال : وهكذا ذكر ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، فى عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا أربعة من قريش وسبعة من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا .

وقال فى موضع آخر : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

ثم روى البيهقى ، من طريق أبى صالح ، كاتب الليث ، عن الليث ، عن عُقَيل ، عن الزُّهرى ، قال : وكان أول قتيل من المسلمين مِهْجع مولى عمر ، ورجل من الأنصار وقتل يومئذ من المشركين زيادةٌ على سبعين ، وأُسر منهم مثل ذلك .

قال : ورواه ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، قال : قال البيهقى : وهو الأصح فيما رويناه فى عدد من قُتل من المشركين وأُسر منهم.

ثم استدلّ على ذلك بما ساقه هو والبخارى أيضا من طريق أبى إسحاق ، عن البَراء ابن عازب ، قال : أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أُحد عبدَ الله بن جبير ، فأصابوا منا سبعين . وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسير ، وسبعين قتيلا .

قلت : والصحيح أن جملة المشركين كانوا مابين التسعمائة إلى الألف .

وقد صرَّح قَتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وكأنه أخذه من هذا الذى ذكرناه . والله أعلم .

وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول ، لقوله عليه السلام « القومُ مابين التسعمائة إلى الألف » .

وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى ، أسمائهم إن شاء الله .

وتقدم فى حديث الحكم ، عن مقْسم ، عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسُّدى الكبير وأبو جعفر الباقر .

وروى البيهقى ، من طريق قتيبة ، عن جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله بن مسعود فى ليلة القدر ، قال : « تحرَّوها لإحدى عشرة بَقِين فإن صبيحتها يوم بدر » .

قال البيهقى : وروى عن زيد بن أرقم ، أنه سئل عن ليلة القدر فقال : ليلة تسع عشرة ما شك . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقى : والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السَّماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصارى عن يوم بدر ، فقال : إما لسبع عشرة خلَتْ ، أو ثلاث عشرة خلت ، أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت .

وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قُباث بن أَشْيم الليثى ، من طريق الواقدى

وغـيره بإسنادهم إليه ، أنه شهد يوم بدر مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وجعلت أقول فى نفسى : ما رأيت مثل هــذا الأمر فرّ منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قريش بالسِّهاء[1] ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد . وقد وقع فى نفسى الإسلام، قال : فقدمتها فسألت عنه ، فقالوا : هو ذاك فى ظل المسجد فى ملأ من أصحابه . فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلمت فقال : يا قباث بن أَشْيمَ ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منــه إلا النساء ؟ فقلت : أشهـد أنك رسول الله فإن هــذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط ولا ترمزمت به ، إلا شيئاً حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبى ما أطلعك عليــه ، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت[2]] .

فصـــــــل

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بــدر فى المغانم من المشركين يومئذ لمن تــكون منهم .

وكانوا ثلاثة أصناف حين ولّى المشركون : ففرقة أحْدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم تحرسه ، خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه .

وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون .

وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن .

فادّعى كلُّ فريق من هؤلاء أنه أحقُّ بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغـيره عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبى أمامة الباهلى قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفل وساءت فيــه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا

(١) السهاء : جمع سهوة . وهى القوس المواتية . (٢) سقط من ا .

فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بين المسلمين عن بواء . يقول : عن سواء.

وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : « على البواء » أى ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتبعوا العدو ، وبين الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها

ولا ينفى هذا تخميسَها وصرف الُخمس فى مواضعه ، كما قد يتوهمه بعض العلماء ، منهم أبو عبيدة وغيره ، والله أعلم . بل قد تنفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار من مغانم بدر .

قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملا لأبى جهل كان فى أنفه بُرَةٌ من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبى سَلاَّم ، عن أبى أمامة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبَّت طائفة على المَغْنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيب العدو منه غِرَّةً فاشتغلنا به . فأنزل الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بَيْنِكم وأطيعوا الله ورسولَه إن كنتم مؤمنين » .

فقسمها رسول الله بين المسلمين : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار فى أرض العدو نفَل الربع ، فإذا أقبل راجعا نفل الثلث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى الترمذى وابن ماجه ، من حديث الثورى ، عن عبد الرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذى : هـذا حـديث حسن . ورواه ابن حبان فى صحيحه والحـاكم فى مستدركه من حديث عبـد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

وقـد روى أبو داود والنسـائى وابن حبان والحاكم من طرق ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صَنع كذا وكذا فله كذا وكذا . فسارع فى ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات،فلما كانت الغنائم جاءوا يطلبون الذى جعل لهم ، قال الشيوخ : لا تستأثروا علينـا ، فإنا كنا ردْءا لـكم لو انـكشفتم لفئتم إلينـا . فتنـازعوا ، فأنزل الله تعـالى : « يسألونك عن الأنفالِ ، قل الأنفـالُ لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينـكم وأطيعوا الله ورسولَه إنْ كنتم مؤمنين » .

وقد ذكرنا فى سبب نزول هـذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها هاهنا

ومعنى الـكلام : أن الأنفال مَرْجعها إلى حـكم الله ورسوله يحـكمان فيها بما فيـه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : « قل الأنفالُ لله والرسولِ فاتقوا الله وأصْلحوا ذاتَ بَيْنـكم وأَطيعوا الله ورسوله إنْ كنتم مؤمنين » .

ثم ذكر ماوقع فى قصة بدر ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله : « واعلموا أنَّ ماغَنمتم من شىء فأنّ لله خُمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحـكم الله فى الأنفال الذى جعل مردَّه إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبيَّنه تعالى وحـكَم فيـه بما أراد تعالى ، وهو قول أبى زيد .

وقـد زعم أبو عُبيد القاسم بن سَلاَم رحمـه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قسم غنائم بدر على السَّواء بين الناس ، ولم يخمِّسها . ثم نزل بيان الخُمْس بعد ذلك ناسخا لما تقدم .

وهكذا روى الوالبيّ ، عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسُّدى ، وفى هذا نظر . والله أعلم . فإن فى سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها فى غزوة بدر ، فيقتضى أن أن ذلك نزل جملةً فى وقت واحد غيرِ متفاصل بتأخر يقتضى نَسْخَ بعضه بعضاً .

ثم فى الصحيحين عن على رضى الله عنه ؛ أنه قال فى قصة شارِفَيه اللذين اجتَبَّ أَسْنِمتهما حمزة ، أن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ، مايردُّ صريحا على أبى عبيد أن غنائم بدر لم تخمَّس . والله أعلم . بل خمِّست كما هو قول البخارى وابن جَرير وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح . والله أعلم .

فصل

فى رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة ، وما كان من الأمور فى مسيره إليها مؤيَّداً منصوراً ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت فى الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصة ثلاثةَ أيام ، وقد أقام عليه السلام بعَرْصة بَدْر ثلاثةَ أيام كما تقدم ، وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قَليب بدر ، فقرع أولئك الذين سُحبوا إليه كما تقدم ذكره .

ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالى المدينة ، والثانى زيد بن حارثة إلى السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوَّينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرِّضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره فى بدر .

قال أسامة : فلما قدِم أبى زيدُ بن حارثة جئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قُتل عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البَخْترى العاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونُبيه ومُنَبّه ابنا الحجاج . قال : قلت : ياأبة أحقٌّ هذا ؟ قال : إى والله يابنى .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة ابن زيد ، أن النبى صلى الله عليه وسلم خلف عثمانَ وأسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء زيدُ بن حارثة على العَضْباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبِشارة ، قال أسامة : فسمعت الهَيْعة فخرجت ، فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ماصدَّقت حتى رأينا الأسارى . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بسهمه .

* * *

وقال الواقدى : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من بدرٍ العصرَ بالأُثيل ، فلما صلى ركعة تبسَّم ، فسُئل عن تبسمه فقال : مرّ بى ميكائيل وعلى جناحه النَّقْع فتبسم إلىّ وقال : إنى كنت فى طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثَنِيَّتَيْه الغبار فقال : يامحمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى ألاَّ أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : نعم.

قال الواقدى : قالوا : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة وعبدَ الله ابن رواحة من الأُثيل فجاءا يوم الأحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبدُ الله بن رواحة زيدَ بن حارثة من العقِيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته : يامعشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَتْل المشركين وأسرهم ، قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زَمعة بن الأسود، وأمية بن خلف،وأُسر سهيل بن عمرو.

قال عاصم بن عَدى:فقمت إليه فنَحوْته فقلت : أحقًا يابن رواحة ؟ فقال: إى والله، وغداً يَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى مُقَرَّنين . ثم تتبّع دور الأنصار بالعالية يبشرهم داراً داراً ، والصبيان ينشدون معه يقولون : قُتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البَخْتَرى وَزمْعة بن الأسود ، وأُسِر سهيل ابن عمرو ذو الأنياب ، فى أَسْرى كثير .

فجعل بعض الناس لايصدقون زيداً ويقولون : ماجاء زيد بن حارثة إلا فَلاًّ[1] حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا .

وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه . وقال آخر لأبى لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لايجتمعون فيه أبداً ،وقد قُتل عليه أصحابه،قُتل محمد ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لايدرى ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاًّ . فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك. وقالت اليهود : ماجاء زيد إلا فلاًّ .

قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبى فقلت : أحق ما تقول ؟ فقال: إى والله حق ماأقول يابنى .

فقويت نفسى ، ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضرب عنقك . فقال : إنما هو شىء سمعته من الناس يقولونه .

قال : فجىء بالأسرى وعليهم شقرانُ مولَى رسول الله صل الله عليه وسلم ، وكان قد شهد معهم بدراً ، وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أُحْصُوا .

---

(١) فلا : منهزما .

قال الواقدى : وهم سبعون فى الأصل مُجْتَمعٌ عليه لا شك فيه .

قال : ولقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الرَّوحاء رءوسَ الناس يهنِّئون بما فتح الله عليه . فقال له أُسَيد بن الحُضَير : يارسول الله الحمد لله الذى أظفَرَك وأقرَّ عينك ، والله يارسول الله ما كان تخلُّفى عن بدر وأنا أظن أنك تَلْقَى عدواً ، ولكن ظننت أنها عِيرٌ ، ولو ظننتُ أنه عدوٌّ ماتخلفتُ .

فقال له رسول الله : « صدَقْتَ » .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الأسارى ، وفيهم عُقبة بن أبى مُعيط ، والنضر بن الحارث ، وقد جعل على النَّفل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار .

فقال راجز من المسلمين . قال ابن هشام : [يقال إنه] هو عدى بن أبى الزَّغْباء :

أَقِمْ لها صدورَها يابَسْبَس ... ليس بذى الطَّلْح لها مُعَرَّسُ(١)
ولا بصحراءِ عُمَيْرٍ مَحْبَسُ ... إنّ مطايا القوم لا تُحَبَّسُ
فَحَمْلُها على الطريق أَكْيَسُ ... قد نَصر الله وفَرَّ الأَخْنَسُ

قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيَرٍ إلى سَرْحة به ، فقسَم هنالك النفلَ الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وَقْش ، كما حدثنى عاصم بن عمر ويزيد بن رومان : ما الذى تهنئوننا به ؟! والله إنْ لقينا إلا عجائز صُلْعا كالبُدْن المعقّلة فنحرناها .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أىْ ابنَ أخى أولئك الملأ » .

(١) معرس : مقام .

قال ابن هشام : يعنى الأشرافَ والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفراء قُتل النَّضر ابن الحارث ، قتله على بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظَّبية قُتل عقبة بن أبى معيط .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حينَ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فمَنْ للصِّبْية يامحمد ؟ قال : « النار ! » .

وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

وكذا قال موسى بن عُقْبة فى مغازيه ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره .

قال : ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت قال : يامعشر قريش ، علام أُقْتَل مِن بين مَنْ هاهنا ؟

قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب ، عن الشَّعبى ، قال : لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال : أتقتلنى يامحمد من بين قريش ؟

قال : نعم أتدرون ماصَنع هذا بى ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنقى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينىّ ستَنْدران ، وجاء مرةً أخرى بسَلا شاة فألقاه على رأسى وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى .

قال ابن هشام : ويقال بل قَتل عُقْبةَ علىٌّ بن أبى طالب ، فيما ذكره الزهرى وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله ، وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله . لعنهما الله ، وقد فعل !

قال ابن هشام : فقالت قُتَيلة بنت الحارث ، أخت النَّضْر بن الحارث ، فى مقتل أخيها(١)

يارا كباً إنَّ الأُثيلَ(٢) مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خامسةٍ وأنت مُوفَّقُ
أبلغْ بها مَيْتاً بأن تحيةً ... ما إنْ تزالُ بها النجائبُ تخفقُ
منّى إليك وعَبْرةً مسفوحةً ... جادَتْ بوابلها وأخرى تخنُقُ
هل يَسمعنَّ النَّضْرُ إنْ ناديتُه ... أم كيف يَسمع ميِّتٌ لا يَنْطقُ
أمحمدٌ ياخيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... مِنْ قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرَقُ(٣)
ما كان ضرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما ... منَّ الفتى وهو المغيظُ المُحْنَقُ
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلَيُنْفقَن ... بأعزِّ ما يغلو به ما يُنْفقُ(٤)
والنضرأقربُ مَنْ أسرتَ قرابةً ... وأحقُّهم إنْ كان عِتقٌ يُعتَقُ
ظلَّت سيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ... لله أرحامٌ هنالك(٥) تُشَقَقَ
صَبْراً يقاد إلى المنيةِ مُتْعباً ... رَسْفَ المُقيَّدِ وهو عانٍ موثقُ

قال ابن هشام : ويقال ، والله أعلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قَتْله لمَنَنْتُ عليه ! » .

***

قال ابن إسحاق : وقد تلقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع أبو هند مولى فَروة بن عمرو البَيَاضى حَجَّامه عليه السلام ، ومعه زِقٌّ خمر(٦) مملوء حَيْسًا ،

---

(١) ابن هشام تبكيه . (٢) الأثيل ، موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء .
(٣) الضئ : الأصل . وتروى : ضنء . والمعرق الكريم (٤) الأغانى ١/١٩ :

لو كنت قابل فدْية فلَنأْتينْ ... بأعزِّ ما يَغْلو لدَيْك ويُنْفقُ

(٥) ابن هشام : هناك (٦) ابن هشام : ولقى رسول الله .. بحميت مملوء حيسا . والحميت : الزق

وهو التمر والسَّويق بالسمن ، هـدية لرسول الله صلى الله عليـه وسلم فقبله منـه ووصى به الأنصار .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى قَدِم المـدينةَ قَبل الأسارى بيوم .

***

قال ابن إسحاق : وحـدثنى نبيه بن وهب أخو بنى عبـد الدار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم حين أقبـل بالأسـارى فرقهم بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خـيراً » .

قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمـير لأبيه وأمه فى الأسارى ، قال أبو عزيز : مرَّ بى أخى مُصْعَبُ بن عمـير ورجل من الأنصـار يأسرنى فقال : شُدَّ يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تَفْديه منك .

قال أبو عزيز : فـكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فـكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصُّونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردُّها فـيردها علىّ ما يمسُّها !

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هـذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبى اليُسْر ، وهو الذى أسَره ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخى هذه وصاتك بى ! فقال له مُصْعَب : إنه أخى دونك .

فسألتْ أمُّه عن أغْلَى مافُدى به قُرشى ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدَتْه بها .

قلت : وأبو عزيز هـذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير فى غابة الصحابة ، وعدَّه خليفةُ بن خَياط فى أسماء الصحابة . وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه ، وكان لهما أخ آخر

لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير ، وقد غَلِط مَنْ جعله قُتِل يوم أحد كافراً ، ذاك أبو عَزة ، كما سيأتى فى موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة قال : قُدم بالأسارى حين قدم بهم وسَوْدة بنت زَمْعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند آل عَفْراء فى مناحتهم على عوف ومعوّذ ابنى عفراء ، قال : وذلك قبل أن يُضْرب عليهن الحجابُ . قال : تقول سودة : والله إنى لَعندهم إذ أُتينا فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتى ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهَيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فلا والله ما ملَكْتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أنْ قلت : أَىْ أبا يزيد ، أعْطيتم بأيديكم ، ألا مِتّم كراما ؟ !

فوالله ماأنْبهنى إلا قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن البيت : « ياسَوْدَة أعلى الله وعلى رسوله تحرِّضين ! ! » قال : قلت : يارسول الله والذى بعثك بالحق ماملَكْت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أنْ قلتُ ماقلتُ .

ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ماسيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد ، من كيفية فدائهم وكميته . إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشى بوقعة بدر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الُحرْفِىّ ببغداد ، حدثنا أحمد بن سلمان النَّجاد ، حدثنا عبد الله بن أبى الدنيا ، حدثنى حمزة بن العباس ، حدثنا عَبْدان بن عثمان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، عن عبد الرحمن ، رجل من أهل صنعاء ، قال : أرسل النجاشى ذات يوم إلى

جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو فى بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب . قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى مافى وجوهنا قال : إنى أبشّركم بما يسُرُّكم ، إنه جاءنى مِن نحو أرضكم عينٌ لى فأخبرنى أن الله قد نصر نبيَّه وأهلك عدوَّه وأُسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان ، التقوا بواد يقال له بَدْر كثير الأَراك كأنى أنظر إليه ، كنت أرعى لسيدى رجل من بنى ضَمْرة إبله .

فقال له جعفر : مابالك جالساً على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إن حقًّا على عباد الله أن يُحْدثوا لله تواضعا عندَ ما يُحْدث لهم مِنْ نعمة . فلما أحدث الله لى نصرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثتُ له هذا التواضع [1] .

فصل فى وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا له : ماوراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم ابن هشام ، وأمية بن خلف ، وزَمْعة بن الأسود ، ونُبَيه ومُنَبِّه ، وأبو البَخْتَرِى ابن هشام .

فلما جعل يعدد أشرافَ قريش قال صفوان بن أمية : والله لن [2] يعقل هذا ، فسَلُوه عنى . فقالوا : مافعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا فى الحِجْر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعُقرت خيولٌ كثيرة ورواحل .

---

(١) يبدو على هذا الخبر الافتعال والصنعة . وفى سنده من هو مجهول الحال . وأبو القاسم الحرفى كان مضطرب السماع .

(٢) ابن هشام : والله إن يعقل .

وذكر السهيلى عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزارَ الحنيفيون بَدْراً وقيعة سينقَضُّ منها ركنُ كسرى وقيصَرا
أبادَت رجالا من لؤيٍّ وأبرزت خرائدَ يضربن الترائبَ حُسَّرَا
فياويح من أمسى عدوَّ محمـدٍ لقد جار عن قَصْد الهُدَى وتحـيَّرَا

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومَه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرقٍ فى قومه . وكان أبو لهب قد تخلَّف عن بدر فبعث مكانه العاصَ ابن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا .

فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوةً وعزاً ، قال : وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الأقداح أنحتها فى حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى وعندى أم الفضل جالسة وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بشَرٍّ حتى جلس على طُنُب [1] الحجرة فكان ظهره إلى ظَهرى ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هـذا أبو سفيان ، واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدِم . قال : فقال أبو لهب : هلم إلىَّ ، فعندك لَعمرى الخبر .

قال : فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخى أخبِرْنى كيف كان أمر الناس ؟

قال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمنَحْناهم أكتافَنا يقتلوننا كيف شاءوا ،

(١) الطنب : الطرف .

ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ ، لَقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق بين السماء والأرض ، والله ما تُليق[1] شيئا ولا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع : فرفعت طُنُب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة !

قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال وثاوَرْته[2] فاحتملني وضرب بى الأرض ثم برك علىّ يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفْته أنْ غاب عنه سيدُه !

فقام موليًا ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[3] فقتلته .

زاد يونس عن ابن إسحاق : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتَن . وكانت قريش تتقى هذه العدسةَ كما تتّقى الطاعون ، حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه ؟ فقالا : إنا نخشى عدْوة هذه القرحة ، فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدْنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة .

[قال يونس عن ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها كانت لا تمرُّ على مكان أبى لهب هذا إلا تستَّرت بثوبها حتى تجُوز[4]] .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد قال: ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا :

---

(١) تليق : تبقى . (٢) ثاورته : واثبته . وفى ا : بادرته .

(٣) العدسة : قرحه قاتلة كانت تتشاءم بها العرب . (٤) سقط من ا .

لا تفعلوا يبلغ [١] محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسْرا كم حتى تستأْنسوا بهم لا يَأْرب[٢] عليكم محمد وأصحابه فى الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت وهو تَرْكهم النوحَ على قتلاهم ، فإن البكاء على الميت مما يبلُّ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زَمْعة وعَقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى على بنيه قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له ، وكان قد ذهب بصره ، انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعَلِّى أبكى على أبى حَكيمة ، يعنى ولدَه زَمْعة ، فإن جوفى قد احترق !

قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلَّته . قال : فذاك حين يقول الأسودُ :

أتَبْكى أنْ أُضِلَّ[٣] لها بعيرٌ ... ويَمْنعها مِن النوم السُّهودُ
فلا تَبْكى على بَكْرٍ ولكنْ ... على بَدْرٍ تقاصَرت الُجدودُ[٤]
على بَدْرٍ سَراة بنى هُصَيْص ... ومخزومٍ ورهطِ أبى الوليدِ
وبَكِّى إنْ بكيتِ أبا عَقِيلٍ[٥] ... وبَكِّى حارثاً أسدَ الأُسودِ
وبَكِّيهم ولا تَسَمى جميعاً ... وما لأبى حَكيمة مِن نَديدِ[٦]
ألا قد سادَ بعدهمُ رجال ... ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودوا[٧]

---

(١) ابن هشام : فيبلغ . (٢) لا يأرب : لا يشتد . (٣) ابن هشام : أن يضل .
(٤) البكر . الفتى من الإبل . والجدود : الحظوظ . (٥) ابن هشام : على عقيل .
(٦) تسمى : تسامى . والنديد . الشبيه . (٧) هنا إقواء .

فصـــل

فى بَعْث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أسراهم

قال ابن إسحاق : وكان فى الأسارى أبو وَداعة بن ضُبَيرة السَّهمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له بمكة ابنا كيِّسا تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش : لا تعجَلوا بفداء أسراكم لا يأْرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطَّلب بن أبى ودَاعة ، وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنَى : صدَقتم لا تَعْجَلوا . وانسلّ من الليل وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسير فُدى ثم بعثت قريش فى فداء أسراهم فقدم مِكْرَز ابن حفص بن الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدُّخْشُم أخو بنى سالم بن عوف ، فقال فى ذلك :

أسرتُ سُهَيلاً فلا أبتغى ... أسيراً به مِنْ جميعِ الأُمَمْ
وخِنْدفُ تَعْلم أنّ الفتى ... فتاها سُهيلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضربت بذى الشَّفْر حتى انثنَى ... وأكرهت نفسى على ذى العَلم

قال ابن إسحاق : وكان سهيل رجلا أعْلَم من شفته السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى ، أن عمر ابن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعنى أنزع ثَنيَّة سهيل بن عمرو يَدْلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثِّل به فيمثِّل الله بى وإن كنت نبيا » .

قلت : هذا حديث مرسل بل مُعْضَل .

قال ابن إسحاق : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاقُ بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس وثبّتهم على الدين الحنيف . كما سيأتي في موضعه .

قال ابن إسحاق : فلما قاولهَم فيه مِكْرز وانتهى إلى رضائهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رِجْلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم .

وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق: وكانت أمه بنت عقبة بن أبي مُعيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبي معيط .

قال ابن هشام : وكان الذي أسره علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : فقيل لأبي سفيان : افْدِ عَمْراً ابنك ، قال : أيجتمع عليَّ دمي ومالي ! قَتلوا حنظلةَ وأفْدِي عَمراً ؟ دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكَّال ، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية ، معتمراً ومعه مُرَيّة[1] له ، وكان شيخا مسلما ، في

(١) مرية : تصغير امرأة .

غنم له بالبقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظن أنه يُحْبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهدُ قريش أنّ قريشا لا يَعرِضون لأحد جاء حاجا أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، وقال فى ذلك :

أرهْطَ ابن أكالٍ أجيبوا دعاءه ... تعاقدتمُ لاتُسْلِموا السّيدَ الكَهْلاَ

فإنّ بَنى عمرو لئامٌ أذلةٌ ... لئنْ لم يكُفُّوا(١) عن أسيرهم الكَبْلاَ

قال : فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعدٌ يومَ مكة مُطْلَقا ... لأَكْثَرَ فيكم قبلَ أن يُؤْسَر القَتْلاَ

بعَضْبٍ حُسَام أو بصفراء نَبْعةٍ ... تحنٌّ إذا ماأُنْبضَتْ تَحفِزُ النبلاَ(٢)

قال : ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبى ، فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيلَ سعد .

* * *

قال ابن إسحاق: وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ، خَتن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذى أسره خِراش بن الصِّمة أحد بنى حرام .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالةُ بنت خُويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هى التى سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها ، وذلك قبلَ الوحى .

وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ، أو أم كلثوم ، من عتبة بن أبى لهب ، فلما جاء الوحى قال أبو لهب: اشغلوا محمداً بنفسه . وأمَر ابنه عتبة فطلّق ابنة رسول الله صلى

(١) وتروى : يفكوا .
(٢) الصفراء : القوس . والنبع : شجر تصنع منه القسى . تحن : يصوت وترها . أنبضت : حركت .

الله عليه وسلم قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومشوا إلى أبى العاص فقالوا : فارقْ صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت . قال : لا والله إذاً لا أفارق صاحبتى وماأحب أن لى بامرأتى امرأةً من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره فيما بلغنى .

قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح ، كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايُحِلُّ بمكة ولا يُحرِّم ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى العاص ، وكان لايقدر على أن يفرِّق بينهما .

قلت : إنما حرَّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة . كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بقِلَادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها رقةً شديدة وقال : « إنْ رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرَها وتردُّوا عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا : نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

* * *

قال ابن إسحاق : فكان ممن سمى لنا ممن مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسارى بغير فداء من بنى أمية : أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المُطَّلب بن حَنْطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أَسَره بعضُ بنى الحارث بن الخزرج ، فتُرك فى أيديهم حتى خلّوا سبيله فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلِّى

سبيل زينب ، يعنى أن تهاجر إلى المدينة ، فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى .

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ها هنا فأخَّرناه لأنه أنسب . والله أعلم .

وقد تقدم ذِكْر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم نفسَه وعَقِيلا ونوفلا ابنى أخويه بمائة أوقية من الذهب .

وقال ابن هشام : كان الذى أسر أبا العاص أبو أيوب خالد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وصَيْفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك فى أيدى أصحابه ، فأخذوا عليه ليَبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يَفِ لهم . قال حسان بن ثابت فى ذلك :

ما كان صَيْفى ليُوفى أمانةً ... قَفا ثعلبٍ أعيا ببعض المواردِ

× قال ابن إسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجا ذا بنات ، قال : يارسول الله لقد عرفتَ مالى من مالٍ ، وإنى لذو حاجة وذو عيال فامنُن على ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك :

مَنْ مُبْلغٌ عنى الرسولَ محمداً ... بأنك حقٌّ والمليكُ حَميدُ

وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك مِن الله العظيمِ شهيدُ

وأنت امرؤ بوئت فينا مَباءةً ... لها درجاتٌ سَهْلة وصعودُ

فإنك مَنْ حاربته لَمُحَارب ... شقىٌّ ومَنْ سالمته لسعيدُ

ولكن إذا ذُكِّرْتُ بَدْراً وأهلَه ... تأوَّب ما بى حسرة وقعود

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله، فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أسر أيضاً ، فسأل من النبى صلى الله عليه وسلم أن يمنَّ عليه أيضاً فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا أدعك تمسح عارضَيْك وتقول : خدعت محمدا مرتين ! » ثم أمر به فضربت . عنقه كما سيأتى فى غزوة أحد .

ويقال : إن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرتين » وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

***

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مُصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويَلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام : والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُريق .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة فذكر أصحاب القَليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما إنْ في العيش [بعدهم] خير . قال له عمير : صدَقْتَ ، أما والله لولا دَين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بَعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علةً ، ابني أسير في أيديهم .

قال : فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : عليّ دَينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بَقوا ، لا يسعني شيء ويَعْجز عنهم .

فقال له عمير : فاكتم عليّ شأني وشأنك . قال : سأفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمَّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحا السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ماجاء إلا لشرٍ ، وهو الذي حرَّش بيننا وحزَرنا[1] للقوم يوم بدر .

---

(١) حرزنا : قدرنا .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله هذا عدو الله عُمير بن وَهْب قـد جاء متوشحا سيفه . قال : فأدخله علىّ . قال: فأقبل عُمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبَّبه بها وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هـذا الخبيث فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادْنُ يا عمير » فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحيـة أهل الجاهلية بينهم . فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خيرٍ من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لَحديث عهد .

قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهـذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيـه .

قال : « فما بال السيف فى عنقك ؟ »

قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ! .

قال : « اصدقنى ما الذى جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجْر ، فذكرتما أصحابَ القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمـداً ، فتحمَّل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك »

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نـكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المَساقَ . ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقِّهوا أخاكم فى دينه ، وعلِّموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان

على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدَم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة .

وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عُمير مكةَ أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، هو الذى رأى عدوّ الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفرّ هاربا وقال : إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون ، وكان إبليس يومئذ فى صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم أمير مُدْلج .

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على مانزل من القرآن فى قصة بدر ، وهو مِن أول سورة الأنفال إلى آخرها ، فأجاد وأفاد ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثمّ ، ولله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق فى تسمية من شهد بدراً من المسلمين ، فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أوْسِها وخزرجها إلى أن قال : فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار ، مَن شهدها ومن ضُرب له بسهمه وأجْره ، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا .

من المهاجرين ثلاثة وثمانون .

ومن الأوس : أحدٌ وستون رجلا . ومن الخزرج : مائة وسبعون رجلا .

وقد سردهم البخارى فى صحيحه[1] مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بأبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

وهـذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المُعْجم وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المَقْدسى وغـيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ذكر البخارى منهم أربعة وثلاثين غير رسول الله .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أُبَىّ بن كعب النَّجارى سيد القراء ، الأَرْقَم بن أبى الأرقم ، وأبو الأرقم عبد مناف ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى ، أسعد بن يزيد بن الفاكِه بن يزيد بن خَلدة بن عامر بن العَجْلان .

أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غَنْم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال موى : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق : سواد بن زُريق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ : سواد بن زيد .

أسير بن عمرو الأنصارى أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لَوْذَان بن سالم بن ثابت الخزرجى ، ولم يذكره موسى بن عقبة

أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسى ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الأموى فى السيرة : أنيس .

قلت : وأنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم ، لَمَا روى عمر بن شبّة النميرى حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن أبيه ، عن ثُمامة بن أنس ، قال : قيل لأنس بن مالك أشهدتَ بدراً ؟ قال : وأين أغيب عن بدر لا أمّ لك !

وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى ، عن مولى لأنس ابن مالك ، أنه قال لأنس : شهدتَ بدراً ؟ قال : لا أمَّ لك ! وأين أغيب عن بدر .

قال محمد بن عبد الله الأنصارى : خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّى فى تهذيبه : هكذا قال الأنصارى ، ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى .

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أَنَسة الحبشى مَوْلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى .

أَوْس بن خَوْلىّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غَنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البُكَير بن عبدياليل بن ناشب بن غَيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب .

حرف الباء

بُجَير بن أبى بجير حليف بنى النجار ، بَحَّاث[1] بن ثعلبة بن خَزمة بن أَصْرم بن عمرو بن عمارة البَلوَى حليف الأنصار ، بَسْبسَ بن عمرو بن ثعلبة بن خَرشة بن زيد ابن عمرو بن سعيد بن ذُبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى حليف بنى ساعدة ، وهو أحد العَيْنَيْن هو وعَدىّ بن أبى الزَّغباء كما تقدم ، بِشْر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بَشِير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير ، ويقال إنه أول من بايع الصِّديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لُبَابة الأوسى ، ردَّه عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن

---

(١) ويقال له : نحاب وهى رواية ابن إسحاق . وما هنا قول ابن هشام .

الخزرج ، تميم مولى خِرَاش بن الصِّمة ، تميم مولى بنى غَنم بن السَّلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيثمة .

حرف الثاء

ثابت بن أَقْرَم بن ثعلبة بن عَدى بن العَجْلان ، ثابت بن ثعلبة ، ويقال لثعلبة هذا : الجذَع بن زيد بن الحارث بن حَرام بن غنم بن كعب بن سلمة .

ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غَنم بن مالك ابن النجار النجارى ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجارى .

ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سَواد بن مالك بن غَنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن هزّال الخزرجى ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النَّجارى ، ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن الخزرجى ، ثعلبة بن عَنمة[1] بن عدى بن نابى السُّلمى ، ثَقف بن عمرو من بنى حجر آل بنى سليم ، وهو من حلفاء بنى كثير بن غَنم بن دُودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجارى ، جابر بن عبد الله بن رِئاب بن النعمان بن سِنان بن عبيد بن عدى بن غَنم بن كعب بن سلمة السُّلمى أحد الذين شهدوا العقبة .

قلت : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام السُّلمى أيضا ، فذكره البخارى فيهم فى مسند عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الأعمش ، عن أبى سفيان ع جابر ، قال : كنت أمتح لأصحابى الماء يوم بدر .

(١) ويقال : ابن غنمة كما فى الاستيعاب .

وهذا الإسناد على شرط مسلم ، لكن قال محمد بن سعد : ذكرت لمحمد بن عمر يعنى الواقدى ، هذا الحديث فقال : هذا وَهم مِن أهل العراق . وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أُحدا، منعنى أبى ، فلما قُتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزاة .

ورواه مسلم عن أبى خَيثمة عن رَوح .

جبَّار بن صخر السُّلمى ، جَبْر بن عَتِيك الأنصارى ، جُبير بن إيَاس الخزرجى .

حرف الحـاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجى ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد بن معاذ الأوسى ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردَّه عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن خَزَمة بن عدى بن أبى غَنْم ابن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبنى زَعُورا بن عبد الأشهل، الحارث بن الصِّمة الخزرجى ، ردَّه عليه السلام لأنه كُسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عُرْفُجة الأوسى ، الحارث بن قيس بن خَلدة أبو خالد الخزرجى ، الحارث ابن النعمان بن أمية الأنصارى ، حارثة بن سُراقة النجارى أصابه سهمٌ غَرْبٌ وهو فى النَّظَّارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصارى حاطب بن أبى بَلْتعة اللَّخمى حليف بنى أسد بن عبد العزى بن قصى .

حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأَشْجَعى من بنى دهمان . هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق . وقال الواقدى : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ،

كذا ذكره ابن عائذ فى مغازيه . وقال ابن أبى حاتم : حاطب بن عمرو بن عبد شمس، سمعته من أبى وقال : هو رجل مجهول .

الُحبَاب بن المنذر الخزرجى ، ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ .

حبيب بن أسود مولى بنى حرام من بنى سلَمة ، وقال موسى بن عقبة : حبيب ابن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبى حاتم : حبيب بن أسلم مولى آل جُشم بن الخزرج ، أنصارى بدرى .

حُرَيث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصارى ، أخو عبدالله بن زيد الذى أُرى النداء ، الحصَين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرف الخـاء

خالد بن البُكَير أخو إياس المتقدم . خالد بن زيد أبو أيوب النجارى ، خالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان الأنصارى ، خارجة بن الحمير حليف بنى خنساء من الخزرج ، وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجةَ . فالله أعلم . خارجة بن زيد الخزرجى صِهر الصِّديق ، خَبَّاب بن الأرتّ حليف بنى زهرة ، وهو من المهاجرين الأولين وأصـله من بنى تميم ويقـال من خزاعة ، خَبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان من المهاجرين الأولين ، خِرَاش بن الصِّمة السُّلمى ، خُبيب بن إساف بن عِنَبة الخزرجى ، خُرَيم بن فاتك ذكره البخارى فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجى ، خُليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصارى السُّلمى ، خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عـدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى السَّهْمى ، قتل يومئذ فتأيَّمت منه حفصةُ بنت عمر بن الخطاب ، خَوَّات بن جُبير الأنصارى ضرب له بسهمه وأجره لم يشْهدها بنفسه ، خَولى بن أبى خولى العِجْلى حليف بنى عدى من المهاجرين الأولين ،

خَلاَّد بن رافع ، وخَلاَّد بن سُويد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون .

حرف الذال

ذَكْوان بن عبد قيس الخزرجى، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نَضلة من غبشان ابن سليم بن ملكان بن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بنى خزاعة حليف لبنى زُهرة قتل يومئذ شهيداً . قال ابن هشام : واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشّمالين لأنه كان أعسر .

حرف الراء

رافع بن الحارث الأوسى ، رافع بن عُنجدة . قال ابن هشام : هى أمه ، رافع بن المعلّى بن لوذان الخزرجى قتل يومئذ ، رَبعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضُبيعة وقال موسى بن عقبة : ربعى بن أبى رافع ، ربيع بن إياس الخزرجى ، ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم دُودان ابن أسد بن خزيمة حليف لبنى عبد شمس بنى عبد مناف وهو من المهاجرين الأولين ، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بيَاضة الخزرجى، رفاعة بن رافع الزُّرقى أخو خلاد بن رافع ، رفاعة بن عبد المنذر بن زُنَيْر الأوسى أخو أبى لُبابة ، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجى .

حرف الزاى

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه .

زياد بن عمرو . وقال موسى بن عقبة : زياد بن الأخرس بن عمرو الجهنى . وقال الواقدى : زياد بن كعب بن عمرو بن عدى بن رفاعة بن كليب بن بَرْذَعة بن

عدى بن عمرو بن الزِّبَعْرى بن رشدان بن قيس بن جهينة .

زياد بن لَبِيد الزُّرقى ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عَدى بن عَجْلان بن ضُبَيعة ، زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الأسود بن حَرام النجاريّ أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى ، شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عَيْشة الخزرجى ، سَبرة بن فاتك ذكره البخارى ، سراقة بن عمرو النجارى ، سراقة بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الأولين ، سعد بن خيثمة الأوسى قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيداً ؛ سعد بن زيد بن مالك الأوسى ، وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى ، سعد بن عبيد الأنصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة ، وقال ابن عائذ : أبو عبيدة .

سعد بن معاذ الأوسى وكان لواء الأوس معه .

سعد بن عُبَادة بن دُليم الخزرجى ، ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدراً ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى ملتقى النفير من قريش ، فقال سعد بن عبادة : كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث. والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ .

والمشهور أن أسعد بن عبادة ردَّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر .

حكاه السهيلى عن بن قتيبة فالله أعلم .

سعد بن أبى وقاص . مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل ، قال الواقدى : تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج .

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدَوى ابن عم عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعه من بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره .

سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حُريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وَقْش بن زغبة ، سلمة بن سَلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السُّلمى ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن مِلحان أخو حَرام بن ملحان النجارى ، سِماك بن أوس بن خرشة أبو دُجَانة ، ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن سعد المتقدم . سَهْل بن حُنيف الأوسى ، سهل بن عَتيك النجارى ، سهل بن قيس السُّلمى ، سهيل بن رافع النجارى الذى كان له ولأخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهيل بن وهب الفِهرى ، وهو ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن مِحْصن بن حرثان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سَواد بن زُريق بن زيد الأنصارى. وقال الأموى : سواد بن رزام . سواد بن غَزية بن أُهَيب البلَوى ، سُويبط بن سعد بن حَرملة العبدرى ، سويد بن مَخْشِى أبو مخشى الطائى حليف بنى عبد شمس ، وقيل اسمه أَزيَد بن حمير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدى ، أسد بن خزيمة حليف بنى عبد شمس من المهاجرين الأولين . شَمَّاس بن عثمان المخزومى . قال ابن هشام : واسمه عثمان بن عثمان وإنما

سمى شَماساً لحسنه وشبهه شماساً كان فى الجاهلية ، شَقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدى : لم يُسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له فى الأسرى شيئاً ، فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صُهيب بن سِنان الرومى من المهاجرين الأولين ، صَفوان بن وهب بن ربيعة الفهرى أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السُّلمى .

حرف الضاد

ضحَّاك بن حارثة بن زيد السلمى ، ضحاك بن عبد عمرو النجارى ، ضَمْرة بن عمرو الجهنى . وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التَّيمى أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، طُفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين ، وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذى قبله ، طُليب بن عمير بن وهب بن أبى كَبير بن عبد بن قصى . ذكره الواقدى .

حرف الظاء

ظُهير بن رافع الأوسى ذكره البخارى .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأنصارى ، الذى حمتْه الدَّبْر (١) حين قُتل بالرَّجيع عاصم بن عدى بن الجدّ بن عجلان ، ردَّه عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمة وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجى ، عاقل بن البُكير أخو إياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الخشْخاش النجارى ، عامر بن الحارث الفهرى كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ . وقال موسى بن عقبة وزياد عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العَنزى حليف بنى عدى من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر ابن عبد الله البَلوى القُضَاعى حليف بنى سالم بن مالك بن سالم بن غَنْم . قال ابن هشام : ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، عامر بن مَخْلد النجارى ، عائذ بن ماعِض بن قيس الخزرجى ، عبَّاد بن بشر بن وَقْش الأوسى ، عَبّاد بن قيس بن عامر الخزرجى ، عَبَّاد بن قيس بن عَيْشة الخزرجى أخو سُبَيع المتقدم ، عباد بن الخشخاش القضاعى ، عبادة بن الصامت الخزرجى ، عُبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أمية بن عُرْفُطة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بَحَّاث المتقدم ، عبد الله بن جحش بن رِئَاب الأسدى ، عبد الله بن جُبَير ابن النعمان الأوسى .

عبد الله بن الجدّ بن قيس السلمى ، عبد الله بن حقّ بن أوس الساعدى . وقال موسى بن عقبة والواقدى وابن عائذ : عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام : عبد ربه بن حق .

---

(١) الدبر : النحل .

عبد الله بن الحمير حليف لبنى حَرام ، وهو أخو خارجة بن الحمير من أشْجع ، عبد الله ابن الربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي عبدالله بن زيد بن عبد ربه ابن ثعلبة الخزرجي ، الذي أُرى النداء .

عبد الله بن سُرَاقة العدَوى لم يذكره موسى بن عُقبة ولا الواقدى ولا ابن عائذ ، وذكره ابن إسحاق وغيره .

عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بنى زَعُورا ، عبد الله بن سُهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فرَّ من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم ، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعى حليف الأوس ، عبد الله بن عامر من بَلِيّ ، ذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سَلول الخزرجي وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة ، قُتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى ، عبد الله بن عبس ، عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مُرَّة بن كعب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عبد الله بن عُرْفطة بن عَدى الخزرجي .

عبد الله بن عمر بن حَرام السُّلمى أبو جابر ، عبد الله بن عُمير بن عَدى الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجارى ، عبد الله بن قيس بن صخر بن حَرام السلمى . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار ، جعله النبي صلى الله عليه وسلم مع عَدى بن أبى الزَّغْباء على النَّفَل يوم بدر .

عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهُذَلى حليف بنى زُهْرة من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مَظْعون الجمحى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بَلْدَمة السلمى ، عبد الله بن أُنَيْسَة بن النعمان السلمى ،

عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القُضاعى البلَوى .

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس بن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التَّيِّهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ،ويقال َعتيك بدل عبيد .

عبيد بن ثعلبة من بنى َغنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العَجْلان بن عامر ، عبيد بن أبى عبيد .

عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحُصَين والطُّفيل ، وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة ،رضى الله عنه .

عِتْبان بن مالك بن عمرو الخزرجى ، عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البَهْرانى حليف بنى أمية بن لَوذان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ، عتبة بن َغزوان بن جابر من المهاجرين الأولين .

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرّضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره .

عثمان بن مظعون الجمحى أبو السائب ،أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين .

َعدى بن أبى الزَّغْباء الجهنى ، وهو الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبَسْبَس بن عمرو بين يديه َعيْناً .

عِصمة بن الحصين بن وَبرة بن خالد بن العَجْلان ، عُصَيمة حليف لبنى الحارث بن سِوار من أَشْجَع ، وقيل من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نُويرة بن عامر بن عطية الخزرجى ، عُقبة بن عامر بن نابى السلمى ، عقبة بن عثمان بن خَلدة الخزرجى أخو سعد بن عثمان .

عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى ، وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ، ولهذا لم يذكروه .

عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى، أسد خزيمة، حليف لبنى عبد شمس وهوأخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عُقبة بن وَهب بن كَلْدة حليف بنى غطفان .

عُكَّاشة بن مِحْصَن الغَنْمى من المهاجرين الأولين ،وممن لا حساب عليه .

على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه .

عمَّار بن ياسر العنَسى المذحِجى من المهاجرين الأولين ،عمارة بن حزم بن زيد النجارى .

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهما رضى الله عنهما .

عمر بن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى لَوذان بن عمرو بن سالم، وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم .

عمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهَيْب بن ضَبشة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سُراقة العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سَرْح الفهرى من المهاجرين . وقال الواقدى وابن عائذ : مَعمر بدل عمرو .

عمرو بن طَلْق بن زيد بن أمية بن سِنَان بن كعب بن غَنْم ، وهو فى بنى حَرام، عمرو ابن الجَمُوح بن حَرام الأنصارى ، عمرو بن قيس بن زيد بن سَواد بن مالك بن غَنْم . ذكره الواقدى والأموى .

عمرو بن قيس بن مالك بن عَدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عَدى بن عامر أبو خارِجة ،ولم يذكره موسى بن عقبة .

عمرو بن عامر بن الحارث الفهرى ذكره موسى بن عقبة ، عمرو بن مَعْبد بن الأزعر الأوسى ، عمرو بن معاذ الأوسى أخو سعد بن معاذ ، عمـير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحـارث بن لَبدة بن ثعلبة السلمى ، عمير بن حَرام بن الجموح السلمى ، ذكره ابن عائذ والواقدى .

عُمَير بن الُحمَام بن الَجمُوح ابن عم الذى قَبْله ، قُتل يومئذ شهيداً ، عُمير بن عامر بن مالك ابن الخنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنم بن مازن أبو داود المازنى .

عمير بن عوف مولَى سُهيل بن عمرو ، وسماه الأموى وغيره : عمرو بن عوف . وكذا وقع فى الصحيحين فى حديث بَعْث أبى عبيدة إلى البحرين .

عمير بن مالك بن أُهَيْب الزهرى أخو سعد بن أبى وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنترة مولى بنى سليم وقيل إنه منهم ،فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النَّجارى وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عُوَيْم بن سـاعدة الأنصارى من بنى أمية بن زيد ، عِيَاض بن غَنْم الفهرى من المهاجرين الأولين . رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنَّام بن أوس الخزرجى . ذكره الواقدى وليس بمُجْمَع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بِشر بن الفاكه الخزرجى ، فَرْوة بن عمرو بن ودَفة[1] الخزرجى .

حرف القاف

قَتادة بن النعمان الأوسى. قُدامة بن مظعون الجمحى من المهاجرين أخو عثمان وعبدالله

(١) فى الاشتقاق ٤٦١ : ابن وذفة . قال : والوذفة زعموا الروضة .

قُطْبة بن عامر بن حَديدة السلمى . قيس بن السَّكن النجارى ، قيس بن أبى صَعْصعة عمرو بن زيد المازنى كان على الساقَة يوم بدر . قيس بن مُحْصن بن خالد الخزرجى ، قيس ابن مُخلَّد بن ثعلبة الفجارى .

حرف الكاف

كعب بن حمان(١) ويقال جمَّار ويقال جمَّاز . وقال ابن هشام : كعب بن غُبْشان(٢) ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز . وقال الأموى : كعب بن ثعلبة بن حبَالة بن غنم الغسَّانى من حلفاء بنى الخزرج بن ساعدة .

كعب بن زيد بن قيس النجارى ، كعب بن عمرو أبو اليُسر السلمى ، كَلَفة بن ثعلبة أحد البكاَّئين ذكره موسى بن عقبة ، كَنَّاز بن حُصين بن يربوع أبو مَرْثد الغنوى ، من المهاجرين الأولين .

حرف الميم

مالك بن الدُّخْشُم ويقال ابن الدُّخشن الخزرجى ، مالك بن أبى خَوْلى الجعفى حليف بنى عدى ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعِدى ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن عمرو أخو ثَقْف بن عمرو وكلاهما مهاجرى ، وهما من حلفاء بنى تميم بن دُودان بن أسد ، مالك بن قدامــة الأوسى ، مالك بن مسعود الخزرجى ، مالك بن ثابت بن نُميْـلة المزنى حليف لبنى عمرو بن عوف ، مبشّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر الأوسى أخو أبى لبابة ورفاعة ، قتل يومئذ شهيداً ، المجذَّر بن ذِياد(٣) البلَوى مهاجرى ، مُحْرز بن عامر النجارى ، مُحْرز ابن نَضْلة الأسدى حليف بنى عبد شمس مهاجرى ، محمـد بن مَسْلمة حليف بنى عبــد

(١) ابن هشام : ابن حمار . (٢) ابن هشام : ويقال : كعب بن جماز وهو من غبشان .

(٣) الأصل زياد . وهو تحريف وما أثبته عن الاشتقاق لابن دريد ٥٥٠ .

الأشهل ، مُدْلج ويقال مِدْلاج بن عمرو أخو ثَقْف بن عمرو مهاجرى ، مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغنَوى ، مِسْطَح بن أُثَاثة بن عبّاد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين ، وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الأنصارى النجّارى ، مسعود بن خَلدة الخزرجى ، مسعود بن ربيعة القارِى حليف بنى زهرة مهاجرى ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جُشم بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجى ، مُصعب بن عُمير العبْدرى مهاجرى كان معه اللواء يومئذ ، معاذبن جبل الخزرجى ، معاذ بن الحارث النجّارى وهذا هو ابن عَفْراء أخو عوف ومُعَوّذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجى ، معاذ بن ماعِض الخزرجى أخو عائذ .

مَعْبَد بن عبَّاد بن قُشير بن القِدَمّ (١) بن سالم بن غَنم ، ويقال مَعْبَد بن عُبادة بن قيس وقال الواقدى : قَشْعر بدل قشير . وقال ابن هشام : قشعر أبو خميصة .

مَعْبد بن قيس بن صخر السلمى أخو عبد الله بن قيس ، مُعتِّب بن عبيد بن إياس البلوى القضاعى ، معتب بن عوف الخزاعى ، حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، مُعتِّب بن قشير الأوسى ، مَعْقل بن المنذر السلمى ، معمر بن الحارث الجمحى من المهاجرين ، مَعْن ابن عدى الأوسى ، مُعوّذ بن الحارث الجمحى وهو ابن عفراء ، أخو معاذ بن عوف ، معوذ ابن عمرو بن الجموح السلمى لعله أخو معاذ بن عمرو ، المِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وهو المقداد ابن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ، ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مُلَيْل بن وَبرة الخزرجى ، المنذر بن عمرو بن خُنَيْس الساعدى ، المنذر بن قدامة بن عَرْفَجة الخزرجى ، المنذر بن محمد بن عُقْبة الأنصارى من بنى جَحْجَبى مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

---

(١) الأصل : الفدم . وما أثبته من الاشتقاق ٤٥٩ . والقدم : السيد المعطاء .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظُفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجارى ، وهو أخو الضَّحاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجارى ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبنى الأوس ، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجى ، ويقال له قَوْقل ، نعمان بن يسَار مولى لبنى عبيد ، ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن نَضلة الخزرجى .

حرف الهاء

هانىء بن نِيَار أبو بُرْدة البَلَوى ، خال البراء بن عازب .

هلال بن أمية الواقِفى ، وقع ذكره فى أهل بدر فى الصحيحين فى قصة كعب بن مالك ، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازى .

هلال بن المعلّى الخزرجى ، أخو رافع بن المعلى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمى ، حليف بنى عدى من المهاجرين ، وَديعة بن عمرو بن جَراد الُجهنى ، ذكره الواقدى وابن عائذ ، ورقة بن إيَاس بن عمرو الخزرجى أخو ربيع بن إياس ، وهب بن سعد بن أبى سَرْح ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدى فى بنى عامر بن لؤى ولم يذكره ابن اسحاق .

حرف اليـاء

يزيد بن الأخنس بن جَناب بن حبيب بن جرّة السُّلمى .

قال السُّهيلى : شهد هو وأبوه وابنه يعنى بدراً ، ولا يعرف لهم نظير فى الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق والأكثرون ، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان .

يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي ، وهو الذى يقال له ابن فُسْحم[1] وهى أمه ، قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى ، يزيد بن المنذر بن سَرح السلمى وهو أخو مَعْقل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أُسَيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجارى ، وقال ابن هشام : أبو الأعور الحارث بن ظالم . وقال الواقدى : أبو الأعور كعب بن الحارث ابن جُنْدَب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، تقدم ، أبو حَبَّة بن عمرو بن ثابت ، أحد بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصارى . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مِهْشَم ، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء ، أبو خزيمة ابن أوس بن أَصْرَم النجارى ، أبو سَبْرة مولى أبى رُهْم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو عُكَّاشة ومعه ابنه سِنان من المهاجرين .

أبو الصياح بن النعمان وقيل : عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس ابن ثعلبة ، رجع من الطريق وقتل يوم خيبر ، رجع لجرح أصابه من حجر فصرب له بسهمه ، أبو عَرْفَجة من حلفاء بنى جَحْجَبى ، أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو لُبَابة بَشير بن عبد المنذر ، تقدم ، أبو مَرْثَد الغَنَوى كَنَّاز بن حُصين تقدم ، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد الأوسى .

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلا ، منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأصل : قسحم . وصوابه عن القاموس . وفسحم أمه .

كما قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت البرَاء بن عازب يقول : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ممن شهد بدراً ، أنهم كانو عِدَّةَ أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، بضعة عشر وثلاثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

ثم رواه البخارى من طريق إسرائيل وسفيان الثورى ، عن أبى إسحاق عن البراء نحوه .

قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا .

وقال أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا وهب ، عن شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : استُصغرت أنا وابنُ عمر يومَ بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نَيِّفا على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين .

هكذا وقع فى هذه الرواية .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن عُبيد المُحاربى ، حدثنا أبو مالك الُجبنىّ ، عن الحجاج ، وهو ابن أرْطَاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان حامل راية النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة .

وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال .

قال ابن جرير : وقيل : كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عدَّ معهم النبى صلى الله عليه وسلم والأول عدَّهم بدونه فالله أعلم .

وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وأن الأوس أحد وستون رجلا . والخزرج مائة وسبعون رجلا وسرَدهم .

وهذا مخالف لما ذكره البخارى ، ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم .

وفى الصحيح ، عن أنس أنه قيل له : شهدتَ بدراً ؟ فقال : وأين أَغيب .

وفى سنن أبى داود عن سعيد بن منصور ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرام أنه قال : كنت أمْتح لأصحابى الماء يوم بدر .

وهذان لم يذكرهما البخارى ولا الضياء . فالله أعلم .

***

قلت : وفى الذين عدَّهم ابن إسحاق فى أهل بدر من ضُرب له بسهم فى مَغْنَمها وإنه لم يحضرها ، تخلف عنها لعذر أُذن له فى التخلف بسببها ، وكانوا ثمانية أو تسعة وهم :

عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرِّضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره .

وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره .

وأبو لُبَابة بَشير بن عبد المنذر رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرَّوحاء حين بلغه خروج النفير من مكة ، فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

والحارث بن حاطب بن عُبيد بن أمية ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره .

والحارث بن الصِّمة ، كُسر بالرَّوحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدى : وأجره .

وخَوَّات بن جبير لم يحضر الوقعة وضُرب له بسهمه وأجره .

وأبو الصياح بن ثابت ، خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب ساقه فصيلُ حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره .

قال الواقدى : وسعد أبو مالك ، تجهز ليخرج فمات وقيل : إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ستةوهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعُمير بن أبى وقاص ،أخو سعد بن أبى وقاص الزهرى قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة، ويقال إنه كان قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع لصغره فبكى فأذن له فى الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشِّمالين ابن عبد عمرو الخزاعى ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البُكَير الليثى حليف بنى عدى ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ .

ومن الأنصار ثمانية وهم : حارثة بن سُراقة رماه حَبّان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات ،ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويريد بن الحارث ، ويقال : ابن فُسْحُم ، وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لَوْذَان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بَعْزجة ، ويقال سَبْحة ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليَعْسوب .

وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين على ابن أبى طالب ، والتى للأنصار يحملها سعد بن عبادة .

وكان رأس مشورة للمهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد ابن معاذ .

***

وأما جَمْع المشركين : فأحسن ما يقال فيهم : إنهم كانوا مابين التسعمائة إلى الألف وقد نصَّ عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا .

وقال الواقدى : كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا .

وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، وقد تقدم فى بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف ، فلعله عدَّد أتباعهم معهم والله أعلم .

وقـد تقـدم الحديث الصحيح عنـد البخارى عن البراء أنه قُتل منهم سبعون وأُسر سبعون .

وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك فى قصيدة له :

فأقام بالعَطن المعطّنِ منهمُ   سبعون عُتْبـة منهمُ والأسودَ

وقد حكى الواقدى الإجماع على ذلك . وفيما قاله نظر ، فإن موسى بن عقبة وعروة ابن الزبير قالا خلاف ذلك ،وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمـكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح . والله أعلم .

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابنُ إسحاق وغيره ، وحرَّر ذلك الحافظ الضياء فى أحكامه جيداً .

وقد تقدم فى غضون سياقات القصة ذكر أول من قُتل منهم ،وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وأول من فرَّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعى ، أو العقيلى ، حليف بنى مخزوم ، وما أفاده ذلك ، فإنه أُسِر ، وهو القائل فى شعره :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كلومُنا   ولـكنْ على أقدامنا يَقْطُر الدمُ

فمـا صدق فى ذلك .

وأول من أَسروا عقبةُ بن أبى مُعيط والنضر بن الحارث ، قُتلا صبراً بين يدى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من بين الأسارى ، وقد اختلف فى أيهما قُتل أولاً على قولين .

وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء ، منهم أبو العاص بن

الربيع الأموى ، والمطَّلب بن حُنْطَب بن الحارث المخزومى ، وصَيْفى بن أبى رفاعة كما تقدم ، وأبو عَزَّة الشاعر ، ووهب بن عُمير بن وهب الجمحى كما تقدم ، وفادَى بقيتهم حتى عمه العباس أَخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى ، لئلا يحابيه لـكونه عمه ، مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا تتركوا منه درهما .

وقـد كان فداؤهم متفاوتا ، فأقلُّ ما أُخذ أربعمائة ، ومنهـم من أُخذ منه أربعون أوقية من ذهب .

قال موسى بن عقبة : وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب .

ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، قال : قال داود : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلِّموا أولادَ الأنصار الـكتابة ، قال : فجاء غلام يوما يبكى إلى أمه فقالت : ما شأنك ؟ فقال : ضربنى معلِّمى فقالت : الخبيث يَطْلب بذَحْل [١] بَدْر ! والله لا تأتيه أبداً .

انفرد به أحمد وهو على شرط السنن . وتقدم بسطُ ذلك كله ولله الحمد والمنة .

فصـــل فى فضل من شهد بدرا من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حُميد ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله قد عرفتَ منزلةَ حارثة منّى فإن يكُ فى الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى ماأصنع . فقال : « ويحك أوَ هَبِلْت أوَ جنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس » .

(١) الذحل : الثأر . وفى الأصل : بدخل . محرفة .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس ، وأنّ حارثة كان فى النَّظَّارة وفيه : « إن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى » .

وفى هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر ، فإن هذا الذى لم يكن فى بُحْبُوحة القتال(١) ولا فى حَومة الوغَى ، بل كان من النَّظارة من بعيد ، وإنما أصابه سَهْمٌ غَرْب وهو يشرب من الحوض ، ومع هـذا أصاب بهـذا الموقف الفردوسَ التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنـه تفجَّر أنهار الجنة التى أمر الشارع أمتـه إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها .

فإذا كان هذا حالَ هذا ، فما ظنُّك بمن كان واقفاً فى نَحْر العدو ، وعدوُّهم على ثلاثة أضعافهم عَدداً وعُدداً ؟ !

ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهويَهْ ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى ، عن على بن أبى طالب قصة حاطب بن أبى بَلْتَعة وبَعْثه الكتابَ إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد شَهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » .

ولفظ البخارى : « أليس مِنْ أهلِ بدر ؟ ولعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد وجَبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم » .

فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

(١) تبحبح : تمكن فى المقام والحلول . وبحبوحة المكان وسطه . وفى الأصل : بحبحة . محرفة

وروى مسلم عن قتيبة ، عن الليث ،عن أبي الزبير ،عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً قال : يارسول الله لَيَدْخلن حاطبٌ النارَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبْتَ ، لا يدخلُها ، إنه شهد بدراً والحديبية » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثنى الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل النار رجلٌ شَهد بدراً أو الحديبية » .

تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبى النُّجود ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال : إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » .

ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد ابن هارون به .

وروى البزار فى مسنده :حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأرجو أن لا يَدخل النارَ من شهد بدراً إن شاء الله » .

ثم قال : لا نعلمه يُرْوى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد تفرّد البزّار بهذا الحديث ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح . والله أعلم .

وقال البخارى فى باب شهود الملائكة بدراً : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ،

حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقى ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ماتعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : مِن أفضل المسلمين ، أو كلمة نحوها .

قال : وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة

انفرد به البخارى .

فصــــل

فى قدوم زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرةً من مكة إلى المدينة

بعد وقعة بدر بشهر ، بمقتضى ما كان شرَط زوجُها أبو العاص للنبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم

قال ابن إسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلّى سبيله ، يعنى كما تقدم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال : كُونا ببطن يأْجج حتى تمرّ بكما زينب فتصحباها فتأتيانى بها . فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه (١) .

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر ؛ قال : حدِّثت عن زينب أنها قالت: بَيْنا أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك . فقالت : أىْ ابنة عم ، لا تفعلى ، إن كان لك حاجة بمتاع مما يَرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك فلا تَضْطَنى (٢) منىِّ فإنه لا يَدخل بينَ النساء مابين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنى خِفْتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق : فتجهزَت ، فلمافرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانةُ بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى فى هودج لها ، وتحدَّث بذلك رجالٌ من قريش ،فخرجوا فى طلبهاحتى أدركوها بذى طوًى ، وكان أول

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) لاتضطنى : لاتنقبضى منى . وأصله : اضطأ .

من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهرى ، فروَّعها هبار بالرمح وهى فى الهودج ، وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت ، وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلا وضعتُ فيه سهما . فتكركر الناس عنه .

وأتى أبو سفيان فى جِلَّة من قريش فقال : يا أيها الرجل كُفَّ عنا نَبْلك حتى نكلِّمك . فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفتَ مصيبتنا ونَكْبتَنا وما دخَل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانيةً على رءوس الناس مِنْ بين أَظْهرنا ، أن ذلك عن ذُلٍّ أصابنا ، وأن ذلك ضعفٌ منا ووَهْن ، ولَعمرى مالنا بحبْسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثُؤْرة[1] ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدَّث الناسُ أنْ قد رددناها فسُلَّها سرًّا وألحقها بأبيها . قال : ففعل .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك :

أفى السَّلم أعْياراً جَفاءً وغلظةً ... وفى الحربِ أشباه النساءِ العواركِ[2]

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ماقُتِل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق : فأقامت ليالىَ ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلا حتى أسْلَمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها ليلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن

(١) الثؤرة : طلب الثأر . (٢) العوارك : الحوائض .

عروة ، عن عائشة فذكر قصة خروجها وردَّهم لها ووَضْعها مافى بطنها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيدَ بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجىء معه فتلطَّف زيد فأعطاه راعياً من مكة فأعطى الخاتم لزينب ، فلما رأته عرفته فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجل فى ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هى أفضلُ بناتى أُصيبَتْ فىّ » .

قال : فبلغ ذلك علىّ بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ماحديثٌ بلَغنى أنك تحدِّثته ؟ فقال عروة : والله ما أحب أنّ لى مابين المشرق والمغرب وأنى أنتقص فاطمة حقًّا هو لها ، وأمّا بعد ذلك أنْ لا أحدِّث به أبداً .

قال ابن إسحاق : فقال فى ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خَيْثمة أخو بنى سالم بن عوف . قال ابن هشام : هى لأبى خيثمة :

أتانى الذى لا يَقْدر الناس قدرَه ... لزينب فيهم مِن عُقوقٍ ومَأْثمِ
وإخراجها لم يُخْزَ فيها محمدٌ ... على مَأْقط وبَيْننا عِطْرُ مَنْشَمِ (١)
وأمسَى أبو سفيان من حِلْف ضَمْضَم ... ومن حربنا فى رَغْم أَنْفٍ ومَنْدَم
قرنَّا ابنَه عَمراً ومولَى يمينه ... بذى حَلَقٍ جَلْد الصَّلاصل مُحْكَم (٢)
فأقسمتُ لا تنفكُّ منا كتائبُ ... سُراةُ خَميسٍ من لُهَامٍ مُسوَّمِ (٣)
نروع قريشَ الكُفْر حتى نَعلَّها (٤) ... بخاطمةٍ فوقَ الأُنوف بمِيسَمِ

(١) المأقط : معترك الحرب ، وعطر منشم : كناية عن شدة الحرب . ومنشم : كانت امرأة تبيع العطر فيشترى منها الموتى ، حتى تشاءموا بها .
(٢) ذو حلق : أراد به الغل . والصلاصل جمع صلصلة ، وهى صلصلة الحديد .
(٣) اللهام : الكثير . والمسوم : المعلم . (٤) نروع : نفزع . ونعلها : نذيقها الحرب مرة بعد مرة .

نُنزّلهم أكنافَ نجدٍ ونَخْلةٍ ... وإنْ يُتهموا بالخيل والرَّجْلِ نُتهِمِ
يَدَ(١) الدهرِ حتى لا يعوّج سِرْبُنا ... ونُلحقهم آثارَ عاد وجُرْهمِ
ويَنْدم قومٌ لم يطيعوا محمداً ... على أمرهمْ وأيّ حين تَنَدَّمُ
فأبلغْ أبا سفيانَ إمّا لقيته ... لئن أنت لم تُخْلص سجوداً وتُسْلمِ
فأبشرْ بخزيٍ فى الحياة معجَّلٍ ... وسِرْبالِ قارٍ خالداً فى جهنم

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبى سفيان الذى عناه الشاعر هو عامر بن الحَضْرمى .

وقال ابن هشام : إنما هو عُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فإنه قُتل يوم بدر .

***

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ ، عن سليمان بن يسَار ، عن أبى إسحاق الدَّوْسى ، عن أبى هريرة . قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم سَرية أنا فيها فقال : «إنْ ظفرتم بهبَّار بن الأسود والرجل الذى سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » .

فلما كان الغد بعث إلينا فقال : إنى قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » .

تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا الليث ، عن بُكير ، عن سليمان بن يسَار ، عن أبى هريرة أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث فقال : « إن وجدتم فلانا وفلانا فأحرقوهما بالنار » ثم قال حين أردنا الخروج : إنى أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذِّب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما .

(١) يد الدهر : مد زمانه . وفى الأصل : يدى . وما أثبته عن ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سَرية فأخذوا مامعه وأعجزَهم هربا ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبَّر وكبر الناس صرخت من صُفَّة النساء: أيها الناس أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع .

فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعتُ ؟ » قالوا : نعم. قال : « أمَا والذى نفس محمد بيده ما علمتُ بشىء حتى سمعت ماسمعتم ، وإنه يُجير على المسلمين أدْناهم ». ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته زينب فقال : « أىْ بُنية أكرمى مثواه ولا يَخْلصن إليك فإنك لا تحلّين له » قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثَّهم على رد ما كان معه ، فردوه بأَسْره لا يَفقد منه شيئا .

فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة ، فأعطى كلَّ إنسان ما كان له ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيًّا كريما .

قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله مامنعنى عن الإسلام عندَه إلا تَخَوُّف أنْ تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى داود بن الحصَين، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال : ردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول ولم يُحْدث شيئاً .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد ابن إسحاق ، وقال الترمذى : ليس بإسناده بأس .

ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قِبَل حِفْظ داود بن الحصين

وقال السهيلى : لم يقُلْ به أحد من الفقهاء فيما علمت .

وفى لفظ : ردَّها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين ، وفى رواية : بعد سنتين بالنكاح الأول. رواه ابن جرير. وفى رواية : لم يُحْدث نكاحا .

وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء ، فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجُها كافر ، فإن كان قبل الدخول تعجلت الفُرْقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة ، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها ، وإن انقضت ولم يُسلم انفسخ نكاحها

وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد بدر بشهر ، وحُرِّم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان

فمن قال : ردَّها عليه بعد ست سنين ، أى من حين هجرتها فهو صحيح . ومن قال : بعد سنتين . أى من حين حُرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا .

وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها ، فكيف ردَّها عليه بالنكاح الأول ؟

***

فقال قائلون : يحتمل أن عدَّتها لم تنقَض ، وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال .

وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شُعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّ بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد و نكاح جديد .

قال الإمام أحمد : هذا حديث ضعيف واهٍ ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العَرْزَمى ، والعرزمى لا يساوى حديثه شيئا ، والحديث الصحيح الذى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الأول .

وهكذا قال الدارقطني : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بالنكاح الأول .

وقال الترمذى : هذا حديث فى إسناده مقال . و[الذى] العمل عليه عند أهل العلم ، أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت فى العدة ، وهو قول مالك والأوزاعى والشافعى وأحمد وإسحاق . وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن رَوى أنه جدَّد لها نكاحا فضعيف .

* * *

ففى قضية زينب ، والحالة هذه ، دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها ، فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك ، بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أى وقت كان ، وهى امرأته ما لم تتزوج .

وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة . الفقه والله أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخارى حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدّتهن : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، كان المشركون على منزلتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، كانوا مشركى أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركى أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تُخْطَب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حل لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، وإن هاجر عبد منهم أو

أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين .

ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد .

هذا لفظه بحروفه .

فقوله : « فـكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر » يقتضى أنها كانت تستبرئ بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا .

وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها تردّ إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجا غيره ، كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبى صلى الله عليه سلم ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء . والله أعلم .

فصـــل

فيما قيل من الأشعار فى غزوة بدر العظمى(1)

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق ، عن حمزة بن عبد المطلب، وأنكرها ابن هشام :

ألم تَرَ أمراً كان مِنْ عَجب الدهر ... وللحَيْن أسبابٌ مبيَّنة الأمرِ
وما ذاك إلا أنّ قوما أفادَهم(2) ... فحانوا(3) تَواصٍ بالعقُوق وبالكُفْرِ
عشيــةَ راحوا نحو بدرٍ بجَمْعهم ... وكانوا رُهوناً للرَّكيَّة مِنْ بدر(4)
وكنا طلَبْنا العيرَ لم نَبْغ غيرَها ... فساروا إلينـــا فالتقينا علَى قَدْرِ
فلما التقينا لم تكن مَثْنَوِيّةٌ(5) ... لنا غـــيرَ طَعْنٍ بالمثقَّفة السُّمْرِ
وضربٍ ببيض يَخْتلِى الهامَ حدُّها ... مشهَّرَة الألوان بيِّنة الأثر(6)
ونحن تركنا عُتْبة الغَىّ ثاوياً ... وشَيْبةَ فى قَتْلَى تَجرجَمُ فى الَجفْرِ(7)
وعمرو ثوَى فيمن ثوَى مِن حُماتِهم ... فشُقَّت جيوبُ النائحاتِ على عمرو
جيوبُ نساءٍ من لؤىِّ بن غالب ... كرام تفرَّعْن الذوائبَ مِن فهرِ
أولئك قوم قُتِّلوا فى ضــلالهم ... وخلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضر النصرِ
لواء ضلال قاد إبليسُ أهــلَه ... فخاس بهم إنَّ الخبيث إلى غَدْر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحا ... برئْتُ إليكم مابىَ اليوم مِنْ صبرِ

---

(1) أكثر ماذكره ابن اسحق من الأشعار التى قيلت فى غزوة بدر مصنوع مختلق ، لاتبدو عليه مسحة ذلك العصر ، كما نبه على ذلك ابن هشام ، وهو من صنع بعض النظامين الذين كانوا يتصورون الحادث ثم يصوغون الأشعار على مقتضاه .

(2) أفادهم : أهلكهم . (3) الأصل : فخافوا . وما أثبته عن ابن هشام .

(4) رهونا : جمع رهن ، والركية : البئر التى لم تطو بالحجارة . (5) المثنوية : أراد الرجوع .

(6) يختلى : يقطع . والأثر : فرند السيف . (7) تجرجم : تسقط . والجفر : البئر لم تطو .

فإنى أرى مالا ترون وإننى أخاف عقابَ الله والله ذو قَسْرِ
فقدَّمَهم للحَيْن حتى تورَّطوا وكان بما لم يَخْبُر القومُ ذا خُبْرِ
فكانوا غداةَ البئر ألفاً وجمعُنا ثلاثُ مئين كالمُسَدَّمة[1] الزُّهْرِ
وفينا جنود الله حين يُمدُّنا بهم فى مقام ثَمَّ مُسْتوضَح الذِّكرِ
فشدَّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا لدَى مأزقٍ فيه مناياهمُ تجرى

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا .

* * *

وقال على بن أبى طالب وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أنّ الله أبلَى رسوله بلاءَ عزيزٍ ذى اقتدار وذى فَضْلِ
بما أنزل الكفارَ دارَ مَذَلّةٍ فلاقَوا هواناً من أسارٍ ومن قَتلِ
فأمْسَى رسولُ الله قد عزّ نصرُه وكان رسول الله أُرسل بالعدلِ
فجاء بفرقان من الله مُنْزَلٍ مبينةٍ آياتُه لذوى العقلِ
فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشَّملِ
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم فزادهمُ ذو العرش خَبْلاً على خَبلِ
وأمكن منهم يومَ بدر رسولَه وقوما غضاباً فعلهُم أحسنُ الفعلِ
بأيديهمُ بيضٌ خفافٌ عصَوا بها وقد حادثوها بالجلاء وبالصّقلِ
فكم تركوا من ناشئٍ ذى حمِيّةٍ صريعا ومن ذى نَجْدة منهمُ كهلِ
تَبيت عيونُ النائحاتِ عليهمُ تجود بأسبالِ الرّشاش وبالوَبْلِ[2]
نوائح تَنْعى عتبةَ الغيِّ وابنه وشيبة تَنْعاه وتَنْعى أبا جهلِ
وذا الرِّجل[3] تنعى وابنَ جدعان فيهم مُسَلَّبة حرَّى مبيِّنة الثُّكلِ

(١) المسدم : الفحل الهائج . والزهر : المشرقة اللون .
(٢) الرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير . استعاره للدمع .
(٣) يريد بذى الرجل الأسود بن عبد الأسد الذى قطعت رجله وهو يقتحم الحوض .

ثوى منهمُ فى بئر بدر عصابةٌ ... ذوو نجداتٍ فى الحروب وفى المَحْلِ
دعا الغىُّ منهم من دعا فأجابه ... وللغىِّ أسبابٌ مُرمَّقة الوَصْلِ[1]
فأضحَوا لدى دار الجحيم بمَعْزِلٍ ... عن الشَّغْب والعدوان فى أسفل السُّفل[2]

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث أيضا تركناها قصداً .

* * *

وقال كعب بن مالك :

عجبتُ لأمر الله والله قادرُ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ
قضى يومَ بدرٍ أنْ نلاقىَ مَعْشراً ... بغَوا وسبيلُ البَغْى بالناس جائرُ
وقد حشَدوا واستنفروا مَن يليهمُ ... من الناس حتى جَمْعهم متكاثرُ
وسارت إلينا لا تُحاول غيرَنا ... بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَهُ ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمعُ بنى النجار تحتَ لوائه ... يُمَشّون فى الماذِىِّ[3] والنقعُ ثائرُ
فلمّا لقيناهمْ وكلٌّ مجاهدٍ ... لأصحابه مُستبسلُ النفس صابرُ
شهدنا بأنّ الله لا ربَّ غيره ... وأنّ رسول الله بالحق ظاهرُ
وقد عَريتْ بيضٌ خِفافٌ كأنها ... مقاييسُ يُزهيها لعينيك شاهرُ
بهنّ أبَدْنا جمْعهم فتبدَّدوا ... وكان يلاقى الحَيْن مَن هو فاجرُ
فكُبَّ أبو جهل صريعاً لوجهه ... وعتبةُ قد غادرتُه وهو عاثرُ
وشيبةَ والتَّيْمى غادرتُ فى الوغَى ... وما منهمُ إلا بذى العرش كافرُ
فأمسَوا وقودَ النار فى مستقرِّها ... وكلُّ كفورٍ فى جهنم صائرُ

---

(١) مرمقة : ضعيفة واهية . (٢) ابن هشام : فى أشغل الشغل .
(٣) الماذى : الدرع اللينة السهلة ، وتطلق على السلاح كله .

تلظى عليهم وهى قد شُبَّ حَمْيُها ... بِزَبْرِ الحديدِ والحجارة ساجرُ
وكان رسول الله قد قال أقبِلوا ... فولّوا وقالوا إنما أنت ساحرُ
لأمرٍ أراد الله أن يَهلكوا به ... وليس لأمرٍ حمَّه الله زاجرُ

وقال كعب فى يوم بدر :

ألا هل أتى غسانَ فى نَأْى دارها ... وأخبرُ شىء بالأمور عليمُها
بأنْ قد رمتْنا عن قِسِىٍّ عداوةً ... معدٌّ معاً جُهالُها وحليمُها
لِأنَّا عبدْنا الله لم نَرْجُ غيرَه ... رجاءَ الجنان إذ أتانا زعيمُها
نبىٌّ له فى قومه إرثُ عزةٍ ... وأعراقُ صدقٍ هذَّبتها أرومُها
فساروا وسِرْنا فالتقينا كأننا ... أسودُ لقاء لا يرجَّى كَليمُها
ضربناهمُ حتى هوَى فى مكَرِّنا ... لمَنْخِرِ سوء من لؤىٍّ عظيمُها
فولَّوا ودُسْناهم ببيضٍ صوارمٍ ... سواء علينا حِلفُها وصميمُها

وقال كعب أيضا :

لَعمْرُ أبيكما يابْنَىْ لؤىٍّ ... على زَهْوٍ لدَيكم وانتخاء
لَمَا حامت فوارسكم ببدرٍ ... ولا صَبروا به عندَ اللقاء
ورَدْناه ونورُ الله يَجْلو ... دُجَى الظَّلماء عنَّا والغطاء
رسولُ الله يَقْدُمنا بأمرٍ ... مِن أمر الله أحْكِم بالقضاء
فما ظَفِرت فوارسكم ببدر ... وما رجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سفيانَ وارقُبْ ... جيادَ الخيل تَطْلع من كُدَاء
بنصر الله روحُ القدس فيها ... وميكالٌ فيا طيبَ الملاء

* * *

وقال حسان بن ثابت ، قال ابن هشام ويقال هى لعبد الله بن الحارث السهمى :

مُسْتَشْعِرِى حَلَقِ المَاذِىِّ يَقْدُمُهم جَلْدُ النَّحِيزةِ ماضٍ غيرُ رِعْدِيدِ[(١)]
أعنى رسولَ إلهِ الخَلْقِ فضَّله على البريَّة بالتقوى وبالجودِ
وقد زعمتم بأنْ تَحْموا ذمارَكم وماءُ بدرٍ زعمتم غير موروودِ
[ثم وردْنا ولم نَسْمع لقولكم حتى شربنا رَواءً غير تصريد[(٢)]]
مستعصمين بحبلٍ غير منجذمٍ مُسْتحكِمٍ من حبال الله ممدودِ
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نَتْبعه حتى المماتِ ونصرٌ غيرُ محدودِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُسْتضاء به بدرٌ أنار على كلِّ الأماجيدِ

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليت شعرى هل أتى أهلَ مكة إبادتُنا الكفّارَ فى ساعة العُسْرِ
قتلنا سَراة القوم عندَ مجالنا فلم يَرجعوا إلا بقاصمةِ الظَّهر
قتلنا أبا جهلٍ وعُتبةَ قَبْله وشيبة يَكْبو لليدين وللنَّحْرِ
قتلنا سُوَيداً ثم عُتبةَ بعدَه وطُعْمة أيضا عندَ ثائرةِ القَتْرِ[(٣)]
فكم قد قتَلْنا مِن كريمٍ مُسَوَّدٍ[(٤)] له حسَبٌ فى قومه نابهُ الذِّكر
تركناهم للعاوياتِ يَنُبْنَهم[(٥)] ويَصْلون ناراً بعدُ حامية القَعْرِ
لعَمْرك ما حامَتْ فوارسُ مالكٍ وأشياعُهم يومَ التقينا على بدرِ

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فى يوم بدر ، فى قطع رِجْله فى مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة . وأنكرها ابن هشام :

ستَبْلُغ عنَّا أهلَ مكةَ وقعةٌ يهبُّ لها مَن كانَ عن ذاك نائيا

---

(١) المـاذى : الدروع اللينة . والمستشعر : اللابس على جسمه بغير حاجز . والنحيزة : الطبيعة . والرعديد : الجبان .
(٢) من ابن هشام . (٣) القتر : الغبار .
(٤) ابن هشام : مرزأ . (٥) ينبنهم : يعاودنهم .

بعُتْبة إذ ولَّى وشيبةُ بعــدَه ... وما كان فيها بِكْرُ عتبةَ راضيــاَ
فإنْ تَقطعوا رِجْلى فإنِى مسلم ... أرجِّى بها عَيشاً من الله دانيـــاَ
مع الُحور أمثال التماثيل أُخْلصتْ ... من الجنة العُلْيا لمن كان عاليــاَ
وبعْتُ بها عيشاً تعرَّفتُ صَفْوه ... وعاجَلْتُه حتى فقدْتُ الأدانياَ
فأ كرمَنى الرحمنُ مِن فضلِ مَنِّه ... بثوبٍ من الإسلام غطَّى المساويا
وما كان مكروها إلىّ قتــالهُم ... غداة دعا الأكْفاءَ من كان داعياَ
ولم يبْغ إذ سألوا النبىَّ سواءنا ... ثلاثتَنا حتى حضرْنا المنــــاديا
لقيناهمُ كالأُسد تخطر بالقَنــا ... نُقاتل فى الرحمنِ مَن كان عاصياَ
فمـا برحتْ أقدامنا من مُقامنـا ... ثلاثتنا حتى أُزِيروا المنائـــيا(١)

* * *

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارثَ بن هشام على فراره يوم بدر وترْكه قومَه لا يقاتل دونهم :

تبلَتْ فؤادَك فى المنام خَريدةٌ(٢) ... تَشْفى(٣) الضجيعَ ببارِدٍ بَسَّـامِ
كالمسْك تَخْلطه بمــاء سحابة ... أو عاتقٍ كدَم الذَّبيح مُدَامِ
نفُجُ الحقيبة بوصُهــا مُتَنضِّدٌ ... بَلْهاء غيرُ وَشِيكة الأقسام(٤)
بُنيَتْ على قطَنٍ أجمَّ كأنه ... فُضُلا إذا قعَدتْ مَداكُ رُخام(٥)
وتكاد تَــكْسل أن تجىء فراشَها ... فى جسم خَرْعبةٍ(٦) وحُسْنِ قَوامِ

---

(١) المنائيا : المنايا ، فزيدت فيه الهمزة .
(٢) الخريدة : الحسناء الناعمة . (٣) رواية الديوان : تسقى .
(٤) نفج : عالية . وأراد بالحقيبة الأرداف . والبوص : الردف . ومتنضد : يعلو بعضه بعضاً . والبلهاء : الغافلة . والأقسام : جمع قسم . أى أنهـا لا تمضى قسمها . (٥) القطن : الوسط . والأجم : الذى لا عظام فيه . وفضلا : نصب على الحال . والمداك : مدق الطيب . (٦) الخرعبة : الحسنة القوام .

أمّا النهــارَ فلا أُفتِّر ذِكْرَها والليل تُوزِعنى بها أحـلامى
أقسمتُ أنساها وأترك ذِكرها حتى تغيَّبَ فى الضريح عظـامى
بل مَنْ لِعـاذلةٍ تلوم سفـاهةً ولقد عصَيْت على الهوى لُوّامِى
بَكَرتْ إلىّ بسُحْرة بعدَ الكَرى وتقـاربٍ مِن حادث الأيامِ
زعمـت بأن المرء يَكْربُ عمَره عدَمٌ لمعْتـكر من الأصرامِ (١)
إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِنى فنجوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشام
ترك الأحبـةَ أنْ يقاتل دونهم ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولجامِ (٢)
يذَر العنَاجيجَ الجيَاد بقَفْرة مَرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورِجامِ (٣)
ملأت به الفرْجين فارمَدَّت به وثوى أحبتُه بشرِّ مُقـامِ
وبنو أبيـه ورهطُه فى معْرَكٍ نصرَ الإله به ذَوى الإسـلامِ
طحنَتْهمُ واللهُ يُنفِـذ أمَره حربٌ يُشَبُّ سعيرُهـا بضرامِ
لولا الإله وجَرْيُهـا لتركْنَه جزَر السِّباع ودُسْنه بحَوامِى (٤)
مِن بَين مأسورٍ يُشدُّ وَثاقُه صَقْرٍ إذا لاقى الأسنـةَ حامِى
ومجـدَّلٍ لا يستجيب لدعوةٍ حتى تزولَ شوامخُ الأعلامِ
بالعارِ والذلّ المبين إذا رأى بيضَ السيوفِ تَسوقُ كلَّ هُمام
بيدَىْ أغرَّ إذا انتمَى لم يُخْزه نَسَبُ القِصار سَمَيْدعٍ (٥) مِقْدامِ
بيضٍ إذا لاقت حديداً صُمِّمت كالبرق تحت ظلالِ كلِّ غمامِ

---

(١) يكرب : يحزن . والأصرام : جمع الجمع لصرمة، وهى القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الأربعين . والمعتكر : المختلط لا يستطاع عده . (٢) الطمرة : الفرس الجواد .

(٣) العناجيج : جياد الخيل . والدموك : البكرة السريعة المر يسقى بها على السانية . والمحصد : الحبل المفتول . والرجام : حجر يشد بطرف الدلو لتسرع فى البئر . يصف الفرس بسرعة الجرى . هذا وفى الأصل : « مر الذمول » وهو تحريف . صوابه من ابن هشام والديوان .

(٤) الحوامى : ميامن الحافر ومياسره . (٥) السميدع : السيد .

قال ابن هشام : تركنا فى آخرها ثلاث أبيات أقذع فيها .

قال ابن هشام :فأجابه الحارث بن هشام أخو أبى جهل عمرو بن هشام فقال :

القومُ[1] أعْلَم ما تركتُ قتالَهم حتى رمَوا فرَسى[2] بأشقر مُزْبِدِ
وعرفت أنى إنْ أقاتل واحـداً أُقتَل ولا يَنْكى عدوِّى مَشْهَدِى
فصَدَدْت عنهم والأحبةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مُفْسِـدِ

وقال حسان أيضا :

ياحارِ قد عوّلتَ غيرَ معوَّلٍ عندَ الهياج وساعةَ الأحسابِ
إذ تمتطى سُرُح اليدين نجيبةً مَرْطَى الجراء طويلة الأَقْراب[3]
والقومُ خلفَك قد تركتَ قتالهم ترجو النَّجاءَ وليس حين ذهابِ
ألاّ عَطفْتَ على ابن أمك إذ ثوى قَعْصَ الأسِنّة[4] ضائع الأسلابِ
عَجل المليكُ له فأهلك جمعَه بشنَارِ مُخْزِيةٍ وسوءِ عَـذابِ

وقال حسان أيضا :

لقد علمت قريشٌ يومَ بدر غداة الأَسْر والقتلِ الشديدِ
بأنّا حين تَشْتَجر العوالِى حماةُ الحرب يومَ أبى الوليدِ
قتلنا ابنَىْ ربيعة يومَ سارا إلينا فى مُضاعفةِ الحـديدِ
وفرَّ بها حكيمٌ يومَ جالَتْ بنو النَّجار تَخْطِر كالأسودِ
وولّت عند ذاك جموعُ فِهْرٍ وأسلمَها الحُويرثُ مِن بَعيدِ
لقد لاقيتُم ذلاً وقتـلاً جَهيزاً نافـذاً تحت الوريدِ
وكلُّ القومِ قد ولّوا جميعاً ولم يَلْوُوا على الحسبِ التّليدِ

---

(١) ابن هشام : الله أعلم . (٢) ابن هشام : حتى حبوا مهرى .

(٣) السرح : السريعة . ومرطى الجراء : سريعة الجرى . والأقراب جمع قرب وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن . (٤) القعص : أن يصاب برمية فيموت مكانه .

وقالت هند بنت أُثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمَّن الصفراء مَجْداً وسُؤدداً ... وحِلما أصيلاً وافرَ اللُّب والعقلِ
عبيدةُ فابكيه لأضيـاف غُربةٍ ... وأرملةٍ تهوى لأشعث كالجذلِ
وبكِّيه للأقوام فى كل شَتْوةٍ ... إذا احمرَّ آفاقُ السماء من المَحْلِ
وبكِّيه للأيتامِ والريحُ زَفْزفٌ ... وتَشْبيب قِدْرٍ طالما أزْبدت تَغْلى
فإنْ تُصبح النيرانُ قدمات ضَوؤها ... فقد كان يُذْكيهن بالحطَب الجزْلِ
لطارقِ ليلٍ أو لملتمس القِرَى ... ومُسْتَنبحٍ أَضْحى لديه على رسْلِ

* * *

وقال الأموى فى مغازيه : حدثنى سعيد بن قطن قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب فى رؤياها التى رأت وتذْكر بدراً :

ألمَّا تكن رؤيایَ حقاً ويأتـكمْ ... بتأويلها فَلٌّ من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذى رأى ... بعينيه ما تَفرِى السيوفُ القواضبُ
فقلتم ولم أَكْذب عليـكم وإنمـا ... يكذِّبنى بالصدق مَن هو كاذبُ
وما جاء إلا رهبةَ الموت هارباً ... حكيمٌ وقد أعيَتْ عليه المذاهبُ
أقامت سيوفُ الهند دون رءوسكم ... وخَطِّية[1] فيها الشَّبَا والتغالُبُ
كأنَّ حريق النار لَمْعَ ظُبانها ... إذا ما تعاطَتها الليوثُ المَشَاغبُ
ألاَ بأبى يومَ اللقاء محمداً ... إذا عَضَّ مِن عَوْنِ الحروبِ الغواربُ
مَرى بالسيوف المرهَفاتِ نفوسَـكم ... كِفاحًا كما تَمْرِى السحابَ الجنائبُ[2]
فكم بَرَّدت أسيافُه مِنْ مَليكةٍ ... وزُعْزِع وِرْدٌ بعدَ ذلك صالبُ

---

(١) الخطية : الرماح (٢) الجنائب : الرياح التى تهب جنوبا ، وهى تمرى السحاب تستنزل مطره . وأصل المرى مسح ضرع الناقة ليدر لبنها .

فما بالُ قتلَى فى القَليبِ ومثلُهمْ ... لدَى ابنِ أخى أَسْرى له ما يضارِبُ
فكانوا نِساءً أَمْ أتى لنفوسهم ... من الله حَينٌ ساقَ والحَيْن حالبُ
فكيف رأى عندَ اللقاءِ محمدًا ... بنو عمِّه والحربُ فيها التجاربُ
ألم يَغشكم ضَرْباً يُحارُ لوقْعه الـ ... ـجَبانُ وتبدو بالنهار الكواكبُ
حلفتُ لئن عادوا لنَصْطلينَّهم ... بحاراً تردَّى تَجْرِ فيها[1] المَقانبُ
كأنّ ضياء الشمس لَمْع ظُبَاتِها ... لها مِن شُعاعِ النورِ قَرنٌ وحاجبُ

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموى :

هلاّ صبرتمْ للنبيِّ محمد ... ببدرٍ ومَن يَغشى الوغَى حقُّ صابرِ
ولم ترْجعوا عن مُرْهفاتٍ كأنها ... حريقٌ بأيدى المؤمنين بواترِ
ولم تَصبروا للبيض حتى أَخذتمُ ... قليلا بأيدى المؤمنين المشاعرِ
ووليتمُ نَفْراً وما البطَلُ الذى ... يقاتِلُ مِن وَقْعِ السلاحِ بنافرِ
أتاكم بما جاء النبيّون قبلَه ... وما ابنُ أخى البَرُّ الصدوقُ بشاعرِ
سيكفى الذى ضيعتمُ من نبيكم ... وينصره الحَيَّان عمرٌو وعامرُ

* * *

وقال طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثى أصحاب القليب من قريش الذين قُتلوا يومئذ من قومه ، وهو بعدُ على دين قومه إذ ذاك :

ألا إنّ عينِي أنفدَت دمعها سَكْبَا ... تبكّى على كعب وما إنْ ترى كعبَا
ألا إن كعباً فى الحروب تخاذلوا ... وأَرْداهمُ ذا الدهرُ واجترحوا ذَنبَا
وعامرُ تَبكى للمُلِمَّات غُدْوةً ... فياليت شِعْرى هل أَرى[2] لهمُ قُرْبَا

---

(١) المطبوعة : تجربتها . وهو تحريف . (٢) ابن هشام : لهما .

[هما أخوایَ لن يُعَدَّا لغيَّةٍ ... تُعدّ ولَن يُستام جارُهما غصباَ(١)]
فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً(٢) ... فداً لكما لا تبعثوا بيننا حَربا
ولا تُصْبحوا مِن بعدِ ودّ وألْفة ... أحاديث فيها كلُّكم يَشْتكى النَّكْبَا
ألم تعلموا ما كان فى حربِ داحسٍ ... وحرب(٣) أبى يَكْسوم إذ ملأوا الشِّعْبَا
فلولا دفاعُ الله لا شىء غيرُهُ ... لأصبحتُم لا تَمْنعون لكم سِرْبا
فما إنْ جَنينا فى قريشٍ عظيمةً ... سِوى أنْ حَمينا خيرَ من وَطئَ التُّربا
أخا ثقةٍ فى النائباتِ مُرَزَّأٍ ... كريماً نَثاه لا بخيلا ولا ذَرْبَا(٤)
يُطيف به العافون يَغْشَون بابه ... يؤمُّون نهراً لا نَزُوراً ولاصَرْبَا(٥)
فو الله لا تنفكُّ نفسى حزينةً ... تَمَلْمل حتى تَصْدُقوا الخزرجَ الضَّرْبَا

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعارا من جهة المشركين قوية الصَّنعة يرثون بها قتلاهم يومَ بدر .

فمن ذلك قول ضِرَار بن الخطاب بن مِرْداس أخى بنى مُحارب بن فهر ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلى فى روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبتُ لفخر الأوس والحَيْن دائر ... عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
ونخرِ بنى النَّجار إنْ كان مَعْشَرٌ ... أُصيبوا ببدرٍ كلُّهم ثَمَّ صائرُ
فإنْ تك قتلى غُودرت مِن رجالنا ... فإنّا رجالا بعدَهم سنُغادَرُ

(١) من ابن هشام .   (٢) الأصل : ونوفل . وهو تحريف .
(٣) ابن هشام : وجيش أبى يكسوم .   (٤) النثا : العطاء . والذرب : الفاسد .
(٥) الصرب : المنقطع .

وتُرْدى بنا الجُرْد العَناجيج(١) وسْطَكم ... بنى الأوس حتى يشفى النفسَ ثائرُ
ووسط بنى النجار سوف نكرُّها ... لها بالقَنا والدارِعِين زَوافرُ
فنترك صَرْعى تَعْصبُ الطيرُ حولهم ... وليس لهم إلا الأمانىَّ ناصرُ
وتَبكيهمُ من أرضِ يثرب نسوةٌ ... لهنّ بها ليلٌ عن النوم ساهرُ
وذلك أنا لا تزال سيوفنا ... بهنّ دمٌ ممن يحاربْن مائر(٢)
فإنْ تَظفروا فى يوم بدرٍ فإنما ... بأحمد أمْسى جَدَّكم وهو ظاهرُ
وبالنفر الأخيارِ هم أولياؤه ... يُحامون فى اللَّأْواء(٣) والموتُ حاضرُ
يُعدُّ أبو بكر وحمزةُ فيهمُ ... ويُدْعى علىٌّ وسط من أنت ذاكرُ
أولئك لا مَن نتَّجت من ديارها ... بنو الأوس والنجار حين تفاخرُ
ولكنْ أبوهم مِن لؤىٍّ بن غالبٍ ... إذا عَدَّت الأنسابَ كعبٌ وعامرُ
هم الطاعنون الخيلَ فى كل مَعْركٍ ... غداةَ الهياجِ الأَطْيبون الأكابرُ

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التى أسلفناها وهى قوله :

عجبتُ لأمر الله والله قادرُ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر واسمه شدّاد بن الأسود بن شُعوب .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلَف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلَّقها الصديق وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تحيِّى بالسلامة أمُّ بكرٍ ... وهل لى بعدَ قومى مِن سلامِ
فماذا بالقَليب قليبِ بدرٍ ... من القَيْنات والشَّرْبِ الكرامِ

---

(١) العناجيج : جياد الخيل . (٢) المائر : السائل .
(٢) اللأواء : شدة البأس .

وماذا بالقَليبِ قليب بَدْرٍ   من الشِّيزَى تـكلّل بالسنام [1]

وكم لك بالطَّـوِىِّ طَـوِىّ بدرٍ   من الحَوْمات والنَّعم المُسام [2]

وكم لك بالطَّوِىِّ طَوِىِّ بـدرٍ   من الغايات والدُّسُع [3] العِظامِ

وأصحـاب الـكريم أبى علىٍّ   أخى الـكأس الـكريمة والنِّدَامِ

وإنك لو رأيت أبا عَقيـــلٍ   وأصحـابَ الثَّنيَّة منْ نَعـامِ [4]

إذاً لَظَلْتَ مِن وَجْـــدٍ عليهم   كَأمِّ السَّقْبِ جائلةَ المـــرامِ [5]

يخـبّرنا الرســولُ لَسوف نَحْيَا   وكيف حيـاةُ أَصْـدَاء وهامِ

قلت : وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصَّلت يرثى من قُتل من قريش يوم بدر :

ألاَّ بـكَيْت على الـكرا   م بنى الـكرام أولى المَادحْ

كبُـكَا الحمـــام على فرو   ع الأَيْك فى الغصُن الجَوانحْ [6]

يَبـــكين حَـرَّى مستـــكيـ   ـنات يرُحْنَ مع الروائحْ

أمثالهن البـــاكيا   تُ المُعْولات مِن النوائحْ

مَن يبـكيهمُ يبـــكى على   حُـزن ويَصْـدُق كلَّ مادحْ

ماذا ببـــدرٍ فالعقَنْـ   ـقل مِنْ مَرازبةٍ جحاجح [7]

فمـــدافع الـــبرقَـيْن فالـــحَنَّان من طَرف الأواشح [8]

---

(١) الشيزى : جفان من خشب . والسنام لحم ظهر البعير . وأراد أصحابها المطعمين فيها .

(٢) الحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . (٣) الدسع : العطايا .

(٤) النعام : موضع . (٥) السقب : ولد الناقة حين تضعه . (٦) الجوانح : الموائل .

(٧) العقنقل : الـكثيب المنعقد من الرمل . والمرازبة : الرؤساء . والجحاجح : السادة .

(٨) البرقين والحنان والأواشح : مواضع .

شُمُط وشُبَّــان بَهــا ليــلٌ مَغاويرٌ وَحاوح [(١)]
ألاّ تَرون لِمــا أرى ولقــد أبانَ لــكلٍّ لامحْ
أنْ قد تغــيَّر بطنُ مكــة فهى مُوحشةُ الأباطحْ
مِنْ كل بِطْريقٍ لبطــريق نقىِّ الودِّ [(٢)] واضحْ
دُعْمُوص أبواب الملو كِ وجائبٌ للخَرْق فاتح [(٣)]
ومن السَّراطمة الخَــلا جمة المَلاوثة المنــاجح [(٤)]
القــائلين الفــاعلــ ين الآمرين بكل صالح
المطعمين الشَّحْمَ فــو ق الخبز شحماً كالأنافح [(٥)]
نُقُــل الجفَانَ مع الجفــا ن إلى جفانٍ كالمنَاضح [(٦)]
ليست بأصفــار لمن يعفو ولا رُحّ رحارحْ [(٧)]
للضيف ثم الضيف بعــد الضيف والبُسط السُّلاطحْ [(٨)]
وهَب المئين من المئيـ ن إلى المئين من اللَّواقحْ
سَوْقَ المؤبَّل للمؤبّــل صادراتٍ عن بَلادحْ [(٩)]
لِــكرامهم فوقَ الــكرا م مزية وزنَ الرواجحْ
كمثــاقل الأرطــال بالـ قسطاس بالأيدى الموائحْ
خذلَتْهمُ فئــةٌ وهم يحْمُون عوراتِ الفضائحْ

---

(١) الوحاوح : جمع وحواح وهو القوى . (٢) ابن هشام : نقى اللون .

(٣) الدعموص : دويبة تغوص فى الماء . يصفهم بكثرة الدخول على الملوك . والخرق : الفلاة الواسعة .

(٤) السراطمة : جمع سرطم وهو الواسع الحلق . والخلاجمة : جمع خلجم وهو الضخم الطويل .

(٥) الأنافح : جمع إنفحة . وهو شجر كالباذنجان . والإنفحة أيضا : شىء يستخرج من بطن الجدى الرضيع أصفر فيعصر فى صوفة فيغلظ كالجبن .

(٦) المناضح : الحياض . (٧) الرح : الجفان الواسعة . والرحارح : جمع رحراح ، وهو الواسع المنبسط ، يريد أنها عميقة . (٨) السلاطح : العريضة . (٩) بلادح : موضع .

الضاربين التَّقْدميّة بالمُهَنَّدَةِ الصفائحْ (١)
ولقد عنَانى صوتُهم مِن بيْن مُسْتَنشِقٍ وصائحْ
لله درُّ بنى علىّ أيِّمٍ منهم وناكحْ
إنْ لم يُغيروا غارةً شعواء تحجر كلَّ نابِحْ
بالمُقْربات المُبْعدا ت الطامحات معَ الطوامحْ
مُرْداً على جُرْد إلى أُسد مُكالبةٍ كوالحْ (٢)
ويُلاق قِرْنٌ قرنَه مَشْيَ المُصَافح للمصافِحْ
بزُهَاء ألفٍ ثم أا ف بيْن ذى بُدْن ورامحْ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس ، الذى حمله كثرةُ جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين .

واستوحش بمكة من أبى جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله ، فَخْر البشر ومن وجهه أَنْوَر من القمر ، ذى العلْم الأكمل والعقل الأشمل ، ومِنْ صاحبه الصِّديق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسموات .

وكذلك بقية أصحابه الغُرِّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى

(١) التقدمية : المقدمة . يصفهم بالتقدم فى القتال أول الجيش .
(٢) المكالبة : بهم الشرة والحدة . والكوالح : جمع كالح . وهو المتجهم العابس .

دار العلم والإسـلام . رضى الله عن جميعهم ماختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالى والأيام .

وقـد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن اسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشيةالملالة. وفيما أوردنا كفاية . ولله الحمد والمنة .

وقد قال الأموى فى مغازيه : سمعت أبى ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفَا عن شعر الجاهلية .

قال سليمان: فذكر ذلك الزهرىفقال : عفا عنـه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التى يذكر فيها الأخوص .

وهذا حديث غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروك . والله أعلم .

فصل

فى غزوة بنى سُليم فى سنة ثنتين من الهجرة النبوية

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان ، أو فى شوال .

ولما قِدم المدينة لم يُقم بها إلا سبعَ ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينـة سباع بن عُرْفطة الغِفارى ، أو ابن أم مكتوم الأعمى .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماءً من مياههم يقال له الـكَدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدَى فى إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

فصـــل

[فى] غزوة السَّويق فى ذى الحجة منها ، وهى غزوة قَرْقرة الـكَدْر

قال السهيلى : والقرقرة : الأرض الملساء . والـكَدْر : طير فى ألوانها كُدرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثنى محمـد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان ، ومن لاأتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مـكة ورجع فَلُّ قريش من بَدْر ، نذر ألاَّ يمسَّ رأسَه ماء من جَنابة حتى يغزوَ محمـداً .

فخرج فى مائتى راكب من قريش لتبرَّ يمينهُ ، فسلك النَّجْدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نَيْب من المدينة على بَرِيد أو نحوه .

ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فأتى حُيَيَّ بن أَخْطَب فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكم ، وكان سيدَ بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحبَ كنزهم ، فاستأذن عليـه فأذن له فقَرَاه وسقـاه وبطَّن له مِنْ خَبر الناس .

ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه ،فبعث رجالا من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيض فحرقوا فى أَصْوارٍ مِن نخلٍ بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما فقتلوهما،وانصرفوا راجعين .

فَنَذِر بهم الناس ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا لُبَابة بشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلَغ قَرْقرة الـكَدْر ، ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحـابه .

ووجد أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخففون منها وعامَّتها سَويق ، فسمِّيت غزوةَ السويق

قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سَلاَّم بن مِشْكم اليهودى :

وإنى تخيرتُ المدينةَ واحداً ... لِحِلفٍ فلم أندَمْ ولم أتلوَّمِ
سقانى فروَّانى كُمَيْتاً[1] مُدامةً ... على عجَل منىّ سَلاَم[2] بن مِشْكَم
ولما تولَّى الجيشُ قلت ولم أكن ... لأُفْرِحه[3] : أبْشِرْ بعزٍّ ومغنمِ
تأمَّلْ فإنّ القومَ سِرٌّ وإنهم ... صريحُ لؤىٍّ لاشَماطيط[4] جُرْهم
وما كان إلا بعض ليلة راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خَلةَّ مُعْدمِ

فصل

فى دخول على بن أبى طالب رضى الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك فى سنة ثنتين بعد وقعة بدر، لمَا رواه البخارى ومسلم من طريق الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن على ، عن على بن أبى طالب قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغْنَم يوم بدر ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم أعطانى شارفًا مما أفاء الله من الخمس يومئذ ، فلما أردت أبتنى فاطمةَ بنت النبى صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا

(١) الكميت : الخمر التى فيها سواد وحمرة . (٢) خففت اللام لضرورة الشعر .
(٣) لأفرحه : لأثقل عليه .
(٤) الشماطيط : القوم المتفرقة .

صَوَّاغا من بنى قَيْنقاع أن يرتحل معى فنأتى بإذخر ، فأردت أن أبيعه من الصَّوَّاغين فأستعين به فى وليمة عُرْسى ، فبَينا أنا أجمع لشارفىّ من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفاى مُنَاختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفىَّ قد أُجِبَّت أَسْنمتهما و بُقرت خواصرهما وأُخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينى حين رأت المنظر ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبدالمطلب ، وهو فى هذا البيت وهو فى شِرب من الأنصار وعنده قينته وأصحابه ، فقالت فى غنائها :

* ألا يا حَمْز للشُّرُف النّواءِ *

فوثب حمزةُ إلى السيف فأجبَّ أسنمتَهما و بقَر خَواصرهما وأخذ من أكبادهما .

قال على : فانطلقت حتى أدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم الذى لقيتُ ،فقال : مالك ؟ فقلت : يارسول الله مارأيت كاليوم ! عدَا حمزة على ناقتىَّ فأجَبَّ أسنمتَهما وبَقَر خواصرهما ، وها هو ذا فى البيت معه شِرْب .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشى واتبعتهُ أنا وزيد بن حارثة ، حتى جاء البيتَ الذى فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثملٌ محمرَّة عيناه ، فنظر حمزة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم ، صعَّد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم إلا عبيدٌ لأبى !

فعرف النبى صلى الله عليه وسلم أنه ثَمِلٌ ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه .

هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى ، وقد رواه فى أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة .

وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خُمِّسَت ، لا كما زعمه أبو عُبَيد القاسم بن سلام فى كتاب « الأموال » من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها ، وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير ، وبيَّنَّا غلطه فى ذلك فى التفسير وفيما تقدم والله أعلم .

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرَّم الخمر ، بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى ، وذلك قبل تحريم الخمر . والله أعلم .

وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبارة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا فى طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرر فى كتاب الأحكام .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عليًّا يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت : ما لى من شىء ، ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شىء ؟ » قلت : لا قال : « فأين درعك الحُطَميَّة[1] التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال : هى عندى . قال فأعطنيها . قال : فأعطيتها إياه .

هكذا رواه أحمد فى مسنده ، وفيه رجل مُبْهَم .

وقد قال أبو داود : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقَانى ، حدثنا عَبْدة ، حدثنا سعيد ، عن أيوب ،عن عكرمة ،عن ابن عباس، قال : لما تزوج علىٌّ فاطمةَ رضى الله عنهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطها شيئا . قال : ما عندى شىء . قال : أين درعك الحطمية ؟

ورواه النسائى، عن هارون بن إسحاق، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبى عروبة عن أيوب السَّخْتِيانى به .

---

(١) منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع .

وقال أبو داود : حدثنا كثير بن عبيد الحِمْصيّ ، حدثنا أبو حَيْوة ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غَيْلان بن أنس ، من أهل حمص ، حدثني محمد بن عبدالرحمن بن ثَوْبان عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئا ، فقال : يارسول الله ليس لي شيء . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أعطها درعك » فأعطاها درعه ثم دخل بها .

وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثني عبدالله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن علي ، قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خُطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قالت : فقد خُطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك . فقلت : وعندي شيء أتزوج به ! فقالت : إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوَّجك .

قال : فوالله ما زالت ترجِّيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أنْ قعدت بين يديه أُفْحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماجاء بك ؟ ألك حاجة ؟ » فسكتُّ فقال : « لعلك جئت تخطب فاطمة؟ » ، فقلت : نعم . فقال: « وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ » فقلت : لا والله يارسول الله . فقال « مافعلتْ درعٌ سَلَّحْتُكها ؟ » .

فوالذي نفس عليٍّ بيده إنها لحطمية ماقيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوَّجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها » . فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فولدت فاطمة لعليٍّ حسَنا وحسينا ومحسنا ـ مات صغيراً ـ وأم كلثوم وزينب .

ثم روى البيهقى من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه عن على قال : جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فى خَميل وقربة ووسادة أَدَم حشوها إذْخَر .

ونقل البيهقى عن كتاب المعرفة لأبى عبد الله بن منده ، أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها فى أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه فى أواخر السنة الثانية . والله أعلم .

فصل

فى ذكر جُمل من الحوادث فى سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ماذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وذكرنا ماسلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين .

فكان ممن توفى فيها : الشهداء يوم بدر ، وهم أربعة عشر مابين مهاجرى وأنصارى ، تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العُزَّى بن عبد المطلب، لعنه الله . كما تقدم .

ولماجاءت البشارةإلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة بما أحلَّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقيةَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفيت وساووا عليها التراب .

وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك. ولهذا ضرب له بسهمه فى مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة .

ثم زوَّجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين . ويقال : إنه لم يُغلِق أحدٌ على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه .

وفيها حُولت القبلة كما تقدم ، وزِيدَ فى صلاة الحضَر ، على ماسلف .

وفيها فرض الصيام، صيام رمضان، كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النُّصب وفرضت زكاة الفطر .

وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانَعوا المسلمين، وأظهر الإسلامَ طائفةٌ كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن منافقون ، منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحلَّ بالكلية فبقى مُذَبْذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير : وفيها كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المَعاقِلَ(١) وكانت معلَّقة بسيفه .

قال ابن جرير : وقيل إن الحسن بن على ولد فيها .

قال : وأما الواقدى فإنه زعم أن ابن أبى سَبْرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر ، أن على بن أبى طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها .

قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل . ؟

وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من السيرة النبوية لابن كثير
ويليه الجزء الثالث ، وأوله سنة ثلاث من الهجرة

---

(١) كتب الرسول بين قريش والأنصار كتابا فيه : أنهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى ، أى يكونون على ما كانوا عليه فى الديات .

فهرس الموضوعات

فهرس القوافى

قافية الهمزة

(ر)

(س)

(ض)

(ع)

« تصويبات »

الصفحة	السطر	الصواب
٤١	٨	يَتَّخِذَ
٦٥	هامش	ولهم يقال
٩٧	١٨	البيهقى
١٠٣	٢٠	فقالوا
١٩٢	١	ثم إن
٢٠٩	٣	وَقْش
٢٤١	هامش	يحرك جناحيه ورجليه فويق الأرض
٤١٧	٦	مناشدتُك
٤٤٣	٦	أعمَدُ
٥٢٧	٦	عداوةً

« استدراكات »

١ ـ فى ص٣ س١٢ قال المؤلف : « وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبى » ولكنه لم يتقدم ذلك . ولعله وهم وتابع السهيلى حيث أشار فى الروض ١ / ٢٣٨ إلى تقدم ذلك أيضا .

٢ ـ فى ص ٢٢١ س١٣ « الوليد بن المغيرة » كذا بالأصل . والصواب : الوليد بن الوليد بن المغيرة . كما فى ابن هشام .

٣ ـ فى ص٤٤٢ س ٥ الصواب : بَيْن أضْلَع منهما . هكذا الرواية فى الصحيحين . ومعنى أضلع : أقوى وأشدّ . وقد فسرتُها فى الهامش بناء على تحريف الأصل : أظلع : أضعف . وهذه آفة التعويل على النُّسخ .

٤ ـ فى ص٥٢٢ س١٠ « قضية زينب » كذا بالأصل ولعلها قصة .

« من تصويبات الجزء الأول »

١ ـ فى صفحات ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ الصواب : وتَطْلابها ، وتَخْبارها ـ وتَجْساسها وتَنْفازها . بفتح أوائل الكلمات .

٢ ـ فى ص ٣٣٥ س ١٥ الصواب : واحتجَنَّاه . ويحذف الهامش ، وكان نتيجة خطأ فى القراءة .

٣ ـ ص ٣٤١ س ٥ الصواب : علىَّ الرجلَ .

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الثالث

١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١
ص.ب ٥٧٦٩
بيروت — لبنان

السِّيرةُ النَّبويَّةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث من الهجرة

فى أولها كانت غزوة نَجْد ويقال لها غزوة ذى أَمَر .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّويق أقام بالمدينـة بقيةَ ذى الحجة أو قريباً منهـا ، ثم غزا نجداً يريد غَطفان ، وهى غزوة ذى أَمَرّ (١) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صَفراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجـع ولم يَلْقَ كيداً .

وقال الواقدى : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن جَمْعاً من غَطفان من بنى ثعلبة ابن مُحَارِب تجمَّعوا بذى أَمَر يريدون حربَه ، فخرج إليهم من المدينـة يوم الخميس لثنتى عشرة خلَتْ من ربيع الأول سنةَ ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوما ، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا .

وهربت منه الأعراب فى رءوس الجبال حتى بلغ ماءً يقال له ذو أَمر فعَسْـكر به ، وأصابهم مطرٌ كثير فابتلَّت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون فى شئونهم .

---

(١) ذو أمر : موضع من ديار غطفان . وقال ابن سعد : بناحية النخيل .

فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غَوْرث بن الحارث أو دُعْثور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله مِن قَتْل محمد .

فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده .

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من يَمْنعك منِّى ؟ قال : لا أحدَ ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أُكثِّر عليك جَمْعاً أبداً .

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه .

فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرتُ إلى رجل طويل فدفع فى صدرى فوقعت لظهرى فعرفت أنه ملَك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أُكثِّر عليه جَمعاً . وجعل يدعو قومَه إلى الإسلام .

قال : ونزل فى ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمَنُوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ هَمَّ قومٌ أن يَبْسُطوا إليكم أيديهم فكَفَّ أيديهم عنكم [1] » الآية .

قال البيهقى : وسيأتى فى غزوة ذات الرِّقاع قصةٌ تشبه هذه ، فلعلهما قصتان .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهى غيرها قطعاً ، لأن ذلك الرجل اسمه غَوْرث ابن الحارث أيضاً لم يُسْلِم بل استمرَّ على دينه ، ولم يكن عاهد النبىَّ صلى الله عليه وسلم ألّا يقاتله . والله أعلم .

غزوة الفُرُع من بُحران

قال ابن إسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو إلا قليلا منه ثم غدا [2] .

---

(١) سورة المائدة ١١ . (٢) ابن هشام : ثم غزا .

يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحْران (١) ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع (٢) .

وقال الواقدى : إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم .

خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدى أنهـا كانت فى يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة . فالله أعلم .

وهم المرادون بقوله تعالى : « كَمثل الذين مِنْ قَبْلهم قريباً ذاقوا وبَالَ أَمْرِهم ولهم عذابٌ أليم » (٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك مِن غَزْو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قينقاع .

قال : وكان مِنْ حديثهم أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم جَمعهم فى سُوقهم ثم قال : يامعشر يهود احذروا من الله مثلَ مانزَل بقريش من النِّقمة وأَسْلِمُوا ، فإنـكم قد عرفتم أنى نبىّ مرسَل تجدون ذلك فى كتابكم وعَهْد الله إليكم .

فقالوا : يامحمد إنك ترى أنّا قومُك ؟ ! لا يغرّنك أنك لقيتَ قوماً لا عِلْمَ لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصةً ، أمَا والله لئن حاربناك لَتعلمنَّ أنا نحْن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولًى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جُبير ، وعن عِكرمة، عن ابن عباس قال : مانزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قُلْ للذين كَفروا سَتُغْلبون وتُحْشَرون إلى جهنم وبِئْس المِهَاد . قد كان لـكم آيةٌ فى فئتين التقتا » يعنى أصحابَ بدر

(١) بحران : بضم الباء وفتحها وهى أول قرية مارت اسماعيل وأمه التمر بمكة .
(٢) الفرع : بضم الفاء والراء وفى المواهب بفتحهما . (٣) سورة الحشر ١٥ .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش : « فئةٌ تقاتِل فى سبيل الله وأُخرى كافرةٌ يَروْنَهم مثلَيْهم رأىَ العينِ والله يؤيِّد بنصره مَن يشاء ، إنّ فى ذلك لَعِبرةً لأولى الأبصار [١] » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة أن بنى قَيْنقاع كانوا أولَ يهود نقضوا العهدَ وحاربوا فيما بَيْن بدر وأُحد .

قال ابن هشام : فذكر عبد الله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبى عَون ، قال : كان [من [٢]] أمر بنى قينقاع أنّ امرأةً من العرب قدمت بجَلَب لها فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ هنالك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبَتْ ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سَوْأتها فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ، فشدّت اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فأغضب [٣] المسلمون ، فوقع الشرّ بينهم وبين بنى قينقاع .

* * *

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة قال : فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حُكْمه .

فقام إليه عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول حين أمْكنَه الله منهم فقال : يامحمد أحسِنْ فى موالىَّ . وكانوا حلفاء الخزرج . قال : فأبطأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد أحسِنْ فى موالىّ فأعرضَ عنه . قال: فأدخل يدَه فى جيب دِرْع النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها ذات الفُضول . فقال له رسول الله صلى الله

(١) سورة آل عمران ١٣ . (٢) من ابن هشام . (٣) ابن هشام : فغضب .

عليه وسلم : أرسلنى . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً ثم قال : ويحك أرسِلْنى .

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالىَّ ، أربعمائة حاسر وثلثمائة دارِع قد منعونى من الأحمر والأسود ، تَحْصُدهم فى غداة واحدة ! إنى والله امرؤ أخشى الدوائر .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هُمْ لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى محاصرته إياهم أبا لُبَابة بَشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى ، عن عبادة بن الوليد ، عن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تشبَّثَ بأمرهم عبدُ الله بن أبىّ وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من بنى عوف له من حلفهم مثلُ الذى لهم من عبد الله بن أُبَىٍّ ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرَّأ إلى الله وإلى رسوله من حِلْفهم ، وقال : يارسول الله أتوَلَّى اللهَ ورسولَه والمؤمنين وأبْرَأ مِن حِلْف هؤلاء الكفار وولايتهم .

قال : وفيه وفى عبد الله بن أُبَىٍّ نزلت الآيات من المائدة : « يا أيها الذين آمَنُوا لا تَتَّخذوا اليهودَ والنصارى أولياء بعضُهم أولياء بعض » الآيات حتى قوله : « فَتَرى الذين فى قلوبهم مَرضٌ يسارعون فيهم ، يقولون نَخْشَى أنْ تصيبنا دائرةٌ » يعنى عبد الله ابن أبىّ إلى قوله « ومن يَتَولَّ الله ورسوله والذين آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ الله هم الغالبون » يعنى عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير .

سرية زيد بن حارثة

إلى عِير قريش[١] صحبة أبى سفيان أيضاً ، وقيل صحبة صفوان

قال يونس بن[٢] بُكَير ، عن ابن إسحاق : ـ وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقَهم التى كانو يَسْلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلَكوا طريقَ العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة ، وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فُرَات بن حَيَّان ، يعنى العِجْلى حليف بنى سَهْم ، ليدلهم على تلك الطريق .

قال ابن إسحاق : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة ، فلقيهم على ماء يقال له القَرْدة[٣] ، فأصاب تلك العيرَ وما فيها وأعْجَزه الرجالُ ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

دَعُوا فَلَجَاتِ الشام قد حالَ دونها ... جِلَادٌ كأفواه المخاض الأوَارِكِ[٤]
بأيدى رجالٍ هاجروا نَحْوَ ربِّهم ... وأنصارِه حقًّا وأيدى المَلَائكِ
إذا سلكَتْ للغوْرِ من بَطْن عالجٍ ... فقولا لها ليس الطريقُ هنالكِ[٥]

قال ابن هشام : وهذه القصيدة فى أبيات لحسَّان ، وقد أجابه فيها أبو سفيان ابن الحارث .

وقال الواقدى : كان خروج زيد بن حارثة فى هذه السَّرِيَّة مُسْتَهلَّ جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العِير صَفوان بن أمية .

---

(١) ابن هشام : إلى القردة . (٢) الأصل: عن بكير. وهو تحريف. (٣) القردة : ماء من مياه نجد.
(٤) الفلجات جمع فلجة ، وهى النهر الصغير . وقال السهيلى : الفلجات جمع فلج وهو العين الجارية .
و : والمخاض : واحدتها خلفة من غير لفظها . وهى الحامل ، وقد قيل فى الواحد : ماخض . والأوارك : ...ت الأراك واشتكت من أكله . (٥) الغور : ما انخفض من الأرض . وعالج : موضع كثير الرمل .

وكان سبب بعثه زيدَ بن حارثة أن نُعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دِين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحُقَيق فى بنى النَّضير ومعهم سليط بن النعمان مِنْ أَسْلم ، فشربوا ، وكان ذلك قبل أن تحرَّم الخمر ، فتحدث بقضية العير نعيمُ بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال ، فخرج سليط من ساعته فأَعْلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث من وقته زيدَ بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموالَ وأعْجَزهم الرجال ، وإنما أَسَرُوا رجلاً أو رجلين ، وقدِموا بالعِير فخمَّسَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبلغ خُمسها عشرين ألفاً ، وقسَّم أربعة أخماسها على السرية . وكان فيمن أُسر الدليلُ فُرَات بن حَيَّان ، فأسلم . رضى الله عنه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدىّ أن فى ربيع من هذه السنة تزوج عثمانُ بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُدخلت عليه فى جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهودى

وكان من بنى طَىْء ، ثم أحد بنى نَبْهان ولكن أمه من بنى النضير .

هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جَلاء بنى النضير ، وذكره البخارى والبيهقى بعد قصة بنى النَّضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق ، لما سيأتى ، فإن بنى النضير إنما كان أمْرُها بعد وقعة أُحُد ، وفى محاصرتهم حُرِّمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله .

قال البخارى فى صحيحه : « قَتْلُ كعب بن الأشرف » حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سُفْيان ، قال عمرو : سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لِكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله . فقام محمد بن مَسْلمة فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فَأْذن لى أنْ أقول شيئاً . قال : قل .

فأتاه محمد بن مَسْلَمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً وإنه قد عَنَّانا[١] وإنى قد أتيتك أستَسْلفك . قال : وأيضاً والله لتملُّنّه .

قال : إنّا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن نَدَعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تُسْلفنا[٢] .

قال : نعم أرْهِنونى . قلت : أىّ شىء تريد ؟ قال : أرهنونى نساءكم .

فقالوا : كيف نُرْهِنك نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نُرْهنك أبناءنا فيُسَبَّ أحدهم فيقال : رُهن بوَسَق أو وسقين ! هذا عارٌ علينا ، ولكن نُرْهنك اللأمة . قال سفيان : يعنى السلاح[٣] .

فواعده أن يأتيه ليلا ، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة[٤] وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصْن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو[٥] : قالت : أسمع صوتاً كأنه يقْطُر منه الدمُ . قال : إنما هو أخى محمد بن مَسْلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دُعى إلى طَعْنة بليلٍ لأجاب !

قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، فقال : إذا ما جاء فإنى مائل[٦] بشَعْره فأَشَمّه ، فإذا رأيتمونى استمكنتُ من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال : مرةً ، ثم أُشِمّكم[٧] .

فنزل إليهم متوشّحاً وهو يَنفَح منه ريح الطيب فقال[٨] : مارأيت كاليوم ريحاً . أى أطيَب . وقال غير عمرو : قال[٩] : عندى أعطَر نساء العرب وأجمل العرب .

---

(١) عنانا : أتعبنا . (٢) زاد فى بعض روايات البخارى : وسقاً أو وسقين .
(٣) اللأمة فى اللغة : الدرع . وإطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم الكل على البعض . وقصدوا من ذلك ألا ينكر عليهم السلاح حين يأتونه به . (٤) هو سلكان بن سلامة .
(٥) غير عمرو : أى رواية أخرى غير رواية عمرو بن دينار . (٦) وتروى : قائل بشعره . أى آخذ .
(٧) أشمكم : أمكنكم من الشم . (٨) أى محمد بن مسلمة . (٩) أى كعب .

قال عمرو : فقال : أتأذن لى أن أشَمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمَّه ثم أشَمَّ أصحابَه ، ثم قال: أتأذن لى ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم .فقتلوه . ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طىء ثم أحد بنى نَبهان وأمه من بنى النضير ، أنه لما بلغه الخبرُ عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة ، قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقَّن عدو الله الخبرَ خرج إلى مكة ، فنزل على المطَّلب بن أبى وَدَاعة بن ضُبَيرة السَّهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته،وجعل يحرِّض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُنشد الأشعار ويَنْدب مَن قُتل من المشركين يوم بدر .

فذكر ابن إسحاق قصيدته التى أولها :

طَحَنت رحَى بدرٍ لِمَهْلك أهلِه ولمثْل بدرٍ تَسْتهلّ وتَدْمعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره .

ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبِّب بنساء المسلمين ويهجو النبىَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بنى النضير أو فيهم ، قد آذىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة :أناشدك أدِينُنا أحبُّ إلى الله أم دينُ محمد وأصحابه ؟ وأينا أهْدَى فى رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نُطعم الجَزور الكَوْماء ونَسْقى اللبن على الماء ونطعم ماهبَّت الشمال .

فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدَى منهم سبيلا !

قال فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نَصيباً من الكتاب يُؤمنون بالجبْتِ والطاغوتِ ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهْدَى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لَعنهم الله ومَنْ يَلْعن اللهُ فلن تجدَ له نصيرا » وما بعدها .

قال موسى ومحمد بن إسحاق : وقدم المدينةَ يُعْلن بالعداوة ويحرِّض الناسَ على الحرب ، ولم يَخْرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يشبِّب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبد الله بن المغيث ابن أبي بُرْدة : مَنْ لابنِ الأشرف ؟

فقال له محمد بن مَسْلمة أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله . قال : فافعل إن قدرتَ على ذلك .

قال : فرجع محمد بن مَسْلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسَه ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفِي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجَهْد .

قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا أن نقول . قال : فقولوا ما بَدَا لكم فأنتم فى حلٍ من ذلك .

قال : فاجتمع فى قتله محمد بن مَسْلمة وسَلْكان بن سلاَمة بن وَقْش ، وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبّاد بن بشر بن

وَقْش أحد بنى عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ أحـد بنى عبد الأشهل وأبو عبس بن جبر أخو بنى حارثة .

قال : فقدَّموا بين أيديهم إلى عدو الله كعبٍ سلـكانَ بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذِكْرها لك فا كتم عنى . قال : أفعل .

قال : كان قدوم هـذا الرجل علينا بلاء ، عادَتْنا العرب ورمَتْنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل ، حتى ضاع العيال وجَهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجَهد عيالنا .

فقال كعب : أنا ابن الأشرف ! أمَا والله لقد كنت أخبرك يابن سلاَمة أن الأمر يصير إلى ما أقول .

فقال له سلـكان : إنى قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونُرْهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك .

قال : ترْهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تفضحنا ، إن معى أصحاباً لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونُرهنك من الحلقة ما فيه وفاء .

وأراد سلـكان ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بهـا . فقال : إن فى الحلقة لَوفاء . قال : فرجع سلـكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرْقَد ثم وجَّههم وقال : « انطلقوا على

اسم الله ، اللهم أعِنْهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو فى ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه .

فهتف به أبو نائلة وكان حديثَ عهدٍ بعُرْس ، فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة لو وجدنى نائمًا ما أيقظنى . فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشرَّ . قال : يقول لها كعب : لو دُعِى الفتى لطعنةٍ أجاب !

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تماشى إلى شِعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا فمشوا ساعةً .

ثم إنّ أبا نائلة شام يده فى فَوْدِ رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيتُ كالليلة طيبًا أعطر قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفَوْدَى رأسه ثم قال : اضربوا عدوَّ الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئًا .

قال محمد بن مَسْلمة : فذكرت مِغْوَلاً[1] فى سيفى فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلّا أُوقدت عليه نار ، قال : فوضعته فى ثُنّتِه[2] ثم تحاملتُ عليه حتى بلغت عانتَه[3] ، فوقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح فى رجله أو فى رأسه أصابه بعضُ سيوفنا .

قال : فخرجنا حتى سلكْنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعاث ، حتى أسندنا فى حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه ، فجئنا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى ، فسلَّمْنا عليه ، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدوّ الله وتفل رسول الله صلى

(١) المغول : نصل طويل . (٢) الثنة : مابين السرة والعانة . (٣) الاكتفا : غايته .

الله عليه وسلم على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدى أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

فغُودِرَ منهمُ كعبٌ صريعاً ... فذلّت بعدَ مَصْرعه النضيرُ
على الكفّين ثَمَّ وقد علَتْه ... بأيدينا مُشَهَّرة ذكورُ
بأمرِ محمد إذ دَسَّ ليلاً ... إلى كعبٍ أخا كعب يسيرُ
فماكرَه فأنزله بمكرٍ ... ومحمود أخو ثقة جَسورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ستأتى .

قلت : كان قتلُ كعب بن الأشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقَيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعرَ حسان بن ثابت :

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيتَهم ... يا ابن الُحقيق وأنت يا ابن الأشرفِ
يَسْرون بالبيضِ الخِفافِ إليكم ... مرحاً كأُسدٍ فى عرينٍ مُغْرِفِ
حتى أتوْكم فى محلّ بلادكم ... فسقَوكُمُ حَتْفاً ببيضٍ ذُفَّفِ
مُسْتبصرين لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مستصغرين لكلِّ أمرٍ مُجْحفِ

قال محمد بن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَن ظَفرتم به من رجالِ يهود فاقتلوه » .

فوثب عند ذلك مُحيصةُ بن مسعود الأوسى على ابن سُنَيْنة ، رجل من تجار يهود

كان يلابسهم ويبايعهم ، فقتله ، وكان أخوه حُوَيِّصة بن مسعود أسنَّ منه ولم يُسْلِم بعدُ ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أىْ عدوَّ الله أقتلته ؟ ! أما والله لَرُبَّ شَحْمٍ فى بطنك مِنْ ماله !

قال مُحَيصةُ : فقلت والله لقد أمرنى بقتله مَنْ لو أمَرنى بقتالك لضربتُ عنقك !

قال : فو الله إنْ كان لأولَ إسلامِ حُوَيصة وقال : والله لو أمرك محمد بقتلى لتقتلنّى؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها !

قال : فو الله إن دِيناً بلغ بك هذا لَعجبٌ ! فأسلم حُويصة .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا الحديث مولًى لبنى حارثة عن ابنة مُحَيْصة ، عن أبيها .

وقال فى ذلك مُحيصة :

يلوم ابنُ أمٍّ[(١)] لو أُمرتُ بقتْـله ... لَطَبَّقْتُ ذِفْراه بأبيضَ قاربِ[(٢)]

حُسامٌ كلون الملح أُخْلص صَقْلُه ... متى ما أصوِّبْه فليس بـكاذبِ

وما سرَّنى أنى قتلتُك طائعاً ... وأنَّ لنا ما بَيْن بُصْرَى ومَأْرِبِ

وحكى ابن هشام ، عن أبى عبيدة ، عن أبى عمرو المدَنى ، أن هذه القصة كانت بعد مَقْتل بنى قريظة ، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلما قتله مُحيصة عن أَمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بنى قريظة قال له أخوه حُويصة ما قال ، فردَّ عليه مُحيصة بما تقدم ، فأسلَم حويصة يومئذ . فالله أعلم .

تنبيه : ذكر البيهقى والبخارى قبله خبَر بنى النضير قبلَ وقعة أُحد ، والصواب إيرادها بعدَ ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازى .

وبرهانه : أن الخمر حُرِّمت ليالىَ حصارِ بنى النضير ، وثبت فى الصحيح أنه اصطبح

---

(١) ابن هشام : ابن أمى. (٢) الذفرى: عظم ناتئ خلف الأذن وفى ابن هشام: قاضب . وهو القاطع.

الخمرَ جماعةٌ ممن قُتل يومَ أحد شهيداً ، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإنما حرمت بعد ذلك ، فتبيَّن ما قلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

تنبيه آخر : خبرُ يهود بنى قَيْنُقَاع بعد وقعة بدر . كما تقدم . وكذلك قَتْلُ كعب ابن الأشرف اليهودى على يدى الأوس .

وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى . وكذلك مَقْتل أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج .

وخبرُ يهود بنى قريظة بعد يوم الأحزاب وقصةِ الخندق . كما سيأتى .

غزوة أُحُد فى شوال سنة ثلاث

« فائدة » ذكرها المؤلف فى تسمية أحُد . قال : سُمِّى أُحدٌ أحداً لتوَحُّده من بين تلك الجبال .

وفى الصحيح : « أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه » قيل : معناه أهـله . وقيل : لأنه كان يبشّره بقُرْب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المحبُّ . وقيل : على ظاهره كقوله : « وإنَّ منها لَمَا يَهْبط مِنْ خشيةِ الله ».

وفى الحديث عن أبى عبس بن جبر : « أُحدٌ يحبُّنا ونحبه ، وهو على باب الجنة ، وعَيْرٌ يبغضنا ونبغضه . وهو على باب من أبواب النار » .

قال السهيلى مقوِّيا لهـذا الحديث : وقد ثبت أنه عليه السلام قال : « المرء مع مَن أحبَّ » .

وهذا من غريب صُنع السهيلى . فإن هذا الحديث إنما يراد به الناسُ ، ولا يسمَّى الجبـل امرءاً .

وكانت هـذه الغزوة فى شوال سنة ثلاث . قاله الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال . وقال قتادة : يوم السبت الحادى عشر منه .

قال مالك : وكانت الوقعة فى أول النهار ، وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى : « وإذ غدَوْتَ مِنْ أهلكَ تُبوِّئُ المؤمنينَ مقاعدَ لِلْقتال والله سميعٌ عليم . إذ همَّتْ طائفتان منكم أنْ تَفْشَلا والله وليُّهما ، وعلى الله فَلْيتوكَّل المؤمنون . ولقد نَصَركم الله ببدرٍ وأنتم أذلةٌ فاتقوا الله لعلـكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألَن يَـكْفيَـكم أنْ

يُمدَّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين . بلَى إنْ تَصْبروا وتَتَّقوا ويأتوكم مِن فَوْرِهم هذا يُمْدِدْكم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسَوِّمين » الآيات وما بعدها إلى قوله : « ما كان الله ليذَر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يَميز الخبيثَ من الطيِّب ، وما كان الله ليُطْلعكم على الغيبِ (١) » .

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله فى كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخص الوقعة مما ساقه محمدُ بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رحمه الله .

* * *

وكان من حديث أُحد ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزُّهرى ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، والحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقتُ . قالوا ـ أو من قال منهم ـ :

لمّا أصيب يومَ بدر مِنْ كفار قريش أصحابُ القَليب ورجع فَلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبدُ الله بن أبى ربيعة وعِكْرمة بن أبى جهل وصَفوان ابن أمية ، فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يومَ بدر ، فكلَّموا أبا سفيان ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارةٌ ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتَركم وقَتل خِياركم ، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه لعلنا ندرك منه ثأراً . ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لى بعضُ أهل العلم أنزل الله تعالى : « إنّ الذين

(١) سورة آل عمران ١٢١ ـ ١٧٩

كَفروا يُنفِقون أموالهم ليَصدُّوا عن سبيل الله ، فسيُنفقونها ثم تكون عليهم حَسرةً ثم يُغلَبون والذين كفروا إلى جهنم يُحشَرون[١] » .

قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة .

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجةٍ ، وكان فى الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر فأعِنّا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمداً قد مَنّ علىّ فلا أريد أن أظاهِر عليه . قال : بلى ، فأعنّا بنفسك ، فلك الله إن رجعتَ أن أُغنيك ، وإن قُتلتَ أنْ أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويُسر .

فخرج أبو عَزَّة يسير فى تِهامة ويدعو بنى كنانة ويقول :

أيا[٢] بنى عبدِ مناةِ الرُّزَّام[٣]   أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ
لا يَعْدُونّى نصرُكم بعد العام   لا تُسْلِمونى لا يَحِلُّ إسلامْ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمح إلى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مالِ[٤] مال الحَسَبِ المقدَّم   أَنشُدُ ذا القربى وذا التذمُّمِ
مَن كان ذا رحمٍ ومن لم يَرْحم   الحلْفَ وَسْط البلدِ المحرَّمِ
عند حَطيمِ الكعبةِ المعظَّمِ

قال : ودعا جُبير بن مُطعم غلاماً له حبشياً يقال له وَحْشى يَقْذف بحربة له قذفَ

---

(٢) سورة الأنفال ٣٦ . (٣) ابن هشام : إيهاً . (٤) الرزام : جمع رازم ، وهو الذى يثبت فى الحرب لا يبرح . (٥) يا مال : يريد يا مالك فحذف آخره للترخيم .

الحبشة ، قلّما يُخْطئُ بها ، فقال له: اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمّى طُعَيمة بن عَدى فأنت عتيق .

* * *

قال : فخرجت قريش بحدِّها وحديدها وجَدِّها وأحابيشها ، ومَن تابَعها من بنى كنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن (١) التماسَ الحَفِيظة وألا يفرُّوا .

وخرج أبو سفيان صخر بن حرب ، وهو قائد النـاس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة .

وخرج عكرمة بن أبى جهل بزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة . وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة .

وخرج صفوان بن أمية ببَرْزَة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقَفية ، وخرج عمرو ابن العاص برَيْطة بنت مُنبهٍّ بن الحجاج ، وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو .

وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته .

قال : وكان وَحْشىٌّ كلما مرَّ بهند بنت عتبة أو مرَّت به تقول : ويهاً أبا دَسْمة اشْفِ واشْتَفِ . يعنى تحرضه على قتلِ حمزة بن عبد المطلب .

قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل ببطن السَّبْخة من قناة على شَفِير الوادى مقابلَ المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال لهم : «قد رأيتُ والله خيراً ، رأيت بقراً تُذْبح ، ورأيت فى ذُباب سيفى ثَلماً ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى دِرْع حصِينة . فأوَّلتُها المدينة » .

وهـذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كُرَيب ، عن أبى أسامة ، عن

(١) الظعن : جمع ظعينة وهى المرأة ما دامت فى هودج .

بُرَيْد بن عبد الله بن أبى بُرْدَة ، عن أبى بُرْدَة ، عن أبى موسى الأشعرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وَهْلى (١) إلى أنها اليمامة أو هجَر ، فإذا هى المدينة يثرب . ورأيت فى رؤياى هذه أنى هزَزْت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ماأصيب من المؤمنين يومَ أحد ، ثم هزَزْته أخرى فعاد أحسنَ ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقراً ، واللهُ خَيرٌ (٢) ، فإذا هم النفرُ من المؤمنين يوم أُحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر » .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصَمّ ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى ابن أبى الزِّناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : تعقَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيفَه ذا الفقار يومَ بدر . قال ابن عباس : وهو الذى رأى فيه الرؤيا يومَ أحد .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه المشركون يوم أُحد كان رَأْيه أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها ، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً : نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد . ورجَوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهلَ بدر .

فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله أقِمْ ، فالرأىُ رأيك .

فقال لهم : ما ينبغى لنبىٍّ أن يضع أداته بعدَ ما لبسها حتى يحكم الله بَيْنه وبين عدوّه .

قال : وكان قال لهم يومئذٍ قبل أن يلبس الأداة : إنى رأيت أنى فى دِرْعٍ حصينة ،

---

(١) وهلى : أول ظنى .

(٢) قال القسطلانى : والله خير : رفع مبتدأ أو خبر ، وفيه حذف تقديره : وصنع الله خير .

فأوَّلتُها المدينةَ ، وأنى مُرْدِفٌ كبشاً وأولته كَبْشَ الكتيبة ، ورأيت أنّ سيفى ذا الفقار فُلَّ ، فأولته فَلاًّ فيكم ، ورأيت بَقَراً يُذْبح ، فَبَقْرٌ[1] ، واللهُ خيرٌ .

رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن أبيه به .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أنس مرفوعاً قال : رأيت فيما يرى النائم كأنى مردفٌ كبشاً ، وكأن ضبّة سيفى انكسرت ، فأوَّلت أنى أقتُل كبشَ القوم ، وأولت كَسْر ضبة سيفى قَتْلَ رجل من عِتْرتى .

فقُتل حمزة ، وقَتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طلحةَ ، وكان صاحب اللواء .

* * *

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريش فاستَجْلبوا مَن أطاعهم من مشركى العرب ، وسار أبو سفيان بن حرب فى جمع قريش ، وذلك فى شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر ، حتى نزلوا ببطن الوادى الذى قِبْلِيَّ أُحد ، وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً قد ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتمنَّوا لقاءَ العدو لِيُبْلوا ما أَبْلَى إخوانهم يومَ بدر .

فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أُحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدو عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيتنا .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح ، فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم : « رأيت البارحة فى منامى بَقَراً تُذْبح ،والله خير ، ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند ضَبّته ، أو قال : به فلول ، فكرهته ، وهما مصيبتان، ورأيت أنى فى درع حصينة وأنى مُرْدفٌ كَبْشا » .

فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا

---

(١) يريد بالبقر هنا : مصدر بقره يبقره بقرا ، أى شق بطنه .

أوّلت رؤياك ؟ قال : « أوَّلْتُ البقَر الذى رأيتُ بَقْراً فينـا وفى القوم ، وكرهتُ ما رأيت بسيفى » .

ويقول رجال : كان الذى رأى بسيفه : الذى أصاب وجهه ، فإن العدو أصاب وجهه يومئـذ ، وقصموا رُباعيته وخرقوا شَفته ، يزعمون أن الذى رماه عُتبـة بن أبى وقاص ، وكان البَقْر مَن قُتل من المسلمين يومئذ .

وقال : أوّلت الـكبش أنه كبشُ كتيبة العـدو يقتله الله ، وأولت الدرعَ الحصينة المدينة ، فامـكثوا واجعلوا الذرارى فى الآطام ، فإنْ دخل علينا القومُ فى الأزقّة قاتلناهم ورُموا مِن فوق البيوت . وكانوا قد سكّوا أزقةَ المدينة بالبنيان حتى [صارت] كالحصن .

فقال الذين لم يشهـدوا بدراً : كنا نتمنى هـذا اليوم وندعو الله ، فقـد ساقه الله إلينا وقرّب المسيرَ .

وقال رجل من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعْبنا ؟ وقال رجال : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحربَ برَوْع ؟

وقال رجالٌ قولاً صدّقوا به ومضَوا عليه ، منهم حمزةُ بن عبد المطلب ، قال : والذى أنْزل عليك الـكتابَ لنجَادلنهم .

وقال نُعيم بن مالك بن ثعلبة ، وهو أحـد بنى سالم : يا نبى الله لا تحرمنا الجنـةَ ، فوالذى نفسى بيده لأدْخلنها .

فقال له رسول الله صلى الله عليـه وسلم : بم ؟ قال : بأنى أُحب الله ورسوله ولا أفرُّ يوم الزحف . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت . واستشهد يومئذ .

وأبَى كثيرٌ من النـاس إلا الخروجَ إلى العـدو ، ولم يتنـاهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليـه وسلم ورأيه ، ولو رضوا بالذى أمَرهم كان ذلك ، ولـكن غلَب القضاء والقدَر .

وعامةُ مَنْ أشار عليه بالخروج رجالٌ لم يشهدوا بدرا ، قد علموا الذى سبقَ لأصحاب بدر من الفضيلة .

فلما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكَّرهم ، وأمرهم بالجِدِّ والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بَلأْمته فلبسها ، ثم أذَّن فى الناس بالخروج .

فلما رأى ذلك رجال من ذوى الرأى قالوا : أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحىُ من السماء .

فقالوا : يارسول الله امكث كما أمرتنا . فقال : ماينبغى لنبىٍّ إذا أخذ لأْمَة الحرب وأذَّن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبَيْتم إلا الخروجَ ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل ، والمشركون ثلاثة آلاف ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بأحد .

ورجع عنه عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلُول فى ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة .

قال البيهقى : هذا هو المشهور عند أهل المغازى ، أنهم بقوا فى سبعمائة مقاتل . قال : والمشهور عن الزهرى أنهم بقوا فى أربعمائة مقاتل . كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة . فالله أعلم .

قال موسى بن عُقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مائة

فرس ، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة . ثم ذكر الواقعة كما سيأتى تفصيلها إن شاء الله تعالى .

***

وقال محمد بن إسحاق: لما قصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على أصحابه قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتَدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مُقَام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأى عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألا يخرج إليهم .

فقال رجال من المسلمين ، ممن أَكرم الله بالشهادة يوم أُحد ، وغيرهم ممن كان فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبُنّا عنهم وضَعُفنا .

فقال عبد الله بن أبىّ : يا رسول الله لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منّا ، ولا دَخلها علينا إلا أصبنا منه .

فلم يزل الناسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لَأْمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك ابن عمرو ، فصلَّى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكرَهْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأُحُد انخزَل عنه عبدُ الله بن

أُبىّ بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علامَ نقتــل أنفسنا هاهنا أيها النـاس .

فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السُّلمى والد جابر بن عبـد الله ، فقال : يا قوم أذكّركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيَّكم عندما حَضر مِنْ عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولـكنا لا نرى أن يكون قتال .

فلما استعصوا عليه وأبَوا إلا الانصراف قال : أبْعدَكم الله أعداءَ الله ، فسيُغْنى الله عنــكم نبيَّه صلى الله عليه وسلم .

***

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : « ولِيَعْلم الذين نافَقوا وقيل لهم تعالَوا قاتِلوا فى سبيلِ الله أو ادفَعوا . قالوا : لو نَعْلم قتالاً لا تَّبعناكم ، هم لِلْـكفر يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلمُ بمـا يـكتمون [١] » .

يعنى أنهم كاذبون فى قولهم : لو نعلم قتالا لا تبعناكم . وذلك لأن وقوعَ القتال أمرُه ظاهر بيِّن واضح لاخفاء ولا شكّ فيه .

وهم الذين أنزل الله فيهم : « فمالَـكم فى المنافقين فئتين والله أرْكسَهم بمـا كَسبوا [٢] » الآية . وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبُـيِّن فى الصحيح .

وذكر الزُّهرى أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم فى الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم .

---

(١) سورة آل عمران ١٦٧ .   (٢) سورة النساء ٨٨ .

وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لمـا رجع عبد الله بن أُبىّ وأصحابه همَّتا أن تفشلا ، فثبَّتهما الله تعالى ، ولهذا قال : « إذ همَّت طائفتان منكم أنْ تَفْشلا والله وليُّهما وعلى الله فليتوكَّل المؤمنون » .

قال جابر بن عبد الله : ما أُحبُّ أنها لم تنزل والله يقول : « والله وليُّهما[1] » كما ثبت فى الصحيحين عنه .

* * *

قال ابن اسحاق : ومضى رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى سلك فى حَرَّة بنى حارثة ، فذبَّ فرسٌ بذنبه فأصاب كُلَّابَ[2] سيفٍ فاستلَّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم لصاحب السيف : شِمْ سيفَك . أى أَغْمِـده ، فإنى أرى السيوفَ ستُسَلُّ اليوم .

ثم قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَن رجلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَب ـ أى من قريب ـ من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به فى حَرَّة بنى حارثة وبَيْن أموالهم ، حتى سلك به فى مال لمِرْبَع ابن قَيْظىّ ، وكان رجلا منافقاً ضريرَ البصر ، فلما سمع حسَّ رسول الله ومن معه من المسلمين قام يَحْثى فى وجوههم الترابَ ويقول : إن كنتَ رسول الله فإنى لا أحلُّ لك أن تدخل فى حائطى .

قال ابن إسحاق : وقد ذُكر لى أنه أخذ حفنةً من التراب فى يده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرَك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدَره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وقد

---

(١) أى لما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية .

(٢) الـكلاب : ذؤابة السيف .

بدَر إليه سعدُ بن زيد أخو بنى عبد الأشهل قبـلَ نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب به بالقوس فى رأسه فشجَّه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعْب من أحُد ، فى عُدْوة الوادى وفى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلنَّ أحدٌ حتى آمره بالقتال .

وقد سرَّحت قريشٌ الظَّهْرَ والـكُرَاع(١) فى زُروع كانت بالصَّمغة من قناة كانت للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أتُرْعى زروعُ بنى قَيْلة ولمَّا نُضَارِب ؟ !

وتعبَّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وأمَّرَ على الرماة يومئذٍ عبدَ الله بن جُبَـير أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو معلَّم يومئذٍ بثياب بيض ، والرماةُ خمسون رجلاً ، فقال : انضح الخيلَ عنَّا بالنَّبْل لا يأتونا من خَلْفنا ، إنْ كانت لنا أو علينا فاثبُت مكانك لا نُؤْتَيَن من قِبَلك .

وسيأتى شاهد هذا فى الصحيحين إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وظاهَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بَيْنَ دِرْعين . يعنى لبس درعاً فوق درع ، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عمير أخى بنى عبد الدار .

قلت : وقدردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من الغلمان يومَ أحد ، فلم يمكِّنهم من حضور الحرب لصِغَرهم ، منهم : عبدالله بن عمر ، كما ثبت فى الصحيحين قال : عُرِضتُ على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يُجِزْنى ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى .

وكذلك ردَّ يومئذ أسامةَ بن زيد ، وزيد بن ثابت والبراء بن عازب ، وأُسَيد بن

(١) الظهر : الإبل . والـكراع : الخيل .

ظهير ، وعرابة بن أوس بن قيظى . ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلى ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة . ذكره السهيلى أيضا ، وأجازهم كلهم يومَ الخندق .

وكان قد ردَّ يومئذ سَمُرة بن جُنْدب ورافع بن خَديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل : يا رسول الله إن رافعاً رامٍ فأجازه . فقيل : يا رسول الله فإن سَمُرة يَصْرع رافعاً فأجازه .

قال ابن إسحاق : وتعبَّأت قريشٌ ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنَّبوها ، فجعلوا على مَيْمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام .

* * *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذُ هذا السيف بحقه ؟

فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجَانة سِمَاك بن خَرشَة أخو بنى ساعِدة ، فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟

قال : أن تَضْرب به فى العدوّ حتى يَنْحِنى .

قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وعَفَّان ، قالا حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن النبى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أُحد فقال : من يأخذ هذا السيف ؟ فأخذ قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ،فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القومُ ، فقال أبو دُجَانة سِمَاك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلَق به هامَ المشركين .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر عن عفان به .

قال ابن إسحاق: وكان أبو دُجَانة رجلا شجاعا يختال عندَ الحرب، وكان له عصابةٌ حمراء يُعْلَمَ بها عند الحرب يعتصب بها، فيُعلم أنه سيقاتِل .

قال: فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابتَه تلك فاعتصَب بها، ثم جعل يتبخْتَر بين الصَّفين .

قال: فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بنى سلمَة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانة يتبختر: إنها لمِشْية يَبغْضها الله إلا فى مثل هذا الموطن !

* * *

قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال: يا بنى عبدالدار قد وَلِيتم لواءنا يومَ بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤْتَى الناس من قِبَل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أنْ تَكْفونا لواءنا وإما أن تُخلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه .

فهمُّوا به وتواعدوه وقالوا: نحن نُسْلِم إليك لواءنا ! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع. وذلك الذى أراد أبو سفيان .

قال: فلما التقى الناس ودنا بعضُهم من بعض، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها، وأخذن الدفوفَ يضربن بها خلفَ الرجال ويحرّضن على القتال، فقالت هند فيما تقول:

وَيهاً بَنِى عبدِ الدارِ ويهاً حُماةَ الأدبارِ
ضَرْباً بكلِّ بتَّارِ

وتقول أيضاً:

إنْ تُقبلوا نُعانقْ ونَفْرِش النَّمارقْ
أو تُدْبِروا نُفارق فراقَ غيرِ وامِقْ

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صَيْفى ابن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مُباعِدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الأوس . وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر . وكان يَعِد قريشاً أنْ لو قد لقى قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان .

فلما التقى النــاسُ كان أولَ من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعِبْدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عَيْناً يا فاسق . وكان يسمَّى فى الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق .

فلما سمع ردَّهم عليه قال : لقــد أصاب قومى بعدى شرٌّ ! ثم قاتَلهم قتالاً شديداً ثم أرْضَخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : فأقبل النــاسُ حتى حميت الحربُ ، وقاتل أبو دُجَانة حتى أمْعَن فى النــاس .

قال ابن هشام: وحدثنى غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليــه وسلم السيفَ فمَنعنيه وأعطاه أبا دُجَانة ، وقلت : أنا ابنُ صَفية عمته ومِن قريش ، وقد قمتُ إليه وسألته إياه قَبْله فأعطاه أبا دجانة وتركنى ، والله لأنظرنّ ما يصنع .

فاتبعته ، فأخرج عصابةً له حمراء فعصب بهــا رأسه ، فقالت الأنصار : أخرجَ أبو دجانة عصابةَ الموت : وهكذا كانت تقول له إذا تعصَّب . فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهَدنِى خَليــــلى ونحنُ بالسّفْحِ لدَى النخيلِ
أن لا أقوم الدهرَ فى الــكَيُّولِ أَضربْ بسيف الله والرسولِ

وقال الأموى : حدثنى أبو عبيد فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أن رجلا أتاه وهو يقاتل به ، فقال : لعلك إن أعطيتُك تقاتل فى الــكَيُّول ؟ قال : لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذى عاهَدنى خليــــلِى   أن لا أقوم الدهرَ فى الـكَيُّولِ

وهذا حديث يروى عن شُعْبة ، ورواه إسرائيل كلاهما عن أبى إسحاق ، عن هند بنت خالد أو غيره يرفعه .

الـكيول : يعنى مؤخر الصفوف . سمعته من عدّة من أهل العلم ، ولم أسمع هـذا الحرف إلا فى هذا الحديث .

قال ابن هشام : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان فى المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفَّف عليـه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين فضرب المشركُ أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضَّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيفَ على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقى فى الدلائل من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يخمِّس الناسَ خمساً شـديداً ، فصَمَدْت له ، فلما حملت عليـه السيف وَلْوَل فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأةً .

وذكر موسى بن عُقْبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا عرضه طلبه منه عمرُ فأعرَض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدَا فى أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه الثالثةَ فطلَبه أبو دُجانة فدفعه إليه فأعطى السيفَ حقَّه .

قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت مَثْل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوَزْتُ ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللَّأْمة يَجُوز

المسلمين وهو يقول : استَوْسِقوا كما استوسقَتْ جُزرُ الغَنَم [١] . قال : وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لَأمته ، فمضيت حتى كنت مِن ورائه ، ثم قمت أقدِّر المسلم والكافرَ ببَصرى ، فإذا الكافرُ أفضلهما عُدَّة وهَيْأة . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيَا ، فضرب المسلمُ الكافرَ على حبلِ عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت وركه وتفرّق فرقتين ، ثم كشَف المسلمُ عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دُجَانة !

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قَتَل أَرْطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحدَ النفَر الذين يحملون اللواء .

وكذلك قَتَل عثمانَ بن أبى طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول :

إن على أهـــلِ اللواءِ حَقَّا ... أنْ يُخضبوا الصَّعْدَة أو تَنْدَقَّا

فحمل عليه حمزة فقتله [٢] .

ثم مرّ به سِبَاع بن عبد العُزَّى الغُبْشَانى ، وكان يكنى بأبى نِيَار ، فقال حمزة : هلم إلىّ يابن مُقَطِّعة البظور . وكانت أمه أم أَنْمار مولاة شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقفى ، وكانت ختَّانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزةُ فقتله .

فقال وحشىّ غلام جبير بن مُطْعِم : والله إنى لأنظر لحمزة يهدُّ الناسَ بسيفه مايُليق [٣] شيئاً يمرُّ به ، مثل الجمل الأَوْرق ، إذ قد تقدَّمنى إليه سِبَاع ، فقال حمزة : هلمّ يابن مقطِّعة البظور . فضربه ضربةً فكأنما أخطأ رأسَه ، وهزَزْت حَرْبتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقعت فى ثُنَّتِه [٤] حتى خرجَتْ من بين رجليه ، فأقبلَ

---

(١) استوسقوا : اجتمعوا . والجزر : مايذبح من الشاء واحدتها جزرة .
(٢) ليس فى ابن هشام . (٣) مايليق : مايبقى . (٤) الثنة : بين السرة والعانة .

نحوى فغُلب ، فوقع وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حَرْبتى،ثم تنحيتُ إلى العسكر ولم يكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

***

قالَ ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عَيَّاش بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسَار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرى ، قال : خرجتُ أنا وعُبيد الله ابن عَدى بن الخِيَار ، أحد بنى نوفل بن عبد مناف فى زمان معاوية ، فأَدْرَبْنا مع الناس، فلما مررنا بحِمْص وكان وَحْشيٌّ مولَى جُبير قد سكَنها وأقام بها ، فلما قدِمْناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وحشيًّا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : إنْ شئت .

فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفِناء داره ، وهو رجل قد غلبَتْ عليه الخمرُ ، فإن تجِداه صاحياً تجِدَا رجلا عربيًّا وتجدا عنده بعضَ ماتريدان وتُصيبا عنده ماشئتما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعضُ مابه فانصرِفا عنه ودعَاه .

قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طِنْفِسة له ، وإذا شيخٌ كبير مثل البُغَاث ، وإذا هو صاحٍ لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلَّمنا عليه .

فرفع رأسَه إلى عُبيد الله بن عَدى فقال ابنٌ لعَدِىّ بن الخِيَار أنت ؟ قال : نعم . قال : أمَا والله مارأيتك منذ ناولْتُك أمَّك السَّعدية التى أرضعتك بذى طُوًى ، فإنى ناولتُكها وهى على بعيرها فأخذَتْك بعُرْضَيْك فلمعتْ لى قدماك حتى رفعتُك إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتُهما !

قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدِّثنا عن قَتْل حمزةَ ، كيف قتلتَه ؟

فقال : أمَا إنى سأحدثكما كما حدثتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك .

كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيمة بن عَدى قد أصيب يومَ بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إنْ قتلتَ حمزة عم محمد بعمِّى فأنت عَتيق .

قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحَرْبة قَذْف الحبَشة قلَّ ما أُخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزةَ وأتبصّره ، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأوْرَق يهدُّ الناسَ بسيفه هدًّا مايقوم له شيء ، فوالله إنى لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه سِباَع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال : هلم إلىَّ يا بنَ مقطَّعة البُظور . قال : فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال : وهززت حربتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت فى ثُنَّتِه ، حتى خرجتْ مِن بين رجليه ، وذهب لينوء نحوى فغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذتُ حَرْبتى ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لِأُعْتَق .

فلما قدمتُ مكةَ عتقت ، ثم أقمت ، حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلموا تعيَّت علىَّ المذاهبُ ، فقلت : ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إنى لَفى ذلك مِن هَمِّى إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله لا يَقْتل أحداً من الناس دَخل فى دِينه وشهد شهادةَ الحق .

قال : فلما قال لى ذلك خرجتُ حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرُعْه إلا بى قائماً على رأسه أَشْهد شهادةَ الحق ، فلما رآنى قال لى : أوحشىٌّ أنت ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : اقعد فحدِّثنى كيف قتلتَ حمزة ؟

قال : فحدثته كما حدَّثتكما ، فلما فرغت من حديثى قال : ويحك غَيِّب عنى وجهك فلا أرينَّك !

قال : فكنت أتنكَّبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبضه الله عز وجل .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم وأخذت حَرْبتى التى قَتلتُ بها حمزةَ ، فلما التقى الناسُ رأيتُ مسيلمة قائما وبيده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأتُ له وتهيَّأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهزَزْت حربتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقعت فيه ، وشدَّ عليه الأنصارى بالسيف ، فربُّك أعْلَمَ أيُّنا قتلَه ، فإن كنت قتلتُه فقد قتلتُ خيرَ الناس بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلتُ شرَّ الناس !

قلت : الأنصارى هو أبو دُجَانة سِمَاكِ بن خَرَشة .

وقال الواقدى فى الرِّدَّة : هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى . وقال سيف بن عمرو : هو عدى بن سهل . وهو القائل :

ألم ترَ أنى ووحشيِّهم قتلتُ مسيلمةَ المُفْتَتِنْ
ويسألنى الناسُ عن قَتْله فقلتُ : ضَربتُ وهذا طَعَنْ

والمشهور أن وحشيًّا هو الذى بدَره بالضربة وذَفَّف عليه أبو دُجانة ، لِمَا روى ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسَار ، عن ابن عمر قال : سمعتُ صارخاً يومَ اليمامة يقول : قتله العبدُ الأسود .

* * *

وقد روى البخارى قصةَ مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلَمة

---

(١) بالأصل غير منقوطة . وما أثبته عن الروض الأنف ٢/١٣٢ .

الماجشَوْن ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرى ، قال : خرجت مع عبد الله بن عَدى بن الخِيَار . فذكر القصة كما تقـدم . وذكر أن عبيد الله بن عدى كان مُعْتَجِراً عمامةً لا يرَى منه وحشىٌّ إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ماتقدم .

وهـذه قِيَافةٌ عظيمة ، كما عرف مُجزِّز المُدْلجى أقدامَ زيدٍ وابنِـه أسامة مع اختلاف ألوانهما .

وقال فى سياقته : فلما أنْ صُفَّ الناس للقتال خرج سِبَاع فقال : هل من مُبَارِزٍ ؟ فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال له : ياسِبَاع يابن أمّ أنمار مُقطِّعة البُظور ، أتُحَادُّ الله ورسولَه ؟ ! ثم شَدَّ عليه فـكان كأمسِ الذاهبِ !

قال : وكَمِنْتُ لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رمَيْته بحربتى فأضَعها فى ثُنَّته ، حتى خرجَتْ من بين وركيه ، قال : فـكان ذلك آخرَ العهد به .

إلى أن قال : فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج مسيلمةُ الـكذاب قلت: لأخرج إلى مسيلمة لَعلىِّ أقتله فأكافئ به حمزةَ . قال : فخرجت مع الناس فـكان مِنْ أمره ما كان . قال : فإذا رجل قائم فى ثَلْمة جِدَار كأنه جمل أَوْرَق ثائر الرأس ، قال : فرميتُه بحربتى فأضعها بين ثَدْييه حتى خرجت من [بين] (١) كتفيه ، قال : ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامَته .

قال عبد الله بن الفضل : فأخبرنى سليمان بن يَسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : وأمير المؤمناه(٢) ! قتله العبدُ الأسود .

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشيًّا لم يزل يُحَدُّ فى الخمر حتى خُلع من الديوان ، فـكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلتُ إن الله لم يكن لِيدَع قاتل حمزة !

---

(١) من صحيح البخارى . (٢) البخارى : وأمير المؤمنين .

قلت : وتوفى وحشيُّ بن حرب ، أبو دَسْمة ، ويقال أبو حَرْب ، بحِمْص ، وكان أول من لبس الثياب المَدْلوكة .

* * *

قال ابن إسحاق : وقاتَل مُصْعَبُ بن عُمير دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل . وكان الذى قتله ابن قَمِئة اللَّيثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريشٍ فقال : قتلتُ محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة فى مَغازيه عن سعيد بن المسيَّب أن الذى قتل مُصعباً هو أُبىٌّ بن خلَف . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قُتل مصعب بن عمير أَعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ علىَّ بن أبى طالب .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق : كان اللواء أولاً مع على بن أبى طالب ، فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لواءَ المشركين مع عبد الدار قال : نحن أحقُّ بالوفاء منهم ، أخذ اللواء من على بن أبى طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أَعطى اللواءَ علىَّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وقاتل علىٌّ بن أبى طالب ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلمة بن عَلْقمة المازنىّ ، قال : لمّا اشتدَّ القتالُ يومَ أُحد جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى علىّ : أنْ قدِّم الرايةَ . فقدم على وهو يقول : أنا أبو القَصْم . فناداه أبو سعد بن أبى طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : هل لك يا أبا القصم فى البِراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزَا بين الصَّفين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه علىّ فصرعه ، ثم انصرف ولم يُجْهز عليه .

فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزتَ عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعورته فعطفتْنى عليه الرَّحمُ وعرفتُ أن الله قد قتله .

وقد فعل ذلك علىٌّ رضى الله عنه يوم صِفِّين مع بُسْر بن أبى أَرْطَاة لمَّا حَمل عليه ليقتله أبْدَى له عورتَه فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صِفين أبْدَى عن عورته فرجع علىٌّ أيضاً . ففى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفِى[1] كلِّ يوم ٍفارسٌ غيرُ مُنْتَهٍ وعورتُه وسْطَ العجَاجة بادِيَهْ
يكفُّ لهــــا عنه علىٌّ سِنَانَه ويَضْحك منها فى الخلاء معاويَهْ !

وذكر يونس عن ابن إسحاق ، أن طلحة بن أبى طلحة العَبْدَرى حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحْجَم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جَمله ، ثم اقتحم به الأرضَ فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكلِّ نبىٍّ حواريًّا وحوارىَّ الزبير » وقال : لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لمـا رأيتُ من إحجام الناس عنه .

وقال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعدُ بن أبى وقاص .

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الجلاَّس ، كلاهما يُشْعِره سَهماً فيأتى أمَّه سُلافة فيضع رأسَه فى حجرها ، فتقول : يابنى مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رمَانى يقول : خُذْها وأنا ابنُ أبى الأقْلَح . فنذَرَتْ إنْ أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

وكان عاصم قد عاهد الله لا يمسَّ مُشركا أبداً ولا يمسُّه . ولهذا حَماه الله منه يومَ الرَّجِيع كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلةُ بن أبى عامر ، واسمه عمرو ، ويقال عبد عمرو بن صَيْفى ، وكان يقال لأبى عامر فى الجاهلية الراهب ، لكثرة عبادته ، فسمَّاه رسول الله

(١) الأصل : أتى . وهو تحريف . وما أثبته عن الروض الأنف ٢/١٣٣ .

صلى الله عليه وسلم الفاسقَ ، لمَّا خالف الحقَّ وأهلَه وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخالفةً للرسول عليه السلام . وحنظلة الذى يُعرف بحنظلة الغَسِيل ، لأنه غسلته الملائكة . كما سيأتى . هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حنظلة رآه شَدَّاد بن الأوس ، وهو الذى يقال له ابن شَعوب ، فضربه شدَّاد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنُه ؟ » .

فسُئلت صاحبته . قال الواقدى : هى جميلة بنت أُبىّ بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة .

فقالت : خرج وهو جُنب حين سمع الهاتفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك غسلته الملائكةُ !

وقد ذكر موسى بن عُقبة أن أباه ضَرب برجله فى صدره ، فقال : ذَنْبان أصبتَهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنتَ وصولا للرحم بَرًّا بالوالد .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شَعُوب فى ذلك :

لَأَحْمِيَنَّ صاحبى ونَفْسِى ... بطعنةٍ مثلِ شعاع الشمسِ

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعى يا ابن حربٍ ومَشْهَدِى ... لَأُلْفيتَ يومَ النَّعْفِ (١) غيرَ مُجيبِ
ولولا مَكَرِّى المُهْرَ بالنَّعفِ فَرفَرتْ (٢) ... عليه ضِبَاعٌ (٣) أو ضِراءُ كَليبِ (٤)

وقال أبو سفيان :

ولو شئتُ نجَّتْنى كُمَيْتٌ : طِمِرَّةٌ (٥) ... ولم أَحْمِلِ النَّعماءَ لابنِ شَعُوبِ

(١) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل (٢) فرفرت : أسرعت وطاشت . وفى ابن هشام : قرقرت . بالقاف . (٣) ابن هشام : ضباع عليه (٤) الضراء : الضارية من الكلاب .
(٥) الطمرة : الفرس السريعة الجرى .

وما زالَ مُهْرى مَزْجَرَ الكَلْبِ منهمُ لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى دنَتْ لِغروبِ
أُقاتلهم وأدّعى يالَغالبٍ وأَدْفعهم عنىَّ بركنٍ صليبِ
فبكِّى ولا تَرْعَىْ مقالةَ عاذلٍ ولا تَسْأمى مِنْ عَبْرةٍ ونَحيبِ
أباكِ وإخواناً له قد تتابعوا وحَقَّ لهم مِنْ عبرةٍ بنصيبِ
وسَلَّى الذى قد كان فى النفسِ أننى قتلتُ من النَّجارِ كلَّ نَجيبِ
ومِنْ هاشم قَرْماً[1] كريماً ومُصْعَباً وكان لدَى الهَيْجاءِ غيرَ هَيُوبِ
فلو أننى لم أَشْفِ نفسىَ منهمُ لكانت شجًى فى القلبِ ذات نُدوبِ
فآبُوا وقد أَوْدَى الجلابيبُ منهم بهم خَدَبٌ مِنْ مُعْبطٍ وكئيبِ[2]
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم كِفاءً ولا فى خُطةٍ بضَريبِ

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكَرتَ القرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ولستَ لِزُورٍ قُلْتَه بمصيبِ
أتَعْجَبُ أن أَقْصَدْتَ حمزةَ منهمُ نجيباً وقد سمَّيْته بنجيبِ
ألم يقتلوا عَمْراً وعُتْبةَ وابنَه وشيبةَ والحجاجَ وابن حبيبِ
غداةَ دعا العاصى عليًّا فراعه بضربةِ عَضْبٍ بلَّه بخَضيبِ

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصرَه على المسلمين ، وصدَقهم وعدَه ، فحَسُّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمةُ لا شكَ فيها .

وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدَم[3] هند بنت عتبة وصواحبها مشمِّرات هوارب ،

(١) القرم : السيد . (٢) الخدب : الهوج . والمعبط . الذى يسيل دمه . (٣) الخدم : السوق .

مادون أخذهن قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماةُ على العسكر حين كشفنا القومَ عنه وخلَّوا ظهورَنا للخيل ، فأُتينا من خَلْفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل . فانكفأنا وانكفأ القومُ علينا ، بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللواء ، حتى مايدنو منه أحدٌ منهم .

فحدثني بعض أهل العلم ، أن اللواء لم يزَلْ صريعاً حتى أخذته عَمْرة بنت عَلْقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثُوا به ، وكان اللواء مع صواب ، غلام لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قُتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزَرْت . يعني : اللهم هل أعذرت .

فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم باللواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صَوابِ
جعلتم فَخْركم فيه لعبدٍ ... وألأم مَنْ يَطا عفرَ الترابِ
ظننتم والسفيهُ له ظُنونٌ ... وماإنْ ذاك مِن أمرِ الصوابِ
بأنّ جِلَادنا يوم التقينا ... بمكة بَيْعكم حُمر العيابِ
أقرّ العينَ أن عُصِبت يَداه ... وما إنْ تُعْصَبان على خِضَابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

إذا عَضلٌ سيقت إلينا كأنها ... جداية شِرْكٍ مُعلمات الحواجبِ (١)
أقمنا لهم طَعناً مُبيراً منكِّلاً ... وحُزْناهم بالضربِ من كلِّ جانبِ
فلولا لواءُ الحارثية أصبحوا ... يُباعون في الأسواق بَيْعَ الجلائبِ

* * *

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدوُّ ، وكان يومَ بلاءٍ

(١) الجداية : الغزال . وشرك : موضع .

وتمحيص ، أَكْرم الله فيه مَن أكرم بالشهادة ، حتى خَلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصيبت رباعيته وشُجَّ فى وجهه وكُلِمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبةُ بن أبى وقاص .

فحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كُسِرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وشُجَّ فى وجهه ، فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوبَ عليهم أو يُعذِّبَهم فإنهم ظالمون » .

قال ابن جرير فى تاريخه : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط ، عن السُّدى ، قال أتى ابنُ قمئة الحارثى فرمَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكَسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلىَّ عباد الله ، إلىَّ عباد الله . فاجتمع إليه ثلاثون رجلا ، فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة فرُمى بسهم فى يده فيبست يده ، وأقبل أُبىّ بن خلف الجمحى وقد حلف ليقتلن النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله . فقال : يا كذاب أين تفرّ ، فحمل عليه فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم فى جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوقع يخور خُوار الثور فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : لأقتلنك ! لو كانت تجتمع ربيعة ومُضَر لقتلهم . فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبىّ فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ، ياقوم إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : ياقوم إنْ كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل ، فقاتلوا على ماقاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبْرَأ إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتل !

وانطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناسَ حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه يرميه فقال : أنا رسول الله . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزنُ ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قُتلوا .

فقال الله عز وجل فى الذين قالوا : إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ مِن قَبْله الرُّسل » الآية .

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسُوا ذلك الذى كانوا عليه وهمَّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس لهم أن يَعْلُونا ، اللهم إن تُقْتل هذه العصابة لا تُعْبَد فى الأرض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم .

فقال أبو سفيان يومئذ : أُعْلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومُ أحد بيوم بدر .

وذكر تمام القصة . وهذا غريب جداً وفيه نكارة .

* * *

قال ابن هشام: وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد ، عن أبيه، عن أبى سعيد ، أن عتبة بن أبى وقاص رمَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجَّه فى جبهته ، وأن عبد الله بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المِغفر فى وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصَّ مالك بن سنان أبو أبى سعيد الدمَ من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال : من مسَّ دمه دمى لم تمسسه النار .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لشقه أُغمى عليه ، فمرَّ به سالم مولى أبى حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : كيف يُفْلح قومٌ فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لكَ من الأمرِ شىء » الآية .

رواه ابن جرير وهو مرسل ، وسيأتى بسط هذا فى فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار ، كما قال الله تعالى « ولقد صَدَقَكم الله وَعْدَه إذ تَحُسُّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصَيْتم مِنْ بعدِ ما أراكم ما تُحبُّون ، مِنْكم من يريد الدنيا ومنكم مَنْ يريد الآخرة ، ثم صَرَفكم عنهم لِيَبْتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين إذ تُصْعدون ولا تَلْوُون على أحدٍ والرسولُ يَدْعوكم فى أُخْراكم فأثابكم غَمًّا بغمٍّ » الآية .

* * *

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، أنه قال : مانصر الله فى موطن كما نصر يوم أُحد .

قال : فأنكَرْنا ذلك . فقال : بَيْنى وبين من أنكَر ذلك كتابُ الله : إن الله يقول فى يوم أُحد : « ولقد صَدَقكم الله وَعْدَه إذا تَحسُّونهم بإذنه » يقول ابن عباس : : والحَسُّ القتل « حتى إذا فشلتم » إلى قوله « ولقد عفاَ عنكم والله ذو فضلٍ

على المؤمنين » وإنما عَنَى بهذا الرماةَ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أقامهم فى موضع ثم قال : احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نَغْنَم فلا تَشْركونا .

فلما غنم النبى صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكبَّ الرماةُ جميعاً ، فدخلوا فى العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوفُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم هكذا ، وشَبَّك بين أصابع يديه ، والتبسوا .

فلما أخلَّ الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً ، فالتبسوا وقُتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله وأصحابه أولُ النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل ولم يَبْلغوا حيث يقول الناس الغارَ ، إنما كان تحت المهراس .

وصاح الشيطان : قُتل محمد ، فلم يُشَكّ فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتكَفّيه إذا مشى . قال : ففرحنا كأنه لم يُصِبْنا ما أصابنا . قال : فرقَى نحونا وهو يقول : اشتد غضبُ الله على قوم دَموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى : اللهم إنه ليس لهم أن يَعْلونا . حتى انتهى إلينا .

فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح فى أسفل الجبل : اُعْلُ هُبَل ، اُعلُ هُبَل ، مرتين ، يعنى آلهته ، أين ابنُ أبى كَبْشة ؟ أين ابن أبى قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟

فقال عمر بن الخطاب : ألَا أجيبه ؟ قال : بلى . قال : فلما قال : اعل هبل قال : الله أعْلَى وأجَلُّ . قال أبو سفيان : يابن الخطاب قد أنْعَمَتْ عيْنها (١) ، فعادِ عنها ، أو فعالِ عنها .

(١) يريد الحرب . وفعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها .

فقال : أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر ، وها أنذا عمر .

قال : فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، الأيام دُوَل ، وإن الحرب سِجَال .

قال : فقال عمر : لا سواء ، قَتْلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار .

قال : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خِبْنا إذن وخَسرنا !

ثم قال أبو سفيان : أمَا أنكم سوف تجدون فى قتلاكم مُثْلَة ، ولم يكن ذلك عن رأى سَرَاتنا . قال : ثم أدركته حَمِيّة الجاهلية فقال : أما إنه إنْ كان ذلك لم نَكْرهه .

وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل من حديث سليمان ابن داود الهاشمى به .

وهذا حديث غريب ، وهو من مرسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ماتيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البرَاء ، قال : لقينا المشركين يومئذٍ ، وأجاس النبىُّ صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير ، وقال : لا تَبْرحوا ، إن رأيتمونا ظَهَرْنا عليهم فلا تَبْرحوا ، وإن رأيتموهم ظَهروا علينا فلا تُعِينونا .

فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتدِدْن فى الجبل رفعن عن سُوقهن قد بدَتْ خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله : عَهِد إلىَّ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ألا تبرحوا . فأبَوْا ، فلما أبوا صُرِفت وجوههم[(١)] .

فأصيب سبعون قتيلا ، وأشْرَف أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال : لاتجيبوه .

---

(١) صرفت وجوههم : تحيروا فلم يدروا أين يذهبون .

فقال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فقال(١) : لا تجيبوه . فقال : أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إنّ هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا .

فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبْتَ يا عدوَّ الله ، أبقى الله عليك ما يُحْزِنك .

فقال أبو سفيان : اعْلُ هُبل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعْلَى وأجَلُّ .

فقال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مَوْلَى لكم .

قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحربُ سِجَال ، وتجدون مُثْلة لم آمُرْ بها ولم تسُؤْنى .

وهذا من أفراد البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا زُهير ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البَراء بن عازب قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أُحد ، وكانوا خمسين رجلا ، عبدَ الله بن جُبير ، قال : ووضعهم موضعاً وقال : إنْ رأيتمونا تَخْطفنا الطيرُ فلا تَبْرَحوا حتى أُرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظَهَرْنا على العدوّ وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم .

قال : فهزموهم ، قال : فأنا والله رأيت النساءَ يَشْتَدِدْن على الجبل وقد بدَتْ أسواقهن وخلاخلهن رافعاتٍ ثيابَهن .

فقال أصحاب عبد الله بن جُبير : الغنيمة ، أىْ قوم الغنيمة ، ظهَرَ أصحابكم ، فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنَسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : إنَّا والله لنأتينّ الناسَ فلنصيبنّ من الغنيمة .

(١) القائل هو رسول الله صلوات الله عليه .

فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذى يدعوهم الرسولُ فى أُخْرَاهم ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا ، فأصابوا منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يومَ بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلا .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ، أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب، أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقد قُتلوا وقد كُفيتموهم .

فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددْتَ لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك .

فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سِجال ، إنكم ستجدون فى القوم مُثْلةً لم آمر بها ولم تسؤنى . ثم أخذ يرتجز : اُعلُ هُبَل اُعلُ هُبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يارسول الله وما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعْلَى وأجَلّ .

قال : إن العُزَّى لنا ولاعُزَّى لكم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ألاتجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال: قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ورواه البخارى من حديث زهير ، وهو ابن معاوية ، مختصراً . وقد تقدم روايته له مطولة من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت وعلى بن زيد،

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهِقوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو فى سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، قال : من يردُّهم عنّا وهو رفيقى فى الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل .

فلما رهقوه أيضاً قال : من يردّهم عنا وهو رفيقى فى الجنة ؟ حتى قُتل السبعة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنصفَنا أصحابُنا .

ورواه مسلم عن هُدْبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقى فى الدلائل : بإسناده عن عمارة بن غزيّة ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : انهزم الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وبقى معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يُصْعد فى الجبل، فلحقهم المشركون فقال : ألَا أحدَ لهؤلاء ؟ فقال طلحةُ : أنا يارسول الله . فقال : كما أنت ياطلحة ، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله . فقاتَل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقى معه ، ثم قُتل الأنصاريّ فلحقوه ، فقال : ألا رجلَ لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثلَ قوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلَ قوله . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه .

فلم يزل يقول مثلَ قوله الأول ويقول طلحة : أنا يارسول الله . فيحبسه ، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأْذن له فيقاتل مثلَ مَن كان قَبْله .

حتى لم يبْقَ معه إلا طلحة،فغشَوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهؤلاء؟ فقال طلحة : أنا . فقاتل مثلَ قتال جميع من كان قَبله ، وأصيبت أنامله فقال : حسّ ، فقال : لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تَلِج بك فى جوّ السماء . ثم صعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وروى البخارى عن عبد الله بن أبى شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن

أبى حازم . قال : رأيت يدَ طلحة شَلاّء وقى بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

وفى الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل، عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبى عثمان النهدى قال : لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض تلك الأيام التى يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم السعدى ، سمعت سعيدَ بن المسيَّب يقول : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : نَثَل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد وقال : ارْمِ فداك أبى وأمى .

وأخرجه البخارى ، عن عبد الله بن محمد ، عن مروان به .

وفى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن شداد ، عن على بن أبى طالب قال : ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم جمع أبَوْيه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فإنى سمعته يقول يومَ أحد : يا سعد ارمِ فداك أبى وأمى .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى صالح بن كَيسان ، عن بعض آل سعد، عن سعد بن أبى وقاص أنه رَمى يوم أحد دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولنى النَّبل ويقول : ارمِ فداك أبى وأمى ! حتى إنه ليناولنى السهم ليس له نَصْل فأرمى به .

وثبت فى الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد ابن أبى وقاص قال: رأيت يومَ أحد عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشدَّ القتال ما رأيتهما قبلَ ذلك ولا بعده . يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، أخبرنا ثابت ، عن أنسٍ ، أن أبا طلحة كان يرمى بين يدَى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، والنبى صلى الله عليه وسلم خلفه يترّس به ، وكان

رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول: هكذا ، بأبي أنت وأمي يارسول الله لا يصيبك سهم ، نَحْرِى دون نَحْرِكَ . وكان أبو طلحة يُسَوِّر نفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إنى جَلْد يارسول الله ، فوجِّهنى فى حوائجك ومُرْنى بما شئت .

وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر[1] ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز[2] ، عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو طلحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُجَوِّب عليه بحَجَفة[3] له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النَّزْع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجَعْبةُ من النَّبْل فيقول[4] : انثرها لأبى طلحة .

قال : ويُشرف النبى صلى الله عليه وسلم يَنظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبى أنت وأمى لا تُشْرِفْ يصيبُك سهمٌ من سهام القوم ، نَحْرى دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سُلَيم وإنهما لمشمِّرتان أرى خَدَم سوقهما تَنقُزان[5] القِرَبَ على متونهما تفرغانه فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم . ولقد وقع السيفُ من يدَى أبى طلحة إمّا مرتين وإما ثلاثاً .

قال البخارى : وقال لى خليفة: حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبى طلحة قال : كنت فيمن تغشّاه النعاس يومَ أحد حتى سقط سيفى من يدى مراراً ، يسقط وآخذه ويسقط فآخذه .

هكذا ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى « ثم أَنْزَل عليكم مِن بعد الغَمِّ أمنةً نعاساً يَغشَى طائفةً منكم ، وطائفةٌ قد أهمّتهُم أنفسهم يظنون بالله غيرَ الحق

---

(١) هو عبد الله بن عمرو العقدى . (٢) هو عبد العزيز بن صهيب . (٣) مجوب : مترس عليه يحميه. والحجفة : ترس من جلد . (٤) القائل هو النبى صلوات الله وسلامه عليه (٥) خدم سوقهما : خلاخيلهما . قال القسطلانى : وذلك محمول على نظر الفجأة . وتنقزان : تثبان وتفرغان القرب .

ظنّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمرِ مِنْ شيء ، قل إنّ الأمرَ كله لله يُخفُون في أنفسهم مالا يُبْدُون لك ، يقولون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلْنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتِكم لبَرَزَ الذين كُتِب عليهم القتلُ إلى مَضَاجعهم ولِيَبْتليَ الله مافي صدوركم وليمحِّص ما في قلوبكم والله عليمٌ بذاتِ الصدور . إنّ الذين تولَّوا منكم يومَ التقى الجمعان إنما استزَلَّهم الشيطانُ ببعض ما كَسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم » .

قال البخاري : حدثنا عَبْدان[1] أخبرنا أبو حمزة ، عن عثمان بن مَوْهَب ، قال : جاء رجل حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قال : هؤلاء قريش قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدّثني؟ قال : أَنْشدك بحرمة هذا البيت : أتعلم أن عثمان بن عفان فرّ يوم أُحد ؟ قال : نعم . قال : فتَعْلمه تغيَّب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلَمَ أنه تخلَّف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فكبَّر[2] .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبيِّن لك عما سألتني عنه .

أما فراره يوم أُحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيُّبه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك أجرَ رجل ممن شهد بدراً وسَهْمَه .

وأما تغيُّبه عن بيعة الرضوان : فإنه لو كان أحَد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لَبعثه مكانَه ، فَبعث عثمان ، وكانت بيعةُ الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : هذه يد عثمان . فضرب بها على يده . فقال : هذه لعثمان .

---

(١) عبدان : لقب عبد الله بن عثمان المروزي .

(٢) كبر : مستحسنا لما أجابه ابن عمر ، لمطابقته لما يعتقده في عثمان رضي الله عنه .

اذهب بهذا[1] الآن معك .

وقد رواه البخارى أيضا فى موضع آخر ، والترمذى من حديث أبى عوانة ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب به .

وقال الأموى فى مغازيه ، عن ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد ، عن أبيه ، عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضُهم إلى المُنَقَّى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلْعب ، جبل بناحية المدينة مما يلى الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد ذهبتم فيها عَرِيضةً .

* * *

والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها : حصول النعاس حالَ التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكُّلها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : « إذ يغشِّيكم النعاسَ أَمَنةً منه » الآية وقال هاهنا : « ثم أنزَل عليكم مِنْ بعد الغَمِّ أمَنةً نُعَاساً يَغْشَى طائفةً منكم » يعنى المؤمنين الكُمَّل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعدَ هذا : « وطائفةٌ قد أهَمَّتْهم أنفسُهم » الآية .

ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استَنْصر يومَ أُحد كما استنصر يومَ بدر بقوله : « إنْ تشأْ لا تُعبد فى الأرض » .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم أُحد : « اللهم إنك إن تشأ لا تُعْبَد فى الأرض » .

---

(١) يريد : اذهب بهذه الأجوبة التى أجبتك بها .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أُحد : « أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قُتل » .

ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به .

وهذا شبيه بقصة عُمَير بن الُحمَام التى تقدمت فى غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصـــل

فيما لقى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخارى : ما أصاب النبىَّ صلى الله عليه وسلم من الجِراح يوم أُحد .

حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن هَمَّام بن منبّه ، سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اشتدَّ غضبُ الله على قوم فعلوا بنبيه ـ يشير إلى رُباَعيته ـ اشتد غضب الله على رجل يقتله رسولُ الله فى سبيل الله » .

ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق ، حدثنا مَخْلَد بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على مَنْ قتله النبىُّ فى سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دَموا وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا [illegible] حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أُحد وهو [illegible] عن وجهه وهو يقول: « كيف يُفْلِح قومٌ شَجُّوا نبيَّهم وكَسَروا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله » فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون » .

ورواه مسلم عن القَعْنبى ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد ، عن [illegible] هارون ، عن حُميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كُسرت رباعيته وشُجَّ فى [illegible] حتى سال الدمُ على وجهه فقال : « كيف يُفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى [illegible] » فأنزل الله تعالى : « ليس لك [illegible] شىءٌ » .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، عن أبي حازم ، أنه سمع سهلَ بن سعد وهو يسأل عن جَرْح النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أمَا والله إني لأعرف من كان يغسل جَرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دُووى ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله وعليٌّ يَسْكب الماء بالمجنّ ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرةً أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم ، وكُسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه وكُسرت البَيْضَةُ على رأسه .

* * *

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة، عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذ ذكر يوم أُحد قال : ذاك يومٌ كله لطلحة ! ثم أنشأ يحدِّث قال : كنت أول من فاء يوم أُحد ، فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه ، وأراه قال : حَمِيّة ، قال : فقلت : كُنْ طلحةَ ، حيث فاتني مافاتني ، فقلت : يكون رجلا من قومي أحبّ إليّ ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرَب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجرّاح ، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كُسرت رباعيته وشُجَّ في وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حَلَق المِغْفَر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكما صاحبكما » يريد طلحة . وقد نَزَف ، فلم نلتفت إلى قوله .

قال : وذهبت لأنزع ذاك من وجهه ، فقال : أُقسم عليك بحقي لما تركتني . فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأزمَّ عليها بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثَنِيّته مع الحلقة ، وذهبتُ لأصنع ماصنع فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني. قال : ففعل مثل مافعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة،

فـكان أبو عبيدة رضى الله عنه مِنْ أحسن الناس هَتْماً !

فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنـة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

* * *

وذكر الواقدى عن ابن أبى سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، عن أبى الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتى من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يُصْرَف عنه ، ولقد رأيت عبدَ الله بن شهاب الزُّهرى يومئذ يقول : دلُّونى على محمد لا نجوتُ إن نجا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أَحد ، فجاوزه ، فعاتبه فى ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله مارأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إليه .

قال الواقدى : ثبَت عندِى أن الذى رمَى فى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ قمئة ، والذى رمى فى شفته وأصاب رباعيته عتبةُ بن أبى وقاص .

وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هـذا ، وأن الرباعية التى كُسرت له عليه السلام هى اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى صالح بن كَيْسان ، عمن حدثه ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : ماحرصت على قتل أحد قط ماحرصت على قَتْل عتبة بن أبى وقاص ، وإنْ كان ماعلمتُ لَسيِّئَ الخلق مُبْغَضاً فى قومه ، ولقد كفانى فيـه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من دمَى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق : حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عثمان الجزرِى ، عن مِقْسم ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا يحول عليه الحولُ حتى يموت كافراً » .

فما حال عليه الحولُ حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجوزجانى : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنى إبراهيم بن محمد ، حدثنى ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم أُحد بعَظْم بالٍ .

هذا حديث غريب رأيته فى أثناء كتاب المغازى للأموى فى وقعة أُحد .

* * *

ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال ، رجع وهو يقول : قتلتُ محمداً . وصرخ الشيطان أزبُّ العقبةِ يومئذ بأبْعَد صوت : ألا إن محمداً قد قُتل .

فحصل بهتة عظيمة فى المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك ، وصمموا على القتال عن حَوْزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتى ذكره .

وقد أنزل الله تعالى التسلية فى ذلك على تقدير وقوعه ، فقال تعالى : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ مِنْ قبله الرسل ، أفإنْ مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومَنْ يَنقلبْ على عقبيْه فلن يضُرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذنِ الله كتاباً مؤجَّلاً ، ومن يردْ ثوابَ الدنيا نؤته منها ، ومن يُردْ ثوابَ الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين . وكأيّ مِنْ نبيٍّ قاتلَ معه رِبِّيُّون كثيرٌ ، فما وهَنوا لما أصابَهم فى سبيلِ الله ، وما ضَعُفوا وما استكانوا والله يحبُّ الصابرين . وما كان قولَهم إلا أنْ قالوا ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبَنا وإسرافَنا فى أمْرنا وثبِّتْ أقدامَنا

وانصُرْنا على القوم الـكافرين . فآتاهم الله ثوابَ الدنيا وحُسْنَ ثوابِ الآخرة والله يحبُّ المحسنين . يأيها الذين آمنوا إن تُطيعوا الذين كفروا يرُدُّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين . بل الله مَوْلاكم وهو خيرُ الناصرين . سَنُلقى فى قلوبِ الذين كفروا الرُّعب بما أشركوا بالله مالم ينزِّل به سلطاناً ومأواهم النارُ وبئسَ مثوَى الظالمين »[١] .

وقد تـكلمنا على ذلك مستقصًى فى كتابنا التفسير ولله الحمد .

وقد خطب الصِّديق رضى الله عنه فى أول مَقامٍ قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . ثم تلا هـذه الآية : « وما محمدٌ إلّا رسولٌ قد خلَتْ من قبله الرسلُ ، أفإنْ مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » الآية . قال : فـكأنّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها .

وروى البيهقى فى دلائل النبوة من طريق ابن أبى نَجيح ، عن أبيه قال : مرَّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط فى دمه . فقال له : يافلان ، أشَعَرْتَ أن محمداً قد قُتل ؛ فقال الأنصارى : إنْ كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قُتل فقد بلَّغ الرسالة فقاتِلوا عن دِينكم !

فنزل : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ مِنْ قَبْله الرسلُ » الآية .

ولعل هذا الأنصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك .

قال الإمام أحمد : حدّثنا يزيد ، حدّثنا حميد ، عن أنس ، أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقـالَ غِبْتُ عن أولِ قتال قاتَله النبي صلى الله عليـه وسلم للمشركين ، لئن الله أشهدَنى قتالا للمشركين ليرَينَّ ما أصنع .

فلما كان يوم أُحـد انـكشف المسلمون ، فقال : اللهم إنى أعتذر إليك عما صَنع

---

(١) سورة آل عمران .

هؤلاء ، يعنى أصحابه ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعنى المشركين ، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ماصنع .

فوجد فيه بضع وثمانون ، مِنْ بين ضربةٍ بسيف وطعنة برمح ورَمْية بسهم .

قال : فكنا نقول : فيه وفى أصحابه نزلت : « فمنهم مَنْ قضَى نَحْبَه ومنهم من يَنْتظر » .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، والنسائى عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به . وقال الترمذى : حسن .

قلت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه .

وقال أحمد: حدثنا بَهْز ، وحدثنا هاشم ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عمى . قال هاشم : أنس بن النضر . سمِّيتُ به ، ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر . قال : فشَقَّ عليه وقال : أولُ مَشْهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غِبْتُ عنه ، ولئن أرانى الله مَشْهداً فيما بعدُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَرَينَّ الله ما أَصْنع . قال : فهاب أنْ يقول غيرَها .

فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، قال : فاستقبل سعدَ بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أُحُد . قال : فقاتلهم حتى قُتل ، فوجد فى جسده بضعٌ وثمانون مِن ضربةٍ وطعنة ورَمْية .

قال : فقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر : فما عرفتُ أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية : « مِن المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضَى نَحْبه ومنهم من يَنْتظر ، وما بَدَّلوا تبْدِيلا » .

قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه .

ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن بَهْز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك . وزاد النسائى ، وأبو داود وحماد بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبىّ بن خلف أخو بنى جُمَح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فلما بلغتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم حِلْفتُه قال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما كان يوم أحد أقبل أُبىٌّ فى الحديد مقنَّعاً وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا محمد . فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعبُ بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فقُتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْقُوة أُبىٍّ بن خلف من فُرْجة بين سابغة الدِّرع والبَيْضة فطعنه فيها بالحَرْبة فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم .

فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خَدْش .

فذكر لهم قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتل أبيًّا ، ثم قال : والذى نفسى بيده ، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المَجاز لماتوا أجمعون .

فمات إلى النار ، فسُحْقاً لأصحاب السعير !

وقد رواه موسى بن عقبة فى مغازيه ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيّب نحوه .

وقال ابن إسحاق : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب ، أدركه أبىّ ابن خلف وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوتَ .

فقال القوم : يا رسول الله يَعْطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه .

فلما دنا منه : تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصِّمة ، فقال بعض القوم ، كما ذُكر لى ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض انتفاضةً تطايَرْنا عنه تطايُرَ الشَّعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدَأْدَأَ منها عن فرسه مراراً .

وذكر الواقدى عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه . نحو ذلك .

قال الواقدى : وكان ابن عمر يقول : مات أُبىّ بن خلف ببطن رابغ ، فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هوِىٍّ من الليل إذا أنا بنار تأجَّجت ، فهِبْتُها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش ، فإذا رجل يقول : لا تَسْقه ، فإنه قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا أُبىّ بن خلف .

وقد ثبت فى الصحيحين كما تقدم ، من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن هَمَّام ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضبُ الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » .

ورواه البخارى ، من طريق ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « اشتد غضبُ الله على من قتله رسول الله بيده فى سبيل الله » .

* * *

وقال البخارى . قال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المُنْكدر ، سمعت جابراً قال : لما قُتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهَوْنى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تَبْكه أو ما تبكيه ، ما زالت الملائكة تُظلُّه بأجنحتها حتى رُفع » .

هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلقاً ، وقد أسنده فى الجنائز عن بِنْدار عن غُنْدَر ، عن شعبة .

ورواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبة به .

وقال البخارى : حدثنا عَبدان ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد ابن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوف أُتى بطعام وكان صائما فقال : قُتل مُصْعَب بن عمير وهو خيرٌ منى ، كُفِّن فى بردة إنْ غُطِّى رأسُه بدَتْ رجلاه ، وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأُراه قال : وقُتِل حمزة هو خير منى ، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط ، أو قال : أُعطينا من الدنيا ما أعطينا . وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا . ثم جعل يبكى حتى برد الطعام .

انفرد به البخارى .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الأعمش، عن شقيق ، عن خَبَّاب بن الأرت ، قال : هاجرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نبتغى وجه الله ، فوجَب أجرُنا على الله ، فمنَّا مَن مضى أو ذهب لم يأكل من أَجْره شيئاً ، كان منهم مُصعب بن عُمير ، قُتل يومَ أُحد لم يَترك إلا نَمِرة[1] ، كنّا إذا غطَّينابها رأسَه خرجت رجلاه ، وإذا غُطِّى بها رجلاه خرج رأسُه ، فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم : غَطُّوا بها رأسَه واجعلوا على رجله الإذْخر . ومِنَّا مَنْ أَيْنعَت له ثمرتُه فهو يَهْدِبُها[2] .

وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن الأعمش به .

وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لمّا كان يوم أحد هُزم المشركون ، فصرخ إبليس لعنة الله

(١) النمرة : بردة من صوف .

(٢) يهدبها : يجتنيها .

عليه : أىْ عبادَ الله[1] أُخْراكم . فرجعَتْ أولاهم فاجتلدَتْ هى وأُخْراهم ، فبَصُر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمَان فقال : أىْ عبادَ الله أبى أبى ! قال : قالت : فوالله ما احتَجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

قال عروة : فوالله ما زال فى حذيفة بقيةُ خير[2] حتى لقى الله عز وجل .

قلت : كان سبب ذلك أن اليمَان وثابت بن وَقْش كانا فى الآطام مع النساء لِكبرهما وضَعْفهما ، فقالا : إنه لم يَبْقَ من آجالنا إلا ظِمْء[3] حمار . فنزلا ليَحْضرا الحربَ فجاء طريقهما ناحية المشركين ، فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأً . وتصدق حذَيفةُ بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحداً منهم ، لظهور العذر فى ذلك .

* * *

فصـــل

قال ابن إسحاق : وأصيبت يومئذ عين قَتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته ، فردَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما .

وفى الحديث عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أُحد حتى سالت على خده ، فردَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكانَها ، فكانت أحسنَ عينيه وأحدَّها ، وكانت لا تَرْمد إذا رمدت الأخرى .

وروى الدارقطنى بإسناد غريب، عن مالك ، عن محمد بن عبد الله بن أبى صَعْصعة، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يومَ أُحد فسقطتا على وجنتى ، فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرُقان .

(١) يريد المسلمين ، أى احترزوا من الذين وراءكم متأخرين عنكم ، ليقتل بعض المسلمين بعضاً .
(٢) وقيل : بقية حزن . القسطلانى ٦ / ٣٠٠
(٣) الظمء : ما بين الشربتين والوردين ، والمراد : ما بقى إلا يسير ، لأنه ليس شىء أقصر ظمأ منه .

والمشهور الأول ، أنه أصيبت عينه الواحدة ، ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابنُ الذى سالَتْ على الخدِّ عينُه ... فرُدَّت بكفِّ المصطفى أَحسنَ الردِّ

فعادَتْ كما كانت لأوَّلِ أمرِها ... فياحُسْنها عَيناً ويا حُسْنَ ما خَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ ... شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالَا !

ثم وصَله فأحسن جائزتَه رضى الله عنه .

* * *

فصل

قال ابن هشام : وقاتلت أم عُمارة نَسِيبةَ[1] بنت كعب المازِنيّة يوم أحد فذكر سعيد بن أبى زيد الأنصارى ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلتْ علىّ أمّ عمارة فقلت لها : يا خالة أخبرينى خبرَك . فقالت : خرجتُ أول النهار أنظر ما يصنع الناسُ ومعى سِقَاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولةُ والريحُ للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتالَ وأذُبُّ عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خَلَصتْ الجراحُ إلىّ .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوَفَ له غَوْر ، فقلت لها : مَن أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قَمِئة أقمَأَه الله ، لمّا ولّى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلَ يقول : دلُّونى على محمد لا نجوت إنْ نجا . فاعترضتُ له أنا ومُصْعب بن عُمَير وأناس ممن ثبت

(١) نسيبة ، بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها فى الإكمال والتبصير والإصابة وغيرهم ، وضبطها بالتصغير وهم ، إنما هذا فى نسيبة أم عطية ، فقله فى أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٢ / ٤١ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربةَ ، ولقد ضربته على ذلك ضرباتٍ، ولـكن عدوَّ الله كانت عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وَتَرَّسَ أبو دُجَانة دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، يقع النَّبلُ فى ظهره وهو مُنْحنٍ عليه حتى كثُر فيه النَّبْل .

قال ابن إسحـاق : وحـدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه ، حتى اندقت سِيَتها فأخذها قتادة بن النعمان فـكانت عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبـد الرحمن بن رافع ، أخو بنى عـدى بن النجار ، قال : انتهى أنسُ بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم فقال : فما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ! قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسـلم . ثم استقبل القومَ فقاتل حتى قُتل ، وبه سمِّى أنسُ بن مالك .

فحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : لقد وجَدْنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفَه إلا أخته ، عرفتْه ببنانه .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فُوه يومئذ فهتم ، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها فى رجله فعرج .

* * *

فصـــل

قال ابن إسحاق : وكان أول من عَرَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقولِ الناس قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لى الزهرى ، كعبُ بن مالك

قال : رأيت عينيه تزْهران من تحت المِغفر ، فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصِّمة ورهط من المسلمين ، فلما أسْنَدَ(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب أدركه أبىٌّ بن خلف ، فذكر قتلَه عليه السلام أُبيًّا كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان أبىّ بن خلف ، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف يَلْقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العَوْذَ ، فرساً ، أَعْلفه كل يوم فَرَقاً من ذُرة أقتلُك عليه .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشاً غيرَ كبير فاحتقن الدمُ ، فقال : قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك بأسٌ . قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك . فو الله لو بَصق علىّ لقتلنى ! فمات عدوُّ الله بسَرِف(٢) ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لقد وَرِثَ الضلالةَ عن أبيه ... أُبىٌّ يومَ بارزَه الرسولُ
أتيتَ إليه تَحْمِلُ رِمَّ عَظمٍ ... وتُوعده وأنت به جَهولُ
وقد قتلتْ بنو النجار منكم ... أميةَ إذ يُغَوِّث : يا عَقيلُ

(١) أسند : صعد . أى استند إلى جانب من الجبل . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وتَبَّ أبنا ربيعـــة إذ أطاعا　　أبا جهـــل لِأُمِّهما الهُبولُ
وأفلتَ حارثٌ لمَّـا شُغلنا　　بأَسْرِ القوم ، أُسْرته فَليلُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا مَنْ مُبْلِـغٌ عنِّى أُبيًّا　　فقد(١) أُلقيتَ فى سُحْقِ السَّعيرِ
تمنَّى بالضــــلالةِ مِن بعيدٍ　　وتُقْسِم أنْ قَدرتَ مع النذورِ
تُمنِّيك الأمـــانِى مِنْ بعيدٍ　　وقولُ الـكفر يَرْجع فى غُرورِ
فقد لاقتك طَعنةُ ذى حِفاظٍ　　كريمِ البيت ليس بذى فُجورِ
له فضــــلٌ على الأحياء طُرًّا　　إذا نابت مُلمَّاتُ الأمـــورِ

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشِّعْب خرج علىٌّ ابن أبى طالب حتى ملأ درقته ماءً من المِهْراس(٢) ، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصبَّ على رأسه وهو يقول : « اشتدَّ غضبُ الله على مَنْ دَمَّى وجهَ نبيه » .

وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الـكفاية .

قال ابن إسحاق : فبَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علَتْ عاليةٌ مِن قريش الجبلَ . قال ابن هشام : فيهم خالدُ بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يَعْـلونا .

فقاتَل عمرُ بن الخطاب ورهْط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض

(١) ابن هشام : لقد .
(٢) الدرقة : الحجفة ، وهى ترس من جلد . والمهراس : ماء بأحد .

النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بَدَّن[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وظاهَر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

فحدثني يحيى بن عَبَّاد ، بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : « أَوْجَبَ طلحةُ[2] » حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صَنَع .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أَتِىٌّ لا يُدْرَى مَن هو يقال له قُزْمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذُكر : « إنه لمن أهل النار » .

قال : فلما كان يوم أحد قاتَل قتالاً شديداً ، فقتل هو وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بَأْس ، فأثبتَتْه الجراحةُ ، فاحتُمل إلى دار بنى ظفر .

قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

قال : بماذا أُبْشر ! فوالله إنْ قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلتُ !

قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسَه .

وقد ورد مثل قصة هذا فى غزوة خيبر . كما سيأتى إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن المسيَّب ، عن أبى هريرة ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل

(١) بدن : ثقل من السن . (٢) يعنى : أحدث شيئا يستوجب به الجنة .

ممن يدَّعى الإسلام : « هذا من أهل النار » .

فلما حضر القتالُ قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله الرجلُ الذى قلتَ إنه من أهل النار . قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إلى النار » .

فكاد بعضُ القوم يرْتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قيل : فإنه لم يمت ولكن به جراح شديدة ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتَل نفسه .

فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنى عبدُ الله ورسوله » .

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مُسْلمة ، وإنّ الله يؤيِّد هذا الدِّين بالرجل الفاجر ! » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحد مُخَيريق ، وكان أحدَ بنى ثعلبة بن الفِطْيَون فلما كان يوم أُحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أنّ نصرَ محمد عليكم لَحَقٌّ .

قالوا : إن اليومَ يومُ السبت . قال : لا سَبْت لكم .

فأخذ سيفَه وعُدَّته وقال : إنْ أُصبتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء .

ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتَل معه حتى قُتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « مُخَيريق خير يهود » .

قال السهيلى : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالَ مُخيريق ، وكانت سبعَ حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله .

قال محمد بن كعب القرظى : وكانت أولَ وقفٍ بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة ، أنه كان يقول : حدِّثونى عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ قط .

فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أُصَيْرِم بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وَقْش .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأُصَيرم ؟ قال : كان يأبَى الإسلامَ على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عُرْض الناس ، فقاتلَ حتى أثبتَتْه الجراحةُ . قال : فبينما رجالٌ من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هـذا لَلأُصَيرم ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنْـكِر لهذا الحديث . فسألوه فقالوا : [ماجاء بك ياعمرو][1] أَحَدَبٌ على قومك أم رغبةٌ فى الإسلام ؟

فقال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سيفى وغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابنى ماأصابنى .

فلم يلبث أن مات فى أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه من أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى ، عن أشياخ من بنى سلمة ، قالوا : كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأُسْد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهدَ ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك .
فأتى رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم وقال : إن بنىّ يريدون أن يحبسونى عن هـذا

---

(١) من ابن هشام .

الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعَرْجتى هذه الجنة !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك »

وقال لبنيه : « ماعليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » .

فخرج معه فقُتل يوم أحد رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ووقعت هندُ بنت عتبة — كما حدثنى صالح بن كَيْسان — والنسوةُ اللائى معها يمثِّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَجْدَعْن الآذان والأنوفَ ، حتى اتَّخَذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خَدَماً(١) وقلائد ، وأعطت خَدمهـا وقلائدها وقرطهـا وحشيًّا . وبقرَتْ عن كبد حمزة فلاكَتْها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة أن الذى بقر عن كبد حمزة وحشىّ ، فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تُسيغها . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم علَتْ على صخرة مُشْرِفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جَزيْنــاكم بيومِ بدرِ ... والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ (٢)

ما كان لى عن عُتْبة مِنْ صبرِ ... ولا أخى وعمِّــه وبَكْرِ

شفيتُ نفسى وقضيتُ نَذْرى ... شفيتَ وحشىّ غليل صدرِى

فشُكْرُ وحشىٍّ علىَّ عُمْرى ... حتى ترِمَّ أعْظُمى فى قبرِى

قال: فأجابتها هند بنت أثاثة بن عَبَّاد بن المطَّلب فقالت :

خَزِيتِ فى بَدْرٍ وبعدَ بدرِ ... يابنتَ وقَّاعٍ عظيمِ الكُفْرِ

صبَّحك الله غداةَ الفجرِ ... مِ الهاشميين الطوالِ الزُّهرِ

---

(١) الخدم : الخلاخيل .

(٢) السعر بضمتين : الشدة والقرم .

بكلِّ قَطَّاعٍ حُسامٍ يَفْرِى   حمزةُ لَيْثى وعلىٌّ صَقْرِى
إذ رامَ شيبٌ وأبوكِ غَدْرِى   فخضَّبا منه ضواحى النحرِ
ونَذْرِكِ السوءِ فشَرُّ نَذْرِ

قال ابن إسحاق: وكان الحُلَيس بن زبَّان أخو بنى الحارث بن عبد مناة – وهو يومئذ سيد الأحابيش – مرَّ بأبى سفيان وهو يضرب فى شِدْق حمزة بن عبد المطلب بزُجِّ الرمح ويقول: ذُقْ عُقَق!

فقال الحُلَيس: يابنى كنانة، هذا سيدُ قريش يَصنع بابن عمه ماتَرَون لَحماً!

فقال: ويحك! اكتمها عنى فإنها كانت زلَّة.

* * *

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصرافَ أشْرَف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أَنْعَمْتَ(١) [فَعالِ](٢) إن الحربَ سِجَالٌ، يومٌ بيوم بدر، اُعْلُ هُبَل أى ظَهر دينُك(٣).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «قم ياعمر فأجِبْه فقل: الله أَعْلَى وأجَلُّ، لا سواءَ، قَتْلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار».

فقال له أبو سفيان: هلم إلىَّ ياعمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: ائته فانظر ماشأنُه.

فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدكَ الله ياعمرَ، أقتَلْنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليَسمع كلامك الآن. قال: أنت عندى أصدقُ من ابن قمئة وأبرُّ.

---

(١) أنعمت: بفتح التاء: خطاب لنفسه. وبسكونها يريد: الحرب أو الواقعة أو الأزلام: «أجابت بنعم».
(٢) من ابن هشام. وفعال: اسم للفعل الحسن. وقال السهيلى: فعال: أمر، أى عال عنها وأقصر عن لومها، تقول العرب: اعل عنى وعال، بمعنى ارتفع عنى ودعنى.
(٣) ابن هشام: أى: أظهر دينك.

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مَثْل[1] والله ما رضيتُ وما سخطت ، وما نهيت ولا أَمرت .

قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : إنّ موعدَكم بدر العامَ المقبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينك موعدٌ .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبى طالب فقال : اُخرج فى آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيلَ وامتطَوا الإبلَ فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبلَ فهم يريدون المدينة. والذى نفسى بيده إنْ أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأناجزنَّهم .

قال على : فخرجت فى أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنَّبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ ووجّهوا إلى مكة .

(١) المثل : كالمثلة ، التنكيل بالقتلى .

ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوقعة يوم أحد

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفَزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكّي ، عن ابن رفاعة الزُّرَقي ، عن أبيه ، قال : لما كان يومُ أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استووا حتى أُثْني على ربي عز وجل ، فصاروا خلفه صفوفاً فقال :

« اللهم لك الحمدُ كلُّه ، اللهم لا قابضَ لما بسَطْت ، ولا باسط لما قبَضْتَ ، ولا هاديَ لمن أضلَلْت ، ولا مُضلَّ لمن هدَيْت ، ولا مُعطيَ لِمَا مَنعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرِّب لما باعَدْت ولا مُبْعد لما قرَّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورِزْقك .

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيم الذي لا يَحُول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيْلة والأمنَ يوم الخوف .

اللهم إني عائذٌ بك من شرِّ ما أعطيتنا وشر مامَنعْتنا .

اللهم حَبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفَّنا مسلمين وأحْيِنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غيرَ خَزايا ولامفتونين .

اللهم قاتِل الكفرةَ الذين يُكذِّبون رُسُلك ويصدُّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رِجْزَك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إلهَ الحق » .

ورواه النسائي في اليوم والليلة ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصـــل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صَعْصعة المـازنى ، أخو بنى النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَن رجلٌ ينظر لى مافعل سعدُ بن الرَّبيع أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا .

فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمَق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات .

فقال : أنا فى الأموات ، فأبلغْ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامى وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك اللهعنَّا خيرَ ماجزَى نبيًّا عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلامَ وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لـكم : إنه لا عذر لـكم عند الله إنْ خُلص إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطْرف !

قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبرَه .

قلت : كان الرجـل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقدى . وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرنى أن أنظر خبَرَك . أجابه بصوت ضعيف وذكره .

وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب : كان الرجـل الذى التمسَ سـعداً أبىُّ بن كعب . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه ، وهو الذى آخَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

* * *

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقر بطنه عن كبده ومثِّل به فجُدع أنفه وأذناه .

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى : « لولا أن تَحْزن صفيّةُ وتكون سُنةً مِن بعدى ، لتركتُه حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأُمثِّلنَّ بثلاثين رجلا منهم » .

فلما رأى المسلمون حُزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظَه على من فعل بعمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفَرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثِّلن بهم مُثْـلَةً لم يمثِّلها أحدٌ من العرب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلَمى ، عن محمد بن كعب ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله أنزل فى ذلك : « وإنْ عاقبتم فعاقِبُوا بمثلِ ماعُوقبتم به ولئن صَبَرْتم لهو خيرٌ للصابرين » الآية .

قال : فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصبَر ونَهَى عن المُثْلة .

قلت : هـذه الآية مكية ، وقصة أُحـد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا ؟ ! فالله أعلم .

قال : وحدثنى حُميد الطويل ، عن الحسن ، عن سَمُرة ، قال : ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المُثْلة .

وقال ابن هشام : ولما وقف النبى صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لن أُصاب بمثلك أبداً ، ماوقفتُ قط موقفاً أغْيَظ إلىَّ من هذا ! » .

ثم قال : « جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى السماوات السبع : « حمزة ابن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله » .

قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوَىْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أرضعتهم ثلاثتهم ثُوَيْبةُ مولاة أبى لهب .

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسُجِّى ببُردة ثم صلّى عليه ، فكبَّر سبع تكبيرات ، ثم أُتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » .

وهذا غريب وسنده ضعيف .

قال السُّهيلى : ولم يَقل به أحد من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن الشَّعبى ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كُنَّ يومَ أُحد خَلْف المسلمين يُجْهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفتُ يومئذ رجوتُ أن أبرَّ أنْ ليس أحدٌ منا يريد الدنيا حتى أنزل الله : « منكم مَن يُريد الدنيا ومنكم مَن يريد الآخرةَ ، ثم صَرَفكم عنهم ليبتليكم . » .

فلما خالف أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصَوا ما أُمروا به أُفْرِد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تسعة : سبعةٍ من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ، فلما رَهِقوه قال : رحم الله رجلا ردَّهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قُتل السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبَيْه : ما أنصفَنا أصحابُنا .

فجاء أبو سفيان فقال : أُعْلُ هُبَل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعْلَى وأجَلُّ . فقالوا : الله أعلى وأجلُّ .

فقال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عزى لـكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مولانا ولا مَوْلَى لـكم .

ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، يومٌ لنا ويوم علينا ، ويوم نُسَاء ويوم نُسَرّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سَواء ، أمّا قَتْلانا فأحياء يُرْزَقون وقتلاكم في النار يعذّبون .

قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلة وإن كانت لعَنْ غيرِ مَلإٍ منا ، ما أَمرْتُ ولا نَهيت ولا أحببت ولا كَرِهت ، ولا ساءنى ولا سَرّنى .

قال : فنظروا فإذا حمزة قد بُقِر بطنه وأخذت هندُ كبدَه فلاكَتْها فلم تستطع أن تأكلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أأكلتْ شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : ما كان الله لِيُدخل شيئاً من حمزة في النار .

قال : فوضع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حمزةَ فصلّى عليه وجيء برجل من الأنصار فوُضع إلى جنبه فصلى عليه ، فرفع الأنصارى وترك حمزة . وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حمزة . حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة » .

تفرد به أحمد ، وهذا إسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب . فالله أعلم .

والذى رواه البخارى أثْبَتُ حيث قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرّجلين من قتلى أُحد فى ثوب واحد ثم يقول : أيُّهم أكثر أخْذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه فى اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدَفْنهم بدمائهم ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا .

تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به .

وقال أحمد : حدثنا محمد ، يعنى ابن جعفر ، حدثنا شُعْبة ، سمعت عبدَ ربه يحدِّث عن الزهرى ، عن ابن جابر ، عن جابر ابن عبد الله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قتلى أُحد : فإنّ كلَّ جرح أو كلَّ دمٍ يفوح مِسكاً يوم القيامة . ولم يصلِّ عليهم .

وثبَت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير . كما قال البخارى :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا زكريا بن عدى ، أخبرنا [ابنُ[1]] المبارَك ، عن حَيْوة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن عُقبة بن عامر ، قال : صلى[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أُحد بعد ثمانى سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ، ثم طلَع المنبر فقال : « إنى بين أيديكم فَرَطٌ وأنا عليكم شهيد ، وإنّ مَوْعدَكم الحوْضُ ، وإنى لأنظر إليه من مَقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن تُشركوا ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافَسوها .

قال : فكان آخر نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخارى فى مواضع أخر ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث يزيد ابن أبى حبيب به نحوه .

وقال الأموى : حدثنى أبى ، حدثنا الحسن بن عمارة ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : قالت عائشة : خرجنا من السَّحَر مَخْرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجل مُحتجر يشتدُّ ويقول :

لبِّث قليلاً يَشْهدِ الهَيْجا حَمَلْ[3]

---

(١) ابن المبارك هو عبدالله . وقد سقطت من الأصل . وأثبتها من صحيح البخارى فى غزوة أحد .

(٢) قال القسطلانى : المراد أنه دعا لهم بدعاء صلاة الميت ، والاجماع يدل له ، لأنه لا يصلى عليه - أى القبر - عند الشافعية ، وعند أبى حنيفة المخالف : لا يصلى على القبر بعد ثلاثة أيام . إرشاد السارى ٦ /٢٩١ .

(٣) نسبه فى تاج العروس ٧/ ٢٩٠ لحمل بن سعدانة الصحابى . وعجزه : « ما أحسن الموت إذا حان الأجل » وروايته فى اللسان ١٣/١٩٣ : « ضح قليلا يدرك .. » وقال : « يعنى به حمل بن بدر » .

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حُضَير ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأة بين وَسَقَين .

قالت : فدنونا منها فإذا هى امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ماالخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ من المؤمنين شهداء « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويًّا عزيزا » .

ثم قالت لبعيرها : حــل . ثم نزلت ، فقلنا لهـا : ماهـذا ؟ قالت : أخى وزوجى .

وقال ابن إسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبـد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لابنها الزبير بن العوام : الْقَها فارْجِعها لاترى مابأخيها . فقال لها : ياأمّه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى . قالت : ولِمَ ، وقد بلغنى أنه مُثِّـل بأخى وذلك فى الله ، فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأخبره بذلك قال : خَلِّ سبيلها ، فأتَتْه فنظرت إليه وصلَّت عليه واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق : ثم أَمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفن ، ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مُثِّل به غيرأنه لم يبقر عن كبده . رضى الله عنهما .

قال السُّهيلى : وكان يقال له المجدَّع فى الله . قال : وذكر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دَعيـا بدعوة فاستُجيبت لهما ، فدعا سعد أن يلقى فارسـاً من المشركين فيقتله ويَسْتَابه ، فـكان ذلك . ودعا عبد الله بن جحش أن يَلْقاه فارسٌ فيقتله ويَجْدع أنفه فى الله، فـكان ذلك .

وذكر الزبير بن بـكَّار أن سيفه يومئذ انقطع ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عرجوناً فصار فى يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتِل به ، ثم بيع فى تركة بعض ولده بمائتى دينار .

وهذا كما تقدم لعُكّاشة فى يوم بدر .

* * *

وقد تقدم فى صحيح البخارى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد ، بل فى الكفن الواحد .

وإنما أرْخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يَشقُّ معها أن يحفروا لكل واحدٍ واحد . ويقدِّم فى اللحد أكثَرَهما أخذاً للقرآن .

وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين فى اللحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حَرام والد جابر ، وبين عمرو بن الجُموح ، لأنهما كانا متصاحبين .

ولم يغسَّلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم .

كما روى ابن إسحاق عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : « أنا شهيد على هؤلاء ، أنه مامن جريح يُجْرح فى سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحُه ، اللون لونُ دم والريح ريح مسك » .

قال : وحدثنى عمى موسى بن يسَار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « مامن جريح يُجْرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يَدْمى ، اللونُ لون الدم والريح ريح المسك » .

---

(١) من بنى عذرة حليف بنى زهرة ، له رؤية ولم يثبت له سماع ، مات سنة تسع وثمانين وقد قارب التسعين .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال : أَمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد بالشهداء أن يُنْزع عنهم الحديد والجلود وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن عاصم به .

وقال الإمام أبو داود فى سننه : حدثنا القَعْنبى ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن حُميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قَرْح وجَهْد فكيف تأمر ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرَّجلين والثلاثة فى القبر الواحد » .

قيل : يارسول الله فأيهم يُقَدَّم ؟ قال : أكثرُهم قرآنا .

ثم رواه من حديث الثورى ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر . فذكره . وزاد : وأَعمِقوا .

قال ابن إسحاق : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال :

« ادفنوهم حيثُ صُرعوا » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ، حدثنا عبد الله وعتّاب ، حدثنا عبد الله ، حدثنا عمر بن سلَمة بن أبى يزيد المدينى ، حدثنى أبى ، سمعت جابرَ بن عبد الله يقول: استُشْهد أبى بأحد ، فأرسلنى أخواتى إليه بناضح لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه فى مقبرة بنى سَلَمة .

فقال : فجئته وأعوانٌ لى ، فبلغ ذلك نبيَّ الله وهو جالس بأُحد ، فدعانى فقال : « والذى نفسى بيده لايُدْفَن إلا مع إخوته » .

فدُفن مع أصحابه بأحد .

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبة ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحد حُملوا من مكانهم ، فنادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أنْ رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبو داود والنسائى من حـديث الثَّورى ، والترمذىُّ ، من حديث شُعْبة والنسائى أيضا ، وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، كلهم عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العَنَزِىّ ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال لى أبى عبدُ الله : ياجابر لاعليك أن تـكون فى نَظَّارَى أهل المدينة حتى تعلم إلى مايصيرُ أمرنا ، فإنى والله لولا أنى أترك بناتٍ لى بَعْدى لأحببتُ أن تُقْتَل بين يدىّ .

قال : فبَيْنا أنا فى النَّظارين إذ جاءت عمتى بأبى وخالى عادِلَتَهما على ناضح ، فدخلتْ بهما المدينـةَ لتدفنهما فى مقـابرنا ، إذ لحق رجل ينادى : ألا إنّ النبي صلى الله عليـه وسلم يأمركم أن تَرجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها حيث قُتلت . فرجعنا بهما فدفنَّاهما حيث قُتلا .

فبينَا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجلٌ فقال : ياجابر بن عبدالله ، والله لقد أثارَ أباكَ عمالُ معاوية فبَدَا ، فخرَج طائفةٌ منه .

فأتيته فوجدته على النَّحْو الذى دفنتُه لم يتغيَّر ، إلا ما لم يَدَع القتل أو القتيل .

ثم ساق الإمامُ قصةَ وفائه دَيْنَ أبيه ، كما هو ثابت فى الصحيحين .

وروى البيهقى من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما أَجْرَى معاويةُ العينَ عندَ قتلى أُحد بعد أربعين سنة استُصْرِخْنا إليهم ،

فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المِسْحاة قدمَ حمزة فانبعث دماً !

وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دُفنوا بالأمس .

وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يُجْرى العينَ نادى مناديه : من كان له قتيلٌ بأُحد فليَشهْد . قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدتُ أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته ووجدنا جارَه فى قبره عمرو بن الجَمُوح ويدُه على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً !

ويقال : إنه فاح من قبورهم مثلُ ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين . وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

* * *

وقد قال البخارى : حدثنا مُسَدّد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا حسين المعلم ، عن عطاء ، عن جابر قال : لما حضر أحدٌ دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يُقْتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وإنى لا أَتْرك بعدى أعزَّ على منك غيرَ نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علىَّ دَيناً فاقضِ واستوص بأخواتك خيرا .

فأصبحنا ، وكان أولَ قتيل، فدَفنت معه آخرَ فى قبره ، ثم لم تَطِبْ نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعتُه هيئةً غيرَ أذنه .

وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة، عن محمد بن المُنْكَدر ، عن جابر ، أَنه لما قُتل أبوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكى ، فنهاه الناسُ فقال رسول الله: « تبْكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكةُ تُظلُّه حتى رفعتموه » .

وفى رواية أن عمته هى الباكية .

وقال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا فيض بن وثيق البصرى ،

حدثنا أبو عبادة الأنصارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بَشَّرك الله بالخير . فقال : « أشعرتَ أن الله أَحْيا أباك فقال : تمنَّ على عبدى ما شئتَ أعطكه . قال : يا رب عبَدْتُك حق عبادتك، أتمنى عليك أن تَرَدَّنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأُقْتَل فيك مرةً أخرى . قال : إنه سلَف منى أنه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقى : حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى المعروف الأسفرايينى ، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى ، قال : سمعت طلحة بن خِرَاش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصِّمة الأنصارى ثم السُّلمى ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال . « مالى أراك مُهْتمًّا ؟ قال : قلت : يارسول الله قُتل أبى وترك دَيْناً وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلَّم أباك كِفَاحاً وقال له : يا عبدى سَلْنى أعطك . فقال : أسألك أن تردَّنى إلى الدنيا فأُقْتَلَ فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : أنهم إليها لا يرجعون. قال : يارب فأبلغ من ورائى . فأنزل الله « ولا تحسبَنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربهم يُرزقون[1] » الآية .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل، سمعت جابراً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك ياجابر ؟ قلت: بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له : ماتحبُّ ياعبدَ الله ، ماتحب أن أفعل بك؟ قال : أىْ ربِّ أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرةً أخرى » .

وقد رواه أحمد عن على بن المدينى ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن على بن

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

ربيعة السلمى ، عن ابن عقيل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : إنى قضيت أنهم إليها لا يرجعون .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن عبد الله عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : « أما والله لوَدِدْتُ أنى غودرت مع أصحابه بحضن الجبل » يعنى سفح الجبل .

تفرد به أحمد .

وقد روى البيهقى من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عُبيد بن عُمير ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أُحد مرَّ على مُصعب بن عُمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه فدعا له ثم قرأ : « مِن المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ماعاهدوا الله عليه » الآية قال : « أشهدُ أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فَأتوهم وزوروهم ، والذى نفسى بيده لا يسلِّم عليهم أحدٌ إن يوم القيامة إلا رَدوا عليه » .

وهذا حديث غريب .

وروى عن عُبيد بن عُمير مرسلا .

* * *

وروى البيهقى من حديث موسى بن يعقوب ، عن عبَّاد بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء ، فإذا أتى فَرْضة الشِّعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد أبى بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقدى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يزورهم كلَّ حَوْل ، فإذا بلغ نقرة الشِّعب يقول: « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول، ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم فتبكى عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يسلِّمَ ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلِّمون على قوم يردّون عليكم .

ثم حكى زيارتهم عن أبى سعيد ،وأبى هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأم سلمة رضى الله عنهم .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى إبراهيم ، حدثنى الحكم بن نافع ، حدثنا العطاف بن خالد ، حدثتنى خالتى قالت : ركبتُ يوماً إلى قبور الشهداء ـ وكانت لاتزال تأتيهم ـ فنزلتُ عند حمزة فصليت ماشاء الله أن أصلى ، وما فى الوادى داع ولا مجيب ، إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابتى ، فلما فرغت من صلاتى قلت هكذا بيدى : « السلام عليكم » قالت : فسمعت رَدَّ السلام علىَّ يخرج من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله عزوجل خلقنى ، وكما أعرف الليل والنهار ، فاقشعرّت كلُّ شعرة منى !

وقال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لمّا أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضْر تَرِدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طِيبَ مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَن يبلغ إخواننا عنَّا أنا أحياء فى الجنة نُرْزَق لئلا ينْكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد ؟

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله فى الكتاب قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرْزَقون » .

وروى مسلم والبيهقى من حديث أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرَّة ، عن مسروق قال : سألنا عبدَ الله بن مسعود عن هذه الآية : « ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربهم يُرزقون » .

فقال : أمَا إنا قد سألنا عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرواحُهم فى جوف طيرٍ خُضر تسرح فى أيها شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلَّقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألونى ماشئتم . فقالوا : ياربنا ومانسألك ونحن نسرح فى الجنة فى أيها شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يُترْكوا من أن يُسألوا قالوا : نسألك أن تردَّ أرواحنا إلى أجسادنا فى الدنيا نُقْتل فى سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يَسْألون إلا هذا تُركوا .

فصـــل

فى عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استُشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصـار تسعة وأربعون رجلا .

وقد ثبت فى الحديث الصحيح عند البخارى عن البرَاء ، أنهم قَتلوا من المسلمين سبعين رجلا . فالله أعلم .

وقال قتادة : عن أنس ، قُتل من الأنصار يوم أحد سبعون ، ويوم بئر مَعُونَة سبعون ويوم اليمامة سبعون .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أنه كان يقول : قارب السبعين يومَ أُحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مُؤْتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن المسيَّب ، قُتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جِسر أبى عُبَيدة سبعون .

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن إسحاق فى قتلى أُحد ، ويشهد له قوله تعالى « أولَمَّا أصابتكم مُصيبةٌ قد أصبتم مثليها قلتم : أنَّى هـذا[1] » يعنى أنهم قَتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق : قتل من الأنصار ـ لعله من المسلمين ـ يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين : حمزة وعبد الله بن جحش ومُصْعَب بن عمير وشَمَّاس بن عثمان والباقون من الأنصار .

وسرد أسماءهم على قبائلهم . وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلا .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة ، أو قال سبعة ، وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعة وأربعون . وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الربيع عن الشافعى : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عَزَّة الجمحى ، وقد كان فى الأسارى يوم بدر ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله ، فلما أسر يوم أحد قال : يامحمد امنن علىَّ لِبَناتى ، وأعاهد ألَّا أقاتلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاأدَعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمداً مرتين ، ثم أمر به فضربت عنقه .

وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلدَغ المؤمنُ من جُحر مرتين ! »

---

(١) سورة آل عمران ١٦٥ .

فصل

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقيته حَمْنَة بنت جحش كما ذكر لى ، فلما لقيت الناس نُعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعى لها زوجُها مُصعب بن عُمير فصاحت وولْولت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ زوجَ المرأة منها لبمكانٍ ! » لما رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن محمد الفرَوى ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش ، عن أبيه ، عن حَمْنة بنت جحش ، أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت: رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون . فقالوا: قتل زوجك قالت : واحزناه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للزوج من المرأة لَشُعْبة ما هى لشىء » !

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون ، عن إسماعيل ، عن محمد ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كلُّ مصيبة بعدَك جلل .

قال ابن هشام : الجَلَل يكون من القليل والكثير ، وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقتْلُ بنى أَسدٍ ربَّهم ... ألا كلُّ شىء خلاه جَلَلْ

أى صغير وقليل .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفَه ابنته فاطمة فقال : « اغسلى عن هذا دمه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدَقنى فى هذا اليوم » .

وناولها علىٌّ بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدَقنى اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنتَ صدَقْتَ القتالَ لقد صدَقه معك سَهْل بن حُنيف وأبو دُجَانة » .

وقال موسى بن عقبة فى موضع آخر : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفَ علىّ مخضَّباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنتَ القتال فقد أحسَن عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح والحارث بن الصِّمة وسهل بن حنيف » .

وروى البيهقى عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء على بن أبى طالب بسيفه يوم أُحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاكِ السيفَ حميداً فإنها قد شفَتْنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت أجدْتَ الضربَ بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دُجَانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصِّمة » .

قال ابن هشام : وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو ذو الفقار .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم عن ابن أبى نَجِيح قال : نادى منادٍ يومَ أُحد : لا سيفَ إلا ذو الفقار (١) .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ : « لا يصيب المشركون منا مثلَها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق : ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بنى عبد الأشهل ، فسمع

(١) ابن هشام : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا على . ولا ندرى لماذا أسقطها ابن كثير !

البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لكنّ حمزَة لا بواكى له » .

فلما رجع سعدُ بن معاذ وأُسيد بن الحُضَير إلى دار بنى عبد الأشهل أمَرا نساءهن أن يتحزَّمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن فى باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسَيْتن بأنفسكن » .

قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن النوح ، فيما قال ابن هشام .

وهذا الذى ذكره منقطع ومنه مرسل .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، حدثنى أسامة بن زيد ، حدثنى نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من أحد فجعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن حمزَة لا بَواكى له » .

قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم إذاً يبكين يندبْن حمزة » .

وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بنساء بنى عبد الأشهل يبكين هَلْكاهن يومَ أُحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكنّ حمزة لا بَواكى له » .

فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ويحهن ما انقلبن بعدَ مرورهن ، فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزقة المدينة إذا النَّوْحُ والبكاء فى الدور قال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكى له » واستغفر له .

فسمع ذلك سعدُ بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة ، فمشوا إلى دورهم فجمعوا كلَّ نائحة باكية كانت بالمدينة ، فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمَّ النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد ذَكر أنه لا بواكى له بالمدينة .

وزعموا أن الذى جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم وقال لهمّ خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبُّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين فى المكر والتفريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحزين المسلمين ، وظهر غشُّ اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فَوْر المِرْجَل .

وقالت اليهود : لو كان نبيًّا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيبْ ، ولكنه طالب مُلْك تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون مثلَ قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم .

فأنزل الله القرآن فى طاعة مَنْ أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين ، يعنى فيمن قُتل منهم فقال : «وإذ غدَوْتَ مِنْ أهلك تبوِّئْ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم» الآيات كلها _ كما تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه

على مابهم من القَرْح والجراح ، فى أثر أبى سفيان ، إرهاباً له ولأصحابه

حتى بلغ حمراء الأسد ، وهى على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعةَ أُحـد ، وذكره رجوعه عليـه السلام إلى المدينة :

وقدِم رجلٌ من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أبى سفيان وأصحابه فقال : نازَلْتهم فسمعتهم يَتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لمْ تَصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكةَ القـوم وحـدَّهم ثم تركتموهم ولم تَبْتروهم ، فقـد بقى منهم رءوس يجمعون لـكم .

فأمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم – وبِهم أشدُّ القَرْح – بطَلَب العدوِّ ليَسْمعوا بذلك ، وقال : لا ينطلقنّ معى إلا من شَهد القتالَ . فقال عبد الله بن أبىّ : أنا راكب معك . فقال : لا .

فاستجابوا لله ولرسوله على الذى بهم من البلاء . فانطلقوا .

فقال الله فى كتابه : « الذين استجابوا لله والرسولِ مِنْ بَعدِ ما أصابَهم القرحُ ، للذين أحْسَنوا منهم واتَّقَوا أجرٌ عظيم » (١) .

قال : وأذِن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لجابر ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام فى المدينة على أخواته .

---

(١) سورة آل عمران

قال : وطلب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العدوَّ حتى بلغ حَمراءَ الأسد .

وهكذا روى ابن لَهِيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، سَواء .

***

وقال محمد بن إسحاق في مغازيه : وكان يوم أُحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لستٍّ عشرة ليلة مضت من شوال ، أذَّن مؤذنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدوّ ، وأذّن مؤذنه : ألّا يخرجنّ أحدٌ إلا مَن حضر يومَنا بالأمس . فكلَّمه جابر بن عبد الله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِباً للعدوّ ليَبْلغهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوةً ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من بني عبد الأشهل قال : شهدتُ أُحداً أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذَّن مؤذنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفُوتنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! والله مالنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسرَ جرحاً منه ، فكان إذا غُلب حَمَلْته عُقْبةً ومشَى عُقْبة (١) ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمراء الأَسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمَل على المدينة ابنَ أم مكتوم .

---

(١) العقبة : النوبة .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر [أنّ] مَعْبَد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة مُسْلمهم وكافرهم عَيْبة (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صَفْقتُهم (٢) معه لا يُخفون عنه شيئاً كان بها ، ومَعْبد يومئذ مشرك ، مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد أمَا والله لقد عزَّ علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج مِن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالرَّوحاء ، وقد أجمعوا الرَّجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ ! لنَكُرَّن على بقيتهم فلنَفْرغن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمعٍ لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلَّف عنه فى يومكم وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط .

قال : ويلك ماتقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكرَّة عليهم لنستأصل شأفتهم . قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملنى مارأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادتْ تُهَدُّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرضُ بالجرْد الأبابيلِ (٣)

تَرْدِى (٤) بأُسْدٍ كرام لا تنَابلةٍ ... عند اللقاء ولا مِيلٍ معازيلِ

فظَلْتُ عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائلةً ... لمَّا سَمَوا برئيسٍ غيرِ مخذول

---

(١) ابن هشام : عيبة نصح لرسول الله . والعيبة : موضع السر . (٢) صفقتهم : حلفهم .

(٣) الجرد : عتاق الخيل . والأبابيل : الجماعات . (٤) تردى : تسرع .

فقلت ويلَ ابن حرب من لقائـكمُ إذا تَغَطْمَطتِ البطحـاء بالجيلِ [1]
إنى نذيرٌ لأهل البَسْل [2] ضاحيـةً لـكل ذى إربةٍ منهم ومعقولِ
من جيش أحمـد لا وَخْشٌ [3] قنابله وليس يوصَف ما أنذرتُ بالقيلِ

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولم ؟ قالوا نريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلـكم بهـا إليه وأحمِّل لـكم إبلـكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فمر الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

وكذا قال الحسن البصرى .

وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، أراه قال : حدثنا أبو بكر ، عن أبى حصين ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لـكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

تفرد بروايته البخارى .

وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القَرْحُ للذين أحسنُوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » قالت لعروة : يا بن أختى كان أبواك

---

(١) تغطمطت : اهتزت . والجيل : الصف من الناس . (٢) أهل البسل : قريش .
(٣) الوخش: الردىء . وفى ابن هشام : تنابلة . والقنابل : جمع قنبلة الطائفة من الناس والخيل .

منهم ، الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما، لمّا أصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أُحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب فى إثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير .

هكذا رواه البخارى . وقد رواه مسلم مختصراً من وجهٍ عن هشام ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه ، عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق أبى سعيد عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث السُّدى عن عروة ، وقال فى كل منهما : صحيح ولم يخرجاه .

كذا قال . وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد كلٌّ من شهد أُحداً ، وكانوا سبعمائة ، كما تقدم . قُتل منهم سبعون وبقى الباقون .

وقد روى ابن جرير من طريق العَوْفى ، عن ابن عباس قال : إن الله قذَف فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد فى شوال ، وكان التجار يَقْدَمون فى ذى القعدة المدينةَ فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرحُ واشتكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذى أصابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناسَ لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا مُتَّبعين وقال لنا : ترتحلون الآن فتأتون الحجَّ ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل .

فجاء الشيطان يخوّف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال : إنى ذاهبٌ وإن لم يتبعنى أحد .

فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن

عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة فى سبعين رجلا ، فساروا فى طلب أبى سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله : « الذين استجابوا لله والرسول مِنْ بعد ما أصابهم القرحُ للذين أحْسَنوا منهم واتَّقوا أجرٌ عظيم » .

وهذا غريب أيضاً .

وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أُحد أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حَرِبوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غير الذى كان ، فارجِعوا . فرجعوا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هَمُّوا بالرَّجعة : « والذى نفسي بيده لقد سُوِّمت لهم حجارةٌ لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمسِ الذاهب ! » .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة، معاويةَ ابن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزَّة الجمحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسَره ببدر ثم منَّ عليه فقال : يارسول الله أقِلْنى ، فقال : لا والله لاتمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين . اضرب عنقه يا زبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن ابن المسيَّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن لا يُلْدَغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام : أن معاوية بن المغيرة بن أبى العاص استَأْمَن له عثمانُ على ألا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه فى مكان كذا وكذا فاقتلاه . ففعلا رضى الله عنهما .

* * *

قال ابن إسحاق . ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عبد الله بن أُبىّ كما حدثنى الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا يُنْكَرله شرفاً فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظْهركم أكرمكم الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزِّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس .

حتى إذا صنع يومَ أُحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، وأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أىْ عدوَّ الله ، والله لست لذلك بأهل وقد صنعتَ ما صنعت .

فخرج يتخطَّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجْراً[1] أنْ قمتُ أشدِّد أمرَه !

فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمت أشدد أمره فوثب إلىّ رجال من أصحابه يَجْبذوننى ويعنفوننى ، لكأنما قلت بُجْراً أنْ قمت أشدد أمره .

قالوا : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله ما أبغى أن يستغفر لى .

* * *

ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن فى قصة أُحد من سورة آل عمران عند قوله « وإذْ غدوتَ مِنْ أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعدَ للقتال والله سميعٌ عليم » .

قال : إلى تمام ستين آية . وتكلم عليها .

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

(١) البجر : الشر والأمر العظيم .

ثم شرع ابن إسحاق فى ذكر شهداء أحد وتَعْدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته .

فذكر من المهاجرين أربعةً : حمزة ومُصْعب بن عمير وعبد الله بن جَحْش وشمَّاس ابن عثمان رضى الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلا . واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

ثم سمى ابن إسحاق مَن قُتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عَزَّة الجمحى ، كما ذكره الشافعى وغيره ، وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صَبْراً بين يديه ، أمر الزبيرَ ، ويقال : عاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح ، فضرب عنقه .

فصـــل

فيما تقاول به المؤمنون والكفار فى وقعة أُحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ، ليكون أبْلَغ فى وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقْطَع لشبهة الكفرة الطغام .

قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هُبَيرة ابن أبى وهب المخزومى ، وهو على دين قومه من قريش ، فقال :

ما بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يَطْرُقنى ... بالودِّ من هندٍ إذ تَعْدو عواديها
باتت تعاتبنى هنـدٌ وتَعْذُلنى ... والحربُ قد شُغلت عنّى مواليها
مَهْلاً فلا تَعْذُلينى إنّ مِنْ خُلقى ... ما قد علمتِ وما إنْ لستُ أُخفيها
مُسَاعفٌ لبنى كعبٍ بما كَلِفوا ... حَمَّالُ عبءٍ وأثقـالٍ أعانيها
وقد حَملْتُ سلاحى فوقَ مُشْتَرِفٍ ... ساطٍ سَبُوح إذا تَجْرى يباريها(١)
كأنه إذ جرَى عَـيْرٌ بفَدْفَدَة ... مُـكَدَّمٌ لاحقٌ بالعُون يحميها(٢)
مِنْ آل أعْوَجَ يرتاح النَّدِىُّ له ... كجذع شَعْراء مُسْتَعْل مراقيها
أعْدَدْتُه ورقاقَ الحدّ مُنْتَخَلاً ... ومارِناً لخطوبٍ قَدْ ألاقيها(٣)
هذا وبيضاءَ مِثل النِّهْى مُحْكَمة ... لظَّتْ علىَّ فما تَبْدو مساويها(٤)
سُقْنا كنانَة من أطراف ذى يمنٍ ... عُرْضَ البلاد على ما كان يُزْجيها
قالت كنانة أنَّى تَذْهبون بنا ... قلنا النُّخَيْل فأمُّوها ومن فيها(٥)

---

(١) مشترف : مشرف . والساطى : الفرس البعيد الخطو . والسبوح : الذى يسبح فى جريه .
(٢) العير : حمـار الوحش . والفدفدة : الفلاة . والمـكدم المعضض . والعون : جمع عانة وهو القطيع من حمر الوحش . (٣) رقاق الحد : السيوف . ومنتخلا : متخيرا والمارن : الرمح الصلب اللدن .
(٤) البيضاء : يريد بها الدرع . والنهى : الغدير . لظت : لصقت . (٥) النخيل : عين قرب المدينة .

نحن الفوارس يوم الجرِّ[1] من أُحدٍ ... هابَتْ مَعدٌّ فقلنا نحن نأتيها

هابوا ضِراباً وطَعناً صادقا خَذِماً ... مما يَرون وقد ضُمَّت قواصيها[2]

ثمّت رُحْنا كأنا عارضٌ بَرِدٌ ... وقام هامُ بنى النجار يَبْكيها[3]

كأن هامهمُ عند الوغَى فِلَقٌ ... من قَيْضِ رُبْدٍ نفتْه عن أداحيها[4]

أو حنظلٌ ذَعْذَعته الريحُ فى غُصُنٍ ... بالٍ تَعاوره منها سَوافيها[5]

قد نَبْذُل المالَ سَحًّا لا حساب له ... ونَطْعن الخيلَ شَزْراً فى مآقيها[6]

وليلةٍ يَصْطلى بالفَرْثِ جازرُها ... يختص بالنَّقْرى المُثْرين داعيها[7]

وليلةٍ مِنْ جُمادى ذاتِ أَنْديةٍ ... جَرْباً جُمادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْرِيها[8]

لا يَنْبح الكلبُ فيها غيرَ واحدةً ... من القَرِيس ولا تَسْرِى أفاعِيها[9]

أوقدتُ فيها لِذِى الضَّراء جاحمةً ... كالبرق ذاكيةِ الأركان أَحْمِيها[10]

أورثنى ذالكم عمروٌ ووالده ... مِنْ قبله كان بالمَشْتَى يُغَالِيها[11]

كانوا يُبَارون أنواءَ النجوم فما ... دَنَّت عن السَّوْرة العُلْيا مساعِيها

***

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

قال ابن هشام : وتروى لكعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم :

(١) الجر : أصل الجبل . (٢) الخذم : القاطع . (٣) العارض : السحاب . وبرد : به برد ، وهو حب الغمام . (٤) القيض : القشرة العليا اليابسة من البيض . والربد : النعام . والأداحى : جمع أدحى وهو مبيض النعام . (٥) ذعذعته : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسوافى : الرياح الشديدة .
(٦) سحا : صبا . والشزر فى الطعن : أن يكون من ناحية غير مستقيمة .
(٧) يصطلى : يستدفىء . والنقرى : الدعوة الخاصة ، أى يختص الأغنياء طلبا لمكافأتهم ، يصف شدة الزمان . (٨) أندية : جمع ندى على غير قياس ، وقيل : إنه جمع الجمع ، والجرباء : المقحطة .
(٩) القريس : البرد الشديد . (١٠) الجاحمة : الملتهبة .
(١١) ابن هشام : بالمثنى . وما هنا أوضح .

سُقْتم كنانةَ جَهْلا من سفاهتكم ... إلى الرسول فجُنْد الله مُخْزيها
أوردتموها حياضَ الموتِ ضاحيةً ... فالنارُ مَوْعِدُها والقتلُ لاقيها
جمعتموهمْ أحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمةُ الكفرِ غرَّتكم طواغِيها
ألا اعتبرتم بخَيْل الله إذ قَتلتْ ... أهلَ القَليب ومَن ألقَيْنَه فيها
كَمْ مِن أسيرٍ فكَكْناه بلا ثَمنٍ ... وجَزِّ ناصيةٍ كُنَّا مَواليها

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يجيب هُبَيرة بن أبى وهب المخزومى أيضاً:

ألا هل أتى غسانَ عنَّا ودونَهم ... من الأرض خَرْقٌ سَيْره مُتَنعنعُ(١)
صحارى وأعلامٌ كأنّ قَتامَها ... من البُعْد نَقْعٌ هامدٌ متقطِّعُ(٢)
تَظلُّ به البُزْلُ العَراميسُ رُزَّحاً ... ويَحْلو به غَيْثُ السنين فيُمْرِعُ(٣)
به جِيَفُ الحسْرى يَلُوح صَليبُها ... كما لاح كَتّانُ التِّجَار الموضَّعُ(٤)
به العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً ... وبَيْضُ نَعامٍ قَيْضُه يتقلَّعُ(٥)
مُجالدنا عَنْ دِيننا كلُّ فَخْمةٍ ... مُذَرَّبةٍ فيها القَوانسُ تلمعُ(٦)
وكلُّ صَمُوتٍ فى الصِّوانِ كأنها ... إذا لُبست نَهْىٌ من الماء مُتْرَعُ(٧)
ولكن ببَدْرٍ سائِلوا مَن لقيتمُ ... مِن الناس والأنباء بالغيب تَنفعُ
وإنا بأرض الخوفِ لو كان أهلَها ... سوانا لقد أُجْلُوا بليلٍ فأقْشعُوا
إذا جاء منّا راكبٌ كان قولُه ... أعِدُّوا لما يُزْجى ابنُ حربٍ ويجمعُ

---

(١) المتنعنع: المضطرب. (٢) الأعلام: الجبال. والقتام الغبار. والنقع: الغبار أيضا.
(٣) البزل: جمع بازل. وهى الناقة التى تبلغ التاسعة. والعراميس: الصلبة. والرزح: المعيية.
(٤) الصليب: ودك العظام. والموضع: المبسوط.
(٥) العين: بقر الوحش والآرام. وخلفة: قطعة وراء قطعة. والقيض: قشور البيض. ويتقلع: يتشقق.
(٦) مذربة: محددة. والقوانس: جمع قونس وهى بيضة السلاح.
(٧) كل صموت: أراد به الدرع. جعلها صموتا لشدة نسجها وإحكام صنعتها. والنهى: الغدير. والمترع: الملىء.

فمها يُهِمُّ الناسَ ممـا يكيدنا ... فنحن له مِن سائر الناس أوسعُ
فلو غيرنا كانت جميعاً تـكيده الـــبَرِيَّةُ قد أعطوا يداً وتوزَّعوا
نُجالدُ لا تُبقى علينـا قبيـلةٌ ... من الناس إلّا أن يَهابوا ويفظَعوا
ولما ابتنوا بالعِرْض قالت سُراتنا ... عَلَامَ إذا لم نَمْنَع العِرْضَ نَزْرَعُ(١)
وفينـا رسول الله نَتْبع أمرَه ... إذا قال فينا القولَ لا نتطَلَّعُ(٢)
تدلَّى عليه الروحُ مِنْ عندِ ربه ... يُنزَّل مِن جوِّ السماءِ ويُرْفَـعُ
نُشاوره فيما نريد وقَصْرُنا(٣) ... إذا ما اشتهى أنّا نُطيع ونَسمعُ
وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لنـا ... ذَرُوا عنكمُ هَوْلَ المنيّاتِ واطمعوا
وكونوا كمن يَشْرِى الحياةَ تقرُّباً ... إلى مَلِكٍ يُحْيـا لديه ويُرْجَعُ
ولـكن خذوا أسيافَـكم وتوكّلوا ... على الله إنّ الأمرَ لله أجمعُ
فسِرْنا إليهم جَهرةً فى رِحالهم ... ضُحَيّا علينا البِيضُ لا نتخشَّعُ
بمَلْمومةٍ فيها السَّنَوَّرُ والقَنـا ... إذا ضَربوا أقدامها لا تَورَّعُ(٤)
فجئنا إلى موجٍ من البحر وسطَه ... أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقَنَّعُ
ثلاثة آلاف ونحن نَصِيَّةٌ ... ثلاث مئين إنْ كَثُرْنا فأربعُ(٥)
نُغَاورهم تجرى المنية بيننـــا ... نُشَارعهم حَوْضَ المنايا ونَشْرعُ
تَهادَى قِسِيُّ النَّبْع فينا وفيهمُ ... وما هو إلا اليَثْرِبىُّ المقطَّعُ(٦)
ومَنْجوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صاعِدِيَّةٌ ... يُذَرُّ عليها السَّمُّ ساعةَ تُصْنعُ(٧)

---

(١) العرض : سفح الجبل . وهو جبل أحد . (٢) لا نتطلع : لا نميل عنه .
(٣) قصرنا : غايتنا . (٤) الململومة : الكتيبة . والسنور : السلاح . لاتورع : لا تكف .
(٥) النصية : الخيار من القوم .
(٦) النبع : شجر للقسى والسهام ينبت فى قلة الجبل . واليثربى : الوتر المنسوب إلى يثرب .
(٧) المنجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد ، كان يصنعها

تَصُوب بأبدانِ الرجالِ وتارةً ... تمرُّ بأعراض البِصَار تَقَعْقَعُ (١)
وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها ... جَرادُ صَباً فى قَرَّةٍ يتريَّع (٢)
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحا ... وليس لأمرٍ حَمَّه الله مَدْفَعُ
ضربناهمُ حتى تركْنا سَراتهم ... كأنهمُ بالقاع خُشْبٌ مُصَرَّعُ
لَدُنْ غُدْوة حتى استفقْنا عشيةً ... كأن ذَكانا حَرُّ نار تلفَّع (٣)
وراحوا سِراعاً موجَعين (٤) كأنهم ... جَهامٌ هراقت ماءَه الريحُ مُقْلَعُ (٥)
ورحنا وأُخْرانا بِطاءٌ كأننا ... أُسود على لحمٍ ببيشة ضُلَّعُ (٦)
فنِلْنا ونالَ القومُ منّا ورُبما ... فَعلْنا ولكنْ ما لدى الله أَوْسعُ
ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهمُ ... وقد جعلوا كلٌّ مِن الشرّ يَشْبعُ
ونحن أناسٌ لا نرَى القتلَ سُبَّةً ... على كلِّ من يَحْمِى الذِّمارَ ويمنعُ
جِلادٌ على رَيْب الحوادث لا نرَى ... على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ
بنو الحرب لا نَعْيَا بشىء نقوله ... ولا نحنُ مما جرَّت الحربُ نجزعُ
بنو الحرب إنْ نظفر فلسنا بفُحَّش ... ولا نحن مِن أظفارنا نتوجعُ
وكُنَّا شِهاباً يتَّقى الناسُ حَرَّه ... ويَفْرُج عنه مَنْ يليه ويَسْفَعُ (٧)
فخرْتَ علىَّ ابنَ الزِّبعرى وقد سَرى ... لكم طابٌ من آخر الليل مُتْبَعُ
فسَلْ عنك فى عَلْيا معدٍّ وغيرها ... من الناس من أَخْزى مقاماً وأشنَعُ

---

(١) قال السهيلى : « يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعقع فيها ، وهى جمع بصرة ، وهى حجارة لينة . ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة ، مثل كريمة وكرام . والبصيرة : الدرع ، وقيل : الترس » .

(٢) الصبا : ريح شرقية . والقرة : الليلة الباردة . يتريع : يذهب ويجىء .

(٣) ذكانا : حرارتنا فى الحرب .

(٤) ابن هشام : موجفين .

(٥) الجهام : السحاب الرقيق .

(٦) بيشة : موضع كثير الأسود . وفى ابن هشام : ظلع .

(٧) يفرج عنه : ينكشف . ويسفع : يلفح .

ومن هو لم يَترك له الحربُ مَفْخراً ... ومَن خدُّه يومَ الكريهةِ أضرَعُ
شدَدْنا بحول الله والنصرِ شدةً ... عليكم وأطرافُ الأسنَّة شُرَّعُ
تَكِرُّ القنا فيكم كأنَّ فُروعها ... عزالِي مزَادٍ ماؤها يتهزَّعُ(١)
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يَطِرْ ... بذِكْر اللواءِ فهو فى الحمد أسْرَعُ
فخانُوا وقد أعطَوا يَداً وتخاذَلوا ... أبَى الله إلا أمرَه وهو أصْنَعُ

***

قال ابنُ إسحاق : وقال عبدُ الله بن الزبَعْرى فى يوم أُحُد وهو يومئذ مشركٌ بعدُ :

ياغُرابَ البَيْن أسمعتَ فقلْ ... إنما تَنطق شيئاً قد فُعِلْ
إن للخيرِ وللشرِّ مَدًى ... وكِلاَ ذلك وَجهٌ وقَبَلْ(٢)
والعطيَّات خِساسٌ بَيْنهم ... وسواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلّ
كلُّ عيش ونعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدهرِ يَلعبن بكُلّ
أبلغاً حسّانَ عنّى آيةً ... فقريضُ الشِّعر يَشْفى ذا الغُلَلْ
كم ترى بالجرِّ من جُمجمةٍ ... وأكفٍّ قد أُترَّت ورِجِلْ(٣)
وسرابيلٍ حِسانٍ سُرِّيتْ ... عن كُماةٍ أُهْلِكوا فى المنتزَلْ
كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجِدِ الجدَّين مِقدامٍ بَطَلْ
صادق النجدةِ قِرْمٍ بارِعٍ ... غير مُلْتاثٍ لدَى وَقْع الأسَلْ
فَسلِ المِهْراسَ ما ساكنُه ... بيَن أقحافٍ وهامٍ كالحجَلْ(٤)
ليتَ أشياخى ببدرٍ شَهِدوا ... جزَعَ الخزرج مِن وَقْع الأسَلْ

---

(١) العزالى : جمع عزلى ، وهى مصب المـاء من الراوية . والمزاد : جمع مزادة وهى الراوية . ويتهزع : يتقطع . (٢) القبل : العيان والمواجهة . (٣) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت . (٤) المهراس : ماء بأحـد . وفى ابن هشام : من ساكنه . والأقحاف : جمع قحف . والهـام : الرءوس . والحجل : الذكر من القبج .

حين حَكَّت بقُبَاء بَرْكَها[(١)] واستحرّ القتلُ فى عَبْد الأشَل
ثم خَفُّوا عنـدَ ذاكم رُقَّصاً رَقصَ الحَفَّان يعلو فى الجبَلْ[(٢)]
فقتلنـا الضِّعْفَ من أشرافهم وعـدَلْنا مَيلَ بَدْرٍ فاعتدَلْ
لا ألوم النفسَ إلا أننـا لو كَرَرْنا لفعلنـا المُفْتَعلْ
بسيوف الهنـدِ تعلو هامَهم عَلَلاً تَعْلوهمُ بعـدَ نَهَلْ

قال ابن إسحاق : فأجابه حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبتْ بابنِ الزِّبَعْرى وقعـةٌ كان منا الفضـلُ فيهـا لو عدَلْ
ولقـد نلتم ونِلْنا منكمُ وكذلك الحربُ أحياناً دُوَلْ
نَضَع الأسيافَ فى أكتافكم حيثُ نَهْوى عَلَلاً بعد نَهَلْ
نُخرج الأضْبَحَ مِن أسْتاهكم كسُلاحِ النِّيب يأكلن العَصَلْ[(٣)]
إذْ تُوَلُّون على أعقابكم هَرباً فى الشِّعب أشباه الرِّسَل[(٤)]
إذ شَـدَدنا شَـدَّةً صادقةً فأجأناكمْ إلى سَفْح الجبلْ
بخَناطيل كأشْـداق المَلاَ مَنْ يُلاقوه من الناسِ يُهَلْ[(٥)]
ضاق عنا الشِّعْب إذ نَجْزَعـه وملأنا الفَرْطَ منه والرجَل[(٦)]
برجالٍ لستمُ أمثـالهمْ أيِّدوا جبريلَ نصراً فنزل[(٧)]

---

(١) البرك : الصدر . وعبد الأشل : هم بنو عبد الأشهل .
(٢) الرقص : الخبب فى السير ، وهو الإسراع . والحفان : فراخ النعام .
(٣) الأضبح : وصف للبن المذوق المخرج من بطونهم ، كما قال السهيلى ٢/ ١٥٨ وتروى : الأضياح . وهو اللبن الممزوج بالماء . والنيب : النوق المسنة . والعصل : نبات يصلح الإبل إذا أكلته .
(٤) الرسل : الغنم إذا أرسلها الراعى ، والرسل : القطيع من كل شىء .
(٥) الخناطيل : الجماعات . والأشداق : جمع شدق ، وهو من الوادى عرضاه وناحيتاه . والملا : الفلاة ذات حر وسراب . ويهل : يفزع .
(٦) نجزعه : نقطعه عرضا . والفرط : المرتفع من الأرض . والرجل : المطمئن منها .
(٧) أيدوا جبريل : أراد : أيدوا بجبريل .

وعلونا يومَ بدر بالتُّقَى طاعةِ الله وتصديق الرُّسُلْ

وقتلنا كلَّ رأسٍ منهمُ وقتلْنا كلَّ جَحْجَاح رِفَل (١)

وتركنا فى قريشٍ عورةً يومَ بدر وأحاديث المَثَلْ

ورسول الله حقًّا شاهداً يوم بدر والتنابيل الهُبُلْ (٢)

فى قريش من جموع جُمعوا مثل مايُجْمع فى الخِصْب الهَمَل (٣)

نحن لا أمثالكم وُلْدُ استها نَحْضر البأس إذا البأسُ نزل

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبكى حمزة ومن قُتل من المسلمين يوم أُحد ، رضى الله عنهم :

نَشَجْتَ وهل لك مِنْ مَنْشَجِ وكنت متى تدَّكرْ تَلْجَجِ

تَذَكُّر قومٍ أتانى لهم أحاديث فى الزمن الأعوَجِ

فقَلْبُك مِنْ ذِكْرِهم خافقٌ من الشوقِ والحزَن المُنْضجِ

وقتلاهمُ فى جِنَان النعيم كرامُ المداخل والمَخْرَج

بما صبَروا تحت ظل اللواء لواءِ الرسول بذى الأضْوُجِ (٤)

غداةَ أجابت بأسيافها جميعاً بنو الأوس والخزرجِ

وأشياع أحمد إذ شايعوا على الحق ذى النور والمَنْهج

فما بَرِحوا يضربون الكُماةَ ويَمْضون فى القسْطَل المرهَجِ (٥)

---

(١) الجحجاح : السيد . والرفل : الذى يجر ثوبه خيلاء .
(٢) التنابيل : القصار . والهبل : الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم .
(٣) الهمل : الإبل المهملة التى تركت دون راع .
(٤) الأضوج : جمع ضوج ، وهو منعطف الوادى .
(٥) القسطل : الغبار .

كذلك حتى دعاهم مليــك ... إلى جنة دَوْحة المَوْلِـجِ (١)
وكلهمُ مات حُرَّ البــلاء ... على مــلة الله لم يَحْرَجِ
كحمزة لمــا وفى صادقاً ... بذى هَبَّةٍ صارمٍ سَلْجَجِ (٢)
فلاقاه عبدُ بنى نوفــل ... يُبَربر كالجمــل الأدْعَجِ (٣)
فأَوْجَــره حَرْبَةً كالشهاب ... تلهَّب فى اللهب الموهَــجِ
ونعمان أوفى بميثاقــه ... وحنظلة الخــير لم يُحْنَجِ (٤)
عن الحق حتى غدت روحــه ... إلى منزل فاخر الزِّبْرِجِ (٥)
أولئك لا مَن ثوى منــكمُ ... من النــار فى الدرك المُرْتَجِ

***

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أُحد ، وهى على روىّ قصيدة أمية بن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان . والله أعلم :

يامَىّ قومى فاندبى ... بسُحَيْرة شَجْوَ النوائحْ
كالحامــلاتِ الوِقْرَ بالــثِّقل الملحّات الدّوالحْ (٦)
المُعْــولات الخامشا ... ت وجوهَ حُرّاتٍ صحائحْ
وكأن سيــلَ دموعها الــأنصابُ تُخْضَب بالذبائحْ
يَنقضن أشعــاراً لهن ... هناك بادية المسائحْ (٧)
وكأنهــا أذناب خيــلٍ بالضُّحى شُمْسٍ رَوامحْ

(١) الدوحة : الكثيرة الأغصان . والمولج : المدخل (٢) السلجج : المرهف .
(٣) عبد بنى نوفل : وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصيح . والأدعج : الأسود .
(٤) لم يحنج : لم يمل . (٥) الزبرج : الوشى .
(٦) الدوالح : الحاملات الثقل . (٧) المسائح : ذوائب الشعر .

من بين مَشْرُور ومجـ زورٍ يُذَعْذع بالبوارح (١)
يبكين شجـواً مُسلبـات كـدَّحتهن الـكوادحْ
ولقـــد أصاب قلوبَها مَجْلٌ له جُلَب قوارحْ (٢)
إذ أقْصَــد الحِدْثان من كنا نرجّى إذ نُشَايحْ (٣)
أصحابَ أُحْــــد غالهم دهرٌ ألمَّ له جـــوارحْ
من كان فارسنـــا وحا مينا إذا بُعث المَسَالحْ (٤)
ياحَمْــــزَ لا والله لا أنساك ماصُرَّ اللقائحْ
لمُنَاخ أيتـــامٍ وأضـ يافٍ وأرملةٍ تُلامحْ (٥)
ولِمَا ينوب الدهـــر فى حرب لحرب وهى لاقِـحْ
يافارساً يامِـــدْرهاً ياحمزَ قد كنت المُصَامح (٦)
عنا شـــديداتِ الخطو ب إذا ينوب لهن فادح
ذكَّرتنى أســد الرسو ل وذاك مِدْرَهُنا المُنَافحْ
عنا وكان يعـــدُّ إذ عُدَّ الشريفون الجحَاجحْ
يعـــلو القماقمَ جهرةً سَبط اليدين أغرّ واضح
لا طائشٌ رَعِش ولا ذو عـلة بالحِمْل آنِـحْ (٧)
بَحْر فليس يغبُّ جا راً منـــه سَيْبٌ أو مَنَادحْ
أوْدَى شبابُ أولى الحفا ئظ والثقيـــلون المرَاجح
المُطْعمون إذا المشـــا تى ما يصفقهن ناضح

(١) المشرور : الذى وضع لحمه فى خصفة ليجف . ويذعذع : يفرق . والبوارح : الرياح الشديدة .
(٢) المجل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء . والجلب : جمع جلبة وهو قشرة تعلو الجرح عند البرء .
(٣) نشايح : نحذر . (٤) اللقائح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن .
(٥) تلامح : تنظر نظرة ثم تغض بصرها . (٦) المصامح : المدافع القوى .
(٧) آنح : ضعيف واهن . يقال أنح البعير : إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر .

لحمَ الجـــلادِ وفوقه مِن شَحْمه شُطَبٌ شَرائح
لِيدافعـــوا عن جارهم مارام ذو الضغن الْمُكاشح
لهفى لِشُبّان رُزئْ ناهمْ كأنهمُ المصابح
شُمٌّ بَطـــارقة غطا رفة خَضارمة مَسامحْ (١)
الْمُشْترون الحمـــدَ بالـــأموال إنّ الحمـــدَ رابحْ
والجامزون بلُجْمهم يوماً إذا ماصاح صائحْ (٢)
من كان يُرْمَى بالنوا قر (٣) مِن زمانٍ غير صالحْ
بما إنْ تزال ركابه يرْسمن فى غُبْر صحاصحْ (٤)
راحت تبَارى وهـو فى ركبٍ صـدورهمُ رَواشحْ
حـــتى تئوب له المعا لى ليس مِن فوزالسفائحْ (٥)
ياحمزَ قد أوْحَـــدْتنى كالعودشَذَّ به الـكوافح (٦)
أشـكو إليك وفوقك التُّـــرْبُ المكوَّر والصفائحْ
من جندلٍ يلقيه فوقك إذأجاد الضَّرْحَ ضارحْ (٧)
فى واسع يحشـــونه بالتُّرْب سـوَّته المَاسحْ
فعـــزاؤنا أنا نقو ل وقولنا بَرْحٌ بَوارحْ (٨)
من كان أمسى وهـو عمـــا أوْقَع الحِدْثانُ جانحْ
فليأتنــــا فلتَبْك عيــــناه لهلـكانا النّوافح (٩)

(١) البطارقة : الرؤساء ، والغطارفة : السادة . والخضارفة : المـكثرون من العطاء . والمسامح : الـكرام .

(٢) الجامزون : الواثبون . واللجم : جمع لجام . (٣) النواقر : الدواهى والمصائب .

(٤) يرسمن : يسرن الرسم ، وهو نوع من سير الإبل . والغبر : جمع غبراء وهى الأرض : والصحاصح : الأرض المستوية .

(٥) السفائح : جمع سفيح وهو من قداح الميسر . (٦) الـكوافح : الذين يتناولونه بالقطم .

(٧) الضرح : الحفر للميت . (٨) برح : صعب . (٩) النوافح : من ينفحون بالعطاء والخير .

القائلين الفاعلين ذوى السماحة والممادح
من لا يزال ندى يديه له طوالَ الدهر مائح (١)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة وأصحابه :

طرقَتْ همومَك فالرقاد مسهَّدُ وجزِعْتَ أن سُلخ الشبابُ الأغيدُ
ودعَتْ فؤادَك للهوى ضَمْرِيّة فهوَاك غَوْرِيٌّ وصَحْوك مُنْجِدُ
فدَع التَّمادِى فى الغواية سادِراً قد كنت فى طلب الغواية تفنَدُ (٢)
ولقد أنَى لك أن تَناهى طائعاً أو تستفيق إذا نَهاك المرشدُ
ولقد هُدِدْت لِفَقْد حمزةَ هَدّةً ظلّت بنات الجوْف منها ترْعَدُ
ولو انه فُجعت حِراء بمثله لرأيت راسى صخرها يتبدّدُ
قرْمٌ تمكّن فى ذؤابةِ هاشمٍ حيث النبوّة والنّدَى والسؤددُ
والعاقر الكُومَ الجلاَد إذا غدَتْ ريحٌ يكاد الماء منها يَجْمدُ
والتارك القِرْنَ الكَمِىَّ مجدَّلاً يومَ الكريهة والقَنا يتقصّدُ
وتراه يرْفُل فى الحديد كأنه ذو لِبْدة شَثْنُ البراثن أربدُ (٣)
عمّ النبى محمد وصفيُّه ورَد الحِمامَ فطاب ذاك المَوْردُ
وأتى المنيةَ مُعلِماً فى أسْرة نصروا النبىّ ومنهمُ المستشهدُ
ولقد إخال بذاك هنداً بُشِّرت لِتُميت داخلَ غُصّة لا تَبْردُ
مما صبحنا بالعقَنْقَل قومَها يوماً تغيب فيه عنها الأسعدُ

---

(١) مائح : طالب مبتغ . (٢) تفند : تعذل وتلام . (٣) ذو لبدة : يريد أسدا . والشثن : الغليظ . والبراثن للأسد كالأصابع للإنسان . والأربد : المغبر .

وببئر بدرٍ إذ يردُّ وجوهَهم ... جبريلُ تحت لوائنـــا ومحمدُ
حتى رأيت لدى النبى سَراتَهم ... قسمين نَقْتل من نشاء ونطردُ
فأقام بالعَطَن المعطَّن منهم ... سبعون عتبةُ منهم والأسودُ
وابن المغيرة قد ضَربنـا ضربةً ... فوق الوريد لها رَشاشٌ مُزْبدُ
وأميةُ الجُمَحىُّ قوَّم ميـــلَه ... عَضْبٌ بأيدى المؤمنين مُهنَّدُ
فأتاك فَلُّ المشركين كأنهم ... والخيلُ تَثْفنهم[1] نَعامٌ شُرّدُ
شَتّان من هـو فى جهنم ثاوياً ... أبداً ومن هو فى الجنـان مخلَّدُ

* * *

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رَواحة يبكى حمزة وأصحابه يوم أُحد . قال ابن هشام : وأنشدنيها أبو زيد لـكعب بن مالك. فالله أعلم :

بـكتْ عَينى وحَقّ لهـا بكاها ... وما يُغْنى البـكاء ولا العويلُ
على أسَد الإله غـــداةَ قالوا ... أحمزة ذاكُم الرجـــل القتيلُ
أُصيب المسلمون به جميعـــاً ... هنـاك وقد أصيبَ به الرسولُ
أبا يَعْلَى لك الأركانُ هُـدّت ... وأنت الماجـــد البَرُّ الوصولُ
عليك سلامُ ربك فى جنـــان ... مخالطهـــا نعيمٌ لا يزولُ
ألا يا هاشمَ الأخيـــار صَبراً ... فـكلُّ فعالـكم حسنٌ جميـلٌ
رسول الله مُصْطَـــبر كريمٌ ... بأمر الله ينطق إذ يقـــول
ألا مَن مُبْلِـغ عـــنى لُؤَيًّا ... فبعـــدَ اليوم دائلةٌ تَدولُ
وقبـلَ اليوم ماعرفوا وذاقوا ... وقائعنا بهـــا يُشْفَى الغليلُ
نسيتم ضَرْبَنـــا بقليبِ بدرٍ ... غـــداة أتاكُمُ الموت العجيلُ

---
(١) تثفنهم : تطردهم .

غـداةَ ثوى أبو [illegible] عنيــــه الطيرُ حائمةً تجولُ
وعتبة و[illegible] جميعاً و[illegible] عضّه السيف الصَّقيـلُ
وَمتْرَكنا أُميـــــةَ مُجْلَعِبًّا وفى حَيْزومــه لَدِنٌ نبيل (١)
وهامُ بنى ربيعـــــة سائلوها ففى أسيافنا منهـــــــا فُلولُ
ألا ياهنــــد فابـكى لا تَملّى فأنتِ الواله العَبْرَى الهَبُولُ
ألا ياهنـــــد لا تبْدى شماتاً بحمزة إنّ عِزّكُمُ ذليـــل

* * *

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب، وهى أم الزبير عمّة النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين :

أسائلةٌ أصحابَ أُحْـــدٍ مخافةً بنات أبى من أَعْجَمٍ وخبيرِ
فقال الخبيرُ إنّ حمزة قد ثَوى وزير رسول الله خـير وزيرِ
دعاه إله الحق ذو العرش دعوةً إلى جنــةٍ يحيا بهـــا وسرورِ
فذلك ما كنــا نرجى ونرتجى لحمزة يوم الحشر خـير مَصيرِ
فوالله لا أنساك ماهبّت الصَّبـا بكاءً وحزناً مَحْضرى ومَسيرِى
على أسَد الله الذى كان مِدْرَهاً (٢) يذودُ عن الإسلام كلَّ كَفورِ
فياليت شِلْوى (٣) عند ذاك وأَعْظُمى لَدى أَضْبُعٍ تعتادنى ونُسورِ
أقول وقد أعلى النَّعِيُّ عشيرتى جزَى الله خيراً مِن أخٍ ونصيرِ

قال ابن إسحاق : وقالت نعم، امرأة شَمَّاس بن عثمان، تبـكى زوجهـا والله أعلم ولله الحمد والمنة :

---

(١) مجلعبا : ممتدا على الأرض . والحيزوم : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . واللدن : اللين من الرماح .

(٢) المدره : المدافع المحامى .

(٣) الشلو : العضو .

ياعينُ جودى بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ ... على كريم من الفتيان لَبَّاسِ
صعب البديهـة ميمونٌ نقيبتُه ... حَمَّال ألويةٍ رَكَّابُ أفراسِ
أقول لمَّا أتى الناعى له جزَعاً ... أَوْدَى الجوادُ وأودى المُطعم الكاسِى
وقلت لمـا خلَتْ منه مجالسُه ... لا يُبعِد الله منّا قُرْبَ شَمَّاسِ

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

اقْنَىْ حياءكِ فى سترٍ وفى كرمٍ ... فإنما كان شَمَّاسٌ من الناسِ
لا تَقْتلى النفسَ إذ حانت منيَّته ... فى طاعة الله يومَ الروع والباسِ
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرى ... فذاق يومئذٍ من كأسِ شَمَّاسِ

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان حين رجعوا من أُحُد :

رجعتُ وفى نفسى بلَابلُ جَمَّةٌ ... وقد فاتنى بعضُ الذى كان مَطْلبِى
من اصحاب بدرٍ من قريش وغيرهم ... بنى هاشم منهم ومن أهل يثربِ
ولكننى قد نِلت شيئاً ولم يكن ... كما كنت أرجو فى مَسِيرى ومركبِى

* * *

وقد أورد ابن إسحاق فى هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية . ولله الحمد .

وقد أورد الأموى فى مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ، ولا سيما هاهنا .

فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنه قال فى غزوة أُحد . فالله أعلم :

طاوَعوا الشيطانَ إذ أخزاهمُ ... فاستبان الخِزْىُ فيهم والفَشَلْ
حين صاحوا صيحةً واحـدة ... مَعْ أبى سفيان قالوا اُعْلُ هُبَلْ
فأجبناهم جميعاً كلُّنـا ... ربُّنا الرحمنُ أعْلَى وأجَلّْ

اثبتـــوا تستعملوها مرةً   من حياض الموت والموتُ نَهَلْ
واعلمـــوا أنّا إذا ما نضحت   عن خيال الموت قِدْرٌ تَشْتَعِلْ

وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى . والله أعلم .

« آخر الكلام على وقعة أُحد »

فصـــل

قد تقدم ماوقع فى هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها وقعة أحد كانت فى النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها ولله الحمد .

وفيها فى أُحد توفى شهيداً أبو يَعْلى ، ويقال أبو عمارة أيضاً ، حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم ثُوَيبة مولاة أبى لهب ، كما ثبت ذلك فى الحديث المتفق عليه .

فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم ، فإنه كان من الشجعان الأبطال ومن الصِّديقين الكبار ، وقُتل معه يومئذ تمامُ السبعين . رضى الله عنهم أجمعين .

وفيها عقَد عثمانُ بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أختها رقَيّة ، وكان عَقْده عليها فى ربيع الأول منها ، وبنى بها فى جمادى الآخرة منها . كما تقدم فيها . ذكره الواقدى .

وفيها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على ابن أبى طالب . قال : وفيها عَلِقت بالحسين رضى الله عنهم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

فى المحرم منها كانت سَرِيّة أبى سلمة بن عبد الأسد إلى طُلَيحة الأسدى ، فانتهى إلى ما يقال له قَطَن .

قال الواقدى : حدّثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعى ، عن سلمة ابن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أُحداً فجُرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج فى هذه السرية فقد استعملتُك عليها . وعقد له لواءً وقال : سِرْ حتى تأتى أرضَ بنى أسد فأَغِرْ عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

وخرج معه فى تلك السرية خمسون ومائة .

فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبنى أسد ، وكان هناك طليحة الأسدى وأخوه سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعا حلفاء من بنى أسد ليقصدوا حربَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل منهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تمالأوا عليه فبعث معه أبا سلمة فى سريته هذه .

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجلَ

الأسدى الذى دلَّهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صَفِيَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، عبداً وخَمس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه . ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدثنى عبد الملك بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ، عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جَرح أبى أبو أسامة الجُشَمى ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فلما برأ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم ، يعنى من سنة أربع ، إلى قَطَن ، فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدَّت أمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ليال بقين من شوال ، فكانت أمى تقول : ما بأسٌ بالنكاح فى شوال والدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنَى فيه .

قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين .

رواه البيهقى .

قلت : سنذكر فى أواخر هذه السنة فى شوالها تزيج النبى صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمَّه فى النكاح ، ومذاهب العلماء فى ذلك . إن شاء الله تعالى . وبه الثقة .

غزوة الرَّجيع

قال الواقدى : وكانت فى صفر يعنى سنة أربع . بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليجيزوه .

قال : والرَّجيع على ثمانية أميال من عسفان .

قال البخارى : حدثنى إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن مَعْمر ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان الثقفى ، عن أبى هريرة ، قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم سريةً عَيْناً ، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت ، وهو جَدُّ عاصم[1] بن عمر بن الخطاب .

فانطلَقوا حتى إذا كانوا بين عسْفان ومكة ، ذُكروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ ، فاقتصُّوا آثارَهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزوَّدوه من المدينة فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفد[2] ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهدُ والميثاق إنْ نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصم : أما أنا فلا أَنْزل فى ذمة كافر ، اللهم أَخْبر عنا رسولك .

فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنَّبْل .

وبقى خُبَيب وزيد ورجل آخر ، فأعطوهم العهدَ والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق

---

(١) قال الحافظ عبد العظيم : غلط عبد الرزاق وابن عبد البر فقالا فى عاصم هذا : هو جد عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وذلك وهم ، وإنما هو خال عاصم ، لأن أم عاصم بن عمر جميلة بنت ثابت ، وعاصم هو أخو جميلة ، ذكر ذلك الزبير القاضى وعمه مصعب . إرشاد السارى ٦/٣١٢ .

(٢) فدفد : [illegible] مشرفة .

نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلُّوا أوتارَ قِسِيِّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذى معهما : هذا أول الغَدْر ! فأَبَى أن يَصْحبهم . فجرُّوه وعالجوه على أن يَصْحبهم فلم يفعل ، فقتلوه .

وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو قَتَل الحارث يوم بدر ، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قَتْلَه استعار موسى من بعض بنات[1] الحارث يستحدُّ بها فأعارته .

قالت : فغفلتُ عن صبيٍّ لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته فزعتُ فزعةً عَرَف ذلك منى ، وفى يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

وكانت تقول : : مارأيتُ أسيراً قط خيراً من خُبيب ، لقد رأيته يأكل من قِطف عنب وما بمكة يومئذ مِنْ ثمرةٍ ، وإنه لموثق فى الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعونى أصلّى ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أنْ تَروا أن مابى جزعٌ من الموت لزدت . فكان أولَ من سَنَّ الركعتين عندَ القتل هو . ثم قال : اللهم أحْصِهم عَدداً واقتلهم بَدَداً . ثم قال :

ولستُ أبالى حين أُقْتَل مُسْلما على أى شِقٍّ كان فى الله مَصْرعى

وذلك فى ذات الإله وإنْ يَشأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ[2]

قال : ثم قام إليه عُقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصم ليُؤتَوا بشىء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم[3] يومَ بدر ، فبعث الله

---

(١) اسمها زينب بنت الحارث : أخت عقبة بن الحارث الذى قتل خبيبا .

(٢) أوصال : جمع وصل وهوالعضو . والشلو :الجسد والعضو . (٣) قيل : هو عقبة بن أبى معيط .

عليه مثلَ الظُّـلَّة من الدَّبْر [١] تَحمِتْه من رُسلهم فلم يَقْدِروا منه على شىء .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سَرْوَعة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث فى الرضاع وقد قيل إن أبا سروعة وعُقبة أخوان . فالله أعلم .

* * *

هكذا ساق البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه قصة الرَّجيع . ورواه أيضاً فى التوحيد وفى الجهاد من طرق ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان وأسد ابن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ، ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان والمشهور عمرو .

وفى لفظ للبخارى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرةَ رهطٍ سريةً عيناً ، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وساق بنحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير فى بعض ذلك .

ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن إسحاق إمام فى هذا الشأن غير مدافَع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق !

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَ أُحد رهطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يارسولَ الله إنّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا فى الدين ويُقْرِئوننا القرآن ويعلموننا شرائعَ الإسلام .

---

(٤) الظلة : السحابة . والدبر : ذكور النحل .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفراً ستة من أصحابه ، وهم مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم .

وخالد بن البُكَيْر الليثى حليف بنى عدىّ ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف ، وخُبَيب بن عدى أخو بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنة أخو بنى بَيَاضــة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر رضى الله عنهم .

هــكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخارى : أنهم كانوا عشرة ، وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا[1] مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرَّجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهَدْأة[2] غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيلاً ، فلم يَرُعِ القومَ وهم فى رحالهم إلا الرجالُ بأيديهم السيوف قد غَشُوهم ، فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتالــكم ، ولــكنا نريد أن نصيب بــكم شيئاً من أهل مكة ، ولــكم عهد الله وميثاقه ألّا نقتلــكم .

فأمّا مَرْثَد وخالد بن البُــكَيْر وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت . والله أعلم ولله الحمد والمنة :

ما عِلّتى وأنا جَــلْدٌ نابِلُ والقوس فيها وَتَرٌ عُنَابِلُ[3]

---

(١) ابن هشام : فخرج . (٢) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة ، على سبعة أميال من عسفان .
(٣) النابل : صاحب النبل . والعنابل : الغليظ .

تزلُّ عَنْ صفحتها المعابلُ(١) الموتُ حَقٌّ والحياةُ باطلُ
وكل ما حَمَّ الإلهُ نازلُ بالمرءِ والمرء إليه آيلُ
إن لم أقاتلْكم فأمّى هابلُ

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَدِ وضالةٌ مثلُ الجحيم الموقدِ(٢)
إذا النواحِي افترُشَتْ لم أُرْعَدِ ومُجْنَأٌ من جِلْدِ ثورٍ أَجْرَدِ(٣)
ومُؤْمنٌ بما على محمدِ

وقال أيضاً :

أبو سليمان ومِثْلى رامَى وكانِ قَومى مَعْشراً كِراماً

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه .

فلما قُتل عاصم أرادتْ هذيل أخْذَ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن سهيل ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قَدرتْ على رأس عاصم لَتشربنَّ في قِحْفه الخمر .

فمنعته الدَّبْر ، فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمسى فيذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله الوادى فاحتملَ عاصماً فذَهب به .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً ألا يَمسَّه مشرك ولا يمس مشركا أبدا . تنجُّساً .

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعتْه : يحفظُ الله العبدَ المؤمن !

(١) المعابل : جمع معبلة وهو نصل عريض طويل .
(٢) المقعد : رجل كان يريش السهام . والضالة : السلاح ، أو السهام .
(٣) المجنأ : الترس لاحديد فيه . والأجرد : الأملس .

كان عاصم نذر ألا يمسَّه مشركٌ ولا يمسَّ مشركاً أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعدَ وفاته كما امتنع منه فى حياته !

***

قال ابن إسحاق : وأما خُبَيب وزيد بن الدَّثِنة وعبد الله بن طارق ، فلانُوا ورقُّوا ورَغِبوا فى الحياة وأعطوا بأيديهم ، فأسَروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِرَان ثم أخذ سيفَه واستأخر عنه القومُ فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبرُه بالظَّهْران .

وأما خُبَيب بن عَدِى وزيد بن الدَّثِنة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذَيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حُجَير بن أبى إهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه ليقتله بأبيه .

قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرَم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليُقْتَل : أنْشُدك بالله يازيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نَضْرب عنقه وأنك فى أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى .

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً !

قال : ثم قتله نسطاس .

قال : وأما خبيب بن عدى : فحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح أنه حدّث عن ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حُبس فى بيتى ، فلقد اطَّلعت عليه يوماً وإن فى يده لَقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلَمَ فى أرض الله عنباً يؤكل !

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نَجيح أنهما قالا : قالت: قال لى حين حضَره القتل : ابعثى إلىَّ بحديدة أتطهرُ بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموسَى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيتَ . فقالت : فوالله إن هو إلا أن ولى الغلامُ بها إليه فقلت : ماذا صنعتُ ؟! أصاب والله الرجل ثأرَه ، يَقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل .

فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعَمْرك ماخافت أمك غَدْرى حين بعثتْك بهذه الحديدة إلىّ ! ثم خلَّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه .

وقال لهم : إن رأيتم أن تدَعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمَّهما وأحسَنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أمَا والله لولا أن تظنُّوا أنى إنما طوّلت جزَعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة .

قال : فكان خبيب أول من سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين(١).

(١) فى هامش الأصل : « حاشية بخط المصنف . قال السهيلى : وإنما صارت سنة لأنها فعلت فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسنت من صنيعه ، قال : وقد صلاها زيد بن حارثة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .
=

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك ، فبلّغه الغداةَ ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحْصِهم عَدداً واقتلهم بَدَدا ولا تغادر منهم أحـدا . ثم قتلوه .

وكان معـاوية بن أبى سفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يُلقينى إلى الأرض فرقـاً من دعوة خُبَيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعى عليه فاضطجع لجنبه زلّت عنه .

وفى مغازى موسى بن عقبـة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قُتلا فى يوم واحد ، وأن رسول الله صلى الله عليـه وسلم سُمع يومَ قُتلا وهو يقول : وعليـكما أو عليك السلام . خُبيب قتلته قريش !

وذكر أنهم لما صَلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبـل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا إيماناً وتسليما .

= ثم ساق بإسناده من طريق أبى بـكر بن أبى خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه الـكرى أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعنى حتى أصلى ركعتين . فقال : صل ركعتين ، فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا !

قال : فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : ياأرحم الراحمين ، فإذا صارخ يقول : لاتقتله . فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئا ، ثم جاء ليقتلنى فقلت : ياأرحم الراحمين . فسمع أيضا الصوت يقول لاتقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت ياأرحم الراحمين ، فإذا أنا بفارس على فرس فى يده حربة فى رأسها شعلة من نار فطعنه بهـا حتى أنفذه فوقع ميتا ، ثم قال : لما دعوت الله فى المرة الأولى كنت فى السماء السابعة ، ولما دعوته فى المرة الثانية كنت فى السماء الدنيا ، ولما دعوته فى الثالثة أتيتك .

قال السهيلى : وقد صلاها حجر بن عدى بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه : أنه خرج عليـه وأراد خلعه ، وفى الـكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلمادخل على معاوية قال : السلام عليك ياأمير المؤمنين . قال : أو أنا أميرالمؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله .

قال : وقد عاتبت عائشة معاوية فى قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعينى وحجراً فإنى سألقاه على الجـادة يوم القيامة ! . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبى سفيان ؟ قال : حين غاب **مثلك من قومى** » اهـ .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لمّا رفعوا خُبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه : أتحب أن محمداً مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ماأحبُّ أن يَفْدينى بشوكة يُشَاكُها فى قدمه ! فضحكوا منه .

وهذا ذكره ابن إسحاق فى قصة زيد بن الدَّثِنة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خُبَيبا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ماأنا قتلت خبيباً ، لَأَنا كنت أصغر من ذلك ، ولكنّ أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحَرْبة فجعلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد ابن عامر بن حِذْيَم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غَشْية وهو بين ظَهْرى القوم ، فذُكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قَدْمة قدِمها عليه فقال : ياسعيد ماهذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله ياأمير المؤمنين مابى من بأس ، ولكنى كنت فيمن حَضر خُبَيب بن عدىّ حين قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطَرتْ على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غُشى علىّ ! فزادتْه عند عمر خيرا .

وقد قال الأموى : حدثنى أبى قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من سره أن ينظر إلى رجل نسيجِ وَحْدِه فلينظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقى من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بَعثه عَيناً وحَده قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون ، فأطلقته فوقع إلى الأرض

ثم اقتحمتُ فانتبذت قليلا ، ثم التفتُّ فلم أر شيئاً ، فكأنما بلعته الأرض ، فلم تُذكر لخبيب رِمّة حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبى محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لمّا قُتل أصحاب الرَّجيع قال ناس من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لاهم أقاموا فى أهلهم ولاهم أدَّوا رسالةَ صاحبهم .

فأنزل الله فيهم : « ومن الناسِ مَن يُعْجبك قولُه فى الحياة الدنيا ويُشْهد الله على مافى قلبه وهو ألدُّ الخصام[1] » ومابعدها .

وأنزل الله فى أصحاب السرية « ومِنَ الناسِ مَنْ يَشْرى نفسَه ابتغاءَ مَرْضاة الله والله رءوف بالعبادِ[2] » .

***

قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر فى هذه الغزوة قولُ خبيب حين أَجْمعوا على قتله . قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له :

لقد جمعَ الأحزابُ حَوْلى وألّبوا ... قبائلَهم واستجْمعوا كلَّ مَجْمعِ
وكلهُم مُبْدِى العداوةِ جاهدٌ ... علىَّ لأنِّى فى وَثاقٍ بمَضْبعِ[3]
وقد جَمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبت من جذعٍ طويل ممنَّعِ
إلى الله أشكو غُرْبتى ثم كُرْبتى ... وماأرصدَ الأعداء[4] لى عندَ مصرعِى
فذا العرشِ صبِّرنى على مايراد بى ... فقد بضَّعوا لحمى وقد ياس مَطْمعِى
وذلك فى ذات الإله وإن يَشأْ ... يبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ
وقد خيَّرونى الكفرَ والموتُ دونه ... وقد هَملت عَيناىَ مِن غيرِ مَجْزعِ
وما بى حذارُ الموت إنّى لَميّتٌ ... ولكنْ حذارى جَحْم نارٍ مُلفَّعِ

---

(١) سورة البقرة ٢٠٤ . (٢) سورة البقرة ٢٠٧ (٣) ابن هشام : بمضيعِ . (٤) ابن هشام : الأحزاب .

فوالله ما أرجو إذا مِتُّ مُسلماً   على أيِّ جنبٍ كان فى الله مضجعى
فلستُ بمُبْدٍ للعــدوِّ تَخشُّعاً   ولا جزَعا إنى إلى الله مرْجعى

وقد تقدم فى صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلست أبالى حين أُقتَلُ مُسْلماً   على أى شِقّ كان فى الله مصْرَعِى
وذلك فى ذات الإله وإنْ يَشأْ   يبارِكْ على أوصالِ شِــلْوٍ ممزَّعِ

***

وقال حسان بن ثابت يرثى خُبيباً فيما ذكره ابن إسحاق :

ما بالُ عينك لا ترْقَا مدامعهــا   سَحًّا على الصدْرِ مثلَ اللؤلؤ القَلق(١)
على خُبَيبٍ فتى الفتيانِ قد علموا   لا فَشِــل حين تلقاه ولا نَزِقِ
فاذهب خبيبُ جزاكَ الله طَيِّبةً   وجَنةَ الخُلد عند الحور فى الرُّفُقِ
ماذا تقولون إن قال النبيُّ لــكم   حين الملائــكةُ الأبرار فى الأفقِ
فيمَ قتلتم شهيد الله فى رجــلٍ   طاغٍ قد أوعَث فى البُلْدان والرُّفَقِ(٢)

قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أقذع فيها .

وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرَّجيع من بنى لْحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إنْ سرّكَ الغدْرُ صِرْفاً لا مِزاجَ له   فَأْتِ الرَجــيعَ فسَلْ عن دار لْحيانِ
قومٌ تواصَوا بأكل الجــارِ بينهمُ   فالـكلبُ والقرد والإنسانُ مِثْلانِ
لو ينْطق التَّيسُ يوماً قام يخطــبهم   وكانَ ذا شرفٍ فيهم وذا شانِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو هُذيلا وبنى لْحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لَعمرى لقد شانت هُذيلَ بنَ مُدْركٍ   أحاديثُ كانت فى خُبَيب وعاصمِ

---

(١) القلق : المتحرك المتساقط . والأصل : الفلق . وما أثبته عن ابن هشام .
(٢) الرفق : جمع رفقة .

أحاديثُ لحيان صَلَوا بقبيحها ... ولحيانُ جرّامون شرَّ الجرائمِ
أناسٌ همُ من قومهم فى صميمهم ... بمنزلة الزمعان دُبْرَ القَوادِمِ (١)
هم غَدَروا يوم الرَّجيع وأسْلمتْ ... أمانتهم ذا عفــةٍ ومكارمِ
رسولَ رسولِ الله غدراً ولم تكن ... هذيلٌ تَوَقَّى مُنكَراتِ المحارمِ
فسوف يرَون النصرَ يوماً عليهم ... بقتل الذى تحميه دون الحرائمِ
أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دونَ لحمـــه ... حمَتْ لحمَ شَهَّادٍ عظيمَ الملاَحمِ (٢)
لعلَّ هذيــلاً أنْ يَروا بمصابه ... مَصارعَ قتــلى أو مقاما لمَـأْتمِ
ونُوقع فيها وقعــةً ذات صَوْلة ... يوافى بها الركبانُ أهلَ المواسمِ
بأمر رسول الله إنّ رسولَه ... رأَى رَأْى ذى حزمٍ بلِحْيانَ عالمِ
قُبَيِّــلَةٌ ليس الوفاء يهمهم ... وإنْ ظُلموا لم يَدفعوا كَفَّ ظالمِ
إذا الناسُ حَلُّوا بالفضاء رأيتَهم ... بمَجْرى مسيل الماء بين المخارمِ (٣)
محلهمُ دارُ البـــوار ورأيُهم ... إذا نابهم أمرٌ كرأى البهائمِ

* * *

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرَّجيع ويسمِّيهم بشعره ، كما ذكره ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

صلَّى الإله على الذين تتَابعـوا ... يوم الرَّجيع فأُكرموا وأُثيبُوا
رأسُ السرية مَرْثِدٌ وأميرُهم ... وابن البُكَير إمامهم وخُبَيبُ
وابنٌ لطـارق وابن دَثْنَةَ منهمُ ... وافاه ثَمَّ حِمامُه المـــكتوبُ
والعاصمُ المقتولُ عنـدَ رَجيعهم ... كسَبَ المعالى إنه لَـكَسوبُ
منَع المقـــادةَ أن ينالوا ظَهْره ... حتى يُجـــالِدَ إنه لَنجيبُ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

(١) الزمعة : هنـة زائدة وراء الظلف أو شبه أظفـار الغنم فى الرسغ وأراد بالقوادم : الأيدى .
(٢) الأبابيل : الجماعات . والدبر : ذكور النحل . والشمس : الحامية . والملاحم : الحروب . وفى ابن هشام : عظام الملاحم .
(٣) المخارم : مسايل الماء .

سرية عمرو بن أمية الضَّمْرى
على أثر مقتل خُبَيب

قال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، وعبد الله بن أبى عبيدة ، عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن[1]] عمرو بن أمية الضمرى، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبى عوف ، وزاد بعضهم على بعض قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحدٌ يغتال محمداً فإنه يمشى فى الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفَيْتنى خرجتُ إليه حتى أغتاله ، فإنى هادٍ بالطريق خِرِّيت ، معى خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقة وقال : اطوِ أمرَك فإنى لا آمن أن يسمع هذا أحد فيَنْميه إلى محمد . قال : قال العربى : لا يعلمه أحد .

فخرج ليلا على راحلته فسار خمساً وصبَّح ظَهر الحىِّ يوم سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بنى عبد الأشهل .

فخرج الأعرابى يقود راحلته حتى انتهى إلى بنى عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوجده فى جماعة من أصحابه يحدِّث فى مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائلٌ بينه وبين ما يريده . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . فذهب ينحنى على رسول الله صلى الله عليه

---

(١) هذه الزيادة وما بعدها من أمثالها منقولة عن الطبرى ٣ : ٣٢ .

وسلم كأنه يُسارُّه فجبَذه أُسيد بن حُضَير وقال : تنحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله هذا غادر .

فأُسقط فى يد الأعرابى وقال : دَمِى دمى يا محمد . وأخذه أسيد بن حضيرُ يلبِّبه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اصْدقنى ما أنت وما أَقْدَمك ، فإن صدَقتَنى نفعك الصدقُ ، وإن كذبتنى فقد اطلعتُ على ما هممت به . قال العربى : فأنا آمن ؟ قال : وأنت آمن .

فأخبره بخبر أبى سفيان وما جَعل له . فأمر به فحبس عند أُسيد بن حضير ، ثم دعا به من الغد فقال : قد أمَّنتك فاذهب حيث شئت ، أو خيرٌ لك من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أَفْرَقُ من الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفتُ ثم اطلعتَ على ما هممتُ به ، فما سبقت به الركبان ولم يَطَّلع عليه أحدٌ ، فعرفتُ أنك ممنوع ، وأنك على حق ، وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان .

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتبسم . وأقام أياماً ثم استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يُسمع له بذكر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أمية الضَّمرى ولسلمة بن أسلم بن حَرِيس(٢) : اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبتما منه غِرَّةً فاقتلاه .

قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبى حتى أتينا بطن يأجِج ، فقيَّدنا بعيرَنا وقال لى صاحبى : ياعمرو هل لك فى أن نأتى مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلى ركعتين فقلت : [أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشُّوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و(١)] إنى أعرَف

(١) من تاريخ الطبرى : ٣/٣٢ . (٢) الأصل : حريش . وهو تحريف وما أثبته عن شرح المواهب ٢ /١٧٨ .

بمكة من الفرس الأبلق . فأبى علىّ فانطلقنا فأتينا مكة فطُفْنا أُسبوعاً[1] وصلينا ركعتين، فلما خرجت لقينى معاوية بن أبى سفيان فعرفنى وقال : عمرو بن أمية ، واحزناه . فنذِر بنا أهل مكة ، فقالوا : ماجاء عمرو فى خير . وكان عمرو فاتكا فى الجاهلية . فحشَد أهلُ مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا فى طلبهما واشتدوا فى الجبل . قال عمرو : فدخلت فى غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا فى الجبل وعمّى الله عليهم طريقَ المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمى يختلى لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أَشْعَرَ بنا أهلَ مكة وقد انفضوا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال : فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدى بخنجرى، فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكانى فدخلت فيه] وقلت لصاحبي: لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه وقالوا : من قتلك؟ قال : عمرو بن أمية الضَّمْرى . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا؛ فإنه كان بآخر رمق فمات ، وشُغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه ، فمكثنا ليلتين فى مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم] فقال صاحبي : ياعمرو بن أمية ، هل لك فى خبيب بن عدى تُنزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوب حوله الحرس . فقلت : أمْهلنى وتنحَّ عنى فإن خشيت شيئا فانْحُ إلى بعيرك فاقعد عليه فَأْتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعنى فإنى عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهرى فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا فى أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبَها ، يعنى صوتها ، ثم أهَلْت عليه الترابَ برِجلى ، فأخذت طريقَ الصفراء فأعْيَوا ورجعوا ، وكنت لا أدرى مع بقاء نفسى ، فانطلَق صاحبى إلى البعير فركبه ، وأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ،

---

(١) أسبوعا : سبعا .

وأقبلتُ حتى أشرفت على الغليل غليل ضجْنَان ، فدخلتُ فى غارٍ معى قوسى وأسهمى وخنجرى ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الدِّيل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى ، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر . فقال : وأنا من بنى بكر . ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلستُ بمُسْلِم مادمتُ حَيًّا   ولستُ أَدين دِين المسلمينا

فقلت فى نفسى : والله إنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه فقتلته شرَّ قِتْلة قتلها أحد قط .

ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الأخبار ، فقلت : استأسِرا فأبَى أحدُهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسَر فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما قدمتُ المدينة أتى صبيانُ الأنصار وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسى ، فلقد رأيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ! ثم دعا لى بخير .

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

رواه البيهقى .

وقد تقدم أن عمراً لما أَهْبَط خُبيباً لم يَر له رِمَّةً ولا جسداً ، فلعله دُفن مكان سقوطه ، والله أعلم .

وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق الواقدى لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر ، فالله أعلم ولله الحمد .

سَرِيَّة بئر معونة

وقد كانت فى صفر منها . وأغْرَبَ مكحولٌ رحمه الله حيث قال : إنها كانت بعد الخندق .

قال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القُرَّاء . فعرض لهم حَيَّان من بنى سُلَيم : رِعْل وذَكْوان ، عند بئر يقال لها بئر مَعُونة ، فقال القوم : والله ما إياكم أرَدْنا وإنما نحن مجتازون فى حاجة للنبى صلى الله عليه وسلم . فقتلوهم .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً فى صلاة الغداة ، وذاك بَدْء القُنوت وما كنا نَقْنُت .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بنحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا سعيد، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رِعْلا وذكوان وعُصَيَّة وبنى لَحيَان استمَدُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدَّهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسميهم القُرَّاء فى زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلُّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقنت شهراً يدعو فى الصبح على أحياء من العرب : على رِعْل وذَكْوان وعُصَيّة وبنى لحيان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآناً ، ثم إن ذلك رُفع « بلِّغوا عنا قومنا أنَّا قد لَقِينا ربَّنا فرضى عنا وأرضانا » .

ثم قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى طلحة ، حدثنى أنس بن مالك ، أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث حراماً ،

أخاً لأم سُليم ، فى سبعين راكباً ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطُّفَيل خيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ثلاث خصال فقال : يكون لك أهلُ السَّهل ولِى أهلُ المدَر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غَطفان بألف وألف .

فطُعِن عامر فى بيت أم فلان(١) فقال : غُدَّة كغدة البَكْر فى بيت امرأة من آل فلان ، ائتونى بفرسى . فمات على ظهر فرسه .

فانطلق حَرام أخو أم سُلَيم ، وهو رجل أعرج ، ورجل من بنى فلان فقال : كونا قريباً حتى آتيهم ، فإنْ آمَنُونى كنتم قريباً وإن قتلونى أتيتم أصحابكم . فقال : أتؤمنونى حتى أبلِّغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل يحدِّثهم وأومأوا إلى رجل فأتاه مِنْ خَلفه فطَعنه . قال همَّام : أحسبه حتى أنفذه بالرمح . فقال : الله أكبر ! فزتُ وربِّ الكعبة !

فلحق الرجل فقُتلوا كلهم غير الأعرج ، وكان فى رأس جبل ، فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ : « إنا لقد لَقِينا ربَّنا فرضِىَ عنّا وأرضانا » .

فدعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم ثلاثين صباحاً على رِعْل وذَكوان وبنى لحيان وعصية الذين عصَوا الله ورسوله .

وقال البخارى : حدثنا حِبّان ، حدثنا عبد الله ، أخبرنى مَعْمَر ، حدثنى ثُمَامَة ابن عبد الله بن أنس ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : لمّا طُعِن حرام بن ملْحان ـ وكان خاله ـ يومَ بئر معونة قال بالدم هكذا ، فنضحه على وجهه ورأسه ، وقال : فزتُ ورب الكعبة .

وروى البخارى عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، أخبرنى أبى ، قال : لما قتل الذين ببئر معونة وأُسر عمرو بن أمية الضَّمْرى قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فُهيرة قال :

(١) طعن : أصابه الطاعون . وأم فلان : هى سلول بنت شيبان ، امرأة أخيه .

لقد رأيته بعد ماقُتل رفع إلى السماء حتى أنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع .

فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ، ومنذر بن عمرو وسمى به منذر .

هكذا وقع فى رواية البخارى مرسلا عن عروة .

وقد رواه البيهقى من حديث يحيى بن سعيد عن أبى أسامة عن هشام، عن أبيه عن عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدْرَج فى آخره ماذكره البخارى هاهنا ، فالله أعلم.

وروى الواقدى عن مصعب بن ثابت ، عن أبى الأسود وعن عروة ، فذكر القصة وشأنَ عامر بن فهيرة وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أن الذى قتله جَبَّار بن سلمى الكلاَبى .

قال : ولما طعنه بالرمح قال : فُزْتُ وربِّ الكعبة .

ثم سأل جَبَّار بعدَ ذلك : مامعنى قوله: فُزْت ؟ قالوا : يعنى بالجنة . فقال : صدَق والله . ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك !

وفى مغازى موسى بن عقبة ، عن عروة ، أنه قال : لم يوجَد جسدُ عامر بن فُهيرة ، يرون أن الملائكة وارَتْه .

* * *

وقال يونس : عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى بعد أُحد ، بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، ثم بعث أصحابَ بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد .

فحدثنى أبى إسحاق بن يسَار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،

وعبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدِم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعب الأسِنّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يُسلم ولم يُبعد وقال : يامحمد لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعَوْهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك .

فقال صلى الله عليه وسلم: إنى أخشى عليهم أهل نجد .

فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذرَ بن عمرو أخا بنى ساعدة، المُعْنِق ليموت ، فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ، فيهم الحارث بن الصِّمة وحرام بن مِلْحَان أخو بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصَّلْت السلمى ، ونافع بن بُديل بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، فى رجال من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرَّة بنى سُليم ، فلما نزلوا بعثوا حرامَ بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا إلى مادعاهم ، وقالوا : لن نُخْفِر أبا براء وقد عَقد لهم عَقْداً وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُليم ، عُصيَّة ورِعْلا وذَكْوان والقارَة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه به رمق ، فارتثَّ من بين القتلى فعاش حتى قُتل يوم الخندق .

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرى ورجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطيرُ تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير

اشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيـل التى أصابتهم واقفة ، فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال الأنصارى : لـكنى لم أكن لأرغبَ بنفسى عن مَوْطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأُخبر عنه الرجالَ . فقاتل القومَ حتى قُتل ، وأُخذ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر بن الطفيل وجزَّ ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم !

قال : وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا فى ظلٍ هو فيه ، وكان مع العامريين عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما ؟ قالا : من بنى عامر . فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليـه وسلم أخبره بالخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلت قتيلين لأدِيَنَّهما » ثم قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « هذا عملُ أبى بَراء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوِّفاً » .

فبلغ ذلك أبا بَراء فشقَّ عليه إخفارُ عامر إياه ، وما أصاب أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره .

فقال حسان بن ثابت فى إخفار عامر أبا بَراء ويحرّض بنى أبى براء على عامر :

بنى أمّ البنينَ ألم يَرُعْـكم ... وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ
تهـكُّمُ عامرٍ بأبى بَراء ... ليُخفره وما خطأٌ كعمْدِ
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى ... فما أحدثْتَ فى الحدثان بعدِى
أبوك أبو الحروب أبو بَراء ... وخالك ماجدٌ حكَمُ بن سعدِ

قال ابن هشام : أم البنين أم أبى براء ، وهى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه فى فخذه فأشْوَاه(١) ووقع عن فرسه ، وقال : هـذا عمل أبى براء ، إن أَمُتْ فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مَرْثد بن أبى مرثد .

وقال حسان بن ثابت يبـكى قتلى بئر معونة ، فيما ذكره ابن إسحاق رحمـه الله ، والله أعلم :

على قتلى مَعونة فاستهلِّى ... بدمعِ العينِ سَحًّا غير نَزْرِ
على خيل الرسول غداة لاقوا ... ولاقتهـم منـاياهم بقَدْرِ
أصابهمُ الفناء بعقدِ قوم ... تُخوّن عقـدُ حبلهم بغدرِ
فيـالهفى لمنـذر إذ تولَّى ... وأعْنَقَ فى منيّته بصـبر
وكائنْ قد أُصيبَ غداةَ ذاكم ... من أبيض ماجدٍ من سِرِّ عمرِو

---

(١) أشواه : لم يصب مقاتله .

غزوة بنى النضير

وهى التى أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير .

وحكى البخارى عن الزهرى ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أُحد .

وقد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ؛ عن عبد الله بن جعفر الرَّقى ، عن مطرف بن مازن اليمانى ، عن معمر ، عن الزهرى ، فذكر غزوة بدر فى سابع عشر رمضان سنة ثنتين .

قال : ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع .

وقال البيهقى : وقد كان الزهرى يقول : هى قبلَ أُحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو ابن أمية وقَتْله ذينك الرجلين من بنى عامر ، ولم يَشْعر بعهدهما الذى معهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلتَ رجلين لأدِيَنَّهما » .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، للعهد الذى كان صلى الله

عليه وسلم أعطاهما ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عهد وحلف ، فلما أتاهم صلى الله عليه وسلم قالوا : نعم يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه. ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد. فَمَنْ رجُلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، فأتى رسولَ الله الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

فلما استلبثَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه فقال : رأيته داخلاً المدينـة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدى : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مَسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهلُ النفاق يثبِّتونهم ويحرضونهم على المُقَام ويعِدونهم النصرَ ، فقويت عند ذلك نفوسُهم ، وحمِى حيىُّ بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يَخْرجون ، ونابذوه بنقض العهود .

فعند ذلك أمر الناسَ بالخروج إليهم .

قال الواقدى : فحاصروهم خمس عشرة ليلة .

وقال ابن إسحاق : وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتهيُّؤ لحربهم والمسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المـدينة ابنَ أم مكتوم ، وذلك فى شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريمُ الخمر

حينئذ ، وتحصنوا فى الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أنْ يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب مَن صنعه ، فما بالُ قطع النخيل وتحريقها .

قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبىّ ووديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتمنَّعوا ، فإنا لن نُسْلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أُخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله أن يُجْليهم ويكفَّ عن دمائهم على أنّ لهم ما حملت الإبلُ من أموالهم إلا الحلْقة .

وقال العوفى : عن ابن عباس ، أعطى كلّ ثلاثة بعيرا يعتقبونه [و] وسقاً(١) .

رواه البيهقى .

وروى من طريق يعقوب بن محمد ، عن الزهرى ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مَسْلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال .

وروى البيهقى وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجَّلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضَعُوا وتعجَّلوا .

وفى صحته نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجَاف(٢) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر : سَلاَّم بن أبى الحُقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحُيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

(١) الوسق : حمل البعير . (٢) النجاف : أسكفة الباب .

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّث أنهم استُقْبِلُوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقِيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ، ما رؤى مثله لحىّ من الناس فى زمانهم .

قال : وخلَّوا الأموالَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى النخيل والمزارع ، فكانت له خاصةً يضعها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقْراً فأعطاهما ، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصِّمة . حكاه السهيلى .

قال ابن إسحاق : ولم يُسْلِم من بنى النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال ليامين : ألم تر مالقيتُ من ابن عمك وما همَّ به من شأنى ؟ فجعل يامين لرجل جُعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله لعنه الله .

* * *

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسرها . وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة فى كتابنا التفسير ولله الحمد .

قال الله تعالى : « سبّح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ، هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يَخْرجوا وظنُّوا أنهم مانِعَتهم حصونُهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعبَ ، يُخْربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاءَ لعذَّبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذابُ النار . ذلك

بأنهم شاقُّوا الله ورسوله، ومن يشاقِّ الله فإنّ الله شديدُ العِقَاب . ما قطعتم مِنْ لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين » .

سبَّح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة ، وأخبر أنه يسبح له جميعُ مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز ، وهو منيع الجناب فلا تُرَام عظمتهُ وكبرياؤه ، وأنه الحكيم فى جميع ما خلق وجميع ما قدَّر وشرَع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين فى ظفَرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقُّوا الله ورسوله وجانَبُوا رسولَه وشَرْعه ، وما كان من السبب المُفْضى لقتالهم كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيَّدُ بالرُّعب والرهب مسيرةَ شهر ، ومع هذا فأسرَهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرعب كلَّ مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حَقْن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابُهم ، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانةً لهم واحتقاراً ، فجعلوا يُخرِّبون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفى من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشدُّ منه من العذاب الدنيوى وهو القتل ، مع ما ادَّخر لهم فى الآخرة من العذاب الأليم المقدَّر لهم .

ثم ذكر تعالى حكمةَ ما وقع من تحريق نخلهم وتَرْك مابقى لهم ، وأن ذلك كله سائغ فقال : « ماقطعتم مِنْ لينةٍ » وهو جيّد التمر « أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » إن الجميع قد أُذن فيه شرعاً وقَدَراً ، فلا حرج عليكم فيه ولَنِعم مارأيتم من ذلك ، وليس هو بفساد كما قاله شرارُ العِباد ، إنما هو إظهارٌ للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّق نخلَ بنى النضير وقطع ، وهى البُويرة ، فأنزل

الله : «مافطعتم مِنْ لِينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله ولِيُخْزِيَ الفاسقين» .

وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤىّ حريقٌ بالبُويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيعٍ وحرّق فى نواحيها السعيرُ

ستعلم أيُّنا منها بسترٍ وتعلم أىّ أرضينا نضيرُ

***

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتلَ كعب بن الأشرف فالله أعلم :

لقد خَزِيت بغدْرتها الحبورُ(١) كذاك الدهر ذو صَرفٍ يدورُ

وذلك أنهم كفروا بربٍّ عظيمٍ أمرُه أمرٌ كبيرُ

وقد أوتوا معاً فَهماً وعِلْماً وجاءهم من الله النذيرُ

نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً وآياتٍ مبينةً تنيرُ

فقالوا ما أتيتَ بأمرِ صدقٍ وأنت بمُنْكرٍ منا جديرُ

فقال بلى لقد أديت حقًّا يصدِّقنى به الفهمُ الخبيرُ

فمن يتبعه يُهْدَ لكلِّ رُشْدٍ ومن يَكفر به [illegible] الكفورُ

فلما أُشربوا غَدْراً وكفراً وجدَّ بهم [illegible] الحق النفورُ

أرى الله النبيَّ برأى صدقٍ و[illegible] الله يحكم [illegible] يجور

فأيده وسلَّطه عليهم وكان نصيرَه [illegible] النصـ[illegible]

(١) الحبور : جمع حبر ، وهم علماء اليهود .

فغُودِرَ منهم كعبٌ صريعاً ... فذلّتْ بعد مَصرعه النضيرُ

على الكَفّيْن ثَمَّ وقد علَتْه ... بأيدينـــا مُشَهَّرة ذُكورُ

بأمرِ محمـد إذ دَسّ ليلاً ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ

فمـاكَرَه فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقـة جسورُ

فتلك بنو النضير بدار سوء ... أبارَهمُ بمـا اجترموا المبيرُ (١)

غداة أتاهمُ فى الزحف رَهْواً (٢) ... رسولُ الله وهو بهم بصيرُ

وغَسَّانُ الحمـــاةُ مؤازروه ... على الأعداء وهو لهم وزيرُ

فقال السَّلْم ويحكمُ فصَدّوا ... وخالف أمرَهم كذبٌ وزورُ

فذاقوا غِبَّ أمرهمُ وبالاً ... لـكل ثلاثة منهم بعـــيرُ

وأُجْلُوا عامدين لقينقاعٍ ... وغودر منهمُ نخلٌ ودورٌ

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسمال اليهودى ، فتركناها قصداً .

***

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى بنى النضير قول ابن لُقيم العبسى ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف الأشجعى :

أهلى فداءٌ لامرئٍ غير هالكٍ ... أحلّ اليهودَ بالحِسِيِّ المزنَّمِ (٣)

يَقِيلون فى جَمْر العِضَاه وبُدِّلوا ... أهيضبَ عوداً بالودىّ المـكمِ (٤)

فإن يك ظَنّى صادقًا بمحمد ... تروا خيله بين الصَّلا ويَرَمْرِمِ (٥)

يؤمُّ بهـا عمرو بن بُهْثة إنهم ... عدوٌّ وما حَىٌّ صديقٌ كمجرمِ

عليهن أبطالٌ مساعير فى الوغى ... يهزُّون أطرافَ الوشيج المقوَّمِ (٦)

---

(١) أبارهم : أهلكهم . (٢) رهوا : سيرا سهلا . (٣) الحسى : ما يحسى من الطعام والمزنم الرجل يكون فى القوم ليس منهم . يريد : أحلهم بأرض غربة فى غير عشائرهم . وانظر الروض الأنف ٢ / ١٧٧ . (٤) جمر : الأصل خمر . وما أثبته من ابن هشام . والعضاه : شجر . وأهيضب مكان مرتفع . والودى : صغار النخل . والمـكمم : الذى خرج كمامه . (٥) الصلا : موضع . ويرمرم جبل . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

وكلَّ رقيق الشفْرتين مهنَّدٍ تُوورِثن من أزمان عادٍ وجُرهمِ
فمَنْ مُبْلغ عنى قريشًا رسالةً فهل بعدهم فى المجد مِنْ مُتَكرّمِ
بأن أخاهم فاعلمنّ محمدا تليد الندَى بين الحَجُون وزمزمِ
فدِينُوا له بالحقِّ تجسم أموركم وتسمو من الدنيا إلى كلِّ مُعْظَمِ
نبيٌّ تلافتْه من الله رحمةٌ ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجَّمِ
فقد كان فى بدرٍ لعَمْرِىَ عبرةٌ لكم ياقريش والقليبِ الملمَّمِ
غداة أتى فى الخزرجية عامداً إليكم مطيعاً للعظيم المكرمِ
معاناً بروح القدس يَنْكى عدوَّه رسولًا من الرحمن حقًّا بمعلمِ
رسولا من الرحمن يتلو كتابَه فلما أنار الحقّ لم يتلعثمِ
أرى أمَره يزداد فى كل موطن علوّاً لأمرٍ حمَّه الله مُحْكمِ

* * *

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب ، وقال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها لعلى :

عرفتُ ومن يعتدل يعرفِ وأيقنتُ حقًّا ولم أصدفِ
عن الكَلِم المحْكم اللاء من لدَى الله ذى الرأفة الأرأفِ
رسائل تُدْرَس فى المؤمنين بهن اصطَفى أحمدَ المُصْطَفِى
فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقفِ
فيا أيها المُوعِدوه سفاهاً ولم يأت جَوْراً ولم يعنفِ
ألستم تخافون أدنى العذابِ وما آمنُ الله كالأخْوَفِ
وأن تُصْرَعوا تحتَ أسيافه كَمَصْرع كعبٍ أبى الأشرفِ
غداة رأى اللهُ طغيانَه وأعرض كالجمل الأجنَفِ
فأنزل جبريلَ فى قتله بوحيٍ إلى عبده مُلْطَفِ

فدسَّ الرسولُ رسولًا له بأبيض ذى هِبَـةٍ مرهفِ
فباتت عيونٌ له مُعْوِلات متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرفِ
وقلن لأحمـــد ذَرْنا قليلاً فإنا من النَّوحِ لم نَشْتَفِ
فخلاهمُ ثم قال اظْعَنوا دُحوراً على رَغَمِ الآنُفِ
وأجْلَى النضيرَ إلى غربةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخْرفِ
إلى أذرِعات رِدَافاً وهم على كل ذى دُبرٍ أعجفِ

وتركنا جوابها أيضاً من سمال اليهودى قصداً .

* * *

ثم ذكر تعالى حكم الفىء ، وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملَّكها له ، فوضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه الله تعالى .

كما ثبت فى الصحيحين ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان يعزل نفقةَ أهله سنة ثم يجعل ما بقى فى الكراع والسلاح عدةً فى سبيل الله عز وجل .

ثم بيَّن تعالى حكم الفَىء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم : « ولذى القُرْبى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيل ، كى لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخُذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتَّقوا الله إنّ الله شديد العقاب » .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم وعفان ، قالا : حدثنا معتمر ، سمعت أبى يقول : حدثنا أنس بن مالك ، عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله ، حتى فُتحت عليه قريظة والنضير ، قال : فجعل يردُّ بعد ذلك .

قال : وإنّ أهلي أمروني أن آتي نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم أعطاه أمَّ أيمن أو كما شاء الله .

قال : فسألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول : كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لك كذا وكذا . وتقول : كلاّ والله . قال : ويقول لكِ كذا وكذا . وتقول : كلا والله . قال : ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاها حسبتُ أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال .

أخرجاه بنحوه من طرق عن مُعْتَمر به .

ثم قال تعالى : ذامًّا للمنافقين الذين مالوا إلى بنى النضير فى الباطن كما تقدم ، ووعدوهم النصر فلم يكن من ذلك شيء ، بل خذلوهم أحوجَ ما كانوا إليهم ، وغرُّوهم من أنفسهم فقال : « ألم ترَ إلى الذين نافَقُوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنّكم والله يَشْهد إنهم لكاذبون ، لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولُّن الأدبارَ ثم لا يُنْصَرون » .

ثم ذمَّهم تعالى على جُبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلا قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين « قال للإنسان : اكفر فلما كفر قال : إنى برىء منك إنى أخاف الله ربَّ العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » .

قصة عمرو بن سُعْدَى القُرَظى

حين مرَّ على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب ، وقد كانت بنو النضير أشرفَ منى بنى قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام وأظهر صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة .

قال الواقدى حدّثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجتْ بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سُعدى فأطاف بمنازلهم ، فرأى خرابها وفكَّر ، ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم فى الكنيسة ، فنفخ فى بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل . وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتألَّه فى اليهودية . قال : رأيت اليوم عِبَراً قد عبرنا بها ، رأيت منازلَ إخواننا خاليةً بعد ذلك العز والجَلَد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهَم وملَكها غيرهم وخرجوا خروجَ ذُلّ ، ولا والتوراة ما سلَّط هذا على قومٍ قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيَّته فى بيته آمنا ، وأوقع بابن سُنينة سيدهم ، وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود ، وكانوا أهل عُدَّة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يُخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلِّم فيهم فتركهم على أنْ أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً ، والله إنكم لتعلمون أنه نبى قد بشَّرنا به وبأمره ابن الهَيَبّان أبو عمير وابن حراش ، وهما أعلم يهود جاءانا يتوكَّفان قدومَه وأمرانا باتباعه ، جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفنّاهما بحَرَّتنا هذه .

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم .

ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوّفهم بالحرب والسِّباء والجلاء . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأتُ صفته فى كتاب باطا ، التوراة التى نزلت على موسى ، ليس فى المثانى الذى أحْدَثنا .

قال : فقال له كعب بن أسد : مايمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ماحُلْتُ بينك وبينه قط .

قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعَقْدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيْت أبيْنا .

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فذكر ماتقاولا فى ذلك، إلى أن قال عمرو: ماعندى فى أمره إلا ماقلت : ماتطيب نفسى أن أصير تابعاً !

رواه البيهقى .

غزوة بنى لِحْيَان

التى صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذكرها البيهقى فى الدلائل ، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه فى جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبنى قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقى والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره ، قالوا : لما أصيب خُبيب وأصحابه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالباً بدمائهم ليصيب من بنى لِحْيَان غِرَّةً ، فسلك طريقَ الشام ليُرى أنه لا يريد بنى لحيان حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حَذروا وتمنَّعوا فى رءوس الجبال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنّا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكةَ » .

فخرج فى مائتى راكب حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كُرَاعَ الغَمِيم[1] ثم انصرفا .

فذكر أبو عياش الزُّرقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعسفان صلاة الخوف .

---

(١) الغميم : واد أمام عسفان بثمانية أميال . يضاف إلى كراع ، جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عيَّاش ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القِبْلة ، فصلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصَبْنا غِرَّتَهم . ثم قالوا : تأتى الآن عليهم صلاةٌ هى أحبُّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : « وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاة » .

قال : فحضرَتْ ، فأمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاحَ ، فصففنا خلفه صَفّين ، ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مَصافِّ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد الصفُّ الذى يليه والآخرون قيامٌ يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . ثم انصرف .

قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بأرض عسفان ، ومرة بأرض بنى سُليم .

ثم رواه أحمد عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن منصور به ، نحوه .

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائى عن الفَلاَّس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن محمد بن المثنّى ، وبُنْدَار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، ثلاثتهم عن منصور به .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه واحد منهما .

لكن روى مسلم من طريق أبى خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبى الزبير ، عن جابر

قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً من جُهينة ، فقاتلوا قتالا شديداً ، فلما أن صلى الظهر قال المشركون : لو مِلْنا عليهم مَيْلةً لاقتطعناهم .

فأخبر جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هى أحبُّ إليهم من الأولاد » فذكر الحديث كنحو ماتقدم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا هشام ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهرَ بنخلٍ ، فهمّ به المشركون ثم قالوا : دَعُوهم فإن لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هى أحبُّ إليهم من أبنائهم .

قال : فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصلّى بأصحابه صلاةَ العصر ، فصفَّهم صَفَّين بين أيديهم رسولُ الله والعدوُّ بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبَّر وكبَّروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيامٌ ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخارى فى صحيحه برواية هشام هذه عن أبى الزبير ، عن جابر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سعيد بن عبيد الهُنائى (١) ، حدثنا عبد الله بن شقيق، حدثنا أبو هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضَجْنان وعُسْفَان ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهى العصر ، فأجمعوا أمرَكم فميلوا عليهم مَيْلَةً واحدة .

وإن جبريل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابَه شَطْرين فيصلِّى

---

(١) الهنائى : نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، بطن من الأزد . اللباب ٣/٢٩٤ .

ببعضهم ويقدّم الطائفة الأخرى وراءهم ، وليأخذوا حِذْرَهم وأسلحتهم، ثم تأتى الأخرى فيصلُّون معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله ركعتان .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

قلت : إن كان أبو هريرة شهدَ هذا فهو بعدَ خيبر ، وإلا فهو من مُرْسَلات الصحابى ، ولا يضر ذلك عند الجمهور . والله أعلم .

ولم يذكر فى سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عُسْفان ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنها واحدة .

* * *

بقى الشأنُ فى أنّ غزوة عسفان قبلَ الخندق أو بعدها ؟ فإن من العلماء ، منهم الشافعى ، من يزعم أن صلاة الخوف إنما شُرعت بعد يوم الخندق ، فإنهم أَخَّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاةُ الخوف مشروعةً إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعضُ أهل المغازى : إن غزوة بنى لِحْيان التى صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعدَ بنى قريظة .

وقد ذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية لقيتُه بعُسْفَان فوقفت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهَمَمْنا أن نُغير عليه ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما فى أنفسنا من الهمّ به ، فصلى بأصحابه صلاةَ العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمرة الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبنى قريظة كما سيأتى .

وفى سياق حديث أبى عيَّاش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه

الغزوة يوم عُسْفان ، فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها . والله أعلم .

وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها فى كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غزوة ذات الرِّقَاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهرى ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غَطَفان واستعمل على المدينة أبا ذر .

قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رقَّعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع .

وقال الواقدى : بجبل فيه بُقَع حمر وسود وبيض .

وفى حديث أبى موسى : إنما سميت بذلك لمَا كانوا يربطون على أرجلهم من الخِرَق من شدة الحرّ .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناسُ ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناسُ بعضُهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاةَ الخوف .

وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيد التَّنُّورى ، عن يونس بن عُبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع ،

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر فى هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرَّض لزمانٍ ولا مكان .

وفى كون غزوة ذات الرقاع التى كانت بنجد لقتال بنى محارب وبنى ثعلبة بن غطفان قبلَ الخندق نظر .

وقد ذهب البخارى إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعرى شهدها ، كما سيأتى ، وقدومُه إنما كان ليالىَ خيبر صحبةَ جعفر وأصحابه ، وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة نجد صلاةَ الخوف .

ومما يدل على أنها بعدَ الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى القتال أولَ ما أجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال : غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر صلاة الخوف .

وقولُ الواقدى : إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع فى أربعمائة ويقال سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس . فيه نظر .

ثم لا يحصل به نجاةٌ من أن صلاة الخوف إنما شُرعت بعد الخندق ، لأن الخندق كان فى شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل فى شوال سنة أربع ، فتحصَّل على هذا القول مَخْلَص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبى موسى وأبى هريرة فلا .

قصة غَوْرث بن الحارث

قال ابن إسحاق فى هذه الغزوة : حدّثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، عن جابر ابن عبد الله ، أن رجلا من بنى محارب يقال له غَوْرَث قال لقومه من غَطفان ومُحارب :

ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به .

قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره . فقال : يا محمد ، أَنظرُ إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأخذه ثم جعل يهزه ويهمّ ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أمَا تخافنى ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ؟ قال : أمَا تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعنى الله منك . ثم عمد إلى سيف النبي صلى الله عليه وسلم فردَّه عليه .

فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اذكُروا نعمةَ الله عليكم إذ هَمَّ قومٌ أن يَبْسُطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون [1] » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان ، أنها إنما أنزلت فى عمرو بن جحَّاش أخى بنى النضير وما همَّ به .

***

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غَوْرث هذا عن عمرو بن عبيد القدَرى رأس الفرقة الضالة ، وهو وإن كان لايتهم بتعمد الكذب فى الحديث إلا أنه ممن لا ينبغى أن يُرْوَى عنه لبدعته ودعائه إليها .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد .

فقد أورد الحافظ البيهقى هاهنا طُرقا لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهى ثابتة فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سِنان بن ، أبى سنان وأبى سلمة عن جابر ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة فى وادٍ كثيرِ العِضاه [2] ، فتفرق الناس يستظلون بالشجر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلَّق بها سيفَه .

(١) سورة المائدة .

(٢) العضاه : شجر عظيم له شوك .

قال جابر : فنِمْنا نومةً فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فأجبناه ، وإذا عنده أعرابى جالس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صَلْتاً (١) فقال : من يمنعك منى ؟ قلت : الله . فشام السيفَ وجلس . ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك .

وقد رواه مسلم أيضاً ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عفان ، عن أبَان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرِّقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل من المشركين ، وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم معلَّق بشجرة ، فأخذ سيفَ رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تخافنى ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك . قال : فهدده أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأغمد السيف وعلقه .

قال : ونودى بالصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان .

وقد علقه البخارى بصيغة الجزم عن أبان به .

قال البخارى : وقال : مُسدَّد عن أبى عوانة عن أبى بشر ، إن اسم الرجل غَوْرَث بن الحارث .

وأسند البيهقى من طريق أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سليمان بن قيس ، عن جابر قال : قاتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُحَاربَ وغطفان بنخل ، فرأوا من المسلمين غرةً ، فجاء رجل منهم يقال له : غَوْرَث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال : من يمنعك منى ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : من يمنعك منى ؟ فقال : كن خيرَ

---

(١) صلتا : مجردا من غمده ، يعنى مصلت .

آخِذ. قال : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

فخلى سبيله ، فأتى أصحابَه وقال : جئتكم من عند خير الناس.

ثم ذكر صلاةَ الخوف ، وأنه صلّى أربع ركعات ، بكل طائفة ركعتين .

وقد أورد البيهقى هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع ، عن صالح بن خَوَّات بن جُبير ، عن سهل بن أبى حَثْمة ، وحديث الزهرى ، عن سالم عن أبيه ، فى صلاة الخوف بنجد . وموضع ذلك كتاب الأحكام . والله أعلم .

قصة الذى أصيبت امرأته فى هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق: حدثنى عمى صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجلٌ امرأةَ رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجُها وكان غائباً ، فلما أُخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد دماً .

فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فقال : من رجلٌ يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يارسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادى . وهما عمَّار بن ياسر وعبَّاد بن بِشْر ، فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصارى للمهاجرى : أىُّ الليل تحبُّ أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوله . فاضطجع المهاجرى فنام وقام الأنصارى يصلى .

قال : وأتى الرجلُ فلما رأى شخصَ الرجل عرف أنه رَبيئة القوم ، فرمى بسهم

فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه وثبت قائما . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما . قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أُثْبِتُّ .

قال : فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نَذِرا به ، فهرب .

قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهْبَبْتَنِي أولَ مارماك ؟!

قال : كنت فى سورة أقرؤها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أُنْفِذها ، فلما تابع علىَّ الرمى ركعتُ فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أُضيع ثغراً أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها !

هكذا ذكره ابن إسحاق فى المغازى . وقد رواه أبو داود عن أبى توبة ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدى عن عبد الله العمرى ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خَوَّات ، عن أبيه ، حديثَ صلاة الخوف بطوله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب فى محالِّهم نسوةً ، وكان فى السَّبْى جارية وضيئة ، وكان زوجها يحبها ، فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلِّص صاحبته ، ثم ذكر من السياق نحو ماأورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدى : وكان جابر بن عبد الله يقول : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجلٌ من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، فأقبل إليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه فى يدى الذى أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتَعْجبون من هذا الطائر أخذتم فرخَه فطرح نفسه رحمةً لفرخه ؟ فو الله لربُّكم أرحمُ بكم من هذا الطائر بفرخه !!

قصة جمل جابر فى هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى وهب بن كَيْسان ، عن جابر بن عبدالله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاقُ تمضى وجعلت أتخلَّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك ياجابر ؟ قلت : يا رسول الله أبْطَأَ بى جملى هذا . قال : أنخه . قال : فأنختُه وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة . ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج والذى بعثه بالحق يُواهق ناقته مواهقةً (١) .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت : بل أهَبُه لك. قال : لا ولكن بِعْنيه ، قال : قلت: فسُمْنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا إذاً تَغْبننى يارسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ، قال : فقلت : أفقد رضيتَ ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعدُ ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيِّباً أم بكراً ؟ قال : قلت : بل ثيباً . قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك !

قال : قلت يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعةً تجمع رءوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبتَ إن شاء الله ، أمَا إنا لو جئنا صِراراً (٢) أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضتْ نمارقها . قال : فقلت : والله يارسول الله مالنا نمارق . قال : إنها ستكون فإذا أنت قدِمت فاعمل عملا كيِّساً .

(١) المواهقة : المباراة .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال : ما هذا ؟ قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال : فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك . قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئاً يسيراً .

قال : فوالله ما زال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعنى يوم الحرّة .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمرى ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بنحوه .

قال السهيلى : فى هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له : تمنَّ علىَّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : « إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم » وزادهم على ذلك فى قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ثم جمع لهم بين العوض والمعوَّض فردَّ عليهم أرواحهم التى اشتراها منهم فقال : « ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » والروح للإنسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال:

فلذلك اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جابر جمله ، وهو مطيته ، فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك .

قال : ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه .

وهـــذا الذى سلـكه السهيلى هاهنا إشارة غريبة وتخيُّل بديع . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد ترجم الحافظ البيهقى فى كتابه « دلائل النبوة » على هذا الحديث فى هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظَهر فى غزاته هـذه من بركاته وآياته فى جمل جابر بن عبـد الله رضى الله عنه .

وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة ، وفيه اختلاف كثير فى كمية ثمن الجمل وكيفية مااشترط فى البيع . وتحريرُ ذلك واستقصاؤه لائقٌ بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم. وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتى . ومُستَبْعد تعداد ذلك والله أعلم .

غزوة بدر الآخرة

وهى بدر الموعد التى تواعدوا إليها من أُحد كما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولمـا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سَلول .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليـه وسلم بدراً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنَّة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ثم بدا له فى الرجوع فقال : يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامـكم هــذا عـام جدب وإنى راجع فارجعوا .

فرجع الناس فسماهم أهلُ مكة جيشَ السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

قال: وأتى مَخْشِىُّ بن عمرو الضَّمْرى وقد كان وادَع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة وَدَّان على بنى ضَمْرة فقال : يا محمد أجئتَ للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضَمْرةَ ، وإن شئت رددْنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق : وقد قال عبد الله بن رواحة يعنى فى انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك . قال ابن هشام : وقد أنشدنيها أبو زيد لـكعب بن مالك :

وَعدْنا أبا سفيان بَدْراً فلم نجد ... لميعاده صِدْقاً وما كان وافيا
فأُقْسِم لو لاقيتَنا فلقيتنـا ... لأُبْتَ ذميما وافتقدتَ المواليا
تركنا به أوصالَ عُتْبة وابنه ... وعَمْراً أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسولَ الله أفٍ لدينكم ... وأمركم السَّىء الذى كان غاويا
فإنى وإن عنَّفتمونى لقائلٌ ... فدًى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نَعْدِله فينا بغيره ... شِهاباً لنافى ظلمة الليل هاديا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعُوا فَلجات الشام قد حال دونها ... جِلادٌ كأفواه المخاض الأوارِكِ(١)
بأيدى رجالٍ هاجَروا نحو ربِّهم ... وأنصـارِه حقّاً وأيدى الملائكِ
إذا سلكت للغوْر من بطن عالجٍ ... فقولا لها ليس الطريق هنالكِ
أقمنـا على الرسِّ النَّزوع ثمانيـا ... بأرْعَن جرَّار عريض المَبارِكِ(٢)
بكل كُميت جوزه نصفُ خَلقه ... وقُبٍّ طوالٍ مشْرفات الحوَارِكِ(٣)
ترى العرْفجَ العامىَّ تَذرِى أصوله ... مناسمُ أخفاف المطىّ الرواتكِ(٤)
فإن تَلْق فى تطوافنا والتمـاسنا ... فراتَ بن حيان يكن رَهْنَ هالكِ
وإن تَلْقَ قيس بن امرئ القيس بعده ... يزد فى ســوادٍ لونه لونُ حالكِ
فأبلغ أبا سفيان عنى رســالة ... فإنك مِن غُرِّ الرجـال الصعالكِ

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحســان إنا يابن آكلةِ الفغا ... وَجدِّك نغتال الخروقَ كذلكِ(٥)

(١) الفلجات : جمع فلج ، وهو النهر الصغير . والأوارك : الإبل التى رعت الأراك .
(٢) الرس : البئر . والنزوع : القريبة القعر . والأرعن : الجيش ذو الفضول .
(٣) الكميت : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جمع أقب ، وهو الفرس الضامر البطن والحوارك : جمع حارك وهو أعلى الكاهل .
(٤) العرفج : شجر سهلى . والعامى : الذى أتى عليه العام . والرواتك : المسرعة
(٥) الفغا : شيء كالتبن . والخروق : القفار . ونغتال : نقطع .

خرجنا وماتنجو اليعافيرُ بيننا ... ولو وألتْ منا بشدٍّ مُدارِكِ(١)
إذا ماانبعثنا من مُناخ حسبتَه ... مُدمَّنَ أهل الموسم المتعاركِ(٢)
أقمتَ على الرسِّ النزوع تريدنا ... وتتركنا فى النخل عند المداركِ
على الزرع تَمْشى خيلنُا وركابنُا ... فما وطئَتْ ألصقْنه بالدَّكادِكِ(٣)
أقمنا ثلاثاً بين سَلعٍ وفارعٍ ... بجُرْدِ الجيادِ والمطىِّ الرَّواتِكِ(٤)
حَسِبتُم جِلادَ القوم عندَ قِبابكم(٥) ... كمَأْخَذِكم بالعَيْنِ أرطالَ آنُكِ(٦)
فلا تَبعْثَ الخيلَ الجياد وقل لها ... على نحو قولِ المُعْصِمِ المُتَماسِكِ
سعِدْتم بها وغيرُكم كان أهلَها ... فوارسُ من أبناء فهرِ بن مالكِ
فإنك لا فى هجرةٍ إنْ ذكرتَها ... ولا حرماتِ دِينها أنت ناسكُ(٧)

قال ابن هشام: تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها.

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى وابن لَهِيعة، عن أبى الأسود، عن عروة بن الزبير، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر الناس لموعد أبى سفيان، وانبعث المنافقون فى الناس يُثَبِّطونهم، فسلَّمَ الله أولياءه، وخرج المسلمون صحبةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وأخذوا معهم بضائع وقالوا: إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر.

---

(١) اليعافير: جمع يعفور وهو ولد الظبية. ووألت: احتمت. والشد: الجرى.
(٢) المدمن: الموضع به آثار الناس والدواب.
(٣) الدكادك: جمع دكدك، ماتكبس واستوى من الرمل، أو أرض فيها غلظ.
(٤) الرواتك: التى تقارب فى خطوها.
(٥) ابن هشام: عند قبابهم. ورواها ابن سلام فى طبقات الشعراء: حول بيوتكم.
(٦) العين: المال، والذهب، والدينار. والآنك: الرصاص الأبيض. وقد ذكر السهيلى عن ابن سلام أن أبا سفيان بن حرب قال لأبى سفيان بن الحارث: يابن أخى لم جعلتها آنك، إن كانت الفضة بيضاء جيدة!
(٧) وتروى: ولا حرمات الدين أنت بناسك.

ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق فى خروج أبى سفيان إلى مجِنّـة ، ورجوعه ، وفى مقاولة الضَّمْرى ، وعَرْض النبى صلى الله عليه وسلم والمنابذة فأبى ذلك .

قال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم إليهـا فى ألف وخمسمائة من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبدَ الله بن رَواحة . وكان خروجه إليها فى مستهل ذى القعدة ، يعنى سنة أربع .

والصحيح قول ابن إسحاق ، أن ذلك فى شعبان من هـذه السنة الرابعـة ، ووافق قولَ موسى بن عقبـة أنها فى شعبان ، لـكن قال : فى سنة ثلاث وهـذا وَهْم ، فإن هذه توعدوا إليها من أُحد وكانت أحد فى شوال سنة ثلاث كما تقدم . والله أعلم .

قال الواقدى : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذى كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : « فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفَضْلٍ لم يَمْسَسْهم سُوءٌ واتَّبعوا رضوانَ الله والله ذو فضلٍ عظيمٍ[1] » .

فصـــل
فى جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفى جمادى الأولى من هذه السنة مات عبدُ الله بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، يعنى من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ست سنين، فصلى عليـه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ونزل فى حفرته والده عثمان بن عفان رضى الله عنـه .

قلت : وفيـه توفى أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى ، وأمه برَّة بنت عبـد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رضيعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ارتضعا من ثُوَيْبة مولاة أبى لهب .

(١) سورة آل عمران ١٧٤ .

وكان إسلام أبى سلمة وأبى عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبى الأرقم قديماً فى يوم واحد .

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم .

وشهد بدراً وأحداً ، ومات من آثار جرح جُرِحه بأُحد . رضى الله عنه وأرضاه .

له حديث واحد فى الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتى فى سياق تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة قريباً .

* * *

قال ابن جرير : وفى ليال خلَوْن من شعبان منها ولِد الحسينُ بن على من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم .

قال : وفى شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة ، الهلالية .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر ، عن على بن عبد العزيز الجرجانى أنه قال : كانت أختَ ميمونة بنت الحارث . ثم استغرَبه وقال : لم أره لغيره . وهى التى يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم . وأصدقها ثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] ودخل بها فى رمضان ، وكانت قبله عند الطُّفيل بن الحارث فطلقها .

قال أبو عمر بن عبد البر ، عن على بن عبد العزيز الجرجانى : ثم خلفَ عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الأثير فى الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .

---

(١) النش . نصف أوقية ، وهو عشرون درهما .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها .

وقال الواقدى : فى شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبى أمية .

* * *

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبى أولادها أبى سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج فى سرية فغنم منها نعما ومغنما جيدا ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة .

فلما حلَّت فى شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث إليها عمر بن الخطاب فى ذلك مراراً ، فتذْكر أنها امرأة غَيْرَى ، أى شديدة الغيرة وأنها مُصْبِية ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم فى قوتهم ، فقال : أما الصِّبْية فإلى الله وإلى رسوله . أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها .

فأذنت فى ذلك وقالت لعمر آخر ماقالت له : قم فزوِّج النبيَّ صلى الله عليه وسلم . تعنى قد رضيتُ وأذنت .

فتوهم بعضُ العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبى سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلى مثلُه العقدَ ، وقد جمعتُ فى ذلك جزءاً مفرداً بيَّنْت فيه الصواب فى ذلك . ولله الحمد والمنة . وأن الذى ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبى سلمة ، وهو أكبر ولدها .

وساغ هذا لأن أباه ابن عمها ، فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً .

فأما مَحْض البنوّة فلا يلي بها عقد النـكاح عنـد الشافعي وحده ، وخالفه الثلاثة : أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب النـكاح من الأحكام الـكبير . إن شاء الله .

***

قال الامام أحمد : حدّثنا يونس ،حدثنا ليث ، يعنى ابن سعد ، عن يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهـاد ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن المطّلب ، عن أم سلمـة قالت : أتانى أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقدسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سُرِرت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم آجِرْنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه .

فلما توفى أبو سلمة استرجعتُ وقلت : اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها ثم رجعت إلى نفسى فقلت : من أين لى خير من أبى سلمة ؟

فلما انقضَت عدّتى استأذن علىّ رسول الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لى ، فغسلت يدى من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة أَدم حشوها ليف ، فقعد عليها فخطبنى إلى نفسى ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله مابى أن لا تـكون بك الرغبة ، ولـكنى امرأة بى غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى منى شيئاً يعـذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت فى السن وأنا ذات عيال .

فقال : أمّا ما ذكرتِ من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرتِ من السن فقد أصابنى مثلُ الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالُك عيالى . فقالت : فقد سلّمتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم سلمة : فقد أبدَلنى الله بأبى سلمة خيرا منه ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أمه أم سلمة عن أبى سلمة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجمحى عن أبيه ، عن عمر بن أبى سلمة به .

* * *

وقال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم – يعنى من بدر المَوْعد – راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجةَ المشركون وهى سنة أربع .

وقال الواقدى : وفى هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كِتاب يهود .

قلت : فثبت عنه فى الصحيح أنه قال : تعلمته فى خمسة عشر يوماً . والله أعلم .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل فى ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجَنْدل[1].

قال ابن هشام: فى ربيع الأول - يعنى من سنة خمس - واستعمل على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطة الغِفَارى.

قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية سنته.

هكذا قال ابن إسحاق.

وقد قال محمد بن عمر الواقدى بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدْنو إلى أدانى الشام، وقيل له: إنّ ذلك مما يُفزع قيصر، وذُكر له أن بدُومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يَظْلمون من مرّ بهم، وكان لها سوق عظيم، وهم يريدون أن يَدْنُوا من المدينة.

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فخرج فى ألف من المسلمين، فكان يسير الليلَ ويَكْمُن النهار، ومعه دليل له من بنى عُذْرة يقال له مذكور، هادٍ خِرِّيت[2].

فلما دنا من دُومة الجندل أخبره دليله بسوائم بنى تميم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب مَن أصاب وهرب من هرب فى كل وجه، وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل فتفرقوا،

---

(١) دومة: بضم الدال عند أهل اللغة، وأصحاب الحديث يفتحونها. كذا فى الصحاح. قال البكرى: سميت بدومى بن إسماعيل، وكان نزلها. (شرح المواهب ٢/٩٥).

(٢) الخريت: الماهر بالهداية.

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبثَّ السَّرايا، ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمَة رجلا منهم فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أصحابه فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

قال الواقدى : وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل فى ربيع الآخر [١] سنة خمس .

قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن أم سعد ماتت والنبى صلى الله عليه وسلم غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر .

وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضى أنه عليه السلام غاب فى هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدى رحمه الله .

غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدْرَ سورة الأحزاب . فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً ، وجنوداً لم تَروها وكان الله بما تعملون بَصيراً * إذ جاءوكم مِنْ فوقكم ومِنْ أسفلَ منكم ، وإذ زاغت الأبصارُ وبَلغت القلوبُ الحناجرَ وتظنُّون بالله الظنونا ، هنالك ابتُلِىَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً

(١) عند ابن جرير عن الواقدى : فى ربيع الأول . وكذلك فى شرح المواهب : « وكان فى شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة » وكان رجوعه إلى المدينة فى العشرين من ربيع الآخر .

شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ ماوعدَنا الله ورسولُه إلا غُروراً * وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهلَ يثربَ لا مُقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النبيَّ يقولون إنّ بيوتَنا عَوْرةٌ . وما هى بعورةٍ إنْ يريدون إلّا فِراراً * ولو دُخلت عليهم مِنْ أقْطارها ثم سُئلوا الفتنةَ لأتوْها وما تلبَّثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله مِنْ قبلُ لا يولُّون الأدبارَ وكان عهدُ الله مسئولا * قل لن يَنْفعكم الفِرارُ إن فَررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتَّعون إلا قليلاً * قل من ذا الذى يَعْصمكم مِن الله إن أراد بكم سُوءًا أو أراد بكم رحمةً ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولا نصيرا * قد يَعْلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون البأسَ إلا قليلاً * أشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوفُ رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينُهم كالذى يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوفُ سَلَقوكم بألسنةٍ حدادٍ أشحَّةً على الخير ، أولئك لم يؤمنوا فأحبطَ الله أعمالَهم وكان ذلك على الله يسيرا * يحسبون الأحزابَ لم يَذْهبوا وإن يأتِ الأحزابُ يودُّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يَسْألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم فى رسول الله أُسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدَق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما * من المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحْبَه ومنهم مَن يَنْتظر وما بدَّلوا تبديلا * ليجزى الله الصادقين بصِدْقهم ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوبَ عليهم إن الله كان غفورا رحيما * وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قويًا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب مِنْ صَياصِيهم وقَذَف فى قلوبهم الرعبَ ، فريقاً تقتلون وتأسِرون فريقا ، وأورثكم أرضَهم وديارهم وأموالَهم وأرضاً لم تطأُوها وكان الله على كل شىء قديرا » .

وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات فى التفسير ولله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

* * *

وقد كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب فى شوال سنة أربع .

وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه .

قال البيهقى : ولا اختلاف بينهم فى الحقيقة ، لأن مرادهم أن ذلك بعد مضىّ أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين إلى بدر العامَ القابل ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما تقدم فى شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعيَّن أن الخندق فى شوال من سنة خمس . والله أعلم .

وقد صرح الزهرى بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين . ولا خلاف أن أُحداً فى شوال سنة ثلاث ، إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدُّوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقى . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسَوى ، وقد صرح بأن بدراً فى الأولى ، وأحداً فى سنة ثنتين ، وبدر الموعد فى شعبان سنة ثلاث ، والخندق فى شوال سنة أربع .

وهذا مخالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور : أن أحداً فى شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه فى الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : عُرضتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجِزْنى ، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى . فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقى بأنه عرض يوم أحد فى أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب فى أواخر الخامسة عشرة .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه فى يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التى يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها .

ولهذا لما بلَّغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرقُ بين الصغير والكبير . ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء . والله أعلم .

* * *

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره .

قال ابن إسحاق : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

فحدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة ومن لاأتَّهم ، عن عبيد[١] الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القُرَظى والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا . وبعضُهم يحدِّث مالا يحدث بعضٌ . قالوا :

إنه كان من حديث الخندق : أن نفراً من اليهود منهم سَلاَّم بن أبى الحُقَيق النضرى، وحيى بن أخطب النضرى ، وكِنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وهَوذة بن قيس

(١) ابن هشام : عبد الله بن كعب .

الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش : يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهْدَى مِن الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ، ومَنْ يلعن الله فلن تجدَ له نصيرا[1] » الآيات .

فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ونَشطوا لما دعَوهم إليه من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عَيْلان ، فدعَوهم إلى حرب النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون[2] معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرِّى فى بنى مرة ، ومِسْعر ابن رُخَيلة بن نُوَيرة بن طريف بن سُحْمة بن عبد الله بن هلال بن خَلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غطفان فيمن تابعه من قومه مِنْ أَشْجع .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر ضَرب الخندق على المدينة .

---

(١) سورة النساء .

(٢) ابن هشام : سيكونون .

قال ابن هشام : يقال إن الذى أشار به سلمان .

قال الطبرى والسهيلى : أول من حفر الخنادق : منوشهر بن أيرج بن أفريدون . وكان فى زمن موسى عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً المسلمين فى الأجر، وعمل معه المسلمون ، وتخلَّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضَّعف[١] ، ومنهم من يَنْسَلُّ خُفْيَةً بغير إذنه ولا عِلمه عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى فى ذلك قولَه تعالى « إنما المؤمنون الذين آمنو بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يَذْهبوا حتى يستأذنوه ، إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يُؤْمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فَأْذن لمن شئتَ منهم واستغفر لهم الله إنّ الله غفور رحيم * لا تجعلوا دُعَاءَ الرسولِ بَيْنكم كدُعاء بعضِكم بعضاً قد يَعْلم الله الذين يتسلّلون منكم لِوَاذاً ، فليَحْذر الذين يخالفون عَنْ أمره أن تُصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليم ، ألا إنّ لله ما فى السماوات والأرض قد يَعْلم ما أنتم عليه ، ويوم يُرْجَعون إليه فينبّئهم بما عملوا والله بكلِّ شيء عليم[٢] » .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ،وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعَيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمراً ، فقالوا فيما يقولون :

سَمَّاه مِنْ بعــدِ جُعَيلٍ عَمراً ... وكان للبائس يوماً ظَهْراً[٣]

وكانوا إذا قالوا : عمراً. قال معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :عَمْرا . وإذا قالوا : ظَهْراً قال لهم : ظهرا .

* * *

---

(١) ابن هشام : وجعلوا يورون بالضعيف من العمل . (٢) سورة النور .
(٣) ظهر : قوة ومعونة .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حُمَيد ، سمعت أنساً قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداةٍ باردةٍ ولم يكن لهم عَبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى مابهم من النَّصَب والجوع قال : « اللهم إنّ العَيْشَ عيشُ الآخره ، فاغفر للأنصارِ والمهاجره » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد مابقينا أبدا

وفى الصحيحين من حديث شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة عن أنس . نحوه .

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سَلمة عن ثابت وحميد عن أنس ، بنحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندقَ حول المدينة وينقلون التراب على مُتُونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلامِ مابَقِينا أبدَا

قال : يقول النبى صلى الله عليه وسلم مجيباً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره ، فبارك فى الأنصار والمهاجره » .

قال : يُؤْتون بملء كَفٍّ من الشعير فيُصنع لهم بإهالة سَنِخَة [1] توضع بين يدى القوم والقوم جياع ، وهى بَشِعة فى الحَلْق ولها ريح منتن !

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن [2] أبى حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على أكتادنا [3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الإهالة : الودك . والسنخة : المتغيرة الريح الفاسدة الطعم .

(٢) البخارى : عن أبى حازم . وهو أبو عبد العزيز .

(٣) الأكتاد : جمع كتد ، وهو مابين الكاهل إلى الظهر .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

ورواه مسلم عن القَعْنَبيّ ، عن عبد العزيز به .

وقال البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق ، عن البراء ابن عازِب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغْمرَ بطنَه ، أو اغبرَّ بطنُه يقول :

واللهِ لولا اللهُ ما اهتدَيْنا ولا تصدَّقنا ولا صلَّيْنَا
فأنزِلنْ سَكِينةً علينـا وثبِّت الأقدامَ إنْ لاقَيْنا
إن الأُلى قد بغَوا علينـا إذا أرادوا فتنةً أبَيْنَا

ورفع بها صوته : أبَينا ، أبَينا .

ورواه مسلم من حديث شعبة به .

ثم قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شُريح بن مَسْلمة ، حدثنى إبراهيم ابن يوسف ، حدثنى أبى ، عن أبى إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيته ينقل مِنْ تراب الخندق حتى وارى عنى الترابُ جِلْدةَ بطنه ، وكان كثير الشَّعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصَدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سَكِينةً علينـا وثبِّت الأقدامَ إنْ لاقينَا
إن الأُلَى قد بغَوا علينا وإنْ أرادوا فتنةً أبَيْنَا

ثم يمد صوته بآخرها .

وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل البَجلى ، حدثنا إبراهيم بن يوسف البَلْخى ، حدثنا

المسيَّب بن شريك ، عن زياد بن أبى زياد ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخندق وقال :

باسم الله وبه هُـــدينا ولو عَبَدْنا غــيرَه شَقِينا

ياحبذا ربًّا وحبَّ دِيناَ

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يحفرون الخندقَ : « اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخره ، فأصْلِح الأنصارَ والمهاجره » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث غُنْدَر ، عن شعبة .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد كان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، من الله فيها عبرةٌ فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فمن ذلك : أن جابر بن عبد الله كان يحدّث أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كُدْيَة(١) ، فشكَوْها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فتفَل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكُدْية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق لَانْهالت حتى عادت كالكَثيب ماترَدُّ فأساً ولا مسحاة .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وقد قال البخارى رحمه الله : حدثنا خَلَّاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، قال : أتيت جابراً فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْية شديدة فجاءوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كُدْية عرضَتْ فى الخندق ، فقال : أنا نازل.

(١) الكدية : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .

ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقا [١] ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْول فضرب فعاد كثيباً أهْيَلَ أو أهْيَم [٢] .

فقلت : يارسول الله ائذن لى إلى البيت . فقلت لامرأتى : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صَبْر ، فعندك شيء ؟ قالت : عندى شعير وعَناق [٣] ، فذبحتُ العَناق وطحَنَت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البُرْمة [٤] ، ثم جئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم والعجينُ قد انكسر والبرمة بين الأثافىّ [٥] قد كادت أن تنضَج ، فقلت : طُعَيِّم لى [٦] فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو ؟ فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قل لها لا تَنْزِع البرمة ولا الخبزَ من التنور حتى آتى . فقال : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم. فقال : ادخلوا ولا تَضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمِّر [٧] البُرْمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرّب إلى أصحابه ، ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبزَ ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية . قال : كلى هذا وأَهْدِى، فإن الناسَ أصابتهم مجاعة .

تفرد به البخارى .

* * *

وقد رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه

---

(١) ذواقا : شيئا من مأكول أو مشروب . (٢) الأهيل أو الأهيم : السائل .
(٣) العناق : الأنثى من ولد الماعز . (٤) البرمة : القدر .
(٥) الأثافى : حجارة ثلاثة توضع عليها القدر . (٦) طعيم : تصغير طعام : لتقليله .
(٧) يخمر : يغطى .

أيمن الحبشى مولى بنى مخزوم ، عن جابر بقصة الكُدْية ورَبْط الحجر على بطنه الكريم .

ورواه البيهقى فى الدلائل ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، بقصة الكدية والطعام . وطوله أتمُّ من رواية البخارى قال فيه : لما علم النبى صلى الله عليه وسلم بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً : قوموا إلى جابر . فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء مالا يعلمه إلا الله ، وقلت : جاءنا بخَلْق على صاع من شعير وعَناق . ودخلت على امرأتى أقول : افتضحتِ ، جاءك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم .

قال : فكشفَتْ عنى غمًّا شديداً ، قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: خدِّمى ودعينى من اللحم . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُثْرد ويغرف اللحم ويخمّر هذا ويخمر هذا ، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنُّور والقِدْر أملَأ ما كانا !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلى وأهدى . فلم تزل تأكل وتهدى يومها .

وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبى شيبة ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر به وأبْسَطُ أيضاً ، وقال فى آخره : وأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة أو قال : ثلاثمائة .

وقال يونس بن بكير ، عن هشام بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر . فذكر القصة بطولها فى الطعام فقط وقال : وكانوا ثلاثمائة .

* * *

ثم قال البخارى : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا حنظلة بن أبى

سفيان ، عن أبى الزبير ، حدثنا ابن مِينَاء ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حُفر الخندق رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم خَمَصاً (١) ، فانكفأتُ إلى امرأتى فقلت : هل عندك شىء ، فإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خَمَصاً شديداً ؟ فأخرجَتْ لى جِرَاباً فيه صاع من شعير ولنا بُهَيمةٌ داجن (٢) ، فذبحتُها ، فطحنت ، ففرغَتْ إلى فَراغى ، وقطعتها فى بُرمتها ، ثم ولَّيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فجئته فسارَرْته فقلت : يارسول الله ذبحتُ بُهَيمةً لنا ، وطحنتُ صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُؤْراً (٣) فحيهلاً بكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُنْزِلُنّ بُرْمتكم ولا تَخْبِزن عجينَكم حتى أجىء .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْدُم الناس ، حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك . فقلت : قد فعلتُ الذى قلتِ . فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازةً فلتخبز معكَ ، واقدحى (٤) من برمتك ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأُقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لَتَغِطُّ (٥) كما هى وإن عجيننا كما هو .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن أبى عاصم به نحوه .

* * *

(١) الخمص : ضمور البطن من الجوع . (٢) البهيمة : بضم الباء تصغير بهمة وهى الصغير ومن أولاد الغنم . والداجن : مايربى فى البيوت من الغنم ولا تخرج إلى المرعى .
(٣) سؤرا : يروى بالهمزة ، وفى اليونينية بتركها : وهو الطعام الذى يدعى إليه ، وهى لفظة فارسية ، وهذا دليل على تكلم الرسول بالفارسية . والسؤر بالهمز : البقية .
(٤) اقدحى : اغرفى . (٥) تغط : تفور بحيث يسمع لها غطيط .

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفى سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال :

حدثنى سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، وكانت عندى شويهة غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال: وكنا نعمل فيه نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يارسول الله إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معى إلى منزلى . قال : وإنما أريد أن ينصرف معى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحده .

قال : فلما أنْ قلت ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون !.

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجناها إليه ، قال : فبرّك وسمّى الله تعالى ، ثم أكل ، وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدَر أهلُ الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق عنه ، عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى سعيد بن ميناء ، أنه قد حدّث أن ابنةً لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعتنى أمى عَمْرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنةً من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أىْ بُنية اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت: فأخذتها وانطلقت بها .

فمرزت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يابنية ماهذا معك ؟ قالت : قلت : يارسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : هاتيه . قالت : فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما .

ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدَّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أنْ هلم إلى الغداء .

فاجتمع أهلُ الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقى من طريقه ولم يزد .

* * *

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسى أنه قال : ضربتُ فى ناحية من الخندق فغلظت علىَّ صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدّة المكان علىَّ نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المِعوْل بَرْقةٌ ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برَقةٌ أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ! ماهذا الذى رأيتُ لمَعَ تحت المعول وأنت تضرب؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال: أما الأولى فإن الله فتح علىّ باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح علىّ باب الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق .

قال البيهقى : وهذا الذى ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عُقْبة فى مغازيه ، وذكره أبو الأسود عن عروة .

ثم روى البيهقى من طريق محمد بن يونس الكديمى وفى حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير فى تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى ، عن أبيه عن جده ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتقَّ المهاجرون والأنصار فى سلمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سَلْمان منا أهلَ البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مُقَرِّن وستة من الأنصار فى أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا النَّدَى ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرْوَة ، فكسرتْ حديدَنا وشقَّت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة تركية ، فأخبرَه عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربةً صدعها ، وبرقَتْ منها برْقة أضاءت مابين لابتَيْها — يعنى المدينة — حتى كأنها مصباح فى جوف ليل مظلم ، فكبرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرَ فتح وكبَّر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك النور ، فقال :لقد أضاء لى من الأولى قصورُ الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق .

قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيماناً وتسليما . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تُفْتَح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا !

فنزل فيهم « وإذ يقــول المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ ماوعدَنا الله ورسوله إلا غرورا » .

وهذا حديث غريب .

* * *

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدّثنا هارون بن مَلول ، حدّثنا أبو عبدالرحمن ، حدّثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لمّا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق فخُنْدِق على المدينة قالوا : يارسول الله إنا وجدنا صَفاةً لا نستطيع حفرها . فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقمنا معه ، فلما أتاها أخذ المِعْولَ فضرب به ضربة وكبَّر ، فسمعتُ هَدَّةً لم أسمع مثلها قطّ فقــال : فُتحت فارس . ثم ضرب أخرى فــكبَّر فسمعتُ هَدَّةً لم أسمع مثلها قطّ ، فقال : فُتحت الروم . ثم ضرب أخرى فــكبَّر فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : جاء الله بحِمْير أعوانًا وأنصارا .

وهذا أيضا غريب من هذا الوجه . وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى فيه ضعف فالله أعــلم .

وقال الطبرانى أيضا : حــدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثنى سعيد بن محمــد الجرمى حدّثنا أبو نُميلة ، حدّثنا نعيم بن سعيد الغرى ، أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر رسول الله صلى الله عليــه وسلم الخندق ، وأصحــابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : هل دُلِلْتم على رجــل يُطعمنا أكلة ؟ قال رجل : نعم . قال : أمَا لا فتقدّم فدلنا عليــه . فانطلقوا إلى [بيت] الرجل ، فإذا هو فى الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جِئْ ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبى وأمى . وله معزة

ومعها جدْيها فوثب إليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الجدى من ورائها فذبح الجدى ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت فأدركت القدرُ فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فيها وقال : بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا . فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقى ثلثاها . فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرِّحوا إلينا بعِدّتكم . فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت وسمَّت[1] عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعونى فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة .

فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يَعِدنا قصور فارس والروم .

ثم قال الحافظ البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا هوذة ، حدثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهرى ، حدثنى البراء بن عازب الأنصارى ، قال : لمّا كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها أخذ المعول وقال: بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحُمْر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليَمَن . والله إنى لأبصر أبوابَ صنعاء من مكانى الساعة .

---

(١) سمت : ذكر الله .

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هـذا ، وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو ، وعنه حميد الطويل والُجريرى وعوف الأعرابى . قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة . وقال على بن المَدِينى : كان يحيى بن سعيد القطَّان لا يحدِّث عنه .

وقال النسائى : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبى زرعةِ السَّيْبانى ، عن أبى سكينة رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبى صلى الله عليـه وسلم وأخذ المِعْول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : « وتمَّت كلمة ربك صِدْقاً وعَدْلا لا مُبَدِّل لـكلماته وهو السميع العليم » فندر ثلث الحجر، وسلمان الفارسى قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ، ثم ضرب الثانيةوقال : « وتمت كلمةُ ربك صِدْقاً وعَدْلا لا مُبدِّل لـكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لـكلماته وهو السميع العليم ». فندر الثلث الباقى .

وخرج رسول الله صـلى الله عليـه وسلم فأخـذ رداءه وجلس . فقـال سلمان : يارســول الله رأيتك حين ضَربت لا تَضرب ضربةً إلا كانت معهـا برْقة . قال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم : ياسلمان رأيتَ ذلك ؟ قال : إى والذى بعثك بالحق يارسول الله .

قال : فإنى حين ضربت الضربة الأولى رُفعت لى مدائنُ كسرى وما حولهـا ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعينى . فقال له من حضره من أصحابه : يارسول الله ادْعُ [الله] أن يفتحها علينا ويُغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك .

قال : ثم ضَربت الضربة الثانية ، فرفعت لى مدائن قيصر وما حولهـا حتى رأيتهـا

بعيني . قالوا : يارسول الله ادع الله أن يفتحها علينــا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا .

ثم قال : ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني . ثم قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : « دعوا الحبشة ماوَدَعوكم واتركوا الترك ماتركوكم » .

هكذا رواه النسائي مطوّلا ، وإنما روى منه أبو داود : « دَعُوا الحبشة ماوَدَعوكم واتركوا التُّرك ماتركوكم » عن عيسى بن محمد الرملي ، عن ضَمرة بن ربيعة ، عن أبي زُرْعة يحيي بن أبي عمرو السَّيْبَاني[١] به .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فُتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا مابدا لــكم ، فوالذى نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصِل من غير وجه ولله الحمد .

فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُعثت بجوامع الــكلم ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدى » .

وقد رواه البخاري منفرداً به ، عن يحيي بن بُــكَير ، وسعد بن عفير ، كلاهما عن الليث به . وعنده قال أبو هريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تَنتثلونها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي

---

(١) نسبة إلى سيبان ، بطن من حمير ، توفى أبو زرعة سنة ١٤٨ ، وكان ثقة . اللباب ١/٥٨٥ .

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصرت بالرُّعب ، وأوتيت جوامع الكَلِم وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهورا ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلَّت فى يدى » .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفى الصحيحين : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزهما فى سبيل الله » .

وفى الحديث الصحيح : « إنّ الله زَوى لى الأرضَ مشارقها ومغاربها ، وسيَبْلغ مُلْك أمتى مازوى لى منها » .

فصل

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة بين الُجرف وزَغابَة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومَنْ تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غَطَفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمى (١) إلى جانب أُحد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع (٢) فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندقُ بينه وبين القوم ، وأمر بالذرارى والنساء فجُعلوا فوق الآطام (٣) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أم مَكْتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى « إذ جاءوكم مِنْ فَوْقكم ومن أسفلَ منكم وإذْ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ وتظنُّون بالله الظنونا . (٤) » .

(١) موضع من أعراض المدينة . (٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الآطام : الحصون .
(٤) سورة الأحزاب ١٠ .

قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصارُ » . قالت : ذلك يوم الخندق .

* * *

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حِصْنهم دونَهم.

قال ابن إسحاق : وخرج حُيي بن أخطب النَّضرى حتى أتى كعبَ بن أسد القُرَظى صاحب عَقْدهم وعهدهم .

فلما سمع به كعب أغلق بابَ حصنه دون حُيي ، فاستأذن عليه فأَبَى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب افتح لى . قال : ويحك ياحُيي ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدتُ محمداً فلستُ بناقضٍ مابينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصِدْقاً .

قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إنْ أغلقتَ دونى إلا خوفاً على جشيشتك (١) أنْ آكل معك منها فأحْفَظ الرجلَ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وبحرٍ طامٍ .

قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال مِنْ رُومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نَقَمى إلى جانب أُحد ، قد عاهَدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه .

فقال كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبجَهام (٢) قد هَراق ماؤه يَرْعد ويُبْرق وليس فيه شىء ، ويحك ياحُيي فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا وفاءً وصدقا .

---

(١) ابن هشام : إلا عن جشيشتك . والجشيشة : طعام يصنع من البر الذى طحن غليظا .

(٢) الجهام : السحاب الذى لاماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظى ، فأحسنَ فيما ذكره موسى بن عقبة ، ذكَّرهم ميثاقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوَّه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حيي بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمع له ، يعنى فى نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى محاربته مع الأحزاب ، على أن أعطاه حُيي عهدَ الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك .

فنقض كعب بن أسد العهدَ وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حييَّ بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا ، قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد إلا بنى سَعْنة ، أسد وأسيد وثعلبة ، فإنهم خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث سعدَ بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيدالخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخَوات بن جُبير قال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحقٌّ مابلَغنا عنهم ، فإن كان حقًّا فالحنوا لى لحناً أعرفه ولا تفتُّوا فى أعضاد المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة ، فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ، يريدون بني النضير . ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ماجئنا لهذا ، ولَمَا بَيْننا أكبرُ من المشاتمة .

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذى بيننا وبينكم يابنى قريظة ، وأنا خائف عليكم مثلَ يوم بنى النضير أوأمَرَّ منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجْمَلَ بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: مَن رسول الله ؟ لاعهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه،وكان رجلا فيه حِدّة، فقال له سعد ابن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، لَمَا بيننا وبينهم أَرْبَى من المشاتمة .

ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلّموا عليه ثم قالوا : عُضل والقارَةُ . أى كغَدْرهم بأصحاب الرَّجيع خُبيَب وأصحابه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين .

قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بنى قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأته عن بنى قريظة خير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا بفتح الله ونصره .

فلما أن أصبحوا دنا القومُ بعضهم من بعض وكان بينهم رَمْى بالنَّبل والحجارة .

قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إنْ تشأ لا تُعبد .

* * *

قال ابن إسحاق وعَظُم عند ذلك البـلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوُّهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ، ونجم النفاق ، حتى قال معتّب بن قُشَير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوزَ كسرى وقيصر ، وأحدُنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وحتى قال أَوْس بن قَيْظى : يارسول الله إن بيوتنا عورة من العـدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فَأْذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهلَ يَثْرب لامُقَام لـكم فارجعوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النبيَّ يقولون إنَّ بيوتنا عورةٌ وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا » .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليـه وسلم مرابطاً ، وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّميَّا بالنبل .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتـادة ، ومن لا أتهم ، عن الزهرى ، إلى عُيَيْنة بن حصن والحـارث بن عوف المرِّى ، وهما قائدا غَطفان وأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الـكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمـة الصلح ، إلا المراوضة .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السَّعْدين فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه .

فقالا : يارسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمَركَ الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟

فقال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العربَ رمتكم عن قوسٍ واحدة وكالَبوكم من كلٍّ جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ مّا .

فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لايطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدة إلا قِرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيفَ ، حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفةَ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهدوا علينا .

* * *

قال : فأقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصَرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضِرار بن الخطاب ابن مِرْداس أحد بني محارب بن فهر ، تلبَّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيأوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم أقبلوا تُعْنِق بهم خيلُهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيلَهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السَّبخة بين الخندق وسَلع ، وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تُعْنق نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتَل يوم بدر حتى أثبتَتْه الجراحةُ فلم يشهد يومَ أحد ،

فلما كان يوم الخنـدق خرج مُعلماً لُيرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : مَن يبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبى طـالب رضى الله عنـه ، فقال له : يا عمرو إنك كنت عاهـدت الله لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلّتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجـة لى بذلك . قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال . قال له : لم يا بن أخى ، فوالله ما أحبُّ أن أقتلك ! قال له على : لـكنى والله أحب أن أقتلك . فحِمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ فتنازلا وتجاولا فقتله علىّ رضى الله عنه .

وخرجت خيلُهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق وقال على بن أبى طالب فى ذلك :

نَصر الحجارة مِن سفاهة رأيه ... ونَصرتُ ربَّ محمد بصوابِ
فصدَرْت حين تركتُه متجدِّلاً ... كالجِذع بين دَكادكٍ(١) وروابى
وعفَفْت عن أثوابه ولو أننى ... كنت المقطَّر بَزَّنى أثوابى
لا تحسبُنَّ الله خاذلَ دِينه ... ونبيِّه يا معشر الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلىّ .

قال ابن هشام : وألقى عكرمـةُ رمحه يومئـذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

فرَّ وألقَى لنا رمحَه ... لعلَّك عِكْرِم لم تَفعلِ
ووليْتَ تعدو كعدْوِ الظَّليـ ... ـمِ ما إن يَحورُ عن المَعْدلِ
ولم تلوِ ظهرَك مستأنساً ... كأن قَفاك قفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام : الفراعل : صغار الضِّباع .

---

(١) الدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين .

وذكر الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة عن ابن إسحاق فى موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنّع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام على بن أبى طالب فقال : أنا لهـا يا نبى الله . فقال : إنه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنّتكم التى تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها ؟ أفلا تُبرْزون إلىّ رجلاً ؟ فقام علىّ فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بُححْت من الندا ء لجمعهم : هل مِن مُبَارِزْ
ووقفت إذ جَبُنَ المشجـ ـعُ مَوقِفَ القِرْن المناجزْ
ولذاك إنى لم أزَلْ متسرِّعاً قبلَ الهزاهزْ (١)
إنّ الشجاعةَ فى الفتى والجودَ مِن خيرِ الغرائزْ

قال : فقام على رضى الله عنه فقال : يارسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإنْ كان عمراً ! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تَعْجلَنَّ فقد أتا ك مجيبُ صوتك غير عاجزْ
فى نيـةٍ وبصيرةٍ والصدقُ مُنْجى كلِّ فائزْ
إنى لأرجو أنْ أقيـ م عليك نائحةَ الجنائزْ
مِن ضَربةٍ نَجْلاء يَبْـ ـقَى ذِكرها عندَ الهزاهزْ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال: ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . فقال : يابن أخى مِن أعمامك من هو أسَنُّ منك فإنى أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له على : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ! فغضب فنزل وسَلَّ سيفه كأنه

---

(١) الهزاهز : الدواهى والشدائد .

شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضباً واستقبله علىٌّ بدَرقته ، فضربه عمرو فى درقته فقدَّها وأثبت فيهـا السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علىٌّ على حبل عاتقـه فسقط ، وثار العَجَاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليـه وسلم التـكبير فعرفنا أن علياً قد قتله . فثَمَّ يقول على :

أعلىَّ تَقْتحم الفوارس هكذا عنِّى وعنهم أخّروا أصحابى

اليوم يمنعنى الفرارَ حفيظتى ومصمِّم فى الرأس ليس بنابِى

إلى أن قال :

عَبَدَ الحجارةَ مِن سفاهةِ رَأْيه وعبَدْتُ ربَّ محمـــدٍ بصوابِ

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل علىٌّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلاَّ استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتَّقانى بسَوْأته ، فاستحييت ابنَ عمى أن أسلبه . قال : وخرجت خيوله منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق .

* * *

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البيهقى ، أن علياً طعنه فى تَرْقوته حتى أخرجها من مَراقِّه ، فمات فى الخندق ؛ وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هو لـكم لا نأكل ثمن الموتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن بابٍ ، حدثنا حجاج ، عن الحـكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أنه قال : قَتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأُعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقى من حديث حماد بن سلمة ، عن حجاج ، وهو ابن أَرْطاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قُتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثنى عشر ألفا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خير فى جسده ولا فى ثمنه » .

وقد رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسدَ نوفل بن عبد الله المخزومى حين قُتل وعرضوا عليه الدية فقال : « إنه خبيثٌ خبيثُ الدية ، فلعنه الله ولعن ديته . فلا أرَب لنا فى ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى فسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام فضربه فشقَّه باثنتين ، حتى فلَّ فى سيفه فلًّا وانصرف وهو يقول :

إنى امرؤ أَحمِى وأَحتَمِى   عن النبى المصطفَى الأمِّى

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قَتْلةً أحسن من هذه يامعشر العرب . فنزل إليه علىٌّ فقتله ، وطلب المشركون رِمَّته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن فأَبَى عليهم أن يأخذ منهم شيئا ومكَّنهم من أخذه إليهم .

وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقى من طريق حماد بن يزيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جُعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان فى الأُطُم ومعى عمر بن أبى سلمة ، فجعل يطأطئ لى فأصعد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبى وهو يحمل

مَرَّة هاهنــا ومرة هاهنــا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلمــا أمسى جاءنا إلى الأُطُم ، قلت : يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتنى يابنى ؟ قلت : نعم . قال : فدًى لك أبى وأمى !

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى ، عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى أخو بنى حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق، وكان من أحْرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن . قالت عائشة . وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحجابُ . قالت : فمرَّ سعد وعليه درع مُقَلَّصة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يَرْفل بها ويقول :

لبِّث قليلاً يشهد الهَيْجا حَمَل (١) لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ!

فقالت له أمه : الحقْ بنىَّ فقد والله أخَّرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد والله لودِدْت أنّ درع سعد كانت أسبغَ مما هى . قالت : وخفتُ عليــه حيث أصاب السهمُ منه . فرُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحلَ .

قال ابن إسحاق : حـدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : رماه حِبَّان بن قيس بن العَرِقة أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العَرِقة . فقــال له سعد : عرّق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لاقومَ أحبُّ إلى أن أجاهد من قوم آذَوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت وضعتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تُمتنى حتى تُقرَّعينى من بنى قريظة .

---

(١) الأصل : جمل وهو تحريف . وقد مر هذا الشطر فى صفحة ٨٢ من هـذا الجزء . وانظر فيها تخريجه . قال فى تاج العروس ٧ / ٢٩٠ : وقد تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُشَمى حليف بنى مخـزوم ، وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً قاله لعـكرمة بن أبى جهل :

أعِكْرَم هلاَّ لُمْتنِي إذ تقول لى ... فداك بآطام المديـنة خالدُ

ألستُ الذى ألزمتَ سعدًا مُريشةً ... لهـا بين أثنـاء المرَافقِ عانِدُ (١)

قَضى نَحْبه منها سعيدٌ فأعْوَلتْ ... عليه مع الشُّمْط العذارى النواهدُ

وأنت الذى دافعتَ عنه وقد دعا ... عبيدةُ جمعـاً منهمُ إذ يكابدُ

على حين ماهُمْ جائرٌ عن طريقه ... وآخرُ مرعوبٌ عن القَصْدِ قاصدُ

قال ابن إسحاق : والله أعلم أىُّ ذلك كان .

قال ابن هشام : ويقال إن الذى رمى سعداً خفاجةُ بن عاصم بن حِبَّان .

قلت : وقد استجاب الله دعوةَ وليِّه سعدِ بن معاذ فى بنى قريظة ، أقرَّ الله عينه بحـكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك . كما سيأتى بيانه . فحـكم بقتل مُقاتلتهم وسَبْى ذراريهم ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله فوق سبع أَرْقعة (٢) .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبـد الله بن الزبير ، عن أبيه عَبَّـاد قالَ : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارِع ، حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمرَّ بنا رجل من يهود فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقَطعت مابينها وبين رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وليس بيننا

---

(١) عند العرق : سال فلم يرقأ .

(٢) الأرقعة : السماوات ، جمع رقيع . ورواية الصحيح : سبع سماوات .

وبينهم أحد يَدفع عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذ أتانا آتٍ فقلت : ياحسان إن هذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمَنه أن يدلَّ على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لكِ يابنت عبد المطلب ! والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحبِ هذا .

قالت : فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجَزْتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغتُ منه رجعت إلى الحصن فقلت : ياحسان انزل فاسْتَلِبْه فإنه لم يمنعنى من سَلْبه إلا أنه رجل . قال : مالى بسَلبه حاجة يابنة عبد المطلب (١) !

* * *

قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم فى مثل الحصن من كتائبهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يُدْرى أتمَّ (٢) أمْ لا .

قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبةً غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنَتْ الكتيبة فلم يقدر النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« شَغلونا عن صلاة العصر مَلأ الله بطونهم وقلوبهم ، وفى رواية : وقبورهم ، ناراً » .

---

(١) ذكر السهيلى أن بعض العلماء دفع هذا وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الإسناد . وقال : لو صح هذا لهجن به حسان ، فإنه كان يهاجن الشعراء وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به . فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . الروض ٢/١٩٤ .
(٢) كذا بالأصل .

فلما اشتد البلاء نافق ناسٌ كثير وتكلموا بكلام قبيح .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول : « والذى نفسى بيده ليُفرجنَّ عنكم ماترون من الشدة ، وإنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، وأن يدفع الله إلىَّ مفاتيحَ الكعبة ، وليُهلكن الله كسرى وقيصر ولتُنفقن كنوزهما فى سبيل الله ! » .

وقد قال البخارى : حدّثنا إسحاق ، حدَّثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، عن محمد ، عن عَبِيدة (١) ، عن علىّ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يومَ الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتَهم وقبورهم ناراً ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » .

وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن على به . ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن على به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حدثنا المكىُّ بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ماغربت الشمس فجعل يسبُّ كفارَ قريش وقال : يارسول الله ما كِدْت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تَغْرب . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « والله ماصَلَّيتُها » فنزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بُطْحانَ (٢) فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصرَ بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة به .

(١) عبيدة بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن عمرو السلمانى الكوفى ، كما ضبطه القسطلانى . إرشاد السارى ٦/٣٢٦

(٢) بطحان : واد بالمدينة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عدوّاً فلم يفرغ منهم حتى أخَّر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : « اللهم مَن حَبسنا عن الصلاة الوسطى فاملأْ بيوتهم ناراً ، واملأْ قبورهم ناراً » .

ونحو ذلك تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خبَّاب العبْدى الكوفى ، وهو ثقة يصحِّح له الترمذى وغيره .

* * *

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هى صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه فى هذه الأحاديث ، وألزم القاضى الماوردى مذهبَ الشافعى بهذا لصحة الحديث .

وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالا عند قوله تعالى : « حافِظُوا على الصلواتِ والصلاة الوسطى وقوموا لله قانِتين (١) » .

وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب مكحول والأوزاعى .

وقد بوَّب البخارى ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله صلى الله عليه وسلم يومَ أمَرهم بالذهاب إلى بنى قريظة — كما سيأتى — : «لا يصلِّينَّ أحدٌ العصرَ إلا فى بنى قريظة» وكان من الناس من صلى العصر فى الطريق ، ومنهم من لم يصلِّ إلا فى بنى قريظة بعد الغروب ، ولم يعنِّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم فى حصار تسْتُر سنة عشرين فى زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور ، منهم الشافعى : هذا الصنيعُ يومَ الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل .

قال ابن إسحاق : وجماعة ذهبوا إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعُسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام فى المغازى قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق . فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً ، كما حكاه شُراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مُشْكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع فى وقت العشاء ، من رواية أبى هريرة وأبى سعيد .

قال الإمام [أحمد]: حدثنا يزيدو حجاج، قالا : حدثنا ابن أبى ذئب ، عن المقْبُرى، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه . قال : حُبسنا يوم الخندق حتى ذهب هَوِىٌّ من الليل حتى كُفينا . وذلك قوله : « وكَفَى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً » قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها فى وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج : فى صلاة الخوف « فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا » .

وقد رواه النسائى عن الفلاَّس ، عن يحيى القطَّان ، عن ابن أبى ذئب به . قال : شَغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن المشركين شَغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ماشاء الله . قال : فأمر بلالا فأذَّن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار : حدّثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا مُؤمّل يعنى ابن إسماعيل، حدثنا حماد ، يعنى ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعنى ابن أبى المخَارِق ، عن مجاهد ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبى صلى الله عليه وسلم شُغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر، ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء . ثم قال : « ما عَلى وجه الأرض قومٌ يذكرون الله فى هذه الساعة غيركم » .

تفرد به البزار ، وقال : لانعرفه إلا من هـذا الوجه . وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبى عبيدة عن عبد الله .

فصل

فى دعائه عليه السلام على الأحزاب

وكيف صرَفهم الله بحوله وقوته ، استحبابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وصيانةً لحوزته الشريفة ، فزَلْزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم .

قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عامر ، حدثنا الزبير – يعنى ابن عبد الله – حدثنا ربيح بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه ، قال : قلنا يوم الخندق: يارسول الله هل من شىء نقوله؟ فقد بلغت القلوبُ الحناجرَ ! قال : « نعم : اللهم استر عوراتنا وآمِنْ رَوْعاتنا » . قال : فضرب الله وجوه أعدائه بالريح .

وقد رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه ، عن أبى عامر – وهو العَقَدِىّ[1] – عن

---

(١) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدى . يروى عن شعبة . اللباب ٢/١٤٤ .

الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان ، عن ربيح بن عبدالرحمن بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، فذكره وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حسين، عن ابن أبى ذئب ، عن رجل من بنى سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى مسجدَ الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصلّ . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلّى .

وثبت فى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى أوْفَى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : « اللهم مُنزلَ الكتاب سريعَ الحساب اهزم الأحزابَ ، اللهم اهزمهم وزَلْزِلهم » وفى رواية : اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم .

وروى البخارى عن قتيبة ، عن الليث ، عن سعيد المقْبُرى عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا إله إلا الله وَحْده ، أعزَّ جُنده ونَصر عبدَه وغلَب الأحزاب وحده ، فلا شىء بعده » .

* * *

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لِتَظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم مِن فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نُعَيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنفذ بن هلال بن خَلاَوَة ابن أشجع بن رَيْث بن غَطفان ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى قد أسْلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمُرْنى بما شئتَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خُدْعة » .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديماً فى الجاهلية ، فقال : يابنى قريظة قد عرفتم ودِّى إياكم وخاصةَ ما بينى وبينكم . قالوا : صدقتَ لست عندنا بمتَّهم .

فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم ونساؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم فإن رأوا نُهْزَة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلَّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خَلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودِّى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت علىَّ حقًّا أن أُبْلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عنى . قالوا : نفعل .

قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على مافعلنا ،فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم . فأرسَل إليهم : أنْ نعم . فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تَدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفانَ فقال : يامعشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحبُّ الناس إلىّ ولا أراكم تَتَّهمونى . قالوا : صدقتَ ماأنت عندنا بمتهم . قال: فاكتموا عنى . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثلَ ماقال لقريش وحذَّرهم ماحذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوسُ غطفان إلى بنى قريظة عكرمةَ بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدارمُقام ، هلك الخفُّ والحافر ،

فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسَلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحْدَث فيه بعضُنا حدَثاً فأصابهم مالم يَخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتِل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نُناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضَرستكم الحربُ واشتد عليكم القتال أن تَنْشَمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجلَ فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لَحَقٌّ . فأرسَلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم بن مسعود لَحَقّ ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلَّوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا .

فأبَوْا عليهم وخذَّل الله بينهم وبعث الله الريح فى ليلة[1] شاتية شديدة البرد ، فجعلت تَكْفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

* * *

وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة .

وقد أورده عنه البيهقى فى الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله : أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) ابن هشام : ليال .

عشاء ، فأشار إليه أن تعال . فجاء فقال : ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظـة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت قريظـة : نعم فأرسلوا إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إنما نقضوا العهد على يدى حُيَي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تـكون عندهم تَوْثِقةً .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليـه وسلم : إنى مُسِرٌّ إليك شيئـا فلا تذكره .
قال : إنهم قد أرسلوا إلىّ يدعوننى إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى دورهم وأموالهم .
فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلىّ غطفان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحربُ خُدْعة وعسى أن يصنع الله لنا » .

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعْلَمهم ، فبـادر القومُ وأرسلوا إلى بنى قريظة عكرمـة وجمـاعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلَّت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهنَ توثقةً فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تـكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم يريدون منه الصلح على أن يردَّ بنى النضير إلى المدينة . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جَمْعهم ، دعا حذيفةَ بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : قال رجل من أهل الـكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخى . قال : فـكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقـد كنا نجْتهد . قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا !

قال : فقال حذيفة : يا بن أخى والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال : مَن رجلٌ يقوم فينظر لنا مافعل القومُ ثم يرجع ؟ فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجْعَةَ ، أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة . فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يَقم أحدٌ دعانى ، فلم يكن لى بدٌّ من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحْدثن شيئاً حتى تأتينا .

قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه . قال حذيفة : فأخذتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان ؛ ثم قال : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُرَاع والخُف وأخْلَفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدْر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل . ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطْلَق عِقاله إلا وهو قائم . ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىَّ : لا تُحْدث شيئاً حتى تأتينى . لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مِرْط لبعض نسائه مُرحَّل ، فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه وطرح علىّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنى لَفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعتْ غطفانُ بما فعلت قريش فانْشَمروا راجعين إلى بلادهم .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج فى صحيحه ،من حديث الأعمش عن إبراهيم

ابن يزيد التَّيمى عن أبيه ، قال : كنا عنـد حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت . فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقَرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحـد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجـد بدّاً إذ دعانى باسمى أن أقوم ، فقـال : ائتنى بخبر القوم ولا تَذْعرهم علىّ . قال : فمضيت كأنما أمشى فى حَمَّـام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يُصْلى ظهره بالنـار ، فوضعت سهماً فى كبـد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قولَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم : لا تُذْعرهم علىّ . ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنمـا أمشى فى حمـام ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنى البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسنى من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها ، فلم أبرح نائما حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا نَوْمان !

* * *

وقد روى الحـاكم والحافظ البيهقى فى الدلائل هـذا الحديث مبسوطا من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلى ، عن عبد العزيز بن أخى حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدَهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لـكنا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنَّوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود ، وأبوسفيان ومن معه فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذَرارينا وما أتَتْ علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها فى أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهى ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هى

بعورة . فما يستأذنه أحـد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك ، إذ استقبلنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى علىَّ وما علىَّ جُنة من العدو ولا من البرد إلا مِرْط لامرأتى ما يجاوز ركبتى ، قال : فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتىّ فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفـة . فقال : حذيفة ! فتقاصرت للأرض فقلت : بلى يا رسول الله . كراهيـة أن أقوم . فقمت فقال : إنه كائن فى القوم خبرٌ فَأْتنى بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قُرّاً .

قال : فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم احفظه مِن بَين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شمـاله ، ومن فوقه ومن تحتـه » قال : فوالله ما خلق الله فزعا ولا قُرًّا فى جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا ! قال : فلما وليت قال : يا حذيفة لا تُحْدثن فى القوم شيئاً حتى تأتينى .

قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوءَ نار لهم توقد ، وإذا رجل أدْهم ضخم يقول بيـديه على النـار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيلَ الرحيل . ولم أكن أعرف أباسفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النـار ، فذكرتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُحْدثن فيهم شيئا حتى تأتينى . فأمسكتُ ورددت سهمى إلى كنـانتى ، ثم إنى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مُقَام لـكم . وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا ، فوالله إنى لَأسمع صوتَ الحجارة فى رحالهم وفرشهم ، الريح تَضْرب بها ، ثم إنى خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت بى الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمّين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل فى شملة يصلى ، فوالله

ماعدًا أن رجعت راجعني القرُّ وجعلت أُقَرْقف ، فأومأ إلى رسول الله صلى الله عليهوسلم بيده وهو يصلى ، فدنوت منه فأسْبَل علىَّ شَمْلته ؛ وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم إذا حزَبه أمرٌ صلَّى. فأخبرته خبرَ القوم، أخبرته أني تركتهم يرْحلون . قال : وأنزل الله تعالى : « يأيهـا الذين آمنوا اذكروا نعمـةَ الله عليـكم إذ جاءتـكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم ترَوها وكان الله بمـا تعملون بصيرا » يعنى الآيات كلها إلى قوله : « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قويًّا عزيزا » أى صَرف الله عنهم عدوَّهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنودِ من الملائـكة وغيرهم التى بعثها الله إليهم « وكفى الله المؤمنين القتال » أى لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم بل صرَفهم القوىُّ العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « لا إله إلا الله وحـدَه ، صدَق وعده ونَصر عبده ، وأعزَّ جنـــده ، وهَزم الأحزابَ وحدَه ، فلا شىء بعده » .

* * *

وفى قوله : « وكفى الله المؤمنين القتالَ » إشارة إلى وضْع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق رحمـه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولـكنـكم تغزونهم » .

قال : فلم تَغْزُ قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليـه مكة . وهذا بلاغ من ابن إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدّثنى أبو إسحاق ، سمعت سليمان ابن صُرَد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : الآن نغزوهم ولا يغزوننـا .

وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى إسحاق السَّبِيعى ، عن سليمان بن صرد به .

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الأشهل ، وهم سعد بن معاذ ـ وستأتى وفاته مبسوطة ـ وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطُّفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غَنمة الجَشميان السُّلَميّان ، وكعب بن زيد النجارى ، أصابه سهمٌ غَرْب فقتلَه .

قال : وقُتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورَّط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير . كما تقدم . وعمرو بن عبد ودّ العامرى ، قتله على بن أبى طالب .

قال ابن هشام : وحدّثنى الثقة أنه حدِّث عن الزهرى أنه قال : قَتل علىٌّ يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود . ويقال عمرو بن عبد .

فصـــل

فى غزوة بنى قريظة

وما أحلّ الله تعـالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدّ الله لهم فى الآخرة من العذاب الأليم .

وذلك لـكفرهم ونقضهم العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليـه وسلم ومُمَالأتهم الأحزابَ عليه ، فما أجْدَى ذلك عنهم شيئاً ، وباءوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة .

وقد قال الله تعالى : « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم يَنالوا خـيراً ، وكَفَى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قويًّا عزيزاً * وأنزلَ الذين ظاهروهم مِن أهلِ الـكتاب مِن صَيَاصِيهم وقَذَف فى قلوبهم الرعبَ فريقاً تَقتلون وتَأْسرون فريقاً . وأورثـكم أرضَهم وديارهم وأموالهَم وأرضاً لم تَطأوها ، وكان الله على كل شىء قديرا (١) » .

قال البخارى : حدّثنا محمد بن مقاتل ، حدّثنا عبـد الله ، حدّثنا موسى بن عُقْبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قَفَل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيـكبِّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحـده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صَدق الله وعده ونَصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

* * *

قال محمد بن إسحاق رحمـه الله : ولمـا أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

(١) سورة الأحزاب ٢٥ـ٢٧

فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزهرى ، مُعْتجراً بعمامة من استبرق على بغـلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعتَ السلاحَ يارسول الله ؟ قال : نعم . فقـال جبريل : ما وضعتِ الملائـكةُ السلاحَ بعدُ وما رجعتُ الآن إلا من طَلب القوم ، إن الله يأمرك يامحمد بالمسير إلى بنى قُريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم مؤذناً فأذن فى الناس : منْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينّ العصر إلا فى بنى قريظـة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينـة ابنَ أم مكتوم .

وقال البخارى : حدثنى عبد الله بن أبى شيبة ، حدثنا ابن نُمير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لمـا رجع النبى صلى الله عليـه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعتَ السلاح ! والله ما وضعناه ! فاخرج إليهم ، قال : فإلى أين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : وحدثنا حسن ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسَل ليغتسل ، وجاء جـبريل فرأيته من خلل البيت قد عصَّب رأسَه الغبارُ ، فقال : يامحمد أوَضعتم أسلحتـكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا ، فقـال : إنا لم نَضع أسلحتنا بعد ، انهَدْ إلى بنى قريظة .

ثم قال البخارى : حدثنا موسى ، حدثنا جرير بن حازم ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك قال : كأنى أنظر إلى الغبار ساطعاً فى زقاق بنى غَنْم موكب جبريل ، حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا جُوَيرية بن أسماء ، عن

نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يصلينَّ أحدٌ العصر إلا فى بنى قريظة » فأدرك بعضَهم العصرُ فى الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلى العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلى لم يُرِدْ منا ذلك . فذُكِر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعنِّف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به .

وقال الحافظ البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن خالد بن على ، حدثنا بشر بن حرب ، عن أبيه ، حدثنا الزهرى ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللَّأْمة واغتسل واستحمَّ ، فتبدَّى له جبريلُ عليه السلام فقال : عَذِيرك من محارب ! ألا أراك قد وضعتَ اللأمة وما وضعناها بعدُ !

قال : فوثب النبى صلى الله عليه وسلم فزِعاً فعزم على الناس ألَّا يصلوا صلاة العصر إلا فى بنى قريظة .

قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزَم علينا ألَّا نصلى حتى نأتى بنى قريظة ، فإنما نحن فى عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس علينا إثم . وصلى طائفةٌ من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بنى قريظة احتسابا . فلم يعنِّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقى من طريق عبد الله العمَرى ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها فسلَّم علينا رجل ونحن فى

لبيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقمت فى أثره فإذا بدِحْية الكَلْبى ، قال : هذا جبريل أمرنى أن أذهب إلى بنى قريظة وقال : قد وضعتم السلاحَ لكنا لم نضَع ، طلبْنا المشركين حتى بلغنا حَمراء الأسد . وذلك حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم ألّا تُصلوا صلاةَ العصر حتى تأتوا بنى قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، قالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُرد أن تدَعوا الصلاة فصلُّوا . وقالت طائفة : والله إنا لَفى عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وماعلينا من إثم. فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرّ بمجالس بينه وبين بنى قريظة فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : مرّ علينا دحيةُ الكلبى على بغلة شهباء تحته قطيفةُ ديباج . فقال : ذلك جبريل أُرسل إلى بنى قريظة ليزَلْزلهم ويقذف فى قلوبهم الرعب .

فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يستروه بالحَجَف[1] حتى يسمع كلامهم ، فناداهم : ياإخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحَّاشا .

فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسْبى دَراريهم ونساؤهم .

ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها .

* * *

وقد اختلف العلماء فى المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاًّ من الفريقين مأجور ومعذور غير معنَّف .

---

(١) الحجف : جمع حجفة . وهى الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .

فقالت طائفة من العلماء : الذين أخّروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدَّر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصٌّ ، فيقدَّم على عموم الأمر بها في وقتها المقدَّر لها شرعاً .

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنّا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام !

وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لمّا أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون ، لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لا تأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حُولت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخّروا فعُذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه .

وأما على قول من يجوِّز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخَّر ولا على من قدَّم أيضاً . والله أعلم .

* * *

ثم قال ابن إسحاق : وقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب ومعه رايته وابتدرها الناس .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُغتسله كما يزعمون قد رجَّل أحدَ شِقَّيه أتاه جبريل على فرس عليه لَأْمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل:

غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ ! قال : نعم فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدوّ وما زلتُ فى طلبهم حتى هزمهم الله ـ ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار ـ فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بنى قريظة فأنا عامدٌ إليهم بمن معى من الملائكة نزلزل بهم الحصون ، فاخرج بالناس .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر جبريل فمر على مجالس بنى غَنْم وهم ينتظرون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألهم فقال : مرَّ عليكم فارسٌ آنفا ؟ قالوا : مرَّ علينا دحية الكلبى على فرس أبيض تحته نَمط أو قطيفة ديباج عليه اللَّأْمة . فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبّه دحية الكلبى بجبريل ، فقال : الحقونى ببنى قريظة فصلوا فيهم العصر .

فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بنى قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم أن تصلوا العصر فى بنى قريظة . وقال آخرون : هى الصلاة . فصلى منهم قوم وأخَّرت طائفةٌ الصلاة حتى صلوها فى بنى قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عجَّل منهم الصلاة ومن أخرها ، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعنف واحداً من الفريقين .

قال : فلما رأى علىٌّ بن أبى طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مقبلا تلقاه وقال : ارجع يارسول الله فإن الله كافيك اليهودَ . وكان علىّ قد سمع منهم قولا سيئاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضى الله عنهن ، فكره أن يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تأمرنى بالرجوع ؟ فكتمه ما سمع منهم فقال : أظنك سمعت فىَّ منهم أذًى ، فامض فإن أعداء الله لو رأونى لم يقولوا شيئاً مما سمعت .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصنهم ، وكانوا فى أعلاه ، نادى بأعلى

صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعَهم فقال : أجيبوا يامعشر يهود ياإخوة القِرَدة ، قد نزل بكم خِزْى الله عز وجل .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردَّ الله حُيى بن أَخْطب حتى دخل حصنَ بنى قريظة ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبى لُبَابة بن عبد المنذر ـ وكانوا حلفاء الأنصار ـ فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذنتُ لك .

فأتاهم أبو لُبَابة فبكوا إليه وقالوا : ياأبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال .

فأشار أبو لبابة بيده إلى حَلْقه وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بهم القتلُ .

فلما انصرف أبو لبابة سُقط فى يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنةٌ عظيمة ، فقال : والله لا أنظر فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحْدِث لله توبةً نصوحا يعلمها الله من نفسى .

فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غاب عليه أبو لبابة : أما فَرَغ أبو لبابة من حلفائه ؟ فذُكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنةٌ ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أحرِّكه من مكانه حتى يقضى الله فيه مايشاء .

وهكذا رواه ابن لِهَيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة . وكذا ذكره محمد بن إسحاق فى مغازيه فى مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثل رواية أبى الأسود عن عروة.

* * *

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بنى قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أُنّى ، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جَهدهم الحصارُ وقذف فى قلوبهم الرعب .

وقد كان حييُّ بن أخطب دخل معهم حصنَهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يُنَاجزهم قال كعب بن أسد : يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثا فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجلَ ونصدِّقه ، فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لَنبى مُرسَل وأنه لَلَّذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حُكمَ التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره .

قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصْلتين بالسيوف (١) ، لم نترك وراءنا ثَقَلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نَظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء .

قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ !

قال : فإن أبيتم علىّ هذه ، فالليلةُ ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً .

قالوا : أنفسد سَبْتنا ونُحْدث فيه مالم يُحدث فيه مَن كان قبلنا إلا من قد علمتَ فأصابه مالم يخفَ عنك من المسْخ .

فقال : مابات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلةً من الدهر حازماً .

(١) ابن هشام : مصلتين السيوف .

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لُبَابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيره فى أمرنا .

فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ، فرقَّ لهم وقالوا : ياأبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح .

قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ أنى قد خُنْت الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمده ، وقال : لا أبرح مكانى حتى يتوب الله علىَّ مما صنعتُ . وأعاهد الله ألّا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أُرَى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : « ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون [(١)] » .

قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ستَّ ليال ، تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتَحُله حتى يتوضأ ويصلى ، ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته فى قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خَلطوا عملاً صالحاً وآخر سَيِّئاً عسى الله أن يتوبَ عليهم إنّ الله غفور رحيم [(١)] » .

وقولُ موسى بن عُقبة أنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به . والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو فى بيت أم

---

(١) سورة الأنفال .

سلمة ، فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبى لُبَابة ، فاستأذنته أن تبشِّره فأذن لها ، فخرجت فبشَّرته ، فثار الناسُ إليه يبشرونه ، وأرادوا أن يحلُّوه من رباطه فقال : والله لايحلُّنى منه إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفجر حلَّه من رباطه رضى الله عنه وأرضاه .

***

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَة وأُسيد بن سَعْية وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هَدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبُهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا فى تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سُعْدى القُرظى فمرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مَسْلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى . وكان عمرو قد أبَى أن يدخل مع بنى قريظة فى غَدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مَسلمة حين عرفه : اللهم لاتحرمنى إقالةَ عثرات الكرام . ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب لم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذُكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجل نجَّاه الله بوفائه .

قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثق برُمَّة فيمن أُوثق من بنى قريظة ، فأصبحت رُمَّته ملقاةً ولم يُدْرَ أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتواثبت الأوسُ فقالوا : يارسول الله إنهم كانوا مَواليَنا دون الخزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ماقد علمتَ ، يعنون عَفْوه عن بنى قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أُبىّ . كما تقدم .

قال ابن إسحاق : فلما كلّمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر الأوس ألا ترضون أن يَحْكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعدَ بن معاذ فى خيمة لامرأة من أَسْلم يقال لها رُفَيدة فى مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حكّمه فى بنى قريظة أتاه قومُه فحملوه على حمار قد وطّأوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : ياأبا عمرو أَحْسن فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما وَلاَّك ذلك لتُحسن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد آن لِسعد ألّا تأخذه فى الله لومةُ لائم !

فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنعى لهم رجالَ بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التى سَمع منه .

فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه . فقالوا : ياأبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاَّك أمرَ مَواليك لتَحْكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه أنّ الحكم فيهم لَما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا . فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُعْرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سعد : فإنى أَحْكم فيهم أن يُقتل الرجالُ وتُقْسم الأموالُ وتُسْبى الذرارى والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن معاذ ، عن عَلقمة بن وقاص الليثى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أَرْقعة .

وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم أن على بن أبى طالب صاح وهم محاصِرو بنى قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزبير بن العوام وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزةُ أو أقتحم حصنهم . فقالوا : يامحمد ننزل على حكم سعد بن معاذ .

* * *

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعتُ أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدرى ، قال : نزل أهلُ قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا لسيدكم أو خيركم . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك . قال : نقتل مُقَاتِلتهم ونَسْبى ذريتهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قضيتَ بحكم الله . وربما قال : قضيت بحكم المِلِك . وفى رواية المَلَك .

أخرجاه فى الصحيحين من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حُجين ويونس ، قالا: حدثنا الليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : رُمِى يومَ الأحزاب سعدُ بن معاذ فقطعوا أَكْحَله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لاتُخرج نفسى حتى تُقرّعينى من بنى قريظة . فاستمسَك عِرقه فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبتَ حُكم الله فيهم . وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا ابن نُمير ، عن هشام ، أخبرنى أبى ، عن عائشة قالت : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعتَ السلاح فوالله ماوضعتها اخرج إليهم . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بنى قريظة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . قال هشام : فأخبرنى أبى أنهم نزلوا على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فردَّ الحكمَ فيهم إلى سعدٍ قال : فإنى أحكم أن تقتل المقاتلة وتُسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم .

قال هشام : قال أبى : فأُخبرتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله .

وقال البخارى : حدّثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عبد الله بن نُمير ، حدثنا هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت : أصيب سعدٌ يومَ الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حِبّان ابن العَرِقة ، رماه فى الأكحل ، فضَرب النبىُّ صلى الله عليه وسلم خيمةً فى المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ماوضعتُه اخرج إليهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فأشار إلى بنى قريظة . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه ، فرد الحكمَ إلى سعد . قال : فإنى أَحكم فيهم أن تُقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرنى أبى عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحب إلىّ أن أجاهدهم فيك من قومٍ كذّبوا رسولَك وأخرجوه ، اللهم فإنى أظن أنك قد وضَعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقى من حرب قريشٍ شىء فأَبْقِنى له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافْجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لَبَّته فلم يرُعْهم وفى

المسجد خيمة من بنى غِفَار إلا الدمُ يسيل إليهم ، فقالوا : ياأهل الخيمة ماهذا الذى يأتينا من قِبَلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحُه دماً فمات منها .

وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نُمير به .

قلت : كان دعا أولا بهذا الدعاء قبل أن يحكم فى بنى قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تُمتْنى حتى تُقرَّعينى من بنى قريظة . فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أىَّ قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه . وسيأتى ذكر وفاته قريباً إن شاء الله .

* * *

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولا جداً وفيه فوائد فقال :

حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص ، قال : أخبرتنى عائشة قالت : خرجتُ يوم الخندق أقفو الناسَ فسمعت وئيدَ الأرض ورائى ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّه قالت : فجلستُ إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول :

لبِّث قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ ماأحسنَ الموتَ إذا حان الأجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقةً فإذا نفر من المسلمين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سَبغة له ، تعنى المِغفَر ، فقال عمر : ماجاء بكِ والله إنك لجريئة ومايُؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوُّز . فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الأرض فُتحت ساعتئذ فدخلتُ فيها فرفع الرجل السَّبغةَ عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : ياعمر ويحك إنك قد أكثرتَ منذ اليوم وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل .

قالت : ويرمى سعداً رجلٌ من قريش يقال له ابن العَرِقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة.

فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعدٌ فقال : اللهم لا تُمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة. قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية . قالت فرَقأ كَلْمُه وبعث الله الريحَ على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد .

ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صَيَاصيهم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من أدم ، فضُربت على سعد فى المسجد . قالت : فجاء جبريل وإن على ثناياه لَنَقْع الغبار فقال : أقد وضعتَ السلاح ! لا والله ما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد ، اخرج إلى بنى قريظة فقاتِلْهم .

قالت : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا ، فمر على بنى غَنْم ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرّ بكم ؟ قالوا : مرَّ بنا دِحْية الكلبى ، وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسِنّه ووجهه جبريلَ عليه السلام .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حَصْرهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لُبَابة ابن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذَّبح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حُمل عليه وحفَّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ، ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لى ألّا أبالى فى الله لومةَ لائم !

قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه . فقال عمر : سيدنا الله . قال : أنزلوه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسم

أموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله . ثم دعا سعدٌ فقال : اللهم إن كنتُ أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، وإن كنت قطعتَ الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك . قالت : فانفجر كَلْمه وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخُرْص (١) ، ورجع إلى قبته التى ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى ، وكانوا كما قال الله : « رُحَماء بَينَهُم (٢) » .

قال علقمة : فقلت: يا أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد . ولكنه كان إذا وجَد فإنما هو آخذٌ بلحيته .

وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين ، مرة قبلَ حكمه فى بنى قريظة ومرة بعد ذلك ، كما قلناه أولا ولله الحمد والمنة . وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم استُنْزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار . قلت : هى نَسِيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر ابن كريز .

---

(١) الخرص : الحلقة الصغيرة من الحلى . (٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .

ثم خرج صلى الله عليـه وسلم إلى سوق المدينة فخَنْدَق بها خنادقَ ، ثم بعث إليهم فضَرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حُيَيّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمُكْثِر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة .

قلت : وقد تقـدم فيما رواه الليث عن أبى الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقد قالوا لـكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم أرسالا : يا كعب ما تراه يَصنع بنا ؟ قال : أفى كل مَوْطن لا تَعْقلون ! ألا ترون الداعى لا يَنْزع ومن ذهب به منكم لا يَرْجع ، هو والله القتل !

فـلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم ، وأُتى بحيي بن أخطب وعليـه حُلة له فُقَّاحِيّة [1] قد شقها عليـه من كل ناحية قدرَ أنملة لئلا يُسْلَبها ، مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أماوالله مالُمتُ نفسى فى عداوتك، ولـكنه من يَخْذل الله يُخْذَل !

ثم أقبل على النـاس فقال : أيهـا الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كِتابٌ وقَدَرٌ ومَلْحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ! ثم جلس فضُربَت عنقه .

فقال جَبل بن جَوَّال الثعلبى :

لَعَمْرك مالامَ ابنُ أَخْطَب نفسَه ... ولـكنه من يَخْذل الله يُخْذَلِ
لجاهدَ حتى أبْلغَ النفس عُذرَها ... وقَلْقَلَ يبغِى العزَّ كلَّ مُقلقلِ [2]

***

(١) الفقاح : الزهر إذا انشقت أكمته. والمراد أنها كانت تضرب إلى الحمرة . قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوشى .
(٢) قلقل : سعى وتحرك .

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخا كبيراً قد عمى ، وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شَمَّاس وجزّ ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفنى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك . فقال له ثابت : أريد أن أكافئك . فقال : إن الكريم يجزى الكريمَ .

فذهب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستَطْلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال : شيخ كبير لا أهل [له[1]] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستَطْلَقَ له امرأتَه وولدَه ، فأطلقهم له . ثم جاءه فقال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق مالَ الزبير بن باطا ، فأطلقه له .

ثم جاءه فأخبره فقال له : يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صِينِيَّة تتراءى فيها عذارى حى[2] ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل سيدُ الحاضر والبادِى حُيَيّ بن أَخْطب ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل مُقدّمتنا إذا شدَدْنا وحاميتنا إذا فررنا : عَزال بن شَموال[3] ؟ قال : قتل .

قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة . قال : ذهبوا قتلوا .

قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَيْلة[4] دَلْو ناضح حتى ألْقى الأحبة .

---

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : عذارى الحى .

(٣) ابن هشام : سموال بالسين .

(٤) المذكور فى ابن هشام والروض الأنف للسهيلى : فتلة بالتاء . ولعله تحريف فيهما ، ما دام ابن كثير قد ضبطه بالحروف .

فقدَّمه ثابت فضُربت عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : « ألْقى الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلَّداً !

قال ابن إسحاق : « فَيْلة » بالفاء والياء المثناة من أسفل . وقال ابن هشام ، بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذى يُسْتَقى عليه الماء لسقى النخل . وقال أبو عبيدة : معناه إفْراغَة دَلْو .

***

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنْبَت منهم . فحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القُرظى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنْبَت منهم ، وكنتُ غلاماً ، فوجدونى لم أنْبت فخلَّوا سبيلى .

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظى نحوه .

وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إنباتَ الشعر الخشن حولَ الفرج دليلٌ على البلوغ ، بل هو بلوغٌ فى أصح قولى الشافعى .

ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الذمة ، فيكون بلوغاً فى حقهم دون غيرهم ، لأن المسلم قد يتأذَّى بذلك لمقصد .

وقد روى إسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعةَ بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يارسول الله إن رفاعة يزعم أنه سَيُصلِّى ويأكل لحمَ الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندى تحدِّث معى تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت: قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت : أُقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : لحدثٍ أحدثته . قالت : فانطلق بها فضُربت عنقها .

وكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها طيبُ نفسها وكثرة ضحكها وقد عَرفتْ أنها تُقتل !

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ،عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق : هى التى طرحت الرَّحا على خَلاد بن سُويد فقتلته . يعنى فقتلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم به .

قال ابن إسحاق فى موضع آخر : وسماها نباتة امرأة الحكَم القُرَظى .

***

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين للفرس وسهما لراكبه ، وسهماً الراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال : وكان أول فىء وقعت فيه السُهمان وخُمِّس .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيدَ بن زيد بسبايا من بنى قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، وكان عليها حتى تُوفى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها الإسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها

وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات فى قصة الخندق من أول سورة الأحزاب، وقد ذكرنا ذلك مستقصًى فى تفسيرها ولله الحمد والمنة .

وقد قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بنى قريظة خَلَّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى طُرحت عليه رحاً فشَدختْه شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذى ألقى عليه الرحى تلك المرأة التى لم يقتل من بنى قريظة امرأة غيرها كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ومات أبو سِنان بن محصن بن حرْثان من بنى أسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة فدفن فى مقبرتهم اليوم .

وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حِبَّان بن العَرِقة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحلَه ، فحسمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كيًّا بالنار فاستمسك الجرحُ ، وكان سعد قد دعا الله ألّا يميته حتى يُقر عينَه من بنى قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزابُ وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم ، فلما ضُيِّق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم فيهم بما أراده الله ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم فى الجاهلية،

وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك. ويقال : بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لمَا يرجون من حُنوِّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصديقيّته رضى الله عنه وأرضاه .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى خيمة فى المسجد النبوى ، فجىء به على حمار تحته إكاف قد وطّئ تحته لمرضه ، ولما قارب خيمةَ الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليه السلام من هناك بالقيام له . قيل : ليُنْزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ فى نفوذ حكمه . والله أعلم .

فلما حكم فيهم بالقتل والسَّبى وأقرّ الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوى صحبةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل أن تكون له شهادةً ، واختار الله له ماعنده فانفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه .

***

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأنُ بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحُه فمات منه شهيدا .

حدثنى معاذ بن رفاعة الزُّرقى قال : حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق ، فقال : يامحمد من هذا الميت الذى فُتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً يجر ثوبَه إلى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه .

هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبى وشُعيب بن الليث ، قالا : حدثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهادّ ، عن معاذ بن رفاعة ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذا العبد الصالح الذى مات فُتحت له أبواب السماء وتحرَّك له العرش ؟

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سعد بن معاذ ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » فكبَّر القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبتُ لهذا العبد الصالح شُدِّد عليه فى قبره حتى كان هذا حين فُرِّج له » .

وروى الإمام أحمد والنسائى من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادّ ، ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا الصالح الذى تحرك له عرشُ الرحمن وفُتحت له أبواب السماء ، شُدِّد عليه ثم فرَّج الله عنه » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجموح ، عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا : يارسول الله مم سبحتَ ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبرُه حتى فرج الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق به .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن للقبر ضَمَّةً لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للقبر ضغطةً ، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » .

وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين ، إلا أن الإمام أحمد رواه عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة به .

ورواه الحافظ البزار عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا داود ، عن عبد الرحمن ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمَّه القبر ضمة . ثم بكى نافع !

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلا .

ثم رواه البزار ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتاب ، عن سُكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرضَ قبلها » وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحدٌ من ضغطة القبر لانفلت منها سعد » .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص ، عن محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ . فقيل: إنما يعني السرير « ورفع أبويه على العرش » قال : تفتحت أعواده . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبره فاحتبس فلما خرج قيل له : يارسول الله ما حبسك ؟ قال : ضُمَّ سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه .

قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلَّم فيه .

وقد ذكر البيهقى رحمه الله بعد روايته ضمةَ سعد رضى الله عنه فى القبر أثراً غريبا فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثنى أمية بن عبد الله ، أنه سأل بعضَ أهل سعد : مابلَغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا ؟ فقالوا : ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : كان يقصِّر فى بعض الطهور من البول .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن المثنَّى ، حدثنا الفضل بن مُساَور ، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

وعن الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثلَه . فقال رجل لجابر ؟ فإن البرَاء بن عازب يقول : اهتز السريرُ ؟ [فقال] إنه كان بين هذين الحيَّين ضغائنُ سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه ؛ عن على بن محمد ، عن أبى معاوية ، كلاهما عن الأعمش به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبى صالح عن جابر .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : اهتزَّ لها عرشُ الرحمن .

ورواه مسلم عن عَبْد بن حُميد ، والترمذى عن محمود بن غَيلان كلاهما عن عبد الرزاق به .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو نَضْرة ، سمعت

أبا سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : اهتزّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى به .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، قال قتادة: حدّثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجنازته موضوعة : اهتز لها عرش الرحمن . ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي، عن عبد الوهاب به .

وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري ، قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزّار : حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قَتادة ، عن أنس قال : لما حُملت جنازةُ سعد قال المنافقون : ما أخفّ جنازته ! وذلك لحُكْمه في بني قريظة . فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن الملائكة تحمّلته .

إسناد جيد .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البرَاء بن عازب يقول : أُهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حُلة حرير ، فجعل أصحابه يمسُّونها ويعجبون من لِينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ؟ لَمناديلُ سعدِ بن معاذ خيرٌ منها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزُّهري ، سمعنا أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن أُكَيْدر دُومة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبةً وذلك قبل أن يُنْهى عن الحرير ، فلبسها فعجب الناس منها فقال : « والذي نفسي بيده لَمناديل سعد في الجنة أحسنُ من هذه » .

وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه ، وإنما ذكره البخارى تعليقاً .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثنى واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ، قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ، قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنك بسعدٍ لشَبيه . ثم بكى وأكثر البكاء وقال : رحمةُ الله على سعد ! كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى أُكَيْدر دومة ، فأَرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل ، فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون منها ؟ لَمناديل سعد ابن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون » .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عمرو به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

* * *

قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ : وفى ذلك يقول رجل من الأنصار :

وما اهتزَّ عرشُ الله مِنْ موتِ هالك ... سمعنا به إلا لسعدٍ أبى عمرو

قال : وقالت أمه ، يعنى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتُمل سعد على نعشه تندبه :

ويلَ أم سعدٍ سعداً ... صَرامةً وحَدّا

وسُؤدداً ومجدا ... وفارساً مُعَدّا

سدَّ به مَسدّا ... يقدّها ماقدّا

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ نائحة تَكْذب إلا نائحة سعد بن معاذ ! »

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب فى شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحصار بنى قريظة ، فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك فى أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بنى قريظة كان فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة . قال : وولى تلك الحجةَ المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سجَمَتْ من دمع عينىَ عَبرةٌ ... وحقَّ لعينى أن تفيض على سعدِ (١)
قتيلٌ ثوى فى مَعْركٍ فُجعت به ... عيونٌ ذَوارى الدمع دائمةالوَجْدِ (٢)
على مِلَّة الرحمن وارثُ جنةٍ ... مع الشهداء وَفْدها أكرمُ الوفدِ
فإن تكُ قد ودعتنا وتركتنا ... وأَمسيْتَ فى غَبراء مُظلمة اللحدِ
فأنت الذى ياسعدُ أُبْتَ بمشهدٍ ... كريمٍ وأثوابِ المكارم والمجدِ
بحكمك فى حَيَّىْ قريظة بالذى ... قضى الله فيهم ماقضيت على عَمْدِ
فوافق حكمُ الله حكمَك فيهمُ ... ولم تَعْفُ إذذُكِّرتَ ما كان من عَهدِ
فإن كان ريبُ الدهر أَمْضاك فى الأُلى ... شَرَوا هذه الدنيا بجناتها الخلْدِ
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعوا ... إلى الله يوماً للوجاهة والقَصدِ

(١) سجمت : فاضت .
(٢) ذوارى الدمع : غزيرته .

فصـــل

فيما قيل من الأشعار فى الخندق و بنى قريظة

قال البخارى : حدّثنا حجّاج بن مِنْهال ، حدّثنا شعبة ، حدّثنا عدى بن ثابت ، أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبى صلى الله عليـه وسلم لحسان : اهجهم أو هـاجِهم وجبريلُ معك . قال البخارى : وزاد إبراهيم بن طَهْمان ، عن الشَّيبانى ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبى صلى الله عليـه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت : اُهجُ المشركين فإن جبريل معك .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائى من طرق عن شعبـة بدون الزيادة التى ذكرها البخارى يوم بنى قريظة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مِرْداس أخو بنى محارب ابن فهر فى يوم الخندق . قلت : وذلك قبل إسلامه :

ومُشْفِقةٍ تظنُّ بنا الظنونَا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسةً طَحُونَا(١)
كأن زُهَاءها أُحدٌ إذا ما ... بـدَتْ أركانُه للنـاظرينـا
ترى الأبدانَ فيها مُسْبَغاتٍ ... على الأبطال واليَلَبَ الحصينا(٢)
وجُرْداً كالقِدَاح مسوَّماتٍ ... نؤمُّ بهـا الغواةَ الخاطئينا(٣)
كأنهمُ إذا صالوا وصُلْنا ... ببـاب الخنـدقين مُصافحونَا
أناس لا نرى فيهم رشيداً ... وقـد قالوا ألسنا راشدينا
فأَحْجَرناهمُ شهراً كَريتاً ... وكنا فوقهمْ كالقـاهرينا(٤)

---

(١) العرندس : القوى . والطحون : المهلكة . يريد الكتيبة .
(٢) الأبدان : جمع بدن وهى الدرع القصيرة . واليلب . محركة : الترسة أو الدروع من الجلد .
(٣) الجرد : جمع أجرد وهو من الخيل : السباق . والمسومات : المعلمات أو المرسلات .
(٤) أحجرناهم : حصرناهم . والكريت : التام .

نُراوحهم ونغدو كلَّ يوم　　عليهم فى السلاح مُدَجَّجينا
بأيدينا صوارمُ مُرْهَفات　　نقدُّ بها المَفارقَ والشُّئونا[1]
كأنَّ وميضَهن مُعرَّياتٍ　　إذا لاحت بأيدى مُصْلِتينا
وميضُ عَقيقةٍ لَمعتْ بليلٍ　　تَرى فيها العقَائقَ مُسْتبينا[2]
فلولا خَندقٌ كانوا لديه　　لدَمَّرنا عليهم أجمعينا
ولكن حالَ دونَهم وكانوا　　به مِن خَوْفنا متعوِّذينا
فإن نَرحل فإنا قد تركنا　　لدىَ أبياتكم سعداً رهينا
إذا جنَّ الظلامُ سمعتَ نَوْحاً　　على سعد يرجِّعنَ الحنينا
وسوف نزوركم عمَّا قريب　　كما زرنا كُمُ مُتوازرينا
بجمعٍ من كنانة غير عُزْلٍ　　كأُسد الغاب إذ حَمتِ العَرينا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بنى سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلةٍ تُسائل ما لقينا　　ولو شهدتْ رأتنا صابرينا
صبَرْنا لا نرى لله عِدْلًا　　على ما نابَنا متوكِّلينا
وكان لنا النبىُّ وزيرَ صِدق　　به نَعلو البريةَ أجمعينا
نقاتل مَعشراً ظَلموا وعَقُّوا　　وكانوا بالعداوة مُرْصِدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا　　بضربٍ يُعْجِل المتسرِّعينا
ترانا فى فَضافض سابغاتٍ　　كغُدْران المَلا مُتَسرْبلينا[3]
وفى أيماننا بيضٌ خِفَاف　　بها نَشْفى مِراحَ الشاغبينا

---

(١) الشئون : جمع شأن : مجمع العظام فى الرأس .
(٢) العقيقة : من البرق ما يبقى فى السحاب من شعاعه .
(٣) الفضافض : جمع فضفاضة وهى الدرع الواسعة . والغدران : جمع غدير . والملا : الصحراء .

بباب الخندقين كأن أُسداً ... شوابكهن يَحْمين العَرينا
فوارسُنا إذا بكَروا وراحوا ... على الأعداء شُوساً مُعْلِمينا(١)
لننصر أحمداً والله حتى ... نكون عبادَ صِدق مخلصينا
ويعلم أهلُ مكة حين ساروا ... وأحزابٌ أتوا متحزِّبينا
بأن الله ليس له شريك ... وأن الله مَوْلَى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعداً سفاهاً ... فإن الله خير القادرينا
سيُدخله جناناً طيباتٍ ... تكون مقامةً للصالحينا
كما قد ردَّكم فَلاًّ شريداً ... بغيظكمُ خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثَمَّ خيراً ... وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبَّت عليكم ... فكنتم تحتها متكمِّهينا(٢)

***

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعرى السَّهمى فى يوم الخندق . قلت : وذلك قبل أن يُسْلِم :

حَىِّ الديارَ محاَ معارفَ رَسْمها ... طولُ البِلَى وتَراوحُ الأحقابِ
فكأنما كتب اليهودُ رسومَها ... إلا الكنيفَ ومَعْقِد الأطنابِ(٣)
قَفْراً كأنك لم تكن تلهو بها ... فى نعمةٍ بأوانسٍ أترابِ
فاترك تَذَكُّرَ ما مضى من عيشةٍ ... ومَحِلةٍ خَلَقِ المقامِ يَبابِ
واذكر بلاءَ معاشرٍ واشكرهمُ ... ساروا بأجمعهم من الأَنصابِ(٤)

---

(١) متكمهينا : عميا لا تبصرون .

(٢) الشوس : جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه كبرا . والمعلم : الذى جعل لنفسه علامة فى الحرب يعرف بها .

(٣) الكنيف : الحظيرة . والأطناب : جمع طنب وهو الحبل الذى تشد به الخيمة ونحوها .

(٤) الأنصاب هنا : الحجارة التى يعلم بها الحرم .

أنصابِ مــــكة عامدين ليثربٍ ... فى ذى غَياطِلَ جَحْفل جَبْجاب (١)

يَدعُ الحزونَ مناهجاً معــــلومةً ... فى كل نَشْزٍ ظاهر وشِعاب (٢)

فيها الجيــــاد شوازبٌ مَجْنوبةٌ ... قُبُّ البطون لواحقُ الأقرابِ (٣)

من كل سَلْهبةٍ وأَجْردَ سَلْهبٍ ... كالسِّيد بادَر غفلةَ الرُّقّابِ (٤)

جيشٌ عُيَيْنة قاصــــدٌ بلوائه ... فيـــه وصخرٌ قائدُ الأحزابِ

قَرْمان كالبدرَيْن أصبحَ فيهما ... غيثُ الفقير ومَعْقل الهُرّابِ

حتى إذا وردوا المدينة وارتدَوا ... للموت كلَّ مُجرَّبٍ قَضّابِ

شهراً وعشراً قاهرين محمـــــداً ... وصِحابُه فى الحرب خيرُ صحابِ

نادَوا برحلتهم صبيحــــةَ قلتمُ ... كِدْنا نكون بها مع الخُيَّاب

لولا الخنادقُ غادروا من جَمْعهم ... قتلَى لطــــيرٍ سُغَّب وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسمُ دارسةِ المقام يَبَابِ ... متــــكلمٌ لمحاورٍ بجوابِ

قفرٌ عفا رِهَمُ السحابِ رسومَه ... وهبوبُ كلِّ مُطلةٍ مِرْبابِ (٥)

ولقد رأيتُ بها الحلولَ يزينهم ... بيضُ الوجوه ثواقب الأحسابِ

فدَعِ الديار وذِكْر كلِّ خَريدة ... بيضاء آنســـةِ الحديث كَعابِ

واشْكُ الهمومَ إلى الإله وما ترَى ... من معشر ظَلموا الرسولَ غضابِ

ساروا بأجمعهمْ إليـــه وألّبوا ... أهلَ القُرى وبوادىَ الأعرابِ

(١) الغياطل: الأصوات المختلطة . يريد كثرة الجيش والجحفل : الجيش الكثير . والجبجاب : الكثير.

(٢) الحزون : جمع حزن وهو ما ارتفع من الأرض . والنشز كذلك . والمناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح .

(٣) الشوازب : الضوامر . والمجنوبة : التى تقاد . والقب : جمع أقب وهو الضامر من الخيل . واللواحق : الضامرة . والأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة .

(٤) السلهبة : الطويلة . (٥) الرهم : جمع رهمة ، وهو المطر الضعيف الدائم . والمرباب : الدائمة .

جيشُ عُيَينة وابنُ حربٍ فيهمُ متخمِّطون بحَلْبة الأحزابِ (١)
حتى إذا وردوا المدينة وارتجَوا قتلَ الرسول ومَغْنَمَ الأسلابِ
وغدَوا علينا قادرين بأَيْدهم رُدُّوا بغيظهمُ على الأعقابِ (٢)
بهبوب مُعْصِفةٍ تفرِّق جمعَهم وجنودِ ربك سيدِ الأربابِ
فكفى الإلهُ المؤمنين قتالهم وأثابهمْ فى الأجر خيرَ ثوابِ
من بعد ما قَنطوا ففرّق جمعَهم تنزيلُ نصر مليكنا الوهابِ
وأقرّ عينَ محمدٍ وصحابِه وأذلَّ كلَّ مكذِّبٍ مرتابِ
عاتى الفؤاد موقّع ذى ريبةٍ فى الكفر ليس بطاهر الأثواب
عَلِق الشقاء بقلبه ففؤاده فى الكفر آخرَ هذه الأحقاب

***

قال : وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقَى لنا حَدثُ الحروب بقيةً من خير نِحلة ربنا الوهاب
بيضاء مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطناً حُمَّ الجذوع غزيرةَ الأحلابِ (٣)
كاللُّوب يُبذَل جَمُّها وَحفِيلُها للجار وابن العم والمُنْتابِ (٤)
ونزائعاً مثل السراج نَمَى بها علفُ الشعير وجَزّةُ المِقْضابِ (٥)
عرّى الشَّوَى منها وأَرْدَف نحضَها جُرْدُ المتونِ وسائرُ الآرابِ (٦)

---

(١) متخمطون : مختلطون . (٢) الأيد : القوة .

(٣) المعاطن : قال السهيلى : يعنى منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل وهى مباركها عند الماء . وقوله : حم الجذوع : وصفها بالحمة وهى السواد لأنهـا تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة ، وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب . الروض ٢ / ٢٠٤ .

(٤) اللوب : جمع لوبة وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . واللوب أيضاً : النحل ، ويجوز أن يكون شبهها بالنحل فى كثرتها . وجمها وحفيلها : أراد الكثير منها . والمنتاب : الزائر الملم .

(٥) النزائع : الخيل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء . والمقضاب : مزرعة كما قال السهيلى ، وجزتها: ما يجز منها للخيل.

(٦) الشوى : القوائم . والنحض : اللحم . والآراب : المفاصل واحدها إرب .

قُوداً تُراح إلى الصِّياح إذا غدَتْ ... فعلَ الضِّراء تُراح للكَلَّاب (١)
وتَحوط سائمــةَ الديار وتارةً ... تُرْدِي العِدَى وتؤوب بالأسلابِ
حوش الوحوش مُطَارة عند الوغى ... عُبْس اللقاء مُبينة الإنجابِ (٢)
عُلِفت على دَعــة فصارت بُدَّنا ... دُخْس البَضيع خفيفةَ الأقصابِ (٣)
يَغْدون بالزَّغف المضاعَفِ شكُّه ... وبمُترصات فى الثِّقاف صِيَابِ (٤)
وصوارمٍ نزَع الصَّياقلُ عَلْبَها ... وبكل أَرْوَع ماجدِ الأنسابِ (٥)
يَصِــل اليمينَ بمارنٍ متقارب ... وُكِلت وَقيعتُه إلى خَبَّابِ (٦)
وأغرَّ أزرق فى القنـــاة كأنه ... فى طُخْيَة الظلماء ضوء شهابِ (٧)
وكتيبة ينفى القِرانَ قَتيرُها ... وتردُّ حدَّ قَواحِز النُّشَّاب (٨)
جَأْوى مُلَمْلَمَة كأن رماحهـــا ... فى كل مَجْمعةٍ ضَريمةُ غابِ (٩)
تأوى إلى ظــل اللواء كأنه ... فى صَعْدَة الخَطِّى فَىْءُ عُقَابِ (١٠)
أعيَتْ أبا كَرِبٍ وأعيت تُبَّعًا ... وأبَتْ بسالتُها على الأعرابِ (١١)
ومواعظٌ من ربنا نُهْدَى بها ... بلسان أزهرَ طيِّب الأثوابِ

---

(١) القود : الطوال الأعناق . والضراء : الكلاب الضارية . والكلاب : جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها .

(٢) الحوش : الوحشية ؛ وأصله من الإبل الحوشية وهى التى يزعمون أن فحول نعم الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش . قال رؤبة : * جرت رحانا من بلاد الحوش *
والمطارة : المستخفة . والعبس : جمع عبوس .

(٣) البضيع : اللحم المستطيل . والدخيس من اللحم : الكثير . والأقصاب : جمع قصب وهو المعى .

(٤) الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخلق والنسج . والمترصات : المحكمة ، يعنى الرماح المثقفة . والصياب : المصيبة . (٥) علبها : خشونتها وتثلمها . (٦) المارن : اللين . ووقيعته : صقله . وخباب : اسم صيقل . (٧) أغر أزرق : يريد الرمح . وطخية الظلماء : شدتها .

(٨) القران : اقتران النبل واجتماعه . والقتير : رءوس مسامير الدرع . القواحز : قحز السهم إذا رماه فوقع بين يديه . (٩) الجأوى : التى يخالط غبرتها حمرة . والململمة : المجتمعة .

(١٠) الصعدة : القناة المستوية . والخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، موضع كانت تباع فيه . والفىء : الظل . (١١) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

عُرِضت علينا فاشتهينا ذِكرها ... من بعد ماعُرِضت على الأحزابِ
حِكما يراها المجرمون بزعمهم ... حَرجاً ويفهمها ذوو الألبابِ
جاءت سَخِينة كى تُغَالب ربَّها ... فليُغلبنّ مُغالبُ الغلّابِ !

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله ابن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

قلت : ومراده بسَخِينة قريشٌ ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذى لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادى . فالله أعلم .

***

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

مَن سرَّه ضربٌ يُمَعْمِع بعضُه ... بعضاً كمَعْمعة الأباء المحرَقِ (١)
فليأتِ مَأْسدةً تُسَنُّ سيوفها ... بين المَذادِ وبين جِذْع الخندقِ (٢)
دَرِبُوا بضَرْب المُعْلَمين وأسْلموا ... مُهجاتِ أنفسهم لرب المشرقِ
فى عصبةٍ نصرَ الإلهُ نبيَّه ... بهمُ وكان بعبده ذا مَرْفَقِ
فى كل سابغةٍ تخطُّ فضولُها ... كالنِّهْى هبَّتْ ريحه المترقرِقِ (٣)
بيضاء مُحْكمة كأن قَتيرها ... حَدَق الجنادبِ ذات شَكٍّ موثقِ (٤)
جَدْلاء يَحْفزها نِجَادُ مُهنَّد ... صافى الحديدة صارم ذى رونقِ (٥)

(١) المعمعة : صوت النار فيما عظم وكثف من القصباء . والأباء : القصب واحدتها إباءة . وفى الأصل : الإناء . وما أثبته عن ابن هشام . (٢) المذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق .
(٣) السابغة : الدرع الوافية . وفضولها : أطرافها . والنهى : الغدير . والمترقرق : صفة للنهى .
(٤) القتير : رءوس مسامير الدرع . والجنادب : الجراد . والشك : النسج .
(٥) الجدلاء : الدرع القوية الفتل . ويحفزها : يرفعها ، وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها ربطوها بنجاد سيف . والنجاد : حمائل السيف .

تلكم مع التقوى تكون لباسَنا ... يومَ الهياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَقِ
نَصِلُ السيوفَ إذا قصرْن بخطونا ... قُدماً ونُلحقها إذا لم تَلْحقِ
فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتها ... بَلْه الأكفَّ كأنها لم تُخْلَقِ
نَلْقى العدوَّ بفخمةٍ مَلْمومةٍ ... تنفى الجموع كقصدِ رأسِ المشرقِ
ونُعدّ للأعداء كلَّ مقلّص ... وَرْدٍ ومَحجول القوائِم أَبْلَقِ (١)
تَرْدِى بفرسانٍ كأن كُماتَهم ... عند الهياج أسودُ طَلٍّ مُلْثَقِ (٢)
صُدُق يعاطون الكماةَ حُتوفَهم ... تحت العمايةِ بالوشيجِ المُزْهِقِ (٣)
أمَرَ الإله بربْطها لعدوِّه ... في الحرب إن الله خير موفّقِ
لتكون غيظاً للعدو وحُيَّطاً ... للدار إن دَلَفتْ خيولُ النُّزَّقِ
ويُعيننا الله العزيزُ بقوّة ... منه وصدقِ الصبرِ ساعةَ نلتقِي
ونُطيع أمرَ نبيِّنا ونُجيبه ... وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسْبَقِ
ومتى يُنادَى للشدائد نأتِها ... ومتى نرى الحوْمات فيها نُعنِقِ
من يتّبع قولَ النبي فإنه ... فينا مطاعُ الأمر حقٌّ مصدّقِ
فبذاك ينصرُنا ويُظهر عزَّنا ... ويصيبنا من نَيْلِ ذاك بمرفَقِ
إنّ الذين يكذّبون محمداً ... كفروا وضلوا عن سبيل المتّقِي

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علم الأحزابُ حين تألَّبوا ... علينا وراموا دِيننا ما نوادعُ
أَضاميمَ من قيس بن عَيْلان أَصْفقت ... وخِنْدفُ لم يَدْروا بما هو واقعُ (٤)

---

(١) المقلص : الفرس الخفيف .

(٢) تردى : تسرع . والطل : المطر الضعيف . واللثق : ما يكون عن الطل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجرأ في ذلك الحين .

(٣) العماية : ظلمة الغبار . والوشيج : الرماح . والمزهق : القاتل .

(٤) الأضاميم : واحدتها أضمامة ، وهو كل شيء مجتمع . وأصفقت : اجتمعت .

يَذُودوننا عن دِيننا ونَذُودهم عن الكفر والرحمن راءٍ وسامعُ
إذا غايَظونا فى مقامٍ أعاننَا على غيظهم نصرٌ من الله واسعُ
وذلك حفظُ الله فينا وفضلُه علينا ومن لم يحفظ الله ضائعُ
هدانا لدين الحق واختاره لنا ولله فوقَ الصانعين صنائعُ(١)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له ــ يعنى طويلة ــ.

***

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت فى مقتل بنى قريظة:

لقد لقيتْ قُرَيظةُ ما ساءها وما وَجدت لذلٍّ مِن نَصيرِ
أصابهمُ بلاءٌ كان فيه سِوى ما قد أصاب بنى النضيرِ
غداةَ أتاهمُ يهْوى إليهم رسولُ الله كالقمر المنيرِ
له خيلٌ مُجنَّبة تَعادَى بفرسان عليها كالصقورِ
تركناهم وما ظفروا بشىء دماؤهمُ عليها كالعَبيرِ
فهمْ صَرْعى تحومُ الطيرُ فيهم كذاك يُدانُ ذو العنَدِ الفَجُورِ
فأنذرْ مثلها نُصحاً قريشاً من الرحمن إن قَبلت نذيرِى

قال: وقال حسان بن ثابت أيضاً فى بنى قريظة:

تعاقَد معشرٌ نَصروا قريشاً وليس لهم ببلدتهمْ نصيرُ
همُ أوتوا الكتابَ فضيَّعوه وهم عُمْىٌ من التوراة بُورُ
كفرتمْ بالقُرَان وقد أُتيتم بتصديق الذى قال النذيرُ
فهانَ على سَراة بنى لُؤَىٍّ حريقٌ بالبُوَيْرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال:

أدام الله ذلك من صَنيعٍ وحرَّق فى طوائفها السَّعيرُ

(١) الأصل: صانع. وما أثبته عن ابن هشام.

سَتَعْلم أيُّنا منها بِنُزْهٍ ... وتعلمُ أىّ أرضَيْنا تَضيرُ [1]
فلو كان النخيلُ بها رِكاباً ... لقالوا لا مُقَام لكمْ فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يُسْلِم ، وقد تقدم فى صحيح البخارى بعض هذه الأبيات .

وذكر ابن إسحاق جواب حسان فى ذلك لجبل بن جَوّال الثعلبى تركناه قصداً .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بنى قريظة :

ألا يا لَقومِى هل لما حُمَّ دافعُ ... وهل مامضى من صالح العيش راجعُ
تذكرتُ عصراً قد مضى فتهافتتْ ... بناتُ الحشَا وانهلَّ منِّى المدامعُ
صَبابةُ وَجْدٍ ذكَّرتنىَ إخوةً ... وقتلَى مضى فيها طُفيلٌ ورافعُ
وسعدٌ فأضحَوا فى الجنَان وأُوحشت ... منازلهم فالأرض منهم بَلَاقِعُ [2]
وَفوا يوم بدرٍ للرسول وفوقَهم ... ظلالُ المنايا والسيوفُ اللوامعُ
دعا فأجابوه بِحَقٍّ وكلُّهم ... مطيعٌ له فى كلِّ أمرٍ وسامعُ
فما نَكَلوا حتى توالوا جماعةً ... ولا يَقْطع الآجالَ إلا المصارعُ
لأنهمُ يرجون منه شفاعةً ... إذا لم يكن إلا النبيون شافعُ
فذلك يا خيرَ العباد بلاؤنا ... إجابتنا لله والموتُ ناقعُ
لنا القدَم الأُولى إليك وخَلْفنا ... لأوّلنا فى ملة الله تابعُ
ونعلم أنّ المُلْكَ لله وحدَه ... وأن قضاءَ الله لا بُدَّ واقعُ

---

(١) النزه : العبد . وتضير : تضير . (٢) البلاقع : المقفرة .

مقتل أبى رافع سَلَّام بن أبى الُحقَيق اليهودى لعنه الله

فى قصر له فى أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأنُ الخندق وأمْر بنى قريظة ، وكان سَلَّام بن أبى الُحقَيق ، وهو أبو رافع ، فيمن حَزَّب الأحزابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوسُ قبل أُحُدٍ قد قتلت كعبَ بن الأشرف فاستأذن الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سَلَّام بن أبى الُحقَيق وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم الزُّهرى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال : وكان مما صَنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيَّين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يَتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاولَ الفَحْلين ، لا تَصْنع الأوسُ شيئاً فيه غَناء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقالت الخزرج : والله لا يَذْهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها . وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثلَ ذلك .

قال : ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فَضلاً علينا أبدا .

قال : فتذاكروا مَن رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابنَ أبى الُحقَيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قتله فأذن لهم .

فخرج من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سِنان،

وعبد الله بن أُنَيس ، وأبو قَتَادة الحارث بن رِبْعى ، وخُزاعى بن أسود حليفٌ لهم من أَسْلم ، فخرجوا وأمَّر عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتِيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دارَ ابن أبى الحقيق ليلاً ، فلم يدَعوا بيتاً فى الدار حتى أغلقوه على أهله . قال : وكان فى عِلِّية له إليها عِجْلَة (١) قال : فأَسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناسٌ من العرب نلتمس المِيرةَ . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوّفاً أن يكون دونه مُجَاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فنوّهتْ بنا ، فابتدَرْناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله مايدلُّنا عليه فى سواد الليل إلا بياضُه كأنه قُبْطية (٢) مُلْقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجلُ منا يرفع عليها سيفَه ثم يذكر نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفُّ يده ، ولولا ذلك لَفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامَل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطْنى قطنى . أى حَسْبى حسبى .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عَتيك سيِّئ البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوَثِئَتْ يده وَثْئاً شديداً (٣) ، وحملناه حتى نأتى به مَنْهراً من عيونهم فندخل فيه . فأوقدوا النيران واشتدُّوا فى كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنَفوه وهو يَقْضى .

قال : فقلنا : كيف لنا بأن نَعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلَق حتى دخل فى الناس قال : فوجدتُها — يعنى امرأته —

---

(١) العلية : الغرفة : والعجلة : الدرج من النخل .
(٢) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .
(٣) وثئت : فكت ، أو أصابها وجع بلا كسر . وفى الأصل : وثبت . وما أثبته عن ابن هشام .

ورجال يهود حـوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله قد سمعتُ صوت ابن عَتِيك ثم أكْذَبتُ نفسى وقلت : أنَّى ابنُ عَتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلتْ عليه تنظر فى وجهه فقالت : فاظ [1] وإلهِ يهود . فما سمعتُ كلمةً كانت ألذَّ على نفسى منها .

قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتمَلْنا صاحبَنا وقدِمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنـده فى قتْله كلنا يدَّعيه . قال : فقـال : هاتوا أسيافـكم . فجئنا بهـا فنظر إليهـا ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتَله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لله دَرُّ عصـــابةٍ لاقيتَهم ... ياابن الُحقَيق وأنت يابن الأشرفِ
يَسْرون بالبِيضْ الخِفافِ إليكمُ ... مَرحاً كأُسْـدٍ فى عَرين مُغْرِفِ [2]
حتى أتوكمْ فى محـــلّ بلادكم ... فسقَــوكمُ حَتفاً ببيضٍ ذُفَّفِ
مُسْتبصرين لنصر دِين نبيهم ... مُستصغرين لـكلّ أمرٍ مُجْحفِ

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله .

* * *

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخارى : حدّثنا إسحاق بن نصر ، حدّثنا يحيى بن آدم ، حدّثنا ابن أبى زائدة ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم رهطا إلى أبى رافع فدخل عليـه عبد الله بن عَتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله .

قال البخارى : حـدّثنا يوسف بن موسى ، حـدّثنا عبد الله بن موسى ، عن

(١) فاظ : مات . (٢) مغرف : ذو شجر كثير ملتف .

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودى رجالا من الأنصار وأمّر عليهم عبدَ الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنَوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسَرْحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإنى منطلق متلطِّف للبوّاب لعلى أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : ياعبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكَمنْت ، فلما دخل الناس أغلق البابَ ثم علَّق الأغاليق على وَدّ (١) قال : فقمت إلى الأقاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يَسْمر عنده وكان فى عَلاَلى له ، فلما ذهب عنه أهلُ سَمره صعدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علىَّ من داخل ، فقلت : إنِ القومُ نَذِروا بى (٢) لم يخلصوا إلىَّ حتى أقتله . فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ . فأهْوَيت نحوَ الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دَهِش ، فما أغنيتُ شيئاً ، وصاح فخرجتُ من البيت فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ماهذا الصوت يا أبا رافع؟فقال : لِأُمك الويل إنّ رجلاً فى البيت [ضربنى (٤)] قبلُ بالسيف . قال : فأضربه ضربةً أثخنَتْه ولم أقتله ، ثم وضعت ضَبيبَ (٣) السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره ، فعرفت أنى قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت ، فوقعتُ فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة حتى انطلقتُ حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلمـا صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع ناصِر أهل

(١) الود : الوتد ، أدغم التاء بعد قلبها دالا .
(٢) نذروا : علموا . وفى الأصل : سدروا لى . وما أثبته عن صحيح البخارى ٢/٢١٤ .
(٣) الضبيب : طرف السيف .
(٤) من صحيح البخارى ٢/٢١٥ .

الحجاز . فانطلقتُ إلى أصحابى فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : ابسط رِجلك . فبسطت رجلى فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

***

قال البخارى : حدّثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأَوْدِىّ ، حدّثنا شُرَيح ، حدّثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق سمعت البراء ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى رافع عبدَ الله بن عَتيك وعبد الله بن عُتْبة فى ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنَوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عَتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر . قال : فتلطفتُ حتى أدخل الحصن ، ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبَس يطلبونه. قال : فخشيت أن أُعرف قال : فغطيت رأسى وجلست كأنى أقضى حاجةً فقال[1] : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلتُ ثم اختبأت فى مَرْبط حمار عند باب الحصن ، فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعةٌ من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم .

فلما هدأت الأصواتُ ولا أسمع حركةً خرجتُ . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن فى كوّة ، فأخذته . ففتحت به باب الحصن قال : قلت : إن نَذِر بى القومُ انطلقتُ على مهل. ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلّقتها عليهم مِن ظاهِر .

ثم صعدت إلى أبى رافع فى سُلّم فإذا البيت مظلم قد طَفِىء سراجه ، فلم أدرِ أين الرجلُ ، فقلت : يا أبا رافع . قال : من هذا ؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه ، وصاح فلم تُغن شيئاً . قال : ثم جئته كأنى أُغيثه فقلت : مالك يا أبا رافع . وغيّرت صوتى قال : لا أُعجبك[2] لأمك الويلُ ! دخل علىّ رجلٌ فضربنى بالسيف . قال : فعمدت إليه

(١) البخارى : فنادى صاحب الباب .
(٢) البخارى : ألا أعجبك .

أيضا فأضربه أخرى فلم تغن شيئا ، فصاح وقام أهله . ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيفَ في بطنه ثم أنكفئ عليه حتى سمعت صوت العَظم ، ثم خرجت دَهِشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه ، فانخلعت رجلي فعصبْتها ، ثم أتيت أصحابي أحْجُل . فقلت : انطلقوا فبشِّروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لا أبرح حتى أسمع الناعيةَ . فلما كان في وجه الصبح صعد الناعيةُ فقال : أنعى أبا رافع . قال : فقمت أمشي ما بي قَلَبَة[1] فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرْته .

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة . ثم قال : قال الزهري : قال أبيّ بن كعب : فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه . قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله . قال : أفتكتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ناولني السيف. فسلّه فقال : أجل هذا طعامه في ذُبَاب السيف .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عَتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثئت[2] رجله ، فلما عصَبها استكنّ ما به لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أُعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقرّت نفسه ثاوَره الوجع في رجله ، فلما بسط رجلَه ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجعٌ يتوقع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدمت. والله أعلم .

هذا ، وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثلَ سياق محمد بن إسحاق،وسمّى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد .

---

(١) القلبة : العلة والداء . (٢) الأصل : وثبت . وهوتحريف .

مقتل خالد بن سفيان بن نُبيح الهذلى

ذكره الحافظ البيهقى فى الدلائل تلوَ مقتل أبى رافع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أُنَيس ، عن أبيه قال : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بلغنى أن خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذَلى يجمع لى الناسَ ليغزونى وهو بِعُرَنَة ، فأْته فاقتله . قال : قلت : يا رسول الله انعته لى حتى أعرفه . قال : إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيرةً .

قال : فخرجت متوشحاً سيفى حتى وقعت عليه وهو بعُرَنة مع ظُعُن يرتاد لهن منزلا وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصفَ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلتُ نحوه وخشيت أن يكون بينى وبينه مُجَاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه ، أومئُ برأسى للركوع والسجود ، فلما انتهيت إليه قال : مَن الرجلُ ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال : أجل أنا فى ذلك . قال : فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكننى حملت عليه السيفَ حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُكِبَّاتٍ عليه .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى قال : أفلح الوجهُ . قال : قلت : قتلته يارسول الله . قال : صدقت . قال : ثم قام معى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدخل فى بيته فأعطانى عصا فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أُنَيس . قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم أعطيتنى

هذه العصا ؟ قال : آيةٌ بينى وبينك يوم القيامة إن أقلَّ الناس المتخصِّرون[1] يومئذ . قال : فقرَنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت فى كفنه ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس ، أو قال : عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أبى مَعمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكر نحوه . ورواه الحافظ البيهقى من طريق محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكره .

وقد ذكر قصته عروةُ بن الزبير وموسى بن عقبة فى مغازيهما مرسلةً . فالله أعلم .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى قتله خالد بن سفيان :

تركتُ ابنَ ثورٍ كالحُوَار وحوله ... نوائحُ تَفرِى كلَّ جيبٍ مُقَدَّدِ[2]
تناولته والظُّعن خَلْفِى وخلفه ... بأبيض من ماء الحديدِ المهنَّدِ
عَجُومٍ لِهَامِ الدارعِين كأنه ... شِهابُ غَضًى من مُلْهِبٍ مُتوقِّدِ[3]
أقول له والسيف يَعْجُم رأسَه ... أنا ابن أُنيس فارسٌ غير قُعْدُدِ
أنا ابن الذى لم يُنزل الدهر قدرَه ... رَحيبُ فِناء الدار غير مزنَّدِ[4]
وقلت له خذها بضربةِ ماجدٍ ... خفيفٍ على دين النبى محمدِ
وكنت إذا همَّ النبىُّ بكافر ... سبقت إليه باللسان وباليدِ

(١) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، جمع مخصرة ، وهى ما يمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها .
(٢) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . وتفرى : تقطع .
(٣) عجوم : مختبر . والقعدد : الجبان . (٤) المزند : البخيل الضيق .

قلت : عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيي الجهنى صحابى مشهور كبير القدر ، كان فيمن شهد العَقبة ، وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور . وقيل توفى سنة أربع وخمسين . والله أعلم .

وقد فرق علىّ بن الزبير وخليفة بن خيّاط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبى عيسى الأنصارى ، الذى رَوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أُحد بإداوة فيها ماء فخلّ فمها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذى من طريق عبد الله العمَرى ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه . ثم قال الترمذى : وليس إسناده يصح ، وعبد الله العمَرى (١) ضعيف من قِبَل حفظه .

(١) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمرى . وهو ضعيف غلب عليه الصلاح فلم يحفظ وكثر الخطأ فى روايته . اللباب ٢/١٥٣ .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق وإسلامـــه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع .

وحدثني يزيد بن أبي حَبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقفي ، عن حبيب ابن أوس ، حدثني عمرو بن العاص مِن فِيه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يَرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيت أن نَلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا إن نكن تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا لرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدى له . فكان[1] أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأَدَم[2] ، فجمعنا له أدماً كثيراً .

ثم خرجنا حتى قَدمنا عليه . فوالله إنا لَعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْرى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية ،

---

(١) ابن هشام : وكان .

(٢) الأدم : الجلد أو أحمره ، أو المصبوغ منه .

لو قد دخلتُ على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ رأت قريشٌ أنى قد أجزَأت عنها حين قتلتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلت عليـــه فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحبا بصديقى ، هل أهديتَ لى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أَدَماً كثيراً . قال : ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له : أيها الملك إنى قد رأيت رجلا خرج من عنـدك ، وهو رسول رجل عـدو لنـا ، فأعطنيـه لأقتـله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت الأرض لدخلتُ فيها فَرَقاً !

ثم قلت : أيها الملك والله لو ظننت أنك تـكره هذا ماسألتـكه .

قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى فتقتله ؟

قال : قلت : أيهـا الملك أكذاك هو ؟ قال : ويحك ياعمرو أطعنى واتبعه ، فإنه والله لَعَلى الحق ، وليَظْهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده.

قال : قلت : أفتبـايعنى له على الإسـلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبـايعتــه على الإسلام .

ثم خرجت على أصحابى وقد حالَ رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى ، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُسْلم ، فلقيتُ خالدَ بن الوليدوذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام المِيسَم[(١)]

(١) الميسم : المـكواة . وهو أثر الحسن أيضا . ورواية أبى ذر : فى شرح السيرة : المَنسم بالنون . قال : « ومعناه : تبين الطريق ووضح » .

وإن الرجل لَنبيٌّ ، أذهبُ والله أُسلم فحتى متى ! قال : قلت : والله ماجئت إلا لأسلم .

قال : فقدمْنا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يارسول الله إنى أبايعك على أن تغفر لى ماتقدم من ذنبى ، ولا أذكر ماتأخر .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو بايعْ فإن الإسلام يَجبُّ ما كان قبلَه ، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها .

قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معَهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبى الزِّبَعْرى السَّهمى :

أنشدُ عثمانَ بن طلحة خَلْفنا ومُلْقى نعالِ القوم عند المقبَّلِ (١)
وما عقَد الآباء من كل حِلْفةٍ وما خالدٌ مِن مِثلها بمحلَّلِ
أمفتاحَ بيتٍ غير بيتك تبتغى وماتبتغى من بيتِ مجدٍ مُوَّثَّلِ (٢)
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه وعثمانَ جاءا بالدُّهَيم المعضَّلِ (٣)

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ فى خيل المشركين كما سيأتى بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل فى إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لأن أول ذهاب عمرو ابن العاص إلى النجاشى كان بعد وقعة الخندق ، [و] الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم .

(١) خلفنا : كذا بالأصل ، ولعلها : حلفنا .
(٢) ابن هشام : من مجد بيت مؤثل .
(٣) الدهيم : الداهية .

فصـــل

فى تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبى سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى : « عسى الله أن يَجعل بينكم وبين الذين عادَيْتم منهم مَودَّة » قال : هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حَبيبة بنت أبى سفيان ، فصارت أمَّ المؤمنين وصار معاويةُ خالَ المؤمنين .

ثم قال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن نَجدة ، حدثنا يحيى ابن عبد الحميد ، أنبأنا ابن المبارك ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن أم حبيبة أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رَحَل إلى النجاشي فمات ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأمّ حبيبة وهى بأرض الحبشة وزوَّجها إياه النجاشي ومَهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شُرَحْبيل بن حَسنة وجهزها من عنده وما بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة .

قلت : والصحيح أن مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثنتى عشرة أوقية ونَشًّا ، والأُوقية أربعون درهما ، والنّش النصف . وذلك يَعْدل خمسمائة درهم .

ثم روى البيهقي من طريق ابن لِهَيعة عن أبى الأَسود ، عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا ، فخلف على زوجته أمّ حبيبة رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، زوَّجها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قلت : أما تنصُّر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع

المسلمين إلى أرض الحبشة استزلّه الشيطان فزين له دينَ النصارى فصار إليـه حتى مات، عليه لعنة الله. وكان يعيِّر المسلمين فيقول لهم: أبْصرنا وصَأْصأتم. وقد تقدم شرح ذلك فى هجرة الحبشة (١).

وأما قول عروة: إن عثمان زوَّجها منه. فغريب، لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم. والله أعلم.

والصحيح ماذكره يونس، عن محمد بن إسحاق قال: بلغنى أن الذى وَلِىَ نكاحها ابنُ عمها خالد بن سعيد بن العاص.

قلت: وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبول العقد أَصْحمةُ النجاشى ملك الحبشة، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق، حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى فزوَّجه أمَّ حبيبة بنت أبى سفيان وساق عنه أربعمائة دينار.

* * *

وقال الزبير بن بَكَّار: حدثنى محمد بن الحسن، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو، أن أم حبيبة بنت أبى سفيان قالت: ماشعرتُ وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنتْ علىّ فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لكِ: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلىّ أن أوزجكِه. فقلت: بشرك الله بالخير. وقالت: يقول لك الملك: وكّلى من يزوجك.

قالت: فأرسلتُ إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكّلته، وأَعطيت أبرهة سوارين

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثانى.

من فضة وخَذْمتين (١) من فضة كانتـا علىَّ وخواتيم من فضة فى كل أصابع رجـلى ، سروراً بما بشرتْـنى به .

فلما أن كان من العَشىّ أمر النجاشىُّ جعفرَ بن أبى طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشى وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذى بشَّر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبى سفيان فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أَصْدَقها أربعمائة دينار . ثم سكبَ الدنانيرَ بين يدى القوم .

فتـكلم خالد بن سعيد فقال : الحمـد لله أحمـده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد ، فقد أجبتُ إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليـه وسلم وزوَّجته أمَّ حبيبة بنت أبى سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشىُّ الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنـة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعـامٌ على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لَمَّا رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشى بعـد الخندق إنما كان فى قضية أم حبيبة . فالله أعلم .

لـكن قال الحافظ البيهقى : ذكر أبو عبد الله بن منْدَه أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان فى سنة ست ، وأن تزويجه بأم سلمة كان فى سنة أربع .

---

(١) الخدمة فى الأصل : سمة للابل .

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله مَعْمر بن المثنَّى وابن البَرَقى ، وأن تزويج أم حبيبة كان فى سنة ست . وقال بعض الناس: سنة سبع . قال البيهقى : هو أشبه .

قلت : قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة فى أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونُه بعد الخندق أَشْبه ، لما تقدم من ذكْر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشى ، فهو فى قضيتها والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير فى الغابة عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها .

وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليمانى عن أبى زُمَيل سِمَاك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يارسول الله ثلاث أعطِنيهن . قال : نعم . قال : تؤمِّرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال: نعم قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك . قال : نعم . قال : وعندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أُنكِرَ على مسلم ، لأن أبا سفيان لمّا جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنَت عنه فراشَ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أدرى أرغبتِ بى عنه أو به عنى ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدى يابنية شرٌّ . وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عِكْرمة بن عمَّار ، وهذا القول منه لا يتابَع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يجدِّد العقدَ لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخَ نكاح ابنته بإسلامه .

وهذه كلها ضعيفة ، والأحسن فى هـذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عَمرة لِمَا رأى فى ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما فى الصحيحين . وإنما وَهِم الراوى فى تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً .

قال أبو عُبيد القاسم بن سلاّم : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين . وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة . وكانت وفاة معاوية فى رجب سنة ستين .

تزويجه عليه السلام بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يَعْمر بن صبرة بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة الأسَدية أم المؤمنين . وهى بنت أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

قال قتادة والواقدىّ وبعض أهل المدينة : تزوجها عليه السلام سنة خمس ، زاد بعضهم فى ذى القعدة . قال الحافظ البيهقى : تزوجها بعد بنى قريظة . وقال خليفة بن خيَّاط وأبو عبيدة مَعْمر بن المثنَّى وابن منْده : تزوجها سنة ثلاث . والأول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ فى سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثا ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده تركنا إيراده قصداً لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه .

وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وإذ تقولُ للذى أَنْعم الله عليه وأنعمتَ عليه أمْسِكْ عليك زوجَك واتق الله وتُخْفى فى نفسك ما الله مُبْديه وتخشَى الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه ، فلما قضى زيدٌ منها وطَراً زوَّجْناكها لكيلا يكونَ على المؤمنين حَرَجٌ فى أزواج أدْعيائهم إذا قضَوا منهن وطَراً وكان أمر الله مفعولا . ما كان على

النبي مِن حرج فيما فرض الله له ، سنةَ الله فى الذين خَلَوا من قبلُ وكان أمر الله قدَراً مقدوراً »[1] .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية .

فالمراد بالذى أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق وزوّجه بابنة عمه زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حبّان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخِماراً ومِلْحفة ودرعاً وخمسين مُدّاً وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما فجاءزوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجَك .

قالَ الله : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » قال على بن الحسين زين العابدين والسُّدى: كان [رسولُ] الله قد علم أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذى كان فى نفسه عليه السلام .

وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر تركناها .

***

قال الله تعالى : « فلما قضى زيدٌ منها وطَراً زوَّجناكها » ذلك أن زيداً طلَّقها ، فلما انقضَتْ عِدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها إلى نفسها ثم تزوجها ، وكان الذى زوجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس ابن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فتقول : زوَّجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات .

وفى رواية من طريق عيسى بن طَهْمان عن أنس ، قال : كانت زينب تفخر على

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٧، ٣٨ .

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : أنكحنى الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلا أن يُؤْذنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظرين إناه » الآية .

وروى البيهقي من حديث حماد، بن زيد عن ثابت، عن أنس، قال : جاء زيد يشكو زينب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قال أنس : فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوَّجكن أهاليكن وزوَّجنى الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخارى عن أحمد ، عن محمد بن أبى بكر المقدّمى ، عن حماد بن زيد .

ثم روى البيهقي من طريق عفان ، عن حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك أهلك . فنزلت : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » .

ثم قال : [رواه] البخارى : عن محمد بن عبدالرحيم ، عن معلى بن منصور ، عن محمد مختصراً . وقال ابن جرير : حدّثنا ابن حميد، حدّثنا جرير عن مغيرة، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إنى لَأُدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تُدلّ بهن ، أن جدى وجدك واحد ، تعنى عبد المطلب ، فإنه أبو أبى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وأنى أَنْكحنيك الله عز وجل من السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هاشم — يعنى ابن القاسم — حدّثنا النضر ، حدّثنا سليمان ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضتْ عدةُ زينب قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد : اذهب فاذكرها عليّ . فانطلقَ حتى أتاها وهى تخمّر عجينها، قال : فلما رأيتها

عَظُمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها ، فولَّيتها ظهرى ونكصت على عقبى . وقلت : يا زينب أبشرى ، أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى عز وجل. ثم قامت إلى مسجدها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن. قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حُجَر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يارسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أَخبرته والقوم قد خرجوا أو أُخبر . قال : فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بينى وبينه ، ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به : « لا تَدْخلوا بيوتَ النبىِّ إلا أن يُؤْذَن لكم » الآية .

وكذا رواه مسلم والنسائى من طريق سليمان بن المغيرة .

ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها

الذى ولى الله عقد نكاحه

فناسب نزولُ الحجاب فى هذا العرس صيانةً لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين ، وذلك وفق الرأى العُمَرى .

قال البخارى : حدّثنا محمد بن عبد الله الرَّقَّاش ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبى حدثنا أبو مِجْلَز ، عن أنس بن مالك ، قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم أنهم

قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجابَ بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتَ النبي » الآية .

وقد رواه البخاري في مواضع أُخَر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه .

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك قال : بُنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأُرسلت على الطعام داعياً ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ماأجد أحداً أدعوه ، فقلت : يانبي الله ماأجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ! فتقرَّى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أُخبر أن القوم خرجوا ، فخرج حتى إذا وضع رجله في أُسْكُفّة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق ، هو ابن نصر ، عن عبد الله بن بُكَير السَّهمي ، عن حُميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال : « رجلان » بدل ثلاثة . فالله أعلم .

قال البخاري : وقال إبراهيم بن طَهمان ، عن الجَعْد أبي عثمان ، عن أنس فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدثنا أبو المظفَّر ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان اليشكري ، عن أنس بن مالك ، قال : أعرسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته في تَوْر فقالت : اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن هذا منّا له قليل. قال أنس : والناس يومئذ في جَهد ، فجئت به فقلت : يارسول الله بعثتْ بهذا أمُّ سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول : إن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : ضعه في ناحية البيت . ثم قال : اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً . فسمَّى رجالا كثيرا قال : ومن لقيتَ من المسلمين . فدعوت من قال لي ومن لقيتُ من المسلمين . فجئت والبيتُ والصُّفة والحجرة مِلَاء من الناس . فقلت :ياأبا عثمان كم كانوا؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة .

قال أنس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : جئ . فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعَا وقال ماشاء الله . ثم قال: لِيتحلّق عشرةٌ عشرة ويُسمُّوا ، وليأكل كلُّ إنسان مما يَليه . فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفعه . قال : فجئت فأخذت التَّوْر فنظرت فيه ، فلا أدرى أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته !

قال : وتخلَّف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مُولِّيةٌ وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث فشقُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس حياء ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حُجَره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : « ياأيها الذين آمنوا

لا تَدْخلوا بيوتَ النبيِّ إلا أن يُؤْذَن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دُعِيتم فادخلوا فإذا طَعِمتم فانتشروا ولا مُسْتأنسين لحديث ، إنّ ذلكم كان يؤذِي النبيَّ فيَسْتحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراءِ حجابٍ ذلكم أَطْهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسولَ الله ولا أن تَنكحوا أزواجَه من بعده أبداً إن ذلكم كان عندَ الله عظيما . إن تُبْدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما(١) » .

قال أنس : فقرأهن عليَّ قبلَ الناس وأنا أَحْدَثُ الناس بهن عهدا .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبى عثمان به . وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الجعْد أبى عثمان به .

وقد روى هذا الحديث البخارى والترمذى والنسائى من طرق ، عن أبى بشر الأَحمسى الكوفى ، عن أنس بنحوه . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نَضْرة العَبْدى عن أنس بنحوه ، ولم يخرّجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزُّهرى عن أنس نحو ذلك .

* * *

قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من المهاجرات الأُول ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولا بَرّة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم زينب ، وكانت تكنى بأم الحكم .

قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأَتقى لله وأصدقَ حديثاً وأوصلَ للرحم وأعظم أمانة وصدقة .

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٥٣ ، ٥٤ .

وثبت فى الصحيحين كما سيأتى فى حديث الإفك عن عائشة أنها قالت : وسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنى زينبَ بنت جحش وهى التى كانت تُسَاميني من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع فقالت : يارسول الله أَحْمِى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيرا .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدّثنا محمود بن غَيلان ، حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً . قالت : فكنا نتطاول أينا أطول يداً. قالت : فكانت زينب أطولنا يدا ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

انفرد به مسلم .

قال الواقدى وغيره من أهل السير والمغازى والتواريخ : توفيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع وهى أول امرأة صُنع لها النعشُ .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقى : كان يقال : فى المحرم منها سرية محمد بن مَسْلمة قِبل نجد ، وأسروا فيها ثُمَامة بن أثال اليمامى .

قلت : لكن فى سياق ابن إسحاق عن سعيد المقْبُرى عن أبى هريرة ، أنه شهد ذلك . وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخَّر إلى مابعدها . والله أعلم.

وهى السنة التى كان فى أوائلها غزوة بنى لَحْيان على الصحيح .

قال ابن إسحاق : وكان فتح بنى قريظة فى ذى القعدة وصدرٍ من ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، يعنى فى سنة خمس . كما تقدم .

قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى بنى لَحيان يطالب بأصحاب الرَّجيع خُبيب وأصحابه ، وأظهرَ أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرَّةً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصنوا فى رؤوس الجبال فمال إلى عُسفان فلقى بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف .

وقد تقدم ذكر هذه الغزوة فى سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقى .

والأشبه ماذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق . وقد ثبت أنه صلى بعُسْفان يوم بنى لحيان ، فلتكتب هاهنا وتحول من هناك ، اتباعا لإمام أصحاب المغازى فى زمانه وبعده ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان :

لو أنّ بنى لِحْيان كانوا تناظروا لقوا عُصَباً فى دارهم ذات مَصْدَقِ
لَقُوا سَرَعاناً يملأ السِّربَ روعُه أمامَ طَحُون كالمجرّة فَيْلَقِ (١)
ولكنهم كانوا وِباراً تتبّعتْ شِعابَ حجازٍ غير ذى مُتَنفّقِ (٢)

غزوة ذى قَرَد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يُقِم بها إلا ليالى قلائل حتى أغار عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزارى فى خيل من غطفان على لِقاح النبى صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بنى غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك ــ كلٌّ قد حدث فى غزوة ذى قَرَد بعضَ الحديث ــ أنه كان أول من نَذِر بهم سَلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى ، غدا يريد الغابةَ متوشِّحاً قوسَه ونَبْله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنيَّة الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف فى ناحية سَلْع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يردُّهم بالنبل ويقول :

خُذْها وأنا ابن الأكوعْ اليومُ يوم الرُّضَّعْ

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارَضهم فإذا أمكنه الرميُ رمَى ثم قال :

خُذْها وأنا ابن الأكوع اليومُ يوم الرُّضعْ

قال : فيقول قائلهم : أوَيُكِعُنا(٣) هو أولَ النهار .

---

(١) السرعان : أوائل الخيل . والسرب : القلب . والطحون : الكتيبة العظيمة . والمجرة : باب السماء . والفيلق : الكتيبة .
(٢) الوبار : جمع وبر وهى دويبة كالسنور . والشعاب : جمع شعب . والمتنفق : المخرج .
(٣) يكعنا : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

قال : وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأكوع فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع . فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المِقْداد بن الأسود ، ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظُهير – يُشك فيه – وعُكَّاشة بن مِحْصن ، ومُحْرز بن نَضْلة أخو بنى أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى أخو بنى سلمة، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بنى زُرَيق قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّر عليهم سعدَ بن زيد ثم قال : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى عَيَّاش فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرسَ منك فلحق بالقوم . قال أبو عياش : فقلت يارسول الله أنا أفرسُ الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ماجرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبى عياش معاذَ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلدة ، وكان ثامناً. قال : وبعض الناس يعدُّ سلمة بن الأكوع ثامنا ويطرح أسيد بن ظهير . فالله أعلم أى ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارسا ، قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه .

قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نَضلة وكان يقال له الأخرم ويقال له قُمير ، وكانت الفرس التى تحته لمحمود بن مسلمة ، وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قِفوا معشر بنى اللَّكيعة حتى يلحق بكم مَن وراءكم مِن أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آرِيِّه من بنى عبد الأشهل ، أى رجع إلى مربطه الذى كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره . قال ابن هشام :

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قُتل معه أيضا وقاص بن مُجِّزز الْمُدْلجى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزا كان على فرس لعُكَّاشة بن مِحْصن يقال لها الجناح ، فقُتل محرز واستلب جَناح . فالله أعلم .

قال : ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة حبيبَ بن عيينة وغشَّاه برده ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . فإذا حبيب مسجًّى ببرد أبى قتادة فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ولكنه قتيلٌ لأبى قتادة . ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه .

قال : وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللِّقاح . قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قَرد ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلَمة بن الأكوع : يا رسول الله لو سرَّحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرْح وأخذتُ بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : إنهم الآن لَيُغْبَقون فى غَطفان . فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جَزورا وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغِفارى على ناقة من إبل النبى صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجّانى الله عليها . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بئسما جَزيتِها

أن حَمَلكِ الله عليها ونجاكِ بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذرَ فى معصية الله ولا فيما لا تَمْلكين، إنما هى ناقةٌ من إبلى ، فارجعى إلى أهلكِ على بركة الله » .

قال ابن إسحاق : والحديث فى ذلك عن أبى الزبير المكى عن الحسن البصرى .

* * *

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق .

وقد قال البخارى رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر : غزوة ذى قَرد ، وهى الغزوة التى أغاروا على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبى عبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَّن بالأولى (١) ، وكانت لقاح النبى صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد قال : فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أُخذت لِقاحُ النبى صلى الله عليه وسلم. فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرختُ ثلاث صرخات : واصباحاه ! قال : فأسمعت ما بين لابتَى المدينة . ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلى، وكنت راميا ، وأقول : أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرُّضَّع (٢) . وأرتجز . حتى استنقذت اللقاحَ منهم واستلبت منهم ثلاثين بُردة .

قال : وجاء النبى صلى الله عليه وسلم والناس فقلت : يارسول الله قد حميتُ القومَ الماء وهم عطاش فابعث إليهم الساعة . فقال : « يا ابن الأكوع ، ملكْت فأَسْجِح (٣) » ثم رجعنا ويُرْدفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ، ورواه البخارى عن أبى عاصم السهلى ، عن يزيد ابن أبى عبيدة ، عن مولاه سلمة بنحوه .

* * *

(١) الأولى : صلاة الصبح . (٢) يوم الرضع : يوم هلاك اللئام . (٣) أسجح : اعف .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنى إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : قدمنا المدينـةَ زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت أنا ورَباح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظَهْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أُنديه مع الإبل ، فلمـا كان بغلَس أغار عبد الرحمن بن عُيَينة على إبل رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه فى خيل ، فقلت : يارباح اقعد على هذا الفرس فأَلحقه بطلحة وأَخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أُغير على سَرْحه .

قال . وقمت على تَل فجعلت وجهى من قِبَلَ المـدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه اقال : ثم اتبعتُ القومَ معى سيفى وَنبْلى ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يَـكْثر الشجر ، فإذا رجع إلىَّ فارسٌ جلست له فى أصل شجرة ثم رميت ، فلا يُقْبل إلىّ فارسٌ إلا عَقرتُ به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوعْ والبومُ يوم الرُّضَّعْ

قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلته فيقع سهمى فى الرجل حتى انتظم كتفه فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليومُ يوم الرُّضع

، فإذا كنت فى الشجر أحرقتهم بالنَّبْل ، فإذا تضايَقَت الثنايا علوت الجبلَ فردَّيتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأنى وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ماخلق الله شيئا من ظهر رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بُردة يستخفُّون منهـا ولا يُلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارةً وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفَزارى مدداً لهم وهم فى ثنيَّةٍ ضيقة ، ثم علوت

الجبل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرْحَ ، ما فارقنا بسَحرٍ حتى الآن وأخذ كل شىء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة : لولا أن هـذا يرى أن وراءه طلباً لقد تركـكم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إلىّ نفر منهم أربعة فصعدوا فى الجبل ، فلما أسمعتهم الصوتَ قلت : أتعرفوننى ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذى كرّم وجه محمد لا يطلبنى رجل منـكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى . فقال رجل منهم : إنْ أظن . قال : فما برحتُ مقعدى ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخللون الشجرَ وإذا أولهم الأَخْرم الأسدى ، وعلى أثره أبو قَتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الـكِنْدى ، فولّى المشركون مدبرين ، وأنزلُ من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أَخْرم ائذن القومَ – يعنى احـذرهم – فإنى لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأصحابه . قال : ياسلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعـلم أن الجنـة حقٌّ والنار حق فلا تحُلْ بينى وبين الشهادة !

قال : فخلَّيت عنانَ فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عُيينة ويَعْطف عليه عبدُ الرحمن ، فاختلَفا طعنتين ، فعقر الأخرمُ بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله . فتحوّل عبـد الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبى قتادة وقتله أبو قتادة ، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم .

ثم إنى خرجت أَعْدو فى أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبى صلى الله عليـه وسلم شيئا ، ويَعْرضون قبلَ غيبوبة الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد ، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصرونى أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا فى الثنية ثنية ذى بئر وغربت الشمس ، وألحق رجلا فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . قال : فقال : ياثُـكل أم أَكْوَع بُكرةً . فقلت : نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بُكرة[1] ،

(١) صحيح مسلم: « قال : ياثكلته أمه أكوعه بكرة . قال . قلت : ياعدو نفسه أكوعك بكرة ».

وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان ، ويخلّفون فرسين فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذى أجْليتهم عنه ، ذو قَرَد ، وإذا بنبى الله صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ فهو يشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله خَلِّنى فأنتخبُ من أصحابك مائةً فآخذها على الكفار بالعَشْوة فلا يبقى منهم مُخْبر إلا قتلته . فقال : أكنت فاعلاً ذلك ياسلمة ؟ قال : قلت : نعم والذى أكرمك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه فى ضوء النار ، ثم قال : إنهم يُقْرَون الآن بأرض غَطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مرُّوا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا .

ولما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرُ فرساننا أبو قتادة ، وخير رَجَّالتنا سَلمة . فأعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمَ الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفنى وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة .

فلما كان بيننا وبينها قريبٌ من ضحْوة ، وفى القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبَق جعل ينادى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْدِفِى ، فقلت له : أما تُكْرِم كريما ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى خَلِّنى فَلأسابق الرجل . قال : إن شئتَ . قلت : أذهبُ إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجلى فطفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شَرَفا أو شرَفين ، يعنى استبقيت من نفسى ، ثم إنى عدَوْت حتى ألحقه فأصكّ بين كتفيه بيدى قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إنْ أظن . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه ، وعنده : فسبقته إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخارى والبيهقى هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . فينبغى تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خيبر كانت فى صفر منها .

وأما قصة المرأة التى نجَت على ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبى الزبير، عن الحسن البصرى مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه أخر .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب عن أبى قلَابة ، عن أبى المهلب ، عن عمران بن حصين ، قال : كانت العضباء لرجل من بنى عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال : فمرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى وَثاق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار عليه قطيفة ، فقال : يا محمد علام تأخذونى وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . وقال فيما قال:[إنى] مسْلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُلْتَها وأنت تملك أمرك أفلحتَ كلَّ الفلاح . قال : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنى جائع فأطعمنى وإنى ظمآن فاسقنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حاجتك . ثم فُدى بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لرحله .

قال : ثم إن المشركين أغاروا على سَرْح المدينة فذهبوا به ، وكانت العضباء فيه ، وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفنيتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوّموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأتت

على ناقة ذلول مُجَرَّسة[1] فركبتْها ثم وجهتها قِبَل المدينة. قال: ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة عُرفت الناقة فقيل: ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنذرها أو أتته فأخبرته، فقال: بئس ماجزيتِيها أو بئس ماجزَتْها إن أنجاها الله عليها لَتنحرنها.

قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم».

ورواه مسلم عن أبى الربيع الزَّهرانى، عن حماد بن زيد.

* * *

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الأشعار فى غزوة ذى قرد قول حسان بن ثابت رضى الله عنه:

لولا الذى لاقَتْ ومَسَّ نسورَها ... بجنوب سايَة أمسِ فى التَّقْوادِ[2]

لَلَقِينكم يحملْن كلَّ مُدَجَّج ... حامى الحقيقةِ ماجد الأجدادِ

ولسرَّ أولادَ اللقيطة أننا ... سِلْمٌ غداةَ فوارس للقدادِ

كنا ثمانيةً وكانوا جَحْفلا ... لَجِباً فشُكُّوا بالرماح بَدادِ[3]

كنا من القوم الذين يَلُونهم ... ويقدِّمون عِنانَ كلِّ جوادِ

كلاَّ وربِّ الراقصاتِ إلى منًى ... يَقْطعن عُرْض مَخارِمِ الأطواد[4]

حتى نُبيل الخيلَ فى عَرصاتكم ... ونئوب بالمَلِكات والأولادِ[5]

---

(١) المجرسة: المدربة فى الركوب والسير.

(٢) لاقت: يريد الخيل. ونسورها: النسر كالنواة فى بطن الحافر، وفى الفرس عشرون عضوا كل عضو منها باسم طائر. وساية: موضع.

(٣) الجحفل: الجيش الكثير. واللجب: ذو الجلبة والصياح. وبداد: متفرقين.

(٤) المخارم: الطرق. والأطواد: الجبال.

(٥) نبيل: نجعلها تبول. والعرصات: جمع عرصة وهى البقعة الواسعة بين الدور. والملكات: النساء.

رَهْواً بكل مُقلَّص وطِمرَّةٍ ... فى كلِّ معتركٍ عطَفْن ووادِ (١)

أفنَى دوابرَها ولاح متونَهـا ... يومٌ تقـادُ به ويومُ طِرادِ

فكذاك إنّ جيادنا مَلبونةٌ ... والحربُ مُشْعَلةٌ بريحِ غوادِ (٢)

وسيوفُنا بيضُ الحدائد تجتلى ... جُنَنَ الحديد وهامةَ المرتادِ

أخـذ الإله عليهمُ لحرامه ... ولعزة الرحمن بالأسدادِ

كانوا بدارٍ ناعمين فبـدِّلوا ... أيام ذى قَرد وجوهَ عنادِ

قال ابن إسحاق : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان وحلف لا يكلمه أبداً ، وقال : انطلقَ إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد . فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد ! ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد :

إذا أردتمُ الأشدَّ الجلْدَا ... أو ذا غَناء فعليكم سعدَا

سعدُ بن زيد لا يهدُّ هدَّا

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد :

أظنَّ عُيينـةُ إذ زارها ... بأنْ سوف يَهْدِمُ فيها قُصورَا

فأُكذبتَ ما كنت صـدَّقتَه ... وقلتم سنَغْنَم أمراً كبيرَا

فعِفتَ المدينةَ إذ زرتَها ... وآنستَ للأُسْد فيها زئيرَا

وولَّوا سراعاً كشَدِّ النعامِ ... ولم يكشفوا عن مُلطٍّ حصيرَا (٣)

أميرٌ علينا رسولُ المليك ... أحبِبْ بذاك إلينا أميرَا

---

(١) رهوا : سريعا . والمقلص : المشمر . والطمرة : الفرس السريع .

(٢) ملبونة : تسقى اللبن .

(٣) الملط : الناقة ، من قولهم : ألطت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجليها . والحصير ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

رسولٌ يصـــدِّق ماجاءه ... ويتلو كتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قَرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

أيحسِبُ أولادُ اللقيطة أننـــا ... على الخيل لسنا مثلهم فى الفوارسِ
وإنا أناس لا نَرى القتـــلَ سُبَّةً ... ولا نَنْثنى عندَ الرماح المدَاعسِ (١)
وإنا لنَقْرى الضيفَ من قمع الذُّرَى ... ونضرب رأس الأبْلج المتشاوسِ (٢)
نردُّ كُماةَ المُعْلَمين إذا انتحَوا ... بضربٍ يسلّى نخوةَ المتقاعسِ (٣)
بكل فتًى حامى الحقيقة ماجـــدٍ ... كريم كسَرْحان العضاه مُخَالِسِ (٤)
يَذُودون عن أحسابهم وبلادهم ... ببيضٍ تقدُّ الهامَ تحت القَوانسِ (٥)
فسائلْ بنى بدرٍ إذا مالقيتهمْ ... بما فعل الإخوانُ يومَ التمارسِ (٦)
إذا ماخرجتم فاصدُقوا من لقيتمُ ... ولا تـكتموا أخبارَ كم فى المجالس
وقولوا زَلَلْنـا عن مَخالب خادرٍ ... به وحَرٌ فى الصَّدر مالم يُمارسِ (٧)

(١) المداعس : الرماح التى لا تنثنى . (٢) القمع : جمع قمعة وهى أعلى سنام البعير . والأبلج : المشرق . والمتشاوس : المتكبر . وفى ابن هشام : الأبلخ . (٣) الـكماة : الفوارس . والمتقاعس :الذى لايلين . (٤) السرحان : الذئب . والعضاه : شجر ضخم . (٥) القوانس : أعالى بيض الحديد (٦) التمارس : المجالدة فى الحرب . (٧) الخادر : الأسد الذى يلزم أجمته . والوحر : الحقد

غزوة بنى المصطلق من خزاعة

قال البخارى : وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن إسحاق: وذلك فى سنة ست .وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى : كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع . هـكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة أنها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسار ، بعد ما أورد قصة ذى قَرد : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نُمَيلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى ابن حبَّان ، كلٌّ قد حدثنى بعضَ حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبى ضرار، أبو جُويرية بنت الحارث التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريْسِيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه. وقال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه إلى بنى المصطلق ، وكانوا حلفاء بنى مُدْلج ، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ، ويقال إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، ثم أمر عمر بن

الخطاب فنادى فى الناس أن قولوا : لا إله إلا الله . تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم. فأبَوا فترامَوا بالنَّبل ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد .

وثبت فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المصطلق وهم غارُّون فى أنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبَى سَبْيهم فأصاب يومئذ ـ أحسبه قال ـ جُويرية بنت الحارث . وأخبرنى عبد الله بن عمر بذلك، وكان بذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صُبابة ، أصابه رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأً .

***

وذكر ابن إسحاق أن أخاه مِقيس بن صبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قُتل خطأ، فأعطاه ديته ، ثم مكث يسيراً ثم عدَا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتداً إلى مكة وقال فى ذلك :

شفى النفسَ أن قد بات بالقاع مُسْنداً ... يضرِّج ثوبَيْه دماء الأخادعِ (١)

وكانت همومُ النفس من قبل قتْله ... تُلِمُّ فتَحْمينى وِطاءَ المضاجعِ

حللْت به وَتْرى وأدركت ثُؤْرتى ... وكنت إلى الأوثان أولَ راجعِ

ثأرْتُ به فِهراً وحمَّلْتُ عَقْلَه ... سراة بنى النجار أربابَ فارعِ (٢)

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أَهْدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح دماءهم وإن وجِدوا معلَّقين بأستار الكعبة .

(١) الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق فى المحجمتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) فارع : حصن بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردةُ الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غِفار يقال له جَهْجَاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهْجَاه وسِنَان بن وَبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار . وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين . فغضب عبد الله بن أبىّ بن سلول وعنده رهطٌ من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حدَث فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثَرونا فى بلادنا ! والله ما أعدُّنا وجلابيبَ قريشٍ هذه إلا كما قال الأول : « سمِّن كلبك يأكلك ! » أمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هـذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحلَلْتموهم بلادَكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مُرْ به عبَّادَ بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ولكن أذنْ بالرحيل . وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبدُ الله بن أبى بن سَلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلتُ ما قال ولا تكلمت به . وكان فى قومه شريفاً عظيما ، فقال من حضر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله عسى أن يكون الغلام أوْهَمَ فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل. حَدَباً على ابن أُبىّ ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أُسيد بن حُضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحتَ فى ساعة مُنْكرة ما كنت تروح

فى مثلها ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : أىّ صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبىّ . قال: وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلّ . قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئتَ ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلَبْتَه مُلْكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياما . وإنما فعل ذلك ليشغل الناسَ عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُويق النَّقيع يقال له بَقْعاء . فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريحٌ شديدة فآذتهم وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَخوّفوها فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع ، وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين ، مات ذلك اليوم .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدى .

وروى مسلم من طريق الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمِّ الذى مات من المنافقين . قال : هبت ريحٌ شديدة والنبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فقال : هذه لموت منافق . فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين .

قال ابن إسحاق : ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبىّ ومن كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذُن زيد بن أرقم وقال :

هذا الذى أَوْفَى لله بأذنه . قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسرَدْنا طرقَ هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه ها هنا فليطلبه من هناك . وبالله التوفيق .

***

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سَلول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أبىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرْ لى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان بها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدَعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرَ بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى لأُرْعِدَتْ له آنُفٌ لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلتْه . فقال عمر : قد والله علمتُ لَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركةً من أمرى .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لأبيه عبد الله بن أبىّ بن سَلُول عند مضيق المدينة فقال : قِفْ فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق : وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناسٌ ، وقَتل على بن أبى طالب منهم رجلين : مالكا وابنه .

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يامنصور أمِتْ أمت .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سَبْياً كثيراً فقسمهم فى المسلمين .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنى إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبّان ، عن ابن مُحَيْرِيز ، أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدرى فجلست إليه فسألته عن العَزْل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزة بنى المصْطَلق فأصبنا سَبياً من سبى العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزوبة ، وأحببنا العزل وقلنا نعزل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا ، ما من نَسَمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة » وهكذا رواه[مسلم] .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضِرار ، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت ابن قيس بن شَمَّاس، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة مُلاَّحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه فى كتابتها . قالت : فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أنه سيَرى منها مارأيت . فدخلتْ عليه فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخفَ عليك ، فوقعتُ فى السهم لثابت بن قيس بن شماس

أو لا بن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى .

قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلتُ .

قالت : وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويريةَ بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسَلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأةً أعظم بركةً على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الإفك بتمامها فى هذه الغزوة ، وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور ، فليلحق بكماله إلى هاهنا وبالله المستعان .

وقال الواقدى : حدثنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حِجرى ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى ، والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدى : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أباها طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها .

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الإفك :

قال ابن إسحاق : حدّثني الزهرى ، عن عَلقمة بن وقّاص وسعيد بن المسيَّب [1] وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله [2] بن عتبة ، قال الزهرى : وكلٌّ قد حدثني بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذى [3] حدثني القوم .

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهلُ الإفك ما قالوا ، فكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدِّث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها بما سمع قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرَع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كان غزوة بنى المُصْطَلق أقرعَ بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلَق [4] لم يَهجْهن اللحم فيثْقلن ، وكنت إذا رُحِّل لى بعيرى جلست فى هودجى ، ثم يأتى القوم الذين كانوا يرحِّلون لى فيحملوننى ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

---

(١) ابن هشام : سعيد بن جبير .

(٢) الأصل : وعبد الله بن عبيد الله . وما أثبته عن ابن هشام .

(٣) ابن هشام : لك الذى .

(٤) العلق : جمع علقة ، وهى كل مايتبلغ به من العيش .

قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجَّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن مؤذنٌ فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جَزْع ظَفار (١) فلما فرغتُ انسلَّ من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعتُ إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناسُ فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القومُ خلافى الذين كانوا يرحّلون لى البعيرَ وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودجَ)وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ولم يشكُّوا أنّى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعتُ إلى العسكر وما فيه داعٍ ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفَّفتُ بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو افتُقدت لرجع الناس إلىّ .

قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مرَّ بى صفوان بن المعطَّل السُّلَمى وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىّ وقد كان يرانى قبل أن يُضرب علينا الحجابُ ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون! ظَعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأنا متلففة فى ثيابى . قال : ماخلَّفك يرحمك الله؟ قالت : فما كلمته . ثم قرب إلىّ البعير فقال : اركبى . واستأخَر عنى .

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركْنا الناسَ وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك ماقالوا ، وارتجَّ العسكرُ ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يَبْلغنى من ذلك شىء .

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوىّ ، لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى ذلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تمرّضنى قال : كيف تِيكم ؟ لا يزيد على ذلك .

قالت : حتى وجدت فى نفسى فقلت : يارسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنتَ لى فانتقلتُ إلى أمى فمرّضتنى . قال : لا عليك . قالت : فانقلبت إلى أمى ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى نَقِهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنّا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم نعافها ونكرهها ، إنما كنا نخرج فى فُسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن فى كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مِسْطَح ابنة أبى رُهْم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرتْ فى مِرطها فقالت : تعس مِسْطح . ومسطح لقب واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمرو الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدراً . قالت : أو ما بلغكِ الخبر يابنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتْنى بالذى كان من قول أهل الإفك . قلت : أوَ قد كان هذا ؟ قالت : نعم . والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع كبدى . قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك تحدَّث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ! قالت : أىْ بنية خفِّفى (١) عليك الشأنَ فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثّرن وكثّر الناسُ عليها .

---

(١) ابن هشام : خفضى .

قالت : وقدقام رسول الله صلى الله عليه وسلم نخطبهم، ولا أعلم بذلك ، فحمدالله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس مابالُ رجالٍ يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ماعلمتُ عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمتُ منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى .

قالت : وكان كِبْرُ ذلك عند عبد الله بن أبىّ بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحَمْنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن امرأة من نسائه تناصينى فى المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حَمْنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارُّنى لأختها فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أُسيد بن حضير : يارسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرْنا أمرك ، فوالله إنهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم .

قالت : فقام سعد بن عبادة ، وكان قبلَ ذلك يُرى رجلا صالحاً فقال : كذبتَ لَعمر الله ما تُضرب أعناقهم ، أمَا والله ماقلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا . فقال أسيد بن حضير : كذبتَ لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

قالت : وتَساور الناسُ حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علىَّ فدعا علىَّ بن أبى طالب وأسامة ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله أهلُك وما نَعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذبُ والباطل . وأما على فإنه قال : يارسول الله إن النساء

لَكثير وإنك لقادر على أن تَسْتخلف ، وسَل الجارية فإنها ستصْدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيرة يسألها . قالت : فقام إليها علىّ فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله !

قالت : ثم دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى وعندى امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياعائشة إنه قد كان مابلَغك من قولِ الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إنْ هو إلا أن قال لى ذلك فقَلَص[1] دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوىّ أن يجيبا عنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما .

قالت : وايم الله لأنا كنت أحْقَر فى نفسى وأصغر شأناً من أن يُنزل الله فىّ قرآناً يقرأ به ويُصلِّى به ، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذّب الله به عنى لما يَعْلم من براءتى ويخبر خبراً ، وأما قرآناً ينزل فىّ فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوىّ يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ماندرى بما نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام . قالت : فلما استعجما علىّ استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتَ أبدا ، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأقولن مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت

---

(١) قلص : ارتفع .

مايقولون لا تُصدقوننى . قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبرٌ جميل والله المستعان على ماتَصِفون » قالت : فوالله مابرح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجِّى بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله مافزعت وما باليت ، قد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ماسرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتَخْرجن أنفسهمـا فرَقاً من أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس .

قالت : ثم سرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وإنه ليتحدَّر من وجهه مثل الُجمَان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرقَ عن وجهه ويقول : أبشرى ياعائشة ، قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت : قلت : الحمد لله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أُثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدَّهم .

وهذا الحـديث مخرَّج فى الصحيحين عن الزُّهرى ، وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حدَّ القذف لحسان ومن معه ، رواه أبو داود فى سننه .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسانُ الذى كان أهلَه ... وحَمْنة إذ قالوا هَجِيراً ومِسطَحُ (١)
تعاطَوْا برجْم الغيب زوجَ نبيهم ... وسَخْطةذى العرش الـكريم فأُتْرحوا (٢)
وآذوا رسولَ الله فيهـا فجلِّلوا ... مخازىَ تَبْقى عُمِّموها وفُضِّحوا

---

(١) الهجير : الفاحش من القول .

(٢) أترحوا : أحزنوا ، من الترح .

وصُبَّت عليهم مُحْصَدات كأنها شآبيبُ قَطْر فى ذُرَا المُزْن تَسْفَحُ[١]

* * *

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوانَ بن المعطَّل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء[٢] من أصحاب جَهْجَاه كما تقدم أوله هى :

أمسى الجلابيبُ قد عزُّوا وقد كثرُوا وابن الفُرَيْعة أمسى بيضةَ البلدِ[٣]

قد ثكلت أمُّه من كنتَ صاحبَه أو كان مُنتشباً فى بُرْثن الأسدِ

ما لقتيلى الذى أغدو فآخذه من دية فيه يُعْطاها ولا قَوَدِ

ما البحرُ حين تهبُّ الريح شامية فيغطَئِلُّ ويرمى العِبْرَ بالزَّبَدِ[٤]

يوماً بأغلبَ منِّى حين تُبصرنى مِلْغيظ أفرِى كفرْىِ العارضِ البَرِدِ[٥]

أمّا قريشٌ فإنى لا أسالمها حتى يُنيبوا من الغيَّاتِ للرَّشَدِ

ويتركوا اللاتَ والعزى بمعزلةٍ ويسجدوا كلهم للواحد الصمَدِ

ويشهدوا أن ماقال الرسول لهم حقٌّ فيوفوا بحق الله والوُكُدِ[٦]

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تلقَّ ذُبَابَ السيف عنى فإننى غلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

وذكر أن ثابت بن قيس بن شمّاس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وَثاقاً ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ماهذا ؟ فقال : ضرب حسانَ بالسيف . فقال عبد الله : هل عَلِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشىء من ذلك ؟ قال : لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال ابنُ المعطل : يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى

(١) المحصدات : السياط الشديدة الفتل . والشآبيب : جمع شؤبوب وهى الدفعة من المطر . والمزن : السحاب

(٢) ابن هشام : يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر .

(٣) الجلابيب : الغرباء .

(٤) يغطئل : يركب بعضه بعضا . والعبر : جانب البحر .

(٥) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب .

(٦) الوكد : العهود والمواثيق .

الغضبُ فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياحسان أتشوّهتَ على قومى إذ هداهم الله . ثم قال : أحسنْ ياحسان فيما أصابك . فقال : هى لك يارسول الله . فعوضه منها بِيرحاءٍ (١) التى تصدق بها أبو طلحة وجاريةً قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئل عن ابن المعطل فوجِد رجلا حَصُوراً مايأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافلِ (٢)

عقيلةُ حىٍّ من لؤىّ بن غالب ... كرامِ المساعى مجدُهم غيرُ زائلِ

وإن الذى قد قيل ليس بلائطٍ ... بكِ الدهر بل قيلُ امرئٍ بِىَ ماحلِ (٣)

فإن كنتُ قدقلت الذى قد زعمتُمُ ... فلا رفعتْ سَوطى إلىّ أناملى

فكيف وودّى ماحييت ونُصرتى ... لآل رسول الله زَيْنُ المحافلِ

وإن لهم عزًّا ترى الناس دونه ... قصاراً وطال العزُّ كلَّ التطاول

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهى من قوله: « إنّ الذين جاءوا بالإفك عُصْبةٌ منكم لا تَحْسبوه شرًّا لكم بل هو خير لكم ، لكلِّ امرئٍ منهم ما اكتسبَ من الإثم » إلى : « مغفرة ورزق كريم » وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف . وبالله التوفيق .

---

(١) حاء : اسم رجل أضيفت إليه البئر وفى ابن هشام : وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة .

(٢) تزن : تتهم والغرثى : الجائعة . (٣) لائط : لاصق . والماحل : الواشى .

غزوة الحديبية

وقد كانت فى ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نص على ذلك الزهرى ، ونافع مولى ابن عمر ، وقَتادة ، وموسى بن عُقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذى رواه ابن لِهَيعة عن أبى الأسود عن عروة ، أنها كانت فى ذى القعدة سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل ، عن على بن مُسْهر ، أخبرنى هشام بن عروة ، عن أبيه : قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية فى رمضان ، وكانت الحديبية فى شوال .

وهذا غريب جدا عن عروة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن هُدْبة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمَر فى ذى القعدة إلا العمرة التى مع حجته ، عمرة من الحدَيْبية فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ، ومن الجِعْرانة فى ذى القعدة حيث قسم غنائم حُنَين ، وعمرة مع حجته .

وهذا لفظ البخارى .

***

وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالا وخرج فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حَربا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيلة ابن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا

معه ، وهو يخشى من قريش أن يَعْرِضوا له بحربٍ أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْى وأحرَم بالعمرة ليأمَن الناسُ مِن حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظِّما له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم أنهما حدَّثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارَة البيت لا يريد قتالا ، وساق معه الهدْى سبعين بدَنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر ابن عبد الله فيما بلغنى يقول : كنا أصحابَ الحديبية أربع عشرة مائة .

***

قال الزُّهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بِشْر[1] بن سفيان الكعبى ، فقال : يارسول الله هذه قريش قد سمعتْ بمسيرك فخرجوا معهم العُوذ المَطافيل[2] ، قد لبسوا جلودَ النمور وقد نزلوا بذى طُوًى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموا إلى كُرَاع الغَمِيم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياويح قريش ! قد أكلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خلَّوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالِفة .[3] ثم

(١) ويقال له : بسر . كما قال ابن هشام .
(٢) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن معها أولادها . وهى كناية عن النساء معها الأطفال .
(٣) السالفة : صفحة العنق . وأراد بذلك الموت .

قال : مَن رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غير طريقهم التى هم بها ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رجلا مِن أَسْلم قال : أنا يارسول الله . فسلك بهم طريقاً وَعْرا أَجْرَل [١] بين شِعاب ، فلما خرجوا منه وقد شَقَّ ذلك على المسلمين فأفضَوا إلى أرض سهلة عند منقطَع الوادى ، قال رسول الله : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها لَلْحِطَّة التى عُرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض . فى طريق يُخْرجه على ثنيَّة الْمِرَار مَهْبطَ الْحُدَيبية من أسفل مكة .

قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتْرةَ الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك فى ثنية الْمِرَار بركت ناقته فقال الناس : خلأَتْ [٢] . فقال : ما خَلأَتْ وما هو لها بخُلق ، ولكن حبسَها حابسُ الفيل عن مكة ، لا تدْعونى قريشٌ اليومَ إلى خطة يسألونى فيها صلةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها .

***

ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يارسول الله ما بالوادى ماء يُنزَل عليه . فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به فى قَليب من تلك الْقُلُب ، فغرزه فى جوفه فجاش بالرَّواء حتى ضَرب الناسُ عنه بعطَن [٣] .

---

(١) الأجرل : الكثير الحجارة .

(٢) خلأت : حرنت وبركت من غير علة . (٣) ضرب الناس بعطن : أناخوا حول الماء بعد السقى

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب[1] ، سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البرَاء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجيةُ أسفَله يَمِيح[2] فقالت :

يأيها المائح دَلْوِى دونكا   إنى رأيت الناس يَحْمدونكا
يُثْنون خيراً ويُمجدونكا

فأجابها فقال :

قد علمتْ جاريةٌ يَمَانيه   أنى أنا المائحُ واسمى ناجيَهْ
وطعنةٍ ذات رَشاش واهِيه   طعنتُها عندَ صدور العادِيَهْ

* * *

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيْل بن وَرْقاء فى رجال من خُزاعة ، فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظّما لحرمته . ثم قال لهم نحوَ ما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تَعْجَلون على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فاتّهموهم وجَبَّهوهم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لايدخلها علينا عَنْوةً ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكانت خزاعة عَيْبة[3] نُصْحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها لا يُخْفون عنه شيئا كان بمكة .

---

(١) ذكر ابن هشام بقية نسبه .
(٢) يميح : يملأ الدلاء .
(٣) العيبة : موضع السر والخاصة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص بن الأَخْيَف أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْبلا قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبُدَيل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بعثوا بحُلَيس بن علقمة أو ابن زَبَّان وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألَّهُون فابعثوا الهَدْى فى وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدىَ يسيلُ عليه من عُرْض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحَبْس عن محلِّه رجع إلى قريش ولم يصِلْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن الُحلَيس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالَفْناكم ولا على هذا عاهدناكم ، أيُصَدُّ عن بيت الله من جاءه معظِّما له ؟ والذى نفسُ الحليس بيده لتُخَلُّن بين محمد وبين ماجاء له أو لأَنْفِرن بالأحابيش نَفْرةَ رجل واحد . قالوا : مه كُفَّ عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

* * *

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى فقال : يامعشر قريش إنى قد رأيت ما يَلْقَى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والدٌ وأنى ولد ، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيْتُكم بنفسى . قالوا : صدَقت ماأنت عندنا بمتَّهم .

نخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يامحمد أجمعتَ أَوْشَاب الناس ثم جئتَ بهم إلى بَيْضتك لتفضَّها بهم ؟ ! إنها قريشٌ قد خرجتْ معها العُوذ المَطَافيل قد لبسوا جلودَ النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عَنوة أبدا ، وأيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا .

قال : وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : امصُصْ بظرَ اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أمَا والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بهذه .

قال : ثم جعل يتناول لحيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد ، قال : فجعل يَقْرَع يده إذ يتناول لحيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : اكفُفْ يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألّا تَصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ما أفظَّك وأغلظك !

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أى غُدَر وهل غسلتَ سوأتك إلا بالأمس !

قال الزهرى : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوٍ مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولايسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشىَّ فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت مَلِكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يُسْلمونه لشىء أبداً ، فرَوْا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاش بن أمية الخزاعى فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليُبلغ أشرافَهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيشُ فخلَّوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ، أمروهم أن يُطِيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأُخذوا ، فأُتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رَموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى وليس بمكة من بنى عَدى أحد يمنعنى ، وقد عرفتْ قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ولكنى أدلك على رجل أعزَّ بها منى ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفان فبعثه إلى أبى سفيان وأشرافِ قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظّما لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أَبَان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبلَ أن يدخلها ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلَّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحتبسته قريش عندها ، فبلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد

قُتل . قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بَكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نَبْرح حتى نُنَاجزَ القومَ .

***

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون : بايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألّا نفرّ .

فبايع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدُّ بن قيس أخو بنى سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضبأ [1] إليها يستتر من الناس .

ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وَكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبى ، أن أولَ من بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرضوان أبو سِنان الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن ابن أبى مُلَيكة ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه الأخرى .

وهذا الحديث الذى ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، لكنه ثابت فى الصحيحين .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سهيلَ بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : ائتِ محمداً وصالحه ، ولا يكن فى صلحه

---

(١) ضبأ : لصق .

إلا أن يَرجع عنا عامَه هذا ، فوالله لاتتحدث العربُ أنه دخلها عَنْوة أبداً .

فأتاه سُهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقْبلا قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سُهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمرُ ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامَ نُعْطِى الدَّنية فى ديننا ؟ قال : أبو بكر : ياعمر الزم غَرْزَه (١) فإنى أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نُعطِى الدَّنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .

وكان عمر رضى الله عنه يقول : مازلت أصوم وأتصدق وأصلى وأعتق من الذى صَنَعْتُ يومئذٍ ، مخافةَ كلامى الذى تكلمته يومئذٍ ، حتى رجوت أن يكون خيرا .

* * *

قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال : فقال سُهيل :لاأعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم . فكتبها. ثم قال : اكتب : « هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيلَ بن عمرو » . قال : فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

(١) الغرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل . والمراد : اتبع أمره ولاتخالفه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمن فيهن الناسُ ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردُّوه عليه ، وأن بيننا عَيْبةً[1] مَكْفوفة ، وأنه لا إسْلال[2] ولا إغْلال ، وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْد محمد وعَهده دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عَقْد محمد وعهده . وتواثَبَتْ بنو بكر فقالوا : نحن فى عَقْد قريش وعهدهم .

وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتَها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاحُ الراكب : السيوف فى القُرب لا تَدْخلها بغيرها .

قال : فبيْنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهَيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد قد انفلتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكُّون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمَّل عليه رسول الله صلى عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيلٌ أبا جَنْدل قام إليه فضَرب وجهه وأخذ بتَلْبيبه وقال : يامحمد قد لَجَّت القضيةُ بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال: صدقتَ . فجعل يَنْتُره بتَلْبيبه ويجرُّه

(١) العيبة : موضع السر ومكفوفة : مطوية . (٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

يعنى يردّه[1] إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أُردُّ إلى المشركين يَفتنوننى فى دينى .

فزاد ذلك الناسَ إلى مابهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياأبا جَنْدل اصبر واحتسِب ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرَجاً ومخرجا . إنّا قد عقَدنا بيننا وبين القوم صُلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدَ الله ، وإنّا لا نغدر بهم » .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائمَ السيف منه .

قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب أباه ! قال : فضنّ الرجُل بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهدَ على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مَسْلمة ومِكْرَز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

***

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُضْطَرباً فى الحِلّ[2] ، وكان يصلِّى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَدْيه فنحَره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فى ذلك اليوم خِرَاش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله وسلم قد نحر وحَلق تواثبوا ينحرون ويَحْلقون .

(١) ابن هشام : ليرده .

(٢) مضطربا : كانت خيامه مقامة فى الحل .

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حَلق رجالٌ يومَ الحديبية وقصّر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرحم الله المحلِّقين » . قالوا : والمقصِّرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » قالوا : والمقصّرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلِّقين » قالوا : والمقصِّرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين » .

قالوا : يارسول الله فلم ظاهرْتَ التَّرحيمَ للمحلِّقين دون المقصِّرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

وقال عبد الله بن أبي نَجِيح : حدّثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدَى عامَ الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه بُرَةٌ من فضة ليغيظ بذلك المشركين .

هـذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخاري كما سيأتي مخالفة في بعض الأماكن لهـذا السياق كما ستراها إن شاء الله وبه الثقة . ولْنوردها بتمامها ، ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه [غناء] . إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان .

***

قال البخاري : حدّثنا خالد بن مَخْلد ، حدّثنا سليمان بن بِلال ، حدّثنا صالح بن كَيْسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم » ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر بي ، فأما من

قال: مُطرنا برحمة الله وبفضل الله فهو مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافرٌ بى » .

وهكذا رواه فى غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهرى ، وقد روى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة .

وقال البخارى : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البرَاء قال : تعدُّون الفتحَ فتح مكةَ ، وقد كان فتح مكةَ فتحاً ، ونحن نعدُّ الفتحَ بيعةَ الرضوان يومَ الحديبية ، كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرةً فبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شَفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مَضمض ودعا ثم صبَّه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدَرَتْنا ماشئنا نحن ورِكابُنا .

انفرد به البخارى .

وقال ابن إسحاق فى قوله تعالى : « فجعَل من دون ذلك فَتحاً قريباً » : صُلْح الحدَيْبية . قال الزُّهرى : فما فُتِح فى الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الُهدْنة ووضعت الحرب أوزارها وأَمِن الناسُ كلَّم بعضُهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلِّم أحدٌ فى الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل فى تَيْنك السنتين مثل من كان دخل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على ماقاله الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية فى ألف وأربع مائة رجل فى قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

وقال البخارى : حدّثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فُضَيل ، حدثنا حُصين ، عن سالم ، عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين

يديه رَكْوة فتوضأ منها ، ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا مانشرب إلا مافى رَكْوتك . فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق ، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعْد عن جابر به .

وقال البخارى : حدّثنا الصّلت بن محمد ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة قلت لسعيد بن المسيَّب : بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر : كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

تابَعه أبو داود ، حدثنا قُرَّة عن قتادة . تفرد به البخارى .

ثم قال البخارى : حدّثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحديبية : « أنتم خيرُ أهلِ الأرض » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أُبصر اليوم لأريتكم مكانَ الشجرة .

وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق ، عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال : يارسول الله لَيدخلن حاطبٌ النارَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَذبتَ لايدخلها ، شهدَ بدراً والحديبية » .

رواه مسلم .

وعند مسلم أيضا من طرق [عن] ابن جُريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابراً

يقول : أخبرتنى أمُّ ميسر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : « لايدخل أحدٌ النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : « وإنْ منكم إلا واردُها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال تعالى : « ثم ننجِّى الذين اتقَّوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثيًّا » .

قال البخارى : وقال عبيدالله بن معاذ : حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، حدثنى عبد الله بن أبى أَوْفَى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أَسْلَم ثُمن المهاجرين .

تابعه محمد بن بشَّار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شُعبة .

هكذا رواه البخارى معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثنَّى ، عن أبى داود ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن النَّضر ابن شُمَيْل كلاهما عن شعبة به .

ثم قال البخارى : حدّثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عُروة ، عن مروان والمِسْور بن مَخْرَمة ، قالا : خرج النبى صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذى الحُليفة قلَّد الهَدْى وأشعَر وأحرَم منها .

تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه .

***

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة .

وهو والله أعلم إنما قال ذلك تَفقُّهاً من تِلقاء نفسه من حيث إن البُدْن كن سبعين بدنة ، وكل منها عن عشرة على اختياره ، فيكون المهلُّون سبعمائة .

ولا يلزم أن يُهْدى كلُّهم ولا أن يُحْرِم كلهم أيضا ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعث طائفةً منهم فيهم أبو قَتادة ولم يُحْرِم أبوقتادة حتى قَتل ذلك الحمارَ الوحشىّ فأكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء الطريق فقال : هل منكم أحدٌ أمَره أن يَحْمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقى من الحمار .

وقد قال البخارى : حدّثنا شعبة بن الربيع ، حدثنا على بن المبارك ، عن يحيى عن عبد الله بن أبى قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأحرَم أصحابى ولم أُحْرِم .

* * *

وقال البخارى : حدّثنا محمد بن رافع ، حدثنا شَبابة بن سِوار الفَزارى ، حدثنا شعبة ، عن قَتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرةَ ثم أتيتها بعدُ فلم أعرفها .

حدثنا موسى ، حدثنا أبو عَوانة ، حدثنا طارق ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العامَ المقبل فعمِّيت علينا .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجًّا فمررت بقوم يصلون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبىُّ صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرضوان . فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثنى أبى أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نَقْدر عليها .

ثم قال سعيد : إنّ أصحاب محمد لم يَعْلموها ، وعَلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟

ورواه البخارى ومسلم من حديث الثورى وأبى عوانة وشَبابة عن طارق .

وقال البخارى : حدثنا سعيد ، حدثنى أخى ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عَبَّاد بن تميم قال : لما كان يومُ الحَرّة والناسُ يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن

زيد : على ما يبايع ابنَ حنظلة الناسُ ؟ قيل له : على الموت. فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان شهد معه الحديبية .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبى عبيد قلت لسلمة بن الأكوع : على أى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد .

وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم.

وفى الصحيح عن مَعْقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبايع الناسَ ، وكان أول من بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أبو سِنان ، وهو وهب بن مِحْصن أخو عُكَّاشة بن محصن ، وقيل سِنَان ابن أبى سنان .

وقال البخارى : حدّثنى شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبدَ الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك ، فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى تحدّث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عمر بن محمد العُمَرى ، أخبرنى نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجرة ، فإذا الناس مُحْدِقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله انظر

ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

تفرد به البخاري من هذين الوجهين .

ذكرى سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازي : حدّثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظتُ بعضه وثبّتني مَعْمَر ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة قلّد الهدْىَ وأشْعَره[١] وأحرم منها بعمرة وبَعث عيناً له من خزاعة .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغَدير الأشْطاط أتاه عينُه قال : إن قريشاً جَمعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت ومانعوك. فقال : أشيروا أيها الناس علىّ ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم مَحْروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت لا تريد قتلَ أحد ولا حرب أحد ، فتوجَّهْ له فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله .

هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئا على هذا .

وقال في كتاب الشهادات[٢] : حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، أخبرني الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المسْور بن مَخرمة ومروان بن الحكم ، يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

(١) أشعره : ألبسه الشعار تميزا له .   (٢) هو في كتاب الشروط صحيح البخاري ٢ / ١٠

وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن خالد ابن الوليد بالغَميم فى خيل لقريش طليعةً ، فخذوا ذات اليمين . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرة الجيش ، فانطلق يرْكض نذيراً لقريش .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثَّنِيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال النـاس : حَلْ حل [1] ، فألحت ، فقالوا : خَلأَت القصواء خـلأت القصواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماخَلأَت القصواء وما ذاك لهـا بخُلق ، ولـكن حبَسها حابسُ الفيل . ثم قال : والذى نفسى بيده لا يسألونى خطةً يعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت .

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمَد قليل المـاء يتبرّضه [2] [الناسُ [3]] تبرضاً فلم يُلبِّثه الناسُ حتى نزَحوه ، وشُـكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطشُ ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله مازال يَجِيش لهم بالرِّيّ حتى صدَروا عنـه .

فبينما هم كذلك إذا جاء بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة ــ وكانوا عَيْبَة نُصح رسول الله صلى الله عليـه وسلم من أهل تهامة ــ فقال : إنى تركت كعبَ بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعدادَ ميــاه الحديبية معهم العُوذ المَطافيل ، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نَجِئْ لقتال أحد ، ولـكن جئنا مُعْتمرين ، وإنّ قريشا قد نَهِـكتهم الحربُ وأضرّت بهم ، فإن شاءوا مادَدْتهم مدةً ويخلُّوا بينى وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جَمُّوا ،

(١) حل : كلمة تقال للناقة إذا بركت .
(٢) يتبرضه : يأخذونه قليلا قليلا .
(٣) من صحيح البخارى ٢ / ١٠

وإن هم أبَوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفردَ سالِفَتى، ولَيُنْفذن أمرُ الله .

قال بُديل : سأبلغهم ماتقول . فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا ، فإن شئتم أن نَعْرضه عليكم فعلْنا . فقال سفهاؤهم : لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشىء . وقال ذوو الرأى منهم : هات ماسمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقام عروة بن مسعود فقال : أىْ قوْمِ ، ألستُ بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أو لستم بالولد ؟ قالوا بلى . قال : فهل تتهمونى ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهلَ عكاظَ فلما بَلَّحوا [١] علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فإنّ هذا قد عرَض لكم خطةَ رُشْد اقبلوها ودعونى آتيه ، فقالوا : ائته .

فأتاه ، فجعل يكلم النبىصلى الله عليه وسلم، فقال النبىصلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبُدَيل فقال عروة عند ذلك : أىْ محمد ، أرأيت إن استأصلتَ أمرَ قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهاً وإنى لأرى أَشْواباً من الناس خَليقاً أن يَفرُّوا ويدَعوك .

فقال له أبو بكر : امصَصْ بظرَ اللات ! أنحن نفرُّ عنه وندَعه ؟ ! قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذى نفسى بيده لولا يدٌ كانت لك عندى لم أَجْزك بها لأجبتك .

قال : وجعل يكلم النبىصلى الله عليهوسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المِغْفر ، فكلما أَهْوَى عروةُ بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يدَه بنعل السيف وقال له : أخِّر

(١) بلحوا : أبطأوا .

يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه فقال . من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أَىْ غُدَر ألستُ أسعى فى غَدْرتك !

وكان المغيرة بن شعبة صَحِب قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أمّا الإسلام فأَقْبل ، وأما المال فلستُ منه فى شىء .

ثم إن عروة جعل يَرْمق أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه ، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامةً إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أَمَرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يُحدُّون إليه النظرَ تعظيما له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أىْ قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إنْ رأيت ملِكا قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحابُ محمدٍ محمداً ؛ والله إنْ تنخَّم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده[1] ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يُحدُّون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرَض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

***

فقال رجل من بنى كنانة: دعونى آتيه . فقالوا: ائته . فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون البُدْن فابعثوها له . فبُعثت له واستقبله الناس يلبُّون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلّدت وأُشعرت ، فما أرى أن يُصدوا عن البيت .

(١) لعل هذا الوصف مبالغة فى الحب والتعظيم ، كان فيه مخالفة لمبادئ الإسلام التى تدعو إلى النظافة وتحث على التطهر ، ولعل هذا لا يتناسب مع ما كان عليه المسلمون من وضاءة وطهر . ونحن لا ننكر الرواية ولكننا نحملها على المبالغة والتجوز .

فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص فقال : دعونى آتيه . قالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مِكْرز وهو رجل فاجر . فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرنى أيوب ، عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد سُهِّل لكم مِن أَمْرِكم » .

قال مَعْمَر : قال الزهرى فى حديثه : فجاء سُهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتبَ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أمّا الرحمن فوالله ماأدرى ماهو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .

ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسولُ الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى ، اكتب محمد ابن عبد الله .

قال الزهرى : وذلك لقوله : لا يسألونى خُطةً يعظِّمون فيها حرماتِ الله ، إلا أعطيتهم إياها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به .

قال سهيل : والله لاتتحدث العرب أنا أُخذنا ضُغطةً ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لايأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا .

قال المسلمون : سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلما .

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْـدل بن سهيل بن عمرو يَرْسف فى قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يامحمـد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلىّ . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنا لم نَقْض الـكتاب بعد . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شىء أبداً.. قال النبى صلى الله عليه وسلم : فأجِزْه لى . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعـل . قال : ما أنا بفاعل . قال مِـكْرَز : بلى قد أجزناه لك .

قال أبو جندل : أىْ معشرَ المسلمين أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ،ألاَ ترون ماقد لقيت ؟! وكان قد عذِّب عذاباً شديداً فى الله . فقـال عمر رضى الله عنـه : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألستَ نبىَّ الله حقًّا ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نُعْطِى الدَّنِيَّة فى ديننا إذن ؟ .

قال : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصِرى .

قلت : أو لستَ كنت تحدِّثنا أنا سنأتى البيتَ فنطوف به ؟ قال :« بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العامَ » ؟ قال : قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطوِّف به » .

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : ياأبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نعطى الدَّنية فى ديننا إذن . قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربَّه وهو ناصره ، فاستمسكْ بغَرْزه فوالله إنه على الحق .

قلت : أليس كان يحدّثنا أنا سنأتى البيتَ ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام . فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومُطوّف به .

قال الزهرى : قال عمر : فعملتُ لذلك أعمالا .

قال : فلما فرغ من قضية الـكتاب قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا .

قال : فوالله ماقام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس ؛ فقالت أم سلمة : يانبيّ الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تـكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقَك فيَحْلقك .

فخرج فلم يـكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : « يا أيهـا الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتحنوهن » حتى بلغ « بعصَم الـكوافر » فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشِّرك . فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبو بَصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا : العهدَ الذى جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا يافلان جيدا . فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربتُ به ثم جربت . فقـال أبو بصير : أرنى أنظر إليـه . فأمـكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : « لقد رأى هذا ذُعرا » .

فلما انتهى إلى النبى صلى الله عليـه وسلم قال : قُتل والله صاحبى وإنى لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يانبى الله قد والله أوْفَى اللهُ ذمتك ، قد رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « وَيْل أمه ! مسْعَر حربٍ لو كان له أحدٌ ! »

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سِيفَ البحر .

قال : وينفلت منهم أبو جَندل بن سُهيل بن عمرو فلحق بأبى بَصير ، فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عِصابة ، فوالله مايسمعون

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم .

فأرسلتْ قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لمّا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن ،فأرسل النبي صلىالله عليه وسلم إليهم .فأنزل اللهتعالى : « وهو الذى كفّ أيديَهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظْفَركم عليهم » حتى بلغ : « الحميَّة حميّة الجاهلية » .

وكانت حَميتهم أنهم لم يقرُّوا أنه نبي الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت .

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى ، فقد رواه عن الزهرى عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومَعْمَر ومحمد بن إسحاق ، كلهم عن الزهرى عن عروة عن مروان ومِسْوَر ، فذكر القصة .

* * *

وقد رواه البخارى فىأول كتاب الشروطعن يحيى بن بُكير ، عن الليث بن سعد، عن عُقيل عن الزهرى عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة .

وهذا هو الأشبه ، فإن مروان ومِسْوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

وقال البخارى : حدّثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا مالك ابن مِغْوَل ، سمعت أبا حُصين قال : قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفّين أتيناه نستخبره فقال : اتهِموا الرأىَ ، فلقد رأيتُنى يوم أبى جَندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَهلرَددْت ، واللهُ ورسوله أعلم ، وماوضَعْنا أسيافَنا

عن عواتقنا لأمر يُفْظِعنا إلا أسهَلْن بنا إلى أمرٍ نعرفه ، قبل هذا الأمر مانَسُدُّ منها خُصْماً إلا انفجر علينا خُصْمٌ (١) ما ندرى كيف نأتى له .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتْك أمُّك ياعمر ، نَزَرْتُ (٢) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك .

قال عمر : فحركتُ بعيرى ثم تقدمت أمامَ المسلمين ، وخشيت أن ينزل فى قرآن ، فما نَشِبْتُ أن سمعت صارخاً يصرُخ بى ،قال: فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن.

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : « لقد أنزلت علىّ الليلة سورة لَهِيَ أحبُّ إلىّ مما طلعتْ عليه الشمس » ثم قرأ : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

---

(١) الخصم : الجانب . ويريد بهذا الأمر : الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية .
(٢) نزرت : ألححت عليه .

فصل فى ذكر السرايا والبعوث
التى كانت فى سـنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ماأورده الحافظ البيهقى عن الواقدى :

فى ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عُـكَّاشة بن مِحْصَن فى أربعين رجلا إلى [غرو مرزوق][1] فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث فى آثارهم وأخذ منهم مائتى بعير فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بَعْث أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصّة بأربعين رجلا أيضاً ، فساروا إليهم مشاةً حتى أتوها فى عِماية الصُّبح ، فهربوا منه فى رءوس الجبال ، فأَسَرمنهم رجلا فقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبَعْثه محمد بن مَسْلمة فى عشرة نفر وكمن القوم لهم حتى باتوا [فقُتِل[2]] أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وأفلت هو جريحا .

وفيها كان بَعْث زيد بن حارثة بالجَمُوم[3] فأصاب امرأةً من مزينة يقال لها حليمة ، فدلتهم على محلة من مَحالّ بنى سليم فأصابوا منهـا نَعما وشاءً وأسروا [جماعة من المشركين][4] وكان فيهم زوج حليمة هـذه فوهبه رسول الله صـلى الله عليـه وسلم لزوجها وأطلقهما .

وفيها كان بَعْث زيد بن حارثة أيضـا فى جمادى الأولى إلى بنى ثعلبة فى خمسـة عشر رجلا ، فهربت منـه الأعراب ، فأصاب من نعمهم عشرين بعـيراً ثم رجع بعـد أربع ليال .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من المواهب . (٢) سقطت من الأصل .

(٣) الأصل : الحموم . وما أثبته من المواهب . (٤) سقطت من الأصل وأثبتها من المواهب .

وفيها خرج زيدُ بن حارثة فى جمادى الأولى إلى العِيص .

قال : وفيها أُخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته .

وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أُخذت العير التى كانت معه وقُتل أصحابه وفرَّ هو من بينهم حتى قدِم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجرت بعدَ بدر ، فلما جاء المدينةَ استجار بها فأجارتْه بعد صلاة الصبح ، فأجاره لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناسَ بردِّ ما أَخذوا من عيره ، فردُّوا كلَّ شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة وأدَّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلَم ، وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته بالنكاح الأول ولم يُحْدث نكاحا ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهِجْرتها ستُّ سنين ، ويروى سنتين .

وقد بيَّنا أنه لا منافاة بين الروايتين ، وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين ، وكان إسلامه فى سنة ثمان فى سنة الفتح لا كما تقدم فى كلام الواقدى من أنه سنة ست . فالله أعلم .

وذكر الواقدى فى هذه السنة أن دِحْية بن خليفة الكَلْبى أقبلَ من عند قيصر ، قد أجازه بأموال وخلَع ، فلما كان بحُسْمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئا ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة أيضا رضى الله عنه .

قال الواقدى : حدثنى عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج علىّ رضى الله عنه فى مائة رجل إلى أن نزل إلى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يُمدُّوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل

وكَمَن بالنهار وأصاب عيناً لهم ، فأقرّ له أنه بُعث إلى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

قال الواقدى رحمه الله تعالى : وفى سنة ست فى شعبان كانت سَرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُوَمة الجنْدل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم ، فأسلم القومُ وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الإصبع الكلبية ، وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

* * *

قال الواقدى : فى شوال سنة ست كانت سَرية كُرْز بن جابر الفِهْرى إلى العُرَنيِّين الذين قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النَّعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كرزَ بن جابر فى عشرين فارسا فردّوهم .

وكان مِن أَمْرهم ما أخرجه البخارى ومسلم ، من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطاً من عُكْل وعُرَينة ـ وفى رواية : من عكل أو عرينة ـ أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله إنا أناسٌ أهلُ ضَرْع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخَمْنا المدينة . فأمَر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذَوْدٍ[1] وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الَحرّة قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذّود وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَر[2] أعينهم وتركهم فى الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك .

قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب بعد ذلك حَضّ على الصدقة ونهى عن المُثْلة .

---

(١) الذود : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر . (٢) سمر : فقأ .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفى رواية مسلم عن معاوية بن قُرة عن أنس ، أن نفراً من عُرينة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع فى المدينة المُوم ـ وهو البِرْسَام [1] ـ فقالوا : هذا المُوم قد وقَع يارسول ، لو أذِنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : نعم فاخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالإبل .

وعنده : سار من الأنصار قريبُ عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم ، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمر أعينهم .

وفى صحيح البخارى من طريق أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس ، أنه قال : قدم رهط من عُكل فأسلموا واجتووا المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال : الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ماشاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الإبل فجاء الصريخُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم ، وألقاهم فى الحرة يَسْتسقون فلا يُسقون حتى ماتوا ولم يَحْمِهم .

وفى رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يَكْدم الأرضَ بفيه من العطش .

قال أبو قَلابة : فهؤلاء قَتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقى من طريق عثمان بن أبى شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبى الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث فى آثارهم قال : اللهم عمِّ عليهم الطريقَ ، واجعلها عليهم أضيقَ من مَسْك جمل ، قال : فعمَّى الله عليهم السبيل ، فأُدركوا فأتى بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم .

وفى صحيح مسلم : إنما سَملهم لأنهم سَملوا أعينَ الرِّعاء .

---

(١) البرسام : ذات الجنب . وهو التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة .

فصل فيما وقع من الحوادث فى هذه السنة

أعنى سنة ست من الهجرة .

فيها نزل فَرْض الحج ، كما قرره الشافعى رحمه الله زمن الحديبية فى قوله تعالى « وأتمُّوا الحجّ والعُمْرة لله » .

ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخى لا على الفور ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا فى سنة عَشر .

وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومَنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى : « وأتِمُّوا الحجَّ والعمرة لله » وإنما فى هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية .

وفى هذه السنة حرِّمت المسلماتُ على المشركين ، تخصيصاً لعموم ماوقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان على دينك إلا رَدَدْته علينا ، فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتحنوهن الله أَعْلم بإيمانهن ، فإن عَلِمتموهن مؤمناتٍ فلا تَرْجعوهن إلى الكفار ، لاهن حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن » الآية .

وفى هذه السنة كانت غزوة المرَيْسيع التى كان فيها قصة الإفك ونزول براءة أمْ المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية ، وما كان من صَدِّ المشركين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأَمِن الناسُ فيهنّ

بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال . وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً فى أماكنه ولله الحمد والمنة . وولى الحجَّ فى هذه السنة المشركون .

قال الواقدى : وفيها فى ذى الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستةَ نفر مصطحبين حاطبَ بن أبى بَلْتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية. وشجاعَ بن وهب ابن أسد بن جُذيمة شهد بدراً إلى الحارث بن أبى شمَّر الغَسانى يعنى ملك عرب النصارى، ودِحْيَة بن خليفة الـكلبى إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حُـذافة السَّهمى إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامرى إلى هَوْذة بن على الحنفى ، وعمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الُحرِّ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر فى أولها

قال شُعبة عن الحاكم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله : « وأثابهم فتحاً قريباً » قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة : لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر ، وهى التى وعده الله إياها .

وحكى موسى عن الزهرى أن افتتاح خيبر فى سنة ست والصحيح أن ذلك فى أول سنة سبع . كما قدمنا .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرَّم ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

وقال يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق عن الزُّهرى ، عن عروة عن مروان والمِسْور قالا : انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينةَ فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرَّجِيع : وادٍ بين [خيبر و] غطفان فتخوّف أن تُمدهم غطفان ، حتى أصبح فغدا عليهم .

قال البيهقى : وبمعناه رواه الواقدى عن شيوخه فى خروجه أول سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس : عن إسحاق ، حدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : لما كان افتتاح خيبر فى عقيب المحرم ، وقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر صفر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله الليثى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خُثَيم يعنى ابن عراك ، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة فى رهط من قومه والنبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفطة يعنى الغطفانى على المدينة . قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى كهيعص وفى الثانية ويل للمطففين ، فقلت فى نفسى : ويلٌ لفلان إذا اكتال [اكتال] بالوافى وإذا كالَ كال بالناقص .

قال : فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا فى سهامهم .

وقد رواه البيهقى من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيم بن عراك ، عن أبيه عن نفر من بنى غِفَار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

***

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبنى له فيها مسجداً ثم على الصَّهباء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحُول بينهم وبين أن يُمدُّوا أهلَ خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغنى أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهودَ عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً سمعوا خلفَهم فى أموالهم وأهليهم حسًّا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أموالهم وأهليهم وخلَّوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مَسْلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن

بشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء ـ وهى من أدنى خيبر ـ صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسَّويق فأمر به فثرّى فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضأ .

* * *

وقال البخارى : حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر : ياعامر ألا تُسمعنا من هُنَيهاتك ؟ وكان عامر رجلا شاعراً . فنزل يحدو بالقوم يقول :

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تَصَدَّقنا ولا صلَّينا

فاغفر فداءً لك ما أبقَيْنا وألقينْ سكينةً علينا

وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا إنا إذا صِيحَ بنا أبينا

وبالصياح عَوَّلوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : يرحمه الله ! فقال رجل من القوم : وجبت يانبى الله لولا أمتعْتَنا به !

فأتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة . ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه النيران على أى شىء توقدون ؟ قالوا : على لحم . قال : على أى لحم ؟ قالوا : لحم الحمر الإنسية . قال النبى صلى الله عليه وسلم : أهريقوها واكسروها . فقال رجل : يارسول الله أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصافَّ الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدى قال : مالك ؟ قلت : فداك أبى وأمى

زعموا أن عامراً حبط عمله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب من قاله ، إن له لأجرين – وجمع بين إصبعيه – إنه لجاهدٌ مجاهد قلَّ عربى مشى بها مثلَه .

ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبى عبيد مثله . ويكون [مثلَه] منصوباً على الحالية من نكرة ، وهو سائغ إذا دلت على تصحيح معنى، كما جاء فى الحديث «فصلى وراءه رجال قياما ».

* * *

وقد روى ابن إسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمى ، أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يابن الأكوع نخذ لنا من هناتك ». قال : فنزل يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لولا الله ما اهتــدينا ولا تَصَــدَّقنا ولا صَلَّينَا
إنّا إذا قومٌ بغَوا علينــا وإن أرادو فتنةً أَبيْنَا
فأنزلنْ سكينــةً علينــا وثبِّت الأقدامَ إنْ لاقينَا

فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : يرحمـك ربك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت يارسول الله لوأَمْتعتَنا به . فقتــل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفةَ قتله كنحو ماذكره البخارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى ، عن أبيه عن أبى معتب بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرفَ على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : « اللهم ربَّ السموات وما أظْلَلن ورب الأرضين وما أقْلَلْن ، وربَّ الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وماأذْرَين ، فإنا نسألك خيرَ هــذه القرية

وخير أهلها وخير مافيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيهـا ، أَقْدِموا بسم الله » .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العُطاردى ، عن يونس ابن بُكَير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن صالح بن كَيْسان ، عن أبى مروان الأسلمى ، عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر حتى إذا كنا قريباً وأشرفْنا عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قفوا . فوقف الناس فقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظلَلْن ، ورب الأرضين السبع وما أقلَلْن ، ورب الشياطين وما أضللن ، فإنا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغرْ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسَك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبرَ ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى أصبح لم يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه وركبتُ خلفَ أبى طلحة وإنّ قدمى لَتمسُّ قدمَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، واستقبلْنا عمالَ خيبر غادين قد خرجوا بمَساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأدْبروا هُرَّاباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحـة قوم فساء صباحُ المنذَرين .

قال ابن إسحاق : حدّثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخارى : حدّثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلا وكان إذا أتى قوماً بليل لم يُغِرْ بهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهودُ بمسَاحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدّثنا صدَقة بن الفضل ، حدثنا أبو عُيينة ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : صبَّحنا خيبرَ بكرةً فخرج أهلها بالمسَاحى ، فلما بصروا بالنبى صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. قال : فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس .

تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم ، فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبحَ قريباً من خيبر بغلس ، ثم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبى صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبَى الذرية

وكان فى السبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أأنت قلت لأنس : ما أصْدقها ؟ فحرّك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخارى ومسلم النهىَ عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تذكر فى كتاب الأحكام .

* * *

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو طاهر الفقيه ، أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسى ، حدثنا محمد بن حميد الأَبْيوردِىّ ، حدثنا محمد بن الفضل ، عن مسلم الأعور المَلاَئى ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعود المريضَ ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنَّضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مَخْطوم برسَن ليف وتحته إكافٌ من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامة الترمذى ، عن على بن حجر ، عن على بن مُسْهر ، وابن ماجه ، عن محمد بن الصباح ، عن سفيان ، وعن عمر بن رافع عن جرير ، كلهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان المُلاَئِى الأعور الكوفى ، عن أنس به . وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعف .

قلت : والذى ثبت فى الصحيح عند البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فى رفاق خيبر حتى انحسر الإزارُ عن فخذه ، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار .

ولعل هـذا الحديث إن كان صحيحا محمول على أنه ركبه فى بعض الأيام وهو محاصرها . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن سعيد الخزاعى ، حدثنا زياد بن الربيع ، عن

أبى عمران الجونى ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسةً فقال : كأنهم الساعةَ يهودُ خيبر .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مَسْلمة ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبى عُبيد ، عن سلَمة بن الأكوع قال : كان علىّ بن أبى طالب تخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر وكان رَمِداً ، فقال : أنا أتخلّف عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فلحق به .

فلما بِتْنا الليلَة التى فُتحت خيبر قال : لأُعطين الراية غداً ، أو ليَأخذنّ الراية غداً ، رجلٌ يحبه الله ورسوله يفْتَح عليه . فنحن نَرْجوها ، فقيل : هذا علىٌّ . فأعطاه ففُتح عليه .

وروى البخارى أيضاً ومسلم عن قُتيبة عن حاتم به .

ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبى حازم قال : أخبرنى سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يَدُوكون[1] ليلتهم أيُّهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غَدَوْا على النبى صلى الله عليه وسلم كلّهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : أين علىّ بن أبى طالب ؟ فقالوا : هو يارسول الله يشتكى عينيه . قال : فأرسل إليه فأتى ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علىّ : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أنفُذْ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعم .

(١) يدوكون : يختلفون ويسألون .

وقد رواه مسلم والنسائى جميعاً عن قتيبة به .

وفى صحيح مسلم والبيهقى من حديث سُهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الرايةَ غداً رجلا يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله وسوله يَفْتح الله عليه » .

قال عمر : فما أحببتُ الإمارة إلا يومئذ !

فدعا عليًّا فبعثه ثم قال : « اذهب فقاتلْ حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت » قال على : على ما أقاتِلُ الناسَ ؟ قال : قاتلْهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد مَنعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابُهم على الله » .

لفظ البخارى .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُصعب بن المِقْدَام وجحش بن المثنى ، قالا : حدثنا إسرائيل ، حدثنا عبد الله بن عِصْمة العِجْلى ، سمعت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الرايةَ فهزَّها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا . قال : امض . ثم جاء رجل آخر فقال : امض . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذى كرَّم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفرُّ » فقال : هاكَ يا على .

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفَدَك وجاء بعَجْوتها وقَديدها .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة .

وعبد الله بن عصمة ، ويقال ابن أعصم ، وهكذا يكنى بأبى علوان العِجْلى ، وأصله من اليمامة سكن الكوفة ، وقد وثَّقه ابنُ معين ، وقال أبو زُرْعة : لا بأس به ، وقال

أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبّان فى الثقات ، وقال : يخطئ كثيراً . وذكره فى الضعفاء ، وقال : يحدث عن الأثبات مما لا يُشْبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى بُريدة بن سفيان بن فَرْوة الأسلمى ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع رضى الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فَتْحٌ وقد جَهد .

ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فَتْح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، وليس بفرّار .

قال سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو يومئذ أرْمَد ، فتفل فى عينيه ثم قال : « خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك » .

فخرج بها والله يَأْنح(١) يهرولُ هرولةً ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته فى رَضْم(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودىٌّ من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . فقال اليهودى : غَلبتم وما أُنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا العُطَارِدىّ ، عن يونس بن بُكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، أخبرنى أبى ، قال : لما كان يومُ خيبر أخذ اللواء

(١) يأنح : من لأنيح وهو علو النفس من شدة العدو . وتروى : يصول .
(٢) الرضم : حجارة بعضها فوق بعض ، من غير بناء .

أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له ، وقُتل محمود بن مسلمة ورجع الناس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأدفعن لوائى غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ،لن يرجع حتى يفتح الله له » فبِتْنا طيِّبةً نفوسناأنّ الفتحَ غداً ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، ثم دعا باللواء وقام قائما ، فما منا مِن رجل له منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولتُ أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى منه ، فدعا علىَّ بن أبى طالب وهو يشتكى عينيه . قال : فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففُتح له ، فسمعت عبد الله بن بُريدة يقول : حدثنى أبى أنه كان صاحب مَرْحب .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسْلمة ألقيت عليه رحًى منه فقتلته .

* * *

ثم روى البيهقى ، عن يونس بن بكير ، عن المسيَّب بن مَسْلمة الأزْدى ، حدثنا عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشَّقيقة[1] فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشَّقيقةُ فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأُخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لأعطينها غداً [رجلاً] يحب الله ورسوله ويحبه اللهُ ورسولُه يأخذها عَنْوة » وليس ثمَّ علىٌّ ، فتطاولت لها قريش ، ورجا كلُّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح وجاء على بن أبى طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أَرْمد قد عَصب عينه بشقة بُرْد

---

(٣) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .

قطرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك . قال : ادنُ منى . فتفل فى عينه فما وجِعها حتى مضى لسبيله .

ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبةُ أرجوانٍ حمراء قد أخرج خَمْلها ، فأتى مدينة خيبر وخرج مَرْحَب صاحب الحصن وعليه مِغْفر يمانى وحَجر قد ثقَبه مثلَ البَيْضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أنى مَرْحَبْ شاكٍ سلاحى بطَلٌ مجرَّبْ
إذا الليوثُ أقبلتْ تَلَهبْ وأحجَمَتْ عن صولةِ المغلّبْ

فقال علىّ رضى الله عنه :

أنا الذى سمَّتنى أمى حَيْدَره كلَيْث غاباتٍ شديدِ القَسْوره
أكيلكم بالصاع كيلَ السَّنْدَرَه[1]

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدَره علىّ بضربة فقدَّ الحجرَ والمغفرَ ورأسه ، ووقع فى الأضراس ، وأخذ المدينة .

* * *

وقد روى الحافظ البزّار عن عبّاد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكر ، عن حكيم ابن جُبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قصة بَعْث أبى بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علىّ فكان الفتح على يديه . وفى سياقه غرابة ونكارة وفى إسناده من هو متهم بالتشيع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقى واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلَمة ابن الأكوع عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلا وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بنى فَزارة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

---

(١) السندرة : ضرب من الكيل غراف جراف .

والله لولا أنت ما اهتدَيْنــا ولا تَصدَّقنــا ولا صلَّينَا
ونحن مِن فَضْلك ما استغنَيْنا فأنزِلنْ سكينةً علينــا
وثبِّت الأقدامَ إنْ لاقَينَا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال : غفر لك ربك . قال : وما خصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحداً به إلا استُشْهد. فقال عمر وهو على جمل : لولا متَّعتنا بعامر !

قال : فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أنى مَرْحَبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ
إذا الحروبُ أقبلتْ تَلهَّبُ

قال : فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى عامرُ شاكى السلاح بطلٌ مغامرُ

قال : فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مَرْحب فى تُرْس عامر فذهب يَسْفُل له(١) ، فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه .

قال سلمة : فخرجتُ فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : بطل عملُ عامر قتلَ نفسَه !

قال : فأتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال : مالك ؟ فقلت : قالوا : إن عامراً بطل عملُه . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال : كذب أولئك ، بل له الأجرُ مرتين .

قال : وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على رضى الله عنه يدعوه وهو أرْمد وقال : لأعطينَّ الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله . قال: فجئت به أقوده . قال : فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينه فبرأ ، فأعطاه الراية ، فبرز مَرحب وهو يقول :

---

(١) يسفل : ينشط .

قد علمتْ خيبرُ أنى مَرْحبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تلهبُ

قال : فبرز له علىّ وهو يقول :

أنا الذى سمَّتنى أمى حَيدره كليث غاباتٍ كريه المَنْظَره
أوفيهم بالصاع كيلَ السَّنْدَره

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح .

هكذا وقع فى هذا السياق أن علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله .

وقال أحمد : حدّثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدثنى قابوس بن أبى ظَبْيَان ، عن أبيه عن جده عن على قال : لما قتلتُ مرحباً جئت برأسه إلى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى موسى بن عُقبة عن الزهرى ، أن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مَسْلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن سهل أحد بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مَرْحبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ
أَطعن أحياناً وحيناً أضرِبُ إذا الليوث أقبلت تلهَّبُ
إن حِماىَ لَلْحِمَى لا يُقْربُ

قال : فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خيبر أنى كعبُ مفرِّجُ الغماء جَرْئٌ صلبُ
إذ شبَّت الحربُ وثارَ[1] الحربُ معى حُسامٌ كالعَقيق عَضْبُ
يَطَأْكُمُ حتى يَذِلَّ الصعبُ بكفِّ ماضٍ ليس فيه عيبُ

قال : وجعل مَرْحب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله

(١) ابن هشام : تلتها الحرب

عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مَسْلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر ، قتلوا أخى بالأمس . فقال : قم إليه اللهم أعنْه عليه .

قال : فلمادنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمْرِية [1] من شجر العُشَر [2] المَسْد [3] ، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه ، حتى برز كلٌ واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرَّجل القائم مافيها فَنَن ، ثم حمل على محمد بن مَسْلمة فضربه فاتقاه بالدَّرْقة فوقع سيفه فيها فعضَّتْ [به] ، فاستلَّه وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمتْ خيبرُ أنى ماضٍ حلوٌ إذا شئتُ وسَمٌ قاضٍ

وهكذا رواه الواقدى عن جابر وغيره من السلف ، أن محمد بن مَسْلمة هو الذى قتل مرحباً .

ثم ذكر الواقدى أن محمداً قطع رجلى مَرْحب فقال له : أجهز علىَّ . فقال : لا ، ذُق الموتَ كما ذاقه محمود بن مَسْلمة . فمرَّ به علىٌ وقطع رأسه ، فاختصما فى سَلبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدبن مسلمةسيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيفُ مَرْحبْ من يذقه يَعْطَبْ

***

(١) العمرية : القديمة .
(٢) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه .
(٣) المسد : الشديد الفتل . ولم ترد هذه الكلمة فى ابن هشام .

ثم ذكر ابن إسحاق أن أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز ؟

فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أم صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يا رسول الله . فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فالتقيا فقتله الزبير .

قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إنْ كان سيفك يومئذ صارما يقول : والله ما كان بصارم ولكنى أكْرهته .

وقال يونس عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع على إلى خيبر، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح تُرْسه من يده ، فتناول علىٌّ بابَ الحصن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نَجْهَد على أن نقلب ذلك البابَ فما استطعنا أن نَقْلبه .

وفى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقى والحاكم من طريق مُطَّلب بن زياد ، عن ليث بن أبى سليم ، عن أبى جعفر الباقِر ، عن جابر ، أن علياً حَمَل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها، وإنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا !

وفيه ضعف أيضاً . وفى رواية ضعيفة عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلا وكان جَهْدهم أن أعادوا البابَ .

وقال البخارى : حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبى عبيد ، قال : رأيت أثر ضربةٍ فى ساق سلَمة ، فقلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتنى

يوم خيبر فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نَفَثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة .

***

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مَسْلمة ، حدثنا ابن أبى حازم ، عن أبيه عن سهل ، قال : التقى النبى صلى الله عليه وسلم والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كلٌّ قوم إلى عسكرهم ، وفى المسلمين رجلٌ لايَدع من المشركين شاذَّةً ولافاذَّة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يارسول الله ما أَجْزَأ منا أحدٌ ماأجزأ فلان . قال : إنه من أهل النار . فقالوا : أيُّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ ! فقال رجل من القوم : لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جُرح فاستعجَل الموتَ فوضع نصابَ سيفه بالأرض وذُبَابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فجاء الرجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : وماذاك؟ فأخبره فقال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة .

رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب ، عن أبى حازم ، عن سهل . فذكره مثله أو نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمَان ، حدثنا شُعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى سعيد ابن المسيَّب أن أبا هريرة قال : شهدْنا خيبرَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدَّعى الإسلام : هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجلُ أشدَّ القتال حتى كثرت به الجراحةُ ، حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجلُ ألم جراحه فأهْوَى بيده إلى كِنانته فاستخرج منها أسهماً فنحَر بها نفْسه ، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين فقالوا: يارسول الله صدَّق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : قم يا فلان فأذِّن : إنه لا يدخل

الجنةَ إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدينَ بالرجل الفاجر ! » .

***

وقد روى موسى بن عُقبة عن الزهرى قصة العبد الأسود الذى رزقه الله الإيمان والشهادة فى ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لَهِيعة عن أبى الأسود ، عن عروة قالا : وجاء عبدٌ حبشى أسود من أهل خيبر كان فى غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى .

فوقع فى نفسه ذِكر النبى فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إلى ما تدعو؟ قال : أدعوك إلى الإسلام ، إلى أن تشهدأن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وألّا تعبد إلا الله . قال : فقال العبد : فماذا يكون لى إن شهدتُ بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنةُ إن مِتَّ على ذلك .

فأسلم العبد فقال: يانبى الله إن هذه الغنم عندى أمانة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرِجْها من عَسكرنا وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث فى إعطائه الراية عليًّا ودنوّه من حصن اليهود وقتله مَرحباً ، وقُتل مع علىّ ذلك العبد الأسود ،فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فأُدخل فى الفسطاط، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطَّلع فى الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام فى قلبه حقاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ! » .

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق ابن وهب ، عن حَيْوة بن شُريح عن ابن الهادّ، عن شُرَحْبيل بن سعد ، عن جابر بن عبدالله ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى غزوة خيبر، فخرجت سَرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قُتل شهيداً وما سَجد لله سجدة !

ثم قال البيهقى : حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه ، حدثنا أبو بكر القطان ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لى ، فإنْ قاتلتُ هؤلاء حتى أُقتل أدخل الجنة ؟ قال : نعم .

فتقدم فقاتل حتى قُتل ، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال : لقد حسَّن الله وجهك وطيَّب ريحك وكثر مالك وقال : « لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه ، يَدْخلان فيما بين جلده وجُبته » .

ثم روى البيهقى من طريق ابن جُريج ، أخبرنى عِكْرمة بن خالد ، عن ابن أبى عمار ، عن شدَّاد بن الهادّ ، أن رجلا من الأعراب جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه فقال : أهاجر معك . فأوصَى به النبى صلى الله عليه وسلم بعضَ أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقسمه وقَسم له ، فأعطى أصحابه ماقسم له وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ماهذا ؟ قالوا : قَسْمٌ قَسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماعلى هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن أُرْمَى هاهنا ، وأشار إلى حَلْقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إنْ تَصْدُق الله يَصْدُقك » .

ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأُتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحْمل وقد أصابه سهمٌ حيث أشار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هو هو ؟ قالوا : نعم . قال : « صدَق الله فصدَقه » .

وكفنه النبى صلى الله عليه وسلم فى جبة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قدَّمه فصلى

عليه وكان مما ظَهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُك خرج مهاجراً فى سبيلك قُتل شهيداً وأنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائى عن سُويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصل

قال ابن إسحاق : وتدنَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموالَ يأخذها مالا مالا ويفتتحها حصناً حصناً ، وكان أول حصونهم فُتِح حصنُ ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مَسلمة ، أُلقيت عليه رحًى منه فقتلته . ثم القَمُوص حصن بنى أبى الحقَيْق .

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الرَّبيع بن أبى الحقَيق وبنتى عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دِحْية بن خليفة قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها .

قال : وفَشَت السَّبايا من خيبر فى المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر فذكر نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عن أكلها .

وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل ، فأورد النهىَ عنها من طرق جيدة .

وتحريمُها مذهبُ جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة .

وقد ذهب بعض السلف ، منهم ابن عباس إلى إباحتها ، وتنوَّعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة فى النهى عنها .

فقيل : لأنها كانت ظَهراً يستعينون بها فى الحمولة . وقيل : لأنها لم تكن خُمِّست بعد . وقيل : لأنها كانت تأكل العَذِرة ، يعنى جَلَّالة .

والصحيح أنه نُهى عنها لذاتها ، فإن فى الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله يَنْهيانكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس .

فأكفأوها والقدوُر تفورُ بها .

وموضع تقرير ذلك فى كتاب الأحكام .

قال ابن إسحاق : حدثنى سلَّام بن كِرْكِرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناسَ عن أكل لحوم الحمر أَذِن لهم فى لحوم الخيل .

وهذا الحديث أصله ثابت فى الصحيحين ، من حديث حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن على ، عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحُمر ورخَّص فى الخيل .

لفظ البخارى .

قال ابن إسحاق : وحدّثنا عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مكحول ، أن النبى صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأَهْلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تُقسم .

وهذا مرسل .

***

وقال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تَجِيب ، عن حَنَش الصَّنْعانى ، قال : غزونا مع رُوَيفع بن ثابت الأنصارى المغْربَ ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جِربة ، فقام فينا خطيباً فقال : أيها الناس إنى لا أقول فيكم إلا ماسمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرعَ

غيره ، يعني إتيان الحبالى من السبي ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنما حتى يُقْسم ،ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم والآخر أن يركب دابة من فَيْء المسلمين حتى إذا أَعْجفها ردَّها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن باللهواليوم الآخر أن يلبس يوما مِن فَيء المسلمين حتى إذا أخْلَقه ردَّه فيه .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمرو الشَّيبانى ، عن ابن وهب، عن يحيي بن أيوب ، عن ربيعة بن سليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رويفع بن ثابت مختصراً . وقال : حسن .

وفى صحيح البخارى عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثُّوم .

وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحُنْبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النَّيء . والذى نقله الترمذى عنهما الكراهة . فالله أعلم .

***

وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى ، عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن الحنفية ، عن أبيهما ، عن أبيه على بن أبي طالب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية .

هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره ، عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر .

وهو مُشْكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثمَّ نساء يتمتعون بهن ، إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسِّبَاء عن نكاح المتعة .

الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبْرة ، عن مَعْبَد عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذِن لهم فى المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة .

فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذِن فيها ثم حُرمت ، فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد .

ومع هذا فقد نصَّ الشافعى على أنه لايعلم شيئاً أبيح ثم حُرِّم ، ثم أبيح ثم حرم ، غير نكاح المتعة . وما حداه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه (١) .

وقد حكى السُّهيلى وغيره عن بعضهم أنه ادَّعى أنها أبيحت ثلاثَ مرات ، وحُرمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جداً . والله أعلم .

واختلفوا أىَّ وقتٍ أول ما حُرمت ، فقيل : فى خيبر . وقيل : فى عُمْرة القضاء . وقيل : فى عام الفتح . وهذا يظهر . وقيل : فى أوطاس . وهو قريب من الذى قبله . وقيل : فى تبوك . وقيل : فى حجة الوداع .

رواه أبو داود .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن الحسن وعبد الله ابنى محمد عن أبيهما ، وكان حَسنٌ أرضاهما فى أنفسهما ، أن علياً قال لابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر .

---

(١) بالأصل بياض بمقدار سطر .

قالوا : فاعتقد الراوى أن قوله خيبر ظرف للنهى عنهما ، وليس كذلك إنما هو ظرف النهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا ، وإنما جمعه معه لأن علياً رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور عنه، فقال له أمير المؤمنين على : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر .

فجمع له النهى ليرجع عما كان يعتقده فى ذلك من الإباحة .

وإلى هذا التقرير كان مَيْلُ شيخنا الحافظ أبى الحجَّاج المِزِّى تغمده الله برحمته آمين .

ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحُمُر والمتعة .

أما النهى عن الحمر فتأوَّله بأنها كانت حمولتهم ، وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة فى الأسفار ، وحَمَل النَّهى على ذلك فى حال الرفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهورا عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جُريج وبعده .

وقد حُكى عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس ، وهى ضعيفة .

وحاول بعض من صنَّف فى الحَلال نقلَ روايةٍ عن الإمام بمثل ذلك . ولا يصح أيضاً والله أعلم . وموضع تحرير ذلك فى كتاب الأحكام . وبالله المستعان .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنَّى الحصونَ والأموال .

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدثه بعضٌ من أسْلم[1] أن بنى سَهْم مِنْ أَسْلم أتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله لقد جَهِدْنا وما بأيدينا شىء فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه، فقال : « اللهم إنك قد عرفت حالهم وأنْ ليست لهم قوة وأنْ ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظمَ حصونها عنهم غَناء[2]

(١) ابن هشام : بعض أسلم

(٢) الأصل : غنى . وما أثبته من ابن هشام .

وأكثرها طعاماً ووَدَكا» . فغدا الناس ففُتح عليهم حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً ووَدَكا منه .

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطِيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور أمِتْ أمت .

قال ابن إسحاق : وحدثني بُرَيدة بن سفيان الأسَدى الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة ، عن أبى اليسر كعب بن عمرو ، قال : إنى لَمَع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشيَّة إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : فافعل .

قال : فخرجت أشتدُّ مثل الظَّلِيم ، فلما نظر إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال : اللهم أمتِعْنا به . قال : فأدركتُ الغنمَ وقد دخلتْ أولها الحصنَ ، فأخذتُ شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم جئت بهما أشتدُّ كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فأكلوهما .

فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا . وكان إذا حدَّث هذا الحديثَ بكى ثم قال : أمتِعوا بى لعَمْرى ! حتى كنت من آخرهم .

وقال الحافظ البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى ، حدثنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبى عثمان النَّهدى ، أوعن أبى قلاَبة ، قال : لما قدم النبىُّ صلى الله عليه وسلم خيبرَ قدِم والثمرةُ خَضِرة ، قال : فأسرع الناسُ إليها فحُمُّوا فشكَوا ذلك إليه ، فأمرهم

أن يقرِّسوا الماء فى الشِّنان (١) ثم يجُرْ ونه عليهم إذا أتى الفجرُ ويذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نَشِطوا من عَقْل .

* * *

قال البيهقى : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا ، وعنه : **بين صلاتى** المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى وَبهز ، قالا : حدثناسليمان بن المغيرة ، حدثنا حُميد بن هلال ، حدثنا عبد الله بن مُغفَّل ، قال : دلِّى جرابٌ من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت : لا أعطى أحدا منه شيئاً . قال : فالتفتُّ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مغفل ، قال : كنا نحاصِر قصرَ خيبر ، فألقى إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت فأخذته فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فاستحييت .

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ ، عن عثمان بن المغيرة .

وقال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم عن عبدالله بن مُغفل المزَنى قال : أَصبتُ من فىء خيبر جرابَ شحم ، قال : فاحتملته على عنقى إلى رحلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحب المغانم الذى جُعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم حتى تقسمه بين المسلمين . قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه . قال : وجعل يجاذبنى الجرابَ ، قال : فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : **خَلِّ بينه وبينه** . قال : فأرسَله فانطلقتُ به إلى رحلى وأصحابى فأكلناه .

---

(١) **يقرسوا** : يبردوا . والشنان : القرب .

وقد استدل الجمهور بهذا الحـديث على الإمام مالك فى تحريمه شحومَ ذبائح اليهود وما كان غَلبهم عليـه غيرهم من المسلمين ، لأن الله تعالى قال : « وطعـامُ الذين أوتوا الـكتاب حِلٌّ لـكم » قال : « لـكم » قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر . وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله أعلم .

وقد استدلوا بهـذا الحديث على أن الطعام لا يُخمَّس ، ويعضِّد ذلك ما رواه الإمام أبو داود : حدثنا محمـد بن العلاء ، حـدثنا أبو معاوية ، حدثنا إسحاق الشيبانى ، عن محمـد بن أبى مجالِد ، عن عبـد الله بن أبى أَوْفَى قال : قلت : كنتم تخمِّسون الطعام فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، وكان الرجل يجىء فيأخذ منه قدرَ ما يكفيه ثم ينصرف .

تفرد به أبو داود وهو حسن .

....

ذكر قصة صفية بنت حُيَي بن أخْطب النَّضرية
رضى الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجْلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ بنى النضير من المدينة كما تقدم، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حُيي بن أخطب وبنو أبى الُحقَيق، وكانوا ذوى أموال وشرف فى قومهم، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بنى عمها، فلما زفَّت إليه وأُدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليال، رأت فى منامها كأن قمر السماء قد سقط فى حِجْرها، فقصَّت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال: أتتمنين مَلِك يثرب أن يصير بَعْلك!

فما كان إلا مجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصاره إياهم، فكانت صفية فى جملة السَّبى، وكان زوجها فى جملة القتلى.

ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت فى حوزه وملكه كما سيأتى، وبنى بها بعد استبرائها وحِلِّها وجد أثر تلك اللطمة فى خدها، فسألها ماشأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها.

* * *

قال البخارى: حدثنا سليمان بن حَرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: صلى النبى صلى الله عليه وسلم الصبحَ قريبا من خيبر بغلَس ثم قال: «الله أكبر خَرِبت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المنذَرين».

فخرجوا يسْعَون فى السكك، فقتل النبى صلى الله عليه وسلم المقاتِلةَ وسبَى الذريةَ، وكان فى السَّبى صفية فصارت إلى دِحْية الكلبى، ثم صارت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عِتقَها صداقَها.

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد ، وله طرق عن أنس .

وقال البخارى : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن عبد العزيز بن صُهَيب قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : سَبَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم صفيةَ فأعتقها وتزوجها . قال ثابت لأنس : ما أصْدَقها ؟ قال : أصْدَقها نفسَها فأعتقها .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

قال البخارى : حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح . وحدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا وهب ، أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن عمرو مولى المطَّلب ، عن أنس بن مالك قال : قدِمْنا خيبرَ فلما فتح صلى الله عليه وسلم الحصنَ ذُكر له جَمالُ صفية بنت حُيي بن أخطب ، وقد قتل زوجها وكانت عروسا ، فاصطفاها النبى صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصَّهباء [1] حلَّت فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صنع حَيْساً فى نِطْع [2] صغير ثم قال لى : آذِنْ مَن حولكَ . فكانت تلك وليمته على صفية . ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يُحوِّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب .

تفرّد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ، أخبرنى حُميد ، أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبْنَى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالأنطاع فبُسطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ماملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجَبها فهى إحدى

---

(١) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر مرحلة . والسد : الحاجز .

(٢) النطع : بساط من الأديم .

أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطّأ لها خلفه ومدّ الحجابَ .

انفرد به البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدّد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : صارت صفيةُ لدِحْية الكلبى ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جُمع السبي - يعنى بخيبر - فجاء دحية فقال : يارسول الله أعطنى جاريةً من السبي قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفيةَ بنت حيي ، فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبى الله أعطيتَ دحيةَ . قال يعقوب : صفيةَ بنت حيي سيدة قريظة والنضير ، ماتصلح إلا لك . قال : ادعوا بها . فلما نظر إليها النبى صلى الله عليه وسلم قال : خذ جاريةً من السّبي غيرها . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقَها وتزوجها .

وأخرجاه من حديث ابن عليّة .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن خلّاد الباهِلى ، حدثنا بَهْز بن أسد ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت عن أنس ، قال : وقع فى سهم دِحْية جارية جميلة ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها . قال حماد : وأحسبه قال : وتعتد فى بيتها ، صفية بنت حُيي .

تفرد به أبو داود .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القَمُوص حصن بنى أبى

الحقيق أُتى بصفية بنت حيي بن أخطب وأخرى معها ، فمر بهما بلال ــ وهو الذى جاء بهما ــ على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكّت وجهها وحثت الترابَ على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعْزِبوا [(١)] عنى هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحيزت خلْفه وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنُزعت منك الرحمةُ يابلال حتى تمرَّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! .

وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقَيْق أن قمراً وقع فى حِجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ماهذا إلا أنك تمنّين مَلِك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمة خَضَّر عينَها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ماهذا ، فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق : وأتى رسولُ الله بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنزُ بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه . فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخرِبة كلَّ غَداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخرِبة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال : عذِّبه حتى تستأصلَ ماعنده . وكان الزبير يَقْدح بزَنده [(٢)] فى صدره حتى أشْرف على نفْسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مَسْلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

---

(١) أعزبوا : أبعدوا .

(٢) ابن هشام : زند .

فصل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر فى حصنَيْهم الوطِيح والسُّلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيِّرهم وأن يحقن دماءهم . ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموالَ كلها الشِّق والنِّطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع [بهم] أهلُ فَدَك قد صنعوا ماصنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيِّرهم ويَحْقِن دماءهم ويخلوا له الأموالَ ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك محيِّصة بن مسعود أخو بنى حارثة .

فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النِّصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعْمَر لها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهلَ فَدَك بمثل ذلك .

فصل فى فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدى : لما تحوَّلت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال : يا أبا القاسم تؤَمننى على أن أدلك على ماتستريح به من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ؟

قال : فأمَّنه رسول الله على أهله وماله فقال له اليهودى : إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالَوْا بك ، إن لهم تحت الأرض دُبُولاً (١) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم .

(١) الدبول : الجداول .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع دُبولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر حصون النطـاة . وتحوّل إلى الشق ، وكان به حصون ذوات عدد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبىّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال ، فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده ، وفر اليهودى راجعاً فاتبعه الحبـاب فقطع عرقوبه . وبرز منهم آخر فقام إليـه رجل من المسلمين فقتله اليهودى ، فنهض إليه أبو دُجَانة فقتله وأخذ سَلَبَه ، وأحجموا عن البراز فكبّر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة ، فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاماً، وهرب من كان فيـه من المقـاتِلة وتقحَّموا الجزر كأنهم الضباب حتى صاروا إلى حصن البزاة بالشق، وتمنَّعوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم بيده الـكريمـة ، حتى أصاب نَبْلُهم بنانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ فى الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

قال الواقدى : ثم تحوّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأَخْبِيـة والوطِيح والسُّلالم ، حصنَىْ أبى الحقيق ، وتحصنوا أشدّ التحصن وجاء إليهم كلٌّ من كان انهزم من النطَاة إلى الشِّق ، فتحصنوا معهم فى القَمُوص وفى الـكتيبة ، وكان حصناً منيعاً وفى الوطيح والسُّلالم وجعلوا لا يَطَّلعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَنصب المِنْجَنيق عليهم .

فلما أيقنوا بالهلَـكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوما نزل إليه ابن أبى الحقيق فصالحه على حَقْن دمائهم ويسيِّرهم ويخلُّون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البزّ، إلا ما كان على ظهر إنسان، يعنى لباسهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وبرئت منكم ذمةُ الله وذمة رسوله إن كتمتم شيئاً. فصالحوه على ذلك.

قلت: ولهذا لما كتموا وكذّبوا وأخفَوا ذلك المسْك الذى كان فيه أموالٌ جزيلة، تبيَّن أنه لا عهد لهم، فقتل ابنى أبى الحَقَيق وطائفةً من أهله، بسبب نقض العهود منهم والمواثيق.

* * *

وقال الحافظ البيهقى: حدثنا أبو الحسن على بن محمد المقْرى الأسفراييني، حدثنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عبيد الله بن عمر، فيما يحسب أبو سلمة، عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتَل أهلَ خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يَجْلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء، ويخرجون منها، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يُغَيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد.

فغيَّبوا مَسْكاً(١) فيه مالٌ وحُلى لحيَىّ بن أَخْطب، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أُجليت النضير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ: مافعل مسْكُ حيي الذى جاء به من النضير؟ فقال: أذهبته النفقاتُ والحروب. فقال: العهد قريب والمال أكثر من ذلك. فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسَّه بعذاب، وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة، فقال: قد رأيت حُيياً يطوف فى خربة ها هنا. فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك فى الخربة.

فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى أبى الحقيق، وأحدهما زوج صفية بنت

(١) المسك: الجلد.

حيي بن أخطب ، وسبَى رسول الله صلى الله عليـه وسلم نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنَّـكْث الذى نَـكثوا .

وأراد إجلاءهم منها ، فقالوا : يا محمـد دَعْنا نـكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلال يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشِّطْر من كل زرع ونخيل وشىء ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبـد الله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام فيُخَرِّجها عليهم ، ثم يُضمنهم الشِّطر ، فشكَوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدةَ خَرْصه ، وأرادوا أن يَرْشوه فقال : ياأعداء الله تطعمونى السُّحت ! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلىّ ، ولأنتم أبغضُ إلىّ من عدَّتـكم من القردة والخنـازير ، ولا يَحْملنى بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا أعدل عليـكم .

فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض !

قال : فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية خُضرة ، فقال : ياصفية ماهذه الخضرة ؟ فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقَيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمراً وقع فى حجرى ، فأخبرته بذلك فلطمنى وقال : تتمنِّين مَلِكَ يثرب .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم مِن أبْغض الناس إلى ، قَتل زوجى وأبى ، فما زال يعتذر إلىّ ويقول: إن أباك ألَّبَ علىَّ العربَ وفعل مافعل ، حتى ذهب ذلك من نفسى .

وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يعطى كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر كل عام وعشرين وَسقاً من شعير ، فلما كان فى زمان عمر غشُّوا المسلمين وألقوا ابنَ

عمر من فوق بيت ففدعوا[١] يديه ، فقال عمر : من كان له سهمٌ بخيبر فليحضر حتى نقسمها. فقسمها . بينهم . فقال رئيسهم: لا تُخرجنا دَعْنا نـكون فيها كما أقرَّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . فقال عمر : أتراني سقط علىَّ قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بك إذا وقَصَتْ[٢] بك راحلتُك نحوَ الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً » .

وقسمها عمر بيْن مَن كان شَهد خيبرَ من أهل الحديبية .

وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة .

قال البيهقي: وعلقه البخاري فى كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره فى الأطراف فالله أعلم .

***

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهرى ، حدثنا ابن وهب ، أُخبرنى أسامة ابن زيد الليثى ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال: لما فُتحت خيبر سألت يهود رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يقُرَّهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُقرُّكم فيها على ذلك ما شئنا .

فـكانوا على ذلك ، وكان التمر يقُسم على السُّهْمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الُخمس ، وكان أطعم كلَّ امرأة من أزواجه من الخُمس مائةَ وَسَق من تمر وعشرين وسقا من شعير .

فلما أراد عمر إخراجَ اليهود أرسل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن : من أحبَّ منكن أن أقسم لهـا مائة وسق فيكون لهـا أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مَزْرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنـا ، ومن أحب أن نعزل الذى لهـا فى الخمس كما هو فعلنا .

---

(١) الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل .   (٢) وقصت : أسرعت .

وقد روى أبو داود من حديث محمـد بن إسحاق حدّثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملَ يهودَ خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مالٌ فليلحق به ، فإنى مُخْرِج يهود . فأخرجهم .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فقلنا : أعطيتَ بنى المطلب من خُمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحـدة منك . فقال : « إنمـا بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحـد » . قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبـد شمس وبنى نوفل شيئا .

تفرد به دون مسلم .

وفى لفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بنى هاشم وبنى عبد المطلب شىء واحد ، إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعى : دخلوا معهم فى الشِّعب وناصروهم فى إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذمّ أبو طالب بنى عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

جزى الله عنا عبدَ شمس ونوفلاً عقوبةَ شرٍّ عاجلاً غـير آجلِ

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا زائدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً .

قال : فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يـكن معه فرس فله سهم .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنى زيد ،

عن أبيه ، أنه سمع عمـر بن الخطاب يقول : أما والذى نفسى بيده لولا أن أترك آخرَ الناس ببَّاناً [١] ليس لهم شىء ما فُتحتْ على قريةٌ إلا قَسَمتها كما قَسَم النبى صلى الله عليه وسلم خيبرَ ، ولـكنى أتركها خزانةً لهم يقتسمونها .

وقد رواه البخارى أيضا من حديث مالك ، وأبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهدى ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر به .

وهذا السياقُ يقتضى أن خيبر بكمالها قُسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود : حدثنا ابن السَّرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوةً بعـد القتال وترك من ترك من أهلها بعد القتال .

وبهذا قال الزهرى : خمَّس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرَ ثم قسم سائرها على من شهدها .

وفيما قاله الزهرى نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنمـا قُسم نصفُها بين الناس كما سيأتى بيانه .

وقد احتج بهـذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخيَّر فى الأراضى المغنومة ، إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لمـا ينوبه فى الحاجات والمصالح [٢] .

قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، حدثنى سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار ، عن سهل بن أبى حَثْمة قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوائبه ، ونصفا بين المسلمين : قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما .

---

(١) ببانا : أى على طريقة واحدة ، وهى كلمة غير عربية .

(٢) ت : « إن شاء قسمها ، وإن شاء قسم بعضها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، فإنه خمسها ثم قسم نصفها فى الغانمين ، وأرصد نصفها لما ينوبه فى الحاجات والمصالح » .

تفــرد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حــديث بشير بن يسار مرسلا ، فعيَّن نصفَ النوائب الوَطيح والــكتيبة والسُّلالم وما حِيزَ معها ، ونصف المسلمين الشِّق والنَّطاة وما حيز معهما ، وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حيز معهما .

وقال أيضاً : حدثنا حسين بن على ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيي بن سعيد ، عن بشير بن يسار مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليــه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلّ سهم مائةَ سهم ، فــكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثانى لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس .

تفرد به أبو داود .

قال أبو داود : حدثنا محمــد بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصارى ، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى ، عن عمه مجمع بن حارثة الأنصارى ــ وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن ــ قال : قُسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانيــة عشر سهما ، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس ، سهمين وأعطى الراجل سهما .

تفرد به أبو داود .

وقال مالك عن الزهرى ، أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي صلى الله عليــه وسلم افتتح بعضَ خيبر عنوةً .

ورواه أبو داود . ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة وبعضها صُلْحا ، والــكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الــكتيبة ؟

قال : أرض خيبر ، وهى أربعون ألف عَـذْق . قال أبو داود : والعذق : النخـلة . والعِذق : العرجون .

ولهذا قال البخارى: حدثنا محمدبن بشَّار ، حدثنا حرَمى ،حدثنا شعبة ،حدثنا عمارة، عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

حدثنا الحسن ، حدثنا قرَّة بن حبيب ، حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شبعنا ـ يعنى من التمر ـ حتى فَتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق : كانت الشق والنطاة فى سهمان المسلمين ، الشق : ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر ابن عبد الله فضرب له بسهمه .

قال : وكان أهل الحـديبية ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتـا فرس لـكل فرس سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزِيد المـائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن كَيْسان أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشِّق مع عاصم بن عدى .

قال ابن إسحاق : وكانت الـكتيبة خُمساً لله تعالى(١) ، وسهمَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وسهمَ ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطُعْمة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وطُعْمة أقوام مشوا فى صلح أهل فَدك ، منهم مُحيصة بن مسعود أقطعه رسول الله

(١) ابن هشام : خمس الله .

صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير . قال : وكان وادياها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادى السُّرير ووادى خاص .

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها ، فأجاد وأفاد رحمه الله .

قال : وكان الذى ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بنى سلمة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خَرْص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة نخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضى الله عنه فى يوم مؤتة ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه .

وقد قال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمرٍ جَنِيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكلّ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لا تفعل بع الجَمْعَ بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا » .

قال البخارى : وقال الدراوَرْدى ، عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خيبر وأمرَّه عليها . وعن عبد المجيد عن أبى صالح السمان ، عن أبى سعيد وأبى هريرة مثله .

***

قلت : كان سهمُ النبى صلى الله عليه وسلم الذى أصاب مع المسلمين مما قَسم بخيبر وفَدَك بكمالها ، وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركَاب .

فكانت هذه الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ، وكان يَعْزل منها نفقةَ أهله لسَنة ، ثم يجعل ما بقى مَجْعَلَ مالِ الله يَصْرفه فى الكِراع والسلاح ومصالح المسلمين .

فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمةُ وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضى تكون موروثةً عنه ، ولم يَبْلغهن ما ثبَت عنه من قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن مَعْشرَ الأنبياء لا نُورَث ، ما تركناه فهو صدَقة » .

ولما طلبت فاطمةُ وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم والعباس نصيبَهم من ذلك وسألوا الصِّديق أن يسلِّمه إليهم ؛ ذكر لهم قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ما تركنا صدقة » وقال : أنا أَعُول مَن كان يعول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والله لقَرابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إلىّ أن أصِلَ من قرابتى .

وصدَق رضى الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد فى ذلك التابع للحق .

وطلب العباس وعلىّ على لسانِ فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراثُ ، أن ينظرا فى هذه الصدقة وأن يَصْرفا ذلك فى المصارف التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ، فأبىَ عليهم الصِّديقُ ذلك ، ورأى أن حقًّا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألّا يخرج من مَسْلكه ولا عن سننه .

فتغضَّبت فاطمةُ رضى الله عنها عليه فى ذلك ووجدت فى نفسها بعضَ المَوْجِدة .

ولم يكن لها ذلك ، والصِّديقُ من قد عَرفت هى والمسلمون محلَّه ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامَه فى نصرة النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً .

وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدَّد علىٌّ البيعةَ بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوِّض أمرَ هذه الصدقة إلى على والعباس ، وثقَلوا

عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر رضى الله عنه ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته .

فتغلب علىٌّ على عمه العباس فيها ، ثم تساوقا يختصمان إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كلٌّ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمةَ المواريث وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلىّ ، والذى تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاءً غير هذا .

فاستمرَّا فيها ومن بعدهما إلى ولدهما إلى أيام بنى العباس ، تُصرف فى المصارف التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها؛ أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبرَ من العبيد والنساء فرضَخ (١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الغنيمة ولم يُسْهم لهم .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا بِشْر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ، حدثنى عمير مولى آبى اللَّحم قال : شهدتُ خيبر مع سادتى ، فكلموا فىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بى فقلِّدت سيفا ، فإذا أنا أجرُّه ، فأُخبر أنى مملوك ، فأمر لى بشىء من طريق المتاع .

ورواه الترمذى والنسائى جميعا ، عن قتيبة ، عن بشر بن المفضل به . وقال الترمذى:

(١) الرضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن على بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن مُنْقذ عن عُمير به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من الفيء (١)] ولم يضرب لهن بسهم .

حدثنى سليمان بن سُحيم ، عن أمية بنت أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غِفَار قد سمّاها لى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هـذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : « على بركة الله » .

قالت : فخرجنا معه ، قالت : وكنت جاريةً حدثة السن ، فأردَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله ، قالت : [فوالله لَنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله (١)] قالت : وإذابها دم منّى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبَّضتُ إلى الناقة واستحييْت . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك نَفستِ » قالت : قلت : نعم ، قال : « فأصلحى من نفسك ثم خذى إناءً من ماء فاطرحى فيه مِلحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبةَ من الدم ، ثم عودى لمرْكبك » .

قالت : فلما فتح الله خيبرَ رضَخ لنا من الفيء ، وأخذ هـذه القلادة التى ترينْ فى عنقى فأعطانيها وعلَّقها بيده فى عنقى ، فوالله لاتفارقنى أبداً . وكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

قالت : وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت فى طهورها ملحا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به .

(١) من ابن هشام .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّى فى أطرافه : ورواه الواقدى ، عن أبى بكر بن أبى سَبْرة ، عن سليمان بن سُحيم ، عن أم على بنت أبى الحكم ، عن أمية بنت أبى الصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا رافع بن سلمة الأشجعى ، حدثنى حَشْرج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن معه نساء ، قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا فى وجهه الغضب فقال : « ماأخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهامَ ونسقى السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشَّعر فنعين به فى سبيل الله . قال : فمرْن فانصرفن .

قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها : ياجدَّة وما الذى أخرج لكن ؟ قالت : تمراً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسْهَم لهن فى الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : وفى كتابى عن أبى عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصبهانى أخبره ، حدثنا الحسين بن الجهْم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا الواقدى ، حدثنى عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه عن جده ، عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ومعى زوجتى وهى حبلى فنَفِسَتْ فى الطريق ، فأخبرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : « انقع لها تمراً فإذا انغمر فأْمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئا تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجْذَى [1] النساءَ ولم يُسْهم لهن ، فأجْذَى زوجتى وولدى الذى ولد . قال عبد السلام : لست أدرى غلام أو جارية .

---

(١) أجذى : أعطى .

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن كان بقى بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضم إليهم من أهل اليمن

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بخيبر

قال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيد بن عبد الله بن أبى بردة ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى قال : بلغَنا مَخْرجُ النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، نخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بُردة والآخر أبو رُهْم ، إما قال : فى بِضْع ، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى .

فركبنا سفينةً فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافَقْنا جعفرَ بن أبى طالب ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فكان أناسٌ من الناس يقولون لنا ـ يعنى لأهل السفينة ـ : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماء بنت عُمَيس ـ وهى ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم زائرةً ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء ابنة عميس . قال عمر : آلحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم . فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار ـ أو فى أرض ـ البُعداء والبُغضاء بالحبشة ، وذلك فى الله وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايم الله لا أَطْعم طعاماً ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلتَ للنبى صلى الله عليه وسلم وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه .

فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم قالت : يانبى الله إن عمر قال كذا وكذا . قالت : قال :

« فما قلتِ له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة ، ولكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان » .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتونى أرسالا يسألونى عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفْرحُ ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم .

قال أبو بُرْدة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى .

وقال أبو بردة عن أبى موسى : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقى العدو — أو قال الخيل — قال لهم : إن أصحابى يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم عن أبى كُرَيب وعبد الله بن برّاد عن أبى أسامة به .

ثم قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا بُرَيد [ابن عبدالله (١)] عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، قال : قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا .

تفرد به البخارى دون مسلم ورواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث بُرَيد به .

وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى يطلب منه من بقى من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبةَ جعفر وقد فتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر .

قال : وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشَّعبى ، أن جعفر بن أبى طالب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال : « ما أدرى بأيهما أنا أسَرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

---

(١) من صحيح البخارى .

وهكذا رواه سفيان الثورى عن الأجلح ، عن الشعبى مرسلا .

وأسند البيهقى من طريق حسن بن حسين العرْزَمىّ ، عن الأجلح ، عن الشعبى عن جابر قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاه وقبّل جبهته وقال : « والله ما أدرى بأيهما أفْرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

ثم قال البيهقى ، حدثنا أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا الحسين بن أبى إسماعيل العلوى ، حدثنا أحمد بن محمد البيروتى ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبى طَيبة ، حدثنى مكى بن إبراهيم الرُّعَينى ، حدثنا سفيان الثورى ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر إليه حجَل — قال مكى : يعنى مشى على رجل واحدة — إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه .

ثم قال البيهقى : فى إسناده من لا يُعْرف إلى الثورى .

***

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبى طالب الهاشمى ، وامرأته أسماء بنت عُميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيقيب بن أبى فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود ابن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدى ، وجَهْم بن قيس بن عبد شُرَحبيل العبْدَرى ، وقد ماتت امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبى وقاص الزُّهرى ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من

هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمى ، وقد هلكت بها امرأته رَيْطة بنت الحارث رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحى ، ومَحمِيّة بن جزْء الزَّبيدى حليف بنى سَهم ، ومَعْمر بن عبد الله بن نَضلة العدَوى ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عَمرة بنت السَّعدى ، والحارث بن عبد شمس بن لَقيط الفهرى .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبى موسى الأشعرى وأخويه أبا بُردة وأبا رُهْم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبى موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم فى صحيح البخارى .

وكأن ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبى موسى فى ذلك . والله أعلم .

قال : وقد كان معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حرر هاهنا شيئا كثيراً حسنا .

* * *

قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى ، وسأله إسماعيل بن أمية قال : أخبرنى عَنبسة بن سعيد ، أن أبا هريرة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله — يعنى أن يقسم له — فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لاتعطه . فقال أبو هريرة : هذا قاتل ابن قَوْقَل . فقال : واعجباً لِوَبْرٍ تدلَّى من قَدُوم الضأن (١) .

تفرد به دون مسلم .

قال البخارى : ويذكر عن الزبيدى عن الزهرى ، أخبرنى عَنْبسة بن سعيد ، أنه

---

(١) الوبر : فراء دويبة تشبه السنور ، وتسمى غنم بنى إسرائيل . وتدلى : انحدر . وقدوم الضأن : جبل بأرض دوس قوم أبى هريرة . أراد بذلك تحقيره . ورواية صحيح البخارى : قدوم الضأل باللام . وما هنا رواية الأصل وأبى ذر .

سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أباناً على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ماافتتحها ، وإن حُزم خيلهم للَيفٌ .

قال أبوهريرة : فقلت: يارسول الله لاتقسْم لهم . فقال أبَان : وأنت بهذا ياوبر تحدَّر من رأسِ ضأل . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ياأبَان اجلس » ولم يقسم لهم .

وقد أسند أبو داود هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن الوليد الزبيدى به نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرنى جدى وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يارسول الله هذا قاتلُ ابن قَوقل . فقال أبان لأبى هريرة : واعجبا لك ياوبر (1) تردَّى من قَدُوم ضَأْن ، تَنْعى علىَّ امرءاً أكرمه الله بيدى ، ومنعه أن يهيننى بيده ؟ .

هكذا رواه منفرداً به هاهنا (2) . وقال فى الجهاد بعد حديث الحميدى ، عن سفيان ، عن الزهرى عن عَنْبسة بن سعيد ، عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يارسول الله أسْهم لى . فقال بعض آل سعيد ابن العاص : لاتقسم له . فقلت : يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل . الحديث .

قال سفيان : حدَّثنيه السعيدى ـ يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد ـ عن جده عن أبى هريرة بهذا :

فى هذا الحديث التصريح من أبى هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه

(1) صحيح البخارى : واعجباً لك وبر تدأدأ .
(2) من هنا إلى أول خبر الحجاج علاط ساقطة من (ا) .

الغزوة . رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في أسهامهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ، قال : ماشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنماً قط إلا قَسَم لى ، إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر .

وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدثني ثور ، حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطيع ، أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنِمنا الإبلَ والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى القُرى ومعه عبد له يقال له مِدْعم أهداه له بعض بنى الضبيب ، فبينما هو يحط رحلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبدَ ، فقال الناس : هنيئا له الشهادة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذى نفسى بيده إن الشَّمْلة التى أصابها يوم خيبر لم تُصبها المَقاسم لَتشتعل عليه ناراً » .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شراكين فقال : هـذا شيء كنتُ أصبتُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراك أو شراكين من نار » .

ذكر قصة الشاة المسمومة

وما كان من أمر البرهان الذى ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخاري : رواه عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنى سعيد ، عن أبى هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سَمّ .

هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبى هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاةٌ فيها سَمّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا الى من كان هاهنا من يهود » فجُمِعوا له ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقىّ عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبتم بل أبوكم فلان » قالوا : صدقتَ وبَرِرْتَ . فقال : « هل أنتم صادقىّ عن شىء إذا سألتكم عنه ؟ » قالوا: نعم ياأبا القاسم ، وإن كذبنا عرفتَ كذبنا كما عرفته فى أبينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أهلُ النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تَخْلفونا فيها .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لانَخْلفكم فيها أبداً » .

ثم قال لهم : « هل أنتم صادقىّ عن شىء إذا سألتكم ؟ » فقالوا : نعم ياأبا القاسم . فقال : « هل جعلتم فى هذه الشاة سماً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حَملكم على ذلك ؟ » قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك .

وقد رواه البخارى فى الجزية عن عبدالله بن يوسف ، وفى المغازى أيضاً عن قتيبة ، كلاهما عن الليث به . وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عبّاد بن العوّام ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب وأبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومة فقال لأصحابه : « أمْسِكوا فإنها مَسْمومة » وقال لها :

« ما حملك على ما صنعتِ ؟ » قالت : أردتُ أن أعلم إن كنت نبياً فسيُطْلعك الله عليه ، وإن كنتَ كاذبا أريح النـاسَ منك . قال : فما عرَض لهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان به .

ثم روى البيهقى عن طريق عبـد الملك بن أبى نَضْرة ، عن أبيـه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شُرَيح ، حدثنا عبّاد ، عن هلال ـ هو ابن خَبّاب ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليـه وسلم شاة مسمومة ، فأرسل إليها فقال : « ماحملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببتُ ـ أو أردت ـ إن كنت نبيًّا فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تـكن نبيًّا أريح الناس منك .

قال : فـكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئا احتجم ، قال : فسافر مرةً فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم .

تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليـه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله ليسلِّطكِ علىّ » أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » .

قال أنس : فما زلتُ أعرفها فى لهَوات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهْرى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان جابر بن عبدالله يحدِّث أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة

مَصْلِية (١) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم » .

وأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها : « أسَمَمت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : «أخبرتنى هذه التى فى يدى» وهى الذراع، قالت : [نعم] . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك .

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم النبى صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة ، حجَمه أبو هند بالقَرْن والشَّفْرة وهو مولًى لبنى بياضة من الأنصار .

* * *

ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقية ، حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاةً مَصْلية نحو حديث جابر . قال : فمات بِشْرُ بن البراء بن مَعْرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال : « ما حملك على الذى صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُتلت ولم يذكر أمرَ الحِجَامة .

قال البيهقى : ورويناه من حديث حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة .

قال : ويحتمل أنه لم يقتلها فى الابتداء ، ثم لما مات بشرُ بن البراء أمر بقتلها .

وروى البيهقى من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن

(١) مصلية : مشوية .

ابن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مَصْليّة بخيبر ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هدية . وحَذِرت أن تقول صدَقة فلا يأكل .

قال : فأكل وأصحابه ثم قال : « أمسكوا » ثم قال للمرأة : « هل سَمَمتِ ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العَظْم » لساقها وهو فى يده ، قالت : نعم . قال : « لم » . قالت : أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال: فاحتجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الكاهل وأمر أصحابَه فاحتجموا . ومات بعضهم .

قال الزهرى : فأسلمت فتركها النبى صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقى : هذا مُرْسَل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وذكر ابنُ لِهَيعة عن أبى الأسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عُقبة عن الزهرى قالوا : لما فَتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهى ابنة أخى مَرْحب لصفية شاة مَصْلية وسمّتها ، وأكثرت فى الكتف والذراع ، لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بِشْرُ بن البَراء بن معرور ، وهو أحد بنى سلمة ، فقدَّمت إليهم الشاة المصْلية ، فتناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكتفَ وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فانتهش منه ، فلما استرطَ (1) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمتَه استرطَ بشرُ بن البراء ما فى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرنى أنى نُعيت فيها » فقال بشر بن البراء :

---

(1) استرط : ابتلع .

والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أَعْظَمْتك أن أُبغضك طعـامَك ، فلما أسَغْتَ ما فى فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تـكون استرطتها وفيها نعى. فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يُحول .

قال الزُّهرى : قال جابر : واحتجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حجَمه مولَى بنى بياضة بالقرن والشفرة ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال : « مازلتُ أجِدُ من الأكلة التى أكلتُ من الشاة يوم خيبر عِدَاداً [1] حتى كان هذا أوان انقطاع أبْهرى » .

فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : فلما اطمأنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينبُ بنت الحـارث امرأةُ سَلاَّم بن مِشْـكَم شاةً مَصْليّة ، وقد سألت أىّ عضوٍ أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع . فأكثرت فيها من السم ، ثم سمَّت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراعَ فلاك منها مُضغةً فلم يُسِغْها ، ومعه بِشْر بن البرَاء بن مَعْرور ، قد أخـذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشرٌ فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظَها ثم قال : « إن هذا العظ يخبرنى أنه مسموم » .

ثم دعابها فاعترفت ، فقال : « ماحملك على ذلك » قالت : بلغتَ من قومى مالم يخْفَ عليك ، فقلتُ : إنْ كان كذابا استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسيُخْبَر .

قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

---

(١) عدادا : معاودة للألم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ـ ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور ـ : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدتُ [فيه] انقطاع أَبْهَرِى من الأَكلة التى أكلتُ مع أخيك بخيبر » .

قال ابن هشام : الأبهر : العِرْق المعلّق بالقلب .

قال : فإن كان المسلمون لَيرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرّانى ، قالا : حدثنا أبو غياث سهل بن حماد ، حدثنا عبد الملك بن أبى نَضْرة عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى ، أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً سَميطاً ، فلما بسط القومُ أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسِكوا فإن عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل إلى صاحبتها : « أسَمَمْت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ماحملك على ذلك ؟ » قالت : إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه .

فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا .

ثم قال : لا يُرْوَى عن عبد الملك بن أبى نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة . والله أعلم .

وذكر الواقدى أن عُيينة بن حِصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرٌ خيبر ، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها ؛ فقال : يامحمد أعطنى ماغنمتَ من حلفائى - يعنى أهل خيبر - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى .

فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضِع فى غير شىء ، والله لَيَظْهرن محمدٌ على مابيْن المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لَسمعتُ أبا رافع سلاَّم بن أبى الحقَيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لمرسَل ، ويهود لاتطاوعنى على هذا . ولنا منه ذبحان ؛ واحد بيثرب وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلّام : يملك الأرض ؟ قال : نعم والتوراة التى أنزلت على موسى وما أحب أن تُعلم يهود بقولى فيه .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهلها ليالى ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ثم ذكر من قصة مِدْعم وكيف جاءه سهمٌ غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئا له الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذى نفسى بيده إن الشَّمْلة التى أخذها يوم خيبر لم يصبها المقَاسم لَتشتعل عليه ناراً » .

وقد تقدم فى صحيح البخارى نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم .

وسيأتى ذكر قتاله عليه السلام بوادى القُرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبى عمرة ، عن زيد بن خالد الجهنى ، أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « صلُّوا على صاحبكم »

فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غَلَّ فى سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود مايساوى درهمين .

وهكذا رواه أبو داود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به .

وقد ذكر البيهقى أن بنى فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلَّت صفيةُ من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سُد الصَّهباء فى أثناء طريقه إلى المدينة ؛ وأولم عليها بحَيْس ، وأقام ثلاثة أيام يُبنى عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لمّا مدّ عليها الحجابَ وهو مردفها وراءه رضى الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق فى السيرة قال : لمّا أعرسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر ـ أو ببعض الطريق ـ وكانت التى جمّلتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سُلَيم بنت مِلْحَان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه قال : « مالك ياأبا أيوب ؟ » قال: خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأةً قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثةَ عهدٍ بكفر فخِفْتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » .

ثم قال : حدثنى الزهرى عن سعيد بن المسيِّب ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولهم استيقاظاً فقال : « ماذا صنعتَ بنا يابلال ؟ » قال : يارسول الله أخذ بنفْسى الذى أخذ بنفسك . قال : « صدقتَ » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك عن الزهرى عن سعيد مرسلا . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَفَل من غزوة خيبر ، فسار ليلةً حتى إذا أدركنا الكَرى عرَّس وقال لبلال : « اكلأْ لنا الليلَ » قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستندٌ إلى راحلته فلم يستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولَهم استيقاظا ، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «يابلال» قال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يارسول الله . قال : فاقتادوا رواحلَهم شيئا ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسى صلاةً فليصلِّها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى يقول : « وأقم الصلاةَ لِذكْرى » .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم عن حَرْملة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب به ، وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر .

وفى حديث شُعبة عن جامع بن شدَّاد ، عن عبد الرحمن بن أبى علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مَرْجَعَهم من الحديبية ، ففى رواية عنه أن بلالًا هو الذى كان يَكْلؤهم ، وفى رواية عنه أنه هو الذى كان يكلؤهم .

قال الحافظ البيهقى : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفى حديث عمران بن حصين وأبى قتادة نومُهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضأة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة .

قال : وذكر الواقدى فى حديث أبى قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك .

قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجَعهم من تبوك . فالله أعلم .

ثم أورد البيهقى مارواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابى ، عن أبى رجاء عن عمران بن حصين ، فى قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السَّطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئا .

ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البُنَانى، عن عبد الله بن رباح، عن أبى قتادة ، وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضأة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، عن عاصم عن أبى عثمان ، عن أبى موسى الأشعرى قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبراً ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناسُ على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربَعوا على أنفسكم إنكم لا تَدْعون أصمّ ولا غائباً إنكم تَدْعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنى وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : ياعبدالله بن قيس . قلت: لبيك يارسول الله . قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يارسول الله فداك أبى وأمى . قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق ، عن عبد الرحمن بن مُلٍ أبى عثمان النَّهدى ، عن أبى موسى الأشعرى .

والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ، فإن أبا موسى إنما قدِم بعد فتح خيبر . كما تقدم .

***

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — قد أعطى ابن لُقيم العبسى حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم فى فتح خيبر :

رُميت نَطاةُ من الرسول بفَيْلقٍ شهباء ذاتِ مناكبٍ وفقارِ (١)

واستيقنَتْ بالذل لمّا شُيِّعت ورجالُ أَسْلَمَ وسطَها وغِفارِ

صبَحت بنى عمرو بن زُرْعة غُدوةً والشقُّ أظلَمَ أهلُه بنهارِ

جرَّت بأبطحها الذيولَ فلم تدَعْ إلا الدجاجَ تصيح بالأسحارِ

ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ مِن خيلهم من عبد الأشهلِ أو بنى النجارِ

ومهاجرين قد أُعلِموا سيماهمُ فوقَ المَغافرِ لم ينُوا لفِرارِ

ولقد علمتُ ليَغلِبنَّ محمدٌ وليَثْوين بها إلى أصفارِ (٢)

فرَّت يهودٌ عندَ ذلك فى الوغَى تحت العَجاجِ غمائمَ الأبصارِ (٣)

---

(١) نطاة : حصن بخيبر . والفيلق الكتيبة . والشهباء : الكثيرة السلاح وذات مناكب وفقار : شديدة .

(٢) أصفار : جمع صفر وهو الشهر المعروف .

(٣) الغمائم : جفون العين . قال السهيلى : وهو بيت مشكل ؛ غير أن فى بعض النسخ وهى قليلة عن ابن هشام أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، إذا فتحت فاها ، وغمائم الأبصار : هى مفعول فرت ، وهى جفون أعينهم . انظر الروض الأنف .

فصـــل

فى ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة رضى الله عنهم
على ماذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازى

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أَكْثم بن سَخْبَرة الأسدى مولى بنى أمية ، وثَقيف بن عمرو ورفاعة بن مَسْروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهُبَيب بن أُهَيب بن سُحَيم بن غِيرة من بنى سعد بن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم . ومن الأنصار بِشْر بن البَرَاء ابن مَعْرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وفُضيل ابن النعمان السَّلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زُرَيق الزّرقى ، ومحمود بن مَسْلمة الأَشْهلى ، وأبو ضَيَّاح حارثة بن ثابت بن النعمان العَمْرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مُرّة بن سُراقة ، وأوس [بن] الفائد[1] وأُنيف بن حبيب ، وثابت بن أَثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة ابن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه فى ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها فى أوائل الغزوة ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود ابن ربيعة حليف لهم من القارَة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) الأصل : وأوس الفارض . وما أثبته عن الإصابة .

خبر الحجاج بن عِلاط البَهْزى رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر كلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاجَ بن عِلاط السُّلَمى ثم البَهْزى فقال : يارسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده له منها مُعْرِض بن الحجاج — ومالاً متفرقا فى تجار أهل مكة ، فَأْذن لى يارسول الله . فأذن له ، فقال : إنه لابد لى يارسول الله من أن أقول . قال : قل .

قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنَعة ورجالا ، وهم يتجسَّسون الأخبار من الركبان [1] .

فلما رأونى قالوا : الحجّاج بن عِلَاط — قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى — عنده والله الخبر ، أخبرنا ياأبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهى بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر مايسرُّكمْ . فالتبطوا [2] بجنْبى ناقتى يقولون : إيه ياحجاج ؟ قال : قلت : هُزم هزيمةً لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأُسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة] [3] وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَم به عليكم فيُقتل بين أظهركم .

---

(١) ابن هشام : يتحسسون الأخبار ويسألون الركبان .

(٢) التبطوا : مشوا بجانبها ولازموها .

(٣) من ابن هشام .

قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أَقْدَم خيبر فأصيب من فَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ماهنالك . قال : فقاموا فجمعوا لى ما كان لى كأحثِّ جَمْع سمعتُ به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وكان [لى][1] عندها مال موضوع ، فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبقني التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبرَ وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال : ياحجاج ماهذا الذى جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حِفْظٌ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخِرْ حتى ألقاك على خَلاء ، فإنى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرفْ حتى أَفْرَغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ علىّ حديثى ياأبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت : فإنى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم — يعنى صفيةَ بنت حيى — وقد افتتح خيبرَ وانتَثل ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول ياحجاج ؟ قال : قلت : إى والله فا كتم عنى ، ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لآخذ مالى فرَقاً عليه من أن أُغلَب عليه ، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرَك فهو والله على ماتحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلةً له وتخلّق[2] وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلُّد لحرِّ المصيبة ! قال : كلا والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمدٌ خيبرَ ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه

(١) من ابن هشام .
(٢) تخلق : تطيب بالخلوق .

فيكون معه ، فقالوا : يالعباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لـكان لنا وله شأن .

قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

***

وهكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمر ، سمعت ثابتا يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج ابن عِلَاط : يارسول الله إن لى بمكة مالا وإن لى بها أهلا ، وإنى أريد أن آتيهم ، أفأنا فى حِلّ إن أنا نِلْت منك أو قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ماشاء ، فأتى امرأته حين قدِم فقال : اجمعى لى ما كان عندك ، فإنى أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم .

قال : وفشا ذلك بمكة ، فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسروراً .

قال : وبلغ الخبرُ العباسَ فعُقِر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرنى عثمان الخزرجى عن مِقْسَم قال : فأخذ ابنا يقال له قُثَم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول .

حِـــــبِّى قُثَمْ · شِبْهذى الأنف الأشمّ

بنى ذى النِّعم برَغْم من زَعمْ

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى حجاج بن عِلَاط فقال : ويلك ماجئتَ به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيرٌ مما جئت به . فقال : حجاج بن علاط : اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له فليُخْلِ لى فى بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على مايسرُّه . فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال : أبشر يأبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه ، فأخبره ماقال حجاج فأعتقه .

قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم

أموالهم ، وجرت سهامُ الله فى أموالهم ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيَّرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته . قال : ولكنى جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لى أن أقول ماشئت ، فأخْفِ على ثلاثا ثم اذكر مابدا لك .

قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمرَ به ، فلما كان بعدَ ثلاثٍ أتى العباسُ امرأةَ الحجاج فقال : مافعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله ياأبا الفضل لقد شقّ علينا الذى بلغك ، قال : أجل لا يحزننى الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهامُ الله ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، فإن كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال : فإنى صادق والأمرُ على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالسَ قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلاخير ياأبا الفضل . قال : لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرنى الحجاج بن عِلَاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألنى أن أخفى عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شىء هاهنا ثم يذهب .

قال : فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباسَ فأخبرهم الخبر ، فسُرَّ المسلمون وردّ ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائى عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقى من طريق محمود بن غَيْلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجاج بن عِلاط السُّلمى ثم البَهْزى قد أسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحَ خيبر ، وكان تحته أم شيبة أخت عبد الدار بن قصى ، وكان الحجاج مُكْثِرا من المال ، وكانت له معادن أرض بنى سليم ، فلما ظهر رسول الله صلى عليه وسلم على خيبر استأذن الحجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذهاب إلى مكة يجمع أمواله ، فأذن له نحو ماتقدم. والله أعلم .

[قال السهيلى رحمه الله : وروينا فى سبب إسلام الحجاج هذا أمرا عجيبا مع الجن . قال : وهو والد نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة بسبب افتتان بعض جوارى المدينة . وفيه تقول الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشرَبها ولا سبيلَ إلى نصر بن حَجَّاج

قال : فلما ذهب إلى الشام فهوى امرأة أبى الأسود السلمى وأضنى من حبها ، وكان يقال له الضنىّ . ومات بذلك][(١)] .

قال ابن إسحاق : ومما قيل من الشعر فى غزوة خيبر قول حسان :

بئس ماقاتلت خَيابرُ عمّا جَمعوا من مزارعٍ ونخيلِ

كرهوا الموت فاستُبيح حِماهم وأقرُّوا فعلَ الذميم الذليلِ

أمن الموت يهربون فإن المو ت موت الهزال غير جميلِ

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

ونحن ورَدْنا خيبرا وفروضَه بكل فتى عارى الأشاجعِ مِذْوَدِ[(٢)]

(١) سقط من المطبوعة . (٢) الفروض : مواضع الشرب من الأنهار . والأشاجع : عروق ظاهر الكف . والمذود : الحامى المدافع .

جوادٍ لدى الغاياتِ لا واهنِ القوى ... جرىءٍ على الأعـداء فى كل مَشْهدِ
عظيمِ رَماد القِـدْر فى كل شَتْوَةٍ ... ضروبٍ بنَصْـل المشرفىِّ المهنـدِ
يرى القتل مَدْحًا إن أصاب شهادةً ... من الله يرجـوها وفوزاً بأحمـدِ
يَذُود ويحمى عن ذِمَار محمدٍ ... ويَدْفع عنـه باللسـان وباليـدِ
وينصره من كل أمرٍ يَريبـه ... يجود بنفسٍ دون نفس محمـدِ
يصدِّق بالأنبياء بالغيب مُخْلصًا ... يريد بذاك العزَّ والفـوزَ فى غـدِ

فصـــل

فى مروره عليه السلام بوادى القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحته يهود على ما ذكره الواقدى

قال الواقدى : حدثنى عبـد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : خرجنـا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم من خيبر إلى وادى القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامى قد وهب لرسول الله صلى الله عليـه وسلم عبدا أسود يقال له مِدْعم ، فـكان يرحِّل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلنا بوادى القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليها ناس من العرب ، فبينا مِدْعم يحطُّ رحلَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقد استقبلتنا يهود بالرمى حين نزلنـا ولم نـكن على تعبية ، وهم يصيحون فى آطامهم ، فيُقْبل سهمٌ عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناسُ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شراكين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « شراك من نار

أو شراكان من نار » . وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدى : فعبَّى رسول الله أصحابه للقتال وصفَّهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، ورايةً إلى الحباب بن المنذر ، ورايةً إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد ابن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إنْ أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله .

قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه علىّ فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم رجلا دعى من بقى منهم إلى الإسلام .

ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسَى[1] ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عَنْوة وغنَّمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيراً .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل فى أيدى اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهودَ تيماء ما وطئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرَ وفَدَك ووادى القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم .

فلما كان عمر أخرج يهودَ خيبر وفدك ولم يخرج أهل تَيْماء ووادى القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز ، ومَن وراء ذلك من الشام .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادى القرى وغنَّمه الله عز وجل .

---

(١) ا : أمسوا .

قال الواقدى : حدثنى يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عمارة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجُرْف وهو يقول : « لا تَطْرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت : فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلى سبيلها ولم يهجر ، وضنّ بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما يكره .

فصـــل

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر عامَلَ يهودَها عليها على شطْر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد فى بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالهم ، وفى بعضها : وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « نقرُّكم فيها ما شئنا » .

وفى السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمِّنهم إياه ، فلما قُتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب للمزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابنَ شهاب كيف أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمَّسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن شئتم

دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، فأُقرُّكم ما أقرَّكم الله » .

فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله ابن رواحة فيقسم ثمرها ويَعدل عليهم فى الخرْص .

فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صَدْراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبتُ ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لى فى إجلائكم . وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن فى جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأتنى به أُنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء . فأجْلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد ادعى يهود خيبر فى أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه وضع الجزية عنهم .

وقد اغترَّ بهذا الكتاب بعضُ العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو على بن خيرون ، وهو كتاب مزوَّر [مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينتُ بطلانه من وجوه عديدة فى كتاب مُفْرد](١)

وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب فى كتبهم كابن الصباغ فى مسائله ، والشيخ أبى حامد فى تعليقته ، وصنف فيه ابن المسْلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحركوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ما ذكره الأصحاب فى كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن

---

(١) سقط من ا .

خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفى آخره : وكتبه على ابن أبى طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شُرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا فى حدود سنة تسع . والله أعلم .

***

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِى علىَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشى ففُدعت يداى من مرفقى ، فلما استَصْرخَ على صاحباى فأتيانى فسألانى من صنع هذا بك ؟ فقلت: لا أدرى ، فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خيبر .

ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامَل يهودَ خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدَوا على عبد الله بن عمر ففدَعوا يديه كما بلغكم مع عَدْوتهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فإنى مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذى بخيبر ، وقد كان وقفه فى سبيل الله وشرط فى الوقف ما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت فى الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : جِمَاع أبواب السرايا التى تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازى .

سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة ، حدثني أبي ، قال : خرجنا مع أبي بكر ابن أبي قحافة وأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرَّسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشَنَنا الغارة ، فقتلنا على الماء من مَرَّ قِبَلنا .

قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل ، قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قَشْع[1] من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنفلني أبو بكر بنتها ، قال : فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ، ثم بتُّ فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي : « ياسلمة هب لي المرأة » قال : فقلت : والله يارسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « ياسلمة هَبْ لي المرأة » . قال : فقلت : يارسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفتُ لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « ياسلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال : قلت : يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله . قال : بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

(١) القشع : الفرو الخلق .

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تُربة من أرض هوازن وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقى من طريق الواقدى بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعثَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين راكبا ومعه دليل من بنى هلال، وكانوا يسيرون الليل ويَكمنون النهار، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكرّ عمر راجعاً إلى المدينة، فقيل له: هل لك فى قتال خَثْعم؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرنى إلا بقتال هوازن فى أرضهم.

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودى

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لَهِيعة، عن أبى الأسود، عن عروة، ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهرى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة فى ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن راحة إلى يسير بن رِزَام اليهودى حتى أتوه بخيبر، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خيبر. فلم يزالوا به حتى تبعهم فى ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديفٌ من المسلمين، فلما بلغوا قَرْقرة نِيَار وهى من خيبر على ستة أميال ندم يسير بن رِزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم، حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها، واقتحم يسير وفى يده مِخْراش من شَوْحَط[1] فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شَجَّةً مَأْمومة[2]. وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدًّا ولم يُصَب من المسلمين أحد،

---

(١) المخراش المحجن، وهو عصا معقوفة. والشوحط: شجر من النبع.
(٢) مأمومة: فى أم رأسه.

وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شجة عبد الله بن رواحة فلم تُقَيِّح ولم تؤذه حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدى بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشيرَ بن سعد فى ثلاثين راكباً إلى بنى مرة من أرض فَدك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامةَ من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيما ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرَّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدى : ثم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبد الله ، ومعه جماعة من كبار الصحابة ، فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البَدْرى ، وكعب بن عجرة .

ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بنى مرة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط فى يده وندم على مافعل .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بنى سلمة ، عن رجال من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غالبَ بن عبد الله الكلبى إلى أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفا لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار – يعنى مِرْداس بن نهيك[1]] فلما شهرنا عليه السيفَ قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه .

(١) من ا .

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت : يارسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » .

فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها علىّ حتى تمنيت أن مامضى من إسلامى لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت : إنى أعطى الله عهداً ألّا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً . فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشيم بن بشير ، أنبأنا حصين ، عن أبى ظبْيان ، قال : سمعت أسامةَ بن زيد يحدث قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جُهينة ، قال : فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أدْبروا كان حاميتهم ، قال : فغشيتُه أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشيناه قال : لا إله إلا الله . فكفَّ عنه الأنصارى وقتلتُه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلتَه بعد ماقال لا إله إلا الله ؟! » قال : فقلت : يارسول الله إنما كان متعوِّذاً من القتل . قال : فكررها علىّ ، حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمتُ إلا يومئذ .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هُشيم به نحوه .

* * *

وقال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجهنى ، عن جندب بن مَكيث الجهنى قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبد الله الكلبى كلب ليث إلى بنى الملوّح بالكَديد وأمره أن يغير عليهم ، وكنت فى سريته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقُديد[1] لقينا الحارثُ بن مالك بن البرصاء الليثى فأخذناه فقال : إنى إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك

(١) ابن هشام : بقديد .

رباطُ يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك .

قال : فأوثقه رباطاً وخلَّف عليه رويجلا أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإن نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطنَ الكَديد ، فنزلنا عشيةً بعد العصر ، فبعثنى أصحابى إليه فعمدتُ إلى تل يُطْلعنى على الحاضر ، فانبطحت عليه . وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآنى منبطحا على التل فقال لامرأته : إنى لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته فى أول النهار ، فانظرى لا تكون الكلابُ اجترّت بعضَ أوعيتك . فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئا ، قال : فناولينى قوسى وسهمين من نبلى ، فناولتْه فرمانى بسهم فى جنبى أو قال فى جبينى ، فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم رمانى بالآخر فوضعه فى رأس منكبى فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْماى ولو كان رَبيئةً[1] رَبيئةً لتحرّك ، فإذا أصبحتِ فابتغى سهمىّ فخذيهما لا تمضغهما علىّ الكلاب .

قال : فأمهلنا حتى إذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعَطنوا وسكنوا وذهبت عَتَمَة من الليل ؛ شننَّا عليهم الغارة ، فقتلنا واستقْنا النعم ووجَّهنا قافلين به ، وخرج صريخُ القوم إلى قومهم بقُرْبنا ، قال : وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا مالا قِبلَ لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطنُ الوادى من قُديد بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالا ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقْدَم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقْدر أحد منهم أن يقدَم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها ـ شك النُّفيلى ـ فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها فى المسلك ، ثم حدَرنا عنه حتى أعجزنا القومَ بما فى أيدينا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق فى روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم .

---

(١) الربيئة : طليعة القوم . وفى المطبوعة : ربية . وهو تحريف .

وذكر الواقدى هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا .

ثم ذكر البيهقى من طريق الواقدى سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعما كثيراً ، وكان بَعْثه فى هذه السرية بإشارة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حُسَيل بن نويرة وهو الذى كان دليل النبى صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، قاله الواقدى .

سرية أبى حَدْرَد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق : كان من حديث قصة أبى حدرد وغزوته إلى الغابة ما حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبى حدرد قال : تزوجت امرأةً من قومى فأصدقتُها مائتى درهم ، قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى . فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت: مائتى درهم ، فقال : « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ، والله ما عندى ما أعينك به » فلبثت أياما ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس ــ أو قيس بن رفاعة ــ فى بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم وشرف فى جشم ، قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا شارفاً عجفاء فحمل عليه أحدنا ، فو الله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلَّغوا على هذه » .

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت فى ناحية وأمرت صاحبىَّ فكمنا فى ناحية أخرى من حاضِر القوم ،

وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى العسكر فكبرًا وشُدًّا معى .

فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرةً أو نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سَرح فى ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله فى عنقه فقال : والله لأتيقّنن أمرَ راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه : والله لا تذهب نحن نكفيك . فقال : لا إلا أنا . قالوا : نحن معك . فقال : والله لا يتبعنى منكم أحد . وخرج حتى مر بى ، فلما أمكننى نفحته بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت ناحية العسكر وكبّرت وشد صاحباى وكبّرا ، فوالله ما كان إلا النجا ممن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم ، واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معى ، فأعطانى من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً فى صداقى فجمعتُ إلىَّ أهلى .

السرية التى قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبدالله بن قُسيط ، عن ابن عبدالله[1] بن أبى حَدْرد ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم فى نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن رِبْعى ومحَلِّم بن جثّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم مرَّ بنا عامرُ بن الأضبط الأشجعى على قَعود له معه مُتَيِّع له ووطب[2] من لبن ، فسلم علينا بتحيه الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثّامة فقتله لشىء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومُتَيِّعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن « يا أيها الذين آمنوا إذا ضَربتم فى سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقَى اليكم

(١) ابن هشام : عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد .

(٢) المتيع : المتاع القليل . والوطب وعاء اللبن .

السلامَ لست مؤمنا تبتغون عرضَ الحياة الدنيا ، فعندَ الله مغانمُ كثيرة ، كذلك كنتم من قبلُ فمنَّ الله عليكم فتبيَّنوا إن الله كان بما تعملون خبيراً[١] » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حَدْرَد عن أبيه . فذكره .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضُميرة بن سعد الضَّمْرى[٢] يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه وعن جده قالا — وكانا شهدا حنينا — قالا : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقعد فيه فقام إليه عُيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعى وهو سيد عامر : هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدَعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثلَ ما أذاق نسائى . فقام رجل من بنى ليث يقال له ابن مُكَيْل وهو قصير من الرجال ، فقال : يا رسول الله ما أجد لهذا القتيل شَبَهاً فى غُرة الإسلام إلا كغنم وردَت فرُميت[٣] أولاها فنفَرت أُخراها ، اسْنُن[٤] اليومَ وغَيِّرْ غداً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرا الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلِّم بن جَثَّامة : إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فجاء رجل طِوَال ضَرْب[٥] اللحم فى حُلة قد تهيأ فيها للقتل ، فقام بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تغفر لمحلِّم » قالها ثلاثا . فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

---

(١) سورة النساء ٩٤ .
(٢) ابن هشام : السلمى .
(٣) غير ا : فشربت .
(٤) اسنن : ضع الأحكام والسنن .
(٥) ضرب اللحم : خفيفه .

وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى خالد الأحمر عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة [1] عن أبيه وعن جده . وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، وعن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثنى سالم أبو النَّضر أنه قال[2] : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرعُ بن حابس فخلا بهم وقال : يا معشر قيس ، سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا تتركونه ليُصْلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَغْضب الله لغضبه ، ويلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لَتُسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بنى تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ما صلَّى قط فلا يُطْلبن [3] دمه . فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية .

وهذا منقطع معضل .

وقد روى ابن إسحاق عمن لا يُتَّهم عن الحسن البصرى ، أن محلِّما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : « أمَّنته ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه .

قال الحسن : فوالله ما مكث محلِّم إلا سبعاً حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضَموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ

---

(١) ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

(٢) ابن هشام: وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن... (٣) ابن هشام : فلا تُطلبن .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الأرض لتطابق على من هو شرٌّ منه ، ولكن الله أراد أن يَعظكم فى حُرم ما بَيْنكم لما أراكم منه » .

وقال ابن جرير : حدثنا وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محلِّم بن جَثَّامة مَبْعثاً فلقيهم عامر بن الأضْبط فحيّاهم بتحية الإسلام ـ وكانت بينهم هِنَةٌ فى الجاهلية ـ فرماه محلّم بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله سُنَّ اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثُّكل ما أذاق نسائى محلم فى بُرْدين فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا غفر الله لك » فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتَقْبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه فى جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت : « يأيها الذين آمنوا إذا ضَربتم فى سبيل الله فتبينّوا » الآية .

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهرى ، ورواه شعيب عن الزهرى عن عبد الله بن وهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمِّ محلم بن جَثّامة ولا عامر بن الأضبط ، وكذلك رواه البيهقى عن الحسن البصرى بنحو هذه القصة وقال : وفيه نزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنو إذا ضَربتم فى سبيل الله فتبينّوا » الآية .

قلت : وقد تكلمنا فى سبب نزول هذه الآية ومعناها فى التفسير بما فيه الكفاية . ولله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حُذافة السهمى

ثبت فى الصحيحين من طريق الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن

الحُبلى ، عن على بن أبى طالب قال : استعمل النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار على سَرِيّة بعثهم وأمَرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال : فأغضبوه فى شيء فقال : اجمعوا لى حطباً . فجمعوا . فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار .

فلما قدِموا على النبى صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال : « لو دخلوها ماخرجوا منها ، إنما الطاعة فى المعروف ».

وهذه القصة ثابتة أيضاً فى الصحيحين من طريق يَعْلى بن مسلم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية فى التفسير ولله الحمد والمنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضـــاء

ويقال القِصَاص . ورجحه السُّهيلى . ويقال عمرة القَضِيّة ، فالأولى قضاء عما كان أُحْصر عام الحديبية والثانى من قوله تعالى : « والحُرمات قِصاصٌ » والثالث من المقاضاة التى كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتى فى العام القابل ولا يدخل مكة إلا فى جُلْبان[1] السلاح وألّا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

وهذه العُمرة هى المذكورة فى قوله تعالى فى سورة الفتح المباركة : « لقد صَدَق الله رسولَه الرؤيا بالحقّ لَتَدْخُلُنّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين محلّقين رءوسكم ومقصّرين لا تخافون » الآية . وقد تكلمنا عليها مستقصًى فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

وهى الموعود بها فى قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطوِّف به » .

وهى المشار إليها فى قول عبد الله بن رَواحة حين دخل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ   اليومَ نَضربكم على تأويلِهِ
كما ضَربناكم على تنزيلِه

(١) الجلبان : شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف .

أى هذا تأويل الرؤيا التى كان رآها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاءت مثل فلَق الصبح .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك سراياه .

ثم خرج من ذى القعدة فى الشهر الذى صدَّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكانَ عمرته التى صدُّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيف بن الأضبط الدُّؤلى .

ويقال لها عمرة القِصَاص ، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع .

بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى فى ذلك « والحرماتُ قِصَاص » .

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه فى مغازيه : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة ، فنادى فى الناس : أن تجهزوا للعُمْرة . فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه فى عمرته تلك وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً فى عُسْرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صَفُّوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد

اضطَبع بردائه وأخرج عَضُـده اليمنى ثم قال : « رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوةً » .

ثم استلم الركنَ ، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السُّنة بها .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأصحابه فقال المشركون : إنه يَقْدَم عليكم وَفْدٌ وَهنهم حُمَّى يثرب . فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يرْملوا الأشواطَ الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال أبو عبد الله : وزاد بن سلمة ـ يعنى حماد بن سلمة ـ عن أيوب ، عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم لِعامهم الذى استأمَن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوتَهم ، والمشركون من قِبل قُعَيْقعان .

ورواه مسلم عن أبى الربيع الزهْرانى ، عن حماد بن زيد . وأسنده البيهقى طريق حماد بن سلمة .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، سمع ابن أبى أوْفَى يقول : لما اعتمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسيأتى بقية الكلام على هذا المقام .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خَلُّوا بنى الكفار عن سبيلِهِ   خلُّوا فكلُّ الخير فى رسولِهِ
يارِبِّ إنى مؤمنٌ بقِيلِه   أعرف حقَّ الله فى قَبولِهِ
نحن قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيلِهِ
ضرباً يزيل الهامَ عن مَقِيله   ويُذْهل الخليلَ عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم – يعنى يوم صِفِّين – قاله السهيلى .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرُّوا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البيهقى روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن أنس قال : لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكةَ فى عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ، وفى رواية وهو آخذ بغَرْزه وهو يقول :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيله   قد نزَّل الرحمنُ فى تنزيلِهِ
بأن خيرَ القتل فى سبيلِهِ   نحن قتلناكم على تأويلِهِ

وفى رواية بهذا الإسناد بعينه :

خلُّوا بنى الكفار عَنْ سبيله   اليوم نَضربكم على تنزيله
ضرباً يزيلُ الهامَ عن مَقيله   ويُذْهل الخليلَ عن خليله

يارِبِّ إنى مؤمنٌ بقِيله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام القَضِية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمِحْجَنه . قال ابن هشام : من غير علة ، والمسلمون يَشْتدون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول :

باسمِ الذى لا دينَ إلا دِينُهُ   باسم الذى محمدٌ رسولُه
خلوا بنى الكفار عن سبيله

* * *

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمراً فى ذى القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذى صدَّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يَأْجِجَ وضع الأداةَ كلها الحُجُف والمجانّ والرماح والنَّبل ، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه جعفر بن أبى طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه ، فجعلت أمرَها إلى العباس وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث ، فزوجها العباسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابَه قال : « اكشفوا عن المناكب واسعَوا فى الطواف » . ليرى المشركون جَلَدهم وقوتهم ، وكان يكايدهم بكل ما استطاع ، فاستكفَّ (١) أهلُ مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبدالله بن رواحة يرتجز بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحا بالسيف وهو يقول :

خلُّوا بَنى الكفارِ عن سبِيله   أنا الشهيدُ أنه رسولُه

(١) استكف : أحاطوا به .

قد أنزلَ الرحمنُ فى تنزيله ... فى صحف تُتْلى على رسولِه

فاليوم نَضْربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهامَ عن مَقِيله ... ويُذهل الخليلَ عن خليله

قال : وتغيَّب رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا إلى الخَنْدَمة[1] ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية .

فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سُهيل بن عمرو وحُوَيطب بن عبد العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقدَ لمـا خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاثُ . فقال سعد بن عبادة : كذبتَ لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا وحويطباً فقال : « إنى قد نكحت فيكم امرأةً فما يضرُّكم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا : نناشدك الله والعقدَ إلا خرجت عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذَّن بالرحيل ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل ببطن سَرِف وأقام المسلمون وخلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف فبنى بها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة .

وقدَّر الله أن يكون موتُ ميمونة بسَرِف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(٢) الخندمة : جبل بمكة

ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل فى تلك العمرة « الشَّهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرماتُ قِصَاص » فاعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشهر الحرام الذى صُدَّ فيه .

***

وقد روى ابن لَهِيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هـذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة .

ففى صحيح البخـارى من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفارُ قريش بينه وبين البيت ، فنحر هَدْيه وحلَق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العـامَ المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبُّوا .

فاعتمر من العـام المقبـل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج .

وقال الواقدى : حدثنى عبـد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تـكن هـذه عمرةَ قضاء وإنمـا كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل فى الشهر الذى صدَّهم فيه المشركون .

وقال أبو داود : حدثنا النُّفَيْلى ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حاضر الحِمْيرى يحدِّث أن ميمون بن مُهران قال : خرجت معتمرا عامَ حاصر أهلُ الشام ابنَ الزبير بمكة ، وبعث معى رجال من قومى بهَدْى .

قال : فلمـا انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرَم ، قال : فنحرت الهدىَ مكانى ثم أحللْت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضى عمرتى ، فأتيت بن عباس فسألته فقال : أَبْدِل الهدىَ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه

أن يُبْدلوا الهدىَ الذى نحروا عام الحديبية فى عمرة القضاء .

تفرد به أبو داود من حديث أبى حاضر عثمان بن حاضر الحميرى، عن ابن عباس فذكره.

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى عمرو بن ميمون قال : كان أبى يسأل كثيراً : هل كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبْدَل هديه الذى نحر حين صده المشركون عن البيت ؟ ولا يجد فى ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أباحاضر الحميرى عن ذلك فقال له : على الخبيرِ سَقطْتَ ! حججتُ عامَ ابن الزبير فى الحصْر الأول ، فأهديت هدياً فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت فى الحرم ورجعت إلى اليمن وقلت : لى برسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيتُ ابنَ عباس فسألته عما نحرت علىَّ بَدله أم لا ؟ قال : نعم فأبدل ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذى نحروا عام صَدَّهم المشركون فأبدلوا ذلك فى عمرة القضاء ، فعزَّت الإبلُ عليهم فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البقر .

وقال الواقدى : حدثنى غانم بن أبى غانم ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجيةَ بنَ جُنْدب الأسلمى على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى فى الشجر معه أربعة فتيان مِن أَسْلم ، وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية ستين بدَنة .

فحدثنى محمد بن نعيم المجمّر ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها .

قال الواقدى: وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبِّى والمسلمون معه يلبون ، ومضى محمد بن مَسْلمة بالخيل إلى مَرّ الظَّهران ، فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبِّح هذا المنزلَ غدا إن شاء الله . ورأوا سلاحا كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذى رأوا

من السلاح والخيـل ، ففزعت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنـا وهُدنتنا ، ففيم يغزونا محمد فى أصحابه ؟

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران ، وقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاحَ إلى بطن يَأْجِج حيث ينظر إلى أنصـاب الحرم ، وبعثت قريش مِكْرَز بن حفص بن الأحنف فى نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه والهـدْى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمـد ما عُرفتَ صغيراً ولا كبيراً بالغدْر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك، وقد شَرطت لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف فى القرب ، فقـال النبى صلى الله عليـه وسلم :« إنى لا أُدخل عليهم السلاح » فقال مِكْرز بن حفص : هـذا الذى تُعْرف به ، البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مـكة .

فلما أن جاء مِكْرز بن حفص بخبر النبى صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال وخلَّوا مكة وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى أمامه حتى حُبس بذى طوًى ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم مُحْدقون به يلبون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحـة آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

* خلوا بنى الـكفار عن سبيله * إلى آخره

وفى الصحيحين من حـديث ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعنى من ذى القعدة سنة سبع ـ فقـال المشركون : إنه يقـدَم عليـكم وَفْدٌ قد وَهَنتهم حُمّى يثرب . فأمر رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أن يَرْملوا

الأشواطَ الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن عبد الله ابن عثمان ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مرَّ الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا تقول : ما يتَبَاعثون من العجَف[1] . فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظَهْرنا فأكلنا من لحومه وحسَوْنا من مَرَقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جُمامة[2] ، فقال : « لا تفعلوا ولكن اجمعوا لى من أزوادكم » فجمعوا له وبَسطوا الأنطاعَ فأكلوا حتى تركوا ،وحشا كل واحد منهم فى جِرابه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غميزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب بالركن اليمانى مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : مايرضَون بالمشى أما إنهم لينْفِرون نفرَ الظِّباء ! ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سُنّة .

قال أبو الطفيل : وأخبرنى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فى حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ، حدثنا أبو سلمة موسى ، حدثنا حماد ـ يعنى ابن سلمة ـ أنبأنا أبو عاصم الغنَوى ، عن أبى الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمَل بالبيت وأن ذلك سُنّة ؟ فقال : صدقوا وكذَبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله عليه وسلم ، وكذبوا ليس بسُنّة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت : دعُوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موتَ

(١) العجف : الهزال . (٢) جمامة : بقية من قوة .

النَّغَف(١) ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قِبَل قُعَيْقِعان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثا » قال : وليس بسنة .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريرى ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس به نحوه .

وكَوْن الرمَل فى الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل فى عمرة القضاء وفى عمرة الجِعْرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عثمان بن خُثَيم ، عن أبى الطفيل عن ابن عباس فذكره .

وثبت فى حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل فى حجة الوداع فى الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرمَلان وقد أطال الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام .

وكان ابن عباس فى المشهور عنه لا يرى ذلك سُنة ، كما ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إنما سعَى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليُرى المشركين قوته .

لفظ البخارى .

وقال الواقدى : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه فى القضاء دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذَّن بلال الظُّهرَ فوق ظَهر الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، فقال عِكْرمة بن أبى جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبدَ يقول ما يقول! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذى أذهبَ أبى قبل أن يرى هذا . وقال

(١) النغف : دود فى أنوف الإبل والغنم ، ويقال للمحتقر : نغفة .

خالد بن أسيد : الحمد الله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سُهيل بن عمر ورجال معه لما سمعوا بذلك غطَّوا وجوههم .

قال الحافظ البيهقى : قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقى من طريق الواقدى أن هذا كان فى عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح . والله أعلم .

وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق : حدثنى أبَان بن صالح وعبد الله بن أبى نَجِيح ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونةَ بنت الحارث فى سفَره ذلك وهو حَرام ، وكان الذى زوجه إياها العباسُ بن عبدالمطلب .

قال ابن هشام : كانت جَعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى زوجها العباس ، فزوّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصْدَقها عنه أربعمائة درهم .

وذكر السُّهيلى أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهى راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها نزلت الآية : « وامرأةً مؤمنةً إنْ وهبَتْ نفسَها للنبىِّ إن أراد النبىُّ أن يَسْتنكحها خالصةً لك من دون المؤمنين »(٢) .

وقد روى البخارى من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرِم ، وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسَرِف .

قال السهيلى(١) وروى الدارقطنى من طريق أبى الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر

(١) سورة الأحزاب ٥٠ (٢) كذا فى ا وفى ت : البيهقى .

الورّاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال .

قال : وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان مُحْرما ، أى فى شهر حرام ، كما قال الشاعر :

قتلوا ابنَ عفـان الخليفةَ مُحْرِماً   فدعا فلم أر مثلَه مخـــــذولًا

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك، ولا سيما [من][1] قوله : « تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلال » وقد كان فى شهر ذى القعدة أيضا وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذُّهْلى ، حدثنا عبد الرزاق ، قال: قال لى الثورى : لا يُلتفت[2] إلى قول أهل المدينة . أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وهو مُحْرم .

قال أبو عبد الله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعاً ، عن عمرو ، عن أبى الشّعثاء ، عن ابن عباس وابن خُثَيم[3] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نعم ، أما حديث ابن خثَيم فحدّثنا هاهنا – يعنى باليمن – وأما حديث عمرو فحدثنا ثَمَّ – يعنى بمكة – .

وأخرجاه[4] فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به .

وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرم . فقال سعيد بن المسيب : وَهِم

---

(١) من ا
(٢) ا : لا تلتفت .
(٣) ا خيثم وهو تحريف .
(٤) ا : أخرجاه .

ابن عباس وإنْ كانت خالته ، ما تزوّجها إلا بعد ماأَحَلّ .

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثنى بَقيّة ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَكح ميمونة وهو مُحْرم فذكر كلمته ، إنما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة فكان الحِلُّ والنكاح جميعا ، فشُبِّه ذلك على ابن عباس (١) .

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامرى ، عن خالته ميمونة بنت الحارث ، قالت : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان (٢) بسَرِف. لكن قال الترمذى : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصمّ مرسلا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهانى الزاهد ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن سليمان بن يَسار ، عن أبى رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى (٣) بها وهو حلال وكنت الرسولَ بينهما .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعاً ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذى : حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر . ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلا .

[ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، ويقال : سنة ستين ، رضى الله عنها] (٤)

---

(١) ا : على الناس .

(٢) غير ا : حلال .

(٣) ا : وبنى .

(٤) سقطت من ا .

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ماذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حُويطب بن عبد العزى بعدمضى أربعة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرَض عليهم أن يعمل وليمة عُرسه بميمونة عندهم ، وإنما أراد تأليفَهم بذلك ، فأبَوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا . فخرج . وكذلك ذكره ابن إسحاق[١] .

وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البَراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ؛ فأبى أهلُ مكةأن يدَعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ماقاضى عليه محمدٌ رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهـذا ، لو نعلم أنك رسول الله مامنعناك شيئا ، ولـكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لِعلى ابن أبى طالب : « امْحُ رسولَ الله » قال : لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يُحْسن يَكْتب ، فكتب : هذا ماقاضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة [السلاح[٢]] إلا السيفُ فى القراب ، وألّا يَخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وألّا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها .

فلما دخل[٣] ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنةُ حمزة تنادى : ياعم ياعم . فتناولها علىّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختصم فيها علىّ وزيد وجعفر[٤] ، فقال على : أنا أخذتها وهى ابنة عمى . وقال جعفر : ابنة عمى وخالتُها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى . فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال

---

(١) فى ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حويطب فى اليوم الثالث .
(٢) من صحيح البخارى .
(٣) ا : دخلها !
(٤) ا : وحفص . وهو تحريف !

لعلى : « أنت منى وأنا منـك » وقال لجعفر : « أشبهت خَلْقى وخُـلُقى » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » قال[1] على : ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال : « إنهـا ابنة أخى من الرضاعة » .

تفرّد به البخارى من هذا الوجه .

***

وقد روى الواقدى قصة ابنة حمزة فقال : حدثنى ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصَين ، عن عـكرمة ، عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عَميس كانت بمكة .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّم علىّ بن أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علاَم نترك ابنة عمنا يتيمةً بين ظهرانى المشركين ؟ فلم يَنْهَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن إخراجها ، فخرج بها ، فتـكلم زيد بن حارثة وكان وصىّ حمزة ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ، ابنةُ أخى ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحق بها لمـكان خالتها عندى أسماء بنت عُمَيس . وقال على : ألا أراكم تختصمون ! هى ابنة عمى وأنا أخرجتها مَن بين أظهر المشركين ، وليس لـكم إليها سبب دونى ، وأنا أحق بها منكم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا أحـكم بينـكم ، أما أنت يازيد فموْلَى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت ياجعفر فتُشْبه خَلْقى وخُلُقى ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتكَ خالتُها ولا تُنْـكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » فقضى بها لجعفر .

قال الواقدى : فلما قضى بها لجعفر [قام جعفر[2]] فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله كان النجاشى إذا أرضى أحداً قام فحجل حولَه . فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : تزوجها فقال : « ابنة أخى من

(١) ا : فقال ورواية البخارى : وقال .　　(٢) سقطت من ا .

الرضاعة » . فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبى سلمة ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « هل جَزيتُ أبا سلمة » .

قلت : لأنه ذكر الواقدى وغيره أنه هو الذى زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمه أم سلمة ، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبى سلمة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحِجة ، وتولى[1] المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام : وأنزل الله فى هذه العمرة فيما حدثنى أبو عبيدة قوله تعالى : « لقد صدَق الله رسوله الرُّؤيا بالحق لَتدْخُلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلِّقين رءوسكم ومقصِّرين لا تخافون فعلِم ما لم تَعْلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » [يعنى خيبر[2]] .

فصـــل

ذكر البيهقى هاهنا سَرية ابن أبى العَوْجاء السُّلمى إلى بنى سُلَيم .

ثم ساق بسنده عن الواقدى : حدثنى محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهرى قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضية رجع فى ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابنَ أبى العوجاء السلمى فى خمسين فارسا ، فخرج العَينُ إلى قومه فحذَّرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبى العوجاء والقوم مُعِدُّون ، فلما أن رآهم[3] أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشَقوهم بالنَّبل ولم يَسمعوا قولهم وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه . فرموهم ساعةً وجعلت الأمدادُ

---

(١) ا : وولى .

(٢) من ابن هشام .

(٣) غير ا : رأوهم .

تأتى حتى أَحْدَقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القومُ قتالا شديداً حتى قُتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقى معه من أصحابه فى أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدى : فى الحجة[١] من هذه السنة — يعنى سنة سبع — ردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع ، وقد قدَّمنا الكلام على ذلك[٢] ، وفيها قدِم حاطبُ بن أبى بَلْتَعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا فى الطريق ، وغلام خصى .

قال الواقدى : وفيها اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعده ، قال : والثابت عندنا أنه عمل فى سنة ثمان .

---

(١) ا : فى المحرم .

(٢) فى الجزء الثانى .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعِنْ بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصـــل

في إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة[1] رضى الله عنهم وكان قدومهم فى أوائل سنة ثمان على ما سيأتى

قد تقدم طَرَف من ذلك[2] فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبى رافع اليهودى ، وذلك فى سنة خمس من الهجرة .

وإنما ذكره الحافظ البيهقى ها هنا بعد عمرة القضاء ، فروى من طريق الواقدى : أنبأنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مُجانباً معانداً ، حضرتُ بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوتُ ، ثم حضرتُ الخندقَ فنجوت .

قال : فقلت فى نفسى : كم أُوضِع[3] ! والله ليَظهرنَّ محمدٌ على قريش . فلحقت بمالى بالرهط[4] ، وأقللتُ من الناس - أى من لقائهم - .

فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلح ، ورجعت

---

(١) ا : وطلحة بن أبى طلحة وهو تحريف .
(٢) تقدم ذلك فى هذا الجزء .
(٣) أوضع : أدبر وأحارب .
(٤) الرهط : موضع فى شعر هذيل . المراصد : ٢/٦٤٥

قريش إلى مكة . جعلت أقول : يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ، ما مكةُ بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعدُ ناء عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أُسلم .

فقدمت مكة وجمعت رجالا من قومى ، وكانوا يرون رأيي ويسمعون منى ويقدِّمونني فيما نابَهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِدْرَهُنا[1] فى يُمْن نَقيبةٍ[2] وبركة أمرٍ . قال : قلت : تعلمون إنى والله لأَرى أمرَ محمدٍ أمراً يعلو الأمورَ علواً مُنْكَراً ، وإنى قد رأيت رأيا . قالوا : وما هو ؟ قلت : نَلْحق بالنجاشى فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشى [فإنا أن] نكون تحت يد النجاشى أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عَرفوا .

قالوا : هذا الرأى . قال : قلت : فاجمعوا مانهديه له ـ وكان أحب مايُهْدَى إليه من أرضنا الأَدَم ـ فجمعنا له[3] أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدِمْنا على النجاشى ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْرى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتابٍ كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابى : هـذا عمرو بن أمية الضمرى ولو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقـه ، فإذا فعلت ذلك سُرَّت قريش[4] وكنت قد أجزأتُ عنها حين[5] قتلت رسولَ محمد .

فدخلت على النجاشى فسجدت له كما كنت أصنع ،فقال : مرحبا بصديقى، أهديتَ لى من بلادك شيئا ؟قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أَدَما كثيراً . ثم قدمته فأعجبه وفرّق منه شيئا؟ بين بطارقته ، وأمر بسائره فأُدخل فى موضع وأَمر أن يُكتب ويُحتفظ به .

(١) ا : ذا رأى . والمدره : المدافع .
(٢) المطبوعة : نفسه . وهو تحريف .
(٣) غير ا : فحملنا أدما .
(٤) ا : سررت قريشا .
(٥) المطبوعة : حتى . وهو تحريف .

فلما رأيت عيب نفسه قلت : أيها الملك إنى قد رأيت رجلا خرج من عنـدك ، وهو رسول عدوٍّ لنا قـد وتَرنا وقتل أشرافنـا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي(١) ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر مِنْخراى فجعلت أتلقى الدم بثيابى ، فأصـابنى من الذل مالو انشقت بى الأرض دخـلتُ فيهـا فرقا منـه .

ثم قلت : أيها الملك لوظننت أنك تـكره ماقلتُ ماسألتك . قال : فاستحيا وقال : ياعمرو تسألنى أن أعطيك رسولَ مَن يأتيه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى ؛ والذى كان يأتى عيسى لتقتله .

قال عمرو : فغيَّر الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت فى نفسى : عرف هـذا الحقّ العربُ والعجم ، وتخالف أنت ! ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال : نعم أشهد به عند الله ياعمرو ، فأطعنى واتبعه ، فوالله إنه لَعلى الحق وليَظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يدَه فبايعنى على الإسلام ، ثم دعا بطشت فغسل عنى الدمَ وكسانى ثيابا . وكانت ثيابى قد امتـلأت بالدم فألقيتها . ثم خرجت على أصحابى فلما رأوا كسوة النجاشى سُروا بذلك وقالوا : هل أدركتَ من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلّمه فى أول مرة وقلت أعود إليـه . فقالوا : الرأى مارأيت .

قال : ففارقتهم وكأنى أعمد إلى حاجة ، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد شُحنت تُدْفع ، قال : فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشُّعبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينـة حتى مررت على مَرِّ الظهران ، ثم

---

(١) فى الروايات الأخرى : أنفه .

ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدّة فإذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يريدان منزلًا ، وأحدهما داخل فى الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ، دخل الناسُ فى الإسلام فلم يبقَ أحد به طُعْم (١) ، والله لو أقمتُ لأُخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضّبع فى مغارتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمداً وأردت الإسلامَ . فخرج عثمان بن طلحة فرحب بى، فنزلنا جميعاً فى المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسَى قولَ رجل لقيناه ببئر أبى عتبة يصيح : يارَباح يارباح . فتفاءلنا بقوله وسِرْنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكةُ المقادَة بعد هذين . فظننت أنه يَعْنينى ويعنى خالد بن الوليد ، وولَّى مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنه بشَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا ، فكان كما ظننت .

وأنَخْنا بالحَرَّة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطَّلَعْنا عليه ، وإن لوجهه تهلُّلاً والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ماهو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى حياءً منه . قال : فبايعته على أن يُغفر لى ماتقدم من ذنبى ولم يحضرنى ماتأخر ، فقال : « إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبلَه ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » .

قال : فوالله ماعدَل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى أمرٍ حزَبه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالدٍ كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدى : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب

(١) الطعم : القدرة .

فقال : أخبرنى راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى ، عن مولاه حبيب ، عن عمرو ابن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد ، عن مولاه حبيب [قال :] حدثنى عمرو بن العاص من فِيه ، فذكر ماتقدم فى سنة خمس بعد مقتل أبى رافع . وسياقُ الواقدى أبسطُ وأحسن .

قال الواقدى عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبى حبيب : وقَّت لك متى قدِم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنه قال قبلَ الفتح . قلت : فإن أبى أخبرنى أن عَمْرا وخالداً وعثمان بن طلحة قدِموا لهلال صفر سنة ثمان .

وفى صحيح مسلم مايشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه فى مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدى : حدثنى يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال سمعت أبى يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بى ماأراد من الخير قذَف فى قلبى الإسلامَ وحضَرنى رُشْدى ، فقلت : قد شهدتُ هذه المواطنَ كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس فى مواطن أشهده إلا أنصرفُ وأنا أرى فى نفسى أنى مُوضعٌ فى غير شىء ، وأن محمداً سيَظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين فلقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بعُسْفان ، فقمت بإزائه وتعرَّضتِ له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهمَمْنا أن نغير عليهم ثم لم يُعزم لنا — وكانت فيه خيرة — فاطَّلع على

ما فى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعاً وقلت: الرجل ممنوع ، فاعتزلنا ، وعدل عن سَنَن[1] خيلنا وأخذ ذات اليمين .

فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرّواح قلت فى نفسى : أى شىء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشى ؟ فقد اتبع محمداً وأصحابُه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية ؟ فأقيم فى عجم[2] ، فأقيم فى دارى بمن بقى ؟ فأنا فى ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القَضِية [فتغيّبتُ ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القَضية[3]] فطلبنى فلم يجدنى فكتب إلىّ كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فإنى لم أر أعجبَ مِن ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلُك عقلُك ! ومثل الإسلام جَهِله أحدٌ ؟ وقد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به ، فقال : « مثلُه جَهِل الإسلامَ ؟ ولو كان جَعل نِكايتَه وحَدّه مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدّمناه على غيره » فاستدركْ يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة .

قال : فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبةً فى الإسلام ، وسرّنى سؤالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ، وأرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مُجْدبة فخرجت فى بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنها لأبى بكر ، فقال : مَخرجُك الذى هداك الله للإسلام ، والضيق الذى كنت فيه من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : من أُصاحبُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلقيت صفوانَ بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى

---

(١) السنن : الجهة .
(٢) ا : مع عجم .
(٣) سقط من ا .

ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدِمنا على محمد واتبعناه فإن شرفَ محمد لنا شرفٌ ؟ فأبى أشدَّ الإباء فقال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا .

فافترقنا وقلت : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببَدْر . فلقيتُ عكرمةَ بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لى مثلَ ما قال صفوان بن أمية . قلت : فا كتم علىّ . قال : لا أذكره .

فخرجت لى منزلى فأمرت براحلتى فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت : إن هذا لى صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قُتل من آبائه ، فكرهت أن أذكره ، ثم قلت : وما علىّ وأنا راحل من ساعتى . فذكرت له ما صار الأمر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صُبَّ فيه ذَنُوب من ماء لخرج ، وقلت له نحوًا مما قلت لصاحبىّ ، فأسرع الإجابة ، وقلت له : إنى غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو ، وهذه راحلتى بفَجّ مُناخةً . قال : فاتَّعدت أنا وهو يَأْجِج ، إن سبقنى أقام وإن سبقته أقمت عليه .

قال : فأدْلجنا سَحَراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأْجِج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة فنجدُ عمرَو بن العاص بها ، قال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين مسيركم؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال: وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول فى الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم . قال : وذاك الذى أقْدَمَنى .

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظَهر الحرّة ركابنا فأُخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُرَّ بنا ، فلبست من صالح ثيابى ثم عمِدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقينى أخى : فقال أسرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشى فاطّلعت عليه فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طَلق ، فقلت : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال: « تعال » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » قلت : يا رسول الله إنى قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادع الله أن يغفرها لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يجبُّ ما كان قبله » قلت : يا رسول الله على ذلك . قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلّ ما أوْضَع فيه من صدٍّ عن سبيل الله » .

قال خالد : وتقدّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان ، قال : والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْدل بى أحداً من أصحابه فيما حزَبه .

سرية شجاع بن وهب الأسدى إلى نفر من هوازن

قال الواقدى : حدثنى ابن أبى سَبْرة ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبى فروة ، عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاعَ بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارُّون ، وقد أوعز إلى أصحابه ألا يُمْعنوا فى الطلَب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا كل رجل وزعم غيره أنهم أصابوا سَبْيا أيضا ، وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة ثم قدم أهلوهم مسلمين ، فشاور النبى صلى الله عليه وسلم أميرهم فى ردهن إليهم ، فقال : نعم فردوهن ، وخيَّرَ الجارية التى عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السرية هى المذكورة فيما رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سريةً قِبل نجد فـكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : وأصبنا إبلا كـثيرا فبلغت سهامنا اثنى عشر بعيراً وَنفَّلنا رسول الله[١] صلى الله عليه وسلم بعيراً بعيراً .

أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبدالله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقال أبو داود : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن محمـد بن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صـلى الله عليه وسلم سريةً إلى نجد فخرجتُ فيها فأصبنا نعماً كثيرا ، فنفَّلنا أميرنا بعيراً بعيرا لـكل إنسان ، ثم قدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم بيننا غنيمتنا ، فأصاب كلّ رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الُخمس ، وما حاسبنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم بالذى أعطـانا صا حبُنا ولا عاب عليه ما صنع ، فـكان لـكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنَفله .

سرية كعب بن عُمَير إلى بنى قضاعة من أرض الشام

قال الواقدى : حدثنا محمد بن عبد الله [عن[٢]] الزهرى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليـه وسلم كعبَ بن عمير الغفـارى فى خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً مِن جمعهم كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشَقوهم بالنَّبل ، فلما رأى ذلك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فارتُثَّ[٣] منهم رجلٌ جريح فى القتلى ، فلما أن بَردَ عليه الليلُ تحامَل حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فهمَّ بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

---

(١) البخارى : ونفلنا بعيرا بعيرا . بالبناء للمجهول .

(٢) من ا .

(٣) ارتث : جرح وبه رمق .

غزوة مُؤْتة

وهى سَرية زيد بن حارثة فى نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البَلْقاء من أطراف[1] الشام

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القَضِيّة : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيةَ ذى الحجة – ووَلِى تلك الحجَّة المشركون – والمحرمَ وصفراً وشهرىْ ربيع وبَعث فى جمادى الأولى بَعْثه إلى الشام الذين أصيبوا بمُؤْتَة .

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْثَه إلى مُؤْتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة ، وقال : « إنْ أصيب زيدٌ فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة على الناس » .

فتجهز الناسُ ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان ، عن عمرو بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النعمان بن فنْحص اليهودى فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زيدُ بن حارثة أميرُ الناس ، فإنْ قُتل زيدٌ فجعفرُ بن أبى طالب ، فإن قُتل جعفر فعبد الله بن رَوَاحة ، فإن قُتل عبد الله بن رواحة فليَرْتضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم » .

فقال النعمان : أبا القاسم إن كنتَ نبياً فلو سَمَّيتَ من سَمَّيْتَ قليلا أو كثيراً أُصيبوا جميعاً ؛ إنّ الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجلَ على القوم فقالوا : إن أصيب فلان

---

(١) غير ا : من أرض .

ففلان ، فلو سَمَّوا مائةً أصيبوا جميعاً . ثم جعل يقول لزيد : اعهَدْ فإنك لا ترجع أبدا ، إن كان محمد نبياً .

فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق بارٌّ صلى الله عليه وسلم .

رواه البيهقى .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما حَضر خروجُهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم ، فلما ودّع عبدُ الله بن رواحة [مع (1)] من ودع بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا بن رَواحة . فقال : أمَا والله مابى حُبُّ الدنيا ولا صَبابةٌ بكم ، ولكنى سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله يَذكر فيها النار « وإنْ منكم إلا واردُها كان عَلَى ربِّك حَتْماً مَقْضيًّا » (2) فلست أدرى كيف لى بالصَّدر بعد الورود ؟ !

فقال المسلمون : صَحِبكم الله ودَفع عنكم وردَّكم إلينا صالحين .

فقال عبد الله بن رَواحة :

لكننى أسألُ الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذفُ الزَّبدَا (3)

أو طعنةً بيدَىْ حرّان مُجْهِزة ... بحَربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكبدَا (4)

حتى يقال إذا مرُّوا على جَدَثى ... أرشده الله مِنْ غازٍ وقدْ رَشدَا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيأوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال :

فثبَّت الله ما آتاك مِن حَسنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذى نُصرُوا

إنى تفرَّستُ فيك الخيرَ نافلةً ... الله يعلم أنى ثابتُ البَصرِ

(1) ليست فى ا .
(2) سورة مريم الآية ٧١ .
(3) الفرغ : السعة .
(4) الحران : الشديد .

أنت الرسولُ فمن يُحْرَم نوافـــلَه والوجهَ منه فقـــد أَزْرَى به القدَرُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيِّعهم ، حتى إذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلامِ على امرئٍ ودَّعتـــه في النخل خـــيرُ مُشَيِّعٍ وخليلِ

* * *

[وقال الإمام أحمـد : حدثنا عبد الله بن محمد ، حـدثنا أبو خالد الأحمر ، عن الحجاج ، عن الحـكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم بعث إلى مؤتة فاستعمل زيداً ، فإن قُتل زيد فجعفر ، فإن قتل جعفر فابن رواحة ، فتخلَّف ابن رواحة فجمَّع مع النبي صـلى الله عليـه وسلم ، فرآه فقال : « ماخلَّفك ؟ » فقال : أجمِّع معك . قال : « لَغَدْوة أو رَوْحة خيرٌ من الدنيا وما فيها [1] »] .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حـدثنا الحجاج ، عن الحـكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رواحة في سَرية فوافق ذلك يوم الجمعة [2] ، قال : فقدّم أصحابَه وقال : أتخلف فأصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم ألحقهم . قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم رآه فقال : « مامنعك أن تغـدو مع أصحابك ؟ » فقـال : أردتُ أن أصـلِّى معك الجمعةَ ثم ألحقهم . فقال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم : « لو أنفقتَ مافى الأرض جميعاً ما أدركتَ غَدْوتهم » .

وهكذا رواه الترمذى ، عن أحمد بن منيع ، عن أبى معاوية ، ثم قال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

---

(١) هذا الجزء مؤخر فى ا .

(٢) ا : يوم جمعة .

وقال شعبة : لم يَسْمع الحـكم عن مِقْسم إلا خمسة أحاديث ـ وعدَّها شعبة ـ وليس هذا الحديث منها [١] .

[قلت : والحجاج بن أرطاة فى روايته نظر والله أعلم [٢]] .

والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضى أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان فى يوم جمعة . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا مَعانَ من أرض الشام ، فبلغ النـاسَ أن هرقل قد نزل مآبَ من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، وانضم إليـه من لخم وجذام والقين وبهراء وبَلِى مائة ألف منهم عليهم رجل من بَلِىّ ، ثم أحد إراشة يقال له مالك بن زافلة .

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآبٍ فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة .

[وقيل : كان الروم مائتى ألف ومَن أعْدَاهم خمسون ألفا . وأقل ماقيل : إن الروم كانوا مائة ألف ومن العرب خمسون ألفا . حكاه السهيلى [٣]]

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، وقالوا : نـكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدَد عدوِّنا ، فإما أن يُمدنا بالرجالِ ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له . قال : فشجَّع الناسَ عبدُ الله بن رواحة وقال : ياقوم والله إن التى تـكرهون لَلَّتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناسَ بعدد ولا قوة ولا كثرة ،

---

(١) غير ا : « وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبى معاوية عن الحجاج ـ وهو ابن أرطاة . ثم علله الترمذى بما حكاه عن شعبة أنه قال : لم يسمع الحـكم عن مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها » .

(٢) ليس فى ا .

(٣) من ا .

ما نقاتلهم إلا بهـذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنمـا هى إحدى الحُسْنيين ، إما ظهورٌ وإما شهادة .

قال : فقال الناس : قد والله صدَق ابنُ رواحة . فمضى الناس .

فقال عبد الله بن رواحة فى مَحْبِسهم ذلك :

جلَبْنا الخيلَ من أجـأٍ وفرعٍ   تُغَرُّ من الحشيش إلى العكوم(١)
حذَوْناها من الصوّان سِبْتـاً   أزلّ كأنّ صفحتَه أديمُ(٢)
أقامت ليلتين على مَعـانٍ   فأعقبَ بعد فترتِهـا جُمومُ(٣)
فرُحْنا والجيـادُ مُسَوّماتٌ   تَنفّسُ فى مَنـاخرها سَمُومُ(٤)
فلا وأبى مَـآبُ لَنأتينْهـا   وإنْ كانت بها عربٌ ورومُ
فعبَّأنا أعنَّتهـا فجاءت   عوابسَ والغبـارُ لهـا بريمُ(٥)
بذى لجب كأن البَيْضَ فيـه   إذا بَرزت قَوانسُها النجومُ(٦)
فراضيـةُ المعيشـةِ طلَّقتهـا   أسِنَّتُنا فتَنْكِـح أوتئيمُ(٧)

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّث عن زيد بن أرقم قال : كنت(٨) يتيما لعبـد الله بن رَوَاحة فى حِجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفى

---

(١) أجأ : أحد جبلى طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأجأ وأوسطه . وتغر : تطعم وتشبع . والرواية عند السهيلى : تقر . بالقاف ، وقال : تقر أى يجمع بعضها إلى بعض . والعـكوم : جمع عكم وهو الجانب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها نعالا من حديد . والصوان : حجارة ملس ، والسبت : النعال التى تصنع من الجلود المدبوغة . والأزل : الأملس . والأديم : الجلد .

(٣) معان : موضع بالشام . والفترة : السكون والضعف . والجموم : اجتماع القوة .

(٤) سموم ، بضم السين ، جمع سم وهما عرقان فى خيشوم الفرس . والسموم بفتح السين : ريح حارة . وفى ابن هشام : فى مناخرها السموم .

(٥) البريم : كل ما فيه لونان مختلطان ؛ والدمع المختلط بالإثمد .

(٦) اللجب : اختلاط الأصوات من كثرة الجيش . والقوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد .

(٧) راضية المعيشة : العيشة اللينة المطمئنة . تئيم : تبقى دون زوج ــ يريد أنهم قد تجافوا عن الدعة والراحة .

(٨) ا : كان .

على حقيبة رَحله، فوالله إنه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أَدْنيتِنى وحَملتِ رَحْلى مَسيرَةَ أَرْبعٍ بعدَ الحِساءِ (١)
فشأنُك أَنعُمٌ وخَلاك ذَمٌّ ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى (٢)
وجاء المسلمون وغادَرونى بأرض الشام مُشْتَهِىَ الثَّواء (٣)
وردَّك كلُّ ذى نَسب قريب إلى الرحمن مُنْقطعَ الإخاء
هنالك لا أُبالى طلْعَ بَعْلٍ ولا نخلٍ أسافلُها رِوَاءِ (٤)

قال: فلما سمعتهن منه بكيتُ، فخفقنى بالدِّرَّة وقال: ماعليك يالُكَع أن يرزقنى الله الشهادة وتَرجع بين شُعْبتى الرَّحْل؟

ثم قال عبد الله بن رَواحة فى بعض سَفره ذلك وهو يرتجز:

يازيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ تطاولَ الليلُ هُديتَ فانزلِ (٥)

* * *

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس، حتى إذا كانوا بتخُوم البَلْقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشارف، ثم دنا العدوّ وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها، فتعبَّى لهم المسلمون، فجعلوا على مَيْمَنتهم رجلا من بنى عُذْرة يقال له قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك.

---

(١) الحساء: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر.
(٢) شأنك أنعم: يريد أنه يريحها ولا يكلفها عناء السفر بعد ذلك. ولا أرجع: مجزوم على الدعاء.
(٣) مشتهى الثواء: لايريد رجوعا. وقد روى: مستنهى الثواء. قال السهيلى: مستنهى الثواء: مستفعل من النهاية والانتهاء، أى حيث انتهى مثواه.
(٤) البعل: مايشرب بعروقه من الأرض. وأسافلها رواء: كذا فى ابن هشام، وغير ا. وفى ا: أساقيها ورائى.
(٥) اليعملات: النوق السريعة. والذبل: التى أوهنها السير.

وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان ، عن المقبُرى ، عن أبى هريرة قال : شهدتُ مُؤْتَة فلما دنامنا المشركون رأينا مالا قِبَل لأحد به من العدة والسلاح والكِراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لى ثابت بن أرقم : ياأبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد بدراً معنا ، إنا لم نُنْصَر بالكثرة .

رواه البيهقى .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القومَ حتى قُتل ، وكان جعفر أولَ [رجل من][١] المسلمين عقر فى الإسلام .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مُرّة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شَقراء ثم عقرَها ثم قاتل القَوم حتى قُتل وهو يقول :

يا حبّذا الجنة واقترابها   طيبةٌ وباردٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عَذابُها   [كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها][٢]
* علىّ إن لاقيتُها ضِرابُها *

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبى إسحاق ولم يذكر الشعر .

وقد استدل به مَن جَوَّز قتل الحيوان خشيَة أن يَنتفع به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة فى الأغنام إذا لم تَتبع فى السَّير ويُخشَى من لحوق العدوّ وانتفاعهم بها أنها تُذبح وتحرق لِيُحالَ[٣] بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيلى : ولم ينكِر على جعفر أحد فدلّ على جوازه إلا إذا أَمِن أخْذَ العدو له ،

---

(١) من ا .   (٢) ليست فى ا   (٣) ا : فيحال .

ولا يدخل ذلك فى النهى عن قتل الحيوان عبثا . قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخـذ اللواء بيمينه فقُطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعَضُديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبدُ الله بن روَاحة الرايةَ ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يَستنزل نفسه ويتردد بعضَ التردد ويقول :

أقسمتُ يانفسُ لَـتنزلنّه ... لَتنزلِنّ أو لتُـكْرَهنَّه
إن أجلبَ الناسُ وشدُّوا الرنه ... مالى أراكِ تَـكرهين الجنَّه !
قد طـال ماقد كنتِ مُطمئنّه ... هل أنت إلا نُطفة فى شَنَّه

وقال أيضاً :

يانفسُ إن لا تُقتلى تموتى ... هذا حِمامُ الموتِ قدصَليتِ
وما تمنَّيت فقد أُعطيتِ ... إنْ تفعلى فِعلَهما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً ، ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعِرق من لحم ، فقال : شدَّ بهذا صُلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت . فأخذه من يده فانتهش منه نَهشَةً . ثم سمع الحَطْمة[1] فى ناحية الناس فقال : وأنت فى الدنيا ! ثمّ ألقاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم ، فقاتل حتى قُتِل رضى الله عنه .

قال : ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بنى العَجْلان . فقال : يا معشر للسلمين

---

(١) الحطمة : النزال والمضاربة .

اصطلِحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناسُ على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القومَ وخاشى[1] بهم ، ثم انحازَ وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما أصيب القومُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ : « أخذ الرايةَ زيدُ بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً » قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيَّرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رَواحة بعضُ ما يكرهون . ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً .

ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سُرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رَواحة ازوِرَاراً عن سريرىْ صاحبيه ، فقلت : عمَّ هذا ؟ فقيل لى : مضَيا وتردَّد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى .

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن واقد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال : أخذ الراية زيدٌ فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تَذْرفان . حتى أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم .

تفرد به البخارى . ورواه فى موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرُّهم أنهم عندنا » .

---

(١) خاشى : حجز بينهم وبين الروم .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن أبى بكر ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن المخزومى [١] ، وليس بالحزَامى ، عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله : كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسْنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى جسده بِضعاً وتسعين من ضربةٍ ورَمْية .

تفرد به البخارى أيضاً .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا أحمد ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو [عن] ابن أبى هلال [هو سعيد بن أبى هلال الليثى [٢]] قال : وأخبرنى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبى طالب يومئذ وهو قتيل فعدَدْت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شىء فى دُبره .

وهذا أيضاً من أفراد البخارى .

ووجه الجَمع بين هذه الرواية والتى قبلها أن ابن عمر اطَّلع على هذا العدد ، وغيره اطَّلع على أكثر من ذلك ، أو أن هذه فى قُبله أصيبها قبلَ أن يقتل ، فلما صُرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضرباتٍ فى ظهره ، فعدّ ابنُ عمر ما كان فى قُبله وهو فى وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهى مُمسكةٌ اللواء ثم شماله ، مارواه البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا عمر بن على ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عامر ، قال : كان ابن عمر إذا حيّ ابن جعفر قال : السلام عليك يابن ذى الجناحين .

(١) وليس للمخزومى فى البخارى سوى هذا الحديث ، وهو بطريق المتابعة عنده . وكان فقيه أهل المدينة بعد مالك . إرشاد السارى ٦/٣٨٣ .

(٢) ليست فى ا .

ورواه أيضا فى المناقب ، والنسائى من حديث يزيد بن هرون ، عن إسماعيل بن أبى خالد .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ فى يدى يومَ مؤتة تسعةُ أسياف ، فما بقى فى يدى إلا صفيحةٌ يمَانية .

ثم رواه عن محمد بن المثنّى ، عن يحيى عن إسماعيل ، حدثنى قيس ، سمعت خالد ابن الوليد يقول : لقد دُقَّ فى يدى يومَ مُؤتة تسعةُ أسياف وصبرَتْ فى يدى صفيحةٌ يمانية .

انفرد به البخارى .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : حدثنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو مطر ، حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحبَاب الجمحى ، حدثنا[1] سليمان بن حرب ، حدثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدِم علينا عبد الله بن رَباح الأنصارى ، وكانت الأنصار تُفقِّهه ، فغشيه الناسُ فغشيتهُ فيمن غشيه ، فقال : حدثنا أبو قَتادة فارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشَ الأمراء وقال : عليكم زيدُ بن حارثة . فإن[2] أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة ، قال : فوثب جعفر وقال : يارسول الله ما كنت أرْغب أن تستعمل زيداً[3] علىّ . قال : امضِ فإنك لا تدرى أىّ ذلك خير .

فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ، فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر فأمر فنودى :

---

(١) ا : أنبأنا .
(٢) غير ا : وقال إن .
(٣) ا : أن يستعمل زيد .

الصلاةُ جامعة . فاجتمع الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلَقوا فلقوا العدوَّ فقُتل زيد شهيداً . فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيدا ، شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رَواحة فأثبتَ قدميه حتى قُتل شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمَّر نفسه[1] . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيفٌ من سيوفك أنت[2] تنصره » فمن يومئذ سمِّى خالد سيفَ الله .

ورواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه السلام لما اجتمع إليه الناس قال : بابُ خيرٍ باب خير . وذكر الحديث .

وقال الواقدىّ : حدثنى عبد الجبار بن عمارة بن غَزِيّة ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرو بن حزم ، قال : لما التقى الناسُ بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى مُعْتَرَكهم ، فقال : أخذ الراية زيدُ ابن حارثة فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمانُ فى قلوب المؤمنين تحبِّب إلىّ الدنيا ! فمضى قُدما حتى استُشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو شهيد .

قال الواقدى : وحدثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما قُتل زيدٌ أخذ الرايةَ جعفرُ بن أبى طالب ، فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياةَ وكره إليه الموتَ ومنَّاه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمانُ فى قلوب المؤمنين يمنِّينى الدنيا ! ثم مضى قُدماً حتى استُشهد ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه

(١) ا : أمير نفسه . (٢) ا : فأنت .

وسلم . وقال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيدٌ دخل الجنة ، وهو يطير فى الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

قال : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخَل الجنةَ مُعْترضاً فشقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ما اعتراضُه ؟ قال : لما أصابته الجراحُ نكل ، فعاتب نفسَه فتشجَّع واستُشهد ودخل الجنة .

فسرِّى عن قومه .

* * *

قال الواقدى : وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الآن حَمِىَ الوطيسُ .

قال الواقدى : فحدثنى العطاف بن خالد ، قال : لما قتل ابن رواحة مساءً بات خالد ابن الوليد فلما أصبح غدًا وقد جعل مُقدِّمتَه ساقةً وساقتَه مقدمةً وميمنته ميسرةً وَمَيْسرته ميمنةً . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مدَد ، فرُعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال : فقتلوا مقتلةً لم يُقتلها قومٌ .

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله فى مغازيه ، فإنه قال ، بعد عمرة الحدَيبية : ثم صدَر(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فمكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأمَّر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر بن أبى طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فانطلَقوا حتى إذا لَقوا ابن أبى سبْرة الغسانى بمؤتة وبها جموعٌ(٢) من نصارى العرب والروم ، بها تَنُوخ وبَهراء ، فأغلق ابنُ أبى سبْرة دون المسلمين الحصنَ ثلاثة أيام ، ثم التقوا(٣) على

(١) ا : ثم صد .
(٢) ا : جمع .
(٣) ا : ثم خرجوا فالتقوا .

زرع[1] أحمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقُتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطلح المسلمون بعدَ أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد بن الوليد المخزومى فهزم الله العدوَّ وأظهر المسلمين .

قال : وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى – يعنى من سنة ثمان – .

قال موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مرَّ علىَّ جعفر فى الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان .

قال : وزعموا – والله أعلم – أن يَعْلى بن أمية قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأخبرنى وإن شئت أخبرك . قال : أخبرنى يا رسول الله . قال : فأخبرَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبَرهم كله ووصَفه لهم ، فقال : والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمْرهم لكما ذكرتَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفع لى الأرض حتى رأيت مُعْتركهم » .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالدا إنما حاشى بالقوم حتى تخلَّصوا من الروم وعرب النصارى فقط .

وموسى بن عقبة والواقدى مصرِّحان بأنهم هَزموا جموعَ[2] الروم والعربِ الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا : « ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله ففتَح الله على يديه » .

رواه البخارى ، وهذا هو الذى رجحه ومال إليه الحافظ البيهقى بعد حكاية القولين ، لما ذكرناه من الحديث .

---

(١) ا : ردع . وهو الزعفران .　　(٢) ا : جميع .

[قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين ، وهو أن خالدا لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلّصهم من أيدى الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحوّل الجيش ميمنةً وميسرة ومقدِّمةً وساقَة ، كما ذكره الواقدى توهَّم الرومُ أن ذلك عن مَدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله والله أعلم][١] .

* * *

وقد قال[٢] ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لما أقبلَ أصحابُ مُؤتة تلقَّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال : ولقيهم الصبيان يشتدُّون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابنَ جعفر . فأُتِىَ بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه[٣]] فجعلوا يَحْثون عليهم الترابَ ويقولون : يافُرَّار فررتم فى سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله عز وجل » .

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

[وعندى أن ابن إسحاق قد وهِم فى هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نُصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر فى قوله : ثم أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسموهم فُراراً بعد ذلك ، وإنما تلقَّوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحَثْى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما][٤] .

[وقد[٥]] قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ،

---

(١) سقطت من ا . (٢) ا : لكن قال . (٣) من ابن هشام .
(٤) سقطت من ا . (٥) من ا .

عن عبـد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنت فى سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناسُ حيصةً وكنت فيمن حاصَ ، فقلنا : كيف نصنع وقد فَررنا من الزّحف وبُؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لودخلنا المدينـة قُتلنا ، ثم قلنا : لوعَرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبةٌ وإلا ذهبنا . فأتيناه قَبل صلاة الغَداة ، فخرج فقال : مَن القومُ ؟ قال : قلنا : نحن الفرّارون[1]. فقال : «لا بل أنتم العكّارون[2] أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين » . قال: فأتيناه حتى قبّلنا يده .

ثم رواه عن غُنْدَر عن شعبة ،عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر، قال : كنا فى سرية ففررنا فأردنا أن نركب البحر . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يارسول الله نحن الفرارون . فقال : لابل أنتم العَـكارون .

ورواه [أبوداود[3] و] الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذى : حسن لانعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد[4] : حدثنا إسحاق بن عيسى وأسود بن عامر ، قالا : حدثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية ، فلما لقينا العدوَّ انهزمْنا فى أول غادِية ، فقدِمنا المدينةَ فى نفرٍ ليلاً ، فاختفينا ثم قلنا : لوخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذرنا إليه .

فخرجنا إليـه فلما لقيناه[5] قلنا : نحن الفرّارون يارسول الله . قال : « بل أنتم العكّارون وأنا فئتكم » قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم[6] » .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبـد الله بن أبي بـكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن

---

(١) غير ا : فرارون . (٢) غير ا : الـكرارون . (٣) من .
(٤) ا ثم قال أحمد .
(٥) المطبوعة : ثم التقيناه . وهو تحريف . (٦) ا : لـكل مسلم .

عبد الله بن الزبير ، أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لاأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟

قالت : مايستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يافُرّار فررتم فى سبيل الله، حتى قعد فى بيته مايخرج وكان فى غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع [الروم ، وكانوا على أكثر من أضعاف الأضعاف فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان [(١)] العدو على ما ذكروه مائتى ألف ، ومثل هذا يسوِّغ الفرارَ على ما قد تقرر ، فلما فرَّ هؤلاء ثبت باقيهم وفَتح الله عليهم وتخلصوا من أيدى أولئك وقتلوا منهم مَقْتَلة عظيمة ، كما ذكره الواقدى وموسى بن عُقبة مِن قبله .

و[مما[(٢)]] يؤيد ذلك أيضا ويزيده قوةً ويشهد له[(٣)] بالصحة ما رواه الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجَعى قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين فى غزوة مؤتة ، ووافقنى مَددِىٌّ[(٤)] من اليمن ليس معه غيرُ سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددىُّ طابقةً من جلده فأعطاه إياه فاتخذه كهيئة الدَّرقة ، ومضينا فلقينا جموعَ الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرْج مذهَّب وسلاح مذهب ، فجعل الرومى يُغْرى بالمسلمين ، وقعد له المددى خلفَ صخرة ، فمر به الرومىّ فعرقبَ فرسه[(٥)] فخرَّ وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) من ا

(٣) غير ا : ويؤيد ذلك ويشا كله بالصحة .

(٤) الأصل : مدوى وهو تحريف . والمددى : يعنى رجلا من المدد الذين جاءوا يمدون المسلمين .

(٥) غير ا : فعرقبه .

إليه خالد بن الوليد فأخذ من السَّلَب ، قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسَّلَب للقاتل ؟ قال : بلى ولكني استكثرته . فقلت: لتردَّنه إليه أو لأعرّفنكها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فأبى أن يردَّ عليه .

قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصصْت عليه قصة المددِيّ وما فعل خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا خالد رُدَّ عليه ما أخذتَ منه » قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ألم أفِ لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا خالد لا تردّ عليه ، هل أنتم تاركوا أمرائى ؟ لكم صفوةُ أمْرهم وعليهم كَدره » .

قال الوليد : سألت ثورًا عن هذا الحديث ، فحدثنى عن خالد بن مَعْدان ، عن جبير ابن نُفير ، عن عوف بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث جُبير بن نُفَير عن عوف بن مالك به نحوه .

وهذا يقتضى أنهم غَنموا منهم وسَلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم .

وقد تقدم فيما رواه البخارى أن خالدا رضى الله عنه قال : اندقَّت فى يدى يومَ مُؤتة تسعةُ أسياف ، وما ثبَت فى يدى إلا صَفيحة يمَانية .

وهذا يقتضى أنهم أثخنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لمَا قدروا على التخلص منهم . وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدى والبيهقى ، وحكاه ابن هشام عن الزهرى .

قال البيهقى رحمه الله : اختلف أهلُ المغازى فى فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظَهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا .

قال : وحديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم: « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم . والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العُذْرى ـ وكان رأس مَيْمنة المسلمين ـ حمل على مالك بن زافلة قال ابن هشام[1] : ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله ، وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابْنَ زافـلةَ بن الأراش ... برمحٍ مضَى فيــه ثم انحطَمْ
ضربتُ على جِيــده ضربةً ... فمـــالَ كما مالَ غُصنُ السَّلَمْ
وسُقْنــا نســاءَ بني عمِّه ... غداةَ رَقوقين سَوْقَ النَّعم[2]

وهذا يؤيد ما نحن فيه ، لأن من عادة أمير الجيش إذا قُتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرَّح فى شعره بأنهم سَبَوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم .

* * *

وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المُحَاشاة والتخلُّص من أيدى الروم ، وسمَّى هذا نصراً وفتحاً ، أى باعتبـار ما كانوا فيــه من إحاطـة العـدو بهم وتراكمهم وتـكاثرهم وتـكاثفهم عليهم ، وكان مقتضى العادة[3] أن يُصْطَلموا[4] بالـكلية ، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام فى هذا المقام .

وهذا محتمل ، لـكنه خلاف الظـاهر من قوله عليــه الصلاة والسلام : « ففتَح الله عليهم » .

والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيسُ بن المحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصَنع الناس يقول :

فوالله لا تنفكُّ نفسى تَلومُنى ... على مَوْقفى والخيلُ قابعةٌ قُبُلْ[5]

---

(١) من .

(٢) رقوقين : موضع .

(٣) غيرا : فكان مقتضى العادات . (٤) المطبوعة : يصطلحوا . وهو تحريف .

(٥) قابعة : منقبضة . وقبل جمع أقبل وقبلاء وهو الذى يميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى .

وقفتُ بها لا مُستَحيزاً فنافذاً ... ولا مانعاًمن كان حُمّ له القتلُ[1]

على أننى آسيتُ نفسى بخالدٍ ... ألَا خالدٌ فى القوم ليس له مثلُ

وجاشَتْ إلىّ النفس من نحوِ جعفرٍ ... بمؤْتة إذ لا يَنفع النابلَ النَّبْلُ

وضَمّ إلينا حَجْزَتَيْهم كِلَيْهما ... مُهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْلُ

قال ابن إسحاق : فبيَّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّق انحيازَ خالد بمن معه .

قال ابن هشام : وأما الزُّهرى فقال ـ فيما بلغنا عنه ـ : أمَّر المسلمون عليهم خالد ابن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة[2] .

فصل

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ؛ عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عُمَيس قالت : لما أصيبَ جعفر وأصحابه دخل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغتُ أربعين مَناً[3] وعجنت عجينى وغسلت بَنِىّ ودهنتهم ونظَّفتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائتنى ببنِى جعفر » فأتيته بهم فشمَّهم وذَرفت عيناه فقلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى ! مايبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت : فقمت أصيح ، واجتمع إلىّ النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : « لا تَغفُلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم » .

---

(١) مستحيزا : متحيزا إلى طائفة . (٢) ابن هشام : حتى قفل إلى النبى .

(٣) المنا : الرطل الذى يوزن به ، تعنى أربعين رطلا من دباغ .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ورواه ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى ، عن أم عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن جعفر ، قال : لما جاء نعيُ جعفر حين قُتل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم ، أو أتاهم مايشغلهم » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، عن جعفر ابن خالد بن سارّة المخزومي المكي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر . وقال الترمذي : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما أتى نَعْيُ جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزنَ .

قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله [إن النساء] عنَّيْننا وفَتنَّنَا ، قال : « ارجع إليهن فأسكتهن » .

قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت : وربما ضَرَّ التكلُّف - يعني أهلَه - قالت : قال : « فاذهب فأسكتهن فإن أَبَيْن فاحثُ في أفواههن الترابَ » قالت : [وقلت] في نفسي : أبْعَدكَ الله ! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمطيعِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفتُ أنه لا يقدر يَحْثي في أفواههن التراب .

انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه ؛ وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبدالوهاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرتني عَمرة قالت: سمعت عائشة تقول : لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله

ابن رَواحة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف فى وجهه الحزن ، قالت عائشة : وأنا أطَّلع من صائر الباب ـ شق[1] ـ فأتاه رجل فقال : أىْ رسولَ الله ، إن نساء جعفر، وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهاهن قالت : فذهب الرجل ثم أتى فقال : والله لقد غلبْنَنا ، فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاحثُ فى أفواههن من التراب » .

قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : أرغم الله أنفَك! فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العَناء .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، سمعت محمد بن أبى يعقوب يحدّث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً استعمل عليهم زيدَ بن حارثة ، وقال : « إن قُتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدوَّ فأخذ الراية زيدٌ فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رَواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه . وأتى خبرُهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبى طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبدُ الله بن رَواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال : ثم أمهل آلَ جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لاتبكوا على أخى بعدَ اليوم ، ادعوا لى بنى أخى » قال : فجىء بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا

(١) البخارى : تعنى من شق الباب .

لى الحلاق » فجىء بالحلاق فحلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب ، وأما عبد الله فشبيه خَلْقى وخُلُقى » ثم أخذ بيدى فأشالها[1] وقال : «اللهم اخلف جعفرا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أمُّنا فذكرت له يُتْمنا وجعلت تُفرح[2] له فقال : «العيلةَ تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟» .

ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائى فى السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به .

وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام أرخصَ لهم فى البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها. ولعله معنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله ابن شداد ، عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما أصيب جعفر : « تسلَّبى ثلاثاً ثم اصنعى ماشئت » .

تفرد به أحمد .

فيحتمل أنه أذن لها فى التسلُّب ، وهو المبالغة فى البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبى أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة فى الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد . والله أعلم . ويروى: تَسلَّىْ ثلاثاً ـ أى تَصبَّرى ـ وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا الحكم بن عيينة ، عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عُميس ، قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : لا تُحِدِّى بعدَ يومك هذا . فإنه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ، ولكنه مشكل إن حُمل على ظاهره ، لأنه قد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله

(١) شالها : رفعها .

(٢) تفرح له : تحزنه .

واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثرَ من ثلاثة أيام ، إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشراً » .

فإن كان مارواه الإمام أحمد محفوظا فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة فى الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم . والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فآليتُ لا تنفكُّ نفسى حزينةً عليك ولا ينفك جِلدى أغبَرا

فلله عيناً من رأى مثلَه فتى أكرّ وأحْمَى فى الهياج وأصْبَرا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها ، فخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم على بن أبى طالب ، فلما ذهب الناسُ استأذن علىٌّ أبا بكر رضى الله عنهما فى أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحَه ريحُ طيبها فقال لها علىٌّ : — على وجه البَسْط — مَن القائلة فى شعرها :

فآليتُ لا تنفكُّ نفسى حزينةً عليك ولا ينفكُّ جِلْدى أغبَرا ؟

قالت : دعنا منك ياأبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعابة !

فولدت للصديق محمد بن أبى بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتُهل وسيأتى فى موضعه ، ثم لما توفى الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب، وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

فصـــل

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فلما دنَوا من المدينة تلقَّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون .

قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابنَ جعفر » فأُتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال : وجعل النـاس يَحْثون على الجيش الترابَ ويقولون : يافُرَّار فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله صـلى الله عليـه وسلم « ليسوا بالفُرَّار ولـكنهم الـكُرَّار إن شاء الله » .

وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عاصم ، عن مؤرق العِجْلى ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم إذا قدِم من سفَر تلقى الصبيانَ من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسُبق بى إليه ، قال : فحملنى بين يديه ثم قال: « جئ بأحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنـا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عاصمَ الأحول عن مؤرق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جُريج ، حدثنا خالد بن سارة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتَنى وقُثَماً وعبيد الله ابنى العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبى صلى الله عليه وسلم على دابة فقال : « ارفعوا هذا إلىّ » فحملنى أمامه وقال لقثم : « ارفعوا هذا إلى » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم ، فما استحى من عمه أن حمل قثما وتركه . قال : ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح: « اللهم اخلُف جعفراً فى ولده » .

قال : قلت لعبد الله : مافعل قثم ؟ قال : استشهد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير . قال : أجل .

ورواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج به .

[وهذا كان بعد الفتح ، فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حبيب بن الشهيد ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقَّينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخارى ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه . والله أعلم[1]] .

فصـــــل

فى فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة : زيد وجعفر وعبد الله رضى الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شُرَاحيل بن كعب بن عبد العُزّى بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد وَدّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قُضاعة الكلبى القضاعى ، [فهو] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فوهبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً .

---

(١) سقط من ت .

وكان أول من أسْلَم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى : « وماجَعل أدعياءكم أبناءكم » وقوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسطُ عندَ الله » وقوله تعالى : « ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم » وقوله : « وإذ تقولُ لِلَّذى أنعَم الله عليه وأنعمتَ عليه أمسكْ عليك زوجَك واتقِ الله وتُخفى فى نفسك ما الله مُبْديه وتخشَى الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه فلما قضَى زيدٌ منها وطَراً زوَّجنا كها » الآية. أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى : « أنعم الله عليه » أى بالإسلام « وأنعمت عليه » أى بالعتق ، وقد تكلمنا عليها فى التفسير .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمِّ أحداً من الصحابة فى القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحِبّ بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش ، وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه فى الإمرة على ابن عمه جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبى شيبة — وهذا لفظه — : حدثنا محمد بن عبيد ، عن وائل بن داود : سمعت البهىّ يحدث أن عائشة كانت تقول : مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى سَرية إلا أمّره عليهم ، ولو بقى بعدُ لاستخلَفه .

ورواه النسائى عن أحمد بن سلمان ، عن محمد بن عبيد الطَّنَافسىّ به .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ، وهو غريب جدا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا إسماعيل ، أخبرنى ابن دينار ، عن ابن عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمَّر عليهم أسامةَ بن زيد ،

فطعن بعضُ الناس فى إمرته ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلىّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده » .

وأخرجاه فى الصحيحين، عن قتيبة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبى كثير المدنى - عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر فذكره . ورواه البخارى من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العمرى، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشّعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجىء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخّر ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « ألاقى منكَ اليوم ما لقيت منك أمس » .

وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم .

وقد تقدم فى الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبدالله بن رَواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » .

قال : وإن عينيه لتذرفان ، وقال: «وما يسرّهم أنهم عندنا » . وفى الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنة .

وقد قال حسان بن ثابت يرثى زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودى بدمعكِ المَنْزورِ　　واذكرى فى الرَّخاء أهلَ القُبورِ
واذكرى مُؤْتةً وما كان فيها　　يوم راحوا فى وَقْعة التَّغْوِيرِ

حين راحوا وغادروا ثمّ زيداً نعم مأوى الضَّريك والمأسورِ (١)
حِبَّ خير الأنام طرًّا جميعاً سيِّدُ الناس حبُّه فى الصدورِ
ذاكُمُ أحمدُ الذى لا سِواه ذاك حُزنى له معاً وسرورِى
إنّ زيداً قد كان منّا بأمرٍ ليس أمرَ المكذِّبِ المغرورِ
ثم جُودِى للخزرجىّ بدمعٍ سيداً كان ثمّ غيرَ نَزُورِ
قد أتانا مِن قتْلهم ما كفانا فبحُزنٍ نَبيت غير سرورِ

***

وأما جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكبر من أخيه علىّ بعشر سنين ، وكان عَقِيل أسنَّ من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسنَّ من عَقيل بعشر سنين .

أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سَديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدَّمنا ذلك فى هجرة الحبشة (٢) ولله الحمد .

وقد قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ماأدرى أنا بأيهما أسَرُّ ، أبقُدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام إليه واعتنقه وقبَّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القَضِية : « أشبهتَ خَلقى وخلقى » فيقال : إنه حَجل عند ذلك فرحاً . كما تقدم فى موضعه ولله الحمد والمنة .

ولما بعثه إلى مؤتة جعل فى الإمرة مُصَلِّياً ــ أى نائبا ــ لزيد بن حارثة ، ولما قُتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين مابين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورَمْية بسهم ، وهو فى

(١) الضريك : والفقير السيء الحال .
(٢) تقدم ذلك فى الجزء الثانى ١٤ــ٢٦ .

ذلك كله مُقبل غير مدبر ، وكانت قد قُطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك لِلّواء ، فلما فقدهما احتضنه حتى قتـل وهو كذلك . فيقال : إن رجـلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضى الله عن جعفر ولعن قاتله .

وقد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد فهو ممن يُقطع له بالجنة . وجاء بالأحاديث تسميته بذى الجناَحين .

وروى البخارى عن ابن عمر ، أنه كان إذا سلَّم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يابن ذى الجناحين .

وبعضهم يرويه عن عمـر بن الخطاب نفسـه ، والصحيح ما فى الصحيح عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعـالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة وقد تقـدم بعض ماروى فى ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال صلى الله عليـه وسلم : « رأيت جعفراً يطير فى الجنة مع الملائـكة » .

وتقدم فى حـديث أنه رضى الله عنه قتل وعمـره ثلاث وثلاثون سنة . وقال ابن الأثير فى الغابة : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ماقيل إنه كان أسنَّ من علىّ بعشر سنين ، يقتضى أن عمره يوم قتـل تسع وثلاثون سنة ، لأن علياً أسلم وهو ابن ثمانى سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطَّيار ، لما ذكرنا ، وكان كريما جواداً ممدَّحاً ، وكان لكرمه يقال له : أبا المساكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد : وحدثنا عفان بن وهيب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن أبى هريرة ، قال : ما احتذَى النعالَ ولا انتعل ، ولا ركب المطَايا ولا لبس الثياب مِن رجلٍ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبى طالب .

وهذا إسناد جيد إلى أبى هريرة ، وكأنه إنما يفضِّله فى الكرم ، فأَما فى الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصِّديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، وأما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه .

وإنما أراد أبو هريرة تفضيلَه فى الكرم ، بدليل ماروواه البخارى : حدثنا أحمد بن أبى بكر ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهنى ، عن ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة ، أن الناس كانوا يقولون : أكثرَ أبو هريرة وإنى كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنى خبزاً لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمنى فلان وفلانة ، وكنت أُلصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرئ الرجلَ الآية هى معى كى ينقلب بى فيطعمنى ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبى طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان فى بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التى ليس فيها شئ فنشقها فنلعق مافيها .

تفرد به البخارى .

وقال حسان بن ثابت يرثى جعفراً :

ولقد بكيتُ وعزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ ... حِبِّ النبى على البريّة كلِّها
ولقدجزعتُ وقلت حين نُعيتَ لى ... مَنْ للجِلاد لدَى العُقَاب وظلّها
بالبِيض حين تُسلُّ من أغْمادها ... ضرباً وإنْهالِ الرماح وعَلِّها

بعدَ ابن فاطمة المبارك جعفرٍ   خيرِ البرية كلها وأجلِّها
رُزْءاً وأكرمها جميعاً مَحْتِداً   وأعزِّها متظلّما وأذلّها
لِلحق حين ينوب غير تنحُّلٍ   كذباً وأَنْداها يداً وأقلّها
فُحْشاً وأكثرها إذا ما يُجْتَدى   فضلاً وأنداها يداً وأبلّها
بالعُرْف غير محمدٍ لا مثلَه   حيٌّ من أحياء البريةِ كلها

* * *

وأما ابن رَواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، أبو محمد ويقال: أبو رواحة ، ويقال: أبو عمرو ، الأنصارى الخزرجى ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عَمرة بنت رواحة .

أسلم قديماً وشهد العقبة ، وكان أحد النقباء ليلتئذ لبنى الحارث بن الخزرج ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان يَبعثه على خَرْصها ، كما قدمنا ، وشهد عُمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بغرْزها - يعنى الرِّكاب - وهو يقول :

* خَلُّوا بنى الكفار عن سبيله *

الأبيات كما تقدم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يومَ مُؤتة كما تقدم ، وقد شجَّع المسلمين للقاء الروم حين اشتَوروا فى ذلك ، وشجَّع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قُتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو ممن يُقْطع له بدخول الجنة .

ويروى أنه لما أنشد النبىَّ صلى الله عليه وسلم شعره حين ودعه الذى يقول فيه :

فثبَّت الله ما آتاك مِن حَسنٍ   تثبيتَ موسى ونَصراً كالذى نُصروا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنت فثبتك الله » قال . هشام بن عروة : فثبَّته الله حتى قُتل شهيدا ودخل الجنة .

وروى حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عبد الله بن رواحة أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » .

وقال البخاري في صحيحه : وقال معاذ : اجلس بنا نُؤْمن ساعة(١) .

وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النحوي ، عن أنس قال : كان عبد الله ابن رواحة إذا لقي الرجلَ من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعةً . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يارسول الله ألا ترى ابنَ رواحة ؟ يرْغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ابنَ رواحة ، إنه يحب المجالس التي تَتباهى بها الملائكة » .

وهذا حديث غريب جدا .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أحمد ابن يونس ، حدثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة ، قال : أو لسنا بمؤمنين؟ قال : بلى ولكنا نَذْكر الله فنزداد إيمانا .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللُّكّي(٢) من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سليم ، عن شريح بن عبيد ، أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه

---

(١) صحيح البخاري ١/٥ (٢) نسبة إلى اللك وهي بليدة من أعمال برقة الغرب . وفي الأصل : اللاكائي . وما أثبته عن اللباب ٣/٧٠

فيقول : قم بنا نؤمن ساعةً فنجلس فى مجلس ذِكر .

وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك فى أول شرح البخارى ولله الحمد والمنة .

وفى صحيح البخارى عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فى حر شديد ، ومافينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة رضى الله عنه .

وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخارى من شعره فى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفينا رسولُ الله نتلو كتابَه   إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
يبيت يجافى جنبَه عن فراشه   إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ
أتى بالهدَى بعدَ العمَى فقلوبُنا   به مُوقناتٌ أنّ ما قال واقعُ

وقال البخارى : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أُغمى على عبدالله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ؛ واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئا إلا قيل لى : أنت كذلك ؟

حدثنا قتيبة ، حدثنا خيثمة ، عن حصين ، عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : أُغمى على عبدالله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه .

وقد قدمنا مارثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضى الله عنهم :

كفَى حزناً أنى رجعتُ وجعفرٌ   وزيدٌ وعبد الله فى رَمْس أقْبُرِ
قضَوا نحبَهم لمّا مضَوا لسبيلهم   وخُلِّفتُ للبَلْوى مع المتغيِّرِ

وسيأتى إن شاء الله تعالى بقية مارثى به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل فى ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين جعفر بن أبى طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبى ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة العدوى ، ووهب بن سعد بن أبى سَرح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار عبد الله بن رَواحة ، وعبّاد بن قيس الخزرجيان ، والحارث بن النعمان بن إساف بن نَضلة النجارى ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازنى ، أربعة نفر .

فمجموع من قُتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية ، على ماذكره ابن إسحاق ، لكن قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزُّهرى : أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أَفْصَى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلا .

وهذا عظيم جدا ، أن يتقاتل جيشان متعاديان فى الدين ، أحدهما وهو الفئة التى تقاتل فى سبيل الله عِدَّتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يُقْتَل من المسلمين الا اثنا عشر رجلا ، وقد قتل من المشركين خلق كثير !

هذا خالد وحده يقول : لقد اندقت فى يدى يومئذ تسعة أسياف وماصبرتْ فى يدى إلا صفيحة يمانية ، فماذا ترى قد قَتل بهذه الأسياف كلها ! دَعْ غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكموا فى عبَدة الصُّلبان عليهم لعائنُ الرحمن ، فى ذلك الزمان وفى كل أوان .

وهذا مما يدخل فى قوله تعالى : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئةٌ تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلَيْهم رَأْيَ العَيْن ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إنّ فى ذلك لَعبرةً لأولى الأبصار » .

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السَّرية (١)

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرْعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى ، نضَّر الله وجهه، فى كتابه دلائل النبوة ـ وهو كتاب جليل ـ : حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى ، حدثنا الوليد وعمرو ـ يعنى ابن عبد الواحد ـ قالا : حدثنا ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر الخبائرى يقول : أخبرنى أبو أُمامَة الباهلى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم إذ أتانى رجلان فأخذا بَضُبعى ، فأتيا بى جبلا وَعْراً فقالا : اصعد ، فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنا سنسهله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت فى سَواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عُواء أهل النار . ثم انطلقا بى فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مُشَقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفطرون قبلَ تحلّة صومهم. فقال : خابت اليهود والنصارى » قال سليم: سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من رأيه ؟

« ثم انطلقا بى ، فإذا قوم أشدُّ شىء انتفاخاً وأنتن شىء ريحاً كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بى فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن

---

(١) سقط هذا الفصل من ا .

شىء رِيحًا كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الزانون . والزوانى . ثم انطلقا بى فإذا بنساء ينهش ثُديهن الحيـات ، فقلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتى يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بى فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذرارى المؤمنين .

ثم أَشْرفا بى شَرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بى شَرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

فصل فيما قيل من الأشعار فى غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُـكى به أصحاب مؤتة قولُ حسان :

تأوَّبنى ليْلٌ بيثرِبَ أعْسرُ ... وهمٌّ إذا ما نوّم الناسُ مُسْهِرُ
لذكرى حبيب هيَّجت لىَ عبرةً ... سَفوحاً وأسبابُ البكاء التذكُّر
بلى إنّ فقدان الحبيب بليةٌ ... وكم من كريم يُبتلى ثم يصبرُ
رأيت خيـارَ المسلمين تواردوا ... شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخرُ
فلا يُبْعدن الله قتلَى تَتابعوا[1] ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا[1] ... جميعاً وأسبابُ المنية تخطرُ
غداة مضَوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمونُ النَّقيبة أَزْهَرُ
أغرّ كضَوء البدر من آل هاشم ... أبىٌّ إذا سِيم الظُّلامة مُجْسرُ
فطاعَن حتى مالَ غير مؤسّد ... بمعترِكٍ فيـه القَنا متكسر

(١) الأصل : تبايعوا . وما أثبته من ابن هشام .

فصار مع المستشهدين ثوابُه جِنانٌ ومُلتفُّ الحدائقِ أخضرُ
وكنا نَرى فى جعفرٍ من محمد وفاءً وأمراً حازماً حين يَأمرُ
ومازال فى الإسلام من آل هاشمٍ دعائمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ ومَفْخَرُ
همُ جَبلُ الإسلام والناسُ حولهم رِضَامٌ(١) إلى طَودٍ يَروق و يَبهرُ(٢)
بَهاليلُ منهم جعفرٌ وابن أمه علىٌّ ومنهم أحمد المتخيَّرُ
وحمزةُ والعباس منهم ومنهمُ عَقيلٌ وماءُ العُودِ من حيث يُعْصرُ
بهم تُفْرَج اللَّأْواء فى كل مَأْزقٍ عَماسٍ إذا ماضاق بالناس مَصْدرُ(٣)
همُ أولياء الله أنزلَ حُكمه عليهم وفيهم ذا الكتابُ المطهَّرُ

وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نام العيونُ ودمعُ عينك يَهْملُ سَحًّا كما وكَفَ الطِّبَابُ المُخْضلُ(٤)
فى ليلةٍ وردت علىَّ همومها طوراً أحِنُّ وتارةً أتململُ
واعتادنى حزنٌ فبتُّ كأننى بِبنات نَعْشٍ والسِّماكِ(٥) موكَّلُ
وكأنما بين الجوانح والحشَا مما تأوَّبنى شِهاب مُدْخَلُ
وَجْداً على النفرِ الذين تتابعوا يوماً بمُؤْتة أسْندوا لم يُنقلوا
صلَّى الإله عليهمُ من فتيةٍ وسَقى عظامَهمُ الغَمام المسْبلُ
صبروا بمُؤتة للإله نفوسَهم حذَر الرَّدى ومخافةً أن يَنْكلُوا
فمضَوا أمامَ المسلمين كأنهم فُنقٌ عليهن الحديدُ المرْفَلُ(٦)
إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائه قُدامَ أولهم فنعمَ الأولُ

(١) الرضام : صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض . (٢) فى ا : ويقهر . (٣) العماس : المظلم .
(٤) الطباب : جمع طبابة وهى سير فى أسفل القربة بين الخرزتين فى المزادة . وفى ا : الضباب .
وفى غيرها : الظباء . وهو تحريف . (٥) ا : الشمال .
(٦) الفنق : جمع فنيق ، وهو الفحل المكرم الذى لايركب . والمرفل : السابغ .

حتى تفرَّجت الصفوفُ وجعفر حيث التقى وَعْث الصفوف مجُدَّل (١)
فتغيَّر القمر المنير لفقـــده والشمسُ قد كُسفت وكادت تأفلُ
قرْمٌ علا بنيانُه من هاشم فرعاً أشمَّ وسؤدداً ما يُنقلُ
قَوم بهم عصَم الإله عبادَه وعليهمُ نزل الكتاب المنزَلُ
فَضَلوا المعاشرَ عزة وتـكرماً وتغمَّدت أحلامُهم من يجهلُ
لا يُطْلقون إلى السفاه حِباهمُ ويرى خطيبهمُ بحقٍ يَفْصل (٢)
بيضُ الوجوه ترى بطونَ أكفهم تَنْدَى إذا اعتذَر الزمانُ المُمْحِلُ
وبهَدْيهم رضى الإله لخلْقه وبجَدِّهم نُصر النبيُّ المرسَلُ

---

(١) الوعث: الاختلاط والالتحام.
(٢) إطلاق الحباء: كناية عن النهضة للنجدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بَعْث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الآفاق وكُتبه إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الدخول فى دين الإسلام

ذكر الواقدىّ أن ذلك كان فى آخر سنة ست فى ذى الحجة بعد عُمرة الحدَيبية، وذكر البيهقى هذا الفصل فى هذا الموضع بعد غزوة مؤتة. والله أعلم.

ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية، لقول أبى سفيان لهرقل حين سأله: هل يغدر؟ فقال: لا، ونحن منه فى مدة لاندرى ماهو صانع فيها.

وفى لفظ البخارى: وذلك فى المدة التى مادَّ فيها أبو سفيان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

وقال محمد بن إسحاق: كان ذلك مابين الحديبية ووفاته عليه السلام. ونحن نذكر ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدى محتملا. والله أعلم.

وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المَعْنِى، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب قَبْل مُؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل، وليس بالنجاشى الذى صلَّى عليه.

وقال يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق، حدثنى الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن عباس، حدثنى أبو سفيان من فيه إلى فِىّ قال:

كنا قوماً تجارا ، وكانت الحرب قد حصَرتْنا حتى نَهِكت أموالَنا ، فلما كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم (١) نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش ، فوالله ماعلمت بمكة امرأةً ولا رجلا إلا وقد حمّلني بضاعة ، وكان وَجْه مَتْجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين .

فخرجنا حتى قدِمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان فى بلاده من الفرس فأخرجهم منها ، ورُدّ عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام فخرج منها يمشي متشكِّرا إلى بيت المقدس ليصلى فيه تُبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها .

فأصبح ذات غداة وهو مَهموم يقلِّب طَرفه إلى السماء ، فقالت [له] (٢) بطارقته : أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أريت فى هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا : والله مانعلم أمةً من الأمم تختتن إلا اليهود وهم تحت يديك وفى سلطانك فإن كان قد وقع [ذلك] (٣) فى نفسك منهم فابعث فى مَملكتك كلها فلا يَبقى يهودى إلا ضربتَ عنقه ، فتستريح من هذا الهمّ .

فإنهم فى ذلك مِن رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حدَث كان ببلاده فاسأله عنه . فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سَله ماهذا الخبر الذى كان فى بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبى وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم مَلاَحم فى مواطن ، فخرجتُ من بلادى وهم على ذلك .

---

(١) غير ا : لا .   (٢) ليست فى ا .   (٣) ا : هذا .

فلما أخبره الخبر قال : جرِّدوه . فإذا هو مختتن فقال : هـذا والله الذى قد أُريت لا ماتقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شُرَطته فقال له : قلِّب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله (١) عن شأنه .

* * *

قال أبو سفيان : فوالله إنى وأصحابى لبغزة إذ هجم علينا فسألنا : ممن أنتم ؟ فأخبرناه، فساقنا إليه جميعاً .

فلما انتهينا إليـه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدْهَى من ذلك الأغْلَف ـ يريد هرقل ـ

قال : فلما انتهينا إليه قال: أيُّـكم أمسُّ به رَحِماً ؟ فقلت : أنا . قال: أدنوه منى . قال: فأجلسنى بين يديه ثم أمر أصحابى فأجلسهم خلفى وقال : إن كذب فردّوا عليـه ، قال أبو سفيان : فلقد عرَفت أنى لو كَذبت ما ردُّوا على ، ولـكنى كنت امرءاً سيداً أتـكرَّم وأستحِى من الـكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون فى ذلك أن يَرْووه عنى ثم يتحدثوا به عنى بمكة ، فلم أَكْذِبه .

فقال : أخبرنى عن هـذا الرجل الذى خرج فيـكم . فزهَّدت له شأنه وصغَّرت له أمره [فوالله ما التفت إلى ذلك منى وقال لى : أخبرنى عما أسألك عنه من أمره (٢)] فقلت : سلنى عما بدَا لك .

فقال : كيف نسبُه فيكم ؟ فقلت : مَحْضاً من أوْسَطنا نسباً .

قال : فأخبرنى ، هل كان من أهل بيته أحـدٌ يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا .

---

(١) ا : فأسأله .

(٢) سقط من المطبوعة .

قال : فأخبرنى هل له مُلْك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردُّوه عليه !
فقلت : لا .

قال: فأخبرنى عن أتباعه، من هم؟فقلت : الأحداثُ والضعفاءوالمساكين، فأما أشرافهم وذوو الأنساب [منهم[1]] فلا . قال : فأخبرنى عمن صحبه أيحبُّه ويُكرمه أم يَقْليه ويفارقه ؟ قلت: ما صحبه رجلٌ ففارقه .

قال : فأخبرنى عن الحرب بينكم و بينه ؟ فقلت : سِجَال يُدَال علينا ونُدَال عليه .

قال : فأخبرنى هل يَغْدر ؟ فلم أجد شيئا أغرُّه به إلا هى ، قلت : لا ونحن منه فى مدة ولا نأمن غدره فيها . فوالله ما التفت إليها منى .

قال : فأعاد علىّ الحديثَ ، قال : زعمت أنه مِن أمحَضِكم نَسباً ، وكذلك يأخذ الله النبىَّ،لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثلَ قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت: لا . وسألتك : هل كان له من مُلْك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه؟ فقلت : لا .

وسألتك عن أتباعه ، فزعمتَ أنهم الأحداثُ والضعفاء والمساكين . وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان .

وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يَقْليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلَّ من يصحبه فيفارقه . وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه .

وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فزعمتَ أنها سِجَال يُدَال عليكم وتدالون عليه، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر .

---

(١) ليست فى ا .

فلئن كنت صدَقتني لَيغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين ، ولوددتُ أني عنده فأغسل عن قدميه !

ثم قال : الحق بشأنك. قال : فقمت وأنا أضرب إحدى يديّ على الأخرى وأقول: يا عباد الله لقد أَمِر أمرُ ابنِ أبي كَبشة ، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم.

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري قال : حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دِحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدَى أما بعد فأسْلم تَسْلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيْت فإنّ إثم الأَكّارين[١] عليك .

قال : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه : إنه النبي الذي يُنْتظَر لا شك فيه فاتبعه . فأمر بعظماء الروم فجُمعوا له في دسْكرة ملكه ثم أمر بها فأُشرجَتْ[٢] عليهم ، واطلع عليهم من عِلِّية له وهو منهم خائف، فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر[٣] ونجد ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه[٤] ، فأسلموا واتبعوه تَسْلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخَروا نخرةَ رجل واحد ، وابتدروا أبوابَ الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم .

فخافهم وقال : ردوهم عليّ . فردوهم عليه فقال لهم : يا معشر الروم ، إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صَلاَبتكم في دينكم ؟ فلقد رأيت منكم ما سرّني . فوقعوا له سجدا . ثم فتحت لهم أبواب الدّسْكَرة فخرجوا .

(١) الأكار : الحراث . (٢) أشرجت : أغلقت . (٣) ا : الذي ينتظر .
(٤) ا : بعلامات زمانة .

وقد روى البخارى قصة أبى سفيان مع هرقل بزيادات أخر، أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد .

قال البخارى قبل الإيمان من صحيحه : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أنبأنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره ، أن هرقل أرسل إليه فى رَكْب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادَّ فيها أبا سفيان وكفارَ قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيُّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه منى وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إنى سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذَبنى فكذِّبوه . [قال[٢]] فوالله لولا [الحياء من][٢] أن يَأثروا عنى كذباً لكذبت عنه .

ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت[١] : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القولَ منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه مَن ملَك ؟ قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحدٌ منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا. قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكنِّى كلمةٌ أُدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف[٣] كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سِجَال ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم؟

---

(١) ا : فقلت . (٢) من صحيح البخارى ١ / ٤ (٣) ا : كيف .

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا مايقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصِّدق والعفَاف والصِّلة .

فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نَسَبه فزعمتَ أنه فيكم [1] ذو نَسب ، وكذلك الرسل تُبْعث فى نَسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القولَ قبلَه ؟ فذكرتَ أن لا ، فقلتُ : لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبله لقلت : رجلٌ يتأسَّى بقولٍ قِيل قبلَه .

وسألتك : هل كان من آبائه من مَلَك ؟ فذكرتَ أن لا ، فلو كان من آبائه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبْلَ أن يقول ما قال ؟ فذكرتَ أن لا ، فقد أعْرف أنه لم يكن لِيذَرَ الكذبَ على الناس ويكذبَ على الله !

وسألتك : أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرت أنّ ضعفاءهم اتَّبعوه ، وهم أتباعُ الرُّسل .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمْر الإيمان حتى يتمَّ .

وسألتك: أيرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمانُ حين تخالط بَشاشتُه القلوبَ .

وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرتَ أن لا ، وكذلك الرسل لاتغدر .

وسألتك : بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ،

---

(١) ا : منكم .

لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخْلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءه ، ولو كنت عنده لغَسلتُ عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دِحْيـة إلى عظيم بُصْرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد ؛ فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تَسْلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليتَ فإن عليك إثمَ الأريسيّين و « ياأهلَ الكتابِ تعالَوا إلى كلمةٍ سَواء بيننا وبينكم ألّا نعبدَ إلا الله ولا نُشركَ به شيئاً ، ولا يَتخذَ بعضُنا بعضاً أرْباباً من دون الله ، فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مُسْلمون » .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثُر عنده الصَّخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا ، فقلت لأصحابى حين خرجنا : لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبى كبشة إنه يخافه مَلِك بنى الأصفر !

فما زلت مُوقناً أنه سيَظهر حتى أدخل الله علىّ الإسلامَ .

* * *

قال : وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسْقِف على نصارى الشام يحدِّث أن هرقل حين قدِم إيلياء أصبح يوماً خبيثَ النفس ، فقال بعضُ بَطارقته : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزاءً ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنى رأيت حين نظرت فى النجوم مُلْك الخِتَان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة (١) ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ولا يُهمنك شأنُهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا مَن فيهم من اليهود .

(١) غير ا : الأمم .

فبينما هم على أمرهم أُتى هرقل برجل أَرسل به ملك غسَّان يخبِّرهم عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمُخْتتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختتنون . فقال هرقل : هـذا مُلْك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره فى العلم .

وسار هرقل إلى حمص فلم يَرِمْ (١) حِمْصَ حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأىَ هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي ، فأذِن هرقل لعظماء الروم فى دَسْكرة (٢) له بحِمْص ، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت . ثم اطَّلع فقال : يامعشرَ الروم ، هل لكم فى الفلاح (٣) والرشد وأن يَثْبت لكم مُلككم ؟ فتُبَايعوا لهذا (٤) النبي .

فحاصوا حَيْصةَ حُمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلّقت ، فلما رأى هرقل نُفْرتهم وأيِسَ من الإيمان قال : ردُّوهم علىّ . وقال : إنى إنما قلت مقالتى آنفاً أختبر بها شدّتكم على دينكم فقد رأيت .

فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل .

قال البخارى : ورواه صالح بن كَيسان ويونس ومَعْمَر عن الزُّهرى .

وقد رواه البخارى فى مواضع كثيرة فى صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهرى .

وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولا فى أول شرحنا لصحيح البخارى بما فيه كفاية ، وذكرنا ما فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ولله تعالى الحمد والمنَّة .

* * *

وقال ابن لَهِيعة عن الأسود ، عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام

---

(١) لم يرم : لم يبرح . وفى الأصل بحمص . وما أثبته عن البخارى .

(٢) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت . (٣) ا : الصلاح .

(٤) الأصل : فتتابعوا . وما أثبته عن صحيح البخارى ١ /٥

تاجراً فى نفر من قريش ، وبلغ هرقلَ شأنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يَعْلم مايعلم من شأن [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى صاحب العرب الذى بالشام فى ملكه يأمره [٢] أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلا منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه فى كنيسة إيلياء التى فى جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبرونى عن هذا الذى بمكة ما أمرُه ؟ قالوا : ساحر كذاب وليس بنبى .

قال : فأخبرونى مَن أَعْلَمُكم به وأَقْربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتَله .

فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرنى ياأبا سفيان ؟ فقال : هو ساحر كذاب .

فقال هرقل : إنى لا أريد شتمه ولكن كيف نسبُه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش .

قال : كيف عقلُه ورأيه ؟ قال : لم نَعِبْ له رأياً [٣] قط .

قال هرقل : هل كان حَلاَّفاً كذاباً مخادعاً فى أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك .

قال : لعله يطلب مُلكا أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال : من يَتبعه منكم . هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا .

قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا إلا أن يغدر مُدَّته هذه .

فقال هرقل : وما تخاف من مدته هذه ؟ قال : إن قومى أمدُّوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أَغْدَر .

(١) ا : أمر . (٢) ا : فأمره (٣) غير ا : لم يغب له رأى .

فغضب أبو سفيان وقال : لم يغلبنا إلا مرةً واحـدة وأنا يومئذ غائب ، وهو يوم بدر ، ثم غزَوْتُه مرتين فى بيوتهم نَبقر البطونَ ونَجْدَع الآذان والفروج .

فقال هرقل : كاذبا تراه أم صادقا ؟ فقال : بل هو كاذب .

فقال : إنْ كان فيـكم نبيٌّ فلا تقتلوه . فإن أفعلَ الناسِ لذلك اليهودُ .

ثم رجع أبو سفيان .

ففى هذا السياق غرابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخارى .

وقد أورد موسى بن عقبة فى مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير . والله أعلم .

* * *

وقال ابن جرير فى تاريخه : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الـكلبى حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنى لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مُرسَل ، وأنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا ، ولـكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى صغاطر الأسقفّ فاذكر له أمرَ صاحبكم ، فهو والله فى الروم أعظم منى وأجْوَزُ قولاً عندهم منى ، فانظر ماذا يقول لك ؟

قال : فجاء دِحْية فأخبره بمـا جاء به من رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى هرقل وبمـا يدعو إليـه ، فقـال صغاطر : صاحبك والله نبيٌّ مُرْسَل نعرفه بصفته ونجـده فى كتابنا باسمـه .

ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ولبس بَياضاً ثم أخذ عصاه ، فخرج على الروم فى الـكنيسة فقال: يامعشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبةَ رجل واحد فضربوه حتى قتلوه .

قال : فلمـا رجع دِحْيـة إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك ، إنا نخافهم على أنفسنا ، فصغاطر والله كان أعظم عندهم وأجْوَز قولا منىّ .

[وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه عن عبدالله بن شدّاد عن دِحْية الكلبي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت : استأذنوا لرسولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فأُتى قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسولُ رسولِ الله . ففزع لذلك وقال : أدخله ، فأدخله عليه وعنده بطارقته فأعطيته الكتاب فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم . فنخَر ابنُ أخ له أحمر أزرق سَبِط[1] فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكَتب : صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم .

قال : فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إليّ فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقفّ فدخل عليه — وكان صاحب أمرهم يَصْدرون عن رأيه وعن قوله — فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذى بشّرنا به موسى وعيسى الذى كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أمّا أنا فإني مصدِّقه ومُتَّبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهبَ مُلكى وقتلني الروم[2]] .

* * *

وبه قال محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسَار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقلُ الخروجَ من أرض الشام إلى القسطنطينية لمَا بلغه مِن أمر النبي صلى الله عليه وسلم جَمع الرومَ فقال : يا معشر الروم إنى عارضٌ عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها . قالوا : ما هى ؟

قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لَنبيٌّ مُرْسَل ، نجده نعرفه بصفته التى وصف[3] لنا ، فهلم فلنتبعه فتَسْلم لنا دنيانا وآخرتنا[4] .

---

(١) السبط : الطويل . (٢) سقط من ا .
(٣) ا : وصفت . (٤) ا : وأخرانا .

فقالوا : نحن نكون تحت أيدى العرب ونحن أعظم الناس مُلكا ، وأكثره رجالا وأقصاه بلداً !

قال : فهلم أعطيه الجزية كلّ سنة، أكسر عنى شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه . قالوا : نحن نعطى العرب الذل والصَّغار بخَرْج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكا ، وأمْنَعه بلدا ! لا والله لا نفعل هذا أبدا .

قال : فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرضَ سورية ويدَعنى وأرضَ الشام . قال : وكانت أرض سورية فلسطين والأردن ودمشق وحمص ، وما دون الدَّرب [من أرض][1] سورية ، وما كان وراء الدَّرْب عندهم فهو الشام .

فقالوا : نحن نعطيه أرضَ سورية ، وقد عرفت أنها سُرَّة[2] الشام ، لا نفعل هذا أبدا .

فلما أبوا عليه قال : أما والله لَتَرون[3] أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه فى مدينتكم .

قال: ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرفَ على الدرب استقبل أرضَ الشام ثم قال : السلام عليك ياأرض سورية تسليم الوداع . ثم ركض حتى دخل إلى القسطنطينية والله أعلم .

ذكر إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بنى أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانى صاحب دمشق[4] .

قال الواقدى : وكتب معه : « سلامٌ على من اتبع الهدَى وآمن به ، وأدعوك[5] إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : أنها أرض سورية الشام . وما أثبته عن الطبرى ٣/٦٥١ .
(٣) الأصل : لتودن . والتصويب من الطبرى . (٤) ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام . (٥) ا : إنى أدعوك .

فقدِم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن يَنزع مُلكى ! إنى سأسير إليه .

ذكر بَعْثه إلى كسرى ملك الفُرس

روى البخارى من حديث الليث ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه[(١)] مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزَّقه .

قال : فحسبت أن ابن المسيَّب قال : فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُمزَّقوا كلَّ ممزَّق .

وقال عبد الله بن وهب : عن يونس عن الزهرى ، حدثنى عبد الرحمن بن القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم » .

فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك فى شىء أبداً فمُرْنا وابعثنا .

فبعث شجاعَ بن وهب إلى كسرى ، فأمر كسرى بإيوانه أن يزيَّن ثم أذِن لعظماء فارس ، ثم أذِن لشجاع بن وَهْب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناوله الكتاب .

ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » قال : فأغضبه حين بدأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفْسه ، وصاح وغضب ومزَّق الكتابَ قبلَ أن يَعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأُخرج ،

(١) ا : كتابه .

فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالى على أىّ الطريقين أكون إذا أدّيتُ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : ولما ذهب عن كسرى سَوْرة[1] غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتُمس فلم يوجد ، فطُلب إلى الحيرة فسبق .

فلما قدِم شجاعٌ على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مزّق كسرى مُلْكه » .

وروى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن أبى سلَمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدَ الله بن حُذَافة [بكتابه[2]] إلى كسرى . فلما قرأه مزّقه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مزّق مُلكه » .

* * *

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد[3] ، حدثنا سلمة ، حدثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب قال : وبعث عبدَ الله بن حُذَافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سَهْم إلى كسرى بن هُرمز ملك فارس وكتب معه: « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدَى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهدَ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًّا ويَحِقَّ القولُ على الكافرين . فإن تُسلم تَسْلم وإن أبيتَ فإن إثم المجوس عليك » .

قال : فلما قرأه شقَّه[4] وقال : يكتب إلىّ بهذا وهو عبدى ؟ !

---

(١) ا : ثورة .
(٢) ليست فى ا .
(٣) غير ا : حدثنا أحمد ابن حميد .
(٤) الطبرى : مزقه .

قال : ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جَلْدين فليأتيانى به .

فبعث باذام [١] قهرمانه ـ وكان كاتبا حاسباً بكتاب فارس ـ وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخرة [٢] ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال : لأباذويه [٣] : إيت بلادَ هذا الرجل وكلّمه وائتنى بخبره .

فخرجا حتى قدِما الطائفَ ، فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة . واستبشرَ أهلُ الطائف ـ يعنى وقريشٌ ـ بهما وفرحوا . وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نَصب له كسرى ملكُ الملوك ، كُفِيتم الرجل !

فخرجا حتى قدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلَّمه أبا ذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملكِ باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ، فإن فعلتَ كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفُّه عنك ، وإن أبيتَ فهو مَن قد علمتَ ، فهو مُهْلِكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادِك .

ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلَقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فكره النظرَ إليهما وقال : « ويلكما من أمرَكما بهذا ؟ ! » قالا : أمرنا ربُّنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقصّ شاربى » ثم قال : « ارجعا حتى تأتيانى غداً » .

قال : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنَه شيرويه فقتله .

---

(١) ا : باذانه . وفى الطبرى ٢/٦٥٥ : باذان. (٢) فى الطبرى : خرخسرة .
(٣) الطبرى : بابويه .

[فى شهر كذا وكذا فى ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله[1]] .

قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدرى ماتقول ؟ إنا قد نَقمْنا عليك ماهو أيْسَرُ من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذاك عنى ، وقولا له : إن دِينى وسلطانى سيَبْلغ مابلَغ كسرى وينتهى إلى الخُفّ والحافر ، وقولا له : إن أسلمتَ أعطيتك ماتحت يديك وملّكتك على قومك من الأبناء » .

ثم أعطى خرخرةَ مِنْطَقةً فيها ذهب وفضة كان أهداها إليه بعضُ الملوك .

فخرجا من عنده حتى قدِما على باذام فأخبراه الخبر فقال : والله ماهذا بكلام ملِك ، وإنى لأرى الرجل نبيًّا كما يقول ، وليكوننّ ماقد قال ، فلئن كان هـذا حقاً فهو نبى مرسَل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا .

فلم ينشب باذام أن قدِم عليه كتابُ شيرويه : أما بعد ؛ فإنى قد قتلتُ كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم ونَحْرِهم[2] فى ثغورهم ، فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قِبَلك ، وانطلق إلى الرجل الذى كان كسرى قد كتب فيه فلا تَهِجْه حتى يأتيك أمْرى فيه .

فلما انتهى كتابُ شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لَرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن .

قال : وقد قال باذويه لباذام : ما كلّمت أحداً أهيبَ عندى منه . فقال له باذام : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

***

قال الواقدى رحمه الله : وكان قَتْل كسرى على يدى ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة ، من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها .

---

(١) ليست فى ا .

(٢) ا : وغيرهم . وفى الطبرى ٢/٦٥٦ وتجميرهم . أى حبسهم .

قلت : وفى شعر بعضهم مايرشد أن قتله كان فى شهر حرام وهو قول بعض الشعراء :

قَتلوا كسرى بليـــلٍ مُحْرِما فتولَّى لم يمتَّع بـكَفَنْ

وقال بعض شعراء العرب [١] :

وكِسْرى إذ تَقاسَمـــه بنوه بأسيافٍ كما اقتُسم اللِّحـــامُ
تمخَّضت المَنُونُ له بيومٍ أنى [٢] ولـكلِّ حاملةٍ تمـامُ

وروى الحافظ البيهقى من حديث حمَّاد بن سلَمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن أبى بَـكْرة ، أن رجلا من أهل فارس أتى رسـولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربى قد قَتل الليلَة ربَّك » .

قال : وقيل له : ـ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ـ : إنه قد استخلَف ابنتَه .فقال : « لايفلح قوم تَمْلـكهم امرأة » .

قال البيهقى : وروى فى حديث دِحْية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجـد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلَ كـسرى ،وذلك أن كسرى بعث يتوعَّد صاحبَ صنعاء ويقول له: ألا تـكفينى أمرَ رجل قد ظهر بأرضك يدعونى إلى دينه ؟ ! لتَـكْفينّه أو لأفعلنّ بك .

فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربى قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال .

قال: وروى داود بن أبى هند ،عن عامر الشَّعبى نحو هذا .

ثم روى البيهقي من طريق أبى بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبى هند ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال : « إن فى وجه

(١) ورد هذان البيتان فى الجزء الأول من هذا الـكتاب ص ٤٩ منسوبين إلى خالد بن حق الشيبانى .
(٢) سبقت الرواية : ألا . انظر الجزء الأول ص ٤٩ .

سعد خبراً » فقال : « يا رسول الله هلَك كسرى » فقال: « لعن الله كسرى ، أولُ الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهلاك كسرى لذينك الرجلين ، يعنى الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه السلام وشاع فى البلاد وكان سعد بن أبى وقاص أولَ من سمع ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بوفق إخباره عليه السلام . وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البيهقى رحمه الله .

***

ثم روى البيهقى من غير وجه عن الزهرى ، أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو فى دسكرة ملكه بعث له ـ أو قُيِّض له ـ عارضٌ يَعْرِض عليه الحق فلم يُفجَأْ كسرى إلا برجل[1] يمشى وفى يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك فى الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى: نعم لا تكسرها . فولَّى الرجل .

فلما ذهب أرسل كسرى إلى حجابه فقال : من أذِن لهذا الرجل علىّ ؟ فقالوا : مادخل عليك أحدٌ . فقال : كذبتم ، قال : فغضب عليهم وتهدَّدهم ثم تركهم .

قال : فلما كان رأسُ الحَوْل أتى ذلك الرجلُ ومعه العصا ، فقال : يا كسرى هل لك فى الإسلام قبلَ أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم لا تكسرها .

فلما انصرف عنه دعا حُجَّابَه فقال لهم كالمرة الأولى .

فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له : هل لك يا كسرى فى الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها لا تكسرها . فكسرها[2] .

---

(١) ا : بالرجل . (٢) ا : لا تكسرها . فكسرها

فأهلك الله كسرى عند ذلك .

* * *

وقال الإمام الشافعى : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى[1] نفسى بيده لَتُنْفقَنّ كنوزهما فى سبيل الله » .

أخرجه مسلم من حديث ابن عُيينة وأخرجاه من حديث الزهرى به .

قال الشافعى : ولما أُتى كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزّقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمزّق مُلْكه » . وحَفظْنا أن قيصر أكرم كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه فى مِسْك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثبَت مُلْكه » .

قال الشافعى وغيره من العلماء : ولمّا كانت العربُ تأتى الشامَ والعراق للتجارة فأسلم مَن أَسْلم منهم ، شكَوا خوفهم من مَلِكى العراق والشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا هلَك كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » .

قال : فبادَ مُلك الأكاسرة بالكلّية ، وزال ملك قيصر عن الشام بالكلّية ، وإنْ ثبَت لهم مُلْك فى الجملة ، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم حين عظَّموا كتابه . والله أعلم .

قلت : وفى هذا بشارة عظيمة بأن مُلك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام .

وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملَك الشامَ مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفُرس ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وفرعون

(١) غير ا : فوالذى .

لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ،وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع(١) والله أعلم .

وروى مسلم عن قُتيبة وغيره عن أبى عوانة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَتفْتحن عصابةٌ من المسلمين كنوزَ كسرى فى القصر الأبيض » .

وروى أسباط ، عن سِماك ، عن جابر بن سَمُرة مثلَ ذلك وزاد : وكنت أنا وأبى فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بَعثُه عليه السلام إلى المقَوْقس

صاحب مدينة الإسكندرية ، واسمه جريج بن مينا القبطى

قال يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق : حدثنى الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطبَ بن أبى بَلْتَعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقبَّل الكتابَ وأكرم حاطباً وأَحْسَن نزله وسرَّحه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهدَى له مع حاطب كسوةً وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن قيس العبدى .

رواه البيهقى .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه ، عن جده حاطب بن أبى بَلْتعة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، قال : فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلنى فى منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إلىّ وقد جمع بطارقته وقال : إنى سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عنى . قال : قلت :هَلُمّ. قال أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبى ؟ قلت : بلى

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثانى ٢٩ .

هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببَذرقة(١) يُبَذْرِقونك إلى مَأْمنك .

قال : فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه بطُرَف من طُرفهم .

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان

قلت : وكان فى جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودان وبغلة بيضاء اسمها الدلدل .

وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره(٢) بادئ الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى ، حتى قال بعضهم : إنه الذى أمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب بقتله فوجده خصيا فتركه . والحديث فى صحيح مسلم من طريق [حماد بن سلمة]

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلِيطَ بن عمرو بن عبدودّ أخا بنى عامر بن لؤى إلى هَوْذة بن على صاحب اليمامة . وبعث العلاَء بن الحضرمى إلى جَيْفر ابن الجلَندى وعمار بن الجلندى الأزديين صاحبى عمان(٣) .

---

(١) البذرقة : الخفارة . (٢) انظر الإصابة ٦ /١٣ .

(٣) ابن هشام: بعث العلاء بن الحضرى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين . وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى . وبعث سليط بن عمرو . . إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن على .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقى هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاَسل من مَشارف الشام فى بلىّ وعبد الله ومن يليهم من قضاعة .

قال عروة بن الزبير : وبنو بَلِىّ أخوالُ العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدُّه ، فندَب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر فى جماعة من سراة المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ابن الجراح .

قال موسى بن عقبة : فلما قدِموا على عمرو قال : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمدُّه بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مَدَد أُمْدِدته .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة ـ وكان رجلاً حَسن الخُلق لِيِّن الشِّيمة ـ قال : تَعلم ياعمرو أن آخر ماعهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قدِمتَ على صاحبك فتطَاوعا » وإنك إن عصَيْتنى لأُطيعنك . فسلَّم أبو عبيدة الإمارَة لعمرو ابن العاص .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العربَ إلى الإسلام(١)

---

(١) ابن هشام : إلى الشام . ولعله تحريف .

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بَلىّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألّفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السّلاسل ـ وبه سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال : فلما كان عليه وخاف بَعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدُّه ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجّهه : « لا تختلفا » .

فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدِم عليه قال له عمرو : إنما جئتَ مَدداً لى ، فقال له أبو عبيدة : لا ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه .

وكان أبو عبيدة رجلا ليناً سهلا ، هيِّناً عليه أمرُ الدنيا . فقال له عمرو : [بل](1) أنت مَددى . فقال له أبو عبيدة : ياعمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لى : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتنى أطعتك فقال له عمرو : فإنى أميرٌ عليك وإنما أنت مَدد لى . قال : فدونك . فصلىّ عمرو بن العاص بالناس .

***

وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رُومان ، أن أبا عبيدة لما آبَ إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بَلىّ ودوّخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك(2) تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بَلى وعُذرة وبلقْين ، ولقى فى آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وترامَوا بالنَّبل ساعة ، ورُمى يومئذ عامرُ بن ربيعة وأصيبت ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزِموا وأعجزوا هرباً فى البلاد وتفرقوا ، ودوخ عمرو ماهناك وأقام أياماً لا يسمع لهم بجَمْع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحابَ الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن فى ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

(١) من ابن هشام .

(٢) ا : « بذلك » .

وقال أبو داود، حدثنا ابن المثنّى، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبى، سمعت يحيى ابن أيوب يحدِّث عن يزيد بن أبى حبيب، عن عمران بن أبى أنس، عن عبد الرحمن ابن جُبَير، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمتُ فى ليلة باردة فى غزوة ذات السّلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أَهْلِك، قال: فتيمّمت ثم صليتُ بأصحابى الصبح، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « ياعمرو صليتَ بأصحابك وأنت جُنب؟ » قال: فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت: إنى سمعت الله يقول: « ولا تَقتلوا أنفسَكم إنّ الله كان بكم رَحيماً » فضحك نبى الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً.

حدثنا محمد بن سلمة [أخبرنا ابن وهب][1] حدثنا ابن لهيعة[2] وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن عمران بن أنس، عن عبد الرحمن بن جُبير[3]، عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سرية[4] فذكر الحديث بنحوه - قال: فغسل مَغَابنه وتوضأ[5] وضوءه للصلاة ثم صلى بهم. فذكر نحوه ولم يذكر التيمم.

قال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعى، عن حسان بن عطية، وقال فيه: فتيمم.

وقال الواقدى: حدثنى أفلح بن سعيد، عن أبى عبد الرحمن بن رقيش، عن أبى بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قَفَلوا احتلَم فى ليلة باردة كأشد مايكون من البرد، فقال لأصحابه: ماترون والله، احتلمتُ فإن اغتسلت متّ. فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم، ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بُعث عوف بن مالك بَريداً.

---

(١) من سنن أبى داود ١/٥٦.
(٢) سنن أبى داود: عن ابن لهيعة.
(٣) قال أبو داود: عبد الرحمن بن جبير مصرى مولى خارجة بن حذافة، وليس هو ابن جبير بن نفير.
(٤) أبو داود: أن عمرو بن العاص كان على سرية.
(٥) المغابن: بواطن الأفخاذ.

قال عوف : فقدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السَّحر وهو يصلى فى بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عوفُ بن مالك ؟ » فقلت: عوف بن مالك يارسول الله . قال : « صاحب الجزُور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً . ثم قال : « أخبرنى » فأخبرته بما كان من مَسِيرنا وما كان بين أبى عبيدة وعمرو ومطاوعة أبى عبيدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » .

قال : ثم أخبرته أن عَمراً صلَّى بالناس وهو جُنب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدِم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن صلاته فأخبره فقال: والذى بعثك بالحق إنى لو اغتسلت لمتّ ، لم أجد بَرداً قط مثله ، وقد قال تعالى : « ولا تَقْتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيما » .

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَبْلغنا أنه قال شيئاً .

***

وقال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغزوة التى بَعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ، وهى غزوة ذات السلاسل ، فصحبتُ أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم وهم على جَزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعِّضوها ، وكنت امرءاً جازِراً ، فقلت لهم : تعطونى منها عُشراً (١) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشَّفرة فجزّأتها مكانى ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابى فاطَّبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنَّى لك

(١) العشر : النصيب من لحم الجزور . وفى ا : عشيرا .

هذا اللحم ياعوف ؟ فأخبرتهما فقالا : لا والله ماأحسنتَ حين أطعمتنا هـذا . ثم قاما يتقيّآن مافى بطونهما منه .

فلما أن قَفَل الناس من ذلك السفر كنت أولَ قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئته وهو يصلى فى بيته ، فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم بأبى أنت وأمى. فقال : « صاحب الجزور ؟ » ولم يزد على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع بل مُعْضل .

قال الحافظ البيهقى : وقد رواه ابن لَهِيعة وسعيد بن أبى أيوب ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن ربيعـة بن لَقيط ، عن مالك بن زهْـدم ، أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضْته على عمر فسألنى عنـه فأخبرته فقـال : قد تعجّلت أجرَكَ ولم يأكله .

ثم حكى عن أبى عبيدة مثلَه ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتمامه كنحو ماتقدم .

* * *

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمـد بن يعقوب الأصم ، حـدثنا يحيى بن أبى طالب ، حـدثنا على بن عاصم ، حدثنا خالد الحذَّاء ، عن أبى عثمان النَّهدى ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، وفى القوم أبو بكر وعمر ، فحدّثت نفسى أنه لم يبعثنى على أبى بكر وعمر إلا لمنزلة لى عنده ، قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يارسول الله من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » ؟ قلت : إنى لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » قلت : ثم من ؟ حتى عدَّدَ رهطاً . قال : قلت فى نفسى : لا أعود أسأل عن هذا .

وهذا الحديث مخرَّج فى الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذَّاء ، عن أبى عثمان النَّهدى ، واسمه عبد الرحمن بن مُل ، حدثنى عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَه على جيش ذات السَّلاسل ، فأتيته فقلت : أىّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : فمِن الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » فعدَّد رجالا . وهذا لفظ البخارى . وفى رواية قال عمرو : فسكتُّ مخافة أن يجعلنى فى آخرهم .

سرية أبى عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك ،عن وهب بن كَيْسان ،عن جابر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً قِبَل الساحل وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة . قال جابر : وأنا فيهم .

فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزادُ فأمر [1] أبو عبيدة بأزْواد ذلك الجيش فجمع كله ، فكان مِزْوَدى تمراً ، فكان يقوتنا كلّ يوم قليلا قليلا حتى فنى ولم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة ، قال : فقلت : وماتغنى تمرة ؟ فقال : لقد وجَدْنا فَقْدَها حين فَنِيت !

قال : ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظَّرِب [2] . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنُصبا ، ثم أمر براحلته فرحِّلت ثم مرّ تحتهما فلم يصبهما .

أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك بنحوه .

وهو فى الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة ،عن عمرو بن دينار ، عن جابر

---

(١) غير ا : فأتوا أبا عبيدة .

(٢) الظرب : الجبل المنبسط أو الصغير .

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نَرْصد عِيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبَط [1] ، فسمى ذلك الجيش جيشَ الخبَط . قال : ونحر رجل ثلاثَ جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً . فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحرُ دابةً يقال لها العنبر ، فأكلنا منها نصف شهر وادَّهنّا حتى ثابت إلينا أجسامُنا وصَلُحت . ثم ذكر قصة الضلع .

فقوله فى الحديث : « نَرْصد عيراً لقريش » دليل على أن هذه السَّرية كانت قبلَ صُلح الحديبية . والله أعلم . والرجل الذى نحَر لهم الجزائرَ هو قيسُ بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما .

* * *

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو خَيْثمة ، وهو زهير بن معاوية ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : بعثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقَّى عِيراً لقريش ، وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرة . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمصُّ الصبىُّ ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومَنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخبَط ثم نبلّه بالماء فنأكله .

قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر فرفِع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العَنْبر ، فقال أبو عبيدة : مَيْتة . ثم قال : لا بل نحن رسُل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله ، وقد اضطُرِرْتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنّا ، ولقد كنا نغرف من وَقْب [2] عينه بالقلال الدُّهنَ ،

(١) الخبط : ورق الشجر .

(٢) الوقب : كل نقرة فى الجسد كنقرة العين والكتف .

ونقتطع منه القِدْر كالثَّور أو كقَدْر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى عينه ، وأخـذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحَّل أعظم بعير منها فمر تحتها ، وتزوَّدنا من لحمها وشائق (١) ، فلما قدِمنا المدينة أتينا رسولَ الله صـلى الله عليـه وسلم فذكرنا ذلك له فقال: « هو رزقٌ أخرجه الله لـكم ، فهل معكم شىء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منه .

ورواه مسلم عن يحيي بن يحيي ، وأحمد بن يونس وأبو داود عن النُّفَيلى ، ثلاثتهم عن أبى خيثمة زهير بن معاوية الجعفى الـكوفى ، عن أبى الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المـكى عن جابر بن عبد الله الأنصارى به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السِّياقات أن هذه السرية كانت قبل صُلح الحديبية ، ولـكن أوردناها هاهنا تبعا للحافظ البيهقى رحمه الله ، فإنه أوردها بعد مُؤتة وقبلَ غزوة الفتح . والله أعلم .

وقد ذكر البخارى بعد غزوة مؤتة سريةَ أسامة بن زيد إلى الحرَقَات من جُهينة فقال : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جُنْدَب ، حدثنا أبو ظبْيان، قال : سمعت أسامةَ بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صـلى الله عليـه وسلم إلى الحرقة فصبَّحنا القومَ فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . فـكفَّ الأنصاريُّ وطعنْته برمحى حتى قتلته ، فلما قدِمنا بلَغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلتَه بعدَ ماقال لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوِّذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

وقد تقدم هذا الحديث والـكلام عليه فيما سلف .

---

(١) الوشائق : جمع وشيقة ، وهى لحم يقدد حتى ييبس .

ثم روى البخارى من حديث يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعَ غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسعَ غزوات ، علينا مرةً أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما .

* * *

ثم ذكر الحافظ البيهقى هاهنا موتَ النجاشى صاحب الحبشة على الإسلام ونَعْى رسول الله صلى الله عليه وسلم له إلى المسلمين وصلاته عليه .

فروى من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إلى الناس النجاشىَّ فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلَّى فصَفَّ بهم وكبَّر أربعَ تكبيرات .

أخرجاه من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة ، عن أبى هريرة بنحوه .

وأخرجاه من حديث ابن جُريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مات اليومَ رجلٌ صالح فصلّوا على أَصْحَمة » .

وقد تقدمت [1] هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ولله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشى كان قبل الفتح بكثير ، فإن فى صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشى ، وليس هو بالمسلم . وزعم آخرون كالواقدى أنه هو والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقى من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن موسى بن عقبة ،

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثانى ٢٩ .

عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال : « قد أهديت إلى النجاشي أواقِيَ من مسك وحلة وإني لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية إلا ستُرَدّ عليّ ، فإن ردّت علي ـ أظنه قال ـ قسمتها بينكن ، أو فهي لك » .
قال : فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات النجاشي ورُدَّت الهدية ، فلما ردت عليه أعطى امرأةً من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائرَه أمَّ سلمة ، وأعطاها الحُلّة . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

غزوة الفتح الأعظم

وكانت في رمضان سنة ثمان .

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى : « لا يَسْتوى منكم مَن أنفق مِن قَبلِ الفتحِ وقاتل أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا مِن بعدُ وقاتَلوا وكُلاًّ وعدَ الله الحسْنَى[(١)] » الآية . وقال تعالى : « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ورأيتَ الناسَ يَدْخلون في دِين الله أفواجاً فسبِّح بحمدِ ربك واستَغْفره إنه كان تَوّاباً » .

وكان سببُ الفتح بعدَ هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق : حدثنى الزُّهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم ، أنهما حدَّثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عَقْد محمد وعَهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [دخل[(٢)]] . فتواثبَتْ خزاعة وقالوا : نحن نَدْخل في عَقْد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم .

فمكثوا في تلك الهدنة نحوَ السبعة أو الثمانية عشر شهرا ، ثم إن بنى بكرٍ وثَبوا على خُزاعة ليلاً بماء يقال له الوَتِير ، وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يَعْلم بنا محمد وهذا الليلُ وما يرانا من أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضِّغْن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم على

---

(١) سورة الحديد ١٠ .

(٢) ابن هشام : ومن أحب أن يدخل . . فليدخل .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدها إياه :

يارَبِّ إنّى ناشِدٌ محمـداً ... حِلفَ أبيه وأبينا الأَتْلَدا[1]
قد كنتمُ وُلْداً وكنّا والداً ... ثُمَّتَ أسلمْنا فلم نَنْزِعِ يدَا
فانصر رسولَ الله نصراً أبدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَدا
فيهم رسولُ الله قد تجرّدا ... إنْ سِيمَ خَسْفاً وجهُهُ تربَّدا
فى فَيْلَقٍ كالبحر يجرى مُزْبِدا ... إنّ قريشاً أَخْلَفوكَ الموعدا
ونَقَضوا ميثاقَكَ المؤكَّدا ... وجعلوا لى فى كَدَاءٍ رَصَداً[2]
وزَعموا أن لستُ أدعو أحداً ... فهمْ أذلُّ وأقلُّ عَـدداً
هم بيّتونا بالوَتِير هُجَّـدَا ... وقَتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرتَ يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مرّت بنا عَنانة[3] فى السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه السحابة لَتستهلُّ بنصر بنى كعب » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ بالجهاز وكتَمهم مَخْرجه ، وسأل الله أن يعمِّى على قريش خبره حتى يَبْغَتهم فى بلادهم .

***

قال ابن إسحاق : وكان السبب الذى هاجَهم أن رجلا من بنى الحضْرَمى اسمه مالك ابن عبّاد ، من حلفاء الأسود بن رِزْن ، خرج تاجراً فلما توسط أرضَ خُزاعة عدَوْا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بنى خُزاعة فقتلوه ، فعدَتْ خزاعة

(١) الأتلد : القديم .
(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .
(٣) العنان : السحاب .

قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رِزْن الدِّئلى ، وهم مَفْخَر بنى كنانة وأشرافهم ؛ سلمى وكلثوم وذؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرَم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من الديل قال : كان بنو الأسود بن رِزْن يودَون فى الجاهلية دِيَتَيْن ديتين [ونودى ديةً دية لفضلهم فينا][1] .

قال ابن إسحاق : فبَيْنا بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجَز بينهم الإسلامُ ، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر فى عقد قريش ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الهدنة ، اغتنمها بنو الدِّيل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلى فى قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كلُّ بنى بكر تابعَه ، فبيَّت خزاعة وهم على الوتِير — ماء لهم — فأصابوا رجلا منهم وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفَدت قريشٌ بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مُستخفياً حتى حاوزوا[2] خزاعةَ إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ! فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى إنكم لتَسْرقون فى الحرَم أفلا تصيبون ثأركم !

ولجأت خزاعة إلى دار بُدَيل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد قال الأخْزَر بن لُعْط الدِّيلى فى ذلك :

ألاهل أتى قُصْوَى الأحابيش أننا ... ردَدْنا بنى كعب بأفوَقَ ناصِلِ[3]
حَبسناهمُ فى دارةِ العَبْدِ رافــعٍ ... وعندَ بُدَيل مَحْبساً غــير طـائلِ
بدار الذليل الآخذِ الضَّيم بعدَ ما ... شَفينا النفوسَ منهمُ بالمَنَاصــلِ

(١) من ابن هشام . (٢) حاوزوا : ساقوا .
(٣) الأفوق : السهم الذى وضع فوقه فى الوتر . والناصل : ماله نصل وهو حد السهم .

حبسناهمُ حتى إذا طـال يومُهم ... نَفحْنا لهم من كل شِعْب بوابلِ (١)
نذبِّحهم ذبحَ التُّيوس كأننـا ... أسودٌ نُبَارِى فيهمُ بالقَواصلِ (٢)
همُ ظلمونا واعتدوا فى مَسِيرهم ... وكانوا لدَى الأنصابِ أولَ قاتلِ
كأنهمُ بالجزْعِ إذ يَطردونهمْ ... قفَا ثَوْرَ حُفَّانُ النعامِ الجوافلِ (٣)

قال : فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجبّ ، وكان يقال له بديل ابن أم أَصْرم فقال :

تعـاقدَ قومٌ يَفْخرون ولم ندع ... لهم سيداً يندوهم غـيرَ نافلِ
أمن خيفةِ القوم الأولى تزدريهمُ ... تجيز الوتيرَ خائفا غـير آيلِ
وفى كل يوم نحن نحبُو حباءنا ... لعقلٍ ولا يُحْبَى لنا فى المعاقلِ
ونحن صَبَحْنا بالتَّلاعـة داركم ... بأسيافنا يسبقن لومَ العواذلِ (٤)
ونحن مَنعنا بين بَيْض وعَتْودٍ ... إلى خيفِ رَضْوَى من مَجَرِّ القبائلِ (٥)
ويومَ الغَمِيم قد تـكفَّتَ ساعياً ... عُبَيْسٌ فجعْناه بجَلْدٍ حُلَاحلِ (٦)
أإنْ أَجْمرتْ فى بيتها أمُّ بعضكم ... بجُعْموسها تَنزُون إن لم نقاتلِ (٧)
كَذبتم وبيتِ الله ما إنْ قَتلتم ... ولـكن تركنا أمرَكم فى بَلَابلِ

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كأنـكم بأبى سفيان قد جاءكم يشدُّ فى العَقْد ويزيد فى المدة » .

(١) الشعب : المطمئن بين جبلين . والوابل : المطر الشديد . (٢) القواصل : السيوف القواطع .
(٣) ثور : جبل بمـكة ومنعه من الصرف لأنه أراد به البقعة . وقفاه : وراءه . وتروى : بفاثور . قال أبو ذر : ظاهره أنه اسم موضع . والحفان : صغار النعام . والجوافل : الهاربة المسرعة .
(٤) التلاعة : ماء لبنى كنانة بالحجاز .
(٥) بيض : من منازل بنى كنانة بالحجاز . وعتود : ماء لـكنانة .
(٦) تـكفت : حاد عن طريقه . والجلد : القوى . والحلاحل : السيد الشجاع .
(٧) الجعموس : الرجيع . وأجمرت : رمت به بسرعة . يريد : الفزع والحذر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعُسْفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّ العقدَ ويزيد فى المدة وقد رهبوا للذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديلاً قال : من أين أقبلتَ يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل فى بطن هذا الوادى . قال : فعمد أبو سفيان إلى مَبْرك ناقته فأخذ من بعرها ففتّه فرأى فيه النوَى . فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته ، فقال : يابنية ما أدرى أرغبْتِ بى عن هذا الفراش أو رَغبتِ به عنّى ؟ فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه. فقال: يابنية والله لقد أصابك بعدى شرّ !

ثم ذهب إلى أبى بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماأنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذّرّ(١) لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليّ ابن أبى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها حسن غلام يدبُّ بين يديهما ، فقال : ياعلى إنك أمسُّ القوم بى رَحماً وأقربهم منى قرابة ، وقد جئت فى حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ويحك أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرٍ ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يابنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس

---

(١) الذر : النمل . وهو كالمثل ، لأن الذر لا يقاتل به .

فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال : يا أبا الحسن إنى أرى الأمورَ قد اشتدّت على فانصحنى . قال : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجِرْ بين الناس ثم الحق بأرضك . فقال: أو ترى ذلك مُغْنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظن ، ولكن لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس إنى قد أجَرْت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما أن قدم على قريش قالوا : ماوراءك ؟ قال: جئت محمداً فكلمته ،فوالله ماردَّ علىّ شيئا ، ثم جئت ابنَ أبى قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعْدَى عدوّ ، ثم جئت علياً فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار علىَّ بأمر صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى عنا شيئاً أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بينَ الناس ففعلت . قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

[فائدة ذكرها السهيلى . فتكلم على قول فاطمة فى هذا الحديث : « وما يجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم » على ما جاء فى الحديث: « ويجير على المسلمين أدناهم » قال : وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحدا أو نفرا يسيرا ، وقول فاطمة : فمن يجير عددا من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك . قال : كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لأم هانئ : « قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ » قال : ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد وفى قوله عليه السلام : « ويجير عليهم أدناهم » ما يقتضى دخول العبد والمرأة . والله أعلم] (١) .

---

(١) سقط من ح .

وقد روى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قالت بنو كعب :

اللهم إنى ناشدٌ محمــدَا ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدَا

فانصر هداك الله نصراً أعْتَدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَداً(١)

وقال موسى بن عقبة فى فتح مكة : ثم إن بنى نُفَاثة من بنى الدِّيل أغاروا على بنى كعب ، وهم فى المدة التى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وكانت بنو كعب فى صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بنو نُفَاثة فى صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بنى نفاثة ، وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق ، واعتزلتهم بنو مُدْلج ووَفوا بالعهد الذى كانوا عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى بنى الدِّيل رجلان هما سيداهم ؛ سلمى بن الأسود وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو .

فأغارت بنو الديل على بنى عمرو وعامّتهم ، زعموا ، نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجأوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُدَيل بن ورقاء بمكة .

فخرج ركبٌ من بنى كعب حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له الذى أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم فى ذلك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجعوا فتفرّقوا فى البلدان ».

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخوّف الذى كان ، فقال : يا محمد اشدد العقد وزدنا فى المدة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولذلك قدِمتَ ؟ هل كان من حدث قِبلَكم ؟ » فقال مَعاذ الله ! نحن على عَهدنا وصُلحنا يومَ الحديبية لا نغيِّر ولا نبدّل .

---

(١) الأعتد : الحاضر .

فخرجْ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى أبا بكر فقال : جدِّد العقدَ وزدنا في المدة . فقال أبو بكر : جِوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لو وجدت الذَّرَّ تقاتلكم لأعنتها عليكم .

ثم خرج فأتى عمرَ بن الخطاب فكلّمه فقال عمر بن الخطاب : ما كان مِن حلفنا جديداً فأخلَقه الله ، وما كان منه مثبتاً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعا فلا وصَله الله ! فقال له أبو سفيان : جُزيتَ من ذى رَحم شراً .

ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان : جِوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم اتَّبع أشرافَ قريش يكلمهم فكلهم يقول : عَقْدنا فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمها فقالت : إنما أنا امرأة ، وإنما ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها : فأمرى أحدَ ابنيْك . فقالت : إنهما صبيان ليس مثلهما يجير . قال : فكلِّمى عليًّا . فقالت : أنت فكلِّمه .

فكلَّم عليّاً فقال له : يا أبا سفيان إنه ليس أحدمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَفْتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار ، وأنت سيدُ قريش وأكبرها وأمْنعها فأجِرْ بينَ عشيرتك . قال : صدقتَ وأنا كذلك. فخرج فصاح : ألا إنى قد أجرتُ بين الناس ، ولا والله ما أظن أن يُخْفرنى أحدٌ .

ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إنى قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ولا يرد جوارى . فقال : « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو سفيان على ذلك .

فزعموا ــ والله أعلم ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين أد ـ

أبو سفيان : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتةً ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » .

وقدِم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله لقد أبى علىّ ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملِك عليهم أطوعَ منهم له ، غير أن علىّ بن أبى طالب قد قال لى : التمس جوارَ الناس عليك ولا تجرْ أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقّها ألّا تُخفر جواره . فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنى قد أجَرْتُ بين الناس وقلت : ما أظن أن تُخْفرنى . فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . فقالوا مجيبين له : رضيتَ بغير رضى ، وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك علىّ لَعمر الله ! ما جوارك بجائز وإن إخفارك عليهم لهيّن .

ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبّحك الله من وافدِ قومٍ ! فما جئتَ بخير .

قال : ورأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سحاباً فقال : « إن هذه السحاب لَتبضُّ بنصر بنى كعب » .

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يمكث بعد ماخرج أبو سفيان، ثم أخذ فى الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتُخْفى ذلك .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطةً تُنسف وتنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت . فقال : أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بنى الأصفر — وهم الروم — ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهلَ نجد ؟ فصمتت . قالْ : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج مَخْرجاً ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريد بنى الأصفر ؟ قال : لا . قال :أتريد أهلَ نجد ؟ قال : لا . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يَبْلغك ما صنعوا ببنى كعب ؟ » .

قال : وأذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبى بَلْتعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الكتاب . وذكر القصة كما سيأتى .

***

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهى تُغربل حنطةً فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهزْ . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمّى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلَم الناسَ أنه سائر إلى مكة وأمربالجِد والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيونَ والأخبار عن قريش حتى نَبْغتها فى بلادها » فتجهز الناس .

فقال حسان يحرض الناسَ ويذكر مصاب خزاعة :

عَنانى ولم أشهد ببطحاء مكةٍ   رجالُ بنى كعب تُحَزُّ رقابُهَا
بأيدى رجالٍ لم يَسلُّوا سيوفَهم   وقتلى كثير لم تجنّ ثيابُها (١)
ألاليت شعرى هل تنالنّ نُصْرتى   سهيلَ بن عمرو حرُّها وعُقابُها (٢)

---

(١) لم تجن : لم تستر . يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا .
(٢) ابن هشام : وخزها . وكذلك رواية الديوان .

وصَفوان عوداً حُزّ من شفر استه ... فهذا أوانُ الحرب شُدَّ عِصابها (١)

فلا تأمننّا يا بن أم مُجالدٍ ... إذا احتلبَتْ صِرْفاً وأعصَلَ نابها (٢)

ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا ... لها وقعةٌ بالموت يُفتح بابُها

قصة حاطب بن أبى بلتعة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطبُ بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السَّير إليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَينة ، وزعم لى غيره أنها سارّة مولاة لبعض بنى عبد المطلب وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته فى رأسها ثم فتلَتْ عليه قرونَها ثم خرجت به .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال : « أدرِكا امرأةً قد كتب معها حاطبُ بن أبى بَلتعة بكتاب إلى قريش يحذِّرهم ماقد أجمْعنا له من أمرهم » .

فخرجا حتى أدركاها بالحَليفة حليفة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها فالتمساه فى رَحْلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إنى أحلف بالله ما كُذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذَبنا ، ولتخرجِنّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنك . فلما رأت الجِد منه قالت : أعرضْ . فأعرض ، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال : « ياحاطب ماحملك على هذا ؟ »

---

(١) ابن هشام : وصفوان عود حن .

(٢) الصرف : الخالص . وأعصل : اعوج . يريد اشتدادالحرب . وابن أم مجالد : عكرمة بن أبى جهل .

فقال : يارسول الله أمّا والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ماغـيَّرت ولا بدَّلت ، ولـكننى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله دَعْنى فلأضرب عنقه فإن الرجـل قد نافَق !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لـكم » .

وأنزل الله فى حاطب : « يأيها الذين آمنوا لا تَتَّخذوا عـدوّى وعدوَّكم أولياءَ تُلْقون إليهم بالمودة » إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة . وقد ذكر السهيلى أنه كان فى كتاب حاطب : أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ماوعده .

قال : وفى تفسير ابن سلاّم أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفَرَ فإما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر .

***

وقد قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرنى الحسن بن محمد ، أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع، سمعت علياً يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنا والزبيرَ والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ فإن بهـا ظَعِينة معها كتاب تخذوه منهـا » فانطلقنا تَعادَى بنـا خيلُنا حتى أتينـا الروضة فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجى الـكتاب . فقالت : مامعى . فقلنا : لَتخرجِن الـكتابَ أو لَنُلْقِين الثياب .

قال : فأخرجته من عِقَاصها ، فأتينا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من

حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ياحاطب ماهذا ؟ » فقال : يارسول الله لا تَعْجل علىّ ، إنى كنت امرءاً مُلْصَقا فى قريش ، يقول : كنت حَليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يَحْمون بها أهليهم وأموالَهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا إنه قد صدَقكم » فقال عمر : يارسول الله دَعْنى أضرب عنقَ هذا المنافق ! فقال : « إنه قد شهد بدراً ، ومايدريك لعل الله قد اطَّلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله سورة : «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء» إلى قوله: « فقد ضَلّ سَواءَ السبيل » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن حاطب بن أبى بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد غزوهم ، فدُلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المرأة التى معها الكتاب ، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال : « ياحاطب أفعلتَ ؟ » قال : نعم . قال : أمَا إنى لم أفعله غشًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مُظْهِر رسولَه ومتمٌّ له أمرَه ، غير أنى كنت غريبا بين ظهرانيهم وكانت والدتى معهم ، فأردت أن أتخذ يدا عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال :

« أتقتل رجلا من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله قد اطَّلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم » .

تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم . ولله الحمد .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مُسْلم بن شهاب الزُّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفَره واستخلف على المدينة أبا رُهْم كلثوم بن حُصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضَيْن من شهر رمضانَ فصام وصام الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكَدِيد بين عُسْفان وأَمَج أفطرَ ، ثم مضى حتى نزل مرّ الظَّهران فى عشرة آلاف من المسلمين .

وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفا . وكذا قال الزهرى وموسى بن عقبة . فسبَّعتْ سُلَيم وبعضهم يقول ألَّفت سُليم ، وألَّفت مُزينة وفى كل القبائل عَددٌ وإسلام ، وأوْعَب [١] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

وروى البخارى ، عن محمود ، عن [٢] عبد الرزاق ، عن مَعْمر عن الزهرى نحوه .

وقد روى البيهقى من حديث عاصم بن على ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة الفتح فى رمضان .

قال : وسمعت سعيد بن المسيَّب يقول مثل ذلك ، لا أدرى أخرج فى ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج فى رمضان بعد مادخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرنى

---

(١) ا : وأرغب .

(٢) ا : ابن عبد الرازق وهو تحريف .

أن ابن عباس قال : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الـكَديد ـ الماء الذى بين قُدَيد وعُسفان ـ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر .

ورواه البخارى ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنه لم يذكر الترديد بين شعبان ورمضان .

* * *

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان ، فصام حتى بلغ عُسْفان ثم دعا بإناء فشرب بها[1] ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة .

قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس : عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسَفْرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رُهْم كلثوم بن الحصين الغفارى ، وخرج لعشر مضَيْن من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الـكَديد بين عُسْفان وأَمَج فأفطر ، ودخل مكة مفطرا فكان الناس يرون أن آخر الأمر[2] من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقى : فقوله : « خرج لعشر من رمضان » مُدْرَج فى الحديث ، وكذلك ذكره عبيد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن جابر ، عن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشرٍ مضَين من رمضان . سنة ثمان .

---

(١) غير ا : نهارا .

(٢) غير ا : يرون آخر الأمرين .

ثم روى البيهقي من حديث أبي إسحاق الفَزارى ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقي : وهذا الإدراج وَهْم ، إنما هو من كلام الزهرى .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح - فتح مكة - فخرج من المدينة فى رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانى سنين ونصف سنة من مَقْدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديدَ ثم أفطر .

قال[(١)] الزهرى : وإنما يؤخذ بالأَحْدَث فالأحدث[(٢)] . قال الزهرى : فصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى[(٣)] الصحيحين من طريق عبد الرزاق . فالله أعلم .

وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخى ، عن عطية بن قيس ، عن أبي سعيد الخدرى قال : آذَنَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرَّحيل عامَ الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفطر فأصبح الناس مرضى[(٤)] منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذى نَلْقَى العدوَّ أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثني عطية بن

(١) المطبوعة : فقال . خطأ .
(٢) البخارى : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله الآخر فالآخر .
(٣) المطبوعه : فى . خطأ .
(٤) المطبوعة : مرحى . خطأ .

قيس ، عمن حدثه ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : آذنَنا رسولُ الله بالرحيل عامَ الفتح لليلتين خلَتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاما حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزلٍ يَلْقى العدوَّ أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

* * *

قلت : فعلى ما ذكره الزهرى ، من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وماذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة فى ثانى شهر رمضان ، يقتضى أن مَسيرهم كان بين[1] مكة والمدينة فى إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقى ، عن أبى الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ومحمد بن على بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم . قالوا: كان فتح مكة فى عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطَّيالسى : حدثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائما حتى أتى كُراع الغَميم والناس معه مشاة وركبانا ، وذلك فى شهر رمضان[2] . فقيل : يارسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلتَ ؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدَح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أُخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن بعضهم صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك العصاة » .

---

(١) ا : من .   (٢) ا : فى رمضان .

وقد رواه مسلم من حديث الثقفى والدَّراوَرْدى ، عن جعفر بن محمد .

وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، حدثنى بشير بن يسَار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء فى قَعْب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون؛ يُعْلمهم أنه قد أفطر ، فأفطر المسلمون .

تفرَّد به أحمد .

فصل

فى إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم

وأبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى أخى أم سلمة أم المؤمنين . وهجرتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه فى أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قال ابن إسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبلَ ذلك مقيما بمكة على سقايته، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهرى .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية قد لقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بنِيق العُقاب[1] فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخولَ عليه ، فكلّمته أم سلمة فيهما فقالت : يارسول الله ابنُ عمك وابن عمتك وصِهْرك . قال : «لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى فهو الذى قال لى بمكة ما قال »[2] .

---

(١) ا : بذق العقيق .

(٢) قال له : « والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ؛ ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك » الروض الأنف ٢ /٢٦٧ .

قال : فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنَيّ له فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى[1] نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رقَّ لهما ، ثم أذِن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشده أبو سفيان قولَه فى إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه :

لعَمْرُكَ إنى يومَ أَحْمِلُ رايةً ... لِتغلبَ خيلُ اللَّاتِ خيلَ محمدِ
لكا لمُدْلِجِ[2] الحيرانِ أظلَمَ ليلُه ... فهذا أوانى حين أُهْدَى وأهتدِى
هدانىَ هادٍ غيرُ نفسى ونالنى ... مع[3] الله من طرّدتُ كلَّ مُطَرّدِ
أصدُّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأُدْعَى وإن لم أَنْتَسب من محمدِ
همُ ماهمُ من لم يقُل بهواهم ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ
أريدُ لأُرضيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهْدَ فى كل مقعدِ
فقُلْ لثقيفٍ لا أريدُ قتالها ... وقل لثقيفٍ تلك : غَيرى أَوْعدِى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامراً ... ولا[4] كان عن جَرَّا لسانى ولا يدِى
قبائلُ جاءت من بلاد بعيدةٍ ... نَزائعَ جاءت من سَهام وسُرْدَدِ[5]

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونالنى مع الله من طَرَّدت كلَّ مُطَرّدِ » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فى صدره وقال : « أنت طَردتنى كلَّ مُطرد » .

---

(١) غير ا : ثم نموت .

(٢) ا : إن المدلج .

(٣) ا : من .

(٤) غير ا : وما كان .

(٥) سهام وسردد : موضعان من أرض عك .

فصــــل

ولـما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَرّ الظَّهران نزل فيه فأقام ، كما روى البخارى عن يحيى بن بُـكير ، عن الليث ومسلم ، عن أبى الطاهر ، عن ابن وهب ، كلاهما عن يونس ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظَّهران نجتنى الـكَبَاثَ ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليـكم بالأسود منه فإنه أطيب » قالوا : يا رسول الله أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبىٍّ إلا وقد رعاها » .

وقال البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن سِنَان بن إسماعيل ، عن أبى الوليد سعيد بن مينا ، قال : لمـا فرغ أهلُ مكة ورجعوا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى مكة ، فلما انتهى إلى مَرّ الظهران نزل بالعقبة فأرسل الُجناةَ يجتنون الـكَباثَ ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمرُ الأراك .

قال : فانطلق ابنُ مسعود فيمن يجتنى ، قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حبةً طيبة قذفها فى فيه ، وكانوا ينظرون إلى دِقة ساقَى ابن مسعود وهو يَرْقَى فى الشجرة فيضحكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعْجبون من دقة ساقيه ؟ فو الذى نفسى بيده لهما أثقلُ فى الميزان من أُحد ! » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شىء جاء به وخياره فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى ذلك :

هــذا جنَاىَ وخيارى فيه   إذ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيه

وفى الصحيحين عن أنس قال : أنفَجْنا[1] أرنباً ونحن بمرّ الظَّهران ، فسعى القومُ فلَغبوا وأدركتها فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها . وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوركها وفخذيها فقبله .

* * *

وقال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظهران وقد عُمِّيت الأخبار على[2] قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزام وبُدَيل بن وَرْقاء يتجسّسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به .

وذكر ابن لَهِيعة عن أبى الأسود عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه [عيونا][3] خيلاً يقتصُّون العيون ، وخزاعةُ لا تدَع أحداً يمضى وراءها فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيلُ المسلمين وقام إليه عمر يجأُ فى عُنقه ، حتى أجاره العباسُ بن عبد المطلب وكان صاحباً لأبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وقال العباس حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظهران قلت : واصباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهَلاكُ قريش إلى آخر الدهر .

قال : فجلستُ على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئتُ الأرَاك فقلت : لَعلِّى أجد بعضَ الحطَّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى

---

(١) أنفجنا : أثرنا .

(٢) غير ا : عن .

(٣) ليست فى ا .

مكةَ فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها[1] عليهم عَنْوَةً .

قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعتُ كلامَ أبى سفيان وبُدَيل بن وَرْقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيتُ كالليلة نيرانًا قَطّ ولا عسكراً . قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حَمَشَتْها الحربُ . قال : يقول أبو سفيان : خزاعةُ أذلُّ وأقل من أن تكون هذه نيرانُها وعَسْكرها.

قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتى . فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك فدًى لك أبى وأمى !

قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس . فقال : واصَباح قريش والله ! فما الحيلةُ فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عَجزُ هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنَه لك .

قال : فركب خلفى ورجع صاحباه . وقال عروة : بل ذهبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة .

وقال الزهرى وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

[قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟

(١) غير ا : يدخل .

وقام إلىّ . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكَن منك بغير عَقْد ولا عهد .

وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ فى رقبة أبى سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزهرى ، أن عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوهم بأزِمَّة جِمالهم فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقيهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثَهم عامةَ الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا ، وأن محمدا رسول الله . فشهد حَكيم وبُدَيل وقال أبو سفيان : ما أعلَمَ ذلك ثم أسلم بعدَ الصبح . ثم سألوه أن يُؤمِّن قريشا فقال : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن – وكانت بأعلى مكة – ومن دخل دار حكيم بن حِزام فهو آمن . وكانت بأسفل مكة – ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس :][1] ثم خرج عمر يشتد نحوَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تَسْبق الدابة البطيئة الرجلَ البطىء .

قال : فاقتحمتُ عن البغلة فدخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر، فقال : يارسول الله هذا أبو سفيان قد أمكنَ الله منه بغير عَقْد ولا عهد فدَعْنى فلأضربْ عنقه ؟ قال : قلت : يارسول إنى قد أجَرْته . ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا يناجيه الليلة دونى رجل .

فلما أكثرَ عمرُ فى شأنه قال قلت : مهلاً ياعمر ! فوالله أن لو كان من رجال[2] بنى عدى بن كعب ماقلتَ هذا ، ولكنك قد عرفتَ أنه من رجال بنى عبد مناف . فقال : مهلاً ياعباس ، فوالله لَإسلامك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم ! ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه

(١) من ا .   (٢) ا : لو كان معى رجل من بنى عدى .

وسلم من إسلام الخطاب . فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اذهب به ياعباس إلى رَحْلك فإذا أصبحتَ فأتنى به » .

* * *

قال : فذهبت به إلى رَحْلى فبات عندى ، فلما أصبح غَدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله قال : « ويحك ياأبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تَعْلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال : بأبى أنت وأمى ! ما أحْلمك وأكْرَمك وأوْصَلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعدُ !

قال : « ويحك ياأبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أنّى رسول الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أمّا هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا !

فقال له العباس : ويحك أَسْلِم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضرب عنقك ؟

قال : فشهد شهادة الحق فأسلَم .

قال العباس : فقلت يارسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفَخْر فاجعل له شيئا .

قال : « نعم ، من دخل دارَ أبى سفيان فهو آمِنٌ » زاد عروة : « ومن دخل دار حَكيم بن حِزام فهو آمِن » وهكذا قال موسى بن عُقبة عن الزهرى . « ومن أغلَق عليه بابه فهو آمِن ، ومن دخل المسجدَ فهو آمن » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعباس احبسه بمضِيق الوادى عند خَطم[1] الجبال حتى تمرَّ به جنودُ الله فيراها » :

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا سفيان وبُدَيلا وحكيم بن حزام

(١) خطم الجبل : أنفه

كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبى سفيان .

اليومُ يوم المَلْحمه : اليوم تُستحَلُّ الُحرمه

فشكا أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزله عن راية الأنصار وأعطاها الزبيرَ بن العوام فدخل بها من أعلى مكة وغرزَها بالَحجُون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقيه بنو بكر وهذيل ، فقَتل من بنى بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقُتلوا بالَحزْوَرة(١) حتى بلغ قتلهم باب المسجد .

قال العباس : فخرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضِيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليـه وسلم أن أحبسه .

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلةٌ قال : ياعباس من هؤلاء ؟ فأقول : سُليم . فيقول : مالى ولسليم . ثم تمر به القبيلة فيقول : ياعباس من هؤلاء ؟ فأقول : مُزَينة . فيقول : مالى ولمزينة . حتى نفدَت القبائلُ ماتمرُّ به قبيلة إلا سألنى عنها ، فإذا أخبرته قال : مالى ولبنى فلان . حتى مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يُرَى منهم إلا الحدَقُ من الحديد ، فقال : سبحان الله ياعباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : مالأحدٍ بهؤلاء من قِبَل ولا طاقةٍ ، والله ياأبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابن أخيك الغداةَ عظيما !

قال : قلت : ياأبا سفيان إنها النُّبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت النَّجاءَ إلى قومك .

* * *

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل

(١) الحزورة : كانت سوق مكة .

لكم به ، فمن دخل دارَ أبى سفيان فهو آمِن .

فقامت إليه هند بنت عتبة [فأخذت بشاربه[1]] فقالت : اقتلوا الحميتَ الدَّسِم الأحْمَس[2] قُبِّح من طَلِيعة قوم .

فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرّنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قِبَل لكم به ، من دخل دارَ أبى سفيان فهو آمِن .

قالوا : قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلَق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

فتفرّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد .

[وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بأبى سفيان قال له : إنى لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه علىّ ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومُك ، إنّ هؤلاء صدّقونى إذ كذّبتمونى ، ونَصرونى إذ أخرجتمونى » .

ثم شكا إليه قولَ سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : ياأبا سفيان :

اليوم يوم المَلْحمه　　اليوم تُستَحَلُّ الحُرْمه

فقال رسول الله : « كذَب سعد ، بل هذا يومٌ يعظِّم الله فيه الكعبة ويوم تُكْسَى فيه الكعبة » .

وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التى كان عند العباس ، ورأى الناس يَجْنحون للصلاة وينتشرون فى استعمال الطهارة خاف وقال للعباس : ما بالُهم ؟ قال : إنهم قد سمعوا النداءَ فهم ينتشرون للصلاة . فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون

---

(١) ليست فى ا .
(٢) الحميت : الزق . أو وعاء السمن . والدسم : السمين . والأحمس : الكثير اللحم .

ويسجدون بسجوده قال : ياعباس مايأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال : نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أنه لما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوا يتكففون ، فقال : ياعباس مارأيتُ كالليلة ولا مُلْك كسرى وقيصر !][1] .

* * *

وقد روى الحافظ البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس. فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زِياد البَكَّائى عن ابن إسحاق منقطعة . فالله أعلم .

على أنه قد روى البيهقى من طريق أبى بلال الأشعرى ، عن زياد البَكَّائى ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : جاء العباس بأبى سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكر القصة . إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان : وما تَسعُ دارى ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال : وما تَسعُ الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال : وما يسعَ المسجد ؟ فقال : « ومن أغلَق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان: هذه واسعة .

وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان ابن حرب وحَكيم بن حِزام وبُدَيل بن ورقاء يلتمسون الخبرَ عن رسول الله صلى الله

---

(١) من ا .

عليه وسلم ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مَرَّ الظَّهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ؟ فقال بُدَيل بن وَرْقاء : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوابهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان .

فلما سار قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسَه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمر كتيبةً كتيبة على أبى سفيان ، فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هـذه ؟ قال : هذه غِفَار . قال : مالى ولغفار . ثم مرَّت جُهَينة فقـال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هُذَيم فقـال مثل ذلك ، ومرت سُلَيم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معـه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليومَ يومُ الملْحَمة . اليوم تُستَحَلُّ الـكعبة .فقال أبو سفيان : يا عباس حبَّذا يوم الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهى أقل الـكتائب ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّرسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال: ما قال ؟ قال : كذا وكذا . فقال : « كذَب سعد ، ولـكن هذا يوم يعظِّم اللهفيه الـكعبة ، ويوم تكسى فيه الـكعبة » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُركَز رايته بالحَجُون .

قال عروة : وأخبرنى نافع بن جُبير بن مُطْعم قال : سمعت العبـاس يقول للزبير بن العوام : ها هنا أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن تُركز الراية ؟ قال : نعم .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَدَاء ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كُدًى ، فقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكُرْز بن جابر الفِهْرى . وقال أبو داود : حدثنا

عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبى سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فلو جعلتَ له شيئا ؟ قال : « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة

ثبت فى الصحيحين من حديث مالك [عن الزهرى[1]] عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المِغفَر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : إن ابن خَطل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » .

قال مالك : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم مُحْرِما .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء .

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

ورواه مسلم عن قتيبة ، ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمار الدُّهْنى ، عن أبى الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام .

وروى مسلم من حديث أبى أسامة ، عن مُسَاور الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، عن أبيه قال : كأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ فتح مكة وعليه عمامةٌ حَرقَانية[2] سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه .

---

(٢) سقطت من ا .

(١) الحرقانية : على لون ما أحرقته النار .

وروى مسلم فى صحيحه، والترمذى والنسائى من حديث عمّار الدُّهنى، عن أبى الزبير، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكةّ وعليه عمامة سوداء .

وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم، عن شريك القاضى، عن عمار الدهنى، عن أبى الزبير، عن جابر قال : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، عن عائشة : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أبيض، ورايته سوداء تسمَّى العُقَاب، وكانت قطعةً من مِرْط مُرجَّل[١] .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن عبد الله بن قرة، قال : سمعت عبد الله بن مغفَّل يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع . وقال : لولا أن يجتمع الناسُ حَوْلى لرجَّعت كما رجَّع .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوًى وقف على راحلته مُعْتَجرا بشقّة بُرْد حِبَرة حمراء[٢]، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيضع رأسَه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُثْنُونه[٣] ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحْل .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا دعْلج بن أحمد، حدثنا أحمد ابن على الأبَّار، حدثنا عبد الله بن أبى بكر المقدسى، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على رحله[٤] متخشعاً .

(١) المرط : كساء من صوف . والمرجل : الذى فيه صور الرجال . وتروى مرحل بالحاء أى فيه صور الرحال .

(٢) ا : بشقة برد حمراء .

(٣) العثنون : اللحية أو مافضل منها بعد العارضين.

(٤) غير ا : راحلته .

وقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن بالويه ، حدثنا أحمد بن صاعد ، حدثنا إسماعيل بن أبى الحارث ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس ، عن ابن مسعود ، أن رجلا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فأخذته الرعْدَة ، فقال : « هَوِّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القَدِيد » .

قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل ابن أبى الحارث موصولا .

ثم رواه عن أبى زكريا المزكِّى ، عن أبى عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل بن قيس مُرْسلا . وهو المحفوظ .

وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله صلى الله عليه وسلم مكة فى مثل هذا الجيش الكثيف العرَمْرَم ، بخلاف مااعتمدَه سفهاء بنى إسرائيل حين أُمروا أن يدخلوا بابَ بيت المقدس وهم سجود ـ أى رُكَّع ـ يقولون حِطَّة فدخلوا يزحفون على أستاهم وهم يقولون : حِنْطة فى شعرة !

وقال البخارى : حدثنا القاسم بن خارجة ، حدثنا حفص بن مَيْسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كَدَاء التى بأعلى مكة . تابعَه أبو أسامة ووهب فى كداء .

حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من أعلَى مكة من كداء .

وهو أصح إن أراد أن المرسَل أصحُّ من المسنَد المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمد هى المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلى مكة ، وكُدَى مقصور فى أسفل مكة . وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ، ودخل هو عليه

السلام من أسفلها من كُدَى وهو فى صحيح البخارى. والله أعلم.

وقد قال البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفار [حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا مَعْن ، حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص، عن نافع ،عن ابن عمر[1]] قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى[2] النساء يلطمن وجوه الخيل ، فتبسَّم إلى أبى بكر وقال : « ياأبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بُنَيَّتِى إن لم تروْها ... تثير النَّقْعَ من كَتِفَى كَدَاء

يُنازِعْن الأعِنَة[3] مُسْرجاتٍ ... يُلَطِّمهن بالخُمُر النساء

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها من حيثُ قال حَسَّان ! ».

* * *

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طوًى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أى بُنيـة اظْهَرى بى على أبى قُبَيس . قالت : وقد كُفَّ بصره . قالت : فأشرفتُ به عليـه فقال : أى بنية ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعا . قال : تلك الخيـل . قالت : وأرى رجـلا يسعَى بين يدى ذلك السواد مُقْبلا ومدبراً . قال : أى بنية ذلك الوازع ـ يعني الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها ـ ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذاً دَفعت الخيل فأسرعى بى إلى بيتى .

فانحطَّت به وتلقّاه الخيل قبل أن يصلَ إلى بيته . قالت : وفى عنق الجارية طَوق من وَرِق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها .

---

(١) سقطت من ا .

(٢) غير ا : وأتى النساء .

(٣) ا : الأسنة . ولعلها تحريف .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليـه وسلم مكةَ ودخل المسجدَ أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « هلاَّ تركتَ الشيخَ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟! » قال أبو بكر : يارسول الله هو أحقُّ أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه .

قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال : أَسْلِم . فأسلَمَ . قالت : ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثَّغَامة[1] بيَاضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيِّروا هذا من شعره » .

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أَنْشُدُ اللهَ والإسـلامَ طَوقَ أختى ؟ فلم يجبْه أحد قال : فقال : أى أُخَيّة احتسِبى طوقَك ، فوالله إنّ الأمانةَ فى الناس اليوم لَقليلٌ !

يعنى به الصِّـديق ذلك اليوم على التعيين[2] ، لأن الجيش فيــه كَثْرة ، ولا يكاد أحدٌ . يَلوى على أحد ، مع انتشار الناس ، ولعل الذى أخذه تأول أنه من حَرْبى والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصَمّ ، أنبأنا بحر بن نصر ، أنبأنا ابن وهب ، أخـبرنى ابن جُريج ، عن أبى الزبـير ، عن جابر ، أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قُحَافة فأتى به النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فلما وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غيِّروه ولاتُقْربوه سَواداً » .

قال ابن وهب : وأخبرنى عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هنأ أبا بكر بإسلام أبيه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كَداء، وكان الزبير على المجَنِّبة اليسرى ، وأمر سعدَ بن عبادة أن يَدْخل فى بعض الناس من كُدًى.

---

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو نبت أبيض .

(٢) ا : يعنى الصديق ذلك اليوم على العين.

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجَّه داخلا قال : اليومَ يوم الملحَمهْ . اليوم تُسْتحلُّ الحُرْمهْ .

فسمعها رجل . قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب . فقال : يا رسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نَأْمن أن يكون له فى قريش صَوْلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ : « أدرِكه فخذ الرايةَ منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكا إليه أبو سفيان قولَ سعد بن عبادة حين مر به ، وقال : يا أبا سفيان : اليوم يوم المَلْحمه اليوم تُستحل الحرمة – يعنى الكعبة – .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « بل هذا يومٌ تعظَّم فيه الكعبة » وأمر بالراية – راية الأنصار – أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهرى : دفَعها إلى الزبير بن العوام . فالله أعلم .

* * *

وذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، حدثنا عبد الله بن السرىّ الأنطاكى ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، وحدثنى موسى بن عقبة ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عُبادة فجعل يهزُّها ويقول : اليوم يوم المَلْحمهْ : يوم تُستحلُّ الحرمهْ .
قال : فشق ذلك على قريش وكَبُرَ فى نفوسهم ، قال : فعارضت امرأةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره وأنشأت تقول [(١)] :

يا نبيَّ الهُدَى إليك لَجَاحَىُّ قريشٍ ولات حينَ لَجَاءِ

(١) نسب السهيلى هذه الأبيات إلى ضرار بن الخطاب . الروض ٢ / ٢٧١ .

حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إلهُ السماء
[والتقت حلقتا البطان على القو م ونودوا بالصَّيلم الصّلعاء][1]
إن سعداً يريد قاصمة الظّهـ ر بأهل الحَجُون والبَطْحاء
خزرجىٌّ لو يستطيع من الغيـ ظ رمانا بالنَّسر والعوّاء[2]
فانهينه فإنه الأسد الأسْ ودُ والليث والغ فى الدماء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حُمـــاة اللواء أهلَ اللواء
لتكوننّ بالبِطاح قريشٌ بقعةَ القاعِ فى أكفّ الإماء[3]
إنه مِصْلتٌ يريد لهـــا الرأ ى صَمُوت كالحية الصّمّاء[4]

قال : فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخله رحمةٌ لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودُفعت إلى ابنه قيس بن سعد .

قال : فيروى أنه عليـه الصلاة والسلام أحبّ ألّا يخيّبها إذ رَغِبت إليه واستغاثت به ، وأحبّ ألّا يَغضب سعد ، فأخذ الرايةَ منه فدفعها إلى ابنه[5] .

* * *

قال ابن إسحاق : وذكر ابن أبى نجيح فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالدَ بن الوليد فدخل من اللّيط أسفل مكة فى بعض الناس ، وكان خالد على المجَنّبة اليمنى وفيها أسلم وسُلَيم وغِفَار ومُزَينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة ابن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لأهل مكة[6] بين يدى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليـه وسـلم من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له هنالك قبة .

---

(١) من الروض الأنف . والبطان : حزام القتب . والصيلم : الداهية . والصلعاء : المشهورة .
(٢) العواء : الكلب . (٣) القاع : الأرض السهلة المنبسطة . (٤) المصلت : الرجل الماضى
(٥) سقط من ا . (٦) غير ا : لمكة .

وروى البخارى من حديث الزهرى ، عن على بن الحسين، عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يارسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عَقيلٌ من رِبَاع (١) » ثم قال : « لا يَرِثُ الكافرُ المؤمنَ ولا المؤمن الكافر » .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزبير ، عن عبدالرحمن، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيْف ، حيث تقاسموا على الكفر » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ابراهيم – يعنى ابن سعد – عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْزلنا غداً إن شاء الله بخَيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » .

ورواه البخارى من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبدالله بن أبى بكر ، أن صفوان ابن أمية وعِكْرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخَنْدَمة ليقاتلوا، وكان حِمَاس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعدُّ سلاحاً قبلَ قُدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُصْلِح منه ، فقالت له امرأته: لماذا تعدُّ ما أرى؟ قال : لمحمد وأصحابه . فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شىء ! قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمك بعضهم . ثم قال :

إن يُقْبلوا اليومَ فما لى عِلَّه هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّه (٢)
وذو غِرَارَيْن سَريعُ السَّلَّة (٣)

قال : ثم شهد الخَنْدَمة مع صفوان وعِكْرمة وسُهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب

---

(١) الرباع : جمع ربع ، وهى الدار .
(٢) الألة : جميع أداة الحرب . (٣) الغرار : حد الرمح والسيف والسهم . يريد : سيفا .

خالد ناوَشُوهم شيئاً من قتال ، فقُتل كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وحُبيش[1] بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بنى منقذ ، وكانا فى جيش خالد ، فشذَّا عنه فسلكا غير طريقه فقُتلا جميعاً ، وكان قَتْل كرز قبل حبيش .

قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن المَيْلاء الجهنى ، وأصيب من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا فخرج حِماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شَهدتِ يومَ الخَنْدَمه إذ فَرَّ صفوانُ وفرّ عِكْرِمه

وأبو يزيد قائم كالمؤْتَمه واستقبلتْهم بالسيوفِ المسْلِمه[2]

يَقْطَعن كلّ ساعِدٍ وجُمْجمه ضَرباً فلا يُسْمَع إلا غَمْغَمَه

لهم نَهِيتٌ خَلْفَنا وهَمْهمه لم تَنْطقى فى اللَّوم أدْنَى كَلمه[3]

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات للرَّعاش الهُذَلى .

قال : وكان شعار المهاجرين يومَ الفتح وحنين والطائف : « يا بنى عبد الرحمن » وشعار الخزرج : « يا بنى عبدالله » وشعار الأَوس : « يا بنى عبيدالله » .

وقال الطبرانى : حدثنا على بن سعيد الرازى ، حدثنا أبو حسَّان الزيَادِى ، حدثنا شُعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حَرَّم هذا البلدَ يومَ خَلق السموات والأرض ، وصاغَه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حِيَاله من السماء حَرام ، وإنه لا يَحِلُّ لأحد قَبلى ، وإنما حَلَّ لى ساعةً من نهار ثم عاد كما كان » .

---

(١) الأصل : حنيش . وهو تحريف وما أثبته عن الروض الأنف .

(٢) أبو يزيد : يريد سهيل بن عمرو ، وكان خطيب قريش . والمؤتمه : الأسطوانة ، من قولهم وتم وأتم إذا ثبت . وتروى الموتمة . بالواو بدل الهمز ، ومعناها : الأيم التى مات عنها زوجها . الروض ٢/٢٧٢

(٣) النهيت : الزئير .

فقيل له : هذا خالد بن الوليد يَقْتل ؟ فقال : « قم يا فلان فَأت خالدَ بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » .

فأتاه الرجل فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اقتل من قدرتَ عليه ! فقتل سبعين إنسانا ، فأُتى النبى صلى الله عليه وسلم فذُكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أَنْهك عن القتل ؟ » فقال : جاءنى فلان فأمرنى أن أقتل من قدرتُ عليه .

فأرسل إليه : « ألم آمرك ؟ » قال : أردتَ أمراً وأراد الله أمراً فكان أمرُ الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذى كان . فسكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم فما رَدَّ عليه شيئاً .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَهِد إلى أمرائه ألّا يقاتلوا[1] إلا من قاتلهم ، غير أنه أَهْدَر دمَ نفر سَمّاهم وإن وجِدوا تحتَ أستار الكعبة وهم : عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، كان قد أسلم وكتب الوحىَ ثم ارتدّ ، فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد أهدَر دمه فرّ إلى عثمان وكان أخاه من الرّضاعة ، فلما جاء به ليَسْتأمن له صمَت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال : « نعم » .

فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله : « أما كان فيكم رجلٌ رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى قد صمتُّ فيقتله » فقالوا : يا رسول الله هلاَّ أومَأتَ إلينا ؟ فقال : « إن النبى لا يَقْتل بالإشارة » .

وفى رواية[2] : « إنه لا ينبغى لنبيٍ أن تكون له خائنة الأعْين » .

قال ابن هشام : وقد حَسُن إسلامه بعد ذلك وولاه عمرُ بعضَ أعماله ثم ولاه عثمان .

---

(١) ا : يقتلوا .

(٢) ا : وفى رواية لهذا .

قلت : ومات وهو ساجد فى صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها فى بيته .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خَطَل رجل من بنى تيم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمّى عبد الله .

ولمّا أسلم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً [1] وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبةً فقتله [2] ، ثم ارتدّ مشركا ، وكان له قينتان فَرْتَنى وصاحبتها، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فلهذا أهدَر دمَه ودمَ قينتيه ، فقُتل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، اشترك فى قتله أبو بَرْزة الأسْلَمى وسعيد بن حُرَيث المخزومى ، وقُتلت إحدى قَيْنتيه واستُؤْمِن للأخرى .

قال : والحويرث بن نُقَيذ بن وهب بن عبد قصىّ ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما تحمّل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يُلْحقهما برسول الله صلى الله عليه وسلم أولَ الهجرة نخس بهما الحويرثُ هذا الجمَلَ الذى هما عليه فسقَطتا إلى الأرض ، فلما أُهْدر دمُه قتله على بن أبى طالب .

قال : ومِقْيس بن صُبَابة [3] لأنه قَتل قاتلَ أخيه خطأً بعد ما أَخذ الدية ، ثم ارتدّ مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نُمَيلة بن عبدالله .

قال : وسارة مولاة لبنى عبد المطلب ولعكرمة بن أبى جهل ، لأنها كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى [4] بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التى تحمّلت الكتابَ مِن حاطب بن أبى بَلْتعة ، وكأنها عُفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها . والله أعلم .

فهربت حتى استُؤْمن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمّنها فعاشت إلى زمن

---

(١) مصدقا : جابيا للصدقات
(٢) ا : ثم قتله .
(٣) فى القاموس : ابن حبابة .
(٤) كذا ولعلها : وهو .

عمر ، فأوطأها رجلٌ [فرساً[١]] فماتت . وذكر السهيلى أن فَرْتَنى أسلمت أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأما عِكْرمة بن أبى جهـل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمُّ حَـكِيم بنت الحـارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمّنه ، فذهبت فى طلبه حتى أتت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

* * *

وقال البيهقى : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمـد بن محمّس الفقيه ، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسين القَطَّان ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمى ، حدثنا أحمد بن المفضل ، حدثنا أسباط بن نصر الهَمْدانى . قال : زعم السُّدى عن مُصْعَب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الـكعبة » وهم : عِكْرمة بن أبى جهل ، وعبد الله بن خَطَل ، ومِقْيس بن صُبَابة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح .

فأما عبـدالله بن خَطَل فأدرِك وهو متعلق بأستار الـكعبة فاستَبق إليـه سعيد بن حُرَيث وعمّار بن ياسر ، فسبَق سعيـدٌ عمّاراً وكان أشبَّ الرجلين فقتله . وأما مِقْيس فأدركه الناس فى السوق فقتلوه ، وأما عِكْرمة فركب البحر فأصابتهم قاصفٌ ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتـكم لا تغنى عنكم شيئاً هاهنا . فقـال عكرمة : والله لئن لم يُنْج فى البحر إلا الإخلاصُ فإنه لا ينجى فى البَرّ غيره ! اللهم إنّ لك علىّ عهداً إن أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتىَ محمـداً حتى أضعَ يدى فى يده فلأجدنه عَفُوّاً كريماً [فجاء[٢]] فأسلم .

وأما عبدالله بن سعد بن أبى سَرْح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبى صلى الله عليـه وسلم

(١) سقطت من ا .

(٢) سقطت من ا

فقال : يا رسول الله بايعْ عبدَ الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا ، كلُّ ذلك يَأبى ، فبايعه بعدَ ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أمَا كان فيكم رجلٌ رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كَفَفْت يدى عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : مايدرينا يارسول الله ما فى نفسك ، هلا أومأْتَ إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغى أن يكون لنبىّ خائنة أعين[1] » .

ورواه أبو داود والنسائى من حديث أحمد بن المفضل به نحوه .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبدالله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا أبو زُرْعة الدمشقى ، حدثنا الحسن بن بشر الكوفى ، حدثنا الحكم بن عبدالملك ، عن قتادة ، عن أَنس بن مالك قال : أمَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ يوم فتح مكة إلا أربعة : عبد العزى بن خَطل ، ومِقْيس بن صُبَابة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، وأم سارة .

فأما عبد العُزَّى بن خَطل فإنه قُتل وهو متعلق بأستار الكعبة . قال : ونذر رجل أن يقتل عبدَ الله بن سعد بن أبى سَرْح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له ، فلما أبصر به الأنصارى اشتملَ على السيف ، ثم أتاه فوجده فى حَلْقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتردَّد ويكره أن يُقْدم عليه ، فبسط النبىُّ صلى الله عليه وسلم فبايعه ، ثم قال للأنصارى : «قد انتظرتُك أن توفى بنذرك ؟ » قال : يا رسول الله هِبْتك ، أفلا أَوْمَضْت إلىّ ؟ قال : « إنه ليس للنبى أن يومض » .

وأما مِقْيس بن صُبَابَة ، فذكر قصته ، فى قَتْله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك .

قال : وأما أم سارة فكانت مَولاةً لقريش ، فأتت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فشكت

---

(١) غير ا : لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين .

إليه الحاجة فأعطاها شيئا ، ثم بعث معها رجلٌ بكتاب إلى أهل مكة . فذكر قصة حاطب ابن أبى بَلْتعة .

* * *

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن مِقْيس ابن صُبَابة قُتل أخوه هشام يومَ بنى المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركا ، فقدِم مِقْيس مُظْهراً للإسلام ليطلب ديةَ أخيه ، فلما أخذها عدَا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركا ، فلما أَهْدَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دمه قُتل وهو بين الصفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقى شعره حين قَتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفَى النفسَ مَن قد بات[1] بالقاع مُسْنَدًا ... يضرِّج ثوبيْه دماء الأخادعِ
وكانت هموم النفس من قبل قَتْله ... تُلمُّ وتُنْسينى وِطَاءَ المضَاجِعِ
قتلتُ به فِهْرًا[2] وغرَّمت عَقْلَه ... سَراةَ بنى النجار أربابَ فارعِ
حللَتُ به نَذْرى[3] وأدركت ثُؤْرتى ... وكنت إلى الأوثان أولَ راجعِ

قلت : وقيل : إن القَيْنتين اللتين أهدَر دمهما كانتا لمقيْس بن صُبابة هذا ، وأن ابنَ عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابنَ خَطل الزبيرُ بن العوام رضى الله عنه .

* * *

وقال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مرة مولى عقيل بن أبى طالب أن أم هانئ ابنة أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلىّ رجلان من أحْمَائى [من بنى مخزوم[4]] .

---

(١) سبقت الرواية ص٢٩٨ أن قد بات .
(٢) سبقت الرواية : ثأرت به .
(٣) سبقت الرواية : حللت به وترى .
(٤) سقطت من ا .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق : وكانت عند هُبَيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىّ أخى علىُّ بن أبى طالب فقال : والله لأقتلنهما . فأغلقتُ عليهما بابَ بيتى ، ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جَفْنة إنّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ فقال : « مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرتُه خبر الرجلين وخبر علىّ ، فقال : « قد أجَرْنا من أجَرْتِ وأمَّنّا من أمّنت فلا نقتلهما[1] » .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن ابن أبى ليلى ، قال : ما أخبرَنا أحدٌ أنه رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم يصلِّى الضحى غيرَ أم هانئ ، فإنها ذكرت أنه يومَ فتح مكة اغتسل فى بيتها ثم صلى ثمانى ركعات ، قالت : ولم أره صلى صلاةً أخفَّ منها غير أنه يتم الركوعَ والسجود .

وفى صحيح[2] مسلم من حديث الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سعد بن أبى هند ، أن أبا مُرّة مولى عَقِيل حدَّثه أن أم هانئ بنت أبى طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بنى مخزوم فأجارتْهما ، قالت : فدخل علىّ علىٌّ فقال : أقتلهما ، فلما سمعته أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فلما رآنى رحّب وقال : « ماجاء بك ؟ » قلت : يانبى الله كنت أمّنتُ رجلين من أحمائى فأراد علىٌّ قتلهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجَرْنا من أجرتِ ياأم هانئ » ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غسله فسترَت عليه فاطمةُ ، ثم أخذ ثوبا فالتحف به ، ثم صلى ثمانى ركعات سُبْحَة[3] الضحى .

(١) غير ا : يقتلهما .   (٢) ا : وفى حديث مسلم .   (٣) السبحة : النافلة .

وفى رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت : أم هانئ . قال : « مرحباً بأم هانئ » قالت : يارسول الله زعم ابنُ أُمِّى علىٌّ بن أبى طالب أنه قاتلٌ رجلين قد أجَرْتُهما ؟! فقال : « قد أجَرْنا من أجرتِ ياأم هانئ » قالت : ثم صلى ثمانى ركعات.

وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هـذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاةَ الفَتْح ، وجاء التصريحُ بأنه كان يسلِّم من كل ركعتين .

وهو يردُّ على السُّهيلى وغيره ممن يزعم أن صلاةَ الفتح تـكون ثمانيا بتسليمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبى وقاص يومَ فتح المدائن فى إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين . ولله الحمد .

* * *

قال ابن إسحاق : وحـدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور، عن صفية بنت شَيْبة ، أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيتَ فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركنَ بمِحْجن فى يده ، [فلما قضى طوافَه دعا عثمانَ بن طلحة فأخذ منه مفتاح الـكعبة ، ففُتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامةً من عيـدان فـكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الـكعبة وقد استـكفَّ[1] له الناسُ فى المسجد][2] .

وقال موسى بن عُقبة : ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلع فيها ، ودعا بماء فشرب منهـا وتوضأ ، والنـاسُ يبتـدرون وضوءه ، والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون : مارأينا مَلِـكا قط ولاسمعنا به ـ يعنى مثل هذا ـ وأخَّر المَقامَ إلى مكانه اليومَ وكان مُلصقاً بالبيت .

(١) استـكف : اجتمع . (٢) هذه الجملة مؤخرة فى : ا بعد قوله : وكان ملصقا بالبيت .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني بعض أهـل العلم أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قام على باب الـكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له صدَق وعدَه ونَصر عبده وهَزم الأحزابَ وحـــده ، ألا كلُّ مَأْثرةٍ أو دمٍ أومال يُدَّعَى فهو موضوع تحت قدميّ هاتين إلا سِدَانة البيت وسِقَاية الحاجّ ، ألا وقتيلُ الخطأ شبه العمد بالسّوط والعصا ففيه الدية مغلَّظة مائة من الإبل ، أربعون منها فى بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهبَ عنـكم نَخْوَة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء ، الناسُ[(١)] من آدم وآدمُ من تراب » ثم تلا هذه الآية : « ياأيها الناسُ إنا خَلقناكم من ذكرٍ وأنثى » الآيةَ كلها . ثم قال : «يامعشر قريش ، ماترون أنى فاعلٌ فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخٌ كريم وابن أخ كريم .قال : «اذهبوا فأنتم الطُّلقَاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقـام إليـه على بن أبى طالب ومفتاح الـكعبة فى يده فقال : يارسول الله اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السِّقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدُعى له فقال : « هاكَ مفتاحَك ياعثمان ، اليومُ يوم برّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن جُدْعان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم يومَ فتح مكة وهو على درَج الـكعبة : « الحمد لله الذى صدَق وعده ونصر عبده وهزم الأحزابَ وحده، ألا إنّ قتيلَ العمد الخطأ بالسّوط أو العصا فيه مائة من الإبل » .

وقال مرة [أخرى[(٢)]] : «مغلَّظة فيها أربعون خَلِفة فى بطونها أولادها ، ألا إن كلّ مأثرة كانت فى الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة : «ومال تحت قدميّ هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسِدَانة البيت فإنهما أمضَيْتهما لأهلهما على ما كانت » .

---

(١) ا : الناس ابن آدم .　(٢) ليست فى ا .

وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على بن [زيد بن[1]] جدعان عن القاسم بن ربيعةَ بن جوشن الغطفانى ، عن ابن عمر به .

* * *

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيتَ يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيمَ مصوَّرا فى يده الأَزْلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله جعلوا شيخَنا يستقسم بالأزلام [ماشأن إبراهيم والأزلام[1]] : « ما كان إبراهيمُ يهوديًّا ولا نَصْرانيًّا ولكن كان حنيفاً مُسْلماً وما كان من المشركين » ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمست .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، أنبأنا عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : كان فى الكعبة صُوَر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [عمر بن الخطاب[1]] أن يمحوها فبلَّ عمر ثوبا ومحاها به . فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافيها منها شىء .

وقال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عُيَينة ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن أبى مَعْمَر ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نُصُب ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ . جاء الحق وما يُبْدئُ الباطلُ ومايعيد » .

وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة .

وروى البيهقى ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن على بن عبد الله ابن عباس ، عن أبيه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعلى

---

(١) سقطت من المطبوعة .

الكعبة ثلثمائة صنم ، فأخذ قضيبه ، فجعل يهْوى به إلى الصنم وهو يهْوى حتى مرّ عليها كلها .

ثم روى من طريق سويد بن[سعيد]عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعصا وقال: « جاء الحقُّ وزَهق الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقا » فكان لايشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه .

ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق : أنبأنا أبو الربيع، عن يعقوب القمِّى ، حدثنا جعفر بن أبى المغيرة ، عن ابن أبْزَى قال : لما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءت عجُوزٌ شمطاء حبشية تخْمش وجهَها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك نائلة أَيِست أن تُعْبد ببلدكم هذا أبدا » .

وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس(٢)] أنه قال :دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّةَ يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنامٌ مَشْدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقا » فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى مابقى منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعى :

وفى الأصنامِ معتَبرٌ وعِلْم لمن يرجو الثوابَ أو العِقابَا

وفى صحيح مسلم عن شيبان بن فرُّوخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن

(١) من ابن هشام .

عبد الله بن رَبَاح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبلَ على الحِجْر فاستلمه وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قَوْس وهو آخذ بسِيَتِها(١) فلما أتى على الصنم فجعل يَطْعن في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ إن الباطلَ كان زَهُوقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاً عليه حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بماشاء أن يدعو .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدِم مكة أبى أن يدخل البيتَ وفيه الآلهة ، فأمر بها فأُخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزْلام(٢) ، فقال : « قاتلهم الله ! لقد علموا ما استَقْسما بها قط » .

ثم دخل البيتَ فكبَّر في نواحي البيت وخرج ولم يصلِّ .

تفرد به البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا همَّام ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبةَ وفيها ستُّ سَوارٍ ، فقام إلى كل سارية فدعا ولم يصلِّ فيه .

ورواه مسلم عن شَيْبان بن فَروخ ، عن همام بن يحيى العوذيّ ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن بُكَيراً حدَّثه عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمَّا

(١) السية : ما عطف من طرفي القوس . (٢) ا : من الأزلام .

م فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هـذا إبراهيم مصوَّراً ، فما باله يَسْتقسم ؟ ! » .

وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، أخبرنى عثمان الجزرجى ، أنه سمع مِقْسَما يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيتَ فدعا فى نواحيه ، ثم خرج فصلى ركعتين .

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمـد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى البيت ركعتين .

قال البخارى : وقال الليث ، حدثنا يونس ، أخبرنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مُرْدفاً أسامةَ ابن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحَجَبة ، حتى أناخ فى المسجد ، فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلا ، ثم خرج فاستبقَ الناسُ ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه . قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى مِن سجدةٍ .

ورواه الإمام أحمد عن هُشَيم ، حدثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان ابن طلحة وبلال فأمر بلالا فأجاف[1] عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج .

---

(١) أجاف : أغلق .

قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت : أين صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى فى الكعبة تِلْقاء وجهة بابها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع .

* * *

قال ابن هشام : وحدَّثنى بعضُ أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عامَ الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذِّن ، وأبو سفيان بن حرب وعَتَّاب بن أُسَيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عَتَّاب : لقد أكرم الله أُسيداً ألا يكون سَمِع هذا فسمع منه ما يَغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أمَا والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتَّبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمتُ لأخبرَتْ عنى هذه الحصا .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قد علمتُ الذى قلتم » ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعَتَّاب : نشهد أنك رسول الله ! ما اطَّلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثنى والدى ، حدثنى بعض آل جُبَير ابن مُطْعم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة أمر بلالا فعلاَ على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يَسمع هذا الأسودَ على ظهر الكعبة !

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن أيوب ، قال ابن أبى مُلَيكة : أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذَّن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث

ابن هشام: ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيّره .

وقال يونس بن بُكَير وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا عامَ الفتح فأذَّن على الكعبة ليغيظ به[1] المشركين .

* * *

وقال محمد بن سعد ، عن الواقدى ، عن محمد بن حرب ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى إسحاق ، أن أباسفيان بن حرب بعدفتح مكة كان جالساً فقال فى نفسه : لوجمعتُ لمحمد جمعاً ؟ فإنه لَيحدِّث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيه وقال : « إذاً يخزيك الله ! » قال : فرفع رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسه فقال : ما أيقنتُ أنك نبيٌّ حتى الساعة .

قال البيهقى : وقد أخبرنا أبو عبدالله الحافظ - إجازة - أنبأنا أبو حامد أحمد بن الحسن المقرى، أنبأنا أحمد بن يوسف السُّلمى ، حدثنا محمد بن يوسف الفِرْيَابى ، حدثنا يونس ابن أبى إسحاق عن أبى السَّفَر ، عن ابن عباس، قال : رأى أبو سفيان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يمشى والناس يطأون عَقِبيه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودْتُ هذا الرجلَ القتالَ ؟ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده فى صدره فقال : « إذاً يخزيك الله » .

فقال : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوَّهت به .

ثم روى البيهقى من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبى حامد بن الشَّرْقى ، عن أبى محمد ابن يحيى الذُّهلى ، حدثنا موسى بن أَعْيَن الجزرى ، حدثنا أبى ، عن إسحاق بن راشد ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لما كان ليلة دخل الناسُ مكةَ ليلة الفتح ، لم يزالوا فى تكبير وتهليل وطَواف بالبيت حتى أصبَحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترَىْ هذا من الله ؟

(١) ا : بهم .

قالت : نعم هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلتَ لهند : أتَرَىْ هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذى يُحْلَف به ما سَمع قولى هذا أحدٌ من الناس غير هند .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جُريج ، أخبرنى حسن ابن مسلم ، عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله حرَّم مكة يوم خلَق السموات والأرض فهى حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لاتحلُّ لأحد قَبْلى ولاتحل لأحد بعدى ، ولم تحلل لى إلا ساعةً من الدهر، لا يُنفَّر صيدها ولا يُعْضَد شوكُها ولا يُختلى خلاؤها ولاتَحَلُّ لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله، فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال : « إلا الإذخر فإنه حلال » .

وعن ابن جريج ، أخبرنى عبد الكريم — هو ابن مالك الجزَرى — عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا ورواه أبو هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

تفرد به البخارى من هذا الوجه الأول ، وهو مُرْسَل ، ومن هذا الوجه الثانى أيضاً .

* * *

وبهذا وأمثاله استدلَّ من ذهب إلى أن مكة فُتحت عَنْوة ، وللوقعة التى كانت فى الخَنْدَمة كما تقدم . وقد قُتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين ، وهى ظاهرة فى ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء .

والمشهور عن الشافعى أنها فُتحت صُلْحاً ؛ لأنها لم تُقْسم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم

ليلة الفتح : « من دخل دارَ أبي سفيـان فهو آمِنٌ ، ومن دخل الحرمَ فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وموضع تقرير هذه المسألة فى كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن شُرَحْبيل ، حدثنا الليث ، عن المقبُرى ، عن أبى شُرَيح الخزاعى ، أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لى أيها الأمير أحدِّثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدَ من يوم الفتح ، سمعته أذناى ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلَّم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرَّمها الله ولم يحرِّمها الناس ، لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفك بها دماً ولا يَعضد بها شجرا ، فإنْ أحدٌ ترخَّص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذِن لرسوله ولم يَأْذن لـكم ، وإنمـا أذِن لى فيها ساعةً من نهار ، وقد عادت حُرْمتها اليومَ كحُرْمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهدُ الغائب » .

فقيل لأبى شريح : ماذا قال لك عمرو؟ قال : قال : أنا أعلَم بذلك منك يا أبا شُرَيح ، إن الحرَم لا يُعيذُ عاصياً ولا فارًّا بدم ، ولا فارًّا بجزية .

وروى البخارى أيضاً ، ومسلم عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق أن رجلا يقال له ابن الأثوع قتل رجلا فى الجاهلية من خزاعـة يقال له احمر بَأساً(١) ، فلما كان يوم الفتح قَتلت خزاعةُ ابنَ الأَثْوع(١) وهو بمكة ، قتله خِرَاش بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلا لأدينَّه » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمـا بلغ رسول الله صلى الله عليـه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال : « إن خراشاً

(١) احمر بأساً : اسم مركب ، كتأبط شراً .

لقتال». وقال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ، عن أبى شريح الخزاعى[1] قال : لما قدم عمرو بن الزبير[2] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له : يا هذا إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدَتْ خزاعةُ على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال : « يأيها الناس إن الله قد حرَّم مكة يوم خَلق السموات والأرض ، فهى حَرام من حَرام الله إلى يوم القيامة ، فلا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفك فيها دماً ولا يَعْضد فيها شجراً ، لم تحلّ لأحد كان قبلى ولا تحلُّ لأحد يكون بعدى ، ولم تحل لى إلا هذه الساعةَ غضباً على أهلها ، ألا ثُم قد رجعتْ كحرُمتها بالأمسِ ، فليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ ، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا : إن الله قد أحلَّها لرسوله ولم يحلها لكم ، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدِيَنَّه ، فمن قُتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النَّظرين ، إن شاءوا فدمُ قاتله وإن شاءوا فعقْله . » ثم ودَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة .

فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دمٍ ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانع جِزْية .

فقال أبو شُرَيح : إنى كنت شاهداً وكنتَ غائبا ، وقد أمَرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبلِّغ شاهدُنا غائبنا وقد أبلغتُك فأنت وشأنك .

* * *

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل ودَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ

(١) ا : العدوى .

(٢) قال السهيلى : هذا وهم وصوابه عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق . الروض ٢ / ٢٧٧

الفتح جُنَيْدب بن الأَكْوَع ، قتلته بنو كعب فودَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمائة[1] ناقة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : لما فُتحت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُفُّوا السلاحَ إلا خزاعة من بنى بكر » فأذِن لهم حتى صلى العصر ثم قال : « كفوا السلاحَ » فلقى رجلٌ من خزاعة رجلا من بنى بكر من غدٍ بالمزدلفة فقتَله ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خطيباً . فقال ، فرأيته وهو مسندٌ ظهرَه إلى الكعبة قال : « إنَّ أعْدَى الناسِ على الله من قَتل فى الحرَم ، أو قَتل غيرَ قاتله أو قتل بذُحُول[2] الجاهلية »

وذكر تمام الحديث .

وهذا غريب جدا .

وقد روى أهلُ السنن بعضَ هذا الحديث .

فأما ما فيه من أنه رخَّص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بنى بكر إلى العصر من يوم الفتح فلم أره إلا فى هذا الحديث ، وكأنه ، إن صحَّ ، من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوَتِير . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عُيينة ويزيد بن عُبيد ، كلهم عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشَّعبى ، عن الحارث بن مالك بن البرْصاء الخزاعى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فَتْح مكة : « لا تُغْزَى هذه بعدَ اليوم إلى يوم القيامة » .

ورواه الترمذى عن بنْدَار ، عن يحيى بن سعيد القَطَّان به . وقال : حسن صحيح .

---

(١) ا : فوداه مائة ناقة .   (٢) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفياً فقال البيهقى : معناه على كُفْر أهلها .

وفى صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة ، عن عامر الشَّعبى ، عن عبد الله ابن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوى ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا يُقتل قرشيٌّ صَبْراً بعدَ اليوم إلى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء .

***

قال ابن هشام : وبلَغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصَّفا يدعو وقد أحْدَقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضَه وبلده يقيم بها ؟

فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شىء يارسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَعاذ الله ! المحْيا مَحْيا كم والمماتُ مماتكم » .

وهذا الذى علَّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده فقال : حدثنا بَهْز وهاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، وقال هاشم : حدثنى ثابت البُنَانى، حدثنا عبد الله بن رباح قال : وفدتْ وفودٌ إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك فى رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعامَ ، قال : وكان أبو هريرة يُكْثر مايدعونا ،قال هاشم : يكثرأن يدعونا إلى رَحْله . قال : فقلت : ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رَحْلى ؟ قال : فأمرتُ بطعام يُصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء قال : قلت : ياأبا هريرة الدَّعوة[2] عندى الليلة . قال : استبقتنى[1] ؟ قال هاشم : قلت : نعم فدعوتهم فهم عندى .

---

(١) الأصل : استبقى . (٢) الأصل : الدعوى .

فقال أبو هريرة: ألا أُعْلمكم بحديثٍ من حديثكم يامعشر الأنصار ؟ فذكَر فتحَ مكة، قال : أقبل رسولُ اللهصلى اللهعليه وسلمفدخل مكة ، قال : فبعث الزبيرَ على أحدالمجنِّبَتين وبعث خالدا على المُجنِّبَة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسْر ، وأخذوا بطنَ الوادى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته وقد وبشّتْ[1] قريش أوْباشَها ، قال : قالوا : نقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شىء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطيناه الذى سألنا .

قال أبو هريرة : فنظر فرآنى فقال : « ياأبا هريرة » فقلت : لبيك رسول الله ، فقال : « اهتف لى بالأنصار ولا يأتينى إلا أنصارى » فهتفتُ بهمفجاءوا فأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون إلى أوْباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : « احصُدوهم حَصْدا حتى تُوافونى بالصَّفا » .

قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا فما يشاءُ واحد منا أن يقتل منهم ماشاء ، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئا .

قال : فقال أبو سفيان : يارسول الله أُبيحت خَضراءُ قريش ، لا قريشَ بعد اليوم !

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أغلقَ بابه فهو آمِن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال : فغلَّق الناس أبوابهم .

قال : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجَر فاستلمه ، ثم طاف بالبيت قال : وفى يده قوس آخذ بسِيَة القوس ، قال : فأتى فى طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه . قال : فجعل يَطْعن بها فى عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزَهق الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقا » .

---

(١) وبشت : جمعت .

قال : ثم أتى الصَّفا فعلاَه حيث يَنظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه .

قال : والأنصار تحت . قال : يقول بعضهم لبعض : أمّا الرجل فأدركتْه رغبةٌ فى قريته ورأفةٌ بعشيرته .

قال أبو هريرة : وجاء الوحى ، وكان إذا جاء لم يَخْفَ علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى .

قال هاشم : فلما قضى الوحى رفع رأسه ، ثم قال : « يامعشر الأنصار ، أقلتم : أمّا الرجلُ فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يارسول الله . قال : « فما أسمَّى إذاً ؟! كلا إنى عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحْيَا مَحْيَاكم والمماتُ مماتكم » .

قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ماقلنا الذى قلنا إلا الضَّنَّ بالله ورسوله .
قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعْذرانكم »

وقد رواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة . زاد النسائى : وسلام ابن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصارى نزيل البصرة ، عن أبى هريرة به نحوه .

* * *

وقال ابن هشام : وحدثنى ـ يعنى بعض أهل العلم ـ أن فضَالة بن عُمَير بن الملوّح ـ يعنى الليثى ـ أراد قتلَ النبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟ » قال : نعم فضالة يارسول الله . قال : « ماذا كنت تحدِّث به نفسك ؟ قال : لا شىء ، كنتَ أذكر الله . قال : فضحك

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكَن قلبُه

فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامن خَلْق الله شىء أحبّ إلى منه .

قال فضالة : فرجعتُ إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت : هلمّ إلى الحديث ؟ فقال : لا وانبعث فضالة يقول :

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا يَأْبَى عليكِ الله والإسلامُ
لو مارأيتِ محمداً وقُبيلَه بالفتح يوم تُكسَّر الأصنامُ
لرأيت دِين الله أضْحَى بَيِّناً والشرك يَغْشَى وجهَه الإظلامُ

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة [عن عائشة[1]] قالت: خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يانبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأَمِّنْه يارسول الله صلى الله عليك . فقال : « هو آمن » .

فقال : يارسول الله فأعطنى آية يَعرف بها أمانَك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل فيها مكة .

فخرج بها عُمَير حتى أدركه وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : ياصفوان فداك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تُهلكها ، هذا أمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئتك به . قال : ويلك اعزُبْ عنى فلا تكلمنى . قال : أَىْ صفوان فداك أبى وأمى أفضلُ الناس وأبرّ الناس وأحْلَمَ الناس وخير الناس ، ابن عمك عزُّه عزك وشرَفه

---

(١) سقط من ا .

شرفك ومُلْكه مُلْكك . قال : إنى أخافه على نفسى . قال : هو أحْلَمَ من ذلك وأكْرَم .

فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنتنى ؟ قال : « صدَق » قال : فاجعلنى بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق عن الزهرى أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبى جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم ، فلما أسلما أقرَّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنجران ببيت واحد مازاد عليه :

لاتَعْدَمَنْ رجلًا أحلَّك بُغْضُه نجرانَ فى عيش أحذَّ لئيمِ(١)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال حين أسلم :

يارسول المليك إن لسانى راتقٌ مافتقتُ إذ أنا بُورُ
إذ أُبارِى الشيطانَ فى سَنَن الغَىِّ ومن مالَ مَيْلَه مغرورُ(٢)
آمنَ اللحمُ والعظامُ لربى ثم قلبى الشهيدُ أنت النذيرُ
إننى عنك زاجرٌ ثَمَّ حَيًّا من لُؤىٍّ وكلهم مغرورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبعرى أيضاً حين أسلم :

منَع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ والليلُ مُعْتلجُ الرِّواقِ بَهيمُ
ممـا أتانى أن أحمدَ لامَنى فيه فبتُّ كأننى محمومُ

(١) الأحذ : القليل المنقطع . (٢) غير ا : مثبور .

يا خير من حملت على أوصالها عَيْرانةٌ سُرح اليدين غَشومُ(١)
إنى لَمعتذرٌ إليك من الذى أسديتُ إذ أنا فى الضلال أَهيمُ
أيامَ تأمرنى بأَغْوَى خطةٍ سَهْمٌ وتأمرنى بها مَخزُومُ
وأمدُّ أسبابَ الردَى ويَقُودنى أمرُ الغُواة وأمرهم مشئوم
فاليوم آمنَ بالنبىّ محمدٍ قلبى ومُخْطئُ هــذه محرومُ
مضت العداوةُ وانقضَتْ أسبابُها ودعَتْ أواصرُ بَيْننا وحُلومُ
فاغفر فدًى لك والدىّ كلاهما زَللى فإنك راحمٌ مرحومُ
وعليك من عِلم المليك عَلامةٌ نورٌ أغرّ وخاتمٌ مختومٌ
أعطاك بعدَ محبةٍ برهانَه شرفًا وبرهانُ الإله عظيمُ
ولقد شهدتُ بأن دينَك صادق حقٌّ وأنك فى المعادِ جَسيمُ
والله يشهد أن أحمدَ مصطفًى مستقبل فى الصالحين كريمُ
قَرْمٌ عــلا بنيانَه من هاشم فرعٌ تمكن فى الذُّرَى وأُرومُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبعرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قُوَاهم فى هجاء المسلمين ، ثم منَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذَّب عنه .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من بنى سُلَيم سبعمائة . ويقول بعضهم: ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة]

(١) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط .

ومن مُزَينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

وقال عروة والزهرى وموسى بن عقبة: كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفاً. فالله أعلم.

***

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت:

عفَتْ ذاتُ الأصابع فالجِواء … إلى عَذْراء منزلها خَلاء(١)
ديارٌ من بنى الحَسْحَاس قَفْرٌ … تعفِّيها الرَّوامسُ والسماء(٢)
وكانت لا يزال بها أنيسٌ … خلالَ مُروجها نَعمٌ وشاء
فدَعْ هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ … يؤرِّقنى إذا ذهبَ العشاء
لشَعْثاء التى قد تيَّمتْه … فليس لقلبه منها شِفاء
كأن خبيئةً من بيت رأسٍ … يكون مِزاجها عسلٌ وماء(٣)
إذا ما الأَشْربات ذُكرنَ يوماً … فهن لطيِّب الراح الفِداء
نولِّيها الملامةَ إن ألمنا … إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاء(٤)
ونَشربها فتتركنا ملوكاً … وأسداً ما يُنهْنِهها اللقاء
عَدِمنا خيلَنا إن لم تروها … تُثير النقعَ مَوْعدها كَداء
ينازِعْن الأعِنَّةَ مُصْغيات … على أكتافها الأَسَلُ الظِّماء(٥)
تظلُّ جيادنا متمطِّراتٍ … يلطمهنّ بالخُمر النساء

(١) الجواء والعذراء: مواضع بالشام.
(٢) الروامس: الرياح. والسماء: المطر.
(٣) الخبيئة: الخمر المصونة. وبيت رأس: موضع بالأردن.
(٤) ألمنا: فعلنا ما نستحق عليه اللوم. والمغث: الضرب باليد. واللحاء: الملاحاة باللسان.
(٥) مصغيات: موائل منحرفات. والأسل: الرماح.

فإما تعْرضوا عنّا اعْتَمرنا وكانَ الفتحُ وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلادِ يومٍ يعزُّ الله فيــــه مَن يشاء
وجبريلٌ رسول الله فينــا وروحُ القُدْس ليس له كِفاء
وقال الله قد أرسلتُ عَبْدًا يقول الحقَّ إن نَفع البلاء
شهدت به فقوموا صدِّقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيَّرت جُنْداً هم الأنصارُ عُرْضتها اللقــاء
لنا فى كل يوم مِن مَعدٍّ سِبابٌ أو قتالٌ أو هجاء
فنُحْكم بالقوافى مَنْ هجَانا ونَضْرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغْ أبا سفيان عنّى مُغَلْغلةً فقد بَرِح الخفَاء
بأن سيوفنا تركَتْك عبـدًا وعُبـدُ الدارِ سادتها الإماء
هجوتَ محمـداً فأجبتُ عنـه وعند الله فى ذاك الجزاء
أتَهْجوه ولست له بكُفْء فشرُّكما لخيركما الفداء
هجوتَ مباركا برًّا حنيفاً أمينَ الله شيمته الوفاء
أمَن يهجو رسولَ الله منـكم ويَمْدحه وينصره سَواء
فإنّ أبِى ووالده وعِرضى لعرض محمـدٍ منـكم وقاء
لسانى صارمٌ لا عَيبَ فيــه وبَحْرى لا تـكدِّره الدِّلاء

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذى قاله متوجه لما فى أثناء هذه القصيدة ، مما يدل على ذلك ، وأبو سفيان المذكور فى البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يَلْطمن الخيل بالخُمُر تبسَّم إلى أبى بكر رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زنيم الدِّيلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى — يعنى لما جاء يستنصر عليهم — كما تقدم :

أأنت الذى تُهْدَى مَعَدٌّ بأمره ... بل الله يَهْدِيهم وقال لك اشهدِ
وما حملتْ من ناقة فوق رَحْلها ... أبرَّ وأوفى ذمةً من محمـــدِ
أحثَّ على خير وأسبغَ نائلا ... إذا راح كالسيف الصقيل المهنَّدِ
وأكسى لبُرْد الخال قبل ابتذاله ... وأعْطَى لرأس السابق المتجرِّدِ (١)
تعلَّم رسول الله أنك مُدْرِكى ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليدِ
تعلم رسولَ الله أنك قادرٌ ... على كل صِرْم مُتْهِمين ومُنْجِدِ (٢)
تعلم بأن الركبَ ركبُ عُوَيمرٍ ... همُ الكاذبون المخلفو كلَّ موعدِ
ونبَّوا رسولَ الله أنى هجَوته ... فلا حملتْ سَوْطى إلىّ إذن يدى
سوى أننى قد قلت ويل ام فتيةٍ ... أصيبوا بنحْسٍ لا بطَلق وأَسعُدِ (٣)
أصابهم من لم يكن لدمائهم ... كِفاءً فعزَّت عَبرْتى وتبلُّدِى
وإنك قد أُخبرت أنك ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مَهْوِدِ (٤)
ذؤيب وكلثوم وسَلْمى تتابعوا ... جميعاً فإن لا تَدْمع العين أكمدِ
وسَلْمى وسَلْمى ليس حَى كمثله ... وإخوته وهل ملوكٌ كأعْبُدِ
فإنىَ لا ذنبا (٥) فتقتُ ولا دماً ... هَرقتُ تبيَّنْ عالِمَ الحقِّ واقصدِ

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

نفى أهلَ الحبَلَّق (١) كلَّ فجٍّ ... مزينةُ غدوةً وبنو خُفافِ
ضربناهم بمكة يوم فتح النـــبى الخير بالبيض الخِفافِ
صبَحناهم بسبْع من سُلَيم ... وألف من بنى عثمان وافِ
نَطا أكتافَهم ضرباً وطعناً ... ورَشْقاً بالمريَّشة اللِّطافِ

(١) الخال : برد من برود اليمن ، وهو من رفيع الثياب . (٢) الصرم : الطائفة من البيوت .
(٣) الطلق : الأيام الطيبة . (٤) ابن هشام : فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا . (٥) ابن هشام : فإنى لا دينا .
(٦) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلق : الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم .

ترى بين الصفوف لها حَفيفاً كما انصاع الفُواق من الرصافِ
فرُحْنا والجيادُ تجول فيهم بأرماحٍ مقوَّمةِ الثقافِ
فأُبنا غانمين بما اشتهينا وآبُوا نادمين على الخلافِ
وأعطينا رسولَ الله منا مواثقَنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهمُّوا غداةَ الرَّوع منا بانصرافِ

وقال ابن هشام : وقال عباس بن مِرْداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يومَ فتح محمد ألف تسيل به البطاحُ مسوَّمُ
نصروا الرسولَ وشاهدوا آياته(١) وشعارهم يومَ اللقاء مقدَّمُ
فى منزل ثبتَتْ به أقدامُهم ضَنْك كأنَّ الهامَ فيه الحَنْتَمُ(٢)
جرَّت سنابكها بنجد قَبْلها حتى استقام لها الحجازُ الأدهمُ
الله مكَّنه له وأذلّه حكم السيوف لنا وَجدٌ مِزْحَمُ
عَود الرياسةِ شامخٌ عِرْنينه متطلعٌ ثُغَر المكارم خِضْرِمِ(٣)

وذكر ابن هشام فى سبب إسلام عباس بن مِرْداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له ضَمار ، فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قُلْ للقبائل من سُلَيم كلها أوْدَى ضَمار وعاش أهلُ المسجدِ
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدِى
أودى ضَمارِ وكان يُعْبَد مدةً قبل الكتاب إلى النبى محمدِ

قال : فحرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها فى باب هواتف الجان(٤) ، مع أمثالها وأشكالها ولله الحمد والمنة .

---

(١) ابن هشام : وشاهدوا أيامه . (٢) الحنتم : الحنظل .
(٣) العود : يريد الرجل المسن والعرنين : الأنف . والخضرم : الجواد المعطاء .
(٤) تقدم ذلك فى الجزء الأول ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد

بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلا . ومعه قبائل من العرب وسُلَيم بن منصور ومُدْلج ابن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يابنى جذيمة إنه خالد! والله ما بعدَ وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً .

قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : يا جَحْدَم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ ! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحربُ وآمن الناس .

فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكُتِّفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال . « اللهم إنى أَبْرأ إليك مما صَنع خالد بن الوليد » .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه انفلتَ رجل من القوم فأتى رسولَ الله

صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنكر عليه أحدٌ ؟ » فقال : نعم قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة فنَهَمه[١] خالدٌ فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مُضْطرِب فاشتدّت مراجعتهما . فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب فقال : « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ، واجعل أمرَ الجاهلية تحت قدميك » .

فخرج علىّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودَى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه لَيدِى مِيلَغة[٢] الكلب ! حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وَدَاه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علىّ حين فرغ منهم: هل بقى لكم دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أعطيكم هذه البقيةَ من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون .

ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : « أصبتَ وأحسنت » . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يَعْذر خالداً أنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدالله بن حُذافة السَّهمى وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدِينى : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صَبأْنا صَبأْنا .

---

(١) نهمه : زجره .
(٢) الميلغة : مايحفر من الخشب ليلغ فيه الكلب ، ويكون عند أصحاب الغنم .

وهذه مرسلات ومنقطعات .

* * *

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى بنى - أحسبه قال - جَذِيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحْسنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صَبأْنا صبأنا ، وخالد يأخذ بهم أَسْراً وقتلا .

قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يَقتل كلُّ رجلٍ منا أسيرَه . قال ابن عمر : فقلت : والله لاأقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابى أسيرَه .

قال : فقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا صنيع خالد فقال النبى صلى الله عليه وسلم ورفع يديه : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين .

ورواه البخارى والنسائى من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق: وقد قال لهم جَحْدَم لمّا رأى مايصنع خالد: يابنى جذيمة ضاع الضَّرب، قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق :وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغنى - كلام فى ذلك ، فقال له عبدالرحمن : عملتَ بأمر الجاهلية فى الإسلام؟ فقال : إنما ثأرتُ بأبيك. فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ لعمك الفاكه بن المغيرة. حتى كان بينهما شر .

فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلا ياخالد دع عنك أصحابى ، فوالله لوكان لك أحد ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ماأدركتَ غَدْوة رجل من أصحابى ولارَوْحته » .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد ابن الوليد ، فى خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان ، فى تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بنى جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بأرض بنى جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قُتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما .

وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفرَّ منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمَّت قريش بغزو بنى جذيمة ، فبعث بنو جذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم وودَوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم .

يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن : إنما ثأرتُ بأبيك ، يعنى حين قتلته بنو جذيمة . فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثأر بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله .

والمظنون بكلٍّ منهما أنه لم يَقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يقال هذا فى وقت المخاصمة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نصرةَ الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ فى أمر واعتقد أنهم يَنتقصون الإسلامَ بقولهم : صبأنا صبأنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسرَ بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم بل استمر به أميراً ، وإن كان قد تبرَّأ منه فى صنيعه ذلك ووَدَى ما كان جناه خطأ فى دم أو مال .

ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء فى أن خطأ الإمام يكون فى بيت المال لا فى ماله . والله أعلم .

ولهذا لم يعزله الصِّديق حين قَتل مالك بن نُوَيرة أيام الردة ، وتأوَّل عليه ماتأول

حين ضَرب عنقه واصطفى امرأته أمّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن فى سيفه رهقاً . فقال الصديق : لا أُغمد سيفا سَلّه الله على المشركين .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حَدْرَد الأسلمى قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بنى جَذيمة ،وهو فى سنّى وقد جُمعت يداه إلى عنقه برُمَّة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يافتى. قلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرُّمَّة فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أَقْضى إليهن حاجة ثم تردّنى بعدُ فتَصْنعوا مابدَا لكم .

قال : قلت: والله ليَسيرٌ ما طلبتَ . فأخذت برُمّته فقُدْته بها حتى وقَفْته عليهن فقال اسلمى حُبَيش على نَفْد[1] العيش :

أَرَيْتُكِ إذ طالبْتُكم فوجَدْتُكم ... بحِلْيَةَ أو أَلْفَيْتُكم بالخوانِقِ[2]

ألم يَكُ أهلاً أن ينَوّل عاشقٌ ... تَكلَّفَ إدلاجَ السُّرَى والودَائقِ[3]

فلا ذنبَ لى قدقلتُ إذ أهلُنا معاً ... أثيبى بودٍّ قبلَ إحدَى الصَّفائقِ[4]

أثيبى بودّ قبلَ أن تَشْحَط النَّوَى ... ويَنْأى الأميرُ بالحبيب المفارقِ[5]

فإنىَ لا ضيَّعتُ سِرّ أمانةٍ ... ولا راقَ عينى عنك بعدَكِ رائقُ[6]

سوى أنّ مانالَ العشيرةَ شاغلٌ ... عن الودِّ إلا أن يكون التّوامقُ[7]

قالت : وأنت فحُيِّيت عَشْراً وتسعاً وتراً وثمانية تَتْرَى .

قال : ثم انصرفت [8] به فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ،

---

(١) النفد : الانقضاء .
(٢) حلية والخوانق : موضعان بتهامة .
(٣) السرى : سير عامة الليل . والودائق : جمع وديقة وهى شدة الحر فى نصف النهار .
(٤) الصفائق : الدواهى .
(٥) تشحط : تبعد .
(٦) وتروى : فإنى لاسر لدى أضعته. ذم الهوى لابن الجوزى : ٤٩٦ .
(٧) التوامق : التحاب .
(٨) ت : ثم قالت: انصرف به . فضربت عنقه .

عمن كان حضرها منهم قالوا : فقامت إليه حين ضُربت عنقه فأكبّت عليه فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده !

وروى الحافظ البيهقى من طريق الحميْدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُسَاحق ، أنه سمع رجلا من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » .

قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَرية وأمرَنا بذلك ، فخرجنا قِبَل تهامة ، فأدركنا رجلا يسوق بظَعائن فقلنا له : أَسْلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا نقتلك . فقال : فهل أنتم مُنْظرىّ حتى أدرك الظعائنَ ؟ قال : قلنا نعم ونحن مُدْركوك .

قال : فأدركَ الظعائنَ فقال : اسلمى حُبَيش قبلَ نفَاد العيش . فقالت الأخرى : اسلَمْ عشراً وتسعاً وترا وثمانيا تَتْرى . ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله : ويَنأى الأميرُ بالحبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدَّمناه فضرَبنا عنقه . قال : فانحدرت الأخرى من هودجها فجَثَتْ عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقى من طريق أبى عبد الرحمن النسائى ، حدثنا محمد بن على بن حرب المرْوَزىّ ، حدثنا على بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إنى لست منهم ، إنى عشقتُ امرأةً فلحقتها فدَعُونى أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم . فإذا امرأة أدْماء طويلة فقال لها : اسلمى حُبَيش قبلَ نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها .

قال : فقالت : نعم فدَيْتك ! قال : فقدَّموه فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقةً أو شهقتين ثم ماتت .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال: «أمَا كان فيكم رجلٌ رحيم!».

بَعثُ خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

قال ابن جرير: وكان هَدْمها لخمسٍ بقين من رمضان عامئذ.

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى العُزَّى، وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومُضَر، وكان سَدَنتها وحُجَّابها من بنى شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم، فلما سمع حاجبها[1] السُّلَمى بمسير خالد بن الوليد إليها علَّق سيفه عليها ثم اشتدَّ[2] فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول:

أياعَزُّ شُدِّى شدةً لا شَوَى لها ... على خالد أَلقِى القِناعَ وشمِّرِى[3]

أيا عَزُّ إنْ لم تقتلى المرءَ خالداً ... فبُوئِى بإثم عاجلٍ أو تنصَّرِى

قال: فلما انتهى خالد إليها هدَمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الواقدى وغيره أنه لما قدِمها خالدٌ لخمسٍ بَقين من رمضان فهدَمها ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما رأيتَ؟» قال: لم أر شيئا. فأمره بالرجوع، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرةٌ شعرَها تُوَلْول فعلاَها بالسيف وجعل يقول:

ياعُزَّى كُفْرانكِ لا سبحانكِ ... إنى رأيتُ الله قد أهانكِ

ثم خرَّب ذلك البيتَ الذى كانت فيه، وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «تلك العُزَّى ولا تُعْبَدُ أبداً».

---

(١) ابن هشام: صاحبها. (٢) ابن هشام: أسند.

(٣) الشوى: أن يصيب غير المقاتل يريد أنها لا تبقى على شىء.

وقال البيهقى : أنبأنا محمد بن أبى بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبى جعفر ، أنبأنا أحمد ابن على ، حدثنا أبو كُرَيب ، عن ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبى الطُّفيل قال : لما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مكةَ بعث خالدَ بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العُزّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاث سَمُرات ، فقطع السمراتِ وهدَم البيت الذى كان عليها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئا » .

فرجع خالد فلما نظرت إليه السَّدَنة وهم حجابها أمعَنوا هربا فى الجبل وهم يقولون: ياعُزّى خَبِّليه ، ياعزى عَوِّريه ، وإلا فموتى برَغْم !

قال : فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ، ووجهها ، فعممها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: « تلك العُزّى » .

فصل فى مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يَقْصر الصلاة ويُفْطر .

وهذا دليلُ من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يُجْمع الإقامةَ فله أن يَقْصر ويُفْطر إلى ثمانى عشر يوما فى أحد القولين ، وفى القول الآخر كما هو مقرَّر فى موضعه .

قال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا سفيان ح. وحدثنا قَبيصة ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن أبى إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشْرا يَقْصر الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبى إسحاق الحضرمى البصرى، عن أنس به نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين .

ورواه البخارى أيضاً من وجه آخر ، زاد البخارى وأبو حصين كلاهما . وأبو داود والترمذى وابن ماجـه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

فى لفظ لأبى داود : سبعة عشر يوما .

وحدثنا أحمـد بن يونس ، حدثنا أحمـد بن شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنـا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى سفر تسعَ عشرةَ نَقْصر الصلاة .

قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين[1] تسع عشرة ، فإذا زدنا[2] أتممنا .

وقال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن علية ، أنبأنا على بن زيد ، عن أبى نَضْرة ، عن عمران بن حُصين ما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فأقام ثمـانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول : « يا أهل البلد صلُّوا أربعاً فإنا سَفْر » .

وهـكذا رواه الترمذى من حديث على بن زيد بن جدعان ، وقال : هـذا حديث حسن .

ثم روى أبوداود من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيدالله بن عبدالله ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح خمس عشرة ليـلة يَقْصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق لم يذكروا ابن عباس .

---

(١) غير ا : نقصر مابقينا بين تسع عشرة . (٢) ت : فإذا أردنا .

وقال ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، ومحمد بن على بن الحسين ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل ومما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام

قال البخارى : حدثنا عبدالله بن مَسْلمة[1] ، عن مالك، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الليث: حدثنى يونس، عن ابن شهاب ،أخبرنى عروة بن الزبير، أن عائشة قالت: كان عُتبة بن أبى وقاص عَهِد إلى أخيه سعد أن يَقبض ابنَ وليدةِ زَمْعة ، وقال عتبة : إنه ابنى : فلماقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى الفتح أخذ سعدُ بن أبى وقاص ابنَ وليدةِ زَمْعة فأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبى وقاص : هذا ابن أخى عهد إلىّ أنه ابنه. قال عبد بن زمعة : يارسول الله : هذا أخى ، هذا ابن زمعة ، ولد على فراشه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن وليدةِ زَمْعة فإذا هو أشبهُ الناس بعتبة بن أبى وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو لك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبى منه يا سَوْدة » لما رأى من شبه عتبة بن أبى وقاص .

قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجَر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرِّح[2] بذلك .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذى جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه . وانفرد البخارى بروايته له من حديث مالك عن الزهرى .

* * *

(١) الأصل : ابن مسلم . وما أثبته عن صحيح البخارى . (٢) البخارى : يصيح .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبدالله ، أنبأنا يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى عروة بن الزبير ، أن امرأةً سرقت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه .

قال عروة : فلما كلَّمه أسامة فيها تلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتكلمنى فى حدٍّ من حدود الله ؟ » فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشىّ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أمّا بعد فإنما هلك الناس قَبْلكم أنهم كانوا إذا سَرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سَرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ، والذى نفسُ محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سَرقت لقطعتُ يدها ! » .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقُطعت يدها ، فحَسُنت توبتُها بعد ذلك وتزوجت .

قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر ، ومسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفى صحيح مسلم من حديث سَبْرة بن مَعْبد الجهنى قال : أمَرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عامَ الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نَهى عنها .

وفى رواية فقال : « ألا إنها حَرامٌ حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفى رواية فى مسند أحمد والسنن ، أن ذلك كان فى حجة الوداع . فالله أعلم .

وفى صحيح مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد ابن زياد ، عن أبى العميس عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخَّص

لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ أوطاس فى متعة النساء ثلاثا ثم نهانا عنه .

قال البيهقى : وعام أوطاس هو عام الفتح . فهو وحديث سَبْرة سواء .

قلت : من أثبتَ النهىَ عنها فى غزوة خيبر قال : إنها أُبيحت مرتين ، وحرِّمت مرتين . وقد نص على ذلك الشافعى وغيره .

وقد قيل : إنها أبيحت وحرّمت أكثر من مرتين . فالله أعلم . وقيل : إنها إنما حرمت مرة واحدة ، وهى هذه المرة فى غزوة الفتح .

وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة ، فعلى هذا إذا وجدت ضرورةٌ أبيحت . وهذا رواية عن الإمام أحمد .

وقيل : بل لم تحرم مطلقا ، وهى على الإباحة. هذا هوالمشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة . وموضع تحرير ذلك فى الأحكام .

فصل

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جُرَيج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان ابن خُثَيم ، أن محمد بن الأسود بن خلَف أخبره أن أباه الأسود رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناسَ يوم الفتح ، قال : جلس عند قَرنٍ مستقبلَه ، فبايع الناسَ على الإسلام والشهادة . قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرنى محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

تفرد به أحمد .

وعند البيهقى : فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناسُ بمكة لبيْعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الإسلام ، فجلس لهم — فيما بلغنى — على الصَّفا وعمر بن الخطاب أسفلَ من مجلسه فأخذ على الناس السمعَ والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساءَ ، وفيهن هند بنت عتبة مُتنقِّبةً متنكرة بحديثها[1] لما كان من صنيعها بحمزة .

[فهى تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحَدَثها ذلك ، فلما دَنَين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعهن قال : « بايعْنَنِى على ألّا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال .

« ولا تسرقن » فقالت : والله إنى كنت أصبتُ من مال أبى سفيان الهَنَة بعدَ الهنة ، وما كنت أدرى أكان ذلك علينا حلالًا أم لا ؟ فقال أبو سفيان — وكان شاهدا لما تقول — : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه فى حِلٍّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنك لهندٌ بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعفُ عما سلَف ، عفا الله عنك .

ثم قال : « ولا يَزْنين » فقالت : يا رسول الله وهل تزنى الحرة !

ثم قال : « ولا تَقْتلن أولادكن » قالت : قد ربَّيناهم صغاراً أفنقتلهم كبارا ؟ فأنت وهم أعلَم ! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق .

ثم قال : « ولا يأتين ببهتان يَفْترينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ، ولَبعضُ التجاوز أمْثَل .

ثم قال : « ولا يعصيننى » فقالت : فى معروف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « بايعْهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » .

---

(١) ت : لحدثها .

فبايَعهن عمر وكان رسَول الله صلى الله عليه وسلم لايصافح النساء ولا يمسُّ إلا امرأةً أحلَّها الله له أو ذات محرم منه .

وثبت فى الصحيحين ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسَّت يدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَ امرأة قط . وفى رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول : « إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة » .

وفى الصحيحين عن عائشة ، أن هندا بنت عتبة امرأة أبى سفيان أتت رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقالت : يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بَنِىّ ، فهل علىّ من حَرج إذا أخذتُ من ماله بغير علمه ؟ قال : خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك][1] .

[وروى البيهقى من طريق يحيى بن بُكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة، عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أَخْباء أو خِباء ـ الشكُّ من أبى بكر ـ أحبّ إلىّ من أن يَذِلّوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأيضا والذى نفس محمد بيده » قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح ، فهل علىّ حرجٌ أن أُطْعِم من الذى له ؟ قال : « لا ، بالمعروف » .

ورواه البخارى ، عن يحيى بن بكير بنحوه . وتقدم ما يتعلق بإسلام أبى سفيان][2] .

***

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حـدثنا جرير ، عن منصور ، عن

---

(١) سقط من ا .　(٢) من ت .

مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة ولـكن جهادٌ ونية ، وإذا استُنْفِرتم فانفروا » .

ورواه البخارى ، عن عثمان بن أبى شيبة ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى عن جرير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهب ، حدثنا ابن طاووس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية ، أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنةَ إلا من هاجَر . فقلت له : لا أدخل منزلى حتى أسأل رسولَ الله ماسألَه . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولـكن جهادٌ ونية ، وإذا استُنْفِرتم فانفروا » .

تفرد به أحمد .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا الفضيل بن سليمان ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان النَّهدى ، عن مُجَاشع بن مسعود ، قال : انطلقتُ بأبى مَعْبد إلى النبى صلى الله عليه وسـلم ليبايعه على الهجرة فقال : « مضت الهجرةُ لأهلها ،أبايعه على الإسلام والجهاد » .

فلقيت أبا معبد فسألته فقال : صدَق مجاشع .

وقال خالد ، عن أبى عثمان ، عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مُجالِد .

وقال البخارى: حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان ، قال : حدَّثنى مُجَاشع قال : أتيت رسولَ الله بأخى بعدَ يوم الفتح فقلت : يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهلُ الهجرة بما فيها » فقلت : على أى شىء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » .

فلقيت أبا مَعْبَد بعدُ وكان أكبرَهما سناً فسألته فقال : صدَق مجاشع .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ،

عن مجاهد ، قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام ؟ فقال : لا هجرةَ ولـكن انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدتَ شيئا وإلا رجعتَ .

وقال أبو النضر : أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال : لا هجرة اليوم ـ أو بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مثله .

حدثنا إسحاق بن يزيد ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى أبو عمرو الأوزاعى ، عن عبدة بن أبى لُبَابة ، عن مجـاهد بن جبير ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن يزيد ، أنبأنا يحيى بن حمزة ، أنبأنا الأوزاعى ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : زرت عائشةَ مع عُبَيد بن عُمَير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافَةَ أن يُفْـتَن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ، ولـكن جهادٌ ونية .

* * *

وهذه الأحاديث والآثار دالةٌ على أن الهجرةَ ، إمّا الكاملة أو مطلقاً ، قد انقطعت بعدَ فتح مـكة ، لأن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وظهر الإسلامُ وثبتَت أركانه ودعائمه ، فلم تَبْق هجرةٌ .

اللهم إلا أن يَعْرِض حالٌ يقتضى الهجرةَ بسبب مجاورة أهلِ الحرب وعدم القدرةِ على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسـلام . وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء .

ولـكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاًّ من الجهاد والإنفاق فى

سبيل الله مشروع ومرغّب فيه إلى يوم القيامة ، وليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة .

قال الله تعالى : « لا يَستوى منكم من أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتل ، أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلاًّ وعد الله الحسنى[1] » الآية .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي البَخْتَرى الطائى ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصرُ الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خيرٌ وأنا وأصحابى خير » وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

فقال له مروان : كذبت . وعنده رافع بن خَديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدَّثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصَّدقة ! فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق .

تفرد به أحمد .

* * *

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يُدْخلنى مع أشياخ بدر ، فكأنَّ بعضهم وجدَ فى نفسه ، فقال : لم تُدْخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذاتَ يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه أدخلنى فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون فى قول الله عز وجل : « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ » ؟ فقال بعضهم : أُمرنا

---

(١) سورة الحديد .

أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا . وسكتَ بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لى : أ كذاك تقول يابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعْلمه له ، قال : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » فذلك علامةُ أجَلك « فسبِّح بحمْد ربِّك واستغفره إنه كان توابا » قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما يقول .

تفرد به البخارى .

وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس ، أنه فسَّر ذلك بنَعْى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد ، كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُعيت إلى نفسى » بأنه مقبوض فى تلك السنة .

تفرد به الإمام أحمد وفى إسناده عطاء بن أبى مسلم الخراسانى ، وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وفى لفظه نكارة شديدة وهو قوله : بأنه مقبوض فى تلك السنة . وهذا باطل ، فإن الفتح كان فى سنة ثمان فى رمضان منها كما تقدم بيانه ، وهذا مالا خلاف فيه .

وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله ، حدثنا إبراهيم ابن أحمد بن عمر الوَكِيعى ، حدثنا أبى ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبى العُميس ، عن

أبى بكر بن أبى الجهم ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخرُ سورة نزلت من القرآن جميعاً : « إذا جاء نصر الله والفتح » .

فيه نكارة أيضاً ، وفى إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم .

وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبى قِلَابة ، عن عمرو بن سلَمة ـ قال لى أبو قلابة : ألَا تَلْقاه فتسأله ؟ فلقيته فسألته ـ قال : كنا بماء مَمرّ الناس ، وكان يمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يُغرى[1] فى صدرى ، وكانت العرب تَلوّمُ[2] بإسلامهم الفتحَ فيقولون : اتركوه وقومَه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق .

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادَر كلُّ قوم بإِسلامهم ، وبدَر أبى قومى بإسلامهم فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبى حقا . قال : صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن أحدكم وليؤمُّكم أكثرُكم قرآنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منّى لما كنت أتلقَّى من الركبان .

فقدَّمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علىّ بردة إذا سجدتُ تقلَّصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تغطون عنا است قارئكم ؟ فاشتروا فقطعوا لى قميصاً ، فما فرحت بشى فرحى بذلك القميص .

تفرد به البخارى دون مسلم .

---

(١) يغرى : يلصق .

(٢) تلوم : تنتظر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة هَوَازن يومَ حُنَين

قال الله تعالى : « لقد نصرَكم الله فى مواطنَ كثيرة ، ويومَ حُنَين إذ أعجبتكم كَثْرتكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرضُ بما رَحُبت ثم وليتم مُدْبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جُنوداً لم تروها وعذَّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوبُ الله من بعدِ ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار فى كتابه : أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوازن بعد الفتح فى خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشرٍ بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة .

وهكذا روى عن ابن مسعود . وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير فى تاريخه .

وقال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لستٍّ خلَوْن من شوال ، فانتهى إلى حنين فى عاشره . وقال أبو بكر الصديق : لن نُغْلَب اليوم من قلة ! فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سُليم ، ثم أهلُ مكة ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هَوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمَعها ملكُها مالك بن عوف النصْرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجُشَم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم

يشهدها من قَيْس عَيْلان إلا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكِلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرِّباً ، وفي ثَقِيف سيِّدان لهم ؛ وفي الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود بن مُعتِّب ، وفي بني مالك ذو الخِمَار سُبَيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِمَاع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْري .

فلما أَجْمَع المسيرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضَر[1] مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيد بن الصِّمة في شِجَار[2] له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأيِّ واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعْمَ مَجالُ الخيل لاحَزْن ضِرْس ولا سَهل دَهْس[3] ، مالي أسمع رُغَاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعَار الشاء ؟ قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك . ودُعي له .

قال : يا مالك إنك قد أصبحتَ رئيس قومك وإنّ هذا يومٌ كائن له ما بعدَه من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعَار الشاء ؟ قال : سُقت مع الناس أبناءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل أهلَه وماله ليقاتل عنهم .

قال : فانقضَّ[4] به ، ثم قال : راعي ضأن والله ! هل يردُّ المنهزمَ شيء ؟ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك[5] إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك .

---

(١) ت : حط مع الناس . (٢) الشجار : مركب شبه الهودج .
(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض ، والضرس : الخشن . والدهس : اللين (٤) انقض به : زجره .
(٥) ت : لا ينفعك .

ثم قال : ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قال : لم يشهدها منهم أحد . قال : غاب الحدُّ والجدّ لو كان يومَ عَلاء ورفعة لم تَغبْ عنه كعبٌ وكلاب ، ولوددْت أنكم فعلتم مافعلتْ كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيْضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً .

ثم قال دُرَيد لمالك بن عوف : ارفعهم إلى مُتَمنَّع[١] بلادهم وعَلْياء قومهم ثم الْقَ الصُّبَّاء على متون الخيل ، فإن كانت لك لحقَ بك مَن وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزتَ أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كَبِرت وكَبِر عقلُك ! ثم قال مالك : والله لَتطيعُنَّني يا معشر هَوازن أو لَأتكئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لِدُرَيد فيها ذِكرٌ أو رأىٌ . فقالوا : أطعناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتْنى :

يا ليتنى فيها جَذَعْ أخبُّ فيها وأضَعْ[٢]
أقود وَطْفاء الزَمَعْ كأنها شاةٌ صدَعْ[٣]

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفونَ سيوفكم ثم شُدوا شَدةَ رجلٍ واحدٍ .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عثمان ، أنه حُدِّث أن مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : ويلكم ماشأنكم ؟ قالوا :

(١) ا : ممتنع . (٢) الجذع : الشاب . وأخب : أسرع .
(٣) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : جمع زمعة وهى هنة زائدة وراء الظلف . والشاة : حمار الوحش . والصدع : الفتى القوى .

رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْق ، فو الله ما تماسكْنا أن أصابنا ما ترى . فو الله ما ردَّه ذلك عن وَجْهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدَ الله ابن أبي حَدْرَد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يَعلم عِلمهم ثم يأتيه بخبرهم .

فانطلق ابنُ أبى حَدْرد فدخل فيهم حتى سمع وعَلم ماقد أجمعوا له من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالكٍ وأمر هَوازن ماهُم عليه ، ثم أقبلَ حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى هوازن ذُكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحا فأرسل إليه وهو يومئذ مُشْرك فقال : « يا أبا أمية أعِرْنا سلاحك هذا نَلْقى فيه عدوَّنا غدا » .

فقال صفوان : أغَصْباً يامحمد ؟ قال : « بل عاريةٌ مضمونة حتى نؤديها إليك » قال: ليس بهذا بأس .

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يَكْفيهم حَمْلَها ففعل .

هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد .

وقد روى يونس بن بُكير عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله[1] ابن أبى بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصةَ حنين فذكر نحو ماتقدم ، وقصة الأدراع كما تقدم ، وفيه أن ابن أبى حَدْرد لما رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ا : عن ابن أبى بكر .

خبرَ هوازن كذَّبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبى حدرد : لئن[1] كذَّبتنى ياعمر فربما كذَّبتَ بالحق. فقال عمر : ألا تسمع مايقول يارسول الله ؟ فقال : « قد كنت ضالاًّ فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من أمية يومَ حنين أدراعاً فقال : أغصباً يامحمد ؟ فقال : « بل عاريةٌ مضمونة » قال : فضاع بعضُها فعرَض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَضْمنها له فقال : أنا اليوم يارسول الله فى الإسلام أرْغَبُ .

ورواه أبو داود والنسائى من حديث يزيد بن هارون به .

وأخرجه النسائى من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن ابن أبى مُلَيكة عن عبدالرحمن بن صفوان بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان دروعاً . فذكره .

ورواه من حديث هُشَيم ، عن حجاج ، عن عطاء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . وساق الحديث .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ياصفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال : عارية أم غصباً ؟ قال : « بل عارية » فأعاره مابين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً فلما هُزم المشركون جُمعت دروع صفوان ففقَد منها أدراعاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ت : ولئن .

لصفوان : « قد فقدْنا من أدراعك أدراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يارسول الله إن في قلبي اليوم مالم يكن يومئذ .

وهذا مرسل أيضاً .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين(١) اللذين سار بهم إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قَدِم باثنى عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة فى خامس شوال . قال : واستخلف على أهل مكة عَتَّاب بن أُسَيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هَوَازن .

ثم ذكر قصيدة العباس بن مِرْدَاس السُّلمى [فى ذلك منها قوله : (٢)]

أبلغْ هَوازنَ أعلاها وأسفلَها ... منّى رسالةَ نُصْحٍ فيه تِبْيانُ
إنى أظن رسولَ الله صابحَكم ... جيشاً له فى فضاء الأرض أركانُ
فيهم سُلَيم أخوكم غير تارِكِكم ... والمسلمون عِبادُ الله غَسَّانُ
وفى عَضادته اليمنى بنو أسدٍ ... والأجربان بنو عبسٍ وذبْيانُ
تكاد تَرْجف منه الأرض رَهْبته ... وفى مقدِّمه أوسٌ وعثمانُ

(١) ت : الجيش الذى سار بهم . (٢) سقط من ا .

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قَبِيلا مُزَينة .

* * *

قال : وحدثنى الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدِّيلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية .

قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أَنْواط ، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويَعْكفون عليها يوماً .

قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرةً خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! قلتم والذى نفسى (١) بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إنها السُّنَن ! لَتركبن سنَنَ من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذى ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان ، والنسائى عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر كلاهما عن الزهرى ، كما رواه ابن إسحاق عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره ، من طريق كثيّر بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، مرفوعاً .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلاَّم ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أباسلام عن السَّلولىّ ، أنه حدثه سهل بن الحَنْظلِيّة ، أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فأَطْنَبوا السيرَ حتى كان العشيّة ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله

---

(١) ا : والذى نفس محمد .

صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فارس فقال : يارسول الله إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبلَ كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بَكْرة أبيهم بظُعُنهم وبنَعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين .

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « تلك غنيمةُ المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال : « من يَحْرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبى مَرْثد : أنا يارسول الله . قال : فاركب . فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقبل هذا الشِّعب حتى تكون فى أعلاه ولا نُغَرَّنّ مِن قِبَلك الليلة » .

فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاَّه فركع ركعتين ثم قال : « هل أحسَسْتم فارسَكم ؟ » قالوا : يارسول الله ما أحسسناه . فثوَّبَ [1] بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ويلتفت إلى الشِّعب حتى إذا قضَى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسُكم » فجعل ينظر إلى خلال الشجر فى الشعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى انطلقت حتى إذا كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحت طلعتُ الشِّعبيْن كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل نزلت الليلة ؟ » قال: لا ، إلا مصليًا أو قاضى حاجة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قد أَوجبْتَ ، فلا عليك ألا تعمل بعدها ! » .

وهكذا رواه النسائى ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن كثير الحرّانى ، عن أبى توبة الربيع بن نافع به .

---

(١) ثوب : دعا إلى الصلاة .

فصل فى كيفية الوقعة ، وما كان فى أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، فأعدُّوا وتهيَّئوا فى مَضايق الوادى وأَحْنائه .

وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحطَّ بهم الوادى فى عَمَاية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت فى وجوهم الخيل فشدَّت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يُقبل أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلموا إلىّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » .

قال : فلا شىء ، وركبت الإبلُ بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ الناس ومعه رهطٌ من أهل بيته : علىّ بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس . وقيل الفضل بن أبى سفيان ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، ومن الناس مَن يزيد فيهم قُثَم بن العباس ، ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر ، والعباس آخذٌ بحَكَمة[1] بغلته البيضاء وهو عليها قد شجَرها[2] ، قال : ورجل من هَوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه ، إذا أُدرك طعن[3] برمحه وإذا فاته الناسُ رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

---

(١) الحكمة : ما أحاط بحنكى الفرس .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيكفها حتى فتحت فاها .

(٣) ا : طفر برمحه .

قال : فبينما هو كذلك إذ هوَى له على بن أبى طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتى علىٌّ مِن خلفه فضرب عُرقوبىْ الجمل فوقع على عَجزه ، ووثب الأنصارىعلى الرجل فضربه ضربة أطنّ قدمَه بنصف ساقه فانجعفَ عن رحله .

قال : واجتلد الناس، فوالله مارجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الأمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

* * *

قال ابن إسحاق : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صبَر يومئذ وكان حسَنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفَر[1] بغلة[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هذا ؟ » قال ابنُ أمك يارسول الله .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناسُ تكلم رجالٌ من جُفاة الأعراب بما فى أنفسهم من الضِّغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب ـ يعنى وكان إسلامه بعدُ مدخولاً وكانت الأزلام بعدُ معه يومئذ ـ قال : لا تنتهى هزيمتُهم دونَ البحر ! وصرخ[3] كلدة جَبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية ـ يعنى لأمه ـ وهو مُشْرِك ، فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألَا بطلَ السحرُ اليومَ ؟ فقال له صفوان : اسكت فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يربّنى[4] رجلٌ من قريش أحب إلى من أن يربّنى رجل من هوازن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن

---

(١) الثفر : السير فى مؤخر السرج .

(٢) ا : بغلته فقال .

(٣) ت : وخرج جبلة بن الحنبل كما فى ابن هشام

(٤) يربنى : يملكنى .

عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، أن هوازن جاءت يومَ حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفاً ، يكثّرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما التقوا ولّى المسلمون مُدْبِرين ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعبادَ الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يامعشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » .

قال : فهزم الله المشركين ولم يُضرب بسيف ولم يُطعن برمح .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « من قتل كافراً فله سَلَبه » . قال : فَقَتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم .

وقال أبو قتادة : يارسول الله إنى ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فأُجهضت عنه فانظر من أخذها . قال : فقام رجل فقال : أنا أخذتها فأرضِه منها وأعطنيها ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُسْأَل شيئاً الا أعطاه أو سكت . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : والله لا يُفيئها الله على أسدٍ من أُسْدِ الله[1] ويعطيكها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدَق عمر » .

قال ولقى أبو طلحة أمَّ سُلَيم ومعها خنجر ، فقال أبو طلحة : ماهذا ؟ فقالت : إنْ دنا منى بعضُ المشركين أن أبْعج فى بطنه ، فقال أبو طلحة : أمَا تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله أقتل مَن بعدنا[2] من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفَى وأحسنَ ياأم سليم » .

وقد روى مسلم منه قصةَ خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله : « من قتل قتيلاً فله سَلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به .

وقول عمر فى هذا مستغرَب ، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا أبى حدثنا نافع

---

(١) ا : أسده . (٢) ت : من بعدها .

أبو غالب ، شهد أنسَ بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوى : يا أبا حمزة بسنٍّ أىّ الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمّت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنٍّ أىّ الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشبِّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه .

قال : ياأبا حمزة وهل غزوتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم غزوت معه يومَ حنين فخرج المشركون بكرةٍ فحملوا علينا ، حتى رأينا خيلَنا وراء ظهورنا وفى المشركين رجل يحمل علينا فيدقنّا ويَحْطمنا ، فلما رأى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى الفتحَ فجعل يُجاء بهم أسارى رجلا رجلا فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: إن علىَّ نذراً لئن جىء بالرجل الذى كان منذ اليوم يَحْطمنا لأضربنّ عنقه ، قال : فسكت نبى الله صلى الله عليه وسلم وجىء بالرجل ، فلما رأى نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم قال : يانبى الله تبتُ إلى الله . قال : وأمسكَ نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يبايعه ليوفى الآخرُ نذره ، قال : وجعل ينظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليأمره بقتله ويهابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى النبىُّ صلى الله عليه وسلم أنه لا يصنع شيئاً بايَعه ، فقال : يانبى الله نَذْرى ؟ قال : « لم أمسكْ عنه منذ اليوم إلا لِتوفى نذرَك » فقال : يارسول الله ألا أومأتَ إلىّ ؟ قال : « إنه ليس لنبىٍ أن يُومىء » .

تفرد به أحمد .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم يومَ حنين : اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد فى الأرض بعدَ اليوم » .

إسناده ثلاثى على شرط الشيخين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخارى: حدثنا محمد بن بشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق سمع البرَاء بن عازب ـ وسأله رجل من قيس : أفرَرْتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ ـ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ ، كانت هوازن رماةً وإنا لما حَملْنا عليهم انكشفَوا فأكبَبْنا على الغنائم فاستقبلتْنا بالسهام . ولقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذٌ بزمامها وهو يقول : أنا النبىُّ لا كذب .

ورواه البخارى عن أبى الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبىُّ لا كذبْ أنا ابنُ عبد المطلب

قال البخارى : وقال إسرائيل وزهير يعنى عن أبى إسحاق ، عن البَراء ، ثم نزل عن بغلتــه .

ورواه مسلم والنسائى عن بنْدَار . زاد مسلم : وأبى موسى . كلاهما عن غُنْدَر به.

وروى مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء قال : ثم نزل فاستنصَر وهو يقول :

أنا النبىُّ لا كَذبْ أنا ابنُ عبد المطلب

« اللهم نَزِّل نصرَكَ »

قال البَراء : ولقد كنا إذا حَمِى البأسُ نتّقى برسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وإنّ الشجاع الذى يُحاذِى به .

وروى البيهقى من طرق أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال يومئــذ : « أنا ابن العَوا تِك » .

[وقال الطبرانى : حدثنا عباس بن الفضل الأَسْفَاطِىّ، حدثنا عمرو بن عوف الواسطى، حدثنــا هُشَيم ، أنبأنا يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن شَبَّابة ، عن

ابن عاصم السلمى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : « أنا ابنُ العواتك »][1]

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير بن أفلح ، عن أبى محمد مولى أبى قَتادة ، عن أبى قتادة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جَولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربتُه من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدرعَ وأقبل علىّ فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلنى ، فلحقت عمر ، فقلت : ما بالُ الناس ؟ فقال : أمرُ الله .

ورجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَن قَتل قتيلا له عليه بيِّنة فله سَلَبه » فقمت فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت: من يشهد لى ؟ ثم جلست، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت: من يشهد لى ثم جلست : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقمت فقال : « مالك يأبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدَق ، سَلَبه عندى فأرضِه منىّ . فقال أبو بكر : لاها الله إذاً تَعْمد إلى أسد من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟ ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « صدَق فأعطه » . فأعطانيه فابتعتُ به مِخْرَفاً[2] فى بنى سلمة فإنه لَأولُ مال تأثَّلْته فى الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلا النسائى ، من حديث يحيى بن سعيد به .

قال البخارى : وقال الليث بن سعد : حدثنى يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير ابن أفلح ، عن أبى محمد مولى أبى قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرتُ

---

(١) من ت .

(٢) المخرف : السكة بين صفين من النخل .

إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخرُ من المشركين يَخْتِله من ورائه ليقتله ، فأسرعتُ إلى الذى يختله فرفع يده ليضربنى فأضربُ يده فقطعتها ، ثم أخذنى فضمَّنى ضمًّا شديدا حتى تخوفتُ ، ثم نزل(١) فتحلَّل فدفعتُه ، ثم قتلته ، وانهزم المسلمون فانهزمتُ معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب فى النـاس فقلت له : ما شأنُ النـاس ؟ قال : أمرُ الله !

ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله : «من أقام بينةً على قتيل فله سَلَبه» فقمت لألتمس بينةً على قتيلى فلم أر أحدا يشهد لى فجلست ، ثم بدا لى فذكرتُ أمرَه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسائه : سلاحُ هذا القتيل الذى يذكر عندى فأرضِه منى . فقال أبو بكر : كلاّ لا يعطه أُضَيْبِع(٢) من قريش ويدَع أسداً من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال : فقام رسول الله فأداه إلىَّ فاشتريت به مِخْرفا ، فكان أولَ مالٍ تأثَّلتُه .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم ، كلاهما عن قتيبة ، عن الليث ابن سعد به .

وقد تقدم من رواية نافع أبى غالب ، عن أنس ، أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعةً لأبى بكر الصديق ومساعدةً وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوى . والله أعلم .

***

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ حنين حين رأى

(١) ت : ترك . (٢) الأضيبع : تصغير أضبع ، وهو القصير الضبع ، ويكنى به عن الضعيف . وتروى : أصيبغ . وهو نوع من الطيور . القسطلانى ٦/٧-٤ .

من الناس مارأى : « ياعباس نادِ : يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه : لبّيك لبيك . فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيرَه فلا يقدر على ذلك فيقذف درعَه عن عنقه ويأخذ سيفه وترْسه ثم يَؤمُّ الصوتَ ، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة ، فاستعرضِ الناسُ فاقتتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جُعلت آخراً للخزرج ، وكانو صُبراً عند الحرب ، وأشرفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم فقال : « الآن حمِيَ الوطِيسُ » .

قال : فوالله ما راجعه النـاسُ إلا والأسارى عند رسول الله صلى الله عليـه وسلم مكتّفون ، فقَتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله صـلى الله عليه وسلم أموالَهم وأبناءهم .

***

وقال ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة . وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لـمـا فتح الله عليه مكة وأقرّ بها عينَه ، خرج إلى هَوازن وخرج معـه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاة ، حتى خرج النساء يمشين على غير دِين نُظَّاراً ينظرون ويرْجون الغنائم ، ولا يكرهون مع ذلك أن تـكون الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قالوا : وكان [1] معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمةً وهو مشرك لم يفرّق بينهما .

قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النَّصرى ومعه دُرَيد بن الصِّمة يُرْعش من الـكِبَر ، ومعه النساء والذرارى والنعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبى حَدْرد عيناً ، فبـات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحـابه : إذا

(١) ت : وقالوا : كان .

أصبحتم فاحملو عليهم حملةَ رجل واحد ، واكسروا أغمادَ سيوفكم ، واجعلوا مواشيكم صفًّا ونساءكم صفًّا .

فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصُفَّ الناس بعضُهم لبعض ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة له شهباء ، فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضَّهم على القتال وبشَّرهم بالفتح - إن صبروا - .

فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملةَ رجل واحد ، فجال المسلمون جولةً ثم ولَّوا مُدْبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرتُ من بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدبر الناسُ فقلت : مائة رجل .

قالوا : ومرَّ رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجْتبرونها أبدا . فقال له صفوان : تبشِّرنى بظهور الأعراب ؟ فوالله لَربٌّ من قريش أحب إلىّ من ربٍّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك .

قال عروة : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشِّعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بنى عبد الرحمن يا بنى عبدالله ، يابنى عبيدالله . فقال : ظهر محمد . وكان ذلك شعارَهم فى الحرب .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا غشيه القتالُ قام فى الرِّكابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعوه ويقول : « اللهم إنى أَنْشدك ماوعدتَنى ، اللهم لاينبغى لهم أن يَظهروا علينا » ونادى أصحابَه وزمَرهم[1] : « يا أصحابَ البيعة يوم الحديبية الله الله الكَرَّة على نبيكم » ويقال حرَّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بنى الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر مِن أصحابه من ينادِى بذلك .

---

(١) زمرهم : أغراهم بأعدائهم .

وقالوا : وقبض قبضةً من الحصباء فحصَب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : « شاهَت الوجوه » .

وأقبل أصحابُه إليه سراعاً يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الآن حَمِى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصَبهم منها ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنَّمهم الله نساءهم وذراريهم ، وفرَّ مالك بن عوف حتى دخل حصنَ الطائف هو وأناس من أشراف قومه .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسولَه صلى الله عليه وسلم وإعزازَه دينَه .

رواه البيهقى .

وقال ابن وهب : أخبرنى يونس ، عن الزهرى ، أخبرنى كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال العباس : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين فلزمتُه أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فَرْوة بن نُفَاثة الجذامى، فلما التقى الناس ولَّى المسلمون مُدْبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرْكض بغلته قِبَل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذٌ بلجامها أكفُّها إرادةَ ألا تسرع ، وأبو سفيان آخذٌ برِكَاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أىْ عباس ، نادِ أصحابَ السَّمُرة » قال : فوالله لكأنما عطفَتُهم حين سمعوا صوتى عَطفةَ البقر على أولادها ! فقالوا : يا لَبَّيكاه يا لَبيكاه ! .

قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار . ثم قُصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حَمِيَ الوطيسُ » ثم أخذ حَصيات فرمى بهن فى وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا وربِّ محمد » قال : فذهبتُ أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ما هو إلى أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً ، وأمرَهم مُدْبراً .

ورواه مسلم عن أبى الطاهر ، عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضا عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى نحوه .

وروى مسلم من حديث عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُنيناً ، فلما واجهْنا العدوَّ تقدمتُ فأعلو ثنيةً فاستقبلنى رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتوارَى عنى فما دريت ماصَنع ، ثم نظرتُ إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثَنِيَّة أخرى ، فالتقوا هم وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولَّى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرجع منهزماً وعلىّ بردتان مُتَّزِرٌ بإحداهما مُرْتدٍ بالأخرى ، قال : فاستطْلَق إزارى فجمعتهما جميعا ، ومررت على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال : « لقد رأى ابنُ الأكوع فزعاً » .

فلما غشَوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضةً من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال : « شاهت الوجوه » فماخلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة ، فولَّوا مُدْبرين ، فهزمهم الله وقَسَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين .

وقال أبو داود الطَّيالسى فى مسنده : حدثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن عبد الله بن يسَار ، عن أبى عبد الرحمن الفِهْرى قال : كنا مع رسول صلى الله عليه وسلم فى

حنين فسرنا فى يوم قائِظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال السَّمُر ، فلما زالت الشمس لبست لَأْمتى وركبت فرسى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فُسْطاطه فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرَّواح يارسول الله ؟ قال : « أجل » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابلال » فثارَ مِن تحت سَمُرة كأن ظلَّه ظل طائر ، فقال : لبيّك وسعديك وأنا فداؤك ! فقال : « أسرجْ لى فرسى » فأتاه بدفّتين من ليف ليس فيهما أشَر ولا بطَر .

قال : فركب فرسه فسِرْنا يومنا فلقينا العدو وتسامَتَ الخيلان فقاتلناهم فولّى المسلمون مُدْبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ياعباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، وحدثنى من كان أقربَ إليه منى أنه أخذ حفنةً من التراب فحثا بها وجوهَ العدو وقال : « شاهت الوجوه » .

قال يعلى بن عطاء : فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : مابقى أحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء كمرِّ الحديد على الطَّست الحديد ، فهزمهم الله عز وجل .

ورواه أبو داود السجستانى فى سننه عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن حصين ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال عبدالله ابن مسعود : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولّى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولِّهم الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته يمضى قُدما ، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولنى

كفاً من تراب » فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا. قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » فهتفت بهم فجاءوا سيوفهم بأيمانهم كأنها الشُّهب ، وولَّى المشركون أدبارهم .

تفرد به أحمد .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القَنْطرى ، حدثنا أبو قلاَبة ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، أخبرنى عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصارى ، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى هوازنَ فى اثنى عشر ألفاً ، فقُتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر ، قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من حصيّ فرمى بها فى وجوهنا فانهزمنا .

ورواه البخارى فى تاريخه ولم ينسب عياضاً .

وقال مُسدَّد : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم بُرْثن، عن من شهد حنينا كافرا قال : لما التقينا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حَلبَ شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسانُ الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا . فهزِمنا من ذلك الكلام .

رواه البيهقى .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سفيان ، حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى محمد بن عبد الله الشَّعبى ، عن الحارث بن بدل النَّصرى ، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفى قالا : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباسٌ وأبو سفيان بن الحارث .

قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من الحصباء فرمى بها فى وجوههم . قال: فانهزمنا فما خُيِّل إلينا إلا أن كلَّ حجرٍ أو شجر فارسٌ يطلبنا ، قال الثقفى : فأعجرتُ[1] على فرسى حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بكير فى مغازيه ، عن يوسف بن صهيب بن عبد الله ، أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد .

وروى البيهقى من طريق الكُدَيمى ، حدثنا موسى بن مسعود ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفى ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السُّوائى أنه قال عند انكشافةٍ انكشفها المسلمون يوم حنين : فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذًى فى عينيه .

ثم روى من طريقين آخرين عن أبى حذيفة ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفى ، حدثنى أبى السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر السُّوائى ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ـ قال : فنحن نسأله عن الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين يوم حنين : كيف كان ؟ قال : فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمى بها فى الطست فيطنُّ ، قال : كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا .

***

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمى ، حدثنا أبو أيوب ابن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع

---

(١) أعجرت : أسرعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجنى إسلامٌ ولا معرفة به ، ولـكن أبيتُ أن تظهر هَوازنُ على قريش ! فقلت وأنا واقف معه : يارسول الله إنى أرى خيلا بُلْقًا ، فقال : « ياشيبة إنه لا يراها إلا كافر » فضرب يده فى صدرى ثم قال : « اللهم اهد شيبةَ » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . قال : فوالله مارفع يده عن صدرى فى الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلىّ منه .

ثم ذكر الحديث فى التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبدالله ابن المبارك ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عَرِى ، ذكرت أبى وعمى وقَتْل على وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدركُ ثأرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العَجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أُساوره سَورةً بالسيف إذ رُفع شُواظ من نار بينى وبينه كأنه برق ، فخفت أن يَمْحَشنى (١) ، فوضعت يدى على بصرى ومشيت القهقرى ، فالتفتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ياشيب ادنُ منى ، اللهم أذهب عنه

---

(١) يمحشنى : يحرقنى .

الشيطان » قال : فرفعت إليه بصرى ولَهو أحب إلىّ من سمعى وبصرى . فقال : « ياشَيب قاتِل الكفار » .

وقال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة أخو بنى عبد الدار قلت : اليوم أدرك ثأرى ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحد ـ اليوم أقتل محمد . قال : فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله فأقبل شىء حتى تغشَّى فؤادى فلم أطقْ ذاك وعلمتُ أنه ممنوع منى .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثنى والدى إسحاق بن يَسار ، عمن حدثه ، عن جبير ابن مطعم قال : إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناسُ يقتتلون إذ نظرتُ إلى مثل البِجاد[1] الأسود يَهْوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نملٌ منثور قد ملأ الوادى ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشكُّ أنها الملائكة .

ورواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق به .

وزاد فقال : خديج بن العرجاء[2] النصرى ـ يعنى فى ذلك ـ :

ولما دَنونا من حنينٍ ومائه ... رأينا سَواداً منكرَ اللون أخْصفا[3]

بَملْمومةٍ شَهباء لو قذَفوا بها ... شماريخَ من عروى إذاً عادَ صَفْصفا[4]

ولو أن قومى طاوعتْنى سَراتهم ... إذاً مالقينا العارضَ المتكشِّفا

إذاً مالقينا جندَ آلِ محمد ... ثمانين ألفاً واستمدُّوا بخِندفا

---

(١) البجاد : كساء من صوف . (٢) ت : العوجاء .

(٣) الأخصف : الذى فيه بياض (٤) الململمة : الكتيبة . والبيضاء : الكثيرة السلاح . والشماريخ : الأعالى . وفى ابن هشام : شماريخ من عزوى .

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغا يرتجز ويقول :

أقدم محاجُ إنه يومٌ نُكُرْ ... مثلى على مثلك يَحمى ويَكرّ
إذا أُضيع الصَّفُّ يوماً والدُّبُر ... ثم احزألَّت زُمر بعد زمر(١)
كتائبٌ يكلُّ فيهنّ البصرْ ... قد أَطْعن الطعنةَ تَقْذِى بالسُّبُر(٢)
حين يُذم المستكنُّ المنجحرْ ... وأطعنُ النَّجْلاءَ تَعْوِى وتَهِرّ(٣)
لها من الجوف رَشاش مُنْهمر ... تَفْهق تاراتٍ وحيناً تَنفجرْ
وثعلبُ العاملِ فيها منكسر ... يازَيدُ يابن هَمْهَمٍ أين تفرّ(٤)
قد نفد الضِّرْسُ وقد طال العُمر ... قد علِم البيضُ الطويلات الخُمُرْ
أنىَ فى أمثـــالها غيرُ غُمرْ ... إذ تُخرج الحاصِنُ من تحت السُّتر

وذكر البيهقى من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولَّى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هى لغيره :

اذكر مسيرَهم والناس كلهم ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَختفقُ
ومالك مالك مافوقه أحـــدٌ ... يوم حنين عليه التاج يَأْتاقُ
حتى لقوا الناسَ حين البأسُ يَقْدُمهم ... عليهمُ البيض والأبدان والدَّرقُ
فضاربوا الناسَ حتى لم يروا أحداً ... حول النبىِّ وحتى جَنَّه الغَسقُ
حتى تنزَّل جبريلٌ بنصرهمُ ... فالقومُ منهزمٌ منا ومُمْتلقُ

---

(١) احزألت : ارتفعت . والزمر : الجماعات . (٢) تقـذى : تقذف : والسبر : جمع سبار وهو الفتيل يسبر به الجرح .
(٣) المنجحر : المستتر . والنجلاء : الطعنة المتسعة . تعوى وتهر : ينزف منها الدم بصوت .
(٤) الثعلب : ما دخل من عصا الرمح فى جبة السنان . والعامل: أعلى الرمح .

منّا ولو غير جبريل يقاتلنـا لمنّعتنا إذاً أسيافُنـــا الفَلَقُ
وقد وفى عمرُ الفاروق إذ هُزموا بطعنةٍ كان منها سِرجه العَلَقُ

قال ابن إسحـاق : ولمـا هُزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة من المسلمين :

قد غَلبت خيلُ الله خيلَ اللاتِ واللهُ أحقُّ بالثَّباتِ

قال ابن هشام : وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر :

قد غَلبت خيلُ الله خيلَ اللات وخيلُه أحقُّ بالثبـــاتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحرّ القتلُ من ثَقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، وكانت مع ذى الخِمـَار ، فلما قُتل أخذها عثمان ابن عبـد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قُتل ، فأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتلُه قال : «أبعدَه الله فإنه كان يُبْغض قريشا » .

وذكر ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، أنه قتل مع عثمان هذا غلامٌ له نصرانى ، فجاء رجل من الأنصار ليَسْلبه فإذا هو أغرْل ، فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب إن ثقيفاً غُرْل !

قال المغيرة بن شعبة الثَّقفى : فأخذتُ بيده وخشيت أن تَذهب عنا فى العرب ، فقلت: لا تقل كذلك فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . ثم جعلت أكشف له القتلى فأقول له : ألا تراهم مُخْتَتَنين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من بنى غِيَرة يقال له وهب ، ورجل من كُبَّة يقال له الُجلاَح ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم حين بلغه قتل الجلاَح : «قُتل اليوم سيدُ شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هُنَيدة» يعنى الحارث بن أُوَيس .

قال ابن إسحاق : فقال العباس بن مِرْداس يذكر قارب بن الأسود وفرارَه من بنى أبيه وذا الخِمَار وحَبْسه نفسه وقومَه للموت :

ألا مَنْ مبلغ غَيْلانَ عنّى وسوف إخالُ يأتيه الخبيرُ
وعُروةَ إنما أُهدى جواباً وقولاً غيرَ قولكما يسيرُ
بأنّ محمداً عبدٌ رسول لِربّ لا يضلُّ ولا يجورُ
وجدناه نبيًّا مثلَ موسى فكلُّ فتى يُخَايره مَخِيرُ(١)
وبئس الأمرُ أمرُ بنى قَسىٍّ بوَجٍّ إذا تُقُسِّمت الأمورُ
أضاعوا أمرَهم ولكلِّ قوم أميرٌ والدوائر قد تدورُ
فجئنا أُسدَ غابات إليهم جنودُ الله ضاحيةً تسيرُ
نؤمُّ الجمعَ جمع بنى قَسىٍّ على حَنَق نكاد له نَطيرُ
وأُقسِم لو همُ مكثوا لَسرْنا إليهم بالجنود ولم يَغوروا
فكنّا أُسْدَ لِيّة ثَمّ حتى أبحناها وأُسلمت النُّصورُ(٢)
ويومٌ كان قبلُ لدَى حنينٍ فأَقلع والدماء به تَمورُ
من الأيام لم تَسمع كيومٍ ولم يَسمع به قوم ذُكورُ
قتلنا فى الغُبَار بنى حُطَيطٍ على راياتها والخيلُ زُورُ(٣)
ولم يكُ ذو الخِمار رئيسَ قوم لهم عقلٌ يعاقبُ أو نَكيرُ
أقام بهم على سَنَن المنَايا وقد بانت لمبْصرها الأمورُ

(١) يخايره : يزعم أنه خير منه . ومخير : مغلوب فى مخايرته .

(٢) لية : موضع قريب من الطائف . والنصور : رهط مالك بن عوف النصرى .

(٣) زور : جمع أزور وهو المائل .

فأفلتَ من نجا منهم حَريضاً ... وقُتِّلَ منهمُ بَشرٌ كثيرُ (١)
ولا يُغني الأمورَ أخو التّواني ... ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرةُ الحصُورُ (٢)
أحانَهمُ وحانَ وملَّكوه ... أمورَهمُ وأفلتتِ الصقورُ
بنو عوف تَميحُ بهم جِيادٌ ... أُهينَ لها الفَصافِصُ والشعيرُ (٣)
فلولا قاربٌ وبنو أبيه ... تُقُسِّمتِ المزارعُ والقصورُ
ولكنّ الرياسة عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشار به المشيرُ
أطاعوا قارِباً ولهم جدودٌ ... وأحلامٌ إلى عزٍّ تصيرُ
فإن يُهدَوا إلى الإسلام يُلفَوا ... أنوفَ الناس ما سَمَر السَّميرُ
فإن لم يُسلموا فهمُ أذانٌ ... بحربِ الله ليس لهم نَصيرُ
كما حكَّت بنى سعد وجرّت ... برهط بنى غَزِية عَنْقَفيرُ (٤)
كأن بنى معاوية بن بكر ... إلى الإسلام ضائنةٌ تَخُورُ
فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد برئت من الإحَن الصدورُ
كأن القوم إذ جاءوا إلينا ... من البغضاء بعد السِّلْم عُورُ

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثَنِية مع طائفة من أصحابه فقال : قِفوا حتى تجوزَ ضعفاؤكم وتلحق أُخراكم .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلةً بَوادُهم (٥) . فقال :

---

(١) الحريض : المشرف على الهلاك .
(٢) الغلق : القليل الحيلة .
(٣) الفصافص : جمع فصفصة وهى البقلة التى تأكلها الدواب .
(٤) العنقفير : الداهية .
(٥) البواد : جمع باد وهو بطن الفخذ .

هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سَلَكوا بطنَ الوادى ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه: ماذا ترون ؟ قالوا: نرى قوماً عارضِي رماحهم أغفالاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّنيّة سَلَكوا طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء . قال : هذا الزبير ابن العوام ، وأقسم باللات لَيخالطنكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثَّنية أبصر القومَ فصمد لهم فلم يزل يُطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

فصـــــل

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجِعْرانة فتُحبس هناك .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغنائم مسعود بن عمرو الغفارى .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصِّفون[1] عليها ، فقال لبعض أصحابه « أدركْ خالداً فقل له : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عَسِيفاً » .

هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

(١) متقصفون : مجتمعون .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، حدثني المرقَّع بن صيفي ، عن جده رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب ، أنه أخبره أنه رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها وعلى مقدِّمته خالد بن الوليد ، فمرّ رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت المقدِّمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خَلقها ، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما كانت هذه لتقاتل ! » فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : «لا يقتلنّ ذريةً ولا عَسِيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقَّع بن صَيْفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النّصرى فلجأوا إلى الطائف فتحصّنوا بها ، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعرى فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة فحاصر أهلَ الطائف . كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضُهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك الثّنايا .

قال : فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمى ويعرف بابن الدّغِنة -وهى أمه- دريدَ ابن الصِّمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه فى شِجَار لهم ، فإذا برجل ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دُرَيد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السُّلمى . ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئاً ، قال : بئس ماسَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر رَحْلى فى الشِّجار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدِّماغ فإنّى كذلك كنت أضربُ الرجالَ ! ثم إذا أتيتَ أمّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيدَ بن الصِّمة فربَّ والله يومٍ منعتُ فيه نساءك!

فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربتُه فوقع تكشّف فإذا عِجَانه[1] وبطون فخذيه مثلُ القَراطيس من ركوب الخيل إعْرَاءً .

---

(١) العجان : ما بين الخصية والدبر .

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أمَا والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

ثم ذكر ابن إسحاق مارثتْ به عَمْرة بنت دُرَيد أباها فمن ذلك قولها :

قالوا اقتَلنا دُرَيداً قلت قد صَدقوا ... فظلَّ دمعى على السِّربال ينْحدِرُ(١)

لولا الذى قهرَ الأقوامَ كلَّهم ... رأت سُلَيم وكعبٌ كيف يأتمرُ

إذن لصبَّحهم غِبًّا وظاهرةً ... حيث استقرّتْ نَواهم جَحْفلٌ ذَفِرُ(٢)

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قِبل أوطاس أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبوموسى الأشعرى وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دُريدهو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عنّى فإنى سَلَمه ... ابنُ سَمَاديرَ لمن توسَّمه(٣)

أضربُ بالسيف رءوسَ المسْلِمه

قال ابن إسحاق : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعرى لقى يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر .

ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه. فقتله أبوعامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قَتل تسعة وبقى العاشر ،

(١) السربال : القميص .

(٢) غبا : يوما بعد يوم . والظاهرة : أن يصبحهم كل يوم . والجحفل : الجيش الكثيف. والذفر : المتغير الرائحة من صدأ الحديد .

(٣) السمادير : ضعف البصر أو شىء يتراءى للإنسان من ضعف بصره .

فحمل على أبى عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لاتشهد علىّ . فكفّ عنه أبو عامر فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : « هذا شَريدُ أبى عامر » .

قال : ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوْفى ابنا الحارث من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناسَ أبو موسى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جُشَم [بن معاوية][1] يرثيهما :

إنّ الرّزيّة قتلُ العَلا ... ء وأوْفى جميعاً ولم يُسْنَدا

هما القاتلان أبا عامرٍ ... وقد كان داهيةً أرْبَدا[2]

هما تَركاه لدَى مَعْركٍ ... كأنّ على عِطفه مُجْسدَا[3]

فلم يَرَ فى الناس مثليهما ... أقل عِثاراً وأرمَى يدَا

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، وحدثنا أبو أسامة ، عن بُرَيد بن عبد الله ، عن أبى بُردة ، عن أبى موسى قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دُريدَ بن الصِّمة فقُتل دريد وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثنى مع أبى عامر ، فرمِى أبو عامر فى ركبته ، رماه جُشَمى بسهم فأثبته فى ركبته . قال : فانتهيت إليه فقلت : ياعم من رماك ؟ فأشار إلى أبى موسى فقال: ذاك قاتلى الذى رمانى . فقصدت له فلحقته ، فلما رآنى ولّى فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحى ألا تثبت ؟ فكفّ فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبى عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانتزعْ هذا السهمَ . فنزعتُه فنزا منه الماء . قال : يابن أخى أقرئْ

---

(١) من ابن هشام .

(٢) الأربد : الأسد أو الحية الخبيثة .

(٣) المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم السلامَ وقل له : استغفر لى .

واستخلفَنى أبو عامر على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات . فرجعتُ فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته على سرير مُرَمَّل وعليه فراش قد أثَّر رمال السرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبى عامر وقوله : قل له : استغفر لى . قال : فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبى عامر » ورأيت بياضَ إبطيه ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوقَ كثير مِن خَلْقك ـ أو من الناس » فقلت : ولى فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبَه وأدخله يوم القيامة مُدْخَلا كريما » .

قال أبو بردة : إحداهما لأبى عامر والأخرى لأبى موسى رضى الله عنهما .

ورواه مسلم عن أبى كُرَيب محمد بن العلاء ، وعبد الله بن أبى براد ، عن أبى أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ـ هو الثَّورى ـ عن عثمان البَتّى ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : أصبنا نساءً من سَبْى أوطاس ولهن أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبىَّ صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : « والمحصناتُ من النساء إلا ما ملَكت أيمانُكم » قال : فاستحلَلْنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البَتّى به . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة ، عن قتادة عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى . وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث هَمَّام عن يحيى ، ثلاثتهم عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبى عَلْقمة الهاشمى عن أبى سعيد ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سَبايا يومَ أَوْطاس لهن

أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفُّوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية فى ذلك : « والمحصَناتُ من النساء إلا ماملَكت أيمانُكم » .

وهذا لفظ أحمد بن حنبل . فزاد فى هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمى ، وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم .

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بَيْع الأَمَة طلاقُها . روى ذلك عن ابن مسعود وأُبىّ بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيِّب والحسن البصرى .

وخالفهم الجمهور مستدلِّين بحديث بُرَيرة حيث بِيعت ثم خيِّرَت فى فَسْخ نكاحها أو إبقائه ، فلو كان بَيْعها طلاقا لها لما خُيِّرت .

وقد تقصَّينا الكلام على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية . وسنذكره إن شاء الله فى الأحكام الكبير .

وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأَمَة المشركة بهذا الحديث فى سَبايا أوطاس . وخالفهم الجمهور وقالوا: هذه قضيةُ عَيْن ، فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات . وموضع تقرير ذلك فى الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمَح به فرسه الذى يقال له الجناح فمات ، وسراقة ابن مالك بن الحارث بن عدى الأنصارى من بنى العجلان ، وأبو عامر الأشعرى أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

فصل فيما قيل من الأشعار فى غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُجير بن زهير بن أبى سلمى :

لولا الإله وعبْده ولَّيتم ... حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبانِ
بالِجزع يومَ حيالُنا أقرانُنا ... وسوابحٌ يَكْبون للأذقانِ
من بين سالبٍ ثوبهُ فى كفه ... ومُقطَّرٌ بسَنابكٍ ولَبانِ (١)
والله أكْرمَنا وأظهرَ ديننا ... وأعزَّنا بعبـــادة الرحمنِ
والله أهلكَهم وفرّق جمعَهم ... وأذلَّهم بعبادة الشيطانِ

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيكم ووليُّه ... يَدْعون يا لَكتيبة الإيمانِ
أين الذين همُ أجابوا ربَّهم ... يومَ العَريضِ وبيعةِ الرضوانِ

وقال عباس بن مرداس السلمى :

فإنى والسوابحُ يومَ جمعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتابِ
لقد أحببتُ ما لَقيتْ ثقيف ... بجنب الشِّعب أمس من العذابِ
همُ رأسُ العدوّ من أهل نجد ... فقتْلهمُ ألذُّ مِن الشرابِ
هزَمْنا الجمعَ جمع بنى قَسِيّ ... وحَكَّت بَرْكَها ببنى رِئابِ (٢)
وصِرْماً من هلالٍ غادرتْهم ... بأوْطاس تُعفَّر بالترابِ
ولو لاقَيْن جمعَ بنى كِلاب ... لقام نساؤهم والنَّقعُ كابِى (٣)
رَكَضْنا الخيلَ فيهم بين بُسٍّ ... إلى الأورال تنْحَطُ بالنِّهابِ (٤)

(١) المقطر : الملقى على أحد قطريه ، أى أحد جانبيه . والسنابك : أطراف الحوافر . واللبان : الصدر .
(٢) البرك : الصدر . وحكت بركها : كناية عن شدة الحرب .
(٣) النقع : الغبار . والكابى : المرتفع .
(٤) بس : جبل قرب ذات عرق . والأورال : أجبل ثلاثة سود فى جوف الرمل وتنحط : تخرج صوتا من الثقل والإعياء والنهاب : الغنائم

بذى لَجَبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتُه تَعرَّضُ للضِّرابِ

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النُّبآء إنك مُرسَلٌ ... بالحق كلُّ هُدَى السَّبيلِ هُداكَا

إنّ الإله بَنَى عليك محبــــةً ... فى خَلقِـــه ومحمـــداً سَمّاكا

ثم الذين وَفَوا بما عاهدتَهم ... جندٌ بَعثتَ عليهمُ الضَّحاكَا

رجلاً به ذَربُ السلاح كأنه ... لما تَكَنَّفه العدوُّ يَراكَا[1]

يَغشى ذوى النَّسب القريب وإنما ... يَبغى رضا الرحمن ثم رِضاكا

أُنبئك أنى قد رأيت مَكرَّه ... تحت العَجاجة يَدمغُ الإشراكَا

طَورًا يعانِق باليدين وتارةً ... يَفرى الجماجمَ صارماً فتّاكا

[يغشى به هامَ الكُماة ولو ترى ... منه الذى عاينتُ كان شِفاكا][2]

وبنو سُليم مُعْنِقون أمامه ... ضرباً وطعناً فى العدو دِرَاكَا[3]

يمشون تحتَ لوائه وكأنهم ... أُسْد العرين أَرَدْن ثَم عِرَاكا

ما يَرْتجون من القريب قرابةً ... إلا لطاعة ربهم وهَواكا

هذِى مَشاهدنا التى كانت لنا ... معروفة ووليُّنا مَولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً[4] :

عفَا مِجدلٌ من أهله فمُتَالِع ... فمطلَى أَريكٍ قد خلا فالمصانع[5]

ديار لنا يا جُمْل إذ جُلُّ عيشنا ... رَخِىٌّ وصَرْفُ الدهر للحىِّ جامعُ

حُبيِّبة أَلْوتْ بها غُرْبة النّوى ... لبَين فهل ماضٍ من العيش راجعُ

---

(١) الذرب : الحدة والمضاء . وتكنفه : أحاط به .

(٢) من ابن هشام .

(٣) معنقون : مسرعون . والدراك : الطعن المتتابع .

(٤) من هنا إلى آخر هذا الفصل سقط من ت .

(٥) مجدل ومتالع : موضعان . والمطلى ، يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض . أو الأرض السهلة وأريك : واد .

فإن تبتغى الكفارَ غير مَلُومة ... فإنى وزيرٌ للنبى وتابعُ
دعانا إليه خيرُ وفدٍ عَلِمتُهم ... خُزيمة والمرَّار منهم وواسعُ
فجئنا بألفٍ من سُليم عليهم ... لَبوسٌ لهم من نَسْج داود رائعُ
نُبايِعه بالأخْشَبَيْن وإنما ... يدَ الله بين الأخشبين نُبايعُ
فجُسْنا مع المهدىِّ مكةَ عَنْوةً ... بأسيافنا والنَّقعُ كابٍ وساطعُ
علانيةً والخيل يَغْشَى متونَها ... حَميمٌ وآنٌ من دم الجوف ناقعُ
ويومَ حنين حين سارت هَوازنٌ ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالعُ
صَبرنا مع الضَّحاك لا يستفزُّنا ... قراعُ الأعادى منهمُ والوقائعُ
أمامَ رسول الله يَخْفقُ فوقنا ... لواء كخُذْروف السحابة لامعُ(١)
عشيةَ ضحاكُ بن سفيان مُعْتَصٍ ... بسيف رسول الله والموتُ كانعُ(٢)
نَذُود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مِصَالاً لكنّا الأقربين نُتابعُ(٣)
ولكنَّ دينَ الله دين محمد ... رَضينا به فيه الهدَى والشرائعُ
أقام به بعدَ الضلالة أمرَنا ... وليس لأمرٍ حَمَّه الله دافعُ

وقال عباس أيضاً :

تَقطَّع باقى وَصْل أمِّ مؤمّل ... بعاقبةٍ واستبدلت نِيَّةً خَلْفاَ(٤)
وقد حلفت بالله لا تَقطع القُوَى ... فما صدَقت فيه ولا برَّت الحَلْفاَ
خُفَافيةٌ بَطْنُ العَقِيق مَصِيفُها ... وتحتلُّ فى البادِين وَجْرةَ فالعُرْفاَ(٥)
فإن تَتْبع الكفارَ أمُّ مُؤمّل ... فقد زَوَّدت قلبى على نَأْيها شَغْفاَ

(١) الخذروف : برق لامع فى السحاب .
(٢) معتص : ضارب . والكانع : القريب .
(٣) يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس . والمصال : مفعل من الصولة .
(٤) نية : من النوى وهو البعد
(٥) الخفافية : نسبة إلى خفاف : حى من سليم والبادون : المقيمون فى البادية .

وسوف يُنبِّئها الخبيرُ بأننا ... أبَيْنا ولم نَطلب سوى ربِّنا حَلْفا
وأنا مع الهادى النبىّ محمد ... وفينا ولم يَستوفها معشرٌ ألْفَا
بفتيان صدق من سُليم أعزةٍ ... أطاعوا فما يَعْصون من أمره حَرفا
خُفاف وذَكْوان وعوفٌ تخالهم ... مَصاعبَ زافَت فى طَروقتها كُلْفَا
كأن نسيج الشُّهب والبيض مُلْبَس ... أسودًا تلاقت فى مَراصدها غُضْفَا(١)
بنا عَزَّ دينُ الله غير تَنحُّل ... وزِدْنا على الحى الذى معه ضِعْفَا
بمكة إذ جئنا كأنّ لواءنا ... عُقَاب أرادت بعدَ تحليقها خَطْفَا
على شُخَّص الأبصار تحسب بيْنها ... إذا هى جالَتْ فى مَراودها عَزْفَا
غداة وَطئنا المشركين ولم نجدْ ... لأمر رسول الله عَدْلا ولا صَرْفَا
بمعتركٍ لا يسمع القوم وَسْطه ... لنا زَجْمةً إلا التّذامرَ والنَّقْفَا(٢)
ببيضٍ نُطير الهام عن مُستقرِّها ... وتقطفُ أعناقَ الكماة بها قَطْفَا
فكائن تَركنا من قتيل مُلحَّبٍ ... وأرملةٍ تدعو على بعلها لَهْفَا(٣)
رضا الله نَنْوى لا رضا الناس نبتغى ... ولله ما يَبْدُو جميعاً وما يَخْفَى

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

ما بال عينك فيها عائرٌ سَهِرُ ... مثل الحماطة أغضَى فوقها الشُّفرُ(٤)
عينٌ تَأوَّبها من شَجْوها أرَقٌ ... فالماء يَغمرها طوراً ويَنْحدرُ
كأنه نَظمُ دُرٍّ عند ناظمه ... تقطَّع السِّلكُ منه فهو مُنْتثرُ
يا بُعدَ منزلِ من ترجو مودَّته ... ومن أتى دونه الصَّمان فالحفرُ(٥)

---

(١) الغضف : المسترخية أجفانها على أعينها غضبا وكبرا .
(٢) الزجمة : النبسة بكلمة . والنقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .
(٣) الملحب : المقطع
(٤) العائر : كل ما أعل العين : والحماطة : عشب خشن المس أو تبن الذرة . والشفر : أصل منبت الشعر فى الجفن
(٥) الصمانَ والحفر موضعان .

دَعْ ماتقدَّم من عَهد الشباب فقد ... ولَّى الشبابُ وزار الشيبُ والزَّعرُ(١)

واذكر بلاءَ سُلَيم فى مواطنها ... وفى سُلَيم لأهل الفخر مُفتخرُ

قومٌ همُ نَصروا الرحمن واتَّبعوا ... دِينَ الرسول وأمرُ الناس مُشْتَجِرُ

لا يَغرسون فَسِيلَ النخل وسطَهم ... ولا تَخاوَرُ فى مَشْتاهم البقرُ(٢)

إلّا سَوابح كالعِقْبان مُقْرَبة ... فى دارَة حولها الأخطارُ والعَكرُ(٣)

تُدْعى خُفَاف عَوف فى جوانبها ... وحىٌّ ذَكْوان لا مِيلٌ ولا ضُجرُ

الضاربون جنودَ الشرك ضاحيةً ... ببطن مكة والأرواح تُبتَدرُ

حتى رَفعْنا وقتلاهم كأنهمُ ... نخلٌ بظاهرةِ البطحاء مُنْقعِرُ

ونحن يومَ حنين كان مَشْهَدُنا ... للدِّين عزّاً وعندَ الله مُدَّخرُ

إذ نركبُ الموتَ مُخضرًّا بطائنهُ ... والخيلُ يَنْجاب عنها ساطعٌ كَدِرُ

تحت اللواء مع الضحَّاك يقْدُمنا ... كما مشَى الليثُ فى غاباته الخَدِرُ

فى مأْزق من مَجرِّ الحرب كَلْكلَها ... تكاد تأْفِل منه الشمس والقمرُ

وقد صَبرنا بأَوْطاس أسِنَّتنا ... لله نَنصرُ من شئنا وننتصرُ

حتى تأوَّب أقوامٌ منازلهم ... لولا المليكُ ولولا نحن ما صَدَروا

فما ترى معشراً قلُّوا ولا كثروا ... إلا قد أصبح منا فيهمُ أثرُ

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

يا أيها الرجل الذى تَهوى به ... وَجْناء مُجْمَرةُ المناسم عِرْمِسُ(٤)

---

(١) الزعر : قلة الشعر .

(٢) الفسيل : صغار النخل . والتخاور : ارتفاع أصوات البقر من الخوار .

(٣) المقربة : التى تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك . والدارة : العرصة ، وكل أرض واسعة بين جبال والعكر والأخطار : الإبل الكثيرة .

(٤) الوجناء : البارزة الوجنات ، والمناسم : أطراف خف البعير والمجمرة : المستوية . والعرمس : الناقة الشابة .

إمّا أتيتَ على النبيِّ فقــل له ... حقًّا عليك إذا اطمأنّ المجلسُ
ياخيرَ من ركب المطيَّ ومن مشَى ... فوق التراب إذا تُعدُّ الأنفسُ
إنا وفَينا بالذى عاهــــدْتنَا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماة وتُضْرَسُ(١)
إذ سال من أفناء بُهْثَة كلها ... جمعٌ تظل به المخَارم ترْجُس(٢)
حتى صبّحنا أهلَ مـكة فيْلقاً ... شَهباء يَقْدُمها الهمامُ الأشْوسُ(٣)
مِن كلِّ أغْلبَ مِن سُليم فوقه ... بيضاء مُحْـكمة الدِّخال وقَوْنسُ(٤)
يُرْوِى القناةَ إذا تجاسَر فى الوغى ... وتخاله أســـداً إذا ما يَعْبِسَ
يَغْشى الـكتيبةَ مُعْلماً وبـكفه ... عَضْب يَقُدُّ به ولَدْن مِدْعَسُ(٥)
وعلى حُنين قد وفَى من جَمْعنا ... ألفٌ أُمِدَّ به الرسولُ عَرنْدَسُ
كانوا أمامَ المؤمنين دَرِيئَــةً ... والشمسُ يومئذ عليهم أشْمسُ(٦)
نَمضى ويَحرسنا الإله بحفظــه ... والله ليس بضائعٍ من يَحرسُ
ولقد حُبِسنا بالمناقب مَحْبِساً ... رَضى الإله به فنعم المحْبِسُ
وغداة أوطاس شَدَدْنا شَدّة ... كَفَت العدوّ وقيل منها يا احبسوا
تدعو هوازن بالأخوّة بيننا ... ثَدْىٌ تَمُدُّ به هوازنُ أَيْبسُ
حتى تركنا جمعَهم وكأنه ... عَيْر تَعاقَبه السِّباعُ مُفرَّسُ

وقال أيضاً رضى الله عنه :

من مُبْلغ الأقوام أن محمداً ... رسول الإله راشدٌ حيث يَمّمَا

---

(١) تقدع: تـكبح . وتضرس : تجرح .
(٢) بهثة : حى من سليم . والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز .
(٣) الأشوس : المتـكبر .
(٤) الدخال : نسج الدرع .
(٥) المدعس : السريع الطعن .
(٦) الدريئة : الـكتيبة المدافعة .

دعا ربَّه واستنصر اللهَ وحده ... فأصبح قد وفَّى إليـــه وأنعماَ
سَرِيْنا وواعـــدنا قُديداً محمداً ... يؤمُّ بنا أمراً من الله مُحْـكما
تمارَوا بنا فى الفجر حتى تبيَّنوا ... مع الفجر فتياناً وغاباً مُقوَّماَ
على الخيل مَشْدوداً علينا دروعُنا ... ورَجْلا كدُفّاع الأتِىِّ عَرمْرماَ(١)
فإن سَراة الحىّ إن كنت سائلاً ... سُليم وفيهم منهمُ من تسلَّما
وجندٌ من الأنصار لا يخذلونه ... أطاعوا فما يَعْصونه ما تـكلَّماَ
فإن تك قد أمَّرت فى القوم خالداً ... وقدَّمته فإنه قد تقـــــدَّماَ
بجندٍ هداه الله أنت أمــــيرُه ... تُصيب به فى الحق مَن كان أظْلماَ
حَلفتُ يميناً برَّةً لمحمـــــدٍ ... فأ كملتُها ألفاً من الخيل مُلْجماَ
وقال نبىُّ المؤمنين تقدَّموا ... وحُبَّ إلينا أن نـكون المقدَّماَ
وبِتْنا بنَهْى المستدير ولم يكن ... بنا الخوفُ إلا رغبةً وتحزُّماَ(٢)
أطعناك حتى أسلم الناسُ كلهم ... وحتى صَبَحنا الجمعَ أهل يَلَمْـلماَ
يضلُّ الحصانُ الأبلقِ الوَرْدُ وَسْطَه ... ولا يطمئن الشيخ حتى يُسوَّماَ
سَمونا لهم وِرْد القَطَا زفَّه ضحًى ... وكلٌّ تراه عن أخيه قد أحجما
لَدنْ غُدْوةٍ حتى تركنا عَشيةً ... حُنيناً وقد سالت دوامعــه دَماَ
إذا شئت من كلٍّ رأيت طِمِرَّةً ... وفارسها يَهْوى ورمحاً مُحطَّماَ(٣)
وقد أحرزتْ منا هوازنُ سِرْبها ... وحُبَّ إليها أن نَخيب ونُحْرَماَ

هـكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هـذه القصائد من شعر عباس بن مِرْداس السُّلمى رضى الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضا ، وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك . والله أعلم .

---

(١) الرجل : المشاة . والأتى : السيل الغريب والدفاع : ما يدفعه السيل .
(٢) النهى : الغدير . (٣) الطمرة : الفرس السريعة الجرى .

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وحاصر الطائف فى شوال سنة ثمان .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنيناً ولا حصارَ الطائف عروةُ بن مسعود ولا غَيْلان بن سلمة ، كانا بجُرَش يتعلَّمان صنعةَ الدبابات والمجانيق والضُّبُور [1] .

قال : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك فى ذلك :

قَضينا من تِهامة كل رَيبٍ ... وخيبرَ ثم أَجْمَمْنا السيوفَا
نخيِّرها ولو نطَقت لقالت ... قواطعهن : دَوْساً أو ثَقيفَا
فلستُ لحاضنٍ إن لم تَروها ... بساحةِ داركم منا ألوفَا
وننتزع العروشَ ببطن وَجٍّ ... وتصبح دُوركم منكم خُلوفَا
ويأتيكم لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادر خلفَه جمعاً كثيفَا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم ... لها مما أناخ بها رَجيفَا
بأيديهم قَواضبُ مُرهَفاتٌ ... يُزرْن المصطَلين بها الحتوفَا

(١) الضبور : الدبابات التى تقرب للحصون لتنقب من تحتها

كأمثال العَقائق أخلَصتْهـــا ... قيونُ الهند لم تُضرب كَتيفاَ (١)
تخال جَدِيَّة الأبطال فيهـــا ... غداةَ الزحف جادِيًّا مَدُوفاَ (٢)
أجِـــدَّهم أليس لهم نَصِيحٌ ... من الأقوام كان بنـــا عريفا
يخـبِّرهم بأنا قد جَمعنـــا ... عِتاقَ الخيل والنُّجبَ الطُّروفا (٣)
وأنا قد أتينـــاهم بزحف ... يحيط بسُور حِصنهم صفوفاَ
رئيسهمُ النبيُّ وكان صَلْبـــا ... نقيَّ القلب مُصْطـــبراً عَزوفاَ
رشيـــد الأمر ذا حُكم وعلم ... وحـــلم لم يكن نَزِقاً خفيفاَ
نُطيع نبيَّنـــا ونطيع ربًّا ... هو الرحمن كان بنـــا رءوفا
فإن تُلقوا إلينـــا السَّلم نَقْبل ... ونجعلكم لنـــا عَضُداً وريفاَ
وإن تأبَوا نجاهدكم ونَصْـــبر ... ولا يكُ أمرُنا رَعِشاً ضعيفاَ
نجالدُ مابقينـــا أو تُنيبوا ... إلى الإســـلام إذعاناً مُضِيفا
نجاهـــدُ لا نبالى مالَقينا ... أأهلَكْنا التِّلادَ أم الطَّريفاَ (٤)
وكم من مَعشرٍ ألبوا علينـــا ... صميمَ الجِذْم منهم والحليفاَ (٥)
أتونا لا يرون لهم كفـــاء ... فجدَّعنـــا المسامعَ والأنوفاَ
بكل مهنَّد لَين صَقيـــلٍ ... نسوقهمُ بهـــا سَوْقاً عنيفاَ
لأمر الله والإسلام حـــتى ... يقوم الدِّين معتـــدلاً حنيفاَ
وتُنْسى اللاتُ والعزى وودّ ... ونَسْلبهـــا القلائدَ والشُّنوفاَ
فأمسَوا قـــد أقرُّوا واطمأنوا ... ومن لا يَمْتنع يَقْبـــل خُسوفاَ

---

(١) الكتيف: الضبة. قال السهيلى: وهى صفيحة صغيرة.
(٢) الجدية: الدم السائل. والجادى: الزعفران. والمدوف: المبلول.
(٣) الطروف: الكرام من الخيل. (٤) التلاد: القديم. والطريف: الجديد.
(٥) الجذم: الأصل.

وقال ابن إسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى :

قلت : قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى وفد ثقيف فأسلم معهم. قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم المدائنى أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصَّر ومات بها :

من كان يَبْغينا يريد قتالَنــــا   فإنّا بدارٍ مَعْــلَمٍ لا نَرِيمُها (١)
وجَدنا بها الآباء من قبل ماتَرى   وكانت لنا أطواؤها وكرومُها (٢)
وقد جرَّبَتْنا قبلُ عمرو بن عامر   فأخبرها ذو رَأْيِهـــا وحليمُها
وقد علمت ـ إن قالت الحق ـ أننا   إذا ما أتَتْ صُعْر الخدود نُقيمُها
نقوِّمُهـــا حتى يلين شَريسُها   ويُعْرف للحق المبين ظَلومُها
علينا دِلَاصٌ من تُراث محرِّقٍ   كلون السماء زَيَّنَتْها نجومُها (٣)
نُرفِّعها عنــــا ببيضٍ صوارمٍ   إذا جُرِّدت فى غَمرة لانَشيمُها (٤)

قال ابن إسحاق : وقال شدَّاد بن عارض الجُشَمِى فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لا تنصروا اللاتِ إن الله مُهْلكهـا   وكيف يُنْصر من هو ليس ينتصرُ
إن التى حُرِّقت بالسُّد فاشتعلت   ولم تقاتِل لدى أحجارها هَـــدَرُ
إن الرســــول متى يَنْزل بلادَ كم   يَظْعن وليس بها من أهلهـــا بشَرُ

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليـه وسلم ـ يعنى من حنين إلى الطائف ـ على نخلة اليمانية ، ثم على قَرْن ثم على المَلِيح ثم على بُحْرة الرُّغاء من لِيَّة ، فابتنى بها مسجدا فصلى فيه .

---

(١) المعلم : المشهورة .
(٢) أطواؤها : آبارها ، جمع طوى .
(٣) الدلاص : الدروع الملساء اللينة . ومحرق : يريد عمرو بن عامر وهو أول من حرق العرب بالنار.
(٤) لا نشيمها : لا نغمدها

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببُحْرة الرغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُقيد به فى الإسلام ، رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بِليَّة بحصن مالك بن عوف فهدِم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك فى طريق يقال لها الضيِّقة ، فلما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل : الضيِّقة . فقال : بل هى اليُسْرى . ثم خرج منها على نَخْب حتى نزل تحت سِدْرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك . فأبىَ أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه .

وقال ابن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية ، عن بُجَير بن أبى بجير ، سمعت عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا قبر أبى رِغَال وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرَم يَدْفع عنه ، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآيةُ ذلك أنه دفن معه غصنٌ من ذهب ، إن أنتم نَبشتم عنه أصبتموه » .

قال : فابتدَره الناسُ فاستخرجوا معه الغصنَ .

ورواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب ابن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقى من حديث يزيد بن زُرَيع ، عن رَوح بن القاسم ، عن إسماعيل بن أمية به .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره ، فقُتل ناس من أصحابه بالنَّبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذى بنَتْه ثقيف بعد إسلامها ، بناه عمرو بن أمية بن وهب ، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحةَ كل يوم إلا سمع لها نَقيض فيما يذكرون .

قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة . قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .

وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وترك السَّبى بالجعْرانة ومُلئت عُرُش[1] مكة منهم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأكَمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه مِن وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبى بَكْرة بن مَسْروح أخى زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرت الجراح وقطعوا طائفةً من أعنابهم ليغيظوهم بها ، فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لكم .

وقال عروة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ رجل من المسلمين أن يقطع خمسَ نخلات وخمس حُبلات[2] ، وبعث مناديا ينادى : من خرج إلينا فهو حر . فاقتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكرة بن مَسروح أخو زياد بن أبى سفيان لأمه ، فأعتقهم ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يَعوله ويحمله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن الحكَم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتق من جاءه من العبيد قبلَ مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد : حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خُنَيس ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ،

---

(١) العرش : الخيام والبيوت التى يستظل بها . (٢) الحبلة : الكرمة.

عن مِقْسم عن ابن عباس، قال : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الطائف ، فخرج إليه عَبْدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بَكْرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق العبيد إذا خرجوا إليه.

وقال أحمد أيضاً : حدثنا نصر بن رِئَاب ، عن حَجاج ، عن الحكَم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » .

فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أبو بَكرة ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا الحديث تفرَّد به أحمد ، ومَداره على الحجاج بن أَرْطاة ، وهو ضعيف .

لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كلَّ عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عَتق حكماً شرعياً مطلقاً عاما .

وقال آخرون : إنما كان هذا شَرطاً لا حُكماً عاماً .

ولو صحَّ الحديثُ لكان التشريع العام أظهرَ ، كما فى قوله عليه السلام : « من قَتل قتيلا فله سَلَبه » .

وقد قال يونس [بن بُكير] (١) ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الله بن المكرم الثقفى، قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم ، أبو بكرة عبدٌ للحارث بن كَلدة ، والمُنْبعِث ، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبعث ، ويَحْنس ، ووردان ، فى رهط من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وفدُ أهل الطائف فأسلموا قالوا : يارسول الله رُدَّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عُتقاء الله » وردَّ على ذلك الرجل ولاءَ عبده فجعله إليه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا عثمان قال : سمعت سعدا ــ وهو أول من رمَى بسهم فى سبيل الله وأبا بَكْرة ، وكان

(١) سقطت من ا .

تسوَّر حصن الطائف فى أناس فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يَعْلمه فالجنةُ عليه حرام » .

ورواه مسلم من حديث عاصم به .

قال البخارى : وقال هشام : أنبأنا مَعْمَر ، عن عاصم ، عن أبى العالية ، أو أبى عثمان النَّهدى ، قال : سمعت سعدا وأبا بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال عاصم : قلت : لقد شهد عندك رجلان حَسْبك بهما . قال : أجَلْ : أما أحدُهما فأولُ من رمَى بسهم فى سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين ، فكان يصلى بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالا شديداً وترامَوا بالنبل . قال ابن هشام : ورماهم بالمنجنيق .

فحدثنى من أثق بهأن النبى صلى الله عليه وسلم أولُ من رمَى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهلَ الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليحرقوا جدارَ أهل الطائف ، فأُرسلت عليهم سِكك الحديد مُحْماة ، فخرجوا من تحتها فرمتْهم ثقيف بالنَّبل فقتلوا منهم رجالا ، فحينئذ أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون .

قال : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فنادَيا ثقيفاً بالأمان حتى يكلّموهم فأمَّنوهم فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهم ، وهما يخافان عليهن السِّباء إذا

فُتح الحصن ، فأَبْين ، فقال لهما أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بواد يقال له العَقِيق ، وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف ، وليس بالطائف مال أبعدَ رِشاءً[1] ولا أشد مُؤنة ولا أبعد عِمَارة منه ، وإن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا ، فكلِّماه فليأخذه لنفسه أو ليدَعْه لله والرَّحم .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

وقد روى الواقدى عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسى هو الذى أشار بالمنجنيق وعمله بيده . وقيل قدِم به وبدبابتين فالله أعلم .

وقد أورد البيهقى من طريق ابن لِهَيعة عن أبى الأسود ، عن عروة ، أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتى أهلَ الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات فى حصنهم وقال : لا يَهُولنكم قَطْعُ ما قطع من الأشجار فى كلام طويل .

فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماقلت لهم » ؟ قال : دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكَّرتهم بالجنة . فقال : « كذبتَ بل قلت لهم كذا وكذا » فقال : صدقتَ يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بُكَير ، عن هشام الدَّسْتُوائى ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعْد ، عن معدان ابن أبى طلحة ، عن ابن أبى نَجِيح السُّلمى ، وهو عمرو بن عَبَسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصرَ الطائف فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلَغ بسهم فله درجة فى الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً .

(١) الرشاء : الحبل

وسمعته يقول : « من رمَى بسهم فى سبيل الله فهو عَدْل مُحرَّر ، ومن شاب شيبةً فى سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيما رجل أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل كلَّ عظم من عظامه وقاءَ كلِّ عظم بعظم ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل كلَّ عظم من عظامها وقاءَ كل عظم من عظامها من النار » .

ورواه أبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث قتادة به .

* * *

وقال البخارى : حدثنا الحميدى ، سمع سفيان ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى مخنَّث فسمعه يقول لعبد الله بن أبى أمية : أرأيتَ إن فتح الله عليكم الطائفَ غداً فعليك بابنة غَيْلان فإنها تُقْبل بأَرْبع وتُدْبر بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَدْخلن هؤلاء عليكن » .

قال ابن عيينة : وقال ابن جريج : المخنث هِيْت .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به . وفى لفظ : « وكانوا يرونه من غير أولى الإرْبة من الرجال » وفى لفظ : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يَعْلم ما ها هنا ؟ لا يدخلن عليكن هؤلاء » .

يعنى إذا كان ممن يفهم ذلك ، فهو داخل فى قوله تعالى : « أو الطِّفل الذين لم يَظْهروا على عورات النساء[1] » .

والمراد بالمخنَّث فى عُرف السَّلف الذى لا هِمَّة له إلى النساء ، وليس المراد به الذى يؤتَى ، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً ، كما دل عليه الحديث ، وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

---

(١) سورة النور ٣١

ومعنى قوله : « تُقْبِل بأربع وتُدْبِر بثمان » يعنى بذلك عكَن بطنها ، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أَدْبرت ، وهذه المرأة هى بادِيةُ بنت غَيْلان ابن سلمة من سادات ثقيف .

وهذا المخنَّث قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هِيت ، وهذا هو المشهور لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته بنت عمرو بن عايذ مخنَّث يقال له مانع ، يدخل على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ولا يرى أنه يفْطن لشىء من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يرى أن له فى ذلك أَرَبًا ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : ياخالد إن افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلا تَنْفلتن منكم بادِيةُ بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتُدْبر بثمان . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث . ثم قال لنسائه : « لا يَدْخلن عليكن » فحجِب عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال البخارى: حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبى العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلم ينل منهم شيئا قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فثقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ فقال : « اغدوا على القتال » فغدَوا فأصابهم جراحٌ فقال : « إنا قافلون غدا إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبى صلى الله عليه وسلم . وقال سفيان مرةً : فتبسَّم .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف فى نسخ البخارى ، ففى نسخة كذلك وفى نسخة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فالله أعلم .

وقال الواقدى : حدثنى كثير بن زيد بن الوليد بن رباح ، عن أبى هريرة قال :

لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الدّيلى فقال : « يانوفل ماترى فى المقام عليهم ؟ » قال : يارسول ثعلبٌ فى جحر إن أقمتَ عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرّك .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وهو محاصرٌ ثقيفاً : « ياأبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديت لى قَعْبةٌ مملوءة زبداً فنقَرها ديك فهَراق مافيها » فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تُدْرك منهم يومَك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا لا أرى ذلك » .

قال : ثم إن خَولة بنت حكيم السُّلمية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطنى إن فتح الله عليك حُلىّ بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلى الفارعة بنت عقيل — وكانت من أحلى نساء ثقيف — فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « وإن كان لم يُؤْذَن فى ثقيف ياخُويلة ؟ » .

فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ماحديثٌ حدّثتنيه خولة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : « قد قلته » قال : أو ماأُذِن فيهم ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذّن بالرحيل ؟ قال : بلى .

فأذَّن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناسَ نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو ابن علاج : ألا إن الحىّ مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مَجدةً كراماً . فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعيينة ! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئتَ تنصره ؟ فقال : إنى والله ماجئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيبَ من ثقيف جاريةً أطؤها لعلها تلِد لى رجلا ، فإن ثقيفاً مَنَاكير (١) .

***

(١) المناكير : ذوو الدهاء

وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود ، عن عروة قصة خَولة بنت حكيم ، وقولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال : وتأذينَ عمر بالرحيل . قال : وأمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ألا يُسرحوا ظَهرهم ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودعا حين ركب قافلا فقال : « اللهم اهدهم واكفنا مُؤنتهم » .

وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر قالوا : يارسول الله أحرقتنا نِبالُ ثقيف فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم اهدِ ثقيفاً » .

ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

وروى يونس عن ابن إسحاق ، حدثنى عبدالله بن أبى بكر وعبد الله بن المكرم ، عمن أدركوا من أهل العلم : قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يُؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفدهم فى رمضان فأسلموا .

وسيأتى ذلك مفصلاً فى رمضان من سنة تسع إن شاء الله .

* * *

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق :

فمن قريش : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعُرْفطة بن جَناب حليف لبنى أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبى بكر الصِّديق رمى بسهم فتوفى منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى من رَمْية رُميها يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبنى عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس ابن عدى السَّهمى ، وأخوه عبد الله ، وجُلَيحة بن عبد الله من بنى سعد بن ليث . ومن الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمى ، والحارث بن سهل بن أبى صَعْصعة المازنى ،

والمنذر بن عبد الله من بنى ساعدة . ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث رضى الله عنهم أجمعين .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً عن الطائف قال بُجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت عُلالَة يوم بطن حنينٍ ... وغداة أَوطاسٍ ويوم الأبرقِ
جَمعتْ بإغواء هوازنُ جمعَها ... فتبدَّدوا كالطائر المتمزِّقِ
لم يمنعوا منا مقاما واحداً ... إلا جدارَهم وبطنَ الخندقِ
ولقد تعرَّضنا لكَيْما يخرجوا ... فاستحصَنوا منا بباب مُغلقِ
ترتدُّ حَسْرانا إلى رَجْراجةٍ ... شهباء تَلْمعُ بالمنايا فَيْلقِ (١)
مَلْمومةٍ خضراء لو قَذَفوا بها ... حصناً لظل كأنه لم يُخلقِ
مَشْيَ الضِّراء على الهرَاس كأننا ... قدَرٌ تفرَّق فى القيادِ ويلتقى (٢)
فى كل سابغة إذاما استحصنت ... كالنِّهْى هبَّت ريحُه المترقرقِ
جُدُلٍ تمسُّ فضولُهن نعالَنا ... من نَسْج داودِ وآل محرِّقِ

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ، حدثنا الفِرْيَابى ، حدثنا أبان ، حدثنا عمرو — هو ابن عبد الله بن أبى حازم — حدثنا عثمان بن أبى حازم ، عن أبيه ، عن جده صخر — هو أبو العَيْلة الأَحْمَسىّ — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثقيفاً ،

---

(١) الرجراجة : الكثيرة .
(٢) الضراء : الكلاب . والهراس : شجر شائك كالنبق .

فلما أن سمع ذلك صخرٌ ركب فى خيل يُمدّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمةً لاأفارق هذا القصر حتى يَنْزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب إليه صخر : أما بعد فإنّ ثقيفا قد نزلت على حكمك يارسول الله وأنا مُقْبل بهم وهم فى خيلى .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة جامعة فدعا لأحمس عشر دعوات : « اللهم بارك لأحمس فى خيلها ورجالها » .

وأتى القومُ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال : يارسول الله إن صخرا أخذ عمتى ودخلتْ فيما دخل فيه المسلمون فدعاه فقال : « ياصخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم، فادفع إلى المغيرة عَمته » فدفعها إليه .

وسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ماءً لبنى سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يارسول الله أنْزلنيه أنا وقومى . قال : « نعم » فأنزله وأَسْلَمَ — يعنى الأسلميّين ، فأتوا صخرا فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبىَ ، فأتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله أسلمنا وأتينا صخرا ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا . فقال : « ياصخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال : نعم يانبى الله.

فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغيّر عند ذلك حمرةً ، حياءً من أَخْذه الجارية وأخذه الماء !

تفرد به أبو داود وفى إسناده اختلاف .

قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضى أن يؤخَّر الفتح عامئذ لئلا يُسْتأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يُؤْووه حتى

يبلّغ رسالة ربه عز وجل، وذلك بعد موت عمه أبى طالب فردُّوا عليه قوله وكذّبوه فرجع مهموماً فلم يستفقْ إلا عند قَرن الثعالب ، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل ، فناداه ملَك الجبال فقال : يامحمد إن ربك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قولَ قومك لك وماردُّوا عليك ، فإن شئت أن أُطْبق عليهم الأَخْشَبين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل أَسْتَأْنى بهم لعل الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبده وحده لايشرك به شيئا » .

فناسب قوله : « بل أَسْتَأْنى بهم » ألا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليَقْدَموا بعد ذلك مسلمين فى رمضان من العام المقبل . كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

فصل فى مرجعه عليه السلام من الطائف، وقسمة غنائم هوازن التى أصابها يوم حنين قبل دخوله مكة معتمرا من الجِعْرانة

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجِعْرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سَبْى كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعن عن ثقيف: يارسول الله ادع عليهم. فقال: « اللهم اهدِ ثقيفاً وائت بهم ».

قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجِعْرانة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْى هوازن بستة آلاف من الذرارى والنساء ومن الإبل والشاء مالا يُدرى عِدَّته.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب، وفى رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفدُ هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يارسول الله إنا أهلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يخفَ عليك فامْنُنْ علينا مَنَّ الله عليك.

وقام خطيبهم زُهير بن صُرَد أبو صرد فقال: يارسول الله إنما فى الحظائر من السَّبَايا خالاتُك وحواضنك اللاتى كنّ يكفلنك، ولو أنا مَلحنا لابن أبى شَمِر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثلُ الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعَطْفهما، وأنت رسول الله خير المكفولين. ثم أنشأ يقول:

امْنُنْ علينـــا رسولَ الله فى كرمٍ ... فإنك المرء نرجـــوه وننتظرُ

---

(١) ملحنا: أرضعنا.

امنُنْ على بَيضةٍ قد عاقَها قَدَرٌ ... مُمزَّقٌ شَملُها في دهرها غِيَرُ
أبقَتْ لنا الدهر هَتَّافاً على حزنٍ ... على قلوبهم الغَمَّاء والغمرُ
إن لم تَداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حِلماً حين يُختبرُ
امنن على نسوةٍ قد كنت تَرْضعها ... إذ فوك تملؤه من محضها الدُّررُ
امنُنْ على نسوة قد كنت تَرْضعها ... وإذ يَزِينك ما تأتى وما تَذرُ
لا تجعلَنَّا كمن شالَتْ نَعامتُه ... واستَبْقِ منّا فإنا معشر زُهرُ
إنا لَنشكر آلاءً وإن كُفرتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساؤكم وأبناؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا : يارسول الله خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صلَّيت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ؛ وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا . فإنى سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمَرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيَينة : أمّا أنا وبنو فَزارة فلا . وقال العباس بن مِرداس السُّلمى : أمّا أنا وبنو سُلَيم فلا . فقالت بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهَّنتمونى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فىء نُصيبه. فردُّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه الناس يقولون : يارسول الله اقسم علينا فَيئنا . حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال : « أيها الناس ردُّوا علىّ ردائى ، فوالذى نفسى فى يده لو كان لـكم عندى عَدد شجرِتِهامة نَعماً لقسمته عليكم ، ثم ما أَلْفيتمونى بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرةً فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس والله مالى من فَيئـكم ولا هـذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخِيَاط والمخِيط ، فإن الغلُول عار ونار وشَنار على أهله يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكُبَّة (١) من خيوط شعر فقال : يارسول الله أخذتُ هذه لأخيط بها برذعة بعير لى دَبِر (٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا حقِّى منها فلك » فقال الرجل : أما إذ بلغ الأمر فيها فلا حاجة لى بها . فرمى بها من يده .

وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد إليهم سَبْيَهم قبل القسمة، كما ذهب إليه محمد ابن إسحاق بن يسار ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

***

وفى صحيح البخارى من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المِسْوَر بن مَخرمة ومروان بن الحـكم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفدُ هوازن مسلمين فسألوا أن تردّ إليهم أموالهم ونساؤهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله

(١) الـكبة : الخيوط المجتمعة .
(٢) الدبر : المقروح

عليه وسلم : « معى من ترون ، وأحبُّ الحديث إلىّ أَصْدَقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السَّبْي وإما المال ، وقد كنت استأنيتُ بكم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قَفَل من الطائف، فلما تبيَّن لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير رادٍّ إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : إنا نختار سَبْيَنا .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين ، وإنى قد رأيت أن أردّ إليهم سَبْيهم ، فمن أحبَّ أن يطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفىء الله علينا فليفعل » .

فقال الناس : قد طَيَّبنا ذلك يارسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندرى من أذِن منكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يَرفع إلينا عرفاؤكم أمرَكم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بأنهم قد طَيَّبوا وأذِنوا .

فهذا مابلَغنا عن سبى هوازن .

ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمُثْبِت مقدَّم على النافى فكيف الساكت .

وروى البخارى من حديث الزهرى : أخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفِلَه من حنين عَلِقت الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ، حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أعطونى ردائى فلو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً » .

تفرد به البخارى .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وَجْزة يزيد بن عبيد السعدى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى علىّ بن أبى طالب جارية يقال لها ريْطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله .

وقال ابن إسحاق : فحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فجئت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا ردّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا . قلت : تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها فى الحى نسباً وعسى أن يَعْظُم فداؤها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبى أن يردّها ، فقال له زهير بن صُرَد : خذها عنك فو الله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا دَرُّها بماكِد[1] ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفًا وثيرة . فردّها بست فرائض .

* * *

قال الواقدى : ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بالجِعْرانة أصاب كلّ رجل أربعٌ من الإبل وأربعون شاة .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبى بكر أن رجلا ممن شهد حنيناً قال :

---

(١) الماكد : الغزير .

والله إنى لأسير إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة لى وفى رجلى نعل غليظة إذ زحمتْ ناقتى ناقةَ رسول الله صلى لله عليه وسلم ويقع حرفُ نعلى على ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوجعه ، فقرَع قدمى بالسوط وقال : « أوجعتَنى فتأخَّرْ عنى » فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسنى قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقع ، فقال : « إنك أصبت رجلى بالأمس فأوجعتنى فقرعتُ قدمك بالسوط فدعوتُك لأعوِّضك منها » فأعطانى ثمانين نعجة بالضربة التى ضربنى .

والمقصود من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره .

وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذى أورده محمد بن إسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّ إلى هوازن سَبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبى وركب علقت الأعرابُ برسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له : اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه إلى سَمرة فخطفت رداءه فقال : « ردوا علىّ ردائى أيها الناس ، فو الذى نفسى بيده لو كان لكم عدد هذه العضاه نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » .

كما رواه البخارى عن جبير بن مطعم بنحوه .

وكأنهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم، فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل ، وآثر أناساً فى القسمة وتألَّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبيَّن لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم .

وتنقَّد بعضُ من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذى الخويصرة وأشباهه قبحه الله ، كما سيأتى تفصيله وبيانه فى الأحاديث الواردة فى ذلك وبالله المستعان .

* * *

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبى يقول حدثنا السميط السَّدُوسى ، عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت ، فصُفَّت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم . قال : ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مُجَنّبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا ، قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأنصار ؟

قال أنس : هذا حديث عمته[1] قال : قلنا لبيك يارسول الله . قال : وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله .

قال : فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل المائة ويعطى الرجل المائتين .

قال : فتحدَّث الأنصارُ بينها : أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه ؟ !

فرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يَدْخلنَّ علىّ إلا أنصارى ،أو الأنصار » قال : فدخلنا القبة

حتى ملأناها ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار » أو كما قال : « ما حديثٌ أتانى ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ما حديثٌ أتانى » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟

قال : « ألا ترضون أن يَذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تُدْخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله ، قال : فرضوا أو كما قال .

وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان .

وفيه من الغريب قوله : أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا اثنى عشر ألفاً ، وقوله : « إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة » وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام ، حدثنا مَعْمَر، عن الزهرى ، حدثنى أنس بن مالك ، قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفُنا تَقْطر من دمائهم !

قال أنس بن مالك : فحُدِّث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم فى قبة أدَم ولم يدعُ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما حديثٌ بلَغنى عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإنى لَأعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألَّفهم ، أمَا ترضون أن يذهب

الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فو الله لَمَا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » قالوا : يا رسول الله قد رضينا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « فستجدون أثرةً شديدة فاصبروا حتى تَلْقوا الله ورسوله فإني على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف ، عن هشام بن زيد ، عن جده أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطُّلقاء فأَدْبروا، فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنا عبد الله وسوله » فانهزم المشركون فأعطَى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلَهم فى قبته فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو سلك النـاسُ وادياً وسلكت الأنصار شِعْباً لسلكت شعبَ الأنصار » .

وفى رواية للبخارى من هـذا الوجه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبَروا عنه حتى بقى وحده ، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال: « أنا عبد الله ورسوله » .

فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن نُدْعى ويعطى الغنيمة غيرنا !

فبلغه ذلك فجَمَعهم فى قبة فقال : « يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغنى ؟ » فسكتوا فقال : « يامعشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تَحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى فقال : « لو سلَكَ الناسُ وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيبُ عنه ؟

ثم رواه البخارى ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهدٍ بجاهلية ومصيبة ، وإنى أردت أن أَجْبرهم وأتألَّفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ وادىَ الأنصار أو شعب الأنصار » .

وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبى التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ! إن سيوفنا لتَقْطر من دمائهم والغنائم تُقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أباسفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو فى آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يارسول الله سيوفنا تَقْطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم؟ فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فجمعهم فى قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحدٌ من

غيركم ؟ » قالوا : لا إلا ابن أختنا ، قال : « ابن أخت القوم منهم » ثم قال : « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشِّعار والناس الدِّثار ، أمَا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول صلى الله عليه وسلم إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : الأنصارُ كَرِشى وعَيْبتى ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شِعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار » .

وقال : قال حماد : أعطى مائةً من الإبل فسمى كلَّ واحد من هؤلاء .

تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر الأنصار ألم آتكم ضُلَّالا فهداكم الله بى ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بى ، ألم آتكم أعداء فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يارسول الله قال : « أفلا تقولون : جئتنا خائفاً فأمَّناك ، وطريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنُّ علينا ولرسوله .

وهذا إسناد ثلاثى على شرط الصحيحين .

* * *

فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك .

وقد روى عن غيره من الصحابة .

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن عبَّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم ، قال : لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قَسَم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجَدوا فى أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضُلَّالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بى ؟ وعالةً فأغناكم الله بى ؟ » كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمَنُّ .

قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا . أمَا ترضون أن يذهب النـاس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالـكم ؟ لولا الهجرة لـكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشِعْبا لسلـكت وادى الأنصار وشِعبها ، الأنصار شعارٌ والناس دِثار ، إنـكم ستَلْقون بعدى أثَرَةً فاصبروا حتى تَلقونى على الحوض » .

ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازنى به .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أَصاب رسول الله صـلى الله عليـه وسلم الغنائمَ يوم حنين وقَسَم للمتألفين من قريش وسائر العرب ماقسم ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم حتى قال قائلهم : لقى والله رسولُ الله قومَه ! فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجَدوا عليك فى أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قَسْمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شىء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « فاجمع لى قومك فى هـذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم فى تلك الحظيرة فجاء رجـل من المهاجرين فأذِن له فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال : يارسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمَرتنى أن أجمعهم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليـه بما هو أهله ثم قال : « يامعشر الأنصار ألم آتـكم ضُلّالا فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم :

« ألا تجيبون يامعشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يارسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المنُّ لله ولرسوله . قال : « والله لو شئتم لقلتم فصدَقتم وصدقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وخائفاً فأمَّناك ، ومخذولا فنصرناك » فقالوا : المنُّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوجدتم فى نفوسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قوماً أسلموا ووَكلتُكم إلى ماقسَم الله لكم من الإسلام ، أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لو أن الناس سَلكوا شِعْباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصارَ وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

قال : فبكى القوم حتى أَخْضَلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله ربًّا ورسوله قَسْماً . ثم انصرف وتفرقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن بكير ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية بن سعد العَوفى ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال رجل من الأنصار لأصحابه : أمَا والله لقد كنت أحدِّثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثَر عليكم ، قال : فردوا عليه ردًّا عنيفاً فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى يارسول الله ، قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئا قالوا : بلى يارسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم .

تفرد به أحمد أيضا .

وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى

سعيد بنحوه . ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لَهِيعة عن أبى الزبير عن جابر مختصراً .

* * *

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروق ، عن أبيه ، عن عباية بن رافع بن خَدِيج ، عن جده رافع بن خديج ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفة قلوبهم من سَبْى حنين مائةً من الإبل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوانَ بن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة ، وأعطى الأقرعَ بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباسَ بن مِرْداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أتجعــــل نَهْبى ونهبَ العُبَــيد بين عُيينة والأقرعِ (١)

فمـــا كان حِصْنٌ ولا حابس يَفُوقان مرداسَ فى المجمَعِ

وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تَخْفِضِ اليومَ لا يُرفعِ

وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدْرَأ فلم أُعطَ شيئاً ولم أمنعِ (٢)

قال : فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقى .

وفى رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال :

كانت نِهَاباً تلافيتهـــــا بكرِّى على المُهر فى الأَجْرَعِ (٣)

وإيقاظىَ الحىَّ أن يَرْقدوا إذا هجعَ النـــاسُ لم أَهْجعِ

فأصبح نَهْبى ونهبُ العُبيــد بَيْن عُيينـــة والأقرعِ

---

(١) النهب : العطاء من الغنيمة . (٢) ذا تدرأ : ذا دفع .

(٣) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات الحزونة .

وقد كنت فى الحرب ذا تُدْرَأٍ فلم أُعْطَ شيئًا ولم أمنعِ
إلا أفائلَ أُعطيتهـــــا عَديدَ قوائمها الأرْبعِ(١)
وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يَفُوقان مِرْداسَ فى المجمعِ
وما كنت دون امرئٍ منهما ومَن تَضعِ اليومَ لايُرفعِ

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « أنت القائل أصبح نَهْبى ونهب العبيد بين الأقرع وعُيَينة ؟ »

فقال أبو بكر : ماهكذا قال يارسول الله ، ولكن والله ما كنتَ بشاعر ومايذبغى لك . فقال : « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هما سَواء مايضرُّك بأيهما بدأت »

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عنى لسانَه » فخشى بعض الناس أن يكون أراد المُثْلَة به وإنما أراد النبى صلى الله عليه وسلم العطية . قال : وعبيد فرسه .

* * *

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العَلاء ، حدثنا أسامة ، عن بُرَيد بن عبد الله ، عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجِعْرانة بين مكة والمدينة(٢) ومعه بلال ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعرابىٌّ فقال : ألاَ تُنْجِز لى ماوعدتَنى ؟ فقال له « أبشر » فقال : قد أكثرتَ علىّ مِن أَبْشر !

فأقبل على أبى موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : « ردَّ البُشْرى فاقبَلا أنتما » ثم دعا

---

(١) الأفائل : الضعاف من الإبل .
(٢) قال القسطلانى : قال الداودى : وهو وهم والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم النووى وغيره إرشاد السارى ٦ / ٤١٠ .

بقدَح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ، ثم قال « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبْشرا » فأخذا القدَح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أَفْضِلا لأمكما . فأفضلاَ لها منه طائفة .

هكذا رواه .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْد نجْرانى غليظ الحاشية . فأدركه أعرابىٌّ فجذَبه جَذْبَةً شديدة حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت به حاشيةُ الرداء من شدة جَذْبته ، قال : مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

* * *

وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مائة من الإبل ، وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كَلدة أخو بنى عبد الدار ، وعَلْقمة بن علاَثة ، والعلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ، والحارث بن هشام ، وجُبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النَّصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع ابن حابس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله أعطيت عيينةَ والأقرع مائة مائة وتركت جُعَيل بن سُرَاقة الضَّمْرى ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا والذى نفس محمد بيده لَجعيلٌ خيرٌ من طِلَاعِ الأرض كلهم مثل عُيينة والأقرع ، ولكن تألَّفتُهما ليُسْلما ،

ووَكلتُ جُعَيلَ بن سراقة إلى إسلامه .

ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون المائة ممن يطول ذكره .

وفى الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى من غنائم حنين وهو أبغض الخَلْق إلىّ حتى ماخَلق الله شيئا أحبّ إلىّ منه .

ذكر قدوم مالك بن عوف النَّصْرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك ابن عوف : مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال : « أخبروه إنه إن أتانى مُسْلماً رددْتُ إليه أهلَه وماله وأعطيته مائةً من الإبل » .

فلما بلغ ذلك مالكاً انسلّ من ثقيف حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ـ أو بمكة ـ فأسلَم وحسن إسلامه ، فردّ عليه أهلَه وماله . ولما أعطاه مائة قال مالك بن عوف رضى الله عنه :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... فى الناس كلهم بمثل محمدِ
أَوْفَى وأعطَى للجزيل إذا اجتدَى ... ومتى تَشأْ يُخْبِرك عمّا فى غدِ
وإذا الكتيبةُ عرّدتْ أنيابُها ... بالسَّمْهَرِىِّ وضَرْبِ كلِّ مُهنَّدِ (١)
فكأنه لَيْثٌ على أشباله ... وسطَ الهباءَة خادِرٌ فى مَرْصَدِ (٢)

قال : واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلَم من قومه وتلك القبائل ثُمالَة وسَلِمة (٣) وفَهْم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى

(١) عردت : اشتدت وضريت . (٢) الهباءة : غبار الحرب . والخادر : المقيم فى عرينه .
(٣) هكذا ضبطه السهيلى وقال : والمعروف فى قبائل قيس سلمة بالفتح ، إلا أن يكونوا من الأزد .

ضيق عليهم .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، حدثني عمرو بن تَغْلب قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال : « إني أعطى قوماً أخاف هلَعهم وجزعهم وأَكِلُ قوماً إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تَغْلب » .

قال عمرو : فما أحبُّ أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حُمر النَّعم .

زاد أبو عاصم، عن جرير ، سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال — أو سَبْيٍ — فقسمه بهذا .

وفى رواية للبخارى قال : أتى رسول الله بمال — أو بشيء — فأعطى رجالا وترك رجالا ، فبلغه أن الذين تَرَكَ عتبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد » فذكر مثله سواء .

تفرد به البخاري[١] .

وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيما كان من أَمْر الأنصار وتأخُّرهم عن الغنيمة :

زاد الهمومَ فماءُ العين منحدرُ ... سحًّا إذا حَفلتْه عَبْرةٌ دِرَرُ[٢]
وَجْداً بشَمَّاء إذ شَمَّاءُ بَهْكَنةٌ ... هَيْفاء لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَرُ[٣]
دَعْ عنك شَمَّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نَزْرا وشرُّ وصالِ الواصل النَّزِرُ
وائتِ الرسولَ وقل ياخيرَ مُؤْتَمَنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّدَ البشرُ
علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وهي نازحةٌ ... قُدَّامَ قومٍ همُ آوَوا وهم نَصَرُوا

(١) هذا الحديث مؤخر فى ت بعد القصيدة .
(٢) ابن هشام : زادت هموم . .
(٣) البهكنة : الشابة الغضة . والذنن : القذر . والخور : الضعف . وفى ا : شنباء

سمّاهمُ اللهُ أنصارًا بنَصرهمُ ... دينَ الهدى وعَوانُ الحرب تَستَعرُ

وسارَعوا فى سبيل الله واعترَضوا ... للنائبات وما خانُوا وما ضَجِروا

والناس إلْبٌ علينا فيكَ ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وَزَرُ

نُجالدُ الناسَ لا نُبقى على أحَدٍ ... ولا نضيِّع ما تُوحى به السُّوَرُ

ولا تهرّ جُناةُ الحرب نادِيَنا ... ونحن حين تلظَّى نارُها سُعرُ(١)

كما رَددْنا ببدرٍ دونَ ما طَلبوا ... أهلَ النفاق وفينا يَنزْل الظَّفرُ

ونحن جُندكَ يوم النَّعْفِ من أحد ... إذ حزّبتْ بَطراً أحزابَها مُضَرُ(٢)

فما وَنَيْنا وما خِمْنا وما خَبروا ... منا عِثارًا وكلُّ الناس قد عَثَرُوا

---

(١) تهر : تكره . وجناة الحرب : أبطالها . والسعر ، من يوقدون الحرب .
(٢) النعف : أسفل الجبل .

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخارى : حدثنا قَبيصة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : لما قَسَم النبي صلى الله عليه وسلم قسمةَ حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله . قال : فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فتغيَّر وجهه ثم قال : « رحمةُ الله على موسى ، قد أوذى بأكثر من هذا فصَبر » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى وائل عن عبدالله قال : لما كان يومُ حنين آثر النبيُّ صلى الله عليه وسلم ناساً : أعطى الأقرعَ بن حابس مائةً من الإبل ، وأعطى عيينةَ مثلَ ذلك ، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت : لأخبرنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » .

وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به .

وفى رواية للبخارى فقال رجل : والله إنّ هذه لَقسمة ما عُدل فيها وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتيته فأخبرته فقال : « من يَعْدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ! رحم الله موسى قد أُوذى بأكثر من هذا فصَبر » .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مِقْسَم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتَلِيد بن كِلاب الليثى حتى أتينا عبدَ الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلِّقا نعلَه بيده ، فقلنا له : هل

حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلَّمه التميمى يوم حنين ؟ قال : نعم جاء رجل من بنى تميم يقال له ذو الخويْصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له : يامحمد قد رأيتُ ماصنعتَ فى هذا اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجل فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عَدلت . قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ! »

فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال : « دَعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمَّقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهم من الرميَّة ، يُنظر فى النَّصْل فلا يوجد شيء ثم فى القِدح فلا يوجد شيء ثم فى الفُوق فلا يوجد شيء سبق الفرثَ والدم » .

وقال الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبدالله قال: أتى رجلٌ بالجِعْرانة النبيَّ صلى الله عليه وسلم مُنْصرَفه من حنين وفى ثوب بلال فضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْبض منها ويعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خِبْت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب : دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال : « معاذ الله أن يتحدَّث الناسُ أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز حَناجرَهم يَمْرقون منه كما يَمْرق السهمُ من الرَّميَّة » .

ورواه مسلم عن محمد بن رُمْح ، عن الليث .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا قُرَّة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مغانمَ حنين إذ قام إليه رجل فقال : اعدل . فقال : « لقد شقيتُ إذا لم أعدل » .

ورواه البخارى عن مسلم بن إبراهيم عن قُرَّة بن خالد السَّدُوسى به .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قَسْمًا إذ أتاه ذو الخوَيْصرة رجل من بنى تميم فقال : يارسول الله اعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويلك ومن يَعْدل إن لم أعدل لقد خبتُ وخسرت ، إذا لم أَعْدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إيذن لى فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعْه فإن له أصحاباً يَحقِر أحدكم صلاتَه مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تَراقيهم ، يَمْرقون من الإسلام كما يمرق السهمُ من الرَّمية ، يُنْظر إلى نَصْله فلا يوجد فيه شىء ثم إلى رِصافه[1] فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى نَضِيِّه[2] ـ وهو قِدْحه ـ فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى قُذَذه[3] فلا يوجد فيه شىء ، قد سبق الفرثَ والدم[4] ، آيتُهم رجل أسود إحدى عَضُديه مثل ثدى المرأة أو مثل البَضْعة تَدَرْدَر[5] ويخرجون على حين فُرْقة من الناس » .

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلَهم وأنا معه ، وأمرَ بذلك الرجل فالتُمِس ، فأُتى به حتى نظرت إليه على نَعْت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نَعت .

ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد به نحوه .

ذكر مجىء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهو بالجِعْرانة واسمها الشَّيماء

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الرصاف : جمع رصفة ، وهى عقبة تلوى على مدخل النصل فى السهم .
(٢) النضى : القدح قبل أن يبحث . (٣) القذذ : ريش السهم .
(٤) المعنى : أنه مرق عاجلا فلم يعلق به دم . (٥) تدردر : تتحرك وتذهب وتجىء .

قال يوم هوازن : «إن قدرتم على نجاد ــ رجل من بنى سعد بن بكر ــ فلا يُفلتنكم» وكان قد أحدَث حدثا .

فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

قال : فعنفوا عليها فى السَّوْق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنى لأُخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدّقوها حتى أتوا بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ــ هو أبو وجْزة ــ قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إنى أختك من الرضاعة . قال « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متورِّكتك . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيَّرها وقال : إن أحببتِ فعندى محبَّبة مكرمة ، وإن أحببت أن أُمتِّعك وترجعى إلى قومك فعلتُ . قالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى . فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها إلى قومها ، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

وروى البيهقى من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يومُ فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أنا أختك ، أنا شَيْماء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكونى صادقة فإن بك منى أثراً لا يَبْلى » قال : فكشفت عن عَضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعضَضْتنى هذه العضة . قال : فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال : « سَلِى تُعطَى واشفعى تُشفَّعى » .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السُّلمى ، حدثنا مسلم ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرنى عمى عمارة بن

ثَوْبان ، أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضوَ البعير ، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم نَعماً بالجعرانة .

قال : فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التى أرضعته .

هذا حديث غريب ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عُمرت حليمة دهراً ، فإن من وقت أن أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجِعْرانة أزيدَ من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدِما عليه . والله أعلم بصحته .

قال أبو داود فى المراسيل : حدثنا أحمد بن سعيد الهَمْدانى ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعضَ ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

وقد تقدم أن هوازنَ بكمالها متواليةٌ برضاعته من بنى سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زُهير بن صُرَد : يارسول الله إنما فى الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا مَنَّ الله عليك . وقال فيما قال :

امنُنْ على نسوة قد كنت تَرْضعها إذ فوكَ يملؤه من مَحْضها دَرِرُ
امنن على نسوة قد كنت تَرضعها وإذ يَزِينك ماتأتِي وما تَذرُ

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بَكرة أبيهم ، فعادت فواضلُه عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقدى عن إبراهيم بن محمد بن شُرَحْبيل ، عن أبيه قال : كان النَّضير ابن الحارث بن كَلدة مِن أجمل الناس فكان يقول : الحمد لله الذى منَّ علينا بالإسلام ، ومنَّ علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء وقُتل عليه الإخوة وبنو العم .

ثم ذكر عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهم على دِينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن كانت دائرةٌ على محمد أن نُغِير عليه ، فلم يُمْكنَّا ذلك ، فلما صار بالجعرانة فوالله إنى لَعلَى ما أنا عليه إنْ شعرت إلّا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنضير ؟ » قلت : لبيك ، قال : « هل لك إلى خير مما أردتَ يوم حنين مما حالَ الله بينك وبينه ؟ » قال : فأقبلتُ إليه سريعاً فقال : « قد آنَ لك أن تُبْصر ما كنت فيه تُوضِع » قلت : قد أدرى أن لو كان مع الله غيره لقد أغنَى شيئاً ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم زِدْه ثباتاً » قال النضير : فوالذى بعثه بالحق لكأنَّ قلبى حجرٌ ثباتاً فى الدين ؛ وتَبَصُّرة بالحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى هداه » .

عمرة الجِعْرانة فى ذى القعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز وعبد الصمد الْمَعْنى قالا : حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك قات : كم حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمنَ الحديبية وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجِعْرانة فى ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته.

ورواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعنى العطار - عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عُمَر : عمرة الحدَيبية ، وعمرة القَضاء ، والثالثة من الجِعْرانة ، والرابعة التى مع حَجّته .

ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجَه من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المكى ، عن عمرو بن دينار به وحسَّنه والترمذى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنا حجاج بن أَرْطَاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عمر ، كلٌّ ذلك فى ذى القعدة يلبِّى حتى يستلم الحجرَ .

غريب من هذا الوجه .

وهذه الثلاثُ عُمَر اللاتى وقعن فى ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته ، فإنها وقعت فى ذى الحجة مع الحجة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن فى ذى القعدة فلعله لم يُرِد عمرةَ الحديبية لأنه صُدَّ عنها ولم يفعلها . والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر من الجِعْرانة بالكلّية وذلك فيما قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب قال : يارسول الله إنه كان علىّ اعتكافُ يومٍ فى الجاهلية.. فأمَره أن يَفِى به .

قال : وأصاب عمر جاريتين من سَبْي حنين فوضعهما فى بعض بيوت مكة ، قال : فمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على سَبْي حنين فجعلوا يَسْعَون فى السكك ، فقال عمر : ياعبد الله انظر ماهذا ؟ قال : منَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السَّبْي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافع : ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ، ولو اعتمر لم يَخْفَ على عبد الله .

وقد رواه مسلم من حديث أيوب السَّخْتِيانى ، عن نافع عن ابن عمر به .

ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبى ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع قال : ذُكر عند ابن عمر عمرةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها .

وهذا غريب جدا عن ابن عُمر وعن مولاه نافع ، فى إنكارهما عمرةَ الجعرانة ، وقد أطبق النقَلةُ ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازى والسنن كلهم .

وهذا أيضاً كما ثبت فى الصحيحين من حديث عطاء بن أبى رباح ، عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فى رجب . وقالت : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ! ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو شاهد وما اعتمر فى رجب قط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمَير ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : سأل عروةُ ابن الزبير ابنَ عمر : في أي شهر اعتمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : في رجب . فسمعتنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أباعبدالرحمن! ما اعتمر عمرةً إلا وقد شهدَها وما اعتمر عمرةً قط إلا في ذي القعدة .

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد، سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثاً سوى التي قرَنها بحجة الوداع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيي بن آدم ، حدثنا مفضّل، عن منصور ، عن مجاهدقال : دخلتُ مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلُّون الضحى . فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً إحداهن في رجب . قال : وسمعنا استنانَ عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن في رجب ؟ فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ، مااعتمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلا وهو معه ، وما اعتمَر في رجب قط .

وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصور وقال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُريج ، أخبرني مُزاحم بن أبي مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبدالله ، عن مُحرّش الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلا يقضي عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سَرِف ،

حتى جاء مع الطريق ـ طريق المدينة ـ بسرف قال محرش : فلذلك خَفِيت عمرته على كثير من الناس .

ورواه الإمام أحمد عن يحيي بن سعيد ، عن ابن جريج كذلك وهو من أفراده .

* * *

والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذى لا يمكن مَنْعه ولا دَفْعه ، ومن نفاها لا حجة معه فى مقابلة من أثبتها . والله أعلم .

ثم هُمْ كالمجمِعين على أنها كانت فى ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقَسْم غنائم حنين .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبَرانى فى معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن إسحاق التُسْتُرى ، حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدى ، حدثنا إبراهيم ابن طَهْمَان ، عن أبى الزبير ، عن عمير مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجِعْرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوال .

فإنه غريب جداً وفى إسناده نظر . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنى عطاء ، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتنى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه . قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجِعْرانة وعليه ثوب قد أُظلّ به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابى عليه جبة متضمِّخ بطيب . قال : فأشار عمر بن الخطاب إلى يَعْلى بيده : أن تعال . فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبى صلى الله عليه وسلم محمرُّ الوجه يغطُّ كذلك ساعة ثم سرِّى عنه فقال : « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجلُ فأُتى به ، قال : « أما الطِّيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ،

وأما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجك » .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج . وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من كَداء من أعلى مكة ، ودخل فى العمرة من كُدًى .

وقال أبو داود: حدثنا موسى أبو سلمة ، حدثنا حماد ، عن عبدالله بن عثمان بن خُثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتَمروا من الجعرانة فرَملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى .

تفرد به أبو داود . ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن خثيم ، عن أبى الطفيل ، عن ابن عباس مختصرا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، حدثنى الحسن بن مسلم ، عن طاوس ، أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال : قَصَّرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِشْقَص . أو قال : رأيته يقصر عنه بمشْقَص عند المرْوَة .

وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن جريج به. ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس، عن ابن عباس، عن معاوية به .

ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث عبدالرزاق ، عن مَعْمَر ، عن ابن طاوس عن أبيه به .

وقال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثنى عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى،

حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن معاوية قال : قَصرت عن رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة .

* * *

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون فى عمرة الجِعْرانة .

وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القَضاء فلم يكن أبو سفيان أَسْلَمَ ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بل خرجوا منها ، وتغيَّبوا عنها مدةَ مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التى كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعيَّن أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة إنما كان فى عمرة الجعرانة كما قلنا . والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفىء فحبس بمَجنّة بناحية مرّ الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقَى بعضَ المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عَتَّاب بن أُسيد على مكة ، وخلّف معه معاذ بن جبل يفقه الناسَ فى الدين ويعلمهم القرآن .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّف معاذا مع عَتَّاب بمكة قبلَ خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة .

وقال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمَل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابَ بن أسيد على مكة رزَقه كل يوم درهماً ، فقام فخطب الناسَ فقال : أيها

الناس ، أجاع الله كبدَ من جاع على درهم ! فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كلَّ يوم ، فليست لى حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة، وقدم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى أول ذى الحجة . قال ابن هشام : قَدِمها لستٍّ بقين من ذى القعدة فيما قال أبو عمرو المدِينى .

قال ابن إسحاق : وحج الناسُ ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بن أسيد وهى سنة ثمان .

قال : وأقام أهلُ الطائف على شِرْكهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زُهَير بن أبى سُلْمى

وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذِكْرُ قصيدته التى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بانَتْ سعاد

قال ابن إسحاق : ولما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرفه عن الطائف كتب بُجير بن زُهَير بن أبى سُلْمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأنَّ من بقى من شعراء قريش : ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرة بن أبى وهب هربوا (١) فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فِطرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لايقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نَجائك من الأرض . وكان كعب قد قال :

ألاَ بلِّغــا عنى بُجَيراً رسالةً ... فويحك(٢) فيما قلتَ ويحك هل لَـكا
فبيِّن لنا إنْ كنتَ لست بفاعلٍ ... على أىِّ شىء غـير ذلك دَلَّـكا
على خُلُق لم أُلْفِ يوماً أباً له ... عليــه وما تُلْفِى عليه أباً لـكا
فإن أنت لم تَفْعَل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمّا عَثَرْتَ لَعاً لـكا (٣)
سقاك بها المأمُون كأساً رَوِيّةً ... فأَنْهلَكَ المأمونُ منها وعلَّـكا (٤)

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

مَنْ مُبْلغٌ عنى بُجَيراً رسالةً ... فهل لك فيما قلتُ بالخيْفِ هل لَـكا
شربتَ مع المأمون كأساً رَوِيّةً ... فأنْهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّـكا

---

(١) ابن هشام : قد هربوا .
(٢) ابن هشام : فهل لك .
(٣) كلمة تقال للعاثر ، دعاء له بالإقالة من عثرته .
(٤) أنهلك : سقاك أولا . وعلك سقاك ثانيا . والمأمون : يريد به النبى صلى الله عليه وسلم .

وخالفتَ أسباب الهُدَى واتَّبعْتَه على أى شىء وَيْبَ غيرِك[1] دَلَّكا

على خُلُق لم تُلْفِ أمّاً ولا أباً عليـه ولم تُدرِكْ عليه أخاً لكا

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائل إمّا عَـثرتَ لَعاً لَكا

قال ابن إسحاق : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتت بُجَيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع : « سقاك بها المأمون » : « صَدَق وإنه لَكَذُوب ، أنا المأمون » ولما سمع : « على خُلق لم تُلْفِ أمّا ولا أباً عليه » قال : « أجل لم يُلْف عليه أباه ولا أمّه » .

قال : ثم كتب بجير إلى كعب يقول له :

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فهل لكَ فى التى تلوم عليها باطلاً وهى أَحْـزَمُ

إلى الله لا العُزَّى ولا اللاتِ وحدَه فتنجو إذا كان النَّجاءُ وتَسْلَمُ

لدَى يومٍ لا يَنْجُو وليس بمُفْلتٍ من الناس إلا طاهرُ القلب مُسْلِمُ

فدِينُ زُهَيرٍ وهو لاشىءَ دينُـه ودِينُ أبى سُلْمَى علىّ مُحَـرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأَرْجَفَ به مَنْ كان فى حاضره من عدوِّه ، وقالوا : هو مقتولَ . فلما لم يجد من شىء بدًّا قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم ، وذَكَر فيها خوفَه وإرجافَ الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قدِم المدينةَ ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهَينة كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاسْتَأْمِنه .

فذُكِر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إليه ووضع يده فى يده ،

---

(١) ويب غيرك : هلكت هلاك غيرك .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يارسول الله إن كعبَ بنَ زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مُسْلما ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فقال : إذاً أنا [1] يارسول الله كعبُ بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يارسول الله دَعْني وعدوَّ الله أضربْ عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعْه عنك ، فإنه جاء تائباً نازعاً » .

قال : فغضب كعبُ بن زهير على هذا الحى من الأنصار لِمَا صنع به صاحبُهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير . فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانَتْ سعادُ فقلْبِي اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ عندها لم يُفْدَ مَكْبُولُ [2]
وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا ... إلا أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحولُ [3]
[هيفاء مُقْبِلةٌ عَجْزاءُ مُدْبِرةٌ ... لا يُشْتَكى قِصرٌ منها ولا طُولُ] [4]
تَجْلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنه مُنْهَلٌ بالراحِ مَعْلولُ [4]
شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أَضْحَى وهو مَشْمولُ [5]
تَنْفِى الرياحُ القَذَى عنه وأَفْرَطَه ... مِنْ صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يعَاليلُ [6]
فيالها خُلةً لو أنها صَدَقَتْ ... بوَعْدِها أو لو أنَّ النصحَ مقبولُ

(١) ابن هشام : فقال أنا .
(٢) بانت : بعدت . والمتبول : السقيم من الحب . والمكبول : المقيد .
(٣) الأغن : الظبى . (٤) عن ابن هشام . (٤) تجلو : تكشف ، والظلم : بريق الأسنان وبياضها .
(٥) شجت : مزجت . والشبم الشديد البرد . والمحنية : منعطف الوادى . والمشمول : الذى ضربته ريح شمال حتى برد .
(٦) أفرطه : سبق إليه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تمطر غدوة . واليعاليل : السحب البيض

لـكنها خُـــلةٌ قد سِيطَ مِنْ دَمِها فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخــلافٌ وتبديلُ (١)
فمـا تدومُ على حالٍ تـكون بها كما تلوَّنُ فى أثوابهـا الغُولُ
ومــا تَمسَّكُ بالعهد الذى زعمَتْ إلا كما يُمْسِكُ المـــاءَ الغرابيلُ
فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وعــدت إن الأمانىَّ والأحــلامَ تضليلُ
كانت مواعيــدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا وما مواعِيــدُها إلا الأباطيلُ
أرجو وآمــلُ أَنْ تَدْنُو مودتُها ومالَهُنَّ إخالُ الدهرَ تَعْجِيلُ (٢)
أَمْست سعـــادُ بأرضٍ لاتبلِّغُها إلا العِتاقُ النَّجِيباتُ المَراسِيلُ
ولن يُبلِّغها إلا عُـــذافرةٌ فيهـــا على الأَيْنِ إرْقَالٌ وتبغيلُ (٣)
من كل نَضَّاخَة الذِّفْرَى إذا عَرِقت عُرْضَتُها طامسُ الأعلام مجهولُ (٤)
ترمى الغيوبَ بعَيْنَى مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذا توقدت الحِزَّانُ والمِيـــلُ (٥)
ضخمٌ مُقلّدها فَعْمٌ مُقَيَّـــدها فى خَلْقها عن بنات الفَحْلِ تفضيلُ (٦)
حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ وعمُّها خالُهـــا قَوداء شِمْليلُ (٧)
يَمْشِى القُرَادُ عليهـــا ثم يُزْلِقه منها لَبـــانٌ وأقرابٌ زَهاليلُ (٨)

---

(١) الخلة : الصحبة . وسيط : خلط .

(٢) ابن هشام : وما إخال لدينا منك تنويل .

(٣) العذافرة : العظيم الشديد من الإبل. والأين : التعب. والإرقال : الإسراع . والتبغيل : ضرب من سير الإبل .

(٤) النضاخة : الغزيرة . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجْهتها . وطامس الأعلام : المتغير الذى لايهتدى فيه .

(٥) اللهق : الثور الأبيض والحزان : جمع حزيز وهو المكان الغليظ المنقاد. والميل : ما اتسع من الأرض

(٦) المقلد : موضع القلادة من العنق . والفعم : الممتلىء .

(٧) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والقوداء : الشديدة العنق . والشمليل : السريعة .

(٨) القراد : دويبـة . واللبان : الصدر . والأقراب : جمع قرب وهو الخاصرة . والزهاليل : جمع زهلول وهو الأملس

عَيْرانة قُذِفت بالنَّحْض عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عن بنات الزَّوْرِ مَفْتولُ(١)

قَنْواءُ فى حُرَّتَيْها للبصير بها ... عِتْقٌ مُبينٌ وفى الخدَّين تَسْهيلُ(٢)

كأنما فات عينيها ومَذْبَحها ... من خَطْمها ومن اللَّحْيَيْن بِرْطيلُ(٣)

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيب النَّخْل ذا خُصَل ... فى غارزٍ لم تَخَوَّنْه الأَحاليـلُ(٤)

تَهْوِى على يَسَراتٍ وهى لاهيةٌ ... ذوابلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تحليلُ(٥)

يوماً يَظَلُّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِداً ... كأن ضاحِيَه بالشمس مَحْلولُ(٦)

وقال لِلقوم حادِيهم وقد جَعلت ... وُرْقُ الجنادبِ يرْكُضْن الحصا قِيلوا(٧)

أَوْبُ يَدَىْ فاقدٍ شَمْطاءَ مُعْوِلةٍ ... قامت فجاوبَها نُـكْدٌ مثاكيلُ(٨)

نَوَّاحةٌ رَخْوة الضَّبعين ليس لها ... لمّا نَعى بِكْرها الناعون مَعْقولُ(٩)

تَفْرِى اللبانَ بكفَّيْها ومِدْرَعُها ... مُشَقَّقٌ عن تَراقيها رَعابيلُ(١٠)

تَسْعى الغُواةُ جَنابَيْها وقولُهم ... إنك يابن أبى سُلْمى لَمقتولُ(١١)

وقال كلُّ صَـدِيق كنت آمُلُه ... لا أُلْهِيَنَّـك إنى عنـك مشغولُ

---

(١) العيرانة من الإبل ، الناجية فى نشاط . والنحض : اللحم المكتنز . والعرض : الجانب .

(٢) القنواء : المرتفعة الأنف ، وهو عيب فى الفرس .

(٣) البرطيل : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرحى . وهو المعول أيضا

(٤) عسيب النخل : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . والغارز : الضرع . وتخونه : تنقصه . والأحاليل : جمع إحليل وهو مخرج اللبن .

(٥) ابن هشام : تخدى . اليسرات : الخفاف السهلة . والتحليل : الجرى . حل : عدا .

(٦) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها . والمصطخد : المحترق من حرارة الشمس . والضاحى : مابرز منه للشمس . والمحلول : المذاب .

(٧) الجنادب : الجراد . والورق : التى يضرب لونها إلى السواد .

(٨) الأوب : رجع القوائم فى السير . والشمطاء : التى خالطها الشيب . والمعولة : الصائحة بالبكاء والنكد : جمع نكداء وهى التى لايبقى لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكالة وهى التى لزمها الثكل .

(٩) الرخوة : المسترخية والضبع : العضد .

(١٠) اللبان : الصدر . والمدرع : القميص . والرعابيل : الممزق ..

(١١) جنابيها : حولها

فقلت خَلُّوا سبيلى لا أبا لكُمُ ... فكل ماقَدَّر الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامتُه ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ
نُبِّئت أن رسولَ الله أوْعدَني ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ
مهلاً هداكَ الذى أعطاكَ نافلةَ الـ ... قرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تَأْخُذَنِّى بأقوال الوشَاة ولم ... أُذنب ولو كَثُرتْ فيَّ الأقاويلُ
لقد أقومُ مقاماً لو يقوم به ... أَرى وأسمع مالو يَسْمعُ الفيلُ
لظَلَّ يُرْعدُ إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن الله تَنْويلُ (١)
حتى وضعتُ يمينى ماأُنازعها ... فى كفِّ ذى نَقَماتٍ قولُه القِيلُ
فَلَهو أَخْوف عندى إذ أكلّمه ... وقيل إنك منسوبٌ ومسئولُ
من ضَيْغمٍ بضراء الأرض مُخْدَره ... فى بطن عَثَّر غِيلٌ دونه غِيلُ (٢)
يغدو فيُلْحِم ضِرْغامين عيشُهما ... لحمٌ من الناس مَعْفورٌ خَراديلُ (٣)
إذا يُسَاوِر قِرْنا لايَحِلُّ له ... أن يَتْركَ القِرْنَ إلا وهو مَفْلولُ
منه تظلُّ حَمِير الوحش نافرةً ... ولا تمشَّى بواديه الأَراجيلُ (٤)
ولا يزال بِواديه أخو ثقةٍ ... مُضرَّجَ البزِّ والدُّرْسَان مأكولُ (٥)
إن الرسول لَنورٌ يُسْتضاء به ... مُهنَّدٌ من سيوف الله مَسْلولُ
فى عُصْبة من قريش قال قائلُهم ... ببطن مكة لما أسلموا زُولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشفٌ ... عند اللقاء ولا مِيلٌ معَازيلُ (٦)

---

(١) الأصل : اظل يرعد من وجد موارده من الرسول ، وما أثبته عن ابن هشام
(٢) الضراء : الأرض المستوية .
(٣) المعفور : الملقى فى التراب . والخراديل : القطع الصغار .
(٤) الأراجيل : جماعات الرجال .
(٥) البز : السلاح . والدرسان : الثياب الخلقة .
(٦) الأنكاس : جمع نكس وهو الجبان . والمعازيل : الذين لاسلاح معهم .

يَمْشون مشى الجمال الزُّهْر يَعْصمهم ... ضربٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ(١)

شُمُّ العَرانين أبطالٌ لَبُوسهمُ ... من نَسْج داود فى الهَيْجَا سرَابيلُ

بِيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لهـا حَلَقٌ ... كأنها حلَقُ القَفْعاء مجْدولُ(٢)

ليسوا مفاريح إن نالت رماحُهمُ ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نِيلُوا

لا يَقع الطعنُ إلا فى نُحورهمُ ... ولا لهمْ عن حِيَاض الموت تهليلُ

قال ابن هشام : هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد متصل، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدى بهمذان ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزَامى ، حدثنا الحجاج بن ذى الرُّقَيبة بن عبد الرحمن ابن كعب بن زهير بن أبى سلمى ، عن أبيه ، عن جده قال : خرج كعب وبُجَير ابنا زُهَير حتى أتيا أبْرَق العَزَّاف ، فقال بُجير لكعب : اثبت فى هذا المكان حتى آتى هذا الرجل – يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فأسمع مايقول : فثبت كعب، وخرج بجير فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغَا عنى بُجيراً رسالةً ... على أى شىء وَيْبَ غيرك دَلَّكا

على خُلُق لم تَلفَ أمًّا ولا أباً ... عليه ولم تُدرك عليه أخاً لكا

سَقَاك أبو بكر بكأسٍ رويةٍ ... وأنهلَك المأمونُ منها وعَلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمه وقال : « من لَقِىَ كعباً فليقتله » .

فكتب بذلك بُجَير إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه ويقول له : النَّجَاء وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله صلى الله

(١) عرد : هرب . والتنابيل : القصار .
(٢) القفعاء : ضرب من الحسك تشبه به حلق الدر

عليه وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبِل ذلك منه وأسقَط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابى هذا فأسْلِم وأقبل .

قال : فأسلم كعب وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلتَه بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلِّقون معه حلقة خافَ حلقةً ، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم .

قال كعب : فأنختُ راحلتى بباب المسجد فعرفتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصِّفة حتى جلست إليه فأسلمتُ وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يارسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قال : كعب بن زهير . قال : « الذى يقول» ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سَقَاكَ بها المأمونُ كأساً رويةً ... وأَنْهلك المأمورُ منها وعلَّكا

قال : يارسول الله ماقلت هكذا قال : « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سَقاكَ بها المأمونُ كأساً رويةً ... وأَنهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة :

بانت سعادُ فقلبى اليوم مَتبُولُ ... مُتَيَّم عندَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

وقد تقدم ماذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشادُ ابن إسحاق والبيهقى رحمهما الله عز وجل وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إنّ الرسول لَنورٌ يُسْتضاء به ... مهنَّدٌ من سيوف الله مَسلولُ

نُبِّئت أن رسول الله أَوْعدنى ... والعفوُ عند رسول الله مأمولُ

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة فى مغازيه . ولله الحمد والمنة .

قلت : وردَ فى بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بُرْدته حين أنشده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصَّرْصرى فى بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير فى الغابة ، قال : وهى البردة التى عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك فى شىء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه . فالله أعلم .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ، لما قال بانت سعاد : ومن سعاد ؟ قال : زَوْجَتى يارسول الله . قال : لم تَبِنْ .

ولكن لم يصح ذلك . وكأنه على ذلك توهَّم أن بإسلامه تَبِين امرأته ، والظاهر أنه إنما أراد البَيْنونة الحسِّية لا الحكْمية . والله تعالى أعلم .

***

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب ـ يعنى فى قصيدته ـ « إذا عرَّد السودُ التنَّابيل » وإنما يريدنا معشر الأنصار لمَا كان صاحبنا صَنع به ، وخص المهاجرين من قريش بمدْحته ، غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليُمن :

من سَرَّه كرمُ الحياة فلا يَزلْ ... فى مِقْنَبٍ من صالِحى الأنصارِ[1]

ورثوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ ... إنّ الخيارَ همُ بنو الأخيارِ

المكْرِهين السَّمْهرىَّ بأذرع ... كسَوالفِ الهندىِّ غير قِصارِ

(١) المقنب : الجماعة من الخيل .

والنـــاظرين بأعينٍ مُحمرَّةٍ كالجمر غير كليـلة الإبصـــارِ
والبائعين نفوسَهم لنبيِّهم لِلموت يومَ تَعانُقٍ وكِرارِ
يتطهَّرون يرونه نُسُكا لهم بدماء من عَلِقوا من الـكفارِ
دَرِبوا كما دَرِبت بطونُ خَفيةٍ غُلْب الرقاب من الأسود ضَوارِى
وإذا حَلَلتَ ليمنعوك إليهمُ أصبحتَ عندَ مَعاقل الأعفارِ (١)
ضَربوا عليًّا يوم بدرٍ ضربةً دانت لِوقعتها جميعُ نزارِ
لو يَعلم الأقوامُ عِلمى كلَّه فيهم لصدَّقنى الذين أُمارِى
قومٌ إذا خَوت النجومُ فإنهم للطارقين النازلين مَقـــارِى

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده بانت سعاد : « لولا ذكرتَ الأنصـار بخير فإنهم لذلك أهل ؟ » فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له .

قال : وبلغنى عن على بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد : بانت سعاد فقلبى اليوم مَتبول .

وقد رواه الحافظ البيهقى بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنى معْن بن عيسى ، حدثنى محمد بن عبد الرحمن الأفطس ، عن ابن جدعان . فذكره وهو مرسل .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمـه الله فى كتاب « الاستيعاب فى معرفـة الأصحاب » بعد ما أورد طَرفًا من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوِّداً كثير الشعر مقدَّماً فى طبقتـه هو وأخوه بُجَير ، وكعبٌ أشْعرهما ، وأبوهما زهير فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعْجبُ من شىء لأعجبنى سَعْىُ الفتى وهو مَخْبوءٌ له القَدَرُ

---

(١) الأعفار : جمع عفر وهو ولد الوعل

يسعى الفتى لأمورٍ ليس يُدْرِكها فالنفسُ واحـــدة والهمُّ مُنتشرُ
والمرء ماعاش ممدودٌ له أملٌ لا تنتهى العينُ حتى ينتهى الأثرُ

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها، ولم يؤرخ وفاته، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير فى كتاب الغابة فى معرفة الصحابة، ولـكن حكى أن أباه توفى قبل المبعَث بسنة. فالله أعلم.

وقال السهيلى: ومما أجاد فيه كعب بن زهـير قوله يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تَجْرى به الناقةُ الأدْماء معتجراً بالبُرد كالبدرِ جَلَّى ليلةَ الظُّلَمِ
ففى عِطَافَيْه أو أثناء بُرْدته مايَعلم الله من دِينٍ ومن كرمِ

فصــل

فيما كان من الحوادث المشهورة فى سنة ثمان والوفيات

فـكان فى جمادى منها وقعة مؤتة ، وفى رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها فى شوال غزوة هَوازن بحنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجِعْرانة فى ذى القعدة ، ثم عاد إلى المدينة فى بقية السنة .

قال الواقدى : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينـة لليال بقين من ذى الحجة فى سَفْرته هذه .

قال الواقدى : وفى هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابنى الجُلُنْدى من الأَزْدِ ، وأُخـذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب .

قال : وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك بن سفيـان الـكلابى فى ذى القعدة ، فاستعاذت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيَّرها فاختارت الدنيا ففارقها .

قال : وفى ذى الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية ، فاشتدت غَيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابِلَتُها فيه سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى أبى رافع فأخبرته فذهب فبشَّر به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه مملوكا ، ودفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بَرَّة بنت المنذر بن أسيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنْمْ بن عـدى بن النجار وزوجها البَراء بن أوس بن خالد بن الجَعْد بن عوف بن مَبْذول .

وكانت فيها وفاةُ من ذكرنا من الشهداء فى هذه الوقائع .

وقد قدَّمنا هدمَ خالد بن الوليد البيتَ الذى كانت العُزَّى تُعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لخمس بقين من رمضان منها .

قال الواقدى : وفيها كان هَدْم سُوَاع الذى كانت تَعبـده هُذَيل برهَاط ، هدَمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد فى خزانته شيئاً ، وفيها هُدم مناَة بالمشلل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظِّمونه ، هدمه سعد بن زيد الأَشْهلى رضى الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا فى تفسير سورة النجم عند قوله تعـالى : « أفرأيتم اللاتَ والعُزى ومنَاة الثالثةَ الأخرى » .

قلت : وقد ذكر البخارى بعد فتح مكة قصة تخريب خَثْعم البيتَ الذى كانت تعبده ويسمونه الـكعبة اليمانية مضاهيةً للـكعبة التى بمكة ، ويسمون التى بمكة الـكعبة الشامية وتلك الـكعبة اليمانية ، فقال البخارى : حـدثنا يوسف بن موسى ، حدثنـا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس ، عن جرير قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تُريحنى من ذى الخلَصة ؟ » فقلت : بلى .

فانطلقتُ فى خمسين ومائة فارس من أَحْمَس ، وكانوا أصحـاب خيل ، وكنت لاأَثْبتُ على الخيل ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضرب يده فى صدرى حتى رأيت أثرَ يده فى صدرى وقال : « اللهم ثَبِّته واجعله هادياً مَهْديا » قال : فما وقعتُ عن فرس بعـدُ .

قال : وكان ذو الخلَصة بيتـاً باليمن لخثعم وبَجِيلة فيه نُصُب تُعبد يقال له الـكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرقها فى النار وكسرها .

قال : فلما قدِم جرير اليمنَ كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقيل له : إن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم هاهنا فإن قدِر عليك ضَرب عنقك ، قال : فبينما هو يَضْرب بها إذ

وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك . فكسرها وشهد .

ثم بعث جرير رجلا من أَحْمَس يكنى أَرْطاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بذلك . قال : فلما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله والذى بعثك بالحق ماجئتُ حتى تركتها كأنها جمل أجرب . قال : فبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

ورواه مسلم من طرق متعددة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله البجَلى بنحوه .

« وإلى هنا ينتهى الجزء الثالث من السيرة النبوية لابن كثير
ويتلوه الجزء الرابع وأوله ذكر غزوة تبوك »

فهرس الموضوعات

فهرس القوافى

(اللام)

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣٧	٦	نزرتَ
٣٤٧	٤	عن أبى عبيد [ويروى نَشأ بها مثله . قال السهيلى ويروى : قلَّ عربى مشابها[1]] مثله ، ويكون منصوبا الخ .
٣٤٩	١٢	بعد : تفرَّد به البخارى دون مسلم : وردت فى ا هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلى : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحى والمعاول وهى من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميساً ، لأن له ساقةً ومقدِّمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعى » اه .
٣٥٠	١٦	زقاق
٣٩٤	١٧	شِرَاكان
٣٨١	هامش (١)	قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربيا » وقال الأزهرى : هو لغة يمانية لم تفشُ فى كلام مَعدّ. وقال فى القاموس : « وهم بَبَّان واحد وعلى بيان ، ويخفف ، أى طريقة واحدة » وقال فى النهاية : أى أتركهم شيئا واحدا .
٤٢١	١٠	ولو كان ربيئة لتحرك .

(١) سقطت فى الطبع .

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣٧	٦	نزرتَ
٣٤٧	٤	عن أبى عبيد [ويروى نَشأ بها مثله . قال السهيلى ويروى : قلَّ عربى مشابها[1]] مثله ، ويكون منصوبا الخ .
٣٤٩	١٢	بعد : تفرّد به البخارى دون مسلم : وردت فى ا هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلى : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحى والمعاول وهى من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميساً ، لأن له ساقةً ومقدِّمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعى » اهـ .
٣٥٠	١٦	زقاق
٣٩٤	١٧	شِراً كان
٣٨١	هامش (١)	قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربيا » وقال الأزهرى : هو لغة يمانية لم تفشُ فى كلام معدّ. وقال فى القاموس : « وهم ببَّان واحد وعلى ببان ، ويخفف ، أى طريقة واحدة » وقال فى النهاية : أى أتركهم شيئا واحدا .
٤٢١	١٠	لو كان ربيئة لتحرك .

(١) سقطت فى الطبع .

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الرابع

١٣٩٥ هـ = ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة تسع من الهجرة

ذكر غزوة تبوك فى رجب منهـــا

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجَسٌ فلا يَقربوا المسجدَ الحرام بعدَ عامِهم هذا ، وإن خِفتم عَيلةً فسوفَ يُغْنيكم الله من فَضْله إن شاء إن الله عليم حكيم ، قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسولُه ولا يَدِينون دِينَ الحق من الذين أُوتوا الكتابَ حتى يُعْطُوا الجزْيةَ عن يدٍ وهم صاغرون » .

روى عن ابن عباس ومجاهد وعِكْرمة وسعيد بن جُبَير وقَتادة والضحاك وغيرهم : أنه لما أمَر الله تعالى أن يُمنع المشركون(1) من قُرْبان المسجد الحرام فى الحج وغيره ، قالت قريش : لَتنقطعن عنا المتاجرُ والأسواق أيامَ الحج وليذهبنّ ما كنا نُصيب منهـا . فعوّضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم، لأنهم أقربُ الناس إليه وأَوْلى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله . وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذين يَلُونكم من الكفار ولْيَجِدوا فيكم غِلْظة واعلموا أن الله مع المتقين »(2) .

فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزو الروم عام تبوك وكان ذلك فى حَرّ

---

(1) ا : يمنع المشركين . (2) سورة التوبة ١٢٣ .

شديد وضِيق من الحال ، جَلَّى للناس أمرَها ودعا مَن حَوْله من أحياء الأعراب للخروج معه فأوعب معه بشرٌ كثير . كما سيأتى . قريبا من ثلاثين ألفا ، وتخلَّف آخرون ، فعاتب الله من تخلَّف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصِّرين ، ولامَهم ووبَّخهم وقرَّعهم أشدَّ التقريع وفضَحهم أشد الفضيحة وأنزل فيهم قرآنا يتْلى ، وبيَّن أمرهم فى سورة براءة ، كما قد بينا ذلك مبسوطا فى التفسير . وأمَر المؤمنين بالنَّفْر على كل حال ، فقال تعالى : « انفروا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ، لو كان عَرَضاً قريباً وسَفَراً قاصداً لاتَّبعوك ، ولكن بَعُدت عليهم الشُّقَّة وسَيحْلفون بالله لو استطعنا لَخرجنا معكم ، يُهْلكون أنفسَهم والله يعلم إنهم لكاذبون » ثم الآيات بعدها .

ثم قال تعالى : « وما كان المؤمنون لِيَنْفروا كافَّةً فلولا نفَر من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهوا فى الدِّين ولِيُنْذروا قومَهم إذا رَجعوا إليهم لعلهم يَحْذرون » فقيل إن هذه ناسخة لتلك وقيل لا . فالله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين ذى الحجة إلى رجب – يعنى من سنة تسع – ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم .

فذكر الزهرى(١) ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قَتادة وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ يحدِّث عن غزوة تبوك مابلَغه عنها ، وبعض القوم يحدِّث مالم يحدث بعضٌ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابَه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان عُسْرة من الناس وشدة من الحر وجَدْب من البلاد وحين طابت الثِّمارُ ، فالناس

(١) ابن هشام : وقد ذكر لنا الزهرى .

يحبون المقـام فى ثمـارهم وظِلالهم ويكرهون الشُّخوصَ فى الحـال[1] من الزمان الذى هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّما يخرج فى غزوة إلا كَنَى عنها ، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بيَّنها للناس لبُعْد الشُّقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يَصْمد إليه ليتأهب الناس لذلك أُهْبته ، فأمرهم[2] بالجهاز[3] وأخبرهم أنه يريد الروم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بنى سلمة : « ياجَدّ هل لك العـامَ فى جِلَاد بنى الأصفر ؟ » فقال : يارسول الله أوتأذن لى ولا تَفْتِنّى ، فوالله لقد عرف قومى أنه ما رجلٌ بأشد عُجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر ألا أَصْبر .

فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « قد أذِنتُ لك » ففى الجدْ أنزل الله هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تَفْتِنّى ألا فى الفتنة سَقطوا وإن جهنم لمحيطةٌ بالـكافرين »

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تَنفروا فى الحر زهادةً فى الجهاد وشكاً فى الحق وإرجافاً بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله فيهم : « وقالوا لا تَنفروا فى الحرِّ قُلْ نارُ جهنمَ أشدُّ حَرًّا لو كانوا يَفقهون ، فَلْيَضحكوا قَليلاً ولْيبكوا كثيراً جَزاءً بما كانوا يَـكْسبون » .

قال ابن هشام : حدثنى الثقةُ عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه عن جده قال : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيلم اليهودى ـ وكان بيته عند

---

(١) ابن هشام : على الحال . (٢) ا : فأمر .

(٣) الأصل : بالجهاد . وما أثبته عن ابن هشام .

جاسُوم — يثبِّطون الناسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحةَ بن عبيد الله فى نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة فاقتحم الضحاكُ بن خليفة من ظَهر البيت فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضحاك فى ذلك :

كادَتْ وبيتِ الله نارُ محمد يَشيطُ بها الضحاكُ وابن أُبَيْرقِ
وظَلْتُ وقدطبّقتُ كِبْسَ سُويلمٍ أنوء على رجل كسيراً ومِرْفقِ (١)
سلامٌ عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن تَشمل به النارُ يُحْرَقِ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ فى سفره وأمر الناسَ بالجهاز والانكماش (٢) ، وحضَّ أهلَ الغنى على النفقة والُحمْلان فى سبيل الله ، فحَمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان نفقةً عظيمة لم ينفق أحد مثلها .

قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به أن عثمان أنفق فى جيش العُسْرة فى غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارضَ عن عثمان فإنى عنه راضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضَمرة بن شَوْذَب ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثَّة مولى عبد الرحمن بن سمرة ، قال : جاء عثمان بن عفان إلى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار فى ثوبه حين جهز النبى صلى الله عليه وسلم جيشَ العُسْرة . قال : فصبَّها فى حِجر النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول : « ما ضرَّ ابنَ عفان ماعمل بعدَ اليوم ! » .

(١) الكبس : بيت من طين
(٢) الانكماش : الإسراع

ورواه الترمذى عن محمد بن إسماعيل، عن الحسن بن واقع، عن ضمرة به. وقال: حسن غريب.

وقال عبدالله بن أحمد فى مسند أبيه. حدثنى أبو موسى العَنَزى، حدثنا عبدالصمد بن عبد الوارث، حدثنى سكن بن المغيرة، حدثنى الوليد بن أبى هشام، عن فَرْقد أبى طلحة، عن عبد الرحمن بن خَبّاب السُّلمى، قال: خطب النبى صلى الله عليه وسلم فحثّ على جيش العُسْرة، فقال عثمان بن عفان: علىّ مائةُ بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثّ فقال عثمان: علىّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب: «ماعلَى عثمان ماعمل بعدَ هذا».

وهكذا رواه الترمذى عن محمد بن بَشّار، عن أبى داود الطّيالسى، عن سَكن بن المغيرة أبى محمد مولًى لآل عثمان به. وقال: غريبٌ من هذا الوجه.

ورواه البيهقى من طريق عمرو بن مرزوق، عن سكن بن المغيرة به. وقال: ثلاث مرات. وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحْلاسها وأقتابها.

قال عبد الرحمن: فأنا شهدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: «ماضرَّ عثمانَ بعدها — أو قال — بعد اليوم».

وقال أبو داود الطيالسى: حدثنا أبو عَوانة، عن حُصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن جاوان، عن الأحنف بن قيس، قال: سمعت عثمان بن عفان يقول لسعد ابن أبى وقاص وعلىٍ والزبير وطلحة: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من جهّز جيش العسرة غفر الله له» فجهزتهم حتى مايَفقدون خِطاماً ولا عِقالا؟ قالوا: اللهم نعم.

ورواه النسائى من حديث حصين به.

فصـــــل

فيمن تخلَّف معذوراً من البكَّائين وغيرهم

قال الله تعـالى : « وإذا أُنزلت سُورةٌ أنْ آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله استأذَنك أولوا الطَّولِ منهم وقالوا ذَرْنا نَـكُنْ مع القاعدين . رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالفِ وطُبع على قلوبهم فهم لا يَفْقهون ، لـكن الرسول والذين آمنوا معه جاهَدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيراتُ وأولئك هم المفلحون ، أعدَّ الله لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيهـا ذلك الفَوزُ العظيم . وجاء المُعَذِّرون من الأعراب لِيُؤْذَن لهم وقَعد الذين كذَبوا الله ورسوله، سيُصيب الذين كفروا منهم عذابٌ أليم ، ليس على الضُّعفاء ولا على المرْضَى ولا على الذين لا يَجدون ما ينفقون حَرجٌ إذا نصَحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوكَ لِتحْمِلَهم قلتَ لاأجدُ ما أَحْملـكم عليه تولَّوا وأعينهم تفيضُ من الدَّمع حَزناً ألَّا يجدوا ماينفقون ، إنمـا السبيلُ على الذين يستأذنونك وهم أغنيـاء رَضُوا بأن يكونوا مع الخَوالف وَطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون(١) » .

قد تـكلمنا على تفسير هذا كله فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

والمقصود ذِكْر البَـكَّائين الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَحملهم حتى يَصْحبوه فى غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظَّهر ما يَحْملهم عليـــه ، فرجعوا وهم يبكون ، تأسفا على ما فاتهم من الجهاد فى سبيل الله والنفقة فيه .

* * *

(١) سورة براءة ٨٦ ـ ٩٣ .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم .

فمن بني عمرو بن عوف : سالم بن عُمَير ، وعُلْبَة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن الُحمَام بن الجَمُوح أخو بنى سلِمَة ، وعبد الله بن المغفَّل المزَنى ،وبعض الناس يقولون : بل هو عبدالله بن عمرو المزنى وهَرمى[1] بن عبدالله أخو بنى واقف ، وعِرْباض بن سارية الفَزارى .

قال ابن إسحاق : فبلَغنى أن ابن يامين بن عُمَير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى وعبدالله ابن مُغفَّل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليَحْملنا فلم نجد عنده مايحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضِحاً له فارتحلاه وزوَّدهما شيئا من تمر فخرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

زاد يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق : وأما عُلْبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرتَ بالجهاد ورغَّبت فيه ، ثم لم تجعل عندى ماأتقوَّى به ، ولم تجعل فى يد رسولك مايَحْملنى عليه ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مَظْلَمَة أصابنى فيها فى مال أو جسد أو عِرض .

ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين المتصدِّق هذه الليلة ؟ » فلم يقم أحد ، ثم قال : « أين المتصدق فليقم » فقام إليه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبْشِر فو الذى نفسى بيده لقد كُتبت فى الزكاة المتقبَّلة ! » .

* * *

وقد أورد الحافظ البيهقى هاهنا حديث أبى موسى الأشعرى فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الحميد المازنى ، حدثنا أبو أسامة ، عن بُرَيد ، عن أبى بُرْدَة ، عن أبى موسى قال : أرسلنى أصحابى إلى رسول الله

(١) فى شرح المواهب ٣/٦٧ : وحرمى . بفتح المهملة .

صلى الله عليه وسلم أسأله لهم الحُمْلانَ إذ هم معه فى جيش العسرة [وهو فى(١)] غزوة تبوك، فقلت : يانبى الله إن أصحابى أرسلونى إليك لتَحْملهم. فقال: « والله لا أَحْملكم على شىء » ووافقتُه وهو غضبان ولا أشعر .

فرجعت حزينا مِن مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد فى نفسه علىَّ ، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم بالذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ألبث إلا سُوَيعة إذ سمعت بلالاً ينادى : أين عبدالله بن قيس ؟ فأجبته فقال : أجب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يدعوك . فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خذ هذين القَرِينين (٢) وهذين القرينين وهذين القرينين » لستة أبْعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فقال : « انطلق بهن إلى أصحابك فقل : إن الله أو إن رسول الله يَحْملكم على هؤلاء » .

فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملكم على هؤلاء ، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معى بعضُكم إلى من سمع مقالة رسول الله حين سألته لكم ومَنْعه لى فى أول مرة ثم إعطائه إياى بعد ذلك ، لا تظنوا أنى حدَّثتكم شيئا لم يَقُلْه . فقالوا لى : والله إنك عندنا لمصدَّق ولنفعلن ما أحببتَ .

قال : فانطلق أبو موسى بنفر منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن مَنْعه إياهم ثم إعطائه بعدُ فحدَّثوهم بما حدثهم به أبو موسى سواء .

وأخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كُرَيب ، عن أبى أسامة .

وفى رواية لهما عن أبى موسى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رَهْط من الأشعريين ليحْملنا فقال : « والله لاأحملكم وماعندى ماأحملكم عليه » .

قال : ثم جىء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنَهْب إبل، فأمر لنا بست ذَوْد غُرِّ الذُّرَى(٣) فأخذناها ثم قلنا : تَغفَّلْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يمينَه والله لا يُبارَك لنا .

---

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) القرينان : البعيران المشدود أحدهما إلى الآخر . أو النظيران المتساويان . وفى ا : القرنين .

(٣) غر الذرى : صغيرة السنام .

فرجعنا فقلنا له فقال : « ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم » ثم قال : « إنى والله إن شاء الله لاأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيتُ الذى هو خيرٌ وتحللتُها » .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم الغَيبة [1] حتى تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شك ولا ارتياب .

منهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة ، ومَرارة بن ربيع أخو بنى عمرو ابن عوف ، وهلال بن أمية أخو بنى واقف ، وأبو خَيثمة أخو بنى سالم بن عوف ، وكانوا نفر صِدْق لا يُتَّهمون فى إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتى قصتهم مبسوطة قريبا إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنوا أنْ لامَلْجأ من الله إلا إليه » .

وأما أبو خيثمة فإنه عاد وعزم على اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى .

فصــــل

قال يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق : ثم استتبَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سَفره وأجمع السَّير ، فلما خرج يوم الخميس ضَرب عسكره على ثَنيَّة الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس ، وضرب عبدُ الله بن أبىّ عدو الله عسكره أسفلَ منه — وما

(١) ابن هشام : النية .

كان فيما يزعمون بأقل العَسكرين .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلَّف عنه عبدالله بن أبىّ فى طائفة من المنافقين وأهل الرَّيْب .

قال ابن هشام : واستخلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مَسْلمة الأنصارى قال : وذكر الدَّراوَرْدى أنه استخلف عليها عام تبوك سِبَاع بن عُرْفطة .

قال ابن إسحاق : وخلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب على أهله وأَمَره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ماخلَّفه إلا استثقالًا له وتخففا منه .

فلما قالوا ذلك أخذ علىٌّ سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف فأخبره بما قالوا ، فقال : « كذَبوا ولكنى خلَّفتك لمَا تركتُ ورائى ، فارجع فاخلُفْنى فى أهلى وأهلك . أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبىَّ بعدى » .

فرجع علىٌّ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَفره .

ثم قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلىٍّ هذه المقالة .

وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطَّيالسىّ فى مسنده : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مُصْعَب بن سعد ، عن أبيه قال : خلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب فى غزوة تبوك ، فقال : يارسول الله أتخلِّفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال : « أمَا ترضى أن تكون

منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبي بعدى » .

وأخرجاه من طرق عن شعبة نحوه . وعلَّقه البخارى أيضا من طريق أبى داود عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعل ، عن بُكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له — وخلَّفه فى بعض مغازيه فقال على : يارسول الله تخلِّفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ياعلى أمَا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدى » .

ورواه مسلم والترمذى عن قتيبة . زاد مسلم ومحمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا خَيثمة رجع بعد ما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عَرِيشين لهما فى حائطه ، قد رشَّت كل واحدة منهما عريشَها وبرَّدت فيه ماء وهيأت له فيه طعاما .

فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صَنعتا له ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضّح(١) والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظلٍّ بارد وطعام مُهَيَّأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم ! ماهذا بالنَّصَف. والله لاأدخل عريشَ واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيِّئا زاداً . ففعلتا .

ثم قدَّم ناضحَه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

وقد كان أدرك أبا خيثمة عُميرُ بن وهب الجمحى فى الطريق يطلب رسولَ الله صلى الله

(١) الضح : الشمس.

عليه وسلم فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تخلّف عنى حتى آتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ففعل .

حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مُقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أبا خيثمة » فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خثيمة .

فلما بلَغ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أَوْلَى لك يا أبا خيثمة ! » ثم أخبر رسول الله الخبر فقال خيراً ودعا له بخير .

وقد ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قصة أبى خيثمة بنحو من سياق محمد بن إسحاق وأبْسط ، وذكر أن خروجه عليه السلام إلى تبوك كان فى زمن الخريف فالله أعلم.

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة ، واسمه مالك بن قيس فى ذلك :

لما رأيتُ الناس فى الدِّين نافقَوا ... أتيتُ التى كانت أعفَّ وأَكْرَما
وبايعتُ باليمنى يدِى لمحمدٍ ... فلم أَكتسبْ إثماً ولم أغشَ مَحْرَماَ
تركتُ خَضيباً فى العريش وصِرْمةً ... صَفايا كِراما بُسْرهـا قد تحمَّماَ[1]
وكنت إذا شكَّ المنافق أسمحتْ ... إلى الدين نفسى شَطْره حيث يَمَّماَ

* * *

وقال يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيدة ، عن سفيان[2] ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال الرجلُ يتخلف فيقولون : يا رسول الله تخلَّف فلان .

---

(١) الخضيب : المرأة المخضوبة . والصرمة : القطعة من الإبل ، وهو يريد هنا : الطائفة من النخل . والصفايا : الكثيرة الثمر . وتحمم : أخذ فى الإرطاب فتلون بالسواد . (٢) ا : بريدة بن سفيان .

فيقول : « دَعُوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلْحِقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » .

حتى قيل : يا رسول الله تخلَّف أبو ذر وأبطأ به بعيره . فقال : « دعوه إن يك فيه خير فسيُلْحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » .

فتلوَّم[1] أبو ذر بعيرَه ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله فى بعض منازله ونظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أبا ذر » فلما تأمَّله القوم قالوا : يارسول الله هو والله أبو ذر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أبا ذر ! يمشى وحدَه ويموت وحده ويُبعث وحده » .

قال فضرب [الدهر[2]] ضَرْبه ، وسُيِّر أبو ذر إلى الرَّبْذة ، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال : إذا متُّ فاغسلانى وكفِّنانى من الليل ، ثم ضعانى على قارعة الطريق فأولُ ركب يمرون بكم فقولوا : هذا أبو ذر .

فلما مات فعلوا به كذلك ، فاطَّلع ركبٌ فما علموا به حتى كانت ركابهم تطأ سريره ، فإذا ابن مسعود فى رهط من أهل الكوفة فقال : ماهذا ؟ فقيل : جنازة أبى ذر فاستهلَّ ابن مسعود يبكى وقال : صدَق رسول الله : « يرحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ويموت وحده ويُبعث وحده ! » فنزل فوَليَه بنفسه حتى أجنَّه .

إسناده حسن ولم يخرجوه .

* * *

(١) تلوم : انتظر .

(٢) بياض بالأصل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، أخبرنا عبدالله بن محمد بن عَقيل في قوله : « الذين اتَّبعوه في ساعة العُسْرة » . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجلان والثلاثة على بعير واحد ، وخرجوا في حر شديد فأصابهم في يوم عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرة في النفقة وعسرة في الظَّهر[١] .

قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إنْ كان أحدُنا ليَذهب فيلتمس الرَّحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لَينحر بعيره فيَعْتصر فَرْثه فيشربه ثم يجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً فادع الله لنا . فقال : « أو تحب ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلَّت[٢] ثم سَكبتْ فملأوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت[٣] العسكر .

إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، عن رجال من قومه ، أن هذه القصة كانت وهم بالحِجْر وأنهم قالوا لرجل معهم منافق : ويحك هل بعد هذا من شيء ؟! فقال : سحابةٌ مارَّة !

وذكر أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلَّت فذهبوا في طلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمارة بن حزم الأنصاري ـ وكان عنده : « إن رجلا قال : هذا

---

(١) ا : من الظهر . (٢) قالت السماء : تهيأت للمطر . وأطلت : أمطرت مطراً خفيفاً .
(٣) ا : جازت به .

محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! وإنى والله لا أعلم إلا ما علَّمنى الله ، وقد دلَّنى الله عليها ، هى فى الوادى قد حبستها شجرةٌ بزمامها » .

فانطلقوا فجاءوا بها ، فرجع عمارة إلى رحله ، فحدثهم عما جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من خبر الرجل ، فقال رجل ممن كان فى رَحْل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللُّصَيت[1] . وكان فى رحل عمارة قبل أن يأتى ، فأقبل عمارة على زيد يَجأُ فى عنقه ويقول : إن فى رَحلى لَداهية وأنا لا أدرى ، اخرج عنى يا عدو الله فلا تصحبنى . فقال بعض الناس : إن زيداً تاب ، وقال بعضهم : لم يزل مُصرًّا[2] حتى هلك .

***

قال الحافظ البيهقى : وقد روينا من حديث ابن مسعود شبيهاً بقصة الراحلة .

ثم روى من حديث الأعمش وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش عن أبى صالح ، عن أبى هريرة أو عن أبى سعيد الخدرى ـ شك الأعمش ـ قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةٌ ، فقالوا : يارسول الله لو أذِنتَ لنا فننحر نَواضِحنا فأكلنا وادَّهنَّا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعلوا » .

فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلتَ قلَّ الظَّهر ، ولكن ادعهم بفَضْل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله : نعم . فدعا بنِطْع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجىء بكف ذُرَة ويجىء الآخر بكف من التمر ويجىء الآخر بكِسْرة ، حتى اجتمع على النِّطْع من ذلك شىء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم : « خذوا فى أوعيتكم » فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فَضْلة

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب . (٢) ح : متهما بشر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة » .

ورواه مسلم عن أبى كُرَيب ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش به . ورواه الإمام أحمد من حديث سهيل عن أبيه ، عن أبى هريرة ولم يذكر غزوة تبوك بل قال : كان فى غزوة غزاها .

ذكر مروره عليه السلام فى ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود وصَرختهم بالحِجْر

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناسُ من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من مياهها شيئا ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلِفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً » .

هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يَعْمر بن بشر ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا مَعمر عن الزهرى ، أخبرنى سالم بن عبد الله عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بالحِجْر قال : « لا تَدْخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أن يصيبكم ما أصابهم » وتقنّع بردائه وهو على الرَّحْل .

ورواه البخارى من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن مَعمر بإسناده نحوه .

وقال مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل أصابهم » .

ورواه البخارى من حديث [مالك ومن حديث[1]] سليمان بن بلال ، كلاهما عن عبد الله بن دينار . ورواه مسلم من وجه آخر عن عبد الله بن دينار نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر – هو ابن جُوَيرية – عن نافع ، عن ابن عمر قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس عامَ تبوكَ الحِجْر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناسُ من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود فعجنوا ونصبوا القُدور باللحم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلَفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذِّبوا [فقال] : « إنى أخشى أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم » .

وهذا الحديث إسناده على شرط الصحيحين من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس بن عياض ، عن أبى ضَمرة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

قال البخارى : وتابعه أسامة عن عبيد الله .

ورواه مسلم من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله عن نافع به .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعمر ، عن عبد الله بن عثمان ابن خُثَيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : لما مرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بالحِجْر

---

(١) سقطت من ا .

قال : « لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت تَرِد من هذا الفَجّ(١) وتَصْدر من هذا الفج ، فعتَوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها فأخذتهم صيحةٌ أهمدَ الله مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان فى حَرَم الله .

قيل : من هو يارسول الله ؟ قال : « هو أبو رِغَال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » .

إسناده صحيح ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعودى ، عن إسماعيل بن واسط ، عن محمد بن أبى كَبشة الأنمارى ، عن أبيه قال : لما كان فى غزوة تبوك تَسَارع الناسُ إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم ، فبلَغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنودى فى الناس : الصلاة جامعةٌ .

قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعيره وهو يقول : « ماتدخلون على قوم غضب الله عليهم ؟ » فناداه رجل : نَعْجَب منهم . قال : « أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وماهو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسدِّدوا فإن الله لا يَعْبأ بعذابكم شيئا ، وسيأتى قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا » .

إسناده حسن ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدى — أو عن العباس بن سعد الشك منِّى — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بالِحجْر ونزلها واستقى الناسُ من بئرها ، فلما راحوا

(١) ا : من هذا الوجه .

منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « لا تشربوا من مائها شيئا ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبلَ ولا تأكلوا منه شيئا ، ولايخرجن أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » .

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بنى ساعدة ، خرجَ أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مَذْهبه(١) ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقته بجبل طيِّئ ، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له » .

ثم دعا الذى أصيب على مذهبه فشُفى ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك .

وفى رواية زياد عن ابن إسحاق أن طَيئاً أهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن العباس بن سهل سمى له الرجلين ، لكنه استكتمه إياهما فلم يحدثنى بهما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب بن خالد ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعِدى ، عن أبى حُميد الساعِدى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك حتى جئنا وادى القُرَى ، فإذا امرأة فى حديقة لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « اخرصوا » فخَرص القوم وخرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرةَ أَوْسق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة: « أحصى مايخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » .

---

(١) خنق على مذهب : فى موضع قضاء الحاجة .

قال : نخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستهبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدة فلا يقومنّ فيها رجل ، فمن كان له بعير فليوثق عقاله » .

قال أبو حميد : فعقلناها ، فلما كان من الليل هبَّت علينا ريحٌ شديدة ، فقام فيها رجل فألقته فى جبل طيِّئ .

ثم جاء رسولَ الله مَلِكُ أيلة فأهدى لرسول الله بغلة بيضاء ، وكساه رسول الله بُرداً وكتب له يُجيرهم (١) .

ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادى القُرى فقال للمرأة : « كم جاءت حديقتُك ؟ » قالت : عشرة أوْسق . خَرْص رسول الله .

فقال رسول الله : « إنى متعجِّل ، فمن أحب منكم أن يتعجل فليفعل » قال: فخرج رسول الله وخرجنا معه ، حتى إذا أوفَى على المدينة قال : « هذه طابَة » . فلما رأى أحداً قال « هذا أُحد (٢) يحبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يارسول الله. قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بنى عبد الأشهل ، ثم دار بنى ساعدة ، ثم فى كل دور الأنصار خيرٌ » .

وأخرجه البخارى ومسلم من غير وجه عن عمرو بن يحيى به نحوه .

وقال الإمام مالك رحمه الله عن أبى الزبير (٣) ، عن أبى الطفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم عام تبوك ، فـكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، قال : فأخَّر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخـل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا ، ثم قال :

---

(١) الأصل : يخبرهم . وهو تحريف . وما أثبته عن ابن هشام
(٢) ح : هذا جبل .
(٣) ا : عن بنى الزبير . وهو تحريف .

« إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يُضحي ضُحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي » .

قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشِّراك [1] تَبِضُّ بشيء من ماء ، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل مَسَسْتما من مائها شيئا ؟ » ، قالا : نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شَنّ ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ماهاهنا قد ملئ جِناَنا » .

أخرجه مسلم من حديث مالك به .

ذكر خطبته عليه السلام إلى تبوك إلى نخلة هناك

روى الإمام أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وحجّاج ابن محمد ، ثلاثتهم عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن أبى الخطاب ، عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناسَ وهو مسندٌ ظهره إلى نخلة فقال :

« ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شرِّ الناس رجلا فاجراً جريئا يقرأ كتاب الله لا يَرْعَوى إلى شيء منه » .

ورواه النسائى عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقى من طريق يعقوب بن محمد الزهرى ، عن عبد العزيز بن عمران ،

(١) ا : مثل الشمال . وهو تحريف .

حدثنا مصعب بن عبد الله ، عن منظور بن جميل بن سنان [١] ، أخبرنى أبى ، سمعت عقبة بن عامر الجُهنى ، خرجنا مع رسول الله صـلى الله عليـه وسلم فى غزوة تبوك ، فاسترقَدَ رسولُ الله صـلى الله عليـه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيدَ رُمْح ، قال : « ألم أقل لك يا بلال اكْلأْ لنا الفَجْر ؟ » فقال : يارسول الله ذهب بى من النوم مثلُ الذى ذهب بك .

قال : فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غيرَ بعيد ثم صلى وسار بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

« أيها الناس أما بعد ؛ فإن أصدَقَ الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرَى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السّنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها [٢] وشر الأمور مُحْدَثاتها ، وأحسن الهَدْى هَدْى الأنبياء ، وأشرف الموت قَتْل الشهداء ، وأعمَى العمى الضلالة بعدَ الهدى ، وخير الأعمال مانَفَع ، وخير الهدى ما اتُّبع ، وشر العمى عَمَى القلب ، واليد العُليا خير من اليد السُّفلى ، وماقلّ وكفَى خـيرٌ مما كثر وألْهى ، وشر المعْـذِرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا دُبراً ، ومن الناس من لا يَذْكر الله إلا هَجْراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الـكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحـكمة مخافة الله عز وجل ، وخير ماوقَر فى القلوب اليقينُ ، والارتياب من الـكفر ، والنِّياحة من عمل الجاهلية ، والغُلُول من حَثَى [٣] جهنم ، والشِّعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حَبائل الشيطان ، والشباب شُعبة من الجنون ، وشر المـكاسب كسب الربا ، وشر المآكل أكلُ مال اليتيم ، والسعيد من وُعِظ بغيره ،

(١) ت : يسار

(٢) العوازم : الفرائض التى عزم الله بفعلها . (٣) الحثاء : التراب المحثو

والشقىُّ من شَقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحـدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة ، ومِلاَكَ العمل خواتمه ، وشر الرَّوايا روايا الـكذب ، وكل ماهو آت قريب ، وسِباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألَّى على الله يُـكذِّبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه ، ومن يَـكْظم يَأْجره الله ، ومن يَصْبر على الرَّزية يعوِّضه الله ، ومن يبتغِ السمعة يسمِّع الله به ، ومن يصـبر يُضْعف الله له ، ومن يَعْص الله يعـذبه الله ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى » قالها ثلاثا ثم قال : « أستغفر الله لى ولـكم » .

وهذا حديث غريب وفيه نـكارة وفى إسناده ضعف . والله أعلم بالصواب .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن سعيد الهَمْدانى وسليمان بن داود ، قالا : أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى معاوية ، عن سعيد بن غَزوان ، عن أبيه ، أنه نزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مُقْعَد ، فسألتهُ عن أمره فقال : سأحدثك حديثا فلا تحدث به ماسمعتَ أنى حىّ . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بتبوك إلى نخلة فقال : هـذه قِبلتُنا . ثم صلَّى إليها . قال : فأقبلتُ وأنا غلام أسعى حتى مررتُ بينه وبينها ، فقال : قطَع صَلاتنا قطع الله أثره .

قال : فما قمتُ عليها إلى يومى هذا .

ثم رواه أبو داود من حديث سعيد بن[1] عبد العزيز التَّنُوخى ، عن مولى ليزيد ابن نِمْران ، عن يزيد بن نمران ، قال : رأيت بتبوك مُقْعَداً فقال : مررت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على حمار وهو يصلى فقال : اللهم اقطع أثره . فما مشيت عليها بعد . وفى رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » .

(١) الأصل : عن عبد العزيز . وما أثبته عن سنن أبى داود ١/١١٢ .

ذكر الصلاة على معاوية بن أبى معاوية إن صح الخبر فى ذلك

روى البيهقى من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثَّقفى ، قال سمعت أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريلُ رسولَ الله فقال : «ياجبريل مالى أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعتْ فيما مضى ؟ » .

قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثى مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : « ومم ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته : « قل هو الله أحد » بالليل والنهار وفى مَمْشاه وفى قيامه وقعوده ، فهل لك يارسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال : نعم . قال : فصلى عليه ثم رجع .

وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيد هذا (١) وقد تكلموا فيه .

ثم قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبْدان ، أخبرنا أحمد بن عُبيد الصَّفار ، حدثنا هشام بن على ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدثنا محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبى ميمونة ، عن أنس قال : جاء جبريل فقال : يامحمد مات معاوية بن أبى معاوية المزنى ، أفتحب أن تصلى عليه ؟ قال : نعم . فضرب بجناحه فلم يَبق من شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت له . قال : فصلى وخلفه صفان من الملائكة فى كل صف سبعون ألف ملك ، قال قلت : «ياجبريل بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبه « قل هو الله أحد » يقرؤها قائما وقاعداً ، وذاهبا وجائياً ، وعلى كل حال .

قال عثمان : فسألت أبى أين كان النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بغزوة تبوك

---

(١) ا : لهذا .

بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلى عليه .

وهذا أيضا مُنكر من هذا الوجه .

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن أبى راشد ، قال : لقيت التَّنُوخىّ رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص ، وكان جاراً لى شيخا كبيراً قد بلغ العقْدَ أو قرب ، فقلت: ألا تخبرنى عن رسالة هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ؟ قال : بلى .

قدِم رسولُ الله تبوكَ ،فبعث دِحْية الكلبى إلى هرقل ، فلما أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قسِّيسى الروم وبَطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إلىّ يدعونى إلى ثلاث خصال ، يدعونى أن أتبعه على دِينه ، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرضُ أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب . والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذنّ [أرضنا](١) فهلم فلنتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا .

فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا : تدعونا إلى أن نَذَر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابى جاء من الحجاز .

فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم(٢) ولم يكَدْ . وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم .

ثم دعا رجلا من عرب تجيب كان على نصارى العرب قال : ادع لى رجلا حافظا

---

(١) من مسند أحمد .

(٢) رفأهم : سكنهم .

للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه .

فجاء بي ، فدفع إليّ هرقلُ كتابا فقال : اذهب بكتابي إلى هذا الرجل ، فما سمعتَ من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال : انظر هل يَذْكر صحيفته إليّ التي كَتب بشيء وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل ؟ وانظر في ظَهره هل به شيء يَريبك ؟

قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالسٌ بين ظَهراني أصحابه مُحتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : هاهو ذا .

فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه ، فناولتُه كتابي فوضعه في حِجْره ثم قال : « ممن أنت » فقلت أنا أخو تَنُوخ : قال : « هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم؟ » قلت : إني رسولُ قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم . فضحك وقال : « إنك لا تَهْدِي من أحببتَ ولكنّ الله يَهْدِي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » ياأخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى والله ممزِّقه وممزق مُلْكه ، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مخرقه ومخرق ملكه . وكتبتُ إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا مادام في العيش خير » .

قلت : هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي .

فأخذت سهماً من جَعْبتي فكتبتها في جنب سيفي ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يَساره ، قلت: مَن صاحبُ كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية فإذا في كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار » .

قال : فأخذت سهماً من جَعبتي فكتبته في جلد سيفي .

فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال : « إن لك حقًّا وإنك لرسول ، فلو وجدتُ عندنا جائزةً جوّزناك بها ، إنا سَفْر مُرْملون » قال : فناداه رجل من طائفة الناس قال :

أنا أجوِّزه ، ففتح رَحْله فإذا هو يأتى بحلة صَفُورِيّة فوضعهـا فى حجرى ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لى : عثمان .

ثم قال رسول الله : « أيـكم يُنزل هذا الرجل؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصارى وقمت معه حتى إذا خرجتُ من طائفة المجلس نادانى رسول الله فقال : « تعال يا أخا تَنُوخ » فأقبلت أَهْوِى حتى كنت قائما فى مجلسى الذى كنت بين يديه ، فحلّ حَبْوته عن ظهره وقال : « هاهنا امض لما أُمرتَ به » فجُلْت فى ظَهره فإذا أنا بخاتم فى موضع غُضون الـكيف مثل الحَجْمة[١] الضخمة .

هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد .

مصالحته[٢] عليه السلام ملك أَيلة وأهل جَرْباء وأذرح وهو مخيم على تبوك قبل رجوعه

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رُؤْبة صاحب أَيْـلة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْباء وأَذْرُح فأعطوه الجزية .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فهو عندهم .

فـكتب ليُحَنَّة بن رُؤْبة وأهل أيلة : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أَمَنةٌ من الله ومحمد النبى رسول الله ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل أَيْـلة سفنهم وسَيَّارتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله و[ذمة][٣] محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحْدَث منهم حَدثا فإنه لا يَحُول ماله دون نفسه ، وإنه طيِّب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحلُّ أن يُمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه[٤] من بر أو بحر .

---

(١) الحجمة : النتوء

(٢) ت : كتابه (ص) ليحنة . .

(٣) من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : يريدونه .

زاد يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتاب جُهيم بن الصَّلْت وشُرَحْبيل بن حَسنة بإذن رسول الله .

قال يونس عن ابن إسحاق : وكتب لأهل جَرْباء وأَذْرُح : « بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جَرْباء وأَذْرُح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب ، ومائة أوقية طيبة ، وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » .

قال : وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم أهل أَيْلة بُرْدَه مع كتابه أماناً لهم . قال : فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار .

بَعْثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى أُكيدر دومة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أُكَيْدر دُومَة ، وهو أُكَيْدر بن عبد الملك رجل من بنى كِنْدة [1] كان ملكا عليها وكان نصرانيا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » .

فخرج خالد حتى إذا كان من حِصْنه بمَنْظر العين وفى ليلة مُقْمِرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته ، وباتت البقر تحكّ بقرونها بابَ القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد .

فنزل فأمر بفرسه فأُسْرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حَسَّان، فركب وخرجوا معه بمطَارِدهم .

فلما خرجوا تلقَّتهم خيلُ النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه

(١) كذا فى اوفى ت وابن هشام : من كندة .

قَباء من ديباج مخوَّص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه .

قال : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَباء أُكَيْدر حين قدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون من هذا [فو الذى نفسى بيده](١) لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسنُ من هذا » .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأكَيْدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقَن له دمه ، فصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته .

فقال رجل من بنى طيئ يقال له بُجَير بن بُجَرة فى ذلك :

تَبارك سائقُ البقَرات إنى ... رأيتُ الله يَهْدى كلَّ هادِ

فمن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ ... فإنا قد أُمرنا بالجهادِ

وقد حكى البيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهذا الشاعر : « لا يَفْضُض الله فاك » فأتت عليه سبعون سنة ماتحرك له فيها ضرْس ولا سِن .

وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالداً مَرْجعه من تبوك فى أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكَيْدر دُومة . فذكر نحو ماتقدم ، إلا أنه ذكر أنه ما كَره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنه قدِم مع أكيدر إلى رسول الله ثمانمائة من السَّبى، وألف بعير ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، وذكر أنه لما سمع عظيم أَيْلة يُحنة(٢) بن رؤبة بقصة أكيدر دُومة أقبل قادما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصالحه ، فاجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك . فالله أعلم .

---

(١) من ابن هشام.

(٢) الأصل : يحنا . وهو تحريف .

وروى يونس بن بُكَير ، عن سعد بن أوس ، عن بلال بن يحيى ، أن أبا بكر الصديق كان على المهاجرين فى غزوة دُومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب فى غزوة دُومة الجَندل . فالله أعلم .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

قال : وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل يَرْوِى الراكبَ والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقَّق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبقَنا إلى ذلك الماء فلا يَستقينَّ منه شيئا حتى نأتيه » .

قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقَوا مافيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئا فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقيل له : يارسول الله فلان وفلان . فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه حتى آتيه ؟ ثم لعنهم ودعا عليهم .

ثم نزل فوضع يده تحت الوشَل ، فجعل يصبُّ فى يده ماشاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إنّ له حِسًّا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو من بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى وهو أخْصبُ ما بين يديه وما خَلْفه » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى ، أن عبد الله بن

مسعود كان يحدّث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله فى غزوة تبوك ، فرأيت شعلةً من نار فى ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها .

قال : فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجَادين قد مات ، وإذا هم قد حَفروا له ، ورسول الله فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدلِّيانه ، وإذا هو يقول: « أَدْنِيا إلىّ أخاكما » فدلَّياه إليه ، فلما هيَّأه لشقّه قال : « اللهم إنى قد أمسيتُ راضياً عنه فارضَ عنه » .

قال : يقول ابن مسعود : ياليتنى كنت صاحبَ الُحفْرة .

قال ابن هشام : إنما سُمِّى ذا البِجَادين لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيّقوا عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بِجَاد ــ وهو الكساء [الغليظ][1] فشقه باثنين فاتزر بواحدة وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى ذا البِجَادين .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شِهاب الزهرى عن ابن أُكَيْمة الليثى ، عن ابن أخى أبى رُهْم الغِفَارى ، أنه سمع أبا رُهْم كلثوم بن الحصَين ــ وكان من أصحاب الشجرة ــ يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرتُ ذات ليلة معه ونحن بالأخضر ، وألقى الله على النعاس وطفقت أستيقظ وقد دنَتْ راحلتى من راحلة النبى صلى الله عليه وسلم فيفزعنى دُنوّها منه مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْز ، فطفقتُ أَحُوز راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق فزاحمتْ راحلتى راحلته ورجلُه فى الغَرْز ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حَسّ » فقلت : يا رسول الله استغفر لى . قال : سِرْ .

---

(١) سقطت من ا .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلّف عنه من بنى غِفَار فأخبره به . فقال وهو يسألنى : « ما فعل النَّفرُ الُحمرُ الطِّوال الثِّطَاطُ(١) الذين لا شَعر فى وجوههم ؟ » فحدثته بتخلُّفهم .

قال : « فما فعل النفر السُّود الجعاد القِصَار ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : « بلى الذين لهم نَعمٌ بشَبكة شَدَخ(٢) » فتذكرتُهم فى بنى غِفار فلم أذكرهم ، حتى ذكرت أنهم رَهْط مِن أسْلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله أولئك رهطٌ مِن أسْلَم حلفاء فينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مَنع أحدَ أولئك حين تخلّف أن يَحْمل على بعير من إبله امرأً نشيطا فى سبيل الله ؟ إن أعز أهلى علىّ أن يتخلف عنى المهاجرون والأنصار وغِفَارٌ وأَسْلم » .

* * *

وقال ابن لَهِيعة عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لما قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة همّ جماعة من المنافقين بالفَتْك به وأن يَطْرحوه من رأس عَقَبة فى الطريق ، فأُخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعِد هو العَقبة ، وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثَّموا ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارَ بن ياسر وحذيفة بن اليَمان أن يمشيا معه ، عمار آخذٌ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها .

فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غَشَوهم . فغضب رسول الله وأبصر حذيفةُ غضبه فرجع إليهم ومعه مِحْجن فاستقبل وجوهَ رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أُظْهِر على ما أضْمروه من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

---

(١) الثطاط : جمع ثط ، وهو القليل شعر اللحية .
(٢) شبكة شدخ : ماء لأسلم بالحجاز .

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما فأسرعا حتى **قطعوا** العقَبة ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة : « **هل** عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفتُ إلا رواحلهم فى ظُلْمة الليل حين غشيتُهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الرَّكْب ؟ » قالا : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالأوا عليه وسمّاهم لهما واستكتمهما ذلك .

فقالا : يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدث الناس أن **محمداً** يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة إلا أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما أعلم بأسمائهم حذيفةَ بن اليمان وحده . وهذا هو الأشبه والله أعلم .

ويشهد له قول أبى الدرداء لعلقمة صاحب ابن مسعود : أليس فيكم — يعنى **أهل** الكوفة — صاحب السَّواد والوِساد . يعنى ابن مسعود . أليس فيكم صاحب السر **الذى** لا يَعلمه غيره . يعنى حذيفة . أليس فيكم الذى أجاره الله من الشيطان على لسان **محمد** . يعنى عماراً .

وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لحذيفة : أقسمتُ عليك بالله أأنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرِّئُ بعدك أحداً . يعنى حتى لا يكون مُفْشيا سرَّ النبى صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلا ، وقيل : كانوا اثنى عشر رجلا ، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من أمرهم وبما تمالأوا عليه .

ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم . قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : « وهَمُّوا بما لم ينالوا[1] » .

* * *

وروى البيهقى من طريق محمد بن سلمة ، عن أبى إسحاق ، عن الأعمش، عن عمرو ابن مُرَّة ، عن أبى البَخْتَرى ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار يسوق الناقة ـ أو أنا أسوق وعمار يقود به ـ حتى إذا كنا بالعقبة إذا باثنى عشر راكباً[2] قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصرخ بهم فولَّوا مدبرين .

فقال لنا رسول الله : « هل عرفتم القوم ؟ » قلنا : لا يا رسول الله قد كانوا متلثِّمين ، ولكنا قد عرفنا الرِّكاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يَزْحموا رسول الله فى العَقَبة فيُلْقوه منها » .

قلنا : يا رسول الله أوَلا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كلُّ قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتَل بقومه ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » .

ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيلة » قلنا : يارسول الله وما الدُّبيلة ؟ قال : « هى شهابٌ من نار تقع على نِياَط قلب أحدهم فيهلك » .

وفى صحيح مسلم من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبى نَضْرة ، عن قيس بن عبادة ، قال : قلت لعمار : أرأيتم صنيعكم هذا ، فيما كان من أمر علىٍّ ، أرَأْىٌ رأيتموه أم شىء عهده إليكم رسول الله ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده

(١) سورة التوبة

(٢) غير ا : رجلا .

إلى الناس كافة ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانيـة لا يدخلون الجنة حتى يَلِج الجملُ في سَمّ الخياط » .

وفي رواية من وجه آخر عن قتادة : « إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتى يَلِج الجمل في سَمّ الخياط ، ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبيلة ، سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقي : وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر ـ أو خمسة عشر ـ وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة أنهم قالوا : ما سمعنا المنادى ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا يزيد ـ هو ابن هارون ـ أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل ، قال : لمـا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إن رسول الله آخذٌ بالعَقبة فلا يأخذها أحدٌ .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عَمّار إذ أقبل رَهْط متلثّمون على الرّواحل ، فغشَوا عماراً وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عمارٌ يضرب وجوهَ الرواحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة : « قَدٍ قد » .

حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوادى ، فلما هبط ورجع عمار قال : « يا عمار هل عرفتَ القوم ؟ » قال : قد عرفت عامّة الرّواحل والقوم متلثّمون . قال : « هل تدرى ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه » .

قال : فسارّ عمارٌ رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلا . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر .

قال : فعذر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادى رسول الله وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار : أشهد أن الاثنى عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قصـة مسجد الضرار

قال الله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفْريقاً بين المؤمنين وإرْصاداً لمن حارَبَ الله ورسوله من قبـلُ ، وليحلفنَّ إنْ أَردْنا إلا الحسنى ، والله يشهدُ إنهم لـكاذبون ، لا تقُمْ فيه أبداً لمسجدٌ أسِّس على التقوى من أول يومٍ أحقُّ أن تقومَ فيه فيه رجالٌ يحبون أن يتطهَّروا والله يحب المطَّهرين . أفمن أسَّس بُنْيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أمَّن أسَّس بنيانَه على شَفَا جُرف هارٍ فانهارَ به فى نار جهنم والله لا يهدى القومَ الظـالمين ، لا يزال بنيانهم الذى بنَوا رِيبةً فى قلوبهم إلا أن تقطَّع قلوبُهم والله عليم حكيم »[1] .

وقد تـكلمنا على تفسير مايتعلق بهذه الآيات الـكريمة فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد .

وذكر ابن إسحاق كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهلُه ، وكيفية أمر رسول الله صلى الله بخرابه مَرْجعَه من تبوك قبل دخوله المدينة .

ومضمون ذلك : أن طائفة من المنافقين بنَوا صورةَ مسجد قريبا من مسجد قُبَاء ،

(١) سورة التوبة .

وأرادوا أن يصلِّي لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حتى يَرُوج لهم ماأرادوه من الفساد والـكفر والعناد .

فعصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من الصلاة فيه ،وذلك أنه كان على جَناح سفر إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذى أوان ــ مكان بينه وبين المدينة ساعة ــ نزل عليه الوحى فى شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى : « والذين اتخذُوا مسجداً ضِراراً وكُفرا وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارَب الله ورسوله مِن قبلُ » الآية .

أما قوله « ضِراراً» فلأنهم أرادوا مُضاهاةَ مسجد قُباء ، «وكفراً» بالله لا للإيمان به ، « وتفريقا » للجماعة عن مسجد قباء .

«وإرصاداً لمن حاربَ الله ورسوله من قبلُ » وهو أبو عامر الراهب الفاسق قبحه الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبى عليه ؛ ذهب إلى مكة فاستنفَرهم ، فجاءوا عامَ أحد ، فـكان من أمرهم ماقدّمناه ، فلما لم ينهض أمرُه ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عامر على دين هرقل ممن تنصَّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يَعِـدهم ويمنِّيهم وما يَعـدِهم الشيطانُ إلا غرورا ، فـكانت مكاتبـاته ورسله تَفِد إليهم كلّ حين .

فبنَوا هذا المسجد فى الصورة الظاهرة ، وباطنُه دارُ حَرْب ومقرٌّ لمن يَفِد من عند أبى عامر الراهب ، ومَجْمَع لمن هو على طريقتهم من المنافقين . ولهذا قال تعالى: «وإرصاداً لمن حارَب الله ورسولَه مِن قبلُ » .

ثم قال : « وَلَيحلفُنَّ » أى الذين بنَوه « إنْ أَردْنا إلا الحسْنَى »أى إنما أردنا ببنيانه الخير . قال الله تعالى : « والله يَشْهد إنهم لـكاذبون » .

ثم قال الله تعالى لرسوله : « لا تقمْ فيه أبداً » فنهاه عن القيام فيه ، لئلا يقرِّر أمْره،

ثم أمره وحثّه على القيام فى المسجد الذى أسِّس على التقوى من أول يوم وهو مسجد قُبـاء ، لمـا دلّ عليه السيـاق والأحاديث الواردة فى الثنـاء على تطهير أهـله مشيرةً إليه .

وما ثبت فى صحيح مسلم من أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينافى ماتقدم، لأنه إذا كان مسجد قُباء أسس على التقوى من أول يوم فمسجد الرسول أولَى بذلك وأحْرَى ، وأثبت فى الفضل منه وأقوى .

وقد أشبعنا القول فى ذلك فى التفسير ولله الحمد .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بذى أَوان دعا مالك بن الدُّخْشُم ومَعْن بن عدى ـ أو أخاه عاصم بن عدى ـ رضى الله عنهما فأمرهما أن يذهبا إلى هـذا المسجد الظالم أهلُه فيحرّقاه بالنار ، فذهبا فحرقاه بالنار ، وتفرق عنه أهله .

قال ابن إسحاق : وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا وهم ؛ خِذَام بن خالد ـ وفى جنب داره كان بناء هذا المسجد ـ وثعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشَير ، وأبو حَبيبة ابن الأزعر ، وعبَّاد بن حُنَيف أخو سهل بن حُنَيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجمِّع وزيد . ونَبْتَل بن الحـارث ، وبَحْزج وهو إلى بنى ضبيعة ، وبِجَاد بن عثمان وهو من بنى ضُبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو إلى بنى أمية .

* * *

قلت : وفى غزوة تبوك هذه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفَ عبدالرحمن بن عوف صلاةالفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يتوضأ ومعه المغيرة بن شعبة فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف ، فلما سلَّم الناسُ أَعْظَموا ماوقع ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسنتم

وأصبتم » وذلك فيما رواه البخارى رحمه الله قائلا حدثنا[1] .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن محمد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حُمَيد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : « إنّ بالمدينة أقواما ما سِرتم مَسيراً ولا قَطعتم وادياً إلا كانوا معكم » فقالوا : يارسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبَسهم العُذْرُ » .

تفرد به من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا خالد بن مَخْلَد ، حدثنا سليمان ، حدثنى عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعد ، عن أَبى حُمَيد[2] قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى إذا أشرَفْنا على المدينة قال : « هذه طابَةُ[3] وهذا أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه » .

ورواه مسلم من حديث سليمان بن بلال به نحوه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن السائب ابن يزيد ، قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثَنِيَّة الودَاع مَقْدمه من غزوة تبوك .

ورواه أبو داود والترمذى من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، سمعت أباخليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) ا : عن أبى أحمد . وهو تحريف .

(٣) طابة : من أسماء المدينة .

طلَع البدرُ علينـاَ من ثَنيّـات الودَاعْ
وجب الشكرُ علينا مادعا لله داع

قال البيهقى : وهذا يذ كره علماؤنا عند مَقْدَمه المدينة من مكة إلا أنه لما قدم المدينة من ثَنيّات الوداع عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم ، فذ كرناه هاهنا أيضا .

* * *

قال البخارى رحمه الله : حديث كعب بن مالك رضى الله عنه .

حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن عَقيل عن ابن شِهاب ، عن عبدالرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك – وكان قائد كعب من بَنِيه حين عمى – قال : سمعت كعب بن مالك يحدِّث حين تخلَّف عن قصة تبوك ، قال كعب :

لم أتخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عِيرَ قريش ، حتى جمع اللهْ بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا[1] على الإسلام وماأحبُّ أن لى بها مَشْهد بدر ، وإن كانت بدر أذْكَرَ فى الناس منها .

كان من خبرى أنى لم أكن قط أقوَى ولا أيسرَ حين تخلفتُ عنه فى تلك الغزوة ، والله مااجتمعتْ عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتُهما فى تلك الغزاة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوةً إلا ورَّى بغـيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله فى حَر شـديد واستقبل سفرا بعيداً وعددا[2] كثيرا فجَلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبة غَزْوهم ، فأخبرهم

---

(١) الأصل : حتى تواثبنا . وما أثبته من صحيح البخارى ٢ / ٢٧٤
(٢) البخارى : ومفازا وعدوا كثيرا .

بوَجْهه الذى يريد ، والمسلمون معرسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كِتَاب حافظ ـ يريد الديوان ـ

قال كعب : فما رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا ظن أن سيَخْفى له مالم ينزل فيه وحى الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم [تلك الغزوة(١)] حين طابت الثمارُ والظلال .

وتجهَّز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجعُ ولم أقض شيئا ، فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه .

فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد بالناس الجِدُّ ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فَصَلوا لأتجهَّز فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا . فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفَارَط الغَزْو ، وهممتُ أن أرتحل فأُدركهم ـ وليتنى فعلت ـ فلم يقدَّر لى ذلك .

فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم أحزَننى أنى لا أَرى إلا رجلاً مَغْموصاً عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذَر الله من الضعفاء .

ولم يَذْكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكاً ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : « مافعل كعب؟ » فقال رجل من بنى سلمة : يارسول الله حبَسه بُرْداه ونظرُه فى عِطْفَيه . فقال معاذ بن جبل : بئس ماقلت ، والله يارسول الله ماعَلمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجَّه قافلًا حضرنى همِّى ، وطفقت أتذكَّر الكذبَ وأقول : بماذا أخرج غداً من سخطه ؟ واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من

(١) من صحيح البخارى .

أهلى ،فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدأظلَّ قادماً زاح عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لن أخرج منه أبداً بشىء فيه كذب ، فأجمعتُ صِدْقَه .

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ، وكان إذا قدِم من سَفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلَّفون فطفِقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلا ، فقبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلانيتهم وبايَعهم واستغفر لهم ، ووكَل سَرائرهم إلى الله عز وجل .

فجئته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسُّم المغْضَب ثم قال : « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : « ماخلّفك ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظَهرك ؟ » فقلت : بلى إنى والله لوجلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنْ سأخرج من سخطه بعذر — ولقد أُعطيتُ جَدلًا — ولكنى والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذب ترضى به عنى لَيوشكن الله أن يُسْخطك علىَّ ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تجدُ علىَّ فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، لاوالله ما كان لى من عذر ، ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفتُ عنك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا هذا فقد صدَق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

فقمت فثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى : والله ماعَلمناك كنت أذنبت ذنبا قبلَ هذا ، ولقد عجزتَ ألا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلّفون ؟ وقد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله مازالوا يؤنبوننى حتى هممت أن أرجع فأكذِّب نفسى .

ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالا مثلَ ماقلت وقيل لهما مثلُ ماقيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مَرارة بن الربيع العَمْرى وهلال بن أمية الواقِفىّ

فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة . فمضيت حين ذكروهما لى .

***

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلَّف .

فاجتنبَنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكَّرتْ فى نفسى الأرض فما هى التى أعرِف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأَجْلَدَهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، وأقول فى نفسى : هل حرَّك شفتيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظرَ ، فإذا أقبلتُ على صلاتى أقبل إلىّ ، وإذا التفتُّ نحوه أعرضَ عنى .

حتى إذا طال علىَّ ذلك من جَفوة الناس مشيتُ حتى[1] تسوَّرت جدار حائط أبى قَتادة — وهو ابن عمى وأحب الناس إلى — فسلمت عليه ، فوالله ماردَّ علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكتَ . فعُدْت له فنَشَدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسوَّرتُ الجدار .

قال : وبَيْنا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نَبَطىٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدِم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلنى على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلىّ كتابا من ملك غَسَّان فى سَرَقة من حرير فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جَفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مَضْيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ! فتيمَّمْتُ بها التَّنور فسَجرْته بها .

(١) ا : حتى إذا .

فأقمنا على ذلك ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقْربها . وأرسل إلى صاحبىّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ولكن لا يَقربك » قالت : إنه والله مابه حركة إلى شيء ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنتَ رسولَ الله فى امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدمه ؟ فقلت : والله لا أستأذن فيها رسولَ الله ، ومايدرينى مايقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شابٌّ .

* * *

قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهَى رسول الله عن كلامنا .

فلما صليت الفجر صبحَ خمسين ليلة وأنا على ظَهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل ، قد ضاقت علىّ نفسى وضاقت على الأرضُ بما رَحُبت سمعتُ صوتَ صارخ أوْفَى على جبل سَلْع بأعلى صوته : يا كعب أبْشر .

فخرَرْت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ ، وآذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشّروننا ، وذهب قِبَل صاحبى مبشّرون ، وركض رجل إلىّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسْلم فأوفَى على الجبل ، فكان الصوت أسرعَ من الفرس .

فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبىَّ فكسوته إياهما ببشراه ،

والله ما أملك غيرهما يومئذ ! واستعرتُ ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقَّانى الناس فوجاً فوجا يهنئوننى بالتوبة يقولون : لِيَهْنك توبةُ الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ماقام إلىّ رجلٌ من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَبْرق وجهه من السرور : « أبْشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك » .

قال: قلت : أمِن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا بل من عند الله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقةً إلى الله وإلى رسوله .

قال رسول الله : « أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك » قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر .

وقلت : يارسول الله إن الله إنما نجانى بالصِّدق ، وإن من توبتى ألا أحدث إلا صِدْقاً مابقيتُ . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله أحسنَ مما أبلانى ، ماتعمَّدْتُ منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت .

وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « لقد تابَ الله على النبيِّ والمهاجرين

والأنصار » إلى قوله : « وكونوا مع الصادقين » فوالله ما أنعم الله علىَّ مِن نعمةٍ قط بعد أن هدانى للإسلام أعظمَ فى نفسى من صِدْقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أن أكون [1] كذَبته فأَهْلِك كما هلك الذين كذَبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شرَّ ماقال لأحَد ، قال الله تعالى : « سيَحْلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرضوا عنهم » إلى قوله : « فإنّ الله لا يَرضى عن القوم الفاسقين » .

قال كعب : وكنا تخلَّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسولُ الله أمرَنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا » ليس الذى ذَكر الله مما خُلِّفنا من الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمْرَنا عمن حَلف له واعتذر إليه فقبِل منهم .

وهكذا رواه مسلم من طريق الزهرى بنحوه . وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الزهرى مثل سياق البخارى ، وقد سقناه فى التفسير من مسند الإمام أحمد ، وفيه زيادات يسيرة . ولله الحمد والمنة .

ذكر أقوام تخلَّفوا من العصاة غير هؤلاء

قال على بن طلحة الوالِبىّ عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وآخَرون اعترَفوا بذنوبهم خَلطوا عملاً صالحا وآخرَ سيئاً عسى الله أن يتوبَ عليهم إن الله هو التواب الرحيم » [2] قال : كانوا عشرة رَهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما حضروا رجوعَه أوثق سبعةٌ منهم أنفسَهم بسَوارى المسجد .

فلما مرَّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحابٌ له تخلَّفوا عنك ، حتى تُطْلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أُقسِم بالله لا أُطْلقهم ولا أَعذرهم حتى يكون

---

(١) غير ا : أن لا أكون . ولا هنا زائدة . أى أن أكون .

(٢) سورة التوبة .

الله عز وجل هو الذى يُطْلقهم ، رَغِبوا عنّى وتخلَّفوا عن الغزو مع المسلمين » .

فلما أن بلَغهم ذلك قالوا : ونحن لا نُطْلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا .

فأنزل الله عز وجل : « وآخرون اعترَفوا بذنوبهم » الآية . « وعسَى » من الله واجِبٌ .

فلما أنزلت أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعـذَرهم ، فجاءوا بأموالهم وقالوا : يارسول الله هـذه أموالنا فتصدَّقْ بهـا عنـا واستغفر لنا . فقال : « ما أُمرت أن آخذ أموالـكم » .

فأنزل الله : « خُذْ من أموالهم صدقةً تطهِّرهم وتزكِّيهم بها وصلِّ عليهم إنّ صَلاتك سَكَنٌ لهم إن الله سميع عليم » إلى قوله : « وآخرون مُرْجَون لأمر الله إمّا يعذبهم وإما يتوبُ عليهم » .

وهم الذين لم يَربطوا أنفسَهم بالسَّوارى ، فأرجئوا حتى نزل قوله تعالى : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبّعوه » إلى آخرها .

وكذا رواه عطية بن سعيد العَوفى عن ابن عباس بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيَّب ومجاهد ومحمد بن إسحاق قصة أبى لُبَابة وما كان من أمْره يوم بنى قريظة وَربْطه نفسه حتى تِيبَ عليه ، ثم إنه تخلَّف عن غزوة تبوك فربط نفسه أيضا حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كله صدقةً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكفيك من ذلك الثلث » .

قال مجاهد وابن إسحاق : وفيه نزل : « وآخَرون اعترَفوا بذنوبهم » الآية .

قال سعيد بن المسيَّب : ثم لم يُرَمنه بعـد ذلك فى الإسلام إلا خيرٌ رضى الله عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يَذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على ذِكره لأنه كان كالزعيم لهم ، كما دل عليه سياق ابن عباس . والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي من طريق أبي أحمد الزبيري ، عن سفيان الثوري ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن عِياض بن عياض ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : خطَبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنّ منكم منافقين فمن سميتُ فليقم ، قم يافلان ، قم يافلان ، قم يافلان » حتى عدَّ ستة وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم ـ أو إن منكم ـ منافقين فسلوا الله العافية » .

قال : فمرَّ عمر برجل متقنِّع ، وقد كان بينه وبينه معرفة ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بُعْداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام : مأمورون مأجورون ، كعلى بن أبي طالب ومحمد بن مَسْلمة وابن أم مكتوم . ومعذورون ، وهم الضعفاء والمرضى ، والمقلُّون وهم البكَّاءون . وعُصاة مذنبون وهم الثلاثة ، وأبو لبابة وأصحابه المذكورون . وآخرون مَلومون مذمومون ، وهم المنافقون .

ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه عليه السلام
إلى المدينة مُنْصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو البَخْترى عبدالله بن شاكر ، حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عم أبى زَخْر بن حصن ، عن جده حميد بن مَنْهب ، قال : سمعت جدى خُرَيم بن أوس بن حارثة ابن لام يقول : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرَفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لا يَفْضُض الله فاك » فقال :

مِن قبلها طِبْتَ فى الظِّلال وفى مُستودَعٍ حيث يُخصف الورَقُ
ثم هَبطتَ البلادَ لا بَشرٌ أنت ولا نُطفة ولا عَلَقُ
بل نطفة تركب السَّفينَ وقد أَلْجَمَ نَسْراً وأهلَه الغَرقُ
تُنْقَل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مَضى عالَمٌ بدَا طَبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياءَ تحتها النُّطُقُ (١)
وأنت لمّا ولدت أشرقت الأر ض فضاءت بنورك الأفقُ
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـور وسُبل الرشاد نَخْتَرقُ

ثم رواه البيهقى من طريق أخرى ، عن أبى السَّكن زكريا بن يحيى الطائى ، وهو فى جزء له مروى عنه .

قال البيهقى: وزاد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الحيرة البيضاء رفعت لىْ ، وهذه الشَّيماء بنت نُفيلة الأزدية على بغلة شهباء مُعْتجرة بخمار أسود. » فقلت : يارسول

---

(١) النطق : أعراض ونواح من جبال بعضها فوق بعض ، شبهت بالنطق التى تشد بها الأوساط .

الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهى لى ؟ قال : « هى لك » .

قال : ثم كانت الردة فما ارتد أحد من طيئ ، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عُيينة بن حصن ، وكنا نقاتل بنى أسد وفيهم طلحة ابن خويلد ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا :

جزى الله عنا طَيِّئاً فى ديارها بمعترك الأبطالِ خيرَ جزاء
همُ أهلُ رايات السماحة والنَّدى إذا ما الصَّبا أَلْوَت بكل خِباَءِ
همُ ضربوا قيسًا على الدِّين بعدما أجابوا منادِى ظُلْمَة وعَماء

قال : ثم سار خالد إلى مسيلمة الكذاب فسِرْنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى ناحية البصرة ، فلقينا هُرمزُ بكاظِمة[1] فى جيش هو أكبر مِن جمعنا ، ولم يكن أحد من العجم[2] أعدَى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالد ودعاه إلى البراز فبرز له فقتله خالد ، وكتب بخبره إلى الصديق فنفَّله سَلَبه ، فبلغت قلنسوةُ هرمز مائة ألف درهم ، وكانت الفُرس إذا شَرُف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمائة ألف درهم .

قال : ثم قفلنا على طريق الطَّفّ إلى الحِيرة ، فأولُ من تلقَّانا حين دخلناها الشيماء بنت نُفَيلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود ، فتعلقتُ بها وقلت : هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعانى خالد عليها بالبيِّنة فأتيته بها ، وكانت البيِّنة محمد بن مَسْلمة ومحمد بن بشير الأنصارى ، فسلّمها إلىّ .

فنزل إلىّ أخوها عبد المسيح يريد الصلح فقال : بِعْنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن عشرة مائة درهم . فأعطانى ألف درهم وسلمتها إليه ، فقيل لى : لو قلت مائة ألف لدفعها إليك . فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة !

---

(١) كاظمة : جو على سيف البحر ، فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان . مراصد الاطلاع ٣/١١٤٣ .

(٢) ت : من الناس . وفى ا : من العرب .

قدوم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى رمضان من سنة تسع

تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارتحل عن ثقيف سئل أن يدعو عليهم فدعا لهم بالهداية .

وقد تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم مالك بن عوف النَّصْرى أنعم عليه وأعطاه وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلادَ ثقيف ويضيق عليهم حتى ألجأهم إلى الدخول فى الإسلام .

وتقدم أيضا فيما رواه أبو داود عن صَخر بن العَيْلة الأحمسى أنه لم يزل بثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى ذلك .

وقال ابن إسحاق : وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدِم عليه فى ذلك الشهر وفدٌ من ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروةُ بن مسعود حتى أدركه قَبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلمَ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام .

فقال له رسول الله - كما يتحدث قومه - : « إنهم قاتِلوك » وعرف رسول الله أن فيهم نخوَة الامتناع للذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم(١) وكان فيهم كذلك مُحبباً مطاعا .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم .

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف على عُلِّية له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنَّبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله .

فيزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بنى سالم بن مالك، ويزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عَتَّاب يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة ماترى فى دِيتك[1] ؟ قال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا مافى الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم . فدفنوه معهم .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إن مثَله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه » .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبى بكر الصديق ، وتابَعه أبو بكر البيهقى فى ذلك.

وهذا بعيد .والصحيح أن ذلك قبل حجة أبى بكر، كما ذكره ابن إسحاق. والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَن حَوْلهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا .

فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأى عمرو بن أمية أخى بنى عِلَاج ، فائتمروا بينهم ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلا منهم ، فأرسلوا عبدَ ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ؛ وهم الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب،

---

(١) ابن هشام : فى دمك .

وشُرَحْبيل بن غَيلان بن سلمة بن مُعتِّب ، وعثمان بن أبى العاص ، وأوس بن عوف أخو بنى سالم ، ونُمَير بن خَرَشة بن ربيعة .

وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلا فيهم كنانة بن عبد ياليل — وهو رئيسهم — وفيهم عثمان بن أبى العاص وهو أصغر الوفد .

قال ابن إسحاق : فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة[1] ؛ ألفوا المغيرةَ بن شعبة يرعى فى نَوبته ركابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ذهب يشتد ليبشّر رسولَ الله بقدومهم ، فلقيه أبو بكر الصديق فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قدموا يريدون البيعةَ والإسلام بأن يَشْرط لهم رسول الله شروطا ويكتبوا كتابا فى قومهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمتُ عليك لا تسبقنى إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدِّثه . ففعل المغيرة فدخل أبو بكر فأخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظَّهر معهم ، وعلَّمهم كيف يحيُّون[2] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على رسول الله ضُربت عليهم قبة فى المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلَهم ، وهو الذى كتب لهم كتابهم .

قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدَع لهم الطاغية[3] ثلاث سنين ، فما برحوا يسألونه سَنةً سنة ويأبَى عليهم حتى سألوه شهراً واحدا بعد مَقْدمهم ليتألَّفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدَعها شيئا مسمًّى ، إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة ليهدماها .

---

(١) قناة : واد بالمدينة ، قيل : يأتى من الطائف . المراصد ٣ / ١١٢٥ .

(٢) ا : يجيئون .　　(٣) الطاغية : اللات .

وسألوه مع ذلك ألا يصلُّوا وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال: « أمَّا كَسْر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك. وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه. » فقالوا: سنؤتيكها وإن كانت دناءة.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا محمد بن مَسْلمة، عن حُميد، عن الحسن، عن عثمان بن أبي العاص، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يُحْشَرُوا[1] ولا يُعْشَّروا ولا يُجَبُّوا ولا يستعمل عليهم غيرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لكم ألا تحشروا ولا تُعشَّروا ولا يستعمل عليكم غيركم، ولا خير في دين لا ركوع فيه ».

وقال عثمان بن أبي العاص: يارسول الله علِّمني القرآن واجعلني إمامَ قومي.

وقد رواه أبو داود من حديث أبي داود الطَّيالسي، عن حماد بن سلمة، عن حُميد به.

وقال أبو داود: حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني إبراهيم بن عقيل بن مَعْقل بن منبه، عن وهب، سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعتْ قال: اشترطتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك: « سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا ».

* * *

قال ابن إسحاق: فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمَّر عليهم عثمانَ بن أبي العاص ـ وكان من أحدَثهم سِنًّا ـ لأن الصديق قال: يارسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

(١) الحشر: الانتداب إلى المغازي.

وذكر موسى بن عقبة أن وفدَهم كانوا إذا أتوا رسول الله خلفوا عثمان بن أبى العاص فى رحالهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن العلم واستقرأه القرآن ، فإن وجده نائما ذهب إلى أبى بكر الصديق ، فلم يزل دأبه حتى فقه فى الإسلام وأحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديداً .

* * *

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان مِن آخر ماعَهِد إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى إلى ثَقِيف قال : « ياعثمان تجوَّزْ فى الصلاة ، واقْدُر الناسَ بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيد الجريرى ، عن أبى العلاء ، عن مُطَرِّف ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : قلت يارسول الله اجعلنى إمامَ قومى . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذى من حديث حماد بن سلمة به . ورواه بن ماجه عن أبى بكر ابن أبى شيبة ، عن إسماعيل بن علية ، عن محمد بن إسحاق . كما تقدم .

وروى أحمد عن عفان ، عن وهب ، وعن معاوية بن عمرو ، عن زائدة كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن داود بن أبى عاصم ، عن عثمان بن أبى العاص ، أن آخر مافارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إذا صلَّيت بقوم فخفِّف بهم ، حتى وقَّتَ لى : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، وأشباهها من القرآن » .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت سعيد ابن المسيَّب ، قال : حدث عثمانُ بن أبى العاص قال : آخرُ ماعهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا أممتَ قوما فخفف بهم الصلاة » .

ورواه مسلم[1] عن محمد بن مثنّى وبِنْدار ، كلاهما عن محمد بن جعفر ، عن غُنْدَر به.

وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يَعْلى الطائفى ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمانَ بن أبى العاص يقول : استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف ، فكان آخر ماعهد إلىّ أن قال : « خفِّف عن الناس الصلاةَ » .

تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، حدثنى موسى ـ هو ابن طلحة ـ أن عثمان بن أبى العاص حدَّثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤمَّ قومه ثم قال : « من أمَّ قوما فليخفف بهم ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، فإذا صلى وحده فليصلِّ كيف شاء » .

ورواه مسلم من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم ، سمعت أشياخا من ثقيف قالوا : حدَّثنا عثمانُ بن أبى العاص أنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّ قومك ، وإذا أممْتَ قوماً فخفِّف بهم الصلاة فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة » .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجُرَيرى ، عن أبى العلاء بن الشِّخير أن عثمان قال : يارسول الله حالَ الشيطان بينى وبين صَلاتى وقراءتى . قال : « ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أنت حسَسْته فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا » قال ففعلت ذلك فأذهَبه الله عنى .

---

(١) الحديث رواه مسلم فى باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة فى تمام : حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال سمعت سعيد بن المسيب ، قال حدث عثمان ابن أبى العاص قال : آخر ماعهد ـ الخ . صحيح مسلم ١/٣٤٢ ط الحلبى .

ورواه مسلم من حديث سعيد الجَرَيرى به .

وروى مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن من طرق ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عثمان بن أبى العاص ، أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده فى جسده ، فقال له : « ضع يدك على الذى يَألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

وفى بعض الروايات : ففعلتُ ذلك فأذهبَ الله ما كان بى ، فلم أزل آمرُ به أهلى وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا محمد بن بَشَّار (١) حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنى عيينة بن عبد الرحمن - هو ابن جَوْشن - حدثنى أبى ، عن عثمان ابن أبى العاص ، قال : لما استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف جعل يَعْرض لى شىء فى صَلاتى حتى ما أدرى ما أصلى ، فلما رأيت ذلك رحلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ابن أبى العاص ؟ » قلت : نعم يارسول الله . قال : « ماجاء بك ؟ » قلت : يارسول الله عرَض لى شىء فى صلاتى حتى ما أدرى ما أصلى . قال : « ذاك الشيطان ادْنُ » فدنوت منه فجلست على صدور قدَمىَّ ، قال : فضرب صدرى بيده وتفل فى فمى وقال : « اخرج عدو الله » فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال : « الحق بعملك » . قال فقال عثمان : فلعمرى ما أحسبه خالَطنى بعدُ .

تفرد به ابن ماجه .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأصل : ابن يسار . وما أثبته عن سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٥٤٨ .

ما بقى من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا ، فيأتينا بالسحور وإنا لنقول : إنا آنرى الفجر قد طلع ؟ فيقول : قد تركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحَّر لتأخير السحور . ويأتينا بفطرنا وإنا لنقول : مانرى الشمس ذهبت كلها بعد . فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يضع يده فى الجفنة فَيَلْقم منها .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يَعْلَى الطائفى ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جده أَوْس بن حُذيفة ، قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف .

قال : فنزلت الأحلافُ على المغيرة بن شعبة ، وأَنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبة له ، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدِّثنا قائما على رجليه حتى يُرَاوح بين رجليه من طول القيام ، فأكثرُ مايحدثنا مالقى من قومه من قريش ، ثم يقول : « لا آسَى [1] ، وكنا مُسْتَضعَفين مستذَلِّين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سِجَالُ الحربِ بيننا وبينهم نُدَال عليهم ويُدَالون علينا .

فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذى كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأتَ علينا الليلة . فقال : « إنه طرأ علىَّ حِزْبى من القرآن فكرهت أن أجىء حتى أتمه » .

قال أوس : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تُحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصَّل وحده .

لفظ أبى دواد .

* * *

(١) ابن ماجه : ولا سواء .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية .

نخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدِّم أبا سفيان فأَبَى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَدْم (١) .

فلما دخل المغيرة علاَها يضربها بالمِعْول ، وقام قومه بنى مُعتِّب دونه خشيةَ أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود .

قال : وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين عليها ويقلن :

لَنبكينَّ (٢) دُفَّاعْ أسْلَمها الرُّضَّاعْ (٣)

* لم يُحْسِنوا المِصَاعْ (٤) *

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان ـ والمغيرة يضربها بالفأس ـ : واهاً لك ! آهاً لك . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليَّها أرسل إلى أبى سفيان ، فقال له : إن رسول الله قد أمَرنا أن نقضى عن عروة بن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود والد قارِب بن الأسود دَيْنَهما من مال الطاغية . فقضَى ذلك عنهما .

قلت : كان الأسود قد مات مشركا ، ولكن أمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك تأليفا وإكراما لولده قارب بن الأسود رضى الله عنه .

***

---

(١) الهدم : ماء وراء وادى القرى . مراصد الاطلاع ٢/١٤٥٤

(٢) وتروى لتبكين . كما فى ابن هشام .

(٣) الدفاع : الشىء العظيم يدفع به مثله . سموها بذلك لظنهم أنها تدفع عنهم . والرضاع : اللئيم .

(٤) المصاع : الضرب .

وذكر موسى بن عقبة أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلا ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنا والخمر ، فحرّم عليهم ذلك كله .

فسألوه عن الرَّبة ماهو صانع بها ؟ قال : « اهدموها » .

قالوا : هيهات ! لو تعلم الرَّبة أنك تريد أن تهدمها قتلتْ أهلَها .

فقال عمر بن الخطاب : ويحك يابن عبد ياليل ما أجهلك ! إنما الرَّبة حَجَر . فقالوا: إنا لم نأتك يابن الخطاب .

ثم قالوا : يارسول الله تولَّ أنت هَدْمها ، أما نحن فإنا لن نهدمها أبدا . فقال : « سأبعث إليكم من يَكْفيكم هَدْمَها » .

فكاتَبوه على ذلك ، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاءوا قومهم تلقَّوهم فسألوهم : ماوراءكم ؟

فأظهروا الحزنَ وأنهم إنما جاءوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف ، يحكم مايريد ، وقد دوَّخ العرب ، قد حرَّم الربا والزنا والخمر ، وأمر بهدم الرَّبة .

فنفرت ثقيف وقالوا : لا نطيع لهذا أبدا .

قال : فتأهَّبوا للقتال وأعدَّوا السلاح ، فمكثوا على ذلك يومين ـ أو ثلاثة ـ ثم ألقى الله فى قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأنابوا وقالوا : ارجعوا إليه فشارِطوه على ذلك وصالحوه عليه . قالوا : فإنا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقَى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصْدَقهم ، وقد بورك لنا ولكم فى مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه، فافهموا مافى القضية واقبلوا عافية الله .

قالوا : فلم كتمْتمونا هذا أولا ؟ قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان . فأسلموا مكانهم .

ومكثوا أياما ثم قدم عليهم رسلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وقد أمَّرَ عليهم خالدَ بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات وقد استكفَّتْ ثقيفٌ رجالُها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العَواتق من الحِجَال ، ولا يَرى عامةُ ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة .

فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين - يعنى المِعْول - وقال لأصحابه : والله لأُضحكنكم من ثقيف . فضرب بالكرزين ثم سقط يرْكض برجله ، فارتجَّ أهلُ الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة قتلته الرّبةُ ! وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب .

فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيف إنما هى لَكَاع حجارة ومَدَر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره . ثم علا سورها وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سَوَّوها بالأرض .

وجعل سادنُها يقول : ليغضَبنَّ الأساس فليَخْسفن بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعنى أحفر أساسها . فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها .

وبُهِتت عند ذلك ثقيف .

ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على إعزاز دينه ونُصْرة رسوله .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى رسول الله إلى المؤمنين . إن عِضَاه وَجّ[1] وصيده لا يُعْضَد ، من وجد يفعل شيئا من ذلك فإنه يُجْلد وتنزع ثيابه ، وإن تعدّى ذلك فإنه يؤخذ

---

(١) العضاه : أعظم الشجر ، أو كل ذى شوك . ووج : واد بالطائف .

فيبلغ به النبي محمد ، وإن هذا أمر النبي محمد . وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدَّه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الحارث ـ من أهل مكة مخزومي ـ حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبيه عن عروة بن الزبير ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لِيَّة[1] حتى إذا كنا عند السِّدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طرف القرن حَذْوها ، فاستقبل مَخْبسا ببصره ـ يعنى وادياً ـ ووقف حتى اتفق الناس كلهم ثم قال : « إن صيد وَجٍّ وعِضاهه حرَم محرَّم لله » وذلك قبلَ نزوله الطائف وحصاره ثقيفا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفى ، وقد ذكره ابن حبان فى ثقاته . وقال ابن معين : ليس به بأس . وتكلم فيه بعضهم .

وقد ضعف أحمد والبخارى وغيرهما هذا الحديث ، وصححه الشافعى وقال بمقتضاه . والله أعلم .

ذكر موت عبد الله بن أبىّ قبحه الله

قال محمد بن إسحاق : حدثنى الزهرى ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أُبىّ يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فلما عرف فيه الموتَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا والله إنْ كنت لأنهاك عن حب يهود . » فقال : قد أبغضهم أسعدُ بن زُرَارة فمه ؟

وقال الواقدى : مرض عبد الله بن أُبىّ فى ليال بقَين من شوال ، ومات فى ذى القعدة

---

(١) لية : جبل بالطائف . المراصد .

وكان مرضه عشرين ليلة ، فكان رسول الله يَعوده فيها .

فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه فقال : « قد نهيتك عن حب يهود » فقال : قد أبغَضهم أسعد بن زُرارة فما نفعه ؟

ثم قال : يا رسول الله ليس هذا بحين عِتَاب هو الموت ، فاحضر غسلى وأعطنى قميصك الذى يلى جلدك فكفنى فيه وصَلِّ علىّ واستغفر لى . ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى من حديث سالم بن عَجْلان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحوا مما ذكره الواقدى . فالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهَوَيْه : قلت لأبى أسامة : أحدَّثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبىّ بن سَلُول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلِّى عليه وقد نهاك الله عنه ؟ فقال رسول الله : « إن ربى خيَّرنى فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرةً فلن يغفر الله لهم . » وسأزيد على السبعين » .

فقال : إنه منافق أتصلى عليه ؟ فأنزل الله عز وجل : « ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله » فأقرّ به أبو أسامة وقال : نعم .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى أسامة .

وفى رواية للبخارى وغيره قال عمر : فقلت : يا رسول الله تصلى عليه وقد قال فى يوم كذا كذا وكذا ، وقال فى يوم كذا كذا وكذا ؟ !

فقال : « دعنى ياعمر فإنى بين خِيرتين ، ولو أعلم أنى إن زدتُ على السبعين غُفر له لزدت» ثم صلى عليه . فأنزل الله عز وجل « ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » الآية .

قال عمر : فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله وسوله أعلم .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابر بن عبد الله يقول : أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبرَ عبد الله بن أُبىّ بعد ما أُدخل حفرته ، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه – أو فخذيه – ونفَث عليه من ريقه وألبسه قميصه . فالله أعلم .

وفى صحيح البخارى بهـذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنمـا ألبسه قميصه مكافأةً لِمَـا كان كسا العباسَ قميصا حين قدم المدينة فلم يجـدوا قميصا يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبىّ .

وقد ذكر البيهقى هاهنا قصة ثعلبة بن حاطب ، وكيف افتتن بـكثرة المـال ومنْعه الصدقة ، وقد حررنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى : « ومنهم من عاهدَ الله لئن آتانا مِن فَضْله[1] » الآية .

فصـــل

قال ابن إسحاق : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يعـدِّد أيامَ الأنصار مع رسول الله صلى الله

(١) سورة التوبة ٧٥ .

عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه ، قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألستُ خيرَ معدٍّ كلها نَفراً ... ومعشراً إن هم عُمُّوا وإن حُصِلوا (١)
قوم همُ شَهِدوا بدراً بأجمعهمْ ... مع الرسول فما أَلَّوا وما خَذَلُوا (٢)
وبايَعوه فلم ينكُث به أحدٌ ... منهم ولم يك فى إيمانه (٣) دَخلُ
ويومَ صبحَّهم فى الشِّعب من أُحدٍ ... ضربٌ رَصين كحَرِّ النار مُشتعلُ
ويوم ذى قَرَد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خانوا وما نَكلوا (٤)
وذا العُشَيرة جاسُوها بخيلهمُ ... مع الرسول عليها البِيضُ والأَسَلُ
ويوم وَدّان أجْلوا أهلَه رقَصاً ... بالخيل حتى نهانا الحَزْنُ والجبلُ
وليلةً طَلبوا فيها عدوّهم ... لله والله يجزيهمْ بما عملوا
وليلة بحنينٍ جالَدوا معه ... فيها يُعلّهُم فى الحرب إذ نَهِلُوا
وغزوةً يومَ نجدٍ ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنَّفَلُ
وغزوةَ القاع فرَّقنا العدوّ به ... كما يفرَّق دون المَشْرَب الرَّسَلُ
ويوم بُويع كانوا أهلَ بيعتـه ... على الجِلاد فآسَوْه وما عدَلوا
وغزوة الفتح كانوا فى سَريَّته ... مرابطين فما طاشُوا وما عَجِلوا
ويوم خيبر كانوا فى كتيبته ... يَمشون كلهمُ مستبسلٌ بطلُ
بالبِيض ترْعَش فى الأيمان عاريةً ... تَعوَجُّ بالضَّرب أحيانا وتعتدلُ
ويوم سار رسول الله محتسباً ... إلى تَبوك وهم راياتُه الأُوَلُ
وساسةُ الحرب إن حربٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بدَا لهمُ الإقبالُ والقفَلُ
أولئك القومُ أنصارُ النبى وهم ... قومى أصير إليهم حين أتصلُ
ماتوا كراماً ولم تُنْكث عهودُهم ... وقَتْلُهم فى سبيل الله إذ قُتلوا

(١) حصلوا : جمعوا .
(٢) ألوا : قصروا
(٣) ابن هشام : فى إيمانهم .
(٤) ابن هشام : فما خاموا .

ذكر بَعْث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج

سنة تسع ونزول سورة براءة

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان كما تقدم بيانه مبسوطا، قال: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجَّهم، وأهلُ الشِّرك على منازلهم من حجهم لم يُصدُّوا بعدُ عن البيت، ومنهم من له عهدٌ مؤقت إلى أَمَد.

فلما خرج أبو بكر رضى الله عنه بمن معه من المسلمين وفصَل عن البيت أنزل الله عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة: « براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسِيحوا فى الأرض أربعةَ أشهر » إلى قوله: « وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » إلى آخر القصة.

ثم شرع ابن إسحاق يتكلم على هذه الآيات. وقد بسطنا الكلام عليها فى التفسير ولله الحمد والمنة.

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عليًّا رضى الله عنه بعد أبى بكر الصديق ليكون معه ويتولَّى علىٌّ بنفسه إبلاغَ البراءة إلى المشركين نيابةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكونه ابن عمه من عَصبته.

***

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، أنه قال : لما نزلت « براءةٌ » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعَث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحجَّ ، قيل له : يارسول الله لو بعثتَ بها إلى أبى بكر ؟ فقال : « لا يؤدِّى عنى إلا رجل من أهل بيتى » .

ثم دعا علىَّ بن أبى طالب فقال : « إخرج بهذه القصة من صَدْر براءة ، وأذِّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا إنه لا يَدْخل الجنة كافر ، ولا يحجُّ بعدَ العام مُشْرك ، ولا يطوف بالبيت عُرْيان ، ومن كان له عند رسول الله عهدٌ فهو له إلى مُدَّته » .

فخرج على بن أبى طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَضْباء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أميرٌ أو مأمور ؟ فقال : بل مأمور .

ثم مضَيا ، فأقام أبو بكر للناس الحجَّ ، والعربُ إذ ذاك فى تلك السنة على مَنازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب فأذَّن فى الناس بالذى أمَره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجَّلَ الناس أربعَة أشهر من يوم أَذَّن فيهم ليرجع كلُّ قوم إلى مَأْمنهم وبلادهم ، ثم لا عهدَ لمشرك ولا ذمةَ ، إلا أحدٌ كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فهو له إلى مُدَّته .

فلم يحجَّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يَطُف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

* * *

وقد قال البخارى : باب حَجِّ أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع .

حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فُلَيح ، عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بَعثه فى الحجة التى أمَّره عليها النبى صلى الله عليه وسلم قبلَ حجة الوداع فى رهط يؤذِّن فى الناس : أن لا يحجَّ بعد العام مُشْرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

وقال البخارى فى موضع آخر : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنى عَقِيل ، عن ابن شهاب ، أخبرنى حُمَيد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثنى أبو بكر الصديق فى تلك الحجة فى المؤذِّنين بعثَهم يوم النحر يؤذِّنون بمنًى : أن لا يحجَّ بعدَ العام مُشْرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُرْيان .

قال حُميد : ثم أردف النبىُّ صلى الله عليه وسلم بعلىٍّ فأمَره أن يؤذِّن ببراءة .

قال أبو هريرة : فأذَّن معنا علىٌّ فى أهل منًى يومَ النَّحر ببراءة أن لا يحج بعدَ العام مُشْرك ولا يطوفنَّ بالبيت عريان .

وقال البخارى فى كتاب الجهاد : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شُعيب ، عن الزُّهرى ، أخبرنى حُميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثنى أبو بكر الصديق فيمن يؤذِّن يومَ النحر بمنى لا يحج بعدَ العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

ويومُ الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيلَ الأكبر من أجل قول الناس : العمرة الحجُّ الأصغر .

فنبَذ أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام ، فلم يحج عامَ حجة الوداع الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك .

ورواه مسلم من طريق الزهرى به نحوه .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة ، عن مُغيرة ، عن الشَّعْبي ، عن مُحْرِز بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما كنتم تنادون ؟

قال : كنا ننادي : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فإنّ أجَله ـ أو أمَده ـ إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله برىء من المشركين ورسولُه ، ولا يحجّ هذا البيت بعدَ العام مشركٌ . قال : فكنت أنادي حتى صَحل[1] صوتي .

وهذا إسناد جيد ، لكن فيه نَكَارة من جهة قول الراوي : « إنّ من كان له عَهْد فأجَلُه إلى أَربعة أشهر » .

وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجلُه إلى أمَده بالغاً مابلَغ ، ولو زاد على أربعة أشهر ، ومن ليس له أمَدٌ بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر .

بقي قسم ثالث وهو من له أمدٌ يَتناهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجَله إلى مدته وإن قلّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجل إلى أربعة أشهر ، لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية . والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حمّاد ، عن سِمَاك ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة مع أبي بكر ، فلما بلغ ذا الُحلَيفة قال : « لا يبلّغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي » .

فبعث بها مع علي بن أبي طالب .

---

(١) صحل : بح .

وقد رواه الترمذى من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسن غريب من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد ، عن لُوَين ، عن محمد بن جابر ، عن سِماك عن حَنَش [1] عن على ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أردف أبا بكر بعلىٍّ فأخذ منه الكتاب بالجُحْفة رجع أبو بكر فقال : يارسول الله نَزَل فىَّ شىء ؟ قال : « لا ولكن جبريل جاءنى فقال : لا يؤدِّى عنك إلا أنت أو رجل منك » .

وهذا ضعيف الإسناد ، ومَتْنه فيه نَكارة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أثيع [2] ـ رجل من هَمْدان ـ قال : سألنا عليًّا : بأى شىء بُعثتَ ؟ يوم بَعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فى الحجة .

قال : بأربع : لا يَدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فعَهْده إلى مدته ، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا .

وهكذا رواه الترمذى من حديث سفيان ـ هو ابن عُيَينة ـ عن أبى إسحاق السَّبِيعى ، عن زيد بن أثيع ، عن على به . وقال : حسن صحيح .

ثم قال : وقد رواه شعبة ، عن أبى إسحاق ، فقال عن زيد بن أُثيل . ورواه الثَّورى عن أبى إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن على .

قلت : ورواه ابن جرير من حديث مَعْمَر ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث عن على .

---

(١) غير ا : حلس ، وهو تحريف ، وهو حنش بن المعتمر أو ابن ربيعة بن المعتمر الكنانى الكوفى ، يروى عن على وأبى ذر ، وعنه الحكم وسماك ابن حرب .. خلاصة التهذيب ٨١ .

(٢) الأصل : يثيع . وما أثبته عن مسند أحمد ١ /٧٨

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم ، أخبرنا أبو زُرْعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حَيْوة بن شُرَيح ، أخبرنا ابن صخر ، أنه سمع أبا معاوية البجَلى من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصَّهباء البكرى وهو يقول : سألت علىّ بن أبى طالب عن يوم الحج الأكبر .

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ابن أبى قحافة يقيم للناس الحج ، وبعثنى معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفةَ فخطب الناسَ يومَ عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلىّ فقال : قم يا على فأدِّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صَدَرْنا فأتينا منًى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ، ثم حلقت رأسى ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضورا كلهم خطبةَ أبى بكر رضى الله عنه يوم عرفة ، فطفت أتتبع بها الفَساطيط أقرؤها عليهم .

قال علىّ : فمن ثَمّ أخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة .

وقد تقصينا الكلام على هذا المقام فى التفسير ، وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار فى ذلك مبسوطا بما فيه كفاية . ولله الحمد والمنة .

قال الواقدى : وقد كان خرج مع أبى بكر من المدينة ثلاثمائة من الصحابة ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدنات ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة ، ثم أردفه بعلى فلحقه بالعَرْج (١) فنادى ببراءة أمام الموسم .

فصل

كان فى هذه السنة ـ أعنى فى سنة تسع ـ من الأمور الحادثة : غزوة تبوك فى رجب كما تقدم بيانه .

(١) العرج : قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف ، وقيل واد به . المراصد .

قال الواقدى : وفى رجب منها مات النجاشى صاحب الحبشة ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس .

وفى شعبان منها – أى من هذه السنة – توفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلتها أسماء بنت عُمَيس وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية .

قلت : وهذا ثابت فى الصحيحين ، وثبت فى الحديث أيضا أنه عليه السلام لما صلى عليها وأراد دفنها قال : « لا يَدخله أحدٌ قارفَ الليلة أهلَه » فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه .

[ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك ممن يتبرع بالحفر والدفن من الصحابة كأبى عبيدة وأبى طلحة ومن شابههم ، فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يقارف أهله من هؤلاء » ، إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا بعيد . والله أعلم[(١)]] .

وفيها صُلح ملك أيلة وأهل جَرْباء وأَذْرُح وصاحب دومة الجندل ، كما تقدم إيضاح ذلك [كله][(١)] فى مواضعه .

وفيها هدم مسجد الضرار الذى بناه جماعة من المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب فى الباطن ، فأمر عليه السلام به فحرق .

وفى رمضان منها قدِم وفد ثقيف فصالَحوا عن قومهم ورجعوا إليهم بالأمان [وكُسرت اللات كما تقدم[(١)]] .

وفيها توفى عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول رأس المنافقين لعنه الله فى أواخرها . وقبله بشهر[(٢)]

---

(١) سقط من ا

(٢) غير ا : بأشهر

توفى معاوية بن معاوية الليثى – أو المزنى – وهو الذى صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، إن صحّ الخبر فى ذلك .

وفيها حَجَّ أبو بكر رضى الله عنه بالناس عن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى ذلك .

وفيها كان قدوم عامة وفود أحياء العرب ، ولذلك تسمى سنة تسع سنة الوفود ، وها نحن نعقد لذلك كتابا برأسه اقتداء بالبخارى وغيره .

كتاب الوفود

الواردين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفودُ العرب[1] من كل وَجْه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنةَ الوفود .

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بإسلامها أمْرَ هذا الحىِّ من قريش ، لأن قريشا كانوا إمام النـاس وهاديهم وأهلَ البيت والحرم وصَريحَ ولد إسماعيل بن إبراهيم . وقادةُ العرب لاينكِرون ذلك .

وكانت قريش هى التى نَصَبت الحربَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافِه ، فلما افتُتحت مكة ودانت له قريش ودوَّخها الإسلام ، عرفت العربُ أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله كما قال الله عز وجل أفواجا يَضْربون إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ورأيتَ الناسَ يَدْخلون فى دِين الله أفواجاً ، فسبِّح بحمد ربك واستَغفِره إنه كان تَوابًا » [أى فاحمد الله على ماظَهر من دينك واستغفره إنه كان توابًا][2] .

وقد قدمنا[3] حديث عمرو بن سَلمة قال : كانت العرب تَلوَّمُ بإسلامهم الفَتْحَ فيقولون : اتركوه وقومَه فإنه إن ظهر عليهم فهو [نبىٌّ][2] صادق . فلما كانت وقعةُ

---

(١) ا : الوفود من العرب .   (٢) ليست فى ا .
(٣) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة ص ٦٠٩

أهل الفتح بادَر كلُّ قوم بإسلامهم وبدَر ـ أى قومى ـ بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبى حقا ، قال صلوا صلاة كذا فى حين كذا ،وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن لكم أحدكم وليؤمّكم أكثرُكم قرآنا . وذكر تمام الحديث وهو فى صحيح البخارى .

قلت : وقد ذكر محمد بن إسحاق ثم الواقدى والبخارى ثم البيهقى بعدهم من الوفود ماهو متقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع ، بل وعلى فتح مكة .

وقد قال الله تعالى : « لا يَسْتَوى مِنكم مَن أنفَق من قبلِ الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا مِن بعدُ وقاتلوا وكلاًّ وعَد الله الُحسْنى » وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : « لا هجرةَ ولكن جهادٌ ونية » .

فيجب التمييز بين السابق من هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ممن يُعدُّ وفوده هجرةً ، وبين اللاحق لهم بعدَ الفتح ممن وعده [الله خيرا وحُسنى ، ولكن ليس فى ذلك كالسابق له فى الزمان والفضيلة والله أعلم][(١)] .

على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا فيما أوردوه أشياء [لم يذكروها ، ونحن نورد بحمد الله ومنّه ماذكروه ، وننبه على ماينبغى التنبيه عليه من ذلك ونذكر ماوقع لنا مما أهملوه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان][(٢)] .

* * *

وقد قال محمد بن عمر الواقدى : حدثنا كثير بن عبد الله المزنى ، عن أبيه ، عن جده، قال : كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة، وذاك فى رجب سنة خمس .

---

(١) سقطت من ا .

(٢) سقط من ا

فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرةَ فى دارهم وقال : « أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم .

ثم ذكر الواقدى عن هشام بن الكلبى بإسناده ، أن أول من قدم من مُزَينة خُزَاعىُّ ابن عبد نهم ومعه عشرة من قومه مُزَينة ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم [على إسلام قومه] ، فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظن فيهم فتأخروا عنه .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حسانَ بن ثابت أن يُعرِّض بخزاعى من غير أن يهجوه ، فذكر أبياتا ، فلما بلغت خزاعيًّا شكا ذلك إلى قومه فجمعوا له وأسلموا معه وقدِم بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مُزَينة — وكانوا يومئذ ألفًا — إلى خزاعىّ هذا . قال : وهو أخو عبد الله ذى البِجَادين .

وقال البخارى رحمه الله : باب وفد بنى تميم : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا سفيان ، عن أبى صخرة ، عن صفوان بن مُحْرز المازنى ، عن عمران بن حُصَين ، قال : أتى نفرٌ من بنى تميم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » قالوا : يارسول الله قد بشَّرتنا فأعطنا — فرُئى ذلك فى وجهه . ثم جاء[1] نفر من اليمن فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يَقبلها بنو تميم » فقالوا : قد قبلنا يارسول الله .

ثم قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام بن يوسف ، أن ابن جُرَيج أخبره عن ابن أبى مُلَيكة ، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم : أنه قدِم ركبٌ من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أمِّر القَعقاعَ بن مَعْبَد بن زُرَارة . فقال عمر : بل أمِّر الأقرعَ بن حابس . فقال أبو بكر : ما أردتَ إلا خِلَافى . فقال عمر : ما أردتُ خلافك .

(١) ا : فجاء .

فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزلت : « يأيها الذين آمَنوا لا تقدِّموا بينَ يدَىِ الله ورسوله » حتى انقَضت .

ورواه البخارى أيضا من غير وجه عن ابن أبى مُلَيكة بألفاظ أخر . وقد ذكرنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى : « لا ترفعوا أصواتكم فوقَ صوت النبى » الآية .

* * *

وقال محمد بن إسحاق: ولما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودُ العرب قدِم عليه عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارة بن عَدس التميمى ، فى أشراف من بنى تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمىّ ، والزِّبرقان بن بدر التميمىّ - أحد بنى سعد - وعمرو بن الأهتم ، والَحبْحاب[1] بن يزيد ، ونُعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنين والطائف، فلما قدم وفدُ بنى تميم كانا معهم .

ولما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يامحمد . فآذَى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يامحمد جئناك نفَاخرك فَأْذن لشاعرنا وخَطيبنا . قال : « قد أذنتُ لخطيبكم فليقل » .

فقام عُطَارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ وهو أهله ، الذى

---

(١) الأصل : الحجاب . وما أثبته عن ابن هشام . قال ابن هشام : الحتات : وهو الذى آخى رسول الله (ص) بينه وبين معاوية بن أبى سفيان . واختاره السهيلى فى الروض .

جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالًا عِظَامًا نفعل فيها المعروفَ ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عَدَدا وأيسره عُدةً .

فمن مِثلنا فى الناس ، ألسنا برءوس الناس وأولى فَضْلهم ؟ فمن فاخَرنا فليعدِّد مثلَ ماعدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكن نخشى[1] من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف [بذلك][2] أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شَمَّاس أخى بنى الحارث بن الخزرج: « قم فأجِب الرجل فى خطبته » .

فقام ثابت فقال : الحمد لله الذى السمواتُ والأرض خَلْقه ، قضى فيهن أَمْره ، ووسِع كرسيُّه علمَه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله .

ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خيرته رسولا أكرمُه نسباً وأصدَقه حديثاً وأفضله حسَبا ، فأنزل عليه كتابا وائتمنه على خَلقه ، فكان خيرةَ الله من العالمين .

[ثم] دعا الناسَ إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس أحساباً ، وأحسنُ الناس وجوها ، وخير الناس فِعالا ، ثم كان أول الخلْق إجابةً واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناسَ حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمَه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً وكان قَتْله علينا يسيرا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

---

(١) ابن هشام : نحيا

(٢) من ابن هشام .

فقام الزِّبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حيٌّ يُعادِلنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنصب البِيَعُ(١)

وكم قَسرْنا مِن الأحياء كلهمُ ... عندَ النِّهابِ وفَضْلُ العز يُتَّبعُ

ونحن يُطعِم عند القَحْط مُطْعِمُنا ... من الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ(٢)

بما ترى الناس تأتينا سَراتهم ... من كل أرض هُوِيًّا ثم نُصطنعُ(٣)

فننحر الكُومَ عُبْطًا في أَرُومتنا ... للنازلين إذا ما أُنزلوا شَبِعوا(٤)

فما ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم ... إلا استفادوا وكانوا الرأسَ يُقتطعُ

فمن يفاخرنا في ذاك نَعرفه ... فيرجع القومُ والأخبار تُستَمعُ

إنا أَبَيْنا ولم يأبى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نَرتفعُ(٥)

قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فلما انتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعرُ القوم فقال ماقال ، عرَضتُ في قوله وقلت على نحو ماقال .

فلما فرغ الزِّبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ثابت : « قم ياحسان فأجب الرجل فيما قال » . فقال حسان :

إنّ الذَّوائبَ من فِهرٍ وإخوتِهمْ ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للناس تُتَّبعُ

يَرضى بها كلُّ من كانت سَريرته ... تَقوى الإلهِ وكلَّ الخير يَصطنعُ

قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عدوَّهمُ ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نَفَعوا

سجيةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثةٍ ... إن الخلائقَ ـ فاعلم ـ شرُّها البِدَعُ

---

(١) البيع : جمع بيعة ، وهى موضع الصلاة . (٢) القزع : القطع من السحاب .

(٣) الهوى : الإسراع .

(٤) الكوم : الإبل العظام الأسنمة . وعبطا : من غير علة .

(٥) قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان .

إنْ كان فى الناس سَبَّاقون بعدَهم فـكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهم تَبعُ
لا يرقَع النـاسُ ماأوْهَتْ أكفُّهم عندَ الدفاع ولا يُوهون مارَقَعوا
إنْ سابَقوا الناسَ يوماً فاز سَبْقُهم أو وازنوا أهلَ مجدٍ بالندى مَنعوا[(١)]
أعفَّةٌ ذُكرتْ فى الوحى عِفَّتهم لا يَطْمَعونَ ولا يُرْديهمُ طمعُ
لا يبخلون على جارٍ بفضلهمُ ولا يمسّهم مِن مَطْمـعٍ طَبَـعُ
إذا نَصبنا لحىٍّ لم نَدِبَّ لهم كما يَدبُّ إلى الوحشيَّة الذَّرَع[(٢)]
نَسْمو إذا الحرب نالَتْنا مخالبُهـا إذا الزَّعانفُ من أظفارها خَشَعُوا
لا يَفخرون إذا نالوا عـدوَّهمُ وإن أُصيبوا فلا خَوَرٌ ولا هَلَعُ
كأنهمْ فى الوغَى والموتُ مُـكْتَنِـعٌ أُسْدٌ بحَلْيةَ فى أرسـاغها فَدَع[(٣)]
خذ منهمُ ما أتوا عفواً إذا غَضِبوا ولا يكن همَّك الأمرُ الذى مَنعوا
فإنّ فى حَربِهم ـ فاتركْ عداوتَهم ـ شرًّا يُخاض عليـه السمُّ والسَّلَع[(٤)]
أَكرِمْ بقومٍ رسولُ الله شِيعتُهم إذا تفاوَتت الأهواء والشِّيَـعُ
أَهدَى لهم مِـدْحتى قلبٌ يؤازره فيما أحبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنهم أفضلُ الأحياء كلهمُ إنْ جَدَّ فى الناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[(٥)]

* * *

وقال ابن هشام: وأخبرنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم أن الزبرقان لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال:

أتيناك كَيْما يَعلم النـاسُ فَضْلَنـا إذا اختلفوا عندَ احتضار المواسمِ

---

(١) ا، ت: قنعوا. وفى ابن هشام: متعوا. ومعناها: زادوا.
(٢) الذرع: ولد البقرة الوحشية.
(٣) المكتنع: القريب. وحلية موضع كثير الأسود. والفدع: اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل.
(٤) السلع: نبت سام.
(٥) شمعوا: مزحوا.

بأنّا فروعُ الناس فى كل مَوْطنٍ ... وأنْ ليس فى أرض الحجاز كدارِمِ
وأنا نذود المعْلَمين إذا انتخَوا ... ونضرب رأسَ الأصْيَدالمُتفاقِمِ
وإن لنا المِرْباعَ فى كل غارة ... نُغير بنجدٍ أو بأرض الأعاجمِ

قال : فقام حسان فأجابه فقال :

هل المجدُ إلا السؤدد العوْدُ والندَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ
نَصرنا وآوينا النبىَّ محمداً ... على أنفِ راضٍ من مَعدٍّ وراغمِ
بحىٍّ حَريدٍ أصلُه وثراؤه ... بجابية الجوْلان وسط الأعاجم(١)
نَصرناه لمَّا حَلَّ بينَ دِيارنا(٢) ... بأسيافنا من كلِّ باغٍ وظالمِ
جعلنا بَنينا دونَه وبناتنا ... وطِبْنا له نفساً بفىء المغانمِ
ونحن ضَرْبنا الناسَ حتى تَتابعوا ... على دينه بالمرهَفات الصوَّارمِ
ونحن وَلدنا من قريش عظيمَها ... ولدنا نبىَّ الخير من آل هاشمِ
بَنى دارم لا تَفخروا إنّ فَخْركم ... يعودُ وبالًا عندَ ذِكر المكارمِ
هَبِلتم علينا تفخرون وأنتمُ ... لنا خَوَلٌ من بين ظِئرٍ وخادمِ
فإن كنتمُ جئتم لَحقْن دمائكم ... وأموالِكم أن تُقْسَموا فى المقاسمِ
فلا تجعلوا لله نداًّ وأسلِموا ... ولا تَلْبسوا زياًّ كزى الأعاجمِ

* * *

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى إن هذا لَمُؤتَى له ! لخطيبه أَخْطبُ من خطيبنا ، ولشاعره أَشْعَرُ من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

---

(١) الحريد : المنفرد . وجابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . المراصد .
(٢) غير ا : بيوتنا .

قال : فلما فرغ القوم أسلموا وجوّزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم . وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى رحالهم ، وكان أصغرهم سنًّا ، فقال قيس ابن عاصم — وكان يُبغض عمرو بن الأهتم — : يارسول الله إنه كان رجل منّا فى رحالنا وهو غلام حدَث . وأزرَى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ماأعطى القوم .

فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك ، يهجوه :

ظَلَلت مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتمنى　　عندَ الرسول فلم تَصْدُق ولم تُصبِ (١)

سُدْنا كم سؤدداً رَهْواوسُؤددكم　　بادٍ نواجذه مُقْعٍ على الذنَبِ (٢)

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن محمد بن الزبير الحنظلى ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزِّبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، فقال لعمرو بن الأهتم : « أخبرْنى عن الزبرقان ، فأما هذا فلست أسألك عنه » وأراه كان قد عرف قيسا .

قال : فقال : مُطاع فى أَدْنَيه ، شديد العارضة ، مانعٌ لمَا وراءظهره . فقال الزبرقان : قد قال ماقال وهو يعلم أنى أفضل مما قال .

قال فقال عمرو : والله ماعلمتك إلا زَمِر (٣) المروءة ، ضَيِّقَ العطَن ، أحمقَ الأب ، لئيم الخال . ثم قال : يارسول الله قد صدقتُ فيهما جميعا ، أرضانى فقلت بأحسن ما أعلمُ فيه ، وأسخَطنى فقلت بأسْوء ما أعلم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ من البيان سِحْراً » .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

---

(١) الهلباء : يريد الدبر ، والهلب : شعر الذنب

(٢) الرهو : المتسع .

(٣) زمر المروءة : قليلها .

قال البيهقي : وقد روى من وجه آخر موصولا : أنبأنا أبو جعفر كامل بن أحمد المُستملى ، حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادى ، حدثنا محمد بن عبد الله ابن الحسن العلاف ببغداد ، حدثنا على بن حرب الطائى ، أنبأنا أبو سعد بن الهيثم بن محفوظ ، عن أبى المقوّم يحيى بن يزيد الأنصارى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيسُ بن عاصم والزِّبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميون ، ففَخر الزبرقان فقال : يارسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب ، أَمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم ، وهذا يعلم ذلك – يعنى عمرو بن الأهتم – فقال عمرو بن الأهتم : إنه لَشديد العارضة ، مانعٌ لجانبه ، مطاع فى أدنيه .

فقال الزبرقان : والله يارسول الله لقد علم منى غيرَ ماقال ، وما منعه أن يتكلم إلا الحسدُ .

فقال عمرو بن الأهتم : أنا أحسدك ؟ فوالله إنك لَلئيم الخالى ، حديث المال ، أحمق الولد ، مضيَّع فى العشيرة ، والله يارسول الله لقد صدقتُ فيما قلت أولا ، وما كذبت فيما قلت آخراً ، ولكنى رجل إذا رضيت قلت أحسنَ ماعلمت ، وإذا غضبت قلت أقبحَ ماوجدت ، ولقد صدقتُ فى الأولى والأخرى جميعا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ من البيان سِحْرا » .

وهذا إسناد غريب جداً .

[وقد ذكر الواقدى سببَ قدومهم وهوأنهم كانوا قد شَهَروا السلاحَ على خزاعة ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عُيَينة بن بدر فى خمسين ليس فيهم أنصارى ولا مهاجرى ، فأسَر منهم أحدَ عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبيا ، فقدِم رؤساؤهم بسبب أسراهم ، ويقال قدم منهم تسعون – أو ثمانون – رجلا فى ذلك منهم عُطَارد والزِّبرقان وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد والأقرع بن حابس

ورباح بن الحارث وعمرو بن الأهتم ، فدخلوا المسجد وقد أذّن بلال الظهر والناس ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج إليهم ، فعجِل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات ، فنزل فيهم مانزل .

ثم ذكر الواقدى خطيبهم وشاعرهم ، وأنه عليه السلام أجازهم كلَّ رجل اثنى عشر أوقية ونَشًّا ، إلا عمرو بن الأهتم فإنما أعطى خمس أواق لحداثة سنه . والله أعلم][(١)].

قال ابن إسحاق : ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى : « إنّ الذين يُنادُونك من وراء الحجُرات أكثرُهم لا يَعقِلون ، ولو أنهم صَبَروا حتى تَخْرج إليهم لـكان خَيراً لهم والله غفور رحيم » .

قال ابن جرير : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المرْوَزِى ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن أبى إسحاق ، عن البراء فى قوله : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » . قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد إن حَمْدى زَيْن ، وذَمِّى شَين . فقال : « ذاك الله عز وجل » .

وهذا إسناد جيد متصل .

وقد روى عن الحسن البصرى وقتادة مرسلا عنهما .

وقد وقع تسمية هذا الرجل فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى بن عُقبة ، عن أبى سلمة ، عن عبد الرحمن ، عن الأقرع بن حابس ، أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد يامحمد . وفى رواية : يارسول الله . فلم يجبه . فقال : يارسول الله إن حمدى لزَيْن ، وإن ذمى لشَيْن . فقال : « ذاك الله عز وجل » .

---

(١) تأخرت فى ا إلى نهاية الفصل .

فصل فى فضل بنى تميم

قال البخارى : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا جرير ، عن عُمَارة بن القَعْقاع ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة ، قال : لا أزال أُحبُّ بنى تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم :

« هم أشدُّ أمتى على الدجال » وكانت فيهم سَبِيَّة عند عائشة فقال : « أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل » وجاءت صدَقاتهم فقال : « هذه صدقات قوم ـ أو قومى ـ » .

وهكذا رواه مسلم عن زهير بن حرب به .

[وهذا الحديث يردُّ على قتادة[1] ماذكره صاحب الحماسة وغيره من شعر من ذمّهم حيث يقول :

تميمٌ بطُرْق اللؤم أهْـدَى من القَطا ... ولو سلـكتْ طُرْقَ الرشاد لَضلّتِ

ولو أن برغوثاً على ظَهـر قملةٍ ... رأته تميمٌ من بعيـد لَولّتِ][2]

وفد بنى عبد القيس

ثم قال البخارى بعد وفد بنى تميم : باب وفد عبد القيس .

حدثنا أبو إسحاق[3] ، حدثنا أبو عامر العقَدى ، حدثنا قُرَّة ، عن أبى جَمْرَة[4] قال قلت لابن عباس : إن لى جَرَّة يُنْتَبَذ لى فيها فأشرب به حلواً فى جَرّ[5] إن أكثرت منه فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيتُ أن أفتضح ؟

فقال : قدم وفدُ عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مرحباً

---

(١) كذا بالأصل . (٢) سقط من ا . (٣) البخارى : حدثنى إسحق .
(٤) الأصل : عن أبى حمزة . والتصويب من صحيح البخارى ٢ / ٢٦٦
(٥) الجر : كل شىء يصنع من المدر .

بالقوم غيرَ خزايا ولا الندامى » فقالوا : يارسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مُضَر ، وإنا لا نَصِل إليك إلا فى الشهر الحرام ، فحدثنا بجميلٍ [1] من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو به مَن وراءنا .

قال : « آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تُعطوا من المغانم الخُمس . وأنهاكم عن أربع : ما يُنْتَبذ فى الدُّبَّاء والنَّقير والحَنْتَم والمُزَفَّت » [2] .

وهكذا رواه مسلم من حديث قُرَّة بن خالد ، عن أبى جَمْرة به . وله طرق فى الصحيحين عن أبى جمرة .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده: حدثنا شعبة ، عن أبى جَمْرة ، سمعت ابن عباس يقول : إن وفد عبدالقيس لما قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ممن القوم؟» قالوا : من ربيعة . قال : « مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا الندامى » .

فقالوا : يارسول الله إنا حىٌّ من ربيعة ، وإنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة ، وإنه يَحُول بيننا وبينك هذا الحىُّ من كفار مُضَر ، وإنا لا نصل إليك إلا فى شهر حرام ، فمُرْنا بأمر فَصْل ندعو إليه مَن وراءنا وندخل به الجنة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . آمركم بالإيمان بالله وحده . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تُعطُوا من المغانم الخُمس . وأنهاكم

---

(١) صحيح مسلم : بأمر فصل . وفى البخارى : بجمل من الأمر .

(٢) الدباء : القرع اليابس ، والمراد : الوعاء منه . والحنتم : جرار خضر . والنقير : جذع ينقر وسطه والمزفت : المطلى بالقار .

عن أربع . عن الدُّباء والحنتم والنَّقِير والمزَفَّت ــ وربما قال والمقَيَّر ــ فاحفظوهن وادعوا إليهن مَن وراءكم » .

وقد أخرجه صاحبا الصحيحين من حديث شعبة بنحوه .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد بحديث قصتهم بمثل هذا السياق .

وعنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس : « إن فيك لخلّتين يحبهما الله عز وجل ؛ الحلم والأناة » وفى رواية : « يحبهما الله ورسوله » فقال : يا رسول الله [تخلَّقتُهما أم جَبَلنى الله عليهما ؟ فقال :« جَبلك الله عليهما » فقال : الحمد لله الذى جَبَلنى على خُلقين يحبهما الله ورسوله[1]] .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا مَطر بن عبد الرحمن ، سمعت هنداً بنت الوازع ، أنها سمعت الوازع يقول : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والأشجُّ المنذر بن عامر ــ أو عامر بن المنذر ــ ومعهم رجل مصاب ، فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وثَبوا من رواحلهم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلوا يده ، ثم نزل الأشجُّ فعقَل راحلته وأخرج عَيْبته ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقَلها ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أشجُّ إنّ فيك خَصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله : الحلم والأناة » فقال : يارسول الله أنا تخلَّقتُهما أو جَبلنى الله عليهما ؟ فقال : « بل الله جَبَلك عليهما » قال : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله عز وجل ورسوله .

فقال الوازع : يا رسول الله إن معى خالا لى مصابا ، فادع الله له . فقال : « أين هو

(١) سقط من ا .

أنفنى به » قال : فصنعت مثلَ ما صنع الأشج ، ألبسته ثوبيه وأتيته ، فأخذ من ردائه[1] يرفعهما حتى رأينا بياضَ إبطه ، ثم ضرب بظهره فقال : « اخرج عدوّ الله » فولّى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح .

وروى الحافظ البيهقى من طريق هود بن عبد الله بن سعد ، أنه سمع جده مزيدة العبدى ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم : « سيَطْلع من هاهنا ركبٌ هم خيرُ أهل المشرق » .

فقام عمر فتوجَّه نحوهم فتلقى ثلاثة عشر راكبا ، فقال : من القوم ؟ فقالوا : من بنى عبد القيس . قال : فما أقْدَمكم هذه البلاد ، التجارة ؟ قالوا : لا . قال : أمَا إن النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيراً .

ثم مشوا معه حتى أتوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذى تريدون . فرمى القومُ بأنفسهم عن ركائبهم ، فمنهم من مشى ومنهم من هَرْوَل ومنهم من سعى ، حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا بيده فقبّلوها ، وتخلّف الأشجُ فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ، ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّ فيك خَلَّتين يحبهما الله ورسوله » . قال : جبل جُبلتُ عليه أم تخلقاً منى ؟ قال : بل جبل . فقال : الحمد لله الذى جَبَلنى على ما يحب الله ورسوله .

* * *

وقال ابن إسحاق : وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حَنش أخو عبد القيس . قال ابن هشام : وهو الجارود بن بشر بن المعلَّى . فى وفد عبد القيس وكان نصرانيًّا .

(١) غير ا : من ورائه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن[1] قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّمه فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه ورغَّبه فيه ، فقال : يا محمد إنى كنت على دِين وإنى تاركٌ دينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه » قال : فأسلم وأسلم أصحابه .

ثم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الْحُمْلانَ فقال : والله ما عندى ما أحملكم عليه » . قال : يارسول الله فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالٌ من ضوالِّ الناس ، أفنتبلَّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرق النار .

قال : فخرج الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسَن الإسـلام صَلباً على دِينه حتى هلك .

وقد أدرك الردةَ ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشَّهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأُكفِّر من لم يشهد .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحَضْرَمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العَبْدى فأسـلم فحسُن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

ولهذا روى البخارى من حديث إبراهيم بن طَهْمَان عن أبى جَمْرة ، عن ابن عباس ،

---

(١) ابن هشام : عن الحسين

قال : أولُ جمعة جُمعت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجُوَاثى من البحرين .

وروى البخارى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخَّر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس حتى صلاهما بعد العصر فى بيتها .

قلت : لكن فى سياق ابن عباس ما يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة لقولهم : وبيننا وبينك هذا الحى من مضر ، لا نصل إليك إلا فى شهر حرام . والله أعلم .

قصة ثُمَامة ووفد بنى حنيفة

ومعهم مسيلمة الكذاب لعنه الله

قال البخارى : باب وفد بنى حنيفة وقصة ثُمَامة بن أثال .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد ، سمع أبا هريرة قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قِبَل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثُمَامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ قال : عندى خير يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم ، وإن تُنْعِم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فَسَلْ منه ما شئت .

فتركه حتى كان الغد ثم قال له : « ما عندك يا ثُمَامة » ؟ فقال : عندى ما قلت لك ، إن تُنْعِم تنعم على شاكر ، فتركه حتى بعد الغد فقال : « ما عندك يا ثُمَامة » ؟ فقال عندى ما قلت لك . فقال : « أطلقوا ثمامة » .

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إلىّ ، والله ما كان دينٌ أبغضَ إلىّ من دينك فأصبح دِينُك أحبَّ الدِّين إلىّ ، والله ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد إلى ، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟

فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوتَ ؟ قال : لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يَأْذَن فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم وأبو داود والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث به .

وفى ذكر البخارى هذه القصة فى الوفود نظر .

وذلك أن ثمامة لم يَفِدْ بنفسه وإنما أُسر وقُدم به فى الوَثاق فربط بسارية من سوارى المسجد .

ثم فى ذكره مع الوفود سنة تسع نظر آخر ، وذلك أن الظاهر من سياق قصته أنها قبيل الفتح ، لأن أهل مكة عيّروه بالإسلام وقالوا : أصبوت ؟ فتوعَّدهم بأنه لا يفد إليهم من اليمامة حبةُ حنطةٍ مِيرةً حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدلَّ على أن مكة كانت إذ ذاك دارَ حرب لم يُسْلِم أهلها بعد . والله أعلم .

ولهذا ذكر الحافظ البيهقى قصةَ ثُمامة بن أثال قبل فتح مكة وهو أشبه ، ولكن ذكرناه ها هنا إتباعا للبخارى رحمه الله .

* * *

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شُعيب ، عن عبدالله بن أبى حسين ،

حدثنا نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدِم مُسَيلمة الـكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : إنْ جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعتُه . وقدِم فى بشر كثير من قومه .

فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جَريد ، حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال له : «لو سألتَنى هذه القطعة ما أعطيتُـكها[1] ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرتَ ليَعْقرنك الله ، وإنى لأراك الذى رأيتُ فيه ما أريت ، وهذا ثابتٌ يجيبك عنى » ثم انصرف عنه .

قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنك الذى رأيت فيه ما أريت » فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم رأيت فى يدى سِوارين من ذهب فأهمَّنى شأنهمـا ، فأُوحى إلىَّ فى المنـام : أن انفخهما فنفختهما فطارا ، فأوَّلتهما كذَّابين يخرجان بعدى أحدهما الأسود العَنْسى والآخر مسيلمة» .

ثم قال البخارى : حدثنا إسحاق بن نصر[2]، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنى مَعْمَر ، عن همَّام بن منبِّه[3] ، أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض فوضع فى كفى سِوَاران من ذهب ، فـكَبُرا على فأُوحى إلى: أن انفخهما . فنفختهما فذهبا فأوَّلتهما الـكذابين اللذين أنا بينهمـا ؛ صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة » .

ثم قال البخارى : حدثنا سعيد بن محمد الجَرْمى ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى ، عن صالح ، عن ابن عبيدة ، بن نَشيط ـ وكان فى موضع آخر اسمه عبدالله ـ أن عبيدالله بن عبد الله بن عتبـة قال : بلغنا أن مُسَيلمة الـكذاب قدم المدينـة فنزل فى دار بنت الحارث وكان تحتـه بنت الحـارث بن كُريز وهى أم عبد الله بن عامر بن كُريز ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وهو الذى يقال له :

---

(١) الأصل : أعطيتها . وما أثبته عن صحيح البخارى ١/٢٦٨ . (٢) الأصل : منصور . وما أثبته عن البخارى . (٣) الأصل : هشام بن أمية . وما أثبته عن البخارى .

خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب فوقف عليه فكلمه ، فقال له مسيلمة : إن شئتَ خلّيتُ بينك وبين الأمر ، ثم جعلتَه لنا بعدك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سألتنى هذا القضيب ما أعطيتكه وإنى لأراك[1] الذى رأيتُ فيه ما رأيت ، وهذا ثابت بن قيس وسيجيبك عنى » فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبيد الله بن عبد الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكر ، فقال ابن عباس : ذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم أُريتُ أنه وضع فى يدى سواران من ذهب ففَظِعتهما[2] وكرهتهما ، فأُذن لى فنفختهما فطارا ، فأوّلتُهُما كذابين يخرجان » .

فقال عبيد الله : أحدهما العَنْسى الذى قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب .

* * *

وقال محمد ابن إسحاق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة [بن حبيب الكذاب . قال ابن هشام : وهو مسيلمة[3]] بن ثُمَامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون ، وكان قد تسمى بالرحمن فكان يقال له رحمن اليمامة ، وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة ، وكان يعرف أبوابا من النيرجات[4] ، فكان يدخل البيضة إلى القاروة ، وهو أول من فعل ذلك ، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ، ويدعى أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها .

قال ابن إسحاق : وكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم من بنى النجار .

---

(١) ا : وإنى أراك .

(٢) ففظعتهما : كرهتهما . وفى الأصل : فقطعتهما . وهو تحريف . (٣) سقط من المطبوعة .

(٤) السهيلى : النيروجات . وفى القاموس : النيرنج : أخذ كالسحر وليس به .

[قال السُّهيلى : هى زينب ، وقيل كَيْسة[1] بنت الحارث بن كُرَيز بن حبيب بن عبدشمس ، وكان مسيلمة قد تزوَّجها قديما ثم فارقها ، فلهذا نزلوا فى دارها[2]] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه معه عَسِيب من سَعف النخل فى رأسه خوصات، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلَّمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لوسألتَنى هذا العَسِيب ماأعطيتُكه » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، وزعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلَّفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذَكروا مكانه فقالوا : يارسول الله إنا قد خلَّفنا صاحباً لنا فى رِحَالنا وفى ركائبنا يَحْفظها لنا .

قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ماأمر به للقوم ، وقال : « أمَا إنه ليس بشَرِّكم مكانا » أى لحفظه ضيعة أصحابه . ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءوا مسيلمةَ بما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدو الله وتنبَّأ وتكذَّب لهم ، وقال : إنى قد أُشركت فى الأمر معه .

وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يَقل لكم حين ذكرتمونى له : « أمَا إنه ليس بشرِّكم مكانا » ماذاك إلا لمَا كان يَعلم أنى قد أُشركت فى الأمر معه .

ثم جعل يَسْجع لهم السَّجعات ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن : لقد أنعم الله على

(١) الأصل : كبشة وما أثبته عن الروض الأنف ٢/ ٣٤١ . (٢) سقط من المطبوعة .

الحُبلى ، أخرج منها نَسمةً تسعَى ، من بين صِفَاق(١) وحَشا .

وأحلَّ لهم الخمر والزنا ، ووضَع عنهم الصلاة ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي .

فأصْفَقت(٢) معه بنو حنيفة على ذلك .

قال ابن إسحاق فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

وذكر السُّهيلى وغيره أن الرَّحال بن عُنْفُوة ـ واسمه نَهار بن عنفوة ـ وكان قد أسلم وتعلَّم شيئا من القرآن وصحب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مدة ، وقد مرّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبى هريرة وفُرات بن حَيَّان فقال لهم : « أحدكم ضِرْسه فى النار مثلُ أُحد » .

فلم يزالا خائفين حتى ارتدَّ الرحَّال مع مسيلمة وشهد له زُوراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرَكه فى الأمر معه ، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادَّعاه مسيلمة لنفسه ، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبنى حنيفة ، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة .

قال السُّهيلى : وكان مؤذِّن مسيلمة يقال له حُجَير ، وكان مدبِّر الحرب بين يديه مُحكم بن الطُّفَيل .

وأضيف إليهم سَجَاح ، وكانت تكنى أمّ صادر ، وتزوجها مسيلمة ، وله معها أخبار فاحشة ، واسم مؤذِّنها زهير بن عمرو ، وقيل جَنبة بن طارق ، ويقال إن شَبَث ابن رِبعىّ أذَّن لها أيضا ثم أسلم ، وقد أسلمت هى أيضاً أيام عمر بن الخطاب فحسُن إسلامها .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق : وقد كان مسيلمة بن حَبيب كتب إلى

---

(١) الصفاق : جلد البطن .

(٢) أصفقت : اجتمعت .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ؛ سلام عليك . أمّا بعد فإني قد أُشْرِكت فى الأمر معك ، فإن لنا نِصْف الأمر ولقريش نصف الأمر ، ولكن قريشاً قومٌ يَعْتَدون.

فقدِم عليه رسولان بهذا الكتاب ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مُسَيلمة الكذّاب . سلَام على من اتبع الهدَى ، أما بعد : فإن الأرض لله يورِثها مَن يشاء من عبادِه والعاقبةُ للمتقين ».

قال : وكان ذلك فى آخر سنة عشر — يعنى ورود هذا الكتاب . [وقد روى البخارى قصة هذا الكتاب فى صحيحه .][(1)] قال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق : فحدثنى سعد بن طارق ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه يقول لهما : « وأنتما تقولان مثل مايقول ؟ » قالا : نعم . فقال أماَ والله لولا أن الرُّسل لا تُقتل لضربتُ أعناقكما .

وقال أبو داود الطَّيالسى : حدثنا المسعودىّ ، عن عاصم ، عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود . قال : جاء ابن النَّواحة وابن أُثَال رسولين لمسيلمة الكذاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما : « أتشهدان أنى رسول الله » فقالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمنتُ بالله ورسله ، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتُكما » .

قال عبد الله بن مسعود : فمضت السُّنة بأن الرسل لا تُقْتَل .

قال عبد الله : فأما ابن أُثَال فقد كفاه الله ، وأما ابن النَّواحة فلم يزل فى نفسى منه حتى أمكَن الله منه .

---

(١) من ا .

قال الحـافظ البيهقي : أما أسامة بن أثال فإنه أسلم . وقد مضى الحـديث في إسـلامه [1] .

وأما ابن النّواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزني ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا جعفر بن عون ، أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرءون قراءةً ما أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم : والطاحناتِ طَحناً والعاجنات عَجناً ، والخابزات خَبزاً ، والثارِدَات ثَرْداً ، واللاقِمَات لقماً .

قال : فأرسل إليهم عبـد الله فأتى بهم وهم سبعون رجلا ، ورأسهم عبد الله بن النواحة . قال : فأمر به عبد الله فقتل ثم قال : ما كنا بمُحْرِزين الشيطان من هؤلاء ، ولـكن نحوزهم إلى الشام لعل الله أن يكفيناهم .

* * *

وقال الواقدي : كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلا عليهم سُلْمى بن حنظلة ، وفيهم الرحَّال بن عنفوة وطَلْق بن علي وعلي بن سِنان ومُسَيلمة بن حبيب الـكذاب ، فأُنزلوا في دار مسلمة بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة ، فـكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرة خبزاً ولحـماً ، ومرة خبزاً ولبنـاً ، ومرة خـبزاً ، ومرة خبزاً وسمناً ، ومرة تمراً ينُثرلهم .

فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلَّفوا مسيلمة في رحالهم ، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة ، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم ، لمّا ذكروا أنه في رحالهمْ ، فقال : « أمَا إنه ليس بشرِّكم مكاناً » .

---

(١) تقدم ذلك في هذا الجزء .

فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه ، فقال : إنما قال ذلك لأنه عرَف أن الأمر لى من بَعده .

وبهذه الكلمة تشبَّثَ قبحه الله حتى ادعى النبوة .

قال الواقدى : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ معهم بإداوة فيها فَضْل طَهوره ، وأمرهم أن يهدموا بيعتهم ويَنْضحوا هذا الماء مكانه ويتخذوه مسجداً ففعلوا .

وسيأتى ذكر مقتل الأسود العَنْسى فى آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِل مسيلمة الكذاب فى أيام الصديق .

وفد أهل نجران

قال البخارى : حدثنا عباس بن الحسين ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن صِلَة بن زُفَر ، عن حذيفة ، قال : جاء العاقب والسَّيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يُلاعناه .

قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيا فلاعَنَّاه لا نُفلح نحن ولا عَقِبُنا من بعدنا .

قالا : إنا نعطيك ماسألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا رجلا أميناً ، فقال : « لأبعثن معكم رجلا أمينا حقَّ أمين » .

فاستشرف لها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم يا أبا عبيدة ابن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أمينُ هذه الأمة » .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث شعبة ، عن أبى إسحاق به .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى ابن الفضل ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن سلمة بن عبد يَسُوع ، عن أبيه عن جده ـ قال يونس : وكان نصرانيا فأسلم ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان « باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران أسلِمْ أنتم ، فإنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ أما بعد فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العِبَاد ، فإن أَبَيْتم فالجزية ، فإن أبيتم آذنتُكم بحرب والسلام » .

فلما أتى الأسقفَّ الكتابُ فقرأه فَظِع به وذعر به ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شُرَحْبيل بن وَداعة ـ وكان من همدان ، ولم يكن أحد يُدْعَى إذا نزلت مُعْضلة قَبله لا الأيْهم ولا السيد ولا العاقِب ـ .

فدفع الأسقفُ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شُرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف : ياأبا مريم مارأيك ؟ فقال شُرَحبيل : قد علمتَ ماوعد الله إبراهيمَ فى ذرية إسماعيل من النبوة ، فما تُؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ؟ ليس لى فى النبوة رأىٌ ولو كان أمراً من أمور الدنيا لأشرتُ عليك فيه برأى وجَهدتُ لك . فقال له الأسقفُ : تنحَّ فاجلس . فتنحَّى شرحبيل فجلس ناحيته .

فبعث الأسقفُ إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل ، وهو من ذى أَصْبح من حِمْير ، فأقرأه الكتابَ وسأله عن الرأى ، فقال له مثلَ قول شرحبيل ، فقال له الأسقف : تنحَّ فاجلس فتنحَّى فجلس ناحيته .

وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جَبَّار بن فيض من بنى الحارث ابن كعب أحد بنى الحِمَاس ، فأقرأه الكتابَ وسأله عن الرأى فيه ، فقال له مثلَ

قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحَّى فجلس ناحيته .

فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعا ، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح فى الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزَعهم ليلًا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران فى الصوامع .

فاجتمع حين ضُرب بالناقوس ورفعت المسوح أهلُ الوادى أعلاه وأسفله ، وطولُ الوادى مَسِيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأى فيه .

فاجتمع رأىُ أهل الرأى منهم على أن يَبعثوا شُرحبيل بن وَداعة الهَمْدانى وعبد الله ابن شُرحبيل الأصْبحى وجبَّار بن فيض الحارثى ، فيأتوهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال : فانطلق الوفدُ حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفَر عنهم ، ولبسوا حللا لهم يجرُّونها من حِبَرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه فلم يردَّ عليهم السلام ، وتصدَّوا لكلامه نهاراً طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلَل والخواتيم الذهب .

فانطلقوا يتبعون عثمانَ بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما ، فوجدوهما فى ناس من المهاجرين والأنصار فى مجلس ، فقالوا : ياعثمان وياعبد الرحمن ، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلْنا مجيبين له ، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يردّ سلامنا ، وتصدَّينا لكلامه نهاراً طويلا فأعيانا أن يكلمنا ، فما الرأى منكما ، أترون أن نرجع ؟

فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم : ماترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم ؟ فقال

على لعثمان ولعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حُللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سَفرهم ثم يعودوا إليه .

ففعلوا فسلموا فرد سلامهم ، ثم قال : « والذى بعثنى بالحق لقد أتونى المرةَ الأولى وإن إبليس لمعهم » .

ثم ساءلهم وساءلوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا : ماتقول فى عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ، يسرُّنا إن كنت نبيا أن نسمع ماتقول فيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماعندى فيه شىء يومى هذا ، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله فى عيسى » .

فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية : « إنّ مَثلَ عيسى عند الله كمثل آدمَ خلَقه من تراب ثم قال له كُنْ فيكون الحقُّ مِن ربك فلا تكُنْ من المُمْترين . فمن حاجّك فيه مِن بعدِ ماجاءك من العلم فقل تعالَوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونِساءكم وأنفسَنا وأنفسكم ثم نَبْتهل فنَجعلْ لعنةَ الله على الكاذبين » (١) .

فأبَوا أن يُقرُّوا بذلك .

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعدَ ما أخبرهم الخبر ، أقبلَ مشتملا على الحسن والحسين فى خَميل له وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة .

فقال شرحبيل لصاحبيه : قد علمتما أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يرِدُوا ولم يَصْدُروا إلا عن رأيى ، وإنى والله أرى أمراً ثقيلا ، والله لئن كان هذا الرجل مِلكاً متقوِّياً فكنا أولَ العرب طَعن فى عينه وردَّ عليه أمره لا يَذهبُ لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة ، وإنا أدْنَى العرب منهم جِواراً ،

---

(١) سورة آل عمران ٥٩ ـ ٦١ .

ولئن كان هـذا الرجـل نبيًّا مُرسَلا فلاعَنَّاه لا يبقى على وجه الأرض منا شَعر ولا ظُفر إلا هلك .

فقال له صاحباه : فما الرأى يا أبا مريم ؟ فقال : رأيي أن أحكِّمه ، فإني أرى رجلا لا يحْـكُم شَطَطا أبداً . فقالا له : أنت وذاك .

قال فتلقَّى شرحبيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى قد رأيت خيراً من ملاعنتك . فقال : « وماهو ؟ » فقال : حُـكْمك اليوم إلى الليل . وليلتك إلى الصباح ، فهما حكمتَ فينا فهو جائز .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعل وراءك أحداً يُثرِّب [1] عليك ؟ » فقال شرحبيل : سَلْ صاحبىّ . فقالا : مايَرِدُ الوادى ولا يَصْدر إلا عن رأى شُرحبيل .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم ، حتى إذا كان الغد أتوه فـكتب لهم هذا الـكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبى [الأمى [2]] رسول الله لنجران ، أنْ كان عليهم حُـكْمه فى كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق ، فأفضَـل عليهم وتركَ ذلك كله على ألفى حُلة ، فى كل رجب ألف حـلة ، وفى كل صَفر ألف حـلة » وذكر تمام الشروط . إلى أن قال : شهد أبو سفيان بن حرب وغَيْـلان بن عمرو ومالك بن عوف من بنى نصر والأقرع بن حابس الحنظلى والمغيرة ، وكتب .

حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة ، فدفع الوفدُ كتابَ رسول الله صـلى الله عليـه وسلم إلى الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معـه وهما يسيران

---

(١) يثرب : يلوم .

(٢) ليست فى ا .

إذ كبَتْ ببشرٍ ناقته ، فتعَّس بِشرٌ ، غير أنه لا يكنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له الأسقف عند ذلك : قد والله تعَّستَ نبيًّا مرسلا . فقال له بشر : لا جرم ، والله لا أحلُّ عنها عَقْداً حتى آتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وصرف وجْهَ ناقته نحو المدينة ، وثنَى الأسقف ناقته عليه ، فقال له : افهم عنى ، إنما قلت هذا ليَبْلغ (١) عنى العرب مخافةَ أن يروا أنا أخذنا حقَّه أو رضينا بصوته أو نَخْعنا (٢) لهذا الرجل بما لم تَنْخَع به العرب ، ونحن أعزُّهم وأجمعهم داراً . فقال له بِشْر : لا والله لا أقبل ماخرج من رأسك أبداً .

فضرب بشر ناقته وهو مولِّى الأسقفِّ ظهرَه ، وارتجز يقول :

إليك تَغْدو قَلِقاً وَضِينُها (٣)   معترضاً فى بطنهـا جَنِينُها

مخالفاً دينَ النصارى دِينُها

حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ولم يزل معه حتى قُتل بعد ذلك .

* * *

قال : ودخل الوفد نجرانَ ، فأتى الراهب ابنَ أبى شمر الزبيدى وهو فى رأس صومعته فقال له : إن نبيًّا بعث بتهامة . فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه عرَض عليهم الملاعنة فأبَوا ، وأن بشر بن معاوية دفَع إليه فأسلم .

فقال الراهب : أنزلونى وإلا ألقيت نفسى من هذه الصومعة . قال : فأنزلوه فأخذ

---

(١) ا : فبلغ .   (٢) نخعنا : أقررنا .

(٣) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر . وقلق الوضين : كناية عن الهزال .

معه هدية وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها هذا البُرْد الذى يلبسه الخلفاء وقَعْب وعصا .

فأقام مدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الوحى ، ثم رجع إلى قومه ولم يقدَّر له الإسلام ، ووعد أنه سيعود فلم يقدَّر له حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ماينزل الله عليه ، وكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى للأسقف أبى الحارث وأساقفة نجران وكَهَنتهم ورهبانهم (١) وكل ماتحت أيديهم من قليل وكثير جوار الله ورسوله ، لا يغيَّر أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ولا يغيَّر حقٌّ من حقوقهم ولاسلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك ، جوار الله ورسوله أبدا ماأصلحوا ونَصحوا عليهم ، غير مُبْتَلين بظلم ولا ظالمين . وكتب المغيرة بن شعبة .

* * *

وذكر محمد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأيْهم وأبو حارثة بن علقمة وأوس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخُوَيلد وعمرو وخالد وعبد الله ويَحْنُس .

وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يَصْدُرون إلا عن رأيه ، والسيد وكان ثِمَالهم (٢)

---

(١) ا : ورهابينهم .

(٢) ثمالهم : ملجأهم .

وصاحب رَحْلهم ، وأبو حارثة بن علقمة وكان أُسْقُفَّهم وحَبْرهم وكان رجلا من العرب من بكر بن وائل ولكن دَخل دين النصرانية فعظَّمته الروم وشرَّفوه وبنوا له الكنائس ومَوَّلوه وأَخْدَموه لما يعرفون من صلابته فى دينهم ، وكان مع ذلك يعرف أمر [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن صدَّه الشرفُ والجاه من اتباع الحق .

وقال يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق : حدثنى بُرَيدة بن سفيان ، عن ابن البَيْلَمانى [2] ، عن كرز [3] بن علقمة ، قال : قدِم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم ، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بنى بكر بن وائل أسقفّهم وصاحب مِدْراسهم [4] وكانوا قد شرَّفوهُ فيهم وموَّلوه وأكرموه ، وبَسطوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لمَا بلغهم عنه من عِلمه واجتهاده فى دينهم .

فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وإلى جنبه أخ له يقال له كُرْز بن علقمة يُسَايره ، إذ عثرَتْ بغلةُ أبى حارثة ، فقال كرز : تَعِس الأبعد ـ يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ . فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست . فقال له كرز : ولم ياأخى ؟ فقال : والله إنه لَلنَّبى الذى كنا ننتظره .

فقال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فقال له : ماصنع بنا هؤلاء القوم ، شرَّفونا وموَّلونا وأَخْدَمونا ، وقد أبَوا إلا خلافه ، ولو فعلتُ نزعوا منا كلَّ ماترى .

قال : فأضمر عليها منه أخوه كرز ، حتى أسلم بعد ذلك .

---

(١) ا : أمور . (٢) ا : السيلمانى . (٣) ابن هشام : كوز .
(٤) غير ا : مدارستهم .

وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوى دخلوا فى تجمُّل وثياب حِسان ، وقد حانت صلاةُ العصر فقاموا يصلُّون إلى المشرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم .

فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدرُ سورة آل عمران والمباَهَلة ، فأبوا ذلك ، وسألوا أن يرسل معهم أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح . كما تقدم فى رواية البخارى .

وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى تفسير سورة آل عمران ولله الحمد والمنة .

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس لعنهما الله

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر ، فيهم عامر ابن الطُّفيل وأَرْبَد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر وحيان[1] بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به .

وقد قال له قومه : يا أبا عامر[2] إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليتُ ألا أنتهى حتى تَتْبع العربُ عَقِبي فأنا أتبع عقِب هذا الفتى من قريش .

ثم قال لأَرْبَد : إن قدِمْنا على الرجل فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالِنى[3] قال : « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » قال : يا محمد خالنى ، قال : وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يُحير[4] شيئا ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يامحمد خالِنى، قال : « لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له » .

فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أما والله لأملأنَّها عليك خيلا ورجالا . فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفنى عامرَ ابن الطفيل » .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل لأربد : أين

---

(١) كذا بالأصل ، وهى رواية ، وفى ابن هشام : وجبار .

(٢) ابن هشام : ياعامر .

(٣) خالنى : تفرد لى خاليا. وبالتشديد : اتخذنى خليلا

(٤) ا : يحيك .

ما كنت أمرتُك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخْوفَ على نفسى منك ،وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً .

قال : لا أبالك لا تَعْجَل علىّ ، والله ما هممتُ بالذى أمرتنى به إلا دخلتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضرب بالسيف ؟ !

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يا بنى عامر أغُدَّةٌ كغدة البَكْر (١) فى بيت امرأة من بنى سلول ؟

قال ابن هشام : ويقال : أغُدَّةٌ كغُدَّة الإبل وموتٌ فى بيت سَلُولية !

* * *

وروى الحافظ البيهقى من طريق الزبير بن بكار ، حدثتنى فاطمة بنت عبد العزيز بن مَوْءلة ، عن أبيها ، عن جدها مَوْءلة بن حُميل (٢) قال : أتى عامرُ بن الطفيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « يا عامر أسلم » فقال : أُسْلم على أن لى الوبَر ولك المدَر . قال : « لا » .

ثم قال : أسْلم. فقال : أسلم على أن لى الوبَر ولك المدَر قال : لا . فولَّى وهو يقول : والله يا محمد لأملأنَّها عليك خيلا جُرْدا ورجالا مُرْداً ولأربطنّ بكل نخلة فَرسا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفنى عامراً واهدِ قومه .

فخرج حتى إذا كان بظَهر المدينة صادف امرأةً من قومه يقال لها سَلُولية ، فنزل عن فرسه ونام فى بيتها ، فأخذته غُدَّة فى حَلْقه ، فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجُول وهو يقول : غُدَّة كغدة البَكْر وموت فى بيت سلولية ! فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتا .

---

(١) البكر : الفتى من الإبل .

(٢) فى القاموس : موءلة بن كثيف بن حمل .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب فى أسماء الصحابة مَوْءلة هذا فقال: هو مَوْءلة بن كُثَيف الضِّبابى الكلابى العامرى ، من بنى عامر بن صعصعة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة فأسلم وعاش فى الإسلام مائة سنة وكان يدعى ذا اللسانين من فصاحته ، روى عنه ابنه عبد العزيز ، وهو الذى روى قصة عامر ابن الطفيل : غُدَّة كغدة البعير وموت فى بيت سَلُولية .

قال الزبير بن بكار : حدثتنى ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوْءلة بن كُثَيف بن حمل ابن خالد بن عمرو بن معاوية ، وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قالت: حدثنى أبى عن أبيه ، عن مَوءلة ، أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وهو ابن عشرين سنة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومسح يمينه وساق إبله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَصدَّقها بنتَ لبون ، ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش فى الإسلام مائة سنة ، وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته .

قلت : والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح ، وإن كان ابن إسحاق والبيهقى قد ذكراها بعد الفتح .

وذلك لما رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، أنبأنا محمد بن إسحاق ، أنبأنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق الفَزارى ، عن الأوزاعى ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى طلحة ، عن أنس فى قصة بئر معونة وقَتْل عامر بن الطفيل حرامَ بن ملحان خال أنس بن مالك ، وغَدْره بأصحاب بئر مَعُونة حتى قُتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية كما تقدم .

قال الأَوْزاعى : قال يحيى : فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا : « اللهم أكفنى عامر بن الطفيل بما شئتَ وابعث عليه مايقتله » فبعث الله عليه الطاعون .

وروى عن هَمَّام ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس فى قصة حرام بن ملحان قال: وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :أخيِّرك بين ثلاث خصال: يكون لك أهل السهل ويكون لى أهل الوَبَر ، وأكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء .

قال : فطُعن فى بيت امرأة فقال : أغدة كغدة البعير وموت فى بيت امرأة من بنى فلان ! ائتونى بفرسى . فركب فمات على ظهر فرسه .

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حتى واروه حتى قدموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : وما وراءك ياأرْبَد ؟ قال : لاشىء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت لوأنه عندى الآن فأرميه بالنَّبل حتى أقتله الآن .

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما .

قال ابن إسحاق : وكان أربد بن قيس أخا لَبِيد بن ربيعة لأمه ، فقال لبيد يبكى أربد :

ماإن تَعدَّى[1] المنونُ من أحدٍ ... لاوالدٍ مُشْفقٍ ولا ولدِ

أخشَى على أَرْبَدَ الحتوفَ ولا ... أرهبُ نَوْء السِّماك والأسدِ

فعينِ هلاَّ بكيتِ أربَدَ إذ ... قمنا وقام النساء فى كَبَدِ

إن يَشْغَبوا لا يُبالِ شَغْبَهمُ ... أو يَقْصدوا فى الحُكوم يَقْتصدِ

حلوٌ أَريبٌ وفى حَلاوته ... مُرٌّ لصيق الأحشاء والكبدِ[2]

وعينِ هلاَّ بكيتِ أرْبدَ إذ ... أَلْوتْ رياحُ الشتاء بالعَضدِ[3]

---

(١) تعدى : تترك . وفى الأصل : تعزى . وما أثبته عن ابن هشام ٢/٥٦٩ .

(٢) ابن هشام : لطيف الأحشاء . (٣) العضد : الشجر المعضود ، الذى سقطت أوراقه .

وأصبحَتْ لاقِحاً مُصرَّمةً حتى تجلَّت غَوابرُ المُدَدِ (١)
أشجـــعُ من ليْث غابةٍ لِحَمٍ ذو نَهْمة فى العُلاَ ومُنْتَقَدِ (٢)
لا تَبلُغ العينُ كلَّ نَهْمتها ليلةَ تُمْسِى الجِيادُ كالقِدَدِ (٣)
الباعث النَّوْحَ فى مآتمـــه مثلَ الظِّباء الأبكار بالجرَدِ (٤)
فَجَّعنى البرقُ والصواعق بالفا رس يومَ الكريهة النَّجُدِ
والحاربِ الجابر الحرِيبَ إذا جاء نَكيباً وإن يَعدْ يَعُدِ (٥)
يعفو على الجهْدِ والسؤالِ كما يَنْبتُ غيثُ الربيع ذو الرَّصَدِ (٦)
كلُّ بنى حُرَّة مَصـــيرهمُ قَلّ وإن أكثروا من العدَدِ (٧)
إن يُغبَطوا يُهْبَطوا وإنْ أَمِروا يوماً فهمْ للهلاك والنَّفَدِ (٨)

وقد ذكر ابن إسحاق عن لبيد أشعاراً كثيرة فى رثاء أخيه لأمه أَرْبَد بن قيس، تركناها اختصاراً واكتفاء بما أوردناه. والله الموفق للصواب.

***

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: فأنزل الله عزل وجل فى عامر وأَرْبد: « الله يَعلْم ما تحمِل كل أنثى وما تَغِيضُ الأرحامُ وما تَزْداد. وكلُّ شيء عندَه بمقدارٍ عالمُ الغيب والشهادة الكبير المُتعَال. سواءٌ منكم

---

(١) اللاقح: الشجرة التى ألقحتها الرياح. والمصرمة: التى لاثمر لها. والغوابر: البقايا.
(٢) اللحم: الأكول للحم القرم إليه. والمنتقد: النظر والرأى.
(٣) القدد: جمع قدة وهى السير يقطع من جلد، يشبه به الخيل فى الهزال والضمور.
(٤) النوح: النساء النائحات. والجرد: الأرض المقفرة.
(٥) الحارب: السالب للأعداء. والحريب: الذى سلب ماله.
(٦) يعفو: يكثر عطاؤه. والرصد: القليل من الكلأ.
(٧) ابن هشام: وإن كثرت.
(٨) يغبطوا: يحسدوا على نعمتهم. يهبطوا: يحرموا. وأمروا: كثروا واشتدوا.

مَن أسرّ القولَ ومن جَهر به ومن هو مُستَخْف بالليل وساربٌ بالنهار . له مُعقِّبات من بين يديه ومن خَلفه يَحفظونه من أمر الله » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر أربد وقتله فقال الله تعالى : « وإذا أراد الله بقوم سُوءاً فلا مردَّ له وما لهم مِن دُونه من والٍ . هو الذى يريكم البرقَ خوفاً وطمعاً ويُنْشِئُ السحابَ الثِّقالَ ويسبِّحُ الرعدُ بحمده والملائكة مِن خِيفته ويُرسل الصواعق فيصيبُ بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديدُ المحَال(١) » .

قلت : وقد تكلمنا على هذه الآيات الكريمات فى سورة الرعد . ولله الحمد والمنة .

وقد وقع لنا إسناد ما علَّقه ابن هشام رحمه الله .

فروينا من طريق الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرانى فى معجمه الكبير حيث قال : حدثنا مَسْعَدَة بن سعد العطار ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزَامىّ ، حدثنى عبد العزيز بن عمران ، حدثنى عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أَسْلم ، عن أبيهما ، عن عطاء بن يسَار ، عن ابن عباس ، أن أَرْبد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهيا إليه وهو جالس ، فجلسا بين يديه : فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ما تَجْعل لى إن أسلمتُ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم » .

قال عامر : أتجعل لى الأمر إن أسلمتُ من بعدك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعِنَّة الخيل » . قال : أنا الآن فى أعِنَّة خيل نجد ، اجعل لى الوبَر ولك المدَر .

---

(١) سورة الرعد .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » . فلما قَفَل[1] من عنده قال عامر : أمَا والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمنعك الله » .

فلما خرج أَرْبد وعامر قال عامر : يا أربد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضرِبه بالسيف ، فإن الناس إذا قتلتَ محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدِّية ويكرهوا الحرب ، فسنعطيهم الدية . قال أربد : أفعل .

فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلمك . فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم خَليًّا إلى الجدار ووقف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وسلّ أربدُ السيف ، فلما وضع يده على السيف يَبِست يده على قائم السيف ، فلم يستطع سَلّ السيف ، فأبطأ أربدُ على عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربدَ وما يصنع فانصرف عنهما .

فلما خرج أربد وعامر عن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرة حَرّة واقِم نَزَلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأُسَيد بن الحضَير فقالا : اشخُصا يا عدوّا الله لعنكما الله . فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : أُسَيد بن حُضَير الكتائب .

فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتى إذا كان بالحرة أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يمسّ قرحته فى حَلْقه ويقول : غُدّةً كغدة الجمل فى بيت سَلُولية ؟ يرْغب[2] أن يموت فى بيتها .

ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعاً ، فأنزل الله فيهما . « الله يعلم

---

(١) الأصل : قفا (٢) يرغب : يكره .

ما تحمل كلُّ أنثى وما تغيضُ الأرحامُ وما تزداد » إلى قوله : « له مُعقِّباتٌ مِن بَين يديه ومن خلفه » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر أربد وما قتله به فقال : « ويُرْسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » الآية .

وفى هذا السياق دلالة على تقدُّم قصة عامر وأربد ، وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه . والله أعلم .

وقد تقدم(١) وفود الطُّفيل بن عامر الدَّوسى رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وإسلامه ، وكيف جعل الله له نوراً بين عينيه ، ثم سأل الله فحوَّله له إلى طرف سوطه . وبسطنا ذلك هنالك فلا حاجة إلى إعادته ها هنا كما صنع البيهقى وغيره .

قدوم ضِمام بن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافداً عن قومه بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيفع ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس . قال : بعث بنو سعد بن بكر ضِمَامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقدم إليه وأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقَله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضِمَام رجلا جَلْداً أشعَر ذا غَدِيرتين .

فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيُّكم ابنُ عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن عبد المطلب » .

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الأول .

فقال : يامحمد . قال : نعم . قال : يابن عبد المطّلب إنى سائلك ومُغْلظ عليك فى المسألة فلا تجدنَّ فى نفسك . قال : « لا أجد فى نفسى فَسَلْ عما بدا لك » .

فقال : أنشدُك إلٰهك وإلٰه من كان قبلك وإلٰه من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله إلٰهك وإلٰه من كان قَبلك وإلٰه من هو كائن بعدَك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون ؟ قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك الله إلٰهك وإلٰه من كان قبلك وإلٰه من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : « نعم » .

قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضةً فريضة ، الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشده عندَ كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها .

حتى إذا فرَغ قال : فإنى أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمـــداً رسول الله . وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب مانهيتَنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً .

قال : فقال رســول الله صلى الله عليــه وسلم « إنْ صدَق ذو العَقيصتين دخل الجنة » .

قال : فأتى بعيره فأطلق عِقاله ، ثم خرج حتى قدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه فـكان أول ما تـكلم به أن قال : بئست اللاتُ والعُزّى . فقالوا : مه ياضِمَام اتقِ البرصَ ، اتق الجذام ، اتق الجنون !

فقال : ويلـكم إنهما والله لايضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً استنقذَكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له

وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه

قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمَام بن ثعلبة .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق فذكره .

وقد روى هذا الحديث أبو داود من طريق سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن سلمة بن كُهَيل ومحمد بن الوليد بن نُوَيفع ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس بنحوه .

وفى هذا السياق مايدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح ، لأن العزَّى خرَّبها خالد بن الوليد أيامَ الفتح .

* * *

وقد قال الواقدى : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر فى رجب سنة خمس ضِمَام بن ثعلبة ، وكان جَلْداً أشعر ذا غَدِيرتين وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقبلَ حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأغلظَ له فى المسألة ، سأله عمن أرسله وبم أرسله ، وسأله عن شرائع الإسلام ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك كله ، فرجع إلى قومه مسلما قد خلع الأندادَ ، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فما أمسىَ فى ذلك اليوم فى حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما ، وبنَوا المساجد وأذَّنوا بالصلاة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان — يعنى ابن المغيرة — عن

ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا نُهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله ونحن نسمع .

فجاء رجل من أهل البادية فقال : يامحمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . قال : صدَق .

قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قال : فمن نصَب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ؟ قال : الله .

قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصَب هذه الجبال ، آلله أرسلك ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا خمسَ صلوات فى يومنا وليلتنا . قال : صدقَ . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا زكاةً فى أموالنا . قال : صدقَ . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر فى سَنتنا . قال : صدق . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال : صدق .

قال : ثم ولَّى فقال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص عليهن شيئا .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن صدَق ليدخلن الجنة » .

[وهذا الحديث مخرَّج فى الصحيحين وغيرهما بأسانيد وألفاظ كثيرة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه (١) .

---

(١) سقط من ا .

وقد رواه مسلم من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة .
وعلقه البخارى من طريقه .

وقد أخرجه من وجه آخر بنحوه . فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد ، عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : بَيْنَا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عَقَله ، ثم قال : أيكم محمد ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم متكئٌ بين ظَهرانيهم قال : فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ .

فقال الرجل : يابن عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك .
فقال الرجل : يامحمد إنى سائلك فمشتدٌّ عليك فى المسألة ، فلا تجدْ علىَّ فى نفسك . فقال : سل مابدا لك . فقال الرجل : أنشدك بربك ورب من كان قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم » .

[قال : فأنشدك الله آلله أمرك أن نصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم (١)] .

قال : فأنشدك الله ، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم ! » .

[قال : أنشدك الله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم نعم (١)]

قال الرجل : آمنت بما جئتَ به ، وأنا رسولُ مَن ورائى من قومى ، وأنا ضِمَام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر .

---

(١) سقط من المطبوعة .

وقد رواه الإمام البخارى عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث بن سعد ، عن سعيد المقْبُرى به .

وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن الليث به .

والعجب أن النسائى رواه من طريق آخر عن الليث . قال : حدثنى ابن عَجلان وغيره من أصحابنا ، عن سعيد المقبُرى ، عن شريك ، عن أنس بن مالك . فذكره . وقدرواه النسائى أيضا من حديث عبيد الله العمرى ، عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، فلعله عن سعيد المقبرى من الوجهين جميعاً . والله أعلم .

فصل

وقد قدمنا (١) مارواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن حفص بن غياث ، عن داود بن أبى هند ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس فى قدوم ضِمَاد الأزدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وإسلامه وإسلام قومه . كما ذكرناه مبسوطا بما أغنى عن إعادته هاهنا . ولله الحمد والمنة .

وفد طيّئ مع زيد الخيل رضى الله عنه

[وهو زيد بن مُهَلْهِل بن زيد بن منهب ، أبو مُكْنِف الطائى ، وكان من أحسن العرب وأَطوله رجلا .

وسُمِّى زيدَ الخيل لخمس أفراس كُنَّ له .

قال السهيلى : ولهن أسماء لا يحضرنى الآن حفظها] (٢) .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيئ وفيهم

(١) سبق ذلك فى الجزء الأول .

(٢) سقطت من المطبوعة

زيد الخيل وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه وعَرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلامَ فأسلموا لحسُن إسلامهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء : « ماذُكر رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى إلا رأيته دونَ مايقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يَبْلغ كل الذى فيه » .

ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ الخير ، وقَطع له فَيْداً[١] وأَرضين معه ، وكتب له بذلك .

فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن يَنْجُ زيد من حمَّى المدينة فإنه »[٢] قال : وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى وغير أم مَلْدم ـ لم يُثْبته[٣] ـ .

قال ابن إسحق : فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَردة أصابته الحمى فمات بها ، ولما أحس بالموت قال :

أمرتحلٌ قَومى المشارقَ غُدْوةً وأُتركُ فى بيت بفَرْدة مُنجِدِ
ألا رُبَّ يوم لو مَرِضتُ لَعادنى عوائدُ من لم يُبْرِ منهن يَجْهَدِ[٤]

قال : ولما مات عمدت امرأته لجهلها وقلة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها بالنار .

قلت : وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد ، أن على بن أبى طالب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهيبة فى تربتها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه

(١) فيد : موضع بشرقى سلمى أحد جبلى طيىء . (٢) قال :
(٣) قال السهيلى : الاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمى هو أم كلبة . ذكر لى أن أبا عبيدة ذكره فى مقاتل الفرسان . ولم أره . الروض ٢/٣٤٢ .
(٤) يبر : يضنى .

وسلم بين أربعة : زيد الخيل ، وعَلْقمة بن عُلاثة ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر الحديث . وسيأتى ذكره فى بعث على إلى اليمن إن شاء الله تعالى .

قصة عدىّ بن حاتم الطائى

قال البخارى فى الصحيح : وفد طيىء وحديث عَدِىّ بن حاتم .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عَوانة ، حدثنا عبد الملك بن عُمير ، عن عمرو بن حُرَيث ، عن عدى بن حاتم ، قال : أتينا عمر بن الخطاب فى وفد فجعل يدعو رجلا رجلا يسمِّيهم ، فقلت : أمَا تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى أسلمتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ، ووفَيْت إذ غَدروا ، وعَرفت إذ أنكروا . فقال عَدىٌّ : لا أبَالى إذاً .

وقال ابن إسحاق : وأما عدى بن حاتم فكان يقول فيما بلغنى : مارجلٌ من العرب كان أشدَّ كراهةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءاً شريفا وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومى بالمِرْبَاع وكنت فى نفسى على دِين ، وكنت مِلكا فى قومى لما كان يُصنع بى .

فلما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعياً لإبلى : لا أبالك ، اعدُدْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلاً سِمَانا فاحتبسها قريبا منى ، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطِئ هذه البلاد فآذِنّى . ففعل .

ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : ياعدىّ ، ما كنتَ صانعا إذا غَشِيتْك خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات فسألتُ عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : قلت : فقرِّب إلىّ أجمالى . فقرَّبها .

فاحتملتُ بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دِينى من النصارى بالشـام . فسلـكت الجَوْشِيَّة [١] وخلَّفت بنتاً لحاتم فى الحاضر ، فلما قدِمتُ الشام أقمت بها .

وتُخَالفنى خيلُ رسول الله صلى الله عليـه وسلم فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصابت ، فقدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيء ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام .

قال : فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السَّبايا تُحبس بها ، فمرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه ، وكانت امرأةً جَزْلة [٢] ، فقالت : يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىَّ مَنَّ الله عليك .

قال : ومن وافِدك ؟ قالت : عدىُّ بن حاتم . قال : الفارُّ من الله ورسوله . قالت : ثم مضى وتركنى ، حتى إذا كان الغـد مرَّ بى فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس .

قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بى وقد يئستُ ، فأشار إلىَّ رجلٌ خَلْفه أن قومى فـكلِّميه . قالت : فقمت إليه فقلت : يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن علىَّ منَّ الله عليك .

فقال صلى الله عليه وسلم : قد « فعلتُ ، فلا تَعْجلى بخروج حتى تجدِى من قومك من يكون لك ثقةً حتى يبلِّغك إلى بلادك . ثم آذنينى » فسألتُ عن الرجل الذى أشار إلىَّ أن كلميه ، فقيل لى : على بن أبى طالب .

قالت : وأقمتُ حتى قدم ركبٌ من بَلِىّ أو قُضَاعة ، قالت وإنما أريد أن آتى أخى بالشام ، فجئت فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت :

(١) الجوشية : موضع بين نجد والشام .
(٢) الجزلة : العاقلة الأصيلة الرأى .

فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمتُ الشام .

قال عَدِىّ : فوالله إنى لَقاعد فى أهلى فنظرت إلى ظَعِينة تصوِّب إلى قومنا[١]

قال : فقلت ابنةُ حاتم . قال : فإذا هى هى .

فلما وقفتْ علىَّ انسحلَتْ[٢] تقول : القاطعُ الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك وتركت بقيةَ والدك عورتك ؟ ! قال : قلت : أى أُخَيَّة لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعتُ ما ذكرتِ .

قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟

قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبيًّا فللسابق إليه فضلُه ، وإن يكن ملِكا فلن تَذِلَّ فى عزّ اليمن وأنت أنت . قال : فقلت : والله إن هذا الرأىُ .

قال : فخرجت حتى أَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عَدِىّ بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لَعامدٌ بى إليه إذ لقيتْه امرأةٌ ضعيفة كبيرة فاستوقفتْه ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها . قال قلت فى نفسى : والله ما هذا بملِك !

قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوَّة ليفاً ، فقذفها إلىّ فقال : « اجلس على هذه » قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . قال : « بل أنت » .

---

(١) ابن هشام : تؤمنا .

(٢) انسحلت : جرت بالكلام وفى الأصل : استحلت . وما أثبته عن ابن هشام ٢ / ٥٨٠

فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملِك .

ثم قال : « إيه يا عدىّ بن حاتم ؟ ألم تك رَكُوسِيًّا[1] ؟ » قال قلت : بلى .

قال : « أو لم تكن تَسير فى قومك بالمِرْباع ؟ » قال قلت : بلى . قال : « فإنّ ذلك لم يكن يحلُّ لك فى دِينك » قال : قلت أجل والله .

قال : وعرفت أنه نبىٌّ مرسَل يَعلم ما يُجهل .

ثم قال : « لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخولٍ فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله لَيوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقِلّة عَددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادِسيّة على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليَوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم » .

قال : فأسلمتُ .

قال فكان عدى يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، وقد رأيت القصور البِيض من أرض بابل قد فُتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكونن الثالثة ، لَيفيضنّ المالُ حتى لا يوجد من يأخذه .

* * *

هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد وله شواهد من وجوه أخر .

---

(١) الركوسية : دين بين النصارى والصابئين .

فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت سِماك بن حَرْب ، سمعت عَبّاد بن حُبيش ، يحدث عن عدى بن حاتم ، قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بعقرب[(١)] فأخذوا عمتي وناسا ، فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصُفُّوا له . قالت : يا رسول الله بانَ الوافدُ وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة ، فمنَّ علىّ مَنَّ الله عليك .

فقال : ومن وافِدك ؟ قالت : عدىُّ بن حاتم . قال : الذى فَرَّ من الله ورسوله ، قالت : فمنَّ علىّ .

فلما رجع ورجلٌ إلى جنبه — نرى أنه علىّ — قال : سَلِيه حُمْلاناً . قال : فسألته فأمر لها .

قال عدى : فأتتنى فقالت : لقد فعلت فعلةً ما كان أبوك يفعلها . وقالت : إيته راغباً أو راهبا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه .

قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، فذكر قُرْبهم منه ، فعرفت أنه ليس مُلك كسرى ولا قيصر .

فقال له : يا عدى بن حاتم ما أفرّك ؟ أفرّك أن يقال لا إله إلا الله ؟ فهل من إله إلا الله ، ما أفرك ؟ أفرّك أن يقال الله أكبر ؟ فهل شىء هو أكبر من الله عز وجل ؟

فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر وقال : إن المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى .

قال : ثم سألوه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فلكم أيها الناس أن تَرْتَضخوا من الفَضْل ، ارتضخ امرؤ بصاع ، ببعض صاع ، بقبضة ، ببعض قبضة . قال شعبة

---

(١) كذا بالأصل . ولعل الصواب بعقرباء ، اسم مدينة الجولان وهى كورة بدمشق .

ـ وأكثر علمى أنه قال بتمرة ، بشق تمرة ـ وإنّ أحدكم لاقى الله فقائلٌ ما أقول : ألم أجعلك سميعاً بصيراً ؟ ألم أجعل لك ما لا وولداً فماذا قدّمت . فينظر من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فلا يجد شيئا فما يتقى النار إلا بوجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوه فبكلمه ليّنة ، إنى لا أخشى عليكم الفاقة لينصرنكم الله وليعطينكم ـ أو ليفتحن عليكم ـ حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب ، إن أكثر ما تخاف السَّرَق على ظعينتها .

وقد رواه الترمذى من حديث شعبة وعمرو بن أبى قيس ، كلاهما عن سِمَاك. ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سِمَاك .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا يزيد ، أنبأنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى عبيدة ـ هو ابن حذيفة ـ عن رجل ، قال : قلت لعدى بن حاتم : حديثٌ بلَغنى عنك أحب أن أسمعه منك .

قال نعم : لما بلَغنى خروجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت خروجه كراهية شديدة ، فخرجت حتى وقعتُ ناحية الروم ـ وفى رواية حتى قدِمت على قيصر ـ قال : فكرهت مكانى ذلك أشد من كراهتى لخروجه .

قال قلت : والله لو أتيتُ هذا الرجل فإن كان كاذبا لم يضرّنى ، وإن كان صادقا علمت . قال : فقدمت فأتيته ، فلما قدمت قال الناس : عدىٌّ بن حاتم .

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : ياعدى بن حاتم أَسْلِم تَسلم . ثلاثا .

قال قلت : إنى على دين . قال : أنا أعلَمُ بدينك منك .

فقلت : أنت تعلم بدينى منى ؟ قال : نعم . ألستَ من الرَّكُوسيّة ، وأنت تأكل

مِرْباع قومك ؟ قلت : بلى . قال : فإن هذا لا يحلّ لك فى دينك. قال : نعم . فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعتُ لها .

قال : أما إنى أعلم الذى يمنعك من الإسلام ؛ تقول : إنما اتبعه ضَعفةُ الناس ومن لا قوة لهم ، وقد رمتهم العرب ، أتعرف الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد سمعت بها : قال . فو الذى نفسى بيده ليتمنّ الله هذا الأمرَ حتى تخرج الظّعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد ، وليفتحنّ كنوز كسرى بن هرمز . قال قلت : كنوز ابن هُرْمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز ، وليُبْذَلن المالُ حتى لا يقبله أحد .

قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة [تخرج [1]] من الحيرة تطوف بالبيت فى غير جِوَار ، ولقد كنت فيمن فَتح كنوز كسرى ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد قالها .

ثم قال أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى عبيدة بن حذيفة ، عن رجل ـ وقال حماد وهشام ، عن محمد بن أبى عبيدة ولم يذكر عن رجل ـ قال : كنت أسأل الناس عن حديث عَدى بن حاتم وهو إلى جنبى ولا أسأله ، قال : فأتيته فسألته فقال : نعم . فذكر الحديث .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلى ، أخبرنى الحسن بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبرهيم ، أنبأنا النَّضر بن شميل ، أنبأنا إسرائيل ، أنبأنا سعد الطائى ، أنبأنا مُحِل بن خليفة ، عن عدى بن حاتم ، قال : بَيْنا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة ، وأتاه آخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل .

(١) من المسند ٤ / ٢٥٧ .

قال : يا عدى بن حاتم هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أُنبئت عنها . قال : فإن طالت بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله عز وجل .

قال : قلت فى نفسى :فأين دُعَّار[1] طَيِّئ الذين سَعَّروا البلاد ؟!

ولئن طالت بك حياة لتُفتحن كنوز كسرى بن هرمز . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز .

ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يَخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يَقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، ولَيَلقَيَنّ اللهَ أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم .

قال عدى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النـــار ولو بشِقّ تمرة ، فإن لم تجدوا شق تمرة فبكلمة طيبة » .

قال عدى : فقد رأيتُ الظّعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لاتخاف إلا الله عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوزَ كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حيـــاة سترون ماقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى عن محمد بن الحكم ، عن النَّضر بن شُمَيل به بطوله . وقد رواه من وجه آخر عن سَعْدان بن بشر ، عن سعد أبى مجاهد الطائى ، عن محل بن خليفة ، عن عدى به . ورواه الإمام أحمـــد والنسائى من حديث شعبة ، عن سعد أبى مجاهد الطائى به .

وممن روى هذه القصة عن عدى عامر بن شُرحبيل الشعبى فذكر نحوه . وقال : لاتخاف إلا الله والذئب على غنمها .

---

(١) الدعار : الأشرار .

وثبت فى صحيح البخارى من حديث شعبة ، وعند مسلم من حديث زهير بن معاوية، كلاهما عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن مَعْقِل بن مُقَرِّن المزنى ، عن عدى بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

ولفظ مسلم : « من استطاع منكم أن يَسْتتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل »

طريق أخرى فيها شاهد لما تقدم .

* * *

وقد قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنى أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن يوسف ، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفى ، حدثنا ضِرار بن صُرَد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى حمزة الثُّمالى ، عن عبد الرحمن ابن جُندب ، عن كُمَيل بن زياد النَّخعى ، قال : قال على بن أبى طالب : ياسبحان الله ماأزْهَدَ كثيراً من الناس فى خير ! عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم فى الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كان لايرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجل فقال : فداك أبى وأمى ياأمير المؤمنين ، سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . وما هو خير منه .

لما أتى بسبايا طيئ وقفت جارية حمراء لَعْساء ذَلْفاء عَيْطاء ، شَمَّاء الأنف معتدلة القامة والهامة دَرْماء الكعبين خَدْلة الساقين [1] لفَّاء الفخذين خَميصة الخصرين ضامِرة الكَشْحين مَصْقولة المَتْنين . قال : فلما رأيتها أُعجبت بها وقلت : لأطابن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها فى فيئى .

---

(١) اللعساء : التى فى لونها أدنى سواد . والذلفاء : الصغيرة الأنف مع استواء الأرنبة . والعيطاء : الطويلة العنق والدرماء : التى وارى كعبيها اللحم . والخدلة : الممتلئة .

فلما تكلمت أُنسيت جمالها من فصاحتها . فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلّي عنا ولا تُشْمت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذِّمار ويفكُّ العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويَقْري الضيف ويطعم الطعام ويُفْشي السلام ، ولم يردّ طالبَ حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طَيِّئ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مسلما لترحّمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق .

فقام أبو بُرْدة بن نِيَار فقال : يارسول الله تحب مكارم الأخلاق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق [(١)] » .

هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جدا عزيز المَخْرج .

وقد ذكرنا ترجمة حاتم طَيِّئ أيام الجاهلية عند ذكرنا [(٢)] من مات من أعيان المشهورين فيها ، وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان ، إلا أنَّ نفع ذلك في الآخرة مَعْذوق [(٣)] بالإيمان ، وهو ممن لم يقل يوما من الدهر : ربِّ اغفر لي خَطيئتي يوم الدين .

وقد زعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طَيِّئ فجاء معه بسبايا فيهم أخت عدي بن حاتم ، وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم يقال لأحدهما الرَّسُوب والآخر المِخْذَم ، كان الحارث بن أبي شمر [(٤)] قد نذرهما لذلك الصنم .

قال البخاري رحمه الله :

---

(١) تقدم هذا الحديث في الجزء الأول
(٢) تقدم في الجزء الأول
(٣) معذوق : معلق .
(٤) ت : ابن أبي إسحاق .

قصة دَوْس والطُّفيل بن عمرو

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن ابن ذَكْوان ـ هو عبد الله بن زياد ـ [١] عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الطُّفيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن دوساً قد هلكت وعصت وأبَتْ ، فادع الله عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهدِ دوساً وأتِ بهم » .

انفرد به البخارى من هذا الوجه .

ثم قال : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي هريرة قال : لما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت فى الطريق :

يا ليلةً من طولها وعَنائها ... على أنها من دارةِ الكُفْر نجَّتِ

وأَبَق لى غلام فى الطريق ، فلما قدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته فبينا أنا عنده إذ طلع الغلامُ ، فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هذا غلامك . فقلت : هو حر لوجه الله عز وجل فأعتقته .

انفرد به البخارى من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم .

وهذا الذى ذكره البخارى من قدوم الطفيل بن عمرو قد كان قبل الهجرة ، ثم إن قدِّر قدومه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح ، لأن دوساً قدِموا ومعهم أبو هريرة ، وكان قدوم أبي هريرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصِرٌ خيبرَ ، ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بعد الفتح فرضَخ لهم شيئا من الغنيمة . وقد قدمنا ذلك كله مطولا فى مواضعه .

قال البخارى رحمه الله :

---

(١) ت : أبو الزناد .

قدوم الأشعريين وأهل اليمن

ثم روى من حديث شعبة ، عن سليمان بن مهران الأعمش ، عن ذَكْوان أبى صالح السَّمان ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوباً ، الإيمان يَمَانٍ ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء فى أصحاب الإبل ، والسَّكينة والوقار فى أهل الغنم » .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

ثم رواه البخارى ، عن أبى اليمان ، عن شعيب ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتاكم أهلُ اليمن أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً ، الفقه يمَانٍ ، والحكمة يمَانية » .

ثم روى عن إسماعيل ، عن سليمان ، عن ثور ، عن أبى المغيث عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمانُ يمَان ، والفتنة هاهنا ، هاهنا يَطْلع قَرن الشيطان » .

ورواه مسلم ، عن شعيب ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبى هريرة .

ثم روى البخارى من حديث شعبة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبى مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان هاهنا ــ وأشار بيده إلى اليمن ــ والجفاء وغِلظ القلوب فى الفَدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان . ربيعة ومضر » .

وهكذا رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن أبى مسعود عقبة بن عمرو .

ثم روى من حديث سفيان الثورى ، عن أبى صخرة جامع بن شَدَّاد ، حدثنا صفوان

ابن مُحْرِز، عن عمران بن حُصين ، قال : جاءت بنو تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أبشروا يابنى تميم » فقالوا : أما إذ بشَّرتنا فأعطنا فتغيَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاء ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قبلنا يا رسول الله .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى به .

وهذا كله مما يدل على فضل وفود أهل اليمن ، وليس فيه تعرُّض لوقت وفودهم ، ووفدُ بنى تميم وإن كان متأخراً قدومُهم لا يلزم من هذا أن يكون مقارنا لقدوم الأشعريين ، بل الأشعريون متقدمٌ وفدهم على هذا ، فإنهم قدِموا صحبةَ أبى موسى الأشعرى فى صحبة جعفر ابن أبى طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبشة ، وذلك كله حين فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر . كما قدمناه مبسوطاً فى موضعه[1] ، وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « والله ما أدرى بأيهما أُسَرُّ أبقدوم جعفر أو بفتح خيبر » والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال البخارى :

قصة عُمَان والبحرين

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا سفيان ، سمع محمد بن المنكدر ، سمع جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قد جاء مالُ البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » ثلاثا . فلم يقدَم مال البحرين حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم على أبى بكر أمر منادياً فنادى : من كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم دَين أو عِدَة فليأتنى .

قال جابر : فجئت أبا بكر فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو قد جاء

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثالث

مالُ البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثا » قال : فأعرض عنى .

قال جابر : فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطنى ، ثم أتيته فلم يعطنى ، ثم أتيته الثالثة فلم يعطنى . فقلت له : قد أتيتك فلم تعطنى ثم أتيتك فلم تعطنى ، فإما أن تعطينى وإما أن تبخل عنى قال : قلت : تبخل عنى ؟ قال : وأىّ داء أَدْوَأ من البخل : قالها ثلاثا ما منعتُك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك .

وهكذا رواه البخارى هاهنا وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد ، عن سفيان بن عُيينة به .

ثم قال البخارى بعده : وعن عمرو ، عن محمد بن على ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : جئته فقال لى أبو بكر : عُدَّها فعدَدْتها فوجدتها خمسمائة . فقال : خذ مثلها مرتين .

وقد رواه البخارى أيضا عن على بن المدينى ، عن سفيان ، هو ابن عيينة ، عن عمرو ابن دينار ، عن محمد بن على أبى جعفر الباقر ، عن جابر . كروايته له عن قتيبة . ورواه أيضاً هو ومسلم من طرق أخر ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن محمد بن على ، عن جابر بنحوه . وفى رواية أخرى له أنه أمره فحثا بيديه من دراهم فعدَّها فإذا هى خمسمائة ، فأضعفها له مرتين يعنى فكان جملة ما أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم .

وفود فروة بن مُسَيك المرادى أحد رؤساء قومه إلى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : وقدم فَرْوة بن مُسَيك المرادِىّ ، مفارقاً لملوك كِنْدة ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان بين قومه مراد وبين هَمْدان وقعة قُبيل الإسلام ، أصابت همدانُ من قومه حتى أثخنوهم ، وكان ذلك فى يوم يقال له الرَّدْم ، وكان الذى قاد هَمْدان إليهم الأجدَع ابنُ مالك . قال ابن هشام : ويقال : مالك بن خَرِيم الهَمْدانى .

قال ابن إسحاق : فقال فروة بن مُسَيك فى ذلك اليوم :

مَرَرْن على لَفَاتَ وهنّ خُوصٌ ... يُنازِعْنَ الأعِنَّة يَنْتحينا(١)

فإن نَغْلِب فَغلّابون قِدْماً ... وإن نُغْلَب فغيرُ مُغَلَّبينا

وما إن طِبُّنا جُبنٌ ولكن ... منايانا وطُعْمة آخرينا(٢)

كذاك الدهر دَولته سِجَالٌ ... تَكرُّ صُروفُه حِيناً فحِينا

فبَيْنا مانُسَرُّ به ونَرضى ... ولو لُبِست غضارته سِنينا

إذا انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ ... فألْفَى فى الأُلَى غُبِطوا طحينا(٣)

فمن يُغْبَط بريْب الدهر منهم ... يجدْ رَيْبَ الزمان له خئونا

فلو خَلَدَ الملوكُ إذاً خلدْنا ... ولو بقِىَ الكرامُ إذاً بقينا

فأفنَى ذلكم سَرَوات قومى ... كما أفنى القرونَ الأولينا

قال ابن إسحاق: ولما توجه فروة بن مُسَيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً ملوك كندة قال:

لما رأيتُ ملوكَ كِندة أعرضَتْ ... كالرِّجل خان الرجلَ عِرقُ نِسائها

قرّبتُ راحلتى أؤمُّ محمداً ... أرجو فواضله وحسن ثنائها(٤)

قال: فلما انتهى فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: — فيما بلغنى — يافروة هل ساءك ماأصاب قومَك يوم الرَّدْم؟

فقال: يارسول الله من ذا الذى يصيب قومَه ما أصاب قومى يوم الرَّدْم لايسوؤه ذلك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمَا إنّ ذلك لم يزدْ قومَك فى الإسلام إلا خيراً» واستعمله على مراد وزبيد ومَذْحِج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص

---

(١) لفات: موضع من ديار مراد. والخوص: الغائرات العيون من الكلال.

(٢) طبنا: شأننا وعادتنا، أو شهوتنا. (٣) ابن هشام: فألفيت الأولى.

(٤) ح: فواضلها وحسن ثرائها.

على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن مَعْد يكَرِب فى أناس من زَبيد

قال ابن إسحاق : وقد كان عمرو بن مَعْدى كَرِب قال لقيس بن مَكْشوح المرَادِىّ، حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال(١) إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نَعْلم عِلمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفَى علينا إذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك عَلمنا عِلْمه فأبىَ عليه قيس ذلك وسفَّه رأيه .

فركب عمرو بن مَعْد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصدَّقه وآمن به ، فلما بلغ ذلك قيسَ بن مَكْشوح أوعدَ عمراً وقال : خالفنى وترك أمرى ورأيى .

فقال عمرو بن معديكرب فى ذلك :

أمرتُك يوم ذى صَنعا ءِ أمراً بادياً رَشَدُهْ
أمرتُك باتقاء اللـ ـه والمعروف تَتَّعِدُه
خرجتَ من المُنى مثل الـ ـحميِّر غرَّه وَتَدُه
تمنَّانى على فَرَسٍ عليه جالساً أسَدُه
علىَّ مُفَاضَةٌ كالنَّهـ ـى أَخْلَص ماءه جَدَدُه(٢)
يردُّ الرمحَ مُنْثَنِى السِّنان عَوائراً قِصَدَه(٣)
فلو لاقيتَنى لَلقيـ ـتَ لَيثاً فوقَه لِبَدُه

(١) ابن هشام : يقول .
(٢) المفاضة : الدرع السابغة . والنهى : الغدير . والجدد : الأرض الغليظة المستوية .
(٣) العوائر : المتطايرة : والقصد : القطع المتكسرة .

تلاقى شَنْبثاً شَثْن ال بَرائن ناشِزاً كَتدُه(١)
يُسامى القِرْن إن قِرْنٌ تيمَّمَه فيعتضـــدُه
فيأخذه فيرْفعه فيَخْفضه فيقْتَصِدُه(٢)
فيَدْمغه فيَحْطمه فيَخْضمه فيزْدَرِدُه(٣)
ظَلوم الشِّرك فيما أحـ رزتْ أنيابُه ويدُه

***

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زُبيد وعليهم فَروة بن مُسَيك ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو بن معديكرب فيمن ارتدّ ، وهجا فَروة بن مُسَيك فقال :

وجدنا مُلْك فَروةَ شرَّ مُلك حمارٌ سافَ مِنْخره بثَفْرِ(٤)
وكنتَ إذا رأيت أبا عُمير ترى الحوَلاء من خُبْث وغَدرِ(٥)

قلت : ثم رجع إلى الإسلام وحسُن إسلامه ، وشهد فتوحات كثيرة فى أيام الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما .

وكان من الشجعان المذكورين والأبطال المشهورين والشعراء المجيدين ، توفى سنة إحدى وعشرين بعد ماشهد فتح نهاوَنْد ، وقيل بل شهد القادسية وقُتل يومئذ .

قال أبو عمر بن عبد البر : وكان وفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدى .

قلت : وفى كلام الشافعى مايدل عليه فالله أعلم .

---

(١) الشنبث : الأسد . والشثن : الغليظ . والبراثن : المخالب ، أو هى بمنزلة الأصابع للإنسان . والناشز : المرتفع . والكتد : مابين الكتفين .
(٢) يقتصده : يقتله . (٣) يخضمه : يأكله .
(٤) ساف : شم . والثفر : للسباع وذوى المخالب كالرحم للناقة .
(٥) الحولاء : كالمشيمة للناقة ، وهى جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد .

قال يونس عن ابن إسحاق : وقد قيل إن عمرو بن معد يكرب لم يأت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قال فى ذلك :

إننى بالنبى موقنةٌ نفـ ... ـسى وإنـ لم أرَ النبيَّ عِيانَا
سيدُ العالمين طُرًّا وأدْنَا ... هم إلى الله حين بانَ مكانا
جاء بالناموس من لَدن الله ... وكان الأمينَ فيه المعانَا
حكمةٌ بعد حكمة وضياء ... فاهتدينا بنورها مِن عَمانا
ورَكِبنا السَّبيل حين ركبنا ... ه جديداً بكَرْهنا ورِضانا
وعبَدْنا الإله حقًّا وكنا ... للجهالات نَعبد الأوثانا
وائتلفنا به وكنّا عدوًّا ... فرجعنا به معاً إخوانا
فعليه السلام والسلام منا ... حيث كنا من البلاد وكانا
إن نكن لم نر النبى فإنا ... قد تبعنا سبيلَه إيمانا

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كِنْدة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس فى وفد كِنْدة .

فحدثنى الزهرى أنه قدم فى ثمانين راكبا من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدَه قد رجَّلوا جُمَمَهم(١) وتكحَّلوا ، عليهم جُبب الحبَرة قد كففّوها بالحرير .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : ألم تُسْلموا ؟ قالوا : بلى قال : فما بالُ هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقوه منها فألقوه .

(١) الجمم : جمع جمة وهى شعر الرأس الكثيف .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله نحن بنو آكل المُرَار ، وأنت ابنُ آكل المرار .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ناسِبوا بهذا النسب العباسَ بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث » .

وكانا تاجرين ، إذا شاعا في العرب فسئلا : ممن أنتما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرَار يعني ينتسبان إلى كندة ليَعزّا في تلك البلاد ، لأن كندة كانوا ملوكا ، فاعتقدت كندة أن قريشا منهم ، لقول عباس وربيعة : « نحن بنو آكل المرار » وهو الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كِندى — ويقال ابن كندة .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « لا نحن بنو النَّضر بن كنانة لا نَقْفو [1] أمَّنا ولا ننتفى من أبينا » .

فقال لهم الأشعث بن قيس : والله يامعشر كندة لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربتُه ثمانين .

وقد روى [هذا] [2] الحديث متصلا من وجه آخر فقال الإمام أحمد : حدثنا بَهز وعفان ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، حدثني عَقِيل بن طلحة ، وقال عفان في حديثه : أنبأنا عقيل بن طلحة السلمى ، عن مسلم بن هَيْصم ، عن الأشعث بن قيس ، أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه سلم وفي وفد كندة — قال عثمان — لا يروني أفضلهم ، قال : قلت يارسول الله : أنا ابن عمّ إنكم منا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النَّضر بن كنانة ، لاَ نقفو أمَّنا ولا ننتفى من أبينا » .

---

(١) لا نقفو أمنا : لا نتهمها بالفجور .
(٢) ليست في ا .

قال : قال الأشعث : فوالله لا أسمع أحـداً نفى قريشا من النَّضْر بن كنانة إلا جَلدته الحدّ .

وقد رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يزيد بن هارون ، وعن محمد بن يحيى ، عن سليمان بن حرب . وعن هارون بن حيان ، عن عبد العزيز بن المغيرة ، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا هُشيم ، أنبأنا مُجَالِد ، عن الشّعبى ، حدثنا الأشعث بن قيس ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد كندة فقال لى : هل لك من ولد ؟ قلت : غلام ولد لى فى مَخْرجى إليك من ابنة جَمد ، ولوددتُ أن مكانه شِبعُ القوم .

قال : لا تقولن ذلك فإن فيهم قُرَّة عين وأجراً إذا قُبضوا ، ثم ولئن قلت ذاك إنهم لَمجْبنة مَحْزنة إنهم لمجبَنة مَحْزَنة .

تفرد به أحمد وهو حديث حسن جيد الإسناد .

قدوم أعشى بنى مازن على النبى ﷺ

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنى العباس بن عبد العظيم العنبرى ، حدثنا أبو سلمة عبيد بن عبد الرحمن الحنفى ، قال : حدثنى الُجنيد بن أمين بن ذِرْوة بن نَضْلة بن طَرِيف ابن نَهْصل الِحرْمازِىّ ، حدثنى أبى أمين ، عن أبيه ذِرْوة ، عن أبيه نَضْلة ، أن رجلا منهم يقال له الأعشى واسمه عبد الله الأعور كانت عنده امرأة يقال لها مُعَاذة خرج فى رجب يَمِير أهله مِن هجر ، فهربت امرأته بعده ناشزا عليه ، فعاذت برجل منهم يقال له مُطرِّف ابن نَهْشَل بن كعب بن قُمَيْثَع بن دُلف بن أهضم بن عبد الله بن الِحرْماز ، فجعلها خلفَ ظهره فلما قدم لم يجدها فى بيته وأُخبر أنها نَشزت عليه وأنها عاذت بمطرِّف بن

نَهْشل ، فأتاه فقال : يابن عم أعندك امرأتى معاذة فادفعها إلى . قال : ليست عندى ، ولو كانت عندى لم أدفعها إليك .

قال : وكان مطرف أعزّ منه . قال : فخرج الأعشى حتى أتى النبى صلى عليه وسلم فعاذ به فأنشأ يقول :

ياسيدَ النـاس ودَيَّان العربْ إليك أشكو ذِرْبةً من الذِّرَبْ[1]
كالذئبة الغنساء فى ظِل السَّرب[2] خرجتُ أبغيها الطعام فى رجبْ
فخلفتنى بنزاعٍ وهَرب أخلفَتِ الوعدَ ولَطَّت بالذَّنَبْ
وقذَفتنى بين عَصر مُؤْتَشب وهُنَّ شرٌّ غالبٌ لمن غَلبْ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « وهن شَرٌّ غالبٌ لمن غَلَب » . فشكا إليه امرأته وما صنعت به ، وأنها عند رجل منهم يقال له مطرف بن نهشل ، فكتب له النبى صلى الله عليه وسلم إلى مطرف : انظر امرأة هذا مُعاذة فادفعها إليه .

فأتاه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه ، فقال لها : يامعاذة هذا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فيك فأنا دافِعك إليه . فقالت : خُذْ لى عليه العهدَ والميثاق وذمة نبيه أن لا يعاقبنى فيما صنعتُ فأخذ لها ذلك عليه ودفعها مطرف إليه ، فأنشأ يقول :

لعَمْرك ما حُبِّى معـاذة بالذى يغيِّره الواشى ولا قِدَمُ العهدِ
ولا سوء ماجاءت به إذ أزالها غُواة الرِّجال إذ يُنَاجونها بعدِى

---

(١) الذربة : السليطة اللسان . (٢) السرب : جحر الوحشى .

قدوم صُرَد بن عبد الله الأزدى فى نفر من قومه
ثم وفود أهل جُرَش بعدهم

قال ابن إسحاق : : وقدم صُرَد بن عبد الله الأزدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد من الأَزْد ، فأسلم وحسُن إسلامه ، وأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَن يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن .

فذهب فحاصر جُرَش وبها قبائل من اليمن وقد ضَوَت[1] إليهم خَثْعم حين سمعوا بمسيره إليهم ، فأقام عليهم قريبا من شهر فامتنعوا فيها منه ، ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريبا من جبل يقال له شَكَر فظنوا أنه قد ولّى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا .

وقد كان أهل جُرَش بعثوا منهم رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فبينما هما عنده بعد العصر إذ قال : « بأى بلاد الله شكر ؟ » فقام الجرشيّان فقالا : يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كَشَر . وكذلك تسميه أهل جُرَش . فقال : إنه ليس بكَشَر ولكنه شَكَر . قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ فقال : إن بُدْن الله لتُنْحر عنده الآن .

قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان فقال لهما : ويحكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لآن لينعى قومَكما ، فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فسألاه ذلك فقال : « اللهم ارفع عنهم » .

فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء وفد أهل جرش بمن بقى منهم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وحسن إسلامهم وحَمَى لهم حولَ قريتهم .

---

(١) ضوت : لجأت .

قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ

قال الواقدى : وكان ذلك فى رمضان سنة تسع .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله كتاب ملوك حمير ورسلهم بإسلامهم مَقْدَمه من تبوك ، وهم الحارث بن كُلَال ونُعيم بن عبد كُلَال والنعمان قَيْل ذى رُعَين ومَعافر وهَمْدان وبعث إليه زُرْعة ذو يزَن مالك بن مُرّة الرَّهاوى بإسلامهم ومفارقتهم الشركَ وأهله .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبى إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْل ذى رُعَين ومَعافر وهَمْدان ، أما بعد ذلكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنقلَبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة فبلّغ ما أرسلتم به وخبّرنا ماقِبَلكم وأنبأنا بإسلامكم وقَتْلكم المشركين ، وأن الله قد هدا كم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خُمس الله وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وصَفِيه وما كتب على المؤمنين فى الصدقة ، من العقَار عُشْر ماسقت العين وسقت السماء وعلى ماسقى الغَرْبُ [1] نصف العُشْر ، وأن فى الإبل فى الأربعين ابنة لَبُون وفى ثلاثين من الإبل ابن لَبُون ذكر ، وفى كل خمس من الإبل شاة وفى كل عشر [من الإبل] [2] شاتان وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين تَبِيع جَذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، إنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

---

(١) الغرب : الدلو .　　(٢) ليست فى ا

ومن أدَّى ذلك وأشهدَ على إسلامه وظاهَر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم .

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردُّ عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار وافٍ (١) من قيمة المعافرِ أو عِوَضه (٢) ثيابا ، فمن أدَّى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منَعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زرعة ذى يزن : أن إذ أتاك رسلى فأوصيكم (٣) بهم خيراً ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعُقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مَخاليفكم (٤) وأبلغوها رُسلى ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبنّ إلا راضيا .

أما بعد فإن محمداً يشهد (٥) أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرّة الرّهَاوى قد حدثنى أنك أسلمتَ من أول حِمْير وقتلتَ المشركين ، فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تَخاذلوا فإن رسول الله هو مَوْلَى غَنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلُّ لمحمد ولا لأهل بيته ، وإنما هى زكاة يزكَّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلَّغ الخبر وحَفظ الغيب فآمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلتُ إليكم من صالحِى أهلى وأولى دِينهم وأولى علمهم ، فآمركم بهم خيراً فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا عمارة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ،

---

(١) ا : وافر .
(٢) الأصل : أو عرضه . وما أثبته عن ابن هشام .
(٣) ا : فأوصهم .
(٤) ا : مخالفيكم .
(٥) ا : أشهد .

أن مالك ذى يَزَن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حُلة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً أو ثلاثة وثلاثين ناقة .

ورواه أبو داود عن عمرو بن عَون الواسطى ، عن عمارة بن زاذان الصيدلانى ، عن ثابت البُنَانى ، عن أنس به .

وقد روى الحافظ البيهقى هاهنا ـ حديث كتاب عمرو بن حزم فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ابن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أبيه أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا الذى كتبه لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن يفقِّه أهلها ويعلمهم السُّنة ويأخذ صدقاتهم ، فكتب له كتابا وعهداً وأمره فيه أمره .

فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفُوا بالعقود ، عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

أَمَره بتقوى الله فى أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقَوه والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشِّر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين ، وأن ينهى الناسَ فلا يمسّ أحد القرآنَ إلا وهو طاهر ، وأن يخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ، ويَلِين لهم فى الحق ويشتدّ عليهم فى الظُّلْم ، فإن الله حرَّم الظلمَ ونهَى عنه فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدُّون عن سبيل الله » .

وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النارَ وعملها ، ويستألفَ الناسَ حتى يتفقَّهوا فى الدين ، ويعلم الناس مَعالم الحج وسُنَنه وفرائضه وما أمره الله به ، والحجُّ الأكبر الحج والحج الأصغر العمرة .

وأن ينهى الناسَ أن يصلى الرجل فى ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعا

فيخالف بين طرفيه على عاتقيه ، وينهى أن يَحْتَبِى الرجل فى ثوب واحد ويُفْضى بفرجه إلى السماء ، ولا ينقض شعر رأسه إذا عفى فى قفاه ، وينهى الناس إن كان بينهم هَيْج أن يدعو إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى العشائر والقبائل فليعطفوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له .

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء ، وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا رءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأُمروا بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يغلِّس بالصبح و [أن] يهجِّر بالهاجرة حتى تَميل الشمس ، وصلاة العصر والشمسُ فى الأرض مُبْدِرة ، والمغرب حين يُقْبل الليل لا تؤخَّر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل .

وأمره أن يأخذ من المغانم خُمْس الله ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار فيما سقى العين (١) وفيما سقت السماء العشر ، وماسقى الغَرْب فنصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان وفى عشرين أربع شياه ، وفى أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع أو تبيعة جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين ، فمن زاد فهو خير له .

ومن أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه فدانَ دِين الإسلام ، فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ماعليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنهُ لا يغيَّر عنها ، وعلى كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار وافٍ أو عوضه من الثياب ، فمن أدَّى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعا .

(١) الأصل : المغل .

صلوات الله على محمد . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته » .

قال الحافظ البيهقى : وقد روى سليمان بن داود ، عن الزهرى ، عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولا بزيادات كثيرة ونقصان عن بعض ماذكرناه فى الزكاة والديات وغير ذلك .

قلت : ومن هـذا الوجـه رواه الحـافظ أبو عبد الرحمن النسـائى فى سننه مطولا ، وأبو داود فى كتاب المراسيل . وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه فى السنن ولله الحمد والمنة .

وسنذكر بعدَ الوفود بعث النبى صلى الله عليه وسلم الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم ، معاذ بن جبل وأبو موسى وخالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

قدوم جَرير بن عبد الله البجَلى وإسلامه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو قَطن ، حدثنى يونس ، عن المغيرة بن شبل ، قال : قال جرير : لما دنوتُ من المدينة أنختُ راحلتى ثم حلَلْت عَيْبتى ثم لبست حُلتى ، ثم دخلت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فرمانى الناس بالحِدَق ، فقلت لجليسى : ياعبد الله هل ذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ذكرك بأحسن الذكر ، بينما هو يخطب إذ عَرض له فى خطبته وقال : يدخل عليكم من هـذا الباب أو من هذا الفجّ مِن خير ذى يَمَن ، إلا أن على وجهه مِسْحة مُلْك .

قال جرير : فحمدت الله عز وجل على ما أبْـلانى . قال أبو قَطن : فقلت له : سمعته منه أو سمعته من المغيرة بن شِبْل ؟ قال : نعم .

ثم رواه الإمام أحمد ، عن أبى نُعَيم وإسحاق بن يوسف . وأخرجه النسائى من

حديث الفضل بن موسى ، ثلاثتهم عن يونس ، عن أبى إسحاق السَّبِيعى ، عن المغيرة ابن شبل - ويقال ابن شُبَيل - عن عوف البجَلى الكوفى ، عن جرير بن عبد الله وليس له عنه غيره .

وقد رواه النسائى عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير ونصُّه: « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مِسْحة مُلك » الحديث .

وهذا على شرط الصحيحين .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس عن جرير ، قال : ماحجَبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمتُ ولا رآنى إلا تبسَّم فى وجهى .

وقد رواه الجماعة إلا أبا داود ، من طرق ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم عنه .

وفى الصحيحين زيادة : « وشكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لا أثبتُ على الخيل فضرَب بيده فى صدرى » وقال : « اللهم ثبِّته واجعله هادياً مَهْديًّا » .

ورواه النسائى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس عنه وزاد فيه : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مِسحة ملك » فذكر نحو ماتقدم .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد السّماك ، حدثنا الحسن بن سلام السواق ، حدثنا محمد بن مُقاتل الخراسانى ، حدثنا حصين

ابن عمر الأحمسى ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : بعث إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياجرير لأى شىء جئتَ ؟ قلت : أُسْلِم على يديك يارسول الله . قال : فألقى علىَّ كِسَاء ثم أقبل على أصحابه فقال : « إذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه » .

ثم قال : « ياجرير ، أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدَر خيره وشره ، وتصلِّى الصلاة المكتوبة وتؤدّى الزكاة المفروضة » .

ففعلتُ ذلك ، فكان بعد ذلك لا يرانى إلا تبسّم فى وجهى .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطّان ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنُّصح لكل مسلم .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد به . وهو فى الصحيحين من حديث زياد بن عُلاَقة عن جرير به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا زائدة ، حدثنا عاصم ، عن سفيان يعنى — أبا وائل — عن جرير ، قال : قلت : يارسول الله اشترطْ علىَّ فأنت أعلمُ بالشرط .

قال : « أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتنصح المسلم ، وتَبْرأ منَ الشِّرك » .

ورواه النسائى من حديث شعبة عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن جرير

وفى طريق أخرى عن الأعمش ، عن منصور ، عن أبى وائل ، عن أبى نُخيلة ، عن جرير به . فالله أعلم .

ورواه أيضا عن محمد بن قُدَامة ، عن جرير ، عن مغيرة ، عن أبى وائل والشَّعبى عن جرير به . ورواه عن جرير عبدُ الله بن عميرة . رواه أحمد منفرداً به . وابنهِ عبيد الله بن جرير أحمدُ أيضاً منفرداً به . وأبو جميلة وصوابه نُخيلة . ورواه أحمد أيضا والنسائى .

ورواه أحمد أيضا عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبى وائل ، عن رجل [عن جرير] (١) فذكره .

والظاهر أن هذا الرجل هو أبو نُخيلة البجَلى والله أعلم .

* * *

وقد ذكرنا بَعْث النبى صلى الله عليه وسلم له حين أسلم إلى ذى الخَلَصة بيت كان يعبده خَثْعم وبَجِيلة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ، يُضَاهون به الكعبة التى بمكة ، ويقولون للتى بمكة الكعبة الشامية ، ولبيتهم الكعبة اليمانية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تريحنى من ذى الخَلَصة ؟

فحينئذ شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يَثْبت على الخيل ، فضرب بيده الكريمة فى صدره حتى أثَّرت فيه وقال : « اللهم ثَبِّته واجعله هادياً مَهْديا » فلم يسقط بعد ذلك عن فرَس .

ونفر إلى ذى الخَلَصة فى خمسين ومائة راكب من قومه من أَحْمس ، فخرّب ذلك البيت وحرقه حتى تركه مثل الجمل الأجرب ، وبعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بشيرا

---

(١) سقط من ا .

يقال له أبو أرطاة فبشره بذلك ، فبرَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

والحديث مبسوط فى الصحيحين وغيرهما كما قدمناه[١] بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العُزَّى على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه .

والظاهر أن إسلام جرير رضى الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد .

فإن الإمام أحمد قال : حدثنا هاشم[٢] بن القاسم ، حدثنا زِياد بن عبد الله بن عُلَاثة عن عبد الكريم بن مالك الجزَرى ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البجَلى ، قال : إنما أسلمتُ بعد ما أُنزلت المائدة وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعد ما أسلمتُ .

تفرد به أحمد . وهو إسناد جيد اللهم إلا أن يكون منقطعا بين مجاهد وبينه .

وثبت فى الصحيحين أن أصحاب عبد الله بن مسعود كان يعجبهم حديث جرير فى مسح الخفّ ، لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول المائدة ، وسيأتى فى حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « استَنْصِت الناسَ ياجرير » . وإنما أمره بذلك لأنه كان صَيِّتًا .

وكان ذا شَكل عظيم ، كانت نعله طولها ذراعا ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وكان مع هذا من أغضّ الناس طَرفا . ولهذا روينا فى الحديث الصحيح عنه أنه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفَجْأة فقال : « اصرف[٣] بصرك » .

---

(١) سبق ذلك فى الجزء الثالث (٢) غير ا : هشام .
(٣) الأصل : أطرق . وما أثبته عن صحيح البخارى .

وفادة وائل بن حُجْر بن ربيعة بن وائل بن يَعْمر الحضْرَمى بن هُنَيدة أحد ملوك اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : كان أحد أَقْيال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم . ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشَّر أصحابه قبل قدومه به ، وقال : يأتيكم بقيةُ أبناء الملوك . فلما دخل رحَّب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبَسَط له رداءه . وقال : « اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده » .

واستعمله على الأقيال من حضرموت ، وكتب معه ثلاثة كتب : منها كتاب إلى المهاجر بن أبى أمية ، وكتاب إلى الأقيال والعَباهلة ، وأقطعه أرضا وأرسل معه معاوية ابن أبى سفيان فخرج معه راجلا ، فشكا إليه حَرَّ الرَّمضاء فقال : انتعل ظلَّ الناقة . فقال : وما يغنى عنى ذلك ، لو جعلتنى رِدْفاً ؟ فقال له وائل : اسكت فلستَ من أرداف الملوك .

ثم عاش وائل بن حُجْر حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين ، فعرَفه معاوية ، فرحب به وقرَّبه وأدناه ، وأذْكَره الحديث ، وعرَض عليه جائزة سَنية فأبى أن يأخذها ، وقال : أعطها من هو أحوج إليها منى .

وأورد الحافظ البيهقى بعض هذا ، وأشار إلى أن البخارى فى التاريخ روى فى ذلك شيئا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، أنبأنا شُعبة ، عن سِمَاك بن حرب ، عن علقمة ابن وائل ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطَعه أرضا . قال : وأرسل معى معاوية أن أعطِها إياه — أو قال أَعْلِمها إياه — .

قال : فقال معاوية : أَرْدِفني خلفك . فقلت : لا تكون من أرداف الملوك . قال : فقال : أعطني نعلك . فقلت : انتعل ظلَّ الناقة .

قال : فلما استخلف معاويةُ أتيته فأقعدني معه على السرير فذكَّرني الحديث .

قال سِمَاك : فقال : وددتُ أني كنت حملتُه بين يدي

وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : صحيح .

وفادة لَقِيط بن عامر بن المنتَفِق أبى رزَين العقيلى
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبـد الله بن الإمام أحمد [حدثنى أبى ، حدثنا عبد الله(١)] : كتب إلىّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة ابن مصعب بن الزبير الزبيرى : كتبتُ إليك بهـذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدِّث بذلك عنى . قال : حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى ، حدثنى عبد الرحمن بن عَياش السمعى الأنصارى القُبائى من بنى عمرو بن عوف ، عن دَلْهم بن الأسود بن عبـد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفِق العقيلى ، عن أبيه ، عن عمه لقيط بن عامر ، قال دلهم : وحَدَّثنيه أبى الأسود ، عن عاصم بن لَقِيط أن لقيطا خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نَهيك بن عاصم بن مالك ابن المنتفق .

قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة انسلاخَ رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيناه](٢) حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام فى الناس خطيبا فقال : « أيها الناس ألا إنى قد خبَّأت لـكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومُه » .

فقالوا : اعلم لنا ما يقول رسول الله . ثم [قال:] ألا لعله أن يلهيه حديثُ نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ، ألا إنى مسئول هل بلغت ؟ ألا فاسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا ألا اجلسوا .

---

(١) من مسند أحمد ٤ / ١٣ (٢) سقط من ا .

فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يارسول الله ماعندك من علم الغيب ؟

فضحك لعَمْر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي لسقطه ، فقال : « ضَنَّ ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله » وأشار بيده . قلت : وما هي ؟

قال : « عِلم المنيّة ، قد علم متى مَنيّة أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم [المنيّ حين يكون في الرحم قد عَلِمه ولا تعلمون] (١) وعلم مافي غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيث يُشْرِف عليكم أزِلين مُسْنتين (٢) فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب » .

قال لقيط : قلت لن نعدم من رب يضحك خيراً . وعلم يوم الساعة .

قلنا : يارسول الله علِّمنا ممـا لا يعلم الناس ومما تعلم ، فإنا من قَبيل لا يصـدِّقون تصديقَ (٣) أحد ، من مَذْحج التي تربو علينا وخَثعم التي تُواليناوعشيرتنا التي نحن منها . قال : تلبثون مالبثتم ثم يُتوفى نبيـكم ، ثم تلبثون مالبثتم ثم تُبعث الصائحة ، لعمر إلهك ماتدَع على ظهرها من شيء إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض قد خلَتْ عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تَهْضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدَع على ظهرها من مَصْرع قتيـل ولا مدفن ميت إلا شقَّت القبر عنه حتى تَخلُقه من عند رأسه ، فيستوي جالسا ، فيقول ربك عز وجل : مَهْيم ؟ لما كان فيه ــ فيقول : يارب أمس اليوم ، فلعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله .

قلت : يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تُفرقنا الرياح والبلى والسِّباع .

فقال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، في الأرض أشرفتَ عليها وهي مَدَرة باليـة فقلتَ لا تحيا أبداً . ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك أيامٌ حتى أشرفتَ عليها

---

(١) من مسند أحمد ٤/١٣ . (٢) الأزل : الشدة . والمسنتين : من أصابتهم السنة وهي القحط .

(٣) الأصل والمسند : تصديقنا .

وهى شَرِبَةٌ[١] واحدة ، فلعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض . فتخرجون من الاصْواء[٢] ومن مَصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم .

قال : قلت يا رسول الله وكيف ونحن ملء الأرض ، وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟

فقال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله، الشمسُ والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعةً واحدة لا تضارُّون فى رؤيتهما ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما[٣] ويريانكم لا تُضَارون فى رؤيتهما .

قلت : يارسول الله فما يفعل ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تُعرضون عليه باديةً له صحائفكم لا يَخفَى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غَرفة من الماء فينضح قِبَلكم بها ، فلعمر إلهك ما يُخْطئ وجهَ أحدكم منها قطرةٌ ، فأما المسلم فتدَع على وجهه مثل الرَّيْطة[٤] البيضاء ، وأما الكافر فتَخْطمه بمثل الُحمَ[٥] الأسود .

ألا ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون ، فتَسْلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمر فيقول: حس . فيقول ربك عز وجل : أوانه[٦] . فتطلعون على حوض الرسول على أَظْمَأ[٧] والله ناهلة عليها ما رأيتها قط ، فلعمر إلهك لا يَبْسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قَدح يطهِّره من الطَّوف[٨] والبول والأذى ، وتُحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً .

قال : قلت : يا رسول الله فبم نُبْصر ؟ قال : مثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

(١) الشرية : الطريقة . والشرية بإسكان الراء :شجر الحنظل .
(٢) الأصواء : القبور . (٣) ا : منهما أو ترونهما .
(٤) الريطة : كل ثوب لين رقيق . (٥) الحمم : الفحم .
(٦) كذا بالأصل والمسند .
(٧) الأصل : أضماء . وما أثبته عن مسند أحمد .
(٨) الطوف : الحدث .

قال: قلت : يارسول الله فيم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟ فقال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو .

قال: قلت : يارسول الله إما الجنة وإما النار؟ قال: لعمر إلهك ، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان[١] إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما [وإن للجنة لثمانية أبواب ، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما[٢]] .

قلت : يارسول الله فعلام نَطّلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفًّى وأنهار من كأس مابها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسِن وفاكهة ، لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مُطهَّرة .

قلت : يا رسول الله ولنا فيها أزواج أوَمنهن مُصْلحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تلذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذونكم غير ألا توالد .

قال لقيط : قلت : أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه ؟ [فلم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم] .

قلت : يارسول الله علام أبايعك ؟ فبسط [النبى] يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزِيَال الشرك ، وألا تشرك بالله إلٰها غيره . [قال : قلت : وإن لنا مابين المشرق والمغرب ، فقبض النبى صلى الله عليه وسلم يده وبَسَط أصابعه وظن أنى مشترطٌ شيئا لا يعطينيه . قال: قلت : نَحلُّ منها حيث شئنا ، ولا يجنى منها امرؤ إلا على نفسه . فبسط يده وقال : ذلك لك ، تحلُّ حيث شئت ولا تجنى عليك إلا نفسُك . قال : فانصرفنا عنه .

(١) الأصل : باب
(٢) من مسند أحمد .

ثم قال : إن هذين [لعَمْرُ إلٰهك] من أتقى الناس فى الأولى والآخرة ؟ فقال له كعب بن الخُدَاريّة أحد بنى كِلاب منهم : يارسول الله بنو المنتفَق أهلُ ذلك منهم ؟ قال : فانصرفنا وأقبلتُ عليه][(١)] .

وذكر تمام الحديث إلى أن قال : فقلت : يارسول الله هل لأحدٍ ممن مضَى خيرٌ فى جاهليته ؟ قال : فقال رجل من عَرض قريش : والله إن أباك المنتفِق لفى النار .

قال : فلكأنه وقع حَرٌّ بين جلدتى وجهى ولحمى مما قال لأبى على رءوس الناس . فهممت أن أقول : وأبوك يارسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت : يارسول الله وأهلُك ؟ قال : « وأهلى لعمر الله ، ما أتيتَ [عليه] من قبر عامرىٍّ أو قرشى من مشرك فقل : أرسلنى إليك محمد فأبشرك بما يسوءك ، تُجرُّ على وجهك وبطنك فى النار .

قال : قلت : يارسول الله مافعل بهم ذلك ؟ وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وقد كانوا يحسبون[(٢)] أنهم مصلحون ؟

قال : ذلك بأن الله بعث فى آخر كل سبع أمم — يعنى نبيًّا — فمن عصى نبيَّه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث غريب جدا ، وألفاظه فى بعضها نكارة وقد أخرجه الحافظ البيهقى فى كتاب البعث والنشور ، وعبد الحق الإشبيلى فى العاقبة ، والقرطبى فى كتاب التذكرة فى أحوال الآخرة .

---

(١) سقط من ا .

(٢) ا : يحسبونهم

وفادة زياد بن الحارث الصُّدَائى

رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو أحمد الأسَداباذى بها ، أنبأنا أبو بكر بن مالك القَطِيعى ، حدثنا أبو على بشر بن موسى ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، حدثنى زياد بن نُعيم الحضرمى ، سمعت زياد بن الحارث الصُّدَائىّ يحدِّث ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، فأُخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومى ، فقلت : يا رسول الله اُردُد الجيش وأنا لك بإسلام قومى وطاعتهم . فقال لى : اذهب فردَّهم . فقلت : يارسول الله إن راحلتى قد كَلَّت . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فردهم .

قال الصُّدائى : وكتبت إليهم كتابا ، فقدِم وفدُهم بإسلامهم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أخا صُدَاء إنك لَمُطاع فى قومك . فقلت : بل الله هداهم للإسلام فقال : « أفلا أؤمِّرك عليهم » قلت : بلى يا رسول الله . قال : فكتب لى كتابا أمَّرنى ، فقلت : يا رسول الله مُرْ لى بشىء من صدقاتهم . قال : نعم . فكتب لى كتابا آخر .

قال الصُّدَائى : وكان ذلك فى بعض أسفاره ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يَشْكون عاملَهم ويقولون : أخذَنا بشىء كان بَيْننا وبين قومه فى الجاهلية . فقال رسول الله : أوَ فعل ذلك ؟ قالوا : نعم . فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأنا فيهم فقال : « لا خيرَ فى الإمارة لرجل مؤمن » .

قال الصدائى : فدخل قوله فى نفسى . ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله أعطنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل الناسَ عن ظَهْر غِنًى فصُداع فى الرأس وداء فى البطن . فقال السائل : أعطنى من الصدقة . فقال رسول الله : إنّ [الله] لم يَرْضَ فى الصَّدقات بحُكم نبىّ ولا غيره حتى حَكم هو فيها فجزّأها ثمانية أجزاء . فإن كنتَ من تلك الأجزاء أعطيتُك . قال الصُّدائى : فدخل ذلك فى نفسى ، أنى غنىّ وأنى سألته من الصدقة .

قال : ثم إن رسول الله اعتشَى[(١)] من أول الليل ، فلزمتُه وكنت قريبا منه ،فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون منه ولم يبق معه أحد غيرى .

فلما كان أوانُ صلاة الصبح أمَرنى فأذَّنت فجعلت أقول : أقيم يا رسول الله ؟ فجعل ينظر ناحية المشرق إلى الفجر ويقول : لا . حتى إذا طلع الفجر نزل فتبرّز ثم انصرف إلىّ وهو متلاحق أصحابُه فقال : هل من ماء يا أخا صُداء ؟ قلت : لا إلا شىء قليل لا يكفيك . فقال : اجعله فى إناء ثم ائتنى به . ففعلت ، فوضع كفَّه فى الماء . قال : فرأيت بين إصبعين من أصابعه عيناً تَفُور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أنى أستحى من ربى عز وجل لسَقَينا واستقينا ، نادِ فى أصحابى من له حاجة فى الماء » فناديتُ فيهم فأخذ من أراد منهم شيئاً .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم فقال له رسول الله : « إن أخا صُداء أذَّن ومن أذَّن فهو يقيم » . قال الصُّدائى : فأقمت .

فلما قضى رسول الله الصلاة أتيته بالكتابين فقلت : يارسول الله أعفنى من هذين . فقال : ما بدا لك ؟ فقلت : سمعتك يا رسول الله تقول : « لا خير فى الإمارة لرجل مؤمن » وأنا أومن بالله وبرسوله . وسمعتك تقول للسائل : « من سأل الناسَ عن ظهر غنًى فهو صُداع فى الرأس وداء فى البطن » وسألتُك وأنا غنىّ .

فقال : هو ذاك فإن شئت فاقبل ، وإن شئت فدَعْ . فقلت : أدَعُ . فقال لى

---

(١) اعتشى : سار فى وقت العشاء .

رسول الله : « فدُلَّنى على رجل أؤمّره عليكم » . فدَلَلته على رجل من الوفد الذين قدِموا عليه فأمَّره عليهم .

ثم قلنا : يارسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسِعنا ماؤها واجتمعْنا عليها ، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا وكلٌّ من حولنا عَدوّ ، فادع الله لنا فى بئرنا فيَسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق .

فدعا سبعَ حَصَيات فعرَكهن بيده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا الله .

قال الصُّدَائى : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها — يعنى البئر .

وهذا الحديث له شواهد فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه .

وقد ذكر الواقدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بَعث بعد عمرة الجعرانة قيسَ بن سعد بن عبادة فى أربعمائة إلى بلاد صُدَاء فيوطئها ، فبعثوا رجلا منهم فقال : جئتك لتردَّ عن قومى الجيش وأنا لك بهم . ثم قدِم وفدُهم خمسة عشر رجلا ، ثم رأى منهم حجةَ الوداع مائةُ رجل .

ثم روى الواقدى عن الثَّورى ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن نعيم ، عن زياد بن الحارث الصُّدائى قصته فى الأذان .

وفادة الحارث بن حسَّان البَكْرى

إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحبَاب ، حدثنى أبو المنذر سلَّام بن سليمان النحوى حدثنا عاصم بن أبى النَّجود ، عن أبى وائل ، عن الحارث البَكْرى . قال : خرجت

أشكو العلاء بن الحضْرَمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالرَّبْذة فإذا عجوز من بنى تميم مُنْقَطَع بها . فقالت : يا عبد الله إن لى إلى رسول الله حاجة ، فهل أنت مُبلغى إليه ؟

قال : فحَمَلْتها فأتيت المدينة ، فإذا المسجد غاصٌّ بأهله وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلِّد السيف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما شأنُ الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً .

قال : فجلست ، فدخل منزله أو قال رَحْله ، فاستأذنت عليه فأذن لى ، فدخلت فسلمت فقال : هل كان بينكم وبين تميم شىء ؟ قلت : نعم ، وكانت الدائرة عليهم ، ومررت بعجوز من بنى تميم مُنْقطع بها فسألتنى أن أحملها إليك ، وها هى بالباب . فأذن لها فدخلت . فقلت : يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدَّهْناء . فحميتْ العجوز واستوْفزت وقالت : يا رسول الله أين تَضْطَرُّ مُضَرك . قال : قلت : إن مَثَلى ما قال الأول : مِعْزَى حملتْ حَتْفها ! حملتُ هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصماً ! أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد .

قال : وما وافدُ عاد ؟ وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه . قلت : إن عاداً قَحِطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له قَيْل ، فمرّ بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مُهْرة فقال : اللهم إنك تعلم لم أجىء إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه ، اللهم اسقِ عاداً ما كنتَ تَسْقيه . فمرّت به سحاباتٌ سُود فنودى : منها اختر . فأومأ إلى سحابة منها سوداء . فنودى منها : خذها رماداً رِمْدَداً ، لا تُبْقِ من عاد أحداً . قال : فما بلغنى أنه أُرسل عليهم من الريح إلا بقدر مايجرى فى خاتمى هذا حتى هلكوا .

قال أبو وائل : وصدق ، وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد(١) .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث أبى المنذر سلاّم بن سليمان به . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى بكر بن عَيَّاش ، عن عاصم بن أبى النجود، عن الحارث البكرى ولم يذكر أبا وائل .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبى بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن الحارث ، والصواب عن عاصم عن أبى وائل عن الحارث . كما تقدم .

وفادة عبد الرحمن بن أبى عقيل مع قومه

قال أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السُّوسى ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادى ، أنبأنا على بن الجَعْد [حدثنا] عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو خالد يزيد الأسدى ، حدثنا عَوْن بن أبى جُحَيفة ، عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفى ، عن عبد الرحمن ابن أبى عَقيل . قال : انطلقت فى وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناه فأنخنا بالباب ومافى الناس [رجل (٢)] أبغض إلينا من رجل نَلِج عليه ، فلما دخلنا وخرجنا فما فى الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه . قال : فقال قائل منا : يارسول الله ألا سألتَ ربك مُلْكا كملك سليمان ؟ قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « فلعل صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله عز وجل لم يبعث نبيًّا إلا أعطاه دعوة ، فمنهم من اتخذها دنيا فأُعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأُهلكوا بها ، وإن الله أعطانى دعوة فاختبأتُها عند ربى شفاعةً لأمتى يوم القيامة » .

---

(١) الحديث فى مسند أحمد ٣/ ٤٨٢ . (٢) ليست فى ا .

قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه

روى الحافظ البيهقى من طريق أبى جناب الكلبى ، عن جامع بن شَدّاد المحاربى ، حدثنى رجل من قومى يقال له طارق بن عبد الله ، قال : إنى لَقائم بسوق ذى المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفْلحوا » ورجل يتبعه يرميه بالحجارة و [هو] يقول « يا أيها الناس إنه كذاب » فقلت : من هذا ؟ فقالوا هذا غلام من بنى هاشم يزعم أنه رسول الله قال قلت: من هذا الذى يفعل به هذا ؟ قالوا : هذا عمه عبد العزى قال : فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الرَّبذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت : لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه ، إذا رجل فى طِمْرين فسلَّم علينا وقال : من أين أقبل القوم ؟ قلنا من الرَّبْذة قال : وأين تريدون ؟ قلنا : نريد هذه المدينة . قال: ما حاجتكم منها ؟ قلنا : نَمْتار من تمرها . قال : ومعنا ظَعِينة لنا ومعنا جمل أحمر مَخْطوم ، فقال : أتبيعونى جَملكم هذا ؟ قلنا : نعم ، بكذا وكذا صاعا من تمر .

قال : فما استوضَعنا مما قلنا شيئا ، وأخذ بخطام الجمل وانطلق ، فلما توارَى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا : ماصنعنا ؟ والله مابعنا جملنا ممن نَعرف ولا أخذنا له ثمنا .

قال تقول المرأة التى معنا : والله لقد رأيت رجلًا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر ، أنا ضامنةٌ لثمن جملكم . إذ أقبل الرجل فقال : أنا رسولُ[١] الله إليكم ، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا ، فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا فاستوفينا .

ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد ، فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس ، فأدركنا من

---

(١) ا : رسول رسول الله .

خطبته وهو يقول : « تصدَّقوا فإن الصدقة خير لـكم ، اليدُ العليا خير من اليد السفلى ، أمَّك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك » إذ أقبل رجل من بنى يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال : يارسول الله لنا فى هؤلاء دماء فى الجاهلية . فقال : « إن أباً لا يَجْنى على ولد » ثلاث مرات .

وقد روى النسائى فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن زياد بن أبى الجعْد ، عن جامع بن شدَّاد ، عن طارق بن عبد الله المحاربى ببعضه .

ورواه الحافظ البيهقى أيضا ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُـكَير ، عن يزيد بن زياد ، عن جامع بن طارق بطوله كما تقدم . وقال فيه : فقالت الظعينة : لا تَلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يَغْدر ، مارأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه .

قدوم وافد فَرْوة بن عمرو الُجذَامى صاحب بلاد مُعَان

بإسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأظن ذلك إما بتبوك أو بعدها

قال ابن إسحاق : وبَعث فروة بن عمرو بن النافِرة الجذَامى ثم النُّفَانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه وأَهْدى له بغلة بيضاء .

وكان فَروة عاملا للروم على من يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم . فقال فى محبسه ذلك :

طَرقتْ سُلَيمى مَوْهِناً أصحابى والرومُ بين الباب والقَرَوانِ (١)
صَـدَّ الخيال وساءه ماقد رأى وهممتُ أن أُغْفى وقد أبكانِى
لا تَـكْحَلنّ العينَ بَعدِى إثمداً سَلْمى ولا تَدينَّ للإتيانِ (٢)
ولقد علمتَ أبا كُبَيشة أننى وَسط الأعِزّة لا يُحَصُّ لسانِى (٣)
فلئن هلـكتُ لتفْقدُنَّ أخاكمُ ولئن بَقيتُ ليُعْرفنَّ مكانِى
ولقد جمعتُ أجلَّ ماجمع الفتَى مِنْ جَودة وشجاعةٍ وبَيانِ

قال : فلما أجمعت الروم على صَلبه على ماء لهم يقال له عِفْرى (٤) بفلسطين . قال :

ألا هل أتى سَلْمى بأن حَليلها على ماء عِفْرى فوق إحدى الرَّواحلِ
على ناقة لم يَضربِ الفحـلُ أمَّها مُشذَّبة أطرافُها بالمناجلِ

قال : وزعم الزهرى أنهم لما قدَّموه ليقتلوه قال :

بلِّغ سَراةَ المسلمين بأننى سِلْم لربِّى أعظُمى ومقامِى

قال : ثم ضربوا عنقه وصَلبوه على ذلك الماء ، رحمه الله ورضى عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه .

قدوم تميم الدارِىّ على رسول الله ﷺ وإخباره إياه بأمر الجسَّاسة

وما سَمع من الدجال فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم

وإيمان من آمن به

أخبرنا أبو عبد الله سهل بن محمد بن نَصْرَوَيه المروَزى بنَيْسابور ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن القاضى ، أنبأنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القطَّان ، حدثنا

---

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل . والقروان : الظهر ، بفتح الظاء .
(١) تدين : تطيع . (٢) يحص : يقطع : والمراد : لايمنع من الكلام .
(٣) عفرى : موضع بفلسطين .

يحيى بن جعفر بن الزبير ، أنبأنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، سمعت غَيْلان بن جرير يحدث عن الشّعْبى ، عن فاطمة بنت قيس ، قالت : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تميمٌ الدارىّ فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ركب البحر فتاهت به سفينته ، فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء ، فلقى إنسانا يجرّ شَعره ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الجسَّاسة. قالوا : فأخبرنا . قال : لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة .

فدخلناها فإذا رجل مقيَّد فقال : من أنتم ؟ قلنا : ناسٌ من العرب . قال : مافعل هذا النبي الذى خرج فيكم ؟ قلنا : قد آمنَ به الناس واتبعوه وصدقوه . قال : ذلك خير لهم .

قال : أفلا تخبرونى عن عين زَغَر [١] ما فعلت ؟ فأخبرناه عنها ، فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار ثم قال : ما فعل نَخْل بَيسْان [٢] هل أطعم بعدُ ؟ فأخبرناه أنه قد أطعم ، فوثب مثلها ، ثم قال : أما لو قد أُذن لى فى الخروج لوطئتُ البلاد كلها غير طَيْبة [٣] .
قالت : فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناسَ ، فقال : هذه طَيْبة وذاك الدّجال .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن ، من طرق عن عامر بن شَرَاحيل الشَّعبى ، عن فاطمة بنت قيس . وقد أورد له الإمام أحمد شاهداً من رواية أبى هريرة وعائشة أم المؤمنين وقد ذكرنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه فى كتاب الفتن [٤] .

وذكر الواقدى وفد الدارس من لَخْم وكانوا عشرة .

---

(١) زغر : موضع بالحجاز
(٢) بيسان : موضع بأرض اليمامة . (٣) طيبة : من أسماء المدينة .
(٤) وذلك فى كتاب النهاية للمؤلف .

وفد بنى أَسد

وهكذا ذكر الواقدى أنه قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول سنة تسع وفدُ بنى أسد ، وكانوا عشرة ؛ منهم ضِرار بن الأزوَر ، ووابِصة بن مَعْبَد ، وطُليحة بن خُوَيلد الذى ادَّعى النبوّة بعد ذلك ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ونفَادة بن عبد الله ابن خلف .

فقال له رئيسهم حَضْرمى بن عامر : يا رسول الله أتيناك نتدرّع الليلَ البَهيم فى سنة شَهْباء ، ولم تبعث إلينا بعثا .

فنزل فيهم : « يمنُّون عليكَ أنْ أسْلَموا قل لا تمنُّوا علىَّ إسلامَكم بل الله يمنُّ عليكم أن هَداكم للإيمان إن كنتم صادقين[1] » .

وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الزَّنْية[2] ، فغيَّر اسمهم فقال : أنتم بنو الرِّشْدَة . وقد استهدَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من نفَادة بن عبد الله بن خلَف ناقة تكون جيِّدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها ، فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلبها ، فشرب منها وسقاه سُؤْره ثم قال : « اللهم باركْ فيها وفيمن منَحها » . فقال : يا رسول الله وفيمن جاء بها . فقال : « وفيمن جاء بها » .

وفد بنى عَبْس

ذكر الواقدى : أنهم كانوا تسعة نفر وسماهم الواقدى . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا عاشِرُكم » وأمَر طلحة بن عبيد الله فعقد لهم لواء وجعل شعارهم : ياعشرة .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن خالد بن سِنَان العَبْسى ، الذى

(١) سورة الحجرات . (٢) الزنية : الحمق .

قدَّمنا[١] ترجمته فى أيام الجاهلية ، فذكروا أنه لا عَقِب له . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم يرصدون عيراً لقريش قدمت من الشام . وهذا يقتضى تقدم وفادتهم على الفتح . والله أعلم .

وفد بنى فَزَارة

قال الواقدى: حدثنا عبدالله بن محمد بن عمر الُجمحى ، عن أبى وَجْزة السَّعْدى ، قال : لما رجع رسول الله من تبوك وكان سنة تسع ، قدم عليه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حِصْن ، والحارث بن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم على رِكَاب عِجَاف ، فجاءوا مقرِّين بالإسلام .

وسألهم رسول الله عن بلادهم . فقال أحدهم: يارسول الله أسْنَتتْ بلادنا وهلكت مواشينا وأجدَب جَنابنا وغَرِث عيالنا [٢] ، فادع الله لنا .

فصعد رسول الله المنبر ودعا فقال : « اللهم اسْقِ بلادَك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غَيثا مُغيثاً مَريئًا مَرِيعًا طَبَقا[٣] واسعا عاجلا غير آجل ، نافعا غير ضارّ ، اللهم اسقنا سُقْيَا رحمة ولا سُقْيا عذاب ولا هدْم ، ولا غرق ، ولا مَحْق ، اللهم اسقنا الغيثَ وانصرنا على الأعداء » .

قال : فمطرت فما رأوا السماء سَبْتًا[٤] . فصعد رسول الله المنبر فدعا فقال : « اللهم حَوالينا ولا علينا ، على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر » .

فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثَّوب .

---

(١) سبق ذلك فى الجزء الأول .

(٢) أسنتت : أصابتها السنة : وهى الجدب . والجناب : الناحية . وغرث : جاع .

(٣) المريع : الخصيب . والطبق : الذى يعم الأرض .

(٤) السبت : البرهة .

وفد بنى مُرَّة

ذكر الواقدى أنهم قدِموا سنة تسع مَرجعَه من تبوك . وكانوا ثلاثة عشر رجلا منهم الحارث بن عوف ، فأجازهم عليه السلام بعشر أواقٍ من فضة ، وأعطى الحارثَ بن عوف ثنتى عشرة أوقية .

وذكروا أن بلادهم مُجْدِبة ، فدعا لهم فقال : « اللهم اسقهم الغيثَ » فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مُطرت ذلك اليوم الذى دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفـــد بنى ثَعْلبة

قال الواقدى : حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن رجل من بنى ثعلبة ، عن أبيه . قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة سنة ثمان ، قدِمْنا عليه أربعة نفر فقلنا : نحن رُسل مَنْ خلفنا من قومنا ، وهم يقرُّون بالإسلام .

فأمر لنا بضيافة ، وأقمنا أياماً ثم جئناه لنودّعه ، فقال لبلال : أجِزْهم كما تجيز الوفدَ . فجاء ببقرة[1] من فضة فأعطى كلَّ رجل منا خمسَ أواق وقال : ليس عندنا دراهم . وانصرفنا إلى بلادنا .

وفد بنى محارِب

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح ، عن أبى وَجْزة السَّعدى ، قال : قدِم وفد مُحارِب سنة عشر فى حجة الوداع ، وهم عشرة نفر فيهم سَواء بن الحارث ، وابنه خزيمة بن سواء . فأنزلوا دارَ رَمْلة بنت الحارث ، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء ، فأسلموا وقالوا : نحن على مَنْ وراءنا .

---

(١) البقرة : قدر كبيرة واسعة ،فسماها بقرة ، من التبقر وهو التوسع أو لأنها تسع بقرة بتمامها . انظر النهاية لابن الأثير ١/١٠٧ .

ولم يكن أحدٌ فى تلك المواسم أفظَّ ولا أغلظَ على رسول الله منهم .

وكان فى الوفد رجل منهم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله الذى أبقانى حتى صدَّقتُ بك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه القلوب بيدِ الله عز وجل » .

ومسح رسول الله وجه خُزيمة بن سَواء فصارت غُرَّة بيضاء ، وأجازهم كما يُجيز الوفدَ وانصرفوا إلى بلادهم .

وفد بنى كلاب

ذكر الواقدى : أنهم قدِموا سنة تسع وهم ثلاثة عشر رجلا ؛ [فيهم] لَبيد بن ربيعة الشاعر وجَبَّار[1] بن سُلْمى ، وكان بينه وبين كعب بن مالك خُلَّة فرحَّب به وأكرمه وأهدى إليه ، وجاءوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه بسلام الإسلام ، وذكروا له أن الضَّحاك بن سفيان الكلابىّ سار فيهم بكتاب الله وسنة رسوله التى أمَره الله بها ، ودعاهم إلى الله فاستجابوا له وأخذَ صدقاتهم من أغنيائهم فصرفها على فقرائهم .

وفد بنى رؤاس بن كلاب

ثم ذكر الواقدى : أن رجلا يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بُجيد بن رُؤَاس بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ، قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فقالوا : حتى نصيبَ من بنى عَقيل مثلَ ما أصابوا منا .

فذكر مَقْتلةً كانت بينهم ، وأن عمرو بن مالك هذا قَتل رجلا من بنى عقيل . قال:

---

(١) ا : وجابر .

فشددت يدىّ فى غُلّ وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلَغه ماصنعتُ فقال : لئن أتانى لأضربن[1] مافوق الغُلّ من يده .

فلما جئت سلّمت فلم يردّ علىّ السلام ، وأعرض عنى فأتيته عن يمينه فأعرض عنى ، فأتيته عن يَساره فأعرض عنى ، فأتيته من قِبَل وجهه فقلت : يارسول الله إن الرب عز وجل ليُترَضَّى فيرضى ، فارض عنى ، رضى الله عنك . قال : « قد رضيتُ » .

وفد بنى عقِيل بن كعب

ذكر الواقدى : أنهم قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعهم العَقِيق — عَقِيق بنى عقيل — وهى أرض فيها نخيل وعيون .

وكتب بذلك كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ماأعطَى محمد رسول الله رَبيعا ومُطرفاً وأنساً ، أعطاهم العَقيق ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسَمعوا وأطاعوا ، ولم يعطهم حقًّا لمسلم » .

فكان الكتاب فى يد مطرف .

قال : وقدِم عليه أيضا لَقِيط بن عامر بن المنتفِق بن عامر بن عقيل ، وهو أبو رَزِين فأعطاه ماء يقال له النظيم وبايعه على قومه .

وقد قدّمنا قدومَه وقصته وحديثه بطوله ولله الحمد والمنة .

وفد بنى قشير بن كعب

وذلك قبل حجة الوداع ، وقبل حنين ، فذكر فيهم قُرّة بن هُبَيرة بن [عامر ابن][2] سلمة الخير بن قشير ، فأسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساه بردا ،

(١) الأصل : لأضرب .
(٢) من الإصابة .

وأمره أن يلى صدقات قومه ، فقال قرة حين رجع :

حباها رسـولُ الله إذ نزلتْ به وأمكنها من نائلٍ غير مُنفَدِ
فأضحتْ بروض الخضر وهى حَثِيثةٌ وقد أنجحتْ حاجاتِها من محمدِ
عليها فتًى لا يُرْدِف الذمَّ رحلَه يروّى لأمر العاجز المترددِ(١)

وفد بنى البَكَّاء

ذكر أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثين رجلا ؛ فيهم معاوية بن ثور بن [معاوية بن](٢) عبادة بن البكاء ، وهو يومئذ ابن مائة سنة ، ومعه ابن له يقال له بشر ، فقال : يارسول الله إنى أتبرّك بمسك ، وقد كبرتُ وابنى هذا برٌّ بى فامسح وجهه .

فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وأعطاه أعنزاً عُفْراً ، وبرّك عليهن فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سَنة .

وقال محمد بن بشر بن معاوية فى ذلك :

وأبى الذى مسَح الرسولُ برأسه ودعا له بالخير والبركاتِ
أعطاه أحمدُ إذ أتاه أعنزاً عُفْرا نواحلَ لَسْن بالحيّاتِ(٣)
يَملأْنَ وفدَ الحىّ كلَّ عشيةٍ ويعود ذاك المِلْءُ بالغَدواتِ
بُورِكن من مَنْحٍ وبورك مانحاً وعليه منّى ما حييتُ صَلاتى

---

(١) فى الإصابة : تروك لأمر العاجز .
(٢) من الإصابة .
(٣) الحيات :

وفد كنانة

روى الواقـدى بأسانيده : أن واثِلة بن الأَسْقع اللَّيثى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ،فصلى معه الصبح ثم رجع إلى قومه ، فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبوه : والله لا أُحملك أبداً .

وسمعت أخته كلامَه فأسلمت ، وجهَّزته حتى سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وهو راكب على بعير لـكعب بن عُجْرة .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد إلى أُكَيْدر دُومة ، فلما رجعوا عرض واثلة على كعب بن عُجْرة ما كان شارَطه عليه من سهمه من الغنيمة ، فقال له كعب : إنما حَملْتك لله عز وجل .

وفد أَشْجَع

ذكر الواقدى: أنهم قدِموا عام الخندق وهم مائة رجل، ورئيسهم مسعود بن رُخَيْلة، فنزلوا شِعْب سَلْع .

فخرج إليهم رسول الله وأمر لهم بأحمال التمر . ويقال : بل قدِموا بعد ما فرغ من بنى قريظة ، وكانوا سَبعمائة رجل ، فوادَعهم ورجعوا ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وفد باهِلة

قدِم رئيسهم مُطَرف بن الـكاهن بعد الفتح فأسلم ، وأخذ لقومه أمانا وكتب له كتابا فيه الفرائض وشرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وفد بنى سُلَيم

قال : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى سليم يقال له قيس بن نُشْبة ، فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه ووعى ذلك كله ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم .

ورجع إلى قومه من بنى سليم فقال : قد سمعتُ تَرْجمة الروم وهَيْنَمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مَقَاوِل حِمْير ، فما يشبه كلامُ محمد شيئا من كلامهم ، فأطيعونى وخذوا بنصيبكم منه .

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سُلَيم فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَدِيد وهم سبعمائة . ويقال : كانوا ألفا ، وفيهم العباس بن مِرْداس وجماعة من أعيانهم ، فأسلموا وقالوا: اُجعلنا فى مقدمتك ، واجعل لواءنا أحمر وشعارنا مُقدّما . ففعل ذلك بهم فشهدوا معه الفتح والطائف وحنينا .

وقد كان راشد بن عبد ربه السُّلمى يعبد صنما ، فرآه يوما وثَعْلبان يبولان عليه فقال :

أربٌّ يَبولُ الثعلبانِ برأسه … لقد ذَلَّ من بالتْ عليه الثَّعالبُ !

ثم شدَّ عليه فكسره ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماسمك ؟ قال : غاوِى بن عبد العزّى . فقال : بل أنت راشِد بن عبد ربّه . وأقطعه موضعا يقال له رُهَاط فيه عين تجرى يقال لها عين الرسول ، وقال : هو خيرُ بنى سليم . وعقد له على قومه وشهد الفتح وما بعدها .

وفد بنى هلال بن عامر

ذكر فى وفدهم : عبد عوف بن أَصْرَم ، فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وقَبِيصَة بن مُخَارِق الذى له حديث فى الصدقات .

وذكر فى وفد بنى هلال زياد بن عبد الله بن مالك بن بُجَير بن الهدْم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر ، فلما دخل المدينة يمَّم منزل خالته ميمونة بنت الحارث ، فدخل عليها فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله رآه فغضب ورجع . فقالت :

يارسول الله إنه ابن أختى . فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد ، فصلى الظهر ثم أدنى زياداً فدعا له ووضع يده على رأسه ثم حدَرها على طرف أنفه ، فكانت بنو هلال تقول : مازلنا نتعرّف البَركة فى وجه زياد .

وقال الشاعر لعلى بن زياد :

يابْنَ الذى مسحَ الرسولُ برأسه ودعا له بالخير عند المسجدِ
أعنِى زياداً لا أريد سِواءه من عابرٍ أو مُتْهِمٍ أومُنْجِدِ
مازال ذاكَ النورُ فى عِرْنِينه حتى تبوّأ بيته فى مُلْحَدِ[1]

وفد بنى بكر بن وائل

ذكر الواقدى : أنهم لما قدِموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قُسّ بن ساعدة ؛ فقال : ليس ذاكَ منكم ، ذاك رجل من إيَاد تحنَّف فى الجاهلية ، فوافى عُكاظ والناس مجتمعون ، فكلّمهم بكلامه الذى حُفظ عنه .

قال : وكان فى الوفد بَشير بن الخصاصِيَة ، وعبد الله بن مَرْثَد وحسان بن خُوط .

فقال رجل من ولد حسان :

أنا ابنُ حسَّان بن خُوط وأبى رسولُ بَكْرٍ كلها إلى النبى

وفد تَغْلب

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى عليهم صُلُب الذهب ، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث .

فصالح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النصارى على أن لا يَصْبغوا أولادهم فى النصرانية وأجازَ المسلمين منهم .

---

(١) الملحد : القبر .

وفادات أهل اليمن

وفد تجِيب

ذكر الواقدى : أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثة عشر رجلا ، فأجازهم أكثر مما أجاز غيرهم وأن غلاما منهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماحاجتك ؟ فقال : يا رسول الله ادع الله يغفر لى ويرحمنى ويجعل غِناىَ فى قلبى .

فقال : « اللهم اغفر له وارحمه ، واجعل غناه فى قلبه » فكان بعد ذلك من أزهد الناس .

وفد خَوْلان

ذكر أنهم كانوا عشرة ، وأنهم قدموا فى شعبان سنة عشر .

وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنمهم الذى كان يقال له عم أنس[1] ، فقالوا أبدلنا به خيراً منه ولو قد رجعنا لهدمناه .

وتعلَّموا القرآن والسُّنن ، فلما رجعوا هدموا الصنم ، وأحلُّوا ما أحل الله وحرَّموا ماحرم الله .

وفد جُعْفِى

ذكر أنهم كانوا يحرمون أكلَ القلب ، فلما أسلم وفدهم أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل القلب ، وأمر به فشوِى وناوله رئيسَهم وقال : لا يتمُّ إيمانُكم حتى تأكلوه . فأخذه ويده تُرْعد فأكله وقال :

على أنى أكلت القلب كُرْهاً   وتُرْعِـــد حينَ مَسَّتْه بَنانِى

(١) فى القاموس عميانس . بضم العين وسكون الميم والنون المكسورة .

فصـــــل (١)

فى قدوم وفد الأَزْد على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نعيم فى كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المدينى ، من حديث أحمدبن أبى الحَوَارى ، قال سمعت أبا سليمان الدارَانى قال: حدثنى عَلقمة بن يَزيد بن سُوَيد الأَزْدى قال : حدثنى أبى ، عن جدى ، عن سُويد بن الحارث ، قال : وفدتُ سابعَ سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه مارأى من سَمْتنا وزِيِّنا فقال : ما أنتم ؟ قلنا مؤمنون .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن لـكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولـكم وإيمانكم » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ؛ خمس منها أمرَتْنا بها رُسلك أن نؤمن بهـا ، وخمس أمرتَنا أن نعمل بها ، وخمس تخلَّقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها ، إلا أن تـكره منها شيئا .

فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ما الخمسة التى أمرتْـكم بهـا رسلى أن تؤمنوا بها ؟ » .

قلنا : أمرتْنا أن نؤمن بالله وملائـكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال : « وما الخمسة التى أمرتُـكم أن تعملوا بهـا ؟ » قلنا : أمرْتَنـا أن نقول : لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

فقال : « وما الخمسة الذى تخلَّقْتم بهـا فى الجاهلية ؟ » . قلنا : الشـكر عنـد

---

(١) سقط من ا ت .

الرّخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضى بمرّ القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُكماء عُلَماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » .

ثم قال : « وأنا أزيدكم خمسا ، فيتمّ لكم عشرون خصلة . إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا فى شىء أنتم عنه غداً تزُولون ، واتقوا الله الذى إليه ترجعون وعليه تُعْرضون ، وارغبوا فيما عليه تقْدَمون ، وفيه تخلدون » .

فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها .

ثم ذكر :

وفد كندة

وأنهم كانوا بضعة عشر راكبا عليهم الأشعث بن قيس ، وأنه أجازهم بعشر أواق وأجاز الأشعثَ ثنتى عشرة أوقية . وقد تقدم .

وفد الصَّدِف

قدِموا فى بضعة عشر راكبا ، فصادفوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر ، فجلسوا ولم يسلّموا ، فقال : « أمسْلمون أنتم ؟ » قالوا : نعم . قال : « فهلا سَلّمتم ؟ » .

فقاموا قياما فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . فقال : « وعليكم السلام ، اجلسوا » . فجلسوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أوقات الصلوات .

وفد خُشَين

قال : وقدم أبو ثعلبة الخشَنىّ ورسول الله يتجهّز إلى خيبر ، فشهد معه خيبر ، ثم قدم بعد ذلك بضعة عشر رجلا منهم فأسلموا .

* * *

ثم ذكر وفد بنى سعد هُذَيم و بَلِىّ وبَهْراء وبنى عُذْرة وسَلامان وجُهينة وبنى كلب والجَرْميّين . وقد تقدم حديث عمرو بن سلمة الجَرْمى فى صحيح البخارى .

وذكر : وفد الأزد ووفد غسّان والحارث بن كعب وهَمْدان وسعد العشيرة وعَبْس ، ووفد الداريّين والرّهاويين وبنى غامد والنّخَع و بَجِيلة وخَثْعم ، وحضَرموت وذكر فيهم وائل بن حُجْر ، وذكر فيهم الملوك الأربعة جَمْداً ومِخْوَساً ومِشْرَحاً وأَبْضَعة . وقد ورد فى مسند أحمد لَعْنُهم مع أختهم العَمَرّدة[١] ، وتكلم الواقدى فيهم كلاما فيه طول .

وذكر وفد أزْد عُمان وغافِق وبارِق ودَوْس و ثُمالة والجدار وأسلم وجُذام ومَهرة وحِمْير ونَجْران وجَيْشان. وبَسْط الكلام على هذه القبائل يطول جدا ، وقد قدمنا بعض مايتعلق بذلك . وفيما أوردناه كفاية والله أعلم .

* * *

ثم قال الواقدى :

وافد السِّبَاع

حدثنى شُعيب بن عبادة ، عن المطّلب بن عبد الله بن حَنْطب ، قال : بَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بالمدينة فى أصحابه إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه فعوَى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا وافدُ السباع إليكم فإن أحببتم أن

(١) الأصل : مع أخيهم الغمر . وما أثبته عن القاموس . باب السين .

تفرضوا له شيئا لا يَعدوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه وتحذَّرتم منه ، فما أخذ فهو رزقه» .

قالوا : يارسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء . فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم بأصابعه الثلاث : أي خالِسْهم . فولَّى وله عَسَلَان (١) .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

ويشبه هذا الذئب الذئبَ الذى ذكر فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد هو ابن هارون ، أنبأنا القاسم بن الفضل الُحدَّانى (٢) ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : عدَا الذئبُ على شاة فأخذها فطلبها الراعى فانتزعها منه فأقعَى الذئبُ على ذَنبه ، فقال : ألا تتقى الله تنزع منى رزقاً ساقه الله إلىّ ! فقال : ياعجبا ذئبٌ مُقْعٍ على ذنبه يكلمنى كلامَ الإنس !

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؛ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ماقد سبق .

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للأعرابى : أخبرهم . فأخبَرهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدَق والذى نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى تكلِّم السباعُ الإنسَ وتكلم الرجل عَذبةُ سَوطه وشِراكُ نعله ، وتخبره فخذُه بما أحدَث أهلُه بعدَه » .

وقد رواه الترمذى عن سفيان بن وكيع بن الجراح ، عن أبيه ، عن القاسم بن الفضل به ، وقال : حسن غريب صحيح ، لانعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو

---

(١) العسلان : الاضطراب فى العدو وهز الرأس .

(٢) نسبة إلى محلة بالبصرة نزلها بطن من الأزد يقال لهم حدان . اللباب ١ / ٢٨٤ .

ثقة مأمون عنـد أهل الحديث ووثَّقه يحيي وابن مهـدى .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد أيضا : حدثنـا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب هو ابن أبى حمزة ، حدثنى عبد الله بن أبى الحسين ، حدثنى مهران أن أبا سعيد الخدرى حـدَّثه ، فذكر هذه القصة بطولها بأبسط من هذا السياق .

ثم رواه أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد بن بهْرام ، حدثنا شَهْر ، قال : وحدَّث أبو سعيد . فذكره .

وهذا السياق أشبه والله أعلم . وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

فصـــــل

وقد تقدم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة (١) .

وقد تقصينا الـكلام فى ذلك أيضا عند قوله تعـالى فى سورة الأحقاف : « وإذ صَرفْنا إليك نَفراً من الجن يستمعون القرآن » فذكرنا ماورد من الأحاديث فى ذلك والآثار ، وأوردنا حديث سَواد بن قارب الذى كان كاهنا فأسلم . وما رواه عن رِئْيـِه الذى كان يأتيه بالخبر حين أسلم [الرئى (٢)] حين قال له :

عجبتُ للجن وأنجاسهـــا ... وشَـــدِّها العِيسَ بأحلاسِهَا

تَهْوى إلى مـكة تبغِى الهـدَى ... ما مؤمنو الجن كأرجاسِهـــا

فانهض إلى الصَّفْوة من هاشمٍ ... واسْمُ بعينيك إلى راسهـــا

ثم قوله :

عجبتُ للجـــن وتَطْلابهـــا ... وشَدِّها العيسَ بأقتابِهـــــا

تهوى إلى مـكة تبغى الهـدَى ... ليس قُدَامهـــا كأذنابهـــا

(١) سبق ذلك فى الجزء الأول ٣٤٤ .   (٢) من ا

فانهض إلى الصَّفوة من هاشم ... واسمُ بعينيك إلى بابهـــــا

ثم قوله :

عجبتُ للجن وتَخْبـارها ... وشَـــدِّها العِيسَ بأكوارها

تَهْوِى إلى مــكة تبغى الهــدَى ... ليس ذوو الشرِّ كأخيـــارها

فانهض إلى الصفوة من هاشم ... ما مؤمنو الجن كـكفارها

وهذا وأمثاله مما يدل على تـكرار وفود الجن إلى مكة . وقد قررنا ذلك هنالك بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

* * *

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقى هاهنا حـديثا غريباً جـداً ، بل منـكراً أو موضوعا ، ولـكن مَخرجَه عزيز أحببنا أن نورده كما أورده . والعجب منه .

فإنه قال فى دلائل النبوة : باب قدوم هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس على النبى صلى الله عليه وسلم وإسلامه .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلَوى رحمه الله ، أنبأنا أبو نصر محمد ابن حَمْدويه بن سهل القارئ المروزى ، حدثنا عبد الله بن حماد الآملى ، حدثنا محمد بن أبى مَعْشر ، أخبرنى أبى ، عن نافع عن ابن عمر ، قال قال عمر رضى الله عنه : بينا نحن قُعود مع النبى صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تِهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا، فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد ثم قال : « نغمةَ جنٍّ وغَمْغمتهم من أنت » قال : أنا هامة بن الهيثم بن لاقِيس بن إبليس .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فما بينك وبين إبليس إلا أبوان ، فـكم أتى لك من الدهر ؟ » قال : قد أفنيتُ الدنيا عمرَها إلا قليلا ، ليالى قَتل قابيلُ هابيل كنت غلاما ابن أعوام ، أفهم الكلام وأمرّ بالآكام وآمر بإفساد الطعام وقَطيعة الأرحام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بئس عمل الشيخ المتوسّم ، والشاب المتلوّم » .

قال : ذَرْنى من التّرداد ، إنى تائب إلى الله عز وجل ، إنى كنت مع نوح فى مسجده مع من آمن به من قومه ، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكانى وقال : لا جرم إنى على ذلك من النادمين ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

قال : قلت ، يانوح إنى كنت ممن اشترك فى دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم ، فهل تجد لى عندك توبة ؟ قال : ياهام هُمَّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة ، إنى قرأت فيما أنزل الله علىّ أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغٌ أمره مابلغَ إلا تاب الله عليه ، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين .

قال ففعلت من ساعتى ما أمرنى به . فنادانى : ارفع رأسك ، فقد نزلت توبتُك من السماء . فخررت لله ساجداً .

قال : وكنت مع هود فى مسجده مع من آمن به من قومه ، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكانى ، فقال : لا جرَم إنى على ذلك من النادمين ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

قال : وكنت مع صالح فى مسجده مع من آمن به من قومه ، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكانى وقال : أنا على ذلك من النادمين ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

وكنت أزور يعقوبَ وكنت مع يوسف فى المكان الأمين ، وكنت ألقى إلياس فى الأودية وأنا ألقاه الآن .

وإنى لقيت موسى بن عمران فعلّمنى من التوراة ، وقال : إن لقيتَ عيسى ابن مريم

فأقرئه منى السلام . وإنى لقيت عيسى ابن مريم فأقرأته عن موسى السلام ، وإن عيسى قال : إن لقيتَ محمداً صلى الله عليه وسلم فأقرئه منى السلام .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى ثم قال : وعلى عيسى السلام مادامت الدنيا ، وعليك السلام ياهام بأدائك الأمانة .

قال : يارسول الله افعل بى ما فعل موسى ، إنه علمنى من التوراة . قال : فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقعت الواقعةُ ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كوِّرت ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، وقال : « ارفع إلينا حاجتك ياهامة ، ولا تدَع زيارتنا » .

قال عمر : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد إلينا ، فلا ندرى الآن أحىٌّ هو أم ميت ؟

ثم قال البيهقى : ابن أبى مَعْشَر هذا قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه .

وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هو أقوى منه . والله أعلم[1] .

---

(١) هذا الحديث ظاهر الوضع والاختلاق ، وقد أشار إلى وضعه ابن الجوزى فى مقدمة كتابه « الوفا فى أخبار المصطفى » .

سنة عشر من الهجرة

باب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنَجْران .

وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلْهم .

فخرج خالد حتى قدِم عليهم ، فبعث الرُّكْبان يَضرِبون فى كل وَجه ويَدْعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس أسلموا تَسْلموا .

فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلامَ وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أمره رسول الله إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبى رسول الله من خالد بن الوليد . السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد يارسول الله صلى الله عليك ، فإنك بَعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمَرتنى إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعوَهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قَبلتُ منهم وعلّمتهم مَعالم الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وإنى قدِمتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنى رسول الله ، وبعثت فيهم رُكْبانا [قالوا :] (١) يابنى الحارث أسلموا تَسْلموا . فأسلَموا ولم يقاتِلوا ، وأنا مقيم

(١) من ابن هشام .

بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلِّمهم مَعالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم،حتى يكتب إلىَّ رسول صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتابك جاءنى مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، شهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنْ قد هَداهم الله بهداه ، فَبَشِّرهم وأَنْذرهم وأَقْبـِل ، وليُقبل معك وفدُهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

* * *

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ؛ منهم قيس بن الحصَين ذو الغُصَّة ، ويزيد بن عبد المدَان ، ويزيد بن المحجَّل ، وعبد الله بن قُرَاد الزِّيادى ، وشَدَّاد بن عبيد الله القَنَانى ، وعمرو بن عبدالله الضِّبابى .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهِنْد ؟

قيل يا رسول الله : هؤلاء بنو[1] الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلَّموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأنه لا إلٰه إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنى رسول الله » .

ثم قال : « أنتم الذين إذا زُجروا استَقْدَموا » فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة فلم يراجعه منهم أحد .

(١) ابن هشام : ؤلاء رجال بنى الحارث .

ثم أعادها الرابعة . قال يزيد بن عبد المَدَان : نعم يارسول الله ، نحن الذين إذا زُجِروا استَقْدَموا ، قالها أربع مرات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن خالداً لم يكتب إلىَّ أنكم أسلمتم ولم تقاتِلوا لألقيتُ رءوسكم تحت أقدامكم » .

فقال يزيد بن عبد المدَان : أمَا والله ما حَمِدْناك ولا حمدنا خالدا [(١)] . قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله الذى هدانا بك يارسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقتم .

ثم قال : بم كنتم تَغلبون مَن قاتَلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نك نَغْلب أحدا . قال : بلى قد كنتم تغلبون مَن قاتلكم .

قالوا : كنا نَغْلب مَن قاتلنا يارسول الله ، أنا كنا نجتمع ولا نتفرَّق ولا نبدأ أحداً بظلم . قال : « صدقتم » ثم أمَّر عليهم قيسَ بن الحصَين .

قال ابن إسحاق : ثم رجعوا إلى قومهم فى بقية شوال أو فى صَدْر ذى القعدة .

قال : ثم بعَث إليهم بعد أن ولَّى وفدُهم عمرَو بن حزم ليفقههم فى الدين ويعلِّمهم السُّنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهِد إليه فيه عهده وأمَره أمره .

ثم أورده ابن إسحاق . وقد قدمناه فى وفد ملوك حمير من طريق البيهقى ، وقد رواه النسائى نظير ماساقه محمد بن إسحاق بغير إسناد .

(١) زاد فى ا : ولكن . وليست فى ابن هشام .

بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع يدعونهم إلى الله عز وجل

قال البخارى : باب بَعْث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

حدثنا موسى ، حدثنا أبو عَوانة ، حدثنا عبد الملك ، عن أبى بُرْدة ، قال : بعث النبىُّ صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذَ بن جبل إلى الي[illegible] [illegible]ال : وبعث كلَّ واحد منهما على مِخلاف . قال : واليمن مِخلافان .

ثم قال : « يَسِّرا ولا تُعسِّرَا وبشِّرا ولا تنفِّرا » وفى رواية : وتَطاوعا ولا تختلفا .

وانطلق كل واحد منهما إلى عمله .

قال : وكان كل واحد منهما إذا سار فى أرضه وكان قريبا من صاحبه أحدَث به عهداً [فسلَّم عليه] (١) فسار معاذ فى أرضه قريبا من صاحبه أبى موسى ، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليـه ، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه ، وإذا رجل عنـده قد جُمعت يداه إلى عنقه ، فقال له معاذ : ياعبـد الله بن قيس أيَّمَ (٢) هذا ؟ قال : هـذا رجل كفَر بعد إسلامه . قال : لاأنزل حتى يُقتل . قال : إنمـا جىء به لذلك فانزل . قال : ماأَنزلُ حتى يُقتل فأُمر به فقتل .

ثم نزل . فقال : ياعبـد الله كيف تقرأ القرآن ؟ قال : أتفوَّقه (٣) تفوُّقاً . قال : فـكيف تقرأ أنت يامعاذ ؟ قال : أنام أولَ الليل فأقوم وقد قَضيت جُزْئى من النوم ،

---

(١) من البخارى ٢ / ٢٦١

(٢) أيم : قال القسطلانى : [illegible] هـذا ، وأصله أى ما . وأى استفهاميـة وما بمعنى شىء ، فحذفت الألف تخفيفا . إرشاد السارى ٦ /٤١٨ .

(٣) أتفوقه : أقرأه شيئا بعد شىء .

فأقرأ ما كَتب الله لى فأحتسبُ نَوْمتى كما أحتسبُ قَوْمتى .

انفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه .

ثم قال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا خالد ، عن الشَّيْبانى، عن سعيد بن أبى بُرْدة ، عن أبيه ، عن أبى موسى الأشعرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فسأله عن أشْرِبة تُصنع بها ، فقال : ماهى ؟ قال : البِتْع والمِزْر . فقلت لأبى برُدة : ما البِتْع ؟ قال : نَبيذ العسل ، والمِزْر نبيذ الشعير . فقال : « كل مُسْكر حرام » .

ورواه جرير وعبد الواحد ، عن الشَّيبانى ، عن أبى بُردة . ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبى بردة .

وقال البخارى : حدثنا حِبّان ، أخبرنا عبد الله ، عن زكريا بن أبى إسحاق ، عن يحيى بن عبد الله بن صَيْفى ، عن أبى مَعْبَد مَولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتى قوماً أهلَ كتاب ، فإذ جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فَرض عليهم خمسَ صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرضَ عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتق دعوةَ المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حِجَاب » .

وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة .

***

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنى راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد [السَّكُونى [1]] ، عن معاذ بن جبل ، قال : لما بعثه رسول الله صلى الله

(١) ليست فى ا .

عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت راحلته ، فلما فرغ قال : يامعاذ إنك عسى ألا تلقانى بعد عامى هذا ، ولعلك أن تمرّ بمسجدى هذا وقبرى .

فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أولَى الناس بى المتّقون مَن كانوا وحيث كانوا » .

ثم رواه عن أبى اليمان ، عن صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السّكونى ؛ أن معاذا لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله يمشى تحت راحلته ؛ فلما فرغ قال : « يامعاذ إنك عسى ألا تلقانى بعدَ عامى هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى » .

فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا تبك يامعاذ ، للبكاء أوان ، البكاء من الشيطان » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا أبو زياد يحيى بن عُبيد الغسّانى ، عن يزيد بن قُطَيب ، عن معاذ أنه كان يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال : « لعلك أن تمرّ بقبرى ومسجدى ، فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبُهم يقاتلون على الحق مرتين ؛ فقاتل بمن أطاعك منهم مَن عصاك ، ثم يفيئون إلى الإسلام ، حتى تبادر المرأةُ زوجَها والولد والدَه والأخُ أخاه ، فانزل بين الحيّين السَّكون والسَّكاسِك » .

وهذا الحديث فيه إشارة ظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضى الله عنه لا يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ؛ وكذلك وقع ، فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع ،

ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يوما من يوم الحج الأكبر .

* * *

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ، عن معاذ ، أنه لما رجع من اليمن قال: يارسول الله رأيت رجالا باليمن يسجد بعضهم لبعض أفلا نسجد لك ؟ قال : « لو كنت آمرُ بشراً أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها » .

وقد رواه أحمد عن ابن نُمير ، عن الأعمش ، سمعت أبا ظَبْيَان يحدِّث عن رجل من الأنصار ، عن معاذ بن جبل ، قال : أقبل معاذٌ من اليمن فقال : يارسول الله إنى رأيت رجالا . فذكر معناه .

فقد دار على رجل مُبْهَم ، ومثله لا يُحتج به ، ولا سيّما وقد خالفه غيره ممن يعتد به ، فقالوا : لما قدِم معاذ من الشام كذلك . رواه أحمد .

وقال أحمد: حدثنا إبراهيم بن مهدى، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش ، عن عبد الرحمن بن أبى حسين ، عن شَهر بن حَوْشب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » .

وقال أحمد: حدثنا وَكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن ميمون بن أبى شبيب ، عن معاذ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يامعاذ أتبع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها ، وخالِق الناسَ بخلُق حسن » .

قال وكيع : وجدته فى كتابى عن أبى ذر ، وهو السماع الأول . وقال سفيان مرةً عن معاذ .

ثم قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن ليث ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن ميمون بن أبى شَبيب ، عن معاذ ، أنه قال : يارسول الله أوصنى . فقال : « اتق الله

حيثما كنت . قال: زِدْنى. قال : أتبع السيئة الحسنة تمحُها . قال : زدنى . قال : خالِق الناس بخلق حسن » .

وقد رواه الترمذى فى جامعه عن محمود بن غَيْلان ، عن وكيع ، عن سفيان الثَّورى به وقال : حسن .

قال شيخنا فى الأطراف :وتابَعه فُضَيل بن سليمان ، عن ليث بن أبى سليم،عن الأعمش عن حبيب به .

وقال أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير الحضْرَمى ، عن معاذ بن جبل ، قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال : « لا تشرك بالله شيئا وإن قُتلتَ وحُرقت ، ولا تَعُقَنَّ [والديك] وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك ، ولا تتركن صلاةً مكتوبة متعمداً ، فإن من ترك صلاةً مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمةُ الله ، ولا تَشربن خمراً فإنه رأسُ كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإنّ بالمعصية يَحل سَخطُ الله ، وإياك والفِرَارمن الزَّحف وإن هَلك الناس،وإذا أصاب الناسَ موتٌ وأنت فيهم فاثبت ، وأنفق على عيالك من طَوْلك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً ، وأخِفْهم فى الله عز وجل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا بَقِيَّة ، عن السَّرِى بن يَنْعَم ، عن شُرَيح، عن مسروق ، عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن ،قال: « إياك والتَّنعّم فإن عبادَ الله ليسوا بالمتنعِّمين » .

* * *

وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمى ، حدثنا أبو بكر – يعنى ابن عَيَّاش – حدثنا عاصم ، عن أبى وائل ، عن معاذ ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله وسلم إلى اليمن ،

وأمرنى أن آخذ من كل حالمٍ ديناراً أو عِدْله من المعَافِر ، وأمرنى أن آخذ من كل أربعين بقرة مُسنّةً ، ومن كل ثلاثين بقرة تَبِيعا حَوْليا ، وأمرنى فيما سَقت السماء العُشْر وما سُقى بالدّوالى نصفُ العشر » .

وقد رواه أبو داود من حديث أبى معاوية ، والنسائىُّ من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن مسروق ، عن معاذ به .

وقال أحمد : حدثنا معاوية ، عن عمرو وهارون بن معروف ، قالا : حدثنا عبد الله ابن وهب ، عن حَيْوة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سلمة بن أسامة ، عن يحيى بن الحكَم ، أن معاذاً قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُصدِّق[1] أهلَ اليمن ، فأمرنى أن آخذ من البقر من كل ثلاثين تَبِيعاً . قال هارون : والتبيع : الجَذَع أو الجذَعة — ومن كل أربعين مُسِنّة .

فعرَضوا علىّ أن آخذ ما بين الأربعين والخمسين وما بين الستين والسبعين وما بين الثمانين والتسعين ، فأبيتُ ذلك ، وقلت لهم : أسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فقدِمت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن أخذ من كل ثلاثين تَبيعاً ، ومن كل أربعين مُسنة ، ومن الستين تبيعين ، ومن السبعين مُسنة وتَبيعا ، ومن الثمانين مُسِنَّتين ، ومن التسعين ثلاثة أتباع ، ومن المائة مسنة وتبيعين ، ومن العشرة ومائة مسنتين وتَبيعا ، ومن العشرين ومائة ثلاث مُسنّات أو أربعة أتباع .

قال : وأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا آخذ فيما بين ذلك شيئا

(١) أصدق : أجمع صدقاتهم .

إلا أن يبلغ مُسِنَّةً أو جَذعاً . وزعم أن الأوقاص[1] لافريضة فيها .

* * *

وهذا من أفراد أحمد ، وفيه دلالة على أنه قدِم بعد مَصيره إلى اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أنه لم يرَ النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كما تقدم فى الحديث .

وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن أُبىّ بن كعب بن مالك ، قال : كان معاذ بن جبل شابا جميلا سَمْحا من خير شباب قومه ، لا يُسأل شيئا إلا أعطاه ، حتى كان عليه دَينٌ أغلق ماله ، فكلَّم رسولَ الله فى أن يكلّم غرماءه ففعل ، فلم يضعوا له شيئا ، فلو تُرِك لأحد بكلام أحد لتُرِك لمعاذ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فدعاه رسول الله فلم يَبْرح أن باع ماله وقسَمه بين غرمائه . قال : فقام معاذ ولا مال له .

قال : فلما حجَّ رسول الله بعث معاذاً إلى اليمن ، قال : فكان أول من تَجر فى هذا المال معاذٌ .

قال : فقدم على أبى بكر الصديق من اليمن وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فقال : هل لك أن تطيعنى فتدفع هذا المال إلى أبى بكر ، فإن أعطاكه فاقبله ؟ قال : فقال معاذ : لن[2] أدفعه إليه ، وإنما بعثنى رسول الله ليَجْبُرنى .

فلما أبى عليه انطلق عمر إلى أبى بكر ، فقال : أرسلْ إلى هذا الرجل فخذ منه ودَعْ له . فقال أبو بكر : ما كنت لأفعل ، إنما بعثه رسولُ الله ليَجْبُره ، فلست آخذ منه شيئا .

---

(١) الأوقاص : ما بين الفريضتين فى الزكاة . (٢) الأصل : لم .

قال : فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال : ماأرانى إلا فاعلَ الذى قلتَ ، إنى رأيتنى البارحةَ فى النوم ـ فيما يحسب عبد الرزاق قال ـ أُجرُّ إلى النار وأنت آخذٌ بحُجْزتى(١) .

قال : فانطلق إلى أبى بكر بكل شىء جاء به ، حتى جاءه بسَوطه وحَلف له أنه لم يكتمه شيئا . قال فقال أبو بكر رضى الله عنه : هو لك لا آخذ منه شيئا .

وقد رواه أبو ثَور ، عن معْمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، فذكره إلا أنه قال : حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على طائفة من اليمن أميراً ، فمكث حتى قُبض رسول الله ، ثم قدِم فى خلافة أبى بكر وخرج إلى الشام .

قال البيهقى : وقد قدَّمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلَفه بمكة مع عتَّاب ابن أُسَيد ليعلِّم أهلَها ، وأنه شهد غزوة تبوك ؛ فالأشبه أن بَعْثه إلى اليمن كان بعد ذلك . والله أعلم .

ثم ذكر البيهقى لقصة مَنام معاذ شاهداً من طريق الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، وأنه كان من جملة ماجاء به عَبيد فأتى بهم أبا بكر ، فلما ردَّ الجميعَ عليه رجع بهم ثم قام يصلى فقاموا كلهم يصلون معه . فلما انصرف قال : لمن صليتم ؟ قالوا : لله . قال: فأنتم له عتقاء . فأعتقهم .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبى عَون ، عن الحارث ابن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة ، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حِمْص ، عن معاذ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قال : كيف تصنع إن عَرض لك قَضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله .

(١) الحجزة : معقد الإزار .

قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فإن لم يكن فى سُنة رسول الله ؟ قال : أجتهد وإنى لا آلو .

قال : فضرب رسولُ الله صَدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله » .

وقد رواه أحمد عن وَكيع ، عن عَفّان ، عن شعبة بإسناده ولفظه .

وأخرجه أبو داود والترمذى من حديث شعبة به ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندى بمتصل .

وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه ، إلا أنه من طريق محمد بن سعد بن حسان ـ وهو المصلوب أحد الكَذّابين ـ عن عبادة بن نُسى[(١)] ، عن عبد الرحمن بن غَنم ، عن معاذ به نحوه .

وقد روى الإمام أحمد ، عن محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو ابن أبى حكيم ، عن عبدالله بن بُرَيدة ، عن يحيى بن مَعمر ، عن أبى الأسود الدِّيلى قال : كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه فى يهودى مات وترك أخا مسلما .

فقال معاذ : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الإسلام يزيد ولا يُنقِص » فورّثه .

ورواه أبو داود من حديث ابن بُرَيدة به .

وقد حُكى هذا المذهب عن معاوية بن أبى سفيان وراويه[(٢)] يحيى بن معمر القاضى وطائفة من السلف ، وإليه ذهب إسحاق بن راهَويه .

وخالفهم الجمهور ، ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم ، محتجّين بما ثبت فى الصحيحين

---

(١) هو عبادة بن نسى الكندى ، قاضى طبرية توفى سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب ١١٤/٥

(٢) غير ا : ورواه عن .

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يرثُ الكافرُ المسلمَ ولا المسلمُ الكافرَ » .

* * *

والمقصود أن معاذاً رضى الله عنه كان قاضياً للنبي صلى الله عليه وسلم باليمن وحاكماً فى الحروب ، ومصدِّقا إليه تُدفع الصدقات ، كما دلَّ عليه حديثُ ابن عباس المتقدم .

وقد كان بارزاً للناس يصلِّى بهم الصلوات الخمس ، كما قال البخارى : حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا شعبة ، عن حَبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جُبير ، عن عمرو بن ميمون ، أن معاذا لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ : « واتخذ الله إبراهيم خَليلا » فقال رجل من القوم : لقد قَرَّت عين أمِّ إبراهيم !

انفرد به البخارى .

ثم قال البخارى :

باب بَعْث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع

حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شُريح بن مَسْلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، سمعت البرَاء بن عازب قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال: ثم بعث عليًّا بعد ذلك مكانَه قال: مُرْ أصحاب خالد من شاء منهم أن يُعقِّب معك فليُعَقِّب ، ومن شاء فليُقْبِل. فكنت فيمن عَقَّب معه . قال : فغنمت أواقي ذات عَدد .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن بشَّار ، حدثنا روح بن عُبادة ، حدثنا علي بن سُوَيد ابن مَنجوف ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس ، وكنت أبغض عليًّا فأصبح وقد اغتسل ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ؟

فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرتُ ذلك له فقال : « يا بُريدة تُبْغض[1] عليًّا ؟ » فقلت : نعم . فقال : « لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » .

انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الجليل ، قال : انتهيت إلى حَلقة فيها أبو مِجْلَز وابنا بُريدة ، فقال عبدالله بن بُريدة : حدَّثني أبي بريدةُ قال : أبغضْتُ عليًّا بغضاً لم أبغضه أحداً قط ، قال : وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بُغضه عليًّا .

قال : فبعث ذلك الرجل على خيل ، فصحبتُه ما أصحبه إلا على بُغضه عليًّا . قال :

---

(١) البخاري : أتبغض .

فأصبنا سَبْياً قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابعث إلينا من يخمِّسه .قال : فبعث إلينا عليًّا وفى السَّبْى وصيفة مِن أفضَل السَّبى .

قال : فخمَّس وقسَم فخرج ورأسه يَقْطُر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ فقال : ألم تروا إلى الوصيفة التى كانت فى السَّبى ، فإنى قَسمتُ وخَمَّست فصارت فى الُخمس ، ثم صارت فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم صارت فى آل علىٍّ ووقعتُ بها .

قال : فكتب الرجل إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : ابعثنى . فبعثنى مصدِّقا . قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول : صدَق . قال : فأمسكَ يدِى والكتابَ فقال : « أتُبْغض عليًّا ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « فلا تبغضه ، وإن كنت تحبّه فازدَدْ له حبًّا ، فو الذى نفس محمد بيده لنَصيبُ آل علىٍّ(١) فى الخمس أفضلُ من وصيفة » .

قال : فما كان من الناس أحدٌ بعدَ قول النبى صلى الله عليه وسلم أحبَّ إلىّ من علىّ .

قال عبد الله بن بُريدة : فو الذى لا إله غيره ما بينى وبين النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث غير أبى بُرَيدة .

تفرد به بهذا السياق عبد الجليل بن عطية الفقيه أبو صالح البصرى ، وثَّقه ابن مَعين وابن حبّان . وقال البخارى : إنما يُتهم فى الشىء بعدَ الشىء .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنا أبَان بن صالح ، عن عبد الله بن نِيَار الأسلمى ، عن خاله عمرو بن شَأْس الأسلمى ، وكان من أصحاب الحديبية ، قال : كنت مع على بن أبى طالب فى خيله التى بعثَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فجفانى علىٌّ بعضَ الجفاء ، فوجدتُ فى نفسى عليه .

(١) ت : آل محمد .

فلما قدِمت المدينة اشتكيته فى مجالس المدينة وعند من لقيتهُ ، فأقبلتُ يوماً ورسول الله جالس فى المسجد ، فلما رآنى أنظر إلى عينيه نظر إلىّ حتى جلست إليه ، فلما جلست إليه قال : « إنه والله يا عمرو بن شأس لقد آذيتنى » فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أعوذ بالله والإسلام أن أوذِى رسول الله . فقال : « من آذى علياً فقد آذانى » .

وقد رواه البيهقى من وجه آخر ، عن ابن إسحاق ، عن أبانَ بن الفضل بن مَعْقل ابن سِنان ، عن عبد الله بن نِيار ، عن خاله عمرو بن شأس . فذكره بمعناه .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو إسحاق المزكّى ، حدثنا عبيدة بن أبى السَّفْر ، سمعت إبراهيم بن يوسف بن أبى إسحاق ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام .

قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب وأمَره أن يُقْفِل خالداً ، إلا رجلا كان ممن مع خالد فأحبّ أن يُعقِّب مع على فليعقِّب معه .

قال البراء : فكنت فيمن عقب مع علىّ ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، ثم تقدم بنا فصلى بنا علىّ ، ثم صفّنا صفا واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت هَمْدان جميعا ، فكتب علىٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال : « السلام على هَمْدان السلام على همدان » .

قال البيهقى : رواه البخارى مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف .

* * *

وقال البيهقى : أنبأنا أبو الحسين محمد بن الفضل القطَّان ، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدثنا إسماعيل بن أبى أُوَيس ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة ، عن أبى سعيد الخدْرى ، أنه قال : بعث رسول الله علىَّ بن أبى طالب إلى اليمن .

قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه ، فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونُريح إبلنا ـ وكنا قد رأينا فى إبلنا خَللا ـ فأبَى علينا وقال : إنما لكم فيها سهمٌ كما للمسلمين .

قال : فلما فرغ علىّ وانطلَق من اليمن راجعاً أمَّر علينا إنسانا ، وأسرع هو وأدرك الحجَّ ، فلما قَضى حجّته قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ارجع إلى أصحابك حتى تقْدَم عليهم » .

قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذى استخلفه ما كان علىٌّ منعنَا إياه ففعل ، فلما عرف فى إبل الصدقة أنها قد رُكبت ، ورأى أثر الركب قدَّم الذى أمَّره ولامَه .

فقلت : أما إنّ لله عَلىّ لئن قدمتُ المدينة لأذكرنّ لرسول الله ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق .

قال : فلما قدِمنا المدينة غدوتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه ، فلقيت أبا بكر خارجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآنى وقف معى ورحَّب بى وساءلنى وساءلته . وقال : متى قدمتَ ؟ فقلت قدمت البارحة . فرجع معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد . فقال : ائذن له .

فدخلت فحييت رسول الله وحيّانى ، وأقبل علىّ وساءلنى عن نفسى وأهلى وأحفى المسألةَ ، فقلت : يا رسول الله ما لقينا من علىٍّ من الغِلظة وسوء الصُّحبة والتضييق .

فاتّأد رسولُ الله ، وجعلت أنا أعدِّد ما لقينا منه ، حتى إذا كنت فى وسط كلامى ضرب رسول الله على فخذى ، وكنت منه قريبا ، وقال : « ياسعد بن مالك بن الشهيد ، مَهْ بعضَ قولك لأخيك علىّ ، فوالله لقد علمتُ أنه أَخْشن فى سبيل الله » . قال : فقلت فى نفسى : ثكلتك أمك سعد بن مالك ، ألا أرانى كنت فيما يكره منذ اليوم ولا أدرى ؟ ! لا جرم والله لا أَذْكره بسوء أبداً سرا ولا علانية .

وهذا إسناد جيد على شرط النسائى ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

* * *

وقد قال يونس عن محمد بن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبد الله بن أبى عمر ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة قال : إنما وجَدَ جيشُ على بن طالب الذين كانوا معه باليمن ، لأنهم حين أقبلوا خلَّف عليهم رجلا وتعجَّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فعمد الرجل فكسا كلّ رجل حُلّةً ، فلما دنَوا خرج عليهم علىٌّ يستقبلهم ، فإذا عليهم الحلَل . قال على : ما هذا ؟ قالوا : كسانا فلان : قال : فما دعاك إلى هذا قبل أن تَقْدَم على رسول الله فيصنع ما شاء ؟ فنزع الحلل منهم .

فلما قدموا على رسول الله اشتكوه لذلك ، وكانوا قد صالَحوا رسول الله ، وإنما بعث علياً إلى جِزْية موضوعة .

قلت : هذا السياق أقرب من سياق البيهقى .

وذلك أن عليا سبقهم لأجل الحج وساق معه هدياً وأهلّ بإهلال النبى

صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يمكث حَراما . وفى رواية البراء بن عازب أنه قال : له إنى سُقْت الهدْى وقرنتُ .

والمقصود أن عليًّا لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمالَ إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التى أطلقها لهم نائبه ، وعلىٌّ معذور فيما فعل لكن اشتهر الكلام فيه فى الحجيج ، فلذلك ـ والله أعلم ـ لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرَّغ من مناسكه ورجع إلى المدينة فمرَّ بغَدِير خُمّ قام فى الناس خطيبا فبرَّأ ساحةَ علىّ ورفع من قدره ونبَّه على فضله ، ليزيل ماوقَر فى نفوس كثير من الناس. وسيأتى هذا مفصلا فى موضعه إن شاء الله . وبه الثقة .

* * *

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن عمارة بن القعقاع بن شبْرمة ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى نُعْم ، سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : بعث على بن أبى طالب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من اليمن بذُهَيْبة فى أديم مَقْروظ لم تُحصَّل [1] من ترابها .

قال : فقسمها بين أربعة : بين عُيَينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما عَلْقمة بن عُلاَثة وإما عامر بن الطُّفيل .

فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تأمنونى ؟ وأنا أمينُ من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » .

قال : فقام رجل غائر العينين مُشْرف الوَجْنتين ناشِزُ الجبهة كَثّ اللحية محلوق

---

(١) الذهيبة : القطعة من الذهب . والمقروظ : المدبوغ . وتحصل : تخلص .

الرأس مشمّر الإزار فقال : يارسول الله اتق الله . فقال : ويلك أو لست أحقّ الناس أن يَتّقى الله . قال : ثم ولّى الرجل .

قال خالد بن الوليد : يارسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال : لا لعله أن يكون يصلّى. قال خالد : وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ماليس فى قلبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لم أومَر أن أنقّب عن قلوب الناس ولا أشقّ بطونهم .

قال ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال : « إنه يخرج من ضِئْضِئ[1] هذا قوم يَتْلون كتابَ الله رَطْبا لا يجاوز حناجرهم ، يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيّة » ـ أظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتلَ ثمود .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر من كتابه ، ومسلم فى كتاب الزكاة من صحيحه من طرق متعددة إلى عُمارة بن القَعقاع به .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى البَخْترى ، عن على ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السِّن .

قال : فقلت : تبعثنى إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لى بالقضاء ؟ قال : « إن الله سيَهْدى لسانَك ويثبِّت قلبك » قال : فما شككتُ فى قضاء بين اثنين .

ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن سِماك ، عن حَنَش ، عن على ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن . قال فقلت : يارسول الله تبعثنى إلى قوم أسنّ منّى وأنا حدَث لا أُبصر القضاء ؟

---

(١) الضئضئ : الأصل .

قال فوضع يده على صدرى وقال : « اللهم ثبِّت لسانه واهدِ قلبَه ، ياعلىّ إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخر ماسمعت من الأول ، فإنك إذا فعلت ذلك تبيّن لك » .

قال : فما اختلف علىّ قضاء بعدُ ـ أو ما أشْكَل علىّ قضاء بعد .

ورواه أحمد أيضا وأبو داود من طرق ، عن شريك ، والترمذى من حديث زائدة كلاهما عن سِمَاك بن حَرب ، عن حَنش بن المعتمر ، وقيل ابن ربيعة الكنانى الكوفى ، عن علىّ به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الأجْلح ، عن الشَّعبى ، عن عبدالله ابن أبى الخليل ، عن زيد بن أرقم ، أن نفراً وطئوا امرأة فى طهر ، فقال على لاثنين : أتطيبان نفسا لذا [1] ؟ فقالا : لا . فأقبل على الآخرين فقال : أتطيبان نفسا لذا ؟ فقالا : لا . فقال : أنتم شركاء متشاكسون .

فقال : إنى مُقْرع بينكم ، فأيكم قَرع أغرمتهُ ثلثى الدية وألزمته الولد .

قال : فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا أعلم إلا ماقال علىّ .

وقال أحمد : حدثنا شُرَيح بن النعمان ، حدثنا هُشَيم ، أنبأنا الأجلح ، عن الشعبى ، عن أبى الخليل ، عن زيد بن أرقم ، أن عليًا أُتى فى ثلاثة نفر إذ كان فى اليمن اشتركوا فى ولد ، فأقرَع بينهم فضمَّن الذى أصابته القُرعة ثلثى الدية وجعل الولد له .

قال زيد بن أرقم : فأتيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقضاء علىّ ، فضحك حتى بدَت نواجذه .

ورواه أبو داود عن مُسدّد ، عن يحيى القَطّان ، والنسائى عن على بن حُجْر ،

---

(١) ت : نفسا كما .

عن على بن مُسْهِر ، كلاهما عن الأجلح بن عبد الله ، عن عامر الشعبى ، عن عبد الله بن الخليل .

وقال النسائى فى رواية عبد الله بن أبى الخليل عن زيد بن أرقم . قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل اليمن فقال : إن ثلاثة نفر أتوا عليًّا يختصمون فى ولد وَقعوا على امرأة فى طهر واحد . فذكر نحو ماتقدم . وقال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد روياه — أعنى أبا دواد والنسائى — من حديث شعبة ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، عن الشعبى ، عن أبى الخليل أو ابن الخليل ، عن على قوله . فأرسله ولم يرفعه .

وقد رواه الإمام أحمد أيضا ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثورى ، عن الأجلح ، عن الشّعبى ، عن عبد خير ، عن زيد بن أرقم . فذكر نحو ماتقدم .

وأخرجه أبو داود والنسائى جميعا عن حَنَش بن أَصْرَم ، وابن ماجه عن إسحاق ابن منصور ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثورى ، عن صالح الهَمْدانى ، عن الشّعبى ، عن عبد خير ، عن زيد بن أرقم به ..

* * *

قال شيخنا فى الأطراف : لعل عبد خير هذا هو عبد الله بن الخليل ولكن لم يضبط الراوى اسمه .

قلت : فعلى هذا يقوَى الحديث وإن كان غيره كان أجودَ لمتابعته له ، لكن الأجْلح ابن عبد الله الكندى فيه كلام ما .

وقد ذهب إلى القول بالقُرْعة فى الأنساب الإمام أحمد وهو من أفراده .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سِمَاك ، عن حَنَش ،

عن علي قال : بعثني رسول الله إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبْيَةَ[1] للأسد ، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتعلَّق بآخر ، ثم تعلق آخر[2] بآخر حتى صاروا فيها أربعة ، فجرحهم الأسدُ ، فانتدب له رجل بحَرْبة فقتله وماتوا من جراحتهم كلهم .

فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم عليٌّ على تَعْبية ذلك ، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ ! إني أقضِي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حَجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيكون هو الذى يقضى بينكم ، فمن عدَا بعد ذلك فلا حقَّ له .

اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربعَ الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة ، فللأول الربع لأنه هلك ، والثانى ثلث الدية ، والثالث نصف الدية ، والرابع الدية .

فأبوا أن يرضوا فأتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو عند مقام إبراهيم ، فقصُّوا عليه القصة . فقال : أنا أحكُم بينكم . فقال رجل من القوم : يارسول الله إن عليًّا قضَى فلينا . فقصوا عليه القصة فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه الإمام أحمد أيضا عن وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن سِماك بن حرب ، عن حَنش ، عن علي . فذكره .

---

(١) الزبية : حفرة للأسد .   (٢) ا : رجل بآخر .

كتاب حجة الوداع فى سنة عشر

ويقال لها حجة البلاَغ ، وحجة الإِسلام ، وحجة الوداع

لأنه عليه الصلاة والسلام ودَّع الناسَ فيها ولم يحج بعدها . وسميت حجة الإسلام لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها ، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها .

وقد قيل إن فريضة الحج نزلت عامئذ ، وقيل سنة تسع . وقيل سنة ست . وقيل قبل الهجرة وهو غريب .

وسميت حجة البلاَغ لأنه عليه السلام بلَّغ الناس شَرعَ الله فى الحج قولًا وفعلا ، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شىء إلا وقد بيَّنه عليه السلام ، فلما بين لهم شريعةَ الحج ووضَّحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة : « اليومَ أكملتُ لكم دِينكم وأتممْتُ عليكم نِعمتى ورَضيتُ لكم الإسلامَ دِينا » (١) .

وسيأتى إيضاح هذا كله .

والمقصود ذكر حِجَّته عليه السلام كيف كانت ، فإن النَّقَلة اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً جداً ، بحسب ما وصل إلى كل منهم من العِلم ، وتفاوتوا فى ذلك تفاوتا كثيرا لا سيما من بَعد الصحابة رضى الله عنهم .

ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة فى كتبهم من هذه الروايات ، ونجمع بينها جمعا يُثلج قلبَ من تأمله وأنعم النظر فيه وجمع بين طريقتى الحديث وفهم معانيه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

---

(١) سورة المائدة ٣ .

وقد اعتنى الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء كثيراً من قدماء الأئمة ومتأخريهم .

وقد صنَّف العلامةُ أبو محمد بن حَزْم الأندلسى رحمه الله مجلداً فى حجة الوداع أجاد فى أكثره ، ووقع له فيه أوهام سننبه عليها فى مواضعها . وبالله المستعان .

باب

بيان أنه عليه السلام لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة
وأنه اعتمر قبلها ثلاثَ عُمَر

كما رواه البخارى ومسلم عن هُدْبة ، عن همام ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عُمَر كلهن فى ذى القعدة إلا التى فى حجته . الحديث

وقد رواه يونس بن بُكَير ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد ، عن أبى هريرة مثله .

وقال سعد بن منصور عن الدَّرَاوردى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عمر : عمرة فى شوال ، وعمرتين فى ذى القعدة .

وكذا رواه ابن بكير عن مالك ، عن هشام بن عروة .

وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله اعتمر ثلاثَ عمر كلهن فى ذى القعدة .

وقال أحمد : حدثنا أبو النَّضر ، حدثنا داود ـ يعنى العَطَّار ـ عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال اعتمر رسول الله أربعَ عمر : عمرة الحديبية وعمرة القضاء والثالثة من الجِعْرانة والرابعة التى مع حجته .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث داود العطار وحسَّنه الترمذى .

وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجعْرانة . وسيأتى فى فصل من قال إنه عليه السلام حج قارناً وبالله المستعان .

فالأولى من هـذه العُمَر : عمرة الحديبية التى صُدَّ عنها . ثم بعدها عمرة القضاء ويقال بل عمرة القِصاص ، ويقال عمرة القَضِيّة . ثم بعدها عمرة الجعْرانة مَرجعَـه من الطـائف ، حين قسم غنائم حنين . وقد قدمنـا ذلك كله فى مواضعه . والرابعـة عمرته مع حجته .

وسنبين اختلاف الناس فى عمرته هذه مع الحجة ، هل كان مُتمتّعا ، بأن أوقع العمرة قبلَ الحجة وحَلَّ منها ، أو منعه من الإحلال منها سَوقُه الهدْىَ ، أو كان قارناً لها مع الحجة . كما نذكره من الأحاديث الدالة على ذلك ، أو كان مُفْرداً لهـا عن الحجة ، بأن أَوْقَعها بعدَ قضـاء الحِجة . قال : وهذا هو الذى يقوله من يقول بالإفراد كما هو المشهور عن الشافعى .

وسيأتى بيان هذا عند ذكرنا إحرامه صلى الله عليه وسـلم كيف كان مفرداً أو متمتعا أو قارنا .

قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زُهير ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثنى زيد بن أرقم ، أن النبى صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حجَّ بعد ماهاجر حجةً واحدة .

قال أبو إسحاق : وبمكة أخرى .

وقد رواه مسلم من حديث زهير ، وأخرجاه من حديث شعبة . زاد البخارى وإسرائيل ثلاثتهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبِيعى ، عن زيد به .

وهذا الذى قال أبو إسحاق من أنه عليه السلام حج بمكة حجة أخرى ، إن أراد أنه

لم يقع منه بمكة إلا حجةٌ واحدة كما هو ظاهر لفظه ، فهو بعيد .

فإنه عليه السلام كان بعدَ الرسالة يحضر مواسمَ الحج ويدعو الناس إلى الله ويقول : « مَنْ رجلٌ يُؤْوينى حتى أبلغ كلام ربى ، فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلامَ ربى عز وجل » .

حتى قيَّض الله له جماعةَ الأنصار يَلْقونه ليـلة العقبة ، أى عشية يوم النحر عنـد جَمرة العقَبة ثلاث سنين متتاليات ، حتى إذا كانوا آخر سنة بايعوه ليلة العقبة الثانية ، وهى ثالث اجتماعهم به ، ثم كانت بعدها الهجرةُ إلى المدينة . كما قدمنا ذلك مبسوطا فى موضعه . والله أعلم .

وفى حديث جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنين لم يحجّ ، ثم أذَّن فى الناس بالحج ، فاجتمع بالمدينة بَشَرٌ كثير ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذى القعدة أو لأربع ، فلما كان بذى الُحلَيفة صلى ثم استوى على راحلته ، فلما أخذت به فى البيْدَاء لبَّى وأهْلَلنا لا نَنْوى إلا الحجَّ .

وسيأتى الحديث بطوله . وهو فى صحيح مسلم ، وهذا لفظ البيهقى من طريق أحمد بن حنبل ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن جعفر بن محمد به .

باب

تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع

بعد ما استعمل عليها أبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشة الساعدى

ويقال سِبَاع بن عُرْفُطة الغِفَارى

حكاهما عبد الملك بن هشام

قال محمد بن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من سنه عشر تجهَّز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

وهذا إسناد جيد .

ورواه الإمام مالك فى موطَّئه ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عَمرة ، عن عائشة ، ورواه الإمام أحمد عن عبد الله بن نُمير ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عمرة عنها .

وهو ثابت فى الصحيحين وسنن النسائى وابن ماجه ومصنَّف ابن أبى شيبة ، من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عمرة ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله لخمس بقين من ذى القعدة لا نرى إلا الحج . الحديث بطوله كما سيأتى .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدَّمِى ، حدثنا فُضَيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُقبة ، أخبرنى كُريب عن ابن عباس ، قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم

من المدينة بعد ما ترجَّل وادَّهن ولبس إزاره ورداءه ، ولم يَنْهَ عن شيء من الأردية ولا الأُزُر إلا المزعْفَرة التي تَرْدع[1] على الجلدَ ، فأصبح بذى الُحليفة ، ركب راحلته حتى استوى على البَيْداء ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ، فقدِم مكة لخمس خَلون من ذى الحجة .

تفرَّد به البخارى .

فقوله : « وذلك لخمسٍ بَقين من ذى القعدة » إن أراد به صبيحةَ يومه بذى الحليفة صح قول ابن حزم فى دعواه أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم الخميس وبات بذى الحليفة ليلة الجمعة . وأصبح بها يوم الجمعة ، وهو اليوم الخامس والعشرون من ذى القعدة .

وإن أراد ابنُ عباس بقوله « وذلك لخمس من ذى القعدة » يومَ انطلاقِه عليه السلام من المدينة بعدما ترجَّل وادَّهن ولبس إزاره ورداءه ، كما قالت عائشة وجابر أنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذى القعدة ، بَعُدَ قول ابن حزم وتعذَّر المصير إليه وتعيَّن القول بغيره ، ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة ، إن كان شهر ذى القعدة كاملا .

ولا يجوز أن يكون خروجه عليه السلام من المدينة كان يوم الجمعة ، لما رواه البخارى: حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهَيب ، حدثنا أيوب، عن أبى قِلَابة ، عن أنس ابن مالك ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الُحلَيفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء ، حمد الله عز وجل وسبح [وكبَّر][2] ثم أهلَّ بحج وعمرة .

وقد رواه مسلم والنسائى جميعا ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن

---

(١) تردع : تغير اللونُ إلى الصفرة .　　(٢) من البخارى .

أبي قِلابة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحلَيفة ركعتين .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن محمد - يعنى ابن المنكَدِر - وإبراهيم بن مَيْسرة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين .

ورواه البخارى عن أبى نُعيم ، عن سفيان - هو الثَّورى - به ، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث سفيان بن عُيَينة ، عن محمد بن المنكَدِر وإبراهيم بن مَيْسرة عن أنس به .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن بكير ، حدثنا ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر عن أنس قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بذى الحليفة حتى أصبح ، فلما ركب راحلته واستوت به أهلّ .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن المنكَدِر التيمى ، عن أنس بن مالك الأنصارى ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فى مسجده بالمدينة أربع ركعات ، ثم صلى بنا العصر بذى الحُلَيفة ركعتين آمناً لا يخاف فى حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين ، وهما على شرط الصحيح .

وهذا ينفى كونَ خروجه عليه السلام يوم الجمعة قطعا .

ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس ، كما قال ابن حزم ، لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لأنه لا خلاف أن أول ذى الحجة كان يوم الخميس ، لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة بلا نزاع .

فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لبقى فى الشهر ستُّ ليال قطعاً ، ليلة الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء . فهذه ست ليال .

وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر أنه خرج لخمس بقين من ذى القعدة ، وتعذر أنه يوم الجمعة لحديث أنس ، فتعيَّن على هذا أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت ، وظن الراوى أن الشهر يكون تاما ، فاتفق فى تلك السنة نُقْصانه ، فانسلخ يومُ الأربعاء واستهلَّ شهر ذى الحجة ليلة الخميس . ويؤيده ما وقع فى رواية جابر : لخمسٍ بقين أو أربع .

وهذا التقرير على هذا التقدير لا مَحيد عنه ولا بد منه . والله أعلم .

باب
صفة خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة للحج

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عِياض ، عن عبيد الله ، هو ابن عمر ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرَّس ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة وإذا رجع صلى بذى الحلَيفة ببطن الوادى وبات حتى يصبح .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار : وجدت فى كتابى عن عمرو بن مالك ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن هشام ، عن عَزْرة بن ثابت ، عن ثُمَامة ، عن أنس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم : حج على رحل رَثّ وتحته قطيفة وقال : « حِجَّة لا رياء فيها ولا سُمْعة » .

وقد علقه البخارى فى صحيحه فقال : وقال محمد بن أبى بكر المقدَّمى ، حدثنا يزيد بن

زُرَيع ، عن عَزْرة بن ثابت ، عن ثُمَامة قال : حج أنسٌ على رحل رَثّ ولم يكن شحيحا . وحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج على رَحْل وكانت زامِلَته[1] .
هكذا ذكره البزار والبخارى معلقا مقطوع الإسناد من أوله .

وقد أسنده الحافظ البيهقى فى سننه فقال : أنبأنا أبو الحسن على بن محمد بن على المقرئ ، أنبأنا أبو الحسن على بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضى ، حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا يزيد بن زُرَيع . فذكره .

وقد رواه الحافظ أبو يَعْلى الموصِلى فى مسنده من وجه آخر ، عن أنس بن مالك ، فقال : حدثنا على بن الجَعْد ، أنبأنا الربيع بن صَبيح ، عن يزيد الرّقاشى ، عن أنس ، قال : حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رَثٍّ وقطيفة تساوى ـ أو لا تساوى ـ أربعة دراهم . فقال : « اللهم حِجةً لا رياء فيها » .

وقد رواه الترمذى فى الشمائل[2] من حديث أبى داود الطَّيالسى ، وسفيان الثورى وابن ماجه من حديث وَكيع ابن الجراح ، ثلاثتهم عن الربيع بن صبيح به .

وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبَان الرقَاشى ، فإنه غير مقبول الرواية عند الأئمة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، قال : صدَرْتُ مع ابن عمر فمرَّت بنا رُفْقة يَمانية ورحالُهم الأَدَم وخُطم إبلهم الخرَز[3] ، فقال عبدالله : من أحبَّ أن ينظر إلى أَشْبه رُفقةٍ وردَت العام برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ قدِموا فى حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرُّفقة .

---

(١) الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع .
(٢) فى باب ماجاء فى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم . الشمائل ٢ / ١٢٠
(٣) الخرز : نبات من النجيل منظوم من أعلاه إلى أسفله .

ورواه أبو داود عن هَنَّاد، عن وكيع، عن إسحاق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه عن ابن عمر.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو طاهر الفقيه وأبو زكريا بن أبي إسحاق وأبو بكر بن الحسن وأبو سعيد بن أبي عمرو: قالوا حدثنا أبو العباس هو الأصم، أنبأنا محمد بن عبدالله بن الحكم، أنبأنا سعيد بن بَشير القرشي، حدثنا عبد الله بن حكيم الكناني - رجل من أهل اليمن من مَواليهم - عن بشر بن قُدامة الضِّبَابي، قال: أبصرتْ عيناى حبيبي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفات مع الناس على ناقة له حمراء قَصْواء تحته قطيفة بولانيّة وهو يقول «اللهم اجعلها حجةً غير رياء ولا مباهاةولا سُمْعة». والناس يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن إدريس، حدثنا ابن إسحاق، عن يحيي بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، أن أسماء بنت أبي بكر قالت: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حُجّاجا حتى أدركنا بالعَرْج [1] نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست عائشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلستْ إلى جنب أبي، وكانت زِمَالة [2] رسول الله صلى الله عليه وسلم وزِمَالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يَطّلع عليه، فطلع عليه وليس معه بعيره، فقال: أين بعيرك؟ فقال أضْلَلتُه البارحةَ. فقال أبو بكر: بعيرٌ واحد تُضله! فطفق يضربه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول: «انظروا إلى هذا المُحْرِم ومايصنع!».

وكذا رواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رَزْمة. وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس به.

* * *

(١) العرج: منزل بطريق مكة.

(٢) الزمالة: المركوب والأداة، وما كان معهما في السفر. النهاية ٢/١٤١.

فأما الحديث الذى رواه أبو بكر البزَّار فى مسنده قائلا : حدثنا إسماعيل بن حفص ، حدثنا يحيى بن اليمان ، حدثنا حمزة الزيات ، عن حُمران بن أعْيَن ، عن أبى الطُّفيل عن أبى سعيد ، قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاةً من المدينة إلى مكة قد ربطوا أوساطَهم ومَشْيهُم خلط الهرْوَلة .

فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد ، وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف وشيخه متروك الحديث . وقد قال البزار : لا يُروى إلا من هذا الوجه ، وإن كان إسناده حسنا عندنا .

ومعناه أنهم كانوا فى عُمرة إن ثبَت الحديث ، لأنه عليه السلام إنما حجَّ حجة واحدة وكان راكباً وبعض أصحابه مُشاة .

قلت : ولم يعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء من عُمَره ماشيا ، لا فى الحديبية ولا فى القضاء ولا الجِعْرانة ولا فى حجة الوداع .

وأحواله عليه السلام أشْهَرُ وأعْرَف من أن تخفى على الناس ، بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله . والله أعلم .

فصل

تقدم أنه عليه السلام صلى الظهر بالمدينة أربعا ، ثم ركب منها إلى الُحلَيفة وهى وادى العَقِيق (١) فصلى بها العصر ركعتين .

فدل على أنه جاء الحليفة نهاراً فى وقت العصر فصلى بها العصر قَصْراً ، وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، ثم صلى بها المغرب والعشاء وبات بها حتى أصبَح فصلى بأصحابه وأخبرهم أنه جاءه الوحى من الليل بما يعتمده فى الإحرام .

---

(١) وادى العقيق : قرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زُهَير ، عن موسى بن عُقْبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه أُتى فى المعرَّس من ذى الحليفة فقيل له : إنك ببَطْحاء مبارَكة .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث موسى بن عقبة به .

وقال البخارى : حدثنا الُحمَيْدى ، حدثنا الوليد وبِشْر بن بَكْر ، قالا : حدثنا الأَوْزاعِىّ ، حدثنا يحيى ، حدثنى عِكْرمة ، أنه سمع ابن عباس أنه سمع عمر (٢) يقول : سمعت رسول الله بوادى العَقِيق يقول : « أتانى الليلة آت من ربى فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارَك وقُلْ : عُمْرة فى حِجّة » .

تفرَّد به دون مسلم .

فالظاهر أن أمره عليه السلام بالصلاة فى وادى العَقِيق هو أمرٌ بالإقامة به إلى أن يصلى صلاة الظهر ، لأن الأمر إنما جاءه فى الليل وأخبرهم بعد صلاة الصبح ، فلم يبقَ إلا صلاة الظهر ، فأمر أن يصلِّيها هنالك وأن يوقع الإحرامَ بعدها .

ولهذا قال : أتانى الليلةَ آتٍ من ربى عز وجل فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارَك ، وقلْ عُمْرة فى حجَّة .

وقد احتُج به على الأمر بالقران فى الحج ، وهو من أقوى الأدلة على ذلك . كما سيأتى بيانه قريبا .

***

والمقصود أنه عليه السلام أُمر بالإقامة بوادى العقِيق إلى صلاة الظهر ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، فأقام هنالك وطاف على نسائه فى تلك الصُّبيحة وكن تسع نسوة ، وكلهن خرج معه ، ولم يزل هنالك حتى صلى الظهر . كما سيأتى فى حديث

---

(٢) الأصل : ابن عمر . وما أثبته عن صحيح البخارى .

أبى حسان الأعرج ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحُلَيفة ، ثم أَشْعَر بَدنته ، ثم ركب فأهلَّ .

وهو عند مسلم .

وهكذا قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أشعث ـ هو ابن عبد الملك ـ عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته ، فلما علا شَرف البَيْداء أهلَّ .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، والنسائى عن إسحاق بن راهَوَيْه ، عن النَّضر بن شُمَيل عن أشعث بمعناه ، وعن أحمد بن الأزهر ، عن محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن أشعث أتمَّ منه .

وهذا فيه ردٌّ على ابن حزم ، حيث زعم أن ذلك فى صَدْر النهار .

وله أن يَعْتَضد بما رواه البخارى من طريق أيوب ، عن رجل ، عن أنس أن رسول الله بات بذى الحُلَيفة حتى أَصبح ، فصلى الصبح ثم ركب راحلته ، حتى إذا استوتْ به البيداء أهلَّ بعمرة وحَجّ .

ولكن فى إسناده رجل مُبْهم والظاهر أنه أبو قِلاَبة . والله أعلم .

قال مسلم فى صحيحه : حدثنا يحيى بن حبيب الحارثى ، حدثنا خالد ـ يعنى ابن الحارث ـ حدثنا شُعبة ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتَشِر ، سمعت أبى يحدث عن عائشة أنها قالت : كنت أُطيِّب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ، ثم يصبح مُحْرِما يَنْضح طِيباً .

وقد رواه البخارى من حديث شعبة ، وأخرجاه من حديث أبى عَوانة .

ومسلم ومِسْعر وسفيان بن سعيد الثورى ، أربعتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر به .

وفى رواية لمسلم عن إبراهيم بن محمد بن المُنْتَشِر ، عن أبيه قال : سألت عبدَ الله بن عمر عن الرجل يتطيَّب ثم يُصْبِح مُحْرِما . قال : ماأحبُّ أنى أصبح محرما أَنْضَح طِيباً ، لأن أَطَّلِى القَطِرانَ [١] أحبُّ إلىّ من أن أفعل ذلك .

فقالت عائشة : أنا طَيَّبْتُ رسول الله عند إحرامه ، ثم طاف فى نسائه ثم أصبح مُحْرِما .

وهذا اللفظ الذى رواه مسلم يقتضى أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطيَّب قبلَ أن يطوف على نسائه ، ليكون ذلك أطيبَ لنفسه وأحبَّ إليهن ، ثم لما اغتسل من الجنابة وللإحرام تطيَّب أيضا للإحرام طِيبا آخر .

كما رواه الترمذى والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبى الزِّنَاد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرَّد لإهلاله واغتسل .

وقال الترمذى : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عَدِىّ أنبأنا عبيدالله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يُحْرِم غسل رأسه بِخطْمِىّ وأُشنان [٢] ودهنه بشىء من زيت غير كثير .

الحديث تفرَّد به أحمد .

وقال أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله : أنبأنا سفيان بن عُيينة ، عن عثمان بن عروة ، سمعت أبى يقول : سمعت عائشة تقول : طَيَّبْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه ولحِلِّه قلت لها : بأى طِيب ؟ قالت بأطْيَب الطِّيب .

وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة وأخرجه البخارى من حديث وهب عن

---

(١) صحيح مسلم : بقطران حديث ١١٩٢ . (٢) الخطمى والأشنان : نوعان من النبات .

هشام بن عروة ، عن أخيه عثمان ، عن أبيه عروة عن عائشة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدالله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة ، قالت : كنت أطيِّب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه حين يُحْرم ، ولحِلِّه قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم: حدثنا عبدُ بن حُمَيد ، أنبأنا محمدبن أبى بكر : أنبأنا ابن جُرَيج ، أخبرنى عمر بن عبدالله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة قالت : طَيَّبْتُ رسول الله بيدىّ بذَرِيرة[1] فى حجة الوداع للحِلِّ والإحرام .

وروى مسلم من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : طيَّبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى هاتين لحرمه حين أَحْرَم ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم : حدثنى أحمد بن مَنِيع ، ويعقوب الدَّوْرَقِىّ قالا : حدثنا هُشَيم ، أخبرنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أطيِّب النبىَّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يُحْرِم [ويحل][2] ويومَ النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شَيبة وزُهير بن حَرب[3] ، قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وَبيص المِسْك فى مَفَارِق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبِّى .

ثم رواه مسلم من حديث الثورى وغيره ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ،

---

(٣) الذريرة : نوع من الطيب : قال النووى : هى فتات قصب طيب يجاء به من الهند .
(١) ليست فى صحيح مسلم . كتاب الحج حديث رقم ١١٩١ ـ ط الحلبى .
(٢) فى صحيح مسلم زيادة : وأبو سعيد الأشج قالوا . الخ حديث ١١٩٠ .

عن الأسود ، عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وَبيص المِسْك فى مَفْرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم .

ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى ومسلم من حديث الأعمش ، كلاهما عن منصور ، عن إبراهيم عن الأسود عنها .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شُعبة ، عن الحكم بن إبراهيم ، عن الأسود عن عائشة .

وقال أبو داود الطَّيالسى : أنبأنا أَشْعث ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عائشة ، قالت : كأنى أنظر إلى وَبيص الطِّيب فى أصول شَعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن إبراهيم النَّخَعى ، عن الأسْود ، عن عائشة ، قالت : كأنى أنظر إلى وَبيص الطِّيب فى مَفْرق النبى صلى الله عليه وسلم بعد أيام وهو مُحْرم .

وقال عبد الله بن الزبير الحَمَيْدى : حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن إبراهيم النَّخعى ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : رأيت الطيب فى مفرق رسول الله بعد ثالثة وهو مُحْرم .

* * *

فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه السلام تطيَّب بعد الغُسل ، إذ لو كان الطِّيب قبل الغسل لَذهب به الغسلُ ولما بقى له أثر ، ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام .

وقد ذهب طائفة من السلف منهم ابن عمر إلى كراهة التطيُّب عند الإحرام .

وقد روينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة ، فقال الحافظ البيهقى : أنبأنا

أبو الحسين بن بِشْران ـ ببغداد ـ أنبأنا أبو الحسن على بن محمد المصرى ، حدثنا يحيى ابن عثمان بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الغَمْر ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر عن عائشة ، أنها قالت : طيَّبت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالغالية الجيِّدة عند إحرامه .

وهذا إسناد غريبٌ عزيز المَخْرَج .

ثم إنه عليه السلام لَبَّد رأسَه ليكون أحفظَ لما فيه من الطِّيب وأصْوَن له من استقرار التراب والغبار .

قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: يارسول الله ماشأنُ الناس حَلُّوا من العمرة ولم تَحِلّ أنت من عمرتك ؟ قال : « إنى لَبَّدت رأسى وقَلَّدت هَدْيى ، فلا أَحِلُّ حتى أَنْحر » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك ، وله طرق كثيرة عن نافع .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، أنبأنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا عبيد الله بن عمر القَوَارِيرىّ ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّد رأسه بالعَسل .

وهذا إسناد جيد .

ثم إنه عليه السلام أَشْعَر الهدْىَ وقلَّده [1] وكان معه بذى الحُلَيفة .

قال الليث ، عن عَقِيل ، عن الزهرى ، عن سالم عن أبيه ، تمتَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعُمْرة إلى الحج ، وأهدَى فساقَ معه الهدْىَ من ذى الحليفة .

وسيأتى الحديث بتمامه ، وهو فى الصحيحين والكلام عليه إن شاء الله .

---

(١) الإشعار : أن يجعل لها شعيرة ، أى علامة تتميز بها . والتقليد : إلباسها ما يعلم به أنها هدى .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ بن هشام ـ هو الدَّسْتُوائىّ ـ حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن أبى حسان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى ذا الحليفة دعا بناقته فأشْعَرها فى صفحة سنامها الأيمن وسلَت الدم وقلَّدها نعلين ثم ركب راحلته .

وقد رواه أهل السُّنن الأربعة ، من طرق عن قتادة .

وهذا يدل على أنه عليه السلام تعاطَى هذا الإشعارَ والتقليد بيده الكريمة فى هذه البَدنة ، وتولَّى إشعارَ بقية الهدى وتقليدَه غيرُه ، فإنه قد كان معه هَدْىٌ كثير [١] ، إما مائة بَدنة أو أقل منها بقليل . وقد ذبح بيده الكريمة ثلاثا وستين بدَنة وأعطى عليًّا فذبح ماغبَر [٢] .

وفى حديث جابر أن عليا قدم من اليمن ببُدْن للنبى صلى الله عليه وسلم .

وفى سياق ابن إسحاق أنه عليه السلام أشْرَك عليًّا فى بُدْنه والله أعلم . وذكر غيره أنه ذبح هو وعلىّ يومَ النحر مائة بدنة .

فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذى الحليفة ، وقد يكون اشترى بعضَها بعد ذلك وهو مُحْرِم .

---

(١) ج : كان هدياً كثيراً . (٢) غبر : بقى .

باب

بيان الموضع الذى أهلّ منه عليه السلام واختلاف الناقلين لذلك وترجيح الحق فى ذلك

ذِكْر من قال إنه عليه السلام أحرَم من المسجد الذى بذى الحلَيفة بعد الصلاة :

تقدّم الحديث الذى رواه البخارى من حديث الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العَقِيق يقول : أتانى آتٍ من ربى فقال : صلِّ فى هذا الوادى المبارك وقُلْ عمرة فى حِجّة .

وقال البخارى : باب الإهلال عند مسجد ذى الحلَيْفة :

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا موسى بن عُقبة ، سمعت سالم بن عبد الله . ح . وحدثنا عبد الله بن مَسْلَمة ، حدثنا مالك ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله ، أنه سمع أباه يقول : ما أهلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند المسجد — يعنى مسجد ذى الحلَيفة —

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه ، من طرق عن موسى بن عُقبة .

وفى رواية لمسلم عن موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع وحمزة بن عبد الله بن عمر ، ثلاثتهم عن عبد الله بن عمر فذكره . وزاد فقال : لبَّيك اللهم لبَّيك .

وفى رواية لهما من طريق مالك ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم قال : قال عبد الله

ابن عمر : بَيْداؤكم هذه التي تَـكْذبون فيها [١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماأهلّ رسول الله [إلا] من عند المسجد .

وقد روِى عن ابن عمر خلافُ هذا ، كما يأتى فى الشق الآخر .

وهو ما أخرجاه فى الصحيحين من طريق مالك ، عن سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرى ، عن عبَيد بن جُرَيج ، عن ابن عمر . فذكر حديثا فيــه أن عبد الله قال : وأمّا الإهلال فإنى لم أرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُهلُّ حتى تَنْبعثَ به راحلتُه .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى خُصَيف ابن عبد الرحمن الجزَرِىّ ، عن سـعيد بن جُبَيْر ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : يا أبا العباس ، عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إهلال رسول الله صلى الله عَليه وسلم حين أَوْجَب ؟ !

فقال : إنى لَأعلم الناس بذلك . إنما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حِجة واحدة ، فمن هناك اختلفوا .

خرج رسول الله صـلى الله عليـه وسلم حاجًّا ، فلما صلى فى مسجده بذى الحلَيفة ركعتيه أَوْجبَ فى مَجلسه ، فأهلّ بالحج حين فرغ من ركعتيه ، فسَمع ذلك منه قومٌ فحفظوا عنه ، ثم ركب ، فلما استقلت به ناقتُه أهلّ ، وأدرك ذلك منه أقوامٌ ، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرْسالًا ، فسمعوه حين استقلّت به ناقته يُهلّ ، فقالوا : إنما أهلّ رسول الله حين استقلت به ناقته .

ثم مضى رسول الله ، فلما علا شَرف البَيْداء أهلّ ، وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا :

---

(١) المراد بالبيداء هنا : شرف أمام ذى الحليفة ؛ سميت بيداء لأنه ليس فيها بناء ولا أثر . ومعنى تـكذبون فيها : تنسبون إلى الرسول أنه أهل منها ، ولم يفعل .

إنما أهلَّ رسولُ الله حين علَا شرفَ البيداء ، وايم الله لقد أوْجَب فى مُصلاَّه ، وأهلَّ حين استقلَّت به ناقته ، وأهلَّ حين عَلا شرفَ البيداء .

فمن أخـذ بقول عبد الله بن عباس [أنه] أهـل فى مُصلاَّه إذا فرغ من ركعتيـه ـ وقد رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قُتيبة ، عن عبد السلام بن حرب ، عن خُصَيف به نحوه .

وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرف أحدا رواه غير عبد السلام . كذا قال ، وقد تقدم رواية الإمام أحمد له من طريق محمد بن إسحاق عنه ـ وكذلك رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن القَطِيعى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيـه ثم قال : خُصَيف الجزَرى غير قوى ، وقد رواه الواقدى بإسناد له عن ابن عباس . قال البيهقى : إلا أنه لا ينفع متابعة الواقدى ، والأحاديث التى وردت فى ذلك عن عمر وغيره مَسانيدها قوية ثابتة والله تعالى أعلم ـ

قلت : فلو صح هذا الحديث لـكان فيه جَمعٌ لما بين الأحاديث من الاختلاف وبَسطٌ لعذر مَن نَقل خلافَ الواقع ، ولـكن فى إسناده ضعف .

ثم قد روى عن ابن عباس وابن عمر خـلافُ ما تقـدم عنهما كما سننبه عليه ونبينه .

* * *

وهكذا ذكر من قال إنه عليه السلام أهلَّ حين استوت به راحلته .

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام بن يوسف ، أنبأنا ابن جُرَيج ، حدثنى محمد بن المنـكَدِر ، عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبىُّ صلى الله عليـه وسلم بالمدينة أربعاً وبذى الحُلَيفة ركعتين ، ثم بات حتى أصبح بذى الحليفة ؛ فلمـا ركب راحلتَه واستوت به أهلَّ .

وقد رواه البخارى ومسلم وأهل السنن من طرق عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن مَيْسرة ، عن أنس .

وثبت فى الصحيحين من حديث مالك ، عن سعيد المقبرى ، عن عبيد بن جريج ، عن ابن عمر قال :

وأما الإهلالُ فإنى لم أر رسول الله يُهلُّ حتى تنبعثَ به راحلتُه .

وأخرجا فى الصحيحين من رواية ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله كان يركب راحلتَه بذى الحُلَيفة ثم يُهلّ حين تستوى به قائمةً .

وقال البخارى : باب من أهلّ حين استوت به راحلته :

حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ابن جُرَيج ، أخبرنى صالح بن كَيْسان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أهلَّ النبى صلى الله عليه وسلم حين استوت به راحلتُه قائمةً .

وقد رواه مسلم والنسائى من حديث ابن جُرَيج به .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شَيبة ، حدثنا على بن مُسْهِر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجلَه فى الغَرْز [1] وانبعثَتْ به راحلتُه قائمةً أهلّ من ذى الحُلَيفة .

انفرد به مسلم من هذا الوجه ، وأخرجاه من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عنه .

ثم قال البخارى : باب الإهلال مُسْتَقبِلَ القِبْلة :

قال أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا صلّى الغَداة بذى الحُلَيفة أمر براحلته فرحِّلت ثم ركب ، فإذا استوت به استقبلَ القبلة

(١) الغرز : ركاب كور البعير .

قائما ثم يلبِّي حتى يَبلغ الحرم ، ثم يُمسك ، حتى إذا جاء ذا طُوًى[1] بات به حتى يُصبح ، فإذا صلى الغَداةَ اغتسل ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعل ذلك .

ثم قال : تابعه إسماعيلُ ، عن أيوب فى الغسل .

وقد علَّق البخارى أيضا هذا الحديث فى كتاب الحج ، عن محمد بن عيسى ، عن حماد ابن زيد ، وأسنده فيه عن يعقوب بن إبراهيم الدَّورقىّ ، عن إسماعيل ، هو ابن عُليَّة .

ورواه مسلم عن زُهير بن حرب ، عن إسماعيل ، وعن أبى الربيع الزَّهْرانى وغيره ، عن حماد بن زيد ، ثلاثتهم عن أيوب ، عن أبى تميمة السَّخْتيانى به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن إسماعيل بن علية به .

ثم قال البخارى : حدثنا سليمان أبو الربيع ، حدثنا فُلَيح ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة ادّهن بدهن ليس له رائحة طيبة ، ثم يأتى مسجد ذى الُحلَيفة فيصلِّى ثم يركب ، فإذا استوت به راحلته قائمة أحْرَم ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وروى مسلم عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عُقبة ، عن سالم عن أبيه ، قال : بَيْداؤكم هذه التى تَكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، والله ماأهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند الشجرة حين قام به بعيره .

وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه ، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد ، ولكن بعد ماركب راحلته واستوت به على البَيْداء ، يعنى الأرض وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبَيْداء

---

(١) ذو طوى : موضع قرب مكة .

ثم قال البخاري في موضع آخر[1] : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدّمي ، حدثنا فُضَيل ابن سليمان ، حدثناموسى بن عُقبة ، حدثني كُرَيب ، عن عبد الله بن عباس ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ماترجّل وادّهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، ولم ينْه عن شيء من الأَرْدية والأُزُر تُلبَس إلا المزعفرة التي تَرْدَع على الجلد ، فأصبح بذي الحُلَيفة ، ركب راحلتــه حتى استوى على البَيْداء أهلَّ هو وأصحابه وقلّد بُدْنه ، وذلك لخمس بقين [من ذي القعدة ، فقدم مكة لأربع ليالٍ خلَوْن[2]] من ذي الحجة .

فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من أجل بُدْنه لأنه قلّدها ، ثم نزل بأعلى مكة عند الحَجُون وهو مُهِلٌّ بالحج ولم يقرَب الكعبة بعدَ طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصّروا من رءوسهم ثم يحِلّوا ، وذلك لمن لم يكن معه بَدَنة قلّدها ، ومن كانت معه امرأته فهي له حــلال والطيب والثياب .

انفرد به البخاري .

وقد روى الإمام أحمد عن بَهْز بن أسد وحجاج ورَوْح بن عبادة وعفان بن مُسْلم ، كلهم عن شُعبة قال : أخبرني قتادة ، قال سمعت أبا حسان الأعرج الأجْرد ، وهو مسلم ابن عبد الله البَصْري ، عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظُّهر بذي الحُلَيفة ، ثم دعا ببدَنته فأشْعَر صفحة سَنامها الأيمن وسَلَت[3] الدَّمَ عنها وقلّدها نعْلين ، ثم دعا براحلته ، فلما استوت على البيْداء أهلَّ بالحج .

ورواه أيضا عن هُشَيم ، أنبأنا أصحابنا منهم شعبة . فذكر نحوه .

ثم رواه الإمام أحمد أيضا عن رَوْح وأبي داود الطَّيالسي ووكيع بن الجرّاح ، كلهم

---

(١) الحديث في باب مالا يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر . صحيح البخاري ١/١٩٧ ط الأميرية
(٢) سقط من الأصل ، وأثبتها من البخاري .
(٣) سلت الدم : قشره حتى أظهر دمها .

عن هشام الدَّسْتَوائىّ ، عن قتادة به ، نحوه .

ومن هذا الوجه رواه مسلم فى صحيحه وأَهل السُّنن فى كتبهم .

***

فهذه الطرق عن ابن عباس من أنه عليه السلام أهلَّ حين استوتْ به راحلتُه أصحُّ وأَثْبَت من رواية خُصَيف الجزَرى ، عن سعيد بن جبير عنه . والله أعلم .

وهكذا الرواية المُثبِتة المفسِّرة أنه أهلَّ حين استوتْ به الراحلةُ مُقدَّمة على الأخرى ، لاحتمال أنه أراد أنه أحْرَم من عند المسجد حين استوت به راحلته ، وتكون رواية ركوبه الراحلة فيها زيادةُ علْم على الأخرى . والله أعلم .

وروايةُ أنس فى ذلك سالمةٌ عن المُعارِض ، وهكذا رواية جابر بن عبد الله فى صحيح مسلم ، من طريق جعفر الصادق عن أبيه ، عن أبى الحسين زين العابدين ، عن جابر فى حديثه الطويل الذى سيأتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أهلّ حين استوت به راحلته سالمةٌ عن المعارِض . والله أعلم .

وروى البخارى من طريق الأَوْزاعى ، سمعت عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، أن إهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة حين استوت به راحلته .

فأما الحديث الذى رواه محمد بن إسحاق بن يسَار ، عن أبى الزِّناد ، عن عائشة بنت سعد ، قالت : قال سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أَخذ طريقَ الفرْع[1] أهلَّ إذا استقلَّت به راحلته ، وإذا أخذ طريقا أخرى أهلَّ إذا علا على شرَف البيْداء . فرواه أبو داود والبيهقى من حديث ابن إسحاق وفيه غرابة ونكارة . والله أعلم .

فهذه الطرق كلها دالة على القطع أو الظن الغالب أنه عليه السلام أَحْرَم بعد الصلاة وبعدَ ما ركب راحلته وابتدأت به السير . زاد ابن عمر فى روايته : وهو مُسْتقبل القِبلة .

---

(١) الفرع : قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة .

باب

بَسْط البيان لما أحرَم به عليه السلام فى حجته هذه من الإفراد أو التمتع أو القِرَان

ذكر الأحاديث الواردة بأنه عليه السلام كان مُفْردا

رواية عائشة أم المؤمنين فى ذلك :

قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : أنبأنا مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْرَد الحج .

ورواه مسلم عن إسماعيل ، عن أبى أويس ويحيى بن يحيى ، عن مالك . ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن مالك به .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنى المنْكَدِر بن محمد ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْرَد الحجّ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شُرَيح ، حدثنا ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، عن عروة عن عائشة ، وعن علقمة بن أبى علقمة عن أمه ، عن عائشة ، وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج .

تفرّد به أحمد من هذه الوجوه عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنى عبد الأعلى بن حماد ، قال : قرأت على مالك بن أنس ، عن أبى الأسود ، عن عروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أفْرَد الحجّ .

وقال : حدثنا رَوْح ، حدثنا مالك ، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل وكان يتيما فى حجر عُروة ـ عن عروة بن الزبير عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج .

ورواه ابن ماجه عن أبى مصعب عن مالك كذلك .

ورواه النسائى عن قتيبة ، عن مالك ، عن أبى الأسود ، عن عروة عن عائشة : أن رسول الله أهلّ بالحج .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن أبى الأسود ، عن عروة عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنّا من أهلّ بالحج ومنا من أهلّ بالعُمرة ، ومنا من أهلّ بالحج والعمرة ، وأهلّ رسول الله بالحج ؛ فأما من أهلّ بالعمرة فأحلّوا حين طافوا بالبيت وبالصفا والمروة ، وأما من أهلّ بالحج أو بالحج والعمرة فلم يَحلُّوا إلى يوم النحر .

وهكذا رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف والقَعْنَبى وإسماعيل بن أبى أُوَيْس ، عن مالك . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن مالك به .

وقال أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهلّ ناسٌ بالحج والعمرة ، وأهلّ ناس بالعمرة .

ورواه مسلم عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عُيينة به نحوه .

***

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عَلْقمة بن أبى علقمة ، عن أمه ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس فى حجة الوداع . فقال : من أحبَّ أن يبدأ بعُمرة قبل الحج فليفعل . وأفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجّ ولم يَعْتمر .

فإنه حديث غريب جداً ، تفرّد به أحمد بن حنبل ، وإسناده لا بأس به ، ولـكن لفظه فيه نـكارة شديدة وهو قوله : « فلم يعتمر » .

فإن أريد بهذا أنه لم يعتمر مع الحج ولا قبله هو قول من ذهب إلى الإفراد . وإن أريد أنه لم يعتمر بالـكلية لا قبل الحج ولا معه ولا بعده ، فهذا مما لا أعلم أحداً من العلماء قال به . ثم هو مخالف لمـا صحّ عن عائشة وغيرها من أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمَر كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حِجّته .

وسيأتى تقرير هذا فى فصل القِران مستقصى . والله أعلم .

وهكذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد قائلا فى مسنده : حدثنا رَوْح ، حدثنا صالح بن أبى الأخضر ، حدثنا ابن شهاب ، أن عروة أخبره أن عائشة زَوْج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : أهلَّ رسولُ الله بالحج والعمرة فى حجة الوداع وساق معه الهدْىَ ، وأهلَّ ناسٌ معه بالعُمْرة وساقوا الهدى ، وأهل ناس بالعمرة ولم يسوقوا هديا .

قالت عائشة : وكنت ممن أهلّ بالعمرة ولم أسُقْ هَدياً .

فلما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال] : من كان منـكم أهلَّ بالعمرة فساق معه الهدْىَ فليطُفْ بالبيت وبالصَّفا والمروة ولا يَحلُّ منه شىء حَرُم منه حتى يقضى حَجَّه وينحر هَدْيه يوم النحر ، ومن كان منـكم أهلَّ بالعمرة ولم يَسُقْ معه هدياً فليطُف بالبيت وبالصفا والمروة ثم ليقصّر وليَحْلِل ثم ليهل بالحج وليُهْدِ ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

قالت عائشة : فقدَّم رسول الله الحجَّ الذى خاف فَوْتَه وأخَّر العمرة .

فهو حـديث من أفراد الإمام أحمد ، وفى بعض ألفاظه نـكارة . ولبعضه شاهد فى الصحيح ، وصالح بن أبى الأخضر ليس من عِلْية أصحاب الزُّهرى ، لا سيما إذا خالفه غيره كما هاهنا ، فى بعض ألفاظ سياقه هذا .

وقوله : « فقدَّم الحجَّ الذى يخاف فَوْته وأخر العُمْرة » لا يلتئم مع أول الحديث : « أهلَّ بالحج والعمرة » .

فإن أراد أنه أهلَّ بهما فى الجملة وقدَّم أفعَال الحج ، ثم بعد فراغه أهلَّ بالعمرة كما يقوله من ذهب إلى الإِفراد ، فهو مما نحن فيه هاهنا .

وإن أراد أنه أخَّر العمرةَ بالكلِّية بعد إحرامه بها ، فهذا لا أعلم أحداً من العلماء صار إليه . وإن أراد أنه اكتفى بأفعال الحج عن أفعال العمرة ودَخلت العمرةُ فى الحج ، فهذا قول من ذهب إلى القِرَان ، وهم يؤولون قولَ من روى أنه عليه الصلاة والسلام أفرَد الحج أى أفرد أفعال الحج وإن كان قد نَوى معه العمرة . قالوا : لأنه قد رَوى القِران كلُّ من رَوى الإفرادَ كما سيأتى بيانه . والله تعالى أعلم .

* * *

رواية جابر بن عبد الله فى الإفراد

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته بالحج .

إسناده جيد على شرط مسلم .

ورواه البيهقى عن الحاكم وغيره ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر ، قال : أهلَّ رسولُ الله فى حجته بالحج ليس معه عمرة .

وهذه الزيادة غريبة جداً . ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظُ . والله أعلم .

وفى صحيح مسلم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، قال : وأهلَلْنا بالحج لسنا نعرف العمرة .

وقد روى ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن الدَّراوَرْدى وحاتم بن إسماعيل ،

كلاهما عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْرَدَ الحجّ ، وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب الثقفى ، حدثنا حبيب ـ يعنى المعلِّم ـ عن عطاء حدثنى جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلّ هو وأصحابه بالحج ليس مع أحد منهم هَدْى إلا النبى صلى الله عليه وسلم وطلحة .

وذكر تمام الحديث . وهو فى صحيح البخارى بطوله ، كما سيأتى عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب .

* * *

رواية عبد الله بن عمر للإفراد

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد ، حدثنا عبّاد ـ يعنى ابن عباد ـ حدثنى عُبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : أهْلَلْنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحج مُفْردا .

ورواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عَون ، عن عَبّاد بن عباد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلّ بالحج مُفْردا .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بِشْر بن بكر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلّ بالحج ـ يعنى مُفرداً .

إسناده جيد ولم يُخرّجوه .

* * *

رواية ابن عباس للإفراد

روى الحافظ البيهقى من حديث رَوح بن عُبادة ، عن شعبة ، عن أيوب ، عن

أبى العالية البرَّاء ، عن ابن عباس ، أنه قال : أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ، فقدِم لأربع مضَيْن من ذى الحجة ، فصلَّى بنا الصبحَ بالبَطْحاء ، ثم قال : من شاء أن يجعلها عُمرةً فليجعلها .

ثم قال : رواه مسلم ، عن إبراهيم بن دينار ، عن ابن رَوْح .

وتقدم من رواية قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى الظهر بذى الحليفة ، ثم أتى ببَدنة فأشْعَر صَفحة سَنامها الأيمن ، ثم أتى براحلته فركبها ، فلما استوت به على البيداء أهلَّ بالحج .

وهو فى صحيح مسلم أيضا .

وقال الحافظ أبو الحسن الدار قطنى : حدثنا الحسين بن إسماعيل ، حدثنا أبو هشام ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثنا أبو حصين ، عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه ، قال : حجَجْتُ مع أبى بكر ، فجرَّد ، ومع عمر فجرَّد ، ومع عثمان فجرد .

تابعه الثَّورى عن أبى حُصَين .

وهذا إنما ذكرناه هاهنا لأن الظاهر أن هؤلاء الأئمة رضى الله عنهم إنما يفعلون هذا عن توقيف ، والمراد بالتَّجريد هاهنا الإفراد والله أعلم .

وقال الدارقطنى : حدثنا أبو عبيد الله القاسم بن إسماعيل ومحمد بن مَخْلَد ، قالا : حدثنا علىّ بن محمد بن معاوية الرزَّاز ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل عَتَّاب بن أُسيد على الحج فأفْرَد ، ثم استعمل أبا بكر سنة تسع فأفرد الحج ، ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر فأفْرَد الحج ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر فبعث عمر فأفرد الحج ، ثم حج أبو بكر فأفرد الحج ، وتوفى أبو بكر واستخلف عمر فبعث عبد الرحمن بن عوف

فأفرد الحج ، ثم حج فأفرد الحج ، ثم حُصر عثمان فأقام عبدُ الله بن عباس للناس فأفرد الحج .

فى إسناده عبد الله بن عمر العُمرى وهو ضعيف ، لكن قال الحافظ البيهقى : له شاهد بإسناد صحيح .

ذكر من قال إنه عليه السلام حج متمتعا

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى عَقِيل ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبدالله ، أن عبد الله بن عمر قال : تمتَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعُمرة إلى الحج ، وأهلَّ فساقَ الهدْى من ذى الحليفة ، وبدأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، وكان من الناس من أهدَى فساق الهدى من ذى الحليفة ومنهم من لم يُهْدِ .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس : « مَن كان منكم أهدَى فإنه لا يحلُّ من شىء حَرم منه حتى يَقضى حجَّه ، ومن لم يكن أهدى فليَطُفْ بالبيت وبالصفا والمروة وليقصِّر وليَحْلِلْ ثم لِيُهلَّ بالحج وليُهْدِ ، فمن لم يجد هدياً فليَصُم ثلاثةَ أيام وسبعة إذا رجع إلى أهله » .

وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة ، استلم [الرُّكنَ] أولَ شىء ثم خَبَّ ثلاثة أشواط من السَّبع ومشى أربعة أطواف ، ثم ركع حين قضى طوافَه بالبيت عند المقام ركعتين ، ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة ، ثم لم يَحْلل من شىء حَرُم منه حتى قضى حجَّه ونحر هديه يوم النحر ، وأفاض فطاف بالبيت ، وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن أهدى فَساقَ الهدى من الناس .

قال الإمام أحمد : وحدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى عَقِيل ، عن ابن شهاب ،

عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمتعه بالعمرة إلى الحج وتمتع الناس معه بمثل الذى أخبرنى سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد روى هـذا الحديث البخاريُّ عن يحيى بن بُكَير ، ومسلم وأبو داود ، عن عبد الملك بن شُعيب ، عن الليث ، عن أبيه ؛ والنسائى عن محمد بن عبد الله بن المبارك المخَرَّمى ، عن حُجَين بن المثنَّى ، ثلاثتهم عن الليث بن سعد ، عن عَقِيل ، عن الزهرى عن عروة عن عائشة . كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله .

وهذا الحديث من المشْكِلات على كل من الأقوال الثلاثة .

أما قولُ الإفراد : ففى هذا إثباتُ عمرة إما قبلَ الحج أو معه .

وأما على قول التمتع الخاص ، فلأنه ذكر أنه لم يحلَّ من إحرامه بعد ما طاف بالصفا والمروة ، وليس هذا شأنَ المتمتِّع .

ومَن زعم أنه إنما منعه من التحلل سَوْقُ الهدْى ، كما قد يفهم من حديث ابن عمر عن حفصة أنها قالت : يارسول الله ماشأن الناس حَلُّوا من العمرة ولم تحلَّ أنت من عمرتك ؟ فقال : إنى لَبَّدتُ رأسى وقلَّدت هَدْيِى فلا أحلُّ حتى أنْحر . فقولهم بعيدٌ ، لأن الأحاديث الواردة فى إثبات القِرَان تردُّ هـذا القولَ وتأبى كونَه عليه السلام إنما أهلَّ أولًا بعمرة ثم بعدَ سعيه بالصفا والمروة أهلَّ بالحج ؛ فإن هذا على هذه الصفة لم ينقله أحد بإسناد صحيح بل ولا حسن ولا ضعيف .

وقوله فى هذا الحديث : « تمتَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة إلى الحج » إن أريد بذلك التمتع الخاص ، وهو الذى يحل منه بعدَ السعى فليس كذلك ، فإن فى سياق الحديث ما يردُّه ، ثم فى إثبات العمرة المقارِنة لحجه عليه السلام ما يأباه .

وإن أريد به التمتع العام دخل فيه القِرَان وهو المراد .

وقوله : « وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلَّ بالعمرة ثم أهلَّ بالحج » إن أريد به بدأ بلفظ العمرة على لفظ الحج ، بأن قال : لبَّيك اللهم عُمْرة وحجًّا . فهذا سهلٌ ولا ينافى القِرَان .

وإن أريد به أنه أهلَّ بالعمرة أولًا ثم أدخل عليها الحج متراخياً ولكن قبل الطواف فقد صار قارناً أيضا .

وإن أريد به أنه أهلَّ بالعمرة ثم لمّا فرغ من أفعالها تحلَّل أو لم يتحلل بسوْق الهدْى كما زعمه زاعمون ، ولكنه أهلَّ بحج بعد قضاء مناسك العمرة وقبل خروجه إلى منًى ، فهذا لم ينقله أحد من الصحابة كما قدمنا ، ومن ادعاه من الناس فقوله مردود لعدم نَقْله ومخالفته الأحاديثَ الواردة فى إثبات القِران كما سيأتى ، بل والأحاديثَ الواردة فى الإفراد كما سبق . والله أعلم .

والظاهر والله أعلم أن حديث الليث هذا عن عَقِيل ، عن الزُّهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر مَرْوِى من الطريق الأخرى عن ابن عمر حين أَفْرَد الحج زمن محاصرة الحجَّاج لابن الزبير ، فقيل له : إن الناس كائنٌ بينهم شيء ، فلو أخَّرت الحج عامَك هذا ؟ فقال: إذاً أفعل كما فَعل النبى صلى الله عليه وسلم . يعنى زمن حُصر عام الحديبية فأحرمَ بعمرة من ذى الحليفة ثم لما علا شَرف البَيْداء قال : ما أرى أمْرَهما إلا واحداً . فأهلَّ بحج معها ، فاعتقد الراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل ، سواء بدأ فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، فرووه كذلك . وفيه نظر لما سنبينه .

وبيان هذا فى الحديث الذى رواه عبد الله بن وهب ، أخبرنى مالك بن أنس وغيره ، أن نافعا حدثهم أن عبد الله بن عمر خرج فى الفتنة معتمراً وقال : إن صُدِدْتُ عن البيت صنعنا كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فأهلَّ بالعمرة وسار حتى إذا ظهر على

ظاهِرِ البَيْداء التفت إلى أصحابه فقال : ما أمرهُما إلا واحدٌ ، أُشهدكم أنى قد أوجبتُ الحجَّ مع العمرة . فخرج حتى جاء البيت فطاف به وطاف بين الصفا والمروة سبعاً لم يزد عليه ورأى أن ذلك مُجزٍ عنه ، وأهدَى .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث مالك . وأخرجاه من حديث عبيد الله عن نافع به . ورواه عبدالرزاق عن عبيدالله وعبد العزيز بن أبى رَوَّاد ، عن نافع به نحوه؛ وفيه : ثم قال فى آخره : هكذا فَعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيما رواه البخارى حيث قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن نافع : أن ابن عمر أراد الحج عام نَزَل الحجاجُ بابن الزبير ، فقيل له : إن الناس كائنٌ بينهم قِتال ، وإنا نخاف أن يصدُّوك . قال: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» إذاً أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى أُشهدكم أنى قد أوجبتُ عُمرةً .

ثم خرج حتى إذ كان بظاهِرِ البَيْداء قال : ماأرى شأنَ الحج والعمرة إلا واحداً ، أُشهدكم أنى أوجبت حجًّا مع عمرتى . فأهدى هدياً اشتراه بقُدَيْد ، ولم يزد على ذلك ولم ينحر ولم يَحلَّ من شىء حرم منه ، ولم يحلق ولم يقصر ، حتى كان يوم النحر فنحر وحلق ، ورأى أنْ قد قضى طوافَ الحج والعمرة بطوافه الأول .

وقال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُليّة ، عن أيوب ، عن نافع ، أن ابن عمر دخل ابنهُ عبدالله بن عبد الله وظَهره[1] فى الدار ، فقال : إنى لا آمَنُ أن يكون العامَ بين الناس قتالٌ فيصدُّوك عن البيت ، فلو أقمتَ ؟

قال : قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحالَ كفارُ قريش بينه وبين البيت ،

(١) الظهر : المركوب من الإبل ، وكان ابن عمر قد عزم على الحج وأحضر مركوبه ليتوجه عليه .

فإن يُحَلْ[1] بيني وبينه أفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، إذاً أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إني أشهدكم أني قد أوجبتُ مع عمرتي حجًّا . ثم قدِم فطاف لهما طوافا واحداً .

وهكذا رواه البخاري عن أبي النعمان ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب بن أبي تميمة السَّخْتِياني ، عن نافع به . ورواه مسلم من حديثهما عن أيوب به .

* * *

فقد اقتدى ابن عمر رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم في التحلُّل عند حَصْر العَدوّ والاكتفاء بطواف واحد عن الحج والعمرة .

وذلك لأنه كان قد أحرَم أولا بعمرة ليكون متمتعا ، فخشي أن يكون حَصْرٌ ، فجمعهما وأدخل الحجَّ قبل العمرة قبل الطواف فصار قارِناً .

وقال : ما أرى أمرَهما إلا واحداً — يعني : لا فرق بين أن يُحصر الإنسان عن الحج أو العمرة أو عنهما — فلما قدم مكة اكتفى عنهما بطوافه الأول ، كما صرح به في السياق الأول الذي أفردناه ، وهو قوله : ورأى أنْ قد قَضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول .

قال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلم — يعني أنه اكتفى عن الحج والعمرة بطواف واحد — يعني بين الصفا والمروة .

وفي هذا دلالة على أن ابن عمر رَوى القِران .

ولهذا روى النسائي عن محمد بن منصور ، عن سفيان بن عُيينة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع : أن ابن عمر قَرن الحجَّ والعمرة فطاف طوافا واحداً .

---

١) البخاري : فإن حيل .

ثم رواه النسائى ، عن على بن ميمون الرَّقى ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ابن أمية ، وأيوب بن موسى ، وأيوب السَّختيانى ، وعبد الله بن عمر ، أربعتهم عن نافع : أن ابن عمر أتى ذا الحليفة فأهلَّ بعمرة ، نخشى أن يُصدَّ عن البيت . فذكر تمام الحديث من إدخاله الحج على العمرة وصيرورته قارناً .

والمقصود أن بعض الرواة لما سمع قول ابن عمر : « إذاً أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله : « كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم » . أعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج فأدخله عليها قبل الطواف ، فرواه بمعنى ما فَهِم .

ولم يُرد ابن عمر ذلك ، وإنما أراد ما ذكرناه . والله أعلم بالصواب .

ثم بتقدير أن يكون أهلَّ بالعمرة أولا ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف فإنه يصير قارنا لا متمتعا التمتع الخاص ، فيكون فيه دلالة لمن ذهب إلى أفضلية التمتع . والله تعالى أعلم .

* * *

وأما الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همَّام عن قتادة ، حدثنى مُطَرِّف ، عن عمران ، قال : تمتعنا على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلّم ونزل القُرآن قال رجلٌ برأيه ما شاء .

فقد رواه مسلم ، عن محمد بن المثنَّى ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن همام ، عن قَتادة به .

والمراد به المتعةُ التى أعمُّ من القِران والتمتع الخاص .

ويدل على ذلك ما رواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ،

عن مُطَرِّف ، عن عبد الله بن الشِّخير ، عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة . وذكر تمام الحديث .

وأكثر السلف يُطلقون المتْعة على القِران ، كما قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن شعبة ، عن عمرو بن مُرة ، عن سعيد بن المسيِّب ، قال : اختلف علىٌّ وعثمان رضى الله عنهما وهما بعُسْفان فى المتعة ، فقال علىّ : ما تريد إلى أن تَنْهى عن أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما رأى ذلك علىّ بن أبى طالب أَهلَّ بهما جميعا .

ورواه مسلم من حديث شعبة أيضا ، عن الحكم بن عُيينة ، عن على بن الحسين ، عن مروان بن الحكم عنهما به . وقال على : ما كنت لِأَدَع سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحدٍ من الناس .

ورواه مسلم من حديث شعبة أيضا ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شَقِيق ، عنهما . فقال له على : لقد علمتَ إنما تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أجل ، ولكنا كنا خائفين .

وأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث غُنْدَر ، عن شعبة ، وعن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة ، عن مسلم بن مخراق القُرِّى[1] ، سمع ابن عباس يقول : أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمرة وأهلَّ أصحابه بحج ، فلم يَحِلّ رسول الله ولا مَن ساق الهدْى من أصحابه وحلَّ بقيتهم .

فقد رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ، وروح بن عبادة عن شعبة ، عن مسلم القُرِّى ، عن ابن عباس ، قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج . وفى رواية أبى داود : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحج ، فمن كان منهم لم يكن له متعةُ هَدْىٍ حَلَّ ، ومن كان معه هدى لم يحل . الحديث .

(١) الأصل : المقرى . وهو تحريف ، وما أثبته عن صحيح مسلم ٤ / ٥٦ .

فإن صَحَّحنا الروايتين جاء القِرانُ ، وإن توقَّفْنا فى كل منهما وقف الدليل ، وإن رجحنا روايةَ مسلم فى صحيحه فى رواية العمرة ، فقد تقدم عن ابن عباس أنه رَوى الإفراد وهو الإحرام بالحج ، فتكون هذه زيادةً على الحج ، فيجىء القول بالقران ، لاسيما وسيأتى عن ابن عباس ما يدل على ذلك .

وروى مسلم من حديث غُنْدَر ومعاذ بن معاذ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله قال : هذه عمرةٌ استمتعنا بها ، فمن لم يكن معه هَدْى فليحل الحلَّ كله ، فقد دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة .

وروى البخارى عن آدم بن أبى إياس ، ومسلم من حديث غُنْدَر ، كلاهما عن شعبة ، عن أبى جَمْرة[١] ، قال : تمتعتُ فنهانى ناسٌ فسألت ابن عباس فأمرنى بها ، فرأيت فى المنام كأن رجلا يقول [لى[٢]] : حجٌّ مبرور ومُتْعة[٣] متقبَّلة ، فأخبرت ابن عباس فقال : الله أكبر ! سُنة أبى القاسم صلوات الله وسلامه عليه .

والمراد بالمتعة هاهنا القِران .

* * *

وقال القَعْنَبىّ وغيره ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبى وقاص والضحاك بن قيس عامَ حجَّ معاويةُ بن أبى سفيان يذكر التمتّع بالعمرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمرَ الله . فقال سعد : بئس ما قلتَ يابن أخى .

---

(١) هو نصر بن عمران الضبعى ، كما فى صحيح البخارى .

(٢) من صحيح البخارى .

(٣) صحيح البخارى : وعمرة . القسطلانى ٣/١٣٤ .

فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان يَنْهى عنها . فقال سعد : قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه .

ورواه الترمذى والنسائى عن قتيبة ، عن مالك . وقال الترمذى : صحيح .

وقال عبد الرزاق ، عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان التَّيمى ، حدثنى غُنيم بن قيس ، سألت سعد بن أبى وقاص : عن التمتع بالعمرة إلى الحج قال : فعلتُها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافرٌ فى العُرش - يعنى مكة - ويعنى به معاوية .

ورواه مسلم من حديث شعبة وسفيان الثورى ويحيى بن سعيد ومروان الفزَارى ، أربعتهم عن سليمان التَّيْمى ، سمعت غُنيمَ بن قيس ، سألت سعدا عن المتعة فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعُرش .

وفى رواية يحيى بن سعيد - يعنى معاوية -

وهذا كله من باب إطلاق التمتع على ماهو أعم من التمتع الخاص وهو الإحرام بالعمرة والفراغ منها ثم الإحرام بالحج ومن القران ، بل كلام سعدٍ فيه دلالة على إطلاق التمتع على الاعتمار فى أشهر الحج ، وذلك أنهم اعتمروا ومعاوية بعدُ كافرٌ بمكة قبل الحج ، إما عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه ، فأما عمرة الجِعْرانة فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلة الفتح ، وروينا أنه قَصَّر من شعر النبىِّ صلى الله عليه وسلم بِمِشْقَص فى بعض عُمَره ، وهى عمرة الجِعْرانة لا محالة . والله أعلم .

ذكرُ حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارنًا ، وسَرْد الأحاديث فى ذلك

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قد تقدم مارواه البخارى من حديث أبى عمرو الأوزاعى ، سمعت يحيى بن أبى كَثير ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العَقِيق يقول : أتانى آتٍ من ربى عز وجل فقال : صَلِّ فى هـذا الوادى المبارَك وقل عُمرة فى حجة .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عمر بن حفص المقبُرى ببغداد ، أنبأنا أحمد بن سليمان ، قال : قرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع ، حدثنا أبو زيد الهرَوى، حدثنا على بن المبارك ، حدثنا يحيى بن أبى كثير ، حدثنا عكرمة ، حدثنى ابن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى جبرائيل عليه السلام وأنا بالعقِيق فقال : صلِّ فى هذا الوادى المبارك ركعتين . وقل : عُمْرة فى حِجّة ، فقد دخلت العمرةُ فى الحج إلى يوم القيامة .

ثم قال البيهقى : رواه البخارى عن أبى زيد الهرَوى .

وقال الإمام أحمد : حـدثنا هاشم ، حدثنا سَيَّار ، عن أبى وائل ، أن رجلا كان نصرانيا يقال له الصَّبىّ بن مَعْبَد ، فأراد الجهاد فقيل له : ابدأ بالحج ، فأتى الأشعرىّ فأمره أن يُهل بالحج والعمرة جميعا ، ففعل ، فبينما هو يلبِّى إذ مرَّ بزيد بن صُوحان وسَلمان بن ربيعة ، فقال أحـدهما لصاحبه : لَهذا أضلُّ من بعيرِ أهلِه . فسمعها الصبى فـكبُر ذلك عليه فلما قدِم أتى عمرَ بن الخطاب فذكر ذلك له . فقال له عمر : هُديتَ

لِسُنة نبيك صلى الله عليـه وسلم . قال : وسمعته مرةً أخرى يقول : وفِّقت لِسُنة نبيك صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القَطّان ، عن الأعمش ، عن شَقيق ، عن أبي وائل ، عن الصبيّ بن مَعْبَد ، عن عمر بن الخطاب فذكره . وقال : إنهما لم يقولا شيئا ، هُديتَ لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم .

ورواه عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثَّورى ، عن منصور ، عن أبى وائل به .

ورواه أيضا عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحكم عن أبى وائل وعن سفيان بن عُيينة عن عَبدة بن أبى لُبابة ، عن أبى وائل ، قال : قال الصبي بن مَعْبد : كنت رجلا نصرانيا فأسلمتُ ، فأهللتُ بحج وعمرة ، فسمعنى يزيد بن صُوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أُهلُّ بهما ، فقالا : لَهذا أَضلُّ من بعير أهله . فكأنما حُمل علىَّ بكلمتهما جبلٌ ، فقدمت على عمر فأخبرته ، فأقبل عليهما فلامَهما ، وأقبل علىّ فقال : هُديتَ لِسُنة النبى صلى الله عليه وسلم .

قال عَبْدة : قال أبو وائل : كثيرا ماذهبت أنا ومسروق إلى الصبيّ بن مَعْبَد نسأله عنه .

وهذه أسانيد جيّدة على شرط الصحيح . وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق ، عن أبى وائل شَقيق بن سلَمة به .

وقال النسائى فى كتاب الحج من سننه : حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شَقيق ، حدثنا أبى ، عن حَمْزة السكرى ، عن مُطَرِّف ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنه قال : والله إنى لَأنهاكم عن المُتْعة وإنها لفى كتاب الله وقد فعلها النبى صلى الله عليه وسلم .

إسناد جيد .

***

رواية أميرى المؤمنين : عثمان وعلى رضى الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : اجتمع على وعثمان بعُسْفان ، وكان عثمان يَنهى عن المتعة أو العمرة ، فقال علىّ : ماتريد إلى أمرٍ فعلَه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه ؟ فقال عثمان : دَعْنا منك .

هكذا رواه الإمام أحمد مختصراً .

وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : اختلف على وعثمان وهما بعُسْفان فى المتعة ، فقال : علىّ ماتريد إلى أن تَنْهَى عن أمرٍ فعلَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما رأى ذلك على بن أبى طالب أهلّ بهما جميعا .

وهكذا لفظ البخارى .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن على بن الحسين ، عن مروان بن الحكم ، قال : شهدتُ عثمانَ وعليًّا ، وعثمانُ يَنهى عن المتعة وأن يُجْمَع بينهما ، فلما رأى علىٌّ أهلَّ بهما : لَبَّيك بعُمرة وحج . قال : ما كنت لِأَدَعَ سُنّة النبى صلى الله عليه وسلم لقول أحد .

ورواه النسائى من حديث شعبة به ، ومن حديث الأعمش عن مسلم البطين ، عن على بن الحسين به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : قال عبد الله بن شَقِيق : كان عثمان ينهى عن المتعة وعلىٌّ يأمر بها ، فقال : عثمان لعلى : إنك

لـكذا وكذا . ثم قال عليّ : لقد علمتَ أنا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أجل ، ولـكنا كنا خائفين .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

فهذا اعتراف من عثمان رضى الله عنه بما رواه عليٌّ رضى الله عنهما ، ومعلوم أن عليًّا رضى الله عنه أَحْرَم عام حجة الوداع بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ساقَ الهدْىَ ، وأمره عليه السلام أن يمكث حَراما ، وأشركه النبي صلى الله عليه وسلم فى هديه . كما سيأتى بيانه .

وروى مالك فى الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن المِقْداد بن الأسود دخل على عليّ بن أبى طالب بالسُّقيا وهو يَنجع بَـكْرات له دقيقا وخَبَطاً (١) ، فقال : هذا عثمان ابن عفان يَنْهى عن أن يُقْرَن بين الحج والعمرة . فخرج عليٌّ وعَلَى يده أثَر الدقيق والخَبَط — ما أنسى أثرَ الدقيق والخبَط على ذراعيه — حتى دخل على عثمان فقال : أنت تَنْهى أن يُقْرَن بين الحج والعمرة ؟ فقال عثمان : ذلك رأيى . فخرج عليٌّ مُغْضَبا وهو يقول : لبيك اللهم لبيك بحجّة وعُمْرة معاً .

وقد قال أبو داود فى سننه : حدثنا يحيى بن مَعِين ، حدثنا حَجَّاج ، حدثنا يونس ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كنت مع عليّ حين أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن . فذكر الحديث فى قدوم عليٍّ .

قال علي : فقـال لى رسول الله صـلى الله عليـه وسلم : كيف صنعتَ ؟ قال : قلت : إنمـا أَهْللتُ بإهلال النبي صـلى الله عليـه وسلم . قال : إنى قد سُقْت الهدْىَ وقَرَنْتُ .

---

(١) البـكرات : الإبل الفتية . وينجع : يسقى . والخبط : ورق الشجر ينفض ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق وغيره ، ثم تسقاه الإبل .

وقد رواه النسائى من حديث يحيى بن مَعِين بإسناده ، وهو على شرط الشيخين .

وعلَّله الحافظ البيهقى بأنه لم يَذكر هذا اللفظ فى سياق حديث جابر الطويل .

وهذا التعليل فيه نظر ، لأنه قد روِى القِرَان من حديث جابر بن عبد الله . كما سيأتى قريبا . إن شاء الله تعالى .

وروى ابن حِبَّان فى صحيحه ، عن على بن أبى طالب ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وخرجت أنا من اليمن ، وقلت : لبَّيك بإهلالٍ كإهلال النبى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فإنى أهللتُ بالحج والعمرة جميعا .

* * *

رواية أنس بن مالك رضى الله عنه

وقد رواه عنه جماعة من التابعين ، ونحن نوردهم مرتَّبين على حروف المعجم .

بَكْر بن عبد الله المُزَنى عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا حُمَيد الطويل ، أنبأنا بكر بن عبد الله المزَنى ، قال سمعت أنس بن مالك يحدِّث ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبِّى بالحج والعمرة جميعا ، فحدثت بذلك ابنَ عمر ، فقال : لبىَّ بالحج وحدَه . فلقيتُ أنساً فحدثته بقول ابن عمر ، فقال : ما تَعدُّونا إلا صبياناً ! سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لبَّيك عمرةً وحجًّا .

ورواه البخارى عن مُسدَّد ، عن بِشْر بن الفضل ، عن حميد به . وأخرجه مسلم عن شُرَيح بن يونس ، عن هُشَيم به . وعن أمية بن بِسْطَام ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن حبيب بن الشهيد ، عن بكر بن عبد الله المزنى به .

* * *

ثابت البُنَانى عن أنس

قال الإمام أحمد حدثنا وَكِيع ، عن ابن أبى ليلى ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لبيك بعمرة وحِجّة معاً .

تفرّد به من هذا الوجه الحسن البصرى عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أَشْعث ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قدِموا مكةَ وقد لبّوا بحج وعمرة ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَما طافوا بالبيت وبالصّفا والمروة أن يَحِلّوا وأن يجعلوها عمرةً ، فكأن القوم هابُوا ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أنى سُقْت هدياً لأحْلَلتُ . فأحلّ القومُ وتمتّعوا .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدثنا الحسن بن قَزَعة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا أشعث ، عن الحسن ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلّ هو وأصحابه بالحج والعمرة ، فلما قدِموا مكة طافوا بالبيت وبالصّفا والمروة ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلُّوا فهابوا ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحِلّوا فلولا أن معى الهدْىَ لأحْلَلتُ . فحلوا حتى حَلُّوا إلى النساء .

ثم قال البزار : لانعلم رواه عن الحسن إلا أشعث بن عبد الملك .

***

حُمَيد بن تِيرُويَه الطّويل عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حميد ، سمعت أنساً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لبّيك بحج وعمرة وحج .

هذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ولا أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لكن رواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن هُشَيم ، عن يحيى بن أبى

إسحاق وعبد العزيز بن صُهَيب وحُميد ، أنهم سمعوا أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ بهما جميعا : لبَّيك عمرةً وحجا ، لبيك عمرة وحجا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يَعْمر بن بِشْر ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : ساقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدْنا كثيرة وقال : لبيك بعمرة وحج ، وإنى لَعند فخذ ناقته اليسرى .

تفرد به أحمد من هذا الوجه أيضا .

* * *

حُمَيد بن هِلال العدَوى البصْرى عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزَّار فى مسنده : حدثنا محمد بن المثَنَّى ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أيوب ، عن أبى قِلاَبة ، عن أنس بن مالك . ح . وحدثنا سلَمة بن شَبِيب ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن أيوب ، عن أبى قِلاَبة وحُميد بن هلال ، عن أنس ، قال : إنى ردْف أبى طلحة وإن ركبته لتمسُّ ركبةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبىِّ بالحج والعمرة .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

وقد تأوَّله البزَّار على أن الذى كان يلبىِّ بالحج والعمرة أبو طلحة . قال : ولم يُنْكِر عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا التأويل فيه نظر ولا حاجة إليه ، لمجىء ذلك من طُرق عن أنس ، كما مضى وكما سيأتى . ثم عَوْد الضمير إلى أقرب المذكورين أَوْلى ، وهو فى هذه الصورة أَقْوى دلالةً والله أعلم .

وسيأتى فى رواية سالم بن أبى الجعْد ، عن أنس ، صريحُ الردّ على هذا التأويل .

* * *

زيد بن أسلم عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : روى سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخى ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلَّ بحج وعمرة .

حدثناه الحسن بن عبد العزيز الجرَوى ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بِشْر بن بكر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس .

قلت : وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي بأبسط من هذا السياق ، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أنبأنا العباس بن الوليد بن يزيد ، أخبرنى أبى ، حدثنا شُعيب بن عبد العزيز ، عن زيد ابن أَسْلم وغيره ؛ أن رجلا أتى ابنَ عمر فقال : بِمَ أَهلَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابن عمر : أهلَّ بالحج فانصرف .

ثم أتاه من العام المقبل ، فقال : بمَ أهلَّ رسول الله ؟ قال : ألم تأتنى عامَ أول ؟ قال : بلى ، ولكن أنس بن مالك يزعم أنه قَرَن . قال ابن عمر : إن أنس بن مالك كان يَدخل على النساء وهن مُكشَّفات الرءوس، وإنى كنت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسُّنى لُعَابها أسمعه يلبيِّ بالحج .

***

سالم بن أبى الجَعْد الغَطفانى الكوفى عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيي بن آدم ، حدثنا شَرِيك ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن أنس بن مالك ، يرفعه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم : أنه جمَعَ بين الحج والعمرة ، فقال : لبَّيْك بعمرة وحِجة معاً .

حَسنٌ ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عَوَانة ، حدثنا عثمان بن المغيرة ،

عن سالم بن أبي الجعد ، عن سعد مولى الحسن بن علي ؛ قال : خرجنا مع علي فأتينا ذا الحُلَيفة فقال علي : إني أريد أن أجمع بين الحج والعمرة ، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول ، ثم لبّى قال : لبيك بحجة وعُمرة معاً .

قال : وقال سالم : وقد أخبرني أنس بن مالك ، قال : والله إن رجلي لتمسُّ رجلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليُهل بهما جميعا .

وهذا أيضا إسناد جيد من هذا الوجه ولم يخرجوه .

وهذا السياق يردّ على الحافظ البزّار ما تأوّل به حديثَ حُميد بن هلال ، عن أنس كما تقدم والله أعلم .

* * *

سليمان بن طَرْخان التَّيْمي عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يحيي بن حبيب بن عربي ، حدثنا المُعتَمِر بن سليمان ، سمعت أبي يحدِّث عن أنس بن مالك ، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يلبِّي بهما جميعا .

ثم قال البزار : لم يَرْوه عن التَّيمي إلا ابنه المعتمِر ، ولم يسمعه إلا من يحيي بن حبيب العربي عنه .

قلت : وهو على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

* * *

سُوَيد بن حُجَير عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي قَزَعة سُوَيد بن حُجَير ، عن أنس بن مالك ، قال : كنت رَدِيف أبي طلحة ، فكانت رُكْبة أبي طلحة تكاد أن تصيب ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهلُّ بهما .

وهذا إسناد جيد ، تفرد به أحمد ولم يخرجوه . وفيه ردٌّ على الحافظ البزار صريح .

* * *

عبد الله بن زيد أبو قِلَابة الجَرْمِيّ عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن أيوب ، عن أبى قِلَابة ، عن أنس ، قال : كنت رَدِيف أبى طلحة وهو يساير النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فإنّ رِجْلى لتمسُّ غَرْز النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتُه يلبِّي بالحج والعمرة معا .

وقد رواه البخارى من طرق ، عن أيوب ، عن أبى قِلَابة ، عن أنس ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهرَ بالمدينة أربعا والعصر بذى الحُلَيفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب راحلته حتى استوت به على البَيْداء حمد الله وسبح وكبَّر ، وأهلَّ بحج وعمرة وأهلَّ الناس بهما جميعا.

وفى رواية له : كنت رَدِيف أبى طلحة وإنهم ليصرخون بهما جميعا ، الحج والعمرة.

وفى رواية له عن أيوب ، عن رجل ، عن أنس ، قال : ثم بات حتى أَصْبَح فصلى الصبح ، ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البيداء أهلَّ بعمرة وحج .

عبد العزيز بن صُهَيب :

تقدمت روايته عنه مع رواية حُمَيد الطويل عنه ، عند مسلم .

* * *

على بن زيد بن جُدْعان عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزَّار : حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثنا على بن حكيم ، عن شَرِيك ، عن على بن زيد ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّى بهما جميعا .

هذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجه أحد من أصحاب السنن وهو على شرطهم .

قَتادة بن دعَامة السَّدُوسِيّ عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز وعبدالصمد المعْنِيّ ، قالا : حدثنا همَّام بن يحيي ، حدثنا قتادة ، قال : سألت أنسَ بن مالك قلت : كم حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حِجّة واحدة واعتمر أربعَ مرات ، عُمْرته زمنَ الُحدَيبية ، وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الِجعْرانة فى ذى القعدة حيث قَسم غنيمة حُنَين ، وعمرته مع حجته .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث همام بن يحيي به .

* * *

مُصْعَب بن سُلَيم الزُّبيرى مولاهم عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا مُصْعَب بن سُلَيم ، سمعت أنس بن مالك يقول : أهلَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحجة وعمرة .

تفرد به أحمد .

يحيي بن إسحاق الحضْرَمى عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، أنبأنا يحيي بن إسحاق وعبد العزيز بن صُهَيب وحُميد الطويل ، عن أنس ، أنهم سمعوه يقول : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلبِّي بالحج والعمرة جميعا يقول : لبيَّك عمرةً وحَجًّا ، لبيك عمرة وحجا .

وقد تقدم أن مُسْلما رواه عن يحيي بن يحيي ، عن هُشَيم به .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا عبد الأعلى ، عن يحيى ، عن أنس ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، قال : فسمعته يقول : لبيَّك عمرة وحجًّا .

* * *

أبوأسماء الصَّيقَل عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زُهَير . وحدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا

زهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى أسماء الصَّيْقل ، عن أنس بن مالك ، قال : خرجنا نَصْرخ بالحج ، فلما قدِمنا مكة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعلها عُمْرة . وقال : لو استقبلتُ من أمْرى ما استدبرتُ لجعلتها عمرةً ، ولكنى سُقْت الهدى وقرنت الحج بالعمرة .

ورواه النسائى ، عن هَنَّاد ، عن أبى الأحْوص ، عن أبى إسحاق ، عن أبى أسماء الصَّيْقَل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بهما .

***

أبو قُدَامة الحنَفى ، ويقال : إن اسمه محمد بن عبيد ، عن أنس :

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا شعبة ، عن يونس بن عبيد ، عن أبى قُدَامة الحنفى ، قال : قلت لأنس بأىّ شىء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبِّى ؟

فقال : سمعته سبعَ مرات يلبى بعمرة وحجة .

تفرد به الإمام أحمد ، وهو إسناد جيد قوى ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

وروى ابن حِبَّان فى صحيحه ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرَن بين الحج والعمرة وقرن القومُ معه .

***

وقد أورد الحافظ البيهقى بعض هذه الطرق عن أنس بن مالك ، ثم شرع يعلل ذلك بكلام فيه نظر .

وحاصله أنه قال : والاشتباه وقَع[1] لأنس لا لمن دونه ، ويحتمل أن يكون سمعه

(١) ا : رجم .

صلى الله عليه وسلم يعلمّ غيره كيف يُهِلُّ بالقِرَان لا أنه يُهِلّ بهما عن نفسه والله أعلم .

قال : وقد روى ذلك عن غير أنس بن مالك وفى ثبوته نظر .

قلت : ولا يخفَى ما فى هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمّله ، وربما أنه كان ترْكُ هذا الكلام أولى منه ، إذ فيه تطرُّق احتمال إلى حِفظ الصَّحابى مع تواتره عنه ، كما رأيت آنفا ، وفتح هذا يُفْضى إلى محذور كبير . والله تعالى أعلم .

* * *

حديث البرَاء بن عازِب فى القِرَان .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن بِشْران ، أنبأنا على بن محمد المصرى ، حدثنا أبو غسَّان مالك بن يحيى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا زكريا بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق ، عن البَراء بن عازب ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمَر كلهن فى ذى القعدة . فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التى حج معها .

قال البيهقى : ليس هذا بمحفوظ . قلت : سيأتى بإسناد صحيح إلى عائشة نحوه .

رواية جابر بن عبد الله
رضى الله عنهما

قال الحافظ أبو الحسن الدارقُطْنى : أخبرنا أبو بكر بن أبى داود . ومحمد بن جعفر ابن رُميس والقاسم بن إسماعيل أبو عبيد وعثمان بن جعفر اللبَّان وغيرهم ، قالوا : حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى ، حدثنا زيد بن الُحبَاب ، حدثنا سفيان الثورى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث حِجج ، حجتين قبل أن يهاجر وحجة قَرَن معها عمرةً .

وقد روى هـذا الحديث الترمذى وابن ماجه ، من حديث سفيان بن سعيد الثورى به .

أما الترمذى فرواه عن عبد الله بن أبى زياد ، عن زيد بن الحباب ، عن سفيان به ثم قال : غريب من حديث سفيان ، لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحُبَاب . ورأيت عبد الرحمن بن عبد الرحمن ، يعنى الدارِمِىّ ، روى هذا الحديث فى كتبه عن عبد الله بن أبى زِياد ، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه ، ورأيته لا يعدُّه محفوظا . قال : وإنما روى عن الثَّورى عن أبى إسحاق ، عن مجاهد مرسَلاً .

وفى السنن الكبير للبيهقى قال أبو عيسى الترمذى : سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا الحديث فقال : هذا حديث خطأ وإنما روى هذا عن الثورى مرسلا .

قال البخارى : وكان زيد بن الحباب إذا روى خطأ ، ربما غلط فى الشىء .

وأما ابن ماجه فرواه عن القاسم بن محمد بن عبَّاد المهلَّبى ، عن عبد الله بن داود الخُرَيْبى[1] ، عن سفيان به . وهذه طريق لم يقف عليها الترمذى ولا البيهقى ، [وربما][2] ولا البخارى حيث تكلم فى زيد بن الحُبَاب ظانًّا أنه انفرد به وليس كذلك . والله أعلم .

* * *

طريق أخرى عن جابر :

قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قرَن الحجَّ والعمرة ، وطاف لهما طوافا واحدا .

---

(١) نسبة إلى الخريبة ، وهى محلة بالبصرة . توفى سنة ٢١١ . اللباب ١/٣٥٩ .

(٢) ليست فى ا .

ثم قال : هذا حديث حسن . وفى نسخة صحيح .

ورواه ابن حِبّان فى صحيحه عن جابر ، قال : لم يطُفْ النبي صلى الله عليه وسلم إلا طوافا واحداً لحجه ولعمرته .

قلت : حَجَّاج هذا هو ابن أَرْطَاة ، وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة . ولكن قد روى من وجه آخر ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله أيضا .

كما قال الحافظ أبو بكر البزّار فى مسنده : حدثنا مقدَّم بن محمد ، حدثنى عمى القاسم ابن يحيى بن مقدم ، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خُثَيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم فقرَن بين الحج والعمرة وساق الهدْىَ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقلِّد الهدْى فليجعلها عُمرةً .

ثم قال البزار : وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

انفرد بهذه الطريق البزار فى مسنده ، وإسنادها غريب جداً ، وليست فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه . والله أعلم .

رواية أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا حجاج ــ هو ابن أَرْطاة ــ عن الحسن ابن سعد ، عن ابن عباس ، قال : أخبرنى أبو طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحج والعمرة .

ورواه ابن ماجه عن على بن محمد ، عن أبى معاوية بإسناده ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرَن بين الحج والعمرة .

الحجاج بن أرطاة فيه ضعف والله أعلم .

رواية سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم

قال الإمام أحمد : حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا داود ـ يعنى ابن سُوَيد ـ سمعت عبدِ الملك الزرَّاد ، يقول : سمعت النزَّال بن سَبرة صاحب علىّ يقول : سمعت سُراقة يقول : سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم يقـول : دخلت العمرةُ فى الحج إلى يوم القيامة .

قال : وقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

رواية سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه تمتع بالحج إلى العمرة وهو القِرَان

قال الإمام مالك عن ابن شهـاب ، عن محمد بن عبـد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه حدثه أنه سمع سعدَ بن أبى وقاص ، والضحاكُ بن قيس عام حجَّ معاويةُ ابن أبى سفيان يَذْكر التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمرَ الله . فقال سعد : بئس ماقلتَ يابن أخى !

فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان يَنْهى عنهـا . فقـال سعد : قد صنعهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعنـاها معه .

ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن مالك به . وقال الترمذى : هـذا حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سليمان ـ يعنى التَّيمى ـ حدثنى غُنَيم ، قال سألت ابن أبى وقاص عن المتعـة فقال : فعلنـاها وهـذا كافر بالعرُش ـ يعنى معاوية ـ

هكذا رواه مختصراً .

---

(١) ا : زيد .

وقد رواه مسلم فى صحيحه ، من حديث سفيان بن سعيد الثورى وشعبة ومروان الفَزارى ويحيى بن سعيد القطَّان ، أربعتهم عن سليمان بن طرخان التَّيمى ، سمعت غُنَيم ابن قيس ، سألت سعد بن أبى وقاص عن المتعة فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعُرُش قال يحيى بن سعيد فى روايته – يعنى معاوية – .

ورواه عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان التيمى ، عن غنيم بن قيس ، سألت سعدا عن التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال : فعلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعُرش – يعنى مكة ويعنى به معاوية – .

وهذا الحديث الثانى أصح إسناداً ، وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً ، والأول صحيح الإسناد ، وهذا أصرح فى المقصود من هذا . والله أعلم .

رواية عبد الله بن أبى أوْفَى(١)

قال الطَّبرانى : حدثنا سعيد بن محمد بن المغيرة المصرى ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا يزيد بن عطاء ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى أوْفَى ، قال : إنما جَمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة لأنه علم أنه لم يكن حاجًّا بعد ذلك العام .

رواية عبد الله بن عباس فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النَّضر ، حدثنا داود – يعنى القَطَّان – عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القَضاء والثالثة من الجِعْرانة ، والرابعة التى مع حجته .

وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من طرق عن داود بن عبد الرحمن العطار

(١) سقط من ا .

المكى ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس به ، وقال الترمذى : حسن غريب . ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفيان بن عُيَينة ، عن عمرو ، عن عكرمة مرسلا .

ورواه الحافظ البيهقى من طريق أبى الحسن علىّ بن عبد العزيز البغوى ، عن الحسن بن الربيع وشهاب بن عباد ، كلاهما عن داود بن عبد الرحمن العطار . فذكره . وقال : والرابعة التى قَرن مع الحجة .

ثم قال أبو الحسن على بن عبد العزيز : ليس أحد يقول فى هذا الحديث عن ابن عباس إلا داود بن عبد الرحمن . ثم حكى البيهقى عن البخارى أنه قال : داود بن عبدالرحمن صدوق ، إلا أنه ربما يتَّهم فى الشىء .

وقد تقدم ما رواه البخارى من طريق ابن عباس ، عن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العَقِيق : أتانى آتٍ من ربى فقال : صلِّ فى هذا الوادى المبارك وقل : عمرة فى حِجة . فلعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قد تقدم فيما رواه البخارى ومسلم من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سالم عن ابن عمر ، أنه قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهدَى فساق الهدْىَ من ذى الحلَيفة ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، وذكر تمام الحديث فى عدم إحلاله بعدَ السعى .

فعلم كما قررناه أولا أنه عليه السلام لم يكن متمتعا التمتع الخاص وإنما كان قارنا ، لأنه حكى أنه عليه السلام لم يكن متمتعا ، اكتفى بطواف واحد بين الصفا والمروة عن حجه وعمرته .

وهذا شأن القارن على مذهب الجمهور . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف طوافا واحداً لإقرانه ، لم يَحِلّ بينهما ، واشترى من الطريق – يعنى الهدى –

وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات ، إلا أن يحيى بن يمان وإن كان من رجال مسلم فى أحاديثه عن الثورى نكارة شديدة . والله أعلم .

ومما يرجِّح أن ابن عمر أراد بالإفراد الذى رواه إفرادَ أفعال الحج ، لا الإفراد الخاص الذى يشير إليه أصحاب الشافعى ، وهو الحج ثم الاعتمار بعده فى بقية ذى الحجة ، قولُ الشافعى : أنبأنا مالك ، عن صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، أنه قال : لأن أعتمر قبل الحج وأُهْدِى أحبُّ إلى من أن أعتمر بعد الحج فى ذى الحجة .

رواية عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد – يعنى الزُّبيرى – حدثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قرن خشية أن يُصد عن البيت وقال : إن لم يكن حِجة فعُمْرة .

وهذا حديث غريب سنداً ومتناً ، تفرد بروايته الإمام أحمد .

وقد قال أحمد فى يونس بن الحارث الثقفى هذا : كان مُضطَرب الحديث . وضَعَّفه وكذا ضعفه يحيى بن مَعين فى رواية عنه والنسائى .

وأما من حيث المتن فقوله : « إنما قَرن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خشيَة أن يُصدَّ عن البيت » فمن الذى كان يصده عليه السلام عن البيت وقد أطَّد[1] الله له الإسلامَ وفتح البلد الحرام ، وقد نودى برحاب منى أيام الموسم فى العام الماضى : أن لا يحجَّ بعدَ العام

(١) أطد : ثبت .

مُشْرِكٌ ولا يطوفن بالبيت عريان وقد كان معه عليه السلام فى حجة الوداع قريب من أربعين ألفا ، فقوله : «خشية أن يصد عن البيت» عجيب .

وما هذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعلى بن أبى طالب حين قال له على : لقد عَلمتَ انا تمتّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أجَل ولكنا كنا خائفين .

ولست أدرى عَلامَ يُحْمل هذا الخوف من أى جهة كان ! إلا أنه تضمَّن رواية الصحابى لما رواه وحملَه على معنى ظَنّه ، فما رواه صحيح مقبول ، وما اعتقده ليس بمعصوم فيه ، فهو موقوف عليه وليس بحجة على غيره ، ولا يلزم منه ردُّ الحديث الذى رواه . وهكذا قول عبد الله بن عمرو ، لو صح السند إليه . والله أعلم .

رواية عِمران بن حُصَين رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج ، قالا : حدثنا شُعبة عن حُميد بن هلال سمعت مُطَرِّفا قال : قال لى عِمران بن حُصَين : إنى محدِّثك حديثا عسى الله أن ينفعك به ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جَمَع بين حجة وعمرة ثم لم يَنْه عنه حتى مات ، ولم ينزل قرآن فيه يحرِّمه ، وإنه كان يسلِّم علىّ فلما اكتويتُ أمسَك عنى ، فلما تركته عاد إلىّ .

وقد رواه مسلم عن محمد بن المثنّى ومحمد بن بَشّار ، عن غُنْدَر ، وعن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، والنسائى عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث ، ثلاثتهم عن شعبة ، عن حُميد بن هلال ، عن مُطَرِّف ، عن عمران به .

ورواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبى عَروبة ، عن قَتادة ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة . الحديث .

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : حديث شُعبة ، عن حُميد بن هلال ، عن مُطرف صحيح . وأما حديثه عن قَتادة عن مُطرف فإنما رواه عن شعبة كذلك بَقِيّةُ بن الوليد . وقد رواه غُنْدَر وغيره عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة .

قلت : وقد رواه أيضاً النسائي في سننه ، عن عمرو بن عليّ الفَلاَّس ، عن خالد بن الحارث ، عن شعبة . وفي نسخة عن سعيد بدل شعبة ، عن قتادة ، عن مُطرف ، عن عمران ابن الحصين فذكره . والله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث همَّام عن قتادة عن مُطرف عن عمران بن الحصين قال : تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرِّمه ولم ينه عنها حتى مات صلى الله عليه وسلم .

رواية الهِرْماس بن زِياد الباهِليّ

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن عمران بن علي أبو محمد من أهل الري ، وكان أصله أصبهانيا ، حدثنا يحيى بن الضَّرِيس ، حدثنا عِكرمة بن عمار ، عن الهِرْماس ، قال : كنت رِدْف أبي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وهو يقول : « لبَّيك بحجة وعمرة معاً » .

وهذا على شرط السُّنن ، ولم يخرجوه .

رواية حَفْصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن نافع عن ابن عمر ، عن حفصة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : مالك لم تَحِلّ من عمرتك ؟ قال : « إني لَبَّدتُ رأسي وقَلَّدت هديي ، فلا أَحِلّ حتى أَنْحر » .

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك وعبيد الله بن عمر . زاد البخاري

وموسى بن عُقبة . زاد مسلم : وابن جريج ، كلهم عن نافع عن ابن عمر به .

وفى لفظهما أنها قالت : يارسول الله ماشأنُ الناس حَلُّوا من العمرة ولم تَحلّ أنت من عمرتك ؟ فقال : « إنى قَلَّدت هَـدْيى ولَبَّدت رأسى ، فلا أحلّ حتى أنحر » .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا شعيب بن أبى حمزة ، قال : قال نافع : كان عبدالله ابن عمر يقول : أخبرتْنا حفصةُ زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه أن يَحْلِلْن عامَ حجة الوداع . فقالت له فلانة : مايمنعك أن تَحلّ؟ قال : « إنى لَبَّدت رأسى وقَلَّدتُ هَدْيى ، فلست أَحِلّ حتى أَنْحر هَدْيى » .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى ، عن أبى إسحاق ، حدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، أنها قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يَحْللن بعمرة ، قلْن : فما يمنعك يارسول الله أن تَحل معنا ؟ قال : « إنى أهديتُ ولبَّدت ، فلا أحل حتى أنحر هديى » .

ثم رواه أحمد عن كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة . فذكره .

فهذا الحديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متلبساً بعمرة ولم يَحلّ منها، وقد علم بما تقدم من أحاديث الإفراد أنه كان قد أهل بحج أيضاً ، فدل مجموع ذلك أنه قارنٌ ، مع ماسلف من رواية من صرح بذلك . والله أعلم .

رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها

قال البخارى : حدثنا عبدالله بن مَسْلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجة الوداع فأهْلَلنا بعُمرة . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كان معه هَدْى

فليهلّ بالحج مع العمرة ، ثم لا يَحل حتى يحل منهما جميعا ، فقدِمتُ مكة وأنا حائض ، فلم أَطُفْ بالبيت ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انقُضى رأسك وامتشِطى وأَهِلِّى بالحج ودَعِى العمرة . ففعلتُ .

فلما قضيتُ الحجّ أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبدالرحمن بن أبى بكر إلى التَّنعيم ، فاعتمَرْت . فقال : هذه مكانَ عمرتك .

قالت : فطاف الذين كانوا أهَلُّوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم حَلُّوا ، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منًى ، وأما الذين جَمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحداً .

وكذلك رواه مسلم من حديث مالك ، عن الزهرى فذكره .

ثم رواه عن عبد بن حُميد ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ حجة الوداع ، فأهْلَلتُ بعمرة ، ولم أكن سُقْت الهدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه هَدى فليهل بالحج مع عمرته لا يحل حتى يحل منهما جميعا . وذكر تمام الحديث كما تقدم .

والمقصود من إيراد هذا الحديث هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه هَدْى فليهل بحج وعمرة » .

ومعلوم أنه عليه السلام قد كان معه هدى ، فهو أول وأَوْلى من ائتمر بهذا ، لأن المخاطِب داخل فى عموم متعلّق خطابه على الصحيح .

وأيضا فإنها قالت : « وأما الذين جَمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً » يعنى بين الصفا والمروة . وقد روى مسلم عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما

طاف بين الصفا والمروة طوافا واحداً ، فعلِم من هذا أنه كان قد جمع بين الحج والعمرة .

وقد روى مسلم من حديث حماد بن زيد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : فكان الهدى مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وذوى اليسَار .

وأيضا فإنها ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحلَّل من النُّسكين ، فلم يكن متمتعا ، وذكرت أنها سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُعْمِرها من التنعيم . وقالت : يارسول الله ينطلقون بحج وعمرة وأنطلق بحج ! فبعثها مع أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر فأعْمَرها من التنعيم .

ولم يُذْكر أنه عليه السلام اعتمر بعد حجته ، فلم يكن مُفْرِداً ، فعُلم أنه كان قارنا ، لأنه كان باتفاق الناس قد اعتمر فى حجة الوداع . والله أعلم .

* * *

وقد تقدم مارواه الحافظ البيهقى من طريق يزيد بن هارون ، عن زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، أنه قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عُمَر كلهن فى ذى القعدة ، فقالت عائشة : لقد عَلِم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التى حَجَّ معها

وقال البيهقى فى الخِلاَفيات : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا أبو محمد ابن حَسَّان الأصبهانى ، أنبأنا إبراهيم بن شَريك ، أنبأنا أحمد بن يونس ، حدثنا زُهَير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد عَلِم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى العمرة التى قَرَنها مع حجة الوداع .

ثم قال البيهقى : وهذا إسناد لابأس به ، لكن فيه إرسال . مجاهد لم يسمع من عائشة فى قول بعض المحدثين .

قلت : كان شعبة يُنْـكره ، وأما البخارى ومسلم فإنهما أثبتاه . والله أعلم .

وقد رُوى من حديث القاسم بن عبد الرحمن بن أبى بكر وعروة بن الزبير وغير واحـد عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه الهَدْى عام حجة الوداع . وفى إعمارها من التنعيم ومصادفتها له منهبطاً على أهل مكة وبيتوته بالمحصَّب حتى صلى الصبح بمكة ثم رجع إلى المدينة .

وهذا كله مما يدل على أنه عليه السلام لم يعتمر بعد حجته تلك ، ولم أعلم أحداً من الصحابة نقـله .

ومعلوم أنه لم يتحلَّل بين النُّسـكين ، ولا روى أحدٌ أنه عليه السلام بعـد طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة حلَق ولا قصَّر ولا تحلل ، بل استمر على إحرامه باتفاق ، ولم يُنقل أنه أهلَّ بحج لما سار إلى منًى ، فعلم أنه لم يكن متمتعا .

وقد اتفقوا على أنه عليه السلام اعتمر عام حجة الوداع فلم يتحلل بين النسكين ولا أنشأ إحراما للحج ولا اعتمر بعـد الحج ، فلزم القِرانُ . وهذا مما يَعْسر الجواب عنـه والله أعلم .

وأيضا فإن رواية القِران مُثْبِتة لما سكت عنه أو نفاه من رَوى الإفراد والتمتع، فهى مقدَّمة عليها ، كما هو مقرر فى علم الأصول .

وعن أبى عمران أنه حج مع مَواليه ، قال : فأتيت أمّ سلمة فقلت : ياأم المؤمنين إنى لم أحج قط ، فأيهما أبدأ بالعمرة أم بالحج ؟ قالت : ابدأ بأيهما شئت .

قال : ثم أتيتُ صفيةَ أم المؤمنين فسألتها فقالت لى مثل ماقالت لى ، ثم جئت أم سلمة فأخبرتها بقول صفية فقالت لى أم سلمة : سمعتُ رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « ياآل محمد من حَجَّ منـكم فليُهلّ بعمرة فى حِجة » .

رواه ابن حِبان فى صحيحه ، وقد رواه ابن حزم فى حجة الوداع من حديث الليث ابن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم ، [عن][1] أبى عمران ، عن أم سلمة به .

---

(١) ليست فى ا .

فصـــل

إن قيل : قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه السلام أَفْرد الحج ، ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنه جمع بين الحج والعمرة ، فما الجمع من ذلك ؟

فالجوب : أن ر‍ ‍ من روى أنه أَفْرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج ، ودخلت العمرة فيه نيةً وفعلا ووقتاً .

وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنها ، كما هو مذهب الجمهور فى القارن خلافا لأبى حنيفة رحمه الله ، حيث ذهب إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ، واعتمد على ماروى فى ذلك عن على بن أبى طالب وفى الإسناد إليه نظر .

وأما من رَوى التمتع ثم روى القِران ، فقد قدمنا الجواب عن ذلك ، بأن التمتع فى كلام السلف أعمُّ من التمتع الخاص والقِران ، بل ويُطْلقونه على الاعتمار فى أشهر الحج وإن لم يكن معه حج . كما قال سعد بن أبى وقاص : تمتَّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا — يعنى معاوية — يومئذ كافر بالعُرش — يعنى بمكة .

وإنما يريد بهذا إحدى العمرتين ، إما الحديبية أو القضاء ، فأما عمرة الجِعْرانة فقد كان معاوية قد أسلم ، لأنها كانت بعد الفتح ، وحجة الوداع بعد ذلك سنة عشر ، وهذا بَيِّن واضح . والله أعلم .

فصل

إن قيل : فما جوابكم عن الحديث الذى رواه أبو داود الطَّيالسى فى مسنده : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أبى شَيْخ الهُنَائى [1] ، واسمه حَيْوان بن خالد ، أن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

(١) فى المشتبه ١/٢٧٩ : السبائى .

عن صُفَف[1] النمور ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وأنا أشهد . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لُبس الذهب إلا مُقطَّعا[2] ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يُقْرَن بين الحج والعمرة قالوا : اللهم لا . قال: والله إنها لمعهن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أبى شَيْخ الهُنَائى ، قال : كنت فى ملأٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند معاوية فقال معاوية : أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله نهَى عن جلود النمور أن يُركب عليها ؟ قالوا : اللهم نعم . قال: وتعلمون أنه نَهى عن لباس الذهب إلا مقطَّعا ؟قالوا : اللهم نعم. قال :وتعلمون أنه نهى عن الشرب فى آنية الذهب والفضة ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى عن المُتْعة ؟ — يعنى مُتْعة الحج — قالوا : اللهم لا .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى شيخ الهُنَائى ، أنه شهد معاوية وعنده جَمْع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم معاوية : أتَعلمون أن رسول الله نَهى عن ركوب جلود النمور ؟ قالوا : نعم . قال : تعلمون أن رسول الله نَهى عن لبس الحرير ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله نهى أن يُشْرب فى آنية الذهب والفضة ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله نهى عن جمع بين حج وعمرة ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فو الله إنها لمعهن .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن قتادة ، وزاد : ولكنكم نَسيتم .

وكذا رواه أَشْعث بن نِزار وسعيد بن أبى عَرُوبة وهمَّام عن قتادة بأصله ورواه مَطر الورَّاق وبُهَيس بن فهْدان ، عن أبى شيخ ، فى متعة الحج .

* * *

(١) الصفف : جمع صفة ، وهى ما يفرش تحت السرج .

(٢) المقطع : الشىء اليسير منه كالحلقة . النهاية ٣/٢٩٦ .

فقد رواه أبو داود والنسائى من طرق عن أبى شيخ الهُنَائى به ، وهو حديث جيد الإسناد .

ويُستغرب منه رواية معاوية رضى الله عنه النَّهى عن الجمع بين الحج ، والعمرة .

ولعل أصل الحديث النهى عن المتعة ، فاعتقد الراوى أنها مُتْعة الحج وإنما هى متعة النساء ، ولم يكن عند أولئك الصحابة رواية فى النهى عنها .

أو لعل النهى عن الإقران(١) فى التمر ، كما فى حديث ابن عمر ، فاعتقد الراوى أن المراد القِران فى الحج ، وليس كذلك .

أو لعل معاوية رضى الله عنه إنما قال : أتعلمون أنه نُهِى عن كذا ، فبناه بما لم يسمَّ فاعله ، فصرَّح الراوى بالرفع إلى النبى ﷺ ، ووهم فى ذلك ، فإن الذى كان يَنْهى عن متعة الحج إنما هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يكن نَهْيه عن ذلك على وجه التحريم والحَتْم ، كما قدمنا . وإنما كان يَنْهى عنها لتُفْرَد عن الحج بسفَر آخر ، لتكثر زيارة البيت .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يهابونه كثيراً ، فلا يتجاسرون على مخالفته غالبا ، وكان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له : إن أباك كان ينهى عنها . فيقول : لقد خشيتُ أن تقع عليكم حجارةٌ من السماء ! قد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفسُنّة رسول الله تُتّبع أو سنة عمر بن الخطاب ؟ !

وكذلك كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يَنْهى عنها ، وخالفه على بن أبى طالب كما تقدم ، وقال : لا أدَع سُنةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس .

وقال عِمران بن حُصَين : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن

---

(١) الإقران : الجمع بين التمرتين فى الأكل .

يحرّمه ولم ينْه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات .

أخرجاه فى الصحيحين .

وفى صحيح مسلم عن سعد ، أنه أنكر على معاوية إنكارَه المتعة وقال : قد فعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعُرش . يعنى معاوية ، أنه كان حين فعلوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً بمكة يومئذ .

قلت : وقد تقدم أنه عليه السلام حج قارنا بما ذكرناه من الأحاديث الواردة فى ذلك ، ولم يكن بين حجة الوداع وبين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحدٌ وثمانون يوما .

وقد شهد الحجة ما يُنيف عن أربعين ألف صحابى قولا منه وفعلا ، فلو كان قد نهى عن القران فى الحج الذى شهده منه الناس لم ينفرد به واحد من الصحابة ويرده عليه جماعة منهم ممن سمع منه ومن لم يسمع .

فهذا كله مما يدل على أن هذا هكذا ليس محفوظا عن معاوية رضى الله عنه . والله أعلم .

* * *

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى حَيْوة ، أخبرنى أبو عيسى الخراسانى ، عن عبد الله بن القاسم الخراسانى ، عن سعيد بن المسيّب ، أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى قُبض فيه يَنْهى عن العُمْرة قبل الحج .

وهذا الإسناد لا يخلو عن نظر . ثم إن كان هذا الصحابى عن معاوية ، فقد تقدم الكلام على ذلك ، ولكن فى هذا النهى عن المتعة لا القِرَان . وإن كان عن غيره فهو مُشْكل فى الجملة ، لكن لا على القِران . والله أعلم .

ذكر مُسْتَنَد من قال إنه عليه الصلاة والسلام أَطْلقَ الإِحرام

ولم يعيِّن حجًّا ولا عُمرة أولا ، ثم بعد ذلك صرَفه إلى معيَّن .

وقد حُـكى عن الشافعى أنه الأفضل ، إلا أنه قول ضعيف .

قال الشافعى رحمه الله : أنبأنا سفيان ، أنبأنا ابن طاوس وإبراهيم بن مَيْسَرة وهشام ابن حُجَير ، سمعوا طاوساً يقول : خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم من المدينة لا يسمِّى حجاً ولا عمرة ينتظر القضاء ، فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة ، فأمر أصحابه من كان منهم أهلَّ بالحج ولم يكن معه هدى أن يجعلها عمرة ، وقال : « لو استقبلت من أمرى ما استَدْبرتُ لما سُقْت الهدْىَ ، ولـكن لبَّدتُ رأسى وسُقْت هديى فليس لى مَحِلٌ إلا محل هَدْيى » .

فقام إليه سُراقة بن مالك ، فقال : يارسول الله اقض لنا قضاء ، كأنما ولدوا اليوم ، أعُمْرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل للأبد ، دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » .

قال : فدخل علىٌّ من اليمن فسأله النبى صلى الله عليه وسـلم : بم أهْلَلْتَ ؟ فقال أحدهما : لبيَّك إهلال النبى صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : لبيَّك حِجة النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا مُرسَل عن طاوس وفيه غَرابة .

وقاعدة الشافعى رحمه الله أنه لا يَقْبل المرسل بمجرده حتى يَعْتضد بغيره ، اللهم إلا أن يكون عن كبار التابعين كما عوَّل عليه كلامه فى الرسالة ، لأن الغالب أنهم لا يُرْسِلون إلا عن الصحابة . والله أعلم .

وهذا المرسَل ليس من هـذا القَبيل ، بل هو مخالف للأحاديث المتقدمة كلها ، أحاديث الإفراد وأحاديث التمتع وأحاديث القِران ، وهى مُسْنَدة صحيحة كما تقدم ، فهى مقدَّمة عليه ، ولأنها مُثْبِتة أمراً نفاه هـذا المرسَل ، والمثبِت مقدَّم على النافى لو تـكافآ ، فـكيف والمسند صحيح ، والمرسل من حيث [هو] لا ينهض حجة لانقطاع سنده . والله تعالى أعلم .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا العباس بن محمد الدُّورىّ ، حدثنا مُحاضِر ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكر حجا ولا عمرة ، فلما قدِمنا أمرنا أن نَحلّ ، فلما كانت ليلة النَّفْر حاضت صفيةُ بنت حُيَىّ . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حَلْقَى عَقْرى[1] ! ما أراها إلا حابسَتكم » . قال : هل كنت طُفْتِ يومَ النحر ؟ قالت : نعم . قال : فانفِرى . قالت : قلت : يا رسول الله إنى لم أكن أهْلَلتُ . قال : « فاعتمِرى من التَّنْعيم » قال : فخرج معها أخوها . قالت : فلقِينا مُدْلجاً . فقال : موعدكِ كذا وكذا .

هكذا رواه البيهقى .

وقد رواه البخارى عن محمد ، قيل هو ابن يحيى الذُّهلى ، عن مُحاضِر بن المورِّع به . إلا أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكر إلا الحج .

وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة .

لـكن روى مسلم عن سُويد بن سعيد ، عن على بن مُسْهِر ، عن الأعمش ، عن

---

(١) حلقى عقرى : أى تعقر قومها وتحلقهم . والعقرى : الحائض . يضرب للتشاؤم .

إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكر حجاً ولاعُمْرة .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عنها ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا أنه الحج .

وهذا أصحُّ وأَثْبت . والله أعلم .

وفى رواية لها من هذا الوجه : خرجنا نلبِّى ولا نذكر حجا ولا عمرة . وهو محمول على أنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية ، وكانوا قد سمَّوه حال الإحرام ، كما فى حديث أنس : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لبَّيك اللهم حجًّا وعمرة » وقال أنس : وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً .

فأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث داود بن أبى هند ، عن أبى نَضْرة ، عن جابر وأبى سعيد الخدرى ، قالا : قدِمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَصْرخ بالحج صُراخا . فإنه حديث مُشْكل على هذا . والله أعلم .

ذكر تَلْبية رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشافعى : أخبرنا مالك ، عن نافع عن عبد الله بن عمر ، أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبَّيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمدَ والنعمة لك ، والملك لك ، لا شريك لك » .

وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها : لبيك لك وسَعْديك ، والخير فى يديك ، لبيك والرّغباء إليك والعمل .

ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، كلاهما عن مالك به .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن عبَّاد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عُقْبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، [و]عن نافع مولى عبد الله بن عمر وحمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا استوتْ به راحلته قائمةً عند مسجد ذى الحُلَيفة أهلّ فقال : « لبَّيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمدَ والنعمة لك ، والملك لك ، لا شريك لك » .

قالوا : وكان عبد الله يقول : هذه[(1)] تلبية رسول الله . قال نافع : وكان عبد الله يزيد مع هذا : لبيك لبيك ، لبيك وسَعْدَيك والخيرُ بيديك والرّغباء إليك والعمل .

حدثنا محمد بن المثنّى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله ، أخبرنى نافع ، عن ابن عمر ، قال : تلقَّفْتُ التلبيةَ من [فى] رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر بمثل حديثهم .

حدثنى حَرْملة بن يحيى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا يونس ، عن ابن شِهاب ، قال : فإن[(2)] سالم بن عبد الله بن عمر أخبرنى عن أبيه ، قال سمعتُ رسول الله صلى الله

(1) الأصل : فى تلبية ، وما أثبته عن مسلم . (2) الأصل : قال ، وما أثبته عن مسلم .

عليه وسلم يُهلُّ ملبِّداً يقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » لا يزيد على هؤلاء الكلمات .

وإن عبد الله بن عمر كان يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرْكع بذى الحُلَيفة ركعتين ، فإذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلّ بهؤلاء الكلمات .

وقال عبد الله بن عمر : كان عمر بن الخطاب يُهلّ بإهلال النبى صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكلمات ، وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسَعْديك والخيرُ فى يديك لبيك والرَّغْباء إليك والعمل .

هذا لفظ مسلم ، وفى حديث جابر من التلبية كما فى حديث ابن عمر ، وسيأتى مطولا قريباً ، رواه مسلم منفرداً به .

* * *

وقال البخارى بعد إيراده من طريق مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ماتقدم : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن أبى عطية ، عن عائشة ، قالت : إنى لأعلم كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبِّى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك » .

تابعَه أبو معاوية عن الأعمش . وقال شُعبة : أخبرنا سليمان ، سمعت خَيْثمة ، عن أبى عطية ، سمعت عائشة .

تفرَّد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مَهْدى ، عن سفيان الثورى ، عن سليمان ابن مهران الأعمش ، عن عمارة بن عُمَير ، عن أبى عطية الوادِى ، عن عائشة . فذكر مثل مارواه البخارى سواء .

ورواه أحمد عن أبى معاوية ، وعبد الله بن نُمَير ، عن الأعمش ، كما ذكره البخارى سواء. ورواه أيضاً عن محمد بن جعفر ورَوْح بن عبادة ، عن شعبة ، عن سليمان بن مهران الأعمش به كما ذكره البخارى . وكذلك رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة سواء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فُضَيل ، حدثنا الأعمش ، عن عمارة بن عُمير ، عن أبى عطية ، قال قالت عائشة : إنى لأعلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبِّى . قال : ثم سمعتها تلبّى فقالت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

فزاد فى هذا السياق وحده : والملك لا شريك لك .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكَم أنبأنا ابن وهب ، أخبرنى عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة أن عبد الله بن الفضل حدثه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة ، أنه قال : كان من تَلْبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبَّيك إله الحق » .

وقد رواه النسائى عن قتيبة ، عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن عبد العزيز بن أبى سَلمة وابنُ ماجه عن أبى بكر بن أبى شَيبة ، وعلى بن محمد ، كلاهما عن وَكيع ، عن عبد العزيز به. قال النسائى : ولا أعلم أحدا أسنده عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز . ورواه إسماعيل بن أمية مرسَلا .

وقال الشافعى : أنبأنا سعيد بن سالم القدّاح ، عن ابن جُريج ، أخبرنى حُميد الأعرج ، عن مجاهد ، أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يُظْهر من التَّلبية : لبيك اللهم لبيك . فذكر التلبية .

قال : حتى إذا كان ذات يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ماهو فيه ، فزاد فيها : لبّيك إن العيشَ عيشُ الآخرة .

قال ابن جريج : وحسبتُ أن ذلك يومَ عرفة .

هذا مرسَل من هذا الوجه .

* * *

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو أحمد يوسف ابن محمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خُزيمة ، حدثنا نصر بن على الجَهْضَمى، حدثنا محبوب بن الحسن ، حدثنا داود ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطب بعرفات فلما قال : لبيك اللهم لبيك . قال : إنما الخيرُ خير الآخرة .

وهذا إسناد غريب ، وإسناده على شرط السُّنن ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أسامة بن زيد ، حدثنى عبد الله بن أبى لَبيد، عن المطَّلب بن عبد الله بن حَنْطَب ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرنى جبرائيل برفع الصوت فى الإهلال فإنه من شعائر الحج .

تفرد به أحمد .

وقد رواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن أبى لَبيد ، عن المطَّلب ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره .

وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا الثَّورى ، عن ابن أبى لَبيد ، عن المطَّلب بن حَنْطَب ، عن خَلَّاد بن السائب ، عن زيد بن خالد ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مُرْ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتّلْبية فإنها شِعَار الحج .

وكذا رواه ابن ماجه ، عن على بن محمد ، عن وَكيع ، عن الثورى به . وكذلك رواه شُعبة وموسى بن عُقبة ، عن عبد الله بن أبى لبيد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سُفيان ، عن عبد الله بن أبى لبيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حَنْطب ، عن خَلَّاد بن السائب ، عن زيد بن خالد الجُهَنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءنى جبرائيل فقال : يامحمد مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شِعار الحج .

* * *

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّى فى كتاب « الأطراف » : وقد رواه معاوية عن هشام ، وقَبِيصة ، عن سفيان الثورى ، عن عبد الله بن أبى لَبيد ، عن المطَّلب ، عن خلَّاد بن السائب ، عن أبيه ، عن زيد بن خالد به .

وقال أحمد : حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الملك ابن أبى بكر بن الحارث بن هشام ، عن خَلَّاد بن السائب بن خلاد ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أتانى جبرائيل فقال : مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالإهلال .

وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مهدى ، عن مالك . وحدثنا رَوْح ، حدثنا مالك ، يعنى ابن أنس ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الملك ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خلاد بن السائب الأنصارى ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أتانى جبرائيل فأمرنى أن آمر أصحابى — أو من معى — أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإهلال — يريد أحدَهما .

وكذلك رواه الشافعى عن مالك . ورواه أبو داود عن القَعْنَبىّ ، عن مالك به ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن جُرَيج ، والترمذى والنسائى وابن ماجه

من حديث سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبى بكر به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحافظ البيهقى : ورواه ابن جريج ، قال : كتب إلىّ عبدُ الله بن أبى بكر فذكره . ولم يذكر أبا خَلاّد فى إسناده .

قال : والصحيح رواية مالك وسفيان بن عُيينة ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الملك ، عن خلاّد بن السائب ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم كذلك .

قاله البخارى وغيره . كذا قال . وقد قال الإمام أحمد فى مسند السائب ابن خَلاّد بن سُويد أبى سَهْلة الأنصارى : حدثنا محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جُرَيج ، وحدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُريج ، قال : كتب إلىّ عبدُ الله بن أبى بكر محمد بن عمرو ابن حزم ، عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خَلاّد ابن السائب الأنصارى ، عن أبيه السائب بن خلاد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتانى جبرائيل فقال : إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتَّلبية والإهلال . وقال رَوْح : بالتلبية أو الإهلال .

قال : لا أدرى أيّنا ، وهل أنا أو عبد الله أو خَلاّد فى الإهلال أو التلبية .

هذا لفظ أحمد فى مسنده . وكذلك ذكره شيخنا فى أطرافه عن ابن جريج كرواية مالك وسفيان بن عيينة . فالله أعلم .

فصل

فى إيراد حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه
فى حِجّة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو وحده مَنْسِك مستقل ، رأينا أن إيراده هاهنا أنْسَب ، لتضمّنه التلبية وغيرها، كما سلف وما سيأتى .

فنورد طُرقه وألفاظه ، ثم نُتْبعه بشواهده من الأحاديث الواردة فى معناه . وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنى أبى ، قال : أتينا جابرَ بن عبد الله وهو فى بنى سَلَمة ، فسألناه عن حِجّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدّثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَكث فى المدينة تسعَ سنين لم يحجّ ، ثم أَذَّن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌّ فى هذا العام .

قال : فنزل المدينة بشرٌ كثير ، كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويفعل مايفعل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس(١) بقين من ذى القعدة ، وخرجنا معه حتى إذا أتى ذا الحليفة نُفِست أسماء بنت عُمَيس بمحمد بن أبى بكر ، فأرسلتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلى ثم اسْتَثْفِرى(٢) بثوب ، ثم أهِلِّى .

---

(١) ا : لعشر .

(٢) الاستثفار : أن يدخل إزاره بين فخذيه ملويا .

فخرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى إذا استوت به ناقته على البَيْداء أهلَّ بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . ولبَّى الناسُ ، والناس يزيدون : ذا المعارج ونحوه من الـكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يَسْمع فلم يقل لهم شيئا .

فنظرتُ مَدَّ بصرى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من راكب وماشٍ ، ومن خلفه كذلك ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن شماله مثل ذلك .

قال جابر : ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أَظْهرُنا ، عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله ، وماعمل به من شيء عملناه .

فخرجنا لا نَنْوى إلا الحجَّ ، حتى إذا أتينا الـكعبة فاستلم نبى الله صلى الله عليه وسلم الحجَر الأسود ، ثم رَمل ثلاثةً ومشى أربعة ، حتى إذا فرغ عَمد إلى مقام إبراهيم فصلَّى خلفه ركعتين ، ثم قرأ : « واتَّخِذُوا مِن مَقام إبراهيم مُصَلّى »(١) .

قال أحمـد : وقال أبو عبد الله ـ يعنى جعفر ـ : فقرأ فيهما بالتوحيـد وقل يأيها الـكافرون .

ثم استلم الحجَر وخرج إلى الصَّفا ثم قرأ : « إن الصَّفا والمروة من شعائر الله »(٢) . ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به . فرقَى على الصَّفا ، حتى إذا نَظر إلى البيت كبَّر ، ثم قال : « لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أَنْجَز وعدَه وصدق وعده وهَزم ـ أو غَلب ـ الأحزابَ وحده » ثم دعا . ثم رجع إلى هذا الـكلام .

ثم نزل حتى إذا انصبَّتْ قَدَماه فى الودى رَمل ، حتى إذا صعـد مشى ، حتى أتى المروة فرقَى عليها حتى نظر إلى البيت، فقال عليها كما قال على الصفا ، فلما كان السابع عند

---

(١) سورة البقرة ١٢٥ . (٢) سورة البقرة ١٥٨ .

المروة قال : يا أيها الناس إني لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ لم أسُقْ الهدْىَ ولجعلتها عمرةً ، فمن لم يكن معه هَدْى فليَحِلَّ وليجعلها عمرة . فحلَّ الناسُ كلهم .

فقال سراقة بن مالك بن جُعْشُم وهو في أسفل الوادى : يارسول الله ، ألِعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال : للأبد . ثلاث مرات . ثم قال : « دخلت العمرةُ في الحج إلى يوم القيامة » .

* * *

قال : وقدِم عليّ من اليمن بهَدْى وساق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه من هدى المدينة هدياً ، فإذا فاطمة قد حَلَّت ولبست ثياباً صَبِيغا واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها، فقالت : أمرنى به أبي . قال : علي بالكوفة : قال جعفر «قال» أى هذا الحرف لم يذكره جابر . فذهبت مُحرِّشا(١) أستفتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في الذى ذكرت فاطمةُ ، قلت : إن فاطمة لبست ثياباً صَبِيغا واكتحلت وقالت : أمرنى أبي . قال : صدقَتْ صدقت ، أنا أمرتُها به .

وقال جابر : وقال لعليّ : بم أهْلَلْتَ ؟ قال : قلت : اللهم إنى أُهِلُّ بما أهلَّ به رسولك . قال : ومعى الهدْى . قال : فلا تَحِلَّ .

قال : وكان جماعة الهدْىِ الذى أَتى به عليّ من اليمن والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائةً ، فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين ثم أعطى عليًّا فنحر ماغَبَر ، وأشركه في هَدْيه ، ثم أمر من كل بَدَنة ببَضْعة(٢) فجعلت في قِدْر ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد نحرتُ هاهنا ، ومنًى كلها مَنْحَر . ووقف

(١) محرشا : مغريا الرسول بمؤاخذتها .

(٢) البضعة : القطعة من اللحم .

بعرفة فقال : وقفتُ هاهنا ، وعرفةُ كلها مَوْقف . ووقف بالمزدلفة وقال : وقفت هاهنا ، والمزدلفة كلها مَوْقف .

* * *

هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث ، وقد اختصر آخره جداً .

ورواه الإمام مسلم بن الحجاج فى المناسك من صحيحه ، عن أبى بكر بن أبى شَيبة وإسحاق بن ابراهيم ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله فذكره .

وقد أَعْلَمنا فى الزيادات المتفاوتة من سياق أحمد ومسلم ، إلى قوله عليه السلام لعلى : صدقَتْ صدقت ، ماذا قلتَ حين فَرضْتَ الحج ؟ قال : قلت : اللهم إنى أُهلُّ بما أهلَّ به رسولك صلى الله عليه وسلم . قال : فإن معى الهدْىَ . قال : فلا تَحل . قال : فكان جماعة الهدْى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

قال : فحلَّ الناسُ كلهم وقصَّروا إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هَدْى .

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منًى فأهلُّوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة له من شعر فضربت له بنَمرة (١) .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشكُّ قريش إلا أنه (٢) واقفٌ عند المشْعَر الحرام كما كانت قريش تَصْنع فى الجاهلية ، فأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفةَ فوجد القبة قد ضُربت له بنَمرة ، فنزل بها .

---

(١) نمرة : موضع بجنب عرفات ، وليس منها .
(٢) إلا أنه : فى أنه . فإلا زائدة ، وإن فى موضع نصب على إسقاط الجار . والمشعر الحرام : جبل فى المزدلفة يقال له قزح .

حتى إذا زاغت[١] الشمسُ أمر بالقَصْواء فرحِّلت له ، فأتى بطنَ الوادى فخطب الناسَ وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحُرْمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمىّ موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضعُ من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث[٢] كان مُسْتَرْضَعاً فى بنى سعد فقتلته هُذَيل ، ورِبَا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه مِن رِبَانا رِبا العباسِ بن عبد المطلب فإنه موضوع كله .

واتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لم تَضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله . وأنتم تُسْألون عنى ، فما أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونَصحت وأدَّيت . فقال بإصبعه السَّبَّابة يرفعها إلى السماء ويَنْكتها[٣] على الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات . ثم أذَّن ثم أقام ، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقفَ فجعل بطنَ ناقته القَصْواء إلى الصَّخرات ، وجعل جَبَل المشاة[٤] بين يديه واستقبل القِبلة ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصُّفرة قليلا حتى غاب القُرص ، وأَرْدَف أسامة بن زيد خلفَه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شَنَق[٥] للقصواء الزمامَ حتى إن رأسها لَتصيب مَوْرِك[٦]

---

(١) زاغت : مالت .
(٢) قيل اسمه آدم ، وقيل تمام . الروض الأنف ٢ .
(٣) ينكتها : يقلبها ويرددها مشيرا إلى الناس وفى مسلم : إلى الناس . .
(٤) جبل المشاة : يروى بالحاء وبالجيم . ومعناه بالجيم الطريق . وبالحاء مجتمع المشاة .
(٥) شنق : ضيق .
(٦) المورك : الموضع الذى يجعل عليه الراكب رجله .

رَحْله ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السَّكينة السكينة . كلما أتى جبلا من الجبال أَرْخَى لها قليلا حتى تَصْعد .

حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبِّح بينهما شيئا ، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حتى تبيَّن له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القَصْواء حتى أتى المشْعَر الحرام ، فاستقبل القبـلة فدعا فحمـد الله وكبَّره وهلله ووحَّده ، فلم يزل واقفا حتى أَسْفَر جداً .

فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأَرْدَف الفضلَ بن العباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّتْ ظُعُن يَجْرِين ، فطفق الفضلُ ينظر إليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَده على وجه الفضل ، فحوَّل الفضل يده إلى الشق الآخر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر .

حتى أتى بطن مُحَسِّر فحرك قليـلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الـكبرى حتى أتى الجمرةَ التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات يكبِّر مع كل حصاة منها [مثلِ] حصى الخذْف(١) ، رمى من بطن الوادى .

ثم انصرف إلى المنْحَر فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليًّا فنحر ماغبرَ ، وأَشْرَكه فى هَدْيه ، ثم أمر من كل بدنة ببَضْعة فجعلت فى قِدْر فطُبِخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله صـلى الله عليـه وسلم فأفاض إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب وهم يَسْقون على زمزم ، فقال : انزَعوا بنى عبد المطلب ، فلولا أن

---

(١) الخذف : حصى صغار يرمى باصبعين . وهو مصدر سمى به .

يَغلبكم الناسُ على سِقَايتكم لنزعتُ معكم . فناولوه دلوا فشرب منه .

ثم رواه مسلم عن عمر بن حفص ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر فذكره بنحوه .

وذكر قصة أبى سَيَّارَة[1] ، وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية على حمار عُرْى[2] وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نحرتُها هنا ومنًى كلها مَنْحر ، فانحروا فى رحالكم . ووقفتُ هاهنا وعرفةُ كلها مَوْقِف ، ووقفتُ هاهنا وجَمْع[3] كلها موقف .

وقد رواه أبو داود بطوله عن النُّفَيلى وعثمان بن أبى شيبة ، وهشام بن عمار وسليمان ابن عبد الرحمن . وربما زاد بعضهم على بعض الكلمةَ والشىء ، أربعتُهم عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر ، بنحو من رواية مسلم . وقد رَمزْنا لبعض زياداته عليه .

ورواه أبو داود أيضا والنسائى ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن سعيد القَطَّان ، عن جعفر به . ورواه النسائى أيضا عن محمد بن المثنَّى ، عن يحيى بن سعيد ببعضه ، عن إبراهيم بن هارون البَلْخى ، عن حاتم بن إسماعيل ببعضه .

---

(١) الأصل أبى سنان ، وهو تحريف (٢) العرى : مالاسرج عليه . (٣) جمع : المزدلفة .

ذكر الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو ذاهب من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته

قال البخاري : باب المساجد التي على طريق المدينة ، والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن أبي بكر المقدَّمِيّ ، قال : حدثنا فُضَيل بن سليمان ، قال : حدثنا موسى بن عُقْبة، قال : رأيت سالم بن عبدالله يتحرَّى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في تلك الأمكنة .

وحدثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يصلي في تلك الأمكنة ، وسألتُ سالماً فلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة كلها ، إلا أنهما اختلفا في مسجد بشَرَف الرَّوحاء .

قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عِياض ، قال : حدثنا موسى بن عُقْبة ، عن نافع، أن عبدالله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذي الحليفة حين يَعْتمر وفي حجته حين حج تحت سَمُرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو في حج أو عمرة هَبط من بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبَطْحاء التي على شَفِير الوادي الشرقية فعرَّس[1] ثَمَّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثَمَّ خَليج[2] يصلِّي عبدالله عنده في بطنه كُثُب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَمَّ يصليِّ ، فدَحا[3] السيلُ فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبدالله يصلي فيه .

(١) عرس : نزل ليستريح . (٢) الخليج : واد له عمق (٣) دحا : دفع .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشَرف الرَّوْحاء ، وقد كان عبد الله يُعلِم المكانَ الذي كان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ثمَّ عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلّى ، وذلك المسجد على حافّة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رَمْيةٌ بحجر أو نحو ذلك .

وأن ابن عمر كان يصلى إلى العِرْق الذى عند مُنْصَرف الرَّوحاء ، وذلك العِرق انتهاء طَرَفه على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه وبين المنصرَف وأنت ذاهب إلى مكة ، وقد ابتُنى ثمّ مسجدٌ ، فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلى أمامه إلى العِرق نفسه ، وكان عبد الله يَرُوح من الرَّوحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر ، وإذا أقبل من مكة فإن مرَّ به قبلَ الصبح بساعة أو من آخر السَّحر عرَّس حتى يصلى بها الصبح .

وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرْحة[1] ضخمة دُون الرُّوَيثة[2] عن يمين الطريق ووِجاه الطريق فى مكان بَطِح[3] سَهْل ، حتى يُفْضى من أكَمةٍ دُوَيْن بَريد الرُّوَيثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها فانثنى فى جوفها ، وهى قائمة على ساق وفى ساقها كُثُب كثيرة .

وأن عبدالله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى فى طَرَف تَلْعة[4] من وراء العَرْج وأنت ذاهب إلى هَضبة ، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، على القبور رَضم من حِجارة عن يمين الطريق عند سَلمات[5] الطريق بين أولئك السَّلَمات كان

---

(١) السرحة : الشجرة لا شوك فيها

(٢) الرويثة : منهل من المناهل بين مكة والمدينة : المراصد .

(٣) البطح : المسيل الواسع

(٤) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انخفض .

(٥) السلمات : أشجار سلم .

عبد الله يروح من العَرْج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة ، فيصلى الظهر فى ذلك المسجد .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرحات عن يسار الطريق فى مَسِيلٍ دون هَرْشَى[١] ؛ ذلك المسِيل لاصقٌ بكراع هَرْشَى ، بينه وبين الطريق قريب من غَلْوة[٢] وكان عبد الله يصلى إلى سَرحة هى أقرب السَّرَحات إلى الطريق ، وهى أطولهن .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَنْزل فى المسيل الذى فى أدنى مَرّ الظَّهران قِبل المدينة حين يهبط من الصَّفراوات ، ينزل فى بطن ذلك المسِيل عن يسَار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الطريق إلا رَمْيةٌ بحجَر .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طُوَى ويبيت حتى يصبح يصلى الصبح حين يَقْدَم مكة ، ومصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أَكَمة غليظة ، ليس فى المسجد الذى بُنى ثَمَّ ، ولكن أسفل من ذلك على أَكَمة غليظة .

وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فُرْضَتى الجبل الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجدَ الذى بُنى ثَمَّ يسار المسجد بطَرف الأَكَمة ، ومُصلَّى النبى صلى الله عليه وسلم أسفلَ منه على الأَكَمة السوداء ، تَدَع من الأَكَمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تصلى مُسْتقبل الفُرْضتين من الجبل الذى بينك وبين الكعبة .

* * *

(١) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة

(٢) الغلوة : قدر مرماة السهم .

تفرد البخارى رحمه الله بهذا الحديث بطوله وسياقه ، إلا أن مُسْلِما روى منه عند قوله فى آخره : «وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طُوى » إلى آخر الحديث ، عن محمد بن إسحاق المُسَيَّبى ، عن أنس عن عياض ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر فذكره . وقد رواه الإمام أحمد بطوله عن أبى قُرّة موسى بن طارق ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر به نحوه .

وهذه الأماكن لا يُعرف اليوم كثيرٌ منها أو أكثرها ، لأنه قد غُيِّر أسماء أكثر هذه البِقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك ، فإن الجهل قد غلَب على أكثرهم .

وإنما أوردها البخارى رحمه الله فى كتابه لعل أحداً يهتدى إليها بالتأمل والتفرُّس والتوسُّم ، أو لعل أكثرها أو كثيراً منها كان معلوما فى زمان البخارى . والله تعالى أعلم .

باب

دخول النبي ﷺ إلى مكة شرَّفها الله عز وجل

قال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا يحيى بن عبد الله ، حدثنى نافع ، عن ابن عمر ، قال : بات النبى صلى الله عليه وسلم بذى طُوًى حتى أصبح ، ثم دخل مكة . وكان ابن عمر يفعله .

ورواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به ، وزاد : « حتى صلى الصبح ، أو قال : حتى أَصْبَح » .

وقال مسلم : حدثنا أبو الربيع الزَّهْرانى ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، كان لايَقْدَم مكة إلا بات بذى طُوًى حتى يصبح ويغتسل ، ثم يدخل مكة نهاراً ، ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فعله .

ورواه البخارى من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب به .

ولهما من طريق أخرى ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، كان إذا دخل أدنَى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذى طُوًى . وذكره .

وتقدم آنفا ما أخرجاه من طريق موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت بذى طوى حتى يُصْبح ، فيصلِّى الصبحَ حين يَقْدَم مكة ، ومُصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أَكَمة غليظة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فُرْضَتَى الجبل الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، فجعل المسجد الذى بُنِى ثَمَّ يسارَ المسجد بطَرَف الأكمة ، ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم يصلى مستقبل الفرضتين من الجبل الذى بينك وبين الكعبة .

أخرجاه فى الصحيحين .

* * *

وحاصل هذا كله :أنه عليه السلام لما انتهى فى مسيره إلى ذى طُوًى وهو قريب من مكة مُتَاخِمٌ للحرَم ، أمسكَ عن التلبية ، لأنه قد وصل إلى المقصود ، وبات بذلك المكان حتى أصبح ،فصلى هنالك الصبح فى المكان الذى وصفوه بين فُرْضَتى الجبل الطويل هنالك.

ومن تأمل هذه الأماكن المشار إليها بعين البَصيرة عرفها معرفةً جيدة وتعيَّن له المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه لأجل دخول مكة ، ثم ركب ودخلها نهاراً جهرةً علانية من الثَّنية العُليا التى بالبطْحَاء . ويقال كَدَاء ليراه الناس ويُشْرِف عليهم ، وكذلك دخل منها يوم الفتح كما ذكرناه .

قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الثَّنية العُلْيا وخرج من الثنية السفلى .

أخرجاه فى الصحيحين من حديثه

ولهما من طريق عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الثنية العليا التى فى البطحاء ، وخرج من الثنية السفلى .

ولهما أيضا من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مثل ذلك .

* * *

ولما وقع بصره عليه السلام على البيت قال ما رواه الشافعى فى مسنده : أخبرنا سعيد بن سالم ، عن ابن جُريج ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : « اللهم زِدْ هـذا البيتَ تشريفا وتعظيما وتكريماً ومَهابةً ، وزِدْ مَن شرّفه وكرّمه ، ومن حجه واعتمره تشريفاً وتكريما وتعظيما وبِرًّا » .

قال الحافظ البيهقى : هـذا منقطع ، وله شاهد مُرسل عن سفيان الثَّورى ، عن أبى سعيد الشامى ، عن مَـكْحول ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبَّر وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيِّنا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيما وتـكريما ومهابةً وبرًّا ، وزد من حجه أو اعتمره تـكريما وتشريفا وتعظيما وبرًّا » .

وقال الشافعى : أنبأنا سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، قال : حُدثت عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « تُرفع الأيدى فى الصلاة وإذا رأى البيت ، وعلى الصَّفا والمروة ، وعشية عرفة وبجَمْع ، وعند الجمرتين وعلى الميت » .

قال الحافظ البيهقى : وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن الحـكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، وعن نافع عن ابن عمر ، مرةً موقوفا عليهما ومرة مرفوعا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم دون ذكر الميت .

قال : وابن أبى ليلى هذا غير قوى .

* * *

ثم إنه عليه السلام دخل المسجد من باب بنى شَيْبة .

قال الحافظ البيهقى : روينا عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : يَدْخل المحرِم من حيث شاء .

قال : ودخل النبى صلى الله عليه وسلم من باب بنى شيبة وخرج من باب بنى مخزوم إلى الصَّفا .

ثم قال البيهقى : وهذا مرسل جيد .

وقد استدل البيهقى على استحباب دخول المسجد من باب بنى شيبة ، بما رواه من طريق أبى دواد الطَّيالسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، وقيس بن سلَّام ، كلهم عن سِمَاك بن حَرْب

عن خالد بن عُرْعرة ، عن على رضى الله عنه ، قال : لمـا انهدم البيتُ بعد جُرْهم بنَتْه قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه ، فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بنى شَيْبة فأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب فوضع الحجر فى وسطه ، وأَمر كلَّ فخذٍ أن يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه .

وقد ذكرنا[1] هذا مبسوطا فى باب بناء الـكعبة قبل البعثة . وفى الاستدلال على استحباب الدخول من باب بنى شيبة بهذا نظر . والله أعلم .

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الأول .

صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه

قال البخارى : حدثنا أَصْبَغ بن الفرج، عن ابن وهب ، أخبرنى عمرو بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن ، قال ذَكرت لعروة قال : أخبرتنى عائشة : أن أول شىء بدَأ به حين قدم النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ، ثم حج أبو بكر وعمر مثله ، ثم حجَجْتُ مع أبى الزبير ، فأولُ شىء بدأ به الطواف ، ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلونه ، وقد أخبرتنى أمى أنها أهلَّت هى وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة ، فلما مَسحوا الركن حَلُّوا .

هذا لفظه . وقد رواه فى موضع آخر عن أحمد بن عيسى ، ومسلم ، عن هارون بن سعيد ، ثلاثتهم عن ابن وهب به .

وقولها : « ثم لم تكن عُمرة » يدل على أنه عليه السلام لم يتحلَّل بين النُّسكين .

* * *

ثم كان أول ما ابتدأ به عليه السلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف ، كما قال جابر : حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمَل ثلاثا ومشى أربعا .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، عن عمر ، أنه جاء إلى الحجر فقبَّله وقال : إنى لَأعلم أنك حجر لا تَضرُّ ولا تَنفع ، ولولا أنى رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقبِّلك ماقبلتُك .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبى بكر بن أبى شيبة وزُهير بن حرب وابن أبى نُمير ، جميعا عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إنى لأعلم[1] أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبَّلتك .

(١) مسلم : إنى لأقبلك وأعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيدة وأبو معاوية ، قالا : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر أتى الحجرَ فقال : أما والله لأعلم أنك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله قبَّلك ماقبلتُك . ثم دنا فقبله .

فهذا السياق يقتضى أنه قال ماقال ثم قبله بعد ذلك ، بخلاف سياق صاحبي الصحيح . فالله أعلم .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ويحيى واللفظ لوكيع ، عن هشام ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب أتى الحجرَ فقال : إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتُك . وقال : ثم قبَّله .

وهذا منقطع بين عروة بن الزبير وبين عمر .

وقال البخارى أيضا : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ، أخبرنى زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب قال للركن : أمَا والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك . فاستلمه .

ثم قال : وما لنا والرَّمَل ، إنما كنا راءينا به المشركين ولقد أهلكهم الله . ثم قال : شىء صَنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحبُّ أن نتركه .

وهذا يدل على أن الاستلام تأخَّر عن القول .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن سِنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا وَرْقاء ، حدثنا زيد بن أسْلَم ، عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب قبَّل الحجر وقال : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك .

وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا حَرْملة ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، هو ابن

يزيد الأيلىّ ، وعمرو ، وهو ابن دينار .ح. وحدثنا هارون بن سعيد الأيلى ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرنى عمرو ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، أن أباه حدثه أنه قال : قبّل عمر بن الخطاب الحجرَ ثم قال : أمَا والله لقد علمتُ أنك حجرٌ ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك .

زاد هارون فى روايته : قال عمرو : وحدثنى بمثلها زيد بن أَسلم ، عن أبيه أسلم - يعنى عن عمر - به .

وهذا صريح فى أن التقبيل تقدّم على القول . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أن عمر قبّل الحجر ثم قال : قد علمتُ أنك حجرٌ ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّلك ماقبلتك .

هكذا رواه الإمام أحمد .

وقد أخرجه مسلم فى صحيحه ، عن محمد بن أبى بكر المقدّمى ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر ، قبّل الحجر وقال : إنى لأقبلك وإنى لَأعلم أنك حجر ، ولـكنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك .

ثم قال مسلم : حدثنا خلَف بن هشام والمقدّمِى وأبو كامل وقُتيبة ، كلهم عن حماد قال خلف : حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سَرْجِس ، قال : رأيت الأصلعَ - يعنى عمر - يقبل الحجر ويقول : والله إنى لأقبلك وإنى لأعلم أنك حجرٌ ، وأنك لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك .

وفى رواية المقدّمى وأبى كامل : رأيت الأُصَيْلعَ .

وهذا من أفراد مسلم دون البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد عن أبى معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سَرْجِس به. ورواه أحمد أيضا عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن عاصم الأحول به .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سُويد بن غفلة ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولكنى رأيت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم بك حَفِيًّا .

ثم رواه أحمد عن وكيع ، عن سفيان الثورى به . وزاد : فقبله والتزمه .

وهكذا رواه مسلم من حديث عبد الرحمن بن مهدى بلا زيادة ، ومن حديث وكيع بهذه الزيادة : قبّل الحجر والتزَمه وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حَفِيًّا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب أكبّ على الركن وقال : إنى لأعلم أنك حجر ، ولو لم أر حبيبى صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك مااستلمتك ولاقبلتك « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

وهذا إسناد جيد قوى ، ولم يخرجوه .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا جعفر بن عثمان القرشى ؛ من أهل مكة ، قال : رأيت محمد بن عبَّاد بن جعفر قبّل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيت خالَك ابن عباس قبّله وسجد عليه ، وقال ابن عباس : رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه . ثم قال عمر : لولم أر النبى صلى الله عليه وسلم قبله ماقبلته .

وهذا أيضا إسناد حسن ، ولم يخرجه إلا النسائى ، عن عمرو بن عثمان ، عن

الوليد بن مسلم ، عن حنظلة بن أبى سفيان ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر فذكر نحوه .

وقد روى هـذا الحديث عن عمر الإمامُ أحمد أيضا من حديث يعلى بن أمية عنه ، وأبو يعلى الموصلى فى مسنده من طريق هشام بن حشيش بن الأشقر ؛ عن عمر .

وقد أوردنا ذلك كله بطرقه وألفاظه وعَزْوه وعِلَله فى الـكتاب الذى جمعناه فى مُسْنَد أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولله الحمد والمنة .

* * *

وبالجملة فهذا الحديث مَرْوِىٌّ من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهى تفيد القطع عند كثير من أئمة هذا الشأن .

وليس فى هـذه الرواية أنه عليه السلام سجد على الحجر ، إلا ما أَشْعَر به روايةُ أبى داود الطيالسى ، عن جعفر بن عثمان ، وليست صريحةً فى الرَّفْع .

ولـكن رواه الحافظ البيهقى من طريق أبى عاصم النبيل ، حدثنا جعفر بن عبد الله ، قال : رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبَّل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيتُ خالك ابن عباس قبّله وسجَد عليـه . وقال ابن عباس : رأيت عمر قبّله وسجَد عليـه . ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ففعلت .

قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا الطبرانى، أنبأنا أبو الزِّنْبَاع ، حدثنا يحيى بن سليمان الجُعْفى ، حدثنا يحيى بن يمـان ، حدثنا سفيان بن أبى حسين ، عن عكرمة ، عن ابن عبـاس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد على الحجَر .

قال الطبرانى : لم يرْوه عن سفيان إلا يحيى بن يمان .

وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد ، عن الزبير بن عربى، قال : سأل رجلٌ

ابنَ عمر عن استلام الحجر . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسْتلمه ويقبله . قال : أرأيتَ إن زُحِمْتُ أرأيت إن غُلبت ؟ قال : اجعل أرأيت باليمَن[1] ! رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما تركتُ استلامَ هذين الركنين في شدة ولا رَخاء منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما . فقلت لنافع : أكان ابن عمر يمشي بين الركنين ؟ قال : إنما كان يمشي ليكون أيْسَر لاستلامه .

وروى أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجَر في كل طَوْفة » .

* * *

وقال البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا ليث ، عن ابن شهاب ، عن سالم ابن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لم أرَ النبي صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة ، عن الليث بن سعد به .

وفي رواية عنه أنه قال : ما أرى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين الشاميين إلا أنهما لم يُتَمَّمَا على قواعد إبراهيم .

وقال البخاري : وقال محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جُريج ، أخبرني عمرو بن دينار ، عن أبي الشَّعْثاء ، أنه قال : ومن يَتَّقي شيئا من البيت !

---

(١) أي اتركها بعيدا عنك

وكان معاوية يستلم الأركان فقال له ابن عباس : إنه لا يُسْتلم هذان الركنان . فقال له : ليس من البيت شيء مهجور . وكان ابن الزبير يستلمهن كلهن .

انفرد بروايته البخاري رحمه الله تعالى .

وقال مسلم في صحيحه : حدثني أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن قتادة بن دعَامة حدثه ، أن أبا الطفيل البَكْري حدثه ، أنه سمع ابنَ عباس يقول : لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم غير الركنين اليمانيين

انفرد به مسلم .

فالذي رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عباس ، أنه لا يُسْتلم الركنان الشاميان ، لأنها لم يُتمّما على قواعد إبراهيم ، لأن قريشا قَصُرت بهم النفقةُ ، فأخرجوا الحجْر من البيت حين بنوه . كما تقدم بيانه(١) .

وودَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ لو بناه فتممّه على قواعد إبراهيم ، ولكن خشي من حَداثة عهد الناس بالجاهلية ، فتُنْكره قلوبهم .

فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم كما أخبرتْه خالتُه أم المؤمنين عائشة بنت الصديق .

فإن كان ابن الزبير استلم الأركانَ كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسنٌ جداً وهو والله المظْنون به !

* * *

وقال أبو داود : حدثنا مسدَّد ، حدثنا يحيى ، عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدَع أن يَسْتلم الركن اليماني والحِجْر في كل طَوْفةٍ » .

---

(١) تقدم ذلك في الجزء الأول

ورواه النسائى عن محمد بن المثنّى عن يحيى .

وقال النسائى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقى ، حدثنا يحيى بن سعيد القَطَّان ، عن ابن جُرَيج ، عن يحيى بن عبيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن السائب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركن اليمانى والحِجْر : « ربَّنا آتِنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار[1] » .

ورواه أبو داود ، عن مسدَّد ، عن عيسى بن يونس ، عن ابن جريج به .

وقال الترمذى : حدثنا محمود بن غَيْلان ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر ، قال : لما قدِم النبيُّ صلى الله عليه وسلم مكة دخل المسجد فاستلم الحجَر ، ثم مضى على يمينه فرمَل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم أتى المقام فقال : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مُصَلى[2] » فصلى ركعتين والمقامُ بينه وبين البيت ، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا ، أظنه قال : « إن الصَّفا والمروة من شعائر الله » .

هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم .

وهكذا رواه إسحاق بن راهَويه ، عن يحيى بن آدم . ورواه الطبرانى عن النسائى وغيره ، عن عبد الأعلى بن واصل ، عن يحيى بن آدم به .

---

(١) سورة البقرة ٢٠١ (٢) سورة البقرة ١٢٥

ذكر رَمله عليه الصلاة والسلام فى طوافه واضطباعه

قال البخارى : حدثنا أَصْبغ بن الفرج ، أخبرنى ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سالم عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يَقْدَم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يَخُبُّ[1] ثلاثة أشواط من السبع .

ورواه مسلم عن أبى الطاهر بن السَّرح ، وحَرْملة ، كلاهما عن ابن وهب به .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن سَلام ، حدثنا شُريح بن النعمان ، حدثنا فُلَيح ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سعى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثةَ أشواط ومشى أربعة فى الحج والعمرة .

تابعه الليث : حدثنى كثير بن فَرْقَد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

انفرد به البخارى .

وقد روى النسائى عن محمد وعبد الرحمن ابنى عبد الله بن عبد الحكم ، كلاهما عن شعيب بن الليث ، عن أبيه الليث بن سعد ، عن كثير بن فَرْقد ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذِر ، حدثنا أبو ضَمْرة أنس بن عياض ، حدثنا موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف فى الحج أو العمرة أولَ ما يَقْدَم ، سعَى ثلاثةَ أطواف ومشى أربعةً ثم سجد سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة .

---

(١) يخب : يسرع ، وهو ضرب من الرمل .

ورواه مسلم من حديث موسى بن عُقبة .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يَخبُّ ثلاثةَ أطواف ويمشى أربعة ، وأنه كان يسعى بطنَ المسيل إذا طاف بين الصَّفا والمروة » .

ورواه مسلم من حديث عبيد الله بن عمر . وقال مسلم : أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبَان الجُعْفى ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : رمَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثا ومشى أربعا .

ثم رواه من حديث سليم بن أخضر ، عن عبيد الله بنحوه

وقال مسلم أيضا : حدثنى أبو الطاهر ، حدثنى عبد الله بن وهب ، أخبرنى مالك وابن جُريج ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمَل ثلاثةَ(١) أطْواف من الحجر إلى الحجر . وقال عمر بن الخطاب : فيم الرَّمَلان والكَشْفُ عن المناكب ، وقد أطَّد الله الإسلامَ ونَفَى الكفر ؟ ومع ذلك لا نترك شيئاً كنا نفعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى ، من حديث هشام بن سعيد ، عن زيد ابن أسلم ، عن أبيه عنه

***

وهذا كله ردٌّ على ابن عباس ومن تابعَه من أن الرمَل ليس بسُنة ، لأن رسول الله إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعنى فى عُمرة القَضاء ـ وقال المشركون : إنه يَقْدَم عليكم وفدٌ وَهَنَتهم حُمَّى يثرب . فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَرْملوا

(١) مسلم : الثلاثة

الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وهذا ثابت في الصحيحين ، وتصريحه بعُذر سببه في صحيح مسلم أَظْهَر .

فكأن ابن عباس يُنكر وقوعَ الرَّمل في حجة الوداع .

وقد صح بالنقل الثابت كما تقدم ، بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر ، ولم يمش ما بين الركنين اليمانيين لزوال تلك العلة المشار إليها وهى الضَّعف .

وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس ، أنهم رملوا في عمرة الجِعْرانة واضْطَبَعوا (١) .

وهو رَدٌّ عليه ، فإن عمرة الجِعْرانة لم يَبْقَ في أيامها خوفٌ ، لأنها بعد الفتح كما تقدم .

رواه حماد بن سلمة ، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من الجِعْرانة فرمَلوا بالبيت واضْطَبعوا ووضَعوا أَرْديتهم تحت آباطهم وعلى عواتقهم .

ورواه أبو داود من حديث حماد بنحوه ، ومن حديث عبد الله بن خُثَيم ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس به .

فأما الاضْطِبَاع في حجة الوداع فقد قال قَبيصة والفِرْيابي ، عن سفيان الثوري ، عن ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة ، عن يعلى بن أمية ، عن أمية ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مُضْطَبِعا .

رواه الترمذي من حديث الثوري ، وقال : حسن صحيح .

---

(١) الاضطباع : أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ، ويبدى منكبه الأيمن ويغطى الأيسر ، سمى به لإبداء أحد الضبعين .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن ابن جُريج ، عن ابن يَعْلى ، عن أبيه ، قال : طاف رسول الله مُضْطَبِعا ببُرْد أخضر .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن الثورى ، عن ابن جريج ، عن ابن يعلى ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدِم طاف بالبيت وهو مُضْطَبِع ببُرْد له حَضْرمى.

وقال جابر فى حديثه المتقدم: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمَل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم تقدم إلى مَقام إبراهيم فقرأ : « واتخِذوا مِن مَقام إبراهيم مُصَلًّى » فجعل المقامَ بينه وبين البيت . فذكر أنه صلى ركعتين قرأ فيهما : « قل هو الله أحد » . و « قل يا أيها الكافرون » .

* * *

فإن قيل : فهل كان عليه السلام فى هذا الطواف راكبا أو ماشيا ؟

فالجواب : أنه قد ورد نقْلان ، قد يُظن أنهما متعارضان ، ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما ورفع اللَّبْس عند من يتوهم فيهما تعارضاً . وبالله التوفيق وعليه الاستعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال البخارى رحمه الله : حدثنا أحمد بن صالح ويحيى بن سليمان ، قالا : حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره فى حجة الوداع يستلم الركن بمِحْجَن (١) .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا الترمذى ، من طرق عن ابن وهب .

قال البخارى : تابَعه الدَّراوَرْدى ، عن ابن أخى الزهرى ، عن عمه .

وهذه المتابَعة غريبة جداً .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن المثنَّى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذَّاء ،

---

(١) المحجن : العصا المعوجة .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ، كلما أتى الركنَ أشار إليه .

وقد رواه الترمذى من حديث عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى وعبد الوارث ، كلاهما عن خالد بن مهران الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه .

وقال : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن خالد الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ، فلما أتى الركن أشار إليه بشىء كان عنده وكبَّر .

تابعه إبراهيم بن طَهمَان ، عن خالد الحذَّاء .

وقد أسند هذا التعليق هاهنا فى كتاب الطواف ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبى عامر ، عن إبراهيم بن طَهْمان به .

وروى مسلم عن الحكم بن موسى ، عن شعيب بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف فى حجة الوداع حول الكعبة على بعير يَسْتلم الركنَ ، كراهيةَ أن يُضْرَب عنه الناسُ .

فهذا إثبات أنه عليه السلام طاف فى حجة الوداع على بعير ، ولكن حجة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف : الأول طواف القُدوم ، والثانى طواف الإفاضة وهو طواف الفَرْض وكان يوم النحر ، والثالث طواف الوداع .

فلعل ركوبه صلى الله عليه وسلم كان فى أحد الآخرين أو فى كليهما ، فأما الأول وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه . وقد نص الشافعى على هذا كله . والله أعلم وأحكم .

والدليل على ذلك ماقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه السُّنن الكبير : **أخبرنا**

أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو بكر محمد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى ، حدثنا الفضل ابن محمد بن المسيّب ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق هو - ابن يَسار رحمه الله - عن أبي جعفر ، وهو محمد بن على بن الحسين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دخلْنا مكةَ عندَ ارتفاع الضُّحى ، فأتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بابَ المسجد فأناخ راحلته ، ثم دخل المسجد فبدأ بالحجَر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ، ثم رَمَل ثلاثا ومشى أربعا ، حتى فرغ . فلما فرغ قبّل الحجَر ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه .

وهذا إسناد جيد .

* * *

فأما مارواه أبو داود : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم مكةَ وهو يشتكى ، فطاف على راحلته فلما أتى على الركن استلمه بمِحْجَن ، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين .

تفرَّد به يزيد بن أبى زِياد وهو ضعيف .

ثم لم يذكر أنه فى حجة الوداع ، ولا ذكر أنه فى الطواف الأول من حجة الوداع .

ولم يذكر ابنُ عباس فى الحديث الصحيح عنه عند مسلم ، وكذا جابر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب فى طوافه لضعفه ، وإنما ذكرا كثرةَ الناس وغِشْيانهم له ، وكان لا يحب أن يُضْرَبوا بين يديه . كما سيأتى تقريره قريباً إن شاء الله .

ثم هذا التقبيل الثانى الذى ذكره ابن إسحاق [فى روايته][1] بعد الطواف وبعد ركعتيه أيضا ، ثابت فى صحيح مسلم من حديث جابر . قال فيه ، بعد ذكر صلاة ركعتى الطواف : ثم رجَع إلى الركن فاستلمه .

وقد قال مسلم بن الحجَّاج فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وابن نُمَير جميعا ،

---

(١) ليست فى ا .

عن أبى خالد ، قال أبو بكر : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، قال : رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبَّل يده . قال : وما تركتُه منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الطوافات ، أو فى آخر استلامٍ فعلَ مثل هذا . لما ذكرنا أو أن ابن عمر لم يَصلْ إلى الحجَر لضعف كان به ، أو لئلا يزاحم غيره فيحصل لغيره أذى به .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوالده ، مارواه أحمد فى مسنده : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبى يَعْفُور العَبْدى ، قال : سمعت شيخا بمكة فى إمارة الحجاج يحدث عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ياعمر إنك رجل قوى ، لا تزاحِمْ على الحجَر فتؤذى الضعيف ، إن وجدت خَلْوةً فاستلمْه وإلا فاستقبِلْه وكَبِّر .

وهذا إسناد جيد ، لكن راويه عن عمر مُبْهَم لم يُسمَّ .

والظاهر أنه ثقة جليل ، فقد رواه الشافعى عن سفيان بن عيينة ، عن أبى يَعفُور العبدى واسمه وَقْدَان ، سمعت رجلا من خزاعة حين قُتل ابن الزبير وكان أميراً على مكة يقول : قال رسول الله لعمر : ياأبا حفص إنك رجل قوىّ ، فلا تُزاحِمْ على الركن ، فإنك تؤذى الضعيف ، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامض .

قال سفيان بن عُيينة : هو عبد الرحمن بن الحارث ، كان الحجاج استعمله عليها مُنْصَرفه منها حين قُتل ابن الزبير .

قلت : وقد كان عبد الرحمن هذا جليلا نبيلا كبير القَدْر ، وكان أحد النفر الأربعة الذين ندَبهم عثمان بن عفان فى كتابة المصاحف التى نفذها إلى الآفاق ووقع على مافعله الإجماعُ والاتفاق .

ذكر طوافه عليه السلام بين الصفا والمروة

روى مسلم فى صحيحه عن جابر، فى حديثه الطويل المتقدم، بعد ذكره طوافه عليه السلام بالبيت سبعاً وصلاته عند المقام ركعتين. قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: «إن الصَّفا والمرْوَة من شعائر الله» أبدأ بما بدأ الله به.

فبدأ بالصفا فرقَى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبَّره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله أَنْجَز وعدَه ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات.

ثم نزل، حتى إذا انصبَّت قدماه فى الوادى رمَل، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة فرقَى عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عمر بن هارون البَلْخى، أبو حفص، حدثنا ابن جُريج، عن بعض بنى يَعْلَى بن أمية، عن أبيه، قال: رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم مُضْطَبعا بين الصفا والمروة ببُرْد له نَجْرانى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا عبد الله بن المؤمّل، عن عمر بن عبد الرحمن، حدثنا عطية، عن حبيبة بنت أبى تَجْراة[1] قالت: دخلتُ دار حصين فى نسوة من قريش والنبى صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة، قالت: وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السَّعْى وهو يقول لأصحابه. «اسعَوا إن الله كتب عليكم السَّعْى».

---

(١) الأصل غير منقوطة. وما أثبته عن هامش المشتبه للذهبى ١ / ١١٢

وقال أحمد أيضاً : حدثنا شُريح ، حدثنا عبد الله بن المؤمّل ، حدثنا عطاء بن أبى رباح ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة بنت أبى تجْراة قالت : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم ، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعى يَدُور به إزارُه وهو يقول : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى .

تفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد أيضا عن عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن واصل مولى أبى عيينة ، عن موسى بن عبيدة ، عن صفية بنت شيبة ، أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول : « كُتب عليكم السعى فاسعوا » .

وهذه المرأة هى حبيبة بنت أبى تجْراة المصرّح بذِكرها فى الإسنادين الأولين . وعن أم ولد شيبة بن عثمان ، أنها أبصرت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول : « لا يُقطع الأبْطَحُ إلا شَدًّا » .

رواه النسائى ، والمراد بالسعى ها هنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة ومنها إليها ، وليس المراد بالسعى ها هنا الهرْوَلة والإسراع ، فإن الله لم يكتبه علينا حتماً ، بل لو مشى الإنسان على هَيئته فى السَّبْع الطوافات بينهما ولم يرمل فى المسيل ، أجزأه ذلك عند جماعة العلماء لا نعرف بينهم اختلافا فى ذلك .

وقد نقله الترمذى رحمه الله عن أهل العلم . ثم قال : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن كثير بن جُهْمان ، قال : رأيت ابنَ عمر يمشى فى المسْعَى فقلت : أتمشى فى السعى بين الصفا والمروة ؟ فقال : لئن سعيت فقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يسعى ، ولئن مشيت لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى ، وأنا شيخ كبير .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا . وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عطاء بن السائب ، عن كثير بن جُهْمان السُّلمى الكوفى ، عن ابن عمر .

فقولُ ابن عمر : إنه شاهَد الحالَيْنِ منه صلى الله عليه وسلم يحتمل شيئين : أحدهما : أنه رآه يَسْعى فى وقتٍ ماشياً لم يَمْزِجه برَمَل فيه بالكلية . والثانى : أنه رآه يسعى فى بعض الطريق ويمشى فى بعضه .

وهذا له قوة ، لأنه قد رَوى البخارى ومسلم من حديث عُبيد الله بن عمر العُمَرى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى بطن المَسِيل إذا طاف بين الصَّفا والمروة .

وتقدم فى حديث جابر أنه عليه السلام : نزل من الصفا فلما انصبَّت قدماه فى الوادى رَمَل ، حتى إذا صعد مشَى حتى أتى المَرْوَة .

وهذا هو الذى تستحبُّه العلماء قاطبةً ، أن الساعى بين الصفا والمروة — وتقدم فى حديث جابر — يُسْتحب له أن يَرْمُل فى بطن الوادى فى كل طَوْفَةٍ فى بطن المسِيل الذى بينهما ، وحددوا ذلك بما بين الأَمْيال الخُضْر ، فواحدٌ مُفْرَد من ناحية الصَّفا مما يلى المسجد ، واثنان مجتمعان من ناحية المروَة مما يلِى المسجدَ أيضا .

وقال بعض العلماء : مابيْن هذه الأميال اليومَ أوسعُ من بَطن المَسِيل الذى رَمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالله أعلم .

***

وأما قول محمد بن حزم فى الكتاب الذى جمعه فى حجة الوداع : ثم خرج عليه السلام إلى الصَّفا فقرأ : « إن الصفا والمرْوَة مِن شَعائر الله » أَبْدأ بما بدأ الله به ، فطاف

بين الصفا والمروة أيضا سبعاً راكبا على بعير يَخُبُّ ثلاثا ويمشى أربعا . فإنه لم يُتابَع على هذا القول ولم يتفوَّه به أحد قَبْله ، من أنه عليه السلام خَبَّ ثلاثة أشواط بين الصفا والمروة ومشى أربعا .

ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يَذْكر عليه دليلاً بالكلّية ، بل لما انتهى إلى موضع الاستدلال عليه قال : ولم نجد عَدد الرَّمَل بين الصفا والمروة منصوصاً ، ولكنه متفَق عليه .

هذا لفظه .

فإن أراد بأن الرمَل فى الثلاث الطَّوْفات الأُول ، على ماذكر ، متفَق عليه ، فليس بصحيح ، بل لم يقله أحد .

وإن أراد أن الرَّمَل فى الثلاث الأُول فى الجملة متفق عليه ، فلا يُجْدِى له شيئا ولا يحصِّل له مقصودا ، فإنهم كما اتفقوا على الرمل فى الثلاث الأُول فى بعضها ، على ماذكرناه ، كذلك اتفقوا على استحبابه فى الأربع الأُخر أيضا .

فتخصيص ابن حزم الثلاثَ الأول باستحباب الرَّمَل فيها مخالفٌ لما ذكره العلماء . والله أعلم .

وأما قول ابن حزم إنه عليه السلام كان راكبا بين الصفا والمروة ، فقد تقدم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى بطنَ المسِيل .

أخرجاه .

وللترمذى عنه : إنْ أسعَى فقد رأيت رسول الله يسعى ، وإن مشيت فقد رأيت رسول الله يمشى .

وقال جابر : فلما انصبَّت قدماه فى الوادى رمَل ، حتى إذا صعد مشى .

رواه مسلم .

وقالت حَبيبة بنت أبى تجْرَاة : يسعى يَدور به إزاره من شِدة السَّعى .
رواه أحمد .

وفى صحيح مسلم عن جابر كما تقدم أنه رقِىَ على الصفا حتى رأى البيت. وكذلك على المروة.
وقد قدمنا من حديث محمد بن إسحاق ، عن أبى جعفر الباقر ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ بعيره على باب المسجد ، يعنى حتى طاف ، ثم لم يذكر أنه ركبه حالَ ماخرج إلى الصفا .

وهذا كله مما يقتضى أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة ماشياً .

ولكن قال مسلم : حدثنا عبدُ بن حُميد ، حدثنا محمد ـ يعنى ابن بكر ـ أخبرنا ابن جُريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طافَ النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة على بعير ، ليراه الناسُ وليُشرف وليَسألوه ، فإنّ الناس غَشَوْه ولم يَطُف النبى صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا .

ورواه مسلم أيضا ، عن أبى بكر بن أبى شَيبة ، عن على بن مُسْهِر ، وعن على بن خشرم ، عن عيسى بن يونس ، وعن محمد بن حاتم ، عن يحيى بن سعيد ، كلهم عن ابن جُريج به . وليس فى بعضها : وبين الصفا والمروة .

وقد رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد القَطَّان ، عن ابن جُريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول : طاف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة .

ورواه النسائى عن الفَلَّاس عن يحيى ، وعن عِمران بن يزيد ، عن سعيد بن إسحاق ، كلاهما عن ابن جُريج به .

***

فهذا محفوظ من حديث ابن جريج . وهو مُشْكِل جدا ، لأن بقية الروايات عن جابر وغيره تدل على أنه عليه السلام كان ماشياً بين الصفا والمروة .

وقد تكون رواية أبى الزبير عن جابر لهذه الزيادة وهى قوله : وبين الصفا والمروة مُقْحَمة أو مُدْرَجة ممن بَعدَ الصحابىّ . والله أعلم .

أو أنه عليه السلام طاف بين الصفا والمروة بعضَ الطَّوفان على قدميه ، وشوهد منه ماذَكر ، فلما ازدحم الناسُ عليه وكثروا رَكِب ، كما يدل عليه حديث ابن عباس الآتى قريبا .

وقد سلَّم ابن حَزْم أن طوافه الأول بالبيت كان ماشيا ، وحَمل رُكوبَه فى الطواف على مابعد ذلك . وادعى أنه كان راكبا فى السعى بين الصفا والمروة قال : لأنه لم يَطف بينهما إلا مرةً واحدة ، ثم تأوَّل قولَ جابر : حتى إذا انصبت قدماه فى الوادى رمَل . بأنه يَصْدُق ذلك وإن كان راكبا ، فإنه إذا انصبَّ بعيره فقد انصبَّ كله وانصبت قدماه مع سائر جسده . قال : وكذلك ذِكْر الرمَل يعنى به رَمل الدابة براكبها .

وهذا التأويل بعيد جدا . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا أبو سلَمة موسى ، حدثنا حماد ، أنبأنا أبو عاصم الغَنَوىّ ، عن أبى الطفيل ، قال : قلت لابن عباس : يزعم قومُك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمَل بالبيت وأن ذلك من سُنَّته(١) . قال : صدَقوا وكَذَبوا . فقلت : ماصَدقوا وما كذَبوا ؟ قال : صدقوا ، رمَل رسولُ الله ، وكذبوا ليس بسُنّة ، إن قريشا قالت زمَن الحُدَيبية : دعوا محمدا وأصحابَه حتى يموتوا موتَ النَّغَف (٢) ، فلما صالحوه على أن يحجُّوا من العام المقْبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قِبَل قُعَيْقِعان ، فقال رسول الله لأصحابه : ارملوا بالبيت ثلاثا . وليس بسُنّة .

(١) ا : وأن ذلك سنة .   (٢) النغف : الدود وهو يضرب المستحقر .

قلت : يزعم قومُك أن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير ، وأن ذلك سُنة . قال : صدَقوا وكذَبوا قلت : ما صدقوا وكذبوا ؟ قال : صدَقوا ، قد طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بَعير ، وكذَبوا ليست بسُنة ، كان الناس لا يُدْفَعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يُضْرَفون عنه ، فطاف على بعير ليَسْمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله أيديهم .

هكذا رواه أبو داود .

وقد رواه مسلم عن أبي كامل ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الُجريْرىّ ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، فذكر فضل الطواف بالبيت كنحو ماتقدم ثم قال : قلت لابن عباس أخبِرْنى عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا ، أسُنة هو ؟ فإن قومك يزعمون أنه سُنة . قال : صدقوا وكذبوا . قلت : فما قولك صَدقوا وكذَبوا ؟

قال : إن رسول الله كثرُ عليه الناس يقولون : هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتقُ من البيوت ، وكان رسول الله لا يُضْرَب الناس بين يديه ، فلما كثُرَ عليه الناس ركب قال ابن عباس : والمشى والسعى أفضلُ .

هذا لفظ مسلم . وهو يقتضى أنه إنما ركب فى أثناء الحال وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والله أعلم .

* * *

وأما ماروا مسلم فى صحيحه حيث قال : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زُهير ، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي الطفيل ، قال : قلت لابن عباس : أرانى قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فصِفْه لى . قلت : رأيته عند المروَة على ناقة وقد كثر الناس عليه . فقال ابن عباس : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنهم كانوا لا يُضْربون عنه ولا يُكْرهون .

فقد تفرد به مسلم ، وليس فيه دلالة على أنه عليه السلام سعَى بين الصفا والمروة راكبا ، إذ لم يقيِّد ذلك بحجة الوداع ولا غيرها. وبتقدير أن يكون ذلك فى حجة الوداع فمن الجائز أنه عليه السلام بعدَ فراغه من السعى وجلوسه على المروة وخطبته الناس وأَمْره إيام من لم يَسُق الهدْىَ منهم أن يفسخ الحج إلى العمرة ، فحل الناس كلهم إلا من ساق الهدْى ، كما تقدم فى حديث جابر . ثم بعد هذا كله أُتى بناقته فركبها وسار إلى منزله بالأَبْطَح ، كما سنذكره قريبا ،وحينئذ رآه أبو الطفيل عامر بن واثِلة البكْرى ،وهو معدود فى صغار الصحابة .

قلت : قد ذهب طائفة من العراقيين كأبى حنيفة وأصحابه والثَّورى إلى أن القارِن يطوف طوافين ويسعى سَعْيين ، وهو مروى عن علىّ وابن مسعود ومجاهد والشَّعبى .

ولهم أن يحتجوا بحديث جابر الطويل ، ودلالته على أنه سعَى بين الصفا والمروة ماشياً ، وحديثه هـذا أن النبى صلى الله عليه وسلم سعى بينهما راكبا على تَعْداد الطواف بينهما مرة ماشياً ومرة راكبا .

وقد روى سعيد بن منصور فى سُنَنه عن على رضى الله عنه ، أنه أهلَّ بحجة وعمرة ، فلما قدِم مكة طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمرته ، ثم عاد فطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجته ، ثم أقام حَراما إلى يوم النحر .

هذا لفظه . ورواه أبو ذَرّ الهرَوِىّ فى مناسكه عن على ، أنه جمع بين الحج والعمرة فطاف لهما طوافين وسعى لهما سَعْيين وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل .

وكذلك رواه البيهقى والدارقطنى والنسائى فى خصائص على . فقال البيهقى فى سننه: أنبأنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا على بن عمير الحافظ ، أنبأنا أبو محمد بن صاعِد ، حدثنا محمد بن زُنْبُور ، حدثنا فُضَيل بن عِياَض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن مالك

ابن الحـارث ، أو منصور عن مالك بن الحارث ، عن أبى نصر ، قال : لقيتُ عليًّا وقد أهلَلْتُ بالحج وأهلَّ هو بالحج والعمرة ، فقلت : هل أستطيع أن أفعل كما فعلتَ ؟ قال : ذلك لو كنت بدأتَ بالعمرة . قلت : كيف أفعل إذا أردتُ ذلك ؟ قال : تأخذ إداوةً من ماء فتُفيضها عليك ، ثم تُهل بهمـا جميعا ثم تطوف لهما طوافين وتسعى لهما سعيين ولا يحل لك حرام دونَ يوم النحر .

قال منصور : فذكرت ذلك لمجاهـد قال : ما كنا نَبْنى إلا بطواف واحـد ، فأما الآن فلا نفعل .

قال الحافظ البيهقى : وقد رواه سفيان بن عُيينة وسُفيان الثَّورى وشُعبة عن منصور، فلم يذكر فيه السعىَ . قال : وأبو نصر هذا مجهول . وإن صح فيحتمل أنه أراد طوافَ القُدوم وطوافَ الزيارة .

قال : وقد روِى بأسانيد أُخَر عن علىّ مرفوعا وموقوفا ، ومَدارها على الحسن بن عمارة وحفْص بن أبى داود وعيسى بن عبد الله وحماد بن عبد الرحمن ، وكلهم ضعيف لا يُحتج بشىء مما رووه فى ذلك . والله أعلم .

* * *

قلت : والمنقول فى الأحاديث الصِّحاح خلاف ذلك[1] .

فقد قدَّمنا عن ابن عمر فى صحيح البخارى أنه أهلَّ بعمرة وأدخل عليها الحج ، فصار قارنا ، وطاف لهما طوافا واحدا بين الحج والعمرة . وقال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الترمذى وابن ماجه والبيهقى من حديث الدَّراوَرْدى ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جمعَ بين الحج والعمرة طاف لهما طوافا واحدا وسعى لهما سعيا واحدا » .

---

(١) ا : خلافه .

قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب .

قلت : إسناده على شرط مسلم .

وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين ، فإنها كانت ممن أهلّ بعمرة لعدم سَوق الهدْى معها ، فلما حاضت أمَرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتهلّ بحج مع عمرتها ، فصارت قارنةً ، فلما رجعوا من مِنًى طلبت أن يُعمرها من بعدِ الحج ، فأعْمَرها تطييباً لقلبها ، كما جاء مصرحاً به فى الحديث .

وقد قال الإمام أبو عبدالله الشافعى : أنبأنا مُسْلِم ـ هو ابن خالد ـ الزَّنْجى ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء أن رسول الله قال لعائشة : طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك .

وهذا ظاهره الإرسال ، وهو مُسنَد فى المعنى ، بدليل ماقال الشافعى أيضا : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن عطاء ،عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال الشافعى : وربما قال سفيان : عن عطاء ، عن عائشة وربما قال : عن عطاء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة . فذكره .

قال الحافظ البيهقى : ورواه ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عيينة موصولا . وقد رواه مسلم من حديث وهيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن عائشة بمثله .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابرا يقول :دخل رسول الله على عائشة وهى تبكى ، فقال : مالك تبكين ؟ قالت : أبكى أن الناس حَلُّوا ولم أَحِل وطافوا بالبيت ولم أَطُف ، وهذا الحج قد حضر .

قال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم ، فاغتسلى وأهِلِّى بحج . قالت: ففعلتُ ذلك ، فلما طهرتُ قال : « طوفى بالبيت وبين الصفا والمروة ثم قد حَلَلت من حجك

وعمرتك» قالت : يارسول الله إنى أجد فى نفسى من عمرتى أنى لم أكن طُفْت حتى حججت قال : « اذهب بها ياعبد الرحمن فأَعْمِرها من التَّنعيم » .

وله من حديث ابن جريج أيضا : أخبرنى أبو الزبير ، سمعت جابراً قال : لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا .

وعند أصحاب أبى حنيفة رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلّم وأصحابه الذين ساقوا الهدْى كانوا قد قَرنوا بين الحج والعمرة ، كما دل عليه الأحاديث المتقدمة . والله أعلم .

وقال الشافعى : أنبأنا إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن على ، قال فى القارِن : يطوف طوافين ويسعى سَعْيًا .

قال الشافعى : وقال بعض الناس : طوافان وسعيان . واحتج فيه برواية ضعيفة عن على ، قال جعفر : يُروى عن على قولنا ، ورويناه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

لكن قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، ومحمد بن رافع ، قالا : حدثنا أبو عاصم ، عن معروف — يعنى ابن خَرَّبُوذ المكى — حدثنا أبو الطفيل ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على راحلته يستلم الركن بمِحْجَن ثم يقبّله .

زاد محمد بن رافع : ثم خرج إلى الصفا والمروة فطاف سبعاً على راحلته .

وقد رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى داود الطَّيالسى ، عن معروف بن خُرَّبوذ به . بدون الزيادة التى ذكرها محمد بن رافع . وكذلك رواه عبيد الله بن موسى عن معروف بدونها . ورواه الحافظ البيهقى عن أبى سعيد بن أبى عمرو ، عن الأصمّ ، عن يحيى بن أبى طالب ، عن يزيد بن أبى حكيم ، عن يزيد بن مالك ، عن أبى الطُّفيل بدونها . فالله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو بكر بن الحسن وأبو زكريا بن أبى إسحاق ، قالا :

حدثنا أبو جعفر محمد بن على بن دُحَيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عبيد الله بن موسى وجعفر بن عون ، قالا : أنبأنا أيمن بن نابل ، عن قُدامة بن عبد الله بن عمار قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين الصفا والمروة على بعير لا ضَرْبَ ولا طَرْدَ ولا إلَيْكَ إليك .

وقال البيهقى : كذا قالا . وقد رواه جماعة غير أيمن فقالوا : يرمى الجمرة يوم النحر . قال : ويحتمل أن يكونا صحيحين .

قلت : رواه الإمام أحمد فى مسنده ، عن وكيع وقران بن تمام ، وأبى قُرّة موسى ابن طارف قاضى أهل اليمن ، وأبى أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى ومُعْتَمِر بن سليمان ، عن أيمن بن نابِل الحبشى أبى عمران المكى نزيل عَسْقلان مولى أبى بكر الصديق ، وهو ثقة جليل من رجال البخارى ، عن قُدامة بن عبد الله بن عَمّار الكلابى ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر من بطن الوادى على ناقة صَهْباء لا ضرب ولا طَرْد ولا إليك إليك .

وهكذا رواه الترمذى ، عن أحمد بن مَنِيع ، عن مروان بن معاوية . وأخرجه النسائى عن إسحاق بن راهويه . وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، كلاهما عن وكيع ، كلاهما عن أيمن بن نابل ، عن قُدامة . كما رواه الإمام أحمد . وقال الترمذى : حسن صحيح .

فصل

قال جابر فى حديثه : حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال : « إنى لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أَسُق الهدىَ » .

رواه مسلم .

ففيه دلالةٌ على من ذهب إلى أن السعى بين الصفا والمروة أربعة عشر ، كلُّ ذهاب وإياب يُحسب مَرَّةً . قاله جماعة من أكابر الشافعية .

وهذا الحديث ردٌّ عليهم ، لأن آخر الطواف عن قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة .

ولهذا قال أحمد فى روايته فى حديث جابر : فلما كان السابع عند المروة قال : « أيها الناس إنى لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أَسق الهدى وجعلتها عُمرةً ، فمن لم يكن معه هَدْى فليَحِلّ وليجعلها عمرة » فحلّ الناسُ كلهم .

وقال مسلم : فحلّ الناس كلهم وقصّروا إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هَدىٌ .

فصـــل

روَى أمرَه عليه السلام لمن لم يَسُق الهدْىَ بفسخ الحج إلى العمرة خلقٌ من الصحابة يطول ذكرنا لهم ها هنا ، وموضع سَرْد ذلك كتاب الأحكام الكبير . إن شاء الله .

وقد اختلف العلماء فى ذلك فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى : كان ذلك من خصائص الصحابة ، ثم نُسخ جواز الفسخ لغيرهم . وتمسّكوا بقول أبى ذر رضى الله عنه : لم يكن فَسْخُ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

رواه مسلم .

وأما الإمام أحمد فردَّ ذلك ، وقال : قد رواه أحد عشر صحابيا ، فأين تقع هذه الرواية من ذلك ؟ وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما بوجوب الفَسْخ على كل من لم يَسُق الهدى ، بل عنده أنه يحلّ شرعا إذا طاف بالبيت ، ولم يكن ساق هدياً صار حلالا بمجرد ذلك ، وليس عنه النسك إلا القِران لمن ساق الهدى أو التمتع لمن لم يَسُق . فالله أعلم

قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد الملك بن جُريج ، عن عطاء ، عن جابر . وعن طاوس عن ابن عباس ، قالا : قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه صُبْحَ رابعةٍ من ذى الحجة يُهلُّون بالحج لا يَخلطه شىء ، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرةً وأن نحلّ إلى نسائنا ، ففشَتْ فى ذلك[٢] المقالة .

قال عطاء : قال جابر : فيروح أحدُنا إلى منًى وذكره يَقْطر منيًّا ! قال جابر — بكفه — فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : بلغنى أن قوما يقولون كذا وكذا . والله لأنا أبرُّ وأتقى لله منهم ، ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرتُ ما أهديتُ ، ولولا أن معى الهدى لأحْلَلت .

فقام سراقة بن جُعْشُم فقال : يا رسول الله هى لنا أو للأبد ؟ فقال : بل للأبد .

وقال مسلم : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، هو ابن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أنه قال : أقبَلْنا مهلِّين مع رسول الله بحج مُفْرد ، وأقبلت عائشة بعمرة ، حتى إذا كنا بسَرف عَرَكت[١] حتى إذا قدمنا طُفْنا بالكعبة والصفا والمروة ، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَحلّ منا من لم يكن معه هَدى . قال : فقلنا : حِلٌّ ماذا ؟ قال : الحل كله فواقعْنا النساء وتطيَّبنا بالطيب ولبسنا ثيابا وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال .

* * *

---

(١) غير ا : ففشت تلك .　　(٢) عركت : حاضت .

فهذان الحديثان فيهما التصريح بأنه عليه السلام قدِم مكة عام حجة الوداع لصبح رابعة ذى الحجة ، وذلك يوم الأحد حين ارتفع النهار وقت الضُّحى لأن أول ذى الحجة تلك السَّنة كان يوم الخميس بلا خلاف ، لأن يوم عرفة منه كان يوم الجمعة بنصِّ حديث عمر بن الخطاب الثابت فى الصحيحين . كما سيأتى

فلما قدِم عليه السلام يوم الأحد رابعَ الشهر ، بدأ كما ذكرنا بالطواف بالبيت ثم بالسعى بين الصفا والمروة ، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أَمر من لم يكن معه هَدى أن يَحلَّ من إحرامه حتما ، فوجب ذلك عليهم لا مَحالة ففعلوه وبعضهم متأسف لأجل أنه عليه السلام لم يَحلَّ من إحرامه لأجل سَوْقه الهدْى ، وكانوا يُحبُّون موافقتَه عليه السلام والتأسِّى به ، فلما رأى ما عندهم من ذلك قال لهم : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهدى ولجعلتها عُمرة .

أى لو أعلم أن هذا يشقُّ عليكم لكنت تركت سَوْق الهدى حتى أَحِلَّ كما أحللتم .

ومن ها هنا تتَّضح الدلالةُ على أفضلية التمتع ، كما ذهب إليه الإمام أحمد ، أخذاً من هذا ، فإنه قال : لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قارناً ، ولكن التمتع أفضلُ لتأسّفه عليه .

وجوابه : أنه عليه السلام لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل من القِرَان فى حق من ساق الهدى ، وإنما تأسَّف عليه لئلا يَشُقَّ على أصحابه فى بقائه على إحرامه وأَمْره لهم بالإحلال .

ولهذا ـ والله أعلم ـ لـمّا تأمَّل الإمامُ أحمد هذا السرَّ نص فى رواية أخرى عنه على أن التمتع أفضلُ فى حق من لم يَسُق الهدى ، لأَمْره عليه السلام من لم يَسُق الهدى من أصحابه بالتمتع ، وأن القِرَان أفضلُ فى حق من ساق الهدىَ ، كما اختار الله

عز وجل لنبيه صلوات الله وسلامه عليه فى حجة الوداع وأَمْره له بذلك كما تقدم . والله أعلم .

فصـــل

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة وأَمْره بالفسخ لمن لم يَسُق الهدى ، والناسُ معه حتى نزل بالأبْطَح شرقى مكة فأقام هنالك بقيةَ يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء حتى صلى الصبح من يوم الخميس ، كل ذلك يصلى بأصحابه هنالك ولم يَعُد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها .

قال البخارى : باب من لم يَقْرب الكعبة ولم يَطُف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف الأول :

حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا فُضَيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُقْبة ، قال أخبرنى كُرَيْب ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قدِم النبى صلى الله عليه وسلم مكة فطاف سبعاً وسعى بين الصفا والمروة ، ولم يَقْرَب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة .

انفرد به البخارى .

فصـــل

وقدِم ـ فى هذا الوقت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُنيخٌ بالبطحاء خارج مكة ـ علىٌّ من اليمن .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعثه ـ كما قدَّمنا ـ إلى اليمن أميراً بعد خالد بن الوليد رضى الله عنهما .

فلما قدِم وجد زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَلَّت ، كما حل أزواجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لم يسوقوا الهدْىَ ، واكتحلت ولبست ثيابا صَبِيغاً فقال : من أمركِ بهذا ؟ قالت : أبى .

فذهبَ مُحرِّشا عليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أنها حَلَّت ولبست ثيابا صَبِيغا واكتحلت ، وزعمتْ أنك أمرتَها بذلك يارسول الله .

فقال : صدقَتْ صدقت صدقت. ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم أهللتَ حين أوْجَبتَ الحج ؟ قال : بإهلال كإهلال النبى صلى الله عليه وسلم . قال : فإن معى الهدَى فلا تَحِلّ .

فكان جماعةُ الهدىِ الذى جاء به علىّ من اليمن والذى أتَى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة واشتراه فى الطريق مائةً من الإبل ، واشتركا فى الهدى جميعا .

وقد تقدم هذا كله فى صحيح مسلم رحمه الله .

وهذا التقرير يردُّ الرواية التى ذكرها الحافظ أبو القاسم الطَّبرانى رحمه الله من حديث عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عليًّا تلقَّى النبىَّ صلى الله عليه وسلم إلى الجحفَة . والله أعلم .

وكان أبو موسى فى جُملة من قدِم مع علىّ ، ولكنه لم يَسُقْ هدياً ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يَحلّ بعد ماطاف للعمرة وسعَى ، ففسخ حجَّه إلى العمرة وصار متمتعا ، فكان يفتى بذلك فى أثناء خلافة عمر بن الخطاب . فلما رأى عمرُ بن الخطاب أن يُفرِد الحجَّ عن العمرة ترك فُتْياه مهابةً لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وأرضاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن عَون بن أبى جُحَيفة ، عن أبيه ، قال : رأيت بلالًا يؤذن ويدور ويُتْبِع فاه هاهنا وهاهنا وإصبعاه فى أذنيه . قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له حمراء أراها من أَدَم . قال : فخرج بلال

بين يديه بالعَنَزة [1] فركزها فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبد الرزاق : وسمعته بمكة قال : بالبَطْحاء يمرُّ بين يديه الكلب والمرأة والحمار وعليه حُلة حمراء ، كأنى أنظر إلى بريق ساقيه . قال : سفيان نراها حِبَرة .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عون بن أبى جُحَيفة ، عن أبيه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بالأبْطَح وهو فى قبة له حمراء ، فخرج بلال بفَضْل وضوئه ، فمِن ناضحٍ ونائل . قال : فأذَّن بلالٌ ، فكنت أتتبع فاه هكذا وهكذا — يعنى يمينا وشمالا — قال : ثم رُكِزت له عَنَزةٌ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه جبة له حمراء أو حُلة حمراء ، وكأنى أنظر إلى بَريق ساقيه ، فصلى بنا إلى عَنَزةٍ الظهرَ أو العصر ركعتين ، تمر المرأةُ والكلب والحمار لا يُمنع ، ثم لم يزل يصلى ركعتين حتى أتى المدينة .

وقال مرة : فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى .

وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن جعفر ؛ حدثنا شعبة وحجاج ، عن الحكم ، سمعت أبا جُحَيفة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء ، فتوضأ وصلى الظهر ركعتين وبين يديه عنزة .

وزاد فيه عَون عن أبيه ، عن أبى جُحيفة : وكان يمرّ من ورائنا الحمار والمرأة .

قال حجاج فى الحديث : ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم قال : فأخذتُ يده فوضعتها على وجهى فإذا هى أبْرَد من الثلج وأطيبُ ريحا من المسك .

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة بتمامه .

---

(١) العنزة : رميح بين العصا والرمح فيه زج .

فصل

فأقام عليه السلام بالأبطَح – كما قدمنا – يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء. وقد حلَّ الناسُ إلا من ساق الهدْىَ.

وقدِم فى هـذه الأيام علىٌّ بن أبى طالب من اليمَن بمن معه من المسلمين وما معه من الأموال، ولم يَعُد عليه السلام إلى الكعبة بعد ماطاف بها.

فلما أصبح عليه السلام يوم الخميس صلَّى بالأبْطَح الصبح من يومئذ، وهو يوم التَّرْوية، ويقال له يوم مِنًى لأنه يُسَار فيه إليها.

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب قَبل هـذا اليوم، ويقال للذى قبله فيما رأيته فى بعض التعاليق يومُ الزينـة، لأنه يزيَّن فيـه البُدْن بالجِلاَل[1] ونحـوها فالله أعلم.

قال الحافظ البيهقى: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أحمد بن محمد بن جعفر الُجلودى، حدثنا محمد بن إسماعيل بن مهران، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا أبو قُرَّة، عن موسى بن عُقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يومَ التَّرْوية خطب الناسَ فأخبرهم بمناسكهم.

فركب عليه السلام قاصداً إلى منى قبل الزوال، وقيل بعده، وأَحْرَم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا إلى مِنًى، وانبعثت رواحلهم نحوها.

قال عبد الملك، عن عطاء، عن جابر بن عبد الله، قدِمْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحْلَلنا، حتى كان يوم التروية وجعلنا مكة منا بظَهْر، لبينا بالحج.

ذكره البخارى تعليقا مجزوما.

---

(١) الجلال: جمع جل، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به.

وقال مسلم : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جُريج ، أخبرنى أبو الزبير عن جابر ، قال : أَمَرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أَحْلَلنا أن نُحْرِم إذا توجهنا إلى منًى . قال : وأَهْللنا من الأَبْطح .

وقال عُبيد بن جُريج لابن عمر : رأيتك إذا كنت بمكة أهلّ الناسُ إذا رأوا الهلال ولم تُهلّ أنت حتى يوم التروية ؟ فقال : لم أر النبيَّ صلى الله عليه وسلم يهلُّ حتى تنبعث به راحلته .

رواه البخارى فى جملة حديث طويل (١) .

قال البخارى : وسئل عطاء عن المجاورِ منًى يلبى بالحج . فقال : كان ابن عمر يلبى يومَ التَّرْوِية إذا صلى الظهر واستوى على راحلته .

قلت : هكذا كان ابن عمر يصنع إذا حج معتمراً ، يَحِلّ من العمرة ، فإذا كان يوم التروية لا يلبِّى حتى تَنْبعث به راحلتُه متوجهاً إلى منى ، كما أحرم رسول الله صلى الله عليه سلم من ذى الحُلَيفة بعد ما صلى الظهر وانبعثت به راحلته .

لكن يوم التروية لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم الظهر بالأَبْطَح ، وإنما صلاها يومئذ بمنًى ، وهذا مما لانزاع فيه .

* * *

قال البخارى : باب أين يصلى الظهر يوم التروية .

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا إسحاق الأزرق ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيع ، قال : سألت أنسَ بن مالك قال : قلت : أخبرنى بشىء عَقَلْتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين صلى الظهرَ والعصر يوم التروية ؟ قال : بمنًى . قلت : فأين صلى العصر بوم النَّفْر ؟ قال : بالأَبْطَح . ثم قال : افعل كما يفعل أمراؤك !

---

(١) الحديث بطوله فى صحيح البخارى فى كتاب اللباس : باب النعال السبتية وغيرها . ٤/٢٥ ط الأميرية

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان الثورى به . وكذلك رواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به . وقال الترمذى : حسن صحيح يستغرب من حديث الأزرق ، عن الثورى .

ثم قال البخارى : أنبأنا على ، سمع أبا بكر بن عيَّاش ، حدثنا عبد العزيز بن رُفيع ، قال : لقيت أنس بن مالك . وحدثنى إسماعيل بن أبان ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد العزيز ، قال :

خرجتُ إلى منًى يوم التَّرْوية فلقيت أنساً ذاهباً على حمار ، فقلت : أين صلى النبى صلى الله عليه وسلم هذا اليوم الظهر ؟ فقال : انظر حيث يصلى أمراؤك فصَلِّ .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو كُدَينة ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خمس صلوات بمنًى . وقال أحمد أيضا : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو مُحَيَاة يحيى بن يعلى التَّيْمى ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس](١) ، أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التروية بمنًى وصلى الغداة يوم عرفة بها .

وقد رواه أبو داود عن زهير بن حَرْب ، عن أحْوص ، عن جواب ، عن عمار بن رزيق ، عن سليمان بن مهران الأعمش به . ولفظه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى .

وأخرجه الترمذى عن الأشَجّ ، عن عبدالله بن الأجْلَح ، عن الأعمش بمعناه . وقال : ليس هذا مما عدَّه شُعبة فيما سمعه الحكم عن مِقْسَم .

وقال الترمذى : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبدالله بن الأجلح ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : صلى بنا رسول الله بمنًى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم غدَا إلى عرفات . ثم قال : وإسماعيل بن مسلم قد تُكلِم فيه .

(١) سقط من ا .

وفى الباب عن عبدالله بن الزبير وأنس بن مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنامن رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه راح إلى منى يوم التروية وإلى جانبه بلال بيده عُود عليه ثوب يُظلل به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من الحر - .

تفرد به أحمد .

وقد نص الشافعى على أنه عليه السلام ركب من الأبطح إلى مِنًى بعد الزوال ، ولكنه إنما صلى الظهر بمنى ، فقد يستدل له بهذا الحديث . والله أعلم .

* * *

وتقدم فى حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : فحلّ الناس كلهم وقصّروا إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هَدْى ، فلما كان يوم التَّرْوية توجهوا إلى منًى فأهَلُّوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقُبة له من شَعر فضربت له بنَمِرة .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريشٌ إلا أنه واقف عند المَشْعَر الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية .

فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضُربت له بنَمِرة ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقَصْواء فرحِّلت له ، فأتى بطنَ الوادى فخطب الناس . وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحُرْمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمى ، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أولَ دم أضَعُ من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وكان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هُذيل . وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع

كله ، واتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مُبرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعدى إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تُسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلّغت وأديت ونصحت . فقال : بإصبعه السَّبّابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد . ثلاث مرات .

وقال أبو عبد الرحمن النسائى : أنبأنا على بن حجر ، عن مغيرة ، عن موسى بن زياد بن حِذيم بن عمرو السعدى ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته يوم عرفة فى حجة الوداع : « اعلموا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحُرْمة يومكم هذا كحرمة شهركم هذا كحرمة بلدكم هذا .

وقال أبو داود : باب الخطبة على المنبر بعرفة : حدثنا هَنّاد ، عن ابن أبى زائدة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من بنى ضَمْرة ، عن أبيه أو عمه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر بعرفة .

وهذا الإسناد ضعيف ، لأن فيه رجلا مُبْهما . ثم تقدّم فى حديث جابر الطويل أنه عليه السلام خطب على ناقته القَصْواء .

ثم قال أبو داود : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا عبد الله بن داود ، عن سلمة بن نُبَيط ، عن رجل من الحى ، عن أبيه نُبيط ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة على بعير أحمر يخطب .

وهذا فيه مُبْهَم أيضاً ، ولكن حديث جابر شاهد له .

ثم قال أبو داود : حدثنا هَنّاد بن السَّرِى وعثمان بن أبى شيبة ، قالا : حدثنا وكيع ، عن عبد المجيد بن أبى عمرو ، قال : حدثنى العَدّاء بن خالد بن هَوْذَة . وقال هَنّاد : عن

عبد المجيد ، حدثني خالد بن العدّاء بن هَوْذة ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم عرفة على بعير قائما في الرِّكَابَيْن .

قال أبوداود : رواه ابن العلاء عن وكيع كما قال هَنَّاد . وحدثنا عباس بن عبدالعظيم ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا عبد المجيد أبو عمرو ، عن العداء بن خالد بمعناه .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفات : «من لم يجد نعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للمُحْرِم».

* * *

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقَوْل رسولِ الله وهو بعرفة ربيعةُ بن أمية بن خلف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أيها الناس إن رسول الله يقول : هل تدرون أي شهر هذا ؟ فيقولون: الشهر الحرام . فيقول: قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا . ثم يقول : قل أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي بلد هذا . وذكر تمام الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سُليم ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : بعثني عَتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة في حاجة ، فبلّغته ثم وقفت تحت ناقته وإن لعابها ليقع على رأسي ، فسمعته يقول : «أيها الناس إن الله أدَّى إلى كل ذي حَق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث . والولد للفراش وللعاهر الحجَر ، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو تولّى غير مَواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يَقْبل الله له صَرْفا ولا عَدْلا » .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قتادة، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عمرو بن خارجة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

قلت : وفيه اختلاف على قتادة . والله أعلم .

وسنذكر الخطبة التى خطبها عليه السلام بعد هذه الخطبة يوم النحر ، وما فيها من الحكم والمواعظ والتفاصيل والآداب النبوية إن شاء الله .

* * *

قال البخارى : باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة :

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن محمد بن أبى بكر الثقفى ، أنه سأل أنس بن مالك وهما غاديان من منى إلى عرفة : كيف كنتم تصنعون فى هذا اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان يُهِل منا المُهِل فلا يُنكِر عليه ويكبِّر المكبِّر منا فلا ينكر عليه .

وأخرجه مسلم من حديث مالك وموسى بن عُقبة ، كلاهما عن محمد بن أبى بكر بن عوف بن رَباح الثقفى الحجازى ، عن أنس به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مَسْلَمة ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتمّ بعبد الله بن عمر فى الحج ، فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس — أو زالت الشمس — فصاح عند فسطاطه : أين هذا ؟ فخرج إليه . فقال ابن عمر : الرواح . فقال : الآن ؟ قال : نعم . فقال : أنظرنى حتى أُفيضَ علىّ ماء . فنزل ابن عمر حتى خرج ، فسار بينى وبين أبى فقلت[1] : إن كنت تريد أن تصيب السُّنة اليومَ فاقصُر الخطبة وعجِّل الوقوف فقال ابن عمر : صدق .

ورواه البخارى أيضا عن القعْنَبىّ عن مالك . وأخرجه النسائى من حديث أشهب وابن وهب ، عن مالك .

ثم قال البخارى ، بعد روايته هذا الحديث : وقال الليث : حدثنى عَقِيل ، عن ابن

---

(١) القائل : سالم بن عبد الله للحجاج بن يوسف .

شهاب ، عن سالم ، أن الحجاج عام نزل بابن الزبير سأل عبد الله : كيف تصنع فى هذا الموقف ؟ فقال : إن كنت تريد السُّنة فهَجِّر بالصلاة يوم عرفة . فقال ابن عمر : صدَق ، إنهم كانوا يَجْمعون بين الظهر والعصر فى السُّنة . فقلت لسالم: أفعَل ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هل يبتغون بذلك إلا سُنّة ؟!

وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى عوف ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا من منى حين صلى الصبح صَبيحة يوم عرفة فنزل بنَمِرة وهى منزل الإمام الذى ينزل به بعرفة ، حتى إذا كان عندَ صلاة الظهر راح رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهجِّراً ، فجمع بين الظهر والعصر .

وهكذا ذكر جابر فى حديثه بعد ماأورد الخطبة المتقدمة قال : ثم أذن بلال ثم أقام، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصلّ بينهما شيئا .

وهذا يقتضى أنه عليه السلام خطب أولا ثم أقيمت الصلاة، ولم يتعرض للخطبة الثانية.

وقد قال الشافعى: أنبأنا إبراهيم بن محمد وغيره ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه وعن جابر فى حجة الوداع[1] ، قال : فراح النبى صلى الله عليه وسلم إلى الموقف بعرفة فخطب الناس الخطبة الأولى ثم أذَّن بلال ثم أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة الثانية ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان ، ثم أقام بلال فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر .

قال البيهقى : تفرد به إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى .

قال مسلم : عن جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقفَ فجعل بطنَ ناقته القَصْواء إلى الصخرات ، وجعل جَبل المشاة بين يديه ، واستقبَل القِبلة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث عن بُكَير ، عن كُرَيب ، عن ميمونة ، أن الناس شكوا فى صيام النبى صلى الله عليه وسلم

(١) ا : حجة الإسلام .

فأرسلتُ إليـه بحِلَاب[1] وهو واقف فى الموقف ، فشرب منـه والناس ينظرون .
وأخرجه مسلم عن هارون بن سعيد الأَيْلى ، عن ابن وهب به .

وقال البخارى : أنبأنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن أبى النَّضر مولى عمر بن عبيد الله ، عن عُمير مولى ابن عباس ، عن أم الفضل بنت الحارث ، أن ناساً تمارَوا عندها يوم عرفة فى صوم النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : هو صائم . وقال بعضهم : ليس بصائم . فأرسلت إليه بقدَح لبن وهو واقف على بعيره فشربه .

ورواه مسلم من حديث مالك أيضاً . وأخرجاه من طرق أخر عن أبى النَّضْر به .

قلت : أم الفضل هى أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وقصتهما واحدة . والله أعلم . وصحَّ إسنادُ الإرسال إليها ، لأنه من عندها ، اللهم إلا أن يكون بعد ذلك أو تعدَّد الإرسال من هذه ومن هذه . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، قال : لا أدرى أسمعتُه من سعيد ابن جُبير أم عن بَنِيه عنه ، قال : أتيتُ على ابنِ عباس وهو بعرفة وهو يأكل رُمَّانا ، وقال : أفطرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة وبعثت إليه أمُّ الفضل بلبن فشربه .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ابنُ أبى ذئب ، عن صالح مَوْلَى التَّوْأمة ، عن ابن عباس : أنهم تمارَوا فى صوم النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فأرسلت أمُّ فضـل إلى رسول الله بلبن فشربه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق وأبو بكر ، قالا : أنبأنا ابن جُريج ، قال : قال عطاء : دعا عبدُ الله بن عباس الفضلَ بن عباس إلى الطعام يوم عرفة ، فقال : إنى صائم . فقال عبد الله : لا تَصُم فإن رسول الله قُرِّب إليه حِلَاب فيه لبن يوم عرفة فشرب منه ، فلا تصم فإن الناس مُسْتَنُّون بكم . وقال ابن بُكَير ورَوْح : إن الناس يَسْتَنُّون بكم .

---

(١) الحلاب : إناء يحلب فيه .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : بَيْنا رجل واقف مع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقَصَتْه أو قال فأَوْقصته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اغسلوه بماء وسِدْر وكفنوه في ثوبين ولا تُمسوه طيبا ولا تخمِّروا رأسَه ولا تحنِّطوه ، فإن الله يبعثه يوم القيامة مُلبّياً » .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزَّهراني عن حماد بن زيد .

وقال النسائي : أنبأنا إسحاق بن إبراهيم ، هو ابن راهويه ، أخبرنا وكيع ، أنبأنا سفيان الثوري ، عن بكير بن عطاء ، عن عبد الرحمن بن يَعْمر الدِّيلي ، قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، وأتاه أناسٌ من أهل نجد فسألوه عن الحج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجُّ عرفة ، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جَمْع فقد تم حَجه » .

وقد رواه بقية أصحاب السنن من حديث سفيان الثوري. زاد النسائي وشعبة عن بُكَير ابن عطاء به .

وقال النسائي: أنبأنا قتيبة ، أنبأنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني عمرو بن عبدالله ابن صفوان أن يزيد بن شَيبان قال : كنا وقوفاً بعرفة مكانا بعيداً من الموقف ، فأتانا ابنُ مِرْبع الأنصاري فقال : إني رسول رسول الله إليكم يقول ، لكم : « كونوا على مَشَاعركم فإنكم على إرْث من إرثِ أبيكم إبراهيم » .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ولا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وابن مِرْبع اسمه زيد بن مِرْبع الأنصاري ، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد .

قال : وفي الباب عن علي وعائشة وجُبير بن مُطْعم والشَّريد بن سُويد . وقد تقدم

من رواية مسلم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقفتُ هاهنا وعرفةُ كلها مَوْقف : زاد مالك فى مُوطئه : وارفعوا عن بطن عرفة .

فصل

فيما حُفِظ من دعائه عليه السلام وهو واقف بعرفة

قد تقدم أنه عليه السلام أفطَر يوم عرفة ، فدلّ على أن الإفطار هناك أفضل من الصيام ، لما فيه من التقوِّى على الدعاء ، لأنه المقصود الأهم هناك .

ولهذا وقف عليه السلام وهو راكب على الراحلة من لَدُن الزوال إلى أن غَربت الشمس .

وقد روى أبو داود الطَّيالسى فى مسنده ، عن حَوْشَب بن عَقِيل ، عن مَهْدى الهجَرىّ ، عن عكرمة ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نَهى عن صوم يوم عرفة بعرفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مَهدى ، حدثنا حَوْشب بن عقيل ، حدثنى مَهْدى المحاربىّ ، حدثنى عكرمة مولى ابن عباس ، قال : دخلتُ على أبى هريرة فى بيته فسألته عن صوم يوم عرفة بعرفات ، فقال : نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم عرفة بعرفات . وقال عبدُ الرحمن مرةً : عن مهدى العَبْدى .

وكذلك رواه أحمد عن وكيع ، عن حَوْشب ، عن مهدى العبدى فذكره . وقد رواه أبو داود عن سليمان بن حرب ، عن حَوْشب ، والنسائىُّ عن سليمان بن مَعْبَد ، عن سليمان بن حرب به . وعن الفَلاَّس عن ابن مَهْدى به . وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد ، كلاهما عن وَكيع ، عن حَوْشب .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمـرو ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو أسامة الـكَلْبى ، حدثنا حسن بن الربيع ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن حوشب بن عقيل ، عن مَهْدى الهجَرِىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة .

قال البيهقى : كذا قال الحـارث بن عبيد ، والمحفوظ : عن عِـكْرمة عن أبى هريرة

وروى أبو حاتم محمد بن حِبّان البُسْتِىّ ، فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو ، أنه سئل عن صوم يوم عرفة فقال : حجَجْتُ مع رسول الله فلم يَصُمه ، ومع أبى بكر فلم يَصُمْه ، ومع عمر فلم يصمه ، وأنا فلا أصومه ولا آمر به ولا أَنْهَى عنه .

* * *

قال الإمام مالك عن زياد بن أبى زياد مولى ابن عباس ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضلُ الدعاء يوم عرفة ،وأفضلُ ماقلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له » .

قال البيهقى : هـــذا مُرسَل . وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولاً ، وإسناده ضعيف .

وقد روى الإمام أحمد والترمذى ، من حديث عمرو بن شُعَيب ، عن أبيــه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضلُ الدعاء يوم عرفة ، وخيرُ ماقلتُ أنا والنبيّون من قَبلى : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمـد ، وهو على كل شىء قدير » .

وللإمام أحمد أيضاً عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليــه وسلم يوم عرفة : « لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ،

له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَة ، أنبأنا أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابورى ، حدثنا أحمد بن داود بن جابر الأَحْمَسى ، حدثنا أحمد بن إبراهيم المَوْصِلى ، حدثنا فَرَج ابن فَضَالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعائى ودعاء الأنبياء قَبْلى عشيةَ عرفة : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، يعنى ابن عبد ربه الجرجى، حدثنا بقِيّة بن الوليد ، حدثنى جُبير بن عمرو القرشى ، عن أبى سعيد الأنصارى ، عن أبى يحيى مولى آل الزبير ابن العوام ، عن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : « شَهِد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم قائماً بالقِسْط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » وأنا على ذلك من الشاهدين يارب .

***

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى مناسكه : حدثنا الحسن بن مثنَّى بن معاذ العَنْبرى حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة ، عن علىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفضلُ ماقلت أنا والأنبياء قبلى عشية عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » .

وقال الترمذى فى الدعوات : حدثنا محمد بن حاتم المؤدِّب ، حدثنا على بن ثابت ، حدثنا قيس بن الربيع ، وكان من بنى أسد ، عن الأغرّ بن الصَّباح ، عن خليفة بن حُصَين ، عن على رضى الله عنه ، قال : كان أكثر مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة فى الموقف : « اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيراً مما نقول ، اللهم لك

صلاتى ونُسكى ومَحْيايَ ومماتى ولك رب تُراثى ، أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشَتَات الأمر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتهبُّ به الريح » .

ثم قال : غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوى .

وقد رواه الحافظ البيهقى من طريق موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن علىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أكثر دعاء مَن كان قَبلى ودعائى يوم عرفة أن أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبى نورا . اللهم اشرح لى صدرى ويسِّر لى أمْرى ، اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وشر فتنة القبر وشر مايَلِج فى الليل وشرّ مايلج فى النهار وشر ماتهبُّ به الرياح وشر بَوائق الدهر » .

ثم قال : تفرّد به موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف وأخوه عبد الله لم يُدرك عليًّا .

وقال الطبرانى فى مناسكه : حدثنا يحيى بن عثمان النَّصْرى ، حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا يحيى بن صالح الأيْلى ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « اللهم إنك تَسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سِرّى وعلانيتى ، ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوَجِل المُشْفِق المقرُّ المعترف بذنبه ، أسالك مسألةَ المسكين وأبتهل إليك ابتهالَ الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضَّرير ، مَن خضعتْ لك رقبتُه وفاضت لك عَبْرته ، وذل لك جَسده ورَغِم لك أنفُه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك ربِّ شقيًّا وكن بى رءوفا رحيما ، ياخيرَ المسئولين وياخير المُعْطِين » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، أنبأنا عبد الملك ، حدثنا عطاء ، قال : قال أسامة بن زيد : كنت رَدِيف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات ، فرفع يديه يدعو ،

فمالت به ناقته فسقطَ خطامُها . قال : فتناول الخطامَ بإحـدى يديه وهو رافعٌ يده الأخرى .

وهكذا رواه النسائى عن يعقوب بن إبراهيم ، عن هُشَيم .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب، حدثنا على بن الحسن ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، حدثنا ابن جُريج ، عن حسين ابن عبد الله الهاشمى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة يداه إلى صدره كاستطعام المسكين .

* * *

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا عبـد القاهر بن السَّرِى ، حدثنى ابنٌ لِـكنانة بن العباس بن مِرْداس ، عن أبيه ، عن جده عباس بن مرداس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشيةَ عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثَر الدعاء ، فأوحى الله إليه : إنى قد فعلتُ إلا ظُلْمَ بعضهم بعضاً ، وأما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتُها . فقال : يارب إنك قادر على أن تُثيب هـذا المظلومَ خيراً من مَظلمته وتغفر لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية .

فلما كان غداة المزْدَلفة أعاد الدعاء ، فأجابه الله تعالى : إنى قد غفرت لهم (١) . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعض أصحابه : يارسول الله تبسمتَ فى ساعة لم تـكن تتبسم فيهـا ؟ قال : تبسمتُ من عدو الله إبليس ، إنه لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لى فى أمتى أَهْـوَى يدعو بالويل والثبور ويحثو الترابَ على رأسه .

---

(١) ذكر الزرقانى فى شرح المواهب ٨/١٨٩ أن ابن حجر صنف فى هذا الحديث كراساً سماه : «قوة الحجاج فى عموم المغفرة للحجاج» ثم قال : وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث ابن مرداس . وقال الطبرى : إنه محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها .

ورواه أبو داود السِّجِسْتانى فى سننه ، عن عيسى بن إبراهيم البُرَكِىّ وأبى الوليد الطيالسى ، كلاهما عن عبد القاهر بن السَّرى ، عن ابنٍ لكنانة بن عباس بن مِرْداس ، عن أبيه عن جده . مختصرا .

ورواه ابن ماجه ، عن أيوب بن محمد الهاشمى بن عبد القاهر بن السَّرى ، عن عبد الله بن كِنانة بن عباس ، عن أبيه عن جده به . مطوّلا .

ورواه ابن جرير فى تفسيره عن إسماعيل بن سيف العِجْلى ، عن عبد القاهر ابن السَّرى ، عن ابنٍ لكنانة ، يقال له أبو لُبَابة ، عن أبيه عن جده العباس بن مرداس فذكره .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرى [١] ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عمن سمع قتادة يقول : حدثنا جُلَاس بن عمرو ، عن عُبادة ابن الصامت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة : « أيها الناس إن الله تَطوّل عليكم فى هذا اليوم فغفَر لكم إلا التَّبِعات فيما بينكم ، ووهَب مُسيئَكم لمحسِنكم . وأعطَى محسنكم ماسأل ، فادفعوا باسم الله » .

فلما كانوا بجَمْع قال : « إن الله قد غَفر لصالحكم وشَفَّع صالحيكم فى طالحيكم ، تَنْزل الرحمةُ فتعمُّهم ثم تُفرِّق الرحمة فى الأرض فتقع على كل تائب ممن حَفظ لسانه ويده . وإبليسُ وجنوده على جبال عرفات ينظرون مايصنع الله بهم ؛ فإذا نزلت الرحمةُ دعا هو وجنوده بالويل والثُّبور ، كنت أستفِزُّهم حِقَباً من الدهر [خوف] [٢] المغفرة فغشيَتْهم . فيتفرّقون يَدْعون بالويل والثبور .

---

(١) نسبة إلى دبر : قرية باليمن .
(٢) بياض بالأصل .

ذكر ما نَزَل على رسول الله من الوَحْى المُنِيف
فى هذا الموقف الشريف

قال الإمام أحمد : حدثنا جعفر بن عَوْن ، حدثنا أبو العُمَيْس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آيةً فى كتابكم لو علينا معشرَ اليهود نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأىّ آية هى ؟ قال : قوله تعالى : « اليومَ أكملتُ لكم دِينكم وأتممْتُ عليكم نِعْمتى ورضيتُ لكم الإسلام دينا » .

فقال عمر : والله إنى لَأعلم اليومَ الذى نزلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعةَ التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيّةَ عرفة فى يوم جمعة .

ورواه البخارى عن الحسن بن الصباح ، عن جعفر بن عون . وأخرجه أيضاً ومسلم والترمذى والنسائى من طُرق عن قيس بن مسلم به .

ذكر إفاضته عليه السلام من عرفات إلى المشْعَر الحرام

قال جابر فى حديثه الطويل : فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصُّفرةقليلا قليلا حين غاب القرص ، فأردف أسامةَ خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنَق لناقتهالقَصْواء الزمامَ حتى إن رأسها ليصيب مَوْرِكَ رحله ، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السَّكينة السكينة . كلما أتى جَبلا من الجبال أرْخَى لها قليلا حتى تَصْعد ، حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبِّح بينهما شيئا .

رواه مسلم .

وقال البخارى : باب السَّير إذا دَفع من عرفة .

حدثنا عبدالله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام بنعروة ، عن أبيه ، قال : سئل أسامة وأنا جالس : كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع حين دفع ؟ قال : كان يسير العَنَق (١) فإذا وجد فجوةً نَصَّ .

قال هشام : ـ والنَّصُّ ـ فوقَ العنق .

ورواه الإمام أحمد وبقية الجماعة إلا الترمذى من طرق عِدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أسامة بن زيد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، قال : كنت رَديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةَ عرفة . قال : فلما وقعت الشمسُ دَفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع حَطمة (٢) الناس خلفَه قال : رُوَيداً أيها الناس ، عليكم السَّكينة إن البِرَّ ليس بالإيضاع (٣) .

---

(١) العنق : نوع من سير الإبل فيه إسراع .

(٢) الحطمة : ازدحام الناس ودفع بعضهم بعضاً .

(٣) الإيضاع : الإسراع .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التحم عليه الناسُ أَعْنَقَ وإذا وجد فُرْجةً نَصَّ ، حتى أتى المزدلفةَ فجمع فيها بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة .

ثم رواه الإمام أحمد من طريق محمد بن إسحاق ، حدثنى إبراهيم بن عُقبة ، عن كُرَيب ، عن أسامة بن زيد . فذكر مثله . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة وأنا رَدِيفه ، فجعل يَكْبح راحلته حتى إن ذِفْراها[1] ليكاد يصيب قادِمة الرَّحْل . ويقول : « يا أيها الناس عليكم السَّكينة والوقار ، فإن البِرَّ ليس فى إيضاع الإبل » .

وكذا رواه عن عفان ، عن حماد بن سلمة به ، ورواه النسائى من حديث حماد بن سلمة به .

ورواه مسلم عن زُهير بن حَرْب ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بنحوه . قال : وقال أسامة : فما زال يسير على هَيئته حتى أتى جَمْعاً .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، حدثنا ابن أبى فُدَيْك ، عن ابن أبى ذئب ، عن شُعبة ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، أنه رَدِفَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة حتى دخل الشِّعْب ، ثم أَهْراق الماء وتوضأ ، ثم ركب ولم يصلّ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هَمَّام ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الشَّعْبى ، عن أسامة بن زيد ، أنه حدثه قال : كنت رديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفات ، فلم ترفع راحلتُه رجلَها غاديةً حتى بلغ جَمْعا .

---

(١) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن عُقبة ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، أخبرني أسامة بن زيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم أَرْدَفَه من عرفة ، فلما أتى الشِّعْب نزل فبال ، ولم يقل أهْراق الماء ، فصببتُ عليه فتوضأ وضوءاً خفيفا فقلت : الصلاة ؟فقال : الصلاة أمامَك .

قال : ثم أتى المزدلفة فصلى المغرب ، ثم حَلُّوا رحالَهم وَأَعَنْتُهُ ثم صلى العشاء .

كذا رواه الإمام أحمد عن كُريب ، عن ابن عباس عن أسامة بن زيد ، فذكره .

ورواه النسائي عن الحسين بن حُرَيْث(١) ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن عقبة ومحمد ابن أبي حَرْملة ، كلاهما عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، عن أسامة .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في أطرافه : والصحيح : كُرَيب عن أسامة .

وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن موسى بن عُقبة ، عن كُرَيب ، عن أسامة بن زيد ، أنه سمعه يقول : دَفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ، فنزل الشِّعْب فبالَ ثم توضأ فلم يُسبغ الوضوء ، فقلت له : الصلاة ؟ فقال : الصلاةُ أمامَك . فجاء المُزْدَلفةَ فتوضأ فأسبَغ ، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ، ثم أناخ كلُّ إنسان بعيرَه في مَنزله ، ثم أقيمت الصلاة فصلى العشاء ولم يصلِّ بينهما .

وهكذا رواه البخاري أيضاً عن القَعْنَبيّ ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، والنسائي عن قتيبة عن مالك ، عن موسى بن عُقبة به . وأخرجاه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن موسى بن عقبة أيضاً .

ورواه مسلم من حديث إبراهيم بن عقبة ومحمد بن عقبة ، عن كُرَيب ، كنحو رواية أخيهما موسى بن عقبة عنه .

وقال البخاري أيضا : حدثنا قتيبة ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن أبي حَرْمَلة ، عن كُرَيب ، عن أسامة بن زيد ، أنه قال : رَدِفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما

---

(١) الحديث في سنن النسائي ٢/٤٦ : حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان .

بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشِّعبَ الأيسر الذى دونَ المزدلفة أناخ فبالَ ؛ ثم جاء فصبَبْت عليه الوضوء فتوضأ وضوءاً خفيفا . فقلت : الصلاة يا رسول الله ؟ قال : الصلاة أمامَك ؛ فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفةَ ؛ فصلى ثم ردف الفضلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غداة جَمْع . قال كُرَيب : فأخبرنى عبدالله بن عباس عن الفضل ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبيِّ حتى بلغ الجمرة .

ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى . ويحيى بن أيوب ؛ وعلى بن حجر ؛ أربعتهم عن إسماعيل بن جعفر به .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عمر بن ذَرٍّ ؛ عن مجاهد عن أسامة بن زيد ؛ أن رسول الله أَرْدَفه من عرفة . قال : فقال الناس : سيخبرنا صاحبُنا ما صَنع . قال : فقال أسامة : لما دفع من عرفة فوقف كفَّ رأسَ راحلته حتى أصاب رأسُها واسطة الرَّحْل أو كاد يصيبه ، يشير إلى الناس بيده : السَّكينة السكينة السكينة . حتى أتى جَمْعا ثم أردف الفضل بن عباس ، قال فقال الناس : سيخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله . فقال الفضل : لم يزل يسير سيراً ليِّنا كسيره بالأمس ، حتى أتى على وادى مُحسِّر فدفع فيه حتى استوت به الأرض .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا إبراهيم بن سُوَيد ، حدثنى عمرو ابن أبى عمرو مولى المطَّلب ، أخبرنى سعيد بن جُبير مولى والبة الكوفى ، حدثنى ابن عباس أنه دفع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زَجْراً شديداً وضربا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال : « أيها الناس عليكم بالسَّكينة فإن البِر ليس بالإيضاع » .

تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائى

هذا من طريق عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا المسعودى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : لما أفاض رسول الله من عرفات أَوْضَعَ الناس ، فأمر رسول الله منادياً ينادى : أيها الناس ليس البِرّ بإيضاع الخيل ولا الرِّكاب . قال : فما رأيت من رافعةٍ يديها غاديةً حتى نزل جَمْعا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين وأبو نُعيم ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن عبد العزيز ابن رُفيع ، قال : حدثنى مَن سمع ابنَ عباس يقول : لم يَنْزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات وجَمْع إلا أُريق الماء .

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عبد الملك ، عن أنس بن سيرين ، قال : كنت مع ابن عمر بعرفات ، فلما كان حين راح رُحْت معه حتى الإمام ، فصلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحاب لى حتى أفاض الإمام فأفَضْنا معه ، حتى انتهينا إلى المضيق دون المَأْزِمين[1] فأناخ وأنخنا ، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلّى ، فقال غلامه الذى يمسك راحلته : إنه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته ، فهو يحب أن يقضى حاجته .

وقال البخارى : حدثنا موسى، حدثنا جُوَيرية ، عن نافع ،قال : كان عبدالله بن عمر يَجْمع بين المغرب والعشاء بجَمْع ، غير أنه يمرّ بالشِّعْب الذى أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فينتفِضُ ويتوضأ ولا يصلى حتى يجىء جَمْعاً .

تفرد به البخارى رحمه الله من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا آدم بن أبى ذئب ، عن الزُّهرى ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابن عمر ، قال : جمعَ النبى صلى الله عليه وسلم المغربَ والعشاء بجَمْع ، كلُّ واحدة منهما

---

(١) المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة ، وآخر بين مكة ومنى .

بإقامة ، ولم يسبّح بينهما ولا على إثر واحدة منهما .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن مالك ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزْدَلفة جميعا .

ثم قال مسلم : حدثنى حَرْمَلة ، حدثنى ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب أن عبيدالله بن عبدالله بن عمر أخبره أن أباه قال : جَمَع رسول الله بين المغرب والعشاء بَجْمع ليس بينهما سجدة ، فصلى المغربَ ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين . فكان عبدالله يصلى بجْمع كذلك حتى لحق بالله .

ثم روى مسلم من حديث شُعبة عن الحكم ، وسلمة بن كُهَيل، عن سعيد بن جبير ، أنه صلى المغرب بجَمْع والعشاء بإقامةواحدة . ثم حدَّث عن ابن عمر أنه صلى مثلَ ذلك . وحدَّث ابنُ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع مثلَ ذلك .

ثم رواه من طريق الثَّورى ، عن سلَمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجَمْع ، صلى المغرب ثلاثا والعشاء ركعتين بإقامة واحدة .

ثم قال مسلم : حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة، حدثنا عبدالله بن جُبير ،حدثنا إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى إسحاق ، قال : قال سعيد بن جبير : أفَضْنا مع ابن عمر ، حتى أتينا جَمْعاً فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة ، ثم انصرف فقال : هكذا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان .

وقال البخارى : حدثنا خالد بن مَخْلد ، حدثناسليمان بن بلال ، حدثنى يحيى بن سعيد، حدثنى عَدِىّ بن ثابت ، حدثنى عبد الله بن يزيد الخطمى ، حدثنى أبو يزيد الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمَع فى حجة الوداع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة .

ورواه البخارى أيضا فى المغازى عن القَعْنَبىّ، عن مالك ، ومسلمٌ من حديث سليمان

ابن بلال والليث بن سعد، ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عدى بن ثابت .

ورواه النسائى أيضاً عن الفَلاَّس عن يحيى القَطَّان عن شُعبة عن عَدِى بن ثابت به .

ثم قال البخارى : باب من أذَّن وأقام لكل واحدة منهما :

حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زُهَير بن حرب ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت عبد الرحمن ابن يزيد يقول : حجَّ عبدُ الله فأتينا المزدلفة حين الأذان بالعتَمة أو قريباً من ذلك ، فأمر رجلا فأذَّن وأقام ثم صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين ، ثم دعا بعَشائه فتعشى ثم أمر أرَى رجلا فأذَّن وأقام . قال عمرو : لا أعلم الشكَّ إلا من زهير . ثم صلى العشاء ركعتين فلما طلع الفجر قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى هذه الساعة إلا هذه الصلاة فى هذا المكان من هذا اليوم . قال عبدالله : هما صلاتان تُحوَّلان عن وقتهما : صلاة المغرب بعد ما يأتى الناس المزدلفة ، والفجر حين يَبزغ الفجر . قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يفعله .

وهذا اللفظ وهو قوله : « والفجر حين يبزغ الفجر » أَبْيَن وأَظْهر من الحديث الآخر الذى رواه البخارى عن حفص بن عمر بن غِيَاث، عن أبيه، عن الأعمش ، عن عمارة عن عبد الرحمن عن عبدالله بن مسعود قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين : جمع بين المغرب والعشاء وصلاة الفجر قبلَ ميقاتها .

ورواه مسلم من حديث أبى معاوية وجرير عن الأعمش به .

وقال جابر فى حديثه : ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حين تبيَّن له الصبح بأذان وإقامة .

وقد شهد معه هذه الصلاة عروةُ بن مُضَرِّس بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى .

قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا ابن أبى خالد وزكريا ، عن الشَّعبى ، أخبرنى

عروة بن مُضَرِّس ، قال : أتيت النبي صلى الله عيله وسلم وهو بجَمْع فقلت : يا رسول الله جئتك من جَبَلَيْ طيء أتعبت نفسي وأَنْضَيتُ راحلتي ، والله ما تركتُ من جبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال : من شهد معنا هذه الصلاة يعني صلاة الفجر بجَمْع ووقف معنا حتى يُفيض منه ، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلا أو نهاراً ، فقد تمَّ حجُّه وقضى تَفَثَه (١) .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً وأهلُ السنن الأربعة من طرق ، عن الشَّعبي ، عن عروة ابن مُضَرِّس . وقال الترمذي : حسن صحيح .

فصــــل

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم طائفةً من أهله بين يديه من الليل قبل حَطْمة الناس من المزدلفة إلى مِنًى .

قال البخاري : باب من قدَّم ضَعفه أهله بالليل ، فيقفون بالمزدلفة ويدْعون ويقْدَم إذا غاب القمرُ .

حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : قال سالم: كان عبدالله بن عمر يقدِّم ضَعفة أهله فيقفون عند المشْعَر الحرام بليل ، فيذكرون الله ما بَدا لهم ، ثم يَدْفعون قبل أن يقف الإمامُ وقبل أن يَدْفع ، فمنهم من يَقْدَم منًى لصلاة الفجر ومنهم من يَقْدَم بعد ذلك، فإذا قدموا رَموا الجمْرةَ . وكان ابن عمر يقول : أَرْخَص في أولئك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَمْع بلَيْل .

---

(١) التفث : الشعث ، وما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق العانة وغير ذلك .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبدالله ، حدثنا سفيان، أخبرنى عبدالله بن أبى يزيد، سمع ابنَ عباس يقول : أنا ممن قدَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليلَةَ المزدلفة فى ضَعفة أهله .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرنى عطاء ، عن ابن عباس ، قال : بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَمْع بسَحَر مع ثَقَلَه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح حدثنا سفيان الثورى ، حدثنا سلمة بن كُهَيل ، عن الحسن العُرَني،[1] عن ابن عباس ، قال : قدَّمنا رسولُ الله أُغَيْلمة بنى عبدالمطلب على حمراتنا فجعل يَلْطح[2] أفخاذَنا بيده ويقول : أَبَنِيَّ لا ترموا الجمرةَ حتى تطلع الشمس . قال ابن عباس : ما أخال أحداً يرمى الجمرةَ حتى تطلع الشمس .

وقد رواه أحمد أيضا عن عبدالرحمن بن مهدى ، عن سفيان الثورى فذكره . وقد رواه أبو داود ، عن محمد بن كثير ، عن الثورى به . والنسائى عن محمد بن عبد الله بن يزيد ، عن سفيان بن عُيينة ، عن سفيان الثورى به . وأخرجه بن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن مِسْعر وسفيان الثَّورى ، كلاهما عن سلمة بن كهيل به .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو الأَحْوص، عن الأعمش ، عن الحكَم ابن عُيينة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : مرَّ بنا رسول الله ليةَ النحر وعلينا سَوادٌ من الليل ، فجعل يضرب أفخاذنا ويقول : أَبَنِيَّ أفيضوا لا تَرْموا الجمرةَ حتى تطلع الشمس .

ثم رواه الإمام أحمد من حديث المسعودى ، عن الحكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس،

---

(١) نسب إلى عرينة بن نذير . . بطن من بجيلة . اللباب ٢/١٣٣ .

(٢) يلطح : يضرب ببطن كفه .

قال : قدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضَعَفَةَ أهله من المزدلفة بليل ، فجعل يوصيهم أن لا يَرْموا جَمْرة العقَبة حتى تطلع الشمس .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان ابن أبى شيبة ، حدثنا الوليد بن عُقبة ، حدثنا حمزة الزيات بن حبيب ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقدِّم ضَعفة أهله بغلَس[1] ويأمرهم – يعنى أن لا يَرموا الجمرة حتى تطلع الشمس – .

وكذا رواه النسائى عن محمود بن غَيْلان ، عن بشر بن السَّرِى ، عن سفيان ، عن حبيب. قال الطبرانى : وهو ابن أبى ثابت.عن عطاء ، عن ابن عباس. فخرج حمزةُ الزَّيات من عُهدته وجادَ إسنادُ الحديث . والله أعلم .

* * *

وقد قال البخارى : حدثنا مسدَّد ، عن يحيى ، عن ابن جريج ، حدثنى عبدالله مولى أسماء ، عن أسماء ، أنها نزلت ليلة جَمْع عندَ المزدلفة ، فقامت تصلى فصلَّت ساعة ثم قالت : يابنىّ هل غاب القمر ؟ قلت : لا . فصلّت ساعةً ثم قالت : هل غاب القمر ؟ قلت : نعم . قالت : فارتحلوا . فارتحلنا فمضينا حتى رَمتْ الجمرةَ ، ثم رجعت فصلَّت الصبح فى منزلها ، فقلت لها : يا هَنْتَاه ما أرانا إلا قد غلَّسْنا . فقالت : يا بنى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذِن للظُّعُن .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج به .

فإن كانت أسماء بنت الصديق رَمت الجمارَ قبل طلوع الشمس ، كما ذُكر هاهنا ، عن توقيف فروايتها مقدَّمة على رواية ابن عباس ، لأن إسناد حديثها أصحُّ من إسناد حديثه ، اللهم إلا أن يقال : إن الغلمان أخف حالاً من النساء وأنشط ، فلهذا أَمر الغلمان بأن لا يَرْموا قبلَ طلوع الشمس وأَذِن للظُّعُن فى الرمى قبل طلوع الشمس ، لأنهم أثقلُ حالاً وأبلَغ فى التستّر . والله أعلم .

---

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .

وإن كانت أسماء لم تفعله عن توقيف ، لحديث ابن عباس مقدَّم على فعلها .

لكن يقوِّي الأولَ قول أبي داود : حدثنا محمد بن خَلَّاد الباهِلى ، حدثنا يحيى ، عن ابن جُريج ، أخبرنى عطاء ، أخبرنى مُخْبر عن أسماء ، أنها رَمت الجمرةَ بليل. قلت : إنا رمينا الجمرةَ بليل . قالت : إنا كنا نصنع هذا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا أَفلح بن حُميد ، عن القاسم ، عن محمد ، عن عائشة ، قالت : نزلنا المزدلفةَ فاستأذنت النبىَّ صلى الله عليه وسلم سَوْدةُ أن تَدْفع قبل حَطْمة الناس ، وكانت امرأةً بطيئة ، فأذن لها فدَفعت قبل حَطْمة الناس ، وأقمنا نحن حتى أصبحنا ، ثم دَفَعْنا بدَفْعه فلأَن أكون استأذنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنتْ سَوْدةُ أحبُّ إلىَّ من مَفروح به .

وأخرجه مسلم عن القَعْنَبىّ عن أفلح بن حُميد به . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة به .

وقال أبو داود : حدثنا هارون بن عبدالله ، حدثنا ابن أبى فُدَيْك ، عن الضحاك - يعنى ابن عثمان - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأمِّ سلمة ليلةَ النحر فرمَت الجمرةَ قبل الفجر ، ثم مَضتْ فأفاضت ، وكان ذلك اليوم الذى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو داود - يعنى عندها - .

انفرد به أبو داود ، وهو إسناد جيد قوىّ رجاله ثقات .

ذكر تَلْبيته عليه السلام بالمزدلفة

قال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو الأَحْوَص ، عن حُصَين ، عن كَثير بن مُدْرِك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله ونحن بَجَمْع : سمعتُ الذى أُنزلت عليه سورة البقرة يقول فى هذا المقام : لبَّيك اللهم لبيك .

فصـــل

فى وقوفه عليه السلام بالمشعَر الحرام، ودَفْعه من المزدلفة قبل طلوع الشمس وإيضاعه فى وادى مُحَسِّر

قال الله تعالى : « فإذا أفَضْتُم مِن عرفاتٍ فاذكروا الله عندَ المشْعَر الحرام[1] » الآية

وقال جابر فى حديثه : فصلى الفجرَ حين تبيَّن له الصبح بأذان وإقامة ، ثم رَكب القَصْواءَ حتى أتى المَشْعَر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله عز وجل وكبَّره وهلله ووحَّده، فلم يزل واقفا حتى أسْفَر جـداً ، ودَفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردفَ الفضلَ بن عباس وراءه .

وقال البخارى : حدثنا حَجَّاج بن مِنْهال ، حدثنا شعبة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : شهدتُ عمر صلى بجَمْع الصبحَ ثم وقف فقال : إن المشركين كانوا لا يُفيضون حتى تطلع الشمس ، ويقولون أَشْرِقْ ثَبِير ، وإن رسول الله صـلى الله عليه وسلم أفاض قبل أن تطلع الشمس .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : خرجتُ مع عبد الله إلى مكة ثم قدِمنا جَمْعاً ، فصلى صلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة والعشاء بينهما ، ثم صلى الفجر حـين طلع الفجر ، قائلٌ يقول : طلع الفجر . وقائل يقول : لم يطلع الفجر . ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هاتين الصلاتين حُوِّلتا عن وقتهما فى هذا المـكان : المغرب فلا تَقْدَم الناسُ جَمعاً حتى يقيموا ، وصلاة الفجر هذه الساعة . ثم وقف حتى أَسْفَر ثم قال : لو أنّ أمير المؤمنين أفاض الآن أصابَ السُّنَّة . فلا أدرى : أَقَوْله كان أسرعَ أو دَفْع عثمان ، فلم يزل

(١) سورة البقرة ١٩٨ .

يلبي حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر .

* * *

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشَّيبانى ، حدثنا يحيي بن محمد بن يحيي ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العَبْسى ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مَخْرَمة ، عن المِسْور بن مَخْرَمة ، قال : خطبنا رسولُ الله بعرفة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن أهل الشِّرك والأوثان كانوا يَدْفعون من هاهنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رءوس الجبال مثلَ عمائم الرجال على رءوسها ، هَدْيُنا مخالفٌ لهديهم . وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رءوس الجبال مثل عمائم الرجال على رءوسها ، هَدْيُنا مخالف لهديهم » .

قال : ورواه عبدالله بن إدريس ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مَخْرَمة مرسلا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو خالد سليمان بن حَيَّان ، سمعت الأعمش ، عن الحكم عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من المزدلفة قبل طلوع الشمس .

وقال البخارى : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، عن يونس الأيلى ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، أن أسامة كان رِدْف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى . قال : فكلاهما قال : لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة .

ورواه ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وروى مسلم من حديث الليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن أبى معبَد ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، وكان رديفَ رسول الله صلى الله عليه سلم ، أنه قال فى عشية

عرفة وغداةَ جَمْع للناس حين دَفعوا : عليكم بالسكينة. وهو كافٌّ ناقته حتى دخل مُحسِّراً وهو من منًى . قال : عليكم بحصى الخذْف الذى يُرمى به الجمرة . قال : ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى الجمرة .

* **

وقال الحافظ البيهقى : باب الإيضاع فى وادى محسِّر[1] . أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو عمرو المقرى وأبو بكر الورّاق ، أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار وأبو بكر بن أبى شيبة ، قالا : حدثنا حاتم بن اسماعيل ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر فى حج النبى صلى الله عليه وسلم . قال : حتى إذا أتى مُحسِّراً حرَّك قليلا .

رواه مسلم فى الصحيح ، عن أبى بكر بن شيبة .

ثم روى البيهقى من حديث سفيان الثورى ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السَّكينة وأمرَهم بالسكينة وأَوْضَع فى وادى مُحسِّر ، وأمرهم أن يرموا الجمار بمثل حصى الخذف . وقال : خذوا عنى مناسككم ، لعلى لا أراكم بعد عامى هذا .

ثم روى البيهقى من حديث الثورى ، عن عبدالرحمن بن الحارث ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن عبيدالله بن أبى رافع ، عن على ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من جَمع حتى أتى مُحسِّراً ، فقرع ناقته حتى جاوز الوادى فوقف ، ثم أردف الفضلَ ثم أتى الجمرة فرماها .

هكذا رواه مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبدالله الزبيرى ، حدثنا سفيان بن عبد الرحمن بن الحارث بن عَيَّاش بن أبى ربيعة ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن

(١) محسر : واد قرب المزدلفه .

عبيدالله بن أبى رافع ، عن على قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال : هذا الموقف وعرفة كلها موقف . وأفاض حين غابت الشمس وأردف أسامةَ ، فجعل يُعنِق على بعيره ، والناس يَضربون يمينا وشمالا ، لا يلتفت إليهم ، ويقول : السكينة أيها الناس .

ثم أتى جَمْعاً فصلى بهم الصلاتين ، المغرب والعشاء ، ثم بات حتى أصبح ثم أتى قُزَحَ[1] فوقف على قزح فقال : هذا الموقف وجَمْعٌ كلُّها موقف . ثم سار حتى أتى محسِّراً فوقف عليه فقرَع دابته فخبَّتْ حتى جاز الوادى ثم حبَسها ، ثم أردف الفضلَ وسار حتى أتى الجمرة فرماها ثم أتى المنْحَر فقال : هذا المنحر ومنًى كلها منحر . قال : واستَفْتته جارية شابة من خَثْعم فقالت : إن أبى شيخ كبير قد أَفْنَد[2] وقد أدركتْه فريضةُ الله فى الحج، فهل يُجْزِىء عنه أن أؤدِّى عنه ؟ قال : نعم . فأدِّى عن أبيك .

قال : ولوَى عنقَ الفضل ، فقال له العباس : يارسول الله لم لَوَيْتَ عُنق ابن عمك ؟ قال: « رأيتُ شابًّا وشابة فلم آمَن الشيطانَ عليهما » .

قال : ثم جاءه رجل فقال : يارسول الله حلقتُ قبل أن أنحر . قال : انحر ولا حَرج . ثم أتاه آخر فقال : يارسول الله إنى أفضْتُ قبل أن أحْلق . قال : احلق أو قصِّر ولا حَرج .

ثم أتى البيتَ فطاف ثم أتى زمزم فقال : يابنى عبد المطلب سِقايتكم ، ولولا أن يَغلبكم الناس عليها لنَزعت معكم .

وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن آدم ، عن سفيان الثورى . ورواه الترمذى عن بندار ، عن أبى أحمد الزبيرى . وابن ماجه عن علىّ بن محمد عن يحيى ابن آدم . وقال الترمذى : حسن صحيح لا نعرفه من حديث على إلا من هذا الوجه .

---

(١) قزح : جبل بالمزدلفة . (٢) أفند : أنكر عقله وأخطأ فى رأيه لهرمه .

قلت : وله شواهد من وجوه صحيحة مخرَّجة فى الصِّحاح وغيرها . فمن ذلك : قصة الخثعمية ، وهو فى الصحيحين من طريق الفضل ، وتقدمت فى حديث جابر . وسنذكر من ذلك ماتيسر .

وقد حكى البيهقى بإسناده عن ابن عباس أنه أنكر الإسراعَ فى وادى مُحسِّر وقال : إنما كان ذلك من الأعراب . قال : والمُثْبِت مُقْدَّم على النافى .

قلت : وفى ثبوته عنه نظرٌ والله أعلم .

وقد صح ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ، وصحَّ من صَنيع الشيخين أبى بكر وعمر أنهما كانا يفعلان ذلك ، فروى البيهقى عن الحاكم عن النَّجاد وغيره ، عن أبى على محمد بن معاذ بن المستهلّ المعروف بدُرَّان ، عن القَعْنَبىّ ، عن أبيه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ، أن عمر كان يُوضِع ويقول :

إليك تَعْدو قَلِقاً وَضِينُها مخالفاً دينَ النصارى دينُها (١)

---

(١) الوضين : حزام الرحل . والقلق : المتسع ، كناية عن هزال الناقة .

ذكر رَمْيه عليه السلام جمرةَ العقبة وحدها يوم النحر ، وكيف رماها ومتى رماها ، ومن أى موضع رماها وبكم رماها ، وقَطْعه التلبيةَ حين رماها

قد تقدم من حديث أسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنه عليه السلام لم يزل يلبِّى حتى رمى جمرةَ العقَبة .

وقال البيهقى : أنبأنا الإمام أبو عثمان ، أنبأنا أبو طاهر بن خزيمة ، أنبأنا جدى - يعنى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - حدثنا على بن حجر ، حدثنا شَرِيك ، عن عامر بن شقيق ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : رَمَقْتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فلم يزل يلبِّى حتى رمى جمرةَ العقبة بأول حصاة .

وبه عن ابن خزيمة : حدثنا عمر بن حفص الشيبانى ، حدثنا حفص بن غِياث ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه عن على بن الحسين عن ابن عباس ، عن الفضل . قال : أفضتُ مع رسول الله من عرفات فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة يكبِّر مع كل حصاة ، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة .

قال البيهقى : وهذه زيادة غريبة ليست فى الروايات المشهورة عن ابن عباس ، عن الفضل وإن كان ابن خزيمة قد اختارها .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى أبَانُ بن صالح ، عن عكرمة ، قال : أفضت مع الحسين بن على ، فما أزالُ أسمعه يلبِّى حتى رمى جمرة العقبة ، فلما قذَفها أمسك . فقلت : ماهذا ؟ فقال : رأيت أبى علىَّ بن أبى طالب يلبى حتى رمى جمرة العقبة ، وأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

وتقدم من حديث الليث عن أبى الزبير ، عن أبى مَعْبَد ، عن ابن عباس ، عن أخيه

الفضل ، أن النبي صلى الله عليـه وسلم أمر الناسَ في وادي مُحسِّر بحصى الخَذْف الذي يُرمى به الجمرة .

رواه مسلم .

وقال أبو العالية : عن ابن عباس ، حدثني الفضل ، قال : قال لي رسول الله صـلى الله عليه وسلم غداة يوم النحر : هات فالقط لي حصًى . فلقطت له حصيات مثـل حصى الخذْف فوضعهن في يده فقال : « بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلوّ ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين » .

رواه البيهقي .

وقال جابر في حديثـه : حتى أتى بطْن محسِّر فحرَّك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تَخرج على الجمرة الـكبرى ، حتى أتى الجمرةَ فرماها بسبع حصيات يكبِّر مع كل حصاة منها مثل حصى الخَذْف رمى من بطن الوادي .

رواه مسلم .

وقال البخاري : وقال جابر رضي الله عنه : رمَى النبيُّ صلى الله عليـه وسلم يوم النحر ضحًى ، ورمى بعدَ ذلك بعد الزوال .

وهذا الحديث الذي علقـه البخـاري أسنده مسلم من حديث ابن جريج : أخبرني أبو الزبير سمع جابراً ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة يوم النحر ضحى ، وأما بعدُ فإذا زالت الشمس .

وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : رمى عبدالله من بطن الوادي فقلت : يا أبا عبدالرحمن إن ناساً يَرْمونها من فوقها . فقال : والذي لا إله غيره هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

لفظ البخاري .

وفى لفظ له من حديث شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه أتى الجمرةَ الكبرى فجعل البيتَ عن يساره ومنًى عن يمينه ورمى بسبع وقال : هكذا رمى الذى أُنزلت عليه سورة البقرة .

ثم قال البخارى : باب من رمى الجمار بسبع يكبر مع كل حصاة : قاله ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا إنما يعرف فى حديث جابر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر كما تقدم ، أنه أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة منها مثلَ حصى الخَذْف .

وقد روى البخارى فى هذه الترجمة من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن يزيد ، عن عبدالله بن مسعود ، أنه رمى الجمرة من بطن الوادى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة . ثم قال : من هاهنا والذى لا إله غيره قام الذى أُنزلت عليه سورة البقرة .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، سمع جابر بن عبدالله قال : رأيت رسول الله يرمى الجمرة بسبع مثل حصى الخَذْف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن أبى القاسم – يعنى مِقْسَما – عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة جمرة العقبة يوم النحر راكبا .

ورواه الترمذى عن أحمد بن مَنِيع ، عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، وقال : حسن . وأخرجه ابن ماجه ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى خالد الأحمر ، عن الحجاج بن أَرْطاة به .

وقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى من حديث يزيد بن [أبى] (١) زياد ، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، عن أمه أم جُنْدَب الأزدية ، قالت : رأيت رسول الله

(١) من سنن أبى داود ١/٣٠٩

صلى الله عليه وسلم يرمى الجمار من بطن الوادى وهو راكب يكبِّر مع كل حصاة ورجلٌ من خلفه يَسْتره ، فسألت عن الرجل فقالوا : الفضل بن عباس . فازدحم الناس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس لايَقتل بعضكم بعضا ، وإذا رميتم الجمرة فارموه بمثل حصى الخَذْف » .

لفظ أبى داود .

وفى رواية له قالت : رأيته عند جَمْرة العقبة راكبا ورأيت بين أصابعه حجراً ، فرمى ورمى الناس ولم يُقم عندها .

ولابن ماجه قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند جَمرة العقبة وهو راكب على بغلة وذكر الحديث .

وذِكر البغلة هاهنا غريب جداً .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن جُريج ، أخبرنى أبو الزبير ، سمعت جابر ابن عبد الله يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول : « لِتأخذوا مناسككم ، فإنى لا أدرى لَعلِّى لا أحُجُّ بعد حِجَّتى هذه » .

وروى مسلم أيضاً من حديث زيد بن أبى أُنَيسة ، عن يحيى بن الحصَين ، عن جدته أم الحصين ، سمعتها تقول : حَجَجْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته يوم النحر وهو يقول : « لِتَأخذوا مَناسككم فإنى لا أدرى لَعلِّى لا أحجُّ بعد حجتى هذه » .

وفى رواية قالت : حَجَجْتُ مع رسول الله حجة الوداع ، فرأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذٌ بخِطَام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والآخر رافعٌ ثوبَه يستره من الحر ، حتى رمَى جمرة العقبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى ، حدثنا أيمن بن نابِل

حدثنا قُدامة بن عبد الله الـكِلاَبى ، أنه رأى رسول الله صـلى الله عليـه وسلم رمى جمرةَ العقَبة من بطن الوادى يوم النحر على ناقة له صَهْباء [1] ، لا ضَرْب ولا طَرْد ولا إليك إليك [2] !

ورواه أحمد أيضا عن وكيع ومُعْتَمِر بن سليمان وأبى قُرَّة موسى بن طارق الزبيدى، ثلاثتهم عن أيمن بن نابل به . ورواه أيضا عن أبى قُرَّة عن سفيان الثورى عن أيمن . وأخرجه النسائى وابن ماجه من حديث وكيع به . ورواه الترمذى عن أحمد بن مَنِيع ، عن مروان بن معاوية ، عن أيمن بن نابل به . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون ، حدثنا عبد الله – يعنى العُمَرى – عن نافع ، قال : كان ابن عمر يرمى جمرةَ العقَبة على دابته يوم النحر ، وكان لا يأتى سائرها بعد ذلك إلا ماشياً . وزعم أن النبى صلى الله عليـه وسلم كان لا يأتيها إلا ماشيا ذاهبا وراجعا .

ورواه أبو داود عن القَعْنَبى ، عن عبد الله العُمَرى به .

فصل

قال جابر : ثم انصرف إلى المنْحَر فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليًّا فنحر ماغَبَر وأشركه فى هَدْيه ، ثم أمر من كل بَدنة ببَضْعة ، فجعلت فى قِدْر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

وسنتكلم على هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن حُميد الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التيمى ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من أصحاب النبى

---

(١) الصهباء : التى يضرب لونها إلى الحمرة .

(٢) إليك إليك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

صلى الله عليه وسلم ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمنى ونزّلهم منازلهم **فقال** : لينزل المهاجرون هاهنا . وأشار إلى مَيْمنة القبلة والأنصار هاهنا . وأشار إلى مَيْسرة القبلة . ثم لينزل الناس حَولهم .

قال : وعلَّمهم مناسكهم ، ففُتحت أسماع أهل منى حتى سمعوه فى منازلهم . قال : فسمعته يقول : ارموا الجمرة بمثل حصى الخَذْف .

وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل إلى قوله : ثم لينزل الناس حولهم .

وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه . وأبو داود عن مُسدَّد ، عن عبد الوارث ، وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن عبد الوارث ، عن حُميد بن قيس الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى ، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنًى ففُتحت أسماعُنا حتى كأنا نسمع مايقول . الحديث .

* * *

ذكَر جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَشْرَك علىَّ بن أبى طالب فى الهدْى ، وأن جماعة الهدْى الذى قَدِم به علىٌّ من اليمن والذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحرَ بيده الكريمة ثلاثا وستين بَدنة .

قال ابن حِبان وغيره : وذلك مناسبٌ لعُمْره عليه السلام ، فإنه كان ثلاثا وستين سنة !

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج مائة بدنة نحر منها بيده ستين وأمرَ ببقيتها

فنَحرت وأخذ من كل بدنة بَضْعة فجمعت فى قِدْر فأكل منها وحسا من مرقها .

قال : ونَحر يوم الحديبية سبعين ، فيها جمل أبى جهل ، فلما صُدَّت عن البيت حَنَّت كما تحن إلى أولادها .

وقد روى ابن ماجه بعضَه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، وعلى بن محمد عن وكيع ، عن سفيان الثَّورى ، عن ابن أبى ليلى به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى رجل ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبر ، عن ابن عباس ، قال : أَهْدَى رسولُ الله فى حجة الوداع مائة بَدَنة ، نحر منها ثلاثين بدنة [بيده][1] ثم أمر عليًّا فنحر مابقى منها . وقال : اقسم لحومها وجلودها وجِلَالها بين الناس ، ولا تعطينّ جزاراً منها شيئا ، وخذ لنا من كل بعير جَذْيَة[2] من لحم ، واجعلها فى قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونَحْسو من مرقها . ففعل .

وثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد ، عن ابن أبى ليلى ، عن علىّ ، قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم على بُدْنه وأن أتصدَّق بلحومها وجلودها وأَجِلَّتها ، وأن لا أعطى الجزار منها شيئا وقال : نحن نعطيه مِن عندنا .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن حَرْمَلة بن عمران ، عن عبد الله بن الحارث الأزدى ، سمعت عرفة بن الحارث قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأُتِى بالبُدْن فقال : ادع لى أبا حسن . فدعِى له علىٌّ . فقال : خذ بأسفل الحَرْبة . وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعلاها ، ثم طَعنا بها البُدْن ، فلما فرغ ركب بغلته وأردفَ عليًّا .

تفرد به أبو داود ، وفى إسناده ومتنه غرابة . والله أعلم .

---

(١) ليست فى ا (٢) الجذية : القطعة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا الحجاج بن أَرْطَاة عن الحكم ، عن أبي القاسم ـ يعني مِقْسَماً ـ عن ابن عباس ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمرة العقبة ثم ذبح ثم حَلَق .

وقد ادعى ابن حزم أنه ضحَّى عن نسائه بالبقر وأهدى بمنًى بقرةً ، وضحى هو بكبشين أَمْلحين .

صفة حَلْقه رأسَه الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَلَق في حِجَّته .

ورواه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهَوَيْه ـ عن عبد الرزاق .

وقال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، قال : قال نافع : كان عبد الله بن عمر يقول : حلَق رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته .

ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة عن نافع به .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر قال : حلَق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفةٌ من أصحابه وقصَّر بعضهم .

ورواه مسلم من حديث الليث ، عن نافع به . وزاد : قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله المحلِّقين » مرةً أو مرتين . قالوا : يارسول الله والمقصِّرين؟ قال : والمقصرين .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع وأبو داود الطيالسي ، عن يحيي بن الحصين ، عن جدته ، أنها سمعت رسول الله في حجة الوداع دعا للمحلِّقين ثلاثا والمقصِّرين مرةً . ولم يقل وَكيع : في حجة الوداع .

وهكذا روى هذا الحديث مسلم من حديث مالك وعُبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، وعُمارة عن أبى زُرْعة عن أبى هريرة ، والعلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أبى هريرة .

وقال مسلم : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا حفص بن غِيَاث ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منًى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر . ثم قال للحلاق : خذ . وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس .

وفى رواية له أنه حلقَ شِقَّه الأيمن فقسّمه بين الناس من شَعرة وشعرتين ، وأعطى شقه الأيسر لأبى طلحة . وفى رواية له أنه أعطى الأيمن لأبى طلحة وأعطاه الأيسر وأمره أن يقسّمه بين الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يَحْلقه . وقد أطاف به أصحابُه ما يريدون أن تقع شَعرةٌ إلا فى يد رجل .

انفرد به أحمد .

فصـــل

ثم لبس عليه السلام ثيابه وتطيَّب بعد ما رمى جمرةَ العقبة ونحر هديه وقبل أن يطوف بالبيت طيَّبته عائشة أم المؤمنين .

قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله بن المدِينى ، حدثنا سفيان — هو ابن عُيَينة — حدثنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، وكان أفضلَ أهل زمانه ، أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول : إنه سمع عائشة تقول : طيَّبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدىّ

هاتين حين أَحْرَم ، ولحِلّه حين أَحلَّ قبل أن يطوف ، وبسطتْ يديها .

وقال مسلم : حدثنا يعقوب الدَّوْرَق وأحمد بن مَنِيع ، قالا : حدثنا هُشَيم ، أخبرنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كنت أطيِّب رسول الله صلى الله عليه سلم قبل أن يُحْرِم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مِسك .

وروى النسائى مِن حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : طيبتُ رسول الله لحرَمه حين أَحْرَم ولحِلّه بعد ما رمى جمرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت .

وقال الشافعى : أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم ، قال قالت عائشة : أنا طيبت رسول الله لحِلّه وإحرامه .

ورواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر عن الزهرى ، عن سالم ، عن عائشة . فذكره .

وفى الصحيحين من حديث ابن جُريج : أخبرنى عمر بن عبد الله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة أنها قالت : طيبت رسول الله بيدى بذَرِيرة فى حجة الوداع للحل والإحرام .

ورواه مسلم من حديث الضحاك بن عثمان ، عن أبى الرِّجَال ، عن أمه عَمْرة ، عن عائشة به .

وقال سفيان الثورى : عن سَلمة بن كُهيل ، عن الحسن العوْفى ، عن ابن عباس أنه قال : إذا رَميتم الجمرة فقد حَللتم من كل شىء كان عليكم حراما إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت . فقال رجل : والطِّيب يا أبا العباس ؟ فقال له : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمِّخ رأسه بالمسك ، أفطيبٌ هو أم لا !

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى أبو عبيدة ، عن عبد الله بن زَمْعة ، عن أبيه وأمه

زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : كانت الليلة التي يَدُور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النَّحر ، فكان رسول الله عندى ، فدخل وهبُ بن زَمعة ورجل من آل أبى أمية متقمِّصيْن . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضْتُما ؟ قالا : لا . قال : فانزعا قميصيكما فنزعاها . فقال له وهب : ولِمَ يا رسول الله ؟ فقال : هذا يوم أُرْخص لكم فيه إذا رميتم الجمرة ونحرتم هدياً إن كان لكم فقد حَللتم من كل شيء حَرمتم منه إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت ، فإذا رَمَيتم ولم تفيضوا صِرْتم حُرما كما كنتم أولَ مرة حتى تطوفوا بالبيت .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ويحيى بن مَعِين ، كلاهما عن ابن أبى عَدى ، عن ابن إسحاق فذكره .

وأخرجه البيهقى عن الحاكم ، عن أبى بكر بن أبى إسحاق ، عن أبى المثنى العنبرى ، عن يحيى بن مَعِين . وزاد فى آخره :

قال أبو عبيدة : وحدثتنى أمُّ قيس بنت مِحْصَن ، قالت : خرج من عندى عكَّاشة ابن مِحْصَن فى نفر من بنى أسد متقمِّصين عشيةَ يوم النحر ، ثم رجعوا إلينا عشيًّا وقُمصهم على أيديهم يحملونها ، فسألتهم فأخبروها بمثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوهب بن زَمْعة وصاحبه .

وهذا الحديث غريب جدا ، لا أعلم أحداً من العلماء قال به .

ذكر إفاضته عليه السلام إلى البيت العَتيق

قال جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم [فأفاض[1]] إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبد المطلب وهم يَسْقون على زمزم . فقال : « انزعوا بنى عبد المطلب ، فلولا أن يَغْلبكم الناسُ على سقايتكم لنزعتُ معكم » فناولوه دلواً فشرب منه .

رواه مسلم .

ففى هذا السياق ما يدل على أنه عليه السلام ركب إلى مكة قبل الزوال فطاف بالبيت، ثم لما فرغ صلى الظهر هناك .

وقال مسلم أيضا : أخبرنا محمد بن رافع ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا عبيد الله بن عمر عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمِنَى .

وهذا خلاف حديث جابر ، وكلاهما عند مسلم .

فإن علّلنا بهما أمكن أن يقال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ثم رجع إلى منى فوجد الناس ينتظرونه فصلى بهم . والله أعلم .

ورجوعه عليه السلام إلى منى فى وقت الظهر ممكن ، لأن ذلك الوقت كان صيفا والنهار طويل ، وإن كان قد صدر منه عليه السلام أفعال كثيرة فى صَدْر هذا النهار ، فإنه دفع فيه من المزدلفة بعد ما أَسْفَر الفجر جدًّا ، ولكنه قبل طلوع الشمس ، ثم قدِم منًى فبدأ برمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم جاء فنحر بيده ثلاثا وستين بَدنة ونحر علىٌّ بقية المائة ، ثم أُخذت من كل بدنة بَضعة ووضعت فى قدر وطبخت حتى نضجت فأكل من ذلك اللحم وشرب من ذلك المرق . وفى غضون ذلك حلق رأسه عليه السلام وتطيب ، فلما فرغ من هذا كله ركب إلى البيت .

(١) من صحيح مسلم ٤/٤٢

وقد خطب عليه السلام فى هذا اليوم خطبة عظيمة، ولست أدرى أكانت قبل ذهابه إلى البيت أو بعد رجوعه منه إلى منًى . فالله أعلم .

* * *

والقصد أنه ركب إلى البيت فطاف به سبعة أطواف راكبا ، ولم يطُفْ بين الصفا والمروة ، كما ثبت فى صحيح مسلم عن جابر وعائشة رضى الله عنهما. ثم شرب من ماء زمزم ومن نبيذ تمرٍ من ماء زمزم .

فهذا كله مما يقوِّى قولَ من قال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ، كما رواه جابر . ويحتمل أنه رجع إلى منى فى آخر وقت الظهر فصلى بأصحابه بمنى الظهر أيضا .

وهذا هو الذى أشْكَل على ابن حزم فلم يَدْر ما يقول فيه ، وهو معذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا على بن بَحْر وعبد الله بن سعيد المُغنِىّ ، قالا : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منًى فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرة إذا زالت الشمس ، كل جمرة بسبع حصيات يكبِّر مع كل حصاة .

قال ابن حزم : فهذا جابر وعائشة قد اتفقا على أنه عليه السلام صلى الظهر يوم النحر بمكة . وهما والله أعلم أضبطُ لذلك من ابن عمر .

كذا قال : وليس بشىء ، فإن رواية عائشة هذه ليست ناصَّةً أنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ، بل محتملة إن كان المحفوظ فى الرواية : « حتى صلى الظهر » . وإن كانت الرواية « حين صلى الظهر » وهو الأشبه فإن ذلك دليل على أنه عليه السلام صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت ، وهو محتمل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعلى هذا فيبقى مخالفا لحديث جابر ، فإن هذا يقتضى أنه صلى الظهر بمنى قبل أن يركب إلى البيت ، وحديث جابر يقتضى أنه ركب إلى البيت قبل أن يصلى الظهر وصلاَّها بمكة .

وقد قال البخارى : وقال أبو الزبير ، عن عائشة ، وابن عباس ، أخَّر النبى صلى الله عليه وسلم — يعنى طواف الزيارة إلى الليل — .

وهذا الذى علقه البخارى قد رواه الناس من حديث يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى وفرج بن ميمون ، عن سفيان الثورى ، عن أبى الزبير عن عائشة وابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أخَّر الطوافَ يوم النحر إلى الليل . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث سفيان به . وقال الترمذى . حسن .

وقال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبى الزبير ، عن عائشة وابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار ليلاً .

فإن حُمل هذا على أنه أخَّر ذلك إلى ما بعد الزَّوال كأنه يقول إلى العَشِىّ ، صحَّ ذلك وأما إن حُمل على ما بعد الغروب فهو بعيد جدًّا ومخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنه عليه السلام طاف يوم النحر نهاراً ، وشرب من سِقَاية زمزم .

وأما الطواف الذى ذهب فى الليل إلى البيت بسببه فهو طواف الوداع . ومن الرواة من يعبِّر عنه بطواف الزيارة ، كما سنذكره إن شاء الله . أو طواف زيارة مَحْضة قبل طواف الوداع وبعد طواف الصَّدَر الذى هو طواف الفرض .

وقد ورد حديث سنذكره فى موضعه : أن رسول الله كان يزور البيتَ كلَّ ليلة من ليالى منًى ، وهذا بعيد أيضا والله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقى من حديث عمرو بن قيس ، عن عبد الرحمن ، عن القاسم

عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله أَذِن لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظَهيرةً ، وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلا .

وهذا حديث غريب جدًّا أيضاً . وهذا قول طاوس وعروة بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخَّر الطوافَ يوم النحر إلى الليل .

والصحيح من الروايات وعليه الجمهور : أنه عليه السلام طاف يوم النحر بالنهار ، والأشبه أنه كان قبل الزوال ، ويحتمل أن يكون بعده . والله أعلم .

* * *

والمقصود أنه عليه السلام لما قدِم مكة طاف بالبيت سَبْعا وهو راكب ، ثم جاء زمزمَ وبنو عبد المطلب يَسْتقون منها ويسقون الناس ، فتناول منها دلواً فشرب منه وأفرَغ عليه منه .

كما قال مسلم : أخبرنا محمد بن مِنْهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا حُميد الطويل ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، سمع ابن عباس يقول وهو جالس معه عند الكعبة: قدِم النبيُّ صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فأتيناه بإناء فيه نبيذ فشرب وسقى فضلَه أسامة . وقال : «أحسنتم وأَجْملتم هكذا فاصنعوا » .

قال ابن عباس : فنحن لا نريد أن نغيِّر ما أَمَر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية عن بكر أن أعرابيا قال لابن عباس : مالى أرى بَنى عمكم يَسْقون اللبَن والعسل وأنتم تَسقون النبيذ ، أمِنْ حاجةٍ بكم أم من بُخل ؟ فذكر له ابن عباس هذا الحديث .

وقال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا حمَّاد ، عن حُميد ، عن بَكر ، عن عبد الله أن أعرابيا قال لابن عباس : ماشأنُ آل معاوية يَسْقون الماء والعسل ، وآل فلان يَسقون اللبن ، وأنتم تسقون النبيذ ، أمن بُخل بكم أم حاجة ؟

فقال ابن عباس : ما بنا بخلٌ ولا حاجة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا وردِيفه أسامة بن زيد فاستسقَى فسقيناه من هذا - يعنى نبيذ السِّقاية - فشرب منه وقال : « أحسنتم هكذا فاصنعوا » .

ورواه أحمد ، عن رَوْح ومحمد بن بكر ، عن ابن جُريج ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، وداود بن على بن عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس فذكره .

وروى البخارى عن إسحاق بن سليمان [حدثنا خالد] عن خالد [الحذَّاء] ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله جاء إلى السقاية فاستسْقَى ، فقال العباس : يافضل اذهب إلى أمك فَأْت رسولَ الله بشراب من عندها . فقال : اسقنى . فقال : يارسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه . قال : اسقنى . فشرب منه .

ثم أتى زمزمَ وهم يَسْقون ويعملون فيها . فقال : اعملوا فإنكم على عملٍ صالح . ثم قال : لولا أن تُغلبوا لنزعتُ حتى أضع الحبلَ على هذه - يعنى عاتقه - وأشار إلى عاتقه .

وعنده من حديث عاصم عن الشَّعبى ، أن ابن عباس قال : سقيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم . قال عاصم : فحلف عكرمة : ما كان يومئذ إلا على بعير وفى رواية : ناقته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وهو على بعير واستلم الحجر بِمحْجَن كان معه . قال : وأتى السقاية فقال : اسقونى . فقالوا : إن هذا يخوضه الناس ولكنا نأتيك به من البيت . فقال : لا حاجة لى فيه اسقونى مما يشرب الناس .

وقد روى أبو داود عن مُسدَّد ، عن خالد الطَّحان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله مكة ونحن نستقى فطاف على راحلته . الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح وعفان ، قالا : حدثنا حماد ، عن قيس ، وقال عفان في حديثه : أنبأنا قيس عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمزم فنزعْنا له دلواً فشرب ، ثم مَجَّ فيها ثم أفرغناها في زمزم . ثم قال : لولا أن تُغلبوا عليها لنزعت بيدي .

انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم .

فصـــل

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لم يُعِد الطوافَ بين الصفا والمروة مرة ثانيـة بل اكتفى بطوافه الأول . كما روى مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : لم يَطُف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحـداً .

قلت : والمراد بأصحابه هاهنا الذين ساقوا الهدْيَ وكانوا قارنين .

كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : ــ وكانت أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنةً ــ : « يَــكْفيك طوافُك بالبيت وبين الصفا والمروة لحجّك وعمرتك » .

وعند أصحاب الإمام أحمد أن قول جابر وأصحابه عامٌّ في القارنين والمتمتعين . ولهذا نصَّ الإمام أحمد على أن المتمتع يكفيه طوافٌ واحد عن حجه وعمـرته ، وإن تحلَّل بينهما تحلَّل .

وهو قول غريب ، مأخذُه ظاهر عموم الحديث . والله أعلم .

وقال أصحاب أبي حنيفة في المتمتع كما قال المالـكية والشافعية : أنه يجب عليه طوافان وسَعْيان ، حتى طَردَت الحنفيةُ ذلك في القارن ، وهو من أفراد مذهبهم أنه يطوف

طوافين وبسعى سعيين ، ونقلوا ذلك عن على موقوفا . وروى عنه مرفوعا إلى النبى صلى الله عليــه وسلم .

وقد قدمنا الــكلام على ذلك كله عند الطواف ، وبيّنا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة . والله أعلم .

فصـــــل

ثم رجع عليه السلام إلى منًى بعد ماصلى الظهر بمكة ، كما دل عليه حديث جابر . وقال ابن عمر : رجع فصلى الظهر بمنى .

رواهما مسلم كما تقدم قريبا . ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة وبمنى والله أعلم .

وتوقف ابن حزم فى هذا المقام فلم يجزم فيه بشىء ، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه . فالله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق عن عبدالرحمن بن القاسم ، عن أبيه عن عائشة قالت : أفاضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالى أيام التَّشْريق يرمى الجمرات إذا زالت الشمس ، كلُّ جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصــاة .

رواه أبو داود منفرداً به .

وهذا يدل على أن ذهابه عليه السلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال . وهذا ينافى حديث ابن عمر قطعا وفى منافاته لحديث جابر نظر . والله أعلم .

فصـــــل

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت

بهـا الأحاديث ونحن نذكر منها مايسّره الله عز وجـل .

قال البخارى : باب الخطبة أيام منى :

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا فُضيل بن غَزْوان ، حـدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناسَ يوم النحر فقال : ياأيها الناس أى يوم هذا . قالوا : يومٌ حَرام قال : فأىّ بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام .قال: فأى شهرهذا ! قالوا : شهرحرام . قال : « فإن دماءكم وأموالـكم وأعراضكم عليـكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا » قال : فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلَّغت ! اللهم قد بلغت .

قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده إنها لوَصيته إلى أمته : فليبلِّغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

ورواه الترمذى عن الفَلَّاس عن يحيى القَطَّان به . وقال : حسن صحيح .

وقال البخارى أيضا: حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قُرَّة ، عن محمد بن سيرين أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه ورجل أفضلُ فى نفسى من عبد الرحمن حُمَيد بن عبدالرحمن ، عن أبى بَـكْرة رضى الله عنه ، قال : خطبَنا النبىُّ صلى الله عليه وسلم يومَ النحر فقال : أتدرون أىّ يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه . قال : أليس هذا يوم النحر ؟ قلنا بلى ؟ قال :أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى . قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس بالبلد الحرام ؟ قلنا : بلى .

قال : فإن دماءكم وأموالـكم عليـكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تَلقَون ربكم . ألا هل بلَّغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد

الغائب فرُبَّ مبلَّغ أوعَى من سامع ، فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض .

ورواه البخارى ومسلم من طرق ، عن محمد بن سيرين به . ورواه مسلم من حديث عبد الله بن عَوْن ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبى بَكْرة ، عن أبيه فذكره . وزاد فى آخره : ثم انكفأ إلى كبشين أَمْلحين فذبحهما وإلى جُذَيعة من الغنم فقسمها بيننا .

***

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى بكرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فى حجته فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعةٌ حُرم ؛ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم ، ورجب مُضَر الذى بين جمادى وشعبان .

ثم قال : ألا أىّ يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى . ثم قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليست البلدة [الحرام] قلنا : بلى قال : فإن دماءكم وأموالكم — لَأحسبه قال : وأعراضكم — عليكم حرام كحُرْمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، وستَلْقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضُلَّالا يضرب بعضكم رقابَ بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل من يبلغه يكون أوعَى له من بعض من سمعه .

هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى بَكْرة . وهكذا رواه أبو داود عن مسدَّد . والنسائى عن عمرو بن زُرَارة ، كلاهما عن إسماعيل — وهو ابن عُلَيّة — عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبى بَكْرة به .

وهو منقطع لأن صاحبا الصحيح أخرجاه من غير وجه عن أيوب وغيره ، عن محمد ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبى بَكْرة ، عن أبيه به .

وقال البخارى أيضا : حدثنا محمد بن المثنَّى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا عاصم بن محمد بن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم بمِنًى : أتدرون أىّ يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن هـذا يوم حرام ، أفتدرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بلد حرام . قال : أفتدرون أى شهر هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : شهر حرام . قال : فإن الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

وقد أخرجه البخارى فى أماكن متفرقة من صحيحه ، وبقية الجماعة إلا الترمذى ، من طرق عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن جده عبد الله بن عمر فذكره .

قال البخارى : وقال هشام بن الغازِ[1] أخبرنى نافع ، عن ابن عمر [قال] وقف النبى صلى الله عليه وسلم يومَ النحر بين الجمَرات فى الحجة التى حج بهذا[2] وقال : هـذا يوم الحج الأكبر . فطفق النبى صلى الله عليـه وسلم يقول : اللهم اشهد . وودَّع الناسَ فقالوا : هذه حجة الوداع .

وقد أسند هذا الحديث أبو داود ، عن مُؤمّل بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم . وأخرجه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن صَدقة بن خالد ، كلاهما عن هشام بن الغازِ ابن ربيعة الجرَشى أبى العباس الدمشقى به .

* * *

(١) بحذف الياء وإثباتها ، فاعل من الغزو .

(٢) قال ابن حجر : بهذا ، أى بالحديث الذى تقدم من طريق محمد بن زيد عن جده . قال : وأراد المصنف بذلك أصل الحديث وأصل معناه لكن السياق مختلف . وفسر الكرمانى لفظة «بهذا» بقوله : وقف متلبساً بهذا الكلام المذكور – يريد التفويض بقولهم : الله ورسوله أعلم – والباء فى بهـذا تتعلق بقوله : وقف النبى . انظر إرشاد السارى ٣ / ٢٤٤

وقيامه عليه السلام بهذه الخطبة عند الجمرات يحتمل أنه بعد رميه الجمرة يوم النحر وقبل طوافه . ويحتمل أنه بعد طوافه ورجوعه إلى منى ورَمْيه بالجمرات .

لكن يقوِّى الأولَ ماروا‌ه النسائى حيث قال : حدثنا عمرو بن هشام الحرّانى ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبى عبد الرحيم ، عن زيد بن أبى أُنَيْسة ، عن يحيى بن حُصين الأحمسى ، عن جدته أم حصين قالت : حججت فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت بلالا آخذاً بقَود راحلته وأسامة بن زيد رافع عليه ثوبه يُظله من الحر وهو مُحْرِم حتى رمى جمرة العقبة . ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر قولا كثيراً

وقد رواه مسلم من حديث زيد بن أبى أُنيسة ، عن يحيى بن الحصَين ، عن جدته أم الحصين قالت : حججت مع رسول الله حجةَ الوداع فرأيت أسامةَ وبلالا أحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله والآخر رافعٌ ثوبه يستره من الحرّ حتى رمى جَمْرة العقَبة . قالت : فقال رسول الله قولا كثيراً . ثم سمعته يقول : « إن أُمِّر عليكم عبدٌ مُجدَّع – حسبتها قالت أسود – يَقُودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد الله ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح – وهو ذَكْوان السَّمان – عن جابر ، قال : خطبَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أىُّ يوم أعظم حُرمةً ؟ قالوا : يومنا هذا . قال : أى شهر أعظم حرمة ؟ قالوا : شهرنا هذا . قال : أى بلد أعظم حرمة ؟ قالوا : بلدنا هذا . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، هل بلَّغت ؟ قالوا : نعم . قال اللهم اشهد .

انفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط الصحيحين . ورواه أبو بكر بن أبى شَيبة عن أبى معاوية ، عن الأعمش به .

وقد تقدم حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر في خطبته عليه السلام يوم عرفة . فالله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن بَحْر ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع . فذكر معناه .

وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به . وإسناده على شرط الصحيحين . فالله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البَزّار : حدثنا أبو هشام ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة وأبى سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال : أى يوم هـذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : « فإن دماءكم وأموالـكم عليكم حرام كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » .

ثم قال البزار : رواه أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة وأبى سعيد . وجمعهما لنـا أبو هشام . عن حَفص بن غِياث ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة وأبى سعيد .

قلت : وتقدم رواية أحمد له عن محمد بن عبيد الطَّنَافِسىّ ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن جابر بن عبد الله ، فلعله عند أبى صالح عن الثلاثة . والله أعلم .

* * *

وقال هلال بن يساف ، عن سلمة بن قيس الأشجعى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « إنما هُن أَرْبعٌ ، لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّم الله إلا بالحق ، ولا تَزْنوا ولا تسرقوا » .

قال : فما أنا بأشحَّ عليهن منّى حين سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وقد رواه أحمد والنسائى من حديث منصور ، عن هلال بن يساف . وكذلك رواه سفيان بن عيينة والثورى عن منصور .

وقال ابن حزم فى حجة الوداع : حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العُذْرى ، حدثنا أبو ذَرّ عبد الله بن أحمد الهَرَوِىّ الأنصارى ، حدثنا أحمد بن عَبْدان الحافظ بالأهواز ، حدثنا سهل بن موسى بن شيرزاد ، حدثنا موسى بن عمرو بن عاصم ، حدثنا أبو العوام ، حدثنا محمد بن جُحَادَة ، عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شَرِيك ، قال : شهدتُ رسول الله فى حجة الوداع وهو يخطب وهو يقول : « أُمك وأباك وأختك وأخاك ثم أَدْناك أدناك » قال: فجاء قوم فقالوا : يارسول الله قتَلنا بنو يَرْبوع . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَجْنى نفسٌ على أخرى » ثم سأله رجل نَسِى أن يرمى الجمَار ، فقال : « ارمِ ولا حَرج » ثم أتاه آخر فقال : يارسول الله نسيتُ الطواف فقال : طُفْ ولا حَرج . ثم أتاه آخر حلَق قبل أن يذبح قال : اذبح ولا حرجَ . فما سألوه يومئذ عن شىء إلا قال : « لا حَرجَ لا حرج » .

ثم قال : « قد أذهبَ الله الحرجَ إلا رجلا اقترض امرءًا مسلما فذلك الذى حَرِج وهلك » . وقال « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً إلا الهرَم » .

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن بعض هذا السياق من هـذه الطريق . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حَجَّاج ، حـدثنى شعبة ، عن على بن مُدْرِك ، سمعت أبا زُرْعة يحدث عن جرير — وهو جده — ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : فى حجة الوداع : ياجرير استنصِت الناسَ . ثم قال : فى خطبته : « لا ترجعوا بَعـدى كفاراً يضرب بعضُـكم رقابَ بعض » .

ثم رواه أحمد ، عن غُندَر وعن ابن مَهْدى ، كل منهما عن شعبة به . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة به .

وقال أحمد : حدثنا ابن نُمَير ، حـدثنا اسماعيل ، عن قيس ، قال بلغنا أن جريراً قال : قال رسول الله : استنصِتِ الناسَ . ثم قال عند ذلك : « لا أعرفنّ بعـد ما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضُـكم رقابَ بعض » .

ورواه النسائى من حديث عبد الله بن نُمَير به .

وقال النسائى : حدثنا هَنَّاد بن السَّرى ، عن أبى الأحْوص ، عن ابن غَرْقَدة ، عن سليمان بن عمرو ، عن أبيه ، قال : شهدتُ رسولَ الله فى حجة الوداع يقول : أيها الناس . ثلاث مرات . أىّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم الحج الأكبر .

قال : « فإنّ دماءكم وأموالـكم وأعراضـكم بينـكم حَرامٌ كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هـذا ، ولا يَجْنى جانٍ على ولده ، ألا إن الشيطان قد يَئِس أن يُعبد فى بلدكم هـذا ، ولـكن سيكون له طاعـةٌ فى بعض ما تحتقرون من أعمالـكم فيرضَى ، ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية يوضع ، لـكم رءوسُ أموالـكم لا تَظلمون ولا تُظلمون» وذكر تمام الحديث .

* * *

وقال أبو داود : باب من قال يَخْطب [1] يوم النحر : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا عكرمة ـ هو ابن عمار ـ حدثنا الهِرْمَاس بن زِيَاد الباهِلىّ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على ناقته العَضْباء يوم الأضحى بمِنًى .

ورواه أحمد والنسائى من غير وجه ، عن عكرمة بن عمار ، عن الهِرْماس . قال : كان أبى مُرْدِفِى فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى يوم النحر على ناقته العَضْباء .

---

(١) أبو داود ١/٣٠٧ : خطب .

لفظ أحمد ، وهو من ثُلاَثيات المسند . ولله الحمد .

ثم قال أبو داود : حدثنا مُؤَمَّل بن الفضل الحَرَّانى ، حدثنا الوليد [1] ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا سُليم بن عامر [الـكَلاَعى [2]] سمعت أبا أمامة يقول : سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِنًى يومَ النحر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر الـكَلاَعى ، سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على الجَدْعاء واضع رجليه فى الغَرْز يتطاول ليُسْمع الناسَ . فقال بأعلى صوته : ألا تسمعون ؟ فقال رجل من طوائف الناس : يارسول الله ماذا تَعْهد إلينا ؟ فقال : « اعبدوا ربكم وصَلُّوا خَمسكم وصُوموا شهركم وأطيعوا إذا أُمرتم ، تدخلوا جنة ربكم » .

فقلت : يا أبا أمامة مثل من أنت يومئذ ؟ قال : أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة أزاحم البعيرَ أُزَحزحه قُدما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه أحمد أيضا عن زيد بن الُحبَاب ، عن معاوية بن صالح ، وأخرجه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الـكوفى، عن زيد بن الُحبَاب ، وقال : حسن صحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا إسماعيل بن عباس ، حدثنا شُرَحْبيل ابن مسلم الخولانى ، سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته عام حجة الوداع : « إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله ، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو انتمَى إلى غير مَواليه فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة ، لا تُنفق امرأة من بيتها إلا بإذن زوجها » .

---

(١) أبو داود : حدثنا الوليد بن جابر ، حدثنا سليم .

(٢) من سنن أبى داود ١/٣٠٧

فقيل : يا رسول الله ولا الطعام ؟ قال : ذاك أفضل أموالنا . ثم قال رسول الله : « العارية مُؤدَّاة والمِنْحة مردودة ، والدَّين مَقْضِىّ ، والزعيم غارِمٌ » .

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث إسماعيل بن عَيَّاش ، وقال الترمذى : حسن .

ثم قال أبو داود رحمه الله : باب متى يخطب[1] يوم النحر : حدثنا عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمشقى ، حدثنا مروان ، عن هلال بن عامر المزنى ، حدثنى رافع بن عمرو المزنى ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضُّحى على بغلة شهباء وعلىّ يعبر عنه والناس بينَ قائم وقاعد .

ورواه النسائى عن دُحَيم ، عن مروان الفزارى به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هلال بن عامر المزنى ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله يخطب الناس بمنى على بغلة وعليه بُرْد أحمر . قال : ورجل من أهل بَدْر بين يديه يعبِّر عنه .

قال : فجئت حتى أدخلت يدى بين قدمه وشِراكه . قال : فجعلت أعجب من بَرْدها .

حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا شيخ من بنى فزارة ، عن هلال بن عامر المزنى ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله على بغلة شهباء وعلىّ يُعبِّر عنه .

ورواه أبو داود من حديث أبى معاوية ، عن هلال بن عامر .

ثم قال أبو داود : باب ما يَذْكر الإمام فى خطبته بمِنًى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا عبد الوارث ، عن حُميد الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى ، عن عبد الرحمن بن معاذ التَّيْمى ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففُتِحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع السَّبابتين

---

(١) أبو داود : أى وقت يخطب .

ثم قال بحصى الخَذْف ، ثم أمر المهاجرين فنزلوا فى مُقدَّم المسجد ، وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد ، ثم نزل الناسُ بعدَ ذلك .

وقد رواه أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه . وأخرجه النسائى من حديث ابن المبارك ، عن عبد الوارث كذلك .

وتقدم رواية لإمام أحمد له عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن محمد بن ابراهيم التَّيمى ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من الصحابة . فالله أعلم .

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن جريج ، عن الزهرى ، عن عيسى بن طلحة ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَيْنا هو يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا وكذا . ثم قام آخر فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعل ولا حَرَجَ » .

وأخرجاه من حديث مالك . زاد مسلم : ويونس عن الزهرى به . وله ألفاظ كثيرة ليس هذا موضع استقصائها . ومحله كتاب الأحكام وبالله المستعان .

وفى لفظ الصحيحين قال : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم عن شىء قُدِّم ولا أُخر إلا قال : افعل ولا حرج .

فصـــــل

ثم نزل عليـه السلام بمنًى حيث المسجد اليوم ، فيما يقـال ، وأنزل المهاجرين يَمْنته والأنصار يَسْرته والناس حَولهم من بعدهم .

وقال الحافظ البيهقى : أبو عبدالله الحافظ أنبأنا على بن محمد بن عُقْبة الشَّيبانى بالكوفة ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزهرى ، حـدثنا عبيدالله بن موسى ، أنبأنا إسرائيل ، عن

إبراهيم بن مهاجر، عن يوسف بن ماهك، عن أم مُسَيْكة، عن عائشة، قالت: قيل يا رسول الله: ألا نَبْنى لك بمِنَى بناء يُظلّك؟ قال: لا، منًى مَناخُ من سَبق.

وهذا إسناد لا بأس به، وليس هو فى المسند ولا فى الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر محمد بن خَلّاد الباهلى، حدثنا يحيى، عن ابن جريج [حدثنى حَرِيز[1]] أو أبو حَرِيز الشكُّ من يحيى، أنه سمع عبد الرحمن بن فَرُّوخ يسأل ابنَ عمر قال: إنا نتبايع بأموال الناس فيأتى أحدُنا مكة فيَبِيت على المال، فقال: أمّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبات بمنًى وظَلَّ.

انفرد به أبو داود[2].

ثم قال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا ابن نُمير وأبو أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال استأذن العباسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالى منًى من أجل سِقايته فأذِن له.

وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن نمير. زاد البخارى: وأبى ضَمْرة أنس بن عياض. زاد مسلم: وأبى أسامة حماد بن أسامة.

وقد علّقه البخارى عن أبى أسامة وعُقبة بن خالد، كلهم عن عبيد الله ابن عمر به.

* * *

وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه بمنى ركعتين، كما ثبت عنه ذلك فى الصحيحين من حديث ابن مسعود وحارثة بن وهب رضى الله عنهما.

ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن سبب هذا القَصْر النُّسك، كما هو قول طائفة من المالكية وغيرهم. قالوا: ومن قال: إنه عليه السلام كان يقول بمنى لأهل مكة: أتِمُّوا

---

(١) سقط من المطبوعة. (٢) سنن أبى داود ١/٣٠٨.

فإنا قومٌ سَفْر : فقد غَلِط إنمـا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفتح وهو نازل بالأبْطَح ، كما تقدم . والله أعلم .

وكان صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرات الثلاث فى كل يوم من أيام منًى بعد الزوال كما قال جابر فيما تقدم ، ماشياً كما قال ابن عمر فيما سلَف ، كل جمرةٍ بسبع حَصَيات يـكبِّر مع كل حصاة . ويقف عند الأولى وعند الثانية يدعو الله عز وجل ولا يقف عند الثالثة .

قال أبو داود : حدثنا على بن بَحْر ، وعبد الله بن سعيد المَعْنىٍّ ، قالا حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أفاضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ، ثم رجع إلى منًى فمكث بها [ليَالى(١)] أيام التَّشْريق ، يرمى الجَمْرة إذا زالت الشمس ، كل جمرة بسبع حصيات ويـكبر مع كل حصاة ويقف عند الأولى والثانية فيطيل المقـام ويتضرَّع ، ويرمى الثالثة لا يقف عندها .

انفرد به أبو داود .

وروى البخارى من غير وجه ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أنه كان يرمى الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبِّر على إثر كل حصاة ، ثم يتقدم ثم يسهل ، فيقوم مستقبلَ القِبلة طويلا ويدعو ويرفع يديه ثم يرمى الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل فيقوم مستقبل القبلة ، ويدعو ، ويرجع يديه ، ويقوم طويلا . ثم يرمى جمرة ذَاتِ العقبة من بطن الوادى ولا يقف عندها ، ثم ينصرف فيقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

وقال وبرة بن عبد الرحمن : قام ابن عمر عند العقَبة بقدر قراءة سورة البقرة . وقال أبو مِجْلز : حزَرْتُ قيامه بقدر قراءة سورة يوسف .

ذكرهما البيهقى .

---

(١) من سنن أبى داود ١/٣٠٩ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن أبيه ، عن أبى القداح ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَخَّص للرِّعاء أن يرموا يوما ويَرْعَوا يوما .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن أبى بكر وأنبأنا رَوْح ، حدثنا ابن جُريج ، أخبرنى محمد ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبى القَدَّاح بن عاصم بن عدى ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْخَص للرِّعَاء أن يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ، ثم يَدَعوا يوماً وليلة ثم يرموا الغد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن بكر ، عن أبيه ، عن أبى القداح بن عاصم بن عدى عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخص لرِعاء الإبل فى البيتوتة بمِنًى حتى يرموا يومَ النحر ثم يرمون يوم النحر ثم يرمون الغد أو من بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النَّفْر .

وكذا رواه عن عبد الرزاق عن مالك بنحوه . وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث مالك ومن حديث سفيان بن عيينة به . قال الترمذى : ورواية مالك أصحُّ ، وهو حديث حسن صحيح .

فصـــل

فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه السلام خطب الناس بمنًى فى اليوم الثانى من أيام التشريق وهو أوسطها

قال أبو داود : باب أىّ يوم يخطب : حدثنا محمد بن العلاء ؛ أنبأنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبى نَجيح ، عن أبيه ، عن رجلين من بنى بكر ، قالا : رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بَيْن أوسط أيام التشريق ونحن عند راحلته ،

وهى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى خطب بمنى .

انفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ربيعة بن عبد الرحمن ابن حصين[(١)] ، حدثتنى جدتى سَرَّاء بنت نبهان — وكانت ربة بيت فى الجاهلية — قالت : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الرءوس فقال : أىّ يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس أوسطَ أيام التشريق ؟

انفرد به أبو داود .

قال أبو داود : وكذلك قال عَمُّ أبى حُرَّة[(٢)] الرقَاشى أنه خطب أوسط أيام التشريق .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد متصلا مطولا فقال : حدثنا عثمان ، حدثنا حماد ابن سلمة ، أنبأنا على بن زيد ، عن أبى حُرَّة الرقاشِىّ ، عن عمه ، قال : كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوسط أيام التشريق أذود عنه الناسَ . فقال : يا أيها الناس أتدرون فى أى شهر أنتم وفى أى يوم أنتم وفى أى بلد أنتم ؟ قالوا : فى يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حَرام كحُرمْة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى أن تَلْقوه .

ثم قال : «اسمعوا منى تعيشوا ، ألا لا تَظْلموا ألا لا تظلموا ، ألا لا تَظْلموا ، إنه لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مسلم إلا بطيب نفس منه . ألا إنّ كل دم ومال ومأثرة كانت فى الجاهلية تحت قدمى هذه إلى يوم القيامة ، وإن أول دم يوضع دم [ابن] ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مُسْترضَعا فى بنى سعد فقتلته هُذَيل ، ألا إن كل رباً فى الجاهلية موضوع وإن الله قضى

(١) سنن أبى داود ١/٣٠٧ : ابن حصن .

(٢) الأصل أبو حمزة . وما أثبته عن سنن أبى داود ١/٣٠٧ . وميزان الاعتدال ١/٦٢١ .

أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب ، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون .

ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلق الله السموات والأرض . ثم قرأ : « إنّ عِدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يومَ خَلق السموات والأرضَ منها أربعة حُرُمٌ ذلك الدين القَيِّم فلا تظلموا فيهن أنفسَكم » ، ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلُّون ولكنه فى التَّحْريش بينكم .

واتقوا الله فى النساء فإنهن عندكم عَوانٍ (١) لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإن لهن عليكم حقا ولكم عليهن حق ، ألا يوطئن فُرشكم أحدا غيركم ، ولا يأذنَّ فى بيوتكم لأحد تكرهونه . فإن خفتم نُشوزهن فعِظُوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مُبرِّح ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجَهن بكلمة الله ، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها» .

وبسَط يده وقال : ألا هل بَلَّغت ؟ ألا هل بلغت ؟ ثم قال : ليبلِّغ الشاهد الغائب فإنه رُبَّ مُبلَّغ أسعدُ من سامع .

قال حُميد : قال الحسن حين بلغ هذه الكلمة : قد والله بَلَّغوا أقواما كانوا أسعدَ به .

وقد روى أبو داود فى كتاب النكاح من سننه عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد ابن سلمة ، عن على بن زيد بن جدعان ، عن أبى حُرَّة الرَّقَاشى ــ واسمه حنيفة ــ عن عمه ببعضه (٢) فى النشوز .

* * *

---

(١) العوانى : الأسرى ، جمع عان .

(٢) سنن أبى داود ١/ ٣٣٤ .

قال ابن حزم : جاء أنه خطب يوم الرءوس وهو اليوم الثانى من يوم النحر بلا خلاف عند أهل مكة ، وجاء أنه أوسط أيام التشريق ، فتُحمل على أن أوسط بمعنى أشرف كما قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً »

وهذا المسلك الذى أخــذه ابن حزم بعيد والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، حدثنا أبو همام محمد بن الزبرقان ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن عبدالله بن دينار وصدقة بن يسار ، عن عبدالله بن عمر ، قال : نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى وهو فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحِّلت له ثم ركب فوقف للناس بالعقبة ، فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإن كل دم كان فى الجاهلية فهو هَدر ، وإن أول دمائــكم أُهْدِر دم [ابن] ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هُذيل . وكل ربا فى الجاهلية فهو موضوع ، وإن أول ربا كم أضع ربا العباس بن عبد المطلب .

أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خَلق الله السموات والأرض ، وإن عِدّة الشهور عند الله اثناعشر منها أربعة حُرم رجب ــ مُضر ــ الذى بين جمادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم « ذلك الدِّين القيم فلا تَظلموا فيهن أنفسكم » الآية « إنماالنَّسِىء زيادةٌ فى الــكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاما ويحرمونه عاما ليُواطِئوا عِدَّةَ ما حَرّم الله » كانوا يُحلون صفر عاما ويحرمون المحرم عاما ، ويحرمون صفر عاما ويحلون المحرم عاما ، فذلك النسىء .

يا أيها الناس من كان عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد ببلادكم آخر الزمان ، وقد يرضى عنكم ، بمُحقَرات الأعمال ، فاحذروه

على دينكم بمحقرات الأعمال ، أيها الناس إن النساء عندكم عَوانٍ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، لكم عليهن حق ولهن عليكم حق ، ومن حقكم عليهن أن لا يوطِئْن فُرشكم غيركم ولا يعصينكم فى معروف ، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإن ضربتم فاضربوا ضربا غير مبرح . ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ماطابت به نفسه ، أيها الناس إنى قد تركت فيكم ، ما إن أخذتم به لم تضلوا ، كتاب الله ، فاعملوا به .

أيها الناس أيُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا بلد حرام . قال : أى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة هذا اليوم فى هذا البلد وهذا الشهر ، ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم ، لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم . ثم رفع يديه فقال : اللهم اشهد .

ذكر إيراد حديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت فى كل ليلة من ليالى منى

قال البخارى : يُذْكر عن أبى حسان عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت فى أيام منًى .

هكذا ذكره معلقًا بصيغة التمريض .

وقد قال الحافظ البيهقى : أخبرناه أبو الحسن بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا العمرى ، أنبأنا ابن عرعرة ، فقال : دفع إلينا معاذ بن هشام كتابا قال : سمعته من أبى ولم يقرأه . قال : فكان فيه : عن قتادة ، عن أبى حسان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة مادام بمنًى . قال : وما رأيت أحداً واطأه عليه .

قال البيهقى : وروى الثورى فى الجامع عن ابن طاوس ، عن طاوس ، عن ابن عباس ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُفيض كل ليلة - يعنى ليالى منى - وهذا مرسَل .

فصل

اليوم السادس من ذى الحجة قال بعضهم: يقال له يوم الزينة ، لأنه يزيَّن فيه البُدْن بالجلاَل وغيرها .

واليوم السابع يقال له يوم التَّرْوية ، لأنهم يتروَّوْن فيه من الماء ويحملون منه مايحتاجون إليه حالَ الوقوف ومابعده .

واليوم الثامن يقال له يوم منًى لأنهم يَرْحلون فيه من الأَبْطَح إلى منًى .

واليوم التاسع يقال له يوم عرفة ، لوقوفهم فيه بها .

واليوم العاشر يقال له يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر .

واليوم الذى يليه يقال له يوم القَرّ ، لأنهم يقَرّون فيه ، ويقال له يوم الرءوس لأنهم يأكلون فيه رءوس الأضاحى ، وهو أول أيام التشريق .

وثانى أيام التشريق يقال له يوم النَّفْر الأول ، لجواز النفر فيه ، وقيل هو اليوم الذى يقال له يوم الرءوس . واليوم الثالث من أيام التشريق يقال له يوم النفر الآخر . قال الله تعالى : « فمن تعجَّل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخَّر فلا إثم عليه[1] » الآية .

***

[فلما ن يوم النفر الآخر وهو اليوم الثالث من أيام التشريق][2] ، وكان يوم الثلاثاء ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فنفر بهم من منًى فنزل المحصَّب ، وهو واد بين مكة ومنًى فصلى به العصر .

كما قال البخارى : حدثنا محمد بن المثنَّى ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا سفيان

(١) سورة البقرة .
(٢) سقط من ا .

الثورى ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال سألت أنس بن مالك : أخبرنى عن شىء عَقَلْته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين صلى الظهر يوم التَّروية ؟ قال : بِمِنًى . قلت : فأين صلى العصر يوم النفْر ؟ قال : بالأبطح ، افعل كما يفعل أمراؤك .

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم النفر بالأَبْطَح ، وهو المحصب . فالله أعلم.

قال البخارى : حدثنا عبد المتعال بن طالب ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن قتادة حدثه ، أن أنس بن مالك حدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه صلى الظهر والعصر [والمغرب][1] والعشاء ، ورقد رقدةً فى المحصَّب ثم ركب إلى البيت فطاف به .

قلت : يعنى طواف الوداع .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد بن الحارث ، قال: سئل عبد الله عن المحصَّب فحدثنا عبيد الله عن نافع قال : نزل بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمر وابن عمر .

وعن نافع : أن ابن عمر كان يصلى بها ـ يعنى المحصَّب ـ الظهر والعصر ، أحْسبه قال : والمغرب . قال خالد : لاأشك فى العشاء ، ثم يَهْجع هَجعة ويَذْكر ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون ، أنبأنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان نزلوا المحصَّب .

هكذا رأيته فى مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله العُمَرى عن نافع .

وقد روى الترمذى هذا الحديث عن إسحاق بن منصور . وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن يحيى ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبْطَح .

قال الترمذى : وفى الباب عن عائشة وأبى رافع وابن عباس ، وحديث ابن عمر

---

(١) من البخارى .

حسن غريب ، وإنما نعرفه من حديث عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر به .

وقد رواه مسلم عن محمد بن مهران الرازى، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أيوب، عن نافع ،عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح.

ورواه مسلم أيضا من حديث صخر بن جُوَيرية ، عن نافع عن ابن عمر ، أنه كان ينزل المحصّب[1]، وكان يصلى الظهر يوم النفْر بالحصبة .

قال نافع : قد حصّب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد -يعنى ابن سَلمة - عن أيوب وحُميد، عن بكر بن عبد الله، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعةً ، ثم دخل - يعنى مكة - فطاف بالبيت .

ورواه أحمد أيضا عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن بكر ، عن ابن عمر فذكره. وزاد فى آخره : وكان ابن عمر يفعله . وكذلك رواه أبو دواد عن أحمد بن حنبل .

وقال البخارى : حدثنا الحمَيْدى ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأَوزاعى ، حدثنى الزُّهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد يوم النحر بمنى : « نحن نازلون غداً بخَيْف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » - يعنى بذلك المحصَّب - الحديث .

ورواه مسلم عن زهير بن حَرْب عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى . فذكر مثله سواء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ، قال : قلت يارسول الله أين تنزل غداً - فى حِجّته - ؟ قال : وهل ترك لنا عَقِيلٌ منزلا ! ثم قال : نحن نازلون غداً إن شاء الله

(١) ت : كان يرى المحصب سنة .

بخَيْف بنى كنانة ـ يعنى المحصّب ـ حيث قاسمتْ قريشاً على الـكفر .

وذلك أن بنى كنانة حالفت قريشا على بنى هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم ـ يعنى حتى يُسْلموا إليهم رسولَ الله .

ثم قال عند ذلك : « لا يرث المسلمُ الـكافرَ ، ولا الـكافر المسلم » قال الزهرى : والخَيْف: الوادى .

أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

* * *

وهذان الحديثان فيهما دلالة على أنه عليه السلام قصَد النزول فى المحصَّب مراغمةً لما كان تمالأ عليه كفار قريش لمّا كتبوا الصحيفةَ فى مُصارَمة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يُسْلموا إليهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . كما قدمنا بيان ذلك فى موضعه .

وكذلك نَزَله عامَ الفتح ، فعلى هذا يـكون نزوله سُنَّة مرغَّباً فيها ، وهو أحـد قولى العلماء .

وقد قال البخارى : حدثنا أبو نُعيم ، أنبأنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة ، قالت : إنما كان مَنزلا ينزله النبى صلى الله عليه وسلم ليـكون أسمحَ لخروجه ـ يعنى الأبطح ـ .

وأخرجه مسلم من حديث هشام به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : إنما نزل رسول الله المحصَّب ليـكون أسمحَ لخروجه ، وليس بسُنّة ، فمن شاء نزَله ومن شاء لم ينزله .

وقال البخارى : حـدثنا على بن عبد الله ، حـدثنا سفيان ، قال : قال عمرو عن عطاء ، عن ابن عباس قال : ليس التَّحْصيب بشىء ، إنما هو منزلٌ نَزَله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سفيان – وهو ابن عيينة – به .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة المَعْنِيّ ومُسدَّد ، قالوا : حدثنا سفيان ، حدثنا صالح بن كَيْسان ، عن سليمان بن يسَار ، قال : قال أبو رافع : لم يأمرني، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أنزله ، ولكن ضُربت قُبّته فنزَله .
قال مسدَّد : وكان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم . وقال عثمان – يعني [في] (١) الأبطح – .

ورواه مسلم عن قتيبة وأبي بكر وزُهير بن حَرب عن سفيان بن عُيينة به .
والمقصود أن هؤلاء كلهم اتفقوا على نزولِ النبي صلى الله عليه وسلم في المحصَّب لمّا نَفَر من منًى ، ولكن اختلفوا : فمنهم من قال : لم يقصد نزولَه وإنما نزله اتفاقاً ليكون أسمحَ لخروجه . ومنهم من أشعَر كلامُه بقصده عليه السلام نزولَه ، وهذا هو الأشبه .

وذلك أنه عليه السلام أمر الناسَ أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، وكانوا قبل ذلك ينصرفون من كل وجه ، كما قال ابن عباس ، فأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت – يعني طواف الوداع – فأراد عليه السلام أن يطوف هو ومن معه من المسلمين بالبيت طواف الوداع وقد نفَر من منًى قريبَ الزوال ، فلم يكن يمكنه أن يجيء البيت في بقية يومه ويطوف به ويرحل إلى ظاهر مكة من جانب المدينة ، لأن ذلك قد يتعذر على هذا الجَمّ الغفير ، فاحتاج أن يبيت قِبَل مكة .

ولم يكن مَنْزل أنسبَ لمَبيته من المحصَّب الذي كانت قريش قد عاقدتْ بني كنانة على بني هاشم وبني المطلب فيه ، فلم يُبرم الله لقريش أمراً بل كبتَهم وردّهم

(١) من سنن أبي داود ١ / ٣١٤ .

خائبين ، وأظهر الله دينه ونصَر نبيه وأعلَى كلمته ، وأتمَّ له الدينَ القويم ، وأوضح به الصراط المستقيم

فحجَّ بالناس وبيَّن لهم شرائع الله وشعائره ، وقد نفَر بعد إكمال المناسك فنزل فى الموضع الذى تقاسمت قريشٌ فيه على الظلم والعدوان والقَطيعة ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء وهجَع هجعةً .

وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليُعْمرها من التنعيم ، فإذا فرغت أتته ، فلما قضت عمرتها ورجعت أذَّن فى المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق .

كما قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيّة ، حدثنا خالد ، عن أَفْلح ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أحرمتُ من التنعيم بعمرة فدخلت فقضيت عمرتى ، وانتظرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح حتى فرغتُ ، وأمر الناسَ بالرحيل . قالت : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيتَ فطاف به ثم خرج .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث أفلح بن حُميد .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا أبو بكر - يعنى الحنفى - حدثنا أفلح عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : خَرجتِ معه ، تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فى] (١) النَّفْر الآخر فنزل المحصَّب .

قال أبو داود : فذكر ابن بَشَّار بعثها إلى التنعيم ، قالت : ثم جئت سَحراً ، فأذَّن فى أصحابه بالرحيل فارتحل ، فمرَّ بالبيت قبلَ صلاة الصبح ، فطاف به حين خرج ، ثم انصرف متوجها إلى المدينة .

وروى البخارى عن محمد بن بشار به .

* * *

(١) من سنن أبى داود ١ / ٣١٤ .

قلت : والظاهر أنه عليه السلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه ، وقرأ فى صلاته تلك بسورة « والطُّور وكتابٍ مَسْطور فى رَقٍّ منشور . والبيتِ المَعمور والسقفِ المرفوع . والبحر المسْجُور » السورة بكمالها .

وذلك لما رواه البخارى حيث قال : حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أبى سلمة ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . قال : شكوت إلى رسول الله أنى أشتكى ، قال : طوفى من وراء الناس وأنت راكبة . فطُفْت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ : « والطور وكتاب مسطور » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من حديث مالك بإسناد نحوه .

وقد رواه البخارى من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب ، عن أم سلمة ، أن رسول الله قال وهو بمكة وأراد الخروج ، ولم تكن أم سلمة طافت وأرادت الخروج فقال لها : « إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك والناس يُصلون » فذكر الحديث .

فأما ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبى سلمة ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرها أن توافى معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة .

فهو إسناد كما ترى على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من هذا الوجه بهذا اللفظ ولعل قوله : « يوم النحر » غَلَطٌ من الراوى أو من الناسخ ، وإنما هو يوم النَّفْر ، ويؤيده ما ذكرناه من رواية البخارى . والله أعلم .

والمقصود أنه عليه السلام لما فرغ من صلاة الصبح طاف بالبيت سبعاً ووقف فى الملتزم بين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة ، فدعا الله عز وجل وألزقَ جسدَه

بجدار الكعبة . قال الثّورى عن المثنى بن الصَّباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلزق وجَهه وصَدره بالملتزَم .

المثّنى ضعيف .

فصـــل

ثم خرج عليه السلام من أسفل مكة كما قالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخَل مكةَ من أعلاها وخرج من أسفلها . أخرجاه .

وقال ابن عمر : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا التى بالبطحاء وخرج من الثنية السفلى .

رواه البخارى ومسلم .

وفى لفظٍ : دخل من كَدَاء وخرج من كُدًى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فُضَيل ، حدثنا أَجْلَح بن عبد الله ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عند غروب الشمس ، فلم يصل حتى أتى سَرِف ، وهى على تسعة أميال من مكة .

وهذا غريب جداً ، وأَجْلح فيه نظر . ولعل هـذا فى غير حجة الوداع ، فإنه عليه السلام كما قدمنا طاف بالبيت بعد صلاة الصبح ، فماذا أخَّره إلى وقت الغروب ؟ هـذا غريب جداً .

اللهم إلا أن يكون ما ادعاه ابن حزم صحيحاً من أنه عليه السلام رجع إلى المحصَّب من مكة بعد طوافه بالبيت طوافَ الوداع ، ولم يذكر دليلا على ذلك إلا قول عائشة حين رجعت من اعتمارها من التنعيم فلقيته بصعدة ، وهو مُنْهبط على أهل مكة ، أو مُنْهبِطة وهو مُصْعد .

قال ابن حزم : الذى لاشكَّ فيه أنهـا كانت مُصْعِدةً من مكة وهو مُنْهبط ، لأنها

تقدمت إلى العمرة وانتظرها حتى جاءت ، ثم نهض عليه السلام إلى طواف الوداع فلقيها مُنْصَرفه إلى المحصّب من مكة .

وقال البخارى : باب من نزل بذى طُوًى إذا رجع من مكة .

وقال محمد بن عيسى : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان إذا أقبل بات بذى طُوًى حتى إذا أصبح دخـل ، وإذا نفر مرّ بذى طوى وبات بهـا حتى يُصْبح ، وكان يذكر أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم كان يفعل ذلك .

هكذا ذكر هذا معلقًا بصيغة الجزم ، وقد أسنده هو ومسلم من حديث حماد بن زيد به ، لـكن ليس فيه ذكر المبيت بذى طوى فى الرَّجْعة . فالله أعلم .

* * *

فائدة عزيزة : فيها أن رسول الله صـلى الله عليـه وسلم استصحَب معه من ماء زمزم شيئا .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا خَلَّاد بن يزيد الجعفى ، حدثنا زهير بن معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله .

ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن مُقاتِل ، أخبرنا عبد الله ـ هو ابن المبارَك ـ حدثنا موسى بن عُقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قَفَل من الغزو أو من الحج أو من العمرة ، يبدأ فيـكبِّر ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عَبْده ، وهزم الأحزاب وحده .

والأحاديث فى هذا كثيرة ولله الحمد والمنة .

فصـــل

في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السلام خَطب بمكان بين مكة والمدينة ، مَرجعه من حجة الوداع قريب من الُجحفة ـ يقال له غَدِير خُمّ ـ

فبيّن فيها فضلَ على بن أبى طالب وبراءة عِرْضه مما كان تـكلم فيه بعضُ من كان معه بأرض اليمن ، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المَعْدَلة التى ظنها بعضهم جَوراً وتضييقا وبخلا ، والصواب كان معه فى ذلك .

ولهذا لما تفرّغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بيّن ذلك فى أثناء الطريق ، فخطب خطبة عظيمة فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عامئذ ، وكان يوم الأحد بغدير خُمّ ، تحت شجرة هناك ، فبيّن فيها أشياء . وذكر من فضل علىٍّ وأمانته وعَدْله وقُربه إليه ما أزاح به ما كان فى نفوس كثير من الناس منه .

ونحن نورد عيونَ الأحاديث الواردة فى ذلك ونبين مافيها من صحيح وضعيف ، بحول الله وقوته وعونه .

وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطّبرى ، صاحب التفسير والتاريخ ، فجمع فيه مجلّدين أورد فيهما طُرقه وألفاظه ، وساق الغثّ والسمين والصحيحَ والسّقيم ، على ماجرت به عادة كثير من المحدّثين ، يوردون ماوقع لهم فى ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه . وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أوردَ أحاديث كثيرة فى هذه الخطبة .

ونحن نورد عيون ماروى فى ذلك ، مع إعلامنا أنه لاحَظّ للشيعة فيه ، ولامتمسَّك لهم ولا دليل ، لما سنبيّنه وننبه عليه . فنقول وبالله المستعان :

قال محمد بن إسحاق - فى سياق حجة الوداع - : حدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لمّا أقبلَ علىٌّ من اليمن ليَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمِد ذلك الرجل فكسا كلَّ رجل من القوم حُلّةً من البزّ الذى كان مع علىّ .

فلما دنا جيشُه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحُلَل ، قال : ويلك ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمَّلوا به إذا قدِموا فى الناس . قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحلَل من الناس فردها فى البزّ ، قال : وأظهر الجيشُ شكواه لما صَنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدالله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر بن حزم ، عن سليمان ابن محمد بن كعب بن عُجْرة ، عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبى سعيد الخدرى - عن أبى سعيد ، قال : اشتكى الناسُ عليًّا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : « أيها الناس لا تَشْكُوا عليا ، فوالله إنه لَأخشنُ فى ذات الله أوفى سبيل الله [من أن يُشكَى [1]] .

ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق به وقال : إنه لَأَخْشَنُ فى ذات الله أو فى سبيل الله .

وقال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دُكَين ، حدثنا ابن أبى غَنِيّة ، [2] عن الحكم عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، عن بُرَيدة قال : غزوت مع علىٍّ اليمنَ فرأيت منه جَفوةً ، فلما قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَرتُ عليا فتنقَّصْته فرأيت وجهَ

---

(١) من ابن هشام ٢/٦٠٣ . (٢) الأصل : عينة .

رسول الله يتغيّر ، فقال : « يابريدة ألستُ أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يارسول الله . قال : « من كنت مَوْلاه فعليٌّ مولاه » .

وكذا رواه النسائى عن أبى داود الحرّانى ، عن أبى نُعَيم الفضل بن دُكَين ، عن عبد الملك بن أبى غَنِية بإسناده نحوه .

وهذا إسناد جيد قوى رجاله كلهم ثقات .

وقد روى النسائى فى سننه ، عن محمد بن المثنّى ، عن يحيى بن حماد ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، قال : لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غديرَ خُمّ أمر بدَوْحات فقُمِمْن [1] ثم قال : « كأنى قد دُعيت فأجبتُ ، إنى قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يرِدا علىّ الحوضَ » .

ثم قال : « الله مولاى وأنا ولىُّ كل مؤمن » ثم أخذ بيد علىّ فقال : « من كنت مَوْلاه فهذا وليُّه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه » .

فقلت لزيد : سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كان فى الدَّوْحات أحدٌ إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه .

تفرد به النسائى من هذا الوجه .

قال شيخنا أبو عبدالله الذهبى : وهذا حديث صحيح .

* * *

وقال ابن ماجه : حدثنا على بن محمد ، أخبرنا أبو الحسين ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد بن جُدْعان ، عن عَدِى بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : أقبلْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع التى حج ، فنزل فى الطريق ، فأمر الصلاة جامعة .

(١) قمن : كنسن

فأخذ بيد علىّ فقال : « ألستُ بأولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : ألست بأولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى . قال : فهذا ولىٌّ من أنا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه » .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن على بن زيد بن جُدْعان ، عن عدى عن البراء .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى والحسن بن سفيان : حدثنا هُدْبة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد وأبى هارون ، عن عدى بن ثابت ، عن البَرَاء ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، فلما أتينا على غدير خُمّ كُسِح (١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين ، ونودى فى الناس الصلاة جامعة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال : « ألستُ أولى بكل امرئٍ من نفسه ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا مَوْلَى من أنا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه » .

فلقيه عمرُ بن الخطاب فقال : هنيئا لك ! أصبحتَ وأمسيتَ مَوْلَى كلِّ مؤمن ومؤمنة !

ورواه ابن جرير ، عن أبى زُرْعة ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، وأبى هارون العَبْدى — وكلاهما ضعيف — عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب به .

وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمى — وهو ضعيف جدا — عن أبى إسحاق السَّبِيعى ، عن البراء وزيد بن أرقم . فالله أعلم .

* * *

(١) كسح : كنس

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمَيْر ، حدثنا عبد الملك ، عن أبى عبد الرحيم الكندى ، عن زاذان أبى عمر ، قال سمعت عليا بالرحبة وهو يَنْشُد الناس من شهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم وهو يقول ماقال ؟

قال : فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه » .

تفرد به أحمد ، وأبو عبد الرحيم هذا لا يُعرف .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه : حديث على بن حكيم الأَزْدِىّ ، أخبرنا شَريك ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، وعن زيد بن يُثَيْع قال : نشد علىٌّ الناسَ فى الرَّحبة مَن سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خُم إلا قام .

قال : فقام من قِبَل سعيد ستة ومن قِبَل زيد ستة ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى بوم غدير خُم : « أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : اللهم من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

قال عبد الله : وحدثنى على بن حكيم ، أخبرنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ذى أَمر ، مثل حديث أبى إسحاق يعنى عن سعيد وزيد . وزاد فيه : « وانصر من نصَره واخذل من خذله » .

قال عبد الله : وحدثنا علىّ ، حدثنا شَريك ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

* * *

وقال النسائى فى كتاب « خصائص علىّ » : حدثنا الحسين بن حرب ، حدثنا

الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : قال علىّ فى الرحبة : أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم يقول : « إن الله ولىّ المؤمنين، ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه، وانصر من نصره » .

وكذلك رواه شعبة عن أبى إسحاق وهذا إسناد جيد .

ورواه النسائى أيضا من حديث إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ذى أمر ، قال نَشَدَ علىٌّ الناسَ بالرحبة ، فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يوم غدير خُم : « من كنت مولاه فإن عليا مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أَحبه ، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره » .

ورواه ابن جرير ، عن أحمد بن منصور ، عن عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن وهب وعبد خير ، عن علىّ .

وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور ، عن عبيد الله بن موسى وهو شيعى ثقة ، عن مطر بن خليفة ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن وهب وزيد بن يُثَيْع وعمرو ذى أمر ، أن عليا نَشَدَ الناس بالكوفة . وذكر الحديث .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنى عبد الله بن عمر القَواريرى ، حدثنا يونس بن أرقم ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، شهدتُ عليًّا فى الرَّحبة يَنْشُد الناسَ فقال : أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم يقول: « من كنت مولاه فعلى مولاه » لمَا قام فشهد .

قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر رجلا بدريا كأنى أنظر إلى أحدهم ، فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خُم: « ألستُ أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجى

أمهاتهم ؟ » فقلنا : بلى يارسول الله . قال : « من كنت مَولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه »

إسناد ضعيف غريب .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا أحمد بن عُمَير الوَكِيعى ، حدثنا زيد بن الحُباَب ، حدثنا الوليد بن عُقبة بن ضِرار القَيْسى ، أنبأنا سِمَاك ، عن عبيد بن الوليد القيسى ، قال : دخلت على عبد الرحمن بن أبى ليلى فحدثنى أنه شهد عليا فى الرَّحبة قال : أنشد الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهده يوم غدير خُم إلا قام ، ولا يقوم إلا من قد رآه . فقام اثنا عشر رجلا فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول : « اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته .

ورُوى أيضـا عن عبد الأعلى بن عامر الثّعْلبى وغـيره ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى به .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا أبو عامر العَقدى ، وروى ابن أبى عاصم ، عن سليمان الغَلاَّبى ، عن أبى عامر العقَدى ، حدثنا كثير بن زيد ، حدثنى محمد بن عمر بن على ، عن أبيه ، عن على ، أن رسول الله حضر الشجرة بخُم . فذكر الحديث وفيه : من كنت مولاه فإن عليا مولاه .

وقد رواه بعضهم عن أبى عامر ، عن كثير ، عن محمـد بن عمر بن على ، عن على منقطعا .

وقال إسماعيل بن عمرو البجَلى ، وهو ضعيف ، عن مِسْعَر عن طلحة ، بن مُصرف عن عميرة بن سعد : أنه شهد عليا على المنبر يناشد أصحابَ رسول الله مَن سمع رسولَ الله يوم غَدِير خُم . فقام اثنا عشر رجلا منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك ، ـ

فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه » .

وقد رواه عبيد الله بن موسى عن هانئ بن أيوب ، وهو ثقة ، عن طلحة ابن مصرف به .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا شبابة ، حدثنا نعيم بن حكيم ، حدثني أبو مريم ورجل من جلساء عليّ عن عليّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم غَدير خُم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . قال : فزاد الناس بعدُ : « والِ من والاه ، وعاد من عاداه » .

روى أبو داود بهذا السند حديث المخدج .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المُعْنِيّ ، قالا : حدثنا قطن ، عن أبي الطفيل ، قال : جمع عليٌّ الناسَ في الرَّحَبة ـ يعني رَحبة مسجد الكوفة ـ فقال : أَنْشد الله كلَّ من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غَدير خُم ماسمع لمَا قام .

فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يارسول الله . قال : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه » .

قال : فخرجتُ كأن في نفسي شيئا ، فلقيت زيدَ بن أرقم . فقلت له : إني سمعت عليا يقول : كذا وكذا . قال : فما تُنْكر ؟ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له .

هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم رضي الله عنه .

ورواه النسائي من حديث الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم به . وقد تقدم .

وأخرجه الترمذي عن بندار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سلمة بن كُهيل ، سمعت

أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة ـ أو زيد بن أرقم شكَّ شعبة ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم ، عن أبي نُعيم ، عن كامل أبي العلاء ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن يحيى بن جعدة ، عن زيد بن أرقم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عَوانة ، عن المغيرة ، عن أبي عبيد ، عن ميمون أبي عبد الله ، قال : قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله منزلا يقال له وادي خُم ، فأمر بالصلاة فصلاَّها بهَجِير .

قال : فخطبنا وأظِل رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس . فقال : «ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ أني أوْلَى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى . قال: فمن كنت مولاه فإن عليًّا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ثم رواه أحمد عن غُنْدَر عن شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم إلى قوله : من كنت مولاه فعلي مولاه قال ميمون : حدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن، وقد صحح الترمذي بهذا السند حديثا في الرَّيْث .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي، عن رباح بن الحارث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا . قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب . قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم يقول : من كنت مولاه فهذا مولاه . قال رَباح : فلما مضوا تبعتُهم فسألت : من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار منهم أبو أيوب الأنصاري .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حنش ، عن رباح بن الحارث ، قال : رأيت قوما من الأنصار قدموا على عليّ في الرحبة فقال : من القوم ؟ فقالوا : مواليك يا أمير المؤمنين فذكر معناه .

هذا لفظه وهو من أفراده .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء ، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعى ، وهو صَدُوق ، حدثنى مهاجر بن مسمار ، عن عائشة بنت سعد ، سمعت أباها يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجُحْفةِ وأخذ بيد على فخطب ثم قال: أيها الناس إنى وليكم . قالوا: صدقت . فرفع يد على فقال: هذا ولیي والمؤدِّى عنى ، وإن الله مُوالى من والاه ، ومعادى من عاداه .

قال شيخنا الذهبي : وهذا حديث حسن غريب .

ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبى كبير ، عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وأنه عليه السلام وقف حتى لحقه مَن بعده وأمر برد من كان تقدم ، فخطبهم الحديث .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبرى فى الجزء الأول من كتاب « غدير خُم » . قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي : وجدته فى نسخة مكتوبة عن ابن جرير — : حدثنا محمود بن عوف الطائى ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا إسماعيل بن كشيط ، عن جميل بن عمارة ، عن سالم بن عبدالله بن عمر — قال ابن جرير : أحسبه قال : عن عمر وليس فى كتابى — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد على [يقول] « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وهذا حديث غريب . بل منكر وإسناده ضعيف قال البخارى فى جميل بن عمارة هذا فيه نظر .

وقال المطَّلب بن زياد ، عن عبدالله بن محمد بن عقيل ، سمع جابر بن عبدالله يقول : كنا بالُجحْفة بغدير خُم فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خِباء أو فُسْطاط ، فأخذ بيد على فقال : « من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه » .

قال شيخنا الذهبي : هذا حديث حسن . وقد رواه ابن لِهيعة عن بكر بن سوادة وغيره ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر بنحوه .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيي بن آدم وابن أبى بُكَير ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حبشى بن جنادة . قال يحيي بن آدم : وكان قد شهد حجة الوداع . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٌّ منى وأنا منه ، ولا يؤدِّى عنى إلا أنا أو علىّ .

وقال ابن أبى بُكير : لا يَقْضى عنى دَيْنى إلا أنا أو علىّ .

وكذا رواه أحمد أيضا عن أبى أحمد الزبيرى ، عن إسرائيل .

قال الإمام أحمد : وحدثناه الزبيرى ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن حبشى ابن جنادة مثله . قال : فقلت لأبى إسحاق : أين سمعت منه ؟ قال : وقف علينا على فرس فى مجلسنا فى جبانة السَّبِيع .

وكذا رواه أحمد ، عن أسود بن عامر ، ويحيى بن آدم ، عن شريك ورواه الترمذى عن إسماعيل بن موسى ، عن شريك ، وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وسُويد بن سعيد وإسماعيل بن موسى ، ثلاثتهم عن شريك به ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان ، عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب .

ورواه سليمان بن قرْم — وهو متروك — عن أبى إسحاق ، عن حبشى بن جنادة ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خُم : « من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه ،

اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه » . وذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، أنبأنا شريك ، عن أبي يزيد الأَزْدِيِّ ، عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه فقام إليه شاب فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال : نعم .

ورواه ابن جرير عن أبي كُرَيب ، عن شاذان ، عن شريك به . تابعهُ إدريس الأزدى ، عن أخيه أبي يزيد ، واسمه داود بن يزيد به . ورواه ابن جرير أيضاً من حديث إدريس وداود عن أبيهما عن أبي هريرة فذكره

***

فأما الحديث الذى رواه ضَمْرة عن ابن شَوْذب ، عن مَطر الوراق ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أبي هريرة ، قال لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد عليّ قال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فأنزل الله عز وجل : « اليومَ أكملتُ لكم دِينكم وأتممتُ عليكم نعمتى » . قال أبو هريرة : وهو يوم غدير خُم ، من صام يوم ثمان عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً .

فإنه حديث مُنْكَر جداً ، بل كَذِب ، لمخالفته لما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت فى يوم الجمعة يوم عرفة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بها . كما قدمنا .

وكذا قوله : « إن صيام يوم الثامن عشر من ذى الحجة وهو يوم غدير خُم يَعْدل صيامَ ستين شهراً » لا يصح ، لأنه قد ثبت ما معناه فى الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر ، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً ؟ ! هذا باطل .

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث : هذا حديث مُنْكَر جداً .

ورواه حبشون الخلاَّل وأحمد بن عبد الله بن أحمد النِّيرىّ ، وهما صدوقان عن علىّ ابن سعيد الرملى ، عن ضمرة . قال : ويروى هـذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبى سعيد وغيرهم بأسانيد واهية .

قال : وصَدْر الحديث متواتر أتيقَّن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ، وأما : « اللهم والِ من والاه » فزيادة قوية الإسناد . وأما هذا الصوم فليس بصحيح ، ولا والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خُم بأيام . والله تعالى أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا على بن إسحاق الوزير الأصبهانى ، حدثنا على بن محمد المقدّمى حدثنا محمد بن عمر بن على المقدمى ، حدثنا على بن محمد بن يوسف بن شبان بن مالك بن مسمع ، حدثنا سهل بن حنيف بن سهل بن مالك أخى كعب بن مالك ، عن أبيه عن جده ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن أبا بكر لم يَسُؤْنى قط ، فاعرفوا ذلك له . أيها الناس إنى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راضٍ ، فاعرفوا ذلك لهم .

أيها الناس احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأحبابى ، لا يطلبكم الله بمَظْلمة أحد منهم أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً .

سنة إحدى عشرة من الهجرة

استهلّت هذه السّنة وقد استقرّ الرّكابُ الشريف النبوى بالمدينة النبوية المطهّرة ، مَرْجِعَه من حجّة الوداع .

وقد وقعت فى هذه السنة أمور عِظَام ، من أعْظمها خَطباً وفاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عليه السلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدى فى مَحِلّة عالية رفيعة ودرجة فى الجنة لا أعلى منها ولا أسْنَى كما قال تعالى : « وَلَلآخرةُ خيرٌ لك من الأولى ، ولَسوف يُعطيك ربُّك فترضى » .

وذلك بعد ما أكمل أداءَ الرسالة التى أمره الله تعالى بإبلاغها ، ونصَح أمته ودلّهم على خير ما يَعْلمه لهم ، وحذّرهم ونهاهم عما فيه مَضرة عليهم فى دنياهم وأخراهم ،

وقد قدّمنا ما رواه صاحبا الصحيح من حديث عمر بن الخطاب أنه قال : نزل قوله تعالى : « اليوم أكملتُ لكم دينَكم وأتممْتُ عليكم نعمتى ورَضيتُ لكم الإسلام دينا » يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة .

وروينا من طريق جيد : أن عمر بن الخطاب حين نزلت هذه الآية بكى ، فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان . وكأنه استشعرَ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد أشار عليه السلام إلى ذلك فيما رواه مسلم من حديث ابن جُريج ، عن أبى الزبير عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند جَمْرة العَقَبة وقال لنا : « خذوا عنى مَنَاسككم ، فلعلى لا أحجُّ بعد عامى هذا » .

وقدّمنا ما رواه الحافظان أبو بكر البزّار والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة

الرَّبَذِى ، عن صَدَقة بن يسار ، عن ابن عمر ، قال : نزلت هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح » فى أوسط أيام التشريق ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع ، فأمر براحلته القَصْواء فرحِّلت . ثم ذكر خطبته فى ذلك اليوم كما تقدم .

وهكذا قال عبد الله بن عباس رضىَ الله عنهما لعمر بن الخطاب حين سأله عن تفسير هذه السورة بمَحْضَر كثير من الصحابة ، ليريهم فضلَ ابن عباس وتقدُّمَه وعِلمه ، حين لامَه بعضُهم على تقديمه وإجلاسه له مع مشايخ بدر ، فقال : إنه من حيث تعلمون . ثم سألهم وابنُ عباس حاضر عن تفسير هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيتَ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبِّح بحمد ربك واستَغفره إنه كان توابا » فقالوا : أُمرنا إذا فُتح لنا أن نَذْكر الله ونَحْمده ونستغفره .

فقال : ماتقول يابن عباس ؟ فقال هو أجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نُعى إليه . فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تعلم .

وقد ذكرنا فى تفسير هذه السورة مايدل على قول ابن عباس من وجوه ، وإن كان لاينافى مافسَّر به الصحابة رضى الله عنهم .

وكذلك مارواه الإمام أحمد ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبى ذئب ، عن صالح مَوْلى التَّوْأَمة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حج بنسائه قال : « إنما هى هذه الحجة ثم الْزمنَ ظهور الحصْر » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود فى سننه من وجه آخر جيد .

* * *

والمقصود أن النفوس استَشْعرت بوفاته عليه السلام فى هذه السَّنة .

ونحن نذكر ذلك ونورد ماروى فيما يتعلق به من الأحاديث والآثار . وبالله المستعان .

ولنقدِّم على ذلك ما ذكره الأئمة محمد بن إسحاق بن يسَار وأبو جعفر بن جَرير وأبو بكر البيهقى فى هذا الموضع قبل الوفاة ، من تَعْداد حِجَجه وغزواته وسراياه وكتبه ورسله إلى الملوك . فلنذكر ذلك ملخصا مختصراً . ثم نتبعه بالوفاة .

ففى الصحيحين من حديث أبى إسحاق السَّبِيعى عن زيد بن أرقم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وحج بعد ماهاجر حجة الوداع ولم يحج بعدها .

قال أبو إسحاق : وواحدة بمكة .

كذا قال أبو إسحاق السَّبيعى . وقد قال زيد بن الحُباب ، عن سفيان الثورى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجات : حجتين قبل أن يهاجر ، وواحدة بعد ماهاجر معها عمرة ، وساق ستا وثلاثين (1) بُدنة وجاء علىٌّ بتمامها من اليمن .

وقد قدَّمنا عن غير واحد من الصحابة منهم أنس بن مالك فى الصحيحين أنه عليه السلام : اعتمر أربع عُمَر : عمرة الحُدَيبية ، وعمرة القَضَاء ، وعمرة الجِعرانة ، والعمرة التى مع حجة الوداع .

وأما الغزوات فروى البخارى عن أبى عاصم النَّبيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلَمة بن الأَكْوَع . قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد ابن حارثة تسع غزوات يؤمِّره علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيحين عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن زيد ، عن سلَمة ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وفيما يَبْعث من البعوث تسع غزوات ، مرةً علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة بن زيد .

---

(1) الذى سبق أن ما ساقه الرسول معه من الهدى ست وستون .

وفى صحيح البخارى من حديث إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : غزا رسول الله خمس عشرة غزوة .

وفى الصحيحين من حديث شُعبة ، عن أبى إسحاق، عن البَرَاء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وشهد معه منها سبع عشرة أولها العُشَيْر أو العُسَيْر .

وروى مسلم عن أحمد بن حنبل ، عن مُعْتَمر ، عن كَهْمَس بن الحسن ، عن ابن بُرَيدة ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة .

وفى رواية لمسلم من طريق الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قاتَل منها فى ثمان .

وفى رواية عنه بهذا الإسناد : وبعث أربعا وعشرين سَرِيّة ، قاتل يوم بدر وأحد والأحزاب والمريسيع وخيبر ومكة وحنين .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة ، غزوت معه منها تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحداً منعنى أبى ، فلما قُتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن غزاة غزاها .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا مَعْمَر عن الزهرى ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ثمانى عشرة غزوة . قال : وسمعته مرة يقول : أربعا وعشرين غزوة ، فلا أدرى أكان ذلك وهماً أو شيئا سمعته بعد ذلك .

وقال قتادة : غزا رسول الله تسع عشرة قاتل فى ثمان منها ، وبعث من البعوث أربعا وعشرين . فجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون .

وقد ذكر عروة بن الزبير والزهرى وموسى بن عُقبة ومحمد إسحاق بن يَسار وغير واحد من أئمة هذا الشأن ، أنه عليه السلام قاتَل يوم بدر فى رمضان من سنة اثنتين ، ثم فى أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم الخندق وبنى قريظة فى شوال أيضا من سنة أربع وقيل:

خمس ، ثم فى بنى المصطلق بالمريسيع فى شعبان سنة خمس ، ثم فى خيبر فى صفر سنة سبع ومنهم من يقول سنة ست . والتحقيق أنه فى أول سنة سبع وآخرِ سنة ست ، ثم قاتل أهلَ مكة فى رمضان سنة ثمان ، وقاتل هَوازن ، وحاصر أهلَ الطائف فى شوال وبعضِ ذى الحجة سنة ثمان كما تقدم تفصيله . وحج فى سنة ثمان بالناس عَتَّابُ بن أُسيد نائب مكة ، ثم فى سنة تسع أبو بكر الصديق ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين سنة عشر .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة سبعا وعشرين غزوة : غزوة وَدَّان وهى غزوة الأَبْواء ، ثم غزوة بُواط من ناحية رَضْوى ، ثم غزوة العُشَيْرة من بطن يَنْبع ، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر العظمى التى قتل الله فيها صَناديد قريش ، ثم غزوة بنى سُليم حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّويق يَطْلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطفان وهى غزوة ذى أَمَر ثم غزوة بَحْران مَعْدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحد ، ثم حَمْراء الأَسد ، ثم غزوة بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومة الجَندْل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان من هُذيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خُزاعة ، ثم غزوة الحدَيبية لا يريد قتالا فصدَّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قال ابن إسحاق : قاتل منها فى تسع غزوات : غزوة بدر وأحد والخندقِ وقُريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف .

قلت : وقد تقدم ذلك كله مبسوطا فى أماكنه بشواهده وأدلته . ولله الحمد .

* * *

قال ابن إسحاق وكانت بعوثه عليه السلام وسراياه ثمانيا وثلاثين من بين بَعْثٍ وسَرِيّة . ثم شرع رحمه الله فى ذكر تفصيل ذلك .

وقد قدمنا ذلك كله أو أكثره مفصلا فى مواضعه ولله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص ماذكره ابن إسحاق : بَعْث عُبيدَة بن الحارث إلى أسفل ثنية ذى المرْوَة [(١)] ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى الساحل من ناحية العِيص ، ومن الناس من يقدِّم هذا على بعث عبيدة كما تقدم فالله أعلم .

بعث سعد بن أبى وقاص إلى الخرَّار ، بعث عبد الله بن جحش إلى نَخْلة ، بعث زيد ابن حارثة إلى القَرَدة ، بعث محمد بن مَسْلمة إلى كعب بن الأشرف ، بعث مَرْثَد بن أبى مرثد إلى الرَّجيع ، بعث المنذِر بن عمرو إلى بئر مَعُونة ، بعث أبى عبيدة إلى ذى القَصَّة ، بعث عمر بن الخطاب إلى تُرْبة فى أرض بنى عامر ، بعث علىّ إلى اليمن .

بعث غالب بن عبد الله الكلبى إلى الكَديد فأصاب بنى الملوَّح ، وأغار عليهم فى الليل فقتل طائفة منهم فاستاق نَعمهم فجاء نفرهم فى طلب النعم ، فلما اقتربوا حالَ بينهم وادٍ من السيل ، وأسروا فى مسيرهم هذا الحارثَ بن مالك بن البَرْصاء . وقد حرَّر ابن إسحاق هذا هاهنا وقد تقدم بيانه .

بعث علىّ بن أبى طالب إلى أرض فَدَك ، بعث أبى العَوْجاء السُّلمى إلى بنى سُليم أصيب هو وأصحابه ، بعث عُكَّاشة إلى الغمرة ، بعث أبى سلمة بن عبد الأسد إلى قطن وهو ماء بنجد لبنى أسد ، بعث محمد بن مَسْلمة إلى القرطاء من هوازن ، بعث بشير بن سعد إلى بنى مرة بفَدك ، وبعثه أيضا إلى ناحية حنين ، بعث زيد بن حارثة إلى الجُموم من أرض بنى سليم .

بَعْث زيد بن حارثة إلى جُـذام من أرض بنى خُشين . قال ابن هشام : وهى من

---

(١) الأصل : ثنية المرة . وما أثبته عن ابن هشام ٢/٦٠٩ .

أرض حسمى . وكان سببها فيما ذكره ابن إسحاق وغيره : أن دِحْية بن خليفة لما رجع من عند قيصر وقد أبلغه كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الله فأعطاه من عنده تحفاً وهدايا ، فلما بلغ واديا فى أرض بنى جذام يقال له شنار أغار عليه الهنيد بن عُوص وابنه عوص بن الهنيد الضُّليعيان ، والضُّليع بطن من جذام ، فأخذا ما معه فنفر حىٌّ منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ الدِحْية فردوه عليه .

فلما رجع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر واستسقاه دمَ الهنيد وابنه عُوص ، فبعث حينئذ زيدَ بن حارثة فى جيش إليهم فساروا إليهم من ناحية الأَولاج فأغار بالماقص من ناحية الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال وناس وقتلوا الهنيدَ وابنه ورجلين من بنى الأحنف ورجلا من بنى خَصيب .

فلما احتاز زيد أموالهم وذَراريهم اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد ، وكان قد جاءه كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله ، فقرأه عليهم رفاعة فاستجاب له طائفة منهم ، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك فركبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ثلاثة أيام ، فأعطوه الكتاب فأمر بقراءته جَهرة على الناس ، ثم قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات . فقال رجل منهم يقال له أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه .

فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال علىّ : إن زيداً لا يطيعنى . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه علامةً ، فسار معهم على جمل لهم فلقوا زيداً وجيشه ومعهم الأموال والذرارى بفيفاء الفَحلتين ، فسلمهم علىٌّ جميعَ ما كان أُخذ لهم لم يفقدوا منه شيئا

بَعْث زيد بن حارثة أيضاً إلى بنى فزارة بوادى القُرى . فقُتل طائفة من أصحابه وأُرتثّ (١) هو من بين القتلى ، فلما رجع آلى ألا يمسّ رأسه غسلٌ من جنابة حتى يغزوهم أيضاً ،

(١) حمل جريحاً وبه رمق .

فلما استبلّ من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا فى جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأسر أم قِرْفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ومعها ابنة لها ، فأمر زيد بن حارثة قيسَ بن المسحَّر اليعمرى فقتل أم قرفة واستبقى ابنتها وكانت من بيت شرف يُضرب بأم قرفة المثـــل فى عزها ، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكْوع ، فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فوهبها رسول الله لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له ابنه عبد الرحمن .

بَعث عبد الله بن رَواحة إلى خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليُسَيْر بن رِزام، وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فبعث رسول الله عبد الله بن رواحة فى نفر منهم عبد الله بن أنيس ، فقدِموا عليـه فلم يزالوا يرغبونه ليُقْدِموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معهم فلما كانوا بالقَرقرة على ستة أميال من خيبر ندم اليُسَيْر على مَسيره ، ففطن له عبد الله بن أنيس — وهو يريد السيف — فضربه بالسيف فأطنّ قدمه ، وضربه اليُسير بمخْرش من شَوحط فى رأسه فأمَّه ، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على قدميه .

فلمـا قدم ابن أنيس تفل فى رأسه رسول الله صـلى الله عليـه وسلم فلم يَقِحْ جرحه ولم يؤذه .

قلت : وأظن البعث الآخر إلى خيبر لما بعثه عليه السلام خارصا على نخيل خيبر . والله أعلم .

بعث عبد الله بن عَتيك وأصحابه إلى خيبر فقتلوا أبا رافع اليهودى . بعث عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبيح فقتله بعُرَنة . وقد روى ابن إسحاق قصتههاهنا مطولة. وقد تقدم ذكرها فى سنة خمس والله أعلم .

بعث زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رَواحة إلى مُؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا

كما تقدم . بعث كعب بن عمير إلى ذات أطْلاح من أرض الشام ، فأصيبوا جميعا أيضاً .
بعث عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر إلى بنى العنبر من تميم فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ثم ركب وفدُهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسْراهم فأعتقَ بعضاً وفدَى بعضا .

بَعث غالب بن عبد الله أيضاً إلى أرض بنى مُرة فأصيب بها مرداس بن نَهِيك حليف لهم من الحُرقة من جهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار أدركاه ، فلما شهرا السلاح قال : لا إله إلا الله . فلما رجعا لامهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ اللوم ، فاعتذرا بأنه ماقال ذلك إلا تعوّذا من القتل . فقال لأسامة : هلاَّ شقَقْتَ عن قلبه ؟ ! وجعل يقول لأسامة : من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ! قال أسامة : فما زال يكررها حتى لَودِدْت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك . وقد تقدم الحديث بذلك .

بعث عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاَسل من أرض بنى عُذْرة يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بَلِىّ ، فلذلك بعث عمرا يستنفرهم ليكون أنجعَ فيهم .

فلما وصل إلى ماء لهم يقال له السَّلسل خافهم ، فبعث يستمد رسولَ الله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِية فيهم أبو بكر وعمر وعليها أبو عبيدة بن الجراح ، فلما انتهوا إليه تأمَّر عليهم كلهم عمرو وقال : إنما بُعثتم مَدداً لى . فلم يمانعه أبو عبيدة لأنه كان رجلا سهلا ليناً هيناً عند أمر الدنيا ، فسلَّم له وانقاد معه ، فكان عمرو يصلى بهم كلهم ، ولهذا لما رجع قال : يارسول الله أىّ الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قال : فمن الرِّجال ؟ قال : أبوها .

بعث عبد الله بن أبى حَدْرد إلى بطن إضَم ، وذلك قبل فتح مكة ، وفيها قصة مُحلِّم بن جَثَّامة . وقد تقدم مطولا فى سنة سبع . بَعْث ابن أبى حَدْرد أيضا إلى الغابة .

بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجندل .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن عطاء بن أبى رَباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجُلِ إذا اعتمّ . قال : فقال عبد الله : أُخبرك إن شاء الله عن ذلك . تعلم أنى كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتًى من الأنصار فسلم على رسول الله ثم جلس ، فقال : يارسول الله أى المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خُلقا . قال : فأى المؤمنين أكْيَس ؟ قال : أكثرهم ذِكرا للموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس . ثم سكت الفتى .

وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامعشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم — وأعوذ بالله أن تدركوهن — إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعلنوا عليها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضوا ، ولم يَنْقصوا المكيالَ والميزان إلا أُخذوا بالسِّنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان ، ولم يَمنعوا الزكاةَ من أموالهم إلا مُنعوا القَطْرَ من السماء فلولا البهائم مامُطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلَّط عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

قال : ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بَعثه عليها فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقضها ثم عمّمه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك . ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتمّ فإنه أحسنُ وأعْرَف .

ثم أمر بلالا أن يَدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كَفر بالله لا تَغلُّوا ولا تَغدِروا ولا تُمثِّلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم .

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال : ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجندل .

بعث أبى عبيدة بن الجراح ، وكانوا قريبا من ثلاثمائة راكب إلى سِيف البحر ، وزوَّده عليه السلام جرابا من تمر و [فيها] قصة العنبر وهى الحوت العظيم الذى دسَره البحر ، وأكْلهم كلهم منه قريبا من شهر حتى سمنوا وتزودوا منه وَشائق أى شرائح ، حتى رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعموه منه فأكل منه . كما تقدم بذلك الحديث .

* * *

قال ابن هشام : ومما لم يذكر ابن إسحاق من البعوث ـ يعنى هاهنا ـ بَعْث عمرو بن أمية الضَّمْرى لقتل أبى سفيان صخر بن حرب بعد مقتل خُبيب بن عدى وأصحابه ، فكان من أمره ماقدمناه .

وكان مع عمرو بن أمية جبار بن صخر ولم يتفق لهما قتل أبى سفيان بل قتلا رجلا غيره وأنزلا خبيباً عن جِذْعه .

وبعث سالم بن عمير أحد البكائين إلى أبى عَفَك ، أحد بنى عمرو بن عوف وكان قد نجَم نفاقُه حين قتل رسول الله الحارثَ بن سويد بن الصامت كما تقدم . فقال يرثيه ويذم ـ قبحه الله ـ الدخول فى الدين :

لقد عشتُ دهراً وما إن أرى ... من الناس داراً ولا مَجْمعَا
أبرَّ عهوداً وأوفَى لمن ... يعاقِد فيهم إذا مادعا
من أولاد قَيْلة فى جمعهم ... يهدُّ الجبال ولم يخضعا

فصدَّعهم راكبٌ جاءهم   حلالٌ حرام لشتى معاَ
فلو أن بالعزّ صدقتمُ   أو الملك تابعتمُ تُبَّعاَ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فانتدب له سالم بن عُمير هذا فقتله ، فقالت أمامة المريدية فى ذلك :

تُكذِّب دِينَ الله والمرء أحمدا   لعمرو الذى أَمْناك بئس الذى يُمْنِى
حَباكَ حَنيفٌ آخرَ الليل طَعنةً   أبا عَفَك خذها على كِبَرَ السِّنّ

وبعث عمير بن عدى الخطْمى لقتل العصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد ، كانت تهجو الإسلام وأهله ، ولما قُتل أبو عفك المذكور أظهرت النفاق وقالت فى ذلك :

باست بنى مالك والنَّبيت   وعوف وباست بنى الخزرجِ
أطعتم أتاوىَّ من غيركم   فلا مِن مُراد ولا مَذْحجِ
تُرَجُّونه بعدَ قَتْل الرءوس   كما يرتجى ورق المنضَجِ
ألا أَنِفٌ يبْتغى غِرَّةً   فيَقْطع من أمل المرتجِى

قال : فأجابها حسان بن ثابت فقال :

بنو وائل وبنو واقفٍ   وخَطمة دون بنى الخزرج
متى مادعت سَفهاً ويحها   بعُولتَها والمنايا تجِى
فهزَّت فتًى ماجداً عِرْقه   كريم المداخل والمخرجِ
فضرَّجها من نَجيع الدما   ء بُعيد الهدوّ فلم يحْرَجِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ألا آخذٌ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك عُمير بن عَدِى ، فلما أمسى من تلك الليلة سَرى عليها فقتلها . ثم أصبح فقال:

يارسول الله قتلتها . فقال : نصرتَ الله ورسوله ياعمير . قال : يارسول الله هل عليَّ من شأنها ؟ قال : لاتنتطح فيها عَنْزان .

فرجع عمير إلى قومه وهم يختلفون فى قتلها وكان لها خمسة بنون ، فقال : أنا قتلتها فكيدونى جميعاً ثم لاتُنْظِرون. فذلك أول يوم عَزَّ الإسلام فى بنى خَطمة، فأسلم منهم بشر كثير لمَا رأوا من عز الإسلام .

ثم ذكر البعث الذين أسروا ثُمَامة بن أُثَال الحنفى ، وما كان من أمره فى إسلامه . وقد تقدم ذلك فى الأحاديث الصحاح .

وذكر ابن هشام أنه هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل فى مِعًى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء . لِمَا كان من قِلة أكله بعد إسلامه ، وأنه لما انفصل عن المدينة دخل مكة معتمراً وهو يلبى ، فنهاه أهل مكة عن ذلك فأبى عليهم وتوعَّدهم بقطع المِيرة عنهم من اليمامة ، فلما عاد إلى اليمامة منعهم المِيرة ، حتى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادها إليهم . وقال بعض بنى حنيفة :

ومنّا الذى لبىَّ بمكة محرما برَغْم أبى سفيان فى الأشهر الحرمِ

وبعث عَلقمة بن مُجَزِّز المُدْلجى ليأخذ بثأر أخيه وَقَّاص بن مجزز يوم قُتل بذى قَرَد، فاستأذن رسولَ الله ليرجع فى آثار القوم ، فأذن له وأمَّره على طائفة من الناس ، فلما قفلوا أذن لطائفةمنهم فى التقدم واستعمل عليهم عبدَ الله بن حذافة وكانت فيه دُعابة ، فاستوقد نَاراً وأمرهم أن يدخلوها ، فلما عزم بعضهم على الدخول قال . إنما كنت أضحك . فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم . قال : من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه .

والحديث فى هذا ذكره ابن هشام عن الدَّرَاوَرْدى ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثَوبان ، عن أبى سعيد الخدرى .

وبعث كُرْز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قدموا المدينة ، وكانوا من قيس من

بجيلة ، فاستوخَموا المدينة واستوبؤوها فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من أبوالها وألبانها ،فلما صَحُّوا قتلوا راعيها وهو يسَار مولى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللِّقَاح ، فبعث فى آثارهم كرزَ بن جابر فى نفرمن الصحابة فجاءوا بأولئك النفر من بَجيلة مرجعه عليه السلام من غزوة ذى قَرد ، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُملت أعينهم.

وهؤلاء النفر إن كانوا هم المذكورين فى حديث أنس المتفق عليه أن نفراً ثمانية من عُـكل أو عُرينة قدموا المدينة ، الحديث ، والظاهر أنهم هم، فقد تقدم قصتهم مطولة ، وإن كانوا غيرهم فها قد أوردنا عيون ماذكره ابن هشام . والله أعلم .

قال ابن هشام : وغزوة على بن أبى طالب التى غزاها مرتين . قال أبو عمرو المدنى: بعث رسول الله عليا إلى اليمن وخالداً فى جند آخر . وقال إن اجتمعتم فالأمير على بن أبى طالب .

قال : وقد ذكر ابن إسحاق بعثَ خالد ، ولم يذكره فى عدد البعوث والسرايا فينبغى أن تـكون العِدة فى قوله تسعا وثلاثين .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوُطئ الخيل تخوم البَلْقاء والدَّاروم من أرض فلسطين،فتجهز الناسُ وأوْعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعثٍ بعثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبـد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد ،فطعن الناسُ فى إمارته ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن تَطْعنوا فى إمارته فقـد كنتم تَطْعنون فى إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخَليقا للإمارة وإن كان لَمِن أحب الناس

إلىّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده .

ورواه الترمذى من حديث مالك . وقال حديث صحيح حسن .

وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار فى جيشه ، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب . ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجُرف . وقد أمّر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس كما سيأتى . فكيف يكون فى الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين ، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة فى الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام ، ثم لما توفى عليه الصلاة والسلام استَطْلق الصديقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب فأذِن له فى المقام عند الصديق ، ونفذ الصديقُ جيشَ أسامة .

فصـــل

فى الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول الله ﷺ وكيف ابتدئ رسول الله ﷺ بمرضه الذى مات فيه

قال الله تعالى : « إنك ميِّت وإنهم ميِّتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » وقال تعالى : « وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخُلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون » . وقال تعالى : « كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت وإنما تُوفَّون أجوركم يومَ القيامة ، فمن زُحْزح عن النار وأُدخلَ الجنة فقد فازَ وما الحياةُ الدنيا إلا متاع الغُرور » .

وقال تعالى : « وما محمدٌ إلا رسول قد خَلَتْ من قبله الرُّسلُ ، أفإن مات أو قُتل انقلَبْتم على أعقابكم ومن يَنْقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيَجْزى الله الشاكرين » . وهذه الآية هى التى تلاها الصِّديق يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل .

وقال تعالى : « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ، ورأيت الناسَ يَدْخلون فى دين الله أفواجا فسبِّح بحمد ربك واستَغْفره إنه كان توابا » .

قال عمر بن الخطاب وابن عباس : هو أجَلُ رسول الله نعى إليه .

وقال ابن عمر : نزلت أوسط أيام التَّشريق فى حجة الوداع ، فعرف رسول الله أنه الوداع ، فخطب الناس خطبةً أمرهم فيها ونهاهم ، الخطبة المشهورة كما تقدم .

وقال جابر رأيت رسول الله يرمى الجمار فوقف وقال : « لِتأخذوا عنى مَناسككم فلعلى لا أحجّ بعد عامى هذا » .

وقال عليه السلام لابنته فاطمة كما سيأتى : « إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل

سنة مرة ، وإنه عارضنى به العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلى » .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى بكر بن عَيَّاش عن أبى حُصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : كان رسول الله يعتكف فى كل شهر رمضان عشرة أيام ، فلما كان من العام الذى توفى فيه اعتكف عشرين يوما ، وكان يُعْرَض عليه القرآن فى كل رمضان ، فلما كان العام الذى توفى فيه عُرض عليه القرآن مرتين .

* * *

وقال محمد بن إسحاق رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فى ذى الحجة ، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً ، وبعث أسامةَ بن زيد .

فبينا الناس على ذلك ابتُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذى قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته وكرامته فى ليال بقين من صفر أو فى أول شهر ربيع الأول .

فكان أول ما ابتدئ به رسول الله من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع الغَرْقَد من جوف الليل فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبدالله بن جعفر ، عن عبيدبن جُبير مولى الحكم ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعثنى رسول الله من جوف الليل فقال : يا أبا مويهبة إنى قدأُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى .

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليَهْن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناسُ فيه ، أقبلت الفتنُ كقِطَع الليل المظلم يَتْبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى .

ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا مُويهبة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها ثم الجنة ، فخيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة .

قال : قلت : بأبى أنت وأمى ! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة .

قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترتُ لقاء ربى والجنة .

ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ برسول الله وجعه الذى قبضه الله فيه .

لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب. وإنما رواه أحمد عن يعقوب بن إبرهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر ، حدثنا الحكم بن فُضيل ، حدثنا يعلى بن عطاء، عن عبيد بن جُبير ، عن أبى مُوَيهبة ، قال : أمر رسول الله أن يصلِّى على أهل البقِيع ، فصلى عليهم ثلاث مرات ، فلما كانت الثالثة قال : يا أبا مويهبة أَسْرج لى دابتى .

قال : فركب ومشيت حتى انتهى إليهم ، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة فوقف . أو قال — قام عليهم — فقال : ليَهْنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس ، أتت الفتن كقِطَع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا ، الآخرة أشد من الأولى ، فليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس .

ثم رجع فقال : يا أبا مويهبة إنى أُعطيت ، أو قال : خُيِّرت ، بين مفاتيح ما يُفتح على أمتى من بعدى والجنة أو لقاء ربى .

قال فقلت : بأبى أنت وأمى فاخترنا . قال: لأن تردّ على عَقبها ما شاء الله[1] ، فاخترت لقاء ربى .

فما لبث بعد ذلك إلا سبعا أو ثمانيا حتى قُبض .

وقال عبد الرزاق عن مَعْمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله نُصرت بالرّعب وأعطيت الخزائن ، وخُيِّرت بين أن أبقى حتى أرى ما يُفْتح على أمتى وبين التعجيل ، فاخترت التعجيل .

(١) المعنى خشيته من فتنة أمته بالدنيا ، فلم يرتض طول الإقامة فيها .

قال البيهقى : وهذا مرسل . وهو شاهد لحديث أبى مويهبة .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود ، عن عائشة ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البَقيع فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول : وارأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وماضَرَّكِ لو مِتِّ قبلى فقمتُ عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك لو فعلت ذلك لقد رجعتَ إلى بيتى فأعرَسْتَ فيه ببعض نسائك !

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرَّض فى بيتى فأذنَّ له .

قالت : فخرج رسول الله بين رَجلين من أهله أحدُهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصِباً رأسه تخطُّ قدَماه حتى دخل بيتى .

قال عبيد الله : فحدَّثت به ابن عباس فقال : أتدرى من الرجل الآخر ؟ هو علىُّ بن أبى طالب .

وهذا الحديث له شواهد ستأتى قريباً .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن الزُّهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : دخل علىّ رسول الله وهو يُصْدَع وأنا أشتكى رأسى ، فقلت : وارأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه !

ثم قال : وما عليك لو مِتِّ قبلى فوليتُ أمرَكِ وصلَّيتُ عليك وواريْتك ؟ فقلت :

والله إنى لأحسب لو كان ذلك لقد خلوتَ ببعض نسائك فى بيتى من آخر النهار !

فضحك رسول الله .

ثم تمادَى به وجعه فاستعزّ[(١)] به وهو يدور على نسائه فى بيت ميمونة ، فاجتمع إليه أهله . فقال العباس : إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فهلمّوا فلنلدّه[(٢)] ، فلدّوه ، فأفاق رسول الله . فقال : من فعل هذا ؟ فقالوا : عمك العباس تخوّف أن يكون بك ذات الجنب . فقال رسول الله : إنها من الشيطان ، وما كان الله ليسلّطه علىّ ، لا يبقى فى البيت أحد إلا لددتموه إلا عمى العباس . فلُدّ أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها لصائمة وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى ، فأذنّ له ، فخرج وهو بين العباس ورجل آخر - لم تُسمِّه - تخطُّ قدماه بالأرض . قال عبيد الله : قال ابن عباس : الرجل الآخر على بن أبى طالب .

قال البخارى : حدثنا سعيد بن عُفير ، حدثنا الليث ، حدثنى عَقِيل ، عن ابن شهاب أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لما ثقل رسول الله واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرّض فى بيتى فأذِنّ له ، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه الأرض بين عباس . قال ابن عبد المطلب : وبين رجل آخر .

قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله - يعنى ابن عباس - بالذى قالت عائشة . فقال لى عبد الله بن عباس : هل تدرى من الرجل الآخر الذى لم تسمِّ عائشة ؟ قال : قلت : لا . قال ابن عباس : هو علىّ .

فكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تحدِّث أن رسولَ الله لما دخل بيتى

---

(١) استعز : اشتد . (٢) اللد : صب الدواء بالمسعط فى أحد شقى الفم .

واشتد به وجعه . قال : هَرِيقوا علىّ من سَبع قِرَب لم تُحْلل أَوْكيتهن ، لعلى أعهد إلى الناس . فأجلسناه فى مِخْضَب[1] لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم طَفِقنا نصبُّ عليه من تلك القِرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن .

قالت عائشة : ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطَبهم .

وقد رواه البخارى أيضاً فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهرى به .

وقال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان بن بلال ، قال هشام بن عروة ، أخبرنى أبى ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه : أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة فأذِن له أزواجُه أن يكون حيث شاء ، فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها .

قالت عائشة رضى الله عنها : فمات فى اليوم الذى كان يدور علىّ فيه فى بيتى ، وقبضه الله وإن رأسه لبَيْن سَحْرى[2] ونَحْرى ، وخالط ريقه ريقى .

قالت : ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر ومعه سواك يستنُّ به ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : أعطنى هذا السواك يا عبد الرحمن . فأعطانيه فقضَمْته ثم مضغته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستنّ به وهو مُسْنَد إلى صدرى .

انفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقال البخارى : أخبرنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنى ابن الهادّ ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : مات النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) المخضب : المركن .

(٢) السحر : الرئة : تريد الصدر .

وإنه لبَيْن حاقِنتى[1] وذاقنتى ، فلا أ كره شـدةَ الموت لأحد أبدا بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال البخارى : حدثنا حِبَّان ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عروة ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفثَ على نفسه بالمعوِّذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتـكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أَنفث عليه[2] بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبى صلى الله عليه وسلم عنه .

ورواه مسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس بن يزيد الأَيْلى ، عن الزهرى به . والفَلاَّسُ ومسلم عن محمد بن حاتم كلهم .

[وثبت فى الصحيحين من حديث أبى عَوانة ، عن فِرَاس ، عن الشَّعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليـه وسلم عنده لم يغادر منهن امرأةً ، فجاءت فاطمة تمشى لا تُخطئُ مِشْيتُها مِشيةَ أبيها ، فقال : مرحبا بابنتى . فأقعدها عن يمينه أو شماله . ثم سارّها بشىء فبكت ، ثم سارّها فضحكت ، فقلت لها : خَصَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسِّرار وأنت تبكين !

فلما أن قامت قلت : أخبرينى ما سارَّك . فقالت : ما كنت لِأُفشى سِرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى . قلت لها : أسألك لمـا لى عليك من الحق لمَـا أخبرتينى . قالت : أما الآن فنعم . قالت : سارَّنى فى الأول قال لى : إن جبريل كان يعارضنى القرآن كلّ سنة مرةً ، وقد عارضنى فى هذا العام مرتين ، ولا أرى ذلك إلا لاقتراب أجَلى ، فاتقى الله واصبرى فنعم السلف أنا لك . فبكيت . ثم سارنى فقال : أما ترضينى أن تـكونى سيدةَ نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ فضحكتُ .

---

(١) الحاقنة : ما بين الترقوتين . ولذاقنة : الذقن ، أو طرف الحلقوم .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢٨٠ : على نفسه .

وله طرق عن عائشة][1] .

وقد روى البخارى عن على بن عبد الله والفلّاس ، ومسلم بن محمد بن حاتم ، كلهم عن يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان الثورى ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن عبيدالله ابن عبدالله ، عن عائشة ، قالت : لدَدْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلِدُّونى ، قلنا : كراهية المريض للدواء . فلما أفاق قال : ألم أنهكم ألا تلدونى ؟ قلنا : كراهية المريض الدواء فقال : لا يبقى أحد فى البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم .

قال البخارى : ورواه ابن أبى الزِّناد ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : وقال يونس عن الزهرى قال عروة : قالت عائشة : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاعَ أَبْهَرى من ذلك السم .

هكذا ذكره البخارى معلقا .

وقد أسنده الحافظ البيهقى عن الحاكم ، عن أبى بكر بن محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر ، عن يوسف بن موسى ، عن أحمد بن صالح عن عَنْبَسة ، عن يونس بن يزيد الأَيْلِىّ ، عن الزُّهرى به .

***

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية عن الأعمش ، عن عبدالله بن مرة ، عن أبى الأحْوَص ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : لئن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل قتلا أحبُّ إلىَّ من أن أحلف واحدة أنه لم يُقتل ، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً .

---

(١) من ت .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق ، أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني أبي ، عن الزهري ، قال أخبرني عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري ، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم ، أن عبدالله بن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً .

فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبدُ العصا ! وإني والله لَأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا .

فقال عليّ : إنا والله لئن سألناها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فمَنَعناها لا يُعطيناها الناسُ بعده ، وإني والله لا أسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

انفرد به البخاري .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ! اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه . فقال : ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا[1] بعده أبداً .

فتنازَعوا — ولا ينبغي عند نبي تنازع — فقالوا : ما شأنه أهَجَر[2]؟ استفهِموه ، فذهبوا يردون عنه ، فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه . فأوصاهم بثلاث قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفدَ بنحو ما كنت أجيزهم . وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها .

ورواه البخاري في موضع آخر ، ومسلم من حديث سفيان بن عُيينة به .

---

(١) البخاري : لن تضلوا .

(٢) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض ، على سبيل الاستفهام ، أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض . النهاية ٤/٢٥٥ . وفي الأصل : يهجر ، وما أثبته عن صحيح البخاري ٢/٢٧٩ .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : لما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هلموا أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده أبداً . فقال بعضهم : إن رسول الله قد غلَبه الوجع وعندكم القرآن ، حَسْبنا كتابُ الله .

فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قرِّبوا يكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك . فلما أكثروا اللغوَ والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا .

قال عبيد الله : قال ابن عباس : إن الرَّزية كل الرزية ماحالَ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغَطهم .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، وعبدُ بن حُميد ، كلاهما عن عبد الرزاق بنحوه . وقد أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه من حديث مَعْمَر ويونس عن الزهرى به .

* * *

وهذا الحديث مما قد توهَّم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشِّيعة وغيرهم، كلٌّ مُدَّعٍ أنه كان يريد أن يكتب فى ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم ، وهذا هو التمسك بالمتشابه وترْك المُحْكَم .

وأهلُ السُّنة يأخذون بالمُحْكَم ويردُّون ماتشابهَ إليه ، وهذه طريقة الراسخين فى العلم كما وصفهم الله عز وجل فى كتابه .

وهذا الموضع مما زلَّ فيه أقدامُ كثير من أهل الضلالات ، وأما أهل السُّنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار .

وهذا الذى كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء فى الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه .

فإنه قد قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤمّل ، حدثنا نافع ، عن ابن عمرو ، حدثنا ابن أبى مُلَيْـكة ، عن عائشة ، قالت : لما كان وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قُبِض فيه قال : « ادعوا لى أبا بكر وابنه لـكى لا يطمع فى أمر أبى بكر طامع ولا يتمناه مُتمنٍّ . ثم قال : يأبى الله ذلك والمؤمنون » . مرتين .

قالت عائشة : فأَبَى الله ذلك والمؤمنون !

انفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكر القرشى ، عن ابن أبى مُلَيـكة ، عن عائشة ، قالت : لما ثَقُل رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبى بكر : « ائتنى بكَتِف أو لَوح حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يَختلف عليه أحـد » فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم . قال : « يأبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبا بكر » .

انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

وروى البخارى عن يحيى بن يحيى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت قال رسول الله : « لقد هَمَمْت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد ، أن يقول القائلون أو يتمنى مُتمنُّون . فقال : يأبى الله ، أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون » .

وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، قال : أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فأمرها أن ترجع إليه . فقالت : أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك ؟ كأنهـا تقول الموت ـ قال : « إن لم تجدينى فَأْتِ أبا بكر » .

والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام فى مرضه الذى مات فيه صلوات الله وسلامه عليه .

وقد خطب عليه الصلاة والسلام فى يوم الخميس قبل أن يُقبض عليه السلام بخمسة أيام خطبة عظيمة بيّن فيها فضل الصدّيق من بين سائر الصحابة ، مع ما كان قد نص عليه أن يَؤمّ الصحابة أجمعين . كما سيأتى بيانه مع حضورهم كلهم .

ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه فى الكتاب .

وقد اغتسل عليه السلام بين يدى هذه الخطبة الكريمة فصبوا عليه من سَبْع قِرَب لم تُحْلَل أَوْكِيتهن ، وهذا من باب الاستشفاء بالسَّبع ، كما وردت بها الأحاديث فى غير هذا الموضع .

والمقصود أنه عليه السلام اغتسل ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم . كما تقدم فى حديث عائشة رضى الله عنها .

ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك

قال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن أيوب بن بشير ، أن رسول الله قال فى مرضه : أفيضوا علىَّ من سَبع قِرَب من سبع آبار شتى حتى أَخرج فأعهدَ إلى الناس .

ففعلوا ، فخرج فجلس على المنبر ، فكان أول ماذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أُحد ، فاستغفر لهم ودعا لهم ، ثم قال : يامعشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم عَيْبتى التى أَوَيْت إليها ، فأَكْرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

ثم قال عليه السلام : أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيَّره الله بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ماعند الله .

ففهمها أبو بكر رضى الله عنه من بين الناس فبكى وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسنا

وأبنائنا وأموالنا . فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : على رِسْلك ياأبا بكر ! انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة فى المسجد فسُدُّوها إلا ما كان من بيت أبى بكر ، فإنى لاأعلم أحداً عندى أفضلَ فى الصحبة منه .

هذا مرسل له شواهد كثيرة . وقال الواقدى : حدثنى فَرْوة بن زبيد بن طوسا ، عن عائشة بنت سعد ، عن أم ذَرّ ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : خرج رسول الله عاصبا رأسه بخرقة ، فلما استوى على المنبر تحدَّق الناس بالمنبر واستكفُّوا ، فقال : والذى نفسى بيده إنى لَقَائم على الحوض الساعة . ثم تشهّد فلما قضى تشهده كان أول ماتكلم به أن استغفر للشهداء الذين قُتلوا بأحد . ثم قال : إن عبداً من عباد الله خُيِّر بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار العبد ماعند الله .

فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه . وقال : بأبى وأمى ! نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر وكان أبو بكر أعلَمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وجعل رسول الله يقول له : على رِسْلك !

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا فُلَيح ، عن سالم أبى النضر ، عن بشر ابن سعيد ، عن أبى سعيد ، قال : خطب رسول الله الناس فقال : إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله .

قال : فبكى أبو بكر . قال : فعجبنا لبكائه أنْ يُخبر رسول الله عن عبد ، فكان رسول الله هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا به . فقال رسول الله : إن أَمَنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر ، لو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خُلة الإسلام بمودّته ، لا يَبْقى فى المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر .

وهكذا رواه البخارى من حديث أبى عامر العَقَدى به .

ثم رواه الإمام أحمد عن يونس ، عن فُلَيح ، عن سالم أبي النضر ، عن عبيد بن حنين وبشر بن سعيد ، عن أبي سعيد به .

وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث فليح ومالك بن أنس ، عن سالم عن بشر ابن سعيد وعبيد بن حنين ، كلاهما عن أبي سعيد بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا هشام ، حدثنا أبو عَوانة ، عن عبد الملك ، عن ابن أبي المعلَّى ، عن أبيه ، أن رسول الله خطب يوما فقال : إن رجلا خَيره ربُّه بين أن يعيش في الدنيا ماشاء أن يعيش فيها يأكل من الدنيا ماشاء أن يأكل منها ، وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه .

فبكى أبو بكر ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون من هذا الشيخ أنْ ذَكَر رسول الله رجلا صالحا خيره ربه بين البقاء في الدنيا[1] وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه ! فكان أبو بكر أعلَمهم بما قال رسول الله . فقال أبو بكر : بل نفديك بأموالنا وأبنائنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن الناس أحد أمَنَّ علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة ، ولكن وُدٌّ وإخاء وإيمان ، ولكن ود وإخاء وإيمان . مرتين وإن صاحبكم خليل الله عز وجل .

تفرد به أحمد . قالوا : وصوابه ابن سعيد بن المعلَّى . فالله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن عبد الله بن الحارث حدثنا جُنْدَب ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوفى بخمس وهو يقول : قد كان لي منكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ إلى كل خليل من خُلته ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، وإن ربي اتخذني

(١) ا : بين لقاء الدنيا .

خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، وإن قوما ممن كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك .

وقد رواه مسلم فى صحيحه عن إسحاق بن راهويه بنحوه .

وهذا اليوم الذى كان قبل وفاته عليه السلام بخمسة أيام هو يوم الخميس الذى ذكره ابن عباس فيما تقدم .

وقد روينا هذه الخطبة من طريق ابن عباس . قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو الحسن على بن محمد المقرئ ، أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب — هو ابن عوانة الإسفراييني — قال : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، سمعت يَعْلى بن حكيم يحدث عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بخرقة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمنَّ علىَّ بنفسه وماله من أبى بكر ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خُلّة الإسلام أفضل ، سُدوا عنى كل خَوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر .

رواه البخارى عن عبيد الله بن محمد الجُعْفى ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه به .

وفى قوله عليه السلام : « سُدُّوا عنّى كل خَوخة — يعنى الأبواب الصغار — إلى المسجد غير خوخة أبى بكر » إشارة إلى الخلافة ، أى ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين .

وقد رواه البخارى أيضا من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغَسيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دَسْماء[1] ملتحفا بملحفة على منكبيه ، فجلس على المنبر فذكر الخطبة ، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال : فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُبض — يعنى آخر خطبة خطبها عليه السلام .

---

(١) الدسماء : التى يضرب لونها إلى السواد .

وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس بإسناد غريب ولفظ غريب .

فقال البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عُبَيد الصَّفار ، حدثنا ابن أبى قماش وهو محمد بن عيسى ، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجُبُّلِىّ ، حدثنا معن بن عيسى القزاز ، عن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن أُناس الليثى ، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، قال : أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديداً ، وقد عصب رأسه فقال : خذ بيدى يا فضل . قال : فأخذت بيده حتى قعد على المنبر . ثم قال : نادِ فى الناس يافضل . فناديت : الصلاة جامعة .

قال : فاجتمعوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : أما بعد ، أيها الناس إنه قد دنا منى خُلوف من بين أظهركم ، ولن ترونى فى هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى أن غيره غير مُغْن عنى حتى أقُومه فيكم ، ألا فمن كنت جَلدت له ظَهراً فهذا ظهرى، فليَستَقِدْ ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عِرضا فهذا عرضى فليستقد ، ولا يقولن قائل : أخاف الشَّحناء من قِبَل رسول الله ، ألا وإن الشحناء ليست من شأنى ولا من خُلقى ، وإن أحبَّكم إلىّ من أَخذ حقا إن كان له علىّ أوحَلَّلنى فلقيتُ الله عز وجل وليس لأحد عندى مَظْلمة .

قال : فقام منهم رجل فقال : يا رسول الله لى عندك ثلاثة دراهم . فقال : أمّا أنا فلا أُكذِّب قائلا ولا مُسْتَحلفه على يمين ، فيم كانت لك عندى ؟ قال : أما تذكر أنه مرّ بك سائل فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم . قال : أعطِه يا فضل . قال : وأمر به فجلس .

قال : ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقالته الأولى . ثم قال : يا أيها الناس من عنده من الغُلُول شىء فليردّه . فقام رجل فقال : يا رسول الله عندى ثلاثة

دراهم غَلَلْتها فى سبيل الله . قال : فلم غللتها ؟ قال : كنت إليها محتاجا قال : خذها منه يا فضل .

ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقالته الأولى وقال : يا أيها الناس من أحسَّ من نفسه شيئا فليَقُم أدعو الله له .

فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إنى لمنافق وإنى لكذُوب وإنى لَنَئُوم . فقال عمر بن الخطاب: ويحك أيها الرجل! لقد سترك الله لو سترت على نفسك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه يابن الخطاب فُضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وأذهب عنه النَّومَ إذا شاء .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر معى وأنا مع عمر والحقُّ بعدى مع عمر .

وفى إسناده ومتنه غرابة شديدة .

ذكر أمره عليه السلام أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يصلّى بالصحابة أجمعين ، مع حضورهم كلهم ، وخروجه عليه السلام فصلى وراءه مقتديا به فى بعض الصلوات على ما سنذكره وإماماً له ولمن بعده من الصحابة

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، قال : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبدالله بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطلّب بن أسد ، قال : لما استعزَّ برسول الله وأنا عنده فى نفر من المسلمين دعا بلالٌ للصلاة فقال : مروا من يصلى بالناس .

قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا فقلت : قم يا عمر فصلِّ بالناس . قال : فلما كبَّر عمرُ سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوتَه ، وكان عمر رجلا مُجْهراً فقال رسول الله : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

قال : فبعث إلى أبى بكر فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس .

وقال عبد الله بن زَمْعة : قال لى عمر : ويحك ماذا صنعت يابن زمعة ! والله ماظننتُ حين أمرتنى إلا أن رسولَ الله أمرنى بذلك ، ولولا ذلك ما صليت . قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة .

وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق ، حدثنى الزهرى . ورواه يونس

ابن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن زَمْعة فذكره .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن أبى فُدَيك ، حدثنا موسى بن يعقوب ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عبد الله بن زَمْعة أخبره بهذا الخبر ، قال : لما سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت عمر . قال ابن زمعة : خرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال : لا لا ، لا يصلى للناس إلا ابن أبى قحافة . يقول ذلك مُغْضَبا .

* * *

وقال البخارى : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال الأسود : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبةَ على الصلاة والمواظبة لها . قالت : لما مرض النبى صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه فحضرت الصلاة فأذَّن بلال ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقيل له : إن أبا بكر رجل أَسِيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ، وأعاد فعادوا له فأعاد الثالثة ، فقال : إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

فخرج أبو بكر ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه خِفَّة فخرج يُهَادى بين رجلين كأنى أنظر إلى رجليه تخطّان من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم أن مكانك . ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه .

قيل للأعمش : فكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وأبو بكر يصلى بصلاته والناس يصلون بصلاة أبى بكر ؟ فقال برأسه : نعم .

ثم قال البخارى : رواه أبو داود عن شعبة بعضه . وزاد أبو معاوية عن الأعمش : جلس عن يسار أبى بكر ، فكان أبو بكر يصلى قائما .

وقد رواه البخارى فى غير ماموضع من كتابه، ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن الأعمش به . منها ما رواه البخارى عن قتيبة، ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ويحيى بن يحيى، عن أبى معاوية به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فى مرضه : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن عائشة، أنها قالت : لقد عاودتُ رسولَ الله فى ذلك وما حملنى على معاودته إلا أنى خشيت أن يتشاءم الناسُ بأبى بكر ، وإلا أنى علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به ، فأحببت أن يَعْدل ذلك رسول الله عن أبى بكر إلى غيره .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، قال : وأخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عائشة قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى . قال : مرو أبا بكر فليصلِّ بالناس . قالت قلت : يا رسول الله : إن أبا بكر رجل رَقِيق إذا قرأ القرآن لا يَمْلِك دمعَه ، فلو أمرتَ غير أبى بكر ؟ قالت : والله ما بى إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم فى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : فراجعته مرتين أو ثلاثا . فقال : ليصلّ بالناس أبو بكر فإنكنّ صواحب يوسف .

وفى الصحيحين من حديث عبد الملك بن عُمَير ، عن أبى بُرْدَة ، عن أبى موسى ، عن أبيه ، قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس . فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع يصلى

بالناس . قال : فقال : مروا أبا بكر يصل بالناس فإنكن صواحب يوسف . قال فصلّى أبو بكر حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، أنبأنا زائدة ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، قال دخلتُ على عائشة فقلت : ألا تحدثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : أصلّى الناسُ ؟ قلنا لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال : ضَعُوا لى ماء فى فى المِخْضَب . ففعلنا . قالت : فاغتسل ثم ذهب لِيَنوء[1] وأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضعوا لى ماء فى المِخْضَب . ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضعوا لى ماء فى المِخْضَب ، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله .

قالت : والناس عُكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس ، وكان أبو بكر رجلا رقيقا . فقال : يا عمر صل بالناس . فقال : أنت أحقُّ بذلك . فصلى بهم تلك الأيام .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خِفّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر ، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه ، فجعل أبو بكر يصلى قائما ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قاعداً .

قال عبيد الله : فدخلت على ابن عباس فقلت : ألا أعرض عليك ما حدثَتْنى

---

(١) ينوء : ينهض .

عائشة عن مرض رسول الله ؟ قال : هات . فحدثته فما أنكر منه شيئا ، غير أنه قال : سمّت لك الرجل الذى كان مع العباس ؟ قلت : لا . قال : هو علىّ .

وقد رواه البخارى ومسلم جميعا عن أحمد بن يونس ، عن زائدة به . وفى رواية : فجعل أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله وهو قائم ، والناس يصلون بصلاة أبى بكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد .

قال البيهقى : ففى هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم تقدم فى هذه الصلاة وعلَّق أبو بكر صلاته بصلاته .

قال : وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة ، وكذلك رواه الأَرقم بن شُرَحْبيل عن ابن عباس .

يعنى بذلك ما رواه الامام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنى أبى ، عن أبى إسحاق ، عن الأرقم بن شُرَحْبيل ، عن ابن عباس ، قال : لما مرض النبى صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ، ثم وجد خِفَّة فخرج ، فلما أحسّ به أبو بكر أراد أن يَنْكص ، فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فجلس إلى جنب أبى بكر عن يساره واستفتح من الآية التى انتهى إليها أبو بكر رضى الله عنه .

ثم رواه أيضا عن وَكِيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أرقم ، عن ابن عباس بأطول من هذا .

وقال وكيع مرةً : فكان أبو بكر يأتمُّ بالنبى صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون بأبى بكر .

ورواه ابن ماجه عن على بن محمد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أرقم بن شُرحبيل ، عن ابن عباس بنحوه .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا شَبابة بن سَوّار ، حدثنا شعبة ، عن نعيم بن أبى هند ،

عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه .

[وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح[1]]

وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ، سمعت شعبة بن الحجاج ، عن نعيم بن أبي هند عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القَطَّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، أنبأنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبا بكر .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

قال البيهقي : وكذلك رواه حُمَيد ، عن أنس بن مالك ، ويونس ، عن الحسن مرسلاً ، ثم أسند ذلك من طريق هُشَيم ، أخبرنا يونس عن الحسن .

قال هُشَيم : وأنبأنا حميد ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وأبو بكر يصلي بالناس فجلس إلى جنبه وهو في بُردة قد خالف بين طرفيها ، فصلى بصلاته .

قال البيهقي : وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عُبَيد الصَّفار ، حدثنا عُبيد بن شريك ، أنبأنا ابن أبي مريم ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول : آخرُ صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم في ثوب واحد ملتحفا به خلف أبي بكر .

قلت : وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

---

(١) من : ت

وهذا التقييد جيد بأنها آخر صلاة صلاّها مع الناس، صلوات الله وسلامه عليه.

وقد ذكر البيهقى من طريق سليمان بن بلال ويحيى بن أيوب، عن حميد، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر فى ثوب واحد مخالفاً بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: ادع لى أسامة بن زيد. فجاء فأسند ظهره إلى نحره، فكانت آخر صلاة صلّاها.

قال البيهقى: ففى هذا دلالة أن هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة لأنها آخر صلاة صلاها، لما ثبت أنه توفى ضحى يوم الاثنين.

وهذا الذى قاله البيهقى أخذه مسلّماً من مغازى موسى بن عُقبة، فإنه كذلك ذكر. وكذا روى أبو الأسود عن عروة.

وذلك ضعيف، بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم، كما تقدم تقييده فى الرواية الأخرى، والحديث واحد، فيُحْمَل مُطْلقه على مُقيّده.

ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة، لأن تلك لم يصلّها مع الجماعة بل فى بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه.

والدليل على ذلك ما قال البخارى فى صحيحه: حدثنا أبو اليمَان، أنبأنا شُعيب، عن الزُّهرى، أخبرنى أنس بن مالك، وكان تَبِـع النبيَّ صلى الله عليه وسلم وخدمه وصَحِبه، أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صُفوف فى الصلاة فكشف النبي صلى الله عليه وسلم سِتر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مُصْحَف(١) [ثم(٢)] تبسَّم يضحك، فهمَمْنا أن نفْتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ونَـكص أبو بكر على عَقِبيه ليَصِل الصف.

(١) عبارة عن حسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته.
(٢) من صحيح البخارى.

وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر وتوفي من يومه صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيَينة وصبيح بن كَيْسان ومَعْمَر ، عن الزهري عن أنس .

ثم قال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، فأقيمت الصلاة ، فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم[1] بالحجاب . فرفعه ، فلما وضح وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما نظرنا مَنْظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وَضَح لنا فأومأ النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخى النبي صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يُقْدر عليه حتى مات صلى الله عليه وسلم .

ورواه مسلم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس ، وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثا .

قلنا : فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر ، كما جاء مصرحا به في حديث عائشة المتقدم ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت ولا يوم الأحد ، كما حكاه البيهقي عن مغازي موسى بن عقبة ، وهو ضعيف ، ولما قدمنا من خطبته بعدها ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة ، والسبت ، والأحد ، وهذه ثلاثة أيام كَوامل .

وقال الزهري عن أبي بكر بن أبي سَبْرة ، أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة . وقال غيره : عشرين صلاة . فالله أعلم .

ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين فودَّعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها ، ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم :

---

(١) الأصل : فقال نبي الله عليكم بالحجاب . وما أثبته عن البخاري ، وأراد من قال معنى فعل .

وكنت أرى كالموت من بَيْنِ ساعة فكيف ببَيْنٍ كان موعدَه الحَشْرُ!

والعجب أن الحافظ البيهقى أورد هذا الحديث من هاتين الطريقين . ثم قال ما حاصله : فلعله عليه السلام احتجب عنهم فى أول ركعة ثم خرج فى الركعة الثانية فصلى خلف أبى بكر ، كما قاله عروة وموسى بن عقبة ، وخفِى ذلك على أنس بن مالك أو أنه ذكر بعض الخبر وسكت عن آخره .

وهذا الذى [ذكره] أيضا بعيد جداً ، لأن أنساً قال : فلم يَقْدر عليه حتى مات . وفى رواية قال : فكان ذلك آخر العهد به . وقول الصحابى مقدَّم على قول التابعى . والله أعلم .

* * *

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم أبا بكر الصديق إماما للصحابة كلهم فى الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام العملية .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى : وتقديمه له أمرٌ معلوم بالضرورة من دين الإسلام .

قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلَم الصحابة وأقرؤهم ، لما ثبت فى الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يؤُم القومَ أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأَعْلَمهم بالسُّنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأكبرهم سِنًّا ، فإن كانوا فى السن سواء فأقدمهم مُسْلِما .

قلت : وهذا من كلام الأشعرى رحمه الله مما ينبغى أن يكتب بماء الذهب . ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها فى الصديق رضى الله عنه وأرضاه .

وصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه فى بعض الصلوات ، كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة ، لا ينافى ما روى فى الصحيح أن أبا بكر ائتم به عليه السلام ، لأن

ذلك فى صلاة أخرى ، كما نص على ذلك الشافعى وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل .

فائدة : استدل مالك والشافعى وجماعة من العلماء ومنهم البخارى بصلاته عليه السلام قاعداً وأبو بكر مقتديا به قائما والناس بأبى بكر على نَسْخ قوله عليه السلام فى الحديث المتفق عليه حين صلى ببعض أصحابه قاعداً ، وقد وقع عن فرس فجُحِش (١) شِقُّه فصلوا وراءه قياما ، فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال : « كذلك والذى نفسى بيده تفعلون كفعل فارس والروم ، يقومون على عظمائهم وهم جلوس » . « وقال : إنما جُعل الإمام ليُؤْتَمّ به فإذا كبَّر فكبِّروا وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون » .

قالوا : ثم إنه عليه السلام أمَّهم قاعداً وهم قيام فى مرض الموت . فدل على نسخ ما تقدم والله أعلم .

وقد تنوَّعت مسالكُ الناس فى الجواب عن هذا الاستدلال ، على وجوه كثيرة موضع ذكرها كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وملخص ذلك : أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم ، وإنما استمر أبو بكر قائما لأجل التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم .

ومن الناس من قال : بل كان أبو بكر هو الإمام فى نفس الأمر ، كما صرح به بعض الرواة كما تقدم . وكان أبو بكر لشدة أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا يُبادره بل يقتدى به ، فكأنه عليه السلام صار إمام الإمام ، فلهذا لم يجلسوا لاقتدائهم بأبى بكر وهو قائم ، ولم يجلس الصديق لأجل أنه إمام ولأنه يبلغهم عن النبى صلى الله عليه وسلم الحركات والسَّكنات والانتقالات . والله أعلم .

---

(١) جحش : أصيب

ومن الناس من قال : فَرْق بين أن يبتدئ الصلاة خلف الإمام فى حال القيام فيستمر فيها قائما وإن طَرأ جلوس الإمام فى أثنائها، كما فى هذه الحال ، وبين أن يبتدئ الصلاةَ خلف إمام جالس فيجب الجلوس للحديث المتقدم . والله أعلم .

ومن الناس من قال : هـذا الصنيع والحديث المتقدم دليلٌ على جواز القيام والجلوس ، وأن كلا منهما سائغ جائز : الجلوس ، لما تقدم ، والقيام للفعل المتأخر . والله أعـلم .

فصـــل

فى كيفية احتضاره ووفاته عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التَّيمى ، عن الحارث بن سُوَيد ، عن عبد الله ، هو ابن مسعود ، قال : دخلت عل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يُوعَك فمَسَسْته . فقلت : يا رسول الله إنك لتُوعك وَعـكاً شديداً . قال أجل ، إنى أوعك كما يوعك الرجلان منـكم . قلت : إن لك أجرين . قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سِواه إلا حَطَّ الله عنه خطاياه كما تَحطُّ الشجرةُ ورقها » .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، حدثنا عبـد الرزاق ، أنبأنا مَعْمر ، عن زيد بن أَسْلَمَ ، عن رجل ، عن أبى سعيد الخدرى ،[1] وضع يده على النبى صلى الله عليه وسـلم فقال : والله ما أطيق أن أضع يدى عليك من شدة حُمَّاك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنا معشرَ الأنبياء يضاعَف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبى من الأنبياء ليُبتلى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان الرجل ليبتلى بالعُرْى حتى يأخـذ العباءة فيجوّبها[2] ، وإن كانوا ليفرحون بالبـلاء كما يفرحون بالرخاء » .

فيه رجل مُبهَمٌ لا يعرف بالـكلّية، فالله أعلم .

وقد روى البخارى ومسلم من حديث سفيان الثورى وشعبة بن الحجاج ، زاد مسلم :

---

(١) كذا ، ولعلها : أنه . (٢) يجوبها : أى يجعل لها جبا فيلبسها .

وجرير . ثلاثتهم عن الأعمش ، عن أبي وائل شَقِيق بن سَلَمة ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ما رأيت الوجع على أحد أشدَّ منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي صحيح البخاري من حديث يزيد بن الهادّ ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدةَ الموت لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث الآخر الذي رواه [البخاري] في صحيحه قال: قال رسول الله : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صَلابة شُدِّد عليه في البلاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني سعيد بن عبيد بن السَّباق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله وقد أصْمِت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصيبُها[1] عليّ أعرف أنه يدعو لي .

ورواه الترمذي عن أبي كُريب ، عن يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق، وقال : حسن غريب .

* * *

وقال الإمام مالك في موطّأه عن إسماعيل بن أبي حكيم ، أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : كان من آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يَبْقَينّ دينان بأرض العرب » .

هكذا رواه مرسلا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

---

(١) ت : على وجهه . وهو تحريف . والحديث في مسند أحمد ٥/٢٠١

وقد روى البخارى ومسلم من حديث الزهرى ، عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة وابن عباس ، قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِق يَطْرح خَمِيصة[1] له على وجهه فإذا اغتمّ كشفَها عن وجهه . فقال وهو كذلك : « لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذِّر ما صنعوا .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو بكر بن أبى رجاء الأديب ، أنبأنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر بن عبدالله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث : أحسنوا الظنّ بالله .

وفى بعض الأحاديث كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن أبى سفيان طلحة ابن نافع ، عن جابر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو حَسن الظنِّ بالله تعالى » .

وفى الحديث الآخر يقول الله تعالى : « أنا عند ظَن عبدى بى فليظن بى خيراً » .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، حدثنا الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانى ، حدثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب ، حدثنا جَرير ، عن سليمان التيمى ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يُغَرْغر بها وما يفْصِح بها لسانه .

وقد رواه النسائى عن إسحاق بن راهويه ، عن جرير بن عبد الحميد به ، وابن ماجه عن أبى الأشعث ، عن مُعْتَمر بن سليمان ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا التيمى ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت :

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

الصلاة وما ملكت أيمانكم. حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه .

وقد رواه النسائي وابن ماجه من حديث سليمان بن طَرْخان ، وهو التّيمى ، عن قتادة عن أنس به .

وفى رواية للنسائى عن قتادة ، عن صاحب له ، عن أنس به .

وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى الراسبيّ ، حدثنا عمر بن الفضل ، عن نُعيم بن يزيد ، عن على بن أبى طالب ، قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه مالا تَضِل أمته من بعده . قال : فخشيت أن تفوتنى نفْسه . قال : قلت : إنى أحفظ وأعِى . قال : أُوصى بالصلاة والزكاة وماملكت أيمانكم .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل[1] ، حدثنا أبو عَوانة ، عن قتادة ، عن سَفِينة ، عن أم سلمة قالت : كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يُلَجْلجها فى صدره وما يُفِيض بها لسانه .

وهكذا رواه النسائى عن حميد بن مَسْعدة ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن سفينة عن أم سلمة به .

قال البيهقى : والصحيح مارواه عفان ، عن همام ، عن قتادة عن أبى الخليل ، عن سفينة عن أم سلمة به .

وهكذا رواه النسائى أيضا وابن ماجه ، من حديث يزيد بن هارون ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، عن صالح أبى الخليل ، عن سفينة عن أم سلمة به .

(١) غير ا : الفضل

وقد رواه النسائى أيضا عن قُتَيبة ، عن أبى عَوانة ، عن قتادة ، عن سفينة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره . ثم رواه عن محمد بن عبد الله بن المبارك عن يونس بن محمد قال : حدثنا عن سفينة فذكر نحوه .

وقال أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا الليث ، عن زيد بن الهادّ ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قَدَح فيه ماء ، فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعِنِّى على سَكرات الموت .

ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الليث به . وقال الترمذى : غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن مُصْعَب بن إسحاق بن طلحة، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لَيهوِّن علىّ أنى رأيت بياضَ كف عائشة فى الجنة .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وهذا دليلٌ على شدة محبته عليه السلام لعائشة رضى الله عنها .

وقد ذكر الناس معانى كثيرة فى كثرة المحبة ولم يبلغ أحدُهم هذا المبلغ ، وماذاك إلا لأنهم يبالغون كلاما لا حقيقة له ، وهذا كلام حق لا مَحالة ولا شك فيه .

وقال حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبى مُلَيكة قال : قالت عائشة : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وتوفى بين سَحْرى ونَحْرى وكان جبريل يعوِّذه بدعاء إذا مرض ، فذهبت أعوّذه فرفع بصره إلى السماء وقال : فى الرفيق الأعلى فى الرفيق الأعلى .

ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر وبيده جريدة رطبة فنظر إليها فظننتُ أن له بها

حاجة ، قالت : فأخذتها فنفضتها فدفعتها إليه فاستنّ بها أحسنَ ما كان مُستَنًّا ، ثم ذهب يُناولنيها فسقطت من يده . قالت : فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة .

ورواه البخاري عن سليمان بن حَرْب ، عن حماد بن زيد به .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخاري ، حدثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي ، حدثنا داود ، عن عمرو بن زُهير الضبي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، أنبأنا ابن أبي مُلَيكة أن أبا عمرو ذَكْوان مولى عائشة أخبره أن عائشة كانت تقول : إن من نعمة الله عليّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في يومي وفي بيتي وبين سَحْري ونَحْري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت .

قالت : دخل عليّ أخي بسواك معه وأنا مُسْندةٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى صدري ، فرأيته ينظر إليه . وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه . فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه : أن نعم . فليّنته له ، فأمرّه على فيه . قالت : وبين يديه رَكْوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه . ثم يقول : لا إله إلا الله إن للموت لَسكرات . ثم نصَب إصبعه اليسرى وجعل يقول : في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى . حتى قُبض ومالت يده في الماء .

ورواه البخاري عن محمد عن عيسى بن يونس .

***

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت عروة يحدث عن عائشة قالت : كنا نحدِّث أن النبي لا يموت حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة .

قالت : فلما كان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى مات فيه عرضت له بُحَّة . فسمعته يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا .

قالت عائشة : فظننا أنه كان يخيَّر .

وأخرجاه من حديث شعبة به .

وقال الزهرى : أخبرنى سعيد بن المسيِّب وعروة بن الزبير فى رجال من أهل العلم ، أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : إنه لم يُقْبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر . قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذى غُشى عليه ساعةً ثم أفاق فأَشْخَص بصره إلى سقف البيت . وقال : اللهم الرفيق الأعلى . فعرفت أنه الحديث الذى كان حدَّثناه وهو صحيح ، أنه لم يُقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر . قالت عائشة : فقلت : إذًا لا يختارنا. وقالت عائشة : كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى .

أخرجاه من غير وجه عن الزُّهرى به . وقال سفيان ـ هو الثَّورى ـ عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى بُردة ، عن عائشة قالت : أُغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى حِجْرى فجعلت أمسح وجهه وأدعو له بالشفاء . فقال : لا ، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل .

رواه النسائى من حديث سفيان الثورى به .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وغيره قالوا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أنس بن عِياض ، عن هشام بن عروة ، عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن عائشة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصغتْ إليه قبل أن يموت وهو مُسْتَنِدَ إلى صدرها يقول : اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق [الأعلى (١)] .

أخرجاه من حديث هشام بن عروة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى يحيى ابن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحْرى وفى دَوْلتى (٢) ولم أَظلم فيه أحداً ، فمن سَفَهى وحداثة سِنّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت أَلْتَدم (٣) مع النساء وأضرب وجهى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مامن نبى إلا تُقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم تُردُّ إليه فيخيَّر بين أن تردّ إليه وبين أن يَلْحق . فكنت قد حَفظت ذلك منه فإنى لَمُسْندته إلى صدرى فنظرت إليه حين مالت عنقه فقلت : قد قضى . فعرفت الذى قال ، فنظرت إليه حين ارتفع فنظر . قالت : قلت : إذا والله لا يختارنا . فقال : مع الرفيق الأعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

تفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، أنبأنا همّام ، أنبأنا هشام بن عروة ،

---

(١) من ت (٢) دولتى : بيتى وسلطانى
(٣) ألتدم : ألطم .

عن أبيه ، عن عائشة ، قالت قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه بين سَحْرى ونحرى .

قالت : فلما خرجت نَفْسه لم أجد ريحاً قط أطيبَ منها .

وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

ورواه البيهقى من حديث حنبل بن إسحاق عن عفان . وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن أبى مَعْشَر ، عن محمد بن قيس ، عن أبى عروة ، عن أم سلمة قالت: وضعتُ يدى على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ، فمرَّت لى جُمع آكل وأتوضأ ومايذهب ريح المسك من يدى .

وقال أحمد : حدثنا عفان وَبهْز قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حُميد بن هلال، عن أبى بُردة ، قال : دخلتُ على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظا مما يصنع باليمن وكساء من التى يدعون الملبَّدة فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض فى هذين الثوبين .

وقد رواه الجماعة إلا النسائى من طرق ، عن حميد بن هلال به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا أبو عمران الجَوْنى ، عن يزيد بن بابنوس ، قال : ذهبت أنا وصاحب لى إلى عائشة فاستأذنّا عليها ، فألقت لنا وسادةً وجذبت إليها الحِجابَ . فقال صاحبى : ياأم المؤمنين ماتقولين فى العِراك ؟ قالت: وما العراك ؟ فضربت مِنْكب صاحبى . قالت : مه آذيتَ أخاك . ثم قالت : ما العراك المحيض ؟ قولوا ماقال الله عز وجل فى المَحيض . ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يتوشّحنى وينال من رأسى وبينى و بينه ثوب وأنا حائض .

ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر ببابى مما يلقى الكلمة ينفعنى الله بها ، فمر ذات يوم فلم يقل شيئا ثم مر فلم يقل شيئا مرتين أو ثلاثا . فقلت: ياجارية ضعى لى وسادة على الباب. وعصبت رأسى فمر بى . فقال : ياعائشة ماشأنك ؟ فقلت : أشتكى رأسى . فقال : أنا وارأساه .

فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جىء به محمولا فى كساء ، فدخل علىّ وبعث إلى النساء فقال : إنى قد اشتكيت ،وإنى لاأستطيع أن أدور بينكن ، فأذنّ لى فلأ كن عند عائشة. فكنت أمرّضه ولم أمرض أحدا قبله ، فبينما رأسه ذات يوم على منكبى إذ مال رأسه نحو رأسى ، فظننت أنه يريد من رأسى حاجة فخرجت من فيه نُطْفة[1] باردة ، فوقعت على ثُغْرة نَحْرى فاقشعر لها جلدى فظننت أنه غُشى عليه فسجّيته ثوبا .

فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبتُ إلىّ الحجاب ، فنظر عمر إليه فقال : واغَشياه ماأشدَّ غَشى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قاما فلما دنَوا من الباب قال المغيرة : ياعمر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .فقلت: كذبت بل أنت رجل تحُوسك[2] فتنة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايموت حتى يُفْنى الله المنافقين .

قالت : ثم جاء أبو بكر فرفعتُ الحجاب فنظر إليه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه من قِبَل رأسه فحدَرفاه فقبّل جبهته ، ثم قال: وانبياه ! ثم رفع رأسه فحدرفاه وقبل جبهته ثم قال : واصَفِيّاه . ثم رفع رأسه وحدرفاه وقبّل جبهته وقال : واخليلاه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج إلى المسجد وعمر يَخْطب الناس ويتكلم ويقول : إن رسول الله لايموت حتى يُفنى الله المنافقين .

---

(١) النطفة : الماء القليل .وفى الأصل : نقطة . وما أثبته عن مسند أحمد (٢) تحوسك : تتخلك .

فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يقول : « إنك مَيِّت وإنهم ميتون » حتى فرغ من الآية « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قَبله الرُّسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينْقلب على عَقبيه » . حتى فرغ من الآية .

ثم قال : فمن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لايموت ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات .

فقال عمر : أوَ إنها فى كتاب الله ؟ ماشعرت أنها فى كتاب الله . ثم قال عمر : ياأيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شَيْبة[١] المسلمين ، فبايعوه . فبايعوه .

وقد روى أبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار ، عن أبى عمران الجَوْنى به ببعضه .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملْحان ، حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عَقِيل ، عن ابن شهاب ، أخبرنى أبو سلمة ، عن عبد الرحمن، أن عائشة أخبرته :أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح[٢] حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجًّى ببُرْد حِبَرة ، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم بكى . ثم قال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ! والله لايجمع الله عليك موتتين أبداً ، أما الموتة التى كُتبت عليك فقد مِتّها .

قال الزهرى : وحدثنى أبو سلمة ،عن ابن عباس ،أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس. فقال : اجلس ياعمر . فأبى عمر أن يجلس . فقال : اجلس ياعمر . فأبى عمر أن يجلس . فتشهَّد أبو بكر فأقبل الناس إليه ، فقال : أما بعد ، فمن كان منكم يَعْبد محمداً فإن محمداً قد

(١) ذو الشيبة : أقدمهم وأولاهم .
(٢) السنح : موضع بعوالى المدينة .

مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، قال الله تعالى : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلتْ من قبله الرُّسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » الآية .

قال : فوالله لكأن الناسَ لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم فما سُمع بشر من الناس إلا يتلوها .

قال الزهرى : وأخبرنى سعيد بن المسيِّب ، أن عمر قال : والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعقِرت[1] حتى ماتُقِلُّنى رجلاى وحتى هَويْت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

ورواه البخارى عن يحيى بن بكير به

وروى الحافظ البيهقى من طريق ابن لِهَيعة ، حدثنا أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير فى ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعَّد من قال مات بالقَتْل والقطع ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَشْية لو قد قام قَتل وقطع . وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم فى مؤخَّر المسجد يقرأ : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلتْ من قبله الرُّسل[2] » الآية والناس فى المسجد يبكون ويَموُجون لا يسمعون .

فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس فقال : ياأيها الناس هل عند أحد منكم من عهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفاته فليحدثنا ؟ قالوا : لا . قال : هل عندك ياعمر من عِلم ؟ قال : لا . فقال العباس : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عَهِده إليه فى وفاته ، والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموتَ .

---

(١) عقر : فجئه الروع ، فمايتقدم ومايتأخر .
(٢) سورة آل عمران ١٤٤

قال : وأقبل أبو بكر رضى الله عنه من السُّنْح على دابته حتى نزل بباب المسجد ، وأقبل مكروبا حزينا ، فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له ، فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى على الفراش والنسوة حوله نخَّمرن وجوههن واستترن من أبى بكر، إلا ما كان من عائشة ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا عليه يقبله ويبكى ويقول : ليس مايقوله ابنُ الخطاب شيئاً ، توفى رسول الله والذى نفسى بيده ! رحمة الله عليك يارسول الله ، ماأطيبك حياً وميتاً ! ثم غشَّاه بالثوب .

ثم خرج سريعاً إلى المسجد يتخطى رقابَ الناس حتى أتى المنبر ، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا إليه ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ونادى الناسَ ، فجلسوا وأنصتوا، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد ، وقال : إن الله عز وجل نَعَى نبيه إلى نفسه وهو حىٌّ بين أَظْهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت حتى لايَبْقى منكم أحد إلا الله عز وجل ، قال تعالى : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبله الرسل » الآية .

فقال عمر : هذه الآية فى القرآن ؟ والله ماعلمت أن هذه الآية أُنزلت قبل اليوم وقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إنك مَيِّت وإنهم مَيِّتون[(١)] » وقال الله تعالى : « كلُّ شىء هالك إلا وجهَه له الحُكْم وإليه تُرجعون[(٢)] » ، وقال : « كلُّ مَن عليها فانٍ ويبقَى وجه ربك ذو الجلال والإكرام[(٣)] » وقال : « كلُّ نفس ذائقةُ الموت وإنما توفَّون أجورَكم يوم القيامة[(٤)] » .

وقال : إن الله عمّر محمداً صلى الله عليه وسلم وأبقاه حتى أقام دينَ الله وأظهر أمر الله وبلّغ رسالة الله وجاهد فى سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك وقد ترككم على الطريقة ، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشقاء ، فمن كان الله ربَّه فإن الله حى لايموت ،

---

(١) سورة الزمر ٣٠ (٢) سورة القصص ٨٨
(٣) سورة الرحمن ٢٦، ٢٧ (٥) سورة آل عمران ١٤٤

ومن كان يعبد محمداً وينزّله إلها فقد هلك إلهه . فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصرٌ من نَصَره ومعزٌّ دينَه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء ،وبه هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وفيه حلال الله وحرامه والله لانُبَالى من أَجْلب علينا مِن خَلْق الله ، إن سيوف الله لَمَسْلولة ماوضعناها بعد ، ولنجاهدنّ من خالَفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يبقين أحدٌ إلا على نفسه .

ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر الحديث فى غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

قلت: كما سنذكره مفصلا بدلائله وشواهده إن شاء الله تعالى .

وذكر الواقدى عن شيوخه . قالوا:ولما شُكّ فى موت النبى صلى الله عليه وسلم . فقال بعضهم : مات . وقال بعضهم : لم يمت ، وضعت أسماء بنت عُمَيس يدها بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : قد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رُفع الخاتم من بين كتفيه . فكان هذا الذى قد عُرف به موته .

هكذا أورده الحافظ البيهقى فى كتابه دلائل النبوة من طريق الواقدى ، وهو ضعيف وشيوخه لم يُسَمَّون ثم هو منقطع بكل حال ومخالف لما صح وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم فالله أعلم بالصواب .

وقد ذكر الواقدى وغيره فى الوفاة أخباراً كثيرة فيها نَكارات وغرابة شديدة ، أضربنا عن أكثرها صَفْحاً لضعف أسانيدها ونَكارة متونها ، ولا سيما مايورده كثيرمن القُصّاص المتأخرين وغيرهم فكثير منه موضوع لامحالة .

وفى الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية فى الكتب المشهورة غُنْيَة عن الأكاذيب وما لايُعرف سنده . والله أعلم .

فصل

فى ذكر أمور مُهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه عليه السلام

ومن أعظمها وأَجلّها وأَيمنها بركةً على الإسلام وأهله بيعةُ أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصِّديق رضى الله عنه قد صلّى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إفاقةً من غَمْرة ماكان فيه من الوجع ، وكشف سِتْر الحجرة ونظَر إلى المسلمين وهم صفوفٌ فى الصلاة خلف أبى بكر ، فأعجبه ذلك وتبسّم صلوات الله وسلامه عليه ، حتى همَّ المسلمون أن يتركوا ماهم فيه من الصلاة لفرحهم به ، حتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليَصِلَ الصفَّ ، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به عليه السلام .

فلما انصرف أبو بكر رضى الله عنه من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ماأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد أَقْلَع عنه من الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة ، يعنى إحدى زوجتيه ، وكانت ساكنةً بالسُّنْح شَرْقى المدينة . فركب على فرس له وذهب إلى منزله.

وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضُّحى من ذلك اليوم ، وقيل عند زوال الشمس . والله أعلم .

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم ، فمن قائل يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قائل : لم يمت . فذهب سالم بن عُبيد وراء الصِّديق إلى السُّنْح فأعلَمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر ، فدخل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم منزله وكشَف الغطاء عن وجهه وقبّله وتحقّق أنه قد مات .

[ثم] خرج إلى الناس نخطبهم إلى جانب المنبر وبيّن لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا ، وأزاح الجدَل وأزال الإشكال ، ورجع الناس كلهم إليه ، وبايعه فى المسجد جماعة من الصحابة .

ووقعت شبهة لبعض الأنصار وقام فى أذهان بعضهم جوازُ استخلاف خليفة من الأنصار ، وتوسَّط بعضهم بين أن يكون أميرٌ من المهاجرين وأمير من الأنصار ، حتى بيَّن لهم الصديق أن الخلافة لاتكون إلا فى قريش ، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه . كما سنبينه وننبه عليه .

قصة سقيفة بنى ساعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطَّبّاع ، حدثنا مالك بن أنس ، حدثنى ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، أن ابن عباس أخبره أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رَحْله . قال ابن عباس : وكنت أُقْرِئُ عبد الرحمن ابن عوف فوجدنى وأنا أنتظره ، وذلك بمِنًى فى آخر حجة حجَّها عمرُ بن الخطاب .

فقال عبد الرحمن بن عوف : إن رجلا أتى عمر بن الخطاب فقال : إن فلانا يقول : لو قد مات عمر بايعتُ فلانا . فقال عمر : إنى قائمٌ العشيةَ إن شاء الله فى الناس فمحذِّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم .

قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رَعَاع الناس وغَوْغاءهم ، وإنهم الذين يَغلبون على مَجلسك إذا قمتَ فى الناس ، فأخشى أن تقول مقالةً يطير بها أولئك فلا يَعُوها ولا يضعوها مواضعها ، ولكن حتى تَقْدَم المدينةَ فإنها دار الهجرة والسُّنة وتَخلُص بعلماء الناس وأشرافهم ، فتقول ماقلت متمكنا ، فيعُوا مقالتك ويضعوها مواضعها .

قال عمر : لئن قدمتُ المدينةَ صالحًا لأكلمن بها الناس فى أول مقام أقومه .

فلما قدمْنا المدينة فى عقب ذى الحجة وكان يوم الجمعة ، عجَّلت الرواح صَكَّة الأعمى[1] . قلت لمالك : وماصكة الأعمى؟ قال : إنه لا يبالى أى ساعة خرج لا يعرف الحر والبرد أو نحو هذا .

---

(١) الصكة : شدة الهاجرة . وفى القاموس : وتضاف إلى عمى ، رجل من العمالقة أغار على قوم فى الظهيرة فاجتاحهم .

فوجدت سعيدَ بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقنى ، فجلست حذاءه تحك ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن طلع عمر ، فلما رأيته قلت ليقولن العشيةَ على هذا المنبر مقالةً ماقالها عليه أحد قبله .

قال : فأنكر سعيدُ بن زيد ذلك وقال : ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد ؟

فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإنى قائل مقالةً وقد قدِّر لى أن أقولها ، لا أدرى لعلها بين يدَى أجَلى ، فمن وعاها وعقَلها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن لم يَعِها فلا أُحلُّ له أن يَكْذب علىّ .

إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ، ورجَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورجَمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آيةَ الرجم فى كتاب الله . فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل ، فالرجم فى كتاب الله حقٌّ على من زنى إذا أحْصِن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبَل أو الاعتراف .

ألا وإنا قد كنا نقرأ : لا تَرْغبوا عن آبائكم فإن كُفراً بكم أن تَرْغبوا عن آبائكم . ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُطْرونى كما أطْرِى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا : عبد الله ورسوله .

وقد بلَغنى أن قائلا منكم يقول : لو قد مات عمر بايعتُ فلانا . فلا يغترن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمَّت ، ألا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وقَى شرَّها ، وليس فيكم اليوم من تُقْطَع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، وإنه كان من خَيْرنا حين توفِّى رسول صلى الله عليه وسلم.

إن عليًّا والزبير ومن كان معهما تخلَّفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلف عنها الأنصار بأجمعها فى سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت له : ياأبا بكر انطلقْ بنا إلى إخواننا من الأنصار . فانطلقنا نؤمُّهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم،فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار. فقالا : لا عليكم أن لا تقرَبوهم واقضوا أمرَكم يامعشر المهاجرين . فقلت : والله لنأتينهم .

فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظَهرانيهم رجل مُزمَّل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة . فقلت . ماله ؟ قالوا : وَجِعٌ .

فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رَهْط نبينا، وقددَفَّت دافَّة[1] منكم يريدون أن يختزلونا من أصْلنا ويحضُّونا من الأمر .

فلما سكتَ أردت أن أتكلم وكنت قد زَوَّرتُ مقالةً أعجبتنى أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر وكنت أدارى منه بعضَ الحدّ[2] ، وهو كان أحْكَمَ منى وأوقَر ، والله ماترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته وأفضل حين سكتَ .

فقال : أما بعد ، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وما تَعرف العربُ هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح . فلم أَكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدَّم فتضرب عنقى لا يقرِّبنى ذلك إلى إثم أحبَّ إلىّ أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر ، إلا أن تُغَرّ نفسى عند الموت .

---

(١) دفت دافة : بدرت بادرة . والدفيف : المشى الخفيف ويختزلونا : يقتطعونا . ويحضونا : يمنعونا .
(٢) الحد : الغضب ، كالحدة .

فقال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المحكَّك وعُذيقها المرجَّب [١] ، منا أميرٌ ومنكم أمير يامعشر قريش .

فقلت لمالك : مايَعْنى : أنا جُذَيلها المحكَّك وعُذَيقها المرجَّب ؟ قال : كأنه يقول : أنا داهيتها .

قال فكثُر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف ، فقلت : ابسط يدَك ياأبا بكر . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزوْنا على سعد بن عبادة . فقال قائل منهم : قتلتم سعدا . فقلت : قَتل الله سعدا ! قال عمر : أمَا والله ماوجدنا فيما حضَرْنا أمرا هو أوْفقَ من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أن يُحْدثوا بعدنا بيعة فإما نُتَابعهم على مالا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فساد . فمن بايع أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذى بايعه تَغِرَّة [٢] أن يُقْتَلا .

قال مالك : فأخبرنى ابن شهاب عن عروة : أن الرجلين اللذين لقياهما عُوَيم بن ساعدة ومَعْن بن عدى .

قال ابن شهاب : وأخبرنى سعيد بن المسيَّب أن الذى قال : أنا جُذَيلها المحكَّك وعذيقها المرجب هو الُحباب بن المنذر .

وقد أخرج هذا الحديث الجماعة فى كتبهم من طرق عن مالك وغيره عن الزهرى به .

***

وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية عن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عاصم ح وحدثنى حسين بن على ، عن زائدة ، عن عاصم عن زِرّ ، عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ قال :

(١) الجذيل : عود ينصب للجربى لتحتك به ، يريد أنه يشتفى برأيه . والعذيق تصغير العذق ، وهو النخلة بما عليها . والمرجب الذى ضم أعذاقه إلى سعفاته وشدت بالخوص لئلا تنفضها الريح .
(٢) التغرة : مصدر غررته إذا ألقيته فى الغرر . أى خوف التغرة .

لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فأتاهم عمر فقال : يامعشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمَر أبابكر أن يؤمَّ الناس ؟ فأيكم تَطِيب نفسه أن يتقدَّم أبا بكر .

فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ؟

ورواه النسائى عن إسحاق بن راهويه وهَنَّاد بن السَّرى ، عن حسين بن على الُجعفى، عن زائدة به .

ورواه على بن المدِينى عن حسين بن على ، وقال : صحيح لا أحفظه إلا من حديث زائدة عن عاصم .

وقد رواه النسائى أيضاً من حديث سَلمة بن نُبَيط ، عن نعيم بن أبى هند ، عن نبيط ابن شَريط ، عن سالم بن عبيد ، عن عمر مثله . وقد روى عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر .

وجاء من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس، عن عمر ، أنه قال : قلت : يامعشر المسلمين إن أَوْلَى الناس بأمر نبى الله ثانى اثنين إذ هما فى الغار وأبو بكر السبَّاق المسِن .

ثم أخذتُ بيده وبدَرنى رجل من الأنصار فضَرب على يده قبل أن أَضرب على يده، ثم ضربت على يده وتبايع الناس .

وقد روى محمد بن سعد عن عارِم بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، فذكر نحواً من هذه القصة وسمَّى هذا الرجل الذى بايع الصديق قبلَ عمر بن الخطاب فقال : هو بشير بن سعد والد النعمان بن بشير .

ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ماقاله الصديق يوم السقيفة

قال الإمام أحمد : [حدثنا عفان ، حدثنا أبو عَوانة ، عن داود بن عبد الله الأزدى عن حُميد بن عبد الرحمن قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى صائفه من المدينة .

قال : فجاء [فكشف] عن وجهه فقبَّله . وقال : فداك أبى وأمى ما أطيبك حيًّا وميتا ، مات محمد ورب الكعبة . فذكر الحديث .

قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتعادَيان حتىأتوهم ، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أُنزل فى الأنصار ولا ذَكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو سلَك الناسُ وادياً وسلكت الأنصار واديا سلكتُ وادىَ الأنصار ، ولقد علمتَ ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : — وأنت قاعد — قريشٌ ولاةُ هذا الأمر ، فبَرُّ الناس تَبَع لبَرّهم وفاجرهم تبع لفاجرهم . فقال له سعد : صدقتَ نحن الوزراء وأنتم الأمراء .

وقال الإمام أحمد :] [١] حدثنا على بن عباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، أخبرنى يزيد بن سعيد بن ذى عضوان العَنْسى ، عن عبدالملك بن عُمَير اللَّخْمى ، عن رافع الطائى رفيق أبى بكر الصديق فى غزوة ذات السلاسل ، قال : وسألتُه عما قيل فى بَيْعتهم ، فقال : وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكَّرهم به من إمامتى إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه . فبايَعونى لذلك وقَبِلتها منهم وتخوَّفت أن تكون فتنة بعدها رِدّة .

وهذا إسناد جيد قوى .

---

(١) من ت

ومعنى هذا أنه رضى الله عنه إنما قَبِل الإمامة تخوّفا أن تقع فتنة أرْبَى مِن تركه قبولها رضى الله عنه وأرضاه .

قلت : كان هذا فى بقية يوم الاثنين ، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس فى المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة ، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم .

***

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، أخبرنى أنس بن مالك ، أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر ، وذلك الغدَ من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبِّرنا – يريد بذلك أن يكون آخرهم – فإن يك محمدٌ قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدَى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين وإنه أوْلَى المسلمين بأموركم ، فقدِّموا فبايعوه .

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك فى سَقِيفة بنى ساعِدة وكانت بيعة العامة على المنبر .

قال الزهرى عن أنس بن مالك ، سمعت عمر يقول يومئذ لأبى بكر : اصعد المنبر . فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناسُ عامة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى الزهرى ، حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، وقام عمر فتكلم قَبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إلىّ رسولُ الله صلى

الله عليه وسلم ، ولـكنى كنت أرى أن رسول الله سيدبِّر أمرَنا ــ يقول : يكون آخرنا ــ وإن الله قد أبقَى فيكم كتابه الذى هو بههدَى رسولَ الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لِمَا كان هداه الله له ، وإن الله قد جمع أمركم على خَيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايِعوه .

فبايع الناسُ أبا بكر بيعةَ العامة بعد بيعة السَّقيفة .

ثم تـكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإنى قد ولِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأَعِينونى ، وإن أسأت فقوِّمونى ، الصدقُ أمانة ، والـكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ [عندى][(1)] حتى أُزيح عِلَّته إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحقَّ إن شاء الله ، لا يدَع قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا ضرَبهم الله بالذل ، ولا تَشيع الفاحشةُ فى قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسولَه ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتـكم يرحمكم الله .

وهذا إسناد صحيح .

فقوله رضى الله عنه : « وَلِيتكم ولست بخيركم » من باب الهضْم والتواضع ، فإنهم مُجْمِعون على أنه أَفْضلهم وخَيْرهم رضى الله عنهم .

***

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الحافظ الإسفراييني ، حـدثنا أبو على الحسين بن على الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمـد بن إسحاق بن خُزيمة وإبراهيم بن أبى طالب . قالا : حدثنا بندار بن بشّار . وحدثنا أبو هشام المخزومى ، حدثنا وُهَيب ، حدثنا داود بن أبى هند ، حدثنا أبو نَضْرة ، عن أبى سعيد الخدرى ،

(1) ليست فى ا .

قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس فى دار سعد بن عُبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر .

قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتَعْلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره .

قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدَق قائلكم أما لو قلتم غيرَ هذا لم نُتَابعكم . وأخذ بيد أبى بكر . وقال : هذا صاحبكم فبايِعوه . فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار .

قال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير . قال : فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَوارِيّه أردتَ أن تشقّ عَصا المسلمين ؟ فقال : لا تَثْريب ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام فبايعه .

ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًّا ، فدعا بعلى بن أبى طالب فجاء . فقال : قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَتَنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه . هذا أو معناه .

قال أبو على الحافظ : سمعت محمد بن إسحاق بن خُزَيمة يقول : جاءنى مسلم بن الحجاج فسألنى عن هذا الحديث ، فكتبته له فى رقعة وقرأته عليه .

وهذا حديث يَسْوَى بَدَنة . فقلت : يَسْوى بدنه بل يَسْوَى بَدْرة !

ثم قد رواه البيهقى عن الحاكم وأبى محمد بن حامد المقْبُرى ، كلاهما عن أبى العباس محمد بن يعقوب الأصم ، عن جعفر بن محمد بن شاكر ، عن عفان بن سَلم ، عن وهيب به. ولكن ذكر أن الصديق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر وفيه : أن زيد بن ثابت

أخذ بيد أبى بكر . فقال : هذا صاحبكم فبايعوه . ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًّا ، فسأل عنه ، فقام ناس من الأنصار فأتوا به : فذكر نحو ماتقدم ، ثم ذكر قصة الزبير بعد على . فالله أعلم .

وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الثقة عن وهيب مختصرا . وقد رواه على بن عاصم ، عن الجَرِيرىّ ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد الخدرى . فذكر نحو ماتقدم .

وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبى نضرة المنذر بن مالك بن نطعة ، عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سِنان الخدرى .

وفيه فائدة جليلة ، وهى مبايعة على بن أبى طالب ، إما فى أول يوم أو فى اليوم الثانى من الوفاة . وهذا حق ، فإن على بن أبى طالب لم يفارق الصِّديق فى وقت من الأوقات ، ولم ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه . كما سنذكره وخرج معه إلى ذى القصّة لمّا خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة .

ولكن لمّا حصل من فاطمة رضى الله عنها عَتْب على الصديق ، بسبب ما كانت متوهمةً من أنها تستحق ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعلم بما أخبرها به أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : « لا نُورَث ما تركنا فهو صَدقة » فحجَبها وغيرَها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح ، كما سنبينه فى موضعه ، فسألته أن يَنْظر علىٌّ فى صدقة الأرض التى بخيبر وفدَك فلم يجبها إلى ذلك ، لأنه رأى أنّ حقا عليه أن يقوم فى جميع ما كان يتولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق البارُّ الراشد التابع للحق رضى الله عنه ، فحصل لها — وهى امرأة من البشَر ليست براجية العِصْمة — عَتْب وتغضُّب ، ولم تكلِّم الصديق حتى ماتت ، واحتاج علىٌّ أن يراعى خاطرها بعض الشىء ، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم رأى علىٌّ أن يجدد

البيعة مع أبى بكر رضى الله عنه ، مع ما تقدّم له من البيعة قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويزيد ذلك صحةً قولُ موسى بن عقبة فى مغازيه ، عن سعد بن إبراهيم ، حدثنى أبى ، أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ، وإن محمد بن مَسْلمة كسر سيف الزبير .

ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتُها فى سر ولا علانية . فقبل المهاجرون مقالته .

وقال على والزبير : ما غضِبنا إلا لأنا أُخِّرنا عن المشورة ، وإنا نرى أن أبا بكر أحقُّ الناس بها ، إنه لَصاحب الغار وإنا لنَعرف شرفه وخَيْره ، ولقد أمَره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وهو حى .

إسناد جيد .. ولله الحمد والمنة .

فصل

ومن تأمّل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبى بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

وظهر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس ، لا لأبى بكر ، كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلىّ كما تقوله طائفة من الرافضة .

ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذى لب وعقل إلى الصدّيق كما قدمنا وسنذكره ولله الحمد .

كما ثبت فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أن

عمر بن الخطاب لمـا طُعن قيل له : ألا تستخلف ياأمير المؤمنين ؟ فقال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى . يعنى ـ أبا بكر ـ وإن أترك فقد تَرك من هو خير منى ، يعنى ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ .

قال ابن عمر : فعرفت حين ذَكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مُستخلِف.

وقال سفيان الثَّورى عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : لمـا ظهر علىٌّ على الناس قال : يا أيها الناس إن رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم لم يعهد إلينا فى هذه الإمارة شيئا ، حتى رأينا من الرأى أن نَستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأى أن يَسْتخلف عمر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ـ أو قال حتى ضَرب الدينُ بجِرَانه[1] ـ إلى آخره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا شريك ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : خطب رجلٌ يوم البصرة حين ظهر علىٌّ فقال علىٌّ : هذا الخطيب السَّجْسَج[2] ـ سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلَّى[3] أبو بكر وثَلَّث عمر ، ثم خبطتنا فتنةٌ بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الزكىّ بمَرْو ، حدثنا عبد الله بن رَوْح المدائنى ، حدثنا شَبَابة بن سَوَّار ، حدثنا شُعيب بن ميمون ، عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن الشَّعبى ، عن أبى وائل ، قال : قيل لعلى بن أبى طالب : ألا تَسْتَخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجران : مقدم عنق البعير ، والمراد : قوى واشتد أمره .
(٢) السجسج : الأرض التى ليست بصلبة ولا لينة .
(٣) صلى : جاء تاليا .

فأستخلف ، ولـكن إن يُرد الله بالناس خيراً فسيَجْمعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم .

إسناد جيد ولم يخرجوه .

* * *

وقد قدمنا ما ذكره البخارى من حديث الزهرى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس : أن عباسا وعليًّا لما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال علىّ : أصبح بحمد الله بارئا . فقال العباس : إنك والله عبدُ العصا بعد ثلاث ! إنى لأعرف فى وجوه بنى هاشم الموت ، وإنى لأرى فى وجه رسول الله الموت فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر ؟ فإن كان فينا عرَفناه وإن كان فى غيرنا أمرناه فوصّاه بنا . فقال علىّ : إنى لا أسأله ذلك والله إن منَعناها لا يعطيناها الناسُ بعده أبداً .

وقد رواه محمد بن إسحاق عن الزهرى به فذكره . وقال فيه : فدخلا عليه يوم قُبض صلى الله عليه وسلم . فذكره . وقال فى آخره : فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم

قلت : فهذا يكون فى يوم الاثنين يوم الوفاة ، فدل على أنه عليه السلام توفى عن غير وصية فى الإمارة(١) .

وفى الصحيحين عن ابن عباس : إن الرَّزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب ذلك الكتاب .

وقد قدمنا أنه عليه السلام كان طلب أن يكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده ،

---

(١) ت : الإمامة .

فلما أكثروا اللغطَ والاختلاف عنده قال : « قُوموا عنّى ، فما أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه » .

وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عون عن إبراهيم التَّيْمى ، عن الأسود ، قال : قيل لعائشة إنهم يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إلى على . فقالت : بم أوصى إلى علىّ ؟ لقدَ دعا بطَسْت ليبول فيها وأنا مُسْنِدته إلى صدرى فانخنف[1] فمات وما شعرت ، فيم يقول هؤلاء إنه أوصى إلى علىّ ؟

وفى الصحيحين من حديث مالك بن مِغْوَل ، عن طلحة بن مُصرف ، قال : سألت عبدَ الله بن أبى أوْفى ، هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قلت : فلم أمرنا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

قال طلحة بن مصرف : وقال هذيل بن شُرَحْبيل : أبو بكر يتأمَّر على وَصِىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ودّ أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخزَم أنفه بخزامة !

وفى الصحيحين أيضا من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، قال : خطبنا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس فى كتاب الله وهذه الصحيفة ـ لصحيفة معلقّة فى سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب .

وفيها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة حَرم ما بين عَيْر إلى ثَوْر[2] من أحدَث فيها حَدثا أو آوى مُحدِثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يَقبل الله منه يوم القيامة صَرْفا ولا عَدْلا[3] ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير

(١) انخنف : مال . (٢) عير : جبل بالمدينة . وثور جبل بالمدينة خلف أحد . (٣) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .

مُواليه فعليه لعنة الله والملائـكة والناس أجمعين ، لا يَقبل الله منه يوم القيامة صَرفا ولا عَدْلا ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أَخْفَر مسلماً فعليه لعنة الله والملائـكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » .

وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن علىّ رضى الله عنه يردّ على فرقة الرافضة فى زعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردَّ ذلك أحدٌ من الصحابة فإنهم كانوا أَطْوَع لله ورسوله فى حيـاته وبعد وفاته من أن يَفْتاتوا عليه فيقدِّموا غيرَ من قدَّمه ويؤخروا من قدمه بنصه ؛ حاشا وكلاّ ولم ؟

ومن ظنّ بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسَبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم ومضادته فى حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع رِبْقة الإسلام وكفَر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدَام !

ثم لو كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه نصٌّ فلم لا كان يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم ؟

فإن لم يَقْدر على تنفيذ مامعه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يَصلح للإمارة ، وإن كان يَقْدر ولم يفعله فهو خائن ، والخائن الفاسق مَسْلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل .

ثم وقد عَرفه وعَلِمه مَن بعدَه ! هذا محال وافتراء وجهل وضلال .

وإنما يَحْسُن هذا فى أذهان الجهلة الطغام والمغترّين من الأنام ، يزيّنه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد التحكم والهذَيان والإفك والبهتان .

عياذا بالله ممـا هم فيه من التخليط والخذلان والتخبيط والـكفران ، ومَلاذا

بالله بالتمسك بالسنة والقرآن والوفاة على الإسلام والإيمان ، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان ، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منّان رحيم رحمٰن .

* * *

وفى هذا الحديث الثابت فى الصحيحين عن على الذى قدمناه ردٌّ على متقوّلة كثير من الطُّرقيّة والقُصّاص الجهلة فى دعواهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علىّ بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة : ياعلىّ افعل كذا ، ياعلى لا تفعل كذا ، ياعلى من فعل كذا كان كذا وكذا . بألفاظ ركيكة ومعان أكثرها سخيفة ، وكثير منها صحفية لا تساوى تسويد الصحيفة . والله أعلم .

وقد أورد الحافظ البيهقى من طريق حماد بن عمرو النَّصِيبى — وهو أحد الكذابين الصَّواغين — عن السَّرِى بن خَلاَّد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده ، عن على ابن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : ياعلى أوصيك بوصية احفظها فإنك لا تزال بخير ماحفظتها ، ياعلى إن للمؤمن ثلاث علامات : الصلاة والصيام والزكاة .

قال البيهقى : فذكر حديثا طويلا فى الرغائب والآداب . وهو حديث موضوع . وقد شرطتُ فى أول الكتاب ألا أُخْرِج فيه حديثا أعلمه موضوعا .

ثم روى من طريق حماد بن عمر ، وهذا عن زيد بن رُفَيع ، عن مكحول الشامى ، قال : هذا ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب حين رجع من غزوة حنين وأنزلت عليه سورة النصر .

قال البيهقى : فذكر حديثا طويلا فى الفتنة وهو أيضا حديث منكر ليس له أصل ، وفى الأحاديث الصحيحة كفاية وبالله التوفيق .

ولنذكر هاهنا ترجمة حماد بن عمرو بن أبى إسماعيل النَّصِيبى : روى عن الأعمش

وغيره ، وعنه إبراهيم بن موسى ومحمد بن مهران وموسى بن أيوب وغيرهم .

قال يحيى بن مَعين : هو ممن يَكْذِب ويضع الحديث . وقال عمرو بن على الفَلاَّس وأبو حاتم : مُنْكَرالحديث ضعيف جداً . وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى : كان يكذب . وقال البخارى : مُنْكَر الحديث . وقال أبو زُرْعة : واهى الحديث . وقال النسائى : متروك . وقال ابن حِبّان : يضع الحديث وضعا . وقال ابن عَدِىّ : عامة حديثه مما لا يُتابِعه أحد من الثقات عليه . وقال الدارقطنى : ضعيف . وقال الحاكم أبو عبد الله: يروى عن الثقات أحاديث موضوعة ، وهو ساقطٌ بمرّة .

* * *

فأما الحديث الذى قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا حمزة بن العباس العقبي ببغداد ، حدثنا عبد الله بن رَوْح المدائنى ، حدثنا سلام بن سليمان المدائنى ، حدثنا سلام بن سليم الطويل ، عن عبد الملك بن عبد الرحمن ، عن الحسن المَقْبُرى ، عن الأشعث بن طَلِيق، عن مُرة بن شَرَاحيل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعنا فى بيت عائشة فنظر إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه ، ثم قال لنا :قد دنا الفراق . ونَعَى إلينا نفسه ، ثم قال: مرحبا بكم حيَّاكم الله ،هداكم الله ، نصرَكم الله ، نفعكم الله ، وفقكم الله ، سدَّدكم الله ، وقاكم الله ، أعانكم الله ، قَبِلكم الله . أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم وأستخلفه عليكم ، إنى لكم منه نذير مبين ألا تَعْلوا على الله فى عباده وبلاده . فإن الله قال لى ولكم : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوًّا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين »(١)

وقال : « أليس فى جهنم مثوًى للمتكبرين »(٢) .

قلنا : فمتى أجلُك يارسول الله ؟ قال : قد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله والسِّدرة المنتهى

---

(١) سورة القصص . (٢) سورة الزمر .

والكأس الأوفى والفرش الأعلى . قلنا : فمن يغسلك يارسول الله ؟ قال : رجالُ أهل بيتى الأدنى فالأدنى ، مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم . قلنا : ففيم نكفنك يارسول الله ؟ قال : فى ثيابى هذه إن شئتم أو فى يَمَنيّة أو فى بياض مِصْر .

قلنا : فمن يصلى عليك يارسول الله ؟ فبكى وبكينا . وقال : مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسلتمونى وحنّطتمونى وكفنتمونى فضعونى على شَفِير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة . فإن أول من يصلى علىّ خليلاى وجليساى جبريل وميكائيل ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة عليهم السلام ، وليبدأ بالصلاة علىّ رجالُ أهل بيتى ثم نساؤهم ثم ادخلوا علىّ أفواجا وفرادى ؛ ولا تؤذونى بباكية ولا برنّة ولا بصيحة ، ومن كان غائبا من أصحابى فأبلغوه عنى السلام ، وأشهدكم بأنى قد سلّمت على من دخل فى الإسلام ومن تابعنى فى دينى هذا منذ اليوم إلى يوم القيامة .

قلنا : فمن يُدْخلك قبرك يارسول الله ؟ قال : رجالُ أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم .

ثم قال البيهقى : تابعه أحمد بن يونس ، عن سَلّام الطويل ، وتفرد به سلام الطويل .

قلت : وهو سلّام بن سَلْم ، ويقال ابن سليم ، ويقال ابن سليمان . والأول أصح ، التميمى السعدى الطويل . يروى عن جعفر الصادق وحُمَيد الطويل وزيد العمىّ وجماعة. وعنه جماعة منهم : أحمد بن عبد الله بن يونس ، وأسد بن موسى ، وخلف بن هشام البزار ، وعلى بن الجَعْد ، وقبيصة بن عقبة .

وقد ضعفه على بن المدِينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن مَعين والبخارى وأبو حاتم وأبو زُرْعة والجوزجانى والنسائى وغير واحد ، وكذّبه بعض الأئمة ، وتركه آخرون .

لكن روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزار من غير طريق سلام هذا فقال : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن ابن الأصبهاني ، أنه أخبره عن مُرة ، عن عبد الله فذكر الحديث بطوله .

ثم قال البزار : وقد روى هذا عن مُرّة من غير وجه بأسانيد متقاربة وعبد الرحمن ابن الأصبهاني لم يسمع هذا من مرة ، وإنما هو عمن أخبره عن مُرة ، ولا أعلم أحداً رواه عن عبد الله عن مرة .

فصـــــل

فى ذكر الوقت الذى توفى فيه رسول الله ﷺ ومَبْلغ سنه حالَ وفاته

وفى كيفية غسله عليه السلام وتـكفينه والصلاة عليه ودفنه

وموضع قبره صلوات الله وسلامه عليه

لا خلاف أنه عليه السلام توفى يوم الاثنين .

قال ابن عباس : ولد نبيـكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونُبِّئَ يوم الاثنين ، وخرج من مـكة مهاجراً يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، ومات يوم الاثنين .

رواه الإمام أحمد والبيهقى .

وقال سفيان الثَّورى عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة قالت : قال لى أبو بكر : أى يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الاثنين . فقال : إنى لَأرجو أن أموت فيه . فمات فيه .

رواه البيهقى من حديث الثورى به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هُرَيم ، حدثنى ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء .

تفرد به أحمد .

وقال عروة بن الزبير فى مغازيه وموسى بن عُقبـة عن ابن شهاب : لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه أرسلت عائشة إلى أبى بـكر ، وأرسلت حفصة

إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى علىّ ، فلم يجتمعوا حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صدر عائشة وفى يومها ؛ يوم الاثنين حين زاغت الشمس لهلال ربيع الأول .

وقد قال أبو يَعْلى : حدثنا أبو خَيْثمة ، حدثنا ابن عُيَيْنة ، عن الزهرى ، عن أنس ، قال : آخر نظرة نظرتُها إلى رسول الله يوم يوم الاثنين ، كشف الستارة والناس خلف الستارة والناس خلف أبى بكر فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مُصْحَف ، فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار إليهم أن امكثوا : وألقى السَّجْف ، وتوفى من آخر ذلك اليوم .

وهذا الحديث فى الصحيح ، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال . والله أعلم .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد بن بكَّار ، عن محمد بن شعيب ، وعن صفوان ، عن عمر بن عبد الواحد ، جميعا عن الأوزاعى ، أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أحمد بن كامل[1] ، حدثنا الحسين بن على البزار ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، وهو سليمان ابن طَرْخان التيمى فى كتاب المغازى ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض لاثنتين وعشرين ليلة من صفر ، وبدأه وجعه عند وليدة له يقال لها رَيحانة كانت من سَبْى اليهود ، وكان أول يوم مرض يوم السبت ، وكانت وفاته عليه السلام يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مَقْدَمه عليه السلام المدينة .

وقال الواقدى : حدثنا أبو مَعْشَر عن محمد بن قيس ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة

---

(١) المطبوعة : ابن حنبل

فى بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة ، فاجتمع عنده نساؤه كلهن ، فاشتكى ثلاثة عشر يوما ، وتوفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

وقال الواقدى : وقالوا : بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ، وتوفى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

وهذا جزم به محمد بن سعد كاتبه ، وزاد : ودفن يوم الثلاثاء .

قال الواقدى : وحدثنى سعيد بن عبد الله بن أبى الأبيض ، عن المقبُرى ، عن عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدِئ فى بيت ميمونة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو مَعْشر ، عن محمد بن قيس ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر يوما ، فكان إذا وجد خِفةً صلّى وإذا ثَقُل صلى أبو بكر رضى الله عنه .

وقال محمد بن إسحاق : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى اليوم الذى قدِم فيه المدينة مهاجراً ، واستكمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته عشر سنين كوامل .

قال الواقدى : وهو المثبت عندنا . وجزم به محمد بن سعد كاتبه .

وقال يعقوب بن سفيان ، عن يحيى بن بُكير ، عن الليث ، أنه قال : توفى رسول الله يوم الاثنين لليلة خلَت من ربيع الأول وفيه قدم المدينة على رأس عشر سنين من مَقْدمه .

وقال سعد بن إبراهيم الزهرى : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة .

رواه ابن عساكر . ورواه الواقدى عن أبى معشر عن محمد بن قيس مثله سواء . وقاله خليفة بن خيَّاط أيضاً .

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكَين : توفى رسول الله يوم الاثنين مستَهلَّ ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مقدمه المدينة ، ورواه ابن عساكر أيضا .

وقد تقدم قريبا عن عروة وموسى بن عقبة والزهرى مثله فيما نقلناه عن مغازيهما فالله أعلم .

والمشهور قول ابن إسحاق والواقدى .

ورواه الواقدى عن ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما فقال : حدثنى إبراهيم بن يزيد ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس . وحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة . قالا : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

ورواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن أبيه مثله - وزاد : ودفن ليلة الأربعاء .

وروى سيف بن عمر ، عن محمد بن عبيد الله العَرْزَمىّ ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ارتحل فأتى المدينة فأقام بها بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا ، ومات يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول .

وروى أيضا عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عروة . وفى حديث فاطمة عن عروة عن عائشة مثله ، إلا أن ابن عباس قال فى أوله : لأيام مضَيْن منه . وقالت عائشة : بعدما مضى أيام منه .

فائـــــدة

قال أبو القاسم السُّهيلي فى الروض ما مضمونه : لا يتصوَّر وقوع وفاته عليه السلام يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة . وذلك لأنه عليه السلام وقف فى حجة الوداع سنة عشر يوم الجمعة ؛ فكان أول ذى الحجة يوم الخميس ، فعلى تقدير أن تُحسب الشهور تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص ، لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول .

وقد اشتهر هذا الإيراد على هذا القول .

وقد حاول جماعة الجواب عنه . ولا يمكن الجواب عنه إلا بمَسْلك واحد ، وهو اختلاف المطالع ، بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذى الحجة ليلة الخميس ، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة .

ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذى القعدة ـ يعنى من المدينة ـ إلى حجة الوداع .

ويتعيَّن كما ذكرنا أنه خرج يوم السبت ، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس ، لأنه قد بقى أكثرَ من خمس بلا شك ، ولا جائزَ أن يكون خرج يوم الجمعة ، لأن أنساً قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعا ، والعصر بذى الحُلَيْفة ركعتين . فتعيَّن أنه خرج يوم السبت لخمس بقين .

فعلى هذا إنما رأى أهلُ المدينة هلال ذى الحجة ليلة الجمعة ، وإذا كان أول ذى الحجة عند أهل المدينة الجمعة وحُسبت الشهور بعده كواملَ يكون أول ربيع الأول يوم الخميس ، فيكون ثانى عشره يوم الاثنين . والله أعلم .

وثبت فى الصحيحين من حديث مالك ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن

أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأَمْهق ولا بالآدَم ولا بالجَعْد القَطَط ولا بالسَّبْط[1] ، بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وهكذا رواه ابن وهب ، عن عروة ، عن الزهرى ، عن أنس ، وعن قُرَّة بن ربيعة ، عن أنس مثل ذلك .

قال الحافظ ابن عساكر : حديث قُرَّة عن الزهرى غريب . وأما من رواية ربيعة عن أنس فرواها عنه جماعة كذلك .

ثم أسندَ من طريق سليمان بن بلال ، عن يحيي بن سعيد وربيعة[2] عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ثلاث وستين .

وكذلك رواه ابن البَرْبرى ونافع بن أبى نُعيم ، عن ربيعة عن أنس به . قال : والمحفوظ عن ربيعة عن أنس ستون .

ثم أورده ابن عساكر من طريق مالك والأوزاعى ومِسْعر وإبراهيم بن طَهْمَان ، وعبد الله بن عمر وسليمان بن بلال ، وأنس بن بلال ، وأنس بن عياض والدَّرَاوَرْدى ومحمد بن قيس المدنى ، كلهم عن ربيعة عن أنس ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السمَّاك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو مَعْمَر ، عبد الله بن عمرو ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أبو غالب الباهلى ، قال : قلت لأنس بن مالك : ابن أىّ الرجال رسولُ الله إذ بُعث ؟

---

(١) الأمهق : الأبيض لا تخالطه حمرة . والآدم : الأسمر . والقطط : الشديد جعودة الشعر ، والسبط : نقيض الجعد .
(٢) ا : وزمعة .

قال : كان ابن أربعين سنة . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة يوم قبضه الله عز وجل وهو كأشدّ الرجال وأحسنه وأجمله وأَلْحَمه .

ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

وقد روى مسلم عن أبى غَسّان محمد بن عمرو الرازى الملقب بزُنَيج ، عن حَكّام بن سَلْم ، عن عثمان بن زائدة ، عن الزبير بن عدى ، عن أنس بن مالك قال : قُبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين .

انفرد به مسلم .

وهذا لا ينافى ماتقدم عن أنس ، لأن العرب كثيرا ماتحذف الكَسْر .

وثبت فى الصحيحين من حديث الليث بن سعد ، عن عَقيل عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة .

قال الزهرى : وأخبرنى سعيد بن المسيِّب مثله . وروى موسى بن عُقْبة وعقيل ويونس بن يزيد وابن جُريج ، عن الزهرى عن عروة ، عن عائشة . قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين . قال الزهرى : وأخبرنى سعيد بن المسيب مثل ذلك .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سَلمة ، عن عائشة وابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة عشر سنين يتنزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرا .

لم يخرجه مسلم .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن

سعد ، عن جرير بن عبد الله ، عن معاوية بن أبى سفيان ، قال : قُبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وعمر وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا رواه مسلم من حديث غُنْدَر ، عن شعبة ، وهو من أفراده دون البخارى .

ومنهم من يقول عن عامر بن سعد عن معاوية ، والصواب ماذكرناه عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية .

وروينا من طريق عامر بن شَراحيل ، عن الشَّعبى ، عن جرير بن عبد الله البجَلى، عن معاوية فذكره .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضى أبى يوسف ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن أنس ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى عمر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة، عن عائشة قالت : تذاكر رسول الله وأبو بكر ميلادهما عندى ، فكان رسول الله أكبر من أبى بكر ، فتوفى رسول الله وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين .

وقال الثَّورى عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : توفى رسول الله وأبو بكر وعمر وهم بنو ثلاث وستين .

وقال حنبل : حدثنا الإمام أحمد ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا .

وهذا غريب عنه وصحيح إليه .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، قال : نُبِّئَ

رسول الله وهو ابن أربعين سنة ، فمكث ثلاث سنين ، ثم بُعث إليه جبريل بالرسالة ثم مكث بعد ذلك عشر سنين ثم هاجر إلى المدينة ، فقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل : الثابت [١] عندنا ثلاث وستون .

قلت : وهكذا روى مجاهد عن الشَّعبي ، وروى من حديث إسماعيل بن أبى خالد عنه .

وفى الصحيحين من حديث رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وفى صحيح البخارى من حديث رَوْح بن عبادة أيضا ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة ، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

وكذلك رواه الإمام أحمد عن رَوْح بن عُبادة ويحيى بن سعيد ويزيد بن هارون ، كلهم عن هشام بن حسان . عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

وقد رواه أبو يَعْلَى الموصلى ، عن الحسن بن عمر بن سفيان [٢] ، عن جعفر بن سليمان ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس . فذكر مثله .

ثم أورده من طرق عن ابن عباس مثل ذلك .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن أبى جَمْرة ، عن ابن عباس ، أن رسول

(١) ا : الثبت .
(٢) ح ا : شقيق .

الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه . وبالمدينة عشراً ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقد أسند الحافظ ابن عساكر من طريق مسلم بن جُنَادة ، عن عبد الله بن عمر ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين . ومن حديث أبي نَضْرة عن سعيد بن المسيِّب ، عن ابن عباس مثله .

وهذا القول هو الأَشْهَر وعليه الأكثر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن خالد الحذَّاء ، حدثنى عمار مولى بنى هاشم ، سمعت ابن عباس يقول : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة .

ورواه مسلم من حديث خالد الحذاء به .

وقال أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمارة بن أبى عمار ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة ، ثمانى سنين أو سَبعا ، يرَى الضوء ويَسمع الصوت ، وثمانية أو سبعا يُوحى إليه ، وأقام بالمدينه عشراً .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا يونس ، عن عمار مولى بني هاشم ، قال : سألت ابن عباس كم أَتَى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات؟ قال : ما كنت أرى مثلك فى قومه يَخْفَى عليك ذلك . قال: قلت :إنى قد سألت فاختلَف علىّ فأحببت أن أعلم قولك فيه . قال : أتحسِب ؟ قلت: نعم قال : أَمْسِك أربعين بُعث لها ، وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف ، وعشراً مُهاجَره (١) بالمدينة .

وهكذا رواه مسلم من حديث يزيد بن زُرَيع وشُعبة بن الحجاج ، كلاهما عن يونس

(١) غير ا : « مهاجراً » .

ابن عُبَيـد ، عن عمـار ، عن ابن عباس بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمَير ، حدثنا العلاء بن صالح ، حـدثنا المِنْهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، أن رجلا أتى ابنَ عباس فقال : أُنْزِل على النبي صلى الله عليه وسلم عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ؟ فقال : من يقول ذلك ؟ لقد أُنزل عليـه بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشراً ، خمسا وستين وأكثر .

وهذا من أفراد أحمد إسناداً ومتنا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة .

تفرد به أحمد .

وقد روى الترمذى فى كتاب الشمائل وأبو يَعْلى الموصلى والبيهقى من حديث قتادة ، عن الحسن البصرى عن دَغْفَل بن حنظلة الشيبانى النَّسابة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قُبض وهو ابن خمس وستين .

ثم قال الترمذى : دَغْفَل لا نَعرف له سماعا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان فى زمانه رجلا .

وقال البيهقى : وهذا يوافق رواية عمار ومن تابَعه عن ابن عباس .

ورواية الجماعة عن ابن عباس فى ثلاث وستين أصحُّ ، فهم أوثق وأكثر وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة عن عائشة ، وإحدى الروايتين عن أنس ، والرواية الصحيحة عن معاوية . وهو قول سعيد بن المسيّب وعامر الشَّعبى وأبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهم .

قلت : وعبـد الله بن عُقْبة والقاسم بن عبد الرحمـن والحسن البصرى وعلى بن الحسين وغير واحد .

***

ومن الأقوال الغريبة مارواه خَليفة بن خَيَّاط ، عن معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة .

ورواه يعقوب بن سفيان ، عن محمد بن المثنَّى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة مثله . ورواه زيد العَمِّي ، عن يزيد ، عن أنس .

ومن ذلك ماروواه ... بن عامر ، عن القاسم بن حميد ، عن النعمان بن المنذر الغَساني ، عن مكحول ، قال : توفي رسول الله وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر .

ورواه يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد بن بَكَّار[1] ، عن محمد بن شعيب ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف .

وأغربُ من ذلك كله مارواه الإمام أحمد عن رَوْح ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين بمكة وعشراً بعد ماهاجر[2] .

فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور ، وهو أنه عليه السلام أُنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة فقد ذهب إلى أنه عليه السلام عاش ثمانيا وخمسين سنة .

وهذا غريب جداً .

لكن روينا من طريق مُسَدَّد ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة .

وقال خليفة بن خياط : حدثنا أبو عاصم ، عن أشعث ، عن الحسن ، قال : بُعث رسول الله وهو ابن خمس وأربعين ، فأقام بمكة عشراً وبالمدينة ثمانيا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين .

---

(١) ا : دحار .   (٢) ا : وعشرا وقد هاجر .

وهذا بهذا الصفة غريب جداً والله أعلم .

صفة غسله عليه السلام

قد قدمنا أنهم رضى الله عنهم اشتغلوا ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء ، فلما تمهّدت وتوطّدت وتمت شرعوا بعد ذلك فى تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْتَدين فى كل ماأَشْكَل عليهم بأبى بكر الصديق رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء .

وقد تقدم من حديث ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله توفى يوم الاثنين ودُفن ليلة الأربعاء .

وقال أبو بكر بن أبى شَيْبة : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو بُرْدة ، عن عَلْقمة بن يزيد ، عن سليمان بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال : لما أخذوا فى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم منادٍ من الداخل : ألا تجرِّدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصَه .

ورواه ابن ماجه من حديث أبى معاوية عن أبى بُرْدة ـ واسمه عمرو بن يزيد التميمى كوفى ـ

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، سمعت عائشة تقول : لمّا أرادوا غسل النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : مانَدرى أنجرِّد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه .

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم أحدٌ إلا وذقنه فى صدره . ثم كلَّمهم مكلِّم من ناحية البيت لايدرون من هو : أن غسِّلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه .

فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميص . يصبون الماء فوق القميص فيدلّكونه بالقميص دون أيديهم .

فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى مااستدبرت ماغسل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه .

رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ،حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اجتمع[1] القوم لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى البيت إلا أهله ، عمه العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب والفضل بن عباس وقُثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه .

فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الناس أَوْسُ بن خَوْلى الأنصارى ، أحد[2] بنى عوف بن الخزرج – وكان بدريا – علىَّ بن أبى طالب ، فقال : ياعلى نَنْشدك[3] الله وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له على : ادخل . فدخل فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلِ من غسله شيئا .

فأسنده علىّ إلى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس وفضل وقُثَم يقلّبونه مع علىّ ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء ، وجعل علىّ يغسله ولم يَرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما يُرَى (٤) من الميت ، وهو يقول : بأبى وأمى ! ما أطيبك حيا وميتا .

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ، – وكان يُغسل بالماء والسِّدْر – جَففَّوه ثم صُنع به مايُصنع (٥) بالميت . ثم أُدْرِج فى ثلاثة أثواب : ثوبين أبيضين وبرد حِبَرة .

(١) مسند أحمد : لما اجتمع. حديث ٢٣٥٨ (٢) المسند : ثم أحد.

(٣) المسند : نشدتك .

(٤) ا : مما يراه . (٥) ا : مما يصنع .

قال : ثم دعا العباسُ رجلين ، فقال : ليذهب أحدكما إلى أبى عبيدة بن الجراح — وكان أبو عبيدة يَضْرَح لأهل مكة . وليذهب الآخر إلى أبى طلحة بن سهل الأنصارى — وكان أبو طلحة يَلْحَد لأهل المدينة .

قال : ثم قال العباس حين سرَّحهما : اللهم خِرْ لرسولك !

قال : فذهبا فلم يجد صاحبُ أبى عبيدة أباعبيدة ، ووجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

انفرد به أحمد .

وقال يونس بن بُكَير ، عن المنذر بن ثعلبة ، عن الصَّلْت، عن العلباء بن أحمر ، قال : كان على والفضل يغسلان رسول الله ، فنودى علىّ : ارفع طرفك إلى السماء .

وهذا منقطع .

قلت : وقد روى بعض أهل السُّنن عن علىّ بن أبى طالب ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ياعلى لا تُبْدِ فخذك ، ولا تنظر إلى فخذ حىّ ولا ميت » .

وهذا فيه إشعار بأمره له فى حق نفسه والله أعلم .

***

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا ضَمْرة ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : قال علىّ : غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا ، وكان طيِّبا حيا وميتا صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أبو داود فى المراسيل وابن ماجه من حديث مَعْمَر .

زاد البيهقى فى روايته : قال سعيد بن المسيب : وقد وَلِيَ دفنَه عليه السلام أربعةٌ :

عليٌّ والعباس والفضل وصالح مَولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحدوا له لحداً ونَصبوا عليه اللَّبِن نَصْبا .

وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين منهم عامر الشَّعْبي ومحمد بن قيس وعبد الله بن الحارث وغيرهم بألفاظ مختلفة يطول بسطها هاهنا .

قال البيهقي : وروى أبو عمرو كَيْسان ، عن يزيد بن بلال ، سمعت عليا يقول : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله أحدٌ غيرى ، فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طُمست عيناه .

قال علي : فكان العباس وأسامة يناولانى الماء من وراء السِّتر . قال علي : فما تناولت عضوا إلا كأنه يَقْلبه معى ثلاثون رجلا ، حتى فرغت من غسله .

وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده ، فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا عبد الصمد بن النعمان ، حدثنا كَيْسان أبو عمرو ، عن يزيد بن بلال ، قال : قال عليّ بن أبي طالب : أوصانى النبيّ صلى الله عليه وسلم ألا يغسله أحد غيرى ، فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طُمست عيناه .

قال علي : فكان العباس وأسامة يناولانى الماء من وراء الستر.

قلت : وهذا غريب جداً .

وقال البيهقي : أنبأنا محمد بن موسى بن الفضل ، حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا أَسَيد بن عاصم ، حدثنا الحسين بن حفص ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن جُرَيج ، سمعت محمد بن علي أبا جعفر قال : غُسِّل النبي صلى الله عليه وسلم بالسِّدْر ثلاثا ، وغسل وعليه قميص ، وغسل من بئر كان يقال لها الغَرْس بقُباء كانت لسعد بن خَيْثمة ، وكان رسول الله يشرب منها ، وولى غسلَه عليٌّ والفضل يحتضنه ، والعباس يصب الماء ، فجعل الفضل يقول : أرِحْنى قطعتَ وَتِينى ، إنى لأجد شيئا يترطَّل عليّ [1] .

(١) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . ويترطل : يسترخى ويسترسل .

وقال الواقدى : حدثنا عاصم بن عبد الله الحكمى ، عن عمر بن عبد الحكم . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم البئر بئر غَرْس هى من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه » .

وكان رسول الله يُسْتعذَب له منها وغُسل من بئر غرس .

وقال سيف بن عمر ، عن محمد بن عَدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : لما فُرغ من القبر وصلى الناس الظهر ، أخذ العباس فى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب عليه كِلَّة (١) من ثياب يمانية صِفَاق فى جوف البيت ، فدخل الكِلَّة ودعا عليًّا والفضل ، فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيهما دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ، ورجالٌ من بنى هاشم من وراء الكلة ، ومن أدخل من الأنصار حيث ناشدوا أبى وسألوه ، منهم أوْس بن خَوْلى رضى الله عنهم أجمعين .

ثم قال سيف عن الضحاك بن يَرْبُوع الحنفى عن ماهان الحنفى ، عن ابن عباس ، فذكر ضرب الكلة وأن العباس أدخل فيها عليا والفضل وأبا سفيان وأسامة ، ورجال من بنى هاشم من وراء الكلة فى البيت ، فذكر أنهم أُلقى عليهم النعاس فسمعوا قائلا يقول : لا تغسلوا رسول الله فإنه كان طاهراً . فقال العباس : ألاَ بلَى . وقال أهل البيت: صدق فلا تغسلوه ، فقال العباس : لا ندَع سُنة لصوت لا ندرى ماهو .

وغشيهم النعاسُ ثانية ، فناداهم : أن غَسِّلوه وعليه ثيابه . فقال أهل البيت :ألالا. وقال العباس : ألا نعم . فشرعوا فى غسله وعليه قميص ومجْول (٢) مفتوح ، فغسلوه بالماء القراح وطَيَّبوه بالكافور فى مواضع سجوده ومَفاصله ، واعتُصر قميصه ومجوله ، ثم أُدْرج فى أكفانه ، وجَمَّروه عُوداً وَنَدًّا (٣) ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسَجَّوه .

وهذا السياق فيه غرابة جداً .

---

(١) الكلة : غشاء رقيق يتوقى به من البعوض .

(٢) المجول : ثوب أبيض يجعل على يد من تدفع إليه القداح إذا تجمعوا .

(٣) الند : العنبر ، أو نوع من الطيب . وفى ا : عودا ، ثم احتملوه .

صفة كفنه عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأَوزاعى ، حدثنى الزهرى ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أُدْرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوب حِبَرَة ثم أُخِّر عنه .

قال القاسم : إن بقايا ذلك الثوب لعندنا بعدُ .

وهـذا الإسناد على شرط الشيخين ، وإنما رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والنسائى عن محمد بن مثنَّى ، ومجاهد بن موسى فرّقهما ، كلهم عن الوليد بن مسلم به .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : حدثنامالك، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سَحُولية[1] ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

وكذا رواه البخارى عن إسماعيل بن أبى أُوَيس ، عن مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن هشام عن أبيه عن عائشة : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب [سَحُولية][2] بِيض .

وأخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة . وأخرجه البخارى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى ، كلاهما عن هشام بن عروة به .

وقال أبو داود : حدثنا قتيبة ، حدثنا حفص بن غِيَاث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله كفِّن فى ثلاثة أثواب بيض يمانية من كُرْسُف[3] ، ليس ليس فيها قميص ولا عمامة .

---

(١) سحولية : منسوبة إلى سحول ، موضع باليمن تنسج به الثياب .   (٢) ليست فى ا

(٣) الكرسف : القطن .

قال : فذكِر لعائشة قولهم : فى ثوبين وبرد حِبرَة ، فقالت : قد أتى بالبرد ولكنهم ردُّوه ولم يكفنوه فيه .

وهكذا رواه مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن حفص بن غياث به .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا هنَّاد بن السَّرى ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله فى ثلاثة أثواب بيض سَحُوليةَ من كُرْسف ، ليس فيها قميص ولا عمامة ، فأما الحلة فإنما شُبِّه على الناس فيها ، إنما اشتريت له حلّة ليكفن فيها فتركت ، وأخذها عبد الله بن أبى بكر فقال : لأحبسنّها لنفسى حتى أكفن فيها . ثم قال : لو رضيها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم لكفنه فيها . فباعها وتصدق بثمنها .

رواه مسلم فى الصحيح عن يحيى بن يحيى وغيره ، عن أبى معاوية .

ثم رواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كُفن رسول الله فى بُردِ حِبَرة كانت لعبد الله بن أبى بكر ولُفّ فيها ثم نُزعت عنه ، فكان عبد الله بن أبى بكر قد أَمسك تلك الحلة لنفسه حتى يكفن فيها إذا مات . ثم قال بعد أن أمسكها : ما كنت أمسك لنفسى شيئا منَع الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يكفن فيه . فتصدق بثمنها عبد الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب سَحُولية بيض .

ورواه النسائى ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الرزاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مسكين بن بكر ، عن سعيد ، يعنى ابن عبد العزيز ، قال

مَكْحول : حدثنى عروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب رِياط يمانية .

انفرد به أحمد .

وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا سهل بن حبيب الأنصارى ، حدثنا عاصم بن هلال إمام مسجد أيوب ، حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر : قال كُفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سَحُولية .

وقال سفيان عن عاصم بن عبيد الله ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب .

ووقع فى بعض الروايات ؛ ثوبين صُحَارِيَّين[1] وبرد حِبَرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا يزيد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب : فى قميصه الذى مات فيه ، وحُلة نَجْرانية ــ الحلة ثوبان ــ .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة ، وابن ماجه عن على ابن محمد ، ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

وهذا غريب جدا .

وقال الإمام أحمد : أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين وبرد أحمر .

انفرد به أحمد من هذا الوجه .

---

(١) كذا ولعلها نسبة إلى صحار ، وهى هضبة عمان مما يلى الجبل . المراصد .

وقال أبو بكر الشافعي : حدثنا على بن الحسن ، حدثنا حميد بن الربيع ، حدثنا بكر — يعنى ابن عبد الرحمن — حدثنا عيسى — يعنى ابن المختار — عن محمد بن عبدالرحمن هو ابن أبى ليلى ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، قال : كفن رسول الله فى ثوبين أبيضين وبرد أحمر .

وقال أبو يَعْلى : حدثنا سليمان الشاذكونى ، حدثنا يحيى بن أبى الهيثم ، حدثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كُفِّن رسول الله صلى عليه وسلم فى ثوبين أبيضين سَحوليين .

زاد فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : وبرد أحمر .

وقد رواه غير واحد عن إسماعيل المؤدب ، عن يعقوب بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين وفى رواية : وسَحُولِيّة . فالله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبى طاهر المخلِّص ، حدثنا أحمد بن إسحاق عن البهلول ، حدثنا عباد بن يعقوب ، حدثنا شَريك ، عن أبى إسحاق ، قال : وقعتُ على مجلس بنى عبد المطلب وهم متوافرون ، فقلت لهم : فى كم كُفِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا قِباء ولا عمامة .

قلت : كم أُسِر منكم يوم بدر ؟ قالوا : العباس ونوفل وعقِيل .

وقد روى البيهقى من طريق الزهرى ، عن على بن الحسين زين العابدين ، أنه قال : كفن رسول الله فى ثلاثة أثواب أحدها برد حِبرة .

وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من طريق فى صحتها نظر ، عن على بن أبى طالب ، قال : كفنت رسول صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سَحُولِيّين وبرد حِبَرة .

وقد قال أبو سعيد ابن الاعرابى : حدثنا إبراهيم بن الوليد حدثنا محمد بن كثير

حدثنا هشام عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبى هريرة ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رَيْطتين وبُرد نَجْرانى .

وكذا رواه أبو داود الطيالسى عن هشام وعمران القَطَّان ، عن قَتادة عن سعيد ، عن أبى هريرة به .

وقد رواه الربيع بن سليمان ، عن أَسد بن موسى ، حدثنا نصر بن طَرِيف ، عن قتادة ، حدثنا ابن المسيَّب ، عن أم سلمة : أن رسول الله كفن فى ثلاثة أثواب أحدها بُرد نجرانى .

قال البيهقى : وفيما روينا عن عائشة بيان سبب الاشتباه على الناس ، وأن الحبرة أُخرت عنه والله أعلم .

ثم روى الحافظ البيهقى من طريق محمد بن إسحاق بن خُزيمة ، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم الدَّوْرقى ، عن حُميد بن عبد الرحمن الرُّؤاسى ، عن حسن بن صالح ، عن هارون بن سعيد ، قال : كان عند علىّ مسك فأوصى أن يُحنط به ، وقال : هو مِن فَضْل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه من طريق إبراهيم بن موسى ، عن حميد ، عن حسن ، عن هارون ، عن أبى وائل عن على . فذكره .

كيفية الصلاة عليه ﷺ

وقد تقدم الحديث الذى رواه البيهقى من حديث الأشعث بن طليق ، والبزار من حديث الأصبهانى ، كلاهما عن مُرة ، عن ابن مسعود : فى وصية النبى صلى الله عليه وسلم أن يَغْسله رجال أهل بيته ، وأنه قال : كفنونى فى ثيابى هذه أو فى يمانية أو بياض مِصر، وأنه إذا كفنوه يضعونه على شَفِير قبره ثم يخرجون عنه حتى تصلى عليه الملائكة ، ثم يدخل عليه رجالُ أهل بيته فيصلون عليه ، ثم الناس بعدهم فرادى .

الحديث بتمامه . وفى صحته نظر كما قدمنا . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أُدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أَرْسَالا حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلَّين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أُدخل العبيد فصلوا عليه أَرْسَالا ، لم يؤمّهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ .

وقال الواقدى : حدثنى أُبىّ بن عَيَّاش بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما أُدْرِج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وضِع على سريره ، ثم وضع على شَفِير حُفرته ، ثم كان الناس يدخلون عليه رُفقاً رُفقاً لا يؤمُّهم أحد .

قال الواقدى : حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم ، قال وجدت كتابا بخط أبى فيه أنه لما كُفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سريره ؛ دخل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت ، فقالا :

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر ، ثم صفّوا صفوفا لا يؤمهم أحد .

فقال أبو بكر وعمر — وهما فى الصف الأول حِيالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — اللهم إنا نشهد أنه قد بلّغ ماأُنزل إليه ، ونصَح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حتى أعزَّ الله دِينه وتمت كلمته ، وأُومنَ به وحده لا شريك له ، فاجعلنا إلٰهنا ممن يتبع القولَ الذى أُنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به ، فإنه كان بالمؤمنين رءوفا رحيما ، لا نبتغى بالإيمان به بَدلاً ولا نشترى به ثمنا أبداً .

فيقول الناس : آمين آمين . ويخرجون ويدخل آخرون ، حتى صلى الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان .

وقد قيل : إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله من يوم الثلاثاء ، وقيل إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون عليه . كما سيأتى بيان ذلك قريبا . والله أعلم .

وهذا الصَّنيع ، وهو صلاتهم عليه فُرادى لم يؤمهم أحدٌ عليه ، أمرٌ مُجْمَع عليه لا خلاف فيه .

وقد اختُلف فى تعليله . فلو صح الحديث الذى أوردناه عن ابن مسعود لكان نصًّا فى ذلك ، ويكون من باب التعبُّد الذى يَعْسُر تعقُّل معناه[1] . وليس لأحد أن يقول : لأنه لم يكن لهم إمام ، لأنا قد قدَّمنا أنهم إنما شَرعوا فى تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه .

وقد قال بعض العلماء : إنما لم يؤمّهم أحدٌ ليباشر كلٌّ واحد من الناس الصلاةَ عليه منه إليه ، ولتكرَّر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة رجالهم ونسائهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء .

---

(١) ت : الذى نعقل .

وأما السُّهيلى فقال ماحاصله : إن الله قد أخبر أنه وملائكته يصلون عليه ، وأمر كلّ واحد من المؤمنين أن يباشر الصلاة عليه منه إليه ، والصلاة عليه بعد موته من هذا القَبِيل . قال : وأيضا فإن الملائكة لنا فى ذلك أئمة . فالله أعلم .

وقد اختلف المتأخرون من أصحاب الشافعى فى مشروعية الصلاة على قبره لغير الصحابة . فقيل : نعم . لأن جسده عليه السلام طَرِىّ فى قبره ، لأن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما ورد بذلك الحديث فى السنن وغيرها فهو كالميت اليومَ ، وقال آخرون : لا يُفعل ، لأن السلف ممن بعدَ الصحابة لم يفعلوه ، ولو كان مشروعا لبادروا إليه وكاثروا عليه . والله أعلم .

صفة دفنه عليه السلام ، وأين دُفن ، وذكر الخلاف فى دفنه أليلا كان أم نهاراً

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جُريج ، أخبرنى أبى – وهو عبد العزيز بن جُرَيج : أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يَدْروا أين يَقْبُرون النبى صلى الله عليه وسلم . حتى قال أبو بكر : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لم يُقْبَر نبىٌّ إلا حيث يموت ، فأخَّروا فراشه وحفروا تحت فراشه صلى الله عليه وسلم .

وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصِّديق ، فإنه لم يدركه ، لكن رواه الحافظ أبو يَعْلى من حديث ابن عباس وعائشة ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ، فقال : حدثنا أبو موسى الهَرَوى ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكر ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة ، قالت : اختلفوا فى دفن النبى صلى الله عليه وسلم حين قُبض ، فقال أبو بكر : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يُقْبض النبي إلا فى أحبّ الأمكنة إليه » فقال : ادفنوه حيث قبض .

وهكذا رواه الترمذى عن أبى كُرَيب ، عن أبى معاوية ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر المُلَيْكى ، عن ابن أبى مُلَيكة ، عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله شيئاً مانَسيته ، قال : « ماقبض الله نبيا إلا فى الموضع الذى يحب أن يُدفن فيه » . ادفنوه فى موضع فراشه .

ثم إن الترمذى ضَعَّف المَلَيْكى ثم قال : وقد رُوى هذا الحديث من غير هذا الوجه، رواه ابن عباس عن أبى بكر الصديق عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الأموى عن أبيه عن ابن إسحاق ، عن رجل حدثه ، عن عروة ، عن عائشة، أن أبا بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يُدفن نبى قط إلا حيث قُبض » .

قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن سهل التميمى ، حدثنا هشام بن عبدالملك الطيالسى ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان بالمدينة حَفَّاران فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : أين ندفنه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : فى المكان الذى مات فيه ، وكان أحدهما يَلْحَد والآخر يَشُقّ ، فجاء الذى يلحد فلحد للنبى صلى الله عليه وسلم.

وقد رواه مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه منقطعاً .

وقال أبو يعلى : حدثنا جعفر بن مهران ، حدثنا عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال : لما أرادوا أن يحفروا للنبى صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة الجراح يَضْرَح كحَفْر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى كان يحفر لأهل المدينة وكان يَلْحَد ، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عُبَيدة . وقال للآخر : اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خِرْ لرسولك.

قال : فوجد صاحبُ أبى طلحة أبا طلحة . فجاء به فلحَد لرسول الله صـلى الله عليـه وسلم .

فلما فُرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليـه وسلم يوم الثلاثاء وضِع على سريره فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائل : ندفنه فى مسجده . وقال قائل : ندفنه مع أصحابه . فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قُبض نبى إلا دفن حيث قبض » .

فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه فحفَروا له تحته ، ثم أُدخل الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلُّون عليه أرْسالاً ، الرجالُ حتى إذا فُرغ منهم أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤمّ الناسَ على رسول الله صـلى الله عليه وسلم أحدٌ . فدفِن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَوْسط الليل ليلة الأربعاء .

وهكذا رواه ابن ماجه عن نَصْر بن على الجَهْضَمىّ ، عن وَهْب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق فذكر بإسناده مثله . وزاد فى آخره : ونزل فى حُفْرته على بن أبى طالب والفَضْل وقُثَم ابنا عباس وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أَوْس بن خَوْلى ـ وهو أبو ليلى ـ لعلى بن أبى طالب : أنشدك الله وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له على : انزل .

وكان شُقْران مولاه أخذ قطيفةً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فدفنها فى القبر وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدَك . فدُفِنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن ابن إسحاق مختصراً ، وكذلك رواه يونس بن بُكير وغيره عن إسحاق به .

* * *

وروى الواقدى عن ابن أبى حَبِيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن

عباس ، عن أبى بكر الصديق ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماقَبض الله نبيا إلا ودفن حيث قبض » .

وروى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصَين أو محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلَفوا فى دفنه فقالوا : كيف ندفنه ؟ مع الناس أو فى بيوته .

فقال أبو بكر : إنى سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ماقَبض الله نبيًّا إلا دُفن حيث قُبض » . فدفن حيث كان فراشه ، رُفع الفراش وحُفر تحته .

وقال الواقدى : حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن عثمان بن محمد الأَخْنَسى ، عن عبد الرحمن بن سعيد – يعنى ابن يَرْبوع – قال : لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى موضع قبره . فقال قائل : فى البَقيع ، فقد كان يكثر الاستغفار لهم . وقال قائل : عند منبره . وقال قائل : فى مُصَلّاه .

فجاء أبو بكر فقال : إن عندى من هذا خَبراً وعلما ، سمعت رسول الله يقول : « ماقُبض نبى إلا دفن حيث توفى » .

قال الحافظ البيهقى : وهو فى حديث يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وفى حديث ابن جُريج عن أبيه ، كلاهما عن أبى بكر الصديق ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا .

وقال البيهقى : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن سلمة بن نُبَيْط بن شُرَيْط ، عن أبيه ، عن سالم بن عبيد – وكان من أصحاب الصُّفة – قال : دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ثم خرج ، فقيل له : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . فعلموا أنه كما قال .

وقيل له : أنصلّى عليه ؟ وكيف نصلى عليه ؟ قال : تجيئون عُصَباً عُصَباً ، فتصلون . فعلموا أنه كما قال .

قالوا : هل يُدفن وأين ؟ قال : حيث قَبض الله روحه ، فإنه لم يَقبض روحه إلا فى مكان طيّب . فعلموا أنه كما قال .

* * *

وروى البيهقى من حديث سفيان بن عُيينة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : عَرَضت عائشة على أبيها رؤيا ، وكان من أعْبَر الناس ، قالت : رأيت ثلاثة أقمار وقعن فى حِجْرى ، فقال لها : إن صدقت رؤياك دُفن فى بيتك من خير أهل الأرض ثلاثةٌ .

فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياعائشة هذا خيرُ أقمارك !

ورواه مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عائشة منقطعاً .

وفى الصحيحين عنها أنها قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سَحْرى ونَحْرى ، وجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر ساعة من الدنيا وأول ساعة من الآخرة .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى عَوانة ، عن هلال الورَّاق ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه يقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

قالت عائشة : ولولا ذلك لأَبْرَزَ قبرَه ، غير أنه خشى أن يُتخذ مسجداً .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمود بن غَيْلان ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا مبارك بن فَضَالة ، حدثنى حُميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان [1] بالمدينة رجل يَلْحَد والآخر يَضْرَح فقالوا : نستخير الله [2] ونبعث

(١) سنن ابن ماجه حديث ١٥٥٧ — لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة .
(٢) ابن ماجه : نستخير ربنا .

إليهما ، فأيهما سبَق تركناه . فأُرسل إليهما فسبق صاحب اللحد ، فلحدوا للنبي صلى الله عليه وسلم .

تفرد به ابن ماجه وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي النَّضر هاشم بن القاسم به .

وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا عمر بن شَبَّة بن عبيدة بن زيد[1] ، حدثنا عبيد بن طُفَيل ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي مُلَيكة ، حدثني ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في اللَّحْد والشَّق حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم . فقال عمر : لاتَصْخَبوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا ولا ميتا ـ أو كلمة نحوها ـ فأرسِلوا إلى الشَّقَّاق واللاحد جميعا . فجاء اللاحد فلحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دفن .

تفرد به ابن ماجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا العُمَري ، عن نافع ، عن ابن عمر . وعن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُلحد له لحد .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن شُعبة وابن جعفر ، حدثنا شعبة، حدثني أبو جَمْرة عن ابن عباس ، قال : جُعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن شعبة به . وقد رواه وكيع عن شعبة .

وقال وكيع : كان هذا خاصًّا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر .

---

(١) الأصل : ابن يزيد . وما أثبته عن سنن ابن ماجه .

وقال ابن سعد : أنبأنا محمد بن عبدالله الأنصارى ، حدثنا أَشْعث بن عبدالملك الحُمْرانىّ ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُسط تحته قطيفة حمراء كان يلبسها ، قال : وكانت أرضا ندية . وقال هُشيم بن منصور عن الحسن قال : جُعل فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها يوم حُنين .

قال [الحسن (١)] : جعلها لأن المدينة أرض سَبخة .

وقال محمد بن سعد : حدثنا حماد بن خالد الخياط ، عن عُقبة بن أبى الصّهباء ، سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افرشوا لى قطيفةً فى لحدى فإن الأرض لم تُسلَّط على أجساد الأنبياء » .

وروى الحافظ البيهقى من حديث مُسدّد ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : قال علىٌّ : غسلت النبى صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر إلى ما يكون من الميت فلم أر شيئا ، وكان طيبا حيا وميتا .

قال : وولِىَ دفنَه عليه الصلاة والسلام وإجْنَانه دون الناس أربعةٌ ، على والعباس والفضل وصالح مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولُحدللنبى صلى الله عليه وسلم لحدٌ ، ونُصب عليه اللبن نصباً .

وذكر البيهقى عن بعضهم أنه نُصب على لحده عليه السلام تسع لبنات .

وروى الواقدى عن ابن أبى سَبْرة عن عبدالله بن مَعْبَد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، يصلى الناس عليه وسريره على شَفير قبره فلما أرادوا أن يقبروه عليه السلام نحْوا السرير قِبَل رجليه فأدخل من هناك . ودخل فى حُفرته العباس وعلىٌّ وقُثَمُ والفضل وشُقْران .

(١) ليست فى ا .

وروى البيهقى من حديث إسماعيل السُّدِّى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس وعلىٌّ والفضل وسوَّى لحده رجل من الأنصار وهو الذى سوَّى لحودَ قبور الشهداء يوم بدر .

قال ابن عساكر : صوابه يوم أُحد .

وقد تقدم رواية ابن إسحاق عن حسين بن عبدالله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الذين نزلوا فى قبر رسول الله على والفضل وقُثَم وشُقْران ، وذكر الخامس وهو أوْس بن خَوْلى ، وذكر قصة القطيفة التى وضعها فى القبر شُقران .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو طاهر المُحَدَّاباذى ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا سفيان بن سعيد ، هو الثَّورى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعْبى ، قال : حدثنى أبو مَرْحَب ، قال : كأنى أنظر إليهم فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم أربعة : أحدهم عبد الرحمن بن عوف .

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن الصَّباح ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد به .

ثم رواه عن أحمد بن يونس ، عن زهير عن إسماعيل ، عن الشَّعبى ، حدثنى مرحب أو ابن عمى مَرْحَب[1] : أنهم أدخلوا معهم عبد الرحمن بن عوف ، فلما فرغ علىٌّ قال : إنما يلى الرجلَ أهلُه .

وهذا حديث غريب جداً وإسناده جيد قوى ، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد قال أبو عمر بن عبدالبَرّ فى استيعابه : أبو مرحب اسمه سُوَيد بن قيس ، وذكر أبا مَرْحَب آخر وقال : لا أعرف خبره .

قال ابن الأثير فى الغابة : فيحتمل أن يكون راوى هذا الحديث أحدهما أو ثالثاً غيرهما [ولله الحمد][2] .

---

(١) ح : أو أبو مرحب .

(٢) ليست فى ا .

ذكر من كان آخر الناس به عهداً عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ،عن ابن إسحاق ، حدثنى أبى إسحاقُ ابن يَسَار ، عن مِقْسَم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرتُ مع علىّ فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسَكبت له غسلاً فاغتسل .

فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا : ياأبا حسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه . قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدَثَ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أجل. عن ذلك جئنا نسألك. قال : أحدثُ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقد رواه يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق به مثله سواء ، إلا أنه قال قبله عن ابن إسحاق قال : وكان المغيرة بن شُعبة يقول :أخذت خاتمى فألقيته فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت حين خرج القوم : إن خاتمى قد سقط فى القبر . وإنما طرحتُه عمداً لأمسَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأكون آخر الناس عهداً به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى والدى إسحاق بن يسَار ، عن مِقْسَم ،عن مولاه عبدالله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع علىّ . فذكر ماتقدم .

وهذا الذى ذُكر عن المغيرة بن شعبة لا يقتضى أنه حصل له ماأمَّله ، فإنه قد يكون علىّ رضى الله عنه لم يمكنه من النزول فى القبر بل أمر غيره فناولَه إياه ، وعلى ماتقدم يكون الذى أمره بمناولته له قُثَم بن عباس .

وقد قال الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزِّناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن

عبد الله بن عتبة ، قال : ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على : إنما ألقيته لتقول : نزلتُ فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فنزل فأعطاه . أوأمر رجلا فأعطاه.

وقد قال الإمام أحمد حدثنا بَهْز وأبو كامل ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبى عمران الجَوْنى ، عن أبى عَسِيب أو أبى عَسِيم قال بَهْز : إنه شهد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : كيف نصلى ، قال : ادخلوا أرسالا أرسالا ، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر .

قال : فلما وضِع فى لحده قال المغيرة : قد بقى من رجليه شىء لم تصلحوه . قالوا: فادخل فأصلحه . فدخل وأدخل يده فمس قدميه عليه السلام . فقال : أهيلوا علىّ التراب . فأهالوا عليه حتى بلغ إلى أنصاف ساقيه ، ثم خرج فكان يقول : أنا أحْدَثُكم عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم !

متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثتنى فاطمة بنت محمد امرأة عبد الله بن أبى بكر وأدخلَنى عليها حتى سمعتُه[1] منها ، عن عَمْرة ، عن عائشة ، أنها قالت : ما علمنا بدفن النبى صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوتَ المسَاحى فى جوف ليلة الأربعاء .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى سَبْرة ، عن الحَلْبَس بن هشام ، عن عبد الله بن وهب، عن أم سلَمة ، قالت : بينا نحن مجتمعون نبكى لم نَنمْ ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيوتنا ونحن نتسلى برؤيته على السرير ، إذ سمعنا صوت الكَرَازِين[2] فى السَّحَر . قالت أم سلمة: فصِحْنا وصاح أهل المسجد ، فارتجّت المدينةُ صيحة واحدة ، وأذَّن بلال بالفجر ، فلما ذكر

(١) ا : تسمعه .   (٢) الكرازين : جمع كرزن وهو الفأس الكبيرة .

النبى صلى الله عليه وسلم بكى وانتحَب ، فزادنا حُزنا وعالج الناسُ الدخولَ إلى قبره فغُلق دونهم ، فيالها من مصيبة ما أُصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء .

وقد تقدم مثله فى غير ما حديث . وهو الذى نص عليه غير واحد من الأئمة سلَفا وخلفا ؛ منهم سليمان بن طَرْخان التَّيْمى ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى ابن عُقْبة وغيرهم .

وقد روى يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد ، عن بَكَّار ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوْزاعى أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ، ودفن يوم الثلاثاء .

وهكذا روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق ، عن ابن جُريج ، قال : أُخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى الضحى يوم الاثنين ودفن من الغد فى الضحى .

* * *

وقال يعقوب : حدثنا سفيان ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا سفيان ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه و [عن] (١) ابن جُريج ، عن أبى جعفر ، أن رسول الله توفى يوم الاثنين ، فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار .

فهو قول غريب ، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفى يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء .

---

(١) ليست فى ا .

ومن الأقوال الغريبة فى هذا أيضا مارواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بَكَّار ، عن محمد بن شُعيب ، عن أبى النعمان ، عن مَكْحول ، قال : ولد رسول الله يوم الاثنين ، وأوحى إليه يوم الاثنين ، وهاجر يوم الإثنين ، وتوفى يوم الإثنين لثنتين وستين سنة ونصف ، ومكث ثلاثة أيام لايُدفن ، يَدخل عليه الناس أرسالاً أرسالا يصلّون لايَصفُّون ولا يؤمُّهم عليه أحد .

فقوله : إنه مكث ثلاثة أيام لايدفن. غريبٌ ، والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله ، ودفن ليلة الأربعاء كما قدمنا . والله أعلم .

وضدُّه ماروواه سَيْف ، عن هشام ، عن أبيه ، قال : توفى رسول الله يوم الاثنين . [وغسل يوم الاثنين] (١) ودفن ليلة الثلاثاء .

قال سيف : وحدثنا يحيى بن سعيد مرةً بجميعه عن عائشة به .

وهذا غريب جداً .

وقال الواقدى : حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن ابن أبى عَون ، عن أبى عَتِيق ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رُشَّ على قبر النبى صلى الله عليه وسلم الماء رشاً ، وكان الذى رشه بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قِبَل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه ، ثم ضرَب بالماء إلى الجدار لم يقدر على أن يَدُور من الجدار .

وقال سعيد بن منصور ، عن الدَّرَاوَرْدى عن يزيد بن عبد الله بن أبى يمن ، عن أم سلمة ، قالت : توفى رسول الله يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال ابن خُزَيمة : حدثنا مُسْلم بن حماد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، قال : توفى رسول الله يوم الإثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال الواقدى : حدثنى أُبىّ بن عياش بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، قال : توفى رسول الله

---

(١) سقطت من ا .

صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ودفن ليلة الثلاثاء .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا عن محمد بن سعد : توفى رسول الله يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال عبدالله بن محمد بن أبى الدنيا : حدثنا الحسن بن إسرائيل أبو محمد النَّهْرتيرِىّ[1] ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، سمعت عبد الله بن أبى أوْفَى يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ؛ فلم يُدفن إلا يوم الثلاثاء .

وهكذا قال سعيد بن المسيب ، وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن ، وأبو جعفر الباقِر .

فصل فى صِفَة قبره عليه الصلاة والسلام

قد عُلم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن فى حجرة عائشة التى كانت تختص بها شرقىّ مسجده فى الزاوية الغربية القبلية من الحجرة . ثم دفن بعده فيها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما .

وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن مُقاتلٍ ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن سفيان التَّمار ، أنه حدثه أنه رأى قبرَ النبى صلى الله عليه وسلم مُسَنَّما[2] .

تفرد به البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن أبى فُدَيك ، أخبرنى عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم ، قال : دخلت على عائشة وقلت لها : ياأمه اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه . فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مُشْرِفة ولا لاطِئة ، مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء

النبى صلى الله عليه وسلم .

أبو بكر رضى الله عنه

عمر رضى الله عنه

(١) نسبة إلى نهرتيرى ، بلد من نواحى الأهواز (٢) التسنيم : ضد التسطيح .

[تفرد به أبو داود] [1] .

وقد رواه الحاكم والبيهقي من حديث ابن أبي فُدَيك ، عن عمرو بن عثمان ، عن القاسم ، قال فرأيت النبي عليه السلام مقدّما ، وأبو بكر رأسُه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر رأسه عند رجل النبي صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي : وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مُسطَّحة لأن الحصباء لا تَثْبت إلا على المسطَّح.

وهذا عجيب من البيهقي رحمه الله ، فإنه ليس في الرواية ذكر الحصباء بالكلّية ، وبتقدير ذلك فيمكن أن يكون مسنَّما وعليه الحصباء مغروزة بالطين ونحوه .

وقد روى الواقدي عن الدَّرَاوَرْدي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : جُعل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مُسطَّحاً .

وقال البخاري : حدثنا فروة بن أبي المغْرَاء ، حدثنا على بن مُسْهِر ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه فبدَت لهم قدمٌ ففزعوا فظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فما وجد واحد يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : لا والله ماهي قدم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ماهي إلا قدَم عمر .

وعن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها أوصت عبد الله بن الزبير : لاتَدفِنّي معهم وادفني مع صواحبي بالبقيع ، لا أُزكَّى به أبداً .

قلت : كان الوليد بن عبد الملك حين ولى الإمارة في سنة ست وثمانين قد شرع في بناء جامع دمشق وكتب إلى نائبه بالمدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يوسع في مسجد المدينة ، فوسعه حتى من ناحية الشرق [2] فدخلت الحجرة النبوية فيه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن زاذَان مولى الفَرافِصة ، وهو الذي بنى المسجد النبوي أيام [ولاية] عمر بن عبد العزيز على المدينة ، فذكر عن سالم بن عبد الله نحو ما ذكره البخاري ، وحكى صفة القبور كما رواه أبو داود .

---

(١) سقط من ا .

(٢) ت : من ناحية السوق .

ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاته عليه الصلاة والسلام

قال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشّاه الكرب . فقالت فاطمة : وا كرب أبتاه . فقال لها : « ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم » .

فلما مات قالت : وأبتاه أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه مَن جنةُ الفردوس مأْواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه . فلما دفن قالت فاطمة : يا أنَس أطابت أنفسُكم أن تَحثُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟!

تفرد به البخاري رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ثابت البُنَانى ، قال أنس : فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أنْ دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التراب ورجعتم ؟

وهكذا رواه ابن ماجه مختصراً من حديث حماد بن زيد به . وعنده قال حماد : فكان ثابت إذا حدَّث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه .

وهذا لا يُعدُّ نياحةً بل هو من باب ذكر فضائله الحق عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإنما قلنا هذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن النِّياحة .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى من حديث شعبة ، سمعت قتادة ، سمعت مُطَرّفا يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم ، عن أبيه ـ فيما أوصى به إلى بنيه ـ أنه قال : ولا تَنُوحوا علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنح عليه .

وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضى فى النوادر ، عن عمرو بن ميمون عن شعبة به .

ثم رواه عن على بن المدينى ، عن المغيرة بن سلمة ، عن الصَّعق بن حَزْن ، عن القاسم بن مطيّب ، عن الحسن البصرى ، عن قيس بن عاصم به. قال : لا تنوحوا علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَح عليه ، وقد سمعته يَنْهى عن النياحة .

ثم رواه عن علىّ عن محمد بن الفضل ، عن الصعق ، عن القاسم ، عن يونس بن عُبيد ، عن الحسن عن عاصم به .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عُقبة بن سِنان ، حدثنا عثمان بن عثمان ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنح عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : لما كان اليوم الذى قدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كلُّ شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء .

قال : وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدى حتى أَنكرنا قلوبنا .

وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه جميعا ، عن بشر بن هلال الصَّواف ، عن جعفر بن سليمان الضَّبعى به .

وقال الترمذى : هذا حديث صحيح غريب .

قلت . وإسناده على شرط الصحيحين ، ومحفوظ من حديث جعفر بن سليمان ، وقد أخرج له الجماعة ، ورواه الناس عنه كذلك .

* * *

وقد أغْربَ الكُدَيْمى ، وهو محمد بن يونس رحمه الله فى روايته له حيث قال : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى ، حدثنا جعفر بن سليمان الضّبعى ، عن ثابت عن أنس ، قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا

إلى بعض ، وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها - أولا يبصرها ، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرْنا قلوبَنا .

رواه البيهقى من طريقه كذلك .

وقد رواه من طريق غيره من الحفاظ عن أبى الوليد الطيالسى ، كما قدمنا ، وهو المحفوظ والله أعلم .

وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر من طريق أبى حفص بن شاهين ، حدثنا حسين ابن أحمد بن بِسْطام بالأُبُلَّة ، حدثنا محمد بن يزيد الرُّؤاسى ، حدثنا مسلَمة ابن علقمة ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أضاء منها كلُّ شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كلُّ شىء .

وقال ابن ماجه : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء العِجْلى ، عن ابن عَون ، عن الحسن ، عن أبىّ بن كعب ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وجهُنا واحدٌ ، فلما قُبض نظرْنا هكذا وهكذا .

وقال أيضا : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامى ، حدثنا خالى محمد بن إبراهيم بن المطَّلب بن السائب بن أبى وَدَاعة السَّهمى ، حدثنى موسى بن عبد الله بن أبى أمية المخزومى ، حدثنى مُصْعَب بن عبد الله ، عن أم سلمة بنت أبى أمية زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : كان الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام المصلِّى يصلى لم يَعْدُ بصرُ أحدهم موضعَ قدميه ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعدُ بصرُ أحدهم موضعَ جبينه ، فتوفى أبو بكر وكان عمر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعدُ بصرُ أحدهم موضعَ القبلة ، فتوفى عمر وكان عثمان وكانت الفتنة ، فتلفَّت الناس يمينا وشمالا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن ثابت عن أنس ؛ أن أم أيمن بكت لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها مايبكيك على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : إني قد علمت أن رسول الله سيموت ، ولكنني إنما أبكي على الوحي الذي رُفع عنا .

هكذا رواه مختصراً .

وقد قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن نُعيم ومحمد بن النَّضْر الجارُودي ، قالا : حدثنا الحسن بن على الخولاني[1] ، حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم أيمن زائراً وذهبتُ معه ، فقرَّبت إليه شرابا . فإما كان صائماً وإما كان لا يريده فردَّه ، فأقبلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم تُضاحكه. فقال أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نَزُورها .

فلما انتهينا إليها بكت . فقالا لها : مايبكيك ؟ ماعند الله خيرٌ لرسوله . قالت : والله ما أبكي ألا أكون أَعْلم أن ماعند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أن الوَحْي انقطع من السماء .

فهيَّجتْهما على البكاء فجعلا يبكيان .

ورواه مسلم منفرداً به عن زُهَير بن حَرْب ، عن عمرو بن عاصم به .

* * *

وقال موسى بن عُقْبة في قصة وفاة رسول صلى الله عليه وسلم وخطبة أبي بكر فيها: قال : ورجع الناسُ حين فرغ أبو بكر من الخطبة وأم أيمن قاعدة تبكي ، فقيل لها : مايبكيك ؟ قد أكرمَ الله نبيه صلى الله عليه وسلم فأدخله جَنَّته ، وأراحه من نَصَب الدنيا .

---

(١) ا : الحلواني .

فقالت : إنما أبكى على خَبَر السماء كان يأتينا غَضًّا جديداً كلَّ يوم وليلة ، فقد انقطع ورُفع ، فعليه أبكى .

فعجِب الناس من قولها .

وقد قال مسلم بن الحجَّاج فى صحيحه : وحُدثت عن أبى أسامة ، وممن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنى بُرَيْد بن عبد الله عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله إذا أراد رحمةَ أمة من عباده قَبض نبيَّها قَبْلَها فجعله لها فَرَطا وسَلَفا يشهد لها ، وإذا أراد هَلَكة أمة عذَّبها ونبيُّها حىٌّ فأهلكها وهو ينظر إليها فأقرَّ عينه بِهَلَكتها حين كذَّبوه وعصوا أمره » .

تفرد به مسلم إسناداً ومتنا .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رَوَّاد ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله — هو ابن مسعودٍ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله ملائكة سَيَّاحين يبلّغونى عن أمتى السلام » .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حياتى خيرٌ لكم تُحَدِّثون ويُحَدَّث لكم ، ووفاتى خير لكم تُعرَض علىَّ أعمالكم ؛ فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرتُ الله لكم » . ثم قال البزّار : لا نعرف آخره يُروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه .

قلت : وأما أوله وهو قوله عليه السلام : « إن لله ملائكة سَيَّاحين يبلغونى عن أمتى السلام » فقد رواه النسائى من طرق متعددة ، عن سفيان الثَّورى وعن الأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه به .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن على الُجعْفى ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن أبى الأشعث الصَّنْعانى ، عن أَوْس بن أوس ، قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « مِن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قُبض ، وفيه النَّفْخة ، وفيه الصَّعقة ، فأكثِروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ » .

قالوا : يارسول الله كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ - يعنى قد بَليت - قال : « إن الله قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادَ الأنبياء عليهم السلام » .

وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله وعن الحسن بن على ، والنسائى عن إسحاق بن منصور ، ثلاثتهم عن حسين بن على به . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن حسين بن على ، عن ابن جابر ، عن أبى الأشعث ، عن شَدَّاد بن أوس فذكره.

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّى : وذلك وهمٌ من ابن ماجه ، والصحيح أوس بن أوس وهو الثقفى رضى الله عنه .

قلت : وهو عندى فى نسخة جيدة مشهورة على الصواب ، كما رواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أوس ابن أوس .

ثم قال ابن ماجه : حدثنا عمرو بن سَوَّاد المصرى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عُبادة بن نُسَىّ ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثِروا الصلاةَ علىّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة ، وإنّ أحدًا لن يُصلّى علىّ إلا عُرضت علىّ صلاته حتى يَفْرغ منها » . قال قلت : وبعدَ الموت ؟ قال : إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجسادَ الأنبياء عليهم السلام - نبى الله حىٌّ ويرزق [1] .

وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله .

وقد عقد الحافظ ابن عساكر هاهنا بابا فى إيراد الأحاديث المروية فى زيارة قبره الشريف صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وموضع استقصاء ذلك فى كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

---

(١) ابن ماجه حديث ١٦٣٧ : فنبى الله حى يرزق .

ذكر ما ورد من التعزية به عليه الصلاة والسلام

وقال ابن ماجه : حدثنا الوليد بن عمرو بن السُّكَيْن ، حدثنا أبو هَمّام وهو محمد بن الزِّبْرِقان الأَهْوَازى ، حدثنا موسى بن عُبَيدة ، حدثنا مُصْعَب بن محمد ، عن أبى سلمة ابن عبدالرحمن ، عن عائشة ، قالت : فَتَح رسول الله صلى الله عليه وسلم باباً بينه وبين الناس - أو كشف سِتْرا - فإذا الناس يصلون وراء أبى بكر ، فحمد الله على ما رأى من حُسن حالهم رجاء أن يَخْلُفَه فيهم بالذى رآهم (١) . فقال : « يا أيها الناس أيما أحدٍ مِن الناس أو من المؤمنين أصيبَ بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بى عن المصيبة التى تصيبه بغيرى ، فإن أحدا من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشدَّ عليه من مُصيبتى » .

تفرد به ابن ماجه .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه ، حدثنا شافع بن محمد حدثنا أبو جعفر بن سلامة الطحاوى ، حدثنا المزنى ، حدثنا الشافعى ، عن القاسم بن عبدالله ابن عمر بن حَفْص ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن رجالا من قريش دخلوا على أبيه على بن الحسين ، فقال : ألا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى . فحدثنا عن أبى القاسم قال : لما أن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله أرسلنى إليك تكريما لك وتشريفا لك وخاصة لك ، أسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : « أجدنى يا جبريل مغموما ، وأجدنى يا جبريل مكروباً » .

ثم جاءه اليوم الثانى فقال له ذلك فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم كما رد أول يوم، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما رد ، وجاء معه ملك يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك، كل ملك على مائة ألف ملك ، فاستأذن عليه فسأل عنه ثم قال:

---

(١) ابن ماجه حديث ١٢٥٩ : ورجاء أن يخلفه الله فيهم .

جبريل : هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمى قبلك ، ولا يستأذن على آدمى بعدك . فقال عليه السلام : إيذن له . فأذن له .

فدخل فسلم عليه ثم قال : يا محمد إن الله أرسلنى إليك فإن أمرتنى أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتنى أن أتركه تركته. فقال رسول الله : « أو تفعل يا ملك الموت ؟ » قال: نعم ، وبذلك أمرت ، وأمرت أن أطيعك .

قال : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال له جبريل : يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت: « امض لما أُمرت به » فقبض روحه .

فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت ، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وخَلَفا من كل هالك ، ودَرَكاً من كل فائت ، فبالله فثِقُوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حُرم الثواب .

فقال على رضى الله عنه : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام .

وهذا الحديث مرسل وفى إسناده ضعف بحال القاسم العُمَرى هذا ، فإنه قد ضَعَّفه غير واحد من الأئمة ، وتَركه بالكلية آخرون . وقد رواه الربيع عن الشافعى عن القاسم عن جعفر عن أبيه عن جده ـ فذكر منه قصة التعزية فقط موصولا ـ وفى الإسناد العُمَرى المذكور ، قد نبهنا على أمره لئلا يُغْتَرّ به .

على أنه قد رواه الحافظ البيهقى ، عن الحاكم ، عن أبى جعفر البغدادى ، حدثنا عبد الله بن الحارث أو عبد الرحمن بن المرتعد الصَّغَانى ، حدثنا أبو الوليد المخزومى ، حدثنا أنس بن عياض ، عن جعفر بن محمد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم [ناداهم منادٍ] يسمعون الحس ولا يرون الشخص . فقال : السلام عليكم

أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن فى الله عزاءً من كل مصيبة ، وخَلَفاً من كل فائت ، ودَرْكاً من كل هالك ، فبالله فثِقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حُرِم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم قال البيهقى : هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر ، ويدل على أن له أصلا من حديث جعفر والله أعلم .

وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن بالَوَيْه ، حدثنا محمد بن بشر بن مَطر ، حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا عَبَّاد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحْدَق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا ، فدخل رجل أشهب اللحية جَسِيم صَبِيح فتخطَّى رقابهم فبكى ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وعِوَضا من كل فائت ، وخَلَفا من كل هالك ، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ، ونَظَره إليكم فى البلايا فانظروا ، فإن المصاب من لم يُجْبَر ، فانصرف .

فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلى : نعم هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَضِر .

ثم قال البيهقى : عَبَّاد بن عبد الصمد ضعيف . وهذا مُنْكر بمرة .

وقد روى الحارث بن أبى أسامة عن محمد بن سعد ، أنبأنا هاشم بن القاسم ، حدثنا صالح المزِّى ، عن أبى حازم المدَنى ، أن رسول الله حين قبضه الله عز وجل دخل المهاجرون فَوْجاً فوجاً يصلون عليه ويخرجون ، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك ، ثم دخل أهل المدينة حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ، فكان منهن صوتٌ وجَزع كبعض ما يكون منهن ، فسمعن هَدَّةً فى البيت فعرفْن فسكتن ، فإذا قائل يقول : إن فى الله عزاء

من كل هالك ، وعوضا من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، والمجبور من جَبره الثوابُ والمصاب من لم يَجْبره الثواب .

فصـــل

فيما روى من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته عليه السلام

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا عبدالله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبدالله البجَلى ، قال : كنت باليمن فلقيتُ رجلين من أهل اليمن ذا كَلَاع وذا عمرو ، فجعلت أحدثهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقالا لى : إنْ كان ما تقول حقا فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث .

قال : فأقبلت وأقبلا ، حتى إذا كنا فى بعض الطريق رُفع لنا رَكْب من المدينة ، فسألناهم فقالوا : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر والناس صالحون . قال: فقالا لى : أخبر صاحبك أنا قد جئنا ، ولعلنا سنعود إن شاءالله عز وجل .

قال : ورجعا إلى اليمن ، فلما أتيت أخبرت أبا بكر بحديثهم قال : أفلا جئت بهم ؟ فلما كان بعدُ قال لى ذو عمرو : يا جرير إن لك علىَّ كرامة وإنى مُخْبِرك خبراً ، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمَّرتم فى آخر ، أمّا إذا كانت بالسيف كنتم ملوكا تغضبون غضب الملوك وترضون رضا الملوك .

هكذا رواه الإمام أحمد والبخارى عن أبى بكر بن أبى شيبة ، وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان عنه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا على بن المتوكل ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، حدثنا زائدة ، عن زياد بن علاقة ، عن جرير ، قال : لقينى حَبْر باليمن وقال لى : إن كان صاحبكم نبيا فقد مات يوم الاثنين .

هكذا رواه البيهقى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا زائدة ؛ حدثنا زياد بن علاقة ، عن جرير ، قال:قال لى حبر باليمن : إن كان صاحبكم نبيا فقد مات اليوم . قال جرير : فمات يوم الاثنين .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن بِشْران المعدِّل ببغداد ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عمرو ، حدثنا محمد بن الهيثم ، حدثنا سعيد بن كثير بن عُفير ، حدثنى عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب بن عدى التنوخى ، عن عمرو بن الحارث ، عن ناعم بن أَجْبَل ، عن كعب بن عدى ، قال : أقبلت فى وفد من أهل الحيرة إلى النبى صلى الله عليه وسلم : فعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة .

فلم نلبث أن جاءتنا وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فارتاب أصحابى وقالوا : لو كان نبيا لم يمت . فقلت : قدمات الأنبياء قبلَه ، وثبتُّ على إسلامى ، ثم خرجت أريد المدينة فمررت براهب كنا لا نَقْطع أمراً دونه ، فقلت له : أخبرنى عن أمر أردتُه نَفَخ فى صدرى منه شئ ، فقال : إئت باسم من الأسماء . فأتيته بكعب فقال : ألقه فى هذا السِّفْر ، لسفر أخرجه ، فألقيت الكعبَ فيه فصفح فيه فإذا بصفة النبى صلى الله عليه وسلم كما رأيته ، وإذا هو يموت فى الحِين الذى مات فيه .

قال : فاشتدَّت بَصِيرتى فى إيمانى ، وقدِمت على أبى بكر رضى الله عنه فأعلمته وأقمت عنده ، فوجَّهنى إلى المقوقس فرجعت ، ووجهنى أيضا عمر بن الخطاب فقدمت عليه بكتابه ، فأتيته ، وكانت وقعة اليرموك ولم أعلم بهـا فقال لى : أعلمتَ أن الروم قَتلت العربَ وهزمتهم ؟ فقلت كلا قال : ولم ؟ قلت إن الله وعد نبيه أن يُظْهره على الدين كله ، وليس بمُخْلف الميعاد .

قال : فإن نبيكم قد صدقكم ، قُتلت الروم والله قتلَ عاد .

قال : ثم سألني عن وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وأهدى إلى عمر وإليهم ، وكان ممن أهدى إليه عليّ وعبد الرحمن والزبير — وأحسبه ذكر العباس —

قال كعب : وكنت شريكا لعمر في البَزّ في الجاهلية ، فلما أن فَرض الديوان فرض لي في بني عدي بن كعب .

وهذا أثر غريب وفيه نبأ عجيب وهو صحيح .

فصل

قال محمد بن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجمَ النفاق ، وصار المسلمون كالغنَم المِطيرة في الليلة الشاتية لفَقْد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضي الله عنه .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتّاب بن أُسَيد رضي الله عنه فتوارى ، فقام سُهَيل بن عمرو رضي الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلامَ إلا قوة ، فمن رابَنا ضَرْبنا عنقه .

فتراجَع الناس وكفُّوا عما هموا به ، فظهر عَتّاب بن أسيد .

فهذا المقامُ الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر الخطاب — يعني

حين أشار بقلع ثَنِيّته حين وقع فى الأسارى يوم بدر ـ : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمنّه !

قلت : وقد ذكرنا[1] ماوقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الردة فى أحياء كثيرة من العرب ، وما كان من أمر مُسَيلمة بن حبيب المتنبئ باليمامة ، والأسود العَنْسى باليمن ، وما كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه فى حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذى استفزهم الشيطان به ، حتى نصَرهم الله وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدى الخليفة الصديق أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه .

(١) وذلك فى أخبار سنة إحدى عشرة من البداية والنهاية المؤلف

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره قصائد لحسان بن ثابت رضى الله عنه فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أجلّ ذلك وأفصحه وأعظمه، مارواه عبد الملك بن هشام رحمه الله عن أبى زيد الأنصارى، أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بطَيْبةَ رَسْمٌ للرسول ومَعْهدُ ... مُنيرٌ وقد تَعْفُو الرسومُ وتَهْمدُ(١)
ولا تَمْتحِى الآياتُ من دار حُرْمة ... بها منبر الهادى الذى كان يَصْعَدُ
وواضحُ آياتٍ(٢) وباقى مَعالمٍ ... ورَبْعٌ له فيه مُصلًّى ومَسجدُ
بها حُجُرات كان يَنزل وسطها ... من الله نور يُستضاء ويوقَدُ
مَعارفُ لم تُطْمَس على العهد آيُها ... أتاها البلَى فالآىُ منها تَجدَّدُ
عرفتُ بها رَسْمَ الرسول وعَهْدَه ... وقبراً بها واراه فى الترب مُلْحَدُ
ظلَلْتُ بها أبكى الرسولَ فأسْعدت ... عيونٌ ومِثْلاها من الجنّ تُسْعِدُ
يُذَكّرن آلاءَ الرسول ولا أرى ... لها مُحْصياً نفسى فنفسى تَبَلَّدُ
مُفَجَّعة قد شَفَّها فَقْدُ أحمدٍ ... فظَلَّت لآلاء الرسول تُعَدِّدُ
وما بَلغت من كل أمرٍ عَشِيره ... ولكنْ لنفسى بعد ماقد تَوَجَّدُ
أطالت وقوفاتَذْرِف العينُ جُهْدَها ... على طَلل القبر الذى فيه أحمدُ
فبوركتَ ياقبرَ الرسول وبُوركت ... بلادٌ ثوى فيها الرشيدُ المسدَّدُ

---

(١) الأصل : تهد . وما أثبته عن ابن هشام ٢/٦٦٦

(٢) ابن هشام : آثار

وبُورِكَ لحدٌ منك ضُمِّن طَيِّباً ... عليه بناءٌ من صفيح مُنَضَّدُ(١)

تُهِيل عليه التُّربَ أيدٍ وأعينٌ ... عليه ـ وقد غارت بذلك أَسْعُدُ

لَقد غَيَّبوا حِلْما وعِلما ورحمةً ... عشيةَ علَّوه الثَّرى لايُوسَّدُ

وراحوا بُحزْن ليس فيهم نبّيهم ... وقد وَهنت منهم ظهورٌ وأعْضدُ

ويَبْكون من تبكى السموات يومَه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أَكْمَد

وهل عَدَلتْ يوماً رَزِيَّةُ هالك ... رزيةَ يومٍ مات فيه محمدٌ

تَقطَّع فيه مَنْزِل الوحى عنهم ... وقد كان ذا نور يَغُور ويُنْجِدُ

يدلُّ على الرحمن من يَقْتدى به ... ويُنْقِذُ من هَوْل الخزايا ويُرْشِدُ

إمامٌ لهم يَهْديهم الحقَّ جاهداً ... مُعلِّمٍ صِدْق إن يطيعوه يَسْعدُوا

عَفُوٌّ عن الزَّلات يَقْبل عذرَهم ... وإن يُحْسنوا فالله بالخير أَجْودُ

وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بحَمْله ... فمِن عنده تيسير مايتشدَّدُ

فبيناهمُ فى نعمة الله وَسْطهم ... دليلٌ به نَهْج الطريقة يُقْصَدُ

عزيز عليه أن يَجُوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

عطوفٌ عليهم لايُثَنِّى جَناحه ... إلى كَنَف يَحْنو عليهم ويَمْهَدُ

فبيناهمُ فى ذلك النور إذ غدَا ... إلى نورهم سَهْم من الموت مُقْصِدُ

فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكّيه حَقُّ المُرْسَلات ويَحْمَدُ(٢)

وأمست بلادُ الُحرْم وحشاً بِقاعها ... لِغَيبة ما كانت من الوحى تَعْهَدُ

قِفاراً سوى مَعْمورة اللحد ضافَها ... فقيدٌ يبكِّيه بلاط وغَرْقَدُ(٣)

ومَسْجده فالموحِشات لفقده ... خلاءٌ له فيها(٤) مَقامٌ ومَقْعَد

---

(١) من ت وابن هشام

(٢) المرسلات : الملائكة . وفى ج : جفن المرسلات . ويروى جن ، أى الملائكة المستورون

(٣) البلاط : الأرض المستوية الملساء . والغرقد : شجر . (٤) ابن هشام : فيه

وبالجمرة الكبرى له ثمَّ أوحشت ... ديارٌ وعرصات وربعٌ ومولدُ
فبكِّى رسولَ الله ياعين عَبْرةً ... ولا أعرِفنْك الدهرَ دمْعك يجمدُ
ومالك لاتبْكين ذا النِّعمة التى ... علَى الناسِ منها سابغٌ يتغمَّدُ
فجودِى عليه بالدموع وأعولِى ... لفقد الذى لا مثلَه الدهر يوجدُ
وما فقد الماضون مثلَ محمد ... ولا مثله حتى القيامة يُفقدُ
أعفَّ وأوفَى ذمةً بعد ذمة ... وأقرب منه نائلا لاينكَّدُ
وأبذلَ منه للطَّريف وتالدٍ ... إذا ضَنَّ مِعطاء بما كان يتْلَدُ
وأكرمَ حيًّا[1] فى البيوت إذا انتمَى ... وأكرم جدًّا أبطَحيًّا يُسوَّدُ
وأمنعَ ذِرْوات وأثبتَ فى العلا ... دعائمَ عِزٍّ شاهقات تُشيَّدُ
وأثبتَ فرعا فى الفروعِ ومَنْبتاً ... وعُودا غَذاه المُزْن فالعود أغْيَدُ
رباه وليداً فاستتمَّ تمامَه ... على أكرم الخيرات ربٌّ مُمجّدُ
تناهت وَصاة المسلمين بكفه ... فلا العِلْم محبوس ولا الرأى يُفنَدُ
أقول ولا يُلفَى لماقلت[2] عائبٌ ... من الناس إلا عازب العقل مُبْعَدُ
وليس هوائى نازعا عن ثنائه ... لعلِّى به فى جنة الخلد أخْلدُ
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وقال الحافظ أبو القاسم السهيلى فى آخر كتابه الروض : وقال أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرِقتُ فبات ليلى لا يزَولُ ... وليلُ أخى المصيبة فيه طُولُ
وأسعدَنى البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليلُ
لقد عَظُمت مصيبتنا وجَلَّت ... عشيةَ قيل قد قُبض الرسولُ

(١) ا : صيتا .
(٢) ابن هشام : لقولى .

وأضحت أرضُنا مما عَراها تكاد بنا جوانبها تَميلُ
فقَدْنا الوحَى والتنزيل فينا يروح به ويغدو جِبْرَئيلُ
وذاك أحقُّ ماسالت عليه نفوسُ الناس أو كادت[1] تَسيلُ
نبيٌّ كان يجلو الشكَّ عنا بما يوحَى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالًا علينا والرسول لنا دليلُ
أفاطم إن جزعت فذاك عُذْرٌ وإن لم تجزعى ذاك السبيلُ
فقبرُ أبيك سيدُ كل قبر وفيه سيدُ الناس الرسولُ

---

(١) الروض الأنف : كربت .

باب

بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمَة ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئا يُورث عنه بل أرضا جعلها كلها صدقة لله عز وجل

فإن الدنيا بحذافيرها كانت أحقرَ عنده – كما هي عند الله – من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثا صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم تسليما كثيراً دائما إلى يوم الدين .

قال البخارى : حدثنا قُتَيبة ، حدثنا أبو الأَحْوَص ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن الحارث ، قال : ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمَة، إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة .

انفرد به البخارى دون مسلم ، فرواه فى أماكن من صحيحه من طرق متعددة ، عن أبى الأحوص وسفيان الثورى وزهير بن معاوية .

ورواه الترمذى من حديث إسرائيل ، والنسائى أيضا من حديث يونس بن أبى إسحاق ، كلهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبِيعى ، عن عمرو بن الحارث بن المصْطَلق بن أبى ضِرَار ، أخى جُوَيرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنهما به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش وابن نُمير ، عن الأعمش ، عن شَقِيق، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : ماترك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشىء .

وهكذا رواه مسلم منفرداً به عن البخاري وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق

متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش ، عن شقيق بن سلمة أبى وائل ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرَّأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ بن حُبَيش ، عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا أمَةً ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً .

وحدثنا عبد الرحمن عن سفيان ، عن عاصم عن زِرّ عن عائشة : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً .

قال سفيان : وأكثر علمى وأشك فى العبد والأمة .

وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل عن بِنْدَار ، عن عبد الرحمن بن مهدى به .

قال الإمام أحمد : وحدثنا وكيع ، حدثنا مِسْعر ، عن عاصم بن أبى النَّجُود ، عن زِرّ عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً .

هكذا رواه الإمام أحمد من غير شك .

وقد رواه البيهقى ، عن أبى زكريا بن أبى إسحاق المزكِّى ، عن أبى عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، أنبأنا جعفر بن عون ، أنبأنا مِسْعَر ، عن عاصم عن زِرّ ، قال : قالت عائشة: تسألونى عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وَليدة .

قال مِسْعَر : أراه قال : ولا شاة ولا بَعِيراً .

قال : وأنبأنا مِسْعر ، عن عَدى بن ثابت ، عن على بن الحسين ، قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وَلِيدة .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن إبرهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى إلى أجل ، ورهَنه درعا من حديد .

وفى لفظ للبخارى رواه عن قَبِيصة ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة رضى الله عنها . قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم ودرعه مَرهونة عند يهودى بثلاثين[1] .

ورواه البيهقى من حديث يزيد بن هارون ، عن الثّورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود عنها ، قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بثلاثين صاعا من شعير .

ثم قال : رواه البخارى ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان .

* * *

ثم قال البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أبو بكر محمد بن حَمُّويه العسكرى ، حدثنا جعفر بن محمد القَلانسى ، حدثنا آدم ، حدثنا شَيْبان ، عن قتادة عن أنس ، قال : لقد دُعِى رسول الله صلى الله عليه وسلم على خبز شعير وإهالة سَنِخة[2] . قال أنس : ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع بُرّ ولا صاع تمر » . وإن له يومئذ تسع نسوة ، ولقد رهَن درعا له عند يهودى بالمدينة وأخذ منه طعاما فما وجد ما يفتكُّها به حتى مات صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زاد فى البخارى : أى صاعاً من شعير . (٢) الإهالة : الزيت . السنخة : المتغيرة الرائحة .

وقد روى ابن ماجه بعضه من حديث شيبان بن عبد الرحمن النحوى عن قتادة به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم نظر إلى أُحد فقال : « والذى نفسى بيده مايسرُّنى أن أُحداً لآل محمد ذهبا أنفقه فى سبيل الله ، أموت يوم أموت وعندى منه ديناران إلا أن أرْصُدهما لدَيْن » .

قال : فمات فما ترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وَليدة ، فترك درعه رهناً عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير .

وقد روى آخرَه ابنُ ماجه ، عن عبد الله بن معاوية الجمحى ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خَبَّاب العَبْدى الكوفى به . ولأوّله شاهدٌ فى الصحيح من حديث أبى ذر رضى الله عنه .

***

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعَفان ، قالوا : حدثنا ثابت — هو ابن يزيد — حدثنا هلال — هو ابن خَبَّاب — عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثَّر فى جَنْبه . فقال : يا نبى الله لو اتخذتَ فراشا أوْثَر من هذا ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سار فى يوم صائف فاستظلَّ تحت شجرة ساعةً من نهار ثم راح وتركها » .

تفرد به أحمد وإسناده جيد .

وله شاهد من حديث ابن عباس عن عمر فى المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم ؛ وقصة الإيلاء . وسيأتى الحديث مع غيره[1] مما شاكله فى بيان زهده عليه السلام وتركه الدنيا ، وإعراضه عنها ، واطراحه لها ، وهو مما يدل على ما قلناه من أنه عليه السلام لم تكن الدنيا عنده ببالٍ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : دخلت أنا وشَدّاد بن مَعْقل على ابن عباس فقال ابن عباس : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللَّوحين . قال : ودخلنا على محمد بن على فقال مثل ذلك .

وهكذا رواه البخارى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيينة به .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا مالك بن مِغْوَل ، عن طلحة ، قال سألت عبدَ الله بن أبى أوفى : أأوصى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كُتب على الناس الوصية ، أو أمروا[2] بها ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن مالك ابن مِغْول به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك ابن مغول .

تنبيـــه

قد ورد أحاديث كثيرة سنوردها قريبا بعد هذا الفصل فى ذكر أشياء كان يختص بها صلوات الله وسلامه عليه فى حياته من دور ومساكن نسائه وإماء وعبيد

---

(١) وذلك فى قسم الشمائل من متعلقات السيرة النبوية : الذى سننشره مفردا .

(٢) البخارى : أو أمروا بالوصية .

وخيول وإبل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك مما سنوضحه بطرقه ودلائله .

فلعله عليه السلام تصدّق بكثير منها فى حياته مُنَجّزاً ، وأعتق من أعتق من إمائه وعبيده ، وأرصدما أَرْصَدَهمن أمتعته ، مع ما خصه الله به من الأرضين من بنى النَّضير وخيبر وفَدَك فى مصالح المسلمين على ماسنبينه إن شاء الله ، إلا أنه لم يخلّف من ذلك شيئا يورث عنه قطعا ، لما سنذكره قريبا . وبالله المستعان .

باب

بيان أنه عليه السلام قال : لا نورث

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبى الزِّنَاد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة يَبْلُغ به ، وقال مرةً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يقْتسم ورثتى ديناراً ولا درهما ، ماتركتُ بعدَ نفقة نسائى ومُؤنة عاملى فهو صدقة » .

وقد رواه البخارى ومسلم وأبو داود من طرق ، عن مالك بن أنس ، عن أبى الزناد عبدالله بن ذَكْوَان ، عن عبد الرحمن بن هُرْمز الأعرج ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايقتسم ورثتى ديناراً ، ماتركتُ بعدَ نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة » .

لفظ البخارى .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مَسْلَمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرَدْن أن يبعثن عثمانَ إلى أبى بكر ليسألنه ميراثهن ، فقالت عائشة : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ، ماتركنا صدقة ؟ » .

وهكذا رواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القَعْنَبى ، والنسائى عن قتيبة ، كلهم عن مالك به .

فهذه إحدى النساء الوارثات ـ إن لو قدّر ميراث ـ قد اعترفتْ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَعل ماتركه صدقةً لاميراثا ، والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقْنها على

ماروَت ، وتذكّرن ماقالت لهن من ذلك ، فإن عبـارتها تُؤذِنُ بأَن هـذا أمر مقرَّر عندهن . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا إسماعيل بن أَبَان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن يونس، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « لا نورث ماتركنا صدقة » .

وقال البخارى : باب قول رسول الله : لانُورَث ماتَركْنا صدقة : حدثنا عبـد الله ابن محمد ، حدثنا هشام ، أنبأنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فَدَك وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعتُ رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول « لانُورَث ماتركنا صدقة ، إنمـا يأكل آل محمد من هذا المـال » .

قال أبو بكر : والله لاأدعُ أمراً رأيت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يصنعه فيـه إلا صنعتــه .

قال : فهجرتْه فاطمة فلم تـكلمه حتى ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر .

ثم رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كَيْسان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسـول الله ميراثها مما ترك مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : «لا نورَث ماتركنا صدقة »فغضبت فاطمة وهجرتأبا بكر فلمتزل مُهاجِرتهحتى توفيت.

قال : وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، وذكر تمام الحديث .

هكذا قال الإمام أحمد . وقد روى البخارى هذا الحديث فى كتاب المغازى من صحيحه عن ابن بُكَيْر ، عن الليث ، عن عَقِيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة كما تقدم ، وزاد : فلما توفيت دفنها علىٌّ ليلا ولم يُؤْذِن أبا بكر وصلى عليها .

وكان لعلى من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة ، فلما توفيت استنكر علىٌّ وجوهَ الناس ، فالتمس مصالحةَ أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبى بكر : إيتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لمَا علم من شدة عمر . فقال عمر : والله لاتدخل عليهم وحدك . قال أبو بكر : وما عسى أن يصنعوا بى ؟ والله لآتينهم .

فانطلق أبو بكر رضى الله عنه [فتشهَّد علىٌّ] وقال : إنا قد عرفنا فضلَك وما أعطاك الله ، ولم نَنفَس عليك خيراً ساقه الله إليك ، ولكنكم استبددتم بالأمر ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لنا فى هذا الأمر نصيبا ، فلم يزل علىٌّ يذكر حتى بكى أبو بكر رضى الله عنه . وقال : والذى نفسى بيده لقَرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلىَّ أن أصِل من قرابتى ، وأما الذى شجَر بينكم فى هذه الأموال فإنى لم آلُ فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعته .

فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر رقَى على المنبر فتشهد وذكر شأن علىٍّ وتخلّفه عن البيعة وعُذْره بالذى اعتذر به ، وتشَّهد على رضى الله عنه فعظَّم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته ، وحدَّث أنه لم يحمله على الذى صَنع نَفَاسةٌ على أبى بكر . ثم قام إلى أبى بكر رضى الله عنهما فبايعه . فأقبل الناس على علىّ فقالوا : أحسنتَ . وكان الناس إلى علىٍّ قريبا حين راجع الأمرَ المعروفَ .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق متعددة عن الزهرى عن عروة عن عائشة بنحوه .

فهذه البيعة التى وقعت من على رضى الله عنه ، لأبى بكر رضى الله عنه ، بعد وفاة

فاطمة رضى الله عنها ، بيعة مؤكِّدة للصلح الذى وقع بينهما وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها أولا يوم السقيفة ، كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن علىٌّ مجانبا لأبى بكر هذه الستة الأشهر، بل كان يصلى وراءه ويحضر عنده المشورة ، وركب معه إلى ذى القصّة .

وفى صحيح البخارى أن أبا بكر رضى الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بليال ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن على يلعب مع الغلمان ، فاحتمله على كاهله وجعل يقول :

يابأبى شِبْه النَّبِى * ليس شبيهاً بعلِى

وعلى يضحك . ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها فنفَى ذلك ، والمثبِت مقدَّم على النافى كما تقدم وكما تقرر . والله أعلم .

***

وأما تغضُّب فاطمة رضى الله عنها وأرضاها على أَبى بكر رضى الله عنه وأرضاه فما أدرى ما وجهه .

فإن كان لمنعه إياها ماسألته من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله ، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » وهى ممن تَنْقاد لنصّ الشارع الذى خَفِى عليها قبل سؤالها الميراثَ ، كما خفى على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى أخبرتهن عائشة بذلك ، ووافقْنها عليه .

وليس يُظَن بفاطمة رضى الله عنها أنها اتهمت الصِّديق رضى الله عنه فيما أخبرها به ، حاشاها وحاشاه من ذلك ، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمرُ بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلىٌّ بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ، وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . كما سنبينه قريبا .

ولو تفرّد بروايته الصّدّيق رضى الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك .

وإن كان غضبُها لأجل ماسألت الصديقَ ، إذ كانت هذه الأراضى صدقةً لا ميراثا أن يكون زوجها ينظر فيها ، فقد اعتذر بما حاصله : أنه لما كان خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويَلِى ما كان يليه رسول الله ، ولهذا قال : وإنى والله لا أدَع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعتهُ . قال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت .

وهذا الهجْران والحالة هذه فتَح على فرقة الرافضة شرًّا عريضا ، وجهلا طويلا، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يَعْنيهم .

ولو تفهَّموا الأمورَ على ماهى عليه لعرفوا للصدِّيق فضلَه ، وقبلوا منه عذره الذى يجب على كل أحد قبوله .

ولكنهم طائفة مخذولة ، وفرقة مَرْذولة ، يتمسَّكون بالمتشابه ، ويتركون الأمور المحكَمة المقدَّرة عند أئمة الإسلام ، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين فى سائر الأعصار ، والأمصار رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

بيان رواية الجماعة لما رواه الصديق وموافقتهم على ذلك

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عَقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى مالك بن أوس بن الحدَثان ، وكان محمد بن جبير بن مطعم ذكر لى ذِكراً من حديثه ذلك ، فانطلقت حتى دخلت عليه فسألته فقال : انطلقت حتى أدخل على عمر فأتاه حاجبه يرْفأ فقال : هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ؟ قال : نعم فأذِن لهم . ثم قال : هل لك فى علىّ وعباس ؟ قال نعم : قال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا .

قال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة ؟ » يريد رسولُ صلى الله عليه وسلم نفسَه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل على عليّ وعباس فقال : هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك .

قال عمر بن الخطاب : فإنى أحدثكم عن هذا الأمر : إنّ الله كان قد خصّ لرسول الله فى هـذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، قال : « ما أفاء الله على رسوله[1] » إلى قوله « قدير » فكانت خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها وبثّها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله من هذا المال نفقة سَنته ، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مَجْعَلَ مال الله ، فعمل بذلك رسول الله حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم .

فتوفى الله نبيَّه ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ولىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفى الله أبا بكر فقلت : أنا ولىُّ ولىِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضتُها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم جئتمانى وكلمتكما واحدة وأمركما جميع ، حتى جئتنى تسألنى نصيبك من ابن أخيك ، وجاءنى هـذا يسألنى نصيبَ امرأته من أبيها ، فقلت : إن شئتما دفعتها إليكما بذلك ، فتلتمسان منى قضاء غير ذلك ؟ فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيها قضاءً غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما فادفعاها إلىّ فأنا أكفيكماها[2] .

---

(١) سورة الحشر ٧ .   (٢) البخارى كتاب الفرائض ٣/٢٢٧ .

وقد رواه البخارى فى أماكن متفرقة من صحيحه ، ومسلم وأهل السنن من طرق ، عن الزهرى به .

وفى رواية فى الصحيحين فقال عمر : فوليهاَ أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعلم أنه صادق بارٌّ راشد تابعٌ للحق ، ثم وَلِيتها فعملت فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، والله يعلم أنى صادق بارّ راشد تابع للحق. ثم جئتمانى فدفعتها إليكما لتعملا فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر وعملت فيها أنا ، أنشدكم بالله أدفعتُها إليهما بذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لهما . أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك ؟ قالا : نعم ، قال : أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك ؟ لا والذى بإذنه تقوم السماء والأرض .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن الزهرى ، عن مالك بن أوس ، قال سمعت عمر يقول لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد : نشدْتكم بالله الذى تقوم السماء والأرض بأمره أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « لا نُورَث ما تركنا صدقة ؟ » قالوا : نعم .

على شرط الصحيحين .

* * *

قلت : وكان الذى سألاه بعد تفويض النظر إليهما ، والله أعلم ، هو أن يَقْسم بينهما النظر ، فيجعل لكل واحد منهما نظرَ ما كان يستحقه بالأرض لو قُدِّر أنه كان وارثا .

وكأنهما قدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة منهم عثمان وابن عوف وطلحة والزبير وسعد ، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما ، فقالت الصحابة الذين قدموهم بين أيديهما : ياأمير المؤمنين اقض بينهما ، أو أرِحْ أحدهما من الآخر .

فكأن عمر رضى الله عنه تحرَّج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمةَ الميراث ولو فى الصورة الظاهرة ، محافظةً على امتثال قوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ماتركنا صدقة » فامتنع عليهم كلهم وأبى من ذلك أشدّ الإباء رضى الله عنه وأرضاه .

ثم إن عليا والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعا إلى زمان عثمان بن عفان ، فغلبه عليها علي وتركها له العباس بإشارة ابنه عبد الله رضى الله عنهما بين يدى عثمان ، كما رواه أحمد فى مسنده . فاستمرت فى أيدى العلويين .

وقد تقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه فى مُسْنَدى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فإنى ولله الحمد جمعت لكل واحد منهما مجلداً ضخما مما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآه من الفقه النافع الصحيح ، ورتبته على أبواب الفقه المصطلح عليها اليوم .

وقد روينا أن فاطمة رضى الله عنها احتجّت أولا بالقياس وبالعموم فى الآية الكريمة ، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع فى حق النبى ، وأنها سلَّمت له ماقال . وهذا هو المظنون بها رضى الله عنها .

فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ؛ حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، أن فاطمة قالت لأبى بكر : من يرثك إذا متّ ؟ قال : ولدى وأهلى . قالت : فما لنا لا نرث رسولَ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن النبى لا يورث » ولكنى أعُول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق .

وقد رواه الترمذى فى جامعه عن محمد بن المثنى ، عن أبى الوليد الطيالسى ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، فذكره فوصَل الحديث وقال الترمذى : حسن صحيح غريب .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا عبدالله بن محمد بن أبى شيبة ، حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن الوليد بن جُمَيع ، عن أبى الطفيل ، قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت فاطمة إلى أبى بكر : أأنت ورثت رسولَ الله أم أهلُه ؟ فقال : لا بل أهله ، فقالت : فأين سهمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله إذا أطعم نبيا طُعْمَة ثم قبضه جعله للذى [يقوم(١)] من بعده » فرأيت أن أردَّه على المسلمين . قالت : فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه أبو داود عن عثمان بن أبى شيبة ، عن محمد بن فضيل به .

ففى لفظ هذا الحديث غرابة ونكارة ، ولعله روى بمعنى ما فهمه بعض الرواة ، وفيهم من فيه تشيُّع ، فليُعلم ذلك .

وأحسن ما فيه قولها : أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا هو الصواب والمظنون بها ، واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها ، رضى الله عنها .

وكأنها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة فلم يجبها إلى ذلك لما قدمناه ، فتعتَّبت عليه بسبب ذلك ، وهى امرأة من بنات آدم تَأْسَف كما يأسفن ، وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة أبى بكر الصديق رضى الله عنها .

وقد روينا عن أبى بكر رضى الله عنه : أنه ترضى فاطمة وتلاينها قبل موتها فرضيت رضى الله عنها .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا عَبْدان بن عثمان العَتَكى بنيسابور ، أنبأنا أبو جَمْرة ، عن إسماعيل بن

(١) ليست فى ا .

ابن أبي خالد ، عن الشَّعْبي ، قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال علي : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك ؟ فقالت أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم .

فأذنت له فدخل عليها يترضَّاها فقال : والله ما تركتُ الدارَ والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ، ومرضاة رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت . ثم ترضاها حتى رضيت .

وهذا إسناد جيد قوى ، والظاهر أن عامر الشَّعبي سمعه من علي ، أو ممن سمعه من علي .

وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك :

قال الحافظ البيهقي : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله الصفَّار ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا ابن داود ، عن فُضَيل بن مرزوق ، قال : قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في فَدَك .

فصل

وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل ، وتكلَّفوا مالا علم لهم به ، وكذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم .

وحاول بعضهم أن يردَّ خبر أبي بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن حيث يقول الله تعالى : « وورث سليمانُ داودَ[1] » الآية . وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال : « فهَبْ لي من لدنك وليًّا ، يرثني ويرثُ من آلِ يعقوب واجعله رب رضياً[2] » .

(١) سورة النمل ١٦ .

(٢) سورة مريم ٥ ، ٦ .

واستدلالهم بهذا باطل من وجوه .

أحدها أن قوله : « وورثَ سليمانُ داودَ » إنما يعنى بذلك فى الملك والنبوة ، أى جعلناه قائما بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا ، والحكم بين بنى إسرائيل ، وجعلناه نبيا كريما كأبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده .

وليس المراد بهذا وراثة المال ، لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال مائة ، فلمَ اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال ؟ إنما المراد وراثة القيام بعده فى النبوة والملك ، ولهذا قال : «وورث سليمان داود» وقالَ : «يأيها النـاس عُلِّمنا مَنْطِقَ الطير وأوتينـا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين » وما بعـدها من الآيات .

وقد أشبعنا الـكلام على هذا فى كتابنا التفسير بمـا فيـه كفاية ولله الحمـــد والمنة كثيراً .

وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الـكرام ، والدنيا كانت عنـده أحْقَر من أن يَسأل الله ولداً ليرثه فى ماله ، كيف وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخارى ، ولم يكن ليدخر منها فوق قُوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله ، أن لو كان له مال ، وإنما سأل ولداً صالحا يرثه فى النبوة والقيام بمصالح بنى إسرائيل ، وحَمْلهم على السَّداد . ولهذا قال تعالى : « كهيعص ذِكْر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خَفِيًا ، قال رب إنى وَهَن العظمُ منىّ واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شَقيًا ، وإنى خِفْت الموالىَ من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهَبْ لى من لدنك وليًا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » القصة بتمامها . فقال : وليًّا يرثنى ويرث من آل يعقوب » يعنى النبوة كما قررنا ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

وقد تقدم فى رواية أبى سلمة عن أبى هريرة عن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « والنبى لا يورث » وهذا اسم جنس يعم كل الأنبياء وقد حسنه الترمذى . وفى الحديث الآخر : « نحن معشر الأنبياء لا نورث » .

والوجه الثانى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خُصَّ من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها ، كما سنعقد له بابا مفرداً فى آخر السيرة إن شاء الله ، فلو قُدِّر أن غيره من الأنبياء يورثون — وليس الأمر كذلك — لكان مارواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ مبيِّنا لتخصيصه بهذا الحكم دون ماسواه .

والثالث : أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء ، واعترف بصحته العلماء ، سواء كان مِنْ خصائصه أم لا . فإنه قال : « لا نورَث ماتركناه صدقة » .

إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السلام : « ماتركناه صدقة » أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ماتقدم ، وهو الظاهر . ويحتمل أن يكون إنشاءَ وصية كأنه يقول : لا نورث لأن جميع ماتركناه صدقة ، ويكون تخصيصه من حيث جواز جَعْله ماله كله صدقة .

والاحتمال الأول أظهر ، وهو الذى سلكه الجمهور ، وقد يَقْوَى المعنى الثانى بما تقدم من حديث مالك وغيره ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْتَسم ورثتى ديناراً ، ماتركت بعدَ نفقة نسائى ومُؤْنة عاملى فهو صدقة » .

وهذا اللفظ مخرَّج فى الصحيحين ، وهو يردّ تحريفَ من قال من الجهلة من طائفة الشيعة فى رواية هذا الحديث : ماتركنا صدقةً بالنصب ، جعل ما نافية ، فكيف يصنع بأول

الحـديث وهو قوله : لا نورث ؟ وبهذه الرواية : « ما تركتُ بعـدَ نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة » .

وما شأن هذا إلا كما حكى عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة : «وكلَّم الله موسى تـكليما » بنصب الجلالة ، فقال له الشيخ : ويحك كيف تصنع بقوله تعـالى : « فلما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربه » !

والمقصود أنه يجب العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركنا صـدقة » على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى ، فإنه مخصِّص لعموم آية الميراث ، ومُخرِج له عليـه السلام منها ، إما وحدَه أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

باب

ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضى عنهن وأولاده ﷺ

قال الله تعالى : « يانساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقُلْن قولا معروفا ، وقَرْن فى بيوتكن ولا تبرَّجْن تبرجَ الجاهلية الأولى وأقمن الصلاةَ وآتين الزكاة وأَطِعْن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهرَّكم تطهيرا ، واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا »(١) .

لاخلاف أنه عليه السلام توفى عن تسع وهن : عائشة بنت أبى بكر الصديق التَّيْمية، وحَفْصة بنت عمر بن الخطاب العدَوية ، وأم حبيبة رَمْلة بنت أبى سفيان صخر بن حرب ابن أمية الأموية ، وزينب بنت جحش الأسَدية ، وأم سَلَمة هند بنت أبى أمية المخزومية ، وميمونة بنت الحارث الهِلالية ، وسَوْدَة بنت زَمْعَة العامرية ، وجُوَيْرية بنت الحارث ابن أبى ضِرَار المُصْطَلقية ، وصفية بنت حُيَيّ بن أخطب النَّضَرية الإسرائيلية الهارونية ، رضى الله عنهن وأرضاهن .

وكانت له سُرِّيَّتان وهما ، مارية بنت شمعون القبطية المصرية من كَوْرة أنْصِناء وهى أم ولده إبراهيم عليه السلام ، وريحانة بنت شمعون القُرظية ، أسلمت ثم أعتقها فلحقت بأهلها . ومن الناس من يزعم أنها احتجبت عندهم والله أعلم .

***

(١) سورة الأحزاب ٣٢ــ٣٤ .

وأما الكلام على ذلك مفصلا ومرتبا من حيث ماوقع أولا فأولا ، مجموعا من كلام الأئمة رحمهم الله فنقول وبالله المستعان :

روى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقى ، من طريق سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة امرأة ، دخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات عن تسع .

ثم ذكر هؤلاء التسع اللاتى ذكرناهن رضى الله عنهن .

ورواه سيف بن عمر ، عن سعيد ، عن قتادة عن أنس ، والأول أصح [1] . ورواه سيف بن عمر التميمى عن سعيد عن قتادة عن أنس وابن عباس مثله .

وروى سيف عن سعيد بن عبد الله، عن عبد الله بن أبى مُلَيكة ، عن عائشة مثله . قالت فالمرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما ؛ عَمْرة بنت يزيد الغفارية والشَّنْباء ، فأما عَمْرة فإنه خلاَ بها وجرَّدها فرأى بها وضحا فردَّها وأوجبَ لها الصداق وحُرِّمت على غيره ، وأما الشَّنْباء فلما أُدخلت عليه لم تكن يَسِيرة فتركها ينتظر بها اليُسْرَ ، فلما مات ابنه إبراهيم على بَغْتة ذلك قالت : لو كان نبيا لم يمت ابنه . فطلقها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره .

قالت : فاللاتى اجتمعن عنده ؛ عائشة وسَوْدَة وحفصة وأم سَلَمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خُزَيمة وجُوَيْرِية وصفية وميمونة وأم شَرِيك.

قلت : وفى صحيح البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة .

والمشهور أن أم شريك لم يدخل بها كما سيأتى بيانه ، ولكن المراد بالإحدى عشرة اللاتى كان يطوف عليهن التسع المذكورات والجاريتان مارية وريحانة .

---

(١) هامش الأصل : ورواه بحير بن كثير عن قتادة عن أنس والأول أصح .

ورواه يعقوب بن سفيان الفسَوى ، عن الحجاج بن أبى مَنِيع ، عن جده عبيد الله ابن أبى زياد الرُّصافى ، عن الزهرى .

وقد علقه البخارى فى صحيحه عن الحجاج هذا .

وأورد له الحافظ ابن عساكر طرفا عنه ، أن أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى ، زوَّجه إياها أبوها قبل البعثة .

وفى رواية قال الزهرى : وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة ، وقيل خمسا وعشرين سنة ، زمانَ بنيت الكعبة . وقال الواقدى وزاد : ولها خمس وأربعون سنة .

وقال آخرون من أهل العلم : كان عمره عليه السلام يومئذ ثلاثين سنة . وعن حكيم ابن حزام قال : كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة ، وعمرها أربعون سنة .

وعن ابن عباس كان عمرها ثمانيا وعشرين سنة . رواهما ابن عساكر .

* * *

وقال ابن جَرِير : كان عليه السلام ابن سبع وثلاثين سنة ، فولدت له القاسم وبه كان يُكْنَى والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قلت : وهى أم أولاده كلهم سوى إبراهيم ، فمن مارية كما سيأتى بيانه .

ثم تكلم على كل بنت من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تزوَّجها .

وحاصله : أن زينب تزوجها العاص بن الرَّبيع بن عبد العُزى بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابن أخت خديجة ، أمه هالة بنت خويلد ، فولدت له ابنا اسمه على ، وبنتا اسمها أمامة بنت زينب ، وقد تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة ومات وهى عنده،

ثم تزجت بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وأما رقية فتزوجها عثمانُ بن عفان ، فولدت له ابنه عبدَ الله وبه كان يُكْنى أولا ، ثم اكتنَى بابنه عمرو ، وماتت رقية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر . ولما قدِم زيد ابن حارثة بالبشَارة وجدهم قد ساوَوا الترابَ عليها ، وكان عثمان قد أقام عندها يمرّضها ، فضرب له رسول الله صلى الله عيهوسلم بسَهمه وأجره ، ثم زوَّجه بأختها أم كلثوم ، ولهذا كان يقال له ذو النُّورين ، فتوفيت عنده أيضا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما فاطمة فتزوجها ابن عمه علىّ بن أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخل بها بعد وقعة بدر كما قدمنا ، فولدت له حَسناً وبه كان يكنى ، وحُسينا وهو المقتول شهيداً بأرض العراق .

قلت : ويقال ومُحسنا . قال : وزينب وأم كلثوم ، وقد تزوج زينبَ هذه ابنُ عمها عبد الله بن جعفر فولدت له عليًّا وعَوْنا وماتت عنده ، وأما أم كلثوم فتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فولدت له زيداً ومات عنها ، فتزوجت بعده ببنى عمها جعفر واحداً بعد واحد ، تزوجت بعون بن جعفر فمات عنها ، فخلَف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فخلَف عليها أخوهما عبد الله بن جعفر فماتت عنده .

قال الزُّهرى : وقد كانت خديجة بنت خويلد تزوجت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين ؛ الأول منهما عَتيق بن عائذ بن مخزوم ، فولدت منه جارية(١) وهى أم محمد بن صَيْفى ، والثانى أبو هالَة التَّميمى فولدت له هندَ بن هند(٢) .

وقد سماه ابن إسحاق فقال : ثم خلَف عليها بعدَ هلاك عائذ أبو هالَة النَّبَّاش بن زرارة

(١) واسمها هند ، كما فى المواهب ٣ / ٢٢٠

(٢) وهو هند بن أبى هالة الصحابى ، راوى حديث صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وله ولد اسمه أيضا هند ، شرح المواهب ٣ / ٢٢٠

أحـد بنى عمرو بن تميم حليف بنى عبـد الدار ، فولدت له رجلا وامرأة ثم هلك عنها ، فخلَف عليها رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم فولدت له بناته الأربع ثم بعدهن القاسم والطيّب والطاهر ، فذهب الغِلْمة جميعا وهم يرضعون .

قلت : ولم يتزوج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدةَ حياتها امرأةً .

كذلك رواه عبـد الرزاق عن مَعْمر ، عن الزهرى عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت ذلك .

وقد قدّمنا تزويجها فى موضعه وذكرنا شيئا من فضائلها بدلائلها[1] .

* * *

قال الزهرى : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بعائشة بنت أبى بكر عبد الله بن أبى قُحَافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولم يتزوج بكراً غيرها .

قلت : ولم يولد له منها ولد ، وقيل : بل أَسْقطت منه ولداً سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، ولهذا كانت تـكنى بأم عبد الله . وقيل إنما كانت تُـكْنى بعبد الله ابن اختها أسماء من الزبير بن العوام رضى الله عنهم .

قلت : وقد قيل إنه تزوج سَوْدَة قبل عائشـة ، قاله ابن إسحاق وغيره ، كما قدمنا ذكر الخلاف فى ذلك . فالله أعلم .

وقد قدّمنا صفة تزويجه عليـه السـلام بهما قبل الهجرة وتأخر دخوله بعائشة إلى مابعد الهجرة[2] .

قال : وتزوج حفصةَ بنت عمر بن الخطاب، وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حُـذافة ابن قيس بن عَدِى بن حُذَافة بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى ، مـات عنها مؤمنـا .

(١) تقدم ذكر تزويجها بالرسول فى الجزء الأول ص ٢٦٣ وذكر فضائلها فى الجزء الثانى ص ١٣٢
(٢) سبق ذلك فى الجزء الثانى ص ١٣٩

قال : وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت قبله تحت ابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

قال : وتزوج سَوْدَة بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لُؤىّ ، وكانت قبله تحت السَّكْران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو ابن عبد شمس ، مات عنها مُسْلما بعد رجوعه وإياها من أرض الحبشة إلى مكة رضى الله عنهما .

قال : وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وكانت قبله تحت عبيد الله [1] بن جحش بن رئاب من بنى أسد ابن خزيمة ، مات بأرض الحبشة نصرانيا ، بعث إليها رسول الله يَعْنى عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى أرض الحبشة ، فخطبها عليه فزوجها منه عثمان بن عفان . كذا قال والصواب عثمان بن أبي العاص وأصْدَقها عنه النجاشي أربعمائة دينار ، وبعث بها مع شُرَحْبيل بن حَسنة . وقد قدمنا ذلك كله مطولا ولله الحمد .

قال : وتزوج [زينب] بنت جحش بن رئاب بن أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ، وهى أول نسائه لحوقا به ، وأول من عُمل عليها النعش ، صنعته أسماء بنت عُمَيس عليها ، كما رأت ذلك بأرض الحبشة .

قال : وتزوج زينَب بنت خُزَيمة ، وهى من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صَعْصعة ، ويقال لها أم المساكين ، وكانت قبله تحت عبد الله بن جَحْش بن رئاب قُتل يوم أحد ، فلم تلبث عنده عليه السلام إلا يسيراً حتى توفيت رضى الله عنها .

---

(١) الأصل : عبدالله . وما أثبته عن ابن هشام والمواهب .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق : كانت قبله عند الحصين بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، أو عند أخيه الطُّفَيل بن الحارث .

قال الزهرى : وتزوج رسول الله صلى الله عليه سلم ميمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بُجَيَر بن الهُزَم بن رُؤَبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة . قال : وهى التى وهبت نفسها .

قلت : الصحيح أنه خطبها ، وكان السفير بينهما أبو رافع مولاه كما بسطنا ذلك فى عمرة القضاء .

قال الزهرى : وقد تزوجت قبله رجلين أولهما ابن عبد ياليل .

وقال سَيْف بن عمر فى روايته : كانت تحت عُمَير بن عمرو أحد بنى عَقدة بن ثقيف ابن عمرو الثقفى مات عنها ، ثم خلف عليها أبو رُهْم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى .

قال : وسَبى رسول الله صلى الله عليه وسلم جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرَار بن الحارث بن عامر بن مالك بن المصطلق من خزاعة يوم المرَيْسيع ، فأعتقها وتزوجها . ويقال بل قَدِم أبوها الحارث ، وكان ملك خزاعة ، فأسلم ثم تزوجها منه ، وكانت قبله عند ابن عمها صفوان بن أبى الشُّفر .

قال قتادة : عن سعيد بن المسيَّب والشَّعْبى ومحمد بن إسحاق وغيرهم قالوا : وكان هذا البطن من خزاعة حلفاء لأبى سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا يقول حسان :

وحِلْف الحارث بن أبى ضِرَارٍ وحِلْف قُرَيظةٍ فيكم سَواء

وقال سيف بن عمر فى روايته عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة قالت : وكانت جويرية تحت ابن عمها مالك بن صفوان بن تَوْلَب ذى الشُّفْر بن

أبى السَّرْح ابن مالك بن المصطلق .

قال : وسَبى صفيـة بنْت حُيَىّ بن أخْطَب من بنى النضير يوم خيبر وهى عروس بكنانة بن أبى الحقَيْق .

وقد زعم سيف بن عمر فى روايته أنهـا كانت قبل كنانة عنـد سَلَّام بن مِشْكم فالله أعلم .

قال : فهذه إحدى عشرة امرأة دخل بهن .

قال : وقدقسم عمر بن الخطاب فى خلافته لـكل امرأة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفا ، وأعطى جُوَيرية وصفية ستة آلاف ستة آلاف ، بسبب أنهما سُبِيتا .

قال الزهرى : وقد حجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم لهما .

قلت : وقد بسطنا الـكلام فيما تقدم فى تزويجه عليه السلام كل واحدة من هذه النسوة رضى الله عنهن فى موضعه .

* * *

قال الزهرى : وقد تزوج العالية بنت ظَبْيان بن عمرو ، من بنى بكر بن كلاب ، ودخل بها وطلقها .

قال البيهقى : كذا فى كتابى ، وفى رواية غيره : ولم يدخل بها فطلقها .

وقد قال محمد بن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الـكلبى : حدثنى رجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج العالية بنت ظَبْيان بن عمرو ابن عوف بن كعب بن عبد بن أبى بكر بن كلاب ، فمـكثت عنده دهراً ثم طلقها .

وقد روى يعقوب بن سفيان ، عن حجاج بن أبى منيع ، عن جده ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : أن الضحاك بن سفيان الـكلابى هو الذى دل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وأنا أسمع من وراء الحجاب ، قال يارسول الله هل لك فى أخت أم شَبِيب ؟

وأم شبيب امرأة الضحاك .

وبه قال الزهرى : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بنى عمرو بن كلاب فأُنبئ أن بها بياضا فطلقها ولم يدخل بها .

قلت : الظاهر أن هذه هى التى قَبْلها والله أعلم .

قال : وتزوج أخت بنى الجَوْن الكِنْدى وهم حلفاء بنى فزارة فاستعاذت منه فقال : « لقد عُذْتِ بعظيم ، الحقى بأهلك » فطلقها ولم يدخل بها .

قال : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سُرِّية يقال لها مارية ، فولدت له غلاماً اسمه ابراهيم، فتوفى وقد ملأ المهدَ ، وكانت له وليدة يقال لها ريحانة بنت شمعون من أهل الكتاب من خنافة، وهم بطن من بنى قريظة، أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنها قد احتجبت .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن على بن مجاهد أن رسول الله تزوج خَوْلة بنت الهذيل بن هُبَيْرة التَّغلبى ، وأمها خِرْنَق بنت خليفة أخت دِحْية بن خليفة ، فحملت إليه من الشام فماتت فى الطريق ، فتزوج خالتها شَراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فماتت فى الطريق أيضا .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء بنت كعب الجَوْنية فلم يدخل بها حتى طلقها وتزوج عَمْرة بنت زيد إحدى نساء بنى كلاب ثم من بنى الوحيد ، وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب، فطلقها ولم يدخل بها .

وقال البيهقى : فهاتان هما اللتان ذكرهما الزهرى ولم يسمهمًا ، إلا أن ابن إسحاق لم يذكر العالية .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس

ابنُ بكير ، عن زكريا بن أبى زائدة ،عن الشَّعْبى ، قال : وهَبْن لرسول الله صلى الله عليه وسلم نساءٌ أنفسَهن فدخل ببعضهن وأَرْجَى بعضهن ، فلم يَقْربهن حتى توفى ، ولم ينكحن بعده ، منهن أم شَريك فذلك قوله تعالى : « تُرْجِى من تشاء منهن وتُؤْوى إليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عَزلتَ فلا جُناح عليك » .

قال البيهقى : وقد روينا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كانت خَوْلة - يعنى بنت حكيم - ممن وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البيهقى : وروينا فى حديث أبى رشيد الساعدى فى قصة الجَوْنية التى استعاذت فألحقها بأهلها أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شَراحيل . كذا قال .

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله الزبيرى؛ حدثنا عبد الرحمن بن الغَسيل ، عن حمزة بن أبى أسيد، عن أبيه وعباس بن سهل عن أبيه ، قالا : مر بنا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحاب له فخرجنا معه حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشَّوْط حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اجلسوا» ودخل هو وقد أُتى بالجَوْنية فعُزلت فى بيت أميمة بنت النعمان بن شَراحيل ومعها داية لها، فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هَبِى لى نفسك . قالت : وهل تَهَبُ المَلِكة نفسها للسُّوقة ! وقالت : إنى أعوذ بالله منك . قال : لقد عذتِ بمعاذ .

ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكسها دراعتين وألحقها بأهلها » .

وقال غير أبى أحمد : امرأة من بنى الجَوْن يقال لها أمينة .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الغَسِيل ، عن حمزة بن أبى أُسَيد، عن أبى أسيد ، قال : خرجنا مع رسول الله حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط ، حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما ، فقال : « اجلسوا هاهنا » فدخل وقد أُتى بالجونية فأُنزلت فى محل فى بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعها دايتها حاضنة لها ، فلما دخل عليها

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَبِي لى نفسك » . قالت : وهل تهبُ المِلكة نفسها لسُوقة ؟ ! قال : فأهْوَى بيده يضع يده عليها لتَسْكن ، فقالت: أعوذ بالله منك . قال: « لقد عُذْتِ بمعاذ » . ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكْسها رازقيين (١) وألحقها بأهلها » .

قال البخارى : وقال الحسين بن الوليد ، عن عبد الرحمن بن الغَسِيل ، عن عباس ابن سهل بن سعد ، عن أبيه وأبى أسيد ، قالا : تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شَراحيل ، فلما أُدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك . فأمر أبا أُسيد أن يجهِّزها ويكسوها ثوبين رازقيين .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن الوزير ، حدثنا عبد الرحمن بن حمزة ، عن أبيه وعن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه بهذا .

انفرد البخارى بهذه الروايات من بين أصحاب الكتب .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعى ، سألت الزهرى : أى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم استعاذت منه ؟ فقال : أخبرنى عروة عن عائشة أن ابنة الجَوْن لما أدخلت على رسول الله قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عُذْتِ بعظيم ، الحقى بأهلك » .

قال : ورواه حَجَّاج بن أبى مَنِيع ، عن جده عن الزهرى أن عروة أخبره أن عائشة قالت . الحديث .

انفرد به دون مسلم .

قال البيهقى : ورأيت فى كتاب المعرفة لابن مَنْدَه أن اسم التى استعاذت منه أميمة بنت النعمان بن شراحيل . ويقال فاطمة بنت الضحاك ، والصحيح أنها أميمة والله أعلم .

---

(١) الرازقية : ثياب كتان بيض .

وزعموا أن الـكِلَابية اسمها عَمْرة ، وهى التى وصفها أبوها بأنها لم تمرض قط ، فرغِب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى محمد بن سعد عن محمد بن عبد الله عن الزهرى ، قال : هى فاطمة بنت الضحاك بن سفيان استعاذت منه فطلقها ، فـكانت تَلْقط البعر وتقول : أنا الشَّقية .

قال : وتزوجها فى ذى القعدة سنة ثمان ، وماتت سنة ستين .

* * *

وذكر يونس عن ابن إسحاق فيمن تزوجها عليـه السلام ولم يدخل بها أسماء بنت كعب الجَونية[1] وعَمْرة بنت يزيد الـكلابية . وقال ابن عباس وقتادة : أسماء بنت النعمان ابن أبى الجون . فالله أعلم .

قال ابن عباس : لما استعاذت منه خرج من عندها مُغْضَبا ، فقال له الأشعث : لايسُوءْك ذلك يارسول الله فعندى أجمل منها ، فزوجه أخته قَتِيلة .

وقال غيره : كان ذلك فى ربيع سنة تسع .

وقال سعيد بن أبى عَرُوبة عن قتادة : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة ، فذكر منهن أمَّ شَرِيك الأنصارية النَّجَّارية .

قال : وقد قال رسول الله صلى الله وسلم : « إنى لَأُحب أن أتزوج من الأنصار ولـكنى أكره غَيرتهن » ولم يدخل بها .

قال : وتزوج أسماء بنت الصَّلْت من بنى حرام ثم من بنى سُلَيم ولم يدخل بها ، وخطب حمزة بنت الحارث المزنية .

وقال الحاكم أبو عبـد الله النَّيسابورى : وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثَنَّى : تزوج رسول الله ثمانى عشرة امرأة ، فذكر منهن قَتِيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس ،

(١) ابن هشام : أسماء بنت النعمان بن الجون الـكندية .

فزعم بعضهم أنه تزوجها قبل وفاته بشهرين ، وزعم آخرون أنه تزوجها فى مرضه . قال ولم تكن قدِمت عليه ولا رآها ولم يدخل بها .

قال : وزعم آخرون أنه عليه السلام أوصى أن تخيَّر قتيلة فإن شاءت يُضْرَب عليها الحجاب وتحرّم على المؤمنين ، وإن شاءت فلتنكح من شاءت ، فاختارت النكاح فتزوجها عِكْرمة بن أبى جهل بحضرموت ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقال : لقد هممت أن أحرق عليهما . فقال عمر بن الخطاب : ماهى من أمهات المؤمنين . ولا دَخل بها ولا ضُرب عليها الحجاب .

قال أبو عبيدة : وزعم بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشىء، وأنها ارتدت بعده ، فاحتج عمر على أبى بكر بارتدادها أنها ليست من أمهات المؤمنين .

وذكر ابن منده أن التى ارتدت هى البَرْصاء من بنى عوف بن سعد بن ذبيان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طرق ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله تزوج قتيلَة أخت الأشعث بن قيس ، فمات قبل أن يخيّرها فبرأها الله منه .

وروى حمّاد بن سلمة عن داود بن أبى هند ، عن الشّعْبى ، أن عكرمة بن أبى جهل لما تزوج قتيلة أراد أبو بكر أن يضرب عنقه ، فراجعه عمر بن الخطاب فقال : إن رسول الله صلى الله عليه لم يدخل بها وأنها ارتدت مع أخيها ، فبرئت من الله ورسوله . فلم يزل به حتى كَفَّ عنه .

قال الحاكم : وزاد أبو عبيدة فى العدد فاطمة بنت شُريح ، وسبأ بنت أسماء بن الصَّلْت السُّلَمية .

هكذا روى ذلك ابن عساكر من طريق ابن مَنْده بسنده عن قتادة فذكره .

وقال محمد بن سعد عن ابن الكلبى مثل ذلك . قال ابن سعد : وهى سبأ .

قال ابن عساكر : ويقال : سبأ بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حَرام ابن سِماك بن عوف السُّلمى .

قال ابن سعد : وأخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى حدثنى العَرْزَمِىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأ بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب .

وقال ابن عمر : إن رسول الله بعث أبا أُسَيد يخطب عليه امرأة من بنى عامر يقال لها عَمْرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب ، فتزوجها فبلغه أن بها بيَاضا فطلقها .

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنى أبو مَعْشر قال : تزوج رسول الله مُلَيكة بنت كعب ، وكانت تُذكر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : ألا تستحين أن تنكحى قاتل أبيك ؟ فاستعاذت منه فطلقها .

فجاء قومها فقالوا يارسول الله إنها صغيرة ولا رأى لها ، وإنها خُدعت فارتجِعْها ، فأبَى . فاستأذنوه أن يزوجوها بقريب لها من بنى عُذْرة فأذن لهم .

قال : وكان أبوها قد قتله خالد بن الوليد يوم الفتح .

قال الواقدى : وحدثنى عبد العزيز الجندُعى ، عن أبيه ، عن عطاء بن يزيد قال : دخل بها رسول الله فى رمضان سنة ثمان ، وماتت عنده .

قال الواقدى : وأصحابنا يُنْكرون ذلك .

* * *

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد الماهانى ، أنبأنا شجاع بن على بن شجاع ، أنبأنا أبو عبد الله بن منده ، أنبأنا الحسن بن محمد بن حكيم المرْوَزى ، حدثنا أبو الموجّه محمد بن عمرو بن الموجه الفَزارى ، أنبأنا عبد الله بن عثمان ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهرى ،

قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بمكة ، وكانت قبله تحت عَتيق بن عائذ المخزومى ، ثم تزوج بمكة عائشة بنت أبى بكر ، ثم تزوج بالمدينة حفصة بنت عمر ، وكانت قبله تحت خُنَيسْ بن حُذافة السَّهْمى ، ثم تزوج سَوْدَة بنت زَمْعة وكانت قبله تحت السَّكران بن عمرو أخى بنى عامر بن لؤى ، ثم تزوج أم حَبيبة بنت أبى سفيان وكانت قبله تحت عبيدالله بن جحش الأسدى أحد بنى خُزيمة ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبى أمية وكان اسمها هند وكانت قبله تحت أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن عبد العزى ، ثم تزوج زينب بنت خُزيمة الهلالية ، وتزوج العالية بنت ظَبْيان من بنى بكر بن عمرو بن كلاب ، وتزوج امرأة من بنى الجَوْن من كندة ، وسَبى جُوَيْرية — فى الغزوة التى هدم فيها مَناة غزوة المُرَيْسيع — ابنة الحارث بن أبى ضِرار من بنى المصطلق من خزاعة ، وسَبى صفية بنت حُيَيّ بن أَخْطب من بنى النضير ، وكانتا مما أفاء الله عليه فقسمهما له ، واستسرَّ مارية القبطية فولدت له إبراهيم ، واستسرَّ رَيْحانة من بنى قريظة ثم أعتقها فلحقت بأهلها واحتجبت وهى عند أهلها .

وطلَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظَبْيان ، وفارق أخت بنى عمرو بن كلاب وفارق أخت بنى الجَوْن الكِنْدية من أجل بَياض كان بها ، وتوفيت زينب بنت خزيمة الهلالية ورسول الله صلى الله عليه وسلم حىّ ، وبلغنا أن العالية بنت ظبيان التى طُلقت تزوجت قبل أن يحرم الله النساء ، فنكحت ابنَ عم لها من قومها وولدت فيهم .

سقناه بالسند لغرابة ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة ، والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة ، كما قدمناه والله أعلم .

قال يونس بن بُكَير : عن محمد بن إسحاق قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هى وأبو طالب فى سنة ، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة سَوْدَة بنت

زَمْعة ، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبى بكر لم يتزوج بِكراً غيرها ولم يُصِب منها ولداً حتى مات ، ثم تزوج بعد عائشة حَفْصة بنت عمر ، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، ثم تزوج بعدها أم حبيبة بنت أبى سفيان ، ثم تزوج بعدها أم سلمة هند بنت أبى أمية ؛ ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش ، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبى ضِرار . قال : ثم تزوج بعد جُوَيرية صفية بنت حيي بن أخطب ، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية .

فهذا الترتيب أحسن وأقرب مما رتبه الزهرى . والله أعلم .

وقال يونس بن بُكَير عن أبى يحيى ، عن حُمَيل بن زيد الطائى ، عن سهل بن زيد الأنصارى ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بنى غفار ، فدخل بها فأمرها فنزعت ثوبها ، فرأى بها بياضا من بَرَص عند ثديها ، فانماز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : « خذى ثوبك » وأصبح فقال لها : « الحقى بأهلك » فأكمل لها صداقها .

[(١) وقد رواه أبو نُعيم من حديث حميل بن زيد، عن سهل بن زيد الأنصارى ، وكان ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار فذكر مثله .

قلت : وممن تزوجها صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها أم شَرِيك الأَزْدية .

قال الواقدى : والمثبت أنها دَوْسية وقيل الأنصارية ، ويقال عامرية وأنها خَوْلة بنت حكيم السُّلَمى .

وقال الواقدى : اسمها غَزِيّة بنت جابر بن حكيم .

قال محمد بن إسحاق : عن حكيم بن حكيم ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن

---

(١) من هنا إلى نهاية الفصل من ت .

أبيه ، قال : كان جميع ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشر امرأة ، منهن أم شَرِيك الأنصارية ، وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقال سعيد بن أبى عَرُوبة عن قتادة : وتزوج أم شريك الأنصارية من بنى النجار . وقال : « إنى أحب أن أتزوج من الأنصار لكنى أكره غيرتهن » ولم يدخل بها .

وقال ابن إسحاق عن حكيم ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، قال : تزوج صلى الله عليه وسلم ليلى بنت الخَطِيم الأنصارية وكانت غيورا نخافت نفسها عليه فاستقالته فأقالها.

فصـــل

فيمن خطبها عليه السلام ولم يَعْقد عليها

قال إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعْبى ، عن أم هانئ فاختة بنت أبى طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فذكرتْ أن لها صِبْية صغاراً ، فتركها وقال : « خيرُ نساء رَكِبْن الإبلَ صالحُ نساءِ قريش ، أَحْناه على ولد طفلٍ فى صِغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » .

[وقال عبد الرزاق : عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ بنت أبى طالب فقالت : يارسول الله إنى قد كبِرْت ولى عيال .

وقال الترمذى : حدثنا عبدُ بن حُمَيد ، حدثنا عبد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن السُّدى ، عن أبى صالح ، عن أم هانئ بنت أبى طالب ، قالت : خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرتُ إليه فعذَرنى ، ثم أنزل الله « إنا أحلَلْنا لك أزواجَك اللاتى آتيتَ أجورَهن وما ملكَتْ يمينُك مما أفاء الله عليك وبنات ِ عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك » الآية . قالت : فلم أكن أحلُّ له لأنى لم أهاجر ، كنت من الطُّلَقاء .

ثم قال : هذا حديث حسن لانعرفه إلا من حديث السُّدى .

فهذا يقتضى أن من لم تكن من المهاجرات لاتحلُّ له صلى الله عليه وسلم . وقد نقل هذا المذهب مطلقا القاضى الماوردى فى تفسيره عن بعض العلماء . وقيل : المراد بقوله « اللاتى هاجَرْن معك » أى من القرابات المذكورات .

وقال قَتادة : « اللاتى هاجَرْن معك » أى أسلمن معك ، فعلى هذا لا يَحْرم عليه

إلا الكفار ، وتحل له جميع المسلمات ، فلا ينافى تزويجه من نساء الأنصار إن ثبت ذلك ولكن لم يدخل بواحدة منهن أصلا .

وأما حكاية الماوردى عن الشعبى ، أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية ، فليس بجيد . فإنها هلالية بلا خلاف كما تقدم بيانه والله أعلم](١) .

وروى محمد بن سعد ، عن هشام بن الكلبى ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله وهو مُولٍّ ظهره إلى الشمس ، فضربت منكبه فقال : « من هذا ؟ أكله الأسود ! » فقالت : أنا بنت مُطْعم الطير ، ومُبارِى الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئتك لأعرض عليك نفسى تزوجنى ؟ قال : « قد فعلتُ » فرجعت إلى قومها فقالت : قد تزوجت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: بئس ماصنعت ، أنت امرأة غَيْرَى ورسول الله صاحب نساء تَغارين عليه ، فيدعو الله عليك ، فاستقيليه .

فرجعت فقالت : أقِلْنى يارسول الله . فأقالها ، فتزوجها مسعود بن أوس بن سَواد بن ظُفْر فولدت له ، فبينما هى يوما تغتسل فى بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها ، فماتت .

وبه عن ابن عباس أن ضباعة بنت عامر بن قرْط كانت تحت عبد الله بن جُدْعان فطلقها ، فتزوجها بعده هشام بن المغيرة فولدت له سلَمة ، وكانت امرأة ضخمة جميلة لها شعر غزير يجلِّل جسمها ، فخطبها رسول الله من ابنها سلمة ، فقال : حتى أستأمرها ؟ فاستأذنها فقالت : يابنى أفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن ؟ فرجع ابنها فسكت ولم يردّ جوابا ، وكأنه رأى أنها قد طَعنت فى السن ، وسكت النبى صلى الله عليه وسلم عنها .

وبه عن ابن عباس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت بشَامة بن

---

(١) سقط من ا .

نَضْلة العَنْبرى : وكان أصابها سَبْى، فخيرها رسول الله فقال : « إن شئت أنا وإن شئت زوجك » فقالت : بل زوجى . فأرسلها ، فلعنتْها بنو تميم .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدى ، حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، قال : كانت أم شَريك امرأة من بنى عامر بن لؤى قد وهبت نفسها من رسول الله ، فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت .

قال محمد بن سعد : وأنبأنا وكيع ، عن شريك ، عن جابر ، عن الحكَم ، عن على ابن الحسين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدَّوْسية .

قال الواقدى : الثَّبْت عندنا أنها من دَوْس من الأزد . قال محمد بن سعد : واسمها غَزِية بنت جابر بن حكيم .

وقال الليث بن سعد : عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال متحدِّث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة .

وممن خطبها ولم يعقد عليها حمرة[1] بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرِّى فقال أبوها : إن بها سُوءا — ولم يكن بها — فرجع إليها وقد تبرَّصت ، وهى أم شَبِيب بن البرصاء الشاعر .

هكذا ذكره سعيد بن أبى عروبة عن قتادة .

قال : وخطب حبيبة بنت العباس بن عبد المطلب فوجد أباها أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثُوَيبة مولاة أبى لهب .

* * *

فهؤلاء نساؤه وهن ثلاثة أصناف ؛ صنف دخل بهن ومات عنهن ، وهن التسع المبتدأ بذكرهن .

وهن حَرام على الناس بعد موته عليه السلام بالإجماع المحقق المعلوم من الدين

(١) كذا ، وفى القاموس : والبرصاء لقب أم شبيب الشاعر ، واسمها أمامة أو قرصافة .

ضرورة ، وعِدّتهن بانقضاء أعمارهن . قال الله تعالى : « وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله ولا أن تَنْكحوا أزواجَه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما [1] » .

وصنف دخل بهن وطلقهن فى حياته ، فهل يحل لأحد أن يتزوجهن بعد انقضاء عدّتهن منه عليه السلام ؟ فيه قولان للعلماء ، أحدهما : لا لعموم الآية التى ذكرناها . والثانى : نعم بدليل آية التخيير وهى قوله : « يأيها النبى قُلْ لأزواجكَ إن كنتن تُرِدْن الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْن أمتعكن وأسرحكن سَراحاً جميلا ، وإن كنتن تُرِدْن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيما » .

قالوا : فلولا أنها تحل لغيره أن يتزوجها بعد فراقه إياها لم يكن فى تخييرها بين الدنيا والآخرة فائدة ، إذ لو كان فراقه لها لا يبيحها لغيره لم يكن فيه فائدة لها . وهذا قوىّ والله تعالى أعلم .

وأما الصنف الثالث وهى من تزوّجها وطلقها قبل أن يدخل بها ، فهذه يحلُّ لغيره أن يتزوجها ، ولا أعلم فى هذا القِسْم نزاعا .

وأما من خطبها ولم يعقد عقده عليها فأولى لها أن تتزوج وأولى . وسيجىء فصل فى كتاب الخصائص يتعلق بهذا المقام والله أعلم .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٣ .

فصــــل

فى ذكر سَراريه عليه السلام

كانت له عليه السلام سُرِّيتان : إحداهما مارية بنت شَمْعون القبطية ، أهداها له صاحبُ إسكندرية واسمه جُرَيج بن مينا ، وأهدى معها أختها شِيرين .

وذكر أبو نُعيم أنه أهداها فى أربع جوارٍ والله أعلم .

وغلاما خصيا اسمه مابُور ، وبغلة يقال لها الدُّلْدل ، فقبل هديتــه واختار لنفسه مارية ، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حَفْن من كُورة أَنْصِنَا ، وقد وضَع عن أهل هذه البلدة معاويةُ بن أبى سفيان فى أيام إمارته الخراجَ إكراما لها من أجل أنها حَملت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بولد ذكر وهو إبراهيم عليه السلام .

قالوا : وكانت مارية جميلة بيضاء ، أُعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبَّها وحَظِيت عنده ، ولا سيما بعد ماوضعت إبراهيم ولده .

وأما أختها شِيرين فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان .

وأما الغلام الخصىّ وهو مابُور ، فقد كان يدخل على مارية وشيرين بلا إذن ، كما جرت به عادته بمصر ، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك ولم يشعروا أنه خصىّ حتى انكشف الحال ، على ما سنبينه قريبا إن شاء الله .

وأما البغلة فكان عليه السلام يركبها ،والظاهر والله أعلم أنها التى كان راكبها يوم حنين . وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها حتى كانت عند على بن أبى طالب فى أيام إمارته ، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وكبِرت حتى كان يَجِش(١) لها الشعير لتأكله .

---

(١) يجش : يطحن .

قال أبو بكر بن خُزيمة : حدثنا محمد بن زياد بن عبيد الله ، أنبأنا سفيان بن عُيَينة ، عن بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بُرَيدة بن الحُصَيْب ، عن أبيه ، قال : أهدى أميرُ القبط إلى رسول الله جاريتين أختين وبغلة فكان يركب البغلة بالمدينة ، واتخذ إحدى الجاريتين فولدت له إبراهيم ابنه ، ووهَب الأخرى .

وقال الواقدى : حدثنا يعقوب بن محمد بن أبى صَعصعة ، عن عبدالله بن عبدالرحمن ابن أبى صعصعة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جَعْدة [1] جميلة ، فأنزلها وأختَها على أم سُلَيم بنت مِلحَان ، فدخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتا هناك ، فوطىء ماريةَ بالِملْك ، وحوَّلها إلى مال له بالعالية كان من أموال بنى النضير ، فكانت فيه فى الصيف ، وفى خُرَافة النخل [2] . فكان يأتيها هناك ، وكانت حَسنة الدِّين ، ووهب أختَها شيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن .

وولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما سماه إبراهيم ، وعَقَّ عنه بشاة يومَ سابعه ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدفن فى الأرض ، وسماه إبراهيم ، وكانت قابلتها سَلْمَى [3] مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاما ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فبشَّره فوهب له عِقْداً ، وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدَّ عليهن حين رُزق منها الولدَ .

وروى الحافظ أبو الحسن الدار قطنى ، عن أبى عُبَيد القاسم بن إسماعيل ، عن زياد ابن أيوب ، عن سعيد بن زكريا المدائنى ، عن ابن أبى سارَة ، عن عكرمة ، عن

---

(١) الجعدة : ذات الشعر غير السبط . (٢) الخرافة : النخل المجتنى .

(٣) فى القاموس : وأم سلمى امرأة أبى رافع .

ابن عباس ، قال : لما ولَدت ماريةُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعتقَها ولدُها » .

ثم قال الدارقطنى : تفرَّد به زياد بن أيوب وهو ثقة .

وقد رواه ابن ماجه من حديث حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله ورويناه من وجه آخر .

وقد أفردنا هذه المسألة وهى بيع أمهات الأولاد مصنفا مفرداً على حِدَته ، وحكينا فيه أقوال العلماء بما حاصله يرجع إلى ثمانية أقوال ، وذكرنا مستنَد كل قول ولله الحمد والمنة .

* * *

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن إبراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن جده على بن أبى طالب ، قال : أكثَروا على مارية أم إبراهيم فى قبطى ابن عم لها يزُورها ويختلف إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدتَه عندها فاقتله » قال : قلت يارسول الله ، أكون فى أمركَ إذا أرسلتَنى كالسِّكة المُحْمَاة لا يَثنِينى شىء حتى أمضى لما أمرتَنى به ، أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل الشاهد يَرى مالا يرى الغائب » .

فأقبلتُ متوشِّحا السيفَ فوجدته عندها ، فاخترطتُ السيف ، فلما رآنى عرف أنى أريده ، فأتى نخلةً فرَقِىَ فيها ثم رمى بنفسه على قفاه ، ثم شال رجليه ، فإذا به أجَبُّ أَمْسَح ماله مما للرجال لا قليل ولا كثير ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : « الحمد لله الذى صرف عنا أهل البيت » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سفيان ، حدثنى محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن على قال : قلت يارسول الله إذا بعثتنى أكون كالسِّكة المحْمَاة؟

أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى مالا يرى الغائب » .

هكذا رواه مختصراً . وهو أصل الحديث الذى أوردناه وإسناده رجال ثقات .

[(١) وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحرَّانى ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب وعَقِيل ، عن الزهرى ، عن أنس ، قال : لما ولدت ماريةُ إبراهيم كاد أن يقع فى النبى صلى الله عليه وسلم منه شىء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم ، حدثنا محمد ابن يحيى الباهِلىّ ، حدثنا يعقوب بن محمد ، عن رجل سماه عن الليث بن سعد ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة ، قالت : أهدَى ملك من بطارقة الروم يقال له المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك يقال لها مارية وأهدى معها ابنَ عم لها شابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ذات يوم يدخل خلوته فأصابها حملت بإبراهيم .

قالت عائشة : فلما استبان حَمْلُها جزعت من ذلك ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لها ابن فاشترى لها ضَأْنة لَبُونا تغذَّى منها الصبى ، فصلُح إليه جسمه وحسُن لونه ، وصفَا لونه ، فجاءته ذات يوم تحمله على عاتقها فقال : « ياعائشة كيف ترين الشَّبَه ؟ فقلت : أنا وغيرى ماأرى شَبهاً ، فقال : « ولا اللحم ؟ » فقلت : لعمرى من تَغذَّى بألبان الضأن ليحسنن لحمه(١)] .

قال الواقدى : ماتت مارية فى المحرم سنة خمس عشرة فصلى عليها عمر ودفنها فى البقيع ، وكذا قال المفضَّل بن غَسَّان الغَلَّابى(٢) . وقال خَليفة وأبو عُبيدة ويعقوب بن سفيان : ماتت سنة ست عشرة رحمها الله .

* * *

(١) سقط من ا .

(٢) نسب إلى امرأة وهى أم خالد بن الحارث بن أوس بن النابغة . اللباب ٢/ ١٨٤

ومنهن رَيْحانة بنت زيد من بنى النَّضير ويقال من بنى قريظة .

قال الواقدى : كانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير ويقال من بنى قُريظة .

قال الواقدى : كانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير وكانت مزوَّجة فيهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها لنفسه صَفِيّاً ، وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسلم فأبت إلا اليهوديةَ . فعزلَها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه ، فأرسل إلى ابن سَعْية فذكر له ذلك فقال ابن سَعْية : فداك أبى وأمى هى تُسْلم ، فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها : لاتَتَّبعى قومك فقد رأيتِ ماأدخل عليهم حُيَىُّ بن أَخْطب ، فأسْلمى يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال : « إن هاتين لنعلَا ابن سَعْية يبشرنى بإسلام ريحانة » فجاء يقول : يارسول الله قد أسلمت ريحانة . فسُرَّ بذلك .

[وقال محمد بن إسحاق(١) : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قُريظةَ اصطفَى لنفسه ريحانةَ بنت عمرو بن خنَافة ، فكانت عنده حتى توفى عنها وهى فى مِلكه ، وكان عرَض عليها الإسلاَم ويتزوجها فأبَتْ إلا اليهودية . ثم ذكر من إسلامها ماتقدم].

قال الواقدى : فحدثنى عبد الملك بن سليمان ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، عن أيوب بن بَشير المعاوِىّ ، قال : فأرسل بها رسول الله إلى بيت سَلْمى بنت قيس أم المنذر ، فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طَهُرت من حيضها ، فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله ، فجاءها فى منزل أم المنذر فقال لها : « إن أحببتِ أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكونى فى ملكى أطأك بالملك فعلت » فقالت : يارسول الله إنّ أخفّ عليك وعلىّ أن أكون فى ملكك ، فكانت فى ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطأها حتى ماتت .

---

(١) سقط من ا ولم يرد فى ابن هشام ، إذ أن هذه الرواية من طريق يونس بن بكير .

قال الواقدى : وحدثنى ابن أبى ذئب قال : سألتُ الزهرى عن رَيحانة فقال : كانت أمَة رسول الله فأعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب فى أهلها وتقول : لايرانى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدى : وهذا أثبتُ الحديثين عندنا ، وكان زَوْجها قبله عليه السلام الحكَم.

وقال الواقدى : حدثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم ، عن عمر بن الحكم ، قال : أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة ، وكانت عند زوج لها ، وكان محبًّا لها مكرما ، فقالت : لاأستخلف بعده أحداً أبداً ، وكانت ذات جمال . فلما سُبيت بنو قريظة عُرِض السَّبْىُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فكنت فيمن عُرِض عليه فأمر بى فعُزِلتُ ، وكان يكون له صَفِىٌّ فى كل غنيمة ، فلما عزلت خارَ الله لى ، فأرسل بى إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياما حتى قَتَل الأسرى وفرق السّبى ، فدخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجنَّبت منه حياءً ، فدعانى فأجلسنى بين يديه فقال : إن اخترت الله ورسوله اختارك رسولُ الله لنفسه . فقلت : إنى أختار الله ورسوله . فلما أسلمتُ أعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى ، وأصْدَقنى اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا كما كان يُصْدِق نساءه ، وأَعْرَس بى فى بيت أم المنذر ، وكان يقسم لى كما يقسم لنسائه ، وضرب علىّ الحجاب .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجباً بها ، وكانت لاتسأله شيئاً إلاأعطاها ، فقيل لها : لو كنت سألتِ رسول الله صل الله عليه وسلم بنى قريظة لأعتقهم ، فكانت تقول : لم يَخْلُ بى حتى فرّق السبى ، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها ، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع . فدفنها بالبقيع .

وكان تزويجه إياها فى المحرم سنة ست من الهجرة .

وقال ابن وهب عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى قال : واستسَرَّ رسول الله ريحانة

من بنى قريظة ثم أعتقها فلحقت بأهلها .

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى : كانت ريحانة بنت زيد بن شمعون من بنى النضير . وقال بعضهم : من بنى قريظة وكانت تكون فى نخل من نخل الصدقة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقيل عندها أحيانا . وكان سباها فى شوال سنة أربع .

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة: حدثنا أحمد بن المِقْدام ، حدثنا زهير ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت لرسول الله وليدتان ، مارية القبطية وَرُبِحة أو ريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة ، من بنى عمرو بن قريظة ، كانت عند ابن عم لها يقال له عبد الحكم فيما بلغنى ، وماتت قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ولائد ؛ مارية القبطية ، وريحانة القُرَظية ، وكانت له جارية أخرى جميلة فكادها نساؤه وخِفْن أن تغلبهن عليه ، وكانت له جارية نَفِيسة وهبتها له زينب ، وكان هجرها فى شأن صفية بنت حُيى ذا الحجة والمحرم وصفر ، فلما كان شهر ربيع الأول الذى قُبض فيه رضى عن زينب ودخل عليها ، فقالت : ما أدرى ما أَجْزيك ؟ فوهبتها له صلى الله عليه وسلم .

وقد روى سيف بن عمر ، عن سعيد بن عبدالله ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَقْسم لمارية وريحانة مرة ، ويتركهما مرة .

وقال أبو نعيم : قال أبو محمد بن عمر الواقدى: توفيت ريحانة سنة عشرة وصلى عليها عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع ولله الحمد .

فصـــــل

فى ذكر أولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام

لا خلاف أن جميع أولاده من خديجة بنت خُوَيلد ، سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية .

قال محمد بن سعد : أنبأنا هشام بن الكَلْبى ، أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، فمات القاسم ، وهو أول ميت من ولده بمكة ، ثم مات عبدالله فقال العاص بن وائل السَّهمى : قد انقطع نَسْله فهو أَبْتَر ، فأنزل الله عز وجل : « إنا أعطيناك الكوثر فصلِّ لربك وانحر إنّ شانِئك هو الأَبْتَر » .

قال : ثم ولدت له مارية بالمدينة إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ، فمات ابن ثمانية عشر شهراً

وقال أبو الفرَج المعافَى بن زكريا الجُرَيْرى : حدثنا عبد الباقى بن نافع ، حدثنا محمد ابن زكريا ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثنى محمد بن زياد والفرات بن السائب ، عن ميمون بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : ولدت خديجةُ من النبى صلى الله عليه وسلم عبدالله ابن محمد ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده، فبينما رسول الله يكلم رجلا والعاص بن وائل ينظر إذ قال له رجل: من هذا ؟ قال له هذا الأبتر . وكانت قريش إذا ولد للرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا هذا إليه الأبتر ، فأنزل الله : « إن شانئك هو الأَبْتَر » أى مبغضك هو الأبتر من كل خير .

قال : ثم ولدت له زينب ، ثم ولدت له رُقَيّة ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المطهَّر ، ثم ولدت الطيِّب ، ثم ولدت المطيَّب ، ثم ولدت أم كلثوم ، ثم ولدت فاطمة . وكانت أصغرهم .

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه ، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها غيرها .

* * *

وقال الهيثم بن عدى : حدثنا هشام بن عروة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه ، قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم ابنان ؛ طاهر والطيِّب ، وكان يسمى أحدهما عبدَ شمس ، والآخر عبد العُزَّى .

وهذا فيه نَكارة . والله أعلم .

وقال محمد بن عائذ : أخبرنى الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، أن خديجة ولدت القاسم والطيب والطاهر ومطهِّرا وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم .

وقال الزبير بن بَكَّار : أخبرنى عمى مُصْعَب بن عبد الله قال : ولدت خديجةُ القاسم والطاهر وكان يقال له الطيب ، وولد الطاهر بعد النبوة ، ومات صغيراً واسمه عبد الله ، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

قال الزبير : وحدثنى إبراهيم بن المنذِر ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهِيعة ، عن أبي الأسود ، أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبد الله وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم .

وحدثنى محمد بن فَضَالة عن بعض من أدرك من المشيخة قال : ولدت خديجة القاسم وعبد الله ، فأما القاسم فعاش حتى مشَى ، وأما عبد الله فمات وهو صغير .

وقال الزبير بن بَكَّار : كانت خديجة تُدْعَى فى الجاهلية الطاهرة بنت خويلد ، وقد ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنَى ، ثم زينب ، ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ، ويقال له الطاهر ، ولد بعد النبوة ومات صغيراً . ثم ابنته أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية . هكذا الأول فالأول .

ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت من ولده ، ثم مات عبدالله .

ثم ولدت له ماريةُ بنت شمعون إبراهيمَ ، وهى القبطية التى أهداها المقوقس صاحب إسكندرية ، وأهدَى معها أختَها شِيرِين وخصيًّا يقال له مابور ، فوهب شيرين لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن . وقد انقرض نسل حسان بن ثابت .

وقال أبو بكر بن البَرْقى (١) : يقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ، ويقال إن الطيب والمطيب ولدا فى بطن ، والطاهر والمطهر ولدا فى بطن .

وقال المفضَّل بن غسَّان عن أحمد بن حنبل ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : مكث القاسم ابن النبى صلى الله عليه وسلم سبع ليال ثم مات .

قال المفضل : وهذا خطأ ، والصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً .

وقال الحافظ أبو نعيم : قال مجاهد : مات القاسم وله سبعة أيام . وقال الزهرى : وهو ابن سنتين . وقال قتادة : عاش حتى مشى .

وقال هشام بن عروة : وضع أهل العراق ذِكر الطيب والطاهر ، فأما مشايخنا فقالوا : عبد العزى وعبد مناف والقاسم ، ومن النساء رقية وأم كلثوم وفاطمة .

هكذا رواه ابن عساكر وهو منكر ، والذى أنكره هو المعروف . وسقط ذكر زينب ولابد منها . والله أعلم .

فأما زينب فقال عبد الرزاق عن ابن جُرَيج : قال لى غير واحد : كانت زينب أكبرَ بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فاطمة أصغرهن وأحبهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج زينبَ أبو العاص بن الربيع فولدت منه عليًّا وأمامة ، وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحملها فى الصلاة ، فإذا سجد وضَعها وإذا قام حَمَلها .

(١) ينسب إلى برق ، بيت كبير من خوارزم انتقلوا إلى بخارى وسكنوها .

ولعل ذلك كان بعيد موت أمها سنة ثمان من الهجرة ، على ماذكره الواقدى وقتادة وعبد الله بن أبى بكر بن حزم وغيرهم ، وكأنها كانت طفلة صغيرة . فالله أعلم .

وقد تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة .

وكانت وفاة زينب رضى الله عنها فى سنة ثمان . قاله قتادة عن عبد الله بن أبى بكر ابن حزم وخليفة بن خَيَّاط وأبو بكر بن أبى خَيْثمة وغير واحد . وقال قتادة عن ابن حزم فى أول سنة ثمان .

وذكر حماد بن سلَمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنها لما هاجرت دفعها رجل فوقعت على صخرة فأسقطت حَمْلَها ، ثم لم تزل وَجِعة حتى ماتت ، فكانوا يرونها ماتت شهيدة .

وأما رقية فكان قد تزوجها أولا ابن عمها عُتبة بن أبى لهب كما تزوج أختها أمّ كلثوم أخوه عُتَيبة بن أبى لهب ، ثم طلّقاهما قبل الدخول بهما بغضةً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : « تبّت يَدا أبى لهب وتبَّ ما أغنى عنه ماله وما كسَب سيَصْلَى ناراً ذات لَهب وامرأته حَمَّالة الحطَب فى جِيدها حبلٌ مِن مَسَد » .

فتزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه رقية ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، ويقال إنه أول من هاجر إليها. ثم رجعا إلى مكة ، كما قدمنا ، وهاجرا إلى المدينة وولدت له ابنه عبد الله فبلغ ست سنين ، فنقره ديك فى عينيه فمات وبه كان يكنى أولا ، ثم اكتنى بابنه عمرو .

وتوفيت وقد انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، ولما أن جاء البَشير بالنصر إلى المدينة ــ وهو زيد بن حارثة ــ وجدهم قد ساووا على قبرها التراب ، وكان عثمان قد أقام عليها يمرّضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وضَرب له بسَهْمه وأَجْره ، ولما رجع زوَّجه بأختها أم كلثوم أيضا ولهذا كان يقال له ذو النُّورين ، ثم ماتت عنده فى شعبان سنة تسع ولم تلِد له شيئا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت عندى ثالثة لزوَّجتها عثمانَ » وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كن عشراً لزوجتهن عثمان » .

وأما فاطمة فتزوجها ابن عمها على بن أبى طالب فى صفر سنة اثنتين ، فولدت له الحسن والحسين ، ويقال ومُحَسِّن ، وولدت له أم كلثوم وزينب .

وقد تزوج عمر بن الخطاب فى أيام ولايته بأم كلثوم بنت على بن أبى طالب من فاطمة وأكرمها إكراما زائداً ، أصدَقها أربعين ألف درهم لأجل نَسبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له زيداً بن عمر بن الخطاب .

ولما قُتل عمر بن الخطاب تزوجها بعده ابن عمها عَوْنُ بن جعفر فمات عنها ، فخلَف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فتزوجها أخوهما عبد الله بن جعفر فماتت عنده . وقد كان عبد الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت على وماتت عنده أيضا ، وقد توفيت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر على أشهر الأقوال .

وهذا الثابت عن عائشة فى الصحيح ، وقاله الزهرى أيضا وأبو جعفر الباقر .

وعن الزهرى بثلاثة أشهر ، وقال أبو الزبير بشهرين ، وقال أبو بُرَيدة : عاشت بعده سبعين من بين يوم وليلة . وقال عمرو بن دينار : مكثت بعده ثمانية أشهر . وكذا قال عبد الله بن الحارث . وفى رواية عن عمرو بن دينار بأربعة أشهر .

* * *

وأما إبراهيم فمن مارية القبطية كما قدمنا ، وكان ميلاده فى ذى الحجة سنة ثمان . وقد روى عن ابن لَهِيعة وغيره عن عبد الرحمن بن زِياد قال : لما حُبل بإبراهيم أتى جبريل فقال : السلام عليك ياأبا إبراهيم ، إن الله قد وهب لك غلاما من أم ولدك مارية ،

وأمرك أن تسميه إبراهيم ، فبارك الله لك فيه وجعله قرةَ عين لك فى الدنيا والآخرة .

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن مسكين ، عن عثمان بن صالح ، عن ابن لَهِيعة ، عن عَقيل ويزيد بن أبى حبيب ، عن الزهرى ، عن أنس قال : لما ولد للنبى صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وقع فى نفسه منه شىء فأتاه جبريل فقال : السلام عليك ياأبا إبراهيم . وقال أَسْباط عن السُّدِّى ، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن ، قال : سألت أنسَ بن مالك قلت : كم بلغ إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم من العمر ؟ قال : قد كان ملأَ مَهْدَه ، ولو بقى لكان نبيا ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم صلى الله عليه وسلم آخرُ الأنبياء .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان ، عن السُّدى ، عن أنس بن مالك ، قال : لو عاش إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم لكان صِدِّيقا نبيا .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَه : حدثنا محمد بن سعد ، ومحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد ابن عثمان العَبْسى ، حدثنا مِنْجَاب ، حدثنا أبو عامر الأَسَدى ، حدثنا سفيان ، عن السُّدِّى عن أنس ، قال : توفى إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستة عشر شهراً فقال رسول الله : « ادفنوه فى البقيع فإن له مُرضعا يتم رضاعه فى الجنة » .

وقال أبو يَعْلَى : حدثنا أبو خَيثمة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : مارأيت أحداً أرحمَ بالعيال من رسول الله ، كان ابراهيم مُسترضِعا فى عَوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه لَيُدْخَن (١) ، وكان ظِئْره قينا فيأخذه فيقبّله ثم يرجع .

قال عمرو : فلما توفى إبراهيم قال رسول الله : « إن ابراهيم ابنى ، وإنه

(١) وفى ا : يدخن .

مات فى الثَّدْى ، وإن له لَظِئْرين تـكَملان رضاعه فى الجنة » .

وقد روى جَرير وأبو عَوانة ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صَبِيح أبى الضُّحَى ، عن البرَاء قال : توفى إبراهيم بن رسول الله وهو ابن ستة عشر شهراً ، فقال : «ادفنوه فى البقيع فإن له مرضعا فى الجنة » .

ورواه أحمد من حديث جابر ، عن عامر ، عن البرَاء ، وهكذا رواه سُفيان الثَّورى عن فِرَاس ، عن الشَّعْبى ، عن البراء بن عازب بمثله.

وكذا رواه الثورى أيضا عن أبى إسحاق ، عن البراء وأورد له ابن عساكر من طريق عَتَّاب بن محمد بن شَوْذَب ، عن عبـد الله بن أبى أَوْفَى قال : توفى إبراهيم فقال رسول الله : « يَرْضَع بقيةَ رضاعه فى الجنة » .

وقال أبو يعلى الموصلى : حـدثنا زكريا بن يحيى الواسطى ، حـدثنا هُشَيم ، عن إسماعيل ، قال سألت ابن أبى أوفى ــ أو سمعته يَسْأَل ــ عن إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم . فقـال : مات وهو صغير ، ولو قُضِى أن يكون بعدَ النبى صلى الله عليـه وسلم نبىٌّ لعـاش .

وروى ابن عساكر من حديث أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ ، حدثنا عبيد بن إبراهيم الُجعْفى ، حدثنا الحسن بن أبى عبد الله الفراء ، حدثنا مصعَب بن سلام ، عن أبى حمزة الثُّمَالى ، عن أبى جعفر محمد بن على ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش إبراهيم لـكان نبيا » .

وروى ابن عساكر من حديث محمد ابن إسماعيل بن سَمُرة ، عن محمد بن الحسن الأسدى ، عن أبى شيبة ، عن أنس ، قال : لما مات إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتُدْرِجوه فى أكفانه حتى أنظر إليه ».

فجاء فانـكبَّ عليه وبكى حتى اضطرب لِحياه وجنباه صلى الله عليه وسلم .

قلت : أبو شيبة هذا لايتعامل بروايته .

ثم روى من حديث مسلم بن خالد الزَّنجى ، عن ابن خيثم ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد بن السَّكن قالت : لما توفى إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من عَلِمَ لله حقه . فقال : « تَدْمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول مايُسْخط الرب ، لولا أنه وَعْدٌ صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر منا يَتْبع الأول ، لوجَدْنا عليك يا إبراهيم وَجْداً أشدَّ مما وجدنا ، وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون » .

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن الشَّعْبى عن البراء ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً ، وقال : « إن له فى الجنة من يتم رضاعه وهو صِدِّيق » .

وقد روى من حديث الحكم بن عُيينة ، عن الشَّعبى ، عن البراء .

وقال أبو يعلى : حدثنا القَوارِيرىّ ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن ابن أبى أوفَى ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ، وصلَّيت خلفه وكبرَّ عليه أربعا .

وقد روى يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانة قال : مات إبراهيم ابن رسول الله وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصل عليه .

وروى ابن عساكر من حديث إسحاق ابن محمد الفَروِىّ ، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن أبى جده عن على ، قال : لما توفى إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علىَّ بن أبى طالب إلى أمه مارية القبطية وهى فى مَشْرَبة ، فحمله علىٌّ فى سَفَط [1] وجعله بين يديه على الفرس ، ثم جاء به إلى رسول الله

---

(١) السفط : كالجوالق أو القفة .

صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه ، فدفنه فى الزُّقاق الذى يلى دار محمد بن زيد ، فدخل على فى قبره حتى سوَّى عليه ودفنه ، ثم خرج ورش على قبره ، وأدخل رسولُ الله يدَه فى قبره فقال: « أما والله إنه لنبى ابن نبى » وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَدْمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول مايُغضب الربَّ ، وإنا عليك ياإبراهيم لَمحزونون » .

وقال الواقدى : مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلَون من ربيع الأول سنة عشر ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً فى بنى مازن بن النجار فى دار أم بَرْزَة بنت المنذر ، ودفن بالبقيع .

قلت : وقد قدمنا أن الشمس كُسفت يوم موته ، فقال الناس : كسفت لموت إبراهيم . فخطب رسول الله فقال فى خطبته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » .

قال الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر :

باب

ذكر عبيده عليه السلام وإمائه وذكر خدمه وكتّابه وأُمنائه ، مع مراعاة الحروف فى أسمائهم ، وذكر بعض ماذكر من أنبائهم

ولنذكر ما أورده مع الزيادة والنقصان وبالله المستعان .

فمنهم أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكَلْبى ، ويقال أبو يزيد ويقال أبو محمد . مَولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه ، وحِبّه وابن حبه ، وأمه أم أيمن واسمها بَرَكة ، كانت حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صغره ، وممن آمن به قديماً بعد بعثته .

وقد أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أيام حياته ، وكان عمره إذ ذاك ثمانى عشرة أو تسع عشرة ، وتوفى وهو أمير على جيش كَثِيف ، منهم عمر بن الخطاب ، ويقال وأبو بكر الصديق وهو ضعيف ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصَبه للإمامة .

فلما توفى عليه السلام وجيش أسامة مخيم بالُجرْف كما قدمناه ، استطلَق أبو بكر من أسامة عمرَ بن الخطاب فى الإقامة عنده ليستضىء برأيه فأطلقه له ، وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بعد مُراجعة كثيرة من الصحابة له فى ذلك ، وكلٌّ ذلك يأبَى عليهم ويقول: والله لا أحلُّ رايةً عقَدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فساروا حتى بلغوا تُخُوم البَلْقاء من أرض الشام حيث قُتِل أبوه زيد وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رَوَاحة رضى الله عنهم ، فأغار على تلك البلاد وغَنِم وسَبى وكرَّ راجعا سالما مؤيَّداً .

فلهذا كان عمـر بن الخطاب رضى الله عنـه لا يَلْقى أسامةَ إلا قال له : السلام عليك أيها الأمير .

ولما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الإمْرة طعَن بعضُ الناس فى إمارته، فخطب رسول الله فقال فيها : « إنْ تَطْعنوا فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبـل ، وأيم الله إن كان لَخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحبِّ الخلق إلىّ بعدَه » .

وهو فى الصحيح من حديث موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن أبيه .

وثبت فى صحيح البخارى عن أسامة رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسنَ فيقول : « اللهم إنى أحبهما فأحبَّهما » .

وروى عن الشَّعْبى عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحبَّ الله ورسوله فليحب أسامةَ بن زيد » .

ولهذا لما فرَض عمر بن الخطاب للناس فى الديوان فَرض لأسامة فى خمسة آلاف ؛ وأعطى ابنه عبد الله بن عمر فى أربعة آلاف . فقيل له فى ذلك فقال : إنه كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك .

وقد روى عبـد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن أسامة ، أن رسول الله أردفه خلفه على حمـار عليه قطيفة ، حين ذهب يعود سعدَ بن عبـادة ، قبل وقعة بدر .

قلت : وهكذا أردفه وراءه على ناقته حين دفَع من عرفات إلى المزدلفة ، كما قدمنـا فى حجة الوداع .

وقد ذكر غير واحد أنه رضى الله عنه لم يشهد مع علىٍّ شيئا من مشاهده ، واعتذر إليه بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتل ذلك الرجل وقد قال لا إله إلا الله ، فقال : « من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة » الحديث .

وذِكْر فضائله كثيرة رضي الله عنه. وقد كان أسود كالليل ، أفطس حلواً حسناً كبيرا فصيحا عالما ربانيا ، رضى الله عنه .

وكان أبوه كذلك ، إلا أنه كان أبيض شديد البياض ، ولهـذا طعن بعض من لا يعلم فى نسبه منه . ولما مرَّ مُجزِّز المُدلجى عليهما وهما نائمان فى قطيفة وقد بدَتْ أقدامُهما أسامة بسواده وأبوه زيد ببياضه ، قال : سبحان الله : إن بعض هذه الأقدام لمن بعض . أُعجب بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على عائشة مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال : « ألم ترى أن مُجزِّزاً نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال : إن بعض هذه الأقدام لمن بعض ؟! »

ولهـــذا أخذ فقهاء الحديث كالشافعى وأحمد من هذا الحديث ، من حيث التقرير عليـــه والاستبشار به ؛ العملَ بقول القافَة فى اختلاط الأنساب واشتباهها ، كما هو مقرر فى موضعه .

والمقصود أنه رضى الله عنـه توفى سنـة أربع وخمسين ممـا صححه أبو عمر . وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وقيل مات بعد مقتل عثمان فالله أعلم . وروى له الجماعة فى كـتبهم الستة .

* * *

ومنهم أَسْلم وقيل إبراهيم وقيل ثابت وقيل هُرْمز أبو رافع القبطى ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها لأنه كان بمكة مع سادته آل العباس ، وكان يَنْحت القِدَاح ، وقصته مع الخبيث أبى لهب حين جاء خبر وقعة بدر تقدمت ولله الحمد .

ثم هاجر وشهد أحداً وما بعـدها ، وكان كاتبا ، وقد كتب بين يدى على بن أبى طالب بالكوفة . قاله المفضَّل بن غسَّان الغَلاَّبى . وشهد فتح مصر فى أيام عمر .

وقد كان أولا للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم وعتقه وزوَّجه

مو لاته سَلمى ، فولدت له أولاداً وكان يكون على ثَقَل(١) النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وبَهز قالا : حدثنا شُعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبي رافع ، عن أبي رافع ، أن رسول الله بعث رجلا من بني مَخْزوم على الصدقة ، فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها . فقال : لا . حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله . فأتى رسول الله فسأله فقال : « الصدقة لا تَحِلُّ لنا ، وإنّ مَوْلى القوم منهم » .

وقد رواه الثوري عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم به . وروى أبو يَعلى في مسنده عنه أنه أصابهم بَرْد شديد وهم بخيبر ، فقال رسول الله : « من كان له لحاف فليُلْحِف من لا لحاف له » .

قال أبو رافع : فلم أجد من يُلحِفني معه ، فأتيت رسول الله فألقى عليّ لحافه ، فنمنا حتى أصبحنا ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجليه حية فقال : « يا أبا رافع اقتلها اقتلها » .

وروى له الجماعة في كتبهم ، ومات في أيام عَليّ رضى الله عنه .

ومنهم أنسة بن زياد(٢) أبو مِشْرَح ، ويقال أبو مِسْرَح ، من مولّدى السَّراة ، مهاجريٌّ شهد بدراً فيما ذكره عروة والزهري وموسى بن عُقبة ومحمد بن إسحاق والبخاري وغير واحد . قالوا : وكان ممن يَأْذن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس .

وذكر خليفة بن خَيَّاط في كتابه قال : قال علي بن محمد ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : استشهد يوم بدر أَنَسةُ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وليس هذا بثَبْت عندنا ، ورأيت أهل العلم يثبتون أنه شهد أحداً أيضاً وبقى زمانا وأنه توفي في حياة أبي بكر رضى الله عنه أيام خلافته .

---

(١) الثقل : متاع المسافر .   (٢) ا : ابن مادة .

ومنهم أيمن بن عُبَيد بن زيد الحبشي ونسبه ابن مَنْدَة إلى عوف بن الخزرج وفيه نظر .

وهو ابن أم أيمن بركة ، أخو أسامة لأمه .

قال ابن إسحاق : وكان على مَطْهَرة [1] النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن ثبت يوم حنين ، ويقال : إن فيـه وفي أصحابه نزل قوله تعـالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يُشْرِك بعبادة ربه أحدا [2] » .

قال الشافعي : قُتل أيمن مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

قال : فرواية مجاهد عنه منقطعة يعني بذلك ما رواه الثوري عن منصور ، عن مجاهد ، عن عطاء ، عن أيمن الحبشي قال : لم يقطع النبي صلى الله عليه وسلم السارق إلا في المجنّ [3] ، وكان ثمن المجن يومئذ دينارا .

وقد رواه أبو القاسم البغوي في مُعجَم الصحابة ، عن هارون بن عبد الله ، عن أسود ابن عامر ، عن الحسن بن صالح ، عن منصور ، عن الحـكم ، عن مجاهد وعطاء ، عن أيمن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

وهذا يقتضي تأخر موته عن النبي صلى الله عليه وسلم إن لم يكن الحديث مُدَلَّساً عنه ، ويحتمل أن يكون أريد غيره .

والجمهور كابن اسحاق وغيره ذكروه فيمن قتـل من الصحابة يوم حنين فالله أعلم .

ولابنه الحجاج بن أيمن مع عبد الله بن عمر قصة .

ومنهم باذام وسيأتي ذكره في ترجمة طَهمان .

---

(١) المطهرة بكسر الميم وفتحها : الإداوة ، أو الإناء الذي يتطهر به .

(٢) سورة الـكهف ١١٠ (٣) المجن : الترس .

ومنهم ثَوْبَان بن بُجْدُد ، ويقال ابن جَحْدَر أبو عبدالله ، ويقال أبو عبد الكريم ، ويقال أبو عبد الرحمن .

أصله من أهل السَّرَاة ، مكان بين مكةوالبمن ،وقيل من حِمْير من أهل اليمن .وقيل من الهان[1] ، وقيل من حكَم بن سعد العَشِيرة من مَذْحِج أصابه سَبْى فى الجاهلية . فاشتراه رسول الله فأعتقه وخيَّره إن شاء أن يرجع إلى قومه ، وإن شاء يَثْبت فإنه منهم أهل البيت .

فأقام على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه حضراً ولا سفراً حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشهد فتح مصر أيام عمر ، ونزل حمص بعد ذلك وابتنى بها داراً ، وأقام بها إلى أن مات سنة أربع وخمسين ، وقيل سنة أربع وأربعين ـ وهو خطأ ـ وقيل إنه مات بمصر ، والصحيح بحمص كما قدمنا والله أعلم .

روى له البخارى فى كتاب الأدب ، ومسلم فى صحيحه وأهل السنن الأربعة .

ومنهم حنين مولى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جد إبراهيم بن عبدالله بن حنين .

وروينا أنه كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ويوضئه ، فإذا فرغ النبى صلى الله عليه وسلم خرج بفَضْلة الوضوء إلى أصحابه ، فمنهم من يشرب منه ، ومنهم من يتمسح به ، فاحتبسه حنين فخبأه عنده فى جرّة حتى شكوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ما تصنع به ؟ » فقال : أدخره عندى أشربه يا رسول الله . فقال عليه السلام : « هل رأيتم غلاما أحصَى ما أحصى هذا ؟ » .

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم وهبه لعمه العباس فأعتقه رضى الله عنهما .

ومنهم ذَكْوَان يأتى ذكره فى ترجمة طَهْمان .

ومنهم رافع أو أبو رافع ويقال له أبو البَهِىّ .

(١) كذا ، ولعلها الهون .

قال أبو بكر بن أبي خَيْثمة : كان لأبي أُحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه وأعتق ثلاثة منهم أنصباءهم وشهد معهم يوم بدر ، فقُتلوا ثلاثتهم ، ثم اشترى أبو رافع بقية أَنْصباء بني سعيد مولاه إلا نصيب خالد بن سعيد ، فوهب خالد نصيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبِله وأعتقه . فكان يقول : أنا مَوْلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان بنوه يقولون من بعده .

ومنهم رباَح الأسود ، وكان يَأْذَن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أخذ الإذن لعمر بن الخطاب حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المَشْرَبة يوم آلى من نسائه واعتزلهن في تلك المشربة وحده عليه السلام .

هكذا جاء مصرَّحا باسمه في حديث عِكرمة بن عمار ، عن سِماَك بن الوليد ، عن ابن عباس ، عن عمر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلَمة بن الأَكْوَع ، عن أبيه قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم غلام يسمَّى رباَح .

ومنهم رُوَيْفع مولاه عليه الصلاة والسلام .

هكذا عدَّه في الموالي مُصْعَب بن عبد الله الزبيري وأبو بكر بن أبي خيثمة قالا : وقد وفدِ ابنه على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته ففرَض له . قالا : ولا عَقِب له .

قلت : كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد الاعتناء بموَالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحب أن يَعْرفهم ويحسن إليهم ، وقد كتب في أيام خلافته إلى أبي بكر بن حزم عالم أهل المدينة في زمانه : أن يفحص له عن موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء وخُدامه .

رواه الواقدي . وقد ذكره أبو عمر مختصراً وقال : لا أعلم له رواية ، حكاه ابن الأثير في الغابة .

ومنهم زيد بن حارثة الكلبي .

وقد قدمنا طَرفا من ذكره عند ذكر مقتله بغزوة مُؤتة رضى الله عنه ، وذلك فى جمادى من سنة ثمان قبل الفتح بأشهر .

وقد كان هو الأمير المقدَّم ، ثم بعده جعفر ، ثم بعدهما عبد الله بن رَواحة .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة فى سرية إلا أمَّره عليهم ، ولو بقى بعده لاستخلَفه.

رواه أحمد .

ومنهم زيد أبو يسَار .

قال أبو القاسم البغَوى فى معجم الصحابة : سكَن المدينة ، روى حديثا واحداً لاأعلم له غيره : حدثنا محمد بن على الجوزجَانى ، حدثنا أبو سلمة ــ هو التَّبُوذَكيّ ــ حدثنا حفص ابن عمر الطائى ، حدثنا أبو عمر بن مُرة ، سمعت بلال بن يسَار بن زيد مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، سمعت أبى حدثنى عن جدى ، أنه سمع رسول الله يقول : « من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غُفر له وإن كان فرَّ من الزحف » .

وهكذا رواه أبو داود عن أبى سلمة ، وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل البخارى ، عن أبى سلمة موسى بن إسماعيل به . وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

* * *

ومنهم سَفِينة أبو عبد الرحمن ويقال أبو البَخْترى . كان اسمه مهران ، وقيل عبس ، وقيل أحمر ، وقيل رُومان ، فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبب سنذكره ، فغلَب عليه .

وكان مولًى لأم سلمة ، فأعتقته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يموت ، فقبل ذلك . وقال : لو لم تشترطى علىّ مافارقتُه .

وهذا الحديث فى السُّنن .

وهو من مولَّدى العرب ، وأصله من أبناء فارس وهو سَفِينة بن مافنه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا حَشْرَج بن نُبَاتة العبسى ، كوفى ، حدثنا سعيد بن جُمْهان ، حدثنى سفينة ، قال : قال رسول الله : « الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم مُلْكا بعد ذلك » .

ثم قال لى سفينة : أمسك خلافة أبى بكر ، وخلافة عمر ، وخلافة عثمان ، وأمسكْ خلافة على ، ثم قال : فوجدناها ثلاثين سنة . ثم نظرت بعد ذلك فى الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون .

قلت لسعيد : أين لقيت سَفينة ؟ قال : ببطن نخلة فى زمن الحجاج ، فأقمت عنده ثلاث ليال أسأله عن أحاديث رسول الله . قلت له : مااسمك ؟ قال : ماأنا بمخبرك ، سمّانى رسول الله سفينة . قلت : ولم سماك سَفينة ؟ قال : خرج رسول الله ومعه أصحابه ، فثقُل عليهم متاعهم فقال لى : « ابسط كساءك » فبسطتُه ، فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه علىّ ، فقال لى رسول الله : « احمل فإنما أنت سَفِينة » فلو حملت يومئذ وِقْرَ بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة مَاثقُل علىّ ، إلا أن يُحْفوا [1] .

وهذا الحديث عن أبى داود والترمذى والنسائى ، ولفظه عندهم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلْكا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سعيد بن جُمْهان ، عن سفينة ، قال : كنا فى سفَر ، فكان كلما أعيا رجل ألقى علىّ ثيابه ، تُرسًا أو سيفا ،

(١) يحفوا : يزيدوا ويبالغوا

حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت سفينة » .

هذا هو المشهور فى تسميته سفينة .

وقد قال أبو القاسم البغوى : حدثنا الربيع سليمان بن داود الزَّهْرانى ومحمد بن جعفر الورِكَانىّ ، قالا : حدثنا شَرِيك بن عبد الله النَّخَعى ، عن عمران البجَلى ، عن مولى لأم سلمة ، قال : كنا مع رسول الله فمررنا بواد — أو نهر — فكنت أُعْبِر الناسَ ، فقال لى رسول الله : « ما كنتَ منذ اليوم إلا سفينةً » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن شريك .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَه : حدثنا الحسن بن مكرم ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن محمد بن المنكدِر ، عن سفينة ، قال : ركبت البحر فى سفينة فكسرت بنا ، فركبت لوحا منها فطرحنى فى جزيرة فيها أسدٌ فلم يرُعْنى إلا به ، فقلت : ياأبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل يغمزنى بمنكبه حتى أقامنى على الطريق ، ثم هَمْهَم فظننت أنه السلام .

وقد رواه أبو القاسم البغوى عن إبراهيم بن هانئ ، عن عبيد الله بن موسى ، عن رجل ، عن محمد بن المنكدِر ، عنه .

ورواه أيضا عن محمد بن عبد الله المَخْرَمىّ ، عن حسين بن محمد ، قال : قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة ، عن محمد بن المنكدر ، عن سَفينة . فذكره .

ورواه أيضا : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا على بن عاصم ، حدثنى أبو ريحانة ، عن سفينة مولى رسول الله قال : لقيني الأسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فضرب بذنبه الأرض وقعد .

وروى له مسلم وأهل السنن . وقد تقدم فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد أنه كان

يسكن بطن نخلة ، وأنه تأخر إلى أيام الحجاج .

* * *

ومنهم سَلْمَان الفارسى ، أبو عبد الله مولَى الإسلام .

أصله من فارس وتنقَّلت به الأحوال إلى أن صار لرجل من يهود المدينة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتَب سيدَه اليهودى ، وأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء ماعليه فنُسب إليه وقال : « سَلْمان منا أهلَ البيت » .

وقد قدمنا صفة هجرته [1] من بلده وصحبته لأولئك الرهبان واحداً بعد واحد حتى آل به الحال إلى المدينة النبوية ، وذكرنا صفة إسلامه رضى الله عنه فى أوائل الهجرة النبوية إلى المدينة ، وكانت وفاته فى سنة خمس وثلاثين فى آخر أيام عثمان — أو فى أول سنة ست وثلاثين — وقيل : إنه توفى فى أيام عمر بن الخطاب ، والأول أكثر.

قال العباس بن يزيد البَحْرانىّ : وكان أهل العلم لا يشكون أنه عاش مائتين وخمسين سنة ، واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين .

وقد ادعى بعض الحفاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة . فالله أعلم بالصواب .

* * *

ومنهم شُقْران الحبشى ، واسمه صالح بن عَدِى ، ورثه عليه السلام من أبيه .

وقال مُصْعَب الزبيرى ومحمد بن سعد : كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم .

وقد روى أحمد بن حنبل ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعْشَر ، أنه ذكره فيمن شهد بدراً ، قال : ولم يقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) وذلك فى الجزء الأول من الكتاب .

وهكذا ذكره محمد بن سعد فيمن شهد بدراً وهو مملوك فلهذا لم يُسْهِم له بل استعمله على الأسرى ، فحذَاه [1] كلُّ رجل له أَسِير شيئا ، فحصل له أكثر من نصيب كامل .

قال : وقد كان ببدر ثلاثة غلمان غيره : غلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لحاطب ابن أبي بَلْتَعة ، وغلام لسعد بن معاذ ، فرضَخ لهم ولم يقسم .

قال أبو القاسم البغوى : وليس له ذِكْر فيمن شهد بدراً فى كتاب الزُّهْرى ، ولا فى كتاب ابن إسحاق .

وذكر الواقدى عن أبى بكر بن عبدالله بن أبى سَبْرَة عن أبى بكر بن عبدالله بن أبى جَهْم قال : استعمل رسول الله شُقْران مولاه على جميع ماوجَد فى رحال المريسيع من رِثَّة [2] المتاع والسلاح والنَّعم والشاء وجَمع الذرية ناحيةً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن عمرو بن يحيى المازنى ، عن أبيه ، عن شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيتـه ـ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ـ متوجها إلى خيبر على حمار يصلّى عليه يومئ إيماءً .

وفى هذه الأحاديث شواهد أنه رضى الله عنه شهد هذه المشاهد .

وروى الترمذى عن زيد بن أَخْزم ، عن عثمان بن فَرْقَد ، عن جعفر بن محمـد ، أخبرنى ابن أبى رافع قال : سمعت شُقران يقول : أنا والله طرحتُ القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبر .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : الذى اتَّخذ قبر النبى صلى الله عليه وسلم أبو طلحة ، والذى ألقى القطيفةَ شُقران .

ثم قال : الترمذى حسن غريب .

---

(١) حذاه : أعطاه .

(٢) الرثة : مايسقط من المتاع .

وقد تقدم أنه شهد غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فى قبره ، وأنه وضع تحته القطيفة التى كان يصلى عليها وقال : والله لايلبسها أحد بعدك .

وذكر الحافظ أبو الحسن بن الأثير فى الغابة أنه انقرض نَسْله فكان آخرهم موتا بالمدينة فى أيام الرشيد .

* * *

ومنهم ضُمَيرة بن أبى ضميرة الحِمْيرى ، أصابه سَبْى فى الجاهلية فاشتراه النبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ذكره مُصْعَب الزبيرى قال : وكانت له دار بالبَقِيع وولد .

قال عبد الله بن وهب : عن ابن أبى ذئب ، عن حسين بن عبد الله بن ضُمَيرة ، عن أبيه عن جده ضميرة ، أن رسول الله مرّ بأم ضميرة وهى تبكى فقال لها : «مايبكيك؟ أجائعة أنت ، أعارية أنت ؟ » .

قالت : يارسول الله فرِّق بينى وبين ابنى . فقال رسول الله : « لا يفرَّق بين الوالدة وولدها » .

ثم أرسل إلى الذى عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببَكْر .

قال ابن أبى ذئب : ثم أقرأنى كتابا عنده : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لأبى ضميرة وأهل بيته ، أن رسول الله أعتقهم ، وأنهم أهلُ بيت من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم ، فلا يُعْرَض لهم إلا بحق ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً . وكتب أُبَىُّ بن كعب .

ومنهم طَهْمَان ، ويقال ذَكْوان . ويقال مَهْران ، ويقال ميمون ، وقيل كَيْسان ، وقيل باذام . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدقة لاتحل لى ولا لأهل بيتى ، وإن مَوْلَى القوم من أنفسهم » .

رواه البغوى عن مِنْجَاب بن الحارث وغيره ، عن شَرِيك ، عن عطاء بن السائب ،

عن إحدى بنات علي بن أبي طالب وهي أم كلثوم بنت علي ، قالت : حدثني مولى للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له طَهْمَان أو ذَكْوان ، قال قال رسول الله . فذكره .

ومنهم عُبَيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو داود الطيالسي : عن شعبة ، عن سليمان التيمي ، عن شيخ ، عن عبيد مولى للنبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاةٍ سِوَى المكتوبة ؟ قال : صلاة بين المغرب والعشاء .

قال أبو القاسم البغوي : لاأعلم روى غيرَه .

قال ابن عساكر : وليس كما قال . ثم ساق من طريق أبي يَعْلَى الموصلي : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عبيد مولى رسول الله أن امرأتين كانتا صائمتين ، وكانتا تغتابان الناس ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لهما : « قِيئا » فقاءا قيحا ودما ولحما عَبِيطا ثم قال : « إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام » .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يزيد بن هارون وابن أبي عدى ، عن سليمان التَّيمي ، عن رجل حدثهم في مجلس أبي عثمان ، عن عبيد مولى رسول الله فذكره .

ورواه أحمد أيضا عن غُنْدَر ، عن عثمان بن غِيَاث قال : كنت مع أبي عثمان فقال رجل : حدثني سعيد ـ أو عبيد ـ ، يشك عثمان ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم . فذكره .

ومنهم فضَالة مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدي ، حدثني عقبة بن خيرة الأشهلي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم ، أن افحص لي عن خدَم رسول الله من الرجال والنساء ومَواليه .

فكتب إليه قال : وكان فضَالة مولًى له يمانى نزل الشام بعد ، وكان أبو مُوَيْهبة مولدا من مولدى مزينة فأعتقه

قال ابن عساكر : لم أجد لفضالة ذِكراً فى الموالى إلا من هذا الوجه .

ومنهم قَفِيز أوله قاف وآخره زاى .

قال أبو عبد الله بن منده : أنبأنا سهل بن السَّرِى ، حدثنا أحمد بن محمد بن المنكدِر ، حدثنا محمد بن يحيى ، عن محمد بن سليمان الحرَّانى ، عن زهير بن محمد ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أنيس ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يقال له قَفِيز .

تفرد به محمد بن سليمان .

ومنهم كِرْكِرَة ، كان على ثقَل النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته .

وقد ذكره أبو بكر بن حزم فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان، عن عمرو ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كان على ثقَل النبى صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة ، فمات فقال : « هو فى النار » فنظروا فإذا عليه عباءة قد غَلَّها ، أو كِساء قد غله .

رواه البخارى عن على بن المدينى ، عن سفيان .

قلت : وقصته شبيهة بقصة مِدْعَم الذى أهداه رفاعة من بنى النصيب كما سيأتى.

ومنهم كَيْسان .

قال البغوى: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ،حدثنا ابن فُضَيل ، عن عطاء بن السائب قال : أتيت أم كلثوم بنت على فقالت : حدثنى مولًى للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له كَيْسان قال له النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء من أمر الصدقة : « إنا أهلَ بيت نُهينا أن نأكل الصدقة ، وإن مولانا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة » .

ومنهم مابور القبطى الخصى، أهداه له صاحب إسكندرية مع مارية وشيرين والبغلة .

وقد قدمنا من خبره فى ترجمة مارية رضى الله عنهما ما فيه كفاية .

ومنهم مِدْعم ، وكان أسود من مولَّدى حِسْمَى[1] أهداه رفاعة بن زيد الجذَامى ، قُتل فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك مرجعَهم من خيبر . فلما وصلوا إلى وادى القرى فبينما مِدْعم يحطّ عن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلَها ، إذ جاءه سهمٌ عائر فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذى نفسى بيده ، إن الشملة التى أخذها يوم خيبر — لم تُصِبْها المقَاسم — لتشتعل عليه ناراً » .

فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشِرَاك — أو شرا كين — فقال النبى صلى الله عليه وسلم « شراك من نار ، أو شرا كان من نار » .

أخرجاه من حديث مالك ، عن ثور بن يزيد ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة .

ومنهم مهران ويقال طهمان ، وهو الذى روت عنه أم كلثوم بنت على فى تحريم الصدقة على بنى هاشم ومواليهم كما تقدم .

ومنهم ميمون وهو الذى قبله[2] .

ومنهم نافع مولاه .

قال الحافظ ابن عساكر : أنبأنا أبو الفتح الماهانى ، أنبأنا شجاع الصوفى ، أنبأنا محمد ابن إسحاق ، أنبأنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن مروان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أبو مالك الأشجعى ، عن يوسف بن ميمون ، عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة شيخٌ زان ، ولا مسكين متكبِّر ، ولا مَنَّان بعمله على الله عز وجل » .

---

(١) حسمى : أرض ببادية الشام .　　(٢) قتله . وهو تحريف .

ومنهم نُفيع ، ويقال مَسْروح ، ويقال نافع بن مسروح والصحيح نافع بن الحارث ابن كَلدة بن عمرو بن عِلَاج بن سلمة بن عبد العزى بن غِيرة بن عوف بن قيس ، وهو ثَقِيف أبو بَكْرة الثقفي . وأمه سُمَية أم زياد .

تدلَّى هو وجماعة من العبيد من سُور الطائف ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان نزوله فى بَكرة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بَكرة .

قال أبو نُعَيم : وكان رجلا صالحا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بَرْزَة الأسلمى .

قلت : وهو الذى صلى عليه بوصيته إليه ، ولم يشهد أبو بَكْرة وقعة الجمل ، ولا أيام صِفين ، وكانت وفاته فى سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين .

ومنهم واقد ، أو أبو واقد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ أبو نُعَيم الأصبهانى : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا الهيثم بن حماد ، عن الحارث بن غسان ، عن رجل من قريش من أهل المدينة ، عن زاذان ، عن واقد مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلَّت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فلم يذكره ، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » .

ومنهم هُرْمُز أبو كَيْسان ، ويقال هرمز أو كَيْسان ، وهو الذى يقال فيه طَهْمان كما تقدم .

وقد قال ابن وهب : حدثنا على بن عابس ، عن عطاء بن السائب ، عن فاطمة بنت على ، أو أم كلثوم بنت على قالت : سمعت مولى لنا يقال له هُرمز يكنى أبا كَيْسان ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا أهلُ بيت لا تحَلّ لنا الصّدقة ، وإن مَواليَنا من أنفسنا فلا تأكلوا الصدقة » .

وقد رواه الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن وَرْقاء ، عن عطاء بن السائب ، قال : دخلتُ على أم كلثوم فقالت : إن هرمز أو كيسان حدثنا أن رسول الله قال : « إنا لا نأكل الصدقة » .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو حفص الأبّار ، عن ابن أبي زياد ، عن معاوية قال : شهد بدرا عشرون مملوكا ، منهم مملوك للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له هرمز ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن الله قد أَعْتقك وإن مَوْلى القوم من أنفسُهم ؛ وإنا أهل بيت لا نأكل الصدقة فلا تأكلها » .

ومنهم هشام مولى النبي صلى الله عليه وسلم . قال محمد بن سعد : أنبأنا سليمان بن عبيد الله الرّقى ، أنبأنا محمد بن أيوب الرّقى ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن هشام مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاء رجل فقال : يارسول الله إن امرأتى لا تَدْفَع يدَ لامِس . قال : « طَلِّقها » قال : إنها تُعْجِبنى ، قال : « فتمتع بها » .

قال ابن مَنده : وقد رواه جماعة عن سفيان الثورى ، عن أبي الزبير ، عن مولى بني هاشم عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمِّه . ورواه عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

ومنهم يسار ، ويقال إنه الذى قتله العُرنيّون وقد مثّلوا به .

وقد ذكر الواقدى بسنده عن يعقوب بن عتبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه يوم قَرْقَرة الكُدْر مع نعَم بنى غطفان وسُلَيم ، فوهبه الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبِله منهم ، لأنه رآه يُحْسن الصلاة فأعتقه ، ثم قسَم فى الناس النعم فأصاب كلَّ إنسان منهم سبعة أبعرة ، وكانوا مائتين .

ومنهم أبو الحمراء مولى النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه ، وهو الذى يقال إن اسمه هلال بن الحارث ، وقيل ابن مظفّر ، وقيل هلال بن الحارث بن ظُفر السُّلمى ، أصابه سِبَاءٌ فى الجاهلية .

وقال أبو جعفر محمد بن على بن دُحَيم : حدثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عبد الله بن موسى والفضل بن دُكَين ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى داود القاصّ ، عن أبى الحمراء ، قال : رابطتُ المدينةَ سبعة أشهر كيوم ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بابَ على وفاطمة كل غداة فيقول : « الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهِّركم تطهيراً » .

قال أحمد بن حازم : وأنبأنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دُكَين — واللفظ له — عن يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى داود ، عن أبى الحمراء ، قال : مرَّ النبى صلى الله عليه وسلم برجل عنده طعام فى وعاء فأدخل يده ، فقال : « غَشَشْتَه ! من غشَّنا فليس منا » .

وقد رواه ابن ماجه ، عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى نُعيم به . وليس عنده سواه .

وأبو داود هذا هو نُفَيع بن الحارث الأعمى أحد المتروكين الضعفاء .

قال عباس الدُّورى عن ابن مَعِين : أبو الحمراء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ، كان يكون بحِمْص ، وقد رأيت بها غلاما من ولده .

وقال غيره : كان منزله خارج باب حمص . وقال أبو الوازع عن سَمُرة : كان أبو الحمراء فى الموالى .

ومنهم أبو سَلَمة راعى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويقال أبو سلَّام واسمه حُرَيث .

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا عباد بن عبد الصمد ، حدثنى أبو سلمة راعى النبى صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : « من لقى الله يشهدأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وآمن بالبعث والحساب ؛ دخل الجنة » . قلنا : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأدخل إصبعيه فى أذنيه ثم قال : أنا سمعت هذا منه غير مرة ، ولا مرتين ، ولا ثلاث ، ولا أربع .

لم يورد له ابن عساكر سوى هذا الحديث . وقد روى له النسائى فى اليوم والليلة آخر ، وأخرج له ابن ماجه ثالثا .

ومنهم أبو صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم .

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا أحمد بن المِقْدام ، حدثنا معتمِر ، حدثنا أبو كعب عن جده بَقِية ، عن أبى صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يوضع له نِطْـع(١) ويجاء بزِنْبيل فيه حصًى فيسبِّح به إلى نصف النهـار ، ثم يُرفع فإذا صلى الأولى سبح حتى يمسى .

ومنهم أبو ضُمَيرة مولى النبى صلى الله عليـه وسلم والد ضميرة المتقـدم ، وزوج أم ضميرة . وقد تقدم فى ترجمة ابنه طرف من ذكرهم وخبرهم فى كتابهم

وقال محمد بن سعد فى الطبقات : أنبأنا إسماعيل بن عبدالله بن أُوَيس المدَنى ، حدثنى حسين بن عبد الله بن أبى ضميرة ، أن الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليـه وسلم لأبى ضميرة : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتابٌ من محمد رسول الله لأبى ضميرة وأهل بيته ، إنهم كانوا أهل بيت من العرب ، وكانو ممن أفاء الله على رسوله فأعتقهم ثم خيَّر أبا ضميرة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أذن له ، وإن أحب أن يمكث مع رسول الله فيكونوا من أهل بيته ، فاختار الله ورسوله ودخل فى الإسلام ، فلا يعرض لهم أحد إلا بخير ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً ، وكتب أُبىّ بن كعب .

---

(١) النطع : بساط من الأديم ، وهو الجلد .

قال إسماعيل بن أبى أُوَيس : فهو مَولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد حِمْـيَر .

وخرج قوم منهم فى سفر ومعهم هذا الكتاب فعرض لهم اللصوص ، فأخذوا ما معهم فأخرجوا هذا الكتاب إليهم فأعلموهم بما فيه ، فقرءوه فردوا عليهم ما أخذوا منهم ولم يعرضوا لهم .

قال : ووفد حسين بن عبد الله بن أبى ضميرة إلى المهدى أمير المؤمنين وجاء معه بكتابهم هذا ، فأخذه المهدى فوضعه على بصره ، وأعطى حسينا ثلاثمائة دينار .

ومنهم أبو عُبَيد مولاه عليه الصلاة والسلام .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبَان العطار ، حدثنا قتادة ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أبى عبيد أنه طبخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدراً فيها لحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناولنى ذراعها » فناولته فقال : « ناولنى ذراعها » فناولته فقال « ناولنى ذراعها » . فقلت : يانبى الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : « والذى نفسى بيده لو سكتَّ لأعطيتنى ذراعها مادعوتُ به » .

ورواه الترمذى فى الشمائل عن بنْدَار ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن أبان بن يزيد العطار به .

* * *

ومنهم أبو عَسِيب ، ومنهم من يقول أبو عَسِيم ، والصحيح الأول ، ومن الناس من فرّق بينهما .

وقد تقدم أنه شهد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وحضر دفنَه ، وروى قصة المغيرة بن شعبة .

وقال الحارث بن أبى أسامة : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا مسلم بن عبيد أبو

نَضْرة ، قال سمعت أبا عَسِيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى جبريل بالحمى والطاعون ؛ فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ، فالطاعون شهادةٌ لأمتى ورحمة لهم ورجس على الكافر » .

وكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون .

وقال أبو عبد الله بن مَنْده : أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغانى - حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حَشْرج بن نُبَاتة ، حدثنى أبو نَضْرة البصرى ، عن أبى عَسِيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بى فدعانى ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق يمشى حتى دخل حائطا لبعض الأنصار ، فقال رسول الله لصاحب الحائط : « أطعمنا بُسْراً » فجاء به فوضعه فأكل رسول الله وأكلوا جميعا ثم دعا بماء فشرب منه ، ثم قال : « إن هذا النعيم ، لتُسألن يوم القيامة عن هذا » فأخذ عمر العِذق فضرب به الأرض حتى تناثر البُسْر ، ثم قال : يانبى الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم إلا من ثلاثة ؛ خِرْقة يستر بها الرجل عورته . أو كِسْرة يسد بها جوعته ، أو حجر يَدْخل فيه — يعنى من الحرّ والقرّ — » .

ورواه الإمام أحمد عن شُريح ، عن حشرج .

وروى محمد بن سعد فى الطبقات عن موسى بن إسماعيل ، حدثتنا مُسْلمة بنت أبان الفُرَيْعية ، قالت : سمعت ميمونة بنت أبى عسيب قالت : كان أبو عسيب يواصل بين ثلاث فى الصيام ، وكان يصلى الضحى قائما فعجز ، وكان يصوم أيام البيض . قالت : وكان فى سريره جُلْجل فيعجز صوته حين يناديها به ، فإذا حركه جاءت .

* * *

ومنهم أبو كَبْشة الأنمارى ، من أنمار مذحج على المشهور ، مولى النبى صلى الله عليه وسلم .

فى اسمه أقوال أشهرها أن اسمه سُلَيم ، وقيل عمرو بن سعد ، وقيل عكسه . وأصله من مولّدى أرض دوس ، وكان ممن شهد بدراً .

قاله موسى بن عقبة عن الزهرى . وذكره ابن إسحاق والبخـارى والواقدى ومُصْعَب الزبيرى وأبو بكر بن أبى خيثمة . زاد الواقدى : وشهد أحداً وما بعـدها من المشاهد .

وتوفى يوم استُخلف عمر بن الخطاب ، وذلك فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وقال خَليفة بن خَيَّاط : وفى سـنة ثلاث وعشرين توفى أبو كَبْشة مولى رسول الله صلى الله عايه وسلم .

وقد تقدم عن أبى كبشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرَّ فى ذهابه إلى تبوك بالحِجْر جعل الناس يدخلون بيوتهم ، فنودى أن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يُدْخلـكم على هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم؟ » فقال رجل : نَعْجَب منهم يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلـكم ، وما هو كائن بعدكم » الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح ؛ عن أَزْهَر ابن سعيد الحوارِى ، سمعت أبا كبشة الأنمارى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه ، فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا : يارسول الله قد كان شىء ؟ قال : « أجل ، مرت بى فلانة فوقع فى نفسى شهوة النساء فأتيت بعض أزواجى فأصبتُهـا ، فـكذلك فافعلوا ، فإنه من أماثل أعمالـكم إتيانُ الحلال » .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن أبى كَبْشة

الأنماري ، قال : قال رسول الله : « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر .

رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به فى ماله وينفقه فى حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول : لو كان لى مثل مال هذا عملتُ فيه مثلَ الذى يعمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما فى الأَجْر سَواء » .

ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يَخبِط[1] فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما فى الوِزْر سواء » .

وهكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع . ورواه ابن ماجه أيضا من وجه آخر من حديث منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن أبى كبشة ، عن أبيه . وسماه بعضهم عبد الله بن أبى كبشة .

وقال أحمد ، حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدى ، عن راشد بن سعد ، عن أبى عامر الهوزنى ، عن أبى كبشة الأنمارى ، أنه أتاه فقال : أَطْرِقنى من فرسك ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أطرقَ مُسْلما فعقَّب له الفرس كان كأجر سبعين حَمل عليه فى سبيل الله عز وجل » .

وقد روى الترمذى عن محمد بن إسماعيل ، عن أبى نُعيم ، عن عبادة بن مسلم ، عن يونس بن خَبَّاب ، عن سعيد أبى البخترى الطائى ، حدثنى أبو كبشة أنه قال : ثلاثٌ أُقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ؛ ما نقص مالَ عبد صدقةٌ وما ظُلم عبدٌ بمَظْلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . الحديث .

---

(١) يخبط : يسير فيه على غير هدى.

وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أحمد عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد عنه .

وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن ابن ثَوبان، عن أبيه ، عن أبى كبشة الأنمارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم على هامته وبين كتفيه .

وروى الترمذى حدثنا حُميد بن مسعدة ، حدثنا محمد بن حُمران ، عن أبى سعيد ـ وهو عبدالله بن بُسر ـ قال : سمعت أبا كبشة الأنمارى يقول : كانت كِمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بُطْحا [1] .

* * *

ومنهم أبو مُوَيْهِبة مولاه عليه السلام ، كان من مولَّدى مُزَينة ، اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولا يعرف اسمه رضى الله عنه .

وقال أبو مُصْعَب الزبيرى : شهد أبو مُوَيهبة المُرَيْسيع ، وهو الذى كان يقود لعائشة رضى الله عنها بعيرها .

وقد تقدم مارواه الإمام أحمد بسنده عنه فى ذهابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليل إلى البَقِيع ، فوقف عليه السلام فدعا لهم واستغفر لهم ثم قال : « لِيَهْنكم ما أنتم فيه مما فيه بعض الناس ، أتت الفتنُ كقِطَع الليل المظلم يركب بعضُها بعضا ، الآخرة أشدُّ من الأولى ، فلْيَهْنِكم أنتم فيه » .

ثم رجع فقال : « ياأبا مُويهبة إنى خيِّرت مفاتيحَ مايُفتح على أمتى من بعدى والجنة أو لقاء ربى ؛ فاخترت لقاء ربى » قال : فما لَبث بعد ذلك إلا سبعا ـ أو ثمانيا ـ حتى قُبض.

فهؤلاء عبيده عليه السلام .

---

(١) الكمام : القلانس. والبطح : اللازقة بالرأس غير الذاهبة فى الهواء .

وأما إماؤه عليه السلام

فمنهن أمة الله بنت رَزِينة(١) .

الصحيح أن الصُّحبة لأمها رَزِينة كما سيأتى ، ولـكن وقع فى رواية ابن أبى عاصم : حدثنا عُقبة بن مكرم ، حدثنا محمد بن موسى ، حدثتنا عُلَيْكة بنت الـكُمَيت العتـكية ، قالت حدثنى أبى ، عن أَمَة الله خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله سبَى صفية يوم قريظة والنضير فأعتقها وأمهرها رُزَينة أم أمة الله .

وهذا حديث غريب جداً .

[ومنهن أُمَيمة . قال ابن الأثير وهى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم](٢) .

روى حديثها أهل الشام . روى عنها جُبَير بن نُفَير أنها كانت توضئ رسول الله ، فأتاه رجل يوما فقال له : أوصنى ، فقال : « لا تشرك بالله شيئا وإن قُطّعت أو حُرّقت بالنار ، ولا تدَع صلاة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ، ولا تشربن مُسْـكراً فإنه رأسُ كل خطيئة ، ولا تعصين والديك وإن أمَراك أن تختَلى من أهلك ودنياك » .

ومنهن بَركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد بن حارثة .

وهى بركة بنت ثعلبة بن عمـرو بن حُصَين بن مالك بن سلمة بن عمـرو بن النعمان الحبشية .

غلَب عليها كُنْيتها أم أيمن ، وهو ابنها من زوجها الأول عُبَيد بن زيد الحبشى ، ثم تزوجها بعده زيد بن حارثة فولدت له أسامةَ بن زيد ، وتُعرف بأم الظِّباء .

(١) رزينة : بفتح أولها ، وقيل بالتصغير . الإصابة ٨/٨١

(٢) سقط من ح

وقد هاجرت الهجرتين رضى الله عنها ، وهى حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وقد كانت ممن ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه . قاله الواقدى .

وقال غيره : بل ورثها من أمه . وقيل : بل كانت لأخت خديجة فوهبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنت قديما وهاجرت ، وتأخرت بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

وتقدم ماذكرناه من زيارة أبى بكر [وعمر] رضى الله عنهما إياها بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنها بكت فقالا لها : أمَا تعلمين أن ماعند الله خيرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ولكن أبكى لأن الوحى قد انقطع من السماء . فجعلا يبكيان معها .

وقال البخارى فى التاريخ : وقال عبد الله بن يوسف ، عن ابن وهب ، عن يونس ابن يزيد ، عن الزُّهرى ، قال : كانت أم أيمن تَحْضن النبى صلى الله عليه وسلم حتى كَبِر ، فأعتقها ثم زوَّجها زيدَ بن حارثة .

وتوفيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر . وقيل ستة أشهر . وقيل : إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب .

وقد رواه مسلم عن أبى الطاهر وحَرْملة ، كلاهما عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، قال : كانت أم أيمن الحبشية فذكره .

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : توفيت أم أيمن فى أول خلافة عثمان بن عفان .

قال الواقدى : وأنبأنا يحيى بن سعيد بن دينار ، عن شيخ من بنى سعد بن بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأم أيمن : « يا أمَّه » وكان إذا نظر إليها قال : « هذه بقيةُ أهل بيتى » .

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : أخبرنى سليمان بن أبى شيخ ، قال : كان

النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أمُّ أيمن أمِّى بعد أمى » .

وقال الواقدى ، عن أصحابه المدنيين قالوا : نظرت أم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشرب فقالت : اسقنى . فقالت عائشة : أتقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقالت : ما خدمْته أَطْول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقتِ » فجاء بالماء فسقاها .

وقال المفضَّل بن غسّان : حدثنا وهب بن جَرِير ، حدثنا أبى ، قال : سمعت عثمان ابن القاسم قال : لما هاجرت أم أيمن أمسَتْ بالمنصَرف دون الرَّوحاء وهى صائمة ، فأصابها عطش شديد حتى جَهدها . قال : فدلِّى عليها دلو من السماء برِشَاء أبيض فيه ماء قالت : فشربتُ فما أصابنى عطشٌ بعدُ ، وقد تعرضتُ العطشَ بالصوم فى الهواجر فما عطشتُ بعد !

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدَّمى ، حدثنا سالم بن قتيبة ، عن الحسين بن حُرَيث ، عن يعلى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن أم أيمن قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخارة يبول فيها ، فكان إذا أصبح يقول : « ياأم أيمن صُبِّى مافى الفخارة » فقمت ليلة وأنا عطشى فشربت مافيها ، فقال رسول الله : « ياأم أيمن صبى مافى الفخارة » فقالت : يارسول الله قمت وأنا عطشَى فشربت مافيها فقال : « إنك لن تشتكى بطنَك بعدَ يومك هذا أبداً » [1] .

قال ابن الأثير فى الغابة : وروى حجاج بن محمد ، عن [ابن] جُرَيج ، عن حكيمة بنت أميمة ، عن أمها أميمة بنت رقيقة قالت : كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عِيدان يبول فيه يضعه تحت السرير ، فجاءت امرأة اسمها برَكة فشربته ، فطلبه

(١) ننبه إلى أن أمثال هذه الروايات منافية فى حقيقتها للمعروف من هدى الرسول وأمره ، ولا يلزم أحدا تصديقها ، ومن ثم فليس لها وزن علمى .

فلم يجده ، فقيل : شربته بركة . فقال : « لقد احتظرتْ من النار بحِظَار » .

قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير : وقيل إن التى شربت بوله عليه السلام إنما هى بَركة الحبشية التى قدِمت مع أم حبيبة من الحبشة ، وفرّق بينهما . فالله أعلم .

قلت : فأما بُرَيرة فإنها كانت لآل أبى أحمد بن جحش ، فكاتبوها فاشترتها عائشة منهم فأعتقتها ، فثبتَ ولاؤها لها كما ورد الحديث بذلك فى الصحيحين ، ولم يذكرها ابن عساكر .

ومنهن خَضْرة . ذكرها ابن مَنده فقال : [روى معاوية عن هشام ، عن سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال][1] : كان للنبى صلى الله عليه وسلم خادم يقال لها خضرة .

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنا فائد مولى عُبيد الله ، عن عبيد الله بن على بن أبى رافع ، عن جدته سَلْمى قالت : كان خدَم رسول الله : أنا وخَضْرة ورَضْوى وميمونة بنت سعد ، أعتقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهن .

ومنهن خُلَيْسة مولاة حفصة بنت عمر .

قال ابن الأثير فى الغابة : روت حديثها عُلَيكة بنت الكُمَيت عن جدتها ، عن خليسة مولاة حفصة ، فى قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زَمْعة ومَزْحهما معها بأن الدجال قد خرج ، فاختبأت فى بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا ، وجاء رسول الله فقال : « ماشأنكما ؟ » فأخبرتاه بما كان من أمر سودة ، فذهب إليها فقالت : يارسول الله أخرج الدجال ؟ فقال : « لا ، وكأنْ قد خرج » فخرجت وجعلت تنفض عنها بيضَ العنكبوت .

وذكر ابن الأثير خليسة مولاة سلمان الفارسى وقال : لها ذِكرٌ فى إسلام سلمان وإعتاقها إياه ، وتعويضه عليه السلام لها بأن غرَس لها ثلاثمائة فَسِيلة ، ذكَرْتها تمييزاً .

---

(١) سقطت من ا .

ومنهن خَوْلة خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا قال ابن الأثير .

وقد روى حديثها الحافظ أبو نعيم من طريق حفص بن سعيد القرشي ، عن أمه ،عن أمها خولة وكانت خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديثا في تأخر الوحي بسبب جرو كلب مات تحت سريره عليه السلام ولم يشعروا به ، فلما أخرجه جاء الوحي ، فنزل قوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجى » .

وهذا غريب ، والمشهور في سبب نزولها غير ذلك . والله أعلم .

* * *

ومنهن رَزِينة ، قال ابن عساكر : والصحيح أنها كانت لصفية بنت حيي ، وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد تقدم في ترجمة ابنتها أمة الله أنه عليه السلام أمهر صفية بنت حيي أمها رزينة ، فعلى هذا يكون أصلها له عليه السلام .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو سعيد الجشمي ، حدثتنا عُليكة بنت الكميت ، قالت سمعتُ أمي أمينة قالت حدثتني أمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَى صفيةَ يوم قريظة والنضير حين فتح الله عليه ، فجاء يقودها سبيّةً ، فلما رأت النساء قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فأرسلها وكان ذراعها في يده ، فأعتقها ثم خطبها وتزوجها وأمهرها رزينة .

هكذا وقع في هذا السياق ، وهو أجود مما سبق من رواية ابن أبي عاصم .

ولكن الحق أنه عليه السلام اصطفى صفية من غنائم خيبر ، وأنه أعتقها وجعل عتقها صداقها وما وقع في هذه الرواية يوم قريظة والنضير تخبيط فإنهما يومان بينهما سنتان . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا ابن عَبْدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد

الصّفار ، حدثنا على بن الحسن السكرى ، حدثنا عبيد الله بن عمر القَواريرى ، حدثتنا عليكة بنت الكُميت العتكية ، عن أمهـا أميمـة ، قالت قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله : يا أَمَة الله أسمعت أمك تذكر أنها سمعت رسول الله يذكر صوم عاشوراء ؟ قالت : نعم كان يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيَتْفل فى أفواههم ويقول لأمهاتهم : « لا ترضعيهم إلى الليل » .

له شاهد فى الصحيح .

ومنهن رَضْوى ، قال ابن الأثير : روى سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن رضوى بنت كعب ، أنهـا سألت رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن الحائض تَخْضِب ، فقال « ما بذلك بأس »

رواه أبو موسى المدينى .

ومنهن ريحانة بنت شمعون القُرظية ، وقيل النَّضَرية ، وقد تقدم ذكرها بعد أزواجه رضى الله عنهن .

ومنهن زَرِينة والصحيح رَزِينة كما تقدم .

ومنهن سائبة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روت عنه حديثا فى اللُّقطة ، وعنها طارق بن عبد الرحمن ، روى حديثها أبو موسى المدينى هكذا ذكر ابن الأثير فى الغابة .

ومنهن سَدِيسة الأنصارية ، وقيل مولاة حفصة بنت عمر .

روت عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه » .

قال ابن الأثير : رواه عبد الرحمن بن الفضل بن الموفَّق ، عن أبيه ، عن إسرائيل ، عن الأوزاعى عن سالم ، عن سَدِيسة ، ورواه إسحاق بن يسار عن الفضل . فقال عن

سديسة ، عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره .

رواه أبو نعيم وابن مَنْدَة .

ومنهن سَلَّامة ، حاضنة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روت عنه حديثا فى فضل الحمل والطَّلق والرضاع والسهر ، فيه غرابة ونكارة من جهة إسناده ومتنه .

رواه أبو نُعيم وابن مَندَة ، من حديث هشام بن عمار بن نصير خطيب دمشق ، عن أبيه عمرو بن سعيد الخولانى ، عن أنس عنها .

ذكرها ابن الأثير .

ومنهن سَلْمى ، وهى أم رافع امرأة أبى رافع ، كما رواه الواقدى عنها أنها قالت : كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخَضرة ورَضْوى وميمونة بنت سعد فأعتقَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلنا .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر وأبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الموالى ، عن فائد مولى ابن أبى رافع ، عن جدته سلمى خادم النبى صلى الله عليه وسلم قالت : ما سمعت قط أحداً يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا فى رأسه إلا قال : « احتجم » وفى رجليه إلا قال : « اخضبهما بالحنّاء » .

وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن أبى الموالى ، والترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الُحبَاب ، كلاهما عن فائد عن مولاه عبيد الله بن على بن أبى رافع ، عن جدته سلمى به .

وقال الترمذى : غريب إنما نعرفه من حديث فائد .

وقد روت عدة أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يطول ذكرها واستقصاؤها .

قال مصعب الزبيرى : وقد شهدت سلمى وقعةَ حُنين .

قلت : وقد ورد أنها كانت تطبخ للنبيّ صلى الله عليه وسلم الحريرة فتعجبه .

وقد تأخرت إلى بعد موته عليه السلام ، وشهدت وفاة فاطمة رضى الله عنها ، وقد كانت أولا لصفية بنت عبد المطلب عمتـه عليـه السلام ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليـه وسلم . وكانت قابلة أولاد فاطمة وهى التى قبلت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهدت غسل فاطمة وغسلتها مع زوجها على بن أبى طالب وأسماء بنت عُمَيس امرأة الصديق .

وقد قال الإمام : أحمد حدثنا أبو النضر ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيدالله بن على بن أبى رافع ، عن أبيـه ، عن سلمى ، قالت : اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها الذى قبضت فيه ، فكنت أمرضها .

فأصبحت يوما كمثل ما يأتيهـا فى شكواها ذلك . قالت : وخرج علىٌّ لبعض حاجته فقالت : ياأمّه اسكبى لى غُسلا . فسكبت لها غسلا فاغتسلت كأحسن مارأيتها تغتسل ، ثم قالت : ياأمه أعطنى ثيابى الجدُد . فلبستها ، ثم قالت : ياأمه قدِّمى لى فراشى وسط البيت ، ففعلت ، واضطجعت فاستقبلت القبـلة وجعلت يدها تحت خـدها ثم قالت : ياأمه إنى مقبوضة الآن ، وقد تطهرتُ فلا يَـكْشفنى أحـد . فقُبضت مكانها . قالت : فجاء على فأخبرته .

وهو غريب جداً .

* * *

ومنهن شِيرين ، ويقـال سِيرين ، أخت مارية القبطية خالة إبراهيم عليـه السلام ، وقدمنا أن المقوقس صاحب اسكندرية واسمه جُريج بن مينا أهداها مع غلام اسمه مابور وبغلة يقال لها الدُّلْدل فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان .

ومنهن عُنقودة أم مَليح الحبشية ، جارية عائشة ، كان اسمها عِنَبة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقودة .

رواه أبو نعيم . ويقال اسمها غفيرة .

فروة ظِئْر النبى صلى الله عليه وسلم — يعنى مُرْضعه .

قالت قال لى رسول الله : « إذا أويت إلى فراشك فاقرئى : قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشِّرك » .

ذكرها أبو أحمد العسكرى . قاله ابن الأثير فى الغابة .

فأما فِضَّة النُّوبية فقد ذَكر ابن الأثير فى الغابة أنها كانت مولاةً لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد بإسناد مُظْلم عن محبوب بن حُميد البصرى ، عن القاسم بن بَهْرام ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « ويُطْعمون الطعامَ على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » .

ثم ذكر مامضمونه : أن الحسن والحسين مرِضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عامةُ العرب ، فقالوا لعلى : لو نذرتَ ؟ فقال على : إن برِئا مما بهما صُمت لله ثلاثة أيام . وقالت فاطمة كذلك ، وقالت فضة كذلك .

فألبسهما الله العافية فصاموا ، وذهب علىّ فاستقرض من شمعون الخيبرىّ ثلاثةَ آصُع من شعير ، فهيأوا منه تلك الليلة صاعا ، فلما وضعوه بين أيديهم للعشاء وقف على الباب سائل فقال : أطعموا المسكين أطعمكم الله على موائد الجنة . فأمرهم علىّ فأعطوه ذلك الطعام وطوَوْا ، فلما كانت الليلة الثانية صنعوا لهم الصاع الآخر فلما وضعوه بين أيديهم وقف سائل فقال : أطعموا اليتيم . فأعطوه ذلك وطَووا . فلما كانت الليلة الثالثة قال : أطعموا الأسير . فأعطوه وطووا ثلاثةَ أيام وثلاث ليال .

فأنزل الله فى حقهم : « هل أتى علىَ الإنسان » إلى قوله « لا نُريد منكم جَزاءً ولا شُكورا » .

وهذا الحديث مُنْكَر ، ومن الأئمة من يجعله موضوعا ويسند ذلك إلى رِكّة ألفاظه، وأن هذه السورة مكية والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة . والله أعلم .

ليلى مولاة عائشة ، قالت : يارسول الله إنك تخرج من الخلَاء فأدخل فى أثَرك فلم أر شيئا ، إلا أنى أجد ريحَ المسك ؟ فقال : « إنا معشرَ الأنبياء تَنْبت أجسادنا على أرواح أهل الجنة ، فما خرج منا من نتن ابتلعته الأرض » .

رواه أبو نُعيم من حديث أبى عبد الله المدَنى — وهو أحد المجاهيل — عنها .

مارية القبطية أم إبراهيم ، تقدم ذكرها مع أمهات المؤمنين .

وقد فرّق ابن الأثير بينها وبين مارية أم الرَّبَاب ، قال : وهى جارية للنبى صلى الله عليه وسلم أيضا .

حديثها عند أهل البصرة رواه عبد الله بن حَبيب ، عن أم سَلمى ، عن أمها عن جدتها مارية ، قالت : تطأطأتُ للنبى صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فرّ من المشركين .

ثم قال : ومارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم . روى أبو بكر عن ابن عباس ، عن المثنّى بن صالح ، عن جدته مارية — وكانت خادم النبى صلى الله عليه وسلم — أنها قالت : ما مسَسْتُ بيدى شيئا قط ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : لا أدرى أهى التى قبلَها أم لا .

ومنهن ميمونة بنت سعد ، قال الإمام أحمد : حدثنا علىّ بن بَحْر[1] ، حدثنا عيسى — هو ابن يونس ، حدثنا ثَور ، هو ابن يزيد ، عن زياد بن أبى سَوْدة ، عن أخيه ، أن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم قالت : يارسول الله أفتنا فى بيت المقدس ؟ .

قال : « أرض المَنْشَر والمَحْشَر ، ائتوه فصلُّوا فيه ، فإن صلاةً فيه كألف صلاة »

(١) المطبوعة : على بن محمد بن محرز . وهو تحريف .

قالت : أرأيتَ من لم يُطق أن يتحمَّل إليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد إليه زيتا يُسْرج فيه ، فإنه من أهدى له كان كمن صلَّى فيه » .

وهكذا رواه ابن ماجه ، عن إسماعيل بن عبد الله الرَّقى ، عن عيسى بن يونس ، عن ثور ، عن زياد ، عن أخيه عثمان بن أبى سَودة ، عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أبو داود ، عن الفضل بن مسكين بن بُكَير ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ثور ، عن زياد ، عن ميمونة لم يذكر أخاه ، فالله أعلم .

وقال أحمد : حدثنا حسين وأبو نُعيم قالا : حدثنا إسرائيل ، عن زيد بن جُبَير ، عن أبى يزيد الضَّبى ، عن ميمونة بنت سعد مولاة النبى صلى الله عليه وسلم قالت : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ولد الزنا قال : « لا خير فيه ، نعلان أجاهد بهما فى سبيل الله أحبُّ إلىّ من أن أعتق ولد الزنا » .

وهكذا رواه النسائى عن عباس الدُّورِى وابن ماجه ، من حديث أبى بكر بن أبى شيبة ، كلاهما عن أبى نعيم الفضل بن دُكَين به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا المحارِبىّ ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن ميمونة — وكانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم — قالت : قال رسول الله : « الرافلة فى الزينة فى غير أهلها ، كالظُّلمة يوم القيامة لا نور لها » .

ورواه الترمذى من حديث موسى بن عُبيدة وقال : لا نعرفه إلا من حديثه . وهو يضعّفه فى الحديث . وقد رواه بعضهم عنه فلم يرفعه .

ومنهن ميمونة بنت أبى عُنَيْسة أو عَنْبسة ، قاله أبو عمرو بن مَنْده .

قال أبو نعيم : وهو تصحيف ، والصواب ميمونة بنت أبى عَسِيب ، كذلك روى

حدثها المُنْجع بن مُصْعَب أبو عبد الله العَبْدى ، عن ربيعة بنت مَرْثد وكانت تنزل فى بنى قُرَيع ، عن مُنَبّه ، عن ميمونة بنت أبى عسيب ، وقيل بنت أبى عنبسة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أن امرأة من حُرَيش أتت النبى صلى الله عليه وسلم فنادت : ياعائشة أغيثينى بدعوة من رسول الله تسكّنينى بها وتطمّنينى بها ، وأنه قال لها : « ضعى يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه ، وقولى : بسم الله اللهم داونى بدوائك ، واشفنى بشفائك ، وأغننى بفضلك عمن سِوَاك » .

قالت ربيعة : فدعوت به فوجدته جيداً .

ومنهن أم ضُمَيرة زوج أبى ضميرة . وقد تقدم الكلام عليهم رضى الله عنهم .

ومنهن أم عيَّاش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوّجها عثمان بن عفان

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا عكرمة ، حدثنا عبد الواحد بن صفوان ، حدثنى أبى صفوان ، عن أبيه ، عن جدته أم عياش — وكانت خادم النبى صلى الله عليه وسلم — بعث بها مع ابنته إلى عثمان ، قالت : كنت أمْغث[1] لعثمان التمر غدوةً فيشربه عشية ، وأنبذه عشية فيشربه غدوة ، فسألنى ذات يوم فقال : تخلطين فيه شيئا ؟ فقلت : أجل . قال : فلا تعودى .

فهؤلاء إماؤه رضى الله عنهن .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثنى ثُمامة بن حَزْن قال : سألت عائشة عن النبيذ فقالت : هذه خادم رسول الله فسَلْها ، لجارية حبشية ، فقالت : كنت أَنبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى سِقاء عشاءً فأُوكِيه ، فإذا أصبح شرب منه .

ورواه مسلم والنسائى من حديث القاسم بن الفضل به .

هكذا ذكره أصحاب الأطراف فى مسند عائشة ، والأليق ذكره فى مسند جارية حبشية كانت تخدم النبى ، وهى إما أن تكون واحدة ممن قدمنا ذكرهن ، أو زائدة عليهن والله أعلم .

---

(١) المغث : الضرب الخفيف .

فصـــــل

وأما خُدَّامه عليه السلام ورضى الله عنهم الذين خدموه من الصحابة من غير مواليه فنهم :

أنس بن مالك

أنس بن مالك بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عاصم بن غَنْم ابن عدى بن النجار الأنصارى النجارى ، أبو حمزة المدنى نزيل البصرة .

خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بالمدينة عشر سنين ، فما عاتبه على شيء أبدا ، ولا قال لشيء فعله : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم يفعله ، ألا فعلته .

وأمه أم سُلَيم بنت مِلْحَان بن خالد بن زيد بن حرام ، هى التى أعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله ، وسألته أن يدعو له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وأطِلْ عمره وأدخله الجنة » .

قال أنس : فقد رأيت اثنتين وأنا أنتظر الثالثة ، والله إن مالى لكثير ، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادُّون على نحو من مائة .

وفى رواية : وإن كَرْمى ليحمل فى السنة مرتين ، وإن ولدى لصُلْبى مائة وستة أولاد .

وقد اختلف فى شهوده بدراً ، وقد روى الأنصارى عن أبيه ، عن ثُمَامة قال قيل لأنس : أشهدت بدراً ؟ فقال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك !

والمشهور أنه لم يشهد بدراً لصغره ، ولم يشهد أحداً أيضا لذلك ، وشهد الحديبية وخيبر وعمرة القضاء والفتح وحنينا والطائف وما بعد ذلك .

قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم – يعنى أنس بن مالك – .

وقال ابن سيرين ، كان أحسنَ الناس صلاةً فى سَفره وحَضره .

وكانت وفاته بالبصرة ، وهو آخر من كان قد بقى فيها من الصحابة، فيما قاله على بن المدينى ، وذلك فى سنة تسعين ، وقيل إحدى وقيل :ثنتين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهو الأشهر ، وعليه الأكثر .

وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا معتمر بن سليمان ،عن حميد ، أن أنساً عمِّر مائة سنة غير سنة .

وأقل ما قيل : ستٌ وتسعون ، وأكثر ما قيل مائةوسبع سنين ، وقيل ست ،وقيل مائة وثلاث سنين . فالله أعلم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم الأَسْلَع بن شَرِيك بن عوف الأعرجى .

قال محمد بن سعد : كان اسمه ميمون بن سنباذ . قال الربيع بن بدر الأعرجى ،عن أبيه عن جده عن الأسلع قال : كنت أخدم النبى صلى الله عليه وسلم وأرحل معه ،فقال ذات ليلة : « يا أسلع قم فارحل » قال : أصابتنى جنابة يارسول الله . قال : فسكت ساعة وأتاه جبريل بآية الصعيد، [فقال : قم ياأسلع فتيمَّم] قال: فتمسَّحتُ وصليت،فلما انتهيت إلى المـاء قال : « يا أسلع قم فاغتسل » قال : فأرانى التيمم فضرب رسول الله يديه إلى الأرض ثم نفضهما ، ثم مسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه الأرض ثم نفضهما فمسح بهما ذراعيه ، باليمنى على اليسرى ، وباليسرى على اليمنى ، ظاهرهما وباطنهما .

قال الربيع : وأرانى أبى ، كما أراه أبوه ، كما أراه الأسلع ، كما أراه رسول الله .

قال الربيع فحدثت بهـذا الحـديث عوف بن أبى جميلة فقال : هكذا والله رأيت الحسن يصنع .

رواه ابن منده والبغوى فى كتابيهما مُعْجَم الصحابة من حديث الربيع بن بدر هذا، قال البغوى : ولا أعلمه روى غيره .

قال ابن عساكر : وقد روى — يعنى هذا الحديث — الهيثم بن رُزَيق المالكى المدْلجى، عن أبيه، عن الأسلع بن شريك .

ومنهم رضى الله عنهم أسماء بن حارثة بن سعد بن عبد الله بن عباد بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أقصى الأسْلَمِى .

وكان من أهل الصُّفة ؛ قاله محمد بن سعد .

وهو أخو هند بن حارثة، وكانا يخدمان النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا عبد الرحمن بن حَرْمَلة عن يحيى بن هند بن حارثة، وكان هند من أصحاب الحديبية، وكان أخوه الذى بعثه رسول الله يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء، وهو أسماء بن حارثة .

فحدثنى يحيى بن هند عن أسماء بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فقال : « مُرْ قومك بصيام هذا اليوم » . قال : أرأيتَ إن وجدتهم قد طَعِموا ؟ قال : « فليتموا آخرَ يومهم » .

وقد رواه أحمد بن خالد الذهبى، عن محمد بن إسحاق، حدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن حبيب بن هند بن أسماء الأسلمى، عن أبيه هند قال : بعثنى رسول الله إلى قوم من أسلَم فقال : « مُر قَومك فليصوموا هذا اليوم، ومن وجدتَ منهم أكل فى أول يومه فليصم آخره » .

قال محمد بن سعد عن الواقدى : أنبأنا محمد بن نعيم بن عبد الله المجمّر، عن أبيه، قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنت أظن أن هنداً وأسماء ابنى حارثة إلا مملوكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدى : كانا يخدمانه لا يبرحان بابه ، هما وأنس بن مالك .

قال محمـد بن سعد : وقد توفى أسماء بن حارثة فى سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة .

ومنهم بُكَير بن الشَّدَّاخ اللَّيثى .

ذكر ابن منـده من طريق أبى بكر الهذَلى ، عن عبـد الملك بن يعلى الليثى ، أن بُكَير بن شَدَّاخ الليثى كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم . فاحتلم فأعلم بذلك رسول الله وقال : إنى كنت أدخل على أهلك . وقد احتلمت الآن يارسول الله ، فقـال : « اللهم صَدِّق قولَه ، ولَقِّه الظَّفَر » .

فلما كان فى زمان عمـر قُتل رجل من اليهود ، فقام عمر خطيبا فقـال : أنشد الله رجلا عنده من ذلك علم ؟ فقام بكير فقال : أنا قتلته ياأمير المؤمنين . فقال عمر : بُؤْتَ بدمه فأين المخرَج ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن رجلا من الغزاة استخلفنى على أهله ، فجئت فإذا هذا اليهودى عند امرأته وهو يقول :

وأشعثَ غرَّه الإسلامُ منى ... خلَوتُ بعِرْسه ليلَ التَّمام

أَبيتُ على ترائبها ويُمسى ... على جُرْد الأعِنّة والحِزام (١)

كأنّ مجامع الرَّبَلات منهـا ... فِئَامٌ يَنْهضون إلى فئام (٢)

قال : فصدَّق عمر قوله وطَلَّ دمَ اليهودىّ بدعاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم لبُـكَير بما تقدم .

* * *

(١) الترائب : عظام الصدر . والأعنة : جمع عنان وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . والجرد : المقبرة

(٢) الربلات : جمع ربلة وهى باطن الفخذ ، أو كل لحمة غليظة . والفئام : الجماعة من الناس .

ومنهم رضى الله عنهم بلال بن رباح الحبشى .

ولد بمكة وكان مولى لأمية بن خَلف ، فاشتراه أبو بكر منه بمال جزيل ، لأن أمية كان يعذبه عذابا شديداً ليرتد عن الإسلام فيأبى إلّا الإسلام رضى الله عنه ، فلما اشتراه أبو بكر أعتقه ابتغاء وجه الله .

وهاجر حين هاجر الناس ، وشهد بدراً وأحداً وما بعدهما من المشاهد رضى الله عنه .

وكان يُعرف ببلال بن حَمامة وهى أمه .

وكان من أفصح الناس ، لا كما يعتقده بعض الناس أن سِينه كانت شينا ، حتى أن بعض الناس يروى حديثا فى ذلك لا أصل له عن رسول الله أنه قال : إن سين بلال شين .

وهو أحد المؤذنين الأربعة كما سيأتى ، وهو أول من أذَّن كما قدمنا . وكان يلى أمرَ النفقة على العيال ، ومعه حاصل ما يكون من المال .

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن خرج إلى الشام للغزو ، ويقال : إنه أقام يؤذن لأبى بكر أيام خلافته ، والأول أصح وأشهر .

قال الواقدى : مات بدمشق سنة عشرين وله بضع وستون سنة .

وقال الفَلَّاس : قبره بدمشق ، ويقال بدَارِيَا (١) ، وقيل إنه مات بحلب ، والصحيح أن الذى مات بحلب أخوه خالد .

قال مكحول : حدثنى من رأى بلالاً قال : كان شديد الأُدْمة نحيفا أَجْنَأ (٢) له شعر كثير ، وكان لا يغيِّر شَيبه رضى الله عنه .

* * *

(١) داريا : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، المراصد .
(٢) الأجنأ : من أشرف كاهله على صدره .

ومنهم رضى الله عنهم حَبَّة وسَواء ابنا خالد رضى الله عنهما .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، قال حدثناوكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سلام ابن شُرَحْبيل ، عن حَبّة وسَواء ابنا خالد قالا : دخلنا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يُصْلح شيئا فأعنّاه ، فقال : « لا تَيْئَسَا من الرزق ما تَهزْهَزت رؤسكما ، فإن الإنسان تَلِده أمه أُحيْمِر ليس عليه قشرة ، ثم يرزقه الله عز وجل » .

ومنهم رضى الله عنهم ذو مِخْمَر ، ويقال ذو مِخْبر ؛ وهو ابن أخى النجاشى ملك الحبشة ، ويقال ابن أخته . والصحيح الأول . كان بعثه ليخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نيابة عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا جرير ، عن يزيد بن صليح ، عن ذى مِخْمَر – وكان رجلا من الحبشة يخدم النبى صلى الله عليه وسلم – قال : كنا معه فى سفر فأسرع السير حتى انصرف ، وكان يفعل ذلك لقلة الزاد . فقال له قائل : يارسول الله قد انقطع الناس ، قال : فحبس وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه ، فقال لهم : « هل لكم أن نهجع هجعة ؟ » [أو قال له قائل](1) فنزل ونزلوا ، فقالوا : من يَكْلَؤنا الليلة ؟ فقلت : أنا جعلنى الله فداك : فأعطانى خِطَام ناقته فقال : « هاك لا تكونن لُكَعا » .

قال : فأخذت بخطام ناقة رسول الله وخطام ناقتى ، فتنحَّيت غير بعيد نخلَّيت سبيلهما ترعيان ، فإنى كذلك أنظر إليهما إذ أخذنى النوم ، فلم أشعر بشىء حتى وجدت حَرَّ الشمس على وجهى ، فاستيقظت فنظرت يمينا وشمالا فإذا أنا بالراحلتين منى غير بعيد ، فأخذت بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخطام ناقتى ، فأتيت أدنى القوم فأيقظته فقلت : أصلَّيت ؟ قال : لا .

فأيقظ الناسُ بعضهم بعضا حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

---

(١) سقط من ح .

« يابلال هل فى الميضأة ماء » يعنى الإداوة ، فقال : نعم جعلنى الله فداك ، فأتاه بوَضُوء لم يُلِت [(١)] منه الترابَ ، فأمر بلالا فأذن ، ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عَجِل ، ثم أمره فأقام الصلاة فصلى وهو غير عجل ، فقال له قائل : يارسول الله أفرَّطْنا ؟ قال : « لا ، قَبض الله أرواحنا وردها إلينا ، وقد صلينا » .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمى أبو فراس .

قال الأوزاعى : حدثنى يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن ربيعة بن كعب ، قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآتيه بوضوئه وحاجته ، فكان يقوم من الليل فيقول : « سبحان ربى وبحمده » الهوِىّ [(٢)] « سبحان رب العالمين » . الهوِىّ . فقال رسول الله : « هل لك حاجة ؟ » قلت : يارسول الله مُرافقتك فى الجنة ، قال : « فأعِنّى على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، عن نعيم بن محمد ، عن ربيعة بن كعب قال : كنت أخدم رسول الله نهارى أجمع ، حتى يصلى عشاء الآخرة ، فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول : لعلها أن تحدث لرسول الله حاجة . فما أزال أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سبحان الله وبحمده » حتى أمَلّ فأرجع ، أو تغلبنى عيناى فأرقد .

فقال لى يوما — لما يرى من حَقّى له وخدمتى إياه — : « ياربيعة بن كعب سَلْنى أُعطك » قال : فقلت : أنظر فى أمرى يارسول الله ثم أعلمك ذلك .

قال : ففكرت فى نفسى فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لى فيها رزقا

---

(١) يلت : يزل أو ينقص .

(٢) الهوى : ساعة من الليل .

سيكفيني ويأتيني ، قال : فقلت : أسأل رسول الله لآخرتى فإنه من الله بالمنزِل الذى هو به .

قال : فجئته فقال : « ما فعلت يا ربيعة ؟ » قال : فقلت : نعم يارسول الله أسألك أن تشفع لى إلى ربك فيعتقنى من النـار . قال : فقال : « من أمرك بهذا يا ربيعة ؟ » قال فقلت : لا والذى بعثك بالحق ماأمرنى به أحد ، ولـكنك لما قلت : سَلْنى أعطك وكنتَ من الله بالمنزِل الذى أنت به ، نظرت فى أمرى فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لى فيهـا رزقا سيأتينى ، فقلت : أسأل رسول الله لآخرتى .

قال : فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال لى : « إنى فاعل ، فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، أنبأنا يزيد بن هارون ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثنا أبو عمران الجَوْنى ، عن ربيعـة الأسلمى ـ وكان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال فقال لى ذات يوم : « ياربيعة ألا تزَوَّج ؟ » قال قلت : يارسول الله ما أحب أن يشغلنى عن خدمتك شىء وما عندى ما أعطى المرأة .

قال : فقلت بعد ذلك : رسول الله أعلم بما عندى منّى يدعونى إلى التزويج ، لئن دعانى هـذه المرة لأجيبنه . قال : فقال لى : « يا ربيعة ألا تزوج ؟ » فقلت : يا رسول الله ومن يزوجنى ، ما عندى ما أعطى المرأة . فقال لى : انطلق إلى بنى فلان فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن تزوجونى فتاتـكم فلانة .

قال : فأتيتهم فقلت : إن رسول الله أرسلنى إليكم لتزوجونى فتاتـكم فلانة . قالوا : فلانة ؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً برسول الله ومرحباً برسوله . فزوَّجونى .

فأتيت رسول الله فقلت : يارسول الله أتيتك من خير أهل بيت صَدَّقونى وزوجونى فمن أين لى ما أعطى صداقى ؟ فقال رسول الله لبريدة الأسلمى : « اجمعوا لربيعة فى صداقه

فى وزن نواة من ذهب . فجمعوها فأعطونى فأتيتهم فقبلوها ، فأتيت رسول الله فقلت : يا رسول الله قد قبلوا ، فمن أين لى ما أولم ؟ قال: فقال رسول الله لبريدة : « اجمعوا لربيعة فى ثمن كبش »قال : فجمعوا وقال لى : « انطلق إلى عائشة فقل لها فلتدفع إليك ماعندها من الشعير » قال : فأتيتها فدفعت إلى ، فانطلقت بالكبش والشعير فقالوا : أما الشعير فنحن نكفيك، وأما الكبش فمر أصحابك فليذبحوه. وعملوا الشعير ، فأصبح والله عندنا خبز ولحم .

ثم إن رسول الله أقطع أبا بكر أرضا له فاختلفنا فى عَذْق ، فقلت : هو فى أرضى . وقال أبو بكر : هو فى أرضى . فتنازعنا فقال لى أبو بكر كلمةً كرهتُها ، فندم فأحضرنى فقال لى : قل لى كما قلتُ . قال : فقلت : لا والله لا أقول لك كما قلت لى . قال: إذاً آتى رسول الله .

قال : فأتى رسولَ الله وتبعتُه ، فجاءنى قومى يتبعوننى فقالوا : هو الذى قال لك وهو يأتى رسول الله فيشكو ! قال : فالتفتُّ إليهم فقلت : تدرون من هذا ؟ هذا الصديق وذو شَيْبة المسلمين ، ارجعوا لا يلتفت فيراكم فيظن أنكم إنما جئتم لتعينونى عليه فيغضب فيأتى رسولَ الله فيخبره فيهلك ربيعة !

قال : فأتى رسول الله فقال : إنى قلت لربيعة كلمة كرهتها ، فقلت له يقول لى مثل ما قلتُ له فأبى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياربيعة ومالك وللصديق ؟ » قال : فقلت : يارسول الله والله لا أقول له كما قال لى . فقال رسول الله :« لا تقل له كما قال لك ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر » .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم سعد مولى أبى بكر رضى الله عنه ، ويقال مولى النبى صلى الله عليه وسلم .

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا أبو عامر ، عن الحسن ، عن سعد مولى أبى بكر الصديق ، أن رسول الله قال لأبى بكر ـ وكان سعد مملوكا لأبى بكر ، وكان رسول الله يعجبه خدمته ـ : « أعتق سَعدا » فقال : يا رسول الله مالنا خادم هاهنا غيره ، فقال : « أعتق سعدا أتتك الرجالُ أتتك الرجال » .

وهكذا رواه أحمد عن أبى داود الطيالسى .

وقال أبو داود الطيالسى: حدثنا أبو عامر، عن الحسن ، عن سعد قال : قرّبت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرا ، فجعلوا يَقْرِنون ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القران(١) .

ورواه ابن ماجه عن بندار عن أبى داود به .

ومنهم رضى الله عنهم عبدالله بن رواحة . دخل يوم عمرة القضاء مكة وهو يقود بناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

خَلُّوا بنِى الـكفار عن سَبيله   اليوم نَضْربكم على تأويلهِ
كما ضربنا كم على تنزيله   ضرباً يُزيل الهامَ عن مَقِيله
* ويُذْهِل الخليلَ عن خليله *

كما قدمنا ذلك بطوله .

وقد قتل عبدالله بن رواحة بعد هذا بأشهر فى يوم مؤتة كما تقدم أيضا .

ومنهم رضى الله عنهم عبـدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمخ أبو عبد الرحمن الهذلى .

أحد أئمة الصحابة ، هاجر الهجرتين وشهـد بدراً وما بعـدها ، كان يلى حمل نعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ويلى طَهُوره ، ويرحِّل دابته إذا أراد الركوب .

وكانت له اليد الطُّولى فى تفسير كلام الله ، وله العلم الجم والفضل والحلم ، وفى الحديث

---

(١) القران فى التمر : الجمع بين تمرتين فى الأكل .

أن رسول الله قال لأصحابه ـ وقد جعلوا يَعْجبون من دقة ساقيه ـ فقال: « والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقلُ من أُحد » .

وقال عمر بن الخطاب فى ابن مسعود : هو كَنيفٌ مُلئ علما . وذكروا أنه [كان] نحيف الخَلْق حسن الخُلُق ، يقال إنه كان إذا مشى يُسامت الجلوس ، وكان يُشْبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه ودَلّه وسَمْته .

يعنى أنه يشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حركاته وسَكناته وكلامه ويتشبه بما استطاع من عبادته .

توفى رضى الله عنه فى أيام عثمان سنة اثنتين ـ أو ثلاث ـ وثلاثين بالمدينة ، عن ثلاث وستين سنة ، وقيل إنه توفى بالكوفة والأول أصح .

ومنهم رضى الله عنهم عُقبة بن عامر الُجهَنى .

قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم أبى عبد الرحمن ، عن عُقبة بن عامر ، قال : بينما أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نقْب (١) من تلك النِّقَاب ، إذ قال لى : « ياعقبة ألاَ تركب ؟ » قال : فأشفقت أن تكون معصية . قال : فنزل رسول الله وركبت هنيهة ، ثم ركب ثم قال : « ياعُقْبَ ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » قلت : بلى يارسول الله . فأقرأنى : قل أعوذ برب الفلَق ، وقل أعوذ برب الناس .

ثم أقيت الصلاة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما . ثم مرَّ بى فقال : « اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

وهكذا رواه النسائى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، عن ابن جابر ، ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء

---

(١) النقب : الطريق فى الجبل .

ابن الحارث ، عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة به .

ومنهم رضى الله عنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرَجى .

روى البخارى عن أنس قال : كان قيس بن سعد بن عبادة من النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشُّرَط من الأمير .

وقد كان قيس هـذا رضى الله عنه من أطول الرجال ، وكان كَوْسَجا[1] ويقال إن سراويله كان يضعه على أنفه من يكون من أطول الرجال فتصِل رجلاه الأرضَ .

وقد بعث سراويله معاويةُ إلى ملك الروم يقول له : هل عندكم رجل تَجِىء هـذه السراويل على طوله ؟ فتعجَّب صاحب الروم من ذلك .

وذكروا أنه كان كريمـا مُمدَّحا ذا رأى ودَهاء ، وكان مع على بن أبى طـالب أيام صِفين .

وقال مِسْعَر عن مَعْبَد بن خالد : كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً إصبعه المسبِّحة يدعو رضى الله عنه وأرضاه .

وقال الواقدى وخليفة بن خَيّاط وغيرهما : توفى بالمدينة فى آخر أيام معاوية .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن الخطاب السِّجِسْتانى ، حـدثنا على بن يزيد الحنفى ، حدثنا سعيد بن الصَّلْت ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن أنس قال : كان عشرون شابا من الأنصار يَلزمون رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوائجه ، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم المغِيرة بن شُعبة الثقَفى رضى الله عنـه . كان بمنزلة السلَحْدار[2] بين يدى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، كما كان رافعا السيف فى يده وهو واقف على

---

(١) الـكوسج : الناقص الأسنان .

(٢) السلحدار : صاحب السلاح . أعجمية .

رأس النبي صلى الله عليه وسلم فى الخيمة يوم الحديبية ، فجعل كلما أهوَى عمّه عروة بن مسعود الثقفى حين قدم فى الرِّسِيلة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على ماجرت به عادة العرب فى مخاطباتها ـ يَقْرَع يده بقائمة السيف ويقول : أخِّر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك . الحديث كما قدمنا .

قال محمد بن سعد وغيره : شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولّاه مع أبى سفيان الإمرةَ حين ذهبا فخرّبَا طاغوتَ أهل الطائف ، وهى المدعوّة بالرَّبة ، وهى اللات .

وكان داهيةً من دُهاة العرب . قال الشّعْبي : سمعته يقول : ماغلبَنى أحدٌ قط .

وقال الشعبى : سمعت قَبِيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة ، فلوأن مدينة لها ثمانية أبواب لايُخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها .

وقال الشعبى : القضاة أربعة : أبو بكر وعمر وابن مسعود وأبو موسى ، والدهاة أربعة : معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد .

وقال الزُّهْرى : الدُّهاة خمسة ؛ معاوية وعمرو والمغيرة ، واثنان مع علىّ وهما قيس ابن سعد بن عبادة وعبد الله بن بَدِيل[1] بن وَرْقَاء .

وقال الإمام مالك : كان المغيرة بن شعبة رجلا نَكّاحا للنساء ، وكان يقول : صاحب الواحدة إن حاضت حاض معها ، وإن مرضت مرض معها ، وصاحب الثِّنْتين بين نارين يشتعلان .

قال : فكان ينكح أربعا ويطلقهن جميعا !

وقال غيره : تزوج ثمانين امرأة ، وقيل ثلاثمائة امرأة ، وقيل : أَحْصَن ألف امرأة .

وقد اختلف فى وفاته على أقوال أشهرها وأصحُّها وهو الذى حكى عليه الخطيب البغدادى الإجماع : أنه توفى سنة خمسين .

* * *

(١) ا : وبديل بن ورقاء .

ومنهم رضى الله عنهم المِقدَاد بن الأسود أبو مَعْبَد الكِنْدى ، حليف بني زُهرة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن المقداد بن الأسود قال : قدمتُ المدينة أنا وصاحبان ، فتعرَّضْنا للناس فلم يُضفنا أحد ، فأتينا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ، فذهب بنا إلى منزله وعنده أربعة أعنُز ، فقال : « احلبهن يامِقْداد ، وجَزِّئهن أربعة أجزاء ، وأعط كلَّ إنسان جزءاً » فكنت أفعل ذلك .

فرفعت للنبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فاحتبس ، واضطجعت على فراشى فقالت لى نفسى : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد أتى أهلَ بيت من الأنصار ، فلو قمتَ فشربت هذه الشربة . فلم تزل بى حتى قمت فشربت جُزأه ، فلما دخل فى بطنى وتقارَّ أخذنى ماقدم وما حدث ، فقلت : يجىء الآن النبى صلى الله عليه وسلم جائعا ظمآنا فلا يرى فى القَدح شيئا ، فسجَّيت ثوبا على وجهى .

وجاء النبى صلى الله عليه وسلم فسلم تسليمةً تُسمع اليقظانَ ولا توقظ النائم ، فكشف عنه فلم ير شيئا ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : « اللهم اسق من سقانى ، وأطعم من أطعمنى » .

فاغتنمت دعوته وقمت فأخذت الشَّفْرة فدنوت إلى الأعنز فجعلت أجسّهن أيتهن أسْمَن لأذبحها ، فوقعت يدى على ضرع إحداهن فإذا هى حافل ، ونظرت إلى الأخرى فإذا هى حافل ، فنظرت فإذا هن كلهن حُفَّل ، فحلبت فى إناء فأتيته به فقلت : اشرب . فقال : « ما الخبر يامقداد ؟ » فقلت : اشرب ثم الخبر . فقال : « بعض سوآتك يامقداد » فشرب ثم قال : « اشرب » فقلت : اشرب يانبى الله ، فشرب حتى تضلَّع ثم أخذته فشربته ، ثم أخبرته الخبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هيه » فقلت : كان كذا وكذا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هذه بركة مُنزَلة من السماء أفلا أخبرتنى

حتى أسقى صاحبيك ؟ » فقلت : إذا شربتُ البركة أنا وأنت فلا أُبَالى من أخطأَتْ .

وقد رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النَّضر ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن المِقْداد . فذكر ماتقدم ، وفيه أنه حلَب فى الإناء الذى كانوا لايَطْمعون أن يحلبوا فيه ، فحلب حتى علَتْه الرَّغْوة . ولماجاء به قال له رسول الله: « أمَا شربتم شَرابكم الليلة يامِقْداد ؟ » فقلت : اشرب يارسول الله ، فشرب ثم ناولنى فقلت : اشرب يارسول الله ، فشرب، ثم ناولنى فأخذت ما بقى ثم شربت .

فلماعرفتُ أن رسول الله قد رَوِى فأصابتنى دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، فقال رسول الله : « إحدى سَوْآتك يامقداد ! » .

فقلت : يارسول الله كان من أمرى كذا ، صنعت كذا . فقال : « ما كانت هذه إلا رحمة الله ، ألا كنت آذنتنى توقظ صاحبيك هذين فيصيبان منها » قال :قلت: والذى بعثك بالحق ما أُبَالى إذا أصبتَها وأصبْتُها معك من أصابها من الناس .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به .

ومنهم رضى الله عنهم مهاجِر مَولى أم سلمة .

قال الطبرانى : حدثنا أبو الزِّنْبَاع رَوْح بن الفَرَج ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير ، حدثنى إبراهيم بن عبد الله ، سمعت بكيراً يقول : سمعت مهاجراً مولى أم سلمة قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين فلم يقل لى لشىء صنعتُه لم صنعتَه ، ولا لشىء تركته لم تركته .

وفى رواية : خدمته عشر سنين أو خمس سنة .

ومنهم رضى الله عنهم أبو السَّمْح . قال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفى : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا يحيى بن الوليد ، حدثنى مُحِلّ ابن خليفة ، حدثنى أبو السَّمح ، قال : كنت أخدم رسول الله . قال كان إذا أراد أن

يغتسل قال : ناولنى إداوتى ، قال : فأناوله وأستُره ، فأُتى بحسن أو حسين فبـال على صـدره ، فجئت لأغسله فقال : « يُغسَل من بَول الجـارية ، ويُرشُّ من بول الغلام » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن مجاهد بن موسى .

ومنهم رضى الله عنهم أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضى الله عنه تولَّى خدمته بنفسه فى سَفرة الهجرة ، لاسيما فى الغار وبعد خروجهم منه حتى وصلوا إلى المدينة . كما تقدم ذلك مبسوطا ولله الحمد والمنة .

فصـــــل

وأما كُتّاب الوحى وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضى عنهم أجمعين

فمنهم الخلفاء الأربعة ؛ أبو بكر وعمـر وعثمان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ومنهم رضى الله عنهم أبَان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبـد مناف بن قصى الأموى .

أسلم بعد أخويه خالد وعمرو ، وكان إسلامه بعدالحديبية ، لأنه هو الذى أجار عثمانَ حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة يوم الحديبية ، وقيل خيبر ، لأن له ذِكْراً فى الصحيح من حديث أبى هريرة فى قسمة غنائم خيبر .

وكان سبب إسلامه أنه اجتمع براهب وهو فى تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الراهب : مااسمه ؟ قال : محمد . قال : فأنا أنعته لك ، فوصفَه بصفته سواء وقال : إذا رجعت إلى أهلك فأقرئه السلام .

فأسلم بعـد مَرجعه وهو أخو عمرو بن سعيد الأشْدَق الذى قتـله عبد الملك ابن مروان .

قال أبو بكر بن أبى شيبة : كان أول من كتب الوحى بين يدى رسول الله صـلى الله عليه وسلم أُبىّ بن كعب ، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت ، وكَتب له عثمان وخالد ابن سعيد وأبان بن سعيد .

هكذا قال . يعنى بالمدينة ، وإلا فالسُّور المكية لم يكن أُبىّ بن كعب حالَ نزولها، وقد كتبها الصحابة بمكة رضى الله عنهم .

وقد اختلف فى وفاة أبان بن سعيد هذا ، فقال موسى بن عقبة ومُصْعَب بن الزبير والزبير ابن بَـكَّار وأكثر أهل النَّسَب : قُتل يوم أَجْنَادين ، يعنى فى جمادى الأولى سنة ثنتى عشرة .

قال آخرون : قتل يوم مَرْج الصُّفر سنة أربع عشرة .

وقال محمد بن إسحاق : قتل هو وأخوه عمرو يوم اليرموك ، لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . وقيل إنه تأخر إلى أيام عثمان ، وإنه أمره عثمان أن يملى المصحف الإمامَ على زيد بن ثابت ، ثم توفى سنة تسع وعشرين فالله أعلم .

ومنهم أُبى بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجى الأنصارى . أبو المنذر ، ويقال أبو الطُّفَيل . سيد القُراء شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها . وكان رَبْعة نحيفا أبيض الرأس واللحية لا يغيرِّ شيبه .

قال أنس : جمع القرآن أربعة — يعنى من الأنصار — أُبىٌّ بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، ورجل من الأنصار يقال له أبو يزيد .

أخرجاه .

وفى الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبىّ : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » .

قال : وسمَّانى لك يا رسول الله ؟ قال : « نعم » قال فذرفت عيناه .

ومعنى أن أقرأ عليك القرآن قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلمٌ منه ، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم ، وإنما نبهنا على هذا لئلا يُعتقد خلافه .

وقد ذكرنا فى موضع آخر سبب القراءة عليه وأنه قرأ عليه سورة : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البينة رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطَّهرة فيها كتب قيّمة » .

وذلك أن أبى بن كعب كان قد أنكر على رجل قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أبى ، فرفعه أبى إلى رسول الله فقال : « اقرأ يا أبى » فقرأ فقال : « هكذا أنزلت » ثم قال لذلك الرجل « اقرأ » فقرأ فقال : « هكذا أنزلت » .

قال أبى : فأخذنى من الشك ولا إذ كنت فى الجاهلية ، قال : فضرب رسول الله فى صدرى ففِضْتُ عرقا وكأنما أنظر إلى الله فَرَقاً ، فبعد ذلك تلا عليه رسول الله هذه السورة كالتثبيت له والبيان له أن هذا القرآن حق وصدق ، وإنه أنزل على أحرف كثيرة رحمةً ولُطفا بالعباد .

وقال ابن أبى خيثمة : هو أول من كتب الوحى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف فى وفاته ، فقيل : فى سنة تسع عشرة . وقيل سنة عشرين ، وقيل ثلاث وعشرون وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة . فالله أعلم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم أَرْقَم بن أبى الأرقم ، واسمه عبد مناف بن أسد بن جُنْدَب ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى .

أسلم قديما وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَخفيا فى داره عند الصَّفا وتُعرف تلك الدار بعد ذلك بالخيزران . وهاجر وشهد بدراً وما بعدها .

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن أنيس .

وهو الذى كتب إقطاع عظيم بن الحارث المحاربى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفخ وغيره ، وذلك فيما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عَتيق بن يعقوب الزبيرى ، حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده عمرو ابن حزم .

وقد توفى فى سنة ثلاث وقيل خمس وخمسين ، وله خمس وثمانون سنة .

وقد روى الإمام أحمد له حديثين ؛ الأول قال أحمد والحسن بن عرفة ـ واللفظ لأحمد ـ : حدثنا عَبّاد بن عباد المهلَّبِى ، عن هشام بن زياد ، عن عمار بن سعد ، عن عثمان بن أرقم بن أبى الأرقم ، عن أبيه ـ وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ـ أن رسول الله قال : « إن الذى يتخطّى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام كالجارّ قُصْبَه [1] فى النار » .

والثانى قال أحمد : حدثنا عصام بن خالد ، حدثنا العطاف بن خالد ، حدثنا يحيى بن عمران ، عن عبدالله بن عثمان بن الأرقم ، عن جده الأرقم ، أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أين تريد ؟ » قال أردت يا رسول الله هاهنا، وأومأ بيده إلى حيز بيت المقدس ، قال : « ما يُخرجك إليه أتجارة ؟ » قال : لا ولكن أردت الصلاة فيه . قال : « الصلاة ها هنا ـ وأومأ بيده إلى مكة ـ خير من ألف صلاة » وأومأ بيده إلى الشام .

تفرد بهما أحمد .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم ثابت بن قيس بن شَمَّاس الأنصارى الخزرجى أبو عبدالرحمن ، ويقال أبو محمد المدنى ، خطيب الأنصار ، ويقال له خطيب النبى صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : أنبأنا على بن محمد المدائنى بأسانيده عن شيوخه فى وفود العرب على رسول الله ، قالوا :قدم عبدالله بن عبس الثُّمالىّ ومَسْلمة بن هَزّان الحُدّانى على رسول الله فى رهط من قومهما بعد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا على قومهم ، وكتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة فى أموالهم ، كتبه ثابت بن قيس بن شَمَّاس وشهد فيه سعد بن معاذ ومحمد بن مَسْلَمَة رضى الله عنهم .

(١) القصب : الأمعاء .

وهذا الرجل ممن ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة.

وروى الترمذى فى جامعه بإسناد على شرط مسلم ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله قال : « نِعْم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر . نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح ، نعم الرجل أُسَيد بن حُضَير ، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، نعم الرجل معاذ بن عمرو ابن الجمُوح » .

وقد قتل رضى الله عنه شهيداً يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة فى أيام أبى بكر الصديق .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم حنظلة بن الربيع بن صَيْفى بن رباح بن الحارث بن مُخاشِن ابن معاوية بن شريف بن جَرْوة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى الأسيدى الكاتب، وأخوه ربَاح صحابى أيضا ، وعمه أَكْثَم بن صَيْفى كان حكيم العرب .

قال الواقدى : كتب للنبى صلى الله عليه وسلم كتابا . وقال غيره : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف فى الصُّلح ، وشهد مع خالد حروبه بالعراق وغيرها، وقد أدرك أيام علىّ وتخلف عن القتال معه فى الجمل وغيره ، ثم انتقل عن الكوفة لما شُتم بها عثمان ، ومات بعد أيام على .

وقد ذكر ابن الأثير فى الغابة ، أن امرأته لما مات جزعت عليه فلامها جاراتها فى ذلك فقالت :

تعجَّبت دَعْدُ لمحزونة ... تَبْكى على ذى شَيْبة شاحبِ
إنْ تسأليني اليومَ ماشَفَّنِي ... أُخبرك قولا ليس بالكاذبِ
إنّ سوادَ العين أوْدَى به ... حُزنٌ على حنظلةَ الكاتبِ

قال أحمد بن عبد الله بن الرَّقى : كان معتزلا للفتنة حتى مات بعد على ، جاء عنه حديثان .

قلت : بل ثلاثة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان ، قالا : حدثنا همام ، حدثنا قَتادة ، عن حنظلة الكاتب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس بركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقيتهن ، وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة » أو قال : « وجبت له الجنة » .

تفرد به أحمد ، وهو منقطع بين قتادة وحنظلة . والله أعلم .

والحديث الثانى : رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث سعيد الجريرى عن أبى عثمان النَّهْدى ، عن حنظلة : « لو تَدُومون كما تكونون عندى لصافَحتْكم الملائكة فى مجالسكم وفى طُرقكم وعلى فرشكم ، ولكن ساعة وساعة » .

وقد رواه أحمد والترمذى أيضا من حديث عمران بن داود القطَّان ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن حنظلة .

والثالث : رواه أحمد والنسائى وابن ماجه ، من حديث سفيان الثورى ، عن أبى الزِّناد ، عن المرقَّع بن صَيْفى بن حنظلة ، عن جده فى النَّهْى عن قتل النساء فى الحرب .

لكن رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيج ، قال : أُخبرت عن أبى الزِّنَاد عن مرقع بن صيفى بن ربَاح بن ربيع ، عن جده رباح بن ربيع أخى حنظلة الكاتب فذكره .

وكذلك رواه أحمد أيضا ، عن حسين بن محمد وإبراهيم بن أبى العباس ، كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه . وعن سعيد بن منصور وأبى عامر العقَدى ، كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبى الزِّناد ، عن مُرقَّع عن جده ربَاح . ومن طريق

المغيرة رواه النسائى وابن ماجه كذلك . وروى أبو داود والنسائى من حديث عمر بن مرقع عن أبيه ، عن جده رباح فذكره .

فالحديث عن رباح لا عن حنظلة ، ولذا قال أبو بكر بن أبى شيبة : كان[1] سفيان الثورى يخطئ فى هذا الحديث .

قلت : وصح قول ابن الرقى أنه لم يرو سوى حديثين . والله أعلم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد الأموى .

أسلم قديما ، يقال بعد الصِّديق بثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما قيل خمسة .

وذكروا أن سبب إسلامه أنه رأى فى النوم كأنه واقف على شَفِير جهنم فذكر من سِعتها ما الله به عليم .

قال : وكأن أباه يدفعه فيها ، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بيده ليمنعه من الوقوع ، فقص هذه الرؤيا على أبى بكر الصديق فقال له : لقد أريد بك خير ، هذا رسول الله فاتبعه تَنْجُ مما خِفْتَه . فجاء رسولَ الله فأسلم .

فلما بلغ أباه إسلامُه غضب عليه وضربه بعصا فى يده حتى كسرها على رأسه وأخرجه من منزله ومنعه القوت ، ونهى بقية إخوته أن يكلموه ، فلزم خالد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهاراً ، ثم أسلم أخوه عمرو .

فلما هاجر الناس إلى أرض الحبشة هاجر معهم ، ثم كان هو الذى ولى العقد فى تزويج أم حبيبة من رسول الله كما قدمنا ، ثم هاجرا من أرض الحبشة صحبة جعفر ، فقدما على رسول الله بخيبر وقد افتتحها ، فأسهم لهما عن مشورة المسلمين ، وجاء أخوهما أبان بن

(١) ا : فإن .

سعيد فشهد فتح خيبر كما قدمنا ، ثم كان رسول الله يوليهم الأعمال .

فلما كانت خلافة الصديق خرجوا إلى الشام للغزو فقتل خالد بأَجْنَادين ، ويقال بمَرْج الصفّر والله أعلم .

قال عَتيق بن يعقوب : حدثنى عبدالملك بن أبى بكر ، عن أبيه ، عن جده عن عمرو ابن حزم ؛ يعنى أن خالد بن سعيد كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله راشدَ بن عبد رب السُّلمى ، أعطاه غَلْوتين وغَلْوَة بحجر بُرهاط (١) ، فمن خافه فلا حقّ له وحقُّه حق وكتب خالد بن سعيد .

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنى جعفر بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال : أقام خالد بن سعيد بعد أن قدم من أرض الحبشة بالمدينة ، وكان يكتب لرسول الله ، وهو الذى كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف وسعى فى الصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم خالد بن الوليد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [أبو سليمان](٢) المخزومى .

وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية ، والعساكر المحمدية ، والمواقف المشهودة ، والأيام المحمودة . ذو الرأى السَّديد ، والبأس الشديد ، والطريق الحميد . أبو سليمان خالد بن الوليد .

ويقال إنه لم يكن فى جيش فكُسِر لا فى جاهلية ولا إسلام .

---

(١) الغلوة : قدر مايبلغ السهم . ورهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة ، أو قرية على طريق المدينة بواد يقال له غران . المراصد .

(٢) ليست فى ا .

قال الزبير بن بَكَّار : كانت إليه فى قريش القُبَّة وأعِنّة الخيل .

أسلَم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة بعد الحديبية وقبل خيبر ، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيما يبعثه أميراً ، ثم كان المقدَّم على العساكر كلها فى أيام الصديق .

فلما ولى عمر بن الخطاب عَزله وولَّى أبا عبيدة أمين الأمة على ألا يخرج عن رأى أبى سليمان .

ثم مات خالد فى أيام عمر ، وذلك فى سنة إحدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين — والأول أصح — بقرية على مِيل من حمص . قال الواقدى : سألت عنها فقيل لى دُثِرت . وقال دُحَيم : مات بالمدينة . والأول أصح .

وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

قال عَتِيق بن يعقوب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر ، عن أبيه عن جده ، عن عمرو بن حزم ، أن هذه قطائع أقطعَها رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المؤمنين أن صَيْدوح (١) وصَيْده لا يُعْضَد صيده ولا يُقتل ، فمن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يُجلد ويُنزع ثيابه ، وإن تعدّى ذلك أحد فإنه يُؤخذ فيبلَّغ به النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا من محمد النبى . وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم الزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أَسد بن عبد العزى بن قُصى ، أبو عبد الله الأسدى .

أحد العشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض

---

(١) صيدوح : قرية بشرقى المدينة من شِراج الحرة . والشراج : مجارى المياه من الحرار . المراصد .

[وحوارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وزوج أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه][1] .

روى عتيق بن يعقوب بسنده المتقدم ، أن الزبير بن العوام هو الذى كتب لبنى معاوية بن جَرْوَل الكتابَ الذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه لهم رواه ابن عساكر بإسناده عن عتيق به .

أسلم الزبير قديما رضى الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة ، ويقال ابن ثمانى سنين ، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ، وهو أول من سَلَّ سيفا فى سبيل الله .

وقد شهد اليرموك وكان أفضلَ من شهدها ، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين ، ويخرج من الجانب الآخر سالما ، لكن جُرح فى قفاه بضربتين رضى الله عنه .

وقد جَمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق أبويه[2] وقال : « إن لكل نبي حواريًّا وحوارِيَّ الزبيرُ » .

وله فضائل ومناقب كثيرة وكانت وفاته يوم الجمل ، وذلك أنه كرَّ راجعا عن القتال ، فلحقه عمرو بن جُرْموز وفضَالة بن حابس ورجل ثالث يقال له النعر التميميون ، بمكان يقال له وادى السِّباع ، فبدَر إليه عمرو بن جُرموز وهو نائم فقتله ، وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة .

وقد خلَّف رضى الله عنه بعده تركةً عظيمة ، فأوصَى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفى ألف ومائتى ألف دينار ، فلما قُضى دينه وأخرج ثلث ماله قُسم الباقى على ورثته ، فنال كلَّ امرأة من نسائه ــ وكن أربعا ــ ألف ألف ومائتا ألف ، فمجموع ماذكرناه مما

---

(١) سقطت من ا .　　(٢) فى قوله : ارم فداك أبى وأمى .

تركه رضى الله عنه تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف .

وهذا كله من وجوه حِلٍّ نالها فى حياته مما كان يصيبه من الفَىْء والمغانم ، ووجوه مَتاجر الحلال ، وذلك كله بعد إخراج الزكاة فى أوقاتها ، والصِّلات البارعة الكثيرة لأربابها فى أوقات حاجاتها .

رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس مثواه ، وقد فعل ! فإنه قد شَهد له سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين بالجنة ، ولله الحمد والمنة .

وذكر ابن الأثير فى الغابة أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخَراج ، وأنه كان يتصدق بذلك كله .

وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه ويفضّله بذلك :

أقامَ على عَهْـــد النبي وهَدْيه ... حواريُّه والقول بالفضـــل يعدلُ
أقام على منهاجه وطريقـــه ... يُوالى ولىَّ الحق والحق أعـــدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذى ... يَصُول إذا ما كان يومٌ مُحجَّلُ [1]
وإن امرءًا كانت صَفية أمـــه ... ومِن أسدٍ فى بيتـــه لمرفَّلُ [2]
له من رسول الله قُربى قريبـــةٌ ... ومن نُصرة الإسلام مجـــدٌ مؤثَّلُ
فكم كُرْبة ذَبَّ الزبيرُ بسيفـــه ... عن المصطفى والله يُعطِى ويُجزلُ
إذا كَشَفت عن ساقها الحرب حَشَّها ... بأبيض [سَبَّاقٌ [3]] إلى الموت يَرْفُلُ
فما مِثله فيهم ولا كان قبـــله ... وليس يـكون الدهر مادام يَذْبلُ

قد تقدم أنه قتله عمرو بن جُرْموز التميمى بوادى السِّباع وهو نائم ، ويقال بل قام من آثار النوم وهو دَهِش فركب وبارزه ابن جرموز ، فلما صمّم عليـه الزبير أنجدَه صاحباه فضَالة والنعر فقتلوه ، وأخذ عمرو بن جرموز رأسه وسيفه . فلما دخل بهما على

---

(١) المحجل : المعروف .   (٢) المرفل : المعظم والمسود .
(٣) من تاريخ ابن عساكر ٥/٣٦٤ .

علىّ قال علىّ رضى الله عنه لما رأى سيف الزبير : إن هذا السيف طالما فرّج الكُرَب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال علىّ فيما قال : بشِّر قاتلَ ابن صفية بالنار .

فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه .

والصحيح أنه عمِّر بعد علىّ حتى كانت أيام ابن الزبير ، فاستناب أخاه مُصْعَبا على العراق ، فاختفى عمرو بن جرموز خوفا من سطوته أن يقتله بأبيه. فقال مصعب : أبلغوه أنه آمِن ، أيحسب أنى أقتله بأبى عبد الله ؟ كلا والله ليسا سواء .

وهذا من حِلم مُصعب وعقله ورياسته .

وقد روى الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

ولما قُتل الزبير بن العوام بوادى السباع كما تقدم ، قالت امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل ترثيه رضى الله عنها وعنه :

غدَر ابن جُرموزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّدِ (١)
ياعمرو لو نبّهته لوجدته ... لا طائشا رَعْش الجَنانِ ولا اليدِ
كم غَمْرة قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادٌ يا ابن فَقْع القردَدِ (٢)
ثكلتْك أمك إن ظفرتَ بمثله ... فيمن مضى فيمن يَروح ويغتدِى
والله ربِّك إنْ قتلتَ لَمُسْلِما ... حلَّت عليك عقوبة المتعمِّدِ

* * *

ومنهم رضى الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن

---

(١) البهمة : الجيش ، وأيضا : الشجاع الذى لايهتدى من أين يؤتى . والمعرد : الهارب .

(٢) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ، والقردد : الجبل . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة . لأنه لا يمتنع على من جناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . وفى ا : طرادك .

عبيد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار الأنصـارى النجارى ، أبو سعيد ويقال أبو خارجة ، ويقال أبو عبد الرحمن المدَنى .

قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فلهذا لم يشهد بدراً لصغره ، قيل ولا أحدا ، وأول مَشاهده الخندق ، ثم شهد مابعدها .

وكان حافظا لَبيبا عالما عاقلا ، ثبت عنه فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَره أن يتعلم كتابَ يهود ليقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا إليه ، فتعلَّمه فى خمسة عشر يوما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبى الزنَاد ، عن خارجة بن زيد ، أن أباه زيداً أخبره أنه لما قدِم رسول الله المدينة قال زيد : ذُهب بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُعجب بى ، فقالوا : يارسول الله هذا غلامٌ من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة . فأعجب ذلك رسولَ الله وقال : « يازيد تعلّم لى كتابَ يهود ، فإنى والله ما آمن يهودَ على كتابى » .

قال زيد : فتعلّمت لهم كتابهم مامرّت خمس عشرة ليلة حتى حَذقْته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيبُ عنه إذا كتب .

ثم رواه أحمد عن شُريح بن النعمان ، عن ابن أبى الزّنَاد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه فذكر نحوه .

وقد علقه البخارى فى الأحكام عن خارجة بن زيد بن ثابت بصيغة الجزم فقال : وقال خارجة بن زيد . فذكره .

ورواه أبو داود عن أحمـد بن يونس ، والترمذى عن على بن حجر ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه به نحوه .

وقال الترمذى : حسن صحيح .

وهـذا ذكاء مُفْرِط جداً . وقد كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُرَّاء كما ثبت فى الصحيحين عن أنس .

وروى أحمد والنسائى من حديث أبى قلابة ، عن أنس عن رسول الله أنه قال : « أرحمُ أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدُّها فى دين الله عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأَقْضاهم على بن أبى طالب ، وأعلَمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت ، ولـكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

ومن الحفّاظ من يجعله مرسَلا إلا مايتعلق بأبى عبيدة ، ففى صحيح البخارى من هذا الوجه .

وقد كتب الوحىَ بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير مامَوْطن .

ومن أوضح ذلك ما ثبت فى الصحيح عنه أنه قال : لما نزل قوله تعالى « لا يَسْتَوِى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله[1] » الآية دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » .

فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضَرارته ، فنزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فثقلت فخـذه على فخذى حتى كادت ترضُّها ، فنزل : « غير أُولى الضَّرَر » فأمرنى فألحقتُها ، فقال زيد : فإنى لأعرف [موضع[2]] ملحقها عند صَدْعٍ فى ذلك اللوح – يعنى من عظام – الحديث .

وقد شهد زيدٌ اليمامة وأصابه سهم فلم يضره ، وهو الذى أمره الصديق بعد هذا بأن يتتبع القرآن فيجمعه ، وقال له : إنك شابٌ عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تـكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبّع القرآن فاجمعه . ففعل ماأمره به الصديق ، فـكان فى ذلك خير كثير ولله الحمد والمنة .

---

(١) سورة النساء (٢) ليست فى ا .

وقد استنابه عمر مرتين فى حجتين على المدينة ، واستنابه لما خرج إلى الشام ،وكذلك كان عثمان يَسْتَنيبه على المدينة أيضا .

وكان على يحبه ، وكان يعظّم عليا ويعرف له قَدره ، ولم يشهد معه شيئا من حروبه . وتأخر بعـده حتى توفى سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة إحدى وقيل خمس وخمسين .

وهو ممن كان يكتب المصاحف الأئمة التى نفَّذ بها عثمان بن عفان إلى سائر الآفاق اللائى وقع على التلاوة طبق رَسْمِهن الإجماع والاتفاق ، كما قررنا ذلك فى كتاب فضائل القرآن الذى كتبناه مقدمة فى أول كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة .

* * *

ومنهم السِّجل ، كما ورد به الحديث المروى فى ذلك عن ابن عباس ــ إن صح ــ وفيه نظر .

قال أبو داود : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا نوح بن قيس ، عن يزيد بن كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوْزاء ، عن ابن عباس ، قال : السِّجِلّ كاتبٌ للنبى صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه النسائى عن قتيبة به ، عن ابن عباس أنه كان يقول : فى هـذه الآية « يوم نَطْوى السماءَ كطَىّ السِّجِلّ للـكتاب »(١) السّجل : الرجل .
هذا لفظه .

ورواه أبو جعفر بن جرير فى تفسيره عند قوله تعالى : « يوم نَطْوى السماء كطَىّ السجل للـكتاب » عن نصر بن على ، عن نوح بن قيس ، وهو ثقة من رجال مسلم ، وقد ضعفه ابن مَعين فى رواية عنه . وأما شيخه يزيد بن كعب العَوْذِىّ البصرى فلم يَرْو عنه سوى نوح بن قيس ، وقد ذكره مع ذلك ابن حِبّان فى الثقات .

---

(١) سورة الأنبياء .

وقد عرضتُ هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المِزِّى فأنكره جداً ، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول : هو حديث موضوع ، وإن كان فى سنن أبى داود . فقال شيخنا المِزّى : وأنا أقوله .

قلت : وقد رواه الحافظ ابن عدى فى كامله من حديث محمد بن سليمان الملقب ببُومة ، عن يحيي بن عمرو ، عن مالك البكرى ، عن أبيه ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له السجل ، وهو قوله تعالى : « يوم نَطْوى السماء كطىّ السِّجل للكتاب » قال : كما يَطْوى السجل للكتاب كذلك تُطْوَى السماء .

وهكذا رواه البيهقى عن أبى نصر بن قَتادة عن أبى على الرّفاء ، عن على بن عبدالعزيز عن مسلم بن إبراهيم ، عن يحيي بن عمرو بن مالك به . ويحيي هذا ضعيف جداً فلا يصلح للمتابعة . والله أعلم .

وأغربُ من ذلك أيضا مارواه الحافظ أبو بكر الخطيب وابن مَنْدة من حديث أحمد ابن سعيد البغدادى المعروف بحمدان ، عن ابن نُمَيْر ، عن عبيد الله ، عن نافع عن ابن عمر قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له سِجلّ فأنزل الله : « يوم نَطْوى السماء كطىّ السجل للكتاب » قال ابن مندة : غريب تفرد به حمدان . وقال البَرْقانى : قال أبو الفتح الأزدى . تفرد به ابن نمير إن صح .

قلت : وهذا أيضا منكَر عن ابن عمر ، كما هو منكر عن ابن عباس ، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك ، فقد روى الوالبىّ والعَوْفى ، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية قال : كطى الصحيفة على الكتاب . وكذلك قال مجاهد .

وقال ابن جرير : هذا هو المعروف فى اللغة أن السِّجل هو الصحيفة .

قال : ولا يعرف فى الصحابة أحد اسمه السجل ، وأنكر أن يكون السجل اسم مَلَك

من الملائكة ، كما رواه عن أبى كُرَيب ، عن ابن يَمان ، حدثنا أبو الوفاء الأشْجَعى ، عن أبيه ، عن ابن عمر فى قوله : « يومَ نَطْوى السماءَ كَطَىِّ السِّجل للكتاب » قال : السجل ملَك فإذا صعد بالاستغفار قال الله : اكتبها نوراً .

وحدثنا بنْدَار ، عن مؤمّل ، عن سفيان ، سمعت السُّدِّى يقول . فذكر مثله .

وهكذا قال أبو جعفر الباقر فيما رواه أبو كريب عن المبارك ، عن معروف بن خَرَّبوذ عمن سمع أبا جعفر يقول : السِّجِل الملك .

وهذا الذى أنكره ابن جرير من كون السجل اسم صحابى أو ملك قوى جداً ، والحديث فى ذلك منكَر جداً . ومن ذكره فى أسماء الصحابة كابن مَنده وأبى نُعيم الأصبهانى وابن الأثير فى الغابة ، إنما ذكره إحسانا للظن بهذا الحديث ، أو تعليقاعلى صحته والله أعلم .

* * *

ومنهم سعد بن أبى سَرْح فيما قاله خليفة بن خَيّاط .

وقد وهم إنما هو ابنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، كما سيأتى قريبا إن شاء الله .

ومنهم عامر بن فُهَيْرة ، مولى أبى بكر الصديق .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر قال : قال الزهرى : أخبرنى عبدالملك ابن مالك المدْلجى ، وهو ابن أخى سُرَاقة بن مالك ، أن أباه أخبره أنه سمع سُراقة يقول . فذكر خبر هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وقال فيه : فقلت له إن قومك جعلوا فيك الدِّية ، وأخبرتهم من أخبار سَفرهم ومايريد الناس بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يَرْزَؤونى منه شيئا ولم يسألونى إلا أن أَخْفِ عنا ، فسألته أن يكتب لى كتابَ موادعة آمنُ به ، فأمر عامر بن فُهَيرة فكتب فى رقعة من أدم ، ثم مضى .

قلت : وقد تقدم الحديث بتمامه فى الهجرة وقد روى أن أبا بكر هو الذى كتب لسُراقة هذا الكتاب فالله أعلم .

وقد كان عامر بن فُهَيْرة - ويُكنى أبا عمرو - من موَلَّدى الأَزْد أسود اللون ، وكان أولا مولى للطُّفيل بن الحارث أخى عائشة لأمها أم رُومان ، فأسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأَرْقَم بن أبى الأرقم التى عندالصَّفا مُسْتَخفياً، فكان عامر يعذَّب مع جملة المستضعفين بمكة ليرجع عن دينه [فيأبى[1]] ، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه ، فكان يرعى له غَنما بظاهر مكة .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر كان معهما رَدِيفا لأبى بكر ومعهم الدليل الدِّيلى فقط . كما تقدم مبسوطا [2] .

ولما وردوا المدينة نزل عامر بن [فُهَيْرة[1]] على سعد بن خيثمة ، وآخَى رسول الله بينه وبين أَوْس بن مُعاذ وشهد بدراً واحداً .

وقتل يوم بئر مَعُونة ، كما تقدم ، وذلك سنة أربع من الهجرة ، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة فالله أعلم .

وقد ذكر عروة وابن إسحاق والواقدى وغير واحد ، أن عامراً قتله يوم بئر مَعُونة رجل يقال له جَبَّار بن سُلْمى من بنى كلاب ، فلما طعنه بالرمح قال : فُزْتُ ورب الكعبة. ورُفع عامر حتى غاب عن الأبصار حتى قال عامر بن الطفيل : لقد رفع حتى رأيت السماء دونه .

وسئل عمرو بن أمية عنه فقال : كان من أَفْضلنا ومن أول أهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم .

قال جبار : فسألتُ الضحاك بن سفيان عما قال مايعنى به ؟ فقال : يعني الجنة .

---

(١) ليست فى ا (٢) تقدم ذلك فى الجزء الثانى .

ودعانى الضحاك إلى الإسلام فأسلمت لَمَا رأيت من قتل عامر بن فهيرة ، فكتب الضحاك إلى رسول الله يخبره بإسلامى وما كان من أمر عامر ، فقال : « وارَتْه الملائكة وأُنزل عِلِّيين »

وفى الصحيحين عن أنس أنه قال : قرأنا فيهم قرآنا : أن بَلِّغوا عنا قومَنا أنّا لقينا ربَّنا فرضِي عنا وأرضانا .

وقد تقدم ذلك وبيانه فى موضعه عند غزوة بئر مَعُونة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر بن الطُّفَيل كان يقول : من رجلٌ منكم لما قُتل رأيته رُفع بين السماء والأرض حتى رأيتُ السماء دونه ؟ قالوا : عامر بن فُهَيرة .

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرى ، عن عروة، عن عائشة قالت : رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته .

يَرون أن الملائكة وارَتْه .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن أرقم بن أبى الأرقم المخزومى .

أسلم عام الفتح وكتب للنبى صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام مالك : وكان يُنفْذ مايفعله ويشكره ويَستجيده .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق بن يسَار ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله استكتب عبدَ الله بن الأرقم بن عبد يَغُوث ، وكان يجيب عنه الملوكَ ، وبلغ من أمانته أنه [كان يأمره أن] يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويختم على مايقرأه لأمانته عنده .

وكتب لأبى بكر وجعل إليه بيت المال ، وأقره عليهما عمر بن الخطاب، فلما كان عثمان عزله عنهما .

قلت : وذلك بعد مااستعفاه عبدُ الله بن أرقم . ويقال إن عثمان عرض عليه ثلاثمائة ألف درهم عن أجرة عمَالتــه فأبى أن يقبلها وقال : إنما عملتُ لله فأجرِى على الله عز وجل .

قال ابن إسحاق : وكتَب لرسول الله زيدُ بن ثابت ، فإذا لم يحضر ابن الأرقم وزيد بن ثابت كتب مَن حضَر من الناس .

وقد كتب عمر وعلى وزيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ممن سمى من العرب .

وقال الأعمش : قلت لشَقِيق بن سَلمة : من كان كاتِب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عبد الله بن الأرقم ، وقد جاء عمر بكتاب أبى بكر بالقادسية وفى أسفله : وكتب عبد الله بن الأرقم .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ، حدثنا الفضل بن محمد البيهقى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا عبد العزيز بن أبى سلَمة الماجُشُون ، عن عبد الواحد بن أبى عَون ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم كتاب رجل ، فقال لعبد الله بن الأرقم : « أجب عنى » فكتب جوابه ثم قرأه عليه ، فقال : « أصبتَ وأحسنت ، اللهم وفِّقه » .

قال : فلما ولى عمرُ كان يشاوره . وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : مارأيت أخشَى لله منه ـ يعنى فى العمال ـ

أُضِرّ رضى الله عنه قبل وفاته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى الخزرجى ، صاحب الأذان .

أسلم قديما فشهد عقَبة السبعين ، وحضر بدراً وما بعدها .

ومن أكبر مَناقبه رؤيته الأذان والإقامة فى النوم ، وعرْضه ذلك على رسول الله وتقريره عليه ، وقوله له : « إنها لرؤيا حق فألقِه على بلال ، فإنه أندَى صوتا منك » . وقد قدمنا الحديث بذلك فى موضعه .

وقد روى الواقدى بأسانيده عن ابن عباس أنه كتب كتابا لمن أسلم من جُرَش فيه الأمر لهم بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإعطاء خُمس المغنم .

وقد توفى رضى الله عنه سنة اثنتين وثلاثين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم عبدالله بن سَعْد بن أبى سَرْح ، القرشى العامرى ، أخو عثمان لأمه من الرضاعة . أرضعته أم عثمان .

وكتب الوحىَ ثم ارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة ، فلما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان قد أَهْدَر دمه فيمن أهدر من الدماء — فجاء إلى عثمان بن عفان فاستأمَن له ، فأمَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قدمنا فى غزوة الفتح.

ثم حسُن إسلام عبد الله بن سعد جداً .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن محمد المروزى ، حدثنا على بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان عبد الله بن سعد ابن أبى سَرْح يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأزلَّه الشيطان فلحِق بالكفار ، فأمر به رسول الله أن يُقتل ، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه النسائى من حديث علىّ بن الحسين بن واقد به .

قلت: وكان على مَيْمَنة عمرو بن العاص حين افتتح عمرو مصر سنة عشرين فى الدولة العمَرية ، فاستناب عمر بن الخطاب عَمْراً عليها ، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عَزل عنها عمرو بن العاص وولّى عليها عبد الله بن سعد سنة خمس وعشرين .

وأمَره بغزو بلاد أفريقية فغزاها ففتحها وحصّل للجيش منها مال عظيم ، كان قَسْم الغنيمة لكل فارس من الجيش ثلاثة آلاف مثقال من ذهب ، وللراجل ألف مثقال ، وكان معه فى جيشه هذا ثلاثة من العبَادلة ؛ عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو .

ثم غزا عبد الله بن سعد بعد أفريقية الأساود من أرض النوبة فهادنهم ، فهى إلى اليوم ، وذلك سنة إحدى وثلاثين .

ثم غزا غزوة الصَّوارِى فى البحر إلى الروم وهى غزوة عظيمة .

فلما اختلف الناس على عثمان خرج من مصر واستناب عليها ليذهب إلى عثمان لينصره . فلما قُتل عثمان أقام بعَسْقلان — وقيل بالرَّمْلة — ودعا الله أن يقبضه فى الصلاة ، فصلى يوماً الفجر وقرأ فى الأولى منها بفاتحة الكتاب والعاديات ، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وسورة ، ولما فرغ من التشهد سلَّم التسليمة الأولى ، ثم أراد أن يسلم الثانية فمات بينهما رضى الله عنه ، وذلك فى سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة سبع ، وقيل إنه تأخر إلى سنة تسع وخمسين ، والصحيح الأول .

قلت : ولم يقع له رواية فى الكتب الستة ولا فى المسند للإمام أحمد .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن عثمان ، أبو بكر الصِّديق . وقد ذكرت ترجمته (١)

(١) وذلك فى الجزء السادس من البداية للمؤلف .

فى أيام خلافته . وقد جمعتُ مجلداً فى سيرته وما رواه من الأحاديث وما روى عنه من الآثار .

والدليل على كتابته ما ذكره موسى بن عُقْبة ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن ابن مالك بن جُعْشُم عن أبيه ، عن سُرَاقة بن مالك فى حديثه حين اتبع رسول الله حين خرج هو وأبو بكر من الغار فمروا على أرضهم ، فلما غشِيهم — وكان من أمر فرسه ما كان — سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب أمان ، فأمر أبا بكر فكتب له كتابا ثم ألقاه إليه .

وقد روى الإمام أحمد من طريق الزهرى بهذا السند ، أن عامر بن فُهَيرة كتبه ، فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه . والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم عثمان بن عفان أمير المؤمنين . وقد ذكرت ترجمته فى أيام خلافته وكتابته بين يديه عليه السلام مشهورة . وقد روى الواقدى بأسانيده أن نَهْشَل بن مالك الوائلىّ لما قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فكتب له كتابا فيه شرائع الاسلام .

ومنهم رضى الله عنهم على بن أبى طالب أمير المؤمنين . وقد ذكرت ترجمته فى خلافته ، وقد تقدم أنه كتب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية أن يَأمنَ الناسُ ، وأنه لا إسْلَال ولا إغلال ، وعلى وَضْع الحرب عشرَ سنين . وقد كتب غير ذلك من الكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم .

وأما ما يدَّعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتاباً من النبى صلى الله عليه وسلم بوضع الجزْية عنهم وفى آخره : وكتَب علىّ بن أبى طالب . وفيه شهادة جماعة من

الصحابة منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبى سفيان ، فهو كذب وبهتان مختلَق موضوع مصنوع .

وقد بيّن جماعة من العلماء بطلانه ، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم . وهذا ضعيف جداً .

وقد جمعتُ فى ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه بُطلانه وأنه موضوع ، اختلقوه وصنعوه وهم أهلٌ لذلك ، وبينته وجمعت مُفرَّق كلام الأئمة فيه ولله الحمد والمنة .

ومن الكُتاب بين يديه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد ذكرت ترجمته فى موضعها . وقد أفردت له مجلداً على حِدة ، ومجلداً ضخما فى الأحاديث التى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار والأحكام المروية عنه رضى الله عنه ، وقد تقدم بيان كتابته فى ترجمة عبد الله بن الأرقم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم العلاَء بن الحَضْرَمى واسم الحضرمى عَبّاد ، ويقال عبد الله ابن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عريف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصدف بن زيد ابن مقنع بن حَضرموت بن قَحطان . وقيل غير ذلك فى نسبه .

وهو من حلفاء بنى أمية . وقد تقدم بيان كتابته فى ترجمة أبان بن سعيد ابن العاص .

وكان له من الإخوة عشرة غيره فنهم : عمرو بن الحضرمى ، أول قتيل من المشركين قتله المسلمون فى سَرِية عبد الله بن جحش ، وهى أول سَرية كما تقدم .

ومنهم عامر بن الحضرمى الذى أمره أبو جهل لعنه الله فكشف عن عورته ونادى : واعَمْراه . حين اصطفّ المسلمون والمشركون يوم بدر ، فهاجت الحرب وقامت على ساق ، وكان ما كان مما قدمناه مبسوطا فى موضعه .

ومنهم شُرَيح بن الحضرمى ، وكان من خِيار الصحابة ، قال فيه رسول الله : « ذاك رجل لا يتوسَّد القرآن » يعنى لا ينام ويتركه ، بل يقوم به آناء الليل والنهار .

ولهم كلهم أخت واحدة وهى الصَّعْبة بنت الحضرمى ، أم طلحة بن عبيد الله .

وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى المنذِر بن ساوَى ملك البحرين ، ثم ولاه عليها أميرا حين افتتحها ، وأقرّه عليها الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة . فلما كان فى أثناء الطريق توفى وذلك فى سنة إحدى وعشرين .

وقدروى البيهقى وغيره عنه كرامات كثيرة ، منها أنه سار بجيشه على وجه البحر ما يصل إلى رُكَب خيولهم ، وقيل إنه ما بلّ أسافل نعال خيولهم ، وأمرَهم كلهم فجعلوا يقولون : يا حَليم يا عظيم . وأنه كان فى جيشه فاحتاجوا إلى ماء فدعا الله فأمطرهم قدر كفايتهم ، وأنه لما دُفن لم يُر له أثر بالكلية ، وكان قد سأل الله ذلك .

وسيأتى هذا فى كتاب دلائل النبوة قريبا إن شاء الله عز وجل .

وله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث : الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيينة ، حدثنى عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن السائب بن يزيد ، عن العلاء بن الحضرمى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَمْكث المهاجر بعد قضاء نُسكه ثلاثا » .

وقد أخرجه الجماعة من حديثه .

والثانى قال أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا منصور ، عن ابن سِيرين ، عن ابن العلاء بن الحضرمى ، أن أباه كتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه .

وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل .

والحديث الثالث رواه أحمد وابن ماجه ، من طريق محمد بن زيد ، عن حبان

الأعرج ، عنه أنه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين فى الحائط – يعنى البستان – يكون بين الإخوة فيُسْلِم أحدهم ؟ فأمره أن يأخذ العُشْر ممن أسلم ، والخراج – يعنى ممن لم يسلم – .

* * *

ومنهم العَلاء بن عُقبة ، قال الحافظ ابن عساكر : كان كاتبا للنبى صلى الله عليه وسلم، ولم أجد أحداً ذكره إلا فيما أخبرنا .

ثم ذكر إسناده إلى عَتِيق بن يعقوب ، حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم ، عن أبيه عن جده ، عن عمرو بن حزم أن هذه قطائعُ أقطعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم فذكرها ، وذكر فيها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمد عباسَ بن مرداس السُّلمى ، أعطاه مَدْموراً [1] فمن خافه فيها فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب العلاء بن عقبة وشهد .

ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله عَوْسَجة بن حَرْملة الجهنى ، من ذى المرْوَة وما بين بَلْكَثة إلى الظَّبية إلى الجعلات إلى جبل القِبْلية [2] فمن خافه فلا حق له وحقه حق ، وكتبه العلاء بن عقبة .

وروى الواقدى بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقْطَع ابنى سيح من جُهينة وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عقبة ، وشهد .

وقد ذكر ابن الأثير فى الغابة هذا الرجل مختصراً فقال : العلاء بن عقبة كتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، ذكره فى حديث عمرو بن حزم ، ذكره جعفر أخرجه أبو موسى – يعنى المدينى – فى كتابه .

---

(١) لم أجدها فى كتب البلدان .

(٢) بلكثة : عرس من المدينة . والظبية : على ثلاثة أميال قرب الروحاء .

ومنهم رضى الله عنهم محمد بن مَسْلمة بن خُرَيْش بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج الأنصارى الحارثى الخزرجى أبو عبد الله ، ويقال أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو سعد المدنى حليف بنى عبد الأشهل .

أسلم على يدى مُصْعَب بن عُمير ، وقيل سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير ، وآخَى رسول الله حين قدم المدينة بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح .

وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، واستخلفه رسول الله على المدينة عام تبوك .

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : كان شديد السُّمرة طويلا أصلع ذا جثة وكان من فضلاء الصحابة ، وكان ممن اعتزل الفتنة واتخذ سيفا من خشب .

ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين على المشهور عند الجمهور ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وقد روى حديثا كثيراً عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر محمد بن سعد، عن على بن محمد المدائنى بأسانيده أن محمد بن مسلمة هو الذى كتب لوفد مُرة كتاباً عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم معاوية بن أبى سفيان ، صخر بن حرب بن أمية الأموى وقد ذكرنا ترجمته فى أيام إمارته .

وقد ذكره مسلم بن الحجاج فى كُتّابه عليه السلام . وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبى زُمَيْل سِمَاك بن الوليد ، عن ابن عباس ، أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ثلاث أعطنيهن؟ قال : نعم قال: تؤمّرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك . قال : نعم ، الحديث .

وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حدة ، بسبب ما وقع فيه من ذكر طلبه تزويج أم حبيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن فيه من المحفوظ تأمير أبى سفيان

وتولية معاوية منصب الكتابة بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا قدرٌ متفق عليه بين الناس قاطبة .

فأما الحديث الذى قال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة معاوية هاهنا : أخبرنا أبو غالب بن البنا ، أنبأنا أبو محمد الجوهرى ، أنبأنا أبو على محمد بن أحمد بن يحيى بن عبدالله العطشى ، حدثنا أحمد بن محمد البورانى ، حدثنا السَّرِى بن عاصم ، حدثنا الحسن ابن زياد ، عن القاسم بن بَهْرام ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار جبريل فى استكتاب معاوية فقال : استكتبه فإنه أمين .

فإنه حديث غريب بل منكَر . والسَّرِى بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهمذانى وكان يؤدب المعتز بالله ، كذَّبه فى الحديث ابن خِرَاش .

وقال ابن حبان وابن عدى : كان يسرق الحديث . زاد ابن حبان : ويرفع الموقوفات لا يحل الاحتجاج به . وقال الدار قطنى : كان ضعيف الحديث .

وشيخه الحسن بن زياد : إن كان اللؤلؤى فقد تركه غير واحد من الأئمة ، وصرح كثير منهم بكذبه ، وإن كان غيره فهو مجهول العين والحال .

وأما القاسم بن بَهْرام فاثنان ؛ أحدهما يقال له القاسم بن بهرام الأسدى الواسطى الأعرج ، أصله من أصبهان ، روى له النسائى عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس حديث القنوت بطوله ، وقد وثَّقه ابن معين وأبو حاتم وأبو داود وابن حبان . والثانى القاسم ابن بَهرام أبو همدان قاضى هيت . قال ابن معين : كان كذابا .

وبالجملة فهذا الحديث من هذا الوجه ليس بثابت ولا يغتر به .

والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره واطلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره — بل ومن تقدَّمه بدهر — كيف يورد فى تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط ثم لا يبين حالها ، ولا يشير إلى شىء من ذلك إشارةً لا ظاهرة ولا

خفية ، ومثل هذا الصنيع فيه نظر . والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفى ، وقد قدمت ترجمته فيمن كان يخدمه عليه السلام من أصحابه من غير مَواليه ، وأنه كان سَيَّافا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ابن عساكر بسنده عن عَتِيق بن يعقوب بإسناده المتقدم غير مرة ، أن المغيرة بن شعبة هو الذى كتب إقطاع حُصَين بن نَضلة الأسدى الذى أقطعه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره .

فهؤلاء كتابه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

فصـــــل

وقد ذكر ابن عساكر من أمنائه أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى الفهرى أحد العشرة رضى الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى .

أما أبو عبيدة فقد روى البخارى من حديث أبى قِلَابة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح » .

وفى لفظ : أن رسول الله قال لوفد عبد القيس نجران : « لأبعثن معكم أمينا حقّ أمين » فبعث معهم أبا عبيدة .

قال : ومنهم مُعَيْقيب بن أبى فاطمة الدَّوْسى مولى بنى عبد شمس ، كان على خاتمه ، ويقال كان خادمه ، وقال غيره : أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة فى الناس ، ثم إلى المدينة وشهد بدرا وما بعدها ، وكان على الخاتم ، واستعمله الشيخان على بيت المال .

قالوا : وكان قد أصابه الجذام فأمر عمر بن الخطاب فدُووى بالحنظل فتوقف المرض . وكانت وفاته فى خلافة عثمان وقيل سنة أربعين فالله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بُكير ، حدثنا شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة ، حدثنى مُعَيْقيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الرجل يسوِّى التراب حيث يسجد قال : « إن كنتَ لابد فاعلا فواحدة » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شَيبان النحوى ، زاد مسلم : وهشام الدَّسْتُوائى . زاد الترمذى والنسائى وابن ماجه : والأوزاعى ، ثلاثتهم عن يحيى بن أبى كثير به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أيوب ، عن عتبة ، عن يحيى

ابن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن مُعيقيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأعقاب من النار » .

وتفرد به الإمام أحمد .

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي عَتّاب سهل بن حماد الدلال ، عن أبي مَسكين نوح بن ربيعة ، عن إياس بن الحارث بن المعيقيب ، عن جده ـ وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد مَلْوِي عليه فضة ، قال : فربما كان في يدي .

قلت : أما خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فالصحيح أنه كان من فضة فصُّه منه ، كما سيأتي في الصحيحين . وكان قد اتخذ قبله خاتم ذهب فلبسه حيناً ثم رمَى به وقال : « والله لا ألبسه » .

ثم اتخذ هذا الخاتم من فضة فصُّه منه ونَقْشه: محمد رسول الله ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

فكان في يده عليه السلام ، ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان فلبث في يده ست سنين ، ثم سقط منه في بئر أَرِيس ، فاجتهد في تحصيله فلم يقدر عليه .

وقد صنف أبو داود رحمة الله عليه كتابا مستقلا في سننه في الخاتم وحده ، وسنورد منه إن شاء الله قريبا مانحتاج إليه وبالله المستعان .

وأما لبس معيقيب لهذا الخاتم فيدل على ضعف مانُقل أنه أصابه الجذام ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره ، لكنه مشهور ، فلعله أصابه ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كان به وكان مما لا يُعْدَى منه ، أو كان ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لقوة توكله ، كما قال لذلك المجذوم ـ ووضع يده في القصعة ـ « كُل، ثقةً بالله وتوكلا عليه ».

رواه أبو داود . وقد ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد » . والله أعلم .

وأما أمراؤه عليه السلام فقد ذكرناهم عند بعث السرايا منصوصا على أسمائهم . ولله الحمد والمنة .

* * *

وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس فى عِدَّتهم ، فنُقل عن أبى زُرْعة أنه قال : يبلغون مائة ألف وعشرين ألفا .

وعن الشافعى رحمه الله أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ممن سمع منه ورآه زُهاء ستين ألفاً .

وقال الحاكم أبو عبد الله : يُرْوَى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابى .

قلت : والذين روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته واطلاعه واتساع رِحْلته وإمامته من الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفسا .

[ووضع فى الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابى أيضا[(١)]] .

وقد اعتنَى جماعة من الحفاظ رحمهم الله بضبط أسمائهم وذكر أيامهم ووفياتهم ، من أجَلّهم الشيخ أبو عمر بن عبد البَرّ النَّمَرى فى كتابه الاستيعاب ، وأبو عبد الله محمد ابن إسحاق بن مَنْدَة ، وأبو موسى المدينى .

ثم نظَم جميع ذلك الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزَرى المعروف بابن الصحابة ، صنَّف كتابه الغابة فى ذلك فأجاد وأفاد ، وجمع وحصل ، ونال ما رام وأمَّل ، فرحمه الله وأثابه وجمعه والصحابة آمين يارب العالمين .

---

(١) سقط من ا .

باب

مايذكر من آثار النبي ﷺ التي كان يختص بها في حياته من ثياب وسلاح ومراكب وغير ذلك مما يجري مجراه وينتظم في معناه

ذكر الخاتم الذي كان يلبسه عليه السلام ومن أي شيء كان من الأجسام

وقد أفرد له أبو داود في كتابه السنن كتابا على حِدَة، ولنذكر عيون ماذكره في ذلك مع مانضيفه إليه، والمعوَّل في أصل ماذكره عليه.

قال أبو داود: حدثنا عبد الرحيم بن مُطرف الرُّؤاسي. حدثنا عيسى، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى بعض الأعاجم فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا بخاتم. فاتخذ خاتما من فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله.

وهكذا رواه البخاري عن عبد الأعلى بن حماد، عن يزيد بن زُريع عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة به.

ثم قال أبو داود: حدثنا وهب بن بَقية، عن خالد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بمعنى حديث عيسى بن يونس. زاد: فكان في يده حتى قُبض، وفي يد أبي بكر حتى قبض، وفي يد عمر حتى قبض، وفي يد عثمان، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر فأمر بها فنُزحت، فلم يُقدَر عليه.

تفرد به أبو داود من هذا الوجه.

ثم قال أبو داود رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن صالح قالا: أخبرنا ابن

وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني أنس قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من وَرِق فصُّه حبشي .

وقد روى هذا الحديث البخاري من حديث الليث ، ومسلم من حديث ابن وهب ، وطلحة عن يحيى الأنصاري ، وسليمان بن بلال ، زاد النسائي وابن ماجه : وعثمان عن عمر ، خمستهم عن يونس بن يزيد الأَيْلِيّ به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زُهَير ، حدثنا حُمَيد الطويل ، عن أنس ، قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من فضة كله فصه منه .

وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث زهير بن معاوية الجُعْفي أبي خيثمة الكوفي به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما ، فقال : إنا اتخذنا خاتما ونقَشْنا فيه نقشاً فلا ينقش عليه أحد .

قال : فإني أرى بَريقه في خنصره .

ثم قال أبو داود : حدثنا نَصْر بن الفرج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر [قال[1]] اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وجعل فَصَّه مما يلي بَطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله .

فاتخذ الناس خواتم الذهب ، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال : لا ألبسه أبداً .

ثم اتخذ خاتما من فضة نقش فيه : محمد رسول الله .

ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر ، ثم لبسه بعد أبي بكر عمر ، ثم لبسه بعده عثمان حتى وقع في بئر أَرِيس .

(١) من سنن أبي داود ٢/١٩٧ .

وقد رواه البخارى عن يوسف بن موسى ، عن أبى أسامة حماد بن أسامة به .

ثم قال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن أيوب ابن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم : فنقش فيه محمد رسول الله ، وقال : لا ينقش أحدٌ على خاتمى هذا . وساق الحديث .

وقد رواه مسلم وأهل السنن الأربعة ، من حديث سفيان بن عيينة به نحوه .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا أبو عاصم ، عن المغيرة بن زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قالَ : فالتمسوه فلم يجدوه ، فاتخذ عثمان خاتما ونقش فيه : محمد رسول الله . قال : فكان يختم به أو يتختَّم به .

ورواه النسائى عن محمد بن مَعْمَر ، عن أبى عاصم الضحاك بن مَخْلَد النبيل به .

ثم قال أبو داود :

باب
[ما جاء[1]] فى ترك الخاتم

حدثنا محمد بن سليمان لُوَيْنٌ ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك أنه رأى فى يد النبى صلى الله عليه وسلم خاتما من ورِق يوما واحداً ، فصنع الناس فلبسوا . وطرح النبى صلى الله عليه وسلم فطرح الناسُ .

ثم قال : رواه عن الزهرى زياد بن سعد وشُعيب وابن مُسافر ، كلهم قال : من وَرِق .

قلت : وقد رواه البخارى : حدثنا يحيى بن بكَير . حدثنا الليث ، عن يونس ، عن

(١) من سنن أبى داود ٢/١٩٧ .

ابن شهاب ، قال : حدثنى أنس بن مالك أنه رأى فى يد النبى صلى الله عليه وسلم خاتما من ورِق يوما واحدا ، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيمَ من ورق ولبسوها، فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه ، فطرح الناس خواتيمهم .

ثم علقه البخارى عن إبراهيم بن سعد الزهرى المدنى وشعيب بن أبى جَمْـرة وزياد ابن سعد الخراسانى ، وأخرجه مسلم من حديثـه ، وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، كلهم عن الزهرى كما قال أبو داود : خاتما من ورق .

والصحيح أن الذى لبسه يوما واحـداً ثم رمى به إنمـا هو خاتم الذهب ، لا خاتم الورق ، لمَا ثبت فى الصحيحين عن مالك عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله يلبس خاتما من ذهب ، فنبذَه وقال : لا ألبسه أبدا ، فنبذ الناس خواتيمهم .

وقد كان خاتم الفضة يلبسه كثيراً ، ولم يزل فى يده حتى توفى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان فصُّه منه، يعنى ليس فيه فص منفصل عنه ، ومن روَى أنه كان فيـه صورة شخص فقـد أبعد وأخطأ ، بل كان فضة كله وفصه منه ، ونقشه : محمد رسول الله ثلاثة أسطر : محمد سطر . رسول سطر . الله سطر .

وكأنه والله أعلم كان منقوشا وكتابته مقلوبة ليَطْبع على الاستقامة كما جرت العادة بهذا ، وقد قيل :إن كتابته كانت مستقيمة ، وتطبع كذلك ، وفى صحة هذا نظر ، ولست أعرف لذلك إسنادا لا صحيحا ولا ضعيفا .

وهذه الأحاديث التىأوردناها أنه عليه السلام كان له خاتم من فضة ، تردُّالأحاديث التى قدمناها فى سُنَنى أبى داود والنسائى من طريق أبى عَتَّاب سهل بن حماد الدلال ، عن أبى مَـكِين نوح بن ربيعة ، عن إياس بن الحارث بن مُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، عن جده قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من حديد مَلْوىّ عليه فضة .

ومما يزيده ضعفا الحديث الذى رواهأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث

أبى طَيبة عبد الله بن مسلم السُّلَمى المروزى ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شَبَه [1] فقال : مالى أجد منك ريح الأصنام ؟ فطرحه ، ثم جاء وعليه خاتم من حديد ، فقال : مالى أرى عليك حِلية أهل النار ؟ فطرحه ، ثم قال : يارسول الله من أى شىء أتخذه ؟ قال : اتخذه من وَرِق ، ولا تُتِمه مثقالا .

* * *

وقد كان عليه السلام يلبسه فى يده اليمنى ، كما رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى من حديث شَرِيك : أخبرنى أبو سَلَمة بن عبد الرحمن القاضى ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسن ، عن أبيه ، عن على رضى الله عنه ، عن رسول الله قال شَرِيك : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله كان يتختم فى يمينه .

وروى فى اليسرى ، رواه أبو داود من حديث عبد العزيز بن أبى رَوَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يساره ، وكان فصه فى باطن كفه .

قال أبو داود : رواه أبو إسحاق وأسامة بن زيد عن نافع فى يمينه .

وحدثنا هَنَّاد ، عن عَبدة ، عن عبيد الله ، عن نافع : أن ابن عمر كان يلبس خاتمه فى يده اليسرى .

ثم قال أبو داود : حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق قال : رأيت على الصَّلْت بن عبد الله بن نوفل بن عبد المطلب خاتما فى خنصره اليمنى ، فقلت : ماهذا؟ فقال : رأيت ابن عباس يلبس خاتمه هكذا ، وجعل فصه على ظهرها.

---

(١) الشبه : النحاس الأصفر .

قال : ولا يخَال ابنَ عباس إلا قد كان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه كذلك .

وهكذا رواه الترمذى من حديث محمد بن إسحاق به .

ثم قال محمد بن إسماعيل ، يعنى البخارى : حديث ابن إسحاق عن الصَّلْت حديث حسن . وقد روى الترمذى فى الشمائل ، عن أنس وعن جابر وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى اليمين .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى ، عن ثُمَامة ، عن أنس بن مالك ، أن أبا بكر لما استُخلف كتب له وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

قال أبو عبد الله : وزاد أبو أحمد : حدثنا الأنصارى ، حدثنى أبى ، حدثنا ثمامة ، عن أنس قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى يده ، وفى يد أبى بكر ، وفى يد عمر بعد أبى بكر .

قال : فلما كان عثمان جلس على بئر أَرِيس ، فأخذ الخاتم فجعل يعبث به فسقط .

قال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فنُزح البئر فلم يجده .

فأما الحديث الذى رواه الترمذى فى الشمائل : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو عَوانة ، عن أبى بِشْر ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه .

فإنه حديث غريب جداً . وفى السنن من حديث ابن جُرَيج عن الزهرى عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء نزع خاتمه .

ذكر سيفه عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا شُرَيح ، حدثنا ابن أبى الزِّنَاد ، عن أبيه ، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس قال : تنفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفَه ذا الفِقَار يوم بدر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، قال : رأيت فى سيفى ذا الفِقَار فَلاًّ فأوَّلتا فَلاًّ يكون فيكم ، ورأيت أنى مُرْدِف كَبْشا ، فأوَّلته كبشَ الكتيبة ، ورأيت أنى فى دِرْع حَصِينة فأوَّلتها المدينة ، ورأيت بقَرا تُذْبح ، فبقرٌ والله خير فبقر والله خير .

فكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبى الزِّنَاد عن أبيه به .

وقد ذكر أهل السنن أنه سُمع قائل يقول : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتًى إلا علىّ .

وروى الترمذى من حديث هود بن عبد الله بن سعد ، عن جده مَزِيدة بن جابر العبدى العصرى رضى الله عنه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعلى سيفه ذهب وفضة . الحديث .

ثم قال : هذا حديث غريب .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن سعيد بن أبى الحسن قال : كانت قَبِيعة [٢] سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة .

وروى أيضا من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال : صنعت سيفى على

---

(١) الفل : ثلم يكون فى حد السيف .
(٢) القبيعة : ما على مقبض السيف من حديد أو فضة .

سيف سمرة ، وزعم سَمُرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حَنفيا ، وقد صار إلى آل على سيف من سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء عند الطف كان معه ، فأخذه على بن الحسين ابن زين العابدين فقدِم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية ، ثم رجع معه إلى المدينة .

فثبت فى الصحيحين عن المِسْوَر بن مَخْرَمة أنه تلقَّاه إلى الطريق ، فقال له : هل لك إلىَّ من حاجة تأمرنى بها ؟ قال : فقال : لا . فقال : هل أنت مُعطِىَّ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى أخشى أن يغلبك عليه القوم ، وايم الله إن أعطيتنيه لا يَخْلُص إليه أحد حتى يبلغ نفسى .

* * *

وقد ذُكر للنبى صلى الله عليه وسلم غير ذلك من السلاح .

من ذلك : الدروع كما روى غير واحد منهم السائب بن يزيد ، وعبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهَر يوم أحد بين دِرْعين .

وفى الصحيحين من حديث مالك ، عن الزهرى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعلى رأسه المِغْفَر ، فلما نزعه قيل له : هذا ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه .

وعند مسلم من حديث أبى الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

وقال وَكيع عن مُساوِر الورَّاق ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، عن أبيه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ وعليه عمامة دَسْماء (١) .

---

(١) الدسماء : التى يضرب لونها إلى السواد .

ذكرها الترمذى فى الشمائل ، وله من حديث الدَّراوَرْدِى ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتمّ سدَلها بين كتفيه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، حدثنا مخول بن إبراهيم ، حدثنا إسرائيل ، عن عاصم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أنه كانت عنده عُصَيّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فدفنت معه بين جنبه وبين قميصه .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه إلا مخول بن راشد ، وهو صَدُوق فيه شيعية . واحتُمل على ذلك .

وقال الحافظ البيهقى بعد روايته هذا الحديث من طريق مخول هـذا قال : وهو من الشيعة يأتى بأفراد عن إسرائيل لا يأتى بها غيره ، والضعف على رواياته بيِّن ظاهر .

ذكر نعله التى كان يمشى فيها عليه السلام

ثبت فى الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السِّبْتِية (١) ، وهى التى لا شعر عليها .

وقد قال البخارى فى صحيحه : حدثنا محمد ، هو ابن مُقاتِل ، حدثنا عبدالله ، يعنى ابن المبارك ، أنبأنا عيسى بن طَهْمَان ، قال : أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين لهما قِبالان ، فقال ياثابت : هذه نعل النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه فى كتاب الخمس عن عبد الله بن محمد، عن أبى أحمد الزبيرى ، عن عيسى ابن طَهْمان ، عن أنس ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جَرْدَاوين لهما قِبَالان . فحدثنى ثابت البنانى بعدُ عن أنس أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) السبتية : المتخذة من جلود البقر .

وقد رواه الترمذى فى الشمائل عن أحمد بن مَنِيع ، عن أبى أحمد الزبيرى به .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، عن خالد الحذَّاء ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَالان مَثْنىٌّ شِراكهما .

وقال أيضا : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن ابن أبى ذئب ، عن صالح مَوْلَى التَّوأمة ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَالان .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية ، حدثنا هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَالان وأبى بكر وعمر ، وأول من عَقَد عَقْداً واحداً عثمان .

قال الجوهرى : قِبَال النعل بالكسر : الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى والتى تَلِيها .

قلت : واشتهر فى حدود سنة ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له : ابن أبى الحَدْرَد نعلٌ مُفْرَدة ذكر أنها نعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فسامها المِلكُ الأشرف موسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها ، فاتفق موته بعد حين فصارت إلى الملك الأشرف المذكور ، فأخذها إليه وعَظَّمها ، ثم لما بنى دارَ الحديث الأشْرفية إلى جانب القلعة ، جعلها فى خزانة منها ، وجعل لها خادما ، وقُرِّر له من المعلوم كل شهر أربعون درهما ، وهى موجودة إلى الآن فى الدار المذكورة .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا : حدثنا أبو أحمد الزُبيرى ، حدثنا شيبان ، عن عبد الله بن المختار ، عن موسى بن أنس ، عن أبيه قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّة (١) يتطيَّب منها .

---

(١) السلة : الجونة

صفة قدح النبي صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا شريك ، عن عاصم قال : رأيت عند أنس قدحَ النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضَبّة من فضة .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد الله ، أخبرني أحمد بن محمد النَّسَوى ، حدثنا حماد بن شاكر ، حدثنا محمد بن إسماعيل هو البخارى ،حدثنا الحسن ابن مُدْرِك ، حدثني يحيى بن حماد ، أخبرنا أبو عَوانة ، عن عاصم الأَحْوَل قال : رأيت قدحَ النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسَلْسَله بفضة .

قال : وهو قدح جَيّد عريض من نُضَار (١) .

قال أنس : لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا القدح أكثر من كذا وكذا . قال : وقال ابن سيرين: إنه كان فيه حَلْقة من حديد ، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال له أبو طلحة : لاتغيّرنّ شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتركه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا حجاج بن حسان ، قال : كنا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضَبّات حديد وحَلْقة من حديد ، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع وفوق نصف الربع ، وأمر أنسُ بن مالك فجعل لنا فيه ماء فأتينا به فشربنا وصَبَبْنا على رءوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم .

انفرد به أحمد .

ذكر ما ورد فى المِكْحَلة التى كان عليه السلام يكتحل منها

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا عبد الله بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن

(١) النضار: الخشب والأثل

عبـاس ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليـه وسلم مكحلة يكتحل منها عنـد النوم ثلاثا فى كل عين .

وقد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن هارون ، قال على بن المدينى : سمعت يحيي بن سعيد يقول : قلت لعباد بن منصور : سمعتَ هذا الحديث من عكرمة ؟ فقال : أخبرنيه ابن أبى يحيى عن داود بن الحصين عنه .

قلت : وقد بلغنى أن بالديار المصرية مَزارا فيه أشياء كثيرة من آثار النبى صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين ، فمن ذلك مِكْحَلة وقيل : ومشط . وغير ذلك فالله أعلم .

البُرْدَة

قال الحافظ البيهقى : وأما البُرْد الذى عند الخلفاء فقد روينا عن محمد بن إسحاق بن يسَار فى قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أَيْلَة بُرْدَه مع كتابه الذى كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار - يعنى بذلك أول خلفاء بنى العباس وهو السفاح رحمه الله -

وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفا عن سلف ، كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه ، ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه فى إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السَّكينة والوقار ما يَصْدَع به القلوب ، ويَبْهر به الأبصار ، ويلبسون السَّواد فى أيام الجمع والأعياد ، وذلك اقتداء منهم بسيّد أهل البدو والحضر ، ممن يسكن الوبَر والمدَر .

لمَا أخرجه البخارى ومسلم إماما أهل الأثر ، من حـديث مالك عن الزهرى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المِغْفَر . وفى رواية : وعليه عمامة سوداء ، وفى رواية : قد أرخَى طرفها بين كتفيه ، صلوات الله وسلامه عليه

وقد قال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن محمد، عن أبى بُرْدَة قال : أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا غليظا فقالت : قُبض روح النبى صلى الله عليه وسلم فى هذين .

وللبخارى من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله ، عن عائشة وابن عباس قالا : لمّا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِق يَطْرح خميصةً له على وجهه ، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذّر ماصنعوا .

قلت : وهذه الأثواب الثلاثة لا يُدْرَى ما كان من أمرها بعد هذا .

وقد تقدم أنه عليه السلام طُرحت تحته فى قبره الكريم قطيفة حمراء كان يصلى عليها، ولو تقصّينا ما كان يلبسه فى أيام حياته لطال الفصل ، وموضعه كتاب اللباس من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر أفراسه ومراكبه عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق عن يزيد بن حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله المزَنى ، عن عبد الله ابن رَزِين، عن على قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال له المُرْتجِز ، وحمار يقال له عُفَير ، وبغلة يقال لها دُلْدُل ، وسيفه ذو الفِقَار ، ودِرْعه ذو الفُضول .

ورواه البيهقى من حديث الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن على نحوه .

قال البيهقى : وروينا فى كتاب السنن أسماء أفراسه التى كانت عند الساعديّين ، لزاز واللّحِيف وقيل اللخِيف والظَّرِب ، والذى ركبه لأبى طلحة يقال له المندُوب ، وناقته القَصْواء والعَضْباء والجَدْعاء ، وبغلته الشهباء ، والبيضاء .

قال البيهقى : وليس فى شىء من الروايات أنه مات عنهن ، إلا ماروينا فى بغلته

البيضاء ، وسلاحه وأرضٍ جعلها صـدقة ، ومن ثيابه ، وبغلته ، وخاتمـه ماروينا فى هذا البـاب .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا زَمْعة بن صالح ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله جبة صوف فى الحياكة .

وهذا إسناد جيد .

وقد روى الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا مجاهد ، عن موسى ، حـدثنا على بن ثابت ، حدثنا غالب الجزَرى ، عن أنس قال : لقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لَيُنْسَج له كساء من صوف .

وهذا شاهد لما تقدم .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : حدثنا سَعْدان بن نَصِير ، حـدثنا سُفيان بن عُيينة ، عن الوليد بن كثير ، عن حسين ، عن فاطمة بنت الحسين أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قُبض وله بُردان فى الجف[1] يُعْملان .

وهذا مرسل.

وقال أبو القاسم الطبرانى : حـدثنا الحسن بن إسحاق التسْتُرى ، حدثنا أبو أميـة عمرو بن هشام الحرّانى ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن بن على بن عروة ، عن عبـد الملك ابن أبى سليمان ، عن عطاء وعمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقَبِيعتُه ، وكان يسمّى ذا الفِقَار ، وكان له قوس تسمى السَّدَاد وكانت له كِنانة تسمى الجمع ، وكانت له درع موشَّحة بالنحاس تسمى ذات الفُضول وكانت له حَرْبة تسمى النَّبْعاء ، وكان له مِجَن يسمى الذقن ، وكان له تُرس أبيض يسمى الموجز ، وكان له فرس أدهم يسمى السَّكْب ، وكان له سرج يسمى الداج ، وكان له بغلة شهباء يقال لها دُلْدل ، وكانت له ناقة تسمى القَصْواء ، وكان له حمار يقال له : يَعْفور ،

(١) وعاء من الجلود .

وكان له بِساط يسمى الكَزّ ، وكان له نَمِرة تسمى النمر ، وكانت له رَكْوة تسمى الصادر ، وكانت له مرآة تسمى المرآة ، وكان له مِقْراض يسمى الجامع ، وكان له قَضِيبُ شَوْحط (١) يسمى المَمْشوق .

قلت : قد تقدم عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ، ولا درهما ، ولا عبداً ، ولا أمة سوى بغلة وأرض جعلها صدقة ، وهذا يقتضى أنه عليه السلام نجَّز العتق فى جميع ماذكرناه من العبيد والإماء ، والصدقةَ فى جميع ماذكر من السلاح ، والحيوانات ، والأثاث ، والمتاع مما أوردناه وما لم نورده .

وأما بغلته وهى الشهباء ، وهى البيضاء أيضا والله أعلم ، وهى التى أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية واسمه جُريج بن ميناء فيما أهدى من التُّحف ، وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبها يوم حنين وهو فى نحور العدو ينوِّه باسمه الكريم شجاعةً وتوكلا على الله عز وجل ، فقد قيل : إنها عُمِّرت بعده حتى كانت عند على بن أبى طالب فى أيام خلافته ، وتأخرت أيامها حتى كانت بعد على عند عبد الله بن جعفر فكان يَجشُ لها الشعير حتى تأكله من ضَعفها بعد ذلك .

وأما حماره يعفور ، ويصغَّر فيقال له عُفَيْر ، فقد كان عليه السلام يركبه فى بعض الأحايين .

وقد روى أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن يزيد ابن عبد الله العَوفى ، عن عبد الله بن رَزِين ، عن على قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب حماراً يقال له عُفَيْر .

ورواه أبو يَعْلى من حديث عون بن عبد الله ، عن ابن مسعود .

وقد ورد فى أحاديث عدة أنه عليه السلام ركب الحمار .

---

(١) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى .

وفى الصحيحين أنه عليه السلام مرَّ وهو راكب حماراً بمجلس فيه عبد الله بن أبىّ بن سَلول وأخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدَة الأوثان واليهود فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل ، وذلك قبل وقعة بدر ، وكان قد عزم على عِيادة سعد بن عبادة ، فقال له عبد الله : لا أحسنَ مما تقول أيها المرء ، فإن كان حقًّا فلا تَغشَنا به فى مجالسنا ، وذلك قبل أن يَظْهر الإسلام ، ويقال إنه خَمَّر أنفه لمّا غَشِيتهم عجَاجةُ الدابة وقال : لا تُؤذنا بنتن حمارك .

فقال له عبد الله بن رَوَاحة : والله لَريح حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب من ريحك . وقال عبد الله : بل يارسول الله اغشَنا به فى مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فتثاوَر الحيَّان وهمُّوا أن يقتتلوا ، فسكّنَهم رسول الله .

ثم ذهب إلى سعد بن عُبادة فشكا إليه عبدَ الله بن أُبىّ . فقال : ارفق به يارسول الله ، فوالذى أكرمَك بالحق لقد بعثَك الله بالحق ، وإنا لنَنْظم له الخرزَ لنملِّكه علينا ، فلما جاء الله بالحق شَرِق بريقه .

وقد قدمنا أنه ركب الحمار فى بعض أيام خيبر ، وجاء أنه أردفَ معاذاً على حمار .

ولو أوردناها بألفاظها وأسانيدها لطال الفصل والله أعلم .

فأما ماذكره القاضى عياض بن موسى السَّبْتى فى كتابه الشِّفا ، وذكَره قبلُ إمامُ الحرمين فى كتابه الكبير فى أصول الدين وغيرهما أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمار يسمى زياد بن شهاب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه ليطلب له بعضَ أصحابه فيجىء إلى باب أحدهم فيُقَعْقعه فيعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبه ، وأنه ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم أنه سُلالة سبعين حماراً كلٌّ منها رَكِبه نبىٌّ ، وأنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فتردّى فى بئر فمات ، فهو حديثٌ لا يُعْرف له إسناد بالكلية ، وقد أنكره غير واحد من الحفاظ منهم عبد الرحمن بن أبى حاتم

وأبوه رحمهما الله ، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزِّى رحمه الله ينكره غير مرة إنكاراً شديداً .

وقال الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العَنْبرى ، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا إبراهيم بن سُوَيد الجذُوعى ، حدثنى عبد الله بن أُذَين الطائىّ ، عن ثَور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن معاذ بن جبل قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر حمار أسود فوقف بين يديه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن فلان ، كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فملكنى رجل من اليهود ، فكنت إذا ذكرتك كبوتُ به فيوجعنى ضربا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت يعفور .

هذا حديث غريب جداً .

وإلى هنا تنتهى السيرة النبوية للإمام ابن كثير ، والحمد لله الذى أعان عليه ، ويتلوها جزء مفرد فى شمائل الرسول وخصائصه وفضائله ودلائل نبوته

فهرس الموضوعات

فهرس القوافي

مراجع التحقيق

الاشتقاق لابن دريد تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
الاكتفا فى مغازى المصطفى للكلاعى مخطوط بدار الكتب
إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى المطبعة الأميرية سنة ١٣٢٥ ﻫ .
أساس البلاغة للزمخشرى طبعة دار الكتب
الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر مطبعة السعادة
تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
تاريخ ابن عساكر (طبع دمشق)
تفسير ابن كثير طبعة عيسى الحلبى
تهذيب التهذيب لابن حجر طبع حيدر آباد
الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
الخصائص الكبرى للسيوطى طبع حيدر آباد
دلائل النبوة لأبى نعيم الطبعة الثانية بحيدر آباد
ذم الهوى لابن الجوزى بتحقيق مطبعة السعادة سنة ١٩٦٢ م
الروض الأنف للسهيلى المطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ ﻫ
سنن أبى داود المطبعة التازية سنة ١٣٤٨ ﻫ
سنن ابن ماجه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى
سيرة بن هشام تحقيق الأستاذ الأبيارى والسقا وشلبى
شرح صحيح مسلم المطبعة المصرية سنة ١٣٤٨ ﻫ
شرح المواهب للزرقانى المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٦ ﻫ

الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر
الشفا للقاضى عياض المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ
صحيح البخارى المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٠ هـ
صحيح مسلم طبعة عيسى الحلبي بإشراف الأستاذ فؤاد عبد الباقى
القاموس المحيط الطبعة الأميرية
الكنى والأسماء للدولابى طبعة حيدر آباد
اللباب فى تهذيب الأنساب طبعة السعادة
لسان العرب لابن منظور الطبعة الأميرية
مراصد الاطلاع تحقيق الأستاذ على البجاوى
مسند أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاكر . والطبعة الأميرية مشارا إليها فى مواضعها .
المشتبه فى الرجال للذهبي . تحقيق الأستاذ على البجاوى
معجم البلدان طبع أوربا .
مكارم الأخلاق للخرائطى المطبعة السلفية
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبي تحقيق الأستاذ البجاوى
النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير المطبعة الخيرية سنة ١٣١٨
الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى بتحقيق مطبعة السعادة سنة ١٩٦٦

تصويبات

١٥٣	هامش	وما أثبته عن صحيح مسلم ٦/١٨١ ط استامبول
١٥٦	١	أبى رَزِين
١٦٣	٢٠	عاصم بن أبى النَّجُود
١٨٧	٢	تُجِيب
١٧٩	١٢ ، ١٤	حسان بن حَوْط
١٨٢	٧	النَّخَع
١٧٥	هامش (٣)	الحيات : القويّات
١٩٣	٤	جَشَمًا [1]
٤٠٥	١٥	فلما كان
٤١٨	٢٠	الحسين بن حُرَيْث
٤٧٩	١٣	فقال
٤٩٩	٧	فانخَنَثَ [2]

(١) جشما : جزعا

(٢) انخنث : مال وانكسر لاسترخاء أعضائه بعد الموت .

خاتمة

إلى هنا ينتهى كتاب السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ، وهو قسم السيرة من كتابه « البداية والنهاية » الذى ثبت من كلام ابن كثير نفسه ، ومما ذكره أصحاب التراجم، أنه كتاب مستقل ، كان يعرف باسم السيرة المطوّلة ، وله أيضا سيرة موجزة ، كما ذكر ابن كثير فى تفسير سورة الأحزاب .

وأودّ أن أشير هنا إلى ملاحظات تبدّت فى خلال عملى فى إخراج هذا الكتاب ، إذ أن المقدمة قد كتبت عند طبع الجزء الأول ، وهى :

١ - كنت قد أشرت فى المقدمة إلى أن ابن كثير يوردُ فى أسلوبه بعض الكلمات التى قد تضع من قدر الأسلوب أو تحطّ من رتبته ، وذكرت لذلك بعض الأمثلة ، ورتّبتُ عليها أن ابن كثير لم يكن ممن يَحفل ببهاء الأسلوب أو التفنن فى العبارات .

والحق أن ابن كثير ، كما يتبدّى من خلال النظر فى أسلوبه جملةً ، أَديبٌ رائق العبارة ، قوىّ الأسلوب ، وأن الألفاظ التى قد تُعاب على أسلوبه ، ليست حكما فى ذلك، فإن للكلمات أعمارا تاريخية ، فقد تبدو فى أجيال وتختفى أو تهمل فى أخرى ، والأذواق تختلف فى ذلك اختلافا كثيرا .

٢ - كما كنت قد أشرت فى المقدمة إلى أن ابن كثير قد أورد فى كتابه هذا الكثير من الأخبار الواهية ، وعبت عليه ذلك ، رغم أنه يبين رتبتها ويشير إلى حالها .

وهذا أيضا مما أستدركه هنا ، فقد كان على ابن كثير أن يزن بميزان الرواية كل التراث الذى انتهى إلى عصره ليفحصه ويكشف حقيقته ، وذلك منهاج مستقيم ، لاينكره العلم ، وإن تأذّى منه بعض الناس فى هذا العصر .

٣ ـ وفيما يتصل بمنهج التحقيق ، لم أكن أحفل بالفروق الخاطئة بين النسخ التى تنشأ عن التحريف الكتابى ، إذ ليس لها وزن علمى ، كذلك كنت أشير فى الجزء الأول إلى أخطاء النسخة المطبوعة ، ثم أمسكت عن ذلك إذ ليس لذلك من فائدة ، ويكفى القارئ أن يعلم أن هذه المطبوعة لم تكن موثقة ولا متسمة بالتحقيق العلمى .

٤ ـ وقد يلحظ القارئ أنى لم ألتزم بتخريج الأخبار . أى الإرشاد إلى أماكن وجودها فى المراجع ، وذلك أمر أشرت إليه فى المقدمة ، فإن أخبار السيرة مشتركة بين عدد كبير من كتب الحديث والسيرة والشمائل ، فاكتفيت بالاطمئنان إلى صواب النص بعرضه على هذه المراجع ، ولم أشر إلا إلى أوجه الاختلاف أو التحريف فى الأصل

٥ ـ أما الفهارس المتنوعة فلى رجاء أن أوفق فى طبعة تالية إلى استكمالها ، إذا اقتضت ظروف حاضرة الاقتصار فيها على القليل .

٦ ـ لقد استغرق إعداد هذا الكتاب وإخراجه ثلاث سنوات كاملة ، وكان القصد منه أن يضع فى متناول الأمة الإسلامية أوثق مصدر وأشمله لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم . وحسبى فى ذلك هذه النية ، آملا أن ينفع الله به ، وأن يسبغ علينا من رحمته وفضله له الحمد فى الأولى والآخرة ، نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة فى : { ربيع الآخر ١٣٨٦ / يوليو ١٩٦٦ }

مصطفى عبد الواحد